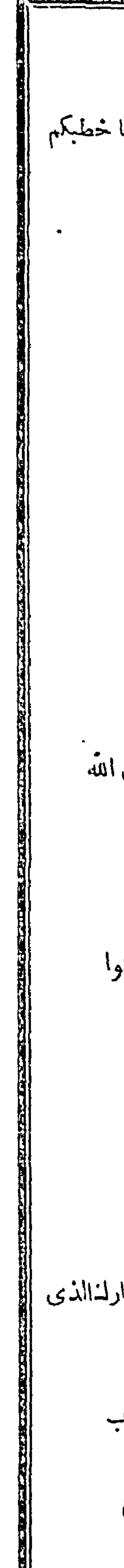
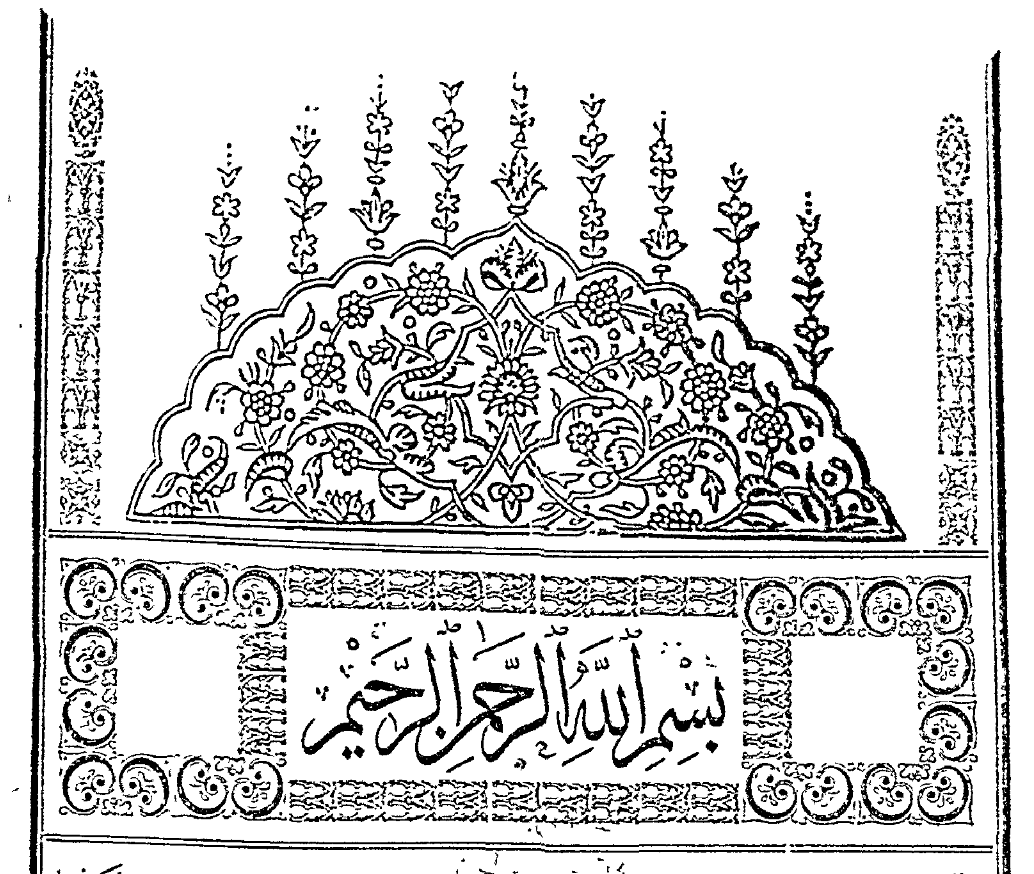
(فهرست الجلد الرابع)



تمت المجلد الرابع



(سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه

(قوله دليل على استقلاله بنفسه) بان يكون حروفا مسرودة على وجه التعداد لامحل لها من الاعراب لكونها جارية مجرى الاصوات المنبهة فان الحكيم اذا خاطب من هو فى محل الغفلة اومن هو مشغول البال بمهم من المهمات فانه يقدم على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت اليه المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه وذلك الشئ المقدم على المقصود قديكون كلاماله معنى مفهوم كقول القائل اسمع منى واجعل بالك الى واحضرلى وقديكون شيئا هو فى معنى الكلام المفهوم كقولك ازيد ويازيد والايازيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت اليه وقديكون ذلك الصوت بغيرالفم كمايصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثرولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يازيد والغافل بألا فيقال الايازيد ثم ان النبى عليه الصلاة والسلام وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم تلك الحروف اذالم يكن بحيث يفهم معناها فانها حينئذ تكون اتم فى افادة المقصود الذى هو التنبيه من تقديم الحروف التى لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع نحو المتكلم لسماع مابعد ذلك فاذا كان ذلك المقدم كلاما مفهوم المعنى فربما يظن السامع ان مد اوله هو كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه واما اذا سمع منه صوتا بلا معنى فانه حينئذ يقبل عليه ولم يقطع نظره عنه مالم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فتقرر ان تقديم الحروف التى لامعنى لها فى الموضع الذى ذكرت على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة ثم اعلم ان حروف التهجى التى ذكرت فى اوآئل اكثر السور ذكر بعدها الكتاب اوالتنزيل اوالقرآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لااله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ذى الذكر ق والقرآن الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب ولم يذكر بعدها شئ من ذلك فى ثلاث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة فى افتتاح السور التى ذكر فيها بعد حروف التهجى القرآن اوالتنزيل اوالكتاب بتلك الحروف المنبهة هى ان القرآن عظيم الشان وكذا الانزال والكتاب وانزال الوحى له ثقل عظيم لاتطيق القوة الحيوانية ثقله قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فكل سورة فى اوآئلها ذكر القرآن اوالكتاب اوالتنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه ثم اعلم ان التنبيه قديحصل

فى القرأن بغير الحروف التى لايفهم معناها كما فى قوله تعالى ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وقوله ياايها النبى اتق الله ويا ايها النبى لم تحرم لانها اشياء هائلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فتقدم عليها النداء الذى للبعيد الغافل عنها واما هذه السورة فافتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب والقرأن لان القرأن ثقله بما فيه من التكاليف والمعانى وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف لكونها مصدرة بقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا يعنى لايتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بانواع التكاليف فوجد فيها المعنى الذى وجد فى السور التى فيها ذكر القرأن المشتمل على الاوامر والنواهى (قوله او بما يضم معه) امابان تجعل هذه الالفاظ المفردة اسماء للحروف التى يتركب منها الكلام افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرأن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلوكان من عند غيرالله تعالى لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف اوالمؤلف منها هو الذى تحديتم به وعجزتم عن الاتيان بما يدانيه واما بان تجعل اسماء للقرأن اوالسور ويكون المعنى هذه الم واياما كان تكون هذه الالفاظ كلاما مستقلا منقطعا عما بعدها كما هو مقتضى الإستفهام الواقع بعدها فانه يقتضى صدرالكلام (قوله الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل) لما كان افعال القلوب من جملة نواسخ الابتداء وجب ان تدخل على الجملة التامة للدلالة على ان جهة ثبوت مضمونها هل هى ظن اوعلم ويقين والواقع بعد فعل الحسبان ههنا هو الفعل المضارع المصدر بان المصدرية وهذا الفعل مع مافى حيزه مؤول بمفرد لا جملة مؤلفة من المبتدأ والخبر حتى يستوفى فعل الحسبان مفعوليه لكن الجملة الفعلية المؤولة بالمفرد فى محل النصب على انها مفعول اول وقوله ان يقولوا ثانى المفعولين فان قوله مع كونه علة لتركهم غير مفتونين لكونه فى تقدير لان يقولوا فهو يصح ان يكون خبراله كما فى قولك ضربه للتأديب وخروجه مخافة الشر فاذا اردت ان تبين ان ثبوت مضمون هذه الجملة عنده على وجه الظن دون اليقين قلت حسبت ضربه للتأديب فكذا قوله ان يقولوا آمنا خبر فى الاصل ثم جعل مفعولا ثانيا لفعل الحسبان وقوله وهم لايفتنون من تمام قوله ان يتركوا لكونه حالا من المرفوع المستتر فيه (قوله او انفسهم متروكين غير مفتونين) عطف على قوله تركهم غير مفتونين والفرق بين الوجهين ان فعل الحسبان على الوجه الاول استوفى مفعوليه المتلازمين بمعنى انه لايجوز الاقتصار على احدهما وعلى الثانى حذف كلاهما اكتفاء بذكر مايسد مسدهما (قوله خرعوا) بالخاء المنقوطة من فوق بمعنى ضعفوا ويروى جزعوا (قوله متصل بأحسب) بان يكون حالا من فاعله لبيان علة انكار الحسبان وتقرير جهة اشكاله والمعنى احسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا والمقصود التنبيه على خطأهم فى الحسبان (قوله او بلا يفتنون) بان يكون حالا من فاعله لبيان ان لاوجه لتخصيصهم انفسهم بعدم الافتتان والمعنى احسبوا ان لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسلك الامم السابقة فيكون داخلا فى حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم (قوله فيتعلق علمه بالامتحان) اى فلنمتحنهم بمشاق التكاليف وبانواع السراء والضراء يبلو بذلك صبرهم بثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غيرالمخلص والراسخ فى الدين من المضطرب والمتمكن فى العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه بوجود كل طائفة على ماهى عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد موصوفا بتلك الحال ومقصود المصنف بهذا الكلام ان يجيب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل فليعلمن الله وهو بظاهره يقتضى ان يكون علمه تعالى حادثا متجددا عن الامتحان لاقبله قال الامام الآية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ماهو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله سبحانه وتعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمرا سيعصى ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والاخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والاخر عصى ولا يتغير علمه فى شئ من الاحوال وانما المتغير المعلوم ويتبين هذا بمثال من الحسيات وهو ان المرآة الصافية الصقيلة اذا علقت بموضع وقوبل بوجهها جهة ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فظهر فيها زيد فى ثوب ابيض ثم عبر عليها عمرو فى لباس اصفر فظهر فيها كذلك فهل يقع فى ذهن احد ان المرآة فى كونها حديدا تغيرت او كونها صافية صقيلة مدورة مقابلة الى جهة فلانية تحولت وتبدلت لايقع فى ذهن احد تغيرها فى شئ من هذه الاوصاف بل يقطع كل احد بان المتغير الامور الخارجة عنها فعلم الله تعالى فى حكم تغيره

او بما يضم معه (احسب الناس) الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او مايسد مسدهما كقوله (ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون) فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان من خلوص لايقتضى غيرالخلاص عن الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار وقد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فيتعلق علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان

وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى اعلى واجل فان المرآة مخلوقة وعلمه تعالى ازلى قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا معناه انه يقع ممن يعلم الله تعالى انه سيطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وقوله تعالى وليعلمن الكاذبين يعنى من قال انامؤمن وكان كاذبا فبغرض العبادات يظهر منه ذلك لانه يقع ممن علم الله تعالى منه انه سيعصى ولا يطيع المخالفة والعصيان ليعلم انه كاذب فى دعوى الايمان والطاعة لقيام شواهد كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على مايدعيه المرء باللسان فمن ادعى بلسانه الايمان واستعمل الاركان على حسب مايقتضيه الايمان فقد صدقه شهوده فى دعواه وتحقق مافى علمه تعالى من انه سيطيع فعلمه بانه قداطاع ومن لم يستعمل اركانه حسب مايقتضيه ايمانه فقد كذبه شهوده وتحقق مافى علمه من انه لايطيع وعلمه تعالى بانه من العصاة الكاذبين وفى قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين بلفظ اسم الفاعل فائدة مع الاختلاف فى اللفظ ادل على الفصاحة وهى ان اسم الفاعل يدل فى كثير من المواضع على ثبوت المصدر فى الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضى لايدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذامره وفلان نافذالامر لايفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل اذا ثبت هذافنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى اوآئل ايجاب التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال فى حق المؤمنين صدقوا بلفظ الفعل اى وجدمنهم الصدق وقال فى حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام (**قوله** لذلك) اى لكون المراد بالعلم تعلقه الحالى الذى هوسبب للتميز والمجازاة فسر العلم بهما على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وقيل المعنى فليميزن اوليجازين فان التميز بين الشيئين والمجازاة على الشئ سبب عن تعلق العلم به فاقيم قوله ليعلمن الله مقام ليميزن اوليجازين (**قوله** ليعرفنهم الناس) على ان يكون اعلم من علمت بمعنى عرفت نقل الى باب الافعال فعدى الى مفعولين احدهما الذين والاخر محذوف وهو الناس والمعنى ليعرفن الله الناس الذين صدقوا من الكاذبين (**قوله** اوليسمنهم) على ان يكون اعلم من اعلم القصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح يقال وسمه وسما اذا اثرفيه بكى اوعلامة يعرف بها والضمير فى ليعرفنهم وليسمنهم للصادقين والكاذبين (**قوله** الكفر والمعاصى) ذكر اولا ان الآية الاولى نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ثم اشار الى ان هذه الآية نزلت فى حق الكافرين كانه قيل احسب الذين قالوا آمنا ان نكتفى منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب الكفار ان يعجزونا فتركوا لاجل ذلك الايمان فالكفار وان لم يطمعوا فى الفوت لانكارهم البعث والجزآء اصلا ورأسا لكنهم نزلوا منزلة من عرف وصدق به وطمع فى السبق اى الفوت وذلك لغفلتهم واصرارهم على المعاصى مع ظهور الدليل القائم على انه لابد من البعث والجزآء فانكر عليهم ذلك الطمع والحسبان فكان حاصل المعنى ان الجزآء يلحقهم البتة لانه لما انكر حسبانهم السبق اى الفوت تبين انهم لايفوتون فلامحالة يلحقهم العذاب لاجل ثباتهم على الكفر والمعاصى فكيف لايحترزون عنه (**قوله** تعالى ان يسبقونا) لما اشتمل على المسند والمسند اليه سد مسد مفعولى حسب والمعنى أظن المسيئون انهم يفوتونا فلانقدر على الانتقام منهم وهو فى قوة قولنا احسبوا انفسهم فائتين وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاضراب لاجل الانتقال لا لابطال السابق لان انكار الحسبان الاول ليس بباطل الاان الحسبان الثانى ابطل واولى بالانكار وذلك لان صاحب الحسبان الاول يقر بانه لايمتحن لايمانه وهذا يظن انه لايجازى بمساويه والثانى ابطل لانه خلاف مايقتضيه العقل والنقل والاول انما يخالف النقل فقط ولم تجعل ام هذه متصلة متعادلة لهمزة الاستفهام فى قوله احسب الناس لوجهين احدهما ان مابعدها ليس مفرد اولا فى قوة المفرد والثانى انه لم يكن هنا مايجاب به عن احد الشيئين اوالاشياء (**قوله** اى بئس الذى يحكمونه) يريد ان ساء بمعنى بئس وان ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى ويحكمون صلتها والعائد محذوف والموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل بئس فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام ويكون المخصوص بالذم محذوفا اى بئس الحكم الذى يحكمونه حكمهم هذا ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا مفسرا بما وهى فى محل النصب على التميز ويحكمون صفتها بحذف العائد والمخصوص ايضا محذوف والتقدير بئس الحكم حكما يحكمونه حكمهم هذاحين ظنوا ذلك قال الامام لمابين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشئ ولم يات به يعذب وان لم يعذب فى الحال فسيعذب فى الاستقبال ولايفوت الله

والذين كذبوا فيه وينوط به توابهم وعقابهم لذلك وقيل المعنى وليميزن اوليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسواد ها (ام حسب الذين يعملون السيئات) الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح (ان يسبقونا) ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهوساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء مايحكمون) اى بئس الذى يحكمونه اوحكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم (من كان يرجو لقاء الله) فى الجنة

شئ فى الحال ولافى المآل (قوله وقيل المراد بلقاء الله تعالى) اى قال من ذهب الى ان لقاء الله تعالى بمعنى ابصاره غير ممكن ان المراد بلقاء الله عز وجل الوصول الى ثوابه اوالى العاقبة بان استعير اللقاء للوصول المذكور حيث شبه الوصول باللقاء ثم ذكر اللقاء واريد ذلك الوصول على الاستعارة التصريحية ووجه الشبه بين الوصول واللقاء ان من وصل الى ثواب الله تعالى اوالى عاقبة مكشه فى الدنيا من الموت والبعث والحساب والجزآء على حسب ما وعد له فى الدنيا وقد انكشف له الامر وتبين ما اعتد فى الدنيا من امور الاخرة وصفات الله تعالى ووحدانيته ووعده ووعيده فصار كانه لقى الله تعالى وكلمه بهذه الاشياء وبينها له فان وصول الآثار المختصة بالشئ تقوم مقام الوصول الى ذات الشئ ورؤيته اوصار حاله فى وصوله الى عاقبة مكثه فى الدنيا كحال من لقيه سيده بالبشر وطلاقة الوجه او بالسخط والعبوسة (قوله فليبادر ما يحقق امله) مبنى على ما اختاره من ان المراد بلقاء الله تعالى النظر الى وجهه الكريم فى الجنة (قوله اوما يستوجب به القربة) مبنى على ما قيل من ان المراد بلقاء الله تعالى الوصول الى العاقبة على تمثيل حال الواصل اليه بحال من لقى سيده المطلع على احواله (قوله واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة) اشارة الى جواب ما يقال وهو ان قوله من كان يرجو شرط وجزاؤه فان اجل الله لآت والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فيلزم منه ان من لا يرجو لقاء الله تعالى لايكون اجل الله تعالى آتياله والاجل آت لكل احد لامحالة فاوجه جعل رجاء اللقاء شرطا لاتيان الاجل والشرط لابد ان يكون سببا للجزآء اوالاخبار به ولا تظهر السببية باحد المعنيين ههنا ومحصول الجواب ان قوله فان اجل الله لآت ليس بجزآء بل هو قائم مقام الجزآء فان اصل الكلام من كان يرجو لقاء الله فليبادر للعمل الصالح الذى يحقق امله اوالذى يستحق به القربة والرضى فان اجل الله لآت عن قريب الا انه اقيم ما هو السبب لاجل الجزآء وهو كون اجل الله آتيا عن قريب مقام ذلك الجزآء المسبب ثم علل الامر بمبادرة الاعمال الصالحة بقوله وهو السميع العليم اى وهو المجازى بجميع صالحات اعماله فان العمل الصالح لايخرج عن ثلاثة اقسام احدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما وهو لايرى ولا يسمع ولا يتعلق به الا العلم وثانيها عمل اللسان وهو يسمع وثالثها عمل الاعضاء والجوارح وهو ان كان من قبيل المبصرات الا ان علمه تعالى بذلك لما لم يكن باستعانة الآلة جعل من قبيل عمل القلب واشار الى احاطة علمه به بقوله العليم وها هنا لطيفة وهى ان من اتى بهذه الاعمال الصالحة جعل الله تعالى لمسموعه مالا اذن سمعت ولمرئيه مالا اعين رات ولعمل قلبه مالا خطر على قلب احد كما ذكر فى الخبر الوارد فى وصف الجنة (قوله على مضض الطاعة) اى على تعبها وفى الصحاح المضض وجع المصيبة يقال امضنى الجرح امضاضا اذا اوجعك وفيه لغة اخرى مضنى الجرح لما بين الله تعالى ان التكليف والامتحان حسن واقع بين ان نفعه يعود على المكلف وانه تعالى غنى عن العالمين والحصر المذكور فى الآية اضافى معناه ان جهاده لايصل منه الى الله نفع فلا يرد ان يقال كيف يستقيم الحصر المذكور مع ان جهاد المرء قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استن بها ثم انه تعالى لما بين اجمالا ان من عمل صالحا فانما يعمل لنفسه فصل ذلك النفع بعض التفصيل فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن والذين مبتدأ خبره جملة القسم المحذوف وجوابه اى والله لنكفرن والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهبن سيئاتهم حتى تصير بمنزلة مالم تعمل والعمل الصالح عندنا كل ما امر الله تعالى فانه صار صالحا بامره ولو نهى عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل فى نفسه وقالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الامر والنهى فالصدق عمل صالح فى نفسه ويامر الله تعالى به كذلك فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهى وعندهم الامر والنهى يترتب على الحسن والقبح (قوله احسن جزآء اعمالهم) يريد ان المضاف محذوف اى احسن جزآء الذى كانوا يعملونه يعنى ان للعمل جزآء حسنا وجزآء أحسن فهو تعالى يجزيهم الجزآء الاحسن (قوله بايتائه) اى بايتاء والديه يعنى ان الباء صلة وصينا وحذف المضاف الذى هو المأمور به واقيم المضاف اليه مقامه وان حسنا منصوب على انه صفة لمفعول المصدر المحذوف اما بتقدير ذا او بجعل نفس ذلك الفعل حسنا للمبالغة لما بين الله تعالى حسن التكليف وحرض المكلف على طاعة مولاه فيما كلفه بقوله انما يجاهد لنفسه وانه يجزى باحسن جزآء اعماله حرضه على طاعة والديه لكونهما سببا بحسب الظاهر لوجوده وتربيته فقال ووصينا الانسان الى آخره (قوله وقيل هو بمعنى قال) فيكون

وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه اوالى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزآء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها (فان اجل الله) فان الوقت المضروب للقائه (لآت) لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه اوما يستوجب به القربة والرضى (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم وافعالهم (ومن جاهد) نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعته لها (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون) اى احسن جزاء اعمالهم والجزآء الحسن ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزآء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) بايتائه فعلا ذا حسن اوكانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال

حسنا منصوبا بوقوعه موقع المصدر للفعل المحذوف الذى تعلق به قوله بوالديه او بكونه مصدراله بحذف الزوائد على ان يكون وصينا بمعنى قلنا (قوله حسنا) منصوب على انه مفعول به لفعل مضمر هو مقول قول مقدر مفسر للتوصية (قوله اولهما) امر المخاطب من قولك اوليته معروفا اى اعطيته اياه يقال اوليته الشئ فوليه (قوله وهو اوفق لما بعده) اى تقدير فعل الامر اوفق لقوله ولا تطعهما لانه اذا كان التقدير اولهما حسنا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه يكون عطف الانشاء على الانشاء بخلاف ما اذا جعل وصينا بمعنى امرنا فعلى هذا يكون جملة قلنا اولهما كلاما مستأنفا كانه لما قيل وصينا الانسان بوالديه قيل ما تلك الوصية فاجيب قلنا اولهما ولا تطعهما فلذلك حسن الوقف على قوله بوالديه (قوله وقرئ حسنا) بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقرئ احسانا كما فى قوله وبالوالدين احسانا قيل نزلت الآية فى سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنهما وامه حمنة فانه لما اسلم وكان من السابقين الاولين قالت امه ما هذا الدين الذى احدثته والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه اواموت فتعير ابد الدهر ويقال لك قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال لها يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى فكلى واشربى وان شئت فلا تأكلى فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الاية وامره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما فى الشرك * امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين لكونهما سببا ظاهر الوجود الولد بالولادة ولبقائه بالتربية المعتادة كما انه تعالى سبب حقيقى لوجوده بالارادة ولبقائه بالاعادة للسعادة الدائمة فاول ما يجب على العبد ان يحسن حاله مع مولاه ثم مع من اولده ورباه فلذلك وصاه الله تعالى به بعد ما بين حسن التكليف ووقوعه ليتبين به صدق العبد من كذبه وان نفع المجاهدة انما يرجع اليه وانه يجزى المحسن باحسن جزاء اعماله تحريضا له على طاعة مولاه فهذا وجه اتصال الآية بما قبلها والله اعلم (قوله ولابد من اضمار القول) بعد قوله حسنا على تقدير ان يكون وصيناه بمعنى امرناه اى امرناه بكذا وقلنا ان جاهداك ليكون المعطوف جملة خبرية كالمعطوف عليه ولا يلزم عطف الانشاء على الاخبار ومن هذا يعلم ان الجملة الشرطية انما تكون خبرية اذا لم يكن جزاؤها انشاء وقوله ان لم يضمر قبل يدل على انه لابد من اضمار القول على تقدير ان يكون وصى بمعنى قال وليس كذلك لان الجملة الشرطية الانشائية حينئذ تكون معطوفة على الانشائية المقدرة الناصبة لقوله حسنا (قوله من الضح) وهو الموضع الذى يقع عليه ضوء الشمس وفى الحديث لا يقعد احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان (قوله تعالى والذين امنوا) يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتداء اوفى محل النصب على الاشتغال قيل الفائدة فى اعادة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان ذكرهم اولا لبيان حال المهتدين وثانيا لبيان حال الهادين ويدل عليه انه تعالى قال اولا لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم فى الصالحين والمراد بهم الهداة لكون الصلاح المحض منصب الانبياء عليهم السلام ولهذا قال ابراهيم عليه السلام وادخلنى فى الصالحين هذا ما قيل والظاهر ان الاول ذكر لتقرير قوله فانما يجاهد لنفسه والثانى ذكر تحريضا للانسان على قبول ما وصى به وحاصل الاول وعد وتحريض على طاعة المولى فيما كلف به والثانى وعد وتحريض على طاعة الوالدين فى غير المعصية * ثم ان المكلفين ثلاثة اقسام مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده * وكافر مجاهر بكفره وعناده * ومذبذب بينهما اظهر الايمان بلسانه واضمر الكفر فى فواده * فالله تعالى لما ذكر القسمين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ذكر القسم الثالث فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية (قوله ليقولن) قرآءة العامة بضم اللام على اسناد الفعل الى ضمير الجمع حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها فى ثلاثة الفاظ ويؤيد هذه القرآءة قوله انا كنا وقرئ ليقولن بفتح اللام حملا على لفظ من كما عليه حمل سابقا فى مواضع فلما حكى الله تعالى قولهم وكذبهم بقولهم اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ذكر ما يكون وعدا فى حق احد الفريقين ووعيدا فى حق الآخر فقال وليعلمن الله الذين آمنوا الى اخره (قوله وانما امروا انفسهم بالحمل) والحال ان الآمر غير المأمور وامر التمحض نفسه غير معقول والحاصل ان قوله ولنحمل وان كان على لفظ الامر الا ان مراد الكفار تعليق حمل خطايا المؤمنين باتباعهم سبيل الكفرة فكان الاصل ان يقال اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم على معنى ان اتبعتم سبيلنا نحمل خطاياكم الا انه عدل عنه الى ما عليه النظم ليفيد المبالغة فى تعليق حمل الخطايا بالاتباع وفى الوعد

اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما اوافعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم) بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه (فلا تطعهما) فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولابد من اضمار القول ان لم يضمر قبل (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بالجزآء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين اوفى مدخلهم وهى الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله) بان عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) ما يصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان (كعذاب الله) فى الصرف عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولن انا كنا معكم) فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون اوقوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول (اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمن الله الذين امنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) ان كان ذلك خطيئة اوان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة تشجيعا لهم عليه

بتخفيف الاوزار عنهم حيث ابرز الكلام فى صورة امر انفسهم ولاشك انه يدل على المبالغة فى الالتزام (**قوله** وبهذا الاعتبار) اى وباعتبار كون المراد تعليق الحمل بالاتباع توجه عليهم الرد والتكذيب اذ لو كان المراد حقيقة الامر لما توجه عليهم ذلك لان التصديق والتكذيب انما يتوجهان على الخبر دون الانشاء وقد كذبهم الله تعالى بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم الى آخره مع ان العجز عن الايفاء بالمضمون لا يوجب الكذب على تشبيه حالهم بحال الكاذبين من حيث انهم ضمنوا بما لا يصح الضمان به كما ان الكاذب اخبر بما لا يصح الاخبار به (**قوله** من الاولى للتبيين والثانية زآئدة) يعنى ان قوله من شئ مفعول لقوله حاملين ومن خطاياهم حال من شئ لانه لما تقدم عليه انتصب حالا والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو المراد بقوله من الاولى للتبيين (**قوله** من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ) اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى نفى الحمل اولا حيث قال وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ ثم انه اثبته ثانيا حيث قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فما وجه الجمع بينهما وتلخيص الجواب انه ليس فيه اثبات ما نفى اولا لانهم لا يحملون من اوزار اتباعهم شيأ لانه اذا حمل احد عن آخر شيأ لزم ان يخف حمل الاخر فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيأ بل يحملون اثقال ما اقترفوه بانفسهم واثقالا اخر بسبب اثقال غيرهم لقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزره شئ ونظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم (**قوله** من الاباطيل التى اضلوا بها) قيل تلك الاباطيل التى افتروا بها تحتمل ثلاثة اوجه احدها ان قوله ولنحمل خطاياكم مبنى على اعتقادهم ان لا خطيئة فى الكفر والارتداد ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم مبنى على اعتقادهم ان لا حشر فاذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك فيسألون ويقال لهم اما قلتم ان لا حشر وثالثها انهم لما قالوا نحمل خطاياكم يوم القيامة يقال لهم فاحملوا خطاياهم فلا يحملون فيسألون بان يقال لهم فلم افتريتم (**قوله** بعد البعث) اى وقبل الطوفان (**قوله** ولعل اختيار هذه العبارة) مع ان الظاهر ان يقال فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة للدلالة على كمال القدرة فانه لو قال تسعمائة وخمسين لا حتمل ان يكون الكلام على المجاز بان يراد بالعدد المذكور ما يقرب منه تنزيلا ويجعل الاكثر بمنزلة الاقل فلما عدل الى ما عليه النظم لم يتوهم ذلك لان الاستثناء انما يذكر فى العدد لتكميل العدد وبيان ان المراد كله (**قوله** واختلاف المميزين) حيث ميز العدد اولا بالسنة وثانيا بالعام ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبى الله عليه الصلاة والسلام لما استراح من قومه بالاغراق طاب زمانه وصفا عيشه فان العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة (**قوله** اى السفينة او الحادثة) قيل كانت السفينة آية من وجوه احدها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا ان الله تعالى انبأ نوحا بما سيكون وبطريق النجاة بفضل الله تعالى منه لما اشتغل باتخاذها فلا تحصل لهم النجاة وثانيها ان نوحا امر باخذ قوم معه ورفع قدر من القوت والبحر العظيم لا يتوقع احد نضوبه ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد فلولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لا بمجرد السفينة وثالثها ان الله تعالى كتب سلامة السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة (**قوله** اى ارسلناه حين كمل عقله) كانه جواب عما يقال كيف يكون ظرفا لارسلنا والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يجوز ان يقال ارسلنا ابراهيم حين دعا قومه الى عبادة الله تعالى وهو مرسل قبله وحاصل الجواب ليس المراد بالامر بعبادة الله تعالى ما يكون نتيجة الارسال بل ما يكون نتيجة لكمال العقل وهو معرفة الحق ولم يكن الارسال قبل ذلك (**قوله** ان قدر باذكر) ولا يجوز ان يكون بدلا منه على تقدير كونه معمول ارسلنا والا لزم ان يكون الوقت مرسلا (**قوله** او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم) اى بنظر البصيرة المؤدى الى العلم فقوله تعالى تعلمون على هذا الوجه بمعنى تنظرون وتتفكرون فان النظر سبب للعلم مستلزم له فاطلق اللازم واريد الملزوم على سبيل الكناية وجواب الشرط محذوف على الوجهين اى علمتم انه خير لكم (**قوله** وتكذبون كذبا) لان خلق الكلام افتعاله من عند نفسه من غير ان يقصد الحكاية عن الواقع فيكون تخلقون بمعنى تكذبون فيكون انتصاب افكا على المصدرية وان كان الخلق بمعنى العمل والانشاء بمعنى وتعملون الاوثان يكون افكا مفعولا له وقرأ العامة تخلقون بضم التاء وكسر اللام المشددة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير وقرئ تخلقون بفتح التاء والخاء واللام المشددة مضارع تخلق للتكلف والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما يقال تخلق وتكذب اذا افتعل الكذب بالتكلف وقرئ

و بهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم (وليحملن اثقالهم) اثقال ما اقترفته انفسهم (واثقالا مع اثقالهم) واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ (وليسألن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) من الاباطيل التى اضلوا بها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرار من البشاعة (فاخذهم الطوفان) طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام اونحوهما (وهم ظالمون) بالكفر (فانجيناه) اى نوحا (واصحاب السفينة) ومن اركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) اى السفينة او الحادثة (آية للعالمين) يتعظون ويستدلون بها (وابراهيم) عطف على نوحا اونصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله) ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر (واتقوه ذلكم خير لكم) مما انتم عليه (ان كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزون ما هو شر مما هو خير او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل (انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا) وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر

كالكذب اونعت بمعنى خلقا اذا افك (ان الذين
تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) دليل ثان
على شرارة ذلك من حيث انه لايجدى بطائل ورزقا
يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم
وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا عند الله
الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه واشكروا له)
متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم
من انعم بشكره اومستعدين للقائه بهما فانه (اليه
ترجعون) وقرئ بفتح التاء (وان تكذبوا) وان
تكذبونى (فقد كذب امم من قبلكم) من قبلى من
الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث
تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم
(وما على الرسول الا البلاغ المبين) الذى زال معه
الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما
بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب
قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبى
صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم
والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته
من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة
والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا
بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه
حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه (اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق) من مادة وغيرها وقرأ حمزة
والكسائى وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ
يبدأ (ثم يعيده) اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف
على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة
عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ فى كل سنة
مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار
ونحوهما ويعطف على يبدئ (ان ذلك) الاشارة
الى الاعادة او الى ماذكر من الامرين (على الله
يسير) اذ لا يفتقر فى فعله الى شئ (قل سيروا
فى الارض) حكاية كلام الله لابراهيم او لمحمد
عليهما السلام (فانظروا كيف بدأ الخلق) على
اختلاف الاجناس والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة) بعد النشأة الاولى التى هى الابداء فانه
والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج
من العدم

افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو اما مصدر كالكذب لفظا ومعنى اى تكذبون كذبا اوصفة لمصدر محذوف اى
خلقا وعملا ذا افك (قوله وتنكيره للتعميم) فان النكرة فى سياق النفى تفيد العموم اى لايملكون شيأ من الرزق
ثم عرف باللام الاستغراقية لتفيد ان الرزق كله لله تعالى (قوله وان تكذبونى) اشارة الى ان المخاطب بقوله
وان تكذبوا هو قوم ابراهيم عليه السلام فان هذه الاية الى قوله فما كان جواب قومه من جملة ماقاله ابراهيم
عليه السلام لقومه ثم جوز ان يكون خطابا لقوم محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى ان تكذبوه يامعشر قريش
فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا بسبب التكذيب فكيف لاتخافون ان يقع بكم ماوقع بمن قبلكم من المكذبين فتكون
هذه الجملة معترضة فى اثناء قصة ابراهيم عليه السلام والجملة الاعتراضية لابد لها ان تتصل بطرفيها فبين وجه
الاتصال ههنا بقوله من حيث ان سياق قصة ابراهيم لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليله
وعلى آلهما اجمعين كانه قيل لكم يامعشر قريش ان كذبتم محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكذا سائر الانبياء
كذبهم اممهم ولم يضر تكذيب احد منهم نبيه لان الرسل انما ارسلوا لازاحة حجج قومهم ولا يجب عليهم ان يصدقوا
اممهم لانهم لايكلفون بفعل غيرهم (قوله كان ممنوا) اى مبتلى يقال منوته ومنيته اذا ابتليته فان قيل كيف
تكون هذه الاية من جملة ماقاله ابراهيم لقومه مع ان قوله فقد كذب امم من قبلكم يأبى ان يكون من قصة ابراهيم
عليه السلام لان قوم ابراهيم لم يسبقهم الا قوم نوح وهم امة واحدة قلنا ان نوحا عليه السلام بعث الى جميع
بنى آدم ولاشك انهم طوائف شتى وايضا كان قبل نوح اقوام اخر كقوم ادريس وقوم شيث وآدم عليه السلام
ولايبعد ان يكون فى اقوامهم من كذب نبيه ولقد عاش ادريس عليه السلام فى قومه الف سنة الى ان رفع الى
السماء وآمن به الف انسان بعدد سنيه واعقابهم على التكذيب (قوله وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء)
على الخطاب لقوم ابراهيم بتقدير القول اى قال ابراهيم لقومه اولم تروا ولم يتعرض لاحتمال ان يكون خطابا من
الله لاهل مكة ولا يكون محكيا بتقدير القول وقرأ الباقون بياء الغيبة ردا على الامم المكذبة وقرأ الجمهور يبدى
بضم الياء من ابدى وقرئ يبدأ مضارع بدأ (قوله معطوف على اولم يروا) فان قلت اوليس هذا من عطف
الخبر على الانشاء اجيب بان الاستفهام فيه لما كان للانكار وتقدير الرؤية كان اخبارا من حيث المعنى اى قد رأوا
ذلك وعلموه فان الرؤية غير واقعة عليه فان قلت الابدآء كذلك لانه كان قبل وجود الامم قلنا اللام فى الخلق
للجنس وابدآء بعض الخلق مرئى وذلك يكفى فى صحة رؤية ابدآء الجنس فان قيل علق الرؤية بالكيفية لابنفس الخلق
حيث قال اولم يروا كيف يبدئ ولم يقل اولم يروا كيف خلق اوبدأ الخلق والكيفية غير معلومة والجواب هذا القدر
من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيأ مذكورا وانه خلقه من نطفة هى مخلوقة من غذآء متكون من ماء
وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة استدلالا بالابدآء وقد تقرر ان امهات علوم القرآن
ثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ولما بين الاصل الاول وهو التوحيد واشار الى الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله
وما على الرسول الا البلاغ المبين شرع فى بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد جرت العادة الالهية فى كلامه
المجيد على ان لاينفصل بعض هذه الاصول عن بعض وفى اى موضع جرى ذكر اثنين منها يذكر الثالث معهما
فلذلك ذكر الاعادة استدلالا عليها بالابدآء فقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق الآية (قوله حكاية كلام الله
تعالى) وليس من مقالة ابراهيم عليه السلام لقومه من عند نفسه على تقدير ان تكون الايات المذكورة من قوله
وان تكذبوا الى قوله فما كان جواب قومه من قصة ابراهيم عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم من عند نفسه على تقدير كونها معترضة واقعة فى اثبات قصة ابراهيم عليه السلام تذكيرا وانذارا
لقريش اذ لاوجه لهما ان يقولا من عند انفسهما قل سيروا فى الارض بل الظاهر انه كلام احدهما لقومه على
حكاية كلام الله تعالى لهم ومقصود المصنف من هذا الكلام ان يجيب عما يقال كيف يكون هذا من كلام احدهما
ولايصح لواحد منهما ان يقول ذلك محصول الجواب انه لايصح ان يقوله من عند نفسه الا انه يصح ان يقوله على
حكاية كلام الله تعالى حكاه ابراهيم او محمد عليهما الصلاة والسلام لقومه اى قال الله قل لهم وقد يحكى رسولنا
كلام الله تعالى على هذا المنهاج والمعنى قل لمنكرى البعث سيروا فى الارض شاهدوا كيف انشأ الله تعالى
جميع الكائنات بدءا ومن قدر على انشائها بدءا انما يقدر على اعادتها كما قال ابراهيم لقومه اليه ترجعون ثم قال
لهم وان تكذبونى فيما اخبرتكم به من البعث والجزاء فلا على فى تكذيبكم ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق

التعجب من جهالة منكرى البعث اولم يروا منكروا البعث مايدل على صحته وهو انه تعالى انشأ الكائنات باسرها على وجه الابدآء ثم اخبر بانه يعيدهم لامحالة امر الله بان يحتج على هؤلاء المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا هذا على تقدير كون الآيات المذكورة من قصة ابراهيم عليه السلام وقس عليه كونها معترضة فى اثناء قصته (**قوله** والقياس الاقتصار عليه) اى على الاضمار لانه ابرز اسم الله تعالى فى قوله كيف يبدئ الله الخلق كان المناسب ان يضمر بعده انما ذكر كما اضمر فى قوله ثم يعيده وفى قوله كيف بدأ الخلق (**قوله** للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة) ووجه دلالة الافصاح عليه انه اذا ابرز اسم الله تعالى وجعل مبتدأ يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت والتأكيد بخلاف ما اذا اضمر وقيل ثم ينشئ مع ان ابراز الاسم الجامع يدل على اعادة جميع الاوصاف المعتبرة فى الابدآء من العلم والقدرة والحكمة والرحمة فهو كاسم فى افادة هذا المعنى فكان بناء الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه عليه (**قوله** والكلام فى العطف مامر) فكما ان قوله ثم يعيده ليس بمعطوف على قوله يبدئ الله لكون الرؤية غير واقعة على الاعادة كما وقعت على الابدآء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فكذا قوله تعالى ثم الله ينشئ ليس بمعطوف على قوله بدأ الخلق لكون النظر غير واقع على الانشاء الثانى بل هو معطوف على جملة سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق وكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه داخل فى حيز القول (**قوله** وقرئ النشاءة) بالمد قرآءة ابن كثير وابى عمرو والباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة وانتصاب النشأة على انه مصدر محذوف الزوآئد والاصل الانشاءة او على حذف العامل اى ينشئ فتنشؤن النشأة وفى الصحاح انشأه الله اى خلقه والاسم النشأة والنشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الآخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها وهو تعذيب اهل التكذيب والمعصية عدلا وحكمة واثابة اهل الانابة فضلا ورحمة فقال يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال واليه تقلبون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها تقرير الامر المجازاة كانه قيل ان تأخر عنكم جزآء اعمالكم فلا تظنوا انه فات فان اليه ايابكم وعليه حسابكم وعنده مدخر ثوابكم وعقابكم ثم قال وما انتم بمعجزين من اراد تعذيبكم وتنفيذ قضائه فيكم بالهرب منه فى الارض ولا فى السماء والخطاب لبنى آدم وهم من اهل الارض وليس فى وسعهم الهرب فى السماء والمقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا هذا ان حمل الارض على الغبرآء والسماء على الخضرآء ويجوز ان يراد بهما جهة السفل وجهة العلو والمهاوى جمع مهوى وهو ما بين الجبلين ونحو ذلك وقيل هو ما بين الشيئين المنتصبين حتى يقال لبعد ما بين المنكبين مهوى والقلاع جمع قلعة بسكون اللام وهى الحصن على الجبل (**قوله** وقيل ولا من فى السماء) ان عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الاسمى وبقاء صلته فيكون الموصول المحذوف معطوفا على انتم اى ما انتم بمعجزين فى الارض ولا من فى السماء بمعجزين ان عصوا كقول حسان بن ثابت رضى الله عنه شعر

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

اراد ومن يمدحه وينصره مساو لمن يهجوه فاضمر من لانه لولا ذلك لكان يمدحه عطفا على يهجو فكان داخلا فى حيز صلة من يهجو فكان الهاجى والمادح شخصا واحدا فيختل المعنى ولا يصح قوله سوآء لان الاستوآء انما يكون بين اثنين قيل ان اباسفيان بن حرب هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعارضه حسان بن ثابت رضى الله عنه بقصيدة هذا البيت فيها ولما انتهى الى قوله

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

قال له النبى صلى الله عليه وسلم جزاك الله الجنة * ولما بلغ الى قوله

فان ابى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

قال له النبى صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار * ثم لما بلغ الى قوله

اتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما فدآء

قال من حضر هذا الطف بيت قالته العرب * وفيها

هجوت مطهرا برا حنيفا * امين الله شيمته الوفاء

(**قوله** اى ييئسون منها يوم القيامة) جواب عما يقال اليأس من الشئ مسبوق برجائه وتصوره ومن كفر

والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابدآء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام فى العطف مامر وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سوآء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) تردون (وما انتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (فى الارض ولا فى السماء) ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصن فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان

امن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سوآء

(ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) يحرسكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته او بكتبه (ولقائه) بالبعث (اولئك يئسوا من رحمتى) اى ييئسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضى للتحقق والمبالغة او ايسوا فى الدنيا لانكار البعث والجزاء (واولئك لهم عذاب اليم) بكفرهم

بالله تعالى وبالبعث والجزاء لا يرجو ولا يتصور رحمة الله لانه لا يتصور يوم البعث واللقاء فضلا عن ان يتصور
رحمته تعالى عند لقائه فكيف يصح الحكم عليه بانه يئس من رحمته وتقرير الجواب الاول انه ليس المراد انهم يئسوا
فى الدنيا ليلزم ما قلت بل هو كناية عن الوعيد والمعنى انه يحصل اليأس من رحمة الله تعالى يوم القيامة والتعبير
بلفظ الماضى لتحقق وقوعه وتقرير الجواب الثانى ان اليأس من رحمته تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق
ذكر الملزوم وارادة اللازم والكفار آيسون من رحمته تعالى فى الدنيا بمعنى انهم لا يرجونها لما انهم لما انكروا البعث
والجزاء امتنع منهم ان يرجوا الرحمة الواقعة يوم البعث **(قوله وقرئ بالرفع)** لان جواب قومه معرفة فيصح
كونه اسم كان الا ان الجمهور نصبوه على انه خبر كان قدم على اسمها لان قوله ان قالوا فى تأويل المصدر المضاف
الى الضمير فيكون اعرف من جواب قومه لان المضاف الى الضمير اعرف من المضاف الى المضاف الى الضمير واعرف
الاسمين اولى ان يكون اسم كان **(قوله وكان ذلك قول بعضهم)** جواب عما يقال قوله الا ان قالوا اقتلوه يستلزم
ان يكون الآمر نفس المأمور لان ضمير قالوا عبارة عن قوم ابراهيم وكذا الضمير المرفوع فى اقتلوه ولا وجه لكون
القوم آمرين لانفسهم بقتله وتقرير الجواب ان الآمرين هم الاكابر والرؤساء والمأمورين هم الاتباع
والاعوان فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور الا انه اسند امر الاكابر الى الكل تنزيلا لرضى الاتباع بذلك
منزلة الامر فقيل فما كان جواب قومه الا ان قالوا موضع ان يقال فما كان جواب الاكابر الا ان قالوا وكلمة
او فى قولهم او حرقوه ليست للعناد لانه لا يصح ان يقال وان لم تقتلوه فحرقوه لكون التحريق مشتملا على القتل
غير مناف له فيكون قولهم اقتلوه او حرقوه مثل ان يقال هذا حيوان او انسان ولا معنى له بل هى
بمعنى بل كما فى قولك اعطه دينارا او دينارين كانه قيل اقتلوه بل زيدوا على القتل وحرقوه والفاء
فى قوله فانجاه الله من النار فصيحة اشار اليه المصنف بقوله اى فقذفوه فى النار فانجاه الله منها وبين كيفية
الانجاء بقوله بان جعلها عليه بردا وسلاما فان قيل الحرارة للنار صفة لازمة ذاتية كالزوجية للاربعة فكيف
يمكن ان تفارقها فالجواب انا لا نسلم ان الحرارة مقتضى ذات النار بل انما هى بارادة الفاعل المختار فجاز
ان يزيل عنها تلك الكيفية فتبقى نورا محضا لا احراق لها كما ان الماء له كيفية البرودة لكن قد تزول عنه البرودة
ويبقى ماء بلا برودة فكذلك النار يجوز ان يزول عنها الاحراق وتبقى نورا غير محرق وقيل كيفية انجائه منها انه تعالى
خلق فى ابراهيم كيفية استبرد معها النار وقال بعضهم ترك ابراهيم على ما هو عليه وترك النار على ما كانت عليه
ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه والبعد بحسب العادة لا ينافى الوقوع لانه معجز والمعجز
لابد ان يكون خارقا للعادة الا ان قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما يؤيد ما ذكره المصنف حتى روى
انه لم ينتفع بالنار احد يوم القى ابراهيم فى النار لذهاب حرها ثم انه تعالى قال فى حق سفينة نوح عليه السلام جعلناها
آية وقال فى انجاء ابراهيم عليه السلام ان فى ذلك لآيات لان الانجاء بالسفينة شئ تسع له العقول ولم يكن فيها
من الآيات الا انه تعالى اعلمه باتخاذها لوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذها لعدم علمه بالغيب واما الانجاء من النار
ففيه آيات ذكرها المصنف وقال تعالى فى حق السفينة آية للعالمين وقال ههنا آيات لقوم يؤمنون لان السفينة
بقيت اعواما ومر عليها طوائف الناس ورأوها فحصل العلم بها للكل احد بخلاف تبريد النار فانه لم يبق فلم يظهر
لمن بعده الا بطريق الايمان به بالفحص عنه والتأمل فيه **(قوله اى لتتوادوا بينكم)** اشارة الى ان مودة
منصوب على انه مفعول له للاتخاذ فتكون ما كافة واوثانا مفعول اول لاتخذتم ومفعوله الثانى محذوف ومن دون
الله حال من فاعل اتخذتم والمعنى انما اتخذتم اوثانا آلهة من دون الله لتكون سبب التواد بينكم لاجتماعكم على
عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب ويجعلون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم **(قوله ويجوز
ان يكون مودة المفعول الثانى)** معطوف من حيث المعنى على قوله اى لتتوادوا وانه فى معنى انها مفعول له
والمعنى انما اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة بينكم من دون الله عز وجل **(قوله والوجه ما سبق)**
اى وجه انتصاب مودة كونها مفعولا له او مفعولا ثانيا بتقدير المضاف او بتأويلها بمودودة وبينكم حينئذ يكون
منصوبا على الظرفية فان من اضاف مودة جعل بينكم اسما لا ظرفا ومن نون مودة منصوبة او مرفوعة جعل
بينكم ظرفا للمودة ومن قرأ مودة بالرفع فلا يخلو اما ان يجعل ما كافة اولا فان جعلها كافة رفع مودة على انه
خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة بينكم او سبب مودة بينكم وان جعلها موصولة بمعنى الذى منصوبة المحل على

(فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع
على انه الاسم والخبر (الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه)
وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم اورضى به
الباقون اسند الى كلهم (فانجاه الله من النار) اى
فقذفوه فى النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه
بردا وسلاما (ان فى ذلك) فى انجائه منها (لآيات)
هى حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها
فى زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون)
لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها (وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة
الدنيا) اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها وثانى مفعولى اتخذتم محذوف ويجوز
ان يكون مودة المفعول الثانى بتقدير مضاف
او بتأويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة
بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة
بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو
والكسائى ورويس مرفوعة مضافة على انه
خبر مبتدأ محذوف اى هى مودودة او سبب مودة
بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول

انهما اسم ان واتخذتم صلتها بحذف العائد الذى هو مفعول اول لاتخذتم واوثانا مفعوله الثانى جعل مودة خبران والتقدير ان الذى اتخذتموه اوثانا مودة اوسبب مودة بينكم اوجعل نفس المودة مبالغة وكذا ان جعلها مصدرية وحينئذ يجوز ان يقدر المضاف قبل اسم ان اوقبل خبرها والتقدير ان سبب اتخاذكم اوثانا مودة بينكم اوان اتخاذكم اوثانا سبب مودة اوموددود وجاز ان لا يقدر شئ ولا يؤول بل يجعل الاتخاذ نفس المودة (**قوله** ومضافة بفتح بينكم) الاضافة للاتساع فى الظرف كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار وفتح بينكم لكونه مبنيا بالاضافة الى غير متمكن كما فى قرآءة من قرأ لقد تقطع بينكم بالفتح مع جعل بينكم فاعلا وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه اوثانا انما مودة بينكم فى الحياة الدنيا اى انما تتوادون على عبادتها اوتودونها فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يحدث بينكم التباغض والتعادى (**قوله** فى الحيوة) يجوز ان يتعلق باتخذتم وبمودة وبنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم ووصلكم (**قوله** تعالى فآمن له لوط) عطف على قوله وقال انما اتخذتم اى صدقه لوط بعد هذه الدعوة بعد هذا التنبيه واقامة الحجج من جملة من دعاهم الى عبادة الله تعالى ويلزم الوقف على لوط لان قائل ما بعده ابراهيم عليهما السلام فلو وصل توهم ان يكون الفعل الثانى للوط فيفسد المعنى (**قوله** الى حيث امرنى ربى) بالهجرة اليه فان قيل اذا كان المراد هذا المعنى فلم اختير ماورد عليه التنزيل مع انه يوهم الجهة فالجواب انه اختير ذلك لكونه ادل على الاخلاص من ان يقول انى مهاجر الى حيث امرنى ربى فانه لو هاجر اليه لغرض نفسه يصدق ان يقول انى مهاجر الى حيث امرنى ربى ولا يصدق ان يقول انى مهاجر الى ربى لانه لم يهاجر اليه خالصا لوجهه وطلبا لمرضاته وانه امره الله تعالى بالمهاجرة من قومه لان المقصود الكلى من بعثته اليهم الزام الحجة عليهم وقطع معذرتهم وقد حصل ذلك بان بالغ ابراهيم عليه السلام فى ارشادهم بتقرير الدلائل القاطعة وازاحة شبههم الباطلة فلما حصل اليأس الكلى من ايمانهم وجبت المهاجرة من بينهم لانه لو بقى فيهم ودام على الارشاد والدعوة لكان مشتغلا بما لا طائل تحته وان سكت عن دعوتهم فربما قالوا انه رضى بافعالنا واقرنا على ما نحن عليه فلما كان بقاؤه فيهم لا يخلو عن مفسدة وجبت المهاجرة من بينهم فهاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة فنزل فلسطين وهى قرية من قرى الشام ونزل لوط بسدوم ويقال لها المؤتفكة وهى على مسيرة يوم وليلة من فلسطين (**قوله** ولدا ونافلة) فالمعنى وهبنا له اسحق ولدا بعد اسماعيل ويعقوب نافلة حيث ولد من اسحق (**قوله** ولذلك) اى ولكون المقصود الامتنان عليه بهبة الولد والنافلة فى كبر سنه لم يذكر اسماعيل مع انه من اولاده لان ابراهيم عليه السلام كان ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسماعيل وكان ابن مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق عليه السلام وقد اتى عليها تسعون سنة وكان اسماعيل حينئذ ابن اربع عشرة سنة (**قوله** فكثر منهم الانبياء) عليهم الصلاة والسلام قيل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله فان قيل كيف جاءت النبوة فى اولاد اسحق اكثر من النبوة فى اولاد اسماعيل مع استوائهما فى الانتساب الى شيخ الانبياء وكون اسماعيل اكبرهما سنا قال الامام فى جوابه قسم الله تعالى الزمان من وقت ابراهيم عليه السلام الى يوم القيامة قسمين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة وجاؤا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين فى عصر واحد كلهم من نسل اسحق ثم فى القسم الثانى من الزمان اخرج من ذرية ولده الآخر وهو اسماعيل واحدا جمع فيه جميع ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة آلاف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسماعيل عليه السلام مثل ذلك المقدار وعد فى جملة ما آتاه الله من الاجر فى الدنيا انه كان اولا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية ثم آتاه الله تعالى اجره من المال والجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشى ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق ذهب واما الجاه فانه صار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة وصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا فيمن كان مجهولا بين الناس (**قوله** عطف على ابراهيم اوعلى ماعطف عليه) يجوز عطفه على ابراهيم سوآء كان ابراهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر واما كون قوله ولوطا معطوفا على نوحا فانما يجوز على تقدير ان لا يكون وابراهيم منصوبا باذكر لانه لو كان منصوبا باذكر للزم ان يكون اذكر مع ما فى حيزه فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون قول

وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم اوبينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا (ومأويكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له لوط) هو ابن اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه (وقال انى مهاجر) من قومى (الى ربى) الى حيث امرنى ربى (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من اعدآئى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما فيه صلاحى * روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسماعيل (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة (وآتيناه اجره) على هجرته الينا (فى الدنيا) باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه آخر الدهر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لفى عداد الكاملين فى الصلاح (ولوطا) عطف على ابراهيم اوعلى ماعطف عليه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة)

(ماسبقكم بهامن احدمن العالمين) الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام فى الثانية (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) استئناف مقرر لفحشها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق اوتقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث (وتأتون فى ناديكم المنكر) فى مجالسكم الغاصة ولايقال النادى الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل بالخذف ورمى البنادق (فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك او فى دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرنى) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم ووصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان اهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم (قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله) تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلاك بمن عداه واهله اوتاقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب اوالقرية (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لاينال قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه اثر الضجرة (لاتخف ولاتحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة وابن كثير والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر فى الثانى وموضع الكاف على المختار الجر ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية (والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف

المصنف هذا اشارة الى الاختلاف فى المعطوف الثانى انه هل هو معطوف على المعطوف الاول اوعلى ما عطف عليه المعطوف الاول ووجه الاول قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه الثانى قرب المعطوف عليه من العامل (**قوله** الفعلة البالغة فى القبح) وذلك لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان قبيحتان لولا المصلحة الداعية الى خلقهما لما خلقهما الله تعالى فى الانسان والمصلحة فى خلق الشهوة الفرجية هى بقاء النوع بتعاقب الاشخاص وذلك انما يكون بوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر به ان كل واحد من الزنى واللواطة فاحشة فان الزنى وان كان مؤديا الى وجود الولد لكنه لايؤدى الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت لايقرب الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين ان الزنى ليس فيه مصلحة البقاء فلذلك قال الله تعالى ولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة فاذا كان الزنى شهوة قبيحة خالية عين المصلحة مع انه يفضى الى وجود الولد تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الاولى (**قوله** فى مجالسكم الغاصة) اى الممتلئة باهلها فان النادى انما يطلق على المجلس مادام فيه القوم فاذا قاموا عنه لايسمى ناديا وكل ما كان اسراره معصية فابداؤه افحش واقبح فلذلك قيل من القى جلباب الحياء فلاغيبة له والخذف بالخاء المعجمة رمى الحصاة بين الاصابع روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم كانوا يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم وقيل كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم خذفوه فمن اصابه منهم فهو احق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضى بينهم بذلك ومنه قولهم هو اجور من قاضى سدوم (**قوله** لان المعنى على الاستقبال) واسم الفاعل يعمل اذا كان للاستقبال فيكون مهلكوا مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية لما دعا على قومه بقوله رب انصرنى استجاب الله دعاءه وارسل ملائكة لاهلاك قومه وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤا ابراهيم وبشروه بذرية طيبة ثم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقدموا البشارة على الانذار لكون البشارة اثر الرحمة والانذار اثر الغضب ورحمة الله تعالى سابقة على غضبه ثم ان ابراهيم لما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط ونسى نفسه وما بشروه به ولم يظهر له فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انك ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجى معه اهله فانظر الى شفقة كل واحد منهم فى حق اهل الخير (**قوله** اعتراض عليهم) يعنى ليس مقصوده عليه الصلاة والسلام من القاء هذه الجملة الخبرية الى الملائكة افادة مضمونها لهم ولا افادة كونه عالما بمضمونها لان كل واحد منهما معلوم عند الرسل بل الفائدة فى القائها اليهم ما اقتضاه المقام من الاعتراض واظهار الشفقة عليه ولما كان منشأ اعتراضه قول الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية اجاب الملائكة عنه بما يحتمل ان يكون بيان تخصيص او بيان توقيت الاول مبنى على كون قوله عليه الصلاة والسلام ان فيها لوطا اعتراضا والثانى مبنى على كونه معارضة (**قوله** صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما) فانه لو لم يذكر كلمة ان لكان معنى الكلام وجود الفعلين اى مجيء الرسل ومساءة لوط عليه السلام بسببهم مرتبا احدهما على الآخر فزيادة ان اكدت هذا المعنى بحيث صارا كانهما وجدا فى جزء واحد من الزمان (**قوله** لان طويل الذراع) بيان لوجه كون طول الذراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز وهو انه من قبيل اطلاق السبب وارادة المسبب والذرع والذراع من المرفق الى اطراف الاصابع فان لوطا عليه السلام لم يعلم انهم ملائكة بل ظن انهم غرباء ضافوه وخاف عليهم من قومه وما كان منهم بالغرباء من الفاحشة لانهم جاؤا على صورة البشر فى احسن صورة (**قوله** وموضع الكاف على المختار الجر) باضافة اسم الفاعل اليه فلم يجز ان يعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض قيل فى نصب واهلك وجهان احدهما كونه منصوبا بعامل مضمر اى وننجى اهلك وثانيهما بالعطف على المحل هذا عند سيبويه وذهب الاخفش الى ان الكاف فى موضع النصب وان اهلك منصوب بالعطف على محل الكاف لان الاضافة فى حكم الانفصال لكون اسم الفاعل للاستقبال كما لو كان المضاف اليه اسما ظاهرا نحو منجوا لوط وسيبويه يفرق بين المضمر والمظهر فى الاضافة ويقول الاضافة الى المضمر فى حكم الاتصال لشدة اتصال الضمير بخلاف الاضافة الى المظهر فانها فى حكم الانفصال فيجعل المضمر فى محل الجر والمظهر فى محل النصب (**قوله** تعالى والى مدين) اى وارسلنا الى مدين عطفا على قوله ولقد ارسلنا نوحا فاقيم المسبب مقام السبب فان الايمان والطاعة سبب لرجاء ثواب اليوم الآخر فامر بالمسبب واريد الامر بالسبب (**قوله** تعالى ولاتعثوا فى الارض)

(ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيـل صيحة جبرآئيل لان القلوب ترجف بها (فاصبحوا فى دارهم) فى بلدهم اودورهم ولم يجمع لامن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثـل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة (وقدتبين لكم من مساكنهم) اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) من الكفر (١٣) والمعاصى (فصدهم عن السبيل) السوى الذى بين الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسـل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين) فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من المذكورين (اخذنا بذنبه) عاقبنا بذنبه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من اغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) مما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهـذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب (وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت اوهن او اقل وقاية للحر والبرد منه (لو كانوا يعلمون) يرجعون الى علم لعلموا ان هـذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم (ان الله يعـلم ما تدعون من دونه من شئ) على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعـلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعـلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون او مصدرية وشئ مصدر او موصولة مفعول ليعـلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هـذا صفته قادر على مجازاتهم

اى لا تفسدوا ما اوجده الله فى الارض بقصد افساد التعبد والطاعة كالقتل بغير حق بخلاف قتل اهـل الحرب والمرتد والقتل قصاصا (**قوله** تعالى فكذبوه) فان قيل كيف يكذب شعيب فى قوله اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا ولا يكذب الآمر والناهى قلنا ما ذكره من الامر والنهى يتضمن جملا اخبارية فكأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجـوه والفساد محرم فـلا تقربوه فالتكذيب يرجع الى الاخبـارات الضمنية فان قيـل قال هنا وفى الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال فى هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة قلنا يجوز ان يجتمع على اهلاكهم سببان كل واحد منهما يصح ان يسنـد اليه هلاكهم وقيـل ان جبريل عليـه السلام صاح فتزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافى الاضافة الى سبب السبب (**قوله** فى بلدهم) اى ارضهم اى لما لم يكن جثومهم فى دار واحدة بين لافراد الدار وجهين الاول انه ليس المراد بالدار البيت بل هى بمعنى البلد والارض وهى واحدة والثانى ان المراد بالدار الديار وعبر عنهـا بلفظ الواحد للامن من الالتباس (**قوله** او فعل دل عليه ما قبل) اى وهو منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله فاخذتهم الرجفـة فانه فى معنى اهلكناهم فذكر اهلاكهم يدل على اضمار اهلكنا اى واهلكنا عادا (**قوله** اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم) يعنى ان كلمة من للتبعيض ان كان تبين مسـندا الى المساكن وللابتدآء ان كان تبين مسـندا الى مصدر اهلكنا المضمر (**قوله** فيما اتخذوه معتمدا) يعنى ان الاية من قبيـل تشبيه الهيئة بالهيئة شبه حال من اتخذ الاصنام اولياء وعبدها واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التى اتخذت بيتا لا يغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا اذى فان البيت انما يكون بيتا بحائط يحول عن تطرق الشرور الى ما فيه وسقف مظل يدفع عند الحر والبرد والذى لا يكون له ذلك فهو كالبيدآء من حيث انه لم يحصـل للعنكبوت باتخاذه شئ من معانى البيت فكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الاوثان آلهة شئ من معانى الاله وانما قلنا انه من تشـبيه المركب بالمركب لان فى كل واحد من الطرفين اتخاذا ومتخذا واتكالا عليه وعدم ترتب شئ من المعانى المطلوبة من المعتمد عليه على اتخـاذه فان العنكبوت وان انتفع بنسجه لكن تلك المنفعـة ليست من المنافع المطـلوبة من البيت (**قوله** او مثلهم بالاضافة الى الموحد الى آخره) فعلى هذا تكون الاية من قبيـل التشبيه المفرد والغرض ابراز تفـاوت المتخذين والمتخذ مـع تصوير توهين امر احدهمـا وادماج تقوية الآخر (**قوله** والتاء فيه كتاء طـاغوت) فى انهـا زائدة لا لاجل التـأنيث (**قوله** يرجعـون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم) يعـنى انه لا يجـوز ان يكون متعلق العلم فى قوله لو كانوا يعلمون مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل واحد يعـلم وهن بيته فلا يصح نفى العلم عنـه بالنسبة الى حد ما فلذلك نزل يعلمون منزلة اللازم وان جواب لو محذوف وهو قوله لعلمـوا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ثم اشار الى جواب ان يكون تعلق العلم بمفعوله مرادا ويكون متعـلقه مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت بان يراد جعل بيت العنكبوت معنى مجازيا هو ما اتخذوه معتمـدا فى دينهم على طريق اطلاق اسم المشبه به على المشبه فان المقصد منـه تشبيه حال المشرك بحـال العنكبوت فاطلق اسم المشبه به عـلى المشبه تحقيقا للتشبيه المذكـور فانه قد تقرر ان الاستعارة لابتنائها عـلى التشبيه تحقق التشبيه لا محـالة (**قوله** وقرأ البصريان) اراد بهمـا اباعمرو وعاصمـا عـلى التغليب فان المشـهور ان عاصما كوفى لا بصرى وهما قد قرءآ بياء الغيبة حملا على ما قبله من لفظ الغيبة وهو قوله مثل الذين اتخذوا والباقون بتاء الخطاب على اضمار القول (**قوله** وشئ مفعـول تدعون) كأنه قيل ما يدعون من دون الله ما يستحق ان يطلق عليه شئ فيكون تأكيد التشبيه السابق وزيادة عليه لانه بين بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وضعفه وجعله ههنا عدما صرفا لا يستحق لان يسمى شيئا (**قوله** وشئ مصدر) قيل فيه نظر اذ يصير التقدير يعلم دعاء من شئ من الدعاء (**قوله** تعليل على المعنيين) اى سوآء كان ما سبق تجهيـلا لهم او وعيدا (**قوله** يعنى هذا المثل ونظائره) المثل الشبه وضرب المثل عبارة عن بيان الشبه بين المعانى المحتجبة عن الافهام والامور الجلية لذوى العقول والخواص تصويرا لتلك المعانى وتقريبا لفهمها كما شبه الله تعالى حال من اتخذ الشركاء معتمدا ومتكلا بحال العنكبوت فيما نسجه وذلك لان التشبيه يؤثر فى النفس تأثيرا مثل تأثير الدليل فانك اذا قلت لمن يغتاب انك بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لانك وقعت فى هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمعه حتى يجيب لك كمن يقع فى ميت يأكل منه وهو لا يعلم ما يفعله فلا يقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة ما جلا

(وتلك الامثال) يعني هذا المثل ونظائره (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (ومايعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بها (اتل مااوحي اليك من الكتاب) تقربا الى الله بقرآءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له اول ماقرع سمعه (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الاركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث الا ان تاب (ولذكر الله اكبر) ولا الصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات اولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ماتصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدوآء وقيل المراد به ذووا العهد منهم (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط في الاعتدآء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة اونبذ العهد ومنع الجزية (وقالوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم) هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلنا اليك الكتاب) وحيا مصدقا لسائر الكتب الآلهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) هم عبدالله بن سلام واضرابه اومن تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب

فحين لماضرب الله تعالى بالذباب و بيت العنكبوت مثلا لحال المشركين قالت الجهلة منهم ان الله لايستحيي ان يضرب المثل بالذباب والبعوضة والعنكبوت ولم يعرفوا احسن التمثيل وفائدته فرد الله تعالى عليهم وجهلهم فقال وتلك الامثال المضروبة في القرآن لكل شئ نضربها للناس تقريبا لمابعد من افهامهم فان لم تكونوا كالانعام تعقلوا حسنها وفائدتها والافلا تهتدون الى حسنها (قوله نضربها) يجوز ان يكون خبر تلك والامثال صفة او بدل اوعطف بيان وان يكون الامثال خبرا ونضربها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على الكفر والضلال بين ان اصرارهم ذلك ليس لانعدام الآيات الدالة على وحدانية الاله وكمال علمه وقدرته وحكمته لان خلق السموات والارض ملتبسا بالحق والحكمة البالغة آية دالة على ماذكر آية آية الا ان هذه الايات العظمى لايجعلها مسرح النظر ومطرح الفكر ليستدل على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد و يطاع في جميع ماامر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى انه يؤمن ويتقي فانه هو المنتفع بها دون من اعرض عنها وابى واستكبر واتبع هواه وآثر اللذات العاجلة على السعادة الابدية ثم انه تعالى لمابين ان من خالف الحق انما يخالفه عنادا واستكبارا لالمقصود في البيان والبرهان امر رسوله عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على تلاوة مااوحي اليه واقامة الصلاة وخصهما من بين سائر العبادات بالامر بهما لان العبادات المختصة بالعبد ثلاث قلبية وهي اعتقاد الحق * ولسانية وهي الذكر الحسن * وبدنية خارجية وهي العمل الصالح * لكن الاعتقاد لايتكرر فان من اعتقد شيأ لايمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل يدوم ذلك الاعتقاد و يستمر الى ان يطرأ عليه ضده فلما لم يمكن تكرير العبادة القلبية امر بتكرير التلاوة الجامعة لجميع الاذكار وبتكرير اقامة الصلاة التي هي معظم العبادات البدنية (قوله بان تكون سببا للانتهاء الى آخره) جواب عما يقال كم من مصل يرتكب الفحشاء وهي الفعلة القبيحة والمنكر وهو ما ينكره الشرع والعقل ولاتنهاه صلاته عنهما وتقرير الجواب ان الصلاة التي يصليها المرء بلارياء ولاسمعة بان يصليها خالصا لوجهه الكريم مناجياله بانواع التذلل والتواضع لاجرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها و بعد الفراغ منها ايضا الى ان يطرأ عليه شئ من الغفلة ثم ان الصلاة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر والخشية و بدوامه يدوم الامتناع عن المعاصي فجعل الصلاة ناهية على طريق اسناد الحكم الى سبب سببه فان الصلاة سبب للتذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصي (قوله للتعليل) اي للاشارة الى ان علة كونها افضل من سائر الطاعات اشتمالها على ذكر الله تعالى بحيث تصير كانها نفس الذكر * عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقد قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما وقد روى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار و يسرق بالليل فقال صلاته تردعه ثم انه تعالى لما بين طريق ارشاد المشركين وانهم يحق ايذاؤهم وتنسب الى الضلالة آباؤهم عند المناظرة معهم ودعوتهم الى الاسلام بين بعده طريق ارشاد اهل الكتاب فقال ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فانهم لما وحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر والحساب والجزآء وجاؤا بكل حسن سوى الاعتراف برسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاتخاشن معهم في المناظرة بتجهيلهم وتجهيل آبائهم الاقدمين واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك فلاتجادل معهم في امر الدين الا باحسن المجادلة وهو ان تبحث معهم بازالة شبههم وتبيين الحق لهم باقامة الحجة والبرهان وتلاوة القرآن (قوله بالافراط في الاعتدآء والعناد) فسر الظلم بالافراط لان الكافر اذا وصف بالظلم يراد به ذلك (قوله وجوابه انه آخر الدوآء) يعني انها لاتعارض هذه الآية لان المجاملة في المجادلة انما هي في حق من لم يظلم منهم بالافراط في الاعتدآء وآية السيف في حق من ظلم وافرط بمنع الجزية والاقدام على المحاربة (قوله عليه الصلاة والسلام لاتصدقوا اهل الكتاب) اي فيما يحدثونكم من الكتاب وهو من تمام الحديث في بعض الروايات نهى عن تصديقهم لان الله تعالى اخبر انهم كتبوه بايديهم وقالوا هذا من عندالله ووجه النهي عن تكذيبهم ظاهر (قوله ومثل ذلك الانزال انزلنا) يريد ان ذلك اشارة الى مابعد اسم الاشارة وهو الانزال الذي يدل عليه انزلنا والمراد به انزال قوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والكاف في كذلك كلفظ المثل في قولك مثلك لايبخل اي مثل ذلك الانزال العجيب الشان الداعي الى الايمان بجميع

الكتب المنزلة والى التوحيد انزلناه ولما كان من شأن الكتاب الكامل العجيب الانزال ان يكون موصوفا بما يفيده فضيلة ومزيد شرف بالنسبة الى سائر الكتب الالهية بين كونه عجيب الانزال فى كل مقام بما يناسبه و بين ههنا بقوله وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لسبق قوله وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم فظهر بما ذكرنا وجه قوله وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به فانه لما كان كتابا كاملا عجيب الانزال لكونه وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لزم ان يؤمن به اهل الكتاب لما شاهدوا فيه من دلائل تدل على انه كتاب سماوى ووحى الهى والفاء فى قوله فالذين آتيناهم لتفريع ايمانهم على كونه كتابا كاملا عجيب الانزال * واختلف المفسرون فى ان المراد بقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء فقال بعضهم هم الذين سبقوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب فيكون المراد بقوله ومن هؤلاء الذين هم فى زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام واصحابه قيل هذا اقرب يعنى ان صرف قوله ومن هؤلاء الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ههنا اذ كان الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على كفرهم وقال آخرون المراد بالاول مؤمنوا اهل الكتاب و بقوله ومن هؤلاء العرب او اهل مكة ثم انه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابا كاملا عجيب الانزال و بين من آمن به ذكر ان من لم يؤمن به انما لا يؤمن لتوغله فى الكفر من حيث ان توغله فى الكفر يمنعه عن التأمل فى دلائل حقيته واعجازه ثم بين كونه معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب اى من قبل انزال القرآن عليك من كتاب وهو مفعول تتلو ومن زائدة فى المفعول اى ما كنت قارئا كتابا قبل ذلك ولا تخطه بيمينك اى ولا تكتب الآن بيمينك كتابا وكذا كان صفته فى التوراة والانجيل انه امى لا يقرأ ولا يكتب (قوله وذكر اليمين) جواب عما يقال ما فائدة ذكر اليمين مع ان الكتابة انما تزاول باليمين فذكر له فائدتين الاولى زيادة تصوير كونه كاتبا كما وصف الطائر بقوله يطير بجناحيه لذلك والثانية دفع التجوز فى الاسناد فان الفعل كثيرا ما يسند الى سبب الامر فلما قيل بيمينك اندفع ذلك الاحتمال (قوله وانما سماهم مبطلين) مع انه عليه الصلاة والسلام لو كان قارئا كاتبا وقال مشركوا مكة لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين لكانوا صادقين محقين فى الذهاب الى هذا الاحتمال وحاصل الجواب الاول انهم مبطلون الآن لكفرهم به عليه الصلاة والسلام مع كونه اميا وليس المراد انهم مبطلون على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا وحاصل الجواب الثانى انه ليس المراد انهم مبطلون فى الذهاب الى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئا كاتبا بل المراد انهم مبطلون فى الارتياب فى كون القرآن وحيا الهيا مع كثرة وجوه اعجازه سوى كون الموحى اليه اميا (قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر) لانهم لا يكونون مبطلين فى ارتيابهم على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا لان ارتيابهم حينئذ يكون عن دليل الا انه سماهم مبطلين وان لم يكونوا مبطلين على ذلك التقدير لكونهم مبطلين فى الواقع حيث ارتابوا مع وجدانهم نعته عليه الصلاة والسلام على وفق ما فى كتبهم وهو كونه اميا (قوله بل القرآن) بل فيه للاضراب عن بيان كونه منزلا انزالا عجيبا الى بيان ما هو اهم منه وهو كونه آيات بينات الاعجاز محفوظة فى صدور العلماء بحيث لا يقدر احد على تحريفه و بينات صفة آيات وفى صدور صفة ثانية اى هو آيات بينات الاعجاز محفوظات فى صدور العلماء وكل واحد من كونه آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى صدور حفاظه بحيث يتلوه كثير من الامة عن ظهر القلب من خصائص القرآن فان سائر الكتب لم تكن الفاظها معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف نظرا فيها فاذا اطبقت لم تعرف الامة من كتابهم شيأ وقد ورد فى صفة هذه الامة قرابينهم نفوسهم واناجيلهم صدورهم والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم يقرؤن كتاب الله عن ظهر قلوبهم وهو مثبت محفوظ فى صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتا فى اناجيلهم قال الله تعالى قبل بيان كون الآيات القرآنية معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام ببيان كونه اميا وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وقال بعد بيان ذلك الا الظالمون مع انه لا تنافى بين الكلامين لان الكافر ظالم الا ان المناسب فى مقام ارشاد اهل الكتاب وتنفيرهم عن تكذيب القرآن لفظ الكافرين لان اهل الكتاب تميزوا عن المشركين بان آمنوا بجميع ما يجب الايمان به من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب والحشر والجزاء سوى الايمان برسالة سيد المرسلين وحقية كتابه فهم يدعون الايمان و يستنكفون عن الكفر فالمناسب فى دعوتهم الى الايمان ان يقال لهم انكم قد حصل لكم مزايا الايمان فلا تبطلوها بانكار آيات الله تعالى مع ظهوره حقيتها بقيام الحجة

(ومن هؤلاء) ومن العرب او اهل مكة اومن فى عهد الرسول من الكتابيين (من يؤمن به) بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الا الكافرون) الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيدلهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد (اذا لارتاب المبطلون) اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم اولارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بل القرآن (آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) الا المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها (وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات (قل انما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه (وانما انا نذير مبين) ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات (اولم يكفهم) آية مغنية عما اقترحوه

(انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك و نعت دينك (ان في ذلك) في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت (قل كفى بالله بيني و بينكم شهيدا) بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت (يعلم ما في السموات والارض) فلا يخفى عليه حالي وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) لكل عذاب او قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجاءة في الدنيا كوقعة بدر والآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت ارجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) اي جزاءه (يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون) اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها

عليها فتكونوا كافرين بخلاف مقام التفريع عليهم باصرارهم على التكذيب بعد ما تبين كونها معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام فان المناسب بذلك المقام لفظ نفي عن الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكأنه قيل ان جحدتم بالآيات القرءآنية بعد ما تبين كونها معجزة لمبلغها لزمكم انكار الرسالة والكتب المنزلة باسرها اذ لا طريق الى الاقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه ان يلتحق بالمشركين و يكون من جملة الظالمين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين طريق المجادلة مع اهل الكتاب في دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ما تعنت به كفار مكة باقتراح آيات كما جاءت بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى اممهم فقال وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه آية من ربه فارشد نبيه عليه الصلاة والسلام الى ان يقول في جوابهم اولا انما الآيات عند الله وليس من شأني الا انذار اهل المعصية بانارتها اعطيت من الآيات ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان ان القرءآن آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمتها فان تلك المعجزات وجدت ما دامت فان قلب العصا حية واحياء الموتى واخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لنا منه اثر فلو انكر احد شيأ من ذلك لم يمكن اثباته له الا بالكتاب واما القرءآن فانه آية باقية في كل مكان وزمان لا تزول ولا تضمحل كسائر آيات الانبياء التي اضمحلت بعد ما اختصت بمكان دون مكان فلو انكره واحد يقال له فأت بآية مثله (قوله متحدين) حال من ضمير عليهم والتحدي ان تعارض فعل الغير وتفعل مثل فعله على وجه المنازعة في الغلبة وقيل في تفسير الآية اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك فعلى هذا يكون القائلون لولا انزل عليه آية من ربه اليهود وتكون هذه ايضا متعلقة بحال اهل الكتاب (قوله وقيل ان ناسا من المسلمين) وفي التيسير روي ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كان في يده ورق فيه شيء مكتوب من كتبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا قال كتبته من كتابهم لازداد علما الى علمي فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا ان يرغبوا عما اتاهم به نبيهم الى غيره فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يرض المصنف بهذا القول واختار ان يكون المعنى اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات وذلك لان الظاهر من النظم انه جواب لقولهم لولا انزل وعلى ذلك القول يكون تصديقا له عليه الصلاة والسلام وانكارا لهم في التجائهم الى غير ما اتى به نبيهم فلذلك عبر عنه بقوله وقيل (قوله شهيدا بصدقي) على ان تكون الآية جوابا لكعب بن الاشرف واصحابه حين قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله وقوله او بتبليغي ما ارسلت به على ان يكون المقصود من الآيات تهديد المعاندين من اهل الكتاب كما يقول الصادق اذا كذب وقد اتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق الله يعلم صدقي وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بيني وبينك ثم بين كونه كافيا ببيان كونه عالما جميع الاشياء فقال يعلم ما في السموات والارض الى آخره (قوله هم الخاسرون في صفقتهم اشارة الى ان قوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله استعارة بالكناية بان شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله اولئك هم الخاسرون استعارة تخييلية قرينة للمكنية ولما هددهم الله تعالى بقوله اولئك هم الخاسرون قال نضر بن الحارث اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء اظهارا لقطعهم بعدم العذاب واستهزاء منهم وتكذيبا لمن هددهم به (قوله ستحيط بهم) يعني ان اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جيء بالجملة الاسمية مؤكدة بان ولام الابتداء للايذان بان وعد الله تعالى ووعيده كالمحقق في الحال لتحقق وقوعه البتة ويحتمل ان يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون المعنى ان جهنم لمحيطة بهم في الدنيا باعتبار ان اسباب احاطتها من الكفر والمعاصي محيطة بهم في الحال فنزل المسبب ايضا منزلة الواقع في الحال (قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام) خص ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كوثى الى الشام فرارا بدينه حيث قال اني مهاجر الى ربي ومحمد سيد المرسلين هاجر الى المدينة حيث تعذر عليه رعاية ما امر به في امر الدين وامر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلدة تعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يمكنه ان يعبد الله فيه حق عبادته (قوله فاياي) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو فاعبدون تقديره فاعبدوا اياي فاعبدون فاستغني بالثاني عن اظهار الاول ولا يجوز انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذي بعده ذهب صاحب الكشاف الى ان قوله تعالى

فاياى فاعبدون جواب شرط محذوف وجعل تقديم المفعول عوضا عن الشرط المحذوف مع افادة تقديمه معنى الاختصاص ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالمهاجرة الى ارض يمكنهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم الله تعالى بالموت ليهون عليهم الهجرة والمعنى لامحيص لاحد من الموت والمعاد بعده فلابد من التزود لذلك وذلك باخلاص العبادة لله تعالى بعد توحيده على رجاء ان يثاب عليه فان لم يتيسر ذلك فى مكان فلابد من المهاجرة منه الى مكان تيسر ذلك ثم ذكر ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى المهاجرين و الذين يجوزان يكون فى محل الرفع على الابتدآء اوفى محل النصب على الاشتغال وعلالى جمع علية وهى الغرفة ووزنها فعيلة مثل صديقة واصلها عليوة فابدلت الواو ياء وادغمت (قوله وقرئ لنثوينهم) بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثوآء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه وهذه قرآءة حمزة والكسائى وقرأ الباقون لنبوئنهم بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهى الانزال اى لننزلنهم من الجنة غرفا وانتصاب غرفا على قرآءة الاخوين اما على انه مفعول به على تضمين اثوى معنى انزل لان ثوى لازم فيعدى بالهمزة الى واحد ويتعدى الى اثنين باعتبار التضمين واما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم كما فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اى باسقاط الخافض اتساعا اى فى غرف واما على قرآءة الباقين فهو منصوب على انه مفعول ثان لان بوأ يتعدى الى اثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقوله تجرى صفة لغرفا (قوله وقرئ فنعم) بزيادة الفاء على ان الفاء لعطف الجملة على الجملة التى قبلها لا لتفيد ان مضمون الجملة التى بعدها واقع عقيب مضمون الجملة التى قبلها من غير ان يتخلل بينهما زمان فاصل كما فى نحو قام زيد فقعد عمرو بل هى للدلالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لا ان مضمونها عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر ذم الشئ او مدحه بعد جرى ذكره والمخصوص بالمدح محذوف والتقدير نعم اجر العاملين خالصا لوجه الله الغرف الموصوفة حذف لدلالة ماقبله عليه (قوله تعالى وكأين من دابة) كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه واى التى تستعمل استعمال من ولما ركبتا جعل المركب بمعنى كم الخبرية وكأين مبتدأ ولاتحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تميز اى وكم من نفس دبت على وجه الارض عقلت اولم تعقل لا تطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها الى الغذآء مثلكم اى لاتدخر شيئا من الرزق لغد انما تصبح فيرزقها الله من حيث لاتحتسب قيل لايدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن ادم والفارة والنملة ويقال ان العقعق مخابئ الا انه ينسى خبيئته (قوله لا يرزقها واياكم الا الله) استفاد الحصر من تقديم الجلالة وبناء الفعل عليه فان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكره الزمخشرى فى سورة الرعد فى قوله الله يبسط الرزق عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع النبى عليه الصلاة والسلام حتى دخلنا بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لاتأكل فقلت لااشتهيه يارسول الله قال انا اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله والله المستعان قال يا ابن عمر لوسألت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكنى اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف منهم اليقين فوالله مابرحنا حتى نزلت وكأين من دابة لاتحمل رزقها الآية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (قوله لان رزق الكل باسباب) فانه تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للبهائم رزق وايضا ليس الغذآء بمجرد الابتلاع بل لابد فى صيرورة الغذآء اجزآء من المتغذى بتحوله لحما وعظما وشحما من ان يخلق الله تعالى فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التى لاتحصل الا بمحض قدرة الله تعالى وارادته فاذا تقرر ان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده ثبت انه تعالى هو الذى يرزق الدواب كلها ومباشرة الاسباب وسلوك طريق الاكتساب لايمنعان التوكل وكذا جمع مااكتسبه واعداده لوقت الحاجة لايقدح فى التوكل بل الذى يقدح فيه ان يكون اعتماده على مافى يده وعلى مايتيسر له من طرآئق اكتسابه واما من تمسك بالاسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعا لسنة الله تعالى فى ترزيق العباد حيث جرت عادته فى افاضة الخيرات على الاستفاضة والطلب من قاضى الحاجات بالتسبب لما جعله سببا لنيل المرادات مع الاعتقاد بانه تعالى قادر على ان يرزقه من غير كد واهتمام وعلى ان يجعل سعيه فى تمسك الاسباب ضائعا غير مؤدى الى المراد

(كل نفس ذآئقة الموت) تناله لامحالة (ثم الينا ترجعون) للجزآء ومن هذا عاقبته ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالى وقرئ لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرآئه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ماقبله (الذين صبروا) على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) ولايتوكلون الا على الله (وكاين من دابة لاتحمل رزقها) لا تطيق حمله لضعفها اولاتدخره وانما تصبح ولامعيشة عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سوآء فى انه لايرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلاتخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا (العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) المسئول منهم اهل مكة (ليقولن الله) لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك

(انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا يضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك و نعت دينك (ان فى ذلك) فى ذلك الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت (اقل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات او بتبليغى ما ارسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت (يعلم ما فى السموات والارض) فلا يخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) لكل عذاب او قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجاءة فى الدنيا كوقعة بدر والآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لا يشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت ارجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) اى جزاءه (يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها

عليها فتكونوا كافرين بخلاف مقام التقريع عليهم باصرارهم على التكذيب بعد ما تبين كونها معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام فان المناسب بذلك المقام لفظ نفى عن الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكانه قيل ان جحدتم بالآيات القرآنية بعد ما تبين كونها معجزة لمبلغها الزمكم انكار الرسالة والكتب المنزلة باسرها اذ لا طريق الى الاقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه ان يلحق بالمشركين و يكون من جملة الظالمين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين طريق المجادلة مع اهل الكتاب فى دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ما تعنت به كفار مكة باقتراح آيات كما جاءت بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى اممهم فقال وقالوا يعنى كفار مكة لولا انزل عليه آية من ربه فارشد نبيه عليه الصلاة والسلام الى ان يقول فى جوابهم اولا انما الآيات عند الله وليس من شأنى الا انذار اهل المعصية بانا رئما اعطيت من الايات ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان ان القرآن آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمتها فان تلك المعجزات وجدت ما دامت فان قلب العصا حية واحياء الموتى واخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لنا منه اثر فلو انكر احد شيأ من ذلك لم يمكن اثباته له الا بالكتاب واما القرآن فانه آية باقية فى كل مكان وزمان لا تزول ولا تضمحل كسائر آيات الانبياء التى اضمحلت بعد ما اختصت بمكان دون مكان فلو انكره واحد يقال له فأت بآية مثله (**قوله** متحدين) حال من ضمير عليهم والتحدى ان تعارض فعل الغير وتفعل مثل فعله على وجه المنازعة فى الغلبة وقيل فى تفسير الاية اولم يكفهم يعنى اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك فعلى هذا يكون القائلون اولا انزل عليه آية من ربه اليهود وتكون هذه ايضا متعلقة بحال اهل الكتاب (**قوله** وقيل ان ناسا من المسلمين) وفى التيسير روى ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كان فى يده ورق فيه شئ مكتوب من كتبهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا قال كتبته من كتابهم لازداد علما الى علمى فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا ان يرغبوا عما اتاهم به نبيهم الى غيره فانزل الله تعالى هذه الاية ولم يرض المصنف بهذا القول واختار ان يكون المعنى اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات وذلك لان الظاهر من النظم انه جواب لقولهم لولا انزل وعلى ذلك القول يكون تصديقا له عليه الصلاة والسلام وانكارا لهم فى التجائهم الى غير ما اتى به نبيهم فلذلك عبر عنه بقوله وقيل (**قوله** شهيدا بصدقى) على ان تكون الآية جوابا لكعب بن الاشرف واصحابه حين قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله وقوله او بتبليغى ما ارسلت به على ان يكون المقصود من الآيات تهديد المعاندين من اهل الكتاب كما يقول الصادق اذا كذب وقد اتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق الله يعلم صدقى وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بينى و بينك ثم بين كونه كافيا ببيان كونه عالما بجميع الاشياء فقال يعلم ما فى السموات والارض الى آخره (**قوله** هم الخاسرون فى صفقتهم) اشارة الى ان قوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله استعارة بالكناية بان شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله اولئك هم الخاسرون استعارة تخييلية قرينة للمكنية ولما هددهم الله تعالى بقوله اولئك هم الخاسرون قال نضر بن الحارث اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء اظهارا لقطعهم بعدم العذاب واستهزاء منهم وتكذيبا لمن هددهم به (**قوله** ستحيط بهم) يعنى ان اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جئ بالجملة الاسمية مؤكدة بان ولام الابتداء للايذان بان وعد الله تعالى ووعيده كالمحقق فى الحال لتحقق وقوعه البتة ويحتمل ان يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون المعنى ان جهنم لمحيطة بهم فى الدنيا باعتبار ان اسباب احاطتها من الكفر والمعاصى محيطة بهم فى الحال فنزل المسبب ايضا منزلة الواقع فى الحال (**قوله** وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام) خص ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كوثى الى الشام فرارا بدينه حيث قال انى مهاجر الى ربى ومحمد سيد المرسلين هاجر الى المدينة حيث تعذر عليه رعاية ما امر به فى امر الدين وامر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذى لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان فى بلدة تعمل فيها المعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يمكنه ان يعبد الله فيه حق عبادته (**قوله** فاياى) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو فاعبدون تقديره فاعبدوا اياى فاعبدون فاستغنى بالثانى عن اظهار الاول ولا يجوز انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذى بعده ذهب صاحب الكشاف الى ان قوله تعالى

(فاياى)

فاياى فاعبدون جواب شرط محذوف وجعل تقديم المفعول عوضا عن الشرط المحذوف مع افادة تقديمه معنى الاختصاص ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالمهاجرة الى ارض يمكنهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم الله تعالى بالموت ليهون عليهم الهجرة والمعنى لامحيص لاحد من الموت والمعاد بعده فلابد من التزود لذلك وذلك باخلاص العبادة لله تعالى بعد توحيده على رجاء ان يثاب عليه فان لم يتيسر ذلك فى مكان فلابد من المهاجرة منه الى مكان تيسر ذلك ثم ذكر ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى المهاجرين والذين يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء او فى محل النصب على الاشتغال وعلالى جمع علية وهى الغرفة ووزنها فعيلة مثل صديقة واصلها عليوة فابدلت الواو ياء وادغمت (**قوله** وقرئ لنثويهم) بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثوآء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه وهذه قرآءة حمزة والكسائى وقرأ الباقون لنبوئنهم بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهى الانزال اى لننزلنهم من الجنة غرفا وانتصاب غرفا على قرآءة الاخوين اما على انه مفعول به على تضمين اثوى معنى انزل لان ثوى لازم فيعدى بالهمزة الى واحد ويتعدى الى اثنين باعتبار التضمين واما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم كما فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اى باسقاط الخافض اتساعا اى فى غرف واما على قرآءة الباقين فهو منصوب على انه مفعول ثان لان بوأ يتعدى الى اثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقوله تجرى صفة لغرفا (**قوله** وقرئ فنعم) بزيادة الفاء على ان الفاء لعطف الجملة على الجملة التى قبلها لا لتفيد ان مضمون الجملة التى بعدها واقع عقيب مضمون الجملة التى قبلها من غير ان يتخلل بينهما زمان فاصل كما فى نحو قام زيد فقعد عمرو بل هى للدلالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لا لان مضمونها عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر ذم الشئ او مدحه بعد جرى ذكره والمخصوص بالمدح محذوف والتقدير نعم اجر العاملين خالصا وجه الله الغرف الموصوفة حذف لدلالة ماقبله عليه (**قوله** تعالى وكأين من دابة) كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه واى التى تستعمل استعمال من وما تركبا جعل المركب بمعنى كم الخبرية وكأين مبتدأ ولاتحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تمييز اى وكم من نفس دبت على وجه الارض عقلت اولم تعقل لاتطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها الى الغذآء مثلكم اى لاتدخر شيئا من الرزق لغد انما تصبح فيرزقها الله من حيث لاتحتسب قيل لايدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن ادم والفارة والنملة ويقال ان للعقعق مخابئ الا انه ينسى خبيئته (**قوله** لايرزقها واياكم الا الله) استفاد الحصر من تقديم الجلالة وبناء الفعل عليه فان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكره الزمخشرى فى سورة الرعد فى قوله الله يبسط الرزق عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع النبى عليه الصلاة والسلام حتى دخلنا بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لاتأكل فقلت لااشتهيه يارسول الله قال انا اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله والله المستعان قال يا ابن عمر لوسألت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكنى اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف منهم اليقين فوالله مابرحنا حتى نزلت وكأين من دابة لاتحمل رزقها الآية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (**قوله** لان رزق الكل باسباب) فانه تعالى لولم يخلق النبات لم يكن للبهائم رزق وايضا ليس الغذآء بمجرد الابتلاع بل لابد فى صيرورة الغذآء اجزآء من المتغذى بتحوله لحما وعظما وشحما من ان يخلق الله تعالى فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التى لاتحصل الا بمحض قدرة الله تعالى وارادته فاذا تقرر ان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده ثبت انه تعالى هو الذى يرزق الدواب كلها ومباشرة الاسباب وسلوك طريق الاكتساب لاينافيان التوكل وكذا جمع ما اكتسبه واعداده لوقت الحاجة لايقدح فى التوكل بل الذى يقدح فيه ان يكون اعتماده على مافى يده وعلى ماتيسر له من طرآئق اكتسابه واما من تمسك بالاسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعا لسنة الله تعالى فى ترزيق العباد حيث جرت عادته فى افاضة الخيرات على الاستفاضة والطلب من قاضى الحاجات بالسبب لما جعله سببا لنيل المرادات مع الاعتقاد بانه تعالى قادر على ان يرزقه من غير كد واهتمام وعلى ان يجعل سعيه فى تمسك الاسباب ضائعا غير مؤدى الى المراد

(كل نفس ذآئقة الموت) تناله لامحالة (ثم الينا ترجعون) للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالى وقرئ لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرآئه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ماقبله (الذين صبروا) على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) ولايتوكلون الا على الله (وكاين من دابة لاتحمل رزقها) لا تطيق حمله لضعفها اولاتدخره وانما تصبح ولامعيشة عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سوآء فى انه لايرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا (العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) المسئول منهم اهل مكة (ليقولن الله) لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك

فهو متوكل على العزيز العلام حيث كد وسعى معتمدا عليه لا على عمله واجتهاده ثم انه تعالى لما خاطب المؤمنين
وامرهم بالمهاجرة الى ارض يتسهل لهم فيها عبادة الله قال على سبيل التعجب من كفار مكة ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ذكر في السموات والارض خلقهما وفي الشمس والقمر تسخيرهما لان الحكمة لا تتم بمجرد خلق
الشمس فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تستقر في موضع واحد لما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فاذن
الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما ثم انه تعالى لما بين ايجاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وبين ايجاد الصفات
بقوله وسخر الشمس والقمر ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق كانه قيل المعبود اما ان يعبد
لاستحقاقه العبادة فالاصنام ليست كذلك بل المستحق لها هو الله تعالى واما لكونه عظيم الشأن فالله تعالى خالق
السموات والارض هو المنفرد بعظم الشان فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان فالله الذي يرزق الخلق هو المنفرد
بالفضل والاحسان فله العبادة فانى يشركون (**قوله** ويقدر له) اي يضيق فان القدر والقتر بمعنى واحد وهو
التضييق (**قوله** يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا) هذا الاحتمال هو الظاهر لان من في قوله من يشاء
موصولة اريد بها من افراد الانسان من تعين بكونه شاء الله التوسع له ولو غايره لما رجع ضمير يقدر له عليه ولما كان
التوسع والتضيق متضادين لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد وجب ان يكون اجتماعهما فيه على سبيل
التعاقب واما احتمالهما ذاتا مع وجوب كون الضمير راجعا الى عين ما ذكر اولا وهو من تعلق به مشيئة التوسيع
فبعيد لان مفهوم من يشاء البسط له وان كان مبهما من حيث تناوله الافراد المندرجة تحته لا ابهام فيه من حيث
تناوله الموسع له والمضيق عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله متناولا للمضيق عليه الا ان
يقال المراد بقوله لان من يشاء مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمفعول المحذوف يتناول الموسع
له والمضيق عليه فان ذا تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلقت المشيئة بالتوسيع له يصدق ايضا على من تعلقت
بالتضييق عليه فيكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله فيختلف الموسع له والمضيق عليه ذاتا مع رجوع الضمير الى من
يشاء كما اذا قيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء فانه اذا قيل ويقدر لمن يشاء لا يشتبه عند احد ان المبسوط له
غير المقدور عليه فكذا اذا قيل ويقدر له لانه في قوة ذلك لان من يشاء مبهم بالتوجيه الذي ذكرنا فيكون ضميره ايضا
كذلك فصلح لابهامه ان يراد به غير الاول ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء الآية لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بان موجد السبب هو الله تعالى
اعتراف بان موجد المسبب ايضا هو الله فهو اعتراف بان الرازق هو الله تعالى (**قوله** على ما عصمك من مثل هذه
الضلالة) وهي ضلالة المناقضة بين اعترافهم بان موجد الممكنات باسرها اصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين
اشراكهم به تعالى ما لا يقدر على شئ (**قوله** او على تصديقك) من اضافة المصدر الى مفعوله اي او على تصديق
الله تعالى اياك بحملهم على الاقرار بما هو حجة عليه المستلزم لتبكيتك اياهم بالحجة (**قوله** فيتناقضون) يعني ان كلمة
بل للاضراب عن الاول والاخذ فيما هو اهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل على التوحيد ويناقض سلوكهم
طريق الشرك ثم انتقل الى ما هو اهم وهو بيان انهم مسلوبوا العقول فلا يبعد عنهم مثل هذه الجهالة والمناقضة فهو
اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان شأنهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله قل الحمد لله اعتراضا بين
المنتقل منه والمنتقل اليه وعلى الثاني يكون جملة الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا
لم يفطنوا بتلك المناقضة الظاهرة فأولى ان لا يفطنوا انك لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك (**قوله** اشارة
تحقير) فانه قد ينزل قرب الدرجة ودناءة المنزلة منزلة قرب المسافة فيشار اليه بلفظ القريب كقول الكفرة في حق
ابراهيم عليه الصلاة والسلام اهذا الذي يذكر آلهتكم واللهو ما يتلذذ به الانسان ويجعله مشتغلا به معرضا بسببه
عما يهمه واللعب ما يلهيه ساعة ثم ينقضي (**قوله** لهي دار الحياة) جواب عما يقال كيف اطلق الحيوان بمعنى الحياة او بمعنى
النامي الحساس على الدار الاخرة مع انها ليست عبارة عن الحياة ولا بنام حساس وتقرير الجواب ان الحيوان
مصدر بمعنى الحياة والكلام على تقدير مضاف او جعلت هي في ذاتها حياة للمبالغة فان ما فيها من الحياة لما كانت
حياة مستمرة دائمة لا موت فيها صارت كانها في ذاتها حياة (**قوله** متصل بما دل عليه الى آخره) يعني الفاء عاطفة
لدخولها على الجملة المدلول عليها بما ذكر قبلها (**قوله** كائنين في صورة من اخلص دينه لله) يعني ان تسميتهم مخلصين
تهكم بهم من حيث انهم ليسوا مخلصين حقيقة حيث ان الذي الجأهم الى ان ذكروا الله تعالى خاصة وتركوا ما سواه

(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له)
يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على
ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على
وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء
مبهم (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم
ومفاسدهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء
فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله)
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها
وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي
لا يقدر على شئ من ذلك (قل الحمد لله) على
ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك
واظهار حجتك (بل اكثرهم لا يعقلون) فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم يشركون به
الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم
(وما هذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لا وهي
لا تزن عند الله جناح بعوضة (الا لهو ولعب)
الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه
ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار
الاخرة لهي الحيوان) لهي دار الحياة الحقيقية
لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حياة
للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة واصله
حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما
في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة
ولذلك اختير عليها ههنا (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا
عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها
عارضة سريعة الزوال (فاذا ركبوا في الفلك)
متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على
ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله
مخلصين له الدين) كائنين في صورة من اخلص دينه
من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو (فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون) فاجأوا المعاودة الى الشرك

خوف الغرق والهلاك وفى الآية مضمر وتقدير الكلام فاذا ركبوا فى الفلك وهاجت الرياح واضطربت الامواج وكادت تغرق بهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف ذكر النجية بعده (قوله اللام فيه لام كى) اى يشركون ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء والمعنى انه لافائدة لهم فى الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به فى العاجلة من غير ان يترتب عليه نصيب فى الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين يخصون ربهم بالدعاء والتضرع عندما وقعوا فى الخوف الشديد من امواج البحر ثم يعودون الى الشرك القديم وقت الخلاص منه بالخروج الى البر ذكر حالهم عند غاية الامن وهو اشراكهم بالله الذى جعل لهم حرما آمنا يأمنون فيه على نفوسهم واموالهم فان اخوف احوال الانسان حال كونه فى بحر متلاطم الامواج فيضطر حينئذ الى التوحيد واخلاص الدين له فعاده الى الشرك بعد ما نجاه الله تعالى الى البر اذا كان قبيحا فشركه فى حرم الله تعالى الذى ليس فى بلاد الله تعالى ما يدانيه فى كونه مأمنا فى غاية القبح فلذلك انكر عليهم بقوله افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ثم بالغ فى وجه الانكار بان بين ان بمجرد الشرك نهاية الظلم ولا احد اظلم من المشرك فكيف اذا كان الاشراك فى مقام يجب ان يكون العبد فيه احسن حالا منه فى سائر البلاد وانما قلنا الشرك نهاية الظلم لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه سواء امكن وضعه فيه اوامتنع فمن وضع سيأ فى موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم اللياقة وكذا تكذيب الحق ظلم ومن كذبه اول ما سمعه من غير توقف وتأمل يكون اظلم (قوله الستم خير من ركب المطايا) واندى العالمين بطون راح * الندى الجود يقال رجل ندى اى جواد وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه قيل لما بلغ الشاعر هذا البيت من قصيدته وكان الخليفة متكئا استوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا هكذا واعطاه مائة من الابل واوكان مقصود الشاعر بقوله الستم الاستفهام لما اعطاه الخليفة مائة من الابل بل الهمزة فيه للانكار دخلت على النفى فافادت اثبات الخيرية وتقريرها فكذا فى الآية كانت لاقرار ثوآئهم فيها وكان المعنى الا يثوون فى جهنم والا يستحقون الثوآء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله تعالى (قوله اولا جترآئهم) عطف على قوله لثوآئهم اى وهو تقرير لاجترآئهم ثم انه تعالى لما فرغ من اقامة دلائل التوحيد وبطلان الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتقرير ثوآئهم فى جهنم شرع فى تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من المجاهدة مع كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعدآء الدين فقال والذين جاهدوا فينا اى جدوا وبذلوا وسعهم فى حقنا ولاجلنا ووجهنا خالصا لنهدينهم سبيل السير الينا والوصول الى جنابنا فان من جاهد فى الله حق جهاده وهو صرف الافتقار الى الله تعالى بالانفصال عن كل شئ سوى الله انكشف عنه الحجب النفسانية وحجب عالم الاكوان كلها وتجلى له اسرار الملكوت وانوار عالم الغيب ومن اجتهد برفض العادات البشرية ومخالفة الاهوآء الطبيعية وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الاعمال السنية وباطنه عن الاخلاق الردية بالتحلى بالاخلاق المرضية افتتح له سبيل السير الى الله بالقوة القدسية والقابلية الملكية واللطافة الروحانية فانه بقدر الجد تكتسب المعالى * والى الله ابتهل فى ان يخلصنى من طريقة الذين يقولون ما لا يفعلون ويوفقنى للسعى والاجتهاد فى تهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال انه قريب مجيب وقيل معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة منها فانه تعالى يزيد المجاهدين هداية كما انه يزيد الكافرين ضلالة تم ما يتعلق بسورة العنكبوت * والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله واصحابه الحائزين فضله * وهذا اوان الشروع فى ايراد ما يتعلق بسورة الروم

* (سورة الروم وهى مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

افتتحت هذه السورة الكريمة بحروف التهجى مع انه لا يفهم منها معنى يقصد تبليغه لتنبيه السامع وايقاظه حتى يقبل على استماع ما يلقى اليه بقلب حاضر فانه لما ذكر فى اول هذه السورة ما هو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اخباره عن الغيب الذى هو غلبة الروم على فارس فى بضع سنين افتتحت بهذه الحروف لينتبه السامع فيقبل بقلبه على استماع ما يلقى اليه بعدها (قوله لانها) اى لان ارض العرب هى الارض المعهودة عندهم يعنى ان اللام فى لفظ الارض ان كانت للعهد فالمراد بها ارض العرب لان ارضهم هى المعهودة عندهم والمعنى غلبت فارس الروم فى اقرب ارض العرب الى الروم فقوله ارض العرب منهم اى من الروم ومن فى منهم صلة ادنى يقال

(ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها اولام الامر على التهديد ويؤيده قرآءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (اولم يروا) يعنى اهل مكة (انا جعلنا حرما آمنا) اى جعلنا بلدهم مصونا من النهب والتعدى آمنا اهله من القتل والسبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حواليهم فى تغاور وتناهب (افبالباطل) ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم اوالشيطان (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام اوالاختصاص على طريق المبالغة (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بان زعم ان له شريكا (اوكذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول اوالكتاب وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه (اليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوآئهم كقوله * الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثوآء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب اولا جترآئهم اى الم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا اولنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصرة والاعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

(سورة الروم)

مكية الا قوله فسبحان الله وهى ستون اواحدى وخمسون آية (بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم فى ادنى الارض) ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم اوفى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة

(سيغلبون فى بضع سنين) روى ان الفرس غزوا الروم فوافوهم (وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب
باذرعات و بصرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين
فقال له ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد (٢٠) منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا و بعدا اى اولا وآخرا (ويومئذ) ويوم يغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد (لا يخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التى هى غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا على بعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا

دنائه اى قرب منه والمراد بادنى ارض العرب من الروم اطراف الشام وان كانت اللام فيه بدلا من المضاف اليه يكون المعنى غلبت الروم فى ادنى ارض الروم من العرب وضمير ارضهم يعود الى الروم فان قلت جعلت الارض التى غلبت الروم فيها للعرب تارة وللروم اخرى فما وجهه قلت يجوز ان تكون تلك الارض مسكنهم جميعا بان يسكن فيها البعض من كل فريق فجاز اضافتها تارة الى العرب واخرى الى الروم (قوله من اضافة المصدر الى المفعول) والمعنى وهم اى الروم من بعد مغلوبيتهم سيغلبون فارس فى بضع سنين واذرعات موضع بالشام و بصرى ايضا موضع بالشام والجزيرة موضع بعينه وهى ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روى عن الاصمعى انها من اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها جزيرة احاطة البحار والانهار العظام بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات (قوله وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من فارس) فعلى هذا يكون قوله فى ادنى الارض بمعنى فى ادنى ارض الروم من فارس كما روى عن مجاهد انه قال هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس فتكون اللام فى الارض عوضا عن المضاف اليه (قوله وشمتوا بالمسلمين) اى فرحوا بانفعال المسلمين وتحزينهم فان الشماتة عبارة عن الفرح ببلية العدو وهى من باب علم وسبب نزول هذه الاية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان يغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم فاستعمل عليهم رجلا يقال له شهرباو وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بحلس فالتقيا باذرعات و بصرى وهى ادنى ارض الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون كاهل فارس وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الايات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى قد يريد ان يزيد فى ثواب المحق فيبتليه و يسلط عليه الاعادى وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم الميعاد والمناحبة المراهنة والقلائص جمع قلوص وهى من النوق الشابة وهذه المناحبة كانت قبل تحريم القمار وهو الظاهر لان السورة مكية وتحريم الخمر والميسر من آخر الاى نزولا (قوله من قبل كونهم غالبين الى آخره) يعنى ان جمهور القراء قرؤا من قبل ومن بعد مبنيان على الضمة من حيث انهما لما قطعا عن الاضافة مع كونها منوية مرادة صارا كبعض الاسم فى عدم استحقاق الاعراب فلابد من تقدير المضاف اليه فقدره بقوله من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين بناء على ان كلا من الوقتين اعنى وقت كونهم مغلوبين ووقت كونهم غالبين بالنسبة الى الآخر له اعتبار القبلية والبعدية فان الروم كانوا فى اول الامر مغلوبين وفى ثانى الحال صاروا غالبين فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين و كونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين وقد كان لله الامر فى اول الوقتين وفى آخرهما اى حين غلبوا وحين يغلبون وعبر عن اول الوقتين بقوله من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم قبل كونهم غالبين وعبر عن ثانى الوقتين بقوله ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت غلبتهم بعد ذلك (قوله وقرئ من قبل ومن بعد) مجرورين منونين لانه اذا لم يكن المضاف اليه المحذوف منويا يكون اسما برأسه فيعرب على حسب اقتضاء العامل كقول الشاعر

فساغ لى الشراب وكنت قبلا * اكاد اغص من ماء الفرات

(قوله فى رهانهم) هو مصدر بمعنى المراهنة والمناحبة والغالب فيهما يستحق السبق وهو بفتحتين الخطر الذى يتراهن عليه ويوضع بين اهل السباق ويقال اخطر المال اذا جعله خطرا بين المتراهنين (قوله وقيل بنصر الله المؤمنين) عطف على قوله بنصر الله من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب له وهو فارس (قوله لان ما قبله فى معنى الوعد) فان قوله تعالى سيغلبون ويومئذ يفرح المؤمنون وعد من الله تعالى بالنصرة فاكده بقوله وعد الله وعامله مضمر اى وعدهم الله ذلك وعدا ثم قرر معنى هذا المصدر بقوله لا يخلف الله وعده اى فيظهر الروم على فارس ولكن اكثر الناس يعنى كفار مكة لا يعلمون وعده حيث ينكرون الرسالة والوحى (قوله وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة) يعنى ان هذا الكلام سواء كانت هم الثانية تكريرا للاولى وكان غافلون خبرا للاولى او كانت مبتدأ ما بعدها خبرها وكانت الجملة خبر الاولى يدل على اختصاص الغفلة عن الآخرة

بهم وان الغفلة لاتثبت ولا تستقر الافيهم وهومعنى تمكنهافيهم وقوله المحققة صفة غفلتهم والمراد بالجملة المتقدمة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا واشار الى ان هــذه الجملة بدل من قوله لايعلمون وكل واحــد من قوله تقريرا وتشبيها واشعــارا منصوب على انه مفعول له لقوله المبدلة علــل ابدال قوله يعلمون من قوله لايعلمون بثــلاث علل الاولى تقرير جهالتهم المدلول عليها بالمبدل منه فان من لايتجاوز علمه عن بعض ظاهر الدنيــا ولايتعلق بالبعض الآخر فضلا عن ان يتعلق بامر الدين واحوال الآخرة لايكون الاجاهــلا وقوله تشبيها وان كان فى صورة العــلة الثــانية الاان المقصود منه بيان وجه كون جملة البدل تقرير الجهالتهم و وجه كون الابدال مشــعرا بما ذكره ان قوله يعلمون لمااقيم مقام قوله لايعلمون وجعــل سادا مسده علم منه انه لافرق بين عدم العلم و بين علمهم (**قوله** اولم يحدثوا التفكر فيها) على ان يكون قوله فى انفسهم ظرفا للتفكر والمعنى اولم يشغلوا قلوبهم الفارغة عن الفكر بالفكرة الصالحة والتفكر وان لم يكن الافى القلوب الاانه زيد قوله فى انفسهم لزيادة تصوير حال المتفكرين كما قيل ولاتخطه بيمينك وابصره بعينه واضمره فى نفسه ونحو ذلك وتكون جملة ما خلق الله السموات الى آخره متصلة بما قبلها فى محل النصب بقوله اولم يتفكروا والمعنى اولم يتفكروا فى قلوبهم انما خلق الله السموات والارض الابالحق باضمــار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا فى خلقهما بالحق واضمار ان للوصــل جائز كما فى قوله تعالى فى هذه السورة ومن آياته يريكم البرق اى ان يريكم البرق كذا فى التيسير وحينئذ يحتاج الى اضمار فى ايضا والاظهر ماذكره المصنف من كونه متعلقا بقول اوعلم محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيقولوا او فيعلموا ان ماخلق الله السموات الخ فعلى هذا لايكون المتفكر فيه مذكورا بخلاف الاحتمال الثانى الذى ذكره بقوله اواولم يتفكروا فى امر انفسهم على ان يكون قوله فى انفسهم مفعولا به غير صريح ليتفكروا الاظرفا له كقوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات والمعنى هلاتفكروا فى امر انفسهم التى هى اقرب اليهم من سائر المخلوقات وهم اعلم باحوالها وهى كلمة استبطاء كانه قيل ينبغى لهم ان يتفكروا فيها ليتضح لهم كمال قدرة الله تعالى فان من تفكر فى تشريح بدن الانســان وما اودع فيه من غرآئب التدبير الالهى حصل له العلم القطعى بانه تعــالى فاعل مختار كامل العلم والقدرة وان من يكون كذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد والاكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما اراده و ايضا حصل له العلم بحقيقة الحشر والجزآء لانه اذا تفكر فى نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال واجزآءه مائلة الى الانحلال فيقطع بانه ســيفنى عن قريب فلو لم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هــذا الوجه عبثا كما اشير اليه بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لانه من بالغ فى تدبير شئ ســيفنى عن قريب بالكلية وصوره احســن تصوير واعتنى فى انتظام احواله ابلغ مايمكن من الاعتناء مع علمه بانه عن قريب بصير كان لم يكن شيئا مذكورا يضحك منه ويتعجب من سفاهته فمن تفكر فى شأن نفسه على هذا الوجه علم انه تعالى خلقه للبقاء ولابقاء الابالحشر والاحياء فظهر ان تفكر الانسان فى امر نفسه يؤديه الى القطع بان العالم له اله واحد قادر على الابدآء والاعادة فيكون قوله ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق جملة مستأنفة لاتعلق لها بماقبلها ذكرت بعد اقامة دليل الانفس استدلالا بدليل الآفاق فمعنى الآية على هذا الوجه اولم يتفكروا فى خلق السموات والارض فيعلموا ان الله تعالى لم يخلقها عبثا ولاجزافا ولكن ليعتبر بها عباده وليستدلوا بها على وحدانيته وكمال قدرته وانه انما خلقها لمنافع عباده بلاغا لهم فى دار التكليف وعونا لاكتساب مايسعدهم فى دار الجزآء وهومعنى قوله بالحق والباء فيه اما سببية اوحالية اى ماخلقها الا للحق اوملتبسة بالحق مقرونة به لاباطلا ولاعبثا خاليا عن حكمة بالغة ولالتبقى خالدة وانمــا خلقها مؤجلة باجل مسمى ونفوس البشر منــدرجة فى مفهوم قوله وما بينهما ثم انه تعالى لما ارشد الى مايؤدى الى العلم بحقيقة الآخرة وان السموات والارض ومابينهما جميعا مخلوقة للانتهاء الى اجل مسمى هدد الغافلين عن الاخرة المصرين على الكفر وتكذيب الانبياء بقوله اولم يسيروا فى الارض وهو استفهام تقرير لسيرهم ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم و بعــد تقرير ذلك ذكر ان اهل مكة اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشــد من اهل مكة قوة واكثر مالا وعمارة ولم ينفعهم قواهم ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم (**قوله** اوالآيات الواضحات) اى دلائل الحق وبراهينه وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالحلال والحرام والحدود والاحكام (**قوله تعالى** فما كان الله ليظلمهم) قبله مضمر تقديره فلم يؤمنوا فاهلكوا فما ظلمهم الله بتعذيبهم من غير ذنب وثم فى قوله ثم كان لترتيب الاخبار * قرأ نافع وابن كثير وابوعمرو عاقبة الذين مرفوعا

واماباطنهــا فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظــاهر الدنيــا (اولم يتفكروا فى انفسهم) اولم يحدثوا التفكر فيها اواولم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر مايجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدآئها (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق) متعلق بقول اوعلم محــذوف يدل عليــه الكلام (واجل مسمى) تنتهى عنده ولاتبقى بعــده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بلقاء جزآئه عند انقضــاء قيــام الاجــل المسمى اوقيــام الســاعة (لكافرون) جاحدون يحسبون ان الدنيــا ابدية وان الآخــرة لاتكــون (اولم يســيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم (كانوا اشد منهم قوة) كعاد وثمود (واثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (اكثر مما عمروها) من عمارة اهل مكة اياهــا فانهم اهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم فى غيرهــا وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغــترون بالدنيــا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفــاء ملجؤن الى واد لانفع له (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات اوالآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم مايفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولاتذكير (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عملوا ماادى الى تدميرهم

(ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى) اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جوزوا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوء كالحسنى او مصدر كبشرى نعت بها (ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزآء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزآء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن اشركوهم بالله (شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعوآء وعلمؤآء بنى اسرائيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) اى المؤمنون والكافرون لقوله (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) ارض ذات ازهار وانهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللت له وجوههم (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لا يغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته اودلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض

على انه اسم كان وتذكير كان مبنى على ان تأنيث عاقبة غير حقيقى والسوأى خبر كان واختار المصنف هذه القرآءة حيث قال ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى وقوله ان كذبوا اما علة بتقدير لام العلة اى لان كذبوا او باء السببية اى بان كذبوا واما بدل او عطف بيان للسوأى ولاشك ان التكذيب خصلة سوأى وعقوبة سوأى فيصح ان يكون بدلا او عطف بيان للعقوبة السوأى والخصلة السوأى فمعنى الاية ثم كان التكذيب آخر امرهم اى ماتوا على ذلك فجازاهم الله تعالى بذلك على اساءتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب ويحتمل ان يكون قوله ان كذبوا خبر كان وحينئذ يكون السوأى مصدرا بمعنى الاساءة منصوبا باساؤا او يكون مفعول اساؤا لتضمنه معنى اقترفوا والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التى هى اسوأ الخطايا ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها فان السوأى تأنيث الاسوء بمعنى الاقبح ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان يكون السوأى مفعول اساؤا ايضا وان كذبوا عطف بيان له او بدلا منه ويكون الخبر محذوفا للابهام والتهويل والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة السوأى وهى التكذيب والاستهزاء ما لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره فى الشدة والفظاعة ثم انه تعالى لما ذكر ان عاقبة المسيئ العقوبة السوأى قرر ذلك ببيان ان المخلوقات باسرها يحشرون بعد الموت ثم اليه يرجعون للجزآء ثم بين ما يكون وقت الرجوع اليه بقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اى ينقطع كلامهم وحجتهم ويبقون آيسين من كل خير ساكتين متحيرين (قوله التى لا ترغو) من الرغاء وهو صوت ذات الخف يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا صوت وابلست الناقة اذا لم ترغ من شدة الضبعة وهى شدة شهوة الناقة للفحل (قوله يكفرون بالهتهم) على ان الباء فى قوله بشركائهم صلة كافرين وما قيل بعده على ان الباء للسببية (قوله وكتب فى المصحف شفعوآء وعلموآء بنى اسرآئيل بالواو) قبل الالف على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتب الصلوة والزكوة والربوا ثم ان الالف المكتوبة على صورة الواو ان كانت فى الآخر جمع بينها وبين الواو فى الرسم كما فى الربوا وعلموا بخلاف الالف المتوسطة كما فى الصلوة والزكوة (قوله لقوله فاما الذين) وجه الاستدلال ان الفاء فيه لتفصيل ما اجمل بقوله يتفرقون (قوله تهللت) اى تلألأت ولمعت قال الراغب الحبر الاثر المستحسن ومنه ما روى انه يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه والتحبير التحسين والفاء فى قوله تعالى فاما الذين آمنوا لتفصيل ما اجمل فى قوله يومئذ يتفرقون اسند التفرق الى فريقى المؤمنين والكافرين على الاجمال ثم فصل حالهما وبين مصيرهما بما هو وعد فى حق احدهما ووعيد فى حق الاخر ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله فسبحان الله الاية فان الفاء فيه فاء الجزآء لشرط محذوف والا لم يكن للكلام وجه ارتباط بما قبله كانه قيل اذا تقرر عندكم مصير كل واحد من الفريقين واتضح عاقبة المؤمنين من اهل طاعته المقبلين اليها فسبحوا الله تعالى تسبيحا فى هذه الاوقات وهذا معنى قول المصنف ان قوله تعالى فسبحان الله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى ولم يجعله امرا حقيقة بان يكون المصدر منصوبا بفعل الامر لكونه مصدرا بفاء الجزآء والامر بل الجمل الانشائية مطلقا لا يصح تعليقها بالشرط لان الانشاء ايقاع المعنى بلفظ يقارنه ولو جاز تعليقه للزم تأخره عن زمان التلفظ وانه غير جائز وانما المعلق بالشرط هو الاخبار عن انشاء التمنى والترجى وانشاء المدح والذم والاستفهام ونحوها فاذا قلت ان فعلت فعل كذا اغفر الله لك او فنعم ما فعلت كان المعنى فقد فعلت ما تستحق بسببه ان يغفر لك او ان تمدح بسببه الا ان الجملة الانشائية اقيمت مقامه للمبالغة فى الدلالة على الاستحقاق فمعنى الاية اذا كان الامر كما تقرر فانتم تسبحون الله تعالى فى الاوقات المذكورة وهو فى معنى الامر بالتسبيح فيها وكذا قوله تعالى وله الحمد اخبار فى معنى الامر بالثناء عليه فكانه قيل اذا تقرر ذلك فعليكم بتسبيح الله تعالى وتحميده اللذين يوصلان الى الوعد وينجيان من الوعيد * وقوله التى تظهر فيها قدرته اشارة الى وجه تخصيص هذه الاية بالتنزيه وقوله وتتجدد فيها نعمته اشارة الى وجه تخصيصها بالثناء (قوله اودلالة) عطف على قوله اخبار فى معنى الامر لا على مجرد كونه اخبارا لما بينا ان كونه جواب الشرط يستلزم كونه اخبارا البتة وانما الاحتمال فى كونه فى معنى الامر او لمجرد الدلالة على ان ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على تنزيهه تعالى عن سمات العجز والامكان واستحقاقه الحمد والثناء بكل لسان من السن الملائكة والانس والجان (قوله لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر) من حيث انه يتبدل فيهما احد الضدين بالاخر كتبدل الظلمة بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الحياة بما يشبه الموت وبالعكس واصبح وامسى من الافعال الناقصة الا ان قوله تمسون وتصبحون فى الاية من الافعال التامة بمعنى تدخلون فى المساء وتدخلون فى الصباح

(وكنا)

وكذا تظهرون اى تدخلون فى الظهيرة (**قوله** وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح) وتخصيص الحمد بالعشى والظهيرة مبنى على كون قوله وعشيا معطوفا على قوله فى السموات والارض لانه لو كان معطوفا على قوله تمسون كما ذهب اليه عامة المفسرين لكانت الاوقات المذكورة باسرها اوقات التسبيح ولكان المعنى سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون وحينئذ يكون قوله وله الحمد اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة الاعتراض التنبيه على انهم انما يسبحون فى هذه الاوقات بتمكين الله تعالى اياهم وتوفيقه لهم فعليهم ان يحمدوا الله تعالى اذا سبحوه كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم (**قوله** وعن ابن عباس رضى الله عنهما) عطف من حيث المعنى على قوله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى فانه بمنزلة ان يقال المراد بالتسبيح التنزيه وهذا المعطوف بمنزلة ان يقال المراد به الصلاة بطريق تسمية الشئ باسم ما فيه وما بعده من الاحاديث تؤيد كون التسبيح على اصل معناه فانه اذا قيل سبح فلا يكون الا انه قال سبحان الله وكذا كبر وحوقل معناهما قال الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله (**قوله** وقرئ حينا) بالتنوين فتكون الجملة بعده صفة له بحذف العائد كما فى قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده اى لا يجزى فيه ثم انه تعالى بين استحقاقه للتحميد والتسبيح ببيان انه يخرج احد الضدين من الآخر وبيان ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرته فقال يخرج الحى من الميت الى آخره فهذه الآية كالدليل على قوله الله يبدئ الخلق ثم يعيده (**قوله** تعالى ومن آياته) خبر مقدم لقوله ان خلقكم اى ومن آياته الدالة على كمال قدرته المستلزم اوحدانيته وتفرده فى الالوهية خلق اصلكم من تراب ثم بثكم ونشركم على وجه الارض وثم للتراخى الرتبى بين بثهم وانتشارهم فى الارض وبين كونهم مخلوقين من اصل واحد واذا المفاجأة للدلالة على ان ذلك البث والانتشار لم يكن بعد انقضاء زمان مديد منذ زمان خلق اصلكم (**قوله** تنتشرون) صفة لبشر لان المراد به الجنس (**قوله** لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام) اى من عظم جنبه جعل ضمير لكم وانفسكم متناولا لآدم عليه الصلاة والسلام ولمن بعده من آباء النساء فهم اموات لا يصلحون للخطاب بطريق تغليب الاحياء على الاموات اذ مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد على الآحاد غير مرعى فى هذا التوجيه والظاهر انه جعل ذلك الاصل اكثريا لا كليا (**قوله** او لانهن من جنسهم) يعنى ان قوله من انفسكم بمعنى من جنسكم كما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها فان سكون النفس وميل القلب لا يتوقف على كون المسكون اليه منفصلا منه وانما يتوقف على الاتحاد فى الجنس فان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الآخر (**قوله** حالة الشبق وغيرها) لف ونشر على ترتيب قوله مودة ورحمة فان كل واحد من الزوجين يود صاحبه حال شبابهما وغلبة شهوتهما ويعطف عليه ويرحمه حال كبرهما رعاية لحق قدم المصاحبة وان انقطعت حاجة نفسه اليه فان العطف الواقع فى تلك الحال ليس بسبب المحبة وانما هو بسبب الرحمة (**قوله** او بان تعيش الانسان الى آخره) ناظر الى قوله او بين افراد الجنس مع قطع النظر عن علاقة الازواج (**قوله** لقوله ورحمة منا) قال تعالى فى حق عيسى عليه السلام ولنجعله آية للناس ورحمة منا والمراد بها عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية ورحمة (**قوله** تعالى ان فى ذلك) اى فيما ذكر من خلق الازواج وجعل المودة والرحمة بين الزوجين لآيات لقوم يتفكرون فى عظمة الله تعالى وقدرته فانه تدبير عجيب فى بقاء نوع الانسان بتعاقب اشخاصه وفى ضمن هذا التدبير خلق البشر السوى من شئ يسير من المنى وتربيته فى بطن امه تسعة اشهر من غير خادم يخدمه ويقوم بمصالحه ثم اخراجه من بطن امه مع سلامة نفسه وامه آيات عجيبة تدل على كمال عظمة الله تعالى وقدرته فان ذلك لو كان من عند غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا فان الولد لو سل من موضع ضيق بغير اعانة الله تعالى لمات (**قوله** تعالى ومن آياته) الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث والاحياء خلق السموات ورفعها فى الهواء واقرارها فيه من غير عمد وخلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح وكانت العرب مقرين بان الله تعالى هو المنفرد بخلقهما فبكتهم الله تعالى بان من قدر على خلقهما وعلى ما فيهما من عجائب الصنعة وبدائع الخلقة فلا يكون الا منفردا بالالوهية والربوبية قادرا على احياء الموتى ومجازاتهم على الاحسان والاساءة وفسر اختلاف الالسنة باختلاف اللغات لان انفس الالسنة ليست مختلفة بل هى على هيئة واحدة (**قوله** بان علم كل صنف لغة) على ان تكون اللغات باسرها توقيفية لا اصطلاحية كما ذهب اليه الجمهور وقوله او الهمه وضعها على ان تكون اصطلاحية ثم ان التعليم لا يتوقف على تقدم اللغة وجريان

وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشيت العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحى) النطفة والبيضة او يعقب الحياة بالموت وبالعكس (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة بالموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (ومن آياته ان خلقكم من تراب) اى فى اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر (وجعل بينكم) اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما فى ذلك من الحكم

(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها واقدره عليها اواجناس نطقكم واشكاله فانه لاتكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية (والوانكم) بياض الجلد وسواده اوتخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لامحالة (ان فى ذلك لايات للعالمين) لاتكاد تخفى على عاقل من ملك اوانس اوجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الاالعالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما اومنامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة (ومن آياته يريكم البرق) مقدر بان كقوله شعر

الايهذا الزاجرى احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

الاصطلاح عليها والالتوقف ذلك الاصطلاح على لغة متقدمة واصطلاح سابق وهلم جرا فاما ان يدور او يتسلسل بل طريق التعليم ان يخلق الله تعالى فى كل صنف علما ضروريا بتلك الالفاظ وبتلك المعانى وباختصاص كل لفظ من تلك الالفاظ بواحد من تلك المعانى والضرورى ههنا بمعنى الاولى الحاصل بمجرد التفات العقل من غير ان يتوقف على شئ آخر من حدس اوتجربة اوالهام وهو القاء المعنى فى القلب سواء القاه الله بالذات اوبواسطة الملك فالعلم الضرورى باى لفظ موضوع لاى معنى مقابل بل لما يحصل بالالهام (قوله اواجناس نطقكم)اى ويحتمل ان يكون المراد باختلاف الالسنة اختلاف الكيفيات العارضة للاصوات والالفاظ المنطوقة مع اتحاد اللغة فانك لاتكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا فى جهارة ولا فى حدة ولالين ولافصاحة ولا لكنة ولانظم ولااسلوب ولاغير ذلك من صفات النطق واحواله وكذا اختلاف الوانهم وصورهم وهيئاتهم مع انهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة وان اصل الكل واحد وهو الماء والتراب فاختلاف النغمات واللغات وتفاوت الالوان والكيفيات بحيث لايشبه وجه وجها على اتحاد الصورة ولاتشبه نغمة نغمة على اتحاد الالة دليل واضح على كمال قدرته ونفاذ مشيئته ولطف حكمته فان تمايز الاقارب والاجانب وتعارف اصحاب المعاملات بعضها مع بعض يتوقف على ماذكر من الاختلاف فانه لواتفقت الافراد الانسانية بحسب العوارض والمتخصصات لوقع الاشتباه والالتباس بينهم ولأدى الى تعطيل الامور الجمة والمصالح الكثيرة (قوله وحلاها)جمع حلية بمعنى الصفة (قوله لاستراحة القوى النفسانية)وهى بحسب القسمة الاولى قوتان محركة ومدركة والمحركة اثنان شهوية تجذب بها النفس مايلائمها وغضبية تدمع بها مالايلائمها والمدركة عشر خمس منها الحواس الظاهرة وخمس منها الباطنة الحس المشترك الذى يجتمع فيه صور جميع المحسوسات والخيال الذى هو خزانة الحس المشترك والوهم الذى به تدرك النفس المعانى الجزئية والمتصرفة التى هى مناط التركيبات والتحليلات ويتعلق بها استنباط الصنائع العجيبة والافكار الغريبة والذاكرة وهى خزانة الصور الوهمية كما ان الخيال خزانة الصور الحسية * وللنفس قوى اخر لامدركة ولامحركة وتسمى القوى الطبيعية وهى سبع الغاذية التى تتصرف فى مادة الغذاء وتوصل الاغذية الى اعضاء المتغذى والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة وللنفس ثلاث قوى سوى هذه القوى المذكورة وهى روح حيوانى وروح طبيعى وروح نفسانى والروح الحيوانى هو البخار اللطيف الحاصل من غليان الدم الكائن فى تجويف الصنوبرى وذلك البخار مثبت فى الجانب الايسر من اللحم الصنوبرى والذى انفصل منه واتصل بالكبد يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة والطبخ والافعال النباتية والذى يتصاعد منه الى جانب الدماغ بواسطة الشرايين يسمى روحا نفسانيا وتنوط به الافعال الحيوانية وهو لغاية لطافته يسرى وينفذ فى جميع العروق والاعضاء والله اعلم * ولا شئ من القوى الطبيعية تتعطل بالنوم حتى يكون النوم استراحة لها لكنها تتقوى بسببه بخلاف القوى النفسانية فان اكثرها يتعطل بالنوم فيكون النوم سببا لاستراحتها ولما لم يكن النوم مختصا بالليل لكون القيلولة وقت الظهيرة عادة اكثر الناس وكذا لم يكن طلب المعاش مختصا بالنهار لوقوعه فى الليل ايضا قدم احتمال ان لاتكون الآية من قبيل اللف والنشر حيث قال منامكم فى الزمانين وطلب معاشكم فيهما ثم ذكر احتمال كون الآية من باب اللف حيث ذكر فى تفسيرها مايدل على اختصاص كل واحد من الزمانين بواحد من الفعلين فقال اومنامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فخص كل واحد من الفعلين بزمان على حدة واقتصر على عطف احد الفعلين على الآخر ولم يعطف احد الزمانين على الآخر بل خص كل زمان بما وقع فيه من الفعل ليظهر ان النظم وارد على طريق اللف ثم قال فلف اى ذكر الزمانين ثم ذكر ماوقع فى كل واحد منهما من غير تعيين ان ماوقع فى كل واحد منهما اى فعل من الفعلين المذكورين اعتمادا على كون التعيين معلوما للسامع فان اللف عبارة عن ذكر متعدد مع ذكر ماللكل من آحاد ذلك المتعدد من غير تعيين اعتمادا على ان السامع يرد ماللكل من آحاد المتعدد المذكور الى ماهو له ثم قال ويؤيد الاحتمال الثانى قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا (قوله فان الحكمة فيه) اى فى جعل الزمانين محلا للفعلين ظاهرة اشار به الى وجه تخصيص هذه الآية بقوله لقوم يسمعون والآية السابقة بقوله لقوم يتفكرون (قوله مقدر بان) المصدرية حتى تكون مع مافى حيزها مبتدأ وماقبلها خبره على وفق نظائره ولما حذفت ان بطل عملها وعاد الفعل مرفوعا كما فى قوله * الايهذا الزاجرى احضر الوغى * ويروى

برفع احضر ونصبها وحسن حذف ان فيه لدلالة مابعده عليه وهو قوله * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى *
وقد ينزل الفعل بنفسه منزلة المصدر كما فى قوله * تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * اى سماعك به وهو مثل يضرب
للرجل الذى له صيت فى الناس فاذا رأيته ازريته قيل المعيدى تصغير معدى منسوب الى معد خففت الدال استثقالا
للجمع بين التشديد و بين ياء التصغير فتقدير الاية على تقدير ان ينزل الفعل منزلة المصدر اى ومن آياته اراءتكم البرق
ووجه كونها آية ان السحاب ليس فيه الا الماء والهوآء وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال فى غاية البعد فلا بد له
من خالق قادر على جميع مايشاء ثم ذكر لارتفاع يريكم وجها ثالثا وهو كونه صفة لمحذوف والتقدير ومن آياته آية
يريكم الله تعالى بها البرق فحذف الموصوف وعائده كما فى قول الشاعر

فما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

اى فمنهما تارة اموت فيها (قوله على العلة لفعل يلزم المذكور) لا لنفس الفعل المذكور لان شرط انتصاب
المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والله تعالى منزه عن الخوف والطمع فاحتيج الى ان يقال فى تأويل
الآية يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا على طريقة اقامة عاقبة الفعل مقام علته (قوله قيامهما باقامته
لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما) فان السماء وان كانت تتحرك حركة وضعية الا انها ثابتة فى حيزها لا تخرج عنه
ولا يميل بعض جوانبها بل تثبت على الهيئة التى خلقت عليها من غير عمد ترونها وكذا الارض مع غاية ثقلها
تثبت فى مكانها ولا تنزل ولا تسفل وما يمسكهما الا الله القادر على مايشاء ولم يفسر قوله تعالى بامره بان يقول
اى بقوله لهما قوما فى حيزكما مع انه هو الاوفق لقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون لان كون
الامر سببا لقيام الجمادات او تكونها لا يخلو عن بعد فجعل الامر بالقيام مجازا عن الاقامة وارادة القيام بان
شبه تكون الكائنات عند تعلق الارادة بتكونها بامتثال المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فعبر عن تعلق
الارادة بالامر للمبالغة فى الدلالة على كمال القدرة والاستغناء عن مزاولة الآلة وليس هناك امر اصلا حتى يقال
الامر الذى للتكوين مستلزم للارادة بالاتفاق بيننا وبين المعتزلة بخلاف الامر الذى للتكليف فانه مستلزم للارادة
عندهم (قوله عطف على ان تقوم على تأويل المفرد) يعنى ان مابعد كلمة ثم جملة شرطية عطفت على المفرد
اقامة لها مقام المفرد لافادتها فائدة المفرد على اسلوب قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان
آمنا فانه فى معنى وأمن داخله وفائدة هذا الاسلوب الاشعار بانه مع كونه آية مستقلة خارجة من عداد ماسبق
من الآيات حكم مقصود بذاته مع قطع النظر عن كونه آية (قوله ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب
الاولى) لاشتراكهما فى الدلالة على التعقيب (قوله منقادون لفعله فيهم) يعنى ان المراد بالقنوت الانقياد فيدل
على جميع ما اراد الله تعالى فى حقهم وما فعل بهم من الاحياء والاماتة والصحة والسقم والحركة والسكون وغير ذلك
لا الانقياد برعاية ما كلفوا به من امتثال الاوامر والاجتناب عن المعاصى وهو دليل على وحدانيته لان جميع
الكائنات لما كانوا منقادين لارادته ومشيئته ثبت انه لا شريك له اصلا لان الشريك يكون منازعا للشريك
الآخر فى مقتضى ارادته ثم استدل على الاصل الاخر وهو القدرة على الحشر والاعادة بقوله وهو الذى يبدأ الخلق
ثم يعيده (قوله ولذلك) اى ولعدم كون شئ اسهل من شئ بالنسبة الى قدرة الله تعالى وان كل واحد من
الابدآء والاعادة مساوى للاخر بالنسبة اليه تعالى قيل ضمير عليه للخلق اى والعود اهون على الخلق وهذا على
تقدير ان يكون اهون للتفضيل فانه يدل على كون الاعادة اهون عليه من الابدآء وليس كذلك واما اذا كان صفة
بمعنى هين كقوله الله اكبر فحينئذ لا حاجة الى التوجيه لانه لا يدل على كون بعض الممكنات اهون من بعض بالنسبة
الى قدرته تعالى (قوله اى الوصف العجيب الشان) استعير لفظ المثل من معناه العرفى وهو القول السائر المشبه
مضربه بمورده للوصف العجيب تشبيها له بالمثل السائر لانه لا يضرب الا ما فيه غرابة وامر عجيب وقوله فى السموات
متعلق بما تعلق به قوله وله او بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل ومعنى ثبوته له تعالى فى السموات
والارض انه تعالى عرف ووصف به فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل ثم انه تعالى لما استدل على
وحدانيته بقوله وله من فى السموات والارض شرع فى بيانها بالمثل فقال عز من قائل ضرب لكم مثلا من انفسكم
اى بين الله لكم ايها المشركون مثلا اى شبها لحالكم التى هى اثبات الشريك لله تعالى وذلك الشبه منتزع من
احوال انفسكم ومن الاحوال التى لا ترضونها فى حقكم ضرب به لتقريب الامر من افهام المشركين ثم بين ذلك المثل

اوالفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى
خير من ان تراه اوصفة لمحذوف تقديره آية يريكم
بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما - اموت
واخرى ابتغى العيش اكدح (خوفا) من الصاعقة
للمسافر (وطمعا) فى الغيث للمقيم ونصبهما على
العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم
اوله على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع
او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك
فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها
(وينزل من السماء ماء) وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بالتخفيف (فيحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها)
يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون
عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها
ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته ان
تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما
وارادته لقيامهما فى حيزهما المعين من غير مقيم
محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة
والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل
المفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض
بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة
فيقول ايتها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة
ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف
واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى
المطاع على دعائه وثم اما للتراخى زمانه او لعظم مافيه
ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل
الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان مابعد اذا لا يعمل
فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب
الفاء فى جواب الاولى (وله من فى السموات والارض
كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه
(وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو
اهون عليه) والاعادة اسهل عليه من الاصل
بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما
عليه سوآء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى
هين وتذكير هو لأهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد
(وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به
الوصف بالواحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره
مايساويه او يدانيه (فى السموات والارض) يصف به
مافيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى
لا يعجز عن ابدآء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى
الافعال على مقتضى حكمته

ذقال هل لكم مما ملكت ايمانكم ومن فى قوله من انفسكم لابتدآء الغاية وهو فى موضع الصفة لمثلا اى مثلا مأخوذا منها ومن فى قوله مما ملكت للتبعيض والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من شركاء لانه فى الاصل نعت نكرة هى شركاء والتقدير هل لكم شركاء كائنون مما ملكت ايمانكم فلما قدم عليها انتصب على الحال ومن فى قوله من شركاء مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى فانها لا تزاد فى الاثبات الا عند الاخفش والجار مع المجرور فى محل الرفع على انه مبتدأ ولكم خبره قدم عليه وقوله فانتم فيه سوآء جملة من مبتدأ وخبر فى موضع فعل وفاعل وهما فتستووا وقوله فيه متعلق بسوآء ومحلها النصب على جواب الاستفهام الذى بمعنى النفى كانه قيل هل لكم من كيت وكيت فتستووا والمعنى انهم لا يملكون فيساووكم هذا ماذكره ابو البقاء بقوله فانتم فيه سوآء جملة اسمية فى موضع نصب جواب الاستفهام اى هل لكم فتستووا انتهى كلامه بعبارته وفيه نظر لانه كيف يجوز ان تجعل الجملة الاسمية حالة محل الجملة الفعلية ويحكم على موضع الاسمية بالنصب باضمار ناصب وهذا لا يجوز الا ان يقال ان احكم بهذه الجملة الاسمية جواب الاستفهام المذكور قبله وهذا كلام حق (**قوله تعالى** فانتم فيه سوآء) اى هل انتم ومماليككم فى شئ تملكونه انتم سوآء وليس كذلك ولما لم يكن لله تعالى شريك فى شئ كان لا يملك الذى تدعون الهيته شيئا اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه وقوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما انه خبر ثان لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضا ايها الاحرار السادات والمراد نفى الاشياء الثلاثة اعنى الشركة والاستوآء مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد نفى ثبوت الشركة ونفى الاستوآء والخوف كما هو احد الوجهين فى قولك ما تأتينا فتحدثنا بمعنى ما تأتينا محدثا بل تأتينا ولا تحدثنا بل المراد نفى الجميع كما تقدم والوجه الثانى ان تخافونهم فى محل النصب على انه حال من ضمير الفاعل فى سوآء اى فانتم فيه مستوون خائفين عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الاحرار الذين هم امثالكم اذا كان بينكم وبينهم شركة فاذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم فى المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له واعلم ان المثل لابد ان يشابه الممثل به من وجه ويخالفه من وجه آخر ووجه المشابهة ههنا ظاهر واما وجه المخالفة فقد اشير اليه فى الآية بوجوه الاول اشير اليه بقوله من انفسكم اى من نسلكم مع حقارة انفسكم ونقصانها وعجزها وجلالته تعالى وعظمته وقدرته وكماله واشير الى الثانى بقوله مما ملكت ايمانكم اى من عبيد لكم عليهم ملك اليد الطارى القابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو فى الحال مثلكم فى الادمية حتى انكم ليس لكم تصرف فى روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله تعالى الذى لا يتصور خروجه عن ملك الله تعالى وهو مملوك له من جميع الوجوه شريكا له واشير الى الثالث بقوله من شركاء فيما رزقناكم يعنى فى الذى هو فى الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم وفى ظاهر الامر فكيف يجوز ان يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شئ فهو لله تعالى وما تدعون الهيته لا يملك شيئا اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لانه اذا لم يكن لما ملكت ايمانكم مع مساواته اياكم فى الحقيقة والصفة حرمة عندكم كحرمة الاحرار فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك الحق بوجه من الوجوه هل يتصور ان يكون لهم حرمة عند المالك المطلق والى هذا اشير بقوله تعالى تخافونهم كخيفتكم ثم انه تعالى لما بين بطلان الشرك بما ضربه من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية وبعدما بين حسن ذلك التمثيل بقوله وكذلك نفصل اى مثل ذلك التفصيل العجيب والبيان الغريب نبين الآيات قال بل اتبع الذين ظلموا اهوآءهم اى لكن الذين اشركوا اتبعوا اهوآءهم فيما ذهبوا اليه من الشرك من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة الله تعالى حيث قال فمن يهدى من اضل الله اى هؤلاء اضلهم الله فلا هادى لهم فلا يحزنك شأنهم ثم قال اذا بان لك بطلان الشرك بما وضحنا لك من الآيات فاقم وجهك للدين حنيفا اى غير ملتفت يمينا وشمالا هذا على ان يكون حنيفا حالا من فاعل اقم او غير ملتفت عنه على ان يكون حالا من الدين والحنيف من الحنف وهو الاعوجاج فى الرجل بان تقبل احدى ابهامى رجليه على الاخرى والرجل احنف وقد سمى المسلم المستقيم فى امر الدين حنيفا بطريق تسمية احد الضدين باسم الآخر تلميحا كما يسمى الغراب اعور او لكونه مائلا

(ضرب لكم مثلا من انفسكم) منتزعا من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم (هل لكم مما ملكت ايمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم فيه سوآء) فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتدآء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى (تخافونهم) ان يستبدوا بتصرف فيه (كخيفتكم انفسكم) كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الايات) نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (اهوآءهم بغير علم) جاهلين لا يكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه (فمن يهدى من اضل الله) فمن يقدر على هدايته (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم من آفاتها

الى الدين الحق فى كل حال وكل وقت (قوله وهو تمثيل) لان الدين هو الاقبال على طاعة الله تعالى بالجنان واللسان والاركان وهو ليس من قبيل الاعيان الخارجية حتى يتصور تقويم الوجه اليه حقيقة فلذلك جعله من قبيل التمثيل بمعنى انه شبه اقبال القلب على الدين وثباته عليه واهتمامه برعاية حدوده واركانه باقبال الشخص الى موضع معين وقصده اياه وتقويم وجهه الى سمته معتقدا بانه لو انحرف عنه ضل عن مقصده فعبر عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه اقم (قوله نصب على الاغرآء) اى الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او على المصدر اى المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله اى فطركم الله فطرة فسر الفطرة بالخلقة ثم بين ان المراد بها احد ثلاثة اوجه فتكون الخلقة على جميع تلك الوجوه بمعنى ما خلق عليه المكلف الوجه الاول ان تكون الفطرة عبارة عن قبولهم الحق وتمكنهم من ادراكه فانه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا عليها لاستمروا على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول ويقتضيه النظر الصحيح ولا يعدل عنه احد الا بآفة عارضة كالتقليد واغوآء شياطين الانس والجن فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام كل من يولد يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يارسول الله افرأيتم من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا يعملون قال الامام القاشانى فى تاويلاته قوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الاعلى بالفردانية فى الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد فى معناه هو لا اله الا الله فاقم وجهك للدين التوحيد والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ما سوى الحق قائما بالحق والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره حنيفا مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التى هى طريق الاغيار والانداد لمن اثبت غيره باشراكه بالله فطرة الله اى الزموا فطرة الله وهى الحال التى فطرت الحقيقة الانسانية عليها من الصفاء والتجرد فى الازل وهى الدين القيم ازلا وابدا لا يتغير ولا يتبدل عن الصفاء الازلى ومحض التوحيد الفطرى وتلك الفطرة الازلية ليست الا من الفيض الاقدس الذى هو عين الذات من وقع عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق وانما يقع الانحراف والاحتجاب من غواشى النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلق والتربية والعادة اما الاول فلقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى واما الثانى فلقوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه لا ان تتغير تلك الحقيقة فى نفسها عن الحالة الذاتية فانه محال وذلك معنى قوله لا تبديل لخلق الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون تلك الحقيقة انتهى كلامه قدس سره * والوجه الثانى ان تكون الفطرة عبارة عن الدين الذى هو ملة الاسلام فان الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان كل واحد منهما عبارة عما شرعه الله تعالى لعباده وسنه لهم على لسان انبيائه ليتوصل به الى اجل ثوابه الا ان ذلك يسمى ملة باعتبار انه تعالى انزل فى حقه ما يمليه العباد ويكتبونه ويتدارسونه فيما بينهم لان الملة من املات الكتاب اى امليت ويسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنه وانقيادهم لامره من قولهم دان له اى ذل واطاع والناس مفطورون على ملة الاسلام ضرورة انهم مخلوقون على قبول ما تطابقت الادلة العقلية على حقيته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الاسلام الى ان صرفهم عنه صارف فالظاهر على هذا الوجه ان يكون فطرة الله منصوبا على الاغرآء اذ ليس لقولنا فطرهم الله فطرة هى الاسلام وجه ظاهر * والوجه الثالث ان يراد بالفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لا عبرة بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والعقل الا ترى انه عليه الصلاة والسلام بقوله يهودانه وينصرانه جعله فى حكم ابويه مع وجود هذا الايمان الفطرى فيه (قوله لا يقدر احد ان يغيره) على تقدير ان يراد بفطرة الله خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام فان خلقهم على هذه القابلية امر تعلق به قضاء الله تعالى وارادته فمن يقدر على تغييره (قوله او ما ينبغى ان يغير) على تقدير ان يراد بها الاسلام او الاقرار الفطرى فيكون لا تبديل نفيا فى معنى النهى (قوله اذا رجع مرة بعد اخرى) مبنى على ان همزة اناب

(فاقم وجهك للدين حنيفا) فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغرآء او المصدر لما دل عليه ما بعده (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستوى الذى لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى

افعل من التوبة (**قوله من الناب**) وهو السن فكان القائل جعل همزة اناب للصيرورة بمعنى صار ذاناب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع اليه تعالى (**قوله تعالى ولاتكونوا من المشركين**) قيل انه متصل بما قبله والمعنى فاقيموا الصلاة ولاتتركوها فتشوم تركها قد يفضى الى الكفر قال محمد بن اسلم الطوسى بلغنى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال من ترك صلاة متعمدا فقد كفر وقد كان بلغنى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه وان خالفه فردوه فطلبت صحة الحديث الاول فى القرآن ثلاثين سنة حتى وجدته فى هذه الآية كذا فى التيسير (**قوله ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل**) والتقدير كل حزب فرحون بما لديهم كائنون من الذين فرقوا دينهم وجعلوه اديانا مختلفة على حسب اختلاف اديانهم وانما رفع فرحون على انه صفة كل وان كان الشائع فى مثله ان يكون تابعا للمضاف اليه لان كلا كاسماء العدد فى ان الوصف الذى يجيئ بعدها ينبغى ان يكون للمضاف اليه فانك تقول جاءنى ثلاثة رجال كاملين ولا تقول كاملون ثم انه تعالى وبخ هذه الفرق المختلفة الاديان بقوله واذا مس الناس ضر اى شدة كالمرض والقحط ونحوهما يعنى انهم يتفقون عند اصابة الضر فى دعاء رب العالمين راجعين اليه من دعاء غيره (**قوله اللام فيه للعاقبة**) اى لم يترتب على اشراكهم سوى الكفر بنعمة الانجاء من تلك الشدة ثم انه تعالى اضرب عن تقريعهم على اشراكهم حال الرخاء وانابتهم اليه حال الشدة الى تقريعهم بوجه آخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال ام انزلنا عليهم سلطانا فان ام فيه منقطعة والهمزة التى فى ضمنها للانكار اى انزلنا عليهم حجة تتكلم اى تدل وتشهد باشراكهم به اى بالله تعالى وصحته ويحتمل ان تكون ام متصلة ويقدر عديلها قبلها والتقدير ايشركون بمجرد التشهى واتباع الهوى ام انزلنا عليهم سلطانا فهم لذلك معذورون فى الشرك فى الرخاء مع اضلالهم فى الشدة (**قوله اوبالامر الذى**) على ان تكون ما فى قوله بما كانوا موصولة وان يكون المراد بالسلطان ملك معه برهان لان نفس الحجة لا تتكلم بالامر الذى بسببه يشركون فان المراد بالامر دليلهم الذى اشركوا بسببه ثم ذكر من جملة قبائحهم بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة فقال واذا اذقنا الناس يعنى الكفرة رحمة فرحوا بها فرح البطر وتركوا الشكر وان تصبهم سيئة اى امر يسوءهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم اى بسبب معاصيهم سواء كسبوها بايديهم ام لا وقيدها باليد اقامة للاكثر مقام الكل واتباعا للاقل بالاكثر لان اكثر المعاصى يقع باليدين لم يذكر الله تعالى ما يكون سببا لاذاقة الرحمة وذكر سبب اصابة السيئة اياهم لان الاول تفضل من الله تعالى ورحمة محض لايقتضيه شئ من اعمال العبد بخلاف الثانى فانه مقتضى العدل فانه تعالى يجازى المعصية بما يماثلها من العقوبة فان قيل الفرح بالنعمة مامور به لقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكيف ذمهم ههنا على الفرح بالرحمة اجيب بان المأمور به الفرح برحمة الله تعالى من حيث انها مضافة اليه والمذموم ههنا هو الفرح بنفس الرحمة حتى لوكان المطر مثلا من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله ولاشك ان قصر النظر على نفس النعمة مقتضى البهيمية بخلاف الفرح الناشئ من تذكر المنعم اياها وملاحظة ان المنعم نظر اليه بعين الرأفة ونظر الرضى وفرق بين الفرحين ثم انه تعالى انكر على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم حال البلاء فقال اولم يروا ان الله يبسط اى كيف يفرحون ويقنطون حالى السراء والضراء اولا يعلمون ان ضر المرء ليس لهوانه على الله تعالى ولاسعته لكرامته عليه لكنه تعالى يمتحن عباده بما يشاء من العسر واليسر فعلى العبد ان يشكر حال السراء ويصبر على الضراء ويشتغل بالافتقار اليه فى الحالين لان ينطقع عنه ويتعلق بالنعمة ولاان ييأس من رحمته حال النقمة (**قوله كصلة الرحم**) يعنى انه ليس المراد بحق ذى القربى حقا كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة بالبر كما فى قوله تعالى مالنا فى بناتك من حق اى حاجة قال قتادة اذا كان لك ذو قرابة فلم تصله من مالك ولم تمش اليه برجلك فقد قطعته وقال الزجاج وكأن فرائض المواريث نسخت هذا واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه فى وجوب النفقة للمحارم من ذوى القرابة اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعن الامام الشافعى رضى الله عنه لانفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين والمسكين اذا وقع فى ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن ممن تجب عليه الزكاة وكذلك من انقطع فى مفازة ومع آخر دابة يمكنه ان يوصله بها الى من يلزمه ذلك واختلف فى ابن السبيل فقيل المراد به المنقطع عن ماله فيعان

وقيل منقطعين اليه من اناب وهو حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله اوفى اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله (واتقوه واقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين) غيرانها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوآئهم وقرأ حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى امروا به (وكانوا شيعا) فرقا تتابع كل امامها الذى اصل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا (واذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذى عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غيرانه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض (ام انزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق اونطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته اوبالامر الذى بسببه يشركون به والوهيته (واذا اذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت ايديهم) بشؤم معاصيهم (اذاهم يقنطون) فاجاؤا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائى بكسر النون (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم

واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غيرمشعربه (والمسكين وابن السبيل) ماوظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اولمن بسطاله ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خيرللذين يريدون وجه الله) ذاته اوجهته اى يقصدون اياه بمعروفهم خالصا اوجهة التقرب اليه لاجهة اخرى (واولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بمابسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربوا) زيادة محرمة فى المعاملة اوعطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربوا (ليربو فى اموال الناس) ليزيد ويزكوفى اموالهم (فلايربو عند الله) فلايزكو عنده ولايبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اى لتزيدوا اولتصيروا ذوى ربوا (وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فاولئك هم المضعفون) ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار اوالذين ضعفوا ثوابهم اواموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ماموصولة تقديره المضعفون به اوفمؤتوه اولئك هم المضعفون

حتى يصل الى ماله وقيل المراد به الضيف الذى ينزل به فيحسن اليه الى ان يرجع ويرتحل وقيل اراد بحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما فى آية الصدقة (**قوله** وجوب النفقة للمحارم) اراد به المحارم بسبب القرابة فان مجرد المحرمية لاتوجب النفقة بالاجماع كالمحرمية بسبب الرضاع والمصاهرة كمالايوجبها مجرد القرابة بدون المحرمية فان من كان ذارحم ولم يكن محرما كاولاد العم والخال لاتجب النفقة لهم (**قوله** وهو غير مشعر به) لان الظاهر انه امر بتوفير حقهم من الصلة فان صلة الرحم من الواجبات المؤكدة وحمله على الامر بالانفاق مع ان الظاهر كونه امرا بتوفير حقهم من الصلة لاوجه له ولاسيما ان المراد بايتاء المساكين وابن السبيل التصدق عليهما بالانفاق مع ان تخصيص ذوى القربى بذى الرحم المحرم تخصيص بلامخصص (**قوله** ولذلك) اى ولكون الخطاب لماذكر رتب قوله فآت على ماقبله بالفاء فان الخطاب على تقدير كونه للنبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه امته اذالم يكن الحكم المخاطب به من خصائصه عليه الصلاة والسلام ويكون تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالخطاب تعظيما له فكانه قيل اذا علمتم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لاينبغى لكم التوقف فى الاحسان الى المحتاجين فانه تعالى اذاشاء ان يبسط لكم الرزق فظاهر انه لاينتقص بالانفاق وان شاء ان يضيق عليكم فلايزداد بالامساك فلايحصل لكم بالامساك الادناءة البخل (**قوله** اوعطية يتوقع بها مزيد مكافاة) فان حمل الربا على هذه العطية لايخلو عن بعد لان نفس تلك العطية ليست بزيادة وانما الزيادة مايتوقع بها فلايكون معطيها مؤتيا للربا فضلا عن ان يكون اعطاؤه ليربو فى اموال الغير بل يكون آخذا بخلاف من اعطى اكلة الربا فضلا خاليا عن العوض فانه معطى للربا ليربو اى ليزيد فى اموال من اخذه شيئا فحمل الربا المذكور فى الآية على الزيادة المحرمة ظاهر الا انه لماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ومن عامة اهل التأويل ان المراد بالربا هنا هدية الرجل يهديها ليثاب اكثر منها اقتفى المصنف اثرهم فسمى مهديها مؤتيا للربا ولعل اطلاق اسم الربا عليها لكونها سببا لاخذ الربا كماورد فى الحديث المستغزر يثاب من هبته وهو الذى يطلب اكثر ممايهدى فان الغزارة الكثرة قوله يثاب اى يعوض ويجازى فعلى هذا يكون قوله ليربو مسندا الى ضمير الربا بمعنى العطية والمعنى ليزيد ذلك الربا فى جذب اموال الناس وجلبها وقوله فلا يربو عند الله اى ليس له اجر ثابت عند الله قال اهل التأويل هذا ربا حلال لا وزر فيه الا انه انما يباح فى حق عامة الناس واما فى حق النبى عليه الصلاة والسلام فلايربو لقوله تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام ولاتمنن تستكثر اى لاتعط لتعطى اكثر منه ابتغاء لثواب الدنيا ولكن اعط ابتغاء لثواب الآخرة وقرأ عامة القرآء آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير اتيتم مقصورا وهو يؤل من حيث المعنى الى القرآءة المشهورة لانه يقال آتى معروفا واتى قبيحا اذا فعلهما وقرأ نافع ويعقوب لتربوا بضم التاء الفوقانية وسكون الواو على الخطاب اى لتزيدوا اوتصيروا ذوى زيادة من اموال الناس وقرأ الاخرون بفتح الياء التحتانية ونصب الواو وجعلوا الفعل مسند الى ضمير الربا اى ليزداد (**قوله** تريدون وجه الله) صفة زكاة فلابد فيه من ضمير يعود الى الموصوف اى تريدون بها اوحال من فاعل آتيتم والمقصود من التقييد الاشارة الى ان الاعتبار بالقصد والنية لابنفس الفعل والظاهر ان يقال فانتم المضعفون ليوافق قوله وما آتيتم الا انه التفت الى الغيبة فقيل فاولئك هم المضعفون لكونه امدح لهم من ان يقال انتم المضعفون لما فيه من تشهير امرهم بين خواص خلقه واظهار الرضى عنهم بحسن صنيعهم فكانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم المضعفون ولوقيل فانتم المضعفون لماحصل التشهير المذكور لكونه كلاما جاريا بينهم وبين الله تعالى (**قوله** ذووا الاضعاف) فيكون بناء افعل لصيرورة الفاعل ذاضعف كمافى اعقر بمعنى صار ذاعقر واقوى وايسر بمعنى صار ذاقوة ويسار وعلى الثانى للتعدية كمافى نحو اخرجته (**قوله** وتغييره عن سنن المقابلة) فان مقابلته بقوله وما آتيتم من ربا تستدعى ان يقال فى خبره فيربو ويزداد عند الله وعدل عن عبارة الربا الى عبارة الضعف وعن نظم الفعلية الى نظم الاسمية المفيدة للحصر للمبالغة فى بيان ثوابه (**قوله** اوللتعميم) فانه لو قيل فانتم المضعفون لم يكن الحكم الا على ذوات المخاطبين ولواورد بدل انتم اسم الاشارة لكان المشار اليه المخاطبين لامن حيث ذواتهم بل من حيث كونهم مؤتين للزكاة فيكون المعنى من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون (**قوله** ان جعلت ماموصولة) فانه يجوز ان تكون شرطية وموصولة ويصح دخول الفاء فى الجواب على الوجهين فان كانت شرطية كان محلها النصب بآتيتم وان كانت موصولة كانت فى موضع رفع بالابتداء وعائدها محذوف

اى والذى آتيتموه ويكون قوله فاولئك هم المضعفون خبرا اى جملة خبرية وهذه الجملة لابد فيها من العائد الى المبتدأ فان كان الالتفات فيه للتعظيم يكون تقدير الكلام فاولئك هم المضعفون به وان كان للتعميم يكون التقدير تؤتوه اولئك هم المضعفون على ان مؤتوه مبتدأ ثان واولئك ثالث وهم المضعفون خبر الثالث والجملة خبر الثانى والثانى مع خبره خبر الموصول * ثم انه تعالى ذكر دليل القدرة وفرع عليه صحة الحشر واستدل بذلك على تفرده بالالوهية فقال الله الذى خلقكم الآية فقوله الله مبتدأ خبره الذى خلقكم مع ماعطف عليه والمعنى الله فاعل هذه الافعال الخاصة التى لايقدر احد على شئ منها غيره ومن المعلوم ان من قدر على الابدآء قدر على الحشر والاعادة ومن قدر على جميع ذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد كما دل عليه بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وقوله من شركائكم خبر مقدم ومن فيه للتبعيض ومن يفعل هو المبتدأ ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شئ بعده فانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا ومن الثالثة مزيدة فى المفعول به لانه فى حيز النفى المستفاد من الاستفهام والمعنى ليس من شركائكم من يفعل شيئا من ذلكم على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق (**قوله ويجوز ان يكون الموصول**) اى ويجوز ان يكون قوله الذى خلقكم صفة للمبتدأ ويكون الخبر قوله هل من شركائكم والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ قوله من ذلكم لان معناه من افعاله المختصة به لان المشار اليه بذلكم هو الخلق والرزق والاماتة والاحياء ومن المعلوم انها من افعال الله تعالى (**قوله تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال**) وذلك لان الاستفهام فيه فى معنى النفى ومن المعلوم ان كلمة من الواقعة فى سياق النفى تفيد الشيوع والعموم فالاولى تفيد شيوع الحكم فى جنس الشركاء والثانية تفيد شيوعه فى جنس الافعال فالمعنى ليس شئ من جنس الشركاء من يفعل شيئا من جنس الافعال المختصة به تعالى (**قوله والموتان**) وهو بضم النون موت عام يقع فى المواشى وقيل فى الناس والدواب * والحرق والغرق كل واحد منهما بفتحتين على وزن الشفق اسم بمعنى الاحراق والاغراق * والاخفاق الخيبة يقال اخفق الرجل اذا غزا ولم يغنم واخفق الصائد اذا رجع ولم يصد شيئا وطلب حاجة فأخفق * والغاصة جمع غائص وهو من ينزل فى البحر على اللؤلؤ وكثرة الغرق واخفاق الغاصة مثالان لما ظهر فى البحر من الفساد على ان المراد بالبحر البحر المعهود قيل فساد البحر يكون بقلة المطر فانه اذا قل المطر قل الغوص لان الاصداف تفتح افواهها اذا مطر فاوقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ فظهر به ان قلة المطر كما تفسد البر تفسد البحر وقيل المراد به ههنا المدآئن والقرى التى كانت على شاطئ نهر او بحر وبالبر البرية التى ليست عند نهر او بحر قال السدى البر كل قرية من قرى العرب بائنة من البحار كمكة والمدينة والبحر كالكوفة والشام والبصرة وقيل كانت العرب تسمى الامصار بحارا قيل من اذنب ذنبا يكون جميع الخلائق من الانس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيامة لانه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرر بذلك اهل البحر والبر جميعا روى عن شقيق الزاهد انه قال من اكل الحرام فقد خان جميع الناس قيل اول فساد البر كان من قابيل حيث قتل اخاه هابيل واول فساد البحر كان من جلندى الملك حيث كان يأخذ كل سفينة غصبا قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لايأتى ابن آدم شجرة الاوجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لايفسد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعر مافى الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضه بعضا (**قوله اوالضلالة والظلم**) عطف على قوله كالجدب والموتان اى ويجوز ان يراد بالفساد الظاهر فى البر والبحر فساد الافعال والاخلاق كالظلم والضلالة كما جاز ان يراد به فساد اسباب المعاش كالجدب ونحوه مما فعله الله بهم بشؤم معاصيهم فكلمة ما فى قوله بما كسبت ايدى الناس على الثانى موصولة والباء سببية اشار المصنف اليه بقوله بشؤم معاصيهم وعلى الاول مصدرية اشار اليه بقوله بكسبهم اياه واللام فى قوله تعالى ليذيقهم على الثانى للتعليل والمعنى فعل الله بهم ماظهر من فساد اسباب المعاش كالجدب ونحوه ليذيقهم بهذا الفساد ومحق البركات بعض جزآء ماعملوا وعلى الاول للعاقبة فان ماظهر من الفساد فى افعالهم واخلاقهم ليس غرضهم من كسبه ان يذيقهم الله تعالى وبال ماكسبوا لكن لما ترتب ذلك على كسبهم اياه ترتب العلة الغائية على معلولها دخل عليه لام العلة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ثم انه تعالى لما هدد المفسدين ببيان ان المعصية سبب لتعجيل بعض العقوبة فى الدنيا عقبه بقوله قل سيروا فى الارض لتشاهدوا مصداق ذلك فان اهل مكة لو سافروا منها

(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور (بما كسبت ايدى الناس) بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزآئه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه

الى الشام لشاهدوا ابلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها وعلموا انه تعالى اهلكهم بما كسبت ايديهم وخرب ديارهم واذاقهم بعض جزآء اعمالهم القبيحة فى الدنيا وهو اشعار بما يفعل بهم فى العقبى (قوله استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم) فمعنى الاستئناف على هذا انه تعالى اهلكهم جميعا بفشو الشرك فيما بينهم وانه تعالى اهلك العامة بسبب الشرك وحده وان لم يتفق الكل عليه الا انه لما شاع وغلب فيهم جعل الكل فى حكم المشرك وهلكوا جميعا بسببه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (قوله اوكان الشرك فى اكثرهم الى آخره) فمعنى الاستئناف على هذا انهم اهلكوا جميعا بما كسبت ايديهم ولم يهلك احد من غير معصية الا ان سبب هلاك اكثرهم هو الشرك الظاهر وسبب هلاك الباقين ما دون الشرك من المعاصى كاعتدآء اصحاب السبت ونحوهم ثم انه تعالى لما بين ان المعاصى سبب لسخط الله تعالى فى الدنيا امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يستقيم على الدين القويم تثبيتا للمؤمنين على ما هم عليه الا انه تعالى خاطب به سيدهم تعظيما له ولكونه عليه الصلاة والسلام واسطة بينه تعالى وبين الامة (قوله كما قال من كفر فعليه كفره) يعنى انه بيان لوجه التفرق ببيان انه تعالى غنى عنهم وعن اعمالهم (قوله والاقتصار) جواب عما يقال اذا كان علة ليصدعون كان ينبغى ان يذكر جزآء الكافرين ايضا (قوله فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين) فان عدم محبة الكافر كما يتضمن محبة ضده وارادة اللطف والاكرام به يتضمن ايضا بغض الكافر وارادة الانتقام منه ولا شك ان بغضه تعالى لاحد وارادته الانتقام منه كمال العقوبة ومؤدى الى اسوأ الجزآء والعياذ بالله فاكتفى بهذه الدلالة الضمنية عن التصريح بجزآء الكافرين (قوله وتأكيد اختصاص الصلاح بهم) اصل الاختصاص يفهم من تقييده بقوله عمل صالحا وتأكيده يفهم من وضع الظاهر موضع الضمير فى قوله ليجزى الذين آمنوا فان مقتضى الظاهر ان يقال ليجزيهم فلما وضع الموصول موضع الضمير وجعل الصلاح صلة له اكد به اختصاص الصلاح بهم وتميزهم به عن اضدادهم فقصد بهذا تأكيد تعليل اثبات البغض للكافرين واثبات المحبة للمؤمنين وكونه علة لمجازاة المؤمنين من فضله ظاهر واما كونه علة لبغض الكافرين فلكون اختصاص الصلاح بالمؤمنين يتضمن فساد الكافرين وهو علة لبغضهم والانتقام منهم (قوله وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر) طعن لصاحب الكشاف ووجه الطعن ان الفضل اسم لما يتفضل به من غير استحقاق واستيجاب والاثابة كذلك عند اهل السنة فانه تعالى لا يجب عليه شئ وان المكلف لا يستحق ان يثاب بعمله مع انه سبق من نعم الله تعالى عليه مالم يتهيأ له القيام بشكر واحدة منها فضلا عن ان يقوم بشكر كلها ويستحق بعد ذلك اجرا زائدا عليها بخلاف العقوبات فانها انما تصل الى العبد بحسب استحقاقه لها عدلا والمعتزلة ذهبوا الى وجوب اثابة المطيع على حسب الاستحقاق ولم يتأت لهم القول بان اصل الاثابة تفضل فلذلك فسره صاحب الكشاف بما يتفضل به عليهم بعد توفية الواجب من الثواب اواراد من عطائه (قوله الشمال والصبا) الرياح اربع الجنوب والشمال والصبا والدبور فريح الشمال تجئ من ناحية القطب والجنوب تقابلها والصبا تخرج من جانب المشرق والدبور تقابلها والنكباء ما بين الريحين (قوله يعنى المنافع التابعة لها) اى لبشارتها بالمطر اولنفس الرياح فتكون من قبيل التعميم بعد التخصيص ثم التخصيص بعد التعميم والاول اظهر واولى (قوله والعطف على علة محذوفة) اى يرسل الرياح مبشرات ليبشركم بها وليذيقكم اوعلى مبشرات باعتبار المعنى فان تقييد الفعل بالحال يدل على كونها علة له كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وعلى التقديرين يكون حرف الجر متعلقا بقوله ان يرسل فان جعل من قبيل عطف الجملة على الجملة وكان تقدير الكلام ويرسلها ليذيقكم ولكذا وكذا كان الجار متعلقا بالفعل المضمر المعلل لتجرى ووجه دلالة قوله ولتجرى الفلك على اضمار الفعل ان جريان الفلك وابتغاء الفضل لا يترتبان على ارسال الرياح حال كونها مبشرات بل على ارسالها مطلقا فلما لم يتعلق بالفعل المقيد قدر فعل آخر يتعلق به ليذيقكم وقوله تعالى بامره اشارة الى ان الفلك لا تجرى بطبع الريح بناء على انها قد تكون عاصفة وقد لا تكون ملائمة للمقصد فحينئذ لابد من ارسال السفن والاحسان بحبسها وعلى التقديرين لا تجرى الفلك بنفسها ولا بالرياح بل انما تجرى بارادة الله تعالى وجعله الريح موافقة للمقصد ثم انه تعالى لما بالغ فى تعديد دلائل الواحدانية والقدرة التامة على البعث والجزآء ثم اصر من اصر على الشرك والتكذيب سلى رسوله عليه الصلاة والسلام على وجه يتضمن التهديد والوعيد للمكذبين فقال ولقد

(قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه (كان اكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم اوكان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (فاقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل ان يأتى يوم لا مرد له) لا يقدر ان يرده احد وقوله (من الله) متعلق بيأتى ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) اى وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة ليمهدون اوليصدعون والاقتصار على جزآء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله (انه لا يحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته ان يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله) يعنى تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعارا بان الانتقام لهم واظهارا لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك

ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم والفاء فى قوله فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة تفصح ان فى الكلام مطويا وتقدير الكلام فجاؤهم بالبينات اى بالدلائل الواضحة على صدقهم فى دعوى الرسالة فصدقت طائفة منهم رسولها وآمنت به وكذبه الاخرون واجرموا فانتقمنا من الذين اجرموا بان اهلكناهم وانجينا من آمن منهم بالرسل ولاشك ان اهلاك اعدآئهم وانجاءهم من شر اعدآئهم ومما اصابهم من العذاب نصر عزيز لهم فلذلك قال الله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث انجاهم مع الرسل واهلك المكذبين وقيل فى تفسيره وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث جعل العاقبة للمؤمنين كقوله والعاقبة للمتقين وقيل معناه وكان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج التى اعطاهم اياها اى كان حقا علينا اعطاء الحجج لهم ونصرهم ومعونتهم بالحجج واورد الحديث لتأكيد ان اسم كان هو نصر المؤمنين وان المعنى دمرنا المجرمين نصرة للمؤمنين واظهارا لكرامتهم وعلى تقدير ان يوقف على حقا يكون اسم كان ضمير الانتقام وهو خلاف مايدل عليه الحديث لانه عليه الصلاة والسلام ذكر انه كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم واستدل عليه بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (**قوله فى سمتها**) اى فى جهة السماء وجوها لافى نفسها كقوله وفرعها فى السماء (**قوله مطبقا**) من قولهم طبق الغيم تطبيقا اذا اصاب مطره جميع الارض ومطر طبق اى عام والكسفة القطعة من الشئ وتجمع على كسف بفتح السين مثل حكمة وحكم والكسف بالسكون يجوز ان يكون مخففا منه ويجوز ان يكون صيغة اخرى لجمع كسفة قال الجوهرى يقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا والكسف بالفتح مصدر كسفت البعير اذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب اذا قطعته ولم يذكر كون الكسف بالكسر مصدرا (**قوله تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر**) لاخفاء فى دلالة التكرير على التأكيد ووجه دلالته على بعد عهدهم بالمطر انه لما صرفت العناية الى بيان قبلية الابلاس وتقدمه على نزول المطر بتكرير مايدل على القبلية دل ذلك على طول عهدهم بالمطر واستحكام شدتهم وحيرتهم من فقدان المطر فيكون استبشارهم بنزول المطر على قدر اغتمامهم بفقده انه حكى ان آدم عليه السلام ناجى ربه يوما فقال الهى اشهد انك عدل تحب العدل لاتظلم فى حكم تحكم به على خلقك اصلا ولاتجور فيما تقضى فالحكمة فيما قضيت على من الهوان بعد ان اكرمتنى بكرامة لم تكرمها احدا قبلى فاوحى الله تعالى اليه من لم يذق الم البعد لم يجد طعم القرب ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بقربى ووصلى فقد استوجب الحرمان (**قوله وقيل الضمير للمطر**) عطف على قوله تكرير للتأكيد فان الضمير حينئذ يكون للتنزيل ومن لم يجعله تكريرا جعل القول الثانى مضافا الى ضمير المطر وقد كان الاول مضافا الى تنزيله فلا تكرير لان تنزيل المطر قبل نزوله والمعنى كانوا مبلسين قبل تنزيل المطر الواقع قبل نزوله وقيل الضمير للسحاب لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه او لارسال الريح اى كانوا مبلسين من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبل ارسال الريح او من قبل نشر السحاب لان بعد الارسال وبعد السحاب يعرف الخيران الريح فيها مطر وان لم ينزل بعد فقبل تنزيل المطر انما يكون الخلق مبلسين قبل ارسال الريح وبسط السحاب ثم انه تعالى لما ذكر ان الودق يصيب بلاد المبلسين واراضيهم فيستبشرون به ويفرحون فرحا يظهر اثره فى بشرات وجوههم طمعا فى الخصب قال فانظر الى اثر رحمة الله اى فانظر يا من انكر البعث وشاهد حياة الارض لسبب نزول الغيث من خلال السحاب الى اثر الغيث النازل والى انه تعالى كيف يحيى الارض بانواع النبات بعد موتها اى بعد يبسها وجفافها فالمراد برحمة الله ههنا المطر سمى المطر رحمة تسمية للمسبب باسم سببه لانه انما يتكون ويصل الى الخلق بسبب رحمة الله تعالى اياهم والمراد باثر تلك الرحمة مايترتب على نزول المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار وقرأ العامة كيف يحيى بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الله تعالى او الى اثر الرحمة عند من قرأ اثر بالافراد ومن قرأ بلفظ الجمع جعل يحيى مسندا اليه تعالى وقرئ تحيى بتاء التأنيث على اسناده الى ضمير الرحمة (**قوله ومن المحتمل**) عطف على قوله كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى يعنى انه قول حقيق بالاخذ والقبول فان احياء الارض عبارة عن اعادة مثل ما كان فيها من القوى الا انه لاينافى ذلك ان يكون من الكائنات الراهنة اى الثابتة المتجددة ما يكون من مواد الاشياء المتفتتة فى بعض الاعوام السالفة التى من جنس الكائنات الراهنة بان يحدث الله تعالى فى تلك المواد مثل ما كان فيها من القوى والصور الزائلة منها ثم انه تعالى لما بين انهم عند تأخير الخير يكونون مبلسين وعند ظهوره

وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى سمتها (كيف يشاء) سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا اصاب به من يشاء من عباده) يعنى بلادهم واراضيهم (اذاهم يستبشرون) بمجئ الخصب (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى اثر رحمة الله) اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص (كيف يحيى الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعنى الذى قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سوآء (ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظلوا من بعده يكفرون) جواب سد مسد الجزآء

يكونون مستبشرين ذكر بعده انهم لو اصابت زرعهم ريح مفسدة لكفروا النعمة السابقة وجحدوها ولم يعطوا شيئا
من الاموال حقه فقال ولئن ارسلنا ريحا الآية قال تعالى اولا الله الذى يرسل الرياح على طريق الاخبار وقال
ههنا ولئن ارسلنا ريحا بطريق الفرض والتقدير لان الرياح النافعة من رحمته وهى متواترة وهو تعالى رؤف
بالعباد ليس من شأنه الافراط فى التعذيب فلذلك ترى الرياح النافعة تهب فى الليالى والايام وفى البرارى والآكام
وريح السموم لاتهب الا فى بعض الازمنة وفى بعض الامكنة وعبر عن الريح النافعة بلفظ الجمع وعن الضارة
بلفظ الواحد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا وذلك لان النافعة كثيرة
الانواع والافراد والضارة لاتهب الانادرا (قوله ولذلك) اى ولكونه ساد امسد الجزآء فسر بالاستقبال لان
كل واحد من الشرط والجزآء لابد ان يكون مستقبلا وان كان على لفظ الماضى (قوله ناعية على الكفار)
اى شاهدة عليهم مفضحة اياهم بماذكر من الفضائح يقال نعى عليه هفواته اذا شهره بها ثم انه تعالى لما اعاد من
دلائل الآفاق قوله وهو الذى يرسل الرياح الاية اعاد دليلا من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الادمى فقال الله
الذى خلقكم من ضعف (قوله اى ابتدأكم ضعفاء) اى خلقكم اول ماخلقتم فى حال كونكم اجنة
واطفالا ضعفاء لاتقوون على شئ ولايقوى شئ منكم على شئ فصار كأن الضعف مبدأ تكوينكم ومادة
خلقتكم فكلمة من لابتدآء الغاية جعل حالة الضعف اساس امرهم ومبدأ جبلتهم والضعف على حقيقته وكون
الانسان مخلوقا منه مجاز فانه لما كان فى بدء امره ضعيفا جعل كأنه خلق من الضعف وعلى تقدير ان يكون المعنى
خلقكم من اصل ذى ضعف وهو النطفة يكون الضعف مجازا وكون الانسان مخلوقا منه حقيقة فعلى تقدير كون
قوله خلقكم من ضعف بمعنى ابتدأكم ضعفاء يكون قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة بمعنى ثم جعلكم من بعد
الضعف اقوياء تقوون على اشياء كثيرة ثم جعلكم من بعد ذلك القوة والقدرة ضعفاء شيوخا لاتقدرون على شئ
مماتقدرون عليه قبل وعلى تقدير كونه بمعنى خلقكم من اصل ذى ضعف يكون معنى مابعده ثم خلق من بعد
الضعف الكائن فى ذلك الاصل قوة بتعلق الروح به وصيرورته انسانا يقوى على مالايقوى عليه ذلك الاصل ثم جعله
شيخا فانيا كما قال ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا (قوله والتنكير) اى تنكير ماذكر
ثانيا وهو الذى دفع به تكرير الاول لاجل ان المتأخر ليس عين المتقدم فان النكرة اذا اعيدت معرفة تكون
الثانية عين الاولى وههنا لما لم تكن الثانية عين الاولى اعيدت نكرة وهذا ظاهر على تقدير ان يكون الضعف
الاول بمعنى الضعيف او بتقدير المضاف والثانى على اصل معناه وليس بظاهر على الاول الاان يكون المراد
بالضعف المخلوق منه ضعف المخاطبين كما يشعر به قوله ابتدأكم ضعفاء وتنظيره بقوله تعالى خلق الانسان
ضعيفا وبالضعف الثانى جنس الضعف وحقيقته (قوله فان الترديد فى الاحوال المختلفة الخ) اشارة الى
وجه مناسبة قوله وهو العليم القدير بتقديم العليم على القدير بعد تخصيصهما بالذكر ثم فى الاية دلالة على صحة
البعث من حيث ان من قدر على ان يرد الحى فى آخر حياته الى اول حاله فغير بعيد ان يرده بعد موته الى ماكان
عليه فى اول امره (قوله لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا) يعنى ان ساعات الدنيا اجزآء من اجزآء
الزمان وسمى ماوقع فى آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق تسمية الحال باسم المحل مجازا اولان الساعة
بمعنى السرعة والبغتة كما يقول المستعجل افعله فى ساعة والقيامة لما كانت بحيث تقع بغتة وفجأة سميت ساعة
ولما ذكر الله دلائل قدرته التامة واستدل بذلك على صحة البعث وقال ان ذلك لمحيى الموتى ذكر حال المشركين
الذين ينكرون البعث كما اخبر الله تعالى بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت فقال ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون اى يحلفون (قوله وهو محتمل للساعات) روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين اربعون فقيل اربعون يوما قال ابوهريرة رضى الله عنه ابيت
وقيل اربعون شهرا قال ابيت وقيل اربعون سنة قال ابيت قال صاحب الكشاف وهذا الوقت الذى ذكر
فى الحديث وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم (قوله استقلوا مدة لبثهم الخ) قيل انهم حلفوا بذلك كاذبين
بدليل قوله تعالى كذلك كانوا يؤفكون قال الكلبى كذبوا فى قولهم غير ساعة كما كذبوا فى الدنيا بان قالوا لابعث
ولاحساب ولاجزآء يقال افك فلان اذا صرف عن الصدق وعن الخير ايضا فيكون المعنى كما صرفوا عن الصدق
فى حلفهم صرفوا عن الايمان فى الدنيا (قوله فى علمه اوقضائه) الجوهرى الكتاب الفرض والحكم والقدر

ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم
تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى
ان يتوكلوا على الله و يلتجئوا اليه بالاستغفار
اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته
وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا
اصابهم برحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وان يصبروا
على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا
نعمه (فانك لاتسمع الموتى) وهم مثلهم لما سدوا عن
الحق مساعرهم (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين) قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم
المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة
الحركات شيئا (وماانت بهادى العمى عن ضلالتهم)
سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار
او لعمى قلوبهم (ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا) فان
ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز
ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما
تأمرهم به (الله الذى خلقكم من ضعف) اى
ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله
خلق الانسان ضعيفا اوخلقكم من اصل ضعيف
وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك
اذا بلغتم الحلم اوتعلق بابدانكم الروح (ثم جعل من
بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا اخذ منكم السن وفتح
عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم اقوى لقول
ابن عمر رضى الله عنه قرأتها على رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وهما
لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر
ليس عين المتقدم (يخلق مايشاء) من ضعف وقوة
وشيبة وشبيبة (وهو العليم القدير) فان الترديد فى
الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة
(ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم
فى آخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة
وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم
المجرمون مالبثوا) فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء
الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين
فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم
اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة اونسيانا (كذلك)
مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا
يؤفكون) يصرفون فى الدنيا (وقال الذين اوتوا
العلم والايمان) من الملائكة اوالانس (لقد لبثتم فى
كتاب الله) فى علمه اوقضائه اوما كتبه لكم اى اوجبه
اواللوح اوالقرآن

النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب
الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها
ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد
الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس
الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود
قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد غيري
فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه
بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان
والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها
فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء
اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا (ان اشكر لله) لان
اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول
(ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو
دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله
غني) لا يحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان
لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان
الحال (واذ قال لقمان لابنه) انعم او اشكم او ماثان
(وهو يعظه يا بني) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني
باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلاة باسكان الياء
وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي
مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء
(لا تشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم
ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما (ان الشرك
لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن
لا نعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا)
ذات وهن او تهن وهنا (على وهن) اي تضعف
ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها
والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن
يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله في عامين)
وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة
وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع
حولان (ان اشكر لي ولوالديك) تفسير لوصينا او علة له
او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا
ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابر قال
امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك (الى المصير)
فاحاسبك على شكرك وكفرك

والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء) اعلم ان قوله تعالى يا بني مذكور في القرآن في ستة مواضع
يا بني اركب معنا في هود يا بني لا تقصص في يوسف يا بني لا تشرك يا بني انها يا بني اقم الصلاة في لقمان يا بني اني ارى
في الصافات فقرأ حفص بفتح الياء في المواضع الستة وقرأ شعبة بفتح الاول وكسر الخمسة الباقية وقرأ البزي باسكان
اول لقمان وكسر الخمسة الباقية وقرأ قنبل باسكان اول لقمان وآخرها وكسر الاربعة الباقية وقرأ نافع وابو عمرو وابن
عامر وحمزة والكسائي بكسر الياء متعددة في الجميع (قوله تعالى ووصينا الانسان) قيل هذا كلام معترض في قصة
لقمان الى قوله بما كنتم تعملون كما قال المصنف والآيتان معترضتان الخ ثم عاد الكلام الى قصته وقيل هو متصل
كله باضمار القول اي وقلنا له اي لقمان ووصينا الانسان بوالديه اي ببر والديه ثم نبه على المعنى الموجب
لبرهما فقال حملته امه وهنا فلا محل لهذه الجملة من الاعراب لانها جملة مستأنفة لبيان علة التوصية وقوله وهنا
مصدر منصوب على انه حال من امه بتقدير ذات وهن ويحتمل ان يكون منصوبا بالفعل المقدر اي تهن وهنا وهذه
الجملة المركبة من الفعل المقدر وما في حيزه حال من فاعل الفعل السابق وقوله تعالى على وهن صفة لوهنا اي
فوق وهن آخر وهي يتزايد ضعفها ويتضاعف بحسب تزايد ثقل الحمل وليس المراد بقوله وهنا على وهن وهنين
اثنين بل المراد التكرار والكثرة (قوله وقرئ بالتحريك) اي بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكونا لغتين كالشعر
والشعر وان يكون مفتوح الهاء مصدر وهن بكسر الهاء فانه يقال وهن يهن وهنا مثل وعد يعد وعدا ووهن
يوهن وهنا مثل وجل يوجل وجلا (قوله وفطامه) وهو ان ينفصل الولد عن الام كيلا يرضع الجوهري فطام
الصبي فصاله عن امه ويطلق الفطم على القطع فيقال فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته اي قطعته ولما كان
قوله وفصاله مبتدأ وقوله في عامين خبره كان المعنى وفصاله يقع في عامين وليس فيه تعيين مدة الرضاع فلذلك فسره
بقوله وفطامه في انقضاء عامين على معنى ان انقضاءهما هو الغاية التي لا يتجاوز عنها الارضاع والامر فيما بين
العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الامام الشافعي على ان مدة الرضاع سنتان
لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما من وقت الولادة وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابي
حنيفة فمدة الرضاع ثلاثون شهرا استدلالا بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حيث جعل المدة المذكورة
مدة لكل واحد من الحمل والفصال لكن قول عائشة رضي الله عنها لا يبقى الولد في رحم امه اكثر من سنتين
ولو بفلكة مغزل بين ان اكثر مدة الحمل سنتان لان مثله لا يعرف قياسا بل سماعا من الشارع وبه يثبت النسخ
وبقيت المدة المذكورة في حق الفصال فلما كانت مدة الرضاع عنده ثلاثين شهرا قيل ان هذه الآية عنده لبيان
الرضاع المستحق على الام لا لبيان المدة التي ينتهي حكم الرضاع عندها (قوله تفسير لوصينا) لان التوصية
في معنى القول الا ان الموصى به هو بر الوالدين فالظاهر ان تفسير التوصية برهما بالترغيب في شكرهما بان يقال
ان اشكر لوالديك لكونهما سببا ظاهرا لوجودك وتربيتك الا انه تعالى لما كان سببا حقيقيا لوجود الكائنات
وتربيتها وكان شكر الوالدين والاعتراف بحقهما عليه من حيث ان نعمة الله تعالى ظهرت من جهتهما كانت
الوصية ببر الوالدين في الحقيقة عبارة عن البعث على شكره تعالى بالتوحيد والعبادة له وشكر الوالدين برهما
لمقابلة احسانهما اليه فلذلك فسرت الوصية ببر الوالدين بقوله ان اشكر لي ولوالديك (قوله او علة له) اي
وصيناه ببر الوالدين لشكرنا ولشكر والديه قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى صلاة الخمس فقد شكر الله
تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه فان كان بدلا من والديه يكون التقدير ووصينا
الانسان بان اشكر لي وعلى التقادير الثلاثة يكون قوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين جملة معترضة
بين المفسر والمفسر او بين العلة والمعلول او بين البدل والمبدل منه تأكيدا للتوصية في حقها خاصة فظهر
بهذا جواب ما يقال وهو انه تعالى اوصى ببر الوالدين ثم بين ما يوجب بر الام ولم يتعرض لبيان ما يوجب
بر الاب وتقرير الجواب ان الاب وان حمل الولد في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين الا ان ما تحملته الام
من المشقة اشد وابلغ فلذلك اكد التوصية في حقها خصوصا بعد التوصية برهما معا وروي ان صحابيا قال قلت
يا رسول الله من ابر قال امك قال قلت ثم من قال امك قال قلت ثم من قال امك قال قلت ثم من قال اباك ثم الاقرب
فالاقرب ثم اشار الى ان خدمتهما وطاعتهما انما تكون واجبة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله تعالى وان افضت

اليه فلا تجوز طاعتهما حيث قال وان جاهداك الآية (قوله اراد بنفى العلم به نفيه) والمعنى على ان تشرك بى ما ليس لك به علم بشئ عبر عن هذا المعنى بنفى العلم به لان العلم بوجود الشئ لازم فى وجوده من حيث ان مالا يكون موجودا فى نفسه لا يعلم بكونه موجودا فعبر بنفى اللازم عن نفى الملزوم ولم يرض المصنف به لان علم المخلوق بوجود الشئ ليس بلازم لوجوده فى نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلى (قوله مكثت لا تستظل مدة ثلاثا) فان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت له امه ماهذا الدين الذى احدثته والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابدا الدهر ويقال لك يا قاتل امه ثم انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى فتحوا فاها بعود و روى ان سعدا قال لو كان لها سبعون نفسا فخرجت واحدة فواحدة لما ارتددت الى الكفر فلما علمت انه لا يرتد عن دينه حذرا من هلاكها رضيت بان تأكل وتشرب (قوله ولذلك) اى ولكونهما نزلتا فى سعد قيل المراد بقوله تعالى من اناب الى ابو بكر الصديق رضى الله عنه فان ابا بكر حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم جاء بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حين اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابى بكر رضى الله عنه فلما كان سبيله الثبات على التوحيد والايمان ودعوة من كان خارجا عن تلك السبيل اليها قال تعالى واتبع سبيل من اناب الى (قوله اى ان الخصلة) يعنى ضمير انها عبارة عن الخصلة او الفعلة التى يأتى بها المكلف واسم تك مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها ومثقال منصوب على انه خبر كان والفاء فى قوله فتكن لافادة اجتماع الشرطين فى التحقق على سبيل التعاقب كأن لقمان لما نهى ابنه عن الشرك قال له ابنه يا ابت تزعم انه تعالى مطلع على ما يفعله الانسان من الخير والشر فيجازيه جزاء وفاقا ان خيرا فخير وان شرا فشر فان فعلت ما فعلته من الفعلة حيث لا يرانى احد كيف يعلم الله تعالى فقال له ابوه يا بنى ان الفعلة ان تك فى الصغر كحبة الخردل مثلا ومع صغرها تكون خفية فى موضع حصين كالصخرة لا تخفى على الله تعالى ومن قرأ مثقال مرفوعا جعل ضمير انها للقصة وجعل قوله ان تك تامة لا تحتاج الى الخبر ورفع مثقال على انه فاعل كان التامة وانث فعله مع ان المثقال مذكر من حيث انه اكتسب التأنيث باضافته الى حبة كما انث الصدر لاضافته الى القناة فى قول الشاعر

وتشرق بالقول الذى قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

الشرق الشجى والغصة يقال شرق بريقه اى غص به وانسد حلقه بحيث لا ينزل ولا يخرج وذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعا اى انتشر واذاعه نشره عبر بذم شخص اذاع خبرا وكان من حقه ان يخفيه نقل الامام محيى السنة عن بعض الكتب ان قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة الآية آخر كلمة تكلم بها لقمان فلما تكلم بها لقمان انشقت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله تعالى روحه (قوله بجوف صخرة او اعلاه الى آخره) اشارة الى دفع ما يقال من ان الصخرة لابد ان تكون فى السموات او فى الارض فما يكون فى الصخرة لابد ان يكون فى احداهما لا محالة فما وجه عطفهما بكلمة او وتقرير الجواب ان المراد بالصخرة ما يكون على وجه الارض وبما فى السموات ما يكون فى محدبها وبما فى الارض ما يكون فى مقعرها فيتحقق الانفصال وقيل هذه الصخرة ليست فى السموات ولا فى الارض بل هى تحت سبع ارضين عليها ملك قائم وقيل عليها الثور قيل خلق الله تعالى الارض على حوت وهو النون الذى ذكره الله تعالى فى قوله ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهى الصخرة التى ذكرها لقمان وهى ليست فى السموات ولا فى الارض والصخرة على الريح ثم انه لما نهى ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالى وقدرته امره بما يتفرع على الايمان بالله وحده وابتدأ بالامر باقام الصلاة وعلم منه ان الصلاة كانت فى سائر الملل غير ان هيئاتها اختلفت (قوله مصدر اطلق للمفعول) فيكون العزم بمعنى المعزوم اى المقطوع الذى قطعه الله واوجبه ثم اضيف الى الامور اضافة بمعنى من التبعيضية اى المقطوع من الامور وان جعل العزم بمعنى العازم اى الموجب القاطع يكون اسناد العزم الى الامر مع ان العازم هو الشارع لا الامر المشروع للمبالغة فى وجوبه والاشارة الى انه لكونه متضمنا للحكم والمصالح الجليلة كانه اوجب نفسه وذكر لانتصاب مرحا ثلاثة اوجه * الاول انه مصدر واقع موقع الحال اى لا تمش مرحا فرحا * والثانى انه مفعول مطلق لفعله المحذوف اى لا تمش تمرح مرحا والجملة حال من فاعل تمش * والثالث انه مفعول له والمعنى

(وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم به نفيه (فلا تطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) فى الدين (سبيل من اناب الى) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الى مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهى عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انهما تلو البارى فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا فى الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما فى سعد بن ابى وقاص وامه مكثت لا تستظل مدة ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضى الله عنه فانه اسلم بدعوته (يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل) اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * او لان المراد به الحسنة او السيئة (فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض) فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى وكنته (يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفى (خبير) عالم بكنهه (يا بنى اقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما اصابك) من الشدائد سيما فى ذلك (ان ذلك) الاشارة الى الصبر او الى كل ما امره (من عزم الامور) مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد

لايكن غرضك فى المشي البطالة والفرح كايمشى كثير من الناس كذلك لالكفاية مهم دينى اودنيوى كقول عمر رضى الله عنه

يافارغا مهملا مالى اريتك لا * فى امر دنيا ولافى امر آخرة

ويستهد بصحة هذا التوجيه قوله تعالى ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس اى ولرؤية الناس اياهم (قوله علة للنهى) يعنى ان الآية من قبيل اللف والنشر فان عدم محبته تعالى المختال علة لقوله لاتمش فى الارض مرحا وعدم محبته الفخور علة لقوله ولاتصعر خدك الاانه لم يراع فى النشر ترتيب اللف رعاية لفواصل الآى والاختيال مشية التكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع (قوله وقول عائشة رضى الله عنها) جواب عما يقال كل واحد من قوله تعالى حكاية عن لقمان واقصد فى مشيك ومن الحديث المروى يدل على ان سرعة المشى ليس من دأب المؤمنين وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها نظرت الى رجل كاد يموت تهافتا وتضاعفا فقالت ماالهذا فقيل انه من القرآء فقالت كان عمر رضى الله عنه سيد القرآء وكان اذا مشى اسرع واذاقال اسمع واذاضرب اوجع فقد اسندت سرعة المشى الى عمر رضى الله عنهما فظاهرهما متنافيان وتقرير الجواب ان الاسراع المذموم هو مايكون متجاوزا حد القصد فى المشى وهو الاسراع المفرط والذى اسند الى عمر رضى الله عنه ليس كذلك بل المراد به مافوق دبيب المتماوت وهو الذى يرى من نفسه الموت وليس بميت كالمتمارض الذى يظهر من نفسه المرض وليس بمريض (قوله وانقص منه) اى انقص شيئا منه فان الظاهر ان مفعول اغضض محذوف ومن صوتك صفة له ومن للتبعيض ويجوز ان يكون من صوتك مفعول اغضض على ان تكون من زآئدة على مذهب الاخفش ويؤيده قوله تعالى يغضون اصواتهم (قوله والحمار مثل فى الذم) يعنى انه اذا اطلق على غير مسماه الحقيق انما يطلق عليه على طريق الذم البليغ والشتيمة تشبيها له باصل مسماه فى اخس اوصافه وهى البلادة والعرآء من خواص الآدمية فكان جاريا مجرى المثل السائر الذى يضرب فى مقام الذم والتهجين وكذا نهاقه فانه ايضا غاية فى ذم مااطلق عليه من الصوت (قوله ولذلك) اى ولكون مسماه فى غاية الدناءة والحقارة يحترزون عن التصريح باسمه بل يكنون عنه بقولهم طويل الاذنين كما يكنون عن الاشياء المستقذرة (قوله وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته الخ) اشارة الى ان قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير جملة مستأنفة جيء بها لتعليل الامر بغض الصوت كانه قيل له لم اغض الصوت فاجيب بانك اذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار فى اخس احواله اى كان صوتك بمنزلة النهاق فى نفرة الطباع عنه مع خلوه عن الفائدة ثم ترك المشبه واداة التشبيه واقتصر على ذلك المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية للمبالغة فى ذم المشبه وتهجينه وفى حث المخاطب على غض صوته والاحتراز عن رفعه (قوله وتوحيد الصوت) يعنى ان الحمير جمع حمار فينبغى ان يعبر عن الصوت المضاف اليها بلفظ الجمع ايضا لان صوت الجماعة لايكون واحدا الاانه وحد المضاف اما لانه مصدر فى الاصل فواحده يفيد لفظ الجمع منه اولانه ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على اصوات سائر الاجناس التى لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا الجنس على اصوات غيره فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده فان قيل اذا كان المراد تفضيل جنس الصوت المقيد بالاضافة الى جنس الحمير كان ينبغى ان يوحد المضاف اليه ايضا قلنا الجمع المحلى بالالف يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس فانه اذا قيل العصبة كل من ياخذ بقية الفرآئض يكون المعنى من يأخذ ما بقى من جنس الفريضة وهى السهم المقدر ضرورة ان اجتماع الفروض فى المسئلة ليس شرطا فى العصوبة فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لاالآحاد ثم انه تعالى لما استدل على عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها الآية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين بقوله هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال المبين ثم اورد قصة لقمان للدلالة على ماامر به ونهى عنه وليس مما يتوقف معرفته على الوحى والنبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة ونتيجة الفكرة فوجب على العاقل ان يهتدى بمجرد فكره الصحيح ونظره الصائب وان لم يهتد بذلك فبارشاد النبى المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يهتد بشئ من ذلك فهو ملحق بالحيوانات العجم واضل سبيلا انتقل بعد ذلك الى الاستدلال على وحدانيته تعالى بوجه آخر وهو كونه موليا للنعمة كلها ظاهرة وباطنة فان الملك كما يخدم لعظمته وان لم ينعم يخدم لنعمته ايضا فلما بين انه المعبود

(ولاتصعر خدك للناس) لاتمله عنهم ولاتولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعترى البعير فيلوى منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولاتصاعر وقرئ ولاتصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه (ولاتمش فى الارض مرحا) اى فرحا مصدر وقع موقع الحال اوتمرح مرحا اولاجل المرح وهو البطر (ان الله لايحب كل مختال فخور) علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشى مرحا ليوافق رؤس الآى (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضى الله عنها كان اذا مشى اسرع * فالمراد مافوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان انكر الاصوات) اوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد اولانه مصدر فى الاصل

لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقائه فى الارض رواسى وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر
بعده عامة النعم فقال الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض الآية اى ألم تعلموا العلم الذى يقوم
مقام رؤية العين انه سخر لاجلكم وذلك مافى السموات بان جعله اسبابا لحصول ماتحتاجون اليه من
المهمات وسهل لكم الانتفاع بتلك الاسباب على حسب مشيئته وارادته وسخر مافى الارض ايضا بان مكنكم
من الانتفاع به بوسط او بغير وسط والنعمة فى الاصل الحالة الطيبة ۹ ونعم الله تعالى وان كانت لاتحصى اشخاصها
لكنها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى * والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح
فيه واشراقه بالعقل ومايتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيئات العارضة من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى هو تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال * والثانى ان يغفر مافرط
منه ويرضى عنه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين هذا ماذكره المصنف فى سورة الفاتحة واسباغ
النعم توسيعها واتمامها يقال سبغت النعمة سبوغا اذا تمت روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماهذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال ياابن عباس اما ماظهر فالاسلام
وماسوى الله تعالى من خلقك وماافاض عليك من الرزق واما مابطن فستره مساوى عملك ولم يفضحك بها ياابن
عباس ان الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له
ثلث ماله اكفر عنه خطاياه به والثالث سترت عليه مساوى عمله فلم افضحه بشئ منها ولوابديتها عليه لنبذه اهله
فمن سواهم * وقيل الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله باللسان والباطنة الاعتقاد بالفردانية بالجنان وقيل الظاهرة
اتباع الرسول والباطنة محبته روى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلنى على اخفى نعمتك على عبادك
قال اخفى نعمتى عليهم النفس وروى ان ايسر مايعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس (**قوله** وقرأ نافع وابو عمرو
وحفص نعمه) بفتح العين علامة جمع نعمة مضاف الى هاء الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون نعمة بسكون
العين وتنوين تاء التأنيث على انه اسم جنس فى معنى الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها فقوله
ظاهرة بعده نعت لها ثم انه تعالى لمابين ماتفضل به على عباده واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر بعده ان منهم
من يجادل فى توحيده واخلاص طاعته فقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم قيل نزلت فى النضر بن الحارث
وابى بن خلف واشباههما الذين كانوا يجادلون النبى عليه الصلاة والسلام فى وحدانيته تعالى وصفاته من
غير علم مستفاد من دليل العقل ومن غير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحى ومن غير كتاب منزل من رب العالمين
ثم اذاقيل لهؤلاء المجادلين الذين لاتمسك لهم اصلا هلموا الى كتاب الله تعالى واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام
الله تعالى وقالوا بل نتبع كلام آبائنا ومن المعلوم ان بين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونا عظيما فكيف مابين كلام الله
وكلام الجهال (**قوله** من التقليد اوالاشراك) من قبيل اللف والنشر الاول على ان يكون الضمير لهم والثانى على
ان يكون لآبائهم (**قوله** من اسلمت المتاع الى الزبون) اى اسلمه الى الحريف اى العامل الذى يشاركه فى الحرفة
والعمل يعنى ان اسلم اذا عدى بالى كان بمعنى سلم وان عدى باللام كما فى قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله فذلك باعتبار
تضمنه معنى الاخلاص فمعنى الآية ومن اسلم وجهه لله من جعل ذاته ونفسه سالما لله تعالى خالصا له (**قوله**
وهو تمثيل للمتوكل) اراد التشبيه لا الاستعارة التمثيلية لذكر كل واحد من طرفى التشبيه غاية انه لم يذكر اداة
التشبيه للمبالغة فيه * والوثقى تأنيث الاوثق واوثق العرى جانب الله تعالى لان كل ماعداه هالك منقطع وهو باق
لاانقطاع له ثم ذكر مايدل على وجوب اسلام الوجه الى الله تعالى فقال والى الله عاقبة الامور فان من تعين لتدبير
عاقبة الامور كيف لايسلم المرء نفسه اليه (**قوله** وليس بمستفيض) فان اللغة الشائعة هى الثلاثى الجوهرى
حزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بنى عليه قال
اليزيدى حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما انتهى كلامه (**قوله** تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)
بان نسلط عليهم ملائكة غلاظا شدادا يعذبونهم اغلظ عذاب فيختارون دخول النار عن اضطرار فرارا من عذاب
هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقارع من نار فان الاكراه انما ينافى الرضى دون الاختيار فان المضطر يعرف
الشرين ويختار اهونهما قيل وفيه وجه آخر لطيف وهو انهم لماكذبوا الرسول ثم تبين لهم الامر وقع عليهم

۹ التى تستلذها الانسان فاطلقت الامور اللذيذة الملايمة للطبع المؤدية الى تلك الحالة الطيبة صح

(الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات) بان جعله
اسبابا محصلة لمنافعكم (ومافى الارض) بان مكنكم
من الانتفاع به بوسط او بغير وسط (واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة ماتعرفونه وما
لاتعرفونه وقدمر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة
وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع
الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع
وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة (ومن الناس
من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم)
مستفاد من دليل (ولاهدى) راجع الى رسول (ولا
كتاب منير) انزله الله بل بالتقليد كما قال (واذا قيل لهم
اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا)
وهو منع صريح من التقليد فى الاصول (اولو كان
الشيطان يدعوهم) يحتمل ان يكون الضمير لهم
ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى مايؤول اليه من
التقليد اوالاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب (ومن يسلم وجهه الى
الله) بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من
اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القرآءة بالتشديد
وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو
محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) تعلق
باوثق مايتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة
بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى
الحبل المتدلى منه (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل
صائر اليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فانه لايضرك
فى الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزنه
وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) فى الدارين (فننبئهم
بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات
الصدور) فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر (نمتعهم
قليلا) تمتيعا قليلا اوزمانا قليلا فان مايزول بالنسبة
الى مايدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)

من الجبالة مايكون دخول النار اهون عليهم من الوقوف بين يدى ربهم بمحضر الانبياء مع تلك الجبالة فيختارون دخولها عن اضطرار (قوله يثقل عليهم ثقل الاجرام) يعنى ان الغليظ صفة مشبهة تنبئ عن الثقل والكثافة اوعن التراكم والانضمام وعلى التقديرين لا يوصف به العذاب حقيقة وانما يوصف به الاجرام والاجسام فتوصيف العذاب به تخييل لتشبيه العذاب الواقع عليهم بالجرم الثقيل اوبالاجرام المتلاصقة المتطابقة الواقعة بعضها على بعض استعارة بالكناية وعلى التقديرين يكون اثبات الغلظة له سوآء كانت بمعنى الثقل اوالانضمام تخييلا لتلك الاستعارة المكنية ثم انه تعالى بين استحقاق المشركين للعذاب الغليظ ببيان ان كفرهم اقبح وجوه الكفر من حيث انهم ينكرون مااضطروا الى الاقرار به فان اعترافهم بان خالق السموات والارض ومافيهما وما بينهما هوالله تعالى يستلزم الاعتراف بان لا يستحق العبادة الا الله ومع هذا يناقضون انفسهم بالاشراك ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يحمد الله تعالى على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على انفسهم بالكذب والضلال ثم قرر مااقروا به من تفرده تعالى بالخالقية بتقرير ان مافيهما من الجواهر والاعراض لله تعالى ملكا وملكا فكيف يكون شئ منها شريكا له فقال لله مافي السموات والارض ثم لما تبين ان انفس السموات والارض وجميع مافيهما محتاج الى الله تعالى من جميع الوجوه ثبت انه تعالى هوالغنى المطلق والحميد المطلق فان كل محتاج يحمد من يدفع حاجته بلسان الحال اوالمقال فمن كان غنيا مطلقا يكون حميدا مطلقا (قوله ولوثبت كون الاشجار اقلاما) اشارة الى ان مابعد لوواقع موقع المفرد لكونه فاعلا لفعل مقدر لان لو تطلب الفعل لفظا او تقديرا فقولك اولو انك قائم تقديره لو وقع قيامك والفاعل يجب ان يكون مفردا فلذلك فتحت كلمة ان الواقعة بعد لو ومافي قوله تعالى ولو ان مافي الارض موصولة في محل النصب على انها اسم ان واقلام خبرها ومن شجرة في محل النصب على انه حال من المنوى في قوله في الارض (قوله وتوحيد شجرة) مع ان الظاهر ان يقال من شجر بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لان المراد بما في قوله مافي الارض العموم بدليل الاخبار عنه بالاقلام فالوجه ان يبين باسم الجنس الا انه بين بلفظ شجرة الدال على الوحدة لان المراد تفصيل آحاد شجرة شجرة الى ان لا يبقى من جنس الشجرة آحاد كثيرة بل ولا شجرة واحدة الا وقد بريت اقلاما وهذا المعنى انما يستفاد من ايراد الشجرة وان قيل من شجر لدل على انه لا يبقى جنس من اجناس الشجر الا بري اقلاما فلا يدل على ان يتناول الحكم لكل فرد وهذا قريب مما قيل ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع (قوله ممدودا بسبعة ابحر) بان يكون سبعة ابحر مدادا البحر المحيط الذى فرض كونه بسعته مدادا وهو النفس الذى يكتب به ويقال له المركب (قوله يمده) معناه يصير مدادا له يزيده وينصب فيه من بعده اى من خلفه والمقصود كما يتوقف على ان يفرض كون اشجار الارض اقلاما يتوقف ايضا على ان يفرض كون البحر المحيط ممدودا بسبعة ابحر مدادا فعلى هذا كان الظاهر ان يقال والبحر مداد ايمده من خلفه سبعة ابحر لكن لم يذكر المداد اكتفاء بذكر مايدل عليه وهو قوله يمده فانه من مد الدواة وأمدها اذا صب فيها المداد فيكون البحر الاعظم بمنزلة الدواة والابحر التى خلفه بمنزلة المداد له وفي الآية اختصار يسمى حذف الايجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر يمد بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد ونظيره هذه الاية في اشتمالها على حذف الايجاز قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية اى فحلق رأسه لدفع مابه من الاذى ففدية قال الامام قوله سبعة ابحر ليس لحصر الابحر في سبعة بل المراد الاشارة الى كثرة المدد ولو كان الف بحر وخصت السبعة بالذكر من بين اسماء الاعداد لكونها عددا يحصر اكثر المعدودات الا ترى ان كل احد لا يخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم وان الكواكب السيارة سبعة وكانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وكانت ابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هى الثامن ولما كانت السبعة عددا يحصر معظم الموجودات واكثرها عبر بها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود في مرتبتها حتى ان العرب يجعلون السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوا يقول القرآء انها واو الثمانية ويزعمون ان العدد تم بالسبعة وان الواو المذكورة بعدها للاستئناف والمراد بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كان معلومه لا يتناهى كانت الكلمات التى يعبر بها عنه لاتتناهى ايضا (قوله ورفعه للعطف) يعنى ان قوله تعالى والبحر قرأ ابو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع وفي الرفع وجهان الاول كونه معطوفا على محل ان ومعموليها

يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ اوتضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل اكثرهم لا يعلمون) ان ذلك يلزمهم (لله مافي السموات والارض) لا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام) ولوثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده سبعة ابحر) والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل ان ومعموليها ويمده حال اوللابتداء على انه مستأنف اوالواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان اواضمار فعل يفسره يمده

فان أن مع اسمها وخبرها فى محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر يقتضيه ويدل عليه كلمة لو فيه وزان برفع البحر ايضا بالعطف عليه وقوله يمده جملة حالية من البحر وتقدير الكلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت كون البحر مدادا ممدودا بسبعة ابحر والثانى ان يكون البحر مبتدأ ويمده الخبر والظاهر ان الواو حينئذ حالية والمعنى ولوان الاشجار اقلام فى حال كون البحر ممدودا ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها استغناء عنه بالواو كما فى قولك خرجت والجيش قادم وجوز المصنف كونها استئنافية وفى النصب ايضا وجهان الاول ان يكون معطوفا على اسم ان وهو ما وخبره يمده والتقدير ولوان البحر يمده على معنى ولو وقع هذان والثانى ان يكون من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير (**قوله وقرئ تمده ويمده**) اى قرئ بتاء التأنيث لاسناد الفعل الى سبعة وقرئ بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من أمده وهما لغتان بمعنى (**قوله والآية جواب**) قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسألونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا أفعنيتنا ام قومك قال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فقال عليه الصلاة والسلام هى فى علم الله قليل وقد آتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لهم فعلى هذا تكون الآية مدنية وقيل انما امر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعد بمكة فسأله الوفد بمكة فنزلت فى مكة (**قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم**) جواب لكفار قريش حين قالوا ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا فى ساعة واحدة (**قوله وثمة غرضه حقيقة اومجازا**) اى ان قيل يجرى لاجل مسمى يكون ادراك الاجل غرضا مطلوبا من الجرى حقيقة ان قلنا ان كل واحد من الكواكب السيارة والافلاك له شعور وحركة ارادية ومجازا مبنيا على تشبيه عاقبة الشئ بالعلة الحاملة ان قلنا انها جادات لا شعور لها ولا غرض (**قوله تعالى وان الله بما تعملون خبير**) قرأ ابو عمرو فى رواية بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب والظاهر ان الخطاب للمشركين وان الآية احتجاج عليهم وتهديد ووعيد لهم وقوله الم تر خطاب عام والمراد من الرؤية العلم الجلى المنزل منزلة الرؤية والمشركون وان لم يعلموا احاطة علم الله تعالى بتفاصيل اعمال عباده الا انهم نزلوا منزلة من يعلم بها لتمكنهم من العلم بها بادنى التفات لكثرة دلائل العلم بها ووضوحها (**قوله اشارة الى الذى ذكر**) اى ذكره الله تعالى من عجائب صنعه واعتراف المشركين باختصاصه تعالى بخلقها ووصف نفسه بانه عزيز كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته وانه حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته وانه هو الغنى الحميد وانه سميع بصير وانه بما تعملون خبير وانه عليم بذات الصدور وبعد اجراء تلك الصفات على الذات المتميزة بها اشار اليها من حيث ثبوتها لموصوفها بقوله ذلك وحكم بانها انما ثبتت له لانه هو الاله الثابت آلهيته لما تقرر فى العقول ان هذه الصفات لوازم الالوهية المساوية لها وان تحقق الملزوم يستلزم تحقق لوازمه فاستدل فى الآية بتحقق لوازم الالوهية على كونه تعالى ثابتا فى ذاته وثابتا آلهيته (**قوله وقد جوز فى مثله**) اى قيل كل ما كان على فعلة يجوز فى جمعه ثلاث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسرها نحو سدرة وسدرات وسدرات وسدرات (**قوله لكل صبار**) اى على مشاق التفكر فى اصابة الحق شكور بصرف القوى الفكرية الى ما خلقت هى لاجله مع قطع النظر عن كونه مؤمنا اولا (**قوله فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر**) وذلك ان التكاليف نصفان افعال وتروك والتروك صبر عن المألوف والافعال شكر على المعروف ذكر الله تعالى اولا آية سماوية حيث قال الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ثم ذكر آية ارضية فقال الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله التى هى الريح الملائمة لجريها ليريكم باجرائها بنعمته بعض آياته ثم قال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يستدلون بها على كمال علمه وقدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير ان يقعوا فى شدة تلجئهم الى الاعتراف بها ثم وصف الكفار بقوله واذا غشيهم موج كالظلل حين ركبوا البحر انابوا الى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا انه لا منجى لهم غيره والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلال وحد الموج وشبهه بالظلل اى بالامور التى تظلل كالجبال والسحب المتراكمة وغيرهما للدلالة على عظم الموج وكثرته وارتفاعه بحيث ينفصل منه وقت انحداره الى جانب السهل امثال الظلل (**قوله مقيم على الطريق القصد**) اى العدل السوى فقوله تعالى فمنهم مقتصد اى عدل فى الوفاء فى البر بما عاهد الله عليه

وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء (ما نفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شئ (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شأن لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى) كل من النيرين يجرى فى فلكه (الى اجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة اومجازا وكلا المعنيين حاصل فى الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته اوالثابت آلهيته (وان ما تدعون من دونه الباطل) المعدوم فى حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله اوالباطل آلهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء (وان الله هو العلى الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) باحسانه فى تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة اوالحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز فى مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها اوللمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل اوسحاب اوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد اومتوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار

في البحر من التوحيد له فالمعنى فنهم من ثبت على ايمانه وههنا مضمر وهو قوله ومنهم من ينقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور والختار الكفور موازن للصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى فان الصبار الشكور يتذكر ما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير ان يلجئه اليه شئ من الشدآئد والختار الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحق حالة الضرورة الا انه اذا انجاه الله تعالى من الغرق وانتهى الى البر ينقض العهد ويعود الى ضلاله القديم وروى عن مصعب بن سعد عن ابيه انه قال لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة ابن ابي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن ضبابه وعبد الله بن سعيد بن ابي سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص فما ينجيني في البر ايضا غيره ثم قال اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما فسكنت الريح فجاء وأسلم وحسن اسلامه ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل من اول السورة الى هنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر في تلك الدلائل والاهتدآء بها الى ما يؤديهم الى حسن العاقبة وينجيهم من شدآئد يوم القيامة فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ولا تخالفوا شيئا مما امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله تعالى واخشوا يوما اى عقاب يوم وقوله لا يجزي والد عن ولده صفة لقوله يوما والعائد محذوف اى فيه ومعناه لا يقضي عنه شيئا من الحقوق الثابتة عليه ولا ينفعه بشئ لما كان بعض الاقرباء يحمل عن البعض الاخر ما يتوجه اليه من المكاره والشدآئد بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كان ينفع بعضهم بعضا بها في الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله ينقطع في الاخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرء بنفسه ولا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده فان ما بينهما من القرابة القريبة تستدعى ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل وسعه وطاقته في دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التي جعلت فيما بينهم ومع ذلك فقد اخبر الله تعالى انه لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه كما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيامة فاخبر ان ذلك كله منقطع الا هذين فانه من تمسك بدينه فانه يشفع له يوم القيامة فيما فرط وقصر واما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له شئ من هذين وقد انقطع عنه باقي الانساب والاسباب ايضا وقال بعضهم هذه الآية في الكفار واما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الآخرة يدفع الاب الى ابنه فضل عمله وكذلك الولد الى ابيه لقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روى في الاحاديث الشفاعة للاخيار ويبعد ان ينتفع الاجانب دون الاقارب والله اعلم (**قوله** وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى) على بناء افعل من المهموز اللام يقال اجزأت عندك مجزئ فلان ومجزأ فلان ومجزاة فلان اى اغنيت عنك مغناه واجزأت عنك شاة لغة في جزت اى قضت وادت فان جزى غير مهموز بمعنى قضى (**قوله** ولا مولود عطف على والد) فيه بحث لان المولود حينئذ يكون فاعل قوله لا يجزي ويكون قوله هو جاز عن والده صفة للمولود فيلزم ان يكون المولود جازيا عن والده في الدنيا وغير جاز عنه فكيف يجتمع فيه المتنافيان والجواب ان اللازم من التوصيف كون المولود جازيا عن والده في الدنيا والمنفي كونه جازيا عنه يوم القيامة ولا منافاة بينهما لاختلاف الزمان (**قوله** او مبتدأ) ويجوز الابتدآء بالنكرة الواقعة في سياق النفي كقولك ما احد خير منك والمبتدآء مع خبره جملة معطوفة على قوله لا يجزي والد عن ولده (**قوله** وتغيير النظم) فان قوله ولا مولود ان كان معطوفا على والد كان الظاهر ان يقال ولا ولد عن والده فغير لفظ الولد الى المولود ووصف بكونه جازيا عن والده في الدنيا للدلالة على ان الولد الصلبي الذي شأنه ان يقضي حقوق ابيه في الدنيا لا يقضي عنه شيئا من الحقوق يوم القيامة فضلا عن سائر الاولاد فان الولد يقع على الولد الصلبي وولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق الا على الولد الصلبي فتخصيص المولود بالذكر لقوة قرابته يدل على انه اولى بان لا يجزي اى اولى بان يبين انه لا يجزي وان كان قوله ولا مولود مبتدأ وما بعده خبره فقد غيرت الجملة المعطوفة الى ما هو آكد من المعطوف عليه فان الاسمية آكد من الفعلية لاسيما اذا توسطت كلمة هو بين المبتدأ والخبر ومع ذلك فقد غير لفظ الولد الى لفظ المولود ووجه التغيير ما ذكر من ان الدلالة على انه اولى ببيان

(وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد الفطري اولما كان في البحر والختر اشد الغدر (كفور) للنعم (يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزي فيه (ولا مولود) عطف على والد او مبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيا) وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى ان الحارث ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية (وينزل الغيث) في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم ما في الارحام) أذكر ام انثى أتام ام ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وما تدري نفس باي ارض تموت) كما لا تدري في اي وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل وقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذا مرت ٦

حكمه وقطع طمع من توقع ان ينفع اباه الكافر (قوله بالثواب والعقاب) على ان يكون قوله تعالى ان وعد الله حق لتحقق اليوم المذكور على معنى اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لامحالة لوعد الله تعالى بمجيئه ووعده حق ويحتمل ان يكون تحقيقا لعدم ان يجزى احد عن احد على معنى انه لا يجزى والد عن ولده لان الله تعالى قد وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزى احد عن احد ولما كان الموعود حقا واقعا لامحالة وكان الاغترار بزخارف الدنيا وزينتها والاغترار بحلم الله تعالى وامهاله صارفا عن التزود لذلك اليوم نهى الله تعالى عن الاغترار بهما فقال تعالى لا يغرنكم شئ منهما واجتهدوا فيما يسعدكم والغرة بالله عبارة عن ان يتمادى الرجل على المعصية ويتمنى المغفرة والغرور بالضم مصدر وبالفتح صيغة مبالغة كشكور ويسمى الشيطان غرورا اذ من شأنه وحرفته ان يغر (قوله لان فيها معنى الحيلة) فان الدراية هي العلم مع تكلف وحيلة ولهذا لم يجيزوا اطلاق اسم الدارى على الله تعالى ولما قال تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده وذكر انه كائن لامحالة حيث قال ان وعد الله حق كأن قائلا قال فمتى يكون اليوم فاجيب بان العلم بوقت قيام الساعة مما لم يحصل لغير الله تعالى فحقكم ان تعتقدوا بقيامها وتتزودوا لها (قوله وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في قولهم كلتهن) يعني ان تأنيث اى لغة ضعيفة كتأنيث كل لان ايا اسم مبهم لازم الاضافة والجمع بين التاء والاضافة لا يخلو عن بشاعة لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه باجنبي وهو تاء التأنيث فاللغة الشائعة ان يقال ايهن وكان فان انث كان حقها ان تقطع عن الاضافة نحو أية سلكوا الا انه قرئ بأية ارض بالاضافة تشبيها لها بكل في قولهم كلتهن * تم ما يتعلق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وهذا اوان الشروع في توضيح سورة الم السجدة

(سورة الم السجدة وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله وان جعل تعديد الحرف) لينتبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويسمع ما يلقى اليه بقلب حاضر والسامع ههنا وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا كالمنبهات ليلتفت المخاطب بسببها اليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود فلا يكون لتلك الحروف محل من الاعراب لعدم تركبها مع العامل فحينئذ يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذى يتلى عليك منزل الكتاب اى كتاب منزل ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف للبيان كما في جرد قطيفة ونحوه مما اضيفت الصفة فيه الى موصوفها ولا ريب فيه خبر ثان او حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل (قوله حالا من الضمير في فيه) فيتعلق بمحذوف ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل فيما بعد الخبر (قوله والضمير في فيه لمضمون الجملة) يعني على تقدير كونه اعتراضا بين المبتدأ والخبر لتأكيد مضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها كانه قيل لا ريب في ذلك اى في كونه منزلا من رب العالمين واما على تقدير ان يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه خبره فالضمير حينئذ يكون راجعا الى تنزيل الكتاب وايد كونه اعتراضا بامرين الاول قوله ام يقولون والثاني قوله بل هو الحق ثم بين وجه انتظام الكلام على تقدير كون لا ريب فيه اعتراضا بانه تعالى اشار الى اعجاز الكتاب المنزل بافتتاح السورة بالم على سبيل التعديد قال المصنف في اول سورة البقرة ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة الى هنا كلامه (قوله فان ام منقطعة) علة لكون الاضراب الى ما يقولون فيه انكارا له فان ام المنقطعة متضمنة لهمزة الاستفهام الذى لا محل له في هذا الموضع سوى الانكار اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن اثبات ان تنزيله من رب العالمين وليس الاضراب لابطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الاول والاخذ فيما هو أهم فكانه قيل اترك هذا الذى ذكرنا من كونه من رب العالمين وانظر في كلمتهم الحمقاء وتعجب منها ثم أضرب عن ذلك ايضا فكانه قال بل لا تلتفت الى قولهم وانظر الى كونه حقا واستغرق اوقاتك في التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه وقوله من ربك حال من الحق وعامله محذوف وهو العامل في لتنذر ايضا

٦ ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ بأية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

(سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديد الحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا ريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله (ام يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى

ويجوزان يتعلق لتنذر بعامل آخر اى انزله لتنذر كما يشعر به قول المصنف و بين المقصود من تنزيله فقال لتنذر وقوله قوما مفعول اول للانذار وقوله ماآتاهم جملة منفية فى محل النصب على انها صفة قوما والمفعول الثانى للانذار محذوف اى لتنذرهم العذاب ان أصروا على كفرهم ولم يؤمنوابك و بكتابك فان انذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فقل انذرتكم صاعقة و يحتمل ان تكون كلمة ما فى قوله ماآتاهم موصولة فى محل النصب على انها المفعول الثانى للانذار والتقدير لتنذر قوما العقاب الذى آتاهم من نذير من قبلك على ان من نذير متعلق بأتاهم اى آتاهم العقاب على لسان نذير من قبلك وكذا الحال فى قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اى لتنذر قوما العقاب الذى انذره آباؤهم فما مفعوله فى الموضعين والمراد بالقوم اهل الفترة وهم الذين كانوا بين عيسى عليه الصلاة والسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ومعنى عدم اتيان النذير اليهم انهم ضيعوا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام وضلوا بالكلية باتباع الاهوآء الفاسدة فاقتضت الحكمة الالهية ان يرسل اليهم رسولا يدعوهم الى التوحيد والطاعة و ينذرهم عذاب الله تعالى ان أصروا على الضلالة وماآتاهم من نذير مع احتياجهم الى اتيانه حيث لم يبق على وجه الارض عالم يهديهم و ينتفع بهدايته فبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم يأتهم رسول قبل بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام فكانوا قوما ماآتاهم من نذير بعد الضلال الذى حدث بانطماس الشريعة المتقدمة وقيل المراد بالقوم العرب فانهم امة امية لم يأتهم نذير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد فانهم كانوا من اولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجميع انبياء بنى اسرآئيل اولاد اعمامهم وكيف يتجاسر على ان يقال انه تعالى ترك قوما من ابتدآء نشأتهم الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع وان اريد بالعرب طائفة مخصوصة منهم وهى اهل العصر الواقع قبل عصر النبوة لزم تخصيص العام بلا مخصص لان القوم الموصوفين بانه ماآتاهم من نذير من قبلك يعم جميع اهل العصر الواقع قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم سوآء كان من مشركى العرب او من اهل الكتاب فحمله على العرب خاصة تخصيص بلا دليل والترجى المستفاد من قوله تعالى لعلهم يهتدون من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان ذلك من جهة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر فالمعنى لتنذرهم راجيا ان اهتدآءهم ثم انه تعالى لما بين حقيقة الرسالة والتنزيل و بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة البرهان عليه قال الله الذى خلق السموات فقوله الله مبتدأ والموصول مع صلته خبره وقد اتفق المشركون على انه تعالى لا شريك له فى خلقها فكذا لا شريك له فى الالوهية (قوله مر بيانه فى الاعراف) وهو قوله فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجة مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور فلما كان تعالى منزها عن الاستقرار والتمكن جعل الاستوآء على العرش كناية عن نفاذ قدرته وتصرفه فى مخلوقاته لان الجلوس على العرش من لوازم الملك والاستيلاء فاطلق اللازم واريد به الملزوم والاستواء على العرش من جملة المتشابهات التى لا يعلم تأويلها الا الله عند بعض العلماء حتى قيل تأويله الايمان به وان يفوض العلم بان المراد منه ما هو الى الله قال

ورب العرش فوق العرش لكن * بلا وصف التمكن واتصال

(قوله مالكم اذا جاوزتم رضى الله تعالى) لما كان ظاهر اللفظ يدل على انه ليس لنا ولى ولا شفيع غير الله فان ولينا وشفيعنا هو الله تعالى وحده والله تعالى منزه عن ان يكون شفيعا يستشفع به الى احد ولذلك رد النبى صلى الله عليه وسلم على اعرابى قال استشفع بالله اليك اشار المصنف الى ان ذلك المعنى انما يفهم اذا كان قوله من دون الله بمعنى من غير الله وليس كذلك، بل المعنى مالكم مجاوزين الله اى مجاوزين رضاه وامتثال امره وطاعته ولى ولا شفيع فيكون من دونه حالا من كم فى لكم والعامل معنى الاستقرار الذى تعلق به لكم اى ما استقر لكم مجاوزين رضى الله وامتثال امره شفيع يشفع لكم وناصر ينصركم وفى الكلام حذف مضاف اى من دون رضاه ومن استعمال دونه فى معنى المجاوزة قول الشاعر * يانفس مالك دون الله من واق * اى مالك اذا جاوزت وقاية الله احد يقيك ثم اشار الى توجيه آخر بقوله او مالكم سواه ولى ولا شفيع وتقريره سلمنا ان معنى من دون الله من غير الله لكن انما يفهم ذلك المعنى المهروب منه ان لو كان الشفيع على اصل معناه وليس كذلك بل هو بمعنى الناصر لان الشفاعة تستلزم النصرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فيكون من دونه حالا من ولى ولا شفيع قدم على ذى الحال

اثبات انه الحق المنزل من الله و بين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ماآتاهم من نذير من قبلك) اذ كانوا اهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) مر بيانه فى الاعراف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) مالكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر (افلا تتذكرون) بمواعظ الله

لكونه نكرة فان قيل كيف قدم على ذى الحال المجرور وقد صرح ابن الحاجب فى الكافية بان الحال لا يتقدم على ذى الحال المجرور فى الاصح فالجواب ان حرف الجر هنا زآئد لا اعتداد به ووجه اتصال قوله تعالى مالكم من دونه من ولى بما قبله انه لما نزل قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام الآية قال بعض المشركين نحن معترفون بان خالق السموات والارض واحد هو الله تعالى الا ان هذه الاصنام صور ملائكة مكرمين عند الله نرجو منهم انهم شفعاؤنا فقال الله تعالى اذا علمتم انه لا اله غيره فاعلموا انه لا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة ضائعة لانهم ليسوا بخالقيكم ولا ناصريكم ولا شفعائكم لان من بلغ فى القدرة وعلو الشان الى ان تمكن من خلق هذه الاجسام العظام والتصرف فيها كيف شاء هل يكون عند هذا الملك العظيم الشان لهؤلاء الاصنام المكونة قدر وحرمة حتى ترجوا منها نصرة وشفاعة وتدبير الامر النظر فى دابره وعاقبته والتفكر فيه (قوله يدبر امر الدنيا) اى شأنها وحالها والامور التى تقع فيها والمراد بتدبير امرها القضاء السابق الذى هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص جعل القضاء مبتدأ من جانب السماء لكون المقضى منوطا باسباب سماوية منتهيا الى الارض لانتهاء آثار تلك الاسباب الى الارض وعروج امر الدنيا اليه تعالى مجاز عن ثبوته فى علمه تعالى موجودا وعطف عروج الامر على تدبيره بكلمة ثم وقدر زمان العروج بالف سنة من سنى الدنيا استطالة لما بين التدبير والوقوع لا للتعيين والتوقيت (قوله فى برهة من الزمان) اى فى مدة متطاولة منه (قوله وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح) على ان يكون المراد بالامر امر الوحى وتدبيره اظهاره فى اللوح وان يكون قوله من السماء متعلقا بمحذوف اى فينزل به بعض ملائكته من السماء الى الارض فيلقى ذلك الى الذى امر بالقائه اليه من الرسل ثم يعرج ذلك الملك اليه اى الى الموضع الذى امر بالعروج اليه من السماء فى يوم كان مقداره فى نزول الملك الى الارض وعروجه منها الى السماء الف سنة مما تعدون من ايامكم فى الدنيا واستطالة نفس اليوم عبارة عن امتداد مسافة نزول الملك وعروجه بكونها مسيرة الف سنة فانه لو سار احد من بنى آدم فيها لم يقطعها الا فى الف سنة والملائكة يقطعونها فى يوم واحد من ايام الدنيا بل فى اقل من ساعة منها فالتدبير عبارة عن كتبة الوحى فى اللوح المحفوظ واظهاره فيه للملائكة الموكلين به حتى اذا دار أوانه قد وجد ذلك فى اللوح عرفوا انه تعالى اراد ان ينزلوا به الى نبيه فى الارض فيفعلون ذلك ثم يعرجون الى مكانهم الذى كانوا فيه والعروج بحسب الظاهر وان كان مسندا الى ضمير الامر الا انه عروج الملك المأمور بتبليغ ذلك الامر وكذا ضمير اليه يرجع بحسب الظاهر اليه تعالى الا ان المراد عروج الملك الى مكانه الذى فى السماء وقيل الضمير اليه يرجع الى السماء المذكور قبله وهو يذكر ويؤنث قال تعالى السماء منفطر به (قوله وقيل يقضى قضاء الف سنة) على ان يدبر بمعنى يقضى وان الامر امر الدنيا واحوالها الواقعة فى يوم واحد من ايام الله تعالى وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وان قوله تعالى من السماء متعلق بمحذوف اى فينزل به الملك من السماء الى الارض ثم يعرج بعد الالف لانزال قضاء الف آخر وقوله فى يوم تنازع فيه الفعلان فاعمل فيه الفعل الثانى وهو يعرج وحذف ظرف الفعل الاول لدلالة الثانى عليه والمصنف اشار اليه بقوله يقضى قضاء الف سنة اى يقضى ماقضى وقوعه فى الف سنة وعبر عن الفعلين بلفظ المضارع الدال على الاستمرار التجددى للدلالة على ان شأنه تعالى الاستمرار على ان يقضى ماقضى وقوعه فى يوم واحد مقداره الف سنة فينزل به الملك فيوقعه فى الاوقات المقدرة له ثم يعرج فى انقضاء ذلك اليوم ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة (قوله وقيل يدبر الامر) اى يقضى شأن الدنيا وماقضى وقدر فيها من الامور وقوله من السماء الى الارض بيان الامر اى يدبر الامر الذى مبدأه من السماء ومنتهاه الى الارض وهذا كما تقول من السماء الى الارض فى قبضة قدرة الله تعالى ومن المشرق الى المغرب كله لله تعالى واشار بقوله الى قيام الساعة الى ان قوله فى يوم غير متعلق بالتدبير وانه غير مقيد بالظرف المذكور بعده بل هو قيد للعروج والمعنى ثم يرجع اليه جميع ماقضى وقدر يوم القيامة ليحكم فيه ويميز ماهو الحق منه من الباطل ويثيب المحق ويعاقب المبطل ووصف يوم القيامة بان مقداره الف سنة لان يوما من ايام الآخرة كالف سنة من ايام الدنيا (قوله وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا) يعنى قيل ان المراد بالامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة وتدبيرها الامر بها والترغيب فيها بالوحى وتعديته بمن والى لتضمنه معنى ينزل وان قوله ثم يعرج اليه

(يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه) ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا (فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة مابين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالص

في يوم كان مقداره الف سنة ليس المراد به تعيين مدة العروج بذلك الوقت بل المراد به تقليل الاعمال الصالحة والعاملين بها لم يرض المصنف بشئ من هذه الاقوال المذكورة لكثرة مافيها من التكلف بالنسبة الى ماارتضاه قيل في التلفيق بين قوله تعالى في هذه السورة في يوم كان مقداره الف سنة وبين قوله في سورة اخرى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ان الاول في وصف عروج الملائكة من الارض الى السماء والثاني في وصف عروجهم من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه الصلاة والسلام فان مسافة ما بينهما وبين الارض خمسون الف سنة بسير بني آدم ثم ان جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه يقطعونها في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل الف سنة وخمسون الف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم الطول كخمسين الف سنة وعلى بعضهم اقصر منها كالف سنة حتى جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل لايكون على المؤمن الا كمابين الظهر والعصر ويحتمل ان يكون هذا عبارة عن بيان مافيه من الشدائد والاهوال لاتحديده بذلك وروى ان ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن هذه الاية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله تعالى لاادري ماهي واكره ان اقول في كتاب الله تعالى مالااعلم (**قوله** وقرئ يعرج) على البناء للمفعول والاصل يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وقرئ تعدون بتاء الخطاب وياء الغيبة (**قوله** وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا) اتفق المسلمون على انه تعالى لايفعل فعلا خاليا عن حكمة ومصلحة الا ان تلك الحكمة لازمة للفعل وليست حاملة له على الفعل عندنا خلافا للمعتزلة (**قوله** وخلقه بدل من كل) يعني ان ابن كثير وابا عمرو وابن عامر قرؤا خلقه بسكون اللام على انه بدل اشتمال من كل شئ والضمير عائد على كل شئ (**قوله** وقيل علم كيف يخلقه) عطف على قوله خلقه موفرا عليه مايستعد فان المعنى حينئذ حسن هيئة كل شئ وصورته بان خلقه مشتملا على جميع مايليق به فيكون كل شئ مفعولا به وخلقه بدلا منه بمعنى احسن خلق كل شئ وان كان احسن الشئ بمعنى علمه يكون المعنى علم كل شئ قبل ان يخلقه انه كيف يخلقه وكيف يكون اذا خلقه فيكون كل شئ مفعولا اولا وخلقه مفعولا ثانيا ومن كون الاحسان بمعنى العلم قول من قال

وقيمة المرء ماقد كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم اعداء

اي ماقد كان يعلمه ويحسن علمه بان يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان لامطلق العلم وقيل معناه ان من زاد علمه زاد في صدور الناس قدره وقيمته وكل من نقص علمه نقص عند الناس جاهه وحشمته (**قوله** فالشئ على الاول) يعني ان خلقه سواء جعل بدلا او مفعولا ثانيا لابد من تخصيص الشئ لانه تعالى لم يخلق كل شئ فضلا عن ان يحسن خلقه او يحسنه ويتم زينته والمخصص على الاول الدليل المنفصل وهو العقل فانه يدل على ان المراد الموجودات الممكنة وعلى الثاني الدليل المتصل وهو الوصف اعني خلقه (**قوله** لانها تنسل منه اي تنفصل) يقال نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلا اي اسقطه ونسل الوبر وريش الطائر بنفسه يتعدى ولايتعدى (**قوله** تعالى وجعل لكم) التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله ثم جعل نسله الخ الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم (**قوله** تشكرون شكرا قليلا) اشارة الى ان قوله قليلا صفة مصدر محذوف للفعل المذكور بعده وما زائدة لتأكيد القلة (**قوله** تعالى وقالوا أئذا ضللنا) معطوف على ماسبق منهم فان المشركين كانوا ينكرون الوحدانية والرسالة وقد اشير الى الثاني بقوله تعالى ام يقولون افتراه والى الاول بقوله الله الذي خلق السموات وقد تقرر ان معظم مقاصد القرآن العظيم تمهيد اصول ثلاثة وتقرير دلائلها التوحيد والرسالة والحشر وانه تعالى كلما ذكر اصلين من هذه الاصول الثلاثة يذكر الاصل الثالث معهما وههنا قد ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق السموات الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ثم ذكر الاصل الثالث وهو الحشر بقوله وقالوا أئذا ضللنا اي ضعنا وهلكنا بان صرنا ضائعين هالكين بان صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لاتتميز منه كما يضيع اللبن في الماء يقال ضل الشئ يضل ضلالا اي ضاع وهلك واضله غيره اي اضاعه واهلكه ويقال ايضا ضل الشئ اذا غاب وخفي مكانه وتقول ضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شئ مقيم لايهتدى له فقولهم أئذا ضللنا في الارض اي غبنا فيها بسبب الدفن وقرأ العامة ضللنا بضاد

وقرئ يعرج ويعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر امرهما على وفق الحكمة (العزيز) الغالب على امره (الرحيم) على العباد في تدبيره وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا (الذي احسن كل شئ خلقه) خلقه موفرا عليه مايستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء مايحسنه اي يحسن معرفته او خلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل (وبدأ خلق الانسان) يعني آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قومه بتصوير اعضائه على ماينبغي (ونفخ فيه من روحه) اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ماتشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا أئذا ضللنا في الارض) اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لاتتميز منه او غبنا وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن

معجمة ولام مفتوحة والمضارع منه بكسر العين وهى اللغة الشائعة وقرئ ضللنا بكسر اللام والمضارع منه يضل بفتح العين وهى ايضا لغة وقرئ صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وبكسر اللام ايضا وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها بمعنى انتن وتغيرت رائحته وقرأ عاصم وحمزة أئذا ضللنا فى الارض أئنا بالجمع بين الاستفهامين بهمزتين للمبالغة فى انكارهم للبعث وقرأ ابن عامر اذا ضللنا بهمزة مكسورة على الخبر أئنا بهمزتين قال لانهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه وانما انكروا البعث فيكون الاستفهام فى البعث دون الموت وقرأ نافع والكسائى ويعقوب أئذا ضللنا انا بجعل اولى الكلمتين استفهاما والثانية خبرا اكتفاء بالهمزة الاولى عن الثانية (**قوله** والعامل فيه) اى فى اذا المحذوف ولا يجوز ان يعمل فيه قوله خلق جديد لان ما بعد ان وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما (**قوله** بالبعث) متعلق بقوله بلقاء ربهم وليس بيان له والا لما بقى للاضراب وجه لان كفرهم بالبعث قد ذكر فى اول الآية ووجه الاضراب انه تعالى ذكر انكارهم للبعث بناء على استبعادهم دخوله تحت قدرة الله تعالى كما يدل عليه قولهم أئذا ضللنا فى الارض ثم اضرب عنه بما معناه ليس انكارهم للبعث مبنيا على استبعادهم قدرة الله تعالى عليه لما اقيم عليهم من الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى عليه وانما انكروه لكفرهم بلقاء الله تعالى اى بلقاء ما وعد الله تعالى من اجتماع الخلائق فى موقف الحساب وتفرقهم على حسب اعمالهم الى دار الثواب او العقاب فانكروا ما يفضى اليه من البعث والاحياء فعلى هذا كان الظاهر ان يكون قوله او بتلقى ملك الموت معطوفا على قوله بالبعث ويكون كل واحد منهما بيانا لطريق لقاء الرب ولقاء موعده الا ان عطف قوله وما بعده على تلقى ملك الموت يأبى ذلك لان لقاء ما يلقونه بعد تلقى الملك هو نفس لقاء ما وعده الرب لا طريق لقائه فينبغى ان يجعل قوله بالبعث وما عطف عليه بيانا او بدلا من قوله تعالى بلقاء ربهم تفسيرا له ويجعل الكفر بالبعث مغاير الانكار البعث المدلول عليه بقوله أنبعث او يجدد خلقنا اذا ضللنا فان انكار الشئ يكفى فيه مجرد استبعاده والكفر به انما يكون للقطع بعدم وقوعه فترتيب النظم انه تعالى ذكر اولا انهم قالوا ذلك استبعادا للبعث ثم اضرب عنه بقوله بل هم كافرون بالبعث قاطعون بعدم وقوعه او بقوله بل هم كافرون بتلقى ملك الموت وما يكون بعده من امور الآخرة باسرها لا بالبعث وحده ويؤيد هذا المعنى انهم خوطبوا بقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وتوفى الحق واستيفاؤه اخذه وافيا تاما من غير نقصان واستيفاء النفس وهى الروح ان تقبض كلها ولا يترك منها شئ او لا يبقى من اصحاب الارواح احد كتب عليه الموت * روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب فاذا قبض ارواح المؤمنين دفعها الى ملائكة الرحمة واذا قبض ارواح الكافرين دفعها الى ملائكة العذاب (**قوله** ويجوز ان يكون للتمنى) لان كلمة لو للتقدير والتمنى فيه معنى التقدير لان المتمنى لا يخلو من تقديره وطلب حصوله ولما كان فى التمنى معنى التقدير استعملت كلمة لو للتمنى كما فى قوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة حين خطب امرأة لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اى يكون بينكما المحبة والاتفاق والادم الالفة والاتفاق يقال ادم الله بينكما ادما اى الف واصلح وعلى تقدير كون لو للتمنى لا تقتضى جوابا كما هو المشهور ثم ان التمنى يستحيل ان يكون منه تعالى فلابد ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان الترجى له عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى لعلهم يهتدون بين الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم ان يتمنى رؤيتهم على تلك الصفة الفظيعة لما تجرع منهم انواع الاذية والخلاف فكان عليه الصلاة والسلام حقيقا بان يتمنى ذلك (**قوله** والمضى فيها وفى اذ) يعنى ان كلمة لو اذا لم تكن للتمنى بل كانت لوقوع الشئ لوقوع غيره فيما مضى اذا دخلت على المضارع تصرفه الى الماضى وكذا كلمة اذ ظرف لما مضى فمدلول الكلام ان يكون نكس المجرمين رؤسهم واقعا فيما مضى وان يفرض وقوع رؤية المخاطب اياهم على تلك الحالة الفظيعة فيما مضى ولا شك ان النكس امر استقبالى لم يقع بعد فلا وجه لدخول اذ عليه كما لا وجه لفرض وقوع الرؤية المتعلقة بالنكس المترقب فيما مضى الا ان الثابت فى علم الله تعالى لما كان بمنزلة الواقع كان نكس رؤسهم بمنزلة الواقع فيما مضى فصح دخول كلمة اذ عليه وصح فرض كون المخاطب رائيا فى ذلك الوقت ان لم يقدر لترى مفعول او فرض وقوع الرؤية المتعلقة به اى بالنكس فيما مضى ان قدر لترى مفعول يدل عليه صلة اذ ثم ان المجرمين لما قالوا حين شاهدوا ما وعده الله تعالى من البعث والحساب ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال تعالى فى جوابهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اى رشدها وتوفيقها للايمان والعمل الصالح فان كل فعل من افعال

وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه (أئنا لفى خلق جديد) وهو أنبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث او بتلقى ملك الموت وما بعده (كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم) يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته (ملك الموت الذى وكل بكم) بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزى (ربنا) قائلين ربنا (ابصرنا) ما وعدتنا (وسمعنا) منك تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد

انما يقع بسبب يرجحه ويفيض عليه من عند الله تعالى وذلك السبب ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا وتقرير الجواب ان الرجوع الى الدنيا انما ينفعكم ان لو شئت توفيقكم للايمان والعمل الصالح ولو شئت ذلك فيكم لهديتكم وانتم فى الدنيا ولما لم اهدكم فيها تبين انى ما اردت ايمانكم وصلاحكم فلا فائدة لكم فى الرجوع الى الدنيا وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وكقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فانه تعالى انما يوفق للايمان والطاعة من علم منه اختيار ذلك واما من علم منه اختيار الكفر والمعصية فانه تعالى يخذله ويطبع على قلبه وهذا صريح فى الدلالة على صحة مذهب اهل السنة فانهم يقولون ان الله تعالى ما اراد ايمان الكافر وماشاء منه الا الكفر والمعتزلة يقولون شاء الله تعالى ان يهدى كل نفس وآتى كل نفس ما تهتدى به لكنها لم تهتد فهذه الآية حجة عليهم ويقولون فى الجواب عنها فى توجيهها المراد بالآية ولو شئنا ايتاء كل نفس هداها على طريق القهر والجبر لفعلنا ذلك لكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا الكفر على الايمان فحقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن نقول هذا التأويل فاسد لانهم زعموا انه تعالى شاء من الكافر ان يهتدى وآتاه ما به يهتدى الا انه لم يهتد ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر ويملك ان يشاء مشيئة تقهرهم وتجبرهم على الاهتداء وايضا يقال لهم ان الايمان والتوحيد فى حال الجبر والقهر لا يكون ايمانا لان الاكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوله عنه الى المكره روى عن الحسن انه قال خطبنا ابو هريرة رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليعتذرن الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام ثلاث معاذير يقول الله تعالى يا آدم لولا انى لعنت الكذابين وابغضت الكذب والخلف واعذب عليه لرحمت اليوم ولدك اجمعين من شدة ما اعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى امرى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ويقول الله تعالى يا آدم اعلم انى لا ادخل من ذريتك النار احدا ولا اعذب منهم بالنار احدا الا من قد علمت بعلمى انى لو رددته الى الدنيا لعاد الى شر ما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله تعالى يا آدم قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع اليك من اعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم انى لا ادخل منهم النار الا من كان ظالما فقوله تعالى ولكن حق القول منى تقديره ولكن لما شاء ايتاء توفيق الايمان لكل نفس فبقى بعض منهم غير موفق للايمان والطاعة فاختار الكفر والعصيان فسبق قضائى وسبق وعيدى فى حقهم وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين من كفار الفريقين لاختيارهم الكفر والتكذيب وفى قوله تعالى من الجنة والناس دلالة على انه تعالى قد عصم ملائكته من عمل يستحقون به جهنم وانهم مبرأون من دخول النار وهذا يقتضى ان لا يكون ابليس من الملائكة وهو الصحيح وقوله تعالى اجمعين تأكيد لاجتماع الفريقين فى كونهما مالئين لجهنم المدلول عليه بعطف الناس على الجنة بواو الجمع ولا يلزم منه دخول كل احد من آحاد الفريقين النار لان المراد اجتماع الجنسين فى ان يملأ بهما جهنم لا استغراق آحادهما فى ذلك كما اذا قلت ملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا فانه لا يقتضى ان لا يبقى درهم خارج عن الكيس (**قوله** وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة) لان لو لانتفاء الثانى لانتفاء الاول الذى هو المشيئة وكون عدم المشيئة مسببا عن سبق الحكم بانهم من اهل النار مبنى على ان قوله تعالى ولكن حق القول منى جيء به تعليلا لعدم المشيئة كانه قيل لو شئنا ايتاء كل نفس هداها لآتيناها ذلك لكن لم نؤتها ذلك لعدم مشيئتنا اياه ولم نشأ ذلك لثبوت الحكم وسبق الوعيد بان من اهل الفريقين من هو اهل النار وهم الذين ثبت فى علمه تعالى انهم يختارون الحظوظ العاجلة على السعادات الباقية ويتركون التفكر فى العاقبة ترك الشيء المنسى (**قوله** ولا يدفعه جعل ذوق العذاب الخ) جواب عما يقال ان الآية تدل على ان جميع ما هم عليه من سوء الحال مستند الى القضاء السابق المتعلق بشقاوتهم لانه يفهم منه ان عدم ايمانهم يستند الى سبق الحكم بانهم من اهل النار فيلزم منه ان يكون ذوق العذاب مستندا الى الحكم المذكور فكيف جعل مستندا الى نسيانهم العاقبة أليس هما متدافعين وتقرير الجواب انه لا تدافع بينهما لان نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واسناده الى النسيان لا ينافى اسناده بالاخرة الى الحكم المذكور فانه تعالى انما قضى وحكم بذلك لعلمه بانه يترك تفكر العاقبة ترك الشيء المنسى فان قيل النسيان معفو عنه لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان فكيف يؤاخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم فالجواب

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول منى) ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركناكم من الرحمة او فى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك

(انهليس)

انه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله بما نسيتم نسيان السهو والغفلة اذ لا تبعد عما فعل فى حال السهو والغفلة ولان النسيان انما يكون بطريان الجهل على ما علم سابقا والمشركون لم يعتقدوا حقيقة البعث حتى يلحقهم نسيان بل المراد به عدم التذكر به مع ظهور براهينه فان من انهمك فى اتباع الشهوات واعرض عن التفكر فى العاقبة والتزود لها بالايمان والطاعة مع وضوح دلائلها ووفور دواعى التهيؤ لها بمنزلة من علمها ثم نسيها فلذلك عبر عن تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر وقوله انا نسيناكم بمعنى جازيناكم جزآء نسيانكم و يسمى جزآء النسيان نسيانا على طريق المشاكلة كما يسمى جزآء السيئة سيئة فى قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها او بمعنى تركناكم ترك الشئ المنسى فيكون استعارة تبعية ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين ينكرون البعث ويقولون أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد وانهم لا يؤمنون بآيات الله تعالى اى بالقرءآن ثم اجابهم بان ذلك كائن لا محالة ثم وصف حالهم الفظيعة فى موقف الحساب ذكر المؤمنين بعد ذكر ذلك فقال انما يؤمن باياتنا اى بالقرءآن المتدبرون لها المستمعون الى مواعظها بحيث اذا قرئ عليها القرءآن ووعظوا به خروا سجدا لله على وجوههم تذللا له وتعظيما لآياته (**قوله تعالى تتجافى جنوبهم**) يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وكذلك يدعون وان جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير فى جنوبهم (**قوله سيعلم اهل الجمع**) مقول قول مقدر اى ينادى قائلا سيعلم (**قوله فيسرحون**) اى يرسلون يقال سرحت فلانا الى موضع كذا اى ارسلته اليه قيل نزلت الاية فى الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر فى جماعة قال عليه الصلاة والسلام من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة والمشهور منه صلاة الليل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وقال عليه الصلاة والسلام ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن ألان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام (**قوله مما تقر به عيونهم**) على ان القرة مصدر وصف به الثواب الذى تقر بسببه عيونهم ولا يلتفت الى غيره من القرار فان القلب اذا اطمأن بالشئ ورضى به لا يبقى للعين طموح والتفات الى غيره فتقر قال الجوهرى القرار فى المكان الاستقرار فيه تقول منه قررت بالمكان بالكسر اقر قرارا وقررت ايضا بالفتح اقر قرارا وقرورا وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت واقر الله عينه اى اعطاه حتى تقر فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال تبرد دمعة عينه ولا تسخن فان السرور له دمعة باردة وللحزن دمعة حارة فالقرة بالضم البرودة والقر بالضم البرد ويوم قر وليلة قرة اى باردة والقرتان الغداة والعشى (**قوله عليه الصلاة والسلام بله ما اطلعتهم عليه**) من جملة قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى وبله اسم فعل بمعنى دع واترك (**قوله وقرأ حمزة ويعقوب اخفى**) بضم الهمزة وسكون الياء على لفظ المضارع المرفوع المسند الى ضمير المتكلم وحده وقرئ نخفى بضم نون العظمة وقرئ اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ العامة اخفى على لفظ الماضى المبنى للمفعول ومن ثمة فتحت ياؤه وقرأ الجمهور قرة اعين بافراد قرة لكونها مصدرا والمصدر اسم جنس والاصل فيه ان لا يجمع وقرئ قرات اعين على لفظ الجمع بالالف والتاء على ان يراد بالقرة نوع من القرار وما موصولة والمعنى فلا تعلم نفس الشئ الذى اخفى لهم ومن قرة حال من ما او استفهامية فعلى قرآءة من قرأ ما بعدها فعلا ماضيا تكون ما فى محل الرفع بالابتدآء والفعل الذى بعدها الخبر وعلى قرآءة من قرأه مضارعا تكون مفعولا مقدما (**قوله جزوا جزآء**) يعنى ان جزآء منصوب اما على انه مصدر لفعله المحذوف او على انه مفعول له لقوله اخفى فان اخفاء الجزآء عن الاعين والاسماع والقلوب لعلو شأنه فكأنه قيل فلا تعلم نفس اى ثواب عظيم اعد لهم جزآء بقى الكلام فى ان الثواب كيف يكون جزآء لعمل العبد مع ان اخلاص العمل لله عز وجل للنعم الواصلة منه تعالى اليه قبل العمل كالتخليق والترزيق وغيرهما والثواب الواصل منه تعالى اليه بعد العمل انما هو تفضل محض وعطية مبتدأة وليس جزآء للعمل السابق الا انه تعالى سماه جزآء تشبيها بالجزآء فى وقوعه بعد العمل واظهارا لكرمه وسبق رحمته حيث لم يعتد بما انعم به عليه سابقا ولم يطلب من العبد ان يشكره بمقابلة ذلك وجعله تفضلا محضا بل وعد الجزآء والثواب بمقابلة احسان العبد وقال له كلما عملت حسنة ضاعفت لك اجرا وثوابا ثم اذا عرف ان هذا من فضل الله تعالى وكرمه فالواجب من جانب العبد ان يقول فعلى جزآء نعم الله السابقة ولا استحق به جزآء

(انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضرآء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) لا ملك مقرب ولا نبى مرسل (من قرة اعين) مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل فى الكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل (جزآء بما كانوا يعملون) اى جزوا جزآء او اخفى للجزآء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا من الايمان (لا يستوون) فى الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق فى آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او على اعمالهم (واما الذين فسقوا فمأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة فى غيظهم

زاذا ما به الله تعالى يتول الذى اثيت به كان جزآء وهذا ابتدآء احسان من الله تعالى يستحق بذلك ثناء وشكرا ويأتى بمقابلته حسنة وطاعة فيقول الله تعالى بمقتضى كرمه وفضله انى احسنت اليه جزآء فعله الاول وما فعلته اولا انما فعلته تفضلا لا لاطلب شكره فيجازيه ثالثا فيشكر العبد ثالثا فيجازيه رابعا وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد ثم انه تعالى لما بين فضاحة المجرمين ونكس رؤسهم فى موقف الحساب ووصف ثواب المؤمنين وما اخفى لهم من قرة اعين قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم صرح بانهما لا يستويان ثم فصل طريق امتياز احدهما عن الآخر بقوله اما الذين آمنوا الآية والنزل ما اعد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف قال الشاعر

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ـ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقوله تعالى فى حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لهم لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون محمولا على العارية وله استردادها واذا قال له هذه الدار لك يكون محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استردادها الا ترى انه تعالى لما قال لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اخرجهما منها ولو قال لكما الجنة لما اخرجهما ولم يكن للمؤمنين الخروج من الجنة فى الآخرة قال لكم الجنة ولهم جنات ثم انه تعالى لما هددهم بالعذاب الاكبر الذى هو عذاب النار وعدهم بعذاب الدنيا ايضا فقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى اى الاقرب فان عذاب الدنيا قريب دون العذاب الاكبر يعنى به عذاب الآخرة الذى هو اكبر من عذاب الدنيا لكونه شديدا مديدا بخلاف عذاب الدنيا (قوله فنزلت هذه الآيات) اى من قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قال الوليد بن عقبة لعلى رضى الله تعالى عنه الى كم تهددنى فوالله انى لاحد منك سنانا واشجع منك جنانا وابسط منك لسانا واملا منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت يا فاسق فانزل الله تعالى هذه الآيات تصديقا لعلى رضى الله عنه فان قيل ما وجه الترجى المستفاد من قوله تعالى لعلهم يرجعون والترجى محال على الله تعالى فالجواب ان المعنى ولنذيقنهم اذاقة من يرجى رجوعهم الى الايمان كما ان قوله انا نسيناكم معناه تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه اصلا ويجوز ان يكون المعنى ولنذيقنهم العذاب اذاقة من رآه لعلهم يرجعون بسببه ثم انه تعالى لما هدد الفاسقين واوعدهم بعذاب الدارين بين استحقاقهم لذلك بقوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فان مجرمى مكة قد ذكروا بمواعظ القرآن ولم يتفكروا فيها ولم يؤمنوا بها فلا احد اظلم منهم فاستحقوا بذلك لان ينتقم منهم (قوله بعد التذكير بها) ظرف الاعراض وقوله عقلا متعلق بالاستبعاد تمييز له والغماء الكربة الشديدة التى تغطى اهلها والمراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب اى لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم يرى غمرات الموت ثم يتوسطها وانما قال ابن حرة ليهيجه ويحرضه على الزيارة والمعنى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيتها مستبعدة مستنكرة فى العقل والعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه بانها غمرات الموت والزيارة بعد اليقين مما يستبعد وفى ايثار لفظ الزيارة واشعاره بانه يلاقيها لقاء معظم لمحبوبه مبالغة على مبالغة جعل ثم للاستبعاد لا للتراخى اما زمانا فظاهر لانه لا وجه لان يقال فى مقام المدح انه يرى غمرات الموت ثم يمكث زمانا طويلا متفكرا ثم يزورها لانه ذم له واما رتبة فلانه لا يستقيم ان يقال ان الاعراض ارفع درجة من التذكير وكذا لا يصح ان يقال فى البيت ان الزيارة ارفع رتبة من رؤية غمرات الموت (قوله من لقائك الكتاب) على ان اللقاء مصدر اضيف الى مفعوله والمقصود تقرير رسالته عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان ما معه من الكتاب وحى سماوى وكتاب الهى لا كما زعمه المشركون من ان البشر لا يوحى اليه ولا يتلقى الكتاب من لدن حكيم عليم كانه قيل لست بدعا من رسول اوتى الكتاب الا ترى الى موسى عليه الصلاة والسلام قد بعث رسولا واوتى الكتاب وهو بشر مثلك فلا تمتر فى كونك رسولا مؤيدا بالكتاب السماوى فانه تعالى لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة والتوحيد والحشر عاد الى الاصل الذى بدأ به وهو الرسالة المذكورة فى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير والآدم من الناس الاسمر والطوال بالضم الطويل ويقال رجل جعد لمن لم يكن شعره مسترسلا وشعر سبط وسبط اى مسترسل غير جعد وشنوءة حى من احياء اليمن وكانت الجعودة غالبة فيهم روى ان التوراة انما جعلت هدى لبنى اسرآئيل خاصة دون بنى اسماعيل ولما اشار بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون الى ان منهم من لم يهتد به فضلا عن ان يهدى الناس الى ما فيه قال ان ربك هو يفصل بينهم ثم انه تعالى لما اعاد ذكر الرسالة بقوله ولقد آتينا موسى الكتاب اعاد ذكر التوحيد بقوله اولم يهد لهم الآية اى

(ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقى منهم (يرجعون) يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها) فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها (انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن فى مرية) فى شك (من لقائه) من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى بى موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة (وجعلناه) اى المنزل على موسى (هدى لبنى اسرآئيل وجعلنا منهم ائمة يهدون) الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام (بامرنا) اياهم به او بتوفيقنا لهم (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائى ورويس لما صبروا اى لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) يقضى فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين (اولم يهد لهم) الواو للعطف على منوى من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه (كم اهلكنا من قبلهم من القرون) اى كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القرآءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) يعنى اهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) التى جرز نباتها اى قطع وازيل لا التى لا تنبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع باليمن (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وانفسهم) كالحب والثمر (افلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) فى الوعد به

المر ينبد ولم يهد لاهل مكة كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية الى ان مخالفة الرسول تؤدى الى الهلاك العاجل وان اتباعه فيما دعا اليه من التوحيد والطاعة واجب على الامة وقوله تعالى يمشون فى مساكنهم حال من ضميراهم ثم انه تعالى لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله ويقولون متى هذا الفتح والمراد بالفتح اما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل واما نصر المؤمنين واظهارهم على الكفار لان المؤمنين كانوا يقولون يبعث الله تعالى الخلائق اجمعين ويحكم بين المطيع والعاصى فيثيب المطيع ويعاقب العاصى فيقولون متى هذا الفتح والحكم وكذا كان المؤمنون يقولون ان الله تعالى سيفتح لنا على المشركين ويظهر دين الاسلام وينصرنا الله ويظهرنا عليكم فقالوا متى هذا الفتح والنصرة وقيل المراد به يوم فتح مكة وقيل يوم بدر وقد قتل بعض من بنى كنانة يوم فتح مكة على يد خالد بن الوليد وقوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ظاهر على تقدير ان يراد بيوم الفتح يوم القيامة لان الايمان المقبول هو الذى يكون فى دار الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها ولاهم ينظرون اى لايمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا فيقبل ايمانهم ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر ويوم فتح مكة قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا الان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار وقد قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولاهم ينظرون اى يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بنى كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبل منهم خالد وقتلهم فذلك قوله تعالى لا ينفع الذين كفروا ايمانهم والله اعلم (**قوله** وانطباقه جوابا) مبتدأ ومن حيث المعنى خبره يعنى انهم سألوا عن وقت الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون لا يطابق ظاهر السؤال لكنه مطابق لمعنى سؤالهم وما ارادوا منه فانهم ارادوا به استعجال الفتح تكذيبا له واستهزاء واجيبوا بان قيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فان فى وقوعه مايسوءكم ويجعلكم نادمين على استعجاله والاستهزاء به وقوله تعالى فاعرض عنهم معطوف على قوله قل يوم الفتح فانهم لما كذبوا ما اخبروا به من نصرة المؤمنين عليهم او من حشر الخلائق اجمعين والحكم بينهم بتمييز المحق من المبطل ومجازاة كل واحد منهما على حسب حاله واستعجلوه على سبيل الاستهزاء قال تعالى له عليه الصلاة والسلام اجبهم بان تقول لهم لا تستعجلوا فان فى وقوعه ضررا عظيما لكم ثم اعرض عنهم وانتظر وقوع ما اخبروا به من النصر والفصل بالحكومة وقرأ العامة انهم منتظرون بكسر الظاء على لفظ اسم الفاعل وقرئ منتظرون بفتح الظاء فعلى هذا التفسير لا وجه لان يقال انه منسوخ باية السيف اذ لا منافاة بينهما . روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان تم هنا ما يتعلق بسورة الم تنزيل السجدة والآن اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الاحزاب وهى مدنية

(سورة الاحزاب)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(**قوله** وتفخيما لشأن التقوى) فان تعظيم المنادى ذريعة الى تعظيم شأن المنادى له (**قوله** والمراد به الامر بالثبات عليه) جواب عما يقال المشتغل بالشئ لا يؤمر به فلا يقال للجالس مثلا اجلس فكيف امره عليه الصلاة والسلام بالتقوى وهو مشتغل بها وتقرير الجواب المشتغل بالشئ اذا امر به لا يكون المطلوب احداث اصل الفعل لانه طلب تحصيل الحاصل بل يكون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل الى ما ينافيه والموادعة المصالحة وترك الحرب روى فى نزول هذه الآية ان اباسفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل واباالاعور السلمى واسمه عمرو بن سفيان قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابى رأس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاهم الامان على ان يكلموه فكلموه بما شق عليه فقال عمر رضى الله عنه ائذن لى يارسول الله فى قتلهم فقال عليه الصلاة والسلام قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم عمر اخرجوا فى لعنة الله تعالى وغضبه فانزل الله تعالى يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين اى من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة (**قوله** وقرأ ابو عمرو بالياء) اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب كقوله يا ايها النبى لان المراد هو وامته اوخوطب بلفظ الجمع تعظيما له كما فى قوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * (**قوله** لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق بالنفس الانسانى) الروح الحيوانى هو البخار اللطيف المتكون من غليان الدم الحاصل فى جوف اللحم الصنوبرى المثبت فى الجانب الايسر منه وينفصل من هذا البخار قسم ويتوجه الى جانب الكبد وذلك القسم

(قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر اويوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر * وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام (سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها النبى اتق الله) ناداه بالنبى وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) اى فيما يعود بوهن فى الدين روى ان اباسفيان وعكرمة بن ابى جهل واباالاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابى ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى اليك من ربك) كالنهى عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فموح اليك ما يصلحه ويغنى عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل امرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) اى ما جمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق بالنفس الانسانى اولا

يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة وطبخ الاغذية والافعال النباتية وقسم آخر يتصاعد الى الدماغ بواسطة الشرايين ويسمى روحا نفسانيا و تتعلق به الافعال الحيوانية وهذا القسم لغاية لطافته يسرى الى جميع اطراف البدن وعروقه واعضائه وتتعلق به النفس الناطقة الانسانية اولا و بواسطته تتعلق بالبدن (قوله وذلك يمنع التعدد) اى وكون القلب معدنا للروح الحيوانى ومنبع القوى باسرها يمنع تعدد القلب من حيث ان تعدده يستلزم التناقض وهو ان يكون كل واحد منهما محتاجا اليه ومستغنى عنه فان كون كل واحد منهما قلبا يستلزم كونه اصلا لسائر القوى وكون الاخر قلبا يستلزم ان لا يكون الاول اصلا له كما ان يكون احدى العلتين علة تامة تستلزم كونها محتاجا اليها وكون الاخرى كذلك يستلزم كون الاولى مستغنى عنها هذا على تقدير ان يفعل بكل واحد منهما مثل ما يفعله بالاخر واما ان فعل باحد منهما ما يفعله بالاخر فحينئذ يلزم ان يكون الانسان راضيا كارها موقنا شاكا فى حالة واحدة وهو محال (قوله ولا الدعوة والبنوة) الدعوة بفتح الدال مصدر يراد به الدعاء الى الطعام و بكسرها يستعمل فى التبنى وادعاء النسب والادعياء جمع دعى بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم وجمع على ادعياء على خلاف الاصل لان افعلاء انما يكون جمعا لفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقى واتقياء وغنى واغنياء واما ان كان فعيلا معتل اللام الا ان بمعنى مفعول فكان القياس ان يجمع على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا فى الشذوذ قولهم اسير واسرى والقياس اسراء وقد سمع فيه الاصل فقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم معناه ما جعل من تبنيتموه ابناءكم نسخ الله تعالى به التبنى و كان الرجل فى الجاهلية يتبنى رجلا فيدعوه الناس اليه ويرث ميراثه وكان النبى عليه الصلاة والسلام اعتق زيد بن حارثة وتبناه فلما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ونسخ التبنى بها واللب العقل واللبيب العاقل وكذا الاريب من الارب وهو الدهاء وجودة الرأى وكان كل واحد من ابى معمر وجميل رجلا لبيبا حافظا لما يسمعه من الوقائع مكثر الرواية الحوادث الماضية وكان لا يمر فى طريق من طرق البلدان الا و يعرفه بعد سنين متطاولة وكانت قريش تقول فى حقهما انهما ما يحفظان هذه الاشياء الا ولهما قلبان وكانا يدعيان بذلك وكان ابو معمر يقول لى قلبان اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم وروى انه انهزم يوم بدر فمر بابى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ابو سفيان ما فعل الناس فقيل هم ما بين مقتول وهارب فقال له مالى ارى احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلى فعلم الناس يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (قوله والزوجة المظاهر منها) منصوب بالعطف على اللبيب اى ومن ان الزوجة المظاهر منها كالام وان دعى الرجل ابنه وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية وكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها تجنب المطلقة فرد الله تعالى ما زعمته العرب من كونه طلاقا مزيلا للنكاح الا انه قرر كونه موجبا لاصل الحرمة وجعل تلك الحرمة موقتة الى اداء الكفارة كما يجيئ فى سورة المجادلة من انه تعالى نهى عن الظهار وجعله منكرا من القول وزورا واوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته (قوله اوالمراد نفى الامة الخ) عطف على قوله والمراد رد ما كانت العرب يعنى ان المراد من الآية اما نفى كل واحد من الامور الثلاثة التى زعمتها العرب او نفى الاخيرين منها ونفى الاول انما هو ليقاس عليه انتفاؤهما من حيث اشتراك الجميع فى كونه تقولا محضا لا حقيقة له (قوله وقرأ ابو عمرو واللاى) يعنى ان جمع قولنا التى فيه ثلاث لغات قرئ بهن فقرأ الكوفيون وابن عامر اللائى ههنا وفى سورة الطلاق بياء ساكنة بعد همزة مكسورة وهو الاصل فى هذه اللفظة وقرأ ابو عمرو اللاى بياء ساكنة بعد الف محضة اصله اللائى فحذفت الهمزة تخفيفا فبقيت الياء الساكنة ومن قرأ بهمزة مكسورة بدون الياء حذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة (قوله واصل تظهرون) بفتح التاء والظاء والهاء وتشديد الظاء والهاء بغير الف بينهما فانها قراءة الجمهور واصله تتظهرون بتاءين فادغمت الثانية فى الظاء كما فى تذكرون وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والف بعدها مضارع تظاهر واصله تتظاهرون بتاءين فادغمت الثانية وكذا فى الماضى الا انه اتى بهمزة الوصل بعد الادغام فيه ليمكن الابتداء فصار اظاهر وحمزة والكسائى تظاهرون بتخفيف الظاء والاصل ايضا تتظاهرون بتاءين حذفت احداهما وعاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء والف بعدها مضارع ظاهر وقرئ تظهرون بضم التاء وفتح الظاء المخففة

ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد (وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم) وما جمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وقيل لجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر منها كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد اوالمراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر منها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعى اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الطاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور

وتشديد الهاء المكسورة مضارع ظاهر بتضعيف العين وقرئ تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخففا ثلاثيا وقوله من الظهور بيان لكون البناء مأخوذا من الفعل الثلاثى ببيان مصدره وليس المقصود ان من قرأ تظهرون منهن يجعله مأخوذا من الظهور لتصريحه بان الافعال المستعملة فى الظهار كلها مأخوذة من الظهر على طريق اخذ اللفظ من لفظ آخر كما يقال لبى المحرم بمعنى قال لبيك وامن بمعنى قال آمين وسبح اى قال سبحان الله وان كان الاصل والاكثر فى الاستعمال ان يعبر بالالفاظ عن المعانى لا عن اللفظ ومدلول نحو قولك اظهر واظاهر وظهر وظهر كلها الفاظ فان معنى الجميع انه قال لزوجته انت على كظهر امى (قوله كما عدى الى بها وهو بمعنى حلف) وحلف لا يتعدى بمن الا انه لما تضمن معنى التجنب من قربان زوجته مدة الايلاء عدى بمن (قوله وذكر الظهر للكناية عن البطن) يعنى ان قصد المظاهر ان يحرم عليه قربان امرأته بتشبيه قربانها بقربان امه والمرأة انما يؤتى اهامن قبل بطنها فكان الظاهر ان يقول المظاهر انت على كبطن امى فى الحرمة الا انه كنى عن البطن بالظهر احترازا عن ذكر البطن الذى ذكره قريب من ذكر الفرج ووجه الكناية التى هى ذكر اللازم وارادة الملزوم كون الظهر عمود البطن ولا زماله فى قيامه (قوله او للتغليظ فى التحريم) فان قربان الام من جانب ظهرها لما كان اغلظ فى الحرمة كان تشبيه الزوجة بظهر الام اغلظ فى تحريمها عليه وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول (قوله اشارة الى كل ما ذكر الخ) اذ يصدق على كل واحد منها انه قول بالفم بحسب اذ ليس شئ منها اخبارا عن الواقع فيكون من قبيل اصوات الحيوانات من حيث ان شيئا منها ليس حكاية عن الواقع والله يقول الحق اى يقول القول المطابق للواقع و يهدى سبيل الحق اى افرد من جملة اقواله الحقة ما هو المناسب لهذا المقام فقال ادعوهم لآبائهم وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يدعون زيد بن محمد الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت قالوا زيد بن حارثة (قوله ولكن الجناح فيما تعمدت) يعنى ان كلمة ما يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفى والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت والثانى ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوفا (قوله لعفوه عن المخطئ) علة لكونه تعالى رحيما للمخطئ بمغفرته فان المغفرة هى ان يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال انه غفر لسيده والرحمة ان يميل الى المرحوم بالاحسان اليه بمجرد عجز المرحوم من غير توقع عوض من قبله فاذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون المعنى انه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه ولما كان هذا المعنى غير مناسب فى هذا المقام اذ لا وجه لان يحمل الكلام على انه تعالى غفور للمخطئ متفضل عليه بعد ستر خطاه بالاحسان الزائد على المغفرة فلذلك جعل ذكر الرحمة للاشارة الى علة عفوه عن المخطئ والاحسان اليه بناء على عجزه عن الاحتراز عما ارتكبه لنسيانه اولسبق لسانه (قوله وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه) سوآء كان المملوك معروف النسب او مجهوله وسوآء كان اصغر سنا من المتبنى بحيث يولد مثله لمثله اولا وعند صاحبيه لا يعتق اذا كان المملوك اكبر سنا من المتبنى ووافقهما الامام الشافعى فى هذه المسئلة (قوله منزلات منزلتهن) يعنى انه من باب التشبيه البليغ حذفت فيه اداة التشبيه للمبالغة ووجه الشبه وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن قال تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك كالاجانب وليس المراد التشبيه فى جميع احكام الامهات الا ترى ان النظر اليهن والخلوة بهن حرام كما فى الاجانب قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن هن اخوات للمؤمنين الا ترى انه عليه الصلاة والسلام زوج بناته لعلى وذى النورين رضى الله عنهم اجمعين ولا يقال ايضا لاخوانهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوج الزبير اسماء بنت ابى بكر وهى اخت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهذا معنى ماروى مسروق ان امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فتريد ان معنى الآية التشبيه فى بعض الاحكام وهو كونهن محرمات على الرجال كحرمة امهاتهم (قوله وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام) وهو ان يكون التوارث مبنيا على كون المتوارثين متوافقين فى الهجرة او فى التعاون والتناصر فى الدين فمن وجد فيه هذه الصفة وان كان من الاجانب يرجح على القريب المؤمن الذى لم توجد فيه هذه الصفة ويقصد بذلك تأليف قلوبهم على التناصر فى الدين وتحمل مشاق الهجرة كما تألف قلوب قوم باعطائهم سهما من الصدقات ثم نسخ ذلك بقوة الاسلام وكثرة اهله كان الناس فى اول الاسلام يتوارثون بالهجرة لكونها من آكد اسباب الديانة والمواخاة اذ هى اجتماع على نصرة دين الله تعالى ثم بعد

ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعى على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير (قولكم بافواهكم) لا حقيقة له فى الاعيان كقول الهاذى (والله يقول الحق) ما له حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقيقة وقوله (هو اقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم فى الدين) فهم اخوانكم فى الدين (ومواليكم) واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان او سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) فى الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وازواجه امهاتهم) منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء (واولوا الارحام) وذووا القرابات (بعضهم اولى ببعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين

ذلك توارثوا بالايمان مع القرابة لكون ذلك اجتماعا على نصرة الدين بجمع الله تعالى (**قوله** اوفيما فرض الله تعالى) على ان الكتاب مصدر بمعنى المكتوب وهو المفروض من كتب اذا فرض واوجب الجوهري الكتاب الفرض والحكم والقدر قال تعالى كتاب الله عليكم اى فرض الله تعالى عليكم فرض وقوله فى كتاب الله يجوز ان يتعلق باولى لان افعل التفضيل يعمل فى الظرف ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير فى اولى والعامل فيه معنى اولى وقوله من المؤمنين يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون كلمة من بيانية جيئ بها بيانا لاولى الارحام والمعنى واولو الارحام الذين هم المؤمنون والمهاجرون اولى بالميراث من الاجانب فتكون صلة افعل محذوفة وثانيهما ان من فيه هى التى تجر المفضول كالتى فى قولك زيد افضل من عمرو والمعنى واولوا الارحام اولى بالميراث من المؤمنين والمهاجرين الاجانب وقوله الا ان تفعلوا يجوز ان يكون استثناء متصلا بان يكون استثناء من اعم مايقدر الاولوية فيه من النفع كانه قيل القريب اولى من الاجنبى فى كل نفع من ميراث وهبة وصدقة وهدية ونحو ذلك الا فى الوصية فان المراد بالمعروف هنا الوصية فالاجنبى احق بالوصية من القريب فان القريب لايستحق شيئا من تركة الميت بجهة الوصية وانما يستحقه بجهة الارث وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالولاية فى الدين وبالهجرة اباح ان يوصى للذين يتولونه ما احب من الثلث ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بناء على ان المراد بما فيه من الاولوية هو التوارث فيكون الاستثناء من خلاف الجنس المدلول عليه بمجز الكلام ومعناه كانه قيل لاتورثوا غير اولى الارحام لكن فعلكم الى اوليائكم معروفا جائز وهو ان توصوا لمن احببتم من هؤلاء بشيئ فيكون له ذلك بالوصية لابالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا وتزلوا اى تعطوا وتسوقوا وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها **قوله** كان ماذكر فى الآيتين) جعل ذلك اشارة الى نسخ ماذكر فى قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وفى قوله النبى اولى بالمؤمنين تحقيقا وتقريرا لمضمونهما ولو جعل اشارة الى نسخ التوارث بالهجرة والولاية وجعله منوطا بالرحم والقرابة لكان له وجه ظاهر ثم انه تعالى لما اكد ماذكره فى الآيتين ذكر ان المقصود من بعثة الانبياء واخذ عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم ان يسأل الصادقين عن صدقهم والكاذبين عن كذبهم فيجازى كل فريق بمايستحقه لتحريض المكلفين على قبول احكامه فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم والمراد بالميثاق المأخوذ منهم ارسالهم وامرهم بتبليغ ما اوحى اليهم اخذ من كل واحد منهم عهد بذلك حين ارسله فسر الصادقين اولا بالانبياء الذين صدقوا الله فى عهدهم وجعل المسئول عنه ماقالوه لقومهم او تصديق القوم اياهم (**قوله** لانهم مساهير ارباب الشرآئع) وآدم عليه الصلاة والسلام وان كان اقدم الانبياء الا ان المقصود الاولى من خلقه عمارة الدنيا بيث الاولاد فيها ونبوته كانت من قبيل ارشاد الآباء الاولاد الى التوحيد وحسن المعاشرة ولهذا لم يكن فى زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب بخلاف الانبياء المذكورين فى الاية فانهم اصحاب الكتب والشرآئع واولوا العزم من الرسل وقدم النبى صلى الله عليه وسلم لقوله كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وقوله تبكيتالهم مفعول له لقوله ليسأل الله الانبياء يعنى ان الحكمة فى السؤال مع انه تعالى عالم بانهم صدقوا الله تعالى فيما عاهدوا عليه وبالذى اجاب به قومهم تبكيت قومهم وفسره ثانيا بالمصدقين لهم وبين انهم انما سموا صادقين لان من قال للصادق صدقت اكان صادقا فى قوله وفسره ثالثا بالمؤمنين وبين انهم سموا صادقين لانهم صدقوا عهدهم اى صدقوا الله فى عهدهم فحذف الجار كما فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا اى فى الرؤيا وجعل المسئول عنه صدقهم فى عهدهم وشهادتهم التى صدرت عنهم حين اشهدهم على انفسهم فان قولهم بلى شهادة منهم على ربوبية الله تعالى وعهد على الثبات عليها يسألهم الله تعالى عن صدقهم ليدعوا انهم صادقون فتشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم فيتبين صدقهم على رؤس الاشهاد فيفوزون بسعادة الابد ولما كان اخذ ميثاق الانبياء مؤديا الى سؤال المؤمنين عن صدقهم فى عهدهم وكان ذلك السؤال مؤديا الى تبين صدقهم بين اهل الموقف وكان تبين ذلك مستلزما بحكم الوعد الالهى لاثابتهم بما لاعين رأت ولا اذن سمعت كان خلاصة الكلام ومدلوله اخذنا منهم ميثاقهم ليسأل الله عن صدق المؤمنين فيتبين صدقهم واذا تبين ذلك اثاب المؤمنين واعد للكافرين فهذا معنى قول المصنف قوله تعالى واعد عطف على مادل عليه ليسأل وكان اصل الكلام اخذنا ميثاقهم ليسأل المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثانى بذكر مسببه وهو قوله واعد فان سؤال كل واحد من الفريقين سبب لتبين حاله على رؤس الاشهاد المستلزم لاثابة احدهما وتعذيب الاخر

(فى كتاب الله) فى اللوح اوفيما انزل وهو هذه الاية اوآية المواريث اوفيما فرض الله تعالى (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولى الارحام اوصلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة (الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا) استثناء من اعم مايقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية اومنقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) كان ماذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح اوالقرءآن وقيل فى التوراة (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرار لبيان هذا الوصف (ليسأل الصادقين عن صدقهم) اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم اوتصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم

(قوله عطف على اخذنا) اى على مادل عليه اخذنا فان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة الى الامم
ودعوتهم الى الدين القويم انما هو لاثابة المؤمنين فكأنه قيل ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة
المؤمنين واعد للكافرين (قوله وكانوا زهاء اثنى عشر الفا) اى قدرها لما ذكر الله تعالى فى اول السورة قوله
ولا تطع الكافرين والمنافقين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ذكر شأن الكفار والمنافقين مع اهل الاسلام ومايدل
على وجوب التوكل على الله وكفايته فى الامور كلها فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله الآية وذكر النعمة
شكرها * وغطفان ابو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان وقيس ابو قبيلة من مضر وهو قيس غيلان
والصبا ريح تجيئ من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب والنبل السهام العربية وهى مؤنثة لاواحد لها من لفظها
(قوله فاخصرتهم) اى ابردتهم والخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل اذا آلمه البرد فى اطرافه وسفت
التراب سفيا اى ذرته وطيرته والذاريات الرياح (قوله فالنجاء) اى الزموا النجاء من قولك نجوت نجاء اى
اسرعت والهمزة فيه منقلبة عن واو كما فى كساء * اقبلت قريش فى ايام الخندق فى عشرة آلاف من الاحابيش وهم
الجماعات المتفرقة اجتمعوا على امر واحد من بنى كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان معهم فى الف
ومن تبعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل من هوازن ومعهم يهود قريظة والنضير وحين
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم اشار عليه سلمان رضى الله عنه بحفر الخندق على المدينة ثم خرج
فى ثلاثة آلاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين العدو وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآكام
واشتد الخوف ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر
روى ان شابا قال لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى والله لقد رأيت
قال والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشى على الارض وقال له حذيفة يا ابن اخى افلا احدثك عنى
وعنه قال بلى قال والله لو رأيتنا يوم الخندق وما بنا من الجهد والجوع والخوف مالا يعلمه الا الله لما قلت ذلك قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ماشاء الله من الليل فقال الا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقالى فى الجنة
فو الله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع ثم صلى ماشاء الله ثم قال الا رجل يأتينا بخبر القوم
جعله الله رفيقالى فى الجنة قال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد
دعانى فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك فقال اذهب فجئنى بخبر القوم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فاتيت القوم
والريح والله وجنوده تفعل بهم ماتفعل مايستمسك لهم بناء ولاتثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر وانى كذلك
اذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال الراوى يخوفهم ان يكون عليهم
عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذى الى جنبى فقلت من انت قال انا فلان ثم دعا ابو سفيان براحلته فقال
يا معاشر قريش فوالله ما انتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لايستمسك لنا
معها شئ ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن قدر فارتحلوا فانى مرتحل ثم عمد فركب راحلته وانها لمعقولة ماحل عقالها
الا بعد ماركبها قال فقلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت صنعت شيئا فوترت قوسى ثم وضعت السهم
فى كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدثن شيئا حتى ترجع قال
فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت
تحته وارسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ماالخبر فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور فانهزموا بغير قتال كفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين (قوله الانواع من
الظن) يعنى جمع الظن مع انه مصدر فحقه ان لايجمع من حيث انه قصد به ظنون مختلفة ظن كل فريق على حسب
اختلاف يقينهم قوة وضعفا وتعريف الظنون يحتمل ان يكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن لان كل
احد يظن شيئا عند اشتداد الامر ويحتمل ان يكون للعهد اى ظنونهم المعهودة لان المعهود عن المؤمن ظن الخير
بالله كما قال عليه الصلاة والسلام ظنوا بالله خيرا ومن الكافر الظن السوء قال الله تعالى ذلك ظن الذين كفروا
(قوله والالف مزيدة فى امثاله) كقوله واطعنا الرسولا وقوله فاضلونا السبيلا قرأ نافع وابن عامر
وابو بكر باثبات الالف فيها وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن فى المصحف بالالف وايضا فان هذه الالف تشبه
هاء السكت فى كونها مزيدة لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجراء للوصل مجرى

(واعد للكافرين عذابا اليما) عطف على اخذنا
من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة
المؤمنين او على مادل عليه ليسأل كانه قال فاثاب
المؤمنين واعد للكافرين (يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم
قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء
اثنى عشر الفا (فارسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا
لم تروها) الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب
الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر
لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله
عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت
التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم
وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة
فى جوانب المعسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما
محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال
(وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ
البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب
والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم
(من فوقكم) من اعلى الوادى من قبل المشرق بنوا
غطفان (ومن اسفل منكم) من اسفل الوادى من قبل
المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى
نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر)
رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها
الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام
والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الانواع من الظن
فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده
فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم والالف
مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى
نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف
ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس

الوقف فكذلك هذه الالف وقرأ ابو عمرو وحمزة بحذفها فى الحالتين لانها الاصل لها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجرآء للفواصل مجرى القوافى فى ثبوت الف الاطلاق كما فى قوله

اقلى اللوم عاذل والعتابا * وقولى اصبت لقد اصابا

فكما زادوا الالف فى القافية زادوها فى الفاصلة ايضا تشبيها رؤس الآيات باواخر الابيات من حيث ان كل واحدة منهما مقطع الكلام ولان هذه الالف كهاء السكت وهى تثبت وقفا وتحذف وصلا فكذا الالف وقوله تعالى هنالك منصوب بابتلى اى فى ذلك المكان البعيد وهو الخندق و بعده لكونه موضع الشدة والبلاء اوفى تلك الحال والزمان على ان يكون هنالك ظرف زمان اختبر المؤمنون اى الذين اظهروا الايمان ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله تعالى ليس لابانة الامر له بل لاظهاره لغيره من الملائكة والانبياء كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على تمرده وعصيانه وعنده غيره فانه يامر ذلك العبد بامر بمحضر من عنده عالما بانه يخالفه لكى يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لايذهب وهم احد انه ظلم عبده (**قوله** ماهذا الاوعد غرور) وهو الاطماع فيما لامطمع فيه وهذا تفسير للظنون و بيان اظن من يرى، كثرة العدو وضيق الامر بالمسلمين فيقول اوكان الله يريد ان ينصرهم لمابلغ الامر هذا المبلغ بل الظاهر انه يستأصلهم فى هذا الموضع وماوعده الله ورسوله من نصرة المؤمنين واعلاء الدين وفتح مدآئن كسرى وقيصر ليس الاوعد غرور وكيف لاونحن لانا من ان نذهب الخلاء روى انه عليه الصلاة والسلام ضرب بالمعول فى الخندق ضربات اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشر بانها ستفتح عليهم وهم حينئذ فى جهد شديد وخوف عظيم فقال بعض من المنافقين يعدنا محمد بهذا ونحن لانستطيع ان نبرز للخلاء (**قوله** ضعف اعتقاد) اشارة الى ان الذين فى قلوبهم مرض غير المنافقين لان المنافق كافر لااعتقاد له بخلاف الذين فى قلوبهم مرض فانهم مؤمنون معتقدون الا انهم ضعاف القلوب واليقين لابصيرة لهم فى الدين فالمؤمنون الذين اظهروا الايمان ثلاثة اقسام المخلصون الثبت القلوب وضعاف القلوب والمنافقون (**قوله** فارجعوا الى منازلكم هاربين) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم الى سلع جبل بالمدينة والخندق بينهم و بين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين يئسوا من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم ههنا موضع قيام لكثرة العدو غلبتهم فارجعوا الى منازلكم ولامقام لكم على دين الاسلام فارجعوا الى الشرك واسلموا الرسول عليه الصلاة والسلام اى اجعلوه مخذولا يقال اسلمه اى خذله ولامقام لكم بيثرب مادمتم على الاسلام (**قوله** واصلها الخلل) الجوهرى العورة كل خلل يتخوف منه فى ثغرا وحرب وعورات الجبال شقوقها والعورة بكسر الواو صفة مشبهة يقال عور المنزل يعور عورا وعورة وجعله تخفيف عورة (**قوله** دخلت المدينة او بيوتهم) وهم فيها من قولك دخلت على فلان داره فالرجل مدخول عليه والدار مدخولة وهى فى الحقيقة مدخول فيها الان الدار ونحوها من الظروف المحدودة لاتقبل النصب بتقدير فى بل لابد من التصريح بكلمة فى الا ان مابعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعا والمقصود ان دخلت فعل ماض مبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل المنوى فيه راجع الى المدينة اوالى البيوت والاصل ولو دخل الاحزاب المدينة اوالبيوت عليهم اى وهم فيها الا انه حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول للايماء بانه ليس المقصود بيان خصوص الفاعل بل المقصود بيان الحكم المرتب على الدخول من الفتنة وهى الشرك والكفر فى قول الجميع كما فى قوله تعالى حتى لاتكون فتنة والمعنى فلو دخلت البيوت اوالمدينة من جميع نواحيها ثم سئل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطائها ولو كانوا على معاندة المشركين وموافقة المؤمنين اعتقادا واخلاصا وكان استئذانهم للرجوع لمجرد حفظ البيوت لأبوا عن المسارعة الى اجابة المشركين فى سؤال الارتداد والكفر بعد مافات عنهم حفظ البيوت لان من فعل فعلا لغرض لايفعله بعد فوت ذلك الغرض ولو كانوا صادقين فى قولهم ان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا لمارجعوا عنه بعد ماسلطت الاحزاب على بيوتهم واخذوها وليس كذلك فانها لو دخلوها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا عنك ايضا فليس رجوعهم عنك الابسبب كفرهم وحبهم الفتنة (**قوله** ريثما يكون السؤال) تفسير ليسيرا اى مقدارا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب وهو مصدر راث على خبرك يريث ريثا اى ابطأ وما مصدرية وكان تامة والمعنى زمان حصول السؤال والجواب (**قوله** من حتف انف) الحتف الموت يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولاضرب ولايبنى منه

(هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الا غرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لايقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) يعنى اوس بن قيظى واتباعه (يا اهل يثرب) اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها (لامقام لكم) لاموضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام (فارجعوا) الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لامقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (ويستأذن فريق منهم النبي) للرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئت بها (وما هى بعورة) بل هى حصينة (ان يريدون الا فرارا) اى ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) دخلت المدينة او بيوتهم (من اقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وما تلبثوا بها) بالفتنة او باعطائها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار) يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لايعودوا لمثله (وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) فانه لابد لكل شخص من حتف انف او قتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم

فعل ثم انه تعالى لما هددهم بقوله وكان عهد الله مسئولا اى مسئولا عنه اخبر ان الفرار لا يزيد فى آجالهم وان الامور مقدرة لا يمكن الفرار مما قدره الله تعالى لانه كائن لا محالة وان فررتم فمتعتم بتأخر الاجل فليس ذلك لنفع الفرار فى تأخيره بل ذلك لعدم تمام المدة المقدرة للحياة فلا تمتعون بعد الفرار الا استيفاء مدة آجالكم لان ما هو زائل قليل وما هو آت قريب (**قوله** اى وان نفعكم الفرار) اشارة الى ان فى الكلام حذفا وان اذا جواب وجزاء لذلك المحذوف ثم لما بين ان الفرار من قدرة الله تعالى لا ينفع الفار علله بانه تعالى ينفذ ارادته لا محالة فلا يوجد من ينازعه فى نفاذ ارادته فكيف ينفع الفرار فقال قل من ذا الذى يعصمكم من الله اى من عذاب الله تعالى والمعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا كالهزيمة والمغلوبية او اراد بكم رحمة كالنصرة والغلبة ولما ورد ان يقال عطف قوله او اراد بكم رحمة على قوله ان اراد بكم سوءا يستلزم ان يكون المعنى من ذا الذى يعصمكم من رحمة الله ان اراد بكم رحمة والعصمة لا تكون من الرحمة ولا تكون الا من السوء اشار الى الجواب عنه بقوله او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة يعنى ان الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع ابقاء العاطف كما فى قوله

يا ليت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

اى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلده المرء واجاب ثانيا بانا سلمنا ان قوله او اراد بكم رحمة معطوف على المذكور قبله لكن لا نسلم انه باطل لان المعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا او رحمة وقوله تعالى ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله من ذا الذى يعصمكم من الله اى ليس لكم قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم ثم انه تعالى هدد المعوقين الذين يخوفون من كان فى معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما محمد واصحابه الا أكلة رأس يبتلعهم ابو سفيان وحزبه بمرة فخلوه وتعالوا الينا يقال عاقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريده ونقل الى بناء التفعيل للتكرير والتكثير وثبطه عن الامر اى شغله عنه قال مقاتل المعوقون هم المنافقون والقائلون هم اليهود ارسلوا الى اخوانهم من المنافقين ايام الخندق يخوفونهم بابى سفيان ومن معه ويقولون لهم تعالوا الينا وما الذى يحملكم على قتل انفسكم بيدى ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وقيل المعوقون طائفة من المنافقين والقائلون لاخوانهم طائفة اخرى منهم تخوف كل واحدة منهما المؤمنين من حرب ابى سفيان واصحابه لكثرتهم وقلة المؤمنين وفى تقدير المصنف نوع اشارة الى ان المراد منهما طائفة من المنافقين وان عطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفات كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله من ساكنى المدينة بيان لقوله لاخوانهم نبه به للدلالة على ان المراد بالاخوة الاشتراك فى سكنى المدينة والا فالمعوقون هم المنافقون والمراد باخوانهم جماعة الانصار الذين هم بمعزل عن النفاق فانه قد روى ان عبد الله ابن ابى واصحابه اقبلوا على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان ومن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما شأنه الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا (**قوله** وقد ذكر اصله فى الانعام) فى تفسير قوله قل هلم شهداءكم اى احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن واصله عند البصريين ها لم من لم ان قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل فيها وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى هذه الاية ولازما كما فى قوله هلم الينا هذا ما ذكره المصنف فى سورة الانعام الا ان كلامه فى هذه السورة يدل على انه متعد فى هذه السورة ايضا وحذف مفعوله وهو انفسكم (**قوله** فانهم يعتذرون ويثبطون) يعنى ان هؤلاء القائلين لاخوانهم لا يخرجون مع المؤمنين ولا يأتون موضع الحرب الا قليلا ويجمعون بين الوصفين ما امكن لهم فهم مثبطون لغيرهم ومتخلفون فى اكثر الاحوال بانفسهم يتعللون فى الاشتغال عن القتال وقت حضورهم مع المؤمنين (**قوله** جمع شحيح) على غير القياس لان قياس الذى عينه ولامه من جنس واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وعزيز واعزاء وصحيح واصحاء وقد سمع اشحاء وهو القياس لما وصفهم الله تعالى بالبخل وصفهم بالجبن ايضا فقال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك فقوله ينظرون حال من مفعول رأيتهم

(واذا لا تمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة) اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام (ولا يأتون البأس الا قليلا) الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا (اشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم) فى احداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك

لان الرؤية بصرية وتدور اما حال ثانية واما حال من فاعل ينظرون وقوله كالذى اما صفة بتقدير المضاف اما المصدر ينظرون اوالمصدر تدور المحذوفين اى ينظرون اليك نظرا كنظر الذى اوتدور اعينهم كدوران عين الذى واما حال من فاعل ينظرون اومن اعينهم مشبهين بالذى او مشبهة بعين الذى قرب من حالة الموت وغشيته سكراته فذهب عقله وشخص بصره فلا تطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم وتحار اعينهم لما يلحقهم من الخوف وينظرون اليك بهذه الهيئة لواذا بك اى التجاء اليك وعياذا يقال لاذبه اى لجأ اليه وعاذبه (قوله ضربوكم) اى آذوكم ورموكم فى حالة الامن والحداد جمع حديد يقال سلقه بالكلام سلقا اذا آذاه وهو شدة القول باللسان والذرب الحاد من كل شئ عن قتادة قال اسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال و بمكاننا غلبتم عدوكم و بنا نصرتم عليه ولستم احق بالغنيمة منافهم عند قسمة الغنيمة اشح قوم وعند البأس اجبن قوم (قوله لان كلا منهما مفيد من وجه) فان المراد بالاول الشح بمعاونة المؤمنين ونصرتهم اوالشح بالانفاق فى سبيل الله او بظفر المؤمنين وبالثانى الشح على الخير اى المال والغنيمة والثانى حال من فاعل سلقوكم ولما كان الاحباط يتعلق بالعمل المعتبر شرعا ومن لم يكن مخلصا فى ايمانه لاتعتبر اعماله شرعا لابطانه الكفر فى قلبه فلا يلحقها الاحباط والابطال اول قوله تعالى فاحبط الله اعمالهم بوجهين مبنى الاول ان يراد بالاعمال مايكون على صورة الطاعة والقربة واحباطه اظهار بطلانه وبيان انه لاحكم له ولااثر فان الاحباط عبارة عن الاعدام والاهدار والاعمال لكونها من قبيل الاعراض معدومة فى انفسها وبقاؤها انما هو ببقاء حكمها وآثارها وما كان منها مقرونا بالكفر والنفاق لايكون له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكما فقوله تعالى فاحبط الله اعمالهم معناه فاظهر الله تعالى كونها ضائعة لافائدة لها ومبنى الثانى ان لايكون المراد باعمالهم ماعملوه تصنعا ونفاقا حتى يقال انه لااعتبار لها ولافائدة فى اصل حدوثها فكيف يلحقها الاحباط بل المراد بها نفس تصنعهم ونفاقهم فانهم ارادوا به ان يحصل لهم بذلك قدر وجاه عند المؤمنين فاحبط الله ذلك التصنع حيث لم يترتب عليه ما ارادوا به (قوله ففروا الى داخل المدينة) عطف على يظنون ولفظ الماضى للمبالغة فى بيان جبنهم فكان طائفة منهم فروا عقيب انهزام الاحزاب بناء على ظن انهم لم يذهبوا ولم ينهزموا (قوله تعالى بادون) جمع بادو هو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية وقوله يسألون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون السين بعدها همزة ونقل عن ابى عمرو وعاصم نقل حركة الهمزة الى السين وحذفها كقوله سل بنى اسرائيل وقرئ يساءلون بتشديد السين والاصل يتساءلون فادغم اى يسأل بعضهم بعضا تعجبا مما فعل محمد واصحابه وما فعل بهم فيتعرفون حالكم لابالمشاهدة (قوله خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها) اشارة الى ان الاسوة بكسر الهمزة وضمها وان كان اسما موضوعا موضع المصدر وهو الائتساء بمعنى الاقتداء الا انه استعمل ههنا بمعنى مامن حقه ان يؤتسى به قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالقدوة والقدوة لفظا ومعنى يقال ائتسى فلان بفلان اى اقتدى به وظاهر المفهوم لقد كان لكم فيه قدوة اى اقتداء والمراد لقد كان لكم فيه مامن حقه ان يقتدى به واسوة اسم كان وفى الخبر وجهان احدهما هو لكم وفى رسول الله متعلق بما تعلق به لكم او بمحذوف على انه حال من اسوة اذلو تأخر لكان صفة وثانيهما ان الخبر هو فى رسول الله ولكم على ما تقدم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله اوهو فى نفسه قدوة) على ان تكون كلمة فى تجريدية وتجرد من نفسه الزاكية ماهو قدوة كما فى قوله تعالى لكم فيها دارالخلد مع ان الجنة فى نفسها دارالخلد جرد منها أخرى مثلها فى كونها دارالخلد والمراد بالاسوة الحسنة الثابتة فى رسول الله عليه الصلاة والسلام الثبات فى الحرب ونصرة دين الله والصبر على مايصيبه من الشدائد والمكاره كما فعل عليه الصلاة والسلام اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه الكريم وقتل عمه واوذى بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك كله بنفسه فافعلوا انتم كذلك فى نصرة دينه واظهار شرعه واستنوا بسنته (قوله اى ثواب الله) احتيج الى تقدير المضاف لان الذات من حيث انه ذات لايؤمل ولايخاف فلا يتعلق به الرجاء سواء بمعنى الامل اوالخوف فان كان المقدر ثوابه اولقاءه اوما اعده للمتقين من نعيم الآخرة يكون الرجاء بمعنى الامل وان كان التقدير يرجو ايام الله اى شدائده يكون عطف اليوم الآخر عليه من قبيل عطف الخاص على العام ويكون الرجاء بمعنى الخوف (قوله وقيل هو كقولك) فى ان عطف اليوم الآخر على الجلالة وان ذكر الجلالة تمهيدا لما ذكر الله بعده من تفسير المبهم وتفصيل المجمل فان الذات من حيث انها ذات

(فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان (اشحة على الخير) نصب على الحال اوالذم ويؤيده قرآءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مفيد من وجه (اولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فاحبط الله اعمالهم) فاظهر بطلانها اذلم يثبت لهم اعمال فتبطل اوابطل تصنعهم ونفاقهم (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا لتعلق الارادة به وعدم مايمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو انهم بادون فى الاعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن انبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد وهو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اى ثواب الله اولقاءه ونعيم الآخرة اوايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة اوصفة لها وقيل بدل من لكم

لما يتعلق به الرجاء كان كقولك رجوت زيدا مشتملا على نوع من الاجمال والابهام فى الدلالة على المعنى المراد فازيل ذلك الابهام بالعطف فكان معنى الاية لمن كان رجو ثواب الله الاية. وضع اليوم الاخر موضع ثوابه لان ثواب الله تعالى يقع فيه فعبر به عن الثواب الواقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل على الحال وعليه قوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى فى الجنة وقوله لمن كان متعلق بنفس حسنة او بمحذوف على انه صفة لحسنة اى حسنة كائنة لمن كان (قوله والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه) اى لايبدل منه الظاهر بدل الكل قال ابن الحاجب ولايبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الامن ضمير الغائب نحو ضربته زيدا وهو مذهب جمهور البصريين واجازه الكوفيون والاخفش تمسكا بقوله

بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا

والظاهر ان مقصود المصنف الاعتراض على صاحب الكشاف حيث جعله بدلا من ضمير المخاطب باعادة الجار الا انه انما يتجه على تقدير ان يجعل بدل الكل من الكل وليس بلازم لجواز ان يكون المراد انه بدل بعض من كل لان المخاطب بقوله لكم اعم مما كان يرجو الله وغيره وخصص ذلك العموم بابدال قوله لمن كان يرجو الله من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ولايلزم ان يكون مراده التسليم فى كونه بدل الكل من الكل لجواز ان يكون مراده تنبيهه فى ان الظاهر بدل من المجرور باعادة الجار فلا يتوجه عليه اعتراض المصنف (قوله كثيرا) صفة مصدر محذوف اى ذكرا كثيرا ثم انه تعالى لما ذكر احوال المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ضعف اليقين وصف حال المؤمنين الخلص حين لقاء الاحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا الخطب اوهذا البلاء ما وعدنا الله تعالى فى سورة البقرة بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وعد الله المؤمنين بهذه الآية ان يزلزلوا الكفار ويخوفوهم تخويفا شديدا ووعد ايضا ان يكونوا منصورين عليهم فلما رأوهم قالوا هذا ما وعدنا الله على لسان رسوله وكذا وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون هذه الآية فقال ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا اوعشرا اى آخر تسع ليال اوعشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك ومازادهم ما رأوا ومجيئهم الا ايمانا اى تصديقا بوعد الله وتسليما لامره وقضائه (قوله كحمزة ومصعب) روى ان الآية نزلت فى عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين فمن قضى منهم نحبه حمزة ومصعب وانس بن النضر ومن ينتظر عثمان وطلحة وفى الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة لانه طعن كثيرا (قوله عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة) اى اوجب لنفسه الجنة لانه وقى النبى صلى الله عليه وسلم فصارت يده شلاء بذلك فاستحق الجنة بسببه (قوله من صدقنى اذا قال لك الصدق) اعلم ان صدق يتعدى الى اثنين الى احدهما بنفسه والى الثانى بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقنى سن بكره اى فى سن بكره وقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجوز ان يكون من هذا القبيل والمعنى صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه واليه اشار المصنف بقوله وان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه ويحتمل ان يكون قوله ما عاهدوا الله عليه هو الذى عدى اليه الفعل بنفسه كالذى فى قولك صدقنى زيد وكذبنى عمرو اى قال لى الصدق وقال لى الكذب ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا كانهم قالوا للشئ المعاهد عليه انوفين لك وقد فعلوا فيكون ما بمعنى الذى فلذلك عاد اليه الضمير فى عليه وقوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما ولانهما لواعاد هما مضمرين وقال وقد صدقا لزم ان يجمع بين اسم البارى واسم رسوله فى لفظة واحدة وقد شنع عليه الصلاة والسلام على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى قصدا الى تعظيم الله تعالى (قوله وظهر صدق خبر الله) لما كان الصدق من اوصاف الخبر وان صدق المتكلم عبارة عن صدقه فيما اخبر به وجب ان تأول الآية اما بتقدير المضاف او بتقدير ما يعدى اليه صدق المتكلم بكلمة فى (قوله تعليل للمنطوق) وهو عدم تبديل المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه والمعرض به وهو تبديل اهل النفاق ومرض القلب وهذا القول منه اشارة الى جواب ما يقال كون عدم تبديل العهد مؤديا الى جزائهم بصدقهم ظاهر فيصح تعليله بقوله ليجزى الله الصادقين ولايصح ان يكون سببا مؤديا الى عذاب المنافقين

والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع اوعشر (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله اوصدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم (ومازادهم) فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس ابن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد ولاغيروه (تبديلا) شيئا من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) تعليل للمنطوق والمعرض به

فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصدا المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم اوالمراد به التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (ورد الله الذين كفروا) يعنى الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل اوبتعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث مايريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وانزل الذين ظاهروهم) ظاهروا الاحزاب (من اهل الكتاب) يعنى قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصه وهى ماتحصن به ولذلك يقال لقرن الثوروالظبى وشوكة الديك (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى ان جبرآئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر الابنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين اوخمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة اواكثروا سر منهم سبعمائة (واورثكم ارضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (واموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة (وارضا لم تطئوها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين امتعكن) اعطكن المتعة

فكيف قيل و يعذب المنافقين عطفا على يجزى فلما اعتبر فى الكلام منطوقا ومعرضا به وجعل الاول علة للمنطوق والثانى للمعرض به اندفع الاشكال فان تبديل اهل النفاق مذكور بطريق التعريض من حيث ان الكلام فى قوة ان يقال ومابدلوا كتبديل اهل النفاق (**قوله** فكأن المنافقين الخ) اشارة الى جواب مايقال تعذيب اهل النفاق كيف يكون علة حاملة لهم على التبديل ومن المعلوم انهم ماقصدوا بالتبديل ان يعذبوا وتقرير الجواب ان العاقبة المترتبة على التبديل شبهت بالغرض والعلة الحاملة فاستعملت لها لام العلة مجازا واللام الداخلة على علة المنطوق وان صح كونها لام العلة الحاملة بناء على ان المخلصين قصدوا بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى الا انه يجب جعلها لام العاقبة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد فى معنيين مختلفين وهذا التقرير مبنى على ان يكون قوله تعالى ليجزى الله متعلقا بقوله وما بدلوا منطوقا ومفهوما اى وما بدلوا كتبديل اهل النفاق ليجزى اهل الصدق بصدقهم واهل النفاق بنفاقهم ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله من المؤمنين رجال صدقوا فانه يدل على ان بعضا ممن اظهر الايمان لم يصدقوا ولم يوفوا بالعهد فيكون تعليلا للمنطوق والمعرض به ايضا ومفعول قوله ان شاء محذوف وكذا جواب الشرط وهو تعذيبهم والمعنى يعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم بان يميتهم على النفاق عذبهم اويقبل توبتهم ان تابوا واخلصوا فان توبة الله تعالى على العبد عبارة عن رجوعه عن تعذيب من تاب ورجع عن المعصية فتكون التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم كما ان تحتم تعذيبهم مشروط بموتهم على النفق من غير توبة فان قيل من مات على النفاق يحتم تعذيبه بالنصوص القاطعة فكيف يصح تعليق تعذيبه على المشيئة قلنا المعلق على المشيئة حقيقة هو مايستلزم ذلك التعذيب وهو الموتة على النفاق وبذلك الاعتبار يظهر كون قوله اويتوب عليهم مقابلا لماقبله كانه قيل يعذبهم ان لم يتوبوا اويقبل توبتهم ان تابوا فان عطفه على يعذب يوهم ان تكون التوبة عليهم لاجل نفاقهم كما ان تعذيبهم لذلك ولما كان قوله تعالى اويتوب عليهم مشعرا بانه تعالى يقبل توبتهم ماداموا منافقين كما انه تعالى يعذبهم على نفاقهم ماداموا عليه لئلا يضيع اعتبار وصف النفاق فى التوبة عليهم وفى العذاب لهم ومن المعلوم انه تعالى لايتوب على المنافق مادام منافقا اجاب عنه اولا بان الكلام من قبيل قولك المحدث يجب عليه الوضوء اى بشرط ارادته اداء الصلاة وثانيا بان المعنى اويوفقهم للتوبة ان شاء الله تعالى (**قوله** تعالى ورد الله الذين) معطوف من حيث المعنى على قوله ليجزى الله الصادقين فان اللام فيه لام العاقبة فكانه قيل فكان عاقبة الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ان جزاهم الله بصدقهم ورد اعدآئهم متغيظين وهذا الرد من جملة جزآئهم على صدقهم والباء فى قوله تعالى بغيظهم للمصاحبة فيكون حالا بمعنى متغيظين كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة والغيظ غضب كائن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ ولا يقال اغاظه وتداخل الحالين ان تعمل الحال الاولى فى الثانية فيكون الحالان لشيئين مختلفين لفظا وتعاقبهما ان يكونا لشئ واحد (**قوله** تعالى وكفى الله المؤمنين القتال) اى لم يحوجهم الى قتال فى دفع عدوهم وكفى يتعدى الى مفعولين يقال كفاه مؤنته كفاية (**قوله** يعنى قريظة) وكانوا ذمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد وصاروا يدا واحدة مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هزم الله المشركين يوم الخندق بالريح والملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ الا انه تعالى لما ارسل الريح عليهم كثرت تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم فخافوا وانهزموا فامر الله تعالى رسوله بالمسير الى قريظة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اى درعه واغتسل واستحم فقال قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد ثم قال له ان الله يأمرك ان لاتصلى العصر الابنى قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فى المسلمين فخرجوا اليه وقوله عليه الصلاة والسلام تنزلون على حكمى يجوز ان يكون بمعنى الاستفهام حذف منه حرف الاستفهام ويجوز ان يكون خبرا بمعنى الامر اى انزلوا (**قوله** فوق سبعة ارقعة) اى سبع سموات يقال لكل سماء رقيع والجمع ارقعة ويقال ايضا الرقيع اسم سماء الدنيا سمى كل سماء باسمها والمعنى ان هذا الحكم مكتوب فى اللوح المحفوظ الذى هو فوق السموات وكان السبب فى رضى بنى قريظة بحكم سعد بن معاذ انه كان من الاوس وكان بنو قريظة موالى الاوس وحلفاءهم فظنوا منه ان يسعى لهم بخير ويحكم بما لايكرهون (**قوله** اعطكن المتعة) وهى درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج من السعة والاقتار الا ان يكون لها نصف مهر اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما وتجب المتعة لمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر

(وتستحب)

ونستحب لمن طلقت بعد وطئ سمى لها مهرا ولم يسم لا لمن سمى لها مهر وطلقت قبل وطئ فان نصف المسمى انما وجب لها على سبيل المتعة قال الامام وجد تعلق الآية بما قبلها ان مكارم الاخلاق منحصرة فى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصلاة وما ملكت ايمانكم فالله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم وبدأ بالزوجات لكونهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة روى انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بنى قريظة بين اصحابه وعائشة رضى الله تعالى عنها تنظر وكان له عليه الصلاة والسلام الخمس فى كل غنيمة فقالت عائشة فى نفسها اليوم يوم خمارى ومقنعى وصرف النبى صلى الله عليه وسلم الخمس ايضا الى الناس فلم يحصل لعائشة شئ فجادلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وابو بكر رضى الله عنه حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعها فانها صبية ثم وضع يده على كتفها وقال اخرج يا شيطان منها وقيل قال اخرج يا خبيث من هذه الطاهرة فقامت وقالت والذى بعثك بالحق لقد خرج ونزلت هذه الآية فى عتابهن وفيها تخييرهن وهو انتظام حسن وقيل انتظامها بما قبلها انه نوع اذى كان منهن فى حقه عليه الصلاة والسلام والاول كان اذى فى حقه عليه الصلاة والسلام من الكفار والمنافقين وقيل سبب نزولها ان نساء النبى عليه الصلاة والسلام سألنه شيأ من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة فى النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فامر عليه الصلاة والسلام باعتزالهن وآلى ان لا يدخل عليهن شهرا فصعد الى غرفة فمكث فيها ولم يخرج الى اصحابه ثم لما مضى شهر انزل الله هذه الآية وامره بتخيير نسائه وكان تحته عليه الصلاة والسلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وتابعها سائر نسوته * ظاهر الآية يدل على انه عليه الصلاة والسلام خيرهن بين ان يخترن الدنيا وبين ان يخترن الله ورسوله الا انهن ان اخترن الدنيا وزينتها فارقهن وليست بصريحة فى ان ذلك كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن انفسهن فلذلك اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن من غير تطليق الزوج اياهن اولا فذهب الاكثرون الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة لا تعجلى حتى تستشيرى ابويك وفى تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا فان الرجل اذا خير امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال الامام مالك وروى عن على ايضا انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ (قوله وقيل لان الفرقة) اى قيل فى جواب ما يقال ان حق التمتيع ان يؤخر عن التسريح لكونه مسببا عن التسريح وحق المسبب ان يتأخر عن سببه ان الفرقة لم تقع بتسريحه عليه الصلاة والسلام اياهن حتى يقال التسريح سبب للتمتيع فكان حقه ان يقدم بل الفرقة وقعت بارادتهن الدنيا بدل ارادة الله ورسوله وتلك الارادة هى سبب التمتيع فهو مذكور فى موقعه واصل تعال ان يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المنخفض يطلب بذلك ان يرتفع الى مكانه ثم كثر حتى استوت الامكنة واستعماله فى طلب الاقبال مطلقا حتى يقوله من فى المكان المنخفض لمن فى المكان المرتفع يريد ان يقول انزل الى (قوله وقرئ امتعكن) قرأ العامة امتعكن واسرحكن بجزمهما على ان قوله فتعالين جواب الشرط وقوله امتعكن جواب لهذا الامر وقرئ برفعهما على الاستئناف وقوله سراحا اسم اقيم مقام التسريح كما اقيم نباتا موضع انباتا فى قوله وانبتها نباتا حسنا (قوله وان كنتن تردن الله ورسوله) اى تردن ما امر الله به ورضيه رسوله والدار الآخرة اى الجنة وثوابها فان الله اعد للمحسنات منكن ولم يقل لكن مع ان المقام موضع الضمير ايذانا بان كل الاحسان فى ايثار مرضاة الله تعالى ورسوله على مرضاة

(واسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات

انفسهن ومن للتبيين لا للتبعيض لان كلهن محسنات والعظيم فى الاجسام ما امتدت ابعاده فى جهة الطول والعرض والعمق جميعا حتى لو امتد بعده الكائن فى جهة الطول فقط يقال له طويل ولو امتد ما فى جهة عرضه يقال له عريض ولو امتد ما فى جهة عمقه يقال له عميق ولا يقال الجسم عظيم الا اذا امتدت ابعاده الكائنة فى جميع جهاته الثلاث وشبه اجر الاخرة به فى ارتفاع شأنه فى الجهات الثلاث فى اضافة ذاته وصفاء جوهره وفى خلوه عن وجوه المشقة والتعب فى تحصيله وعن وجوه الضرر فى تناوله وفى دوامه وعدم انقطاعه فهو اجر عظيم بخلاف اجر الدنيا قال المفسرون لما اخترن الله ورسوله رفع الله محلهن واجل قدرهن بتميزهن عن سائر النسوة فى العقوبة على المعصية والاجر على الطاعة حيث قال يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبى ولا لاحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة فان الله تعالى جعلهن زوجات نبيه فى الدنيا والاخرة وشاهدن افعاله واقواله واحواله بالليل والنهار فتكون المعصية منهن اقبح منها فى غيرهن ولما كانت المعصية اقبح كان عذابها اشد وازيد ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد اظهارا لشرف الحرية عن ابن عباس رضى الله عنه قال المراد بالفاحشة ههنا النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل المراد به العصيان (**قوله** وقرأ البصريان يضعف) بضم الياء وفتح الضاد والعين المشددة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل وابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل ونصب العذاب لانه مفعول به وقرأ الباقون يضاعف على بناء المفعول من المفاعلة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل ولما بين الله تعالى تضاعف عذابهن على تقدير المعصية وتضاعف ثوابهن على تقدير القنوت وهو الطاعة وليس المراد احداثها وهو ظاهر قال المصنف ومن يدم على الطاعة (**قوله** للتعظيم اولقوله وتعمل صالحا) لا معنى لكلمة او ههنا فلذلك لم توجد فى بعض النسخ لان المقصود الاستدلال على ان ذكر الله للتعظيم ببيان ان طاعة الله تعالى قد فهم من قوله وتعمل صالحا فينبغى ان يكون ذكر الله تعالى لفائدة اخرى حذرا من التكرار فحمله على التعظيم لكونه هو المناسب للمقام واللام فى قوله مرة على الطاعة للعهد والمعهود طاعة الله تعالى وقرأ الجمهور يانساء النبى من يأت ومن يقنت بالياء من تحت حملا على لفظ من وتعمل بالتاء من فوق حملا على معنى من لان المراد بها مؤنث ونؤتها بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وفيه لطيفة وهى انه عند ذكر ايتاء الاجر صرح بذكر المؤتى وهو الله عزوجل وعند ذكر العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائى ويعمل ويؤت بالياء من تحت فيهما لما ذكره المصنف (**قوله** والمعنى لستن كجماعة) حمل احدا على الجماعة ليطابق من قصد تفضيلهن بالمفضل عليهم فان نساء النبى صلى الله عليه وسلم جماعة فجعل المتبدبهن جماعة للمطابقة المذكورة فى الجمع (**قوله** مثل قول المريبات) هن اللاتى يوقعن الرجال فى الريبة والتهمة من جمالهن وصف قولهن بكونه خاضعا لينا للاشارة الى ان الباء فى قوله تعالى فلا تخضعن بالقول للتعدية (**قوله** تعالى ان اتقيتن) فى جوابه وجهان احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم عليه اى ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضى رسوله فلستن كاحد قال صاحب التيسير فى تفسيره اى هذه الخصلة لكن ان اتقيتن المعاصى ومخالفة الله ورسوله والرغبة فى الدنيا وزينتها فلا يكن الكلام اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب كما يكلم الانسان من يخضع له بالطاعة وينقاد له فيما يريد والوجه الثانى ان يكون جوابه قوله فلا تخضعن واغلاظ القول لغير زوجها معدود فى جملة محاسن خصال النساء فى الجاهلية والاسلام كما عد منها بخلهن بالمال وجبنهن وفيه دليل على انه ينبغى للمرأة اغلاظ القول اذا خاطبت محرما لها بالمصاهرة الاترى ان الله تعالى اوصى امهات المؤمنين به وهن عليهم محرمات على التأبيد وقرأ العامة فيطمع بالنصب على انه جواب النهى بالفاء وقرئ بالجزم وكسر العين لالتقاء الساكنين عطفا على محل النهى لانه ليس بمجزوم بل هو مبنى لاتصال النون به فجزم المعطوف عليه ليس الا بالنظر الى محله فالمعنى لا تخضعن بالقول فلا يطمع اهل الفجور فى موافقتكن له (**قوله** من وقر يقر وقارا) اذا سكن وثبت واستقر اصله اوقرن حذفت الواو تبعا للمضارع فاستغنى عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن والمعنى كن اهل وقار وسكون واطمئنان وهى قرآءة العامة اومن قر بالمكان يقر بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع وهى اللغة الفصيحة فاصله اقررن ولما احتيج الى التخفيف لاجتماع حرفين من جنس

(يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قرآءة ابن كثير وابى بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى وكيف وهو بسببه (ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم اولقوله (وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبى صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله (واعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة على اجرها (يانساء النبى لستن كاحد من النساء) اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضى رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا اومن قر يقر حذفت الاولى من رائى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قرآءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع

(ولا تبرجن) ولا تبخترن فى مشيتكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء فى ايام الجاهلية القديمة قيل هى مابين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر (واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله) فى سائر ما امركن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عم الحكم (اهل البيت) نصب على النداء او المدح (ويطهركم) من المعاصى (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضى انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب ان يصدق (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) فى القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصى (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب فى مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم والسنتهم (اعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (واجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعدلهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال

واحد نقلت حركة الراء الاولى الى القاف فاجتمع ساكنان فحذفت احداهما ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار قرن على وزن فعن اوفلن ومن قرأ بفتح القاف يحتمل ان يجعله من قررت فى المكان اقر فيه بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر اصله اقررن فاعل كما سبق ويحتمل ان يجعله امرا من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة وهى اسم قبيلة سموا قارة لاجتماعهم واتفاقهم فقيل فى الامر منه قرن كخفن على وزن فلن وهذا وجه ظاهر الا ان المقام مقام الامر بالوقار والسكون او بالاستقرار فى البيوت والامر بالاجتماع فيها لا يناسب المقام (قوله ولا تبخترن) اختار ان يكون التبرج التبختر وهو المشى المنبئ عن الغنج والدلال وقيل التبرج اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال وعن الزجاج قال التبرج اظهار المرأة زينتها وما تستدعى به شهوة الرجال وعن قتادة هو مشية فى تغنج وتكسر (قوله ويعضده) اى يعضد ان الجاهلية تطلق على جاهلية الفجور والفسوق فى الاسلام كما تطلق على جاهلية الكفر ووجه التقوية ان ابا الدرداء رضى الله تعالى عنه سأل فقال اجاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال عليه الصلاة والسلام بل جاهلية كفر فعلم بذلك ان الجاهلية تتحقق فيهما والمعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر قيل وهذا القول اشبه لانهم كانوا يتخذون البغايا فيفعلن لهم ذلك (قوله واطعن الله ورسوله) تعميم بعد التخصيص وخص الاولين اى اعتناهما بالذكر لكونهما اصلا للطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما جرتاه الى كل طاعة (قوله الذنب المدنس لعرضكم) اشارة الى ان الرجس مستعار للذنب وان وجه الشبه بينهما كون كل واحد منهما سببا للتدنس فالرجس يدنس نحو الثوب والبدن والذنب يدنس العرض وجعل التطهير ترشيحا للاستعارة من حيث انه ملائم للمستعار منه (قوله وهو تعليل لامرهن ونهيهن) بيان وجه العدول عن خطاب المؤمنات اللاتى هن ازواج النبى صلى الله عليه وسلم الى خطاب المذكور حيث قال ليذهب عنكم ويطهركم كانه قيل انما امرتكن ونهيتكن لان ارادتى الازلية قد تعلقت بتطهير اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذنوب والمعاصى (قوله ولذلك) اى ولكونه تعليلا على طريق الاستئناف عم الحكم باذهاب الرجس والتطهير من المعاصى من عدا الازواج عليه الصلاة والسلام حيث عبر عن جميع اهل بيته عليه الصلاة والسلام من الذكور والاناث بطريق التعبير عن الذكور خاصة على تغليب الذكور على الاناث حيث قيل عليكم اهل البيت فان اهل البيت يتناول اولاده وازواجه والحسن والحسين منهم وكذا على رضوان الله عليهم اجمعين لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وقرابته اياه وقيل المراد باهل البيت ههنا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته ولما تقدم وما تأخر من خطابهن وانما ذكر الخطاب فى قوله عنكم ويطهركم لان النبى صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب المذكر وقال آخرون ومنهم الشيعة ازواجه عليه الصلاة والسلام ليست من اهل بيته بل المراد باهل بيته على وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (قوله وتخصيص الشيعة) مبتدأ وقوله والاحتجاج عطف عليه وضعيف خبره (قوله والمرط المرحل) ازار خز فيه علم (قوله من الكتاب الجامع بين الامرين) يعنى ان عطف الحكمة على آيات الله من قبيل عطف الصفات فان الكتاب كما انه آيات دالة على صدق مدعى النبوة من حيث انه معجز بنظمه العجيب الشأن فانه ايضا حكمة من حيث كونه مشتملا على العلوم النظرية وطريق الاصابة فى القول والعمل (قوله وهو تذكير) اشارة الى ان المراد بقوله واذكرن ما يتلى تلاوة القرآن وذكره باللسان وقيل المراد ذكره بالقلب بتدبر اسراره ولطائفه واللفظ صالح للكل وبرحاء الوحى شدة الاذى (قوله يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين) على ان يكون المقصود تقرير آية التخيير وما بعدها وقوله او يعلم من يصلح لنبوته على ان يكون تقريرا لما ذكر من اول السورة الى هنا (قوله المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم) وقيل المراد به الخشوع فى الصلاة ومن الخشوع ان لا يلتفت (قوله والحافظات) اى والحافظات لها ترك مفعول الثانى لدلالة الاول عليه وكذا فى قوله الذاكرات * عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فتوضئا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فانه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا

روى ان ازواج النبي عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن مانزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعدلهم للجمع بين هذه الصفات (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة) وماصح له (اذا قضى الله ورسوله امرا) اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (ان تكون لهم الخيرة من امرهم) ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذي انعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وانعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله مارأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك (واتق الله) في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله احق ان تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال

في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه (قوله روى ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم) هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية متقدما في النزول على قوله يانساء النبي لستن كاحد من النساء وقوله لما نزل فيهن ما نزل مبني على ان يكون مؤخرا عنه فيه (قوله وعطف الاناث على الذكور الخ) يعني انه تعالى ذكر عشرة اوصاف وجعل كل من اتصف بكل واحد منها زوجين باعتبار الذكورة والانوثة فصار اصناف من اتصف بها عشرين صنفا باعتبارهما وعطف اناث كل صنف ممن اتصف بتلك الخصال العشر على ذكورها كعطف المسلمات على المسلمين والمؤمنات على المؤمنين وعلى هذا عطف ايضا كل صنف من الزوجين المتعاطفين على الصنف الاخر منهما كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات والفرق بين العطفين المذكورين ان عطف الاناث على الذكور من قبيل عطف الذوات المختلفة بالذكورة والانوثة بعضها على بعض بعد اشتراكها في الاتصاف بوصف واحد وفي مثل هذا العطف يجب توسيط العاطف واما عطف مجموع الزوجين من صنف على المجموع من صنف آخر فهو من قبيل عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ونظيره في دعاء صلاة الجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا الى آخر المزدوجات الاربع ولا يجب تخلل العاطف بين المختلفين وصفا كما في قوله تعالى مسلمات مؤمنات لكنه تخلل في هذه الآية للدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كانه قيل ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم (قوله بنت عمته) بدل من بنت جحش واميمة عطف بيان لعمته فأبت زينب عن قبول كون زيد بن حارثة زوجا لها لكونها قرشية وبنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتق من الموالي ولعل زيدا امتنع ايضا من تزويجها لابائها منه فانزل الله تعالى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية والمراد بالمؤمن عبد الله بن جحش ويكفي في ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى قال اولا واطعن الله ورسوله ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله فبين في هذه الآية وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ووعيد من عصى الله ورسوله (قوله وقيل في ام كلثوم) وهي اول من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انا اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده فعلى هذا القول المراد بقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ام كلثوم واخوها وعلى الاول زينب واخوها (قوله اذا قضى الله ورسوله امرا) اي حكما واتفقا امرا من امور انفسهم والخيرة اسم من الاختيار ويدل عليه قوله ان يختاروا من امرهم شيئا لان ان مع الفعل في معنى المصدر وقوله والخيرة ما يتخير يدل على ان الخيرة بمعنى المختار كما في قوله محمد خيرة الله اي مختاره والمقصود بيان انه قد يكون بمعنى المختار الا انه في الآية بمعنى الاختيار وجمع ضميرهم مع كونه راجعا الى لمؤمن بتنوين الوحدة لانه لما وقع في سياق النفي صار بمعنى كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا وجمع الثاني اي جمع ضمير امرهم مع كونه راجعا الى الله ورسوله لتعظيم المرجع اليه والمعنى ليس لواحد منهم ان يريد غير ما اراده الله تعالى ورسوله ويمتنع عما اراده الله ورسوله (قوله وقرأ الكوفيون) ان يكون بالياء من اسفل لكون تأنيث الخيرة غير حقيقي وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق اعتبارا للفظ الخيرة (قوله وانعمت عليه بما وفقك الله فيه) من الاعتاق والتبني والاختصاص فان ذلك مسند اليه عليه الصلاة والسلام من حيث صدوره منه ومسند اليه تعالى من حيث كون ذلك الصدور بتوفيق الله تعالى اياه لذلك روى انه عليه الصلاة والسلام اتى زيدا لحاجة فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فوقع في قلبه منها شئ فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فسمعت زينب الخ (قوله أرابك) يجوز ان تكون الهمزة فيه للاستفهام وان تكون همزة افعل كاكرم واخرج يقال رابه الدهر واراب اي اقلقه (قوله والواو للحال) اي الواو في قوله وتخفي للحال وكذا الواو في كل واحد من قوله وتخشى الناس ومن قوله والله احق ان تخشاه الاول حال من فاعل تقول وقوله وتخشى الناس حال من الضمير في تخفي وقوله والله احق حال من الضمير في تخشى وهذه الاحوال متداخلة الا ان كل واحد من تخفي وتخشى مضارع مثبت والواو في المضارع المثبت انما تكون للحال بتقدير المبتدأ اي وانت تخفي وانت تخشى كما في قولك قمت واصك وجهك والمعنى على هذا تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي ذلك خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله ويحتمل ان تكون الواوان الاولان للعطف على

تقول كأنه قيل واذكر اذ كنت تجمع بين قولك أمسك عليك زوجك واخفاء خلافه وخشيت الناس والله احق
ان تخشاه حتى لاتفعل مثل ذلك وليس المعنى انه عليه الصلاة والسلام خشى الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى
انه تعالى احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاقصر خشيتك على الله تعالى
كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعائشة
رضى الله عنهم مانزل على رسول الله آية اشد من هذه الاية وقالت عائشة رضى الله عنها لو كتم النبى صلى الله عليه
وسلم شيئا من الوحى لكتم هذه الاية ارادت من شدتها عليه وروى عن على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنهم
اجمعين انه قال فى هذه الاية كان الله تعالى قد اعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه وان
زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال انى اريد ان اطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت
امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء ولعل الحكمة
فى ذلك انه كان من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه فى التوريث وحرمة نكاح امرأته على الاب
المتبنى فاراد الله تعالى ان يبطل حكمهم بقول النبى عليه الصلاة والسلام وفعله ليكون انجع فى قلوبهم واقطع
لعاداتهم واخبر الله رسوله ان زينب ستكون من ازواجك فزوجها لزيد انهما يتفرقان بعد مدة فزوجها انت
لنفسك ليتقرر عندهم بطلان حكم العرب وكان عليه الصلاة والسلام يخفيه فى نفسه الى ان يظهره الله تعالى
فى وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة ووقعت بينهما خشونة فجاء زيد يشكوها الى النبى عليه الصلاة
والسلام ويذكر رفعتها عليه وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك زوجك اى جامعها وبالخلق الحسن عاملها
ولا تطلقها واتق الله يا زيد فى رعاية حقوق النكاح فعاتبه الله على ذلك بقوله وتخفى فى نفسك يا محمد ما الله مبديه
اى مظهره وهو ما اعلمك الله من انك تتزوجها اذا طلقها زيد برضاها واختياره وانقضت عدتها وتخشى الناس
اى تكره مقالة الناس انه تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه فتفعل ما اباح لك واذن لك فيه (قوله
فانه وحده حسن) اى اخفاء الميل الى نكاحها ان طلقها زوجها واخفاء ارادة طلاقها حسن اظهوره قبيح
ان يقول له طلقها فانى اريد نكاحها فان الاولى له ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك حتى
لايخالف ظاهره باطنه فان اللائق للانبياء موافقة الظاهر الباطن (قوله بحيث ملها) الملال السآمة
وانقطاع الرغبة وقوله ولم يبق له فيها حاجة عطف تفسير للملال منها عن الزجاج قال معنى قضاء الوطر فى اللغة
بلوغ منتهى مافى النفس من الشئ يقال قضى وطرا منها اذا بلغ ما اراد من حاجته فيها من الوقائع واعتبر فى قضاء
وطره منها تطليقه اياها وانقضاء عدتها لان الزوجة مادامت فى نكاح الزوج لايكون الزوج قاضيا الوطر
بالكلية لبقاء التمكن من استيفاء حاجته منها وكذا اذا كانت فى العدة يكون له بها تعلق لكونه فى صدد تعرف
براءة رحمها من الشغل فلا يكون قاضيا وطره منها بعد فاذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له
تعلق بها فحينئذ قد قضى منها الوطر (قوله اوجعلها زوجته بلا واسطة عقد) روى انه عليه الصلاة
والسلام ارسل رسولا يخطبها لنفسه فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوآمر ربى فقامت الى مسجدها
ونزل القرآن ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اذن وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى
صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك
الله فى السماء وان السفير لجبريل (قوله وقيل كان السفير فى خطبتها) بكسر الخاء والمنوى فى كان ضمير
زيد ذكر فى الكشاف انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب
لى زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان انظر
اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليت لها ظهرى وقلت يازينب أبشرى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوآمر ربى فقامت الى مسجدها ونزل
القرآن زوجناكها وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن ولما بين الله تعالى ان الامر الذى
اراده لتزويج زينب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كائن لامحالة بين انه لاحرج عليه فى هذا الانكاح
فقال ما كان على النبى من حرج اى من اثم وضيق (قوله سنة الله) مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى سن الله
ذلك سنة كصنع الله ووعد الله بين به ان انتفاء الحرج عن هذا النبى فيما فرض الله له سنة قديمة له تعالى فى حق جميع

وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه وحده حسن بل
على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافى اضماره
فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر
الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها
ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها
(زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق
مثل لاحاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه
امر بتزوجها منه اوجعلها زوجته بلا واسطة عقد
ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله تولى انكاحى وانتن زوجكن
اولياؤكن وقيل كان السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء
عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكى لايكون على
المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا) علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم
الامة واحد الا ما خصه الدليل (وكان امر الله) امره
الذى يريده (مفعولا) مكونا لامحالة كما كان تزويج
زينب (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له)
قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه
فروض العسكر لارزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة
(فى الذين خلوا من قبل) من الانبياء وهو نفى الحرج
عنهم فيما اباح لهم (وكان امر الله قدرا مقدورا)
قضاء مقضيا وحكما مبتوتا

من مضى من الذين يبلغون رسالات الله وقرر هذا الحكم بانه امر اراده الله وكان امر الله قضاء مقضيا يقع لامحالة كما قرر تزويج زوجة دعيه عليه الصلاة والسلام اياه بقوله وكان امر الله مفعولا وقوله الذين يبلغون يحتمل ان يكون مجرور المحل على انه صفة قوله الذين خلوا وان يكون فى محل الرفع بتقدير المبتدأ او فى محل النصب بتقدير اعنى اوامدح (**قوله تعريض بعد تصريح**) فانه تعالى صرح بقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى انه عليه الصلاة والسلام يخشى الله تعالى ويخشى الناس ايضا ثم قال والله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وتوصيف الرسل المتقدمة بانهم يخشون الله ولا يخشون احدا الا الله تعريض له عليه الصلاة والسلام بانه يخشى الناس ايضا (**قوله كافيا للمخاوف اومحاسبا**) الاول على ان يكون حسيبا من قولك حسبك درهم اى كفاك حتى صبرك قائلا حسبي والثانى على ان يكون من قولك حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته اى وكفى بالله حافظا لاعمال خلقه مجازيا بها فهو الاحق ان يخشى دون خلقه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله تعالى قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعنى انه ليس باب لزيد فيحرم عليه امرأته وعبر عن هذا النفى بما دل عليه كلامه حيث قيل من رجالكم للمبالغة فيه وهو عليه الصلاة والسلام وان كان ابا للحسن والحسين رضى الله عنهما الا انهما لم يبلغا مبلغ الرجال حينئذ كما لم يبلغه ابناؤه الصلبية ولئن بلغاه لكانا من رجاله عليه الصلاة والسلام لا من رجالهم وايضا المنفى كونه عليه الصلاة والسلام ابا صلبيا للرجال وليس ابا صلبيا لولدى ولده ولعل وجه الاستدراك فى قوله تعالى ولكن رسول الله انه تعالى لما نفى كونه عليه الصلاة والسلام اباالهم على الحقيقة كان ذلك مظنة ان يتوهم ان ليس بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم ما يوجب تعظيمهم اياه وانقيادهم وعدم اعتراضهم عليه فى شئ مما فعله فدفعه ببيان ان حقه آكد من حق الاب الحقيقى وكان قوله من رجالكم مظنة ان يتوهم كونه عليه السلام ابا احد من رجال نفسه الذين ولدوا منه فدفعه بعطف قوله وخاتم النبيين على قوله رسول الله فانه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لايكون ابا لواحد من رجال نفسه ايضا لانه او بقى له ابن بالغ بعده لكان اللائق به ان يكون نبيا بعده فلا يكون هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يريد لولم يختم به النبيون لجعلت له ولدا يكون نبيا بعده على ماروى انه عليه الصلاة والسلام قال مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لايعيبون منه سوى خلو موضعها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل (**قوله وآخرهم الذى ختمهم**) على ان خاتم بكسر التاء وهى قرآءة من عدا عاصما من القرآء وقرأ عاصم بفتح التاء وهو اسم لما به يختم ويطبع ويقال له الطابع ايضا وفى الصحاح الطبع الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه والطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه فمن قرأ وخاتم بكسر التاء اراد انه عليه الصلاة والسلام فاعل الختم حيث ختم النبيين ومن قرأ بفتحها اراد انه عليه الصلاة والسلام آخر النبيين لانبى بعده حيث ختموا به وتم به بنيان النبوة واعتبر به كما يعتبر الكتاب بالخاتم ولما كان عليه الصلاة والسلام آخر النبيين صار بمنزلة الخاتم بالنسبة اليهم حيث ختموا به فسمى خاتم النبيين (**قوله وقرئ رسول الله بالرفع**) والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليه اى ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اولى لان لكن ههنا ليست بعاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان تكون هى التى تدخل على الجمل كبل التى ليست بعاطفة وقرئ لكن بتشديد النون على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف (**قوله يغلب الاوقات**) كما قال مجاهد رضى الله عنه الذكر الكثير هو ان لا تنساه ابدا وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال بان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فان هذه الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والحدث والحيض والنفاس (**قوله وتخصيصهما بالذكر**) مع ان المقصود الامر بتسبيحه على الدوام بقرينة قوله وسبحوه بعد قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا من قبيل التخصيص بعد التعميم اظهارا لشرف الخاص وايماء بانه لغاية فضله وزيادة شرفه لم يتناوله العام المذكور قبله فاحتيج الى ذكره على حدة وهى النكتة فى كل ماهو من هذا القبيل ولما كان المراد بالذكر الكثير الذكر على الدوام من غير تخصيصه بوقت دون وقت كان المراد بالتسبيح المندرج تحته التسبيح فى كافة الاوقات ايضا الا انه خص طرفى النهار بالذكر للدلالة على فضلهما وتمحيصا لما جرى بينهما يقال محصت الذهب بالنار اذا اخلصته مما يشوبه (**قوله وقبل الفعلان**) اعنى اذكروه وسبحوه وهو عطف

(الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا اومدح لهم منصوب اومرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف اومحاسبا فينبغى ان لايخشى الا منه (ماكان محمد ابا احد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينه مابين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لارجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول ابو امته لامطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اى ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قرآءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لوعاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغى شأنه (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو عليه من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد (وسبحوه بكرة واصيلا) اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما

على ماقبله من حيث المعنى فانه فسر الفعل الاول بما معناه اذكروه فى عموم الاوقات والاحوال بما يعم انواع ماهو اهله ثم جعل قوله بكرة واصيلا ظرفا لقوله سبحوه فقد قال الزمخشرى انه من قبيل صم وصل يوم الجمعة ولم يرض به لان حمل الذكر على مايعم انواعه وحمل كثرته على وقوعه فى كافة الاوقات والاحوال ثم ذكر التسبيح وطرفى النهار بخصوصهما اظهار لمزيد فائدة بليغة لاتوجد فيما قاله الزمخشرى (قوله وقيل المراد بالتسبيح الصلاة) فالمعنى صل لله بالغداة والعشى قال الكلبى امابكرة فصلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما قال تعالى واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وكقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآيتين (قوله مستعار من الصلا) لما فسر الصلاة المسندة اليه تعالى بالرحمة والى الملائكة بالاستغفار وورد عليه ان يقال كيف يصح ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد اشار الى جوابه بان الصلاة المدلول عليها بقوله تعالى يصلى عبارة عن معنى مجازى هو القدر المشترك بين المعنيين المذكورين وهو العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه وهذا المعنى المشترك يصح ان يسند اليه تعالى والى الملائكة الا ان العناية المسندة اليه تعالى هى الرحمة واما المسند الى الملائكة هو الاستغفار فليس هنا ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد ووجه كون هذا القدر المشترك معنى مجاز بالصلاة ان الصلاة اسم موضوع موضع المصدر وهو التصلية فان القياس ان يقال صلى تصلية ولايقال كذا بل صلى صلاة وتصلية العصا مثلا عبارة عن اصلاحها وتقويمها يقال صليت العصا بالنار اذا لينتها بها وقومتها فشبهت العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه بتصلية العصا فسميت باسم المشبه به على سبيل الاستعارة (قوله وقيل الترحم) معطوف على قوله وهو العناية اى وقيل الامر المشترك بين رحمة الله تعالى واستغفار الملائكة هو الترحم والانعطاف المعنوى اطلق لفظ الصلاة على هذا المعنى المشترك بينهما تشبيها له بالصلاة التى هى الانعطاف الصورى بالركوع والسجود ولفظ الصلاة مجاز فى الانعطاف الصورى ايضا لكونه مأخوذا من الصلا وهو العظم الذى عليه الاليتان يقال صلى صلاة اى حرك صلويه ثم نقل لفظ الصلاة الى الاذكار المعهودة والاركان المخصوصة لان المصلى ينعطف ويتحرك فى ركوعه وسجوده ويحرك صلويه فيهما فلما كان لفظ الصلاة مجازا مرسلا فى الاذكار المعهودة كان مجازا فى الانعطاف المعنوى فى المرتبة الثانية والانعطاف قدر مشترك بين الرحمة والاستغفار يطلق على كل واحد منهما على سبيل الحقيقة وهو قوله واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم ثم اشار بقوله سيما وهو سبب الرحمة الى جواز ان يكون الترحم والانعطاف المعنوى حقيقة فى الرحمة مجازا فى الاستغفار سمى استغفار الملائكة ترحما لكونه سببا للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة فيكون لفظ الصلاة مجازا فى الترحم بالمعنى الاعم المتناول لرحمة الله تعالى حقيقة ولدعاء المؤمنين بالرحمة فى حقهم فان الملائكة لما قالوا اللهم صل على المؤمنين جعلوا كانهم فاعلوا الرحمة فى حقهم لكونهم مستجابى الدعوة فليس لفظ الصلاة مستعملا فيما هو رحمة الله تعالى حقيقة وفيما هو رحمة مجازا وهو استغفار الملائكة ودعاؤهم بل هو مستعمل فى الترحم المتناول لهما على طريق عموم المجاز فلفظ الصلاة ليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز بل هو مستعمل فى الترحم الذى هو معنى مجازى له وذلك الترحم متناول لما هو رحمة الله تعالى حقيقة ولما هو رحمة مجازا على طريق عموم المجاز (قوله يحيون) يجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم فقد ورد فى الخبر ان الله تعالى يقول السلام عليكم مرحبا بعبادى المؤمنين الذين ارضونى فى دار الدنيا باتباع امرى وروى ايضا ان الله تعالى يقول سلام عليكم عبادى انا عنكم راض فهل انتم عنى راضون فيقولون باجمعهم يا ربنا كل الرضى كل الرضى وقيل تحييهم الملائكة على ابواب الجنة بالسلام اذا دخلوها من كل باب وقيل يحييهم بذلك ملك الموت عند قبض ارواحهم لايقبض روح مؤمن الا سلم عليه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا جاء ملك الموت لقبض ارواح المؤمنين قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم بالجنة ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله على معنى يحيى بعضهم بعضا فى الجنة ويقول امن لنا ولكم من كل مكروه (قوله يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة) جعل لقاء احد هذه الثلاثة لقاء الله تعالى لان الانسان فى حال حياته غير مقبل بكليته على الله تعالى وكيف وهو حال نومه غافل عنه وفى اكثر اوقات يقظته مشغول عنه بتحصيل امور دنياه بخلاف هذه الاحوال فانه لاشغل لاحد فيها يلهيه عن ذكر الله تعالى فهى فى حكم لقاء الله تعالى حقيقة (قوله ولعل اختلاف النظم) حيث عطف الجملة الفعلية

وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكته المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة (واعد لهم اجرا كريما) هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم

(يايها النبى انا ارسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جانب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم اوعلى اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تهييج له على ماهو عليه من مخالفتهم (ودع اذاهم) ايذآءهم اياك ولا تحتفل به اوايذآءك اياهم مجازاة اومؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامر فى الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره (يايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة) ايام يتربصن فيها بانفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله اوتعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء اوعلى انه من الاعتدآء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات دون الكتابيات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخى الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر فى العدة (فمتعوهن) اى ان لم تكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهى سنة

على الاسمية فان التعبير عن مضمون الجملة الفعلية التى يكون فيها ماضيا مثبتا ابلغ فى بيان ثبوتها من الاسمية الدالة على مجرد الثبوت ثم انه تعالى لما بين انه اخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والمعصية الى انوار الايمان والطاعة برحمته وبسبب دعاء الملائكة واستغفارهم وقرر ذلك بقوله وكان بالمؤمنين رحيما اشار الى ان معظم رحمته فى حقهم ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك وعلى جميع الامم بتبليغ الرسالة والتصديق منهم والتكذيب مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل ومبشرا بالجنة لمن صدقك ونذيرا اى منذرا لمن كذبك بالنار (قوله واطلق له) اى اطلق لفظ الاذن واريد التيسير والتسهيل بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الدخول فى حق الغير متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن سببا التيسر ما تعذر صح ان يراد به التيسير مجازا وانما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لانه قد فهم من قوله انا ارسلناك انه عليه افضل الصلاة والسلام مأذون له فى الدعاء الى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقى له فائدة (قوله وقيد به الدعوة) فان قوله باذنه حال من المنوى فى داعيا اى ملتبسا باذنه اوصفة مقيدة له وقوله تعالى وسراجا منيرا من قبيل التشبيه البليغ وقول المصنف يستضاء به ويقتبس من نوره بيان لوجه الشبه (قوله اوعلى اجر اعمالهم) على ان المراد بالفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب الموعود لهم بمقابلة اعمالهم (قوله ولعله معطوف على محذوف) حذف اعتمادا على دلالة المقام لانه تعالى وصفه بخمس صفات وكلفه بمقابلة كل واحدة منها بتكليف على حدة ولما لم يذكر ما يقابل قوله شاهدا مع انه قد ذكر ما يقابل سائر الصفات علم انه ملحوظ فى الكلام وان لم يذكر لنكتة فصح العطف عليه وان العطف من جملة ما يدل على كونه ملحوظا معتبرا فى الكلام فكأنه قيل ارسلناك شاهدا ومبشرا فراقب وبشر الخ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمر وقلت له اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ثم انه تعالى لما ذكر فى ارشاد رسوله عليه الصلاة والسلام وتأديبه ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يايها النبى اتق الله ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت يده من ازواجه بقوله يايها النبى قل لازواجك ذكر فى ارشاد المؤمنين ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت ايديهم فقال تعالى يايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات (قوله تجامعوهن) والخلوة الصحيحة بها تقوم مقام المساس عند الحنفية وهى ان يخلو بها من غير ان يكون فى احد الزوجين مانع شرعى كالاحرام والصوم الفرض والحيض اومانع حسى كالمرض اومانع عقلى بان يكون هنالك شخص يستحيى منه الزوج فلو خلا بها على هذا الوجه ثم طلقها قبل الدخول بها يجب على الزوج المهر كاملا وعليها العدة احتياطا واما اذا خلا بها مع احد الموانع المذكورة ثم طلقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدة احتياطا (قوله من عددت الدراهم فاعتدها) اى استوفى عددها فقوله تعتدونها تفتعلونها من العدد على ان بناء افتعل للاتخاذ بنفسه والمعنى فما لكم عليهن من ايام يتربصن فيها بانفسهن تستوفون اتم عددها بالاقرآء اوالاشهر فقوله تعتدونها صفة لعدة (قوله اوتعدونها) على ان يكون افتعل بمعنى فعل كما يقال صبر واصطبر وكذا عدوا اعتد (قوله على ابدال احدى الدالين بالتاء) كراهة اجتماع حرفى التضعيف كما فى تقضى البازى فتكون القرآءتان بمعنى واحد لكونهما من الاعتداد وان كان من الاعتدآء بمعنى الظلم يكون التقدير فما لكم عليهن من عدة تعتدون فيها فان الزوج المطلق ان الزمها العدة ومنعها من ان تنكح زوجا آخر فقد ظلمها بغير حق فضمير تعتدونها للعدة اجرى اللفظ مجرى المفعول به حيث لم يقدر كلمة فى اتساعا كما فى قولك الذى سرته اى سرت فيه يوم الجمعة وفى قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (قوله والحكم عام) فان من نكح كتابية ثم طلقها قبل المسيس فليس له عليها من عدة كما فى المؤمنة فلا وجه بحسب الظاهر لتخصيص المؤمنات بالذكر وحاصل الجواب ان مفهوم المخالفة انما يثبت ان لو لم يكن للتخصيص فائدة سواه وههنا له فائدة سواه وهى التنبيه على ما ذكر (قوله تخيرا لنطفته) اى اختيارا واصطفاء لها (قوله وفائدة ثم الخ) جواب عما يقال ما الفائدة فى الاتيان بكلمة ثم مع ان حكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك (قوله اى ان لم تكن

مفروضا لها) يعنى ان الامر للوجوب ولا تجب المتعة الا لمن لم يسم لها مهر وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هذا اذا لم يكن سمى لها صداق فانه تجب لها المتعة ان طلقت قبل المسيس وان كان قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولا متعة لها (قوله ويجوزان يأول) بان لا يكون الامر بالتمتيع مشروطا بان لا تكون مفروضا لها بل يكون فى حق من طلقت قبل الدخول مطلقا سوآء سمى لها اولم يسم بان يأول قوله فمتعوهن باعطاء ما يستمتعن به وهو يتناول المتعة المتعارفة ونصف المفروض اوبان يحمل الامر على ما يعم الايجاب والندب فان من سمى لها مهر حين العقد ان طلقت قبل وطئ يستحب تمتيعها بشئ زآئد على نصف المسمى والمذكور فى كتب الحنفية ان المطلقات اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فتجب لها المتعة وهى درع وخمار وملحفة ومطلقة لم توطأ وقد سمى لها فهى التى لم تستحب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت وسمى لها مهر فهاتان يستحب لهما المتعة فالحاصل انه اذا وطئها يستحب لها المتعة سوآء سمى لها مهر اولم يسم لانه اوحشها بالطلاق بعد ما سلمت اليه المعقود عليه وهو البضع فيستحب ان يعطيها شيئا زآئدا على الواجب وهو المسمى فى صورة التسمية ومهر المثل فى صورة عدم التسمية وان لم يطأها ففى صورة التسمية تأخذ نصف المسمى من غير تسليم البضع فلا يستحب لها شئ آخر وفى صورة عدم التسمية تجب المتعة لانها لم تأخذ شيئا (قوله ولا يجوز تفسيره) اى تفسير السراح الجميل بالطلاق السنى وهو ان يطلق غير الموطوءة طلقة واحدة ولو فى زمان حيض وان يفرق طلقات الموطوءة فى ثلاثة اطهار لا وطئ فيها ان كانت ممن تحيض اوفى ثلاثة اشهر ان كانت آيسة اوصغيرة اوحاملا فان الاشهر فى حقهن قائمة مقام الحيض (قوله لانه مرتب على الطلاق) من حيث كونه معطوفا على ماهو مرتب على الطلاق وهو قوله فمتعوهن وغير المدخول بها بعد ما طلقت لا تكون محلا للطلاق لزوال علقة النكاح بالكلية بطلاقها قبل الدخول فامتنع تفسيره بالطلاق ثم انه تعالى قال على سبيل الامتنان لنبيه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اى نساءك اللاتى اعطيت مهورهن والمراد بالايتاء وهو الاعطاء حقيقة الادآء وقد يطلق على مجرد القول والالتزام كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية اى يلتزموها وغيره عليه الصلاة والسلام ممن له اكثر من اربع نسوة امره ان يترك ما زاد على الاربع وقد احل الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم امساك التسع ولم يأمره بالفرقة عما زاد على الاربع وايضا قد اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو الافضل والاولى من المحللات كما اختار للمؤمنين نكاح المؤمنات لكونه الاولى لهم الا ترى انه تعالى وصف الازواج المحللة له عليه الصلاة والسلام بقوله اللاتى آتيت اجورهن وبكونهن مهاجرات معه وبكونهن من اقاربه من جهة ابيه اوامه ووصف المملوكات منهن بقوله مما افاء الله عليك فان تسمية المهر وادآءه افضل من تركها وكذا الجارية اذا كانت مسبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب تكون احل واطيب ممن تشترى من اهل الجلب لانها اولم تكن مما غنمه الله من دار الحرب احتمل ان تكون من سبى خبثة بان سبيت من اهل العهد والذمة وكذا المهاجرة افضل من غيرها لان الهجرة حينئذ كانت من فروض الاعيان وكذا قرآئب النبى عليه الصلاة والسلام من جهة ابيه اوامه اقرب منه فى الكفاءة من غيرها فتوصيف المحللات بهذه الصفات ليس لبيان انحصارها فيما وجد فيه احدى الصفات بل للامتنان بان المسوق اليه عليه الصلاة والسلام منها اتمها واولاها وافضلها (قوله فاعتذرت اليه) قيل اعتذرت اليه عليه الصلاة والسلام بان قالت انى مصبية اى ذات صبية والطلقاء جمع طليق وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق عند اساره اى قيده وخلى سبيله ولما فتح عليه الصلاة والسلام مكة عنوة صار اهلها غنيمة وملكا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسموا طلقاء (قوله نصب بفعل يفسره ما قبله) اى ويحل لك امرأة مؤمنة اوعطف على مفعول احللنا اى واحللنا لك امرأة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد اورد هنا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل فاحللنا فى موضع جوابه وجواب الشرط يكون ماضيا فى المعنى ثم قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك انتهى يعنى ليس المعنى ان وهبت لك نفسها فى المستقبل احللناك اياها فيما مضى بل المعنى ان وهبت فاعلم انا احللناها لك (قوله ولذلك نكرها) اى ولاجل ان الاحلال كان على تقدير ان تتفق الهبة نكر امرأة اذ لو كانت الواهبة متحققة لكانت متعينة فكان المناسب

ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن) مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرآئب بكونها مهاجرات معه فى قوله (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لانى لم اهاجر معه وكنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى) نصب بفعل يفسره ما قبله اوعطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها

التعريف (قوله واختلف فى اتفاق ذلك) اى اختلف فى انه عليه الصلاة والسلام هل كانت عنده امرأة من اللاتى وهبت نفسها له فقال عبدالله بن مسعود ومجاهد لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام امرأة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى ان وهبت نفسها على طريق الشرط والجزآء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة فقيل هى زينب بنت خزيمة الانصارية وقيل هى ميمونة بنت الحارث وقيل هى ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقيل هى خولة بنت حكيم من بنى سليم **قوله** اومدة ان وهبت) على ان تكون ان مع الفعل فى حكم المصدر الذى حذف معه الزمان المضاف كما فى قولك ترحل صياح الديك ونظيره فى كون المصدر المأول محذوفا معه المصدر قولك اجلس مادام زيد جالسا يعنى مدة دوامه جالسا (**قوله** شرط للشرط الاول) اى قيدله ولذلك يقال فى اعرابه انه حال من الاول لان الحال قيد لعامله ولهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الشرط الثانى على الاول فى الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلابد ان يتقدم الركوب على الاكل لتحقق الحالية والتقييد اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد بركوب جعل الاكل شرطا لطلاقها وجعل ركوب نفسه شرطا لكون الاكل مستلزما لطلاقها فلما كان الشرط الاول بمنزلة جزآء الشرط الثانى وجب ان يكون الشرط الثانى متقدما فى الوجود على الاول لان الشرط مقدم على الجزآء فى الوجود حتى لووجد الشرطان على الترتيب الذى تلفظ به لا يحصل اليمين مالم يوجد الاول بعده ثانيا فكانه قيل واحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك اى ان ملكت نفسها اياك بالنكاح بلفظ الهبة من غير مهر حال ارادتك ومحبتك ان تنكحها على ان يكون استنكح بمعنى نكح كما يقال نكر واستنكر وعجل واستعجل وعجب واستعجب كما اشار اليه بقوله الا بارادته نكاحها فينبغى ان يكون قوله بعد هذا والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه بيانا لمعنى بناء الاستنكاح لغة لا بيانا لما اريد به فى نظم الآية اذ ليس لان يقال ان اراد النبى ان يطلب نكاحها وان رغب فيه معنى ظاهر فلذلك فسر الامام السنى قوله تعالى ان اراد النبى ان يستنكحها بقوله ان أحب ان ينكحها كما يقال نكر واستنكر (**قوله** واحتج به اصحابنا) يعنى ان قوله تعالى خالصة لك لما دل على ان حصول التزوج وحل مايتفرع عليه من الاستمتاع بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لان اختصاصه بمعنى الهبة وحكمها يستلزم اختصاصه باللفظ ايضا قال الامام قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال الامام الشافعى رحمه الله معناه اباحة الوطئ بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خصائصك وقال ابو حنيفة معناه تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة ومن امهات المؤمنين لاتحل لغيرك ابدا بالتزويج ثم قال ويمكن ان يقال فعلى هذا يكون التخصيص بالواهبة لافائدة فيه لان ازواجه عليه الصلاة والسلام كلهن خالصات له بهذا المعنى انتهى كلامه وقال علماؤنا رحمهم الله ان النكاح ينعقد بلفظ الهبة اذا طلب الزوج منها النكاح حتى لو طلب منها التمكين من الوطئ فقالت وهبت نفسى منك وقبل الزوج يكون نكاحا واستدلوا عليه بان الآية قد دلت على احلال الواهبة وصحة نكاحها بلفظ الهبة وقد تقرر انه عليه الصلاة والسلام وامته سوآء فى الاحكام الا ما خصه الدليل ولا دلالة لقوله تعالى خالصة لك على كون صحة النكاح بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لما مر من ان معناه من كون الواهبة من امهات المؤمنين لاتحل لاحد بعده ابدا فلو وهبت نفسها من احد بغير مهر وقبل الآخر بحضرة الشهود يصح النكاح ولها مهر مثلها (**قوله** اى خلص احلالها) اى احلال من وهبت نفسها بلا مهر على ان يكون الخلوص من صفة المرأة الواهبة نفسها فقط (**قوله** او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة) وهى الاصناف الاربعة المذكورة بعد قوله تعالى انا احللنا لك والمراد بالقيود المذكورة كون الازواج اعطيت مهورهن معجلة وكون المماليك مسبيات وكون الاقارب مهاجرات وكون المرأة المؤمنة واهبة نفسها له عليه الصلاة والسلام فعلى هذا تكون صفة الخلوص متعلقة بالاصناف الاربعة المتقدمة فان قيل ما وجه كون المسبيات والمهاجرات ومن عجلت مهورهن خالصة له عليه الصلاة والسلام مع كونهن محللات لغيره عليه الصلاة والسلام قلنا ليس المراد بالخلوص خلوص احلالهن مطلقا بل المراد خلوص احلالهن على القيود المذكورة كما اشار اليه المصنف بقوله على القيود المذكورة فانه متعلق بقوله او احلال فانهن احلت فى حقه عليه الصلاة والسلام بهذه القيود وهى ايتاء الاجور والايفاء والهجرة والهبة واما فى حق غيره عليه الصلاة والسلام فانهن احلت غير مقيدات بهذه القيود والمصدر قد يجيئ على وزن فاعلة نحو عاقبة وكاذبة قال تعالى ليس لوقعتها

واحسب فى اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح اى لان وهبت اومدة ان وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا (ان اراد النبى ان يستنكحها) شرط للشرط الاول فى استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لاتوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبى مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير فى وهبت او صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة (قد علمنا مافرضنا عليهم فى ازواجهم) من شرآئط العقد ووجوب المهر بالوطئ حيث لم يسم (وما ملكت ايمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا يكون عليك حرج) ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين فى نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) بالتوسعة فى مظان الحرج

كاذبة اى كذب وقد يجيئ على وزن فاعل نحو قاعد فى قوله * أقاعدا والركب قد سارا * وكذا خالصة فى الآية فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كوعد الله والتقدير خاص خلوصا ويحتمل ان يكون انتصابه على انه حال من فاعل وهبت اى ان وهبت نفسها حال كونها خالصة لك لا تحل لاحد غيرك فى الدنيا والآخرة اوعلى انه حال من امرأة لانها وصفت فتخصصت وهى بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج ثم انه تعالى لما بين انه احل له عليه الصلاة والسلام الاصناف الاربعة الموسومة بما فيهن من القيود المخصوصة قال بعده قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين والمعنى انه تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى اى وجه وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه كذلك حيث فرض عليهم ان يقتصروا على الاربع وحرم عليهم الزيادة عليها وان ينكحوا الحرة على الامة وجوزان يزيدوا عليها فى الجوارى المملوكة وان كثرن وفرض عليهم ان لا يتزوج الرجل امرأة الا بولى وشهود ومهر بخلاف النبى عليه الصلاة والسلام فانه تعالى احل له الواهبة نفسها منه بغير مهر وبغير ولى ولم يوجب عليه ان يقتصر على الاربع بناء على انه تعالى علم الحكمة فى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بما خصه الله تعالى به ففعل ذلك وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بقوله خالصة لك من دون المؤمنين والمعنى خلص احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك لينتفى الحرج عنك فى دينك ودنياك اما الاول فلانه تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو افضل واولى للاختيار وهى من سمى لها مهر ويعجل هو لها ومن كانت مهاجرة ومن المماليك من كانت مسبية واما الثانى فلانه تعالى احل له اجناس المنكوحات وزاد له الواهبة نفسها من غير مهر وفى توسيعه عليه الصلاة والسلام بهذه الاملاك المباحة عون له على القيام بما امر به (قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء) على ان ارجى افعل من الناقص وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمزة وفى الصحاح ارجيت الامر آخرته يهمز ولا يهمز فيقال ارجأت الامر وارجيته بمعنى اخرته نزلت الآية فى انه تعالى اباح للنبى عليه الصلاة والسلام مضاجعة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه تخفيفا له وتفضلا واباح له ان يجعل لمن احب منهن يوما او اكثر او يعطل من يشاء منهن فلا يأتيها وقد كان القسم والتسوية بينهن واجبا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه ذلك وصار الاختيار اليه فيهن فارجأ عليه الصلاة والسلام بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة رضى الله عنها وحفصة وزينب وام سلمة فكان يقسم بينهن سوآء وارجأ منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما يشاء وقيل ما اخرج واحدة منهن عن القسم مع انه تعالى فوض امر القسم اليه بل كان يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها تركت حقها فى القسم وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها ومن فى قوله تعالى ومن ابتغيت يجوز ان تكون شرطية فى محل النصب لما بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى ومن طلبتها من النسوة اللاتى عزلتهن فليس عليك فى ذلك جناح ويجوز ان تكون فى محل الرفع على الابتداء وحذف العائد وعلى هذا يجوز ان تكون من موصولة وان تكون شرطية وقوله فلا جناح عليك اما خبر او جواب ولا بد حينئذ من ضمير راجع الى اسم الشرط والتقدير والتى ابتغيتها فلا جناح عليك فى ابتغائها وطلبها (قوله اقرب الى قرة عيونهن) اختار المصنف قرآءة الجمهور وهى ان تقر بالفتحات الثلاث على بناء الفاعل وهو اعينهن من قرت عينه تقر قرة وقرورا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر نقيض سخنت تسخن فان السرور له دمعة باردة والحزن له دمعة حارة او نقيض طمحت وارتفعت الى ما هو فوقه ولم تستقر فالمعنى على الاول ذلك اقرب الى ان تبرد اعينهن اى الى ان يصرن مسرورات وان تطيب انفسهن لانهن اذا علمن ان هذا جاء من الله كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن وعلى الثانى ذلك اقرب الى ان تستقر اعينهن فلا تطمح الى ما هو فوقه وقرئ ادنى ان تقر اعينهن بضم التاء وكسر القاف واسناد الفعل الى ضمير المخاطب ونصب اعينهن على المفعولية من اقر الله عينه اى اعطاه حتى استقرت عينه او بردت وقرئ ايضا ان تقر على بناء المفعولية ورفع اعينهن لقيامه مقام الفاعل وقرأ العامة كلهن بالرفع على انه تأكيد نون يرضين التى هى ضمير الفاعل وقرئ بالنصب على انه تأكيد لمفعول آتيتهن (قوله من بعد التسع) لما بعد على الضم علم انه قطع عن الاضافة وان المضاف اليه محذوف منوى وذكر المصنف فى تعيين المضاف اليه احتمالين الاول انه التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والثانى انه يوم نزول الآية واشار الى ان الفرق بين الاحتمالين ان يكون المقصود من الآية على الاحتمال الاول بيان ان التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام نصابه من الازواج

(ترجى من تشاء منهن) تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك وتضاجعها اوتطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) فى شئ من ذلك (ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سوآء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن توكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن (والله يعلم ما فى قلوبكم) فاجتهد وافى احسانه (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى (لا يحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء (من بعد) من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى

فلا يحل له ان يتجاوز النصاب وان جاز له نكاح امرأة اخرى على تقدير ان تموت واحدة من التسع وعلى الاحتمال الثانى يكون المقصود قصره عليه الصلاة والسلام على هؤلاء التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل اسباب الدنيا وزينتها حين خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى وقال الامام والاولى ان يقال لا تحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصول والهجران والنقص والحرمان النبى كلامه يريد ان الاية لما نزلت بعد ما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله كان المناسب ان يكون المضاف اليه المقدر ما ذكره لكونه ادل على انه تعالى انما حرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن شكرا لهن على حسن صنيعهن وقول المصنف او من بعد اليوم خلاصة ما ذكره الامام وقوله تعالى ولا ان تبدل اصله ولا ان تتبدل بهن بمعنى تستبدل يقال استبدل الشئ بغيره وتبدل به اذا اخذه به كانه قيل ولا ان تأخذ بمقابلتهن احدا من الازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى حرم عليه طلاق النساء اللواتى كن عنده اذ جعلهن امهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اخترنه وقيل كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وابادلك بامرأتى تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن من ازواج يعنى ان تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ثم استثنى من هذا الحكم الا ما ملكت يمينك اى لا بأس فى ان تبادل بجاريتك ما شئت واما الحرائر فلا ويؤيد هذا القول ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال دخل عيينة بن حصين على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة رضى الله عنها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء التى الى جنبك فقال هذه عائشة ام المؤمنين فقال عيينة أفلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه (**قوله** تعالى ولو اعجبك حسنهن) كقوله عليه الصلاة والسلام اعطوا السائل ولو على فرس اى اعطوه فى كل حال ولو على هذه الحال المنافية فمعنى الاية ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى فى كل حال ولو فى حال انك اعجبك حالها (**قوله** لتوغله فى التنكير) والحال من النكرة لا يجوز تاخيرها عن ذى الحال قيل فيه نظر لانه اذا كان فى الحال واو جاز تاخيرها عن ذى الحال النكرة لان الواو ترفع التباسها فى الصفة بناء على انه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف واختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام هل ابيح له النساء من بعد بان نسخت هذه او هى محكمة قالت عائشة رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس مات على التحريم ثم قال الزهرى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نعلمه يتزوج النساء قال ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام ملك بعد هؤلاء مارية فكان الامر موسعا عليه فيهن كما هو موسع على امته (**قوله** وقيل المعنى) عطف على قوله من بعد التسع قيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى عليه الصلاة والسلام أكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل اما يمنعه قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما احل الله ضربا من النساء بقوله يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك من بعد اى من بعد هؤلاء الاصناف المذكورة فله ان يتزوج من نساء قومه المهاجرات ما شاء ولو ثلاثمائة والفرق بين القولين ان الاية على القول الاول فيها حكمان تحريم الزيادة على التسع وتحريم التبديل وعلى الثانى فيها حكم واحد وهو تحريم غير ما نص عليه من الاجناس الاربعة المذكورة فى قوله تعالى انا احللنا لك الخ وقوله ولا ان تبدل بهن تأكيد لذلك فيجوز له ان يزيد على العدد المذكور وان يبدل بكلهن او بعضهن ازواجا اخر من جنس ما نص عليه ولم يرض به المصنف لان تخلل العاطف بين التأكيد والمؤكد غير معهود (**قوله** استثناء من النساء) فيجوز ان يكون فى محل النصب على اصل الاستثناء او فى محل الرفع على البدلية وهو المختار ولم يرض بكون الاستثناء منقطعا لابتنائه على ان تحمل النساء على الازواج حتى يكون استثناء الاماء من خلاف الجنس وهو خلاف الظاهر (**قوله** الا وقت ان يؤذن لكم) على ان يكون ان مع الفعل فى معنى الظرف قائما مقامه على خلاف ما اشتهر عند النحاة من ان المصدرية لا تقع موقع الظرف فلا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يجوز ذلك فى المصدر الصريح نحو آتيك صياح الديك اى وقت صياحه (**قوله** او الا مأذونا لكم) على ان يكون ان مع الفعل فى موضع النصب على الحال

(ولا ان تبدل بهن من ازواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق (ولو اعجبك حسنهن) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر (الا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم) الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم

والمعنى على الاول لاتدخلوا منازله التى فيها نساؤه فى وقت من الاوقات الاوقت كذا وعلى الثانى لاتدخلوا منازله على اى حال من الاحوال الا حال كذا (قوله غير منتظرين وقته) على ان يكون الانى اسما بمعنى الوقت فيجمع على آناء قال تعالى ومن آناء الليل اى ساعته فحينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اى انى اكله اوتقديمه اليكم لان الزمان لايضاف الى العين بل يضاف الى الحدث (قوله اوادراكه) على ان يكون الانى مصدر اتقول انى يانى انى مثل قلى يقلى قلى يقال انى الطعام انى بمعنى ادرك ادراكا والنظر قد يكون بمعنى الانتظار قال تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اى انتظرونا ووجه كون قوله تعالى غير ناظرين اناه مشعرا بما ذكره انه لما نهى عن الدخول فى جميع الاحوال الا فى حال عدم انتظار الداخل وقت تناول الطعام دل ذلك على ان الدخول على الطعام من غير دعوة لايحسن وان اذن فان الداخل بالاذن اذا نهى عن الانتظار لادراك الطعام كيف يحسن لمستأذن فى الدخول على الطعام ان يستأذن ويدخل عليه من غير دعوة (قوله وهو حال من فاعل لاتدخلوا) ووقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لاتدخلوا بيوت النبى عليه الصلاة والسلام فى وقت من الاوقات كما نهوا عن الدخول من غير دعوة واذن نهوا ايضا عن انتظار وقت الطعام وتحينه ليدعوا اليه فيدخلوا الاوقت الاذن اى لاتدخلوها فى حال من الاحوال الا غير ناظرين او من المجرور فى لكم والعامل على هذا ان يؤذن (قوله وقرئ بالجر) يعنى ان العامة قرأوا غير ناظرين بالنصب على الحال وفى ذى الحال وجهان كما تقدم وقرئ بالجر على انه صفة لطعام على راى الكوفيين فانهم يجوزون ان يستتر الضمير فى اسم الفاعل الجارى صفة على غير من هى له كما جاز فى الفعل نحو مررت برجل تضربه ولايجب ان يقال تضربه انت لعدم اللبس فيجوزون ايضا ان يقال دعينا الى طعام غير منتظرين تقديمه الينا لعدم اللبس وعند البصريين لايجوز ذلك بل يجب ان يقال غير منتظرين نحن فانهم يقولون يجب اظهار الضمير الذى فى ناظرين بان يقال الى طعام غير ناظرين اناه انتم (قوله لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله) اى ينتظرون وقت تناول الطعام يقال تحين الوارش اذا انتظر وقت الاكل ليدخل والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع مثل الواغل فى الشراب ولما كان مدلول الآية تحريم الدخول فى جميع الاوقات الاوقت الاذن الى الطعام وتحريم لبث من دخل بالاذن الى الطعام بعد الطعام لاجل قضاء مهم فيلزم ان لايجوز الدخول لمن اذن له لاستفتاء امر دينى واستماع حديث دنيوى ولا اللبس بعد الطعام لمهم شرعى دفع هذا الاشكال بجعل الخطاب لطائفة مخصوصة كانه قيل يا ايها المتحينون لاتفعلوا ما انتم عليه من تحين الطعام والدخول بغير اذن والقعود منتظرين لادراكه وليس لكم الا الدخول بالدعوة والاذن والانتشار بعد ما طعمتم من غير لبث وكان قوم منهم اذا طعموا جلسوا يستأنس بعضهم ببعض للحديث اى لاجله اولحديث اهل البيت يسمعه فنهوا عن ذلك بقوله تعالى ولا مستأنسين لحديث اى ولاطالبين انس بعضكم ببعض لاجل حديث يحدثه على ان تكون اللام فى قوله لحديث لام العلة اوولاطالبين انس حديث لاهل البيت اوغيرهم على ان تكون اللام لتقوية العامل لانه فرع روى فى سبب نزول الآية ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر أنسا رضى الله عنه ان يدعو الناس فتراد فوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يارسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقالوا وعليك السلام يارسول الله كيف وجدت اهلك فطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء منعه حياؤه عن امرهم بالخروج فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فلما دخل الحجرة ارخى الستر فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى آخر آية الحجاب والذى سبق من الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فينتظرون الى ان يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى بهم لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لايعنيه فذلك مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما (قوله من اخراجكم لقوله الخ) استدل بقوله تعالى والله لايستحيى من الحق على انه لابد من تقدير المضاف فى قوله منكم ووجه الاستدلال انه لولم يقدر لكان الظاهر ان يقال والله لايستحيى منكم ليكون متعلق النفى والاثبات شيئا واحدا فلما قيل والله لايستحيى من الحق ولم يكن حمل الثانى على الاول اذ لامعنى

(الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله (غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته اوادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا اوالمجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم (ولا مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا اولحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين اومقدر بفعل محذوف اى ولاتدخلوا ولاتمكثوا مستأنسين (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبى) لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه (فيستحيى منكم) من اخراجكم لقوله (والله لايستحيى من الحق) يعنى ان اخراجكم حق فينبغى ان لايترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيى فامركم بالخروج وقرئ لايستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء (واذا سألتموهن متاعا) شيئا ينتفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلوامرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبى عليه الصلاة والسلام ذلك فنزلت (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر الشيطانية

(وماكان لكم) وما صح لكم (ان تؤذوا رسول الله) ان تفعلوا مايكرهه (ولاان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) من بعد وفاته اوفراقه وخص التى لم يدخل بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى ايام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير (ان ذلكم) يعنى ايذاءه ونكاح نسائه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيئا) كنكاحهن على ألسنتكم (اوتخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد (لاجناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن) استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله اونكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا فى قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق اولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولا نسائهن) يعنى النساء المؤمنات (ولا ماملكت ايمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر فى سورة النور (واتقين الله) فيما امرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لايخفى عليه خافية (ان الله وملائكته يصلون على النبى) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه (ياايها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك ايها النبى وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه فى العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عزوجل وان كان عزيزا جليلا

لان يقال والله لايمتنع من انفسكم لان استحياء الله تعالى من شئ معناه الامتناع منه فان امثال ذلك يراد منها الغاية فى حقه تعالى وامكن حمل الاول على الثانى بتقدير المضاف فيه فعل ذلك فكان المعنى فيستحيى من اخراجكم والله لايستحيى منه لكونه حقا روى انه لما نزلت آية الحجاب قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توفى رسول الله لتزوجت عائشة رضى الله عنها فنزل قوله تعالى وماكان لكم ان تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اى من بعد موته اوفراقه اهله فى حياته (**قوله** تزوج المستعيذة) وهى اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن النساء الا انها لم تكن من اقربائه عليه الصلاة والسلام بل كانت من الغرائب ولما تزوج عليه الصلاة والسلام اياها ودخل عليها قالت اعوذ بالله منك فقال عليه الصلاة والسلام لقد عذت بعظيم الحقى باهلك ولما كانت كل واحدة من امهات المؤمنين خالصة له عليه الصلاة والسلام فى الدنيا والآخرة نهى المؤمنين عن تزوجهن من بعده عليه الصلاة والسلام تعظيما من الله تعالى لرسوله وايجابا لحرمته حيا وميتا وروى عن حذيفة انه قال لامرأته ان اردت ان تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها فلذلك حرم الله تعالى على ازواج النبى عليه الصلاة والسلام ان يتزوجن بعده (**قوله** وفى هذا التعميم) اى تعميم متعلق الابداء والاخفاء حيث قيل ان تبدوا شيأ اوتخفوه وتعميم متعلق علمه تعالى حيث قيل فان الله كان بكل شئ عليما مع ان الظاهر ان يقال وان تبدوا ماذكر من ايذائه ونكاح نسائه اوتخفوه فان الله تعالى يعلم ذلك فوضع موضعها شيئا ليدخل تحت هذا العام ذلك دخولا اوليا لان المقصود ذكر الوعيد على خصوص ايذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح نسائه والمراد بالمقصود بيان حرمة الايذاء ونكاح النساء وبرهانه قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما وفى كل واحد من اقامة البرهان على المقصود المذكور والتعميم المعتبر فى الوعيد زيادة تهويل لمن تصدى لما بين تحريمه (**قوله** مخافة ان يصفا لابنائهما) وابناؤهما ليسوا بمحارم الا انهن اولم يحتجبن من الاعمام والاخوال لربما يحكى العم محاسن بنت اخيه لابنه وكذا الخال ربما يحكى محاسن بنت اخته لابنه فيكون سماع المحاسن والاوصاف منزلا منزلة المشاهدة عيانا فى كونه مؤديا الى الفتنة (**قوله** يعنى النساء المؤمنات) فيجوز للمسلمة النظر الى المرأة المسلمة سوى مابين السرة والركبة ولا يجوز للمسلمة ان تنكشف للكافرة لانها ليست من النساء المؤمنات روى ان عمر رضى الله عنه كتب الى ابى عبيدة ان يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة الا ان تكون امة لها فان المسلمة يجوز لها كشف بدنها عند امتها مسلمة كانت الامة اوكافرة لما فى كشف مواضع الزينة الباطنة عند امتها الكافرة فى احوال استخدامها من الضرورة التى لاتخفى ففارقت الحرة المشركة (**قوله** من العبيد والاماء) يعنى ان قوله تعالى ماملكت ايمانهن يدخل فيه العبيد ايضا اذا كانوا اعفة لما روى عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت لذكوان انك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فانت حر وهو قول ابن المسيب اولا ثم رجع عنه وقال لاتغرنكم آية النور فانها نزلت فى الاناث دون الذكور ومثله روى عن سمرة بن جندب وعليه عامة العلماء ومن الائمة من قال المراد من كان دون البلوغ قال الامام قوله تعالى واتقين الله عند ذكر المماليك دليل على ان التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور (**قوله** لايخفى عليه خافية) عن ابن عطاء ان الشهيد من يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح (**قوله** يعتنون باظهار شرفه) يعنى ان المراد بالصلاة القدر المشترك بين ما اسند الى الله تعالى من الرحمة والى الملائكة من الاستغفار للمؤمنين والاهتمام بما يصلحهم والى المؤمنين من التضرع والابتهال الى الله تعالى فى ان يعظم شأنه ويرفع درجته ابد الآباد وهو اعتناء بصلاح امرهم وظهور شرفهم مستعار من صلاة العصا اى تصليتها بالنار وتليينها وتقويمها بها كما مر عن قريب فصح ان يكون قوله تعالى وملائكته منصوبا بالعطف على اسم ان وان يكون يصلون خبرا عن الله وملائكته وقيل هو خبر عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين * لما امر الله تعالى المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كمل بيان حرمته فى جميع حالاته وذلك لان حالاته منحصرة فى اثنتين حالة كونه فى بيته وحالة كونه فى ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى فبين الله تعالى احترامه وهو فى بيته بقوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبى وبين احترامه فى الملأ الاعلى بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى ثم ذكر كونه واجب الاحترام فى الملأ الاسفل بقوله ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اى ادعوا الله تعالى بان يترحم ويسلم سئل عليه الصلاة والسلام

كيف نصلي عليك يارسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكيفية السلام عليه ان يقال السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرني جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال من صلى عليك صلاة صليت بها عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيآت وكتب له عشر حسنات وروى انه عليه والصلاة والسلام قال ان الله عز وجل وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي على الا قال ذانك الملكان لاغفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذينك الملكين آمين والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وان ذكر في مجلس واحد الف مرة وهو المختار عند الجمهور ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره فيه كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قيل في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ان يصلي عليه كلما جرى ذكره عليه السلام عملا بما ورد في الاخبار ثم انه تعالى لما امر بالصلاة والسلام على النبي عليه الصلاة والسلام بين حال من يؤذيه ويؤذي رسوله ليتبين فضيلة من امتثل امره تعالى وفضيلة من يصلي ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام لان فضيلة الاشياء تنبيء بانحطاط شان اضدادها وايذآء الرسل حقيقة ممكن بحسب العقل الا ان ايذآءه تعالى حقيقة ممتنع غير متصور لانه تعالى لايتأذى بشيء بل هو منزه عن ان يلحقه اذى فلو حمل ايذآء الله تعالى على المجاز وايذآء الرسول على الحقيقة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فوجب ان يحمل الايذآء على معنى مجازي يعمهما ويصح اسناده اليهما وهو ارتكاب مايكرهانه ولا يرضيان به قولا كان اوفعلا او اعتقادا كانه قيل ان الذين يرتكبون مالا يرضى الله ورسوله فان مخالفة الامر وفعل مالا يرضى سبب الايذآء في الجملة فانا نتأذى به فاطلق السبب واريد المسبب ثم اشار الى توجيه آخر وهو ان المراد ايذآء رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام واشارة الى انه عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى بمكانة حتى ان ايذآءه ايذآؤه (**قوله** فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين) اى فسر الايذآء باعتبار تعلقه بمفعوله اصالة بمعنى يتصور فيه وهو ارتكاب ما يكرهه ولا يرضاه وهو سبب للايذآء في الجملة فاطلق عليه اسم المسبب مجازا وباعتبار تعلقه بما عطف على مفعوله اصالة فسر بالايذآء حقيقة لكونه متصورا في حقه عليه الصلاة والسلام فلا وجه لحمله على المعنى المجازي في حقه (**قوله** بغير جناية استحقوا بها الايذآء) اطلق اذى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقيد ايذآء المؤمنين بكونه بغير جناية استحقوا بها ذلك لان اذى الله تعالى ورسوله يكون بغير حق يوجبه البتة واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه مايكون بحق ومنه مالا يكون كذلك والموجب للعقوبة هو الثاني روى عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ذات يوم فقال رأيت الليلة عجبا رأيت رجالا يعلقون بالسنتهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا (**قوله** وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء) اذا برزن بالليل لقضاء حوآئجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لايعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار فشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرآئر عن ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وهو جمع جلباب وهو الملحفة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ليعلم انهن حرآئر (**قوله** وتلفع ببعض) اى تلتحف يقال لفع رأسه تلفيعا اى غطاه وتلفعت المرأة بمرطها اى تلحفت به (**قوله** عن تزلزلهم في الدين) متعلق بقوله لئن لم ينته ومبني على ان يكون المراد بمرض القلب ضعف الايمان وقلة الثبات عليه وقوله او فجورهم مبني على ان يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض الزناة الذين يتعرضون للنساء بالليل كما في قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والارجاف ايقاع الخبر على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة فالمرجف هو المخبر بخبر متزلزل غير ثابت (**قوله** عن ارجافهم) متعلق ايضا بقوله لم ينته (**قوله** تعالى لنغرينك بهم) جواب قسم مضمر اى والله ان لم ينته هؤلاء لنسلطنك عليهم بان نأمرك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) يرتكبون مايكرهانه من الكفر والمعاصي اويؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين (لعنهم الله) ابعدهم من رحمته (في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها الايذآء (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ظاهرا روى انها نزلت في منافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات (ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض (ذلك ادنى ان يعرفن) يميزن من الاماء والقينات (فلا يؤذين) فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف (رحيما) بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم (والمرجفون في المدينة) يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها عن ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم اومايضطرهم الى طلب الجلاء.

والاغرآء هو التحريش وتهييج شخص على آخر (قوله والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك) وقتا من الاوقات اوشيئا من الجوار او على كل من الاحوال الا وقتا قليلا اوجوارا قليلا الا على حال كونهم ملعونين ولا يجوز ان ينتصب على انه حال من فاعل اخذوا الذى هو جواب الشرط لان معمول الجواب لايتقدم على اداة الشرط فلا يقال خيرا ان تأتنى تصب كما لايتقدم معمول فعل الشرط على اداته فلا يقال زيدا ان تضرب امنك وقول المصنف مابعد كلمة الشرط يتناول فعل الشرط وجواب الشرط واجاز الكسائى تقديم معمول كل واحد من فعل الشرط وجوابه على اداته واجاز الفرآء تقديم معمول الجواب عليها ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط فظهر ان المسئلة فيها ثلاثة مذاهب المنع مطلقا والتجويز مطلقا والتفصيل ثم انه تعالى لما بين حالهم فى الدنيا وهو انهم يلعنون ويهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم فى الآخرة فذكرهم اولا بالقيامة ومايكون لهم فيها وهو انه لعنهم واعدلهم سعيرا خالدين فيها ابدا واخفى وقت قيامها لحكمة وهى امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها فى كل وقت والآية نزلت حين سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الساعة وعن وقت قيامها المانزل قوله تعالى فى وعيد المؤذين لعنهم الله فى الدنيا والآخرة قالوا متى الآخرة انكارا للبعث والجزآء واستهزآء (قوله شيئا قريبا) يعنى ان فعيلا بمعنى الفاعل حقه ان يميز فيه بين المذكر والمؤنث وقريبا فى الآية خبر تكون المسندة الى ضمير الساعة فحقه ان يقال قريبة الا انه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر كان اى لعلها تكون شيئا قريبا ثم اشار الى وجه آخر لتذكيره وهو ان قريبا هنا ليس خبر كان بل هو ظرف فى موضع الخبر اى لعلها تكون فى زمان قريب فان قريبا كثير استعماله استعمال الظروف والمعنى اى شئ يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اى انت لاتعلمه ثم خوفهم فقال لعل الساعة تكون شيئا قريبا وقوله تعالى لايجدون حال ثانية او حال من ضمير خالدين والمعنى لاصديق يشفع لهم ولا ناصر يدفع عنهم وقرأ العامة تقلب بضم التاء وفتح القاف على بناء المفعول ورفع وجوههم على النيابة وتقلب بفتح التاء والقاف واللام المشددة ورفع وجوههم على الفاعلية واصله تتقلب وقرئ تقلب بضم التاء وكسر اللام مشددة على بناء الفاعل ونصب وجوههم على المفعولية اى تقلب السعير او الملائكة وجوههم (قوله ومتعلق الظرف) اى عامله يعنى ان يوم معمول ليقولون بعده ويحتمل ان يكون معمولا لخالدين او لاذكر مقدرا فقوله يقولون حينئذ يكون حالا من الوجوه لان المراد بها اصحابها او من الضمير المجرور بالاضافة فان الحال قد ينتصب عن المضاف اليه ثم انهم لما علموا انه لايتخلص مماهم فيه من العذاب الا من اطاع الله ورسوله فى الدنيا وندموا على عصيانهم فيها حيث لاتنفعهم الندامة قالوا ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا والرسولا اشبعت فتحة اللام لاطلاق الصوت ورعاية الفواصل ثم انهم لما رأوا ان اضلالهم عن الطريق كان باضلال قادتهم اياهم سألوا الله تعالى ان يضاعف عذاب سادتهم والسادة يجوز ان يكون جمع سيد على خلاف القياس لان فعيلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة لان اصله سودة ويجوز ان يكون لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وابن عامر جمع هذا الجمع بالالف والتاء للدلالة على الكثرة كجدات وطرقات وبيوتات وجمالات فى جمع جدر وطرق وبيوت وجمالة (قوله مثلى ما اوتينا منه) اشارة الى ان ضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله كما ذكره الجوهرى فى صحاح اللغة حيث قال ذكر الخليل ان التضعيف ان يزاد على اصل الشئ فيجعل مثلين او اكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة يقال ضعفت الشئ واضعفته وضاعفته بمعنى وضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله هذا كلامه بعبارته روى عن ابى عبيدة فى قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين انه قال معناه يجعل الواحد ثلاثة اى تعذب ثلاثة اعذبة وانكره الازهرى وقال هذا الذى يستعمله الناس فى مجاز كلامهم وتعارفهم وانما الذى قال حذاق النحويين انها تعذب مثلى عذاب غيرها لان الضعف فى كلام العرب المثل (قوله كثير العدد) يعنى ان جمهور القرآء قرأوا كثيرا بالثاء المثلثة وقرأ عاصم بالباء الموحدة ليدل على اشد اللعن واعظمه والاول يدل على كثرة اعداد اللعن ثم انه تعالى لما بين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وعظ المؤمنين ونهاهم عن ايذآء رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب شئ مما يكرهه كمقالة الناس فى تزوجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش وقول من قال حين قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله تعالى روى انه عليه الصلاة والسلام لما اخبر بهذا القول غضب حتى ظهر اثر الغضب فى وجهه الكريم ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر كانه قيل ياايها الذين آمنوا اذا امركم الرسول بشئ فأتوا منه ما استطعتم باطمئنان قلب وصدق

(ثم لايجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم مايصيبهم (فيها) فى المدينة (الاقليلا) زمانا اوجوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك الاملعونين ولايجوز ان ينتصب عن قوله (اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) لان مابعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لايبدلها اولايقدر احد ان يبدلها (يسألك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزآء او تعنتا او امتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا (ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيئا قريبا اوتكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين واعدلهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها ابدا لايجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يسوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) فلن نبتلى بهذا العذاب (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فاضلونا السبيلا) بما زينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلى ما اوتينا منه لانهم ضلوا واضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه

رغبة فيما عند كم اليه ولا تجدوا في انفسكم حرجا مما قضى به عليكم وسلموا تسليما (قوله فاظهر براءته من مقولهم) يعنى ان بناء فعل للنسبة كما في قولك فسقه و بدعه لا للتعدية وما يقال من ان كلمة ما في قوله تعالى مما قالوا اما مصدرية او موصولة فعلى الاول يكون المعنى فاظهر براءته من تكلمهم وعلى الثاني من كلامهم ولا معنى للبراءة من تكلمهم لان البراءة انما تكون من نحو الدين والعيب لا من التكلم والكلام فالجواب ان الكلام وان كان مجردا منهما بحسب الظاهر الا انه ينبغي ان تجعل كلمة ما موصولة ويكون معنى البراءة من كلامهم البراءة من مؤداه ومضمونه (قوله فاطلعهم الله تعالى على انه بريء منه) روى ان موسى عليه الصلاة والسلام خلا يوما في موضع ليغتسل فيه فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها ففر الحجر بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن الرجال خلقا واظهر الله براءته مما كانوا يقولون فوقف الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بالعصا فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا والادرة نفخة تكون في الخصية (قوله تعالى عند الله وجيها) بيان لوجه تبرئة الله تعالى اياه كأنه قيل ولو لا وجاهته عنده اماط عنه ما نسب اليه من العيب والنقصان كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وقدر والوجيه فعيل من وجه الرجل بضم العين وجاهة وعطف قوله فبرأه الله مما قالوا بالفاء على قوله آذوا صريح في ان المشبه به من اتصف بامرين ترتب ثانيهما على الاول وهما ايذاء من له وجاهة عند الله وانتقام الله من المؤذى باظهار براءة الوجيه وتفضيح المؤذى وتخجيله فكان مداول الآية ايها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم فانكم ان اذيتموه تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا فافتضحون باظهار شرفه وتنكيس رؤسكم (قوله قاصدا الى الحق) اى عدلا مستويا في ادية الحق والوصول اليه من القصد بمعنى العدل يقال سد قوله يسد بالكسر اى صار سديدا اى ذا سداد وهي الاستقامة والصواب وسدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها واصاب والامر بالشيء نهى عن ضده (قوله باستقامتكم في القول والعمل) متعلق بمجموع قوله يصلح و يغفر واشارة الى ان كل واحد منهما مسبب عما سبق وهو استقامة القول المدلول عليه بقوله وقولوا قولا سديدا واستقامة العمل المدلول عليه بقوله اتقوا الله (قوله يعش في الدنيا حميدا) اى يعيش عيشا محمودا (قوله تقرير للوعد السابق) اى وعد الفوز العظيم لمن اطاع الله ورسوله بتعظيم الطاعة وهي الطاعة الاختيارية التي كلف الانسان بها وتعلق باداءها الثواب وبتضييعها العقاب عظمها الله تعالى وسماها امانة بيان انها في صعوبتها وعظم شأنها وثقل تحملها بحيث عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واشده واقواه ان يتحملها ويرعاها حق رعايتها فابى حملها واشفق منها اى خاف منها ان لا يؤديها او يراعى حقها فلما فخم الله تعالى شأنها وعظم امرها بقوله انا عرضنا الامانة الآية ظهر ان من تحملها وراعى حقها فقد استحق بفضل الله تعالى ورحمته لان يفوز فوزا عظيما فكان تعظيم شأنها تقريرا للوعد السابق (قوله والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت) يريد ان الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية شبهت الحالة المحققة في الطاعة التي عبر عنها بالامانة من عظم امرها وثقل رعاية حقها بالحالة المفروضة فيها وهي انها لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين ان يحملنها فكما يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المحققة كما في قولك لمن لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فانه شبهت حاله المحققة في تردده واضطرابه بين الرأيين وترك المضي على احدهما بحال اخرى محققة ايضا وهي حال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي على الذهاب فكذا يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المفروضة كما في الآية فان المفروضات تخيل في الذهن فيصح جعلها مشبها بها فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه وان كان امرا مستحيلا في نفسه الا انه يصح فرضه وجعله مشبها به والغرض من التشبيه تصوير عظم شان الامانة والعرض والاشفاق والاباء على حقائقها والحمل بمعنى الاحتمال والالزام لرعاية حقها (قوله وهذا وصف للجنس) يعنى ان التعريف في قوله تعالى وحملها الانسان تعريف الجنس وصح توصيف الجنس بما يتصف باعتبار وجوده في بعض افراده فكيف اذا وجد في اكثر افراده واحتيج الى هذا التوجيه لان الصديقين والابرار من بني آدم حاشاهم ان يكونوا ظلوما جهولا (قوله وقيل الخ) اى قيل المراد بالامانة الطاعة المجازية المتناولة لما يليق بالجمادات والمكلفين من الحيوانات فينبغى ان يحمل العرض على معنى مجازي يصح تعلقه بالفاعل المختار وغيره وهو مجرد الاستدعاء وارادة صدوره من غيره ومعنى قوله فأبين ان يحملنها وحملها الانسان فأبين الخيانة فيها بان لا يؤدينها اى ولم يؤدها الى صاحبها ولم يخلص

(يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فاظهر براءته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه (وكان عند الله وجيها) ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبد الله وجيها (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد (يصلح لكم اعمالكم) يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) في الاوامر والنواهي (فقد فاز فوزا عظيما) يعش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (انه كان ظلوما) حيث لم يف ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن اداءها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهل لها للخيانة والتقصير

وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها
فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة
لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن
مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى
ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك
فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها
جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل
والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وباباثهن الاباء الطبيعى الذى هو
عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته
واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من
القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون
علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون
مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد
ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما
(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات)
تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب
فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان
كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات
(وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب على فرطاتهم
واثاب بالفوز على طاعاتهم * قال عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما
ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الاية
وآيها خمس واربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا
ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته
(وله الحمد فى الاخرة) لان ما فى الاخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان
الوصف الذى يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد
الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم
الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها
ولا كذلك نعم الاخرة (وهو الحكيم) الذى احكم
امور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم ما يلج
فى الارض) كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر
وكالكنوز والدفائن والاموات (وما يخرج منها)
كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (وما ينزل
من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق
والانداء والصواعق (وما يعرج فيها) كالملائكة
واعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم
الغفور) للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الاخرة
مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر

ذمته من عهدتها روى عن الحسن انه قال الكافر والمنافق حملها اى الامانة اى خانا ولم يطيعا ومن اطاع من النبيين والصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه كان ظلوما جهولا وتصديق ذلك ما بعده من قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات الآية (**قوله** وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام الخ) فعلى هذا القول يكون العرض تخيير الا الزاما والاباء لاختيار احد الامرين مخافة وخشية لا مخالفة ومعصية قالوا ان كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب نطيعك ولا نعصيك طرفة عين طاعة طبيعية على حسب ما خلقتنا عليه ولا نلتزم ما يشق علينا رعاية حقه قال الحسن ومقاتل قال الله تعالى لآدم أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال آدم وما لى عندك ان حملتها قال ان احسنت واطعت ورعيت الامانة فلك الكرامة وحسن الثواب فى الجنة وان عصيت وأسأت فانى معذبك ومعاقبك قال قد رضيت وحملتها فقال الله تعالى قد حملتها فلذلك قوله تعالى وحملها الانسان وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر وكان ظلوما لنفسه حين خالف امر ربه جهولا لا يدرى ما العقاب عليه فيها (**قوله** وعلى هذا يحسن ان يكون) اى ان يكون ظلوما جهولا علة للحمل عليه فان الظاهر ان يكون قوله انه كان ظلوما جهولا استئنافا لتعليل حمل الامانة على الانسان لا لبيان ما يتفرع على حمله * تم ما يتعلق بسورة الاحزاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده والآن نشرع فيما يتعلق بسورة سبأ

(سورة سبأ)

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتى)

(**قوله** فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته) يعنى ان الحمد يقع بازاء الفضائل اللازمة لذات المحمود والفواضل المتعدية منه الى الحامد وان اختصاص ما فى السموات وما فى الارض به تعالى خلقا دليل على قدرته الباهرة وان اختصاص جميع ذلك به تعالى نعمة وصلة الينا دليل على كثرة موآئد افضاله وانعامه علينا فظهر به انه تعالى يستحق حمد جميع الحامدين استحقاقا ذاتيا ووصفيا من جهة فضله الذاتى وافضاله المتعدى وتعريف الحمد سواء جعل للحقيقة او للاستغراق ثم الحكم باختصاصه به تعالى يفيد اختصاص جميع افراد الحمد به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ثبوت جنس الحمد لذلك الغير فى ضمن ذلك الفرد وجميع افراد الحمد مختص به تعالى فى الحقيقة اذ ما من خير الا وهو تعالى موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وحاصل قوله وليس هذا من عطف المقيد على المطلق انه من عطف المقيد على المقيد وذلك لانه تعالى لما عقب الحمد بما يدل على كمال قدرته وافضاله علينا بالنعم الدنيوية عرف انه المحمود على نعم الدنيا ثم لما عطف عليه الحمد فى الاخرة علم انه ايضا على النعمة ليتلاءم الكلام ولما قيد الحمد هناك بان محله الاخرة علم ان الاول محله الدنيا كذلك ايضا فصار المعنى انه المحمود على نعم الدنيا فيها وانه المحمود على نعم الاخرة فيها وقدم الحمد اولا على الاصل فان حق المبتدأ التقديم واخره ثانيا ليفيد الحصر فان الحمد فى الاخرة ليس الا له واما فى الدنيا فقد يحمد غيره تعالى لوصول نعمة الله تعالى اليه من يد ذلك الغير بخلاف الاخرة فان الملك والنعمة فيها ليس الا له تعالى فدل على هذا المعنى تقديم الخبر والمعتزلة فرقوا بين الحمد الواقع فى الدنيا والواقع فى الآخرة بان الحمد فى الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها بخلاف الحمد فى الآخرة فانه ليس بواجب لكونه بمقابلة نعمة واجبة الايصال الى مستحقها بناء على ما زعموا من ان ثواب المطيع واجب عليه تعالى والجميل الذى يجب صدوره من الفاعل لا يجب الحمد عليه لان الحمد لا يكون الا على الجميل الاختيارى وعند اهل السنة لا يجب عليه تعالى شئ لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ويجب الحمد على المكلف فى الدنيا لكون دار الدنيا دار التكليف ولا يجب فى الاخرة لانقطاع التكليف فيها ومع ذلك فاهل الجنة يذكرون الله تعالى ويشكرونه ويعبدونه اكثر مما يعبدونه فى الدنيا تلذذا وابتهاجا بذكره وكيف لا وقد صار حالهم كحال الملائكة الذين قال تعالى فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى حال سجية بمقتضى الطبع (**قوله** والفلزات) الفلز اسم جامع لجميع جواهر الارض (**قوله** تعالى يعلم ما يلج) مستأنف لبيان كونه خبيرا فان الخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها والحكيم هو العالم الذى يفعل ما يناسب علمه ويكون فعله على وفق علمه وقدم ما يلج فى الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ولم يقل وما يعرج اليها بدل قوله وما يعرج فيها

لان كل واحد من الملائكة والاعمال ليس منتهى عروجه نفس السماء بل ينفذ فيها و يصعد الى ان يصل الى منتهى صعوده فالملك يصعد الى ان يصل الى مقامه المعلوم والعمل يصعد الى محل الاعمال المقبولة ولو قيل مايعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال ومايعرج فيها ليفهم نفوذه فيها وصعوده منها ولهذا قيل فى الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لانه تعالى هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال وهو الرحيم الغفور رحيم بعباده بانزال ماينزل من السماء من الملائكة والكتب والا رزاق وانواع الخيرات والبركات ممايلج فى الارض ومايخرج منها والغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها حيث لا يعاجلهم بالعذاب بل يغفر لمن تاب منهم واناب فهو المستحق للحمد بذلك ايضا فعلى هذا يكون المراد بالرحمة والمغفرة مايكون فى الدنيا منهما و يحتمل ان يكون المراد بالرحمة سوابق النعمة ايضا وبالمغفرة مايكون فى الآخرة ثم انه تعالى لما اثبت الدار الآخرة وحكم بان الحمد فيها مختص به لاختصاص مافيها من النعم به تعالى خلقا ونعمة حكى مقالة من ينكر البعث والقيامة وهى ماروى عن مقاتل انه قال قال ابو سفيان لكفار مكة واللات والعزى لاتأتينا الساعة ابدا فلما حلف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل بلى وربى لتأتينكم امره بان يقسم باغلظ الايمان وهو الحلف بالله (قوله تعالى بلى) جواب لقولهم لاتأتينا وما بعده قسم على ذلك الايجاب وقوله لتأتينكم تكرير لذلك الايجاب حال كون ذلك الايجاب مؤكدا بالقسم وهو ظاهر ومقررا باتباع المقسم به بذكر اوصافه الدالة على امكان مانفوه فان من كان عالما بجميع الاشياء يعلم اجزآء الاحياء ويقدر على جمعها فتلك الاوصاف تدل على كون الساعة ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق فتكون واقعة لامحالة فقوله تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فيه لطيفة وهو ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاؤها فى الارض والارواح فى السماء فقوله لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات اشارة الى احاطة علمه بالارواح وقوله ولا فى الارض اشارة الى احاطة علمه بالاجزآء الجسمية فاذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها انتفى استبعاد مانفوه من البعث واتيان الساعة ايضا من جملة الوجوه الداعية لهم الى استبعاد ذلك انهم زعموا ان احاطة العلم بتفاصيل اشخاص المكلفين عسير فكيف بتفاصيل اعمالهم من الخير والشر واذا كان العلم بتفاصيل الاعمال بعيدا يكون اتيان الساعة ايضا بعيدا لان اتيانها انما يكون للمجازاة على حسب الاعمال فازيل هذا الاستبعاد ايضا بوصف المقسم به بقوله تعالى عالم الغيب الى قوله ليجزى الذين الآية فان المقسم به انما يوصف بمايدل على حقيقة المقسم عليه ويزيل استبعاده فان قيل كيف يصح التأكيد بقوله وربى مع انهم ينكرون وجود الرب وان كانوا يقرون به فان المسئلة الاصولية لا تثبت باليمين اجيب بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزى الذين آمنوا الخ وبيان كونه دليلا هو ان المسيء قد يبقى فى الدنيا مدة مديدة فى سعة العيش وسرور الليالى ويموت عليها والمحسن قد يعيش فى الدنيا فى الآلام الشديدة وضيق الحال الى ان يموت فاقتضى ذلك ان تكون الدنيا دار التكليف وان يكون بعدها دار اخرى للجزآء والمجازاة ان يكون المسيء احسن حالا من المحسن والتسوية بينهما خلاف مقتضى الحكمة فضلا عن ان يكون العاصى احسن حالا (قوله جملة مؤكدة لنفى العزوب) فان ماهو اصغر من مثقال ذرة وماهو اكبر منه اذا كان معلوما ومكتوبا فى اللوح يعلم منه ان ماهو مثقال ذرة معلوم ايضا وجمهور القرآء على رفع اصغر واكبر على اصل الابتدآء فان اسم لا مبتدأ فى الاصل فيجوز ابقاؤه على اصل حاله بعد دخول لا عليه والخبر قوله الا فى كتاب وقرآءة الرفع وان جاز كونها مبنية على كونهما معطوفين على فاعل يعزب بحسب الظاهر الا ان قرآءة الفتح تؤيد كونهما مرفوعين على الابتدآء منقطعين عما قبلهما ليتحد مؤدى القرآءتين (قوله ولايجوز الخ) جواب عما يقال لا نسلم ان القرآءة بالفتح تؤيد ذلك لجواز كون المرفوع معطوفا على مثقال والمفتوح على ذرة فيتحد مؤدى القرآءتين ايضا (قوله لان الاستثناء يمنعه) وذلك لان المعنى يصير حينئذ عالم الغيب لايعزب عنه اى عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر او ولا مثقال اصغر من ذلك ولا مثقال اكبر منه على ان يعطف على ذرة الا فى كتاب مبين فانه يعزب عنه فيه وفساده ظاهر وهذا الفساد انما يلزم على تقدير ان يكون الضمير فى عنه لعالم الغيب كما هو الظاهر واما اذا جعل للغيب وجعل الغيب عبارة عما خفى على جميع الخلائق حتى على الملائكة وذلك انما يكون قبل ان يكتب الامر الخفى فى اللوح لانه اذا كتب فيه يكون له نوع بروز حيث يطلع عليه من ينظر من الملائكة فحينئذ لا يلزم الفساد المذكور لانه يصير المعنى لا يعزب عن الغيب اى لا ينفصل عنه شيء ولا يزول عنه

(وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) انكار لمجيئها او استبطاء استهزآء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه (وربى لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) وقرأ الكسائى لا يعزب بالكسر (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتدآء ويؤيده القرآءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها

الا مسطورا في اللوح ولا فساد فيه لان المثبت في اللوح عازب خارج عما خفي لان ما اثبت فيه يظهر لمن نظر فيه (قوله تعالى اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) استئناف لبيان الجزآء المدلول عليه بقوله ليجزى الذين الموصوف من يستحق الجزآء بالايمان والعمل الصالح بين ان جزآءهم امران المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزآء الايمان لانه كفارة لما قبله والرزق الكريم جزآء العمل الصالح فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل ينعم عليه السيد بمقتضى كرمه ووصف الرزق بكونه كريما لانه حسن خطير والكريم من كل شئ ما يكون جامعا المحاسن ذلك الشئ ولانه يأتي من غير طلب وتعب في حصوله بخلاف الدنيا (قوله بالابطال وتزهيد الناس فيها) المذكور مطلق السعي المتناول للسعي في اصلاح آيات الله تعالى وافسادها بان يقال في حقها انها سحر او شعر او اساطير وصرف الناس عن التفكر فيها وقبول احكامها الا ان حمله على السعي بالابطال والافساد لان سعيهم حال كونهم مسابقين معاجزين لا يكون الا بان يكون مقصودهم الابطال والتزهيد واطلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المسابقين في طلب اعجاز الآخر عن اللحوق به والمسابقة مع الله تعالى وان كانت مما لا يتصور الا ان المكذبين بآيات الله تعالى لما قدروا في انفسهم وطمعوا ان كيدهم في الاسلام يتم لهم وان معاندتهم للحق تنفعهم شبهوا بمن يسابق الله تعالى بحسب زعمهم والفرق بين قرآءة معاجزين ومعجزين ان المعاجزة والمسابقة متقدمة على التعجيز والسبق يقال عاجزه اي سابقه فاذا سبقه قيل عجزه (قوله من سيئ العذاب) على ان الرجز سوء العذاب فتكون كلمة من لبيان جنس العذاب المذكور سابقا كما في قولك خاتم من فضة واليم في قرآءة الجمهور مجرور على انه صفة رجزا كد به ما في الرجز من الشدة والفظاعة ومن رفعه جعله صفة لقوله عذاب بين الله تعالى اولا حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم تقوم الساعة ثم بين حال من كذب بآيات الله تعالى وسعى في ابطالها ثم بين جهالة المكذبين وفظاعتهم في الدنيا بقوله ويرى الذين اوتوا العلم الخ وقوله الذي انزل والحق هما مفعولان ليرى لانها من رؤية القلب وقوله هو فصل ويسميه الكوفيون عمادا ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبر والجملة في محل النصب على انها مفعول ثان ليرى ومن ربك حال على القرآءتين (قوله وهو مرفوع مستأنف) يعني ان قوله تعالى ويرى مرفوع لكونه مجردا من الناصب والجازم وهو كلام مستأنف غير معطوف على ما قبله اخبر بذلك عنهم انهم يعلمون ان القرآن حق وانه يهدي الى الصراط المستقيم فيقطعون بان الساعة آتية لا ريب فيها ثم عطف عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا الآية فمحصول الآية انه عليه الصلاة والسلام لما قال بلى وربي لتأتينكم اعتقد المؤمنون باتيانها وقالوا القرآن هو الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر لاتيانها متعجبا هل ندلكم على رجل يخبركم بحشر الاموات بعد ما تفرقت اجسادهم كل التفرق (قوله وعامله محذوف) يعني اذا منصوب بمقدر اي تبعثون وتحشرون وقت تمزقكم حذف لدلالة قوله انكم لفي خلق جديد عليه ولا يجوز ان يعمل فيه ينبئكم لانه عليه الصلاة والسلام لم يخبرهم في ذلك الوقت ولا مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والممزق كما يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى التخريق والتقطيع يحتمل ايضا ان يكون اسم مكان فان القياس فيما زاد على الثلاثي ان يجيء مصدره وزمانه ومكانه على وزن اسم المفعول (قوله وجديد بمعنى فاعل) وهو قول البصريين من جد الشئ يجد بالكسر جدة اي صار جديدا وهو ضد الخلق وقيل بمعنى مفعول من جد الشئ يجده جدا اي قطعه وثوب جديد اي مجدود قال الكوفيون اي قطعه الحائك او الخياط الساعة وهذا القائل يقول كان لفظ الجديد في الاصل لا يستعمل الا في الثوب المقطوع عن قريب ثم عم في كل شئ ظهر عن قريب وان لم يتأت فيه القطع كبناء جديد وفرس جديد واستدل على مذهبهم بقولهم ملحفة جديد بغير تاء التأنيث قالوا ولولا انه بمعنى مفعول لوجب ان يقال جديدة لان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بخلاف ما هو بمعنى المفعول واجابهم البصريون بان ما هو بمعنى الفاعل قد يستوي فيه المذكر والمؤنث حملا على ما هو بمعنى المفعول او بتقدير موصوف مذكر كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (قوله واستدل) يعني ان الجاحظ استدل على ان الخبر غير منحصر في الصادق والكاذب بل بينهما واسطة بان منكري البعث حصروا قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم اذا مزقتم تبعثون في الافترآء والاخبار حال الجنة على سبيل منع الخلو فظهر منه ان الاخبار حال الجنة ليس بكذب لانهم جعلوه قسيما للافترآء الذي هو الكذب وليس بصدق ايضا لانهم غير معتقدين صدقه عليه الصلاة والسلام

(اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سعوا في آياتنا) بالابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده (اولئك لهم عذاب من رجز) من سيئ العذاب (اليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين اوتوا العلم) ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب (الذي انزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدي الى صراط العزيز الحميد) الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم باعجب الاعاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه من وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (أفترى على الله كذبا ام به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافترآء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة

فى هذا الاخبار فيكون واسطة بينهما والمصنف اجاب عنه بان كون الاخبار حال الجنة قسيما للافتراء لا يستلزم كونه قسيما مباينا للكذب وانما يلزم ذلك ان لو كان الافتراء بمعنى الكذب مطلقا وليس كذلك بل الافتراء اخص من الكذب لان الافتراء هو الكذب عن عمد وقسيم الخاص لا يلزم ان يكون قسيما للعام فان الخبر الكاذب وهو الذى لا يطابق الواقع قد يكون عن عمد وهو الافتراء وقد يكون عن غير عمد وهو خبر المجنون فالذين انكروا البعث بعد ما قطعوا بكذب خبر البعث حصروه فى نوعى الخبر الكاذب وجعلوا احد نوعيه قسيما للآخر فدليل الجاحظ لا يثبت دعواه وفسر الجاحظ الخبر الصادق بما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد انه مطابق وفسر الكاذب بما لا يكون مطابقا مع اعتقاد انه غير مطابق وجعل الخبر المطابق مع اعتقاد عدم المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا والخبر الغير المطابق مع اعتقاد المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا واسطة بين الصادق والكاذب وقوله أفترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وهمزة أفترى مفتوحة لكونها همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل (قوله رد من الله تعالى عليهم ترديدهم) والمعنى ليس الامر على ما زعموا من ان يكون مفتريا او يكون به جنون بل الذين لا يؤمنون بالآخرة اى بالبعث والثواب والعقاب فى العذاب اى واقعون فى عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك غاية الجنون والحماقة (قوله وجعله رسيلا له) اى جعل العذاب تابعا مقارنا للضلال حيث عطف احدهما على الآخر بالواو المؤذنة بالاجتماع فى الوقوع مع ان ضلالهم كائن فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ومع ذلك قدمه على الضلال فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له ورسيل الرجل الذى يراسله مراسلة فى نضال او غيره والمراد هنا مطلق الاتصال والمقارنة والبعد عن الحق فى الاصل صفة الضال اسند الى ضلاله للملابسة بينهما ولما كان الضلال بعيدا عن الحق كان الضال ابعد ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على اثبات الساعة من كونه عالم الغيب ومن اقتضاء حكمته ان يجيء للمكلفين دار المجازاة ليجزى كل واحد من المحسن والمسيء على حسب عمله ذكر دليلا آخر يتضمن التهديد والتوحيد فقال أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم اى الى ما هو محيط بهم من جميع جوانبهم وهو السماء والارض فان الانسان اينما توجه وحيث ما نظر راى السماء والارض قدامه وخلفه وعن يمينه وشماله وهما يدلان على وحدانية الصانع وعلى كمال قدرته ومن قدر على خلقهما قدر على الحشر والاعادة لا محالة قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم هددهم بقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كانه قيل انهم حيث كانوا فان ارضى وسمائى محيطة بهم وانى قادر عليهم ان شئت خسفت بهم ارضى وان شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائى ثم قال ان فى ذلك اى فيما ترون من السماء والارض لآية تدل على قدرة الله تعالى على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم ونحوه من وجوه القهر والاهلاك (قوله والمعنى أعموا فلم ينظروا) يريد ان الفاء فى أفلم يروا للعطف على مقدر بعد الهمزة وان قوله فلم يروا معطوف على ذلك المقدر والتقدير كما ذكره فصح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام والفاء المقتضية لتقدم المعطوف عليه ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود عليه الصلاة والسلام قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فبين ما آتاه على الانابة فقال ولقد آتينا داود منا فضلا وتنكير فضلا للتعظيم كما فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما واكد تعظيم الفضل بقوله منا فانه حال من قوله فضلا قدم عليه لكونه نكرة والفضل الذى آتاه الله اذا كان مما يختص به تعالى ويكون من عنده خاصة يكون فضلا عظيما وهو ما ذكر بعده من تسخير الجبال والطير والانة الحديد او ما يعم النبوة والكتاب والملك وحسن الصوت ونحوه وقوله يا جبال محكى بقول مضمر ثم ان شئت قدرت ذلك القول مصدرا ويكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كانه قيل آتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شئت قدرته فعلا وحينئذ جاز لك ان تجعله بدلا من آتينا اى آتينا قلنا يا جبال وان تجعله مستأنفا وقوله تعالى أوبى معه قرأه العامة بفتح الهمزة وتشديد الواو على انه امر من التأويب وهو الترجيع والترجيع ترديد الصوت والرجوع الى الصوت الاول ومنه الترجيع فى الاذان والتضعيف فى اوبى ورجعى يحتمل ان يكون للتعدية وان يكون للتكثير والمعنى رجعى معه ما ياتى به من ذكر الله وتسبيحه وكان داود عليه السلام اذا سبح سمع تسبيح الجبال وكان يعقل معناه معجزة له كما سمع الخطاب من الشجرة وعقل معناه او كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وتسعده الجبال باصدائها وقرئ اوبى بضم الهمزة على انه امر من آب يؤوب اذا رجع اى ارجعى معه بالتسبيح كما رجع فيه وما ل

وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) رد من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو فظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعيد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى (أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء) تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم اشد خلقا ام هى وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله وحفص كسفا بالتحريك (ان فى ذلك) النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى امره (ولقد آتينا داود منا فضلا) اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن (يا جبال اوبى معه) رجعى معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها

القرآءتين واحد لان الجبال اذا رجعت معه ما يأتي به من التسبيح فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال اما ان يخلق فيها صوت مثل صوته عليه الصلاة والسلام او يكون اسناد التسبيح اليها من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل (قوله اوسيري معه) عطف على قوله رجعي قيل قوله اوبي من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا فالمعنى سيري معه حيث شاء وفي التيسير كانت الجبال تسير مع داود عليه الصلاة والسلام حيث شاء (قوله والطير عطف على محل الجبال) فان عامة القرآء نصبوا والطير عطفا على محل ياجبال لان كل منادى في موضع النصب اوعلى فضلا بمعنى وسخرنا له الطير حكاه ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء وهو كقوله علفتها تبنا وماء باردا بتقدير وسقيتها ماء باردا ورد على حعله منصوبا على انه مفعول معه انه كيف يجوز ذلك وقد ذكر قبله لفظة معه والعامل الواحد لا يقتضي اكثر من مفعول معه واحد الا بالبدل او بالعطف فلا يقال جاء زيد مع بكر مع عمرو (قوله وعلى هذا) اي على جواز كونه مفعولا معه يجوز ان يكون ارتفاع والطير بناء على عطفه على ضمير اوبي والتقدير اوبي معه انت والطير كقوله تعالى اذهب انت وربك الا ان المرفوع المتصل في اوبي لم يؤكد بمنفصل استغناء عنه بالفصل بينه وبين المعطوف بالظرف (قوله وكان الاصل) يعني لما كان قوله تعالى ياجبال اوبي معه بدلا من فضلا اومن آتينا باضمار القول كان ظاهر ان يقال لا يؤتى بصورة الندآء اولا يحتاج الى الاضمار الا انه اوثر هذا النظم لما فيه من فخامة امر التأويب فان التصدير بالندآء يدل على ان ما يذكر بعده امر مهم يعتنى بشأنه ومن الدلالة على عظمة شأنه تعالى قوله تعالى وألنا عطف على آتينا وجوز ان يكون كلمة ان في قوله تعالى ان اعمل مفسرة ومصدرية ولما كان من شرط المفسرة ان يتقدمها ما هو بمعنى القول ولم يتقدم هنا الا قوله ألنا قدر ما هو بمعنى القول اي وامرناه ان اعمل وان كانت مصدرية كان الكلام مبنيا على حذف حرف الجر المتعلق بألنا وكان المعنى ألناه ذلك لا يعمل دروعا سابغات وأسند الفعل الى المخاطب نظرا الى جانب المعنى (قوله وهو اول من اتخذها) وكانت قبله الصفائح فحصل بصنعتها شيئان لين الكسر وخفة الحمل قيل كان داود عليه الصلاة والسلام يفرغ من صنعة درع في نصف يوم اونصف ليلة و يبيعها بالف درهم وقيل باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله قدر ما يكفيهم و يتصدق بالفضل (قوله وقدر في نسجها) يعني ان السرد نسج الدرع وهو في الاصل متابعة الشئ الشئ ومنه سرد الحديث اذا تابعه ولما بين تعالى ما آتاه داود على انابته بين ما آتاه سليمان عليه الصلاة والسلام على انابته فانه ايضا من جملة من اناب لقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب (قوله اي ولسليمان الريح مسخرة) فان قيل فعلى هذا يلزم عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو لا يجوز اولا يحسن ولسليمان الريح عطف على قوله والناله الحديد والانه الريح عبارة عن تسخيرها قلنا لا يلزم كونها معطوفة على الفعلية المذكورة قبلها لجواز كونها معطوفة على اسمية مقدرة دلت عليها تلك الفعلية فانه لما بين حال داود فكأنه قيل ماذكرنا لداود ولسليمان الريح فانها كانت له كالمملوك المختص بالمالك يأمرها بما يريد و يسير عليها الى حيث يريد ولما سبحت الجبال وشرفت بذكر الله تعالى لم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالصاحب فقال ياجبال اوبي معه والريح لما لم يذكر فيها انها سبحت جعلها كالمملوك له فقال ولسليمان الريح وايضا كان داود عليه السلام اصلا في التأويب وكانت الجبال تابعة له في التأويب فقيل اوبي معه والريح لما لم تكن حركتها تابعة لحركة سليمان بل كانت تتحرك بنفسها بل تحمل سليمان وجنوده على تحريكهم بحركة نفسها لم يكن وجه لان يقال والريح مع سليمان لانه عليه الصلاة والسلام كان مع الريح (قوله جريها بالغداة مسيرة شهر) يعني ان الغدو مصدر قولك غدا زيد يفعل كذا يغدو غدوا اذا فعله وقت الغداة وهي اسم الوقت من طلوع الصبح الى زوال الشمس وفعل الريح في هذا الوقت جريها بسليمان وجنوده على البساط فصار قوله تعالى غدوها بمعنى جريها بالغداة وهو مبتدأ وشهر خبره ولما لم يصح حمل الوقت على الجري احتيج الى تقدير المضاف في جانب الخبر فقيل مسيرة شهر وهي مصدر ميمي بمعنى السير ليصح حملها على الجري لانها لو جعلت مكانا اوزمانا لما صح الحمل وكذا الرواح مصدر قولك راح يروح رواحا اي فعل وقت العشي وهو من زوال الشمس الى الليل والمعنى وجريها بسليمان وجنوده مسيرة شهر والجملة الاسمية اما مستأنفة لبيان وجه التسخير او حال من الريح كانت الريح تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين عن الحسن انه قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يغدو من دمشق فيقيل باصطخر و بينهما مسيرة شهر للراكب المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل الهند و بينهما

اوسيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا اومن آتينا باضمار قولنا وقلنا (والطير) عطف على محل الجبال و يؤيده القرآءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب اوعلى فضلا اومفعول معه لأوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها (وألنا له الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته (ان اعمل) امرناه ان اعمل وان مفسرة اومصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها (وقدر في السرد) وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها اوقدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق وردبان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود عليه السلام واهله (اني بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) اي وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها

ايضا مسيرة شهر وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى انه وجد مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه الصلاة والصلام نحن نزلناه ومابنينا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله (قوله النحاس المذاب) يعنى ان القطر النحاس المذاب من القطران واراد بعين القطر معدن النحاس ولوارايد به العين السائلة لماصح ان يتعلق به الاسالة لانها لاتتعلق بالسائل فوجب ان يراد بعين القطر معدن النحاس ولما كان مآل المعدن الى السيلان وان كان فى نفسه جامدا قبل الاسالة سماه عينا باعتبار مآل اليه امره وهذا معنى قوله ولذلك سماه اى سمى المعدن عينا وهو جامد لكون ينبوعه كينبوع الماء متفرعا على اسالة الله تعالى اياه واسال الله تعالى له معدن النحاس من غير معالجة بالنار كما الان الحديد لداود معجزة لهما قيل اجريت له ثلاثة ايام ولياليهن كجرى الماء ولذا لم يعمل الناس اليوم بما اعطى سليمان وقيل كانت تسيل من كل شهر ثلاثة ايام (قوله بامره) اى بان سخرها له وامرها بطاعته فهذا الامر مصدر مضاف الى فاعله وفى قوله عن امرنا بمعنى المأمور به وهو طاعة سليمان (قوله وقرئ يزغ) اى بضم الياء وكسر الزاى على بناء الفاعل من ازاغه بمعنى اماله فيكون مفعوله محذوفا اى ومن يزغ نفسه هذا هو المفهوم من تعبير المصنف ووجدت فى بعض التفاسير وقرئ يزغ على بناء المفعول من ازاغه والله اعلم ومن فى قوله تعالى من عذاب السعير لابتداء الغاية اوللتبعيض وفسر عذاب السعير بعذاب الآخرة لانه هو المتبادر من العبارة وانهم مكلفون كبنى آدم وقيل هو عذاب الدنيا وروى عن السدى انه قال ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته (قوله قصور حصينة) وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه انى لم اقض اتمام ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضى اتمامه على يده فلما توفاه الله تعالى واستخلف سليمان اتمه بايدى الجن والشياطين (قوله على مااعتادوا) متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من الملائكة والانبياء (قوله وصحاف) جمع صحفة وهى الاناء من جنس القصعة قال الكسائى اعظم القصاع الجفنة تليها تشبع العشرة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم الميكلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والجوابى جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم من جبى الماء اذا جمعه سميت بذلك لانها يجبى اليها الماء اى يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيها فقوله وجفان اى وقصاع فى العظم كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة الف رجل يأكلون منها (قوله لاتنزل عنها لعظمها) قيل كان يضع فى كل قدر الف شاة وكان يصعد اليها بنصب السلالم وكان ذلك باليمن (قوله حكاية لما قيل لهم) اى محمول على اضمار القول اى قلنا لهم اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه وذلك لان امرهم به ليس فى زمان نزول الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام وذكر لانتصاب شكرا خمسة اوجه الاول انه مفعول له لاعملوا والثانى انه مصدر على غير لفظ الفعل من حيث ان العمل هو الشكر له والثالث انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر والرابع انه مصدر واقع موقع الحال اى اعملوا شاكرين والخامس انه مفعول به لقوله اعملوا اى اعملوا الشكر الذى هو الطاعة لله تعالى فيما امر به ونهى عنه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر من لفظه اى واشكروا شكرا (قوله تعالى وقليل) خبر مقدم ومن عبادى صفة له والشكر مبتدأ والمعنى ان العامل بطاعتى شكرا لنعمتى قليل من عبادى والشكور صيغة مبالغة وقوله المتوفر الى قوله اكثر اوقاته صفة كاشفة له واكثر اوقاته ظرف المتوفر وبعد ما كشف مفهومه وفضله قال ومع ذلك لا يوفى حقه (قوله وقيل آله) يعنى ضمير دلهم قيل انه لآل سليمان روى ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل ان يتمه فامر سليمان باتمامه فشرع فيه بعدما مضى من ملكه اربع سنين وامر الشياطين بذلك فلما بقى عمارة سنة دنا اجله فدعا الله تعالى ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا من بنائه وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعاش فى ملكه اربعين سنة وقيل كانت الشياطين تدعى انهم يعلمون الغيب وكانوا يسترقون السمع وزعم بعض الناس من الجهلة انهم يعلمون الغيب كما يدعون فاخفى الله تعالى بدعاء سليمان موته على الشياطين ليعلموا انهم ليسوا فى شئ من علم الغيب فجاء ملك الموت وكان قائما فى محرابه متكئا على عصى فقال امهلنى حتى اوصى الى اهلى فقال لازمان فقال اتركنى حتى اجلس قال وكذلك امرت فقبض روحه على حاله فلما مات مكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل

(واسلناله عين القطر) النحاس المذاب اساله من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة اوجملة من مبتدأ وخبر (باذن ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن امرنا) عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له مايشاء من محاريب) قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها (وتماثيل) وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على مااعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روى انهم عملوا اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافى لاتنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا اوالمصدر لان العمل له شكر اوالوصف له اوالحال اوالمفعول به (وقليل من عبادى الشكور) المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى اكثر اوقاته ومع ذلك لايوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لاالى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما قضينا عليه الموت) اى على سليمان (مادلهم على موته) مادل الجن وقيل آله (الادابة الارض) اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها

يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين وقرئ نافع وابو عمرو منساته على مفعالة كيضاءة فى ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة (فلما خر تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما فى خبره بدل منه اى ظهر ان الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات مندسنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لاولاد سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب (فى مساكنهم) فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسئ معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان (جنتان) بدل من آية اوخبر محذوف وتقديره الآية جنتان

تلك الاعمال الشاقة التى كانوا يعملونها فى حياته لا يشعرون بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته فارادوا ان يشعروا وقت موته فوضعوا ارضة على عصا فاكلت منها مقدارا فى يوم وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا بموته مندسنة فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض وهى السرفة التى تأكل الخشب والارض فعلها اعنى اكلها الخشبة فاضيفت الى فعلها يقال ارضت الارضة اى السرفة الخشب ارضا فهو مأروض اى مأكول وقرئ الارض بفتح الراء من ارضت الخشبة بالكسر ارضا فهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا (قوله وقرئ بفتح الميم) قرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدل من الهمزة والجمهور بهمزة مفتوحة كالمكبحة والمكنسة وقرئ منساته بفتح الميم مع تخفيف الهمزة وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساءته على وزن مفعالته كما يقال فى ميضأة ميضاءة وهى المطهرة التى يتوضأ بها وكلها لغات وانشد على الابدال والحذف

اذا دببت على المنساة من كبر * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

(قوله ومن سأته) بفصل كلمة من على انها حرف جر وان سأته مجرورة بها والسأة والسئة هنا العصا وهما فى الاصل ما عطف من طرفى القوس سميت العصا سأة على وجه الاستعارة ووجه ذلك كما جاء فى التفسير انه عليه الصلاة والسلام اتكأ على عصا خضراء من خروب والعصا الخضراء متى اتكئ عليها تصير كالقوس فى الاعوجاج غالبا وفى سئة القوس لغتان كسر الفاء وفتحها نحو قحة وقحة يقال وقح الرجل بضم القاف اذا صار قليل الحياء قحة بفتح القاف وكسرها والهاء عوض عن الواو المحذوفة من سئة القوس وزنها فعة والهاء عوض عن اللام واختلف فيها أهى واو ام ياء وقيل كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا تهمز (قوله او ظهرت الجن) عطف على قوله علمت الجن يعنى ان تبين يحتمل ان يكون متعديا من تبينت الشئ اذا عرفته معرفة جلية بعد التباس الامر وان يكون لازما من تبين الشئ اذا ظهر والمعنى ظهرت حال الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموته عليه الصلاة والسلام حين وقع وما تكلفوا تلك المشاق وان هذه مع صلتها بدل اشتمال من الجن كقولك تبين زيد جهله والظهور للجهل فى المعنى ثم انه تعالى لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بين حال الكافرين لها لحكاية قصة اهل سبا فقال لقد كان لسبأ صرفه الجمهور اى قرأوه بالجر والتنوين على انه اسم حى اورجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرأ البزى وابو عمرو لسبأ بفتح الهمزة من غير تنوين على انه اسم القبيلة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أكان رجلا ام امرأة ام ارضا قال بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج على وزن مسجد والاشعرون وحمير وانمار ومنهم خثعم و بجيله واما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام ولما اهلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا فى غور البلاد ونجدها ايدى سبأ شذر مذر ولذلك قيل لكل متفرقين بعد الاجتماع تفرقوا ايدى سبأ فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع و بنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيها بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ يجمع هذه القبائل كلها (قوله ولعله اخرجه بين بين) فانه هو الاصل فى تليين الهمزة التى تحرك ما قبلها (قوله وقرأ حمزة وحفص) فى مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائى كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم على لفظ الجمع اما الافراد فلعدم اللبس فى ان المراد الجمع كقوله كلوا من بعض بطنكمو تعفوا * والقياس فتح الكاف لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت يجيئ الزمان والمكان والمصدر منه على مفعل بفتح العين والكسر مسموع على غير القياس والمسكن ههنا موضع السكون واما الجمع فهو الظاهر لان كل واحد منهم له مسكن على حدة ورسم مسكنهم فى المصاحف بدون الف بعد الكاف فلذلك احتمل القراآت المذكورة (قوله بدل من آية) وهى اسم كان قدم عليه خبره ابدل المثنى من المفرد بيانا له وتفسيرا بناء على ان البدل على تقدير المضاف اى لقد كان لهم آية قصة جنتين والا لكان الظاهر ان يقال آيتان جنتان ونظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان الظاهر ان يقال آيتين الا انه افراد آية لكون المعنى وجعلنا امرهما وحالهما آية وهى ولادتها اياه من غير ان يمسها بشر على ان الجنتين

المحيطتين بمسكنهم آية واحدة فى نفسها دالة على وجود الصانع وعلى كونه قادرا على ما يشاء من الامور العجيبة الخارجة عن وسع البشر فلما كان المفرد المذكور صادقا على هذا المثنى صح ابدالهما منه على سبيل البيان والتفسير وقوله معاضدة صفة ثانية لقوله علامة اشار به الى وجه مناسبة قصة سبأ لقصتى داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وهو ان فى قصتهما دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته وانه مجاز للمحسن والمسئ حيث جازى كل واحد منهما بما يخصه من الفضل العظيم وقال فيمن يزيغ منهم عما امر الله تعالى من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير وكذا فى قصة سبأ دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته لان ما اعطاهم من انواع الشجر والوان الثمر خارج عن وسع البشر وفيها ايضا دلالة على انه تعالى مجاز للمحسن والمسئ حيث كلفهم شكر ما انعم عليهم من جلائل النعم ليزيد عليهم من فضله ثم قال فاعرضوا عما كلفوا به من الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم فالعلامة التى اشتملت عليها هذه القصة معاضدة للبرهان السابق المدلول عليه بقصتهما ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركى العرب تحذيرا لهم من ان ينزل بهم بشؤم شركهم وسوء افعالهم ما نزل باولئك على كثرتهم وقوتهم (قوله والمراد جماعتان) جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتى اهل سبأ وجعلهما آية دالة على ما ذكر مع ان المسكن المتوسط بين جنتين كثير فى الدنيا وتقرير الجواب ان ما ذكرت انما يرد ان لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شماله سميت كل جماعة منها جنة لكونها فى تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة (قوله او بستانا كل رجل) عطف على قوله جماعتان ويجوز ان يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمهما من حيث ان مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة (قوله او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك) عطف على قوله حكاية لما لم يكن الامر المذكور واقعا فى زمان نزول الوحى على نبينا عليه الصلاة والسلام وجب جعله محكيا بقول مضمر ومقولا بلسان من بعث اليهم من الانبياء او بلسان الحال او جعله منزلا منزلة الوحى المحكى المقول لهم من حيث كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك فكانه قيل لهم ذلك لمجئ بالجملة كما يجاء بها بعد القول (قوله استئناف) فكانه قيل واشكروا له فان بلدتكم بلدة طيبة وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور فارتفاع كل واحد من بلدة ورب على انه خبر محذوف كانت بلدتهم اخصب البلاد واطيبها حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر بين تلك الاشجار فيمتلئ مكتلها من الوان الفاكهة من غير ان تمس شيأ بيدها وطيبها انه لم يكن فيها عاهة كالوباء والحمى وغيرهما من الامراض المتفرعة على وخامة الهوآء ولا هامة وهى واحدة الهوام المؤذية قيل لم ير ببلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهوآء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة اى طيبة الهوآء (قوله تعالى فاعرضوا) اى عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم قال وهب ارسل الله تعالى الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فانتقم الله تعالى منهم بان ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب ديارهم (قوله سيل الامر العرم) على ان يكون العرم صفة مشبهة من العرام وهى الشدة والصعوبة يقال عرم فلان فهو عارم وعرم اذا ساء خلقه وصعب ولما كان اضافة السيل الى العرم من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اذ الاصل السيل العرم احتيج الى التأويل المعتبر فى هذا الباب وهو ان يحمل الكلام على حذف الموصوف واقامة صفته مقامه فقولهم مسجد الجامع مثلا تقديره مسجد الوقت الجامع فكذا سيل العرم اصله سيل المطر العرم او الامر العرم وجعل قوله او المطر الشديد وجها آخر بناء على انه لم يعتبر فيه كون السيل موصوفا بكونه عرما وان اضافته اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ليحتاج الى التأويل بل جعلها مثلا مبتدأ من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه (قوله او الجرذ) اى قيل العرم اسم للجرذ وهو بضم الجيم وفتح الرآء والذال ضرب من الفأر اعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد ايضا واقامته عند جحره لعماه واضافة السيل اليه من قبيل اضافة المسبب الى سببه فانه كان سببا لخراب السكر وانقلاب الماء المحتبس ورآء السكر عليهم وذلك ان اهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم الى سقى بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخور والقير فحبست بذلك السد ماء العيون والامطار وجعلت لهم ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثنى عشر

وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما فى تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة (فاعرضوا) عن الشكر (فارسلنا عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا

مخرجا على عدد انهارهم الى اراضيهم و بساتينهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر
احتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من ورآء السد فاجتمع فيه الى انصار كالبحر فامرت بالباب الاعلى
ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى الى ان ينسفل الماء عنه ثم من الباب الثانى ثم من الثالث
الاسفل فلا ينفد الماء الى ان ينقطع احتياجهم الى سقى الاراضى ثم يجتمع فيه الماء اوان الشتاء فيصير كالبحر ايضا
فيسقون منه فى السنة المقبلة كما سقوا فى السنة الماضية فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه فى كل سنة
فبقوا على ذلك بعد عامدة فلما طغوا انقب الجرذ السكر بسببه وانقلب البحر عليهم فغرق بلادهم ودفن الرمل بيوتهم
ومنازلهم وتفرقوا فى البلد ان ايدى سبأ (قوله خفنت به) اى منعت من ان يسيل ماء الشجر وهو ساحل
البحر بين عمان وعدن (قوله اوالمسناة) اى ويحتمل ان يكون المراد بالعرم نفس البناء الذى يجعل سدا قال
البغوى العرم جمع عرمة وهى السكر الذى يحبس الماء اضيف السيل الى العرم للملابسة بينهما من حيث ان السيل
انما انبسط وغلب على اراضيهم وخرب ديارهم بخراب العرم وفسر الجوهرى كل واحد من المسناة والعرم بالآخر
ثم انه تعالى بين دوام خراب بلادهم بعطف قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين على قوله فارسلنا عليهم سيل العرم فان
الرمل اذا دفن بيوت الناس و بساتينهم وآيس اصحابها من عمارتها وتركوها على حالها نبتت فيها الاشجار الخبيثة
بدل ما كان فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة وقد تقرر ان المجرور بالباء الواقعة بعد فعل التبديل
هو الخارج من اليد والمنصوب هو الداخل وسمى ما كان بدلا من الخارج جنة على طريق المشاكلة تهكما بهم
(قوله مر بشع) اى كريه الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن اكله فسر الخمط بثلاثة اوجه الاول ما ذكره الزجاج وهو
انه كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والثانى انه شجر الاراك والاكل ثمره ويقال له البرير والثالث
كل شجر له شوك وما وجد فى نسخ القاضى كل شجر لا شوك له مخالف لرواية سائر الكتب قال الامام فى الكبير
الخمط كل شجرة لها شوك اوكل شجرة ثمرتها مرة لا تؤكل والاثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة الا فى بعض
الاوقات يكون عليه شئ كالعفص امر منه فى طعمه وطبعه الى هنا كلامه قرأ ابو عمرو ذواتى اكل خمط بضم
الكاف مضافا الى خمط من غير تنوين وقرأ نافع وابن كثير اكل خمط بسكون كاف اكل وتنوينه والباقون بضم
كافه وتنوينه وفى الصحاح الاكلة بالضم اللقمة يقال هذا الشئ اكلة لك اى طعمة لك والاكل ايضا ما اكل ويقال
ايضا فلان ذو اكل اذا كان ذا حظ فى الدنيا ورزق واسع ثم قال وكل ما يؤكل فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها
دآئم فظهر منه ان المراد بالاكل فى الآية هو الثمر والجنى وهو ما يجتنى من الشجر والجناة واحدته وان وجد
اضافته الى الخمط ظاهر فان قولك اكل خمط حينئذ مثل قولك اعناب كرم وثوب خز واما وجد التنوين فهو
ان يجعل تقدير الكلام ذواتى اكل اكل خمط على ان المضاف المقدر بدل اوعطف بيان للمذكور ولبيان
ان الاكل من اى شجرة هو (قوله النبق مما يطيب اكله) يعنى ان السدر شجر النبق وجناه ينتفع به
اكلا وكذا ينتفع بورقه لغسل اليد ولما كان التبديل مجازاة لهم على كفران النعمة ناسب ان يقال من البدل
ما هو اكرم ما بدلوا ومنه السدر فلذلك قلله الله تعالى وقيل السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل ولا ينتفع
بورقه فى الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمرة تؤكل وهو النبق ويغسل بورقه والمراد بما فى الآية الاول وحاصل
الآية انه كانت اشجارهم خير الاشجار فصيرها الله تعالى من شر الاشجار بسوء اعمالهم (قوله بكفرانهم) يعنى
ان ما فى قوله بما كفروا مصدرية ومحل ذلك النصب على انه مفعول ثان لجزيناهم اى جزيناهم ذلك التبديل بسبب
كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم بالرسل ولو كان تقديم المفعول للتخصيص للزم ان ينحصر عذابهم فى التبديل
المذكور وليس كذلك لان الكافر لا ينحصر عقابه فى نوع من العقاب العاجل فلذلك جعله للاهتمام به وتفخيم
شأنه لان الاصرار على ترك الوطن المألوف لا سيما اذا كان فى اخصب البلاد واطيبها فى نهاية الصعوبة (قوله تعالى
وهل يجازى) قرآءة الجمهور بضم الياء وفتح الزاى على بناء المفعول ورفع الا الكفور لقيامه مقام الفاعل ومن قرأه
بنون العظمة وكسر الزاى اعتبر موافقته لقوله جزيناهم فيكون قوله الا الكفور منصوبا على انه مفعول به
(قوله وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم) يعنى ان المراد بالجزآء وهو الجزآء المعهود فى قوله جزيناهم بما كفروا فان
المراد به العقاب العاجل فكذا فى قوله وهل يجازى فكانه قيل ذلك عاقبناهم بسبب كفرهم وهل يعاقب بمثله
الا البليغ فى الكفر اوالكفران وليس المراد به مطلق الجزآء والا لما صح قصره على الكافر فان مطلق الجزآء يعم المؤمن

ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه
ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه اوالمسناة التى عقدت
سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل
اسم وادجاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام (و بدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتى اكل خمط) مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ
طعما من مرارة وقيل الاراك اوكل شجر لا شوك له
والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فى كونه بدلا اوعطف بيان وقرأ ابو عمرو
اكل خمط بالاضافة (واثل وشئ من سدر قليل)
معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء
ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله
ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين
للمشاكلة والتهكم (ذلك جزيناهم بما كفروا)
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انه بعث
اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول
للتعظيم لا للتخصيص (وهل يجازى الا الكفور) وهل
يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر
وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص ونجازى
بالنون والكفور بالنصب

والكافر (قوله بالتوسعة على اهلها) اى بالمياه والاشجار والثمار والخصب لكونهما جار الانبياء ومقرهم والمعنى جعلنا بين اهل سبأ وهم باليمن و بين الشام قرى ظاهرة اى متواصلة يظهر بعضها لبعضها و يرى سواد القرية من القرية الاخرى لقربها منها كانوا يسافرون من اليمن الى الشام فيبيتون بقرية و يقيلون باخرى حتى يرجعوا ولا يحتاجون الى حمل زاد ولا ماء من وادى سبأ الى الشام اوظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل يرونها من متن الطريق وهذا بيان لما انعم الله تعالى به على سبأ بعدما ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم فانه لما هلك مالهم قالوا نحن نتوب و يرد علينا اخيرنا فتابوا فرد الله عليهم خيرا اكثر مما هم عليه قبل ان يرسل عليهم سيل العرم روى الامام ابو الليث عن الكلبى انهم قالوا للرسل انا عرفنا نعمة الله تعالى فوالله لئن ردفتنا وجماعتنا والذى كنا عليه لنعبدنه عبادة لم يعبدها اياه قوم قط فدعت لهم الرسل ربهم فرد الله تعالى اليهم ما كانوا عليه فآتاهم نعمة وجعل لهم من ارضهم الى ارض الشام قرى متصلة بعضها الى بعض فذلك قوله تعالى وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ثم انهم عادوا الى كفرهم فآتاهم الرسل وذكروهم فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق وقال غيره قوله تعالى وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها حكاية ما كانوا عليه قبل ان يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم بين الله تعالى حال بلدهم انها بلدة طيبة وان لهم فيها جنات غزيرة البركات مكنهم منها وامرهم ان يأكلوا من رزقه وان يشكروا الله ثم انهم كفروا النعمة واعرضوا عما اوجب عليهم من الشكر فبدل ما بهم من النعمة نقمة ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى من اليمن الى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما ملت بنو اسرائيل المن والسلوى وسألوا الثوم والبصل فتمنوا ان يجعل الله بينهم و بين الشام مفاوز و بوادى ليحتاجوا الى ان يحملوا معهم ازوادهم وقالوا لو كان جنى الجنات ابعد مما هو عليه اليوم لكان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا واجعل بيننا و بين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فجعل الله تعالى لهم الاجابة ومعنى تقدير السير فيها جعل بعد ما بين كل واحدة منها فى نصف يوم بحيث يقيل الغادى فى قرية و يبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء خص الليالى والايام بالذكر مع ان السير لا يكون الا فيهما للاشعار بان الامن لا يتفاوت باختلاف الاوقات اوللاشعار بان الامن يستمر وان تطاولت مدة السفر على ان يراد بالايام والليالى الكثرة والمواظبة على السير وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الايام والليالى الاشعار باستمرار الامن وان استغرق السفر ليالى المخاطبين وايامهم مدة اعمارهم بان يكون معنى قوله ليالى واياما لياليكم وايامكم فتركت الاضافة اعتمادا على دلالة المقام على كون الجمع المضاف مستغرقا (قوله أشروا النعمة) الاشر البطر يقال أشر بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشران كما يقال بطر يبطر بطرا والاشر والبطر الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة ويحتمل ان يكون قولهم هذا التسفاد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربنى اشارة الى انه لا يقدر عليه و يحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد مقولا بلسان الحال فانهم لما كفروا صاروا كانهم طلبوا ان يبعد بين اسفارهم و يخرب المعمور من ديارهم قرأ العامة بنصب ربنا على النداء و باعد على لفظ الامر من باب المفاعلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد بتشديد العين على لفظ الامر من باب التفعيل وقرأ يعقوب ربنا باعد برفع ربنا على الابتدآء و باعد على لفظ الفعل الماضى وقرئ ربنا بالنصب على الندآء و بعد على لفظ الماضى المبنى للفاعل و بعد على لفظ الماضى المبنى للمفعول واسناد الفعل فيهما الى بين ورفعه كقرآءة تقطع بينكم برفع بين (قوله تعالى فجعلناهم احاديث) جمع حديث على غير القياس اى أهلكناهم كل اهلاك فصاروا عظة وعبرة لمن بعدهم فجعلناهم به مثلا للناس يتحدثون بما فعلوا وما فعل بهم و يتعجبون من احوالهم فى المجالس وقوله ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث فان الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا ذهبوا ايدى سبأ وايادى سبا اى تفرقوا فى طرق شتى واليد فى كلام العرب تطلق على الطريق يقال اخذ يد البحر اى طريقه وقيل ايادى سبأ اولاده لان الاولاد اعضاد الرجل لتقويه بهم والمعنى تفرقوا مثل تفرق اولاد سبأ وفى المفصل الايادى الانفس كناية اومجازا وهو احسن من تفسيره بالطرق و بالاولاد وسبأ مهموز فى الاصل غير انه التزم التخفيف فى هذا المثل ولا بد من اضمار لفظ المثل فى هذا المثل لان ايدى سبا وقع حالا من فاعل ذهبوا وهو معرفة لان اضافته حقيقية ومن حق الحال ان تكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرقين (قوله صبار عن المعاصى شكور على النعم) وهما من صفة المؤمن كانه قيل ان فى ذلك التمزيق اوفيما ذكر من حال

(وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض اوراكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى فى قرية و يبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام (سيروا فيها) على ارادة القول بلسان المقال اوالحال (ليالى واياما) متى شئتم من ليل ونهار (آمنين) لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات اوسيروا آمنين وان طالت مدة سيركم فيها اوسيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا) أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرآئيل فسألوا الله ان يجعل بينهم و بين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقرآء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قرآءة من قرأ ربنا بعد و بعد على الندآء واسناد الفعل الى بين (وظلموا انفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم احاديث) يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبأ (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان فى ذلك) فيما ذكر (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) على النعم

الشاكرين المثنين وو بال الكافرين المعاندين لعبرا ولايات لكل مؤمن (**قوله** اى صدق فى ظنه) يعنى ان ماعدا الكوفيين قرأوا بتخفيف دال صدق وظنه نصب امابنزع الخافض اى فى ظنه او بانه مفعول مطلق لفعل مقدر من لفظه اى صدق ابليس يظن ظنا والجملة حالية من فاعل صدق كقولك فعلته جهدك اى فعلته تجهد جهدك وتعب تعبك ويجوز ان ينصب على انه مفعول به فان الصدق يعدى الى ماهو فى معنى القول بنفسه فيقال صدق وعده اى جعل وعده صادقا والظن كالوعد فى انه نوع من القول ومن قرأ صدق بتشديد الدال ونصب ظنه جعله مفعولا به وقال معناه حقق عليهم ظنه اى صار فيما ظنه على يقين لانه ظن اولا ان يغويهم حيث قال فى حق بنى آدم لاغوينهم ولاضلنهم ولاحتنكن ذريته ولاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم الى غير ذلك الا انه لم يكن على ثقة و يقين فى انه يتأتى له ذلك لانه لم يخبر به ولا كان عالما بالغيب وانما قاله استدلالا بنفاذ حيلته فى ابيهم آدم و بعلمه بما ركب فيهم من الشهوة والغضب وظن ذلك ايضا فى اولاد سبأ بما رأى من انهماكهم فى الشهوات ثم انهم لما اتبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلوما له وحقق عليهم ظنه فيهم حقا (**قوله** بمعنى وجده ظنه صادقا) فكان ابليس قال لظنه انى اغويهم فيتبعون اغوائى ثم انه لما اغواهم فقبلوا منه وجده ظنه صادقا وان قرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغوآءهم اى حين خيل الظن لابليس اغوآءهم يقال صدق ظنك اذا ظهر المظنون كما خيل اليه وان قرئ بتخفيف الدال ورفع الاسمين يكون المعنى صدق عليهم ظن ابليس و يكون الثانى بدلا من الاول بدل الاشتمال (**قوله** وذلك اماظنه بسبأ او بنى آدم) الاول على ان يكون الضمير فى عليهم واتبعوه لاهل سبأ والثانى على ان يكون لبنى آدم جميعا الا المؤمنين منهم فانهم لم يتبعوه فى اصل الدين وان استزلهم الشيطان عن بعض الفروع (**قوله** الافريقا هم المؤمنون) اشارة الى ان كلمة من للبيان لا للتبعيض لانه يستلزم ان يكون بعض من آمن اتبع ابليس فى اصل الدين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى قوله تعالى الافريقا من المؤمنين يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه فى اصل الدين وقد قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يعنى المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ولا يعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى حكاية عنه لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين (**قوله تعالى** وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم) استثناء مفرغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلاء لشئ من الاشياء الا لهذا وهو ان تعلق علمنا بالذى يؤمن بالاخرة مميزا من الشاك فيها والمعنى الا لنعلم ايمان المؤمن بالاخرة ظاهرا موجودا ونعلم كفر الكافر الذى هو فى شك منها ايضا كذلك لان العلم بهما موجودين هو الذى يتعلق به الجزآء علق التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وهو الايمان والكفر فانه تعالى لايجازى بما لم يختره ولم يكتسبه فى دار التكليف وانما يثيب من اطاع الحق وخالف الهوى والشيطان باختياره وسعيه و يعاقب من اطاع نفسه واتبع هوآه وآثره على طاعة الرحمن بحمقه وغوايته فقوله الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزآء معناه ليتعلق العلم بكل واحد من ايمان المكلف و كفره حال كونه موجودا واقعا وقد كان معلوما له تعالى فى الازل بانه سيقع و يترتب عليه الجزآء قال الامام علم الله تعالى من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لايتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما فى نفس الامر فعلم الله تعالى فى الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما كذلك مثاله المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة لا تتغير فى ذاتها ولا تبدلت فى صفاتها وانما التغير فى الخارجات فكذلك ههنا فالمراد من العلم مايترتب عليه من التميز والانكشاف فى الوجود العينى فانه مرتب على الثبوت العينى الكائن قبل الوجود فقوله لنعلم اى لنعلمه موجودا حال وجوده كما علمناه قبل وجوده انه يوجد (**قوله** او ليتميز المؤمن من الشاك) اى ليتميز فى الخارج من هو مؤمن فى علمه تعالى ممن هو شاك فيه فان المكلف اذا كان له داعيان يدعوه احدهما الى الحق والاخر الى الباطل وتمكن من الانقياد والمتابعة لكل واحد منهما فان اتبع داعى الحق يكون مؤمنا مطيعا وان اتبع داعى الباطل يكون ضالا عاصيا فيكون ما فى علم الله تعالى من حاله ظاهرا متميزا بتحققه فى الخارج و يحتمل ان يكون المراد من التميز تميز ذلك بالنسبة الينا الا تميزه باعتبار خروجه من العلم الى العيان (**قوله** او ليؤمن من قدر ايمانه) فيكون العلم مجازا مرسلا من قبيل ذكر المتعلق وارادة المتعلق والنكتة فى ايثار طريق التجوز المبالغة فى تحقق المتعلق فان العلم به متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشئ بدليله

(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) اى صدق فى ظنه اوصدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك و يجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغوآءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اماظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات او بنى آدم حين رأى اباهم النبى صلى الله عليه وسلم ضعيف العزم اومارك فيهم من الشهوة والغضب اوسمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الافريقا من المؤمنين) الافريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار اوالافريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم) على المتبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بوسوسة واستغوآء (الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك) الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزآء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه و يشك من قدر ضلاله

(قوله وفى نظم الصلتين نكتة لاتخفى) فان كلمة من فى الموضعين موصولة جعلت صلة احداهما فعلية استقبالية وصلة الاخرى اسمية للدلالة على ان الايمان يحدث بالنظر فى الدليل والكفر حالة اصلية ثابتة (قوله والزنتان) اى زنتا فعيل ومفاعل كثيرا ما تجيئان بمعنى واحد كشريك ومشارك وعشير ومعاشر فسره بالمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الاحوال لان الحفظ لايتعدى بعلى فلا يقال حفظ عليه بل حفظه ولان معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة وفى الصحاح حفظت الشئ حفظا اى حرسته وحفظته ايضا استظهرته والمحافظة المراقبة والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ ثم انه تعالى لما ذكر لمشركى العرب قصة سبأ وحذرهم بذكرها من ان ينزل بهم بكفرهم ما نزل باولاد سبأ بين لهم ان ما اتخذوه آلهة من دون الله ليس له شئ من آثار القدرة فمن زعم الوهيته واستحقاقه العبادة فقد ضل ضلالا مبينا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين توبيخا لهم وتجهيلا ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله لجلب نفع او كشف ضر كما تدعون الله تعالى اوليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى المجاعة فانظروا هل يقدرون على قضاء شئ من حوائجكم ثم اخبر عن عجزهم فقال لايملكون حذف اول مفعولى زعم وهو عائد الموصول طلبا للتخفيف لطول الموصول بصلته ثم حذف ثانيهما وهو الآلهة اكتفاء عنه بالصفة وهى قوله من دون الله ولا يجوز ان يكون قوله من دون الله هو المفعول الثانى لانه لايلتئم مع الضمير كلاما فلا يقال هم من دون الله الا مع تقدير الموصوف ولا يجوز ايضا ان يكون لايملكون هو الثانى لان المعنى يكون حينئذ زعمتموهم لايملكونه ولا يزعمونه (قوله وذكرهما) مع ان المقصود بيان انهم لايملكون مثقال ذرة فى امر ما اما لتناولهما بحسب العرف لجميع الامور اولان الآلهة السماوية اذا لم تملك شيأ من ما فى السموات لزم ان لاتملك شيأ ما اصلا وكذا الآلهة الارضية اولان ما لايملك شيأ من الاسباب القريبة لزمه ان لايملك شيأ اصلا (قوله وماله منهم) اى ما لله تعالى من ظهير يعاونه على خلق شئ منهما او منهما حال كونه منهم اى مما زعموه آلهة ثم ان المشركين لما قالوا انا لانعبد الاصنام لاستقلالهم فى خلق الكائنات وتدبير امرها ولا لان لهم شركة فى الخلق والملك ولا لكونهم اعوانا لله تعالى فى الخلق والتدبير وانما نعبدهم ليشفعوا لنا فان الاصنام صور الملائكة المقربين فلا ترد شفاعتهم عند الله تعالى قال الله تعالى فى ابطال قولهم ولاتنفع الشفاعة عنده (قوله اذن له ان يشفع) على ان تكون اللام داخلة فى الشافع والمعنى لاتنفع شفاعة شافع فى حال من الاحوال الا فى حال كونها كائنة لمن اذن الله له ان يشفع فكلمة من عبارة عن الشافع ودخلت اللام عليه كما دخلت فى قولك الكرم لزيد (قوله او اذن ان يشفع له) على ان تكون كلمة من عبارة عن المشفوع لاجله وتكون اللام لام الاجل كما فى قولك جئتك لزيد اى لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للتشفيع لاجله (قوله ولم يثبت ذلك) فانه تعالى لاياذن للاصنام ان تشفع لعابديها وقدم الوجه الاول لان ابطال قول من قال هؤلاء شفعاؤنا عند الله انما يظهر على هذا الوجه (قوله غاية لمفهوم الكلام) يحتمل ان يكون المراد من الكلام مجموع قوله ولاتنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فانه يفهم منه ان ثمة انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم اولا يؤذن وانه لايطلق الاذن الا بعد بعد من الزمان وطول من التربص و يحتمل ان يكون المراد منه قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية على ان الكلام بمعنى التكلم لان التفزيع عن القلوب يدل على ان ثمة فزعا وانتظارا وكذا كلمة حتى لكونها للغاية تؤذن ان ثمة توقفا وانتظارا كانه قيل لاتنفع الشفاعة يوم القيامة الا لمن اذن له فيتربصون و يتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم اى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اى قالوا قال الله تعالى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى والتفزيع ازالة الفزع كالتمريض ازالة المرض والتقريد ازالة القراد يقال قرد بعيرك اى ازل عنه القردان روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال فاذا اذن لمن اذن له ان يشفع فزعته الشفاعة اى ازالت الشفاعة الفزع عنه فعلى هذا يكون الضمير فى قوله عن قلوبهم للشافعين والمشفوع لهم وقيل الضمير فيه للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا لان الآية نزلت رد القول من قال انا نعبد الاصنام لكونها صور الملائكة الذين هم شفعاؤنا عند الله فان الملائكة يفزعون حين يرد عليهم كلام الله بالاذن لهم بالشفاعة من هيبة ما يؤمرون به من الامر الهائل اولما يخافون من وقوع التقصير منهم فى شفاعة الذين يشفعون

والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لا تخفى (وربك على كل شئ حفيظ) محافظ والزنتان متآخيتان (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته وهى من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى لانه لايلتئم مع الضمير كلاما ولا لايملكون لانهم لايزعمونه (من دون الله) والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لاتقبل المكابرة فقال (لايملكون مثقال ذرة) من خير اوشر (فى السموات ولا فى الارض) فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى اولان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام اولان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم فيهما من شرك) من شركة لاخلقا ولا ملكا (وما له منهم من ظهير) يعينه على تدبير امرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لاتنفع الشفاعة عند الله (الا لمن اذن له) اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة وكسر الذال (حتى اذا فزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) فى الشفاعة (قالوا الحق) قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق (وهو العلى الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه

اهم حتى اذا كشف عنهم الفزع قالوا للملائكة الذين فوقهم وهم الذين بلغوا ذلك اليهم ماذا قال ربكم اى ماذا امر به
وهو كلام الخاضع المتذلل والمعنى انهم مع معزتهم هذه يفزعون ويشفعون فى شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر
الله يعلمون كيف يشفعون للكفار وقيل انما يفزعون من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى لما روى ابو هريرة
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله تعالى كانه
سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وقال عليه الصلاة والسلام اذا اراد الله
ان يوحى بالامر ويتكلم بالوحى سمع اهل السموات صلصلة اخذت السموات منها رجفة او قال رعدة شديدة خوفا
من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة
والسلام فيكلمه من وحيه بما اراده ثم يمر جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها
ماذا قال ربنا ياجبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلى الكبير فتقول الملائكة كلهم مثل ما قال جبريل
فينتهى جبريل بالوحى حيث امره الله تعالى وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة وذلك انه كانت الفترة بين
عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث
الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام كلم جبريل بالرسالة الى محمد عليه الصلاة والسلام فلما سمعت الملائكة ذلك
ظنوا انها الساعة لان بعثته عليه الصلاة والسلام كانت من اشراط الساعة عند اهل السموات فصعقوا
مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم الفزع فيرفعون رؤسهم
ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير قرأ الجمهور فزع بضم الفاء وكسر
الزاى وقرأ ابن عامر بفتحهما معا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ فرغ بالغين المعجمة من فرغ الماء بكسر
الراء يفرغ بفتحها فراغا اى فنى وانصب والحق منصوب بقال مضمرة اى قالوا قال ربنا الحق اى القول الحق
ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف اى مقوله الحق (قوله اذ لاجواب سواه) علة لامره تعالى اياه عليه
الصلاة والسلام بان يتولى الجواب بنفسه بعد ما امره عليه الصلاة والسلام بان يحملهم على الاقرار بان من يرزقهم
المطر من السموات ومن يرزقهم النبات من الارض هو الله تعالى فان قوله من يرزقكم استفهام تقرير وكون
السؤال والجواب من واحد يشعر بتعين الجواب فانهم لو اجابوا لا يمكنهم ان يجيبوا الا به فانه اذا اتضح الامر وتعين
الجواب لا يحتاج الى ان ينطقوا به بالسنتهم والتلعثم فى الامر التمكث فيه والتأنى والذى حملهم على السكوت عن
الجواب او التلعثم فيه مخافة الالزام انهم لو اجابوا وقالوا رازقنا هو الله وحده توجه اليهم ان يقال لهم فما لكم
لا تعبدون الذى تفرد فى رزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على ان يرزقكم (قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى
او فى ضلال) داخل تحت الامر بالقول والمعنى وقل ان احد الفريقين منا ومنكم لعلى احد الامرين من الهدى
والضلال المبين (قوله وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ) جملة اسمية فانه تعالى امر نبيه صلى الله عليه
وسلم اولا بأن يكافحهم ويوبخهم بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ثم بأن يسألهم سؤال تقرير عن تعيين
رازقهم ثم بأن يتولى الجواب بنفسه ايذانا بانهم مع كونهم معتقدين للحق يمتنعون عن الاقرار به بالسنتهم عنادا
او خوفا من الزام الحجة عليهم وتنزل من هذه الدرجة ثانيا وامره بان يرخى العنان معهم ويقول لهم انا واياكم الآية
لينادى على تماديهم فى الضلال على وجه هو ادخل فى اثبات الغرض والغلبة على الخصم واوجب لسد طريق
الشغب والجدال عليه وقوله تعالى او اياكم عطف على اسم ان وما ذكر بعده خبر الاول وحذف خبر الثانى للدلالة
عليه اى وانا لعلى هدى او فى ضلال او انكم لعلى هدى او فى ضلال ويحتمل ان يكون ما ذكر بعده خبر الثانى
ويكون خبر الاول محذوفا كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف حذف خبر الاول اى
نحن راضون وهذان الوجهان لا ينبغى ان يحملا على ظاهرهما قطعا لانه عليه الصلاة والسلام لم يشك فى انه على
هدى ويقين وفى ان الكافرين على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ما يخاطب به العرب من استعمال
الانصاف فى محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير (قوله وقيل انه على اللف) اى والنشر والتقدير وانا لعلى هدى
وانكم لفى ضلال مبين وفيه نظر لانه لو كان من قبيل اللف لوجب ان يكون كل واحد من المعطوفين معطوفا
بالواو ويكون كلمة او بمعنى الواو ليس بشائع (قوله واختلاف الحرفين) وهما كلمة على الداخلة على
الهدى وكلمة فى الداخلة على الضلال والمنار علم الطريق وسمى ملك من ملوك اليمن ذا المنار لانه اول من وضع

(قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير
قوله لا يملكون (قل الله) اذ لاجواب سواه وفيه اشعار
بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم
مقرون به بقلوبهم (وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال
مبين) اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد
بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد
النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال الواضح وهو بعد ما تقدم من التقرير
البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال
ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت
للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفو * فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان
الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها
او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه
منغمس فى ظلام مرتبك من قبل انه لا يرى شيأ او محبوس
فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها (قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون) هذا ادخل فى
الانصاف وأبلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى
انفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم
القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بان يدخل
المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم
الفيصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى
ان يقضى به

النار على طريقه فى مفازة ليهتدى به اذا رجع والارتباك الاختلاط والدخول فى الامر الصعب الذى لم يكد يتخلص منه والمطمورة الحفرة التى يطمر فيها الطعام الذى يخبأ (قوله تعالى قل اروني) يحتمل ان يكون من الرؤية بمعنى العلم المتعدية قبل النقل الى اثنين فلما جيئ بهمزة النقل عديت الى ثلاثة اولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء وعائد الموصول محذوف اى الحقتموهم ويحتمل ان يكون من الرؤية البصرية المتعدية قبل النقل الى واحد وعديت بالنقل الى اثنين اولهما ياء المتكلم وثانيهما الموصول فشركاء نصب على الحال من عائد الموصول اى ابصروني الملحقين به حال كونهم شركاء له (قوله والضمير لله اوللشان) يعني ان هو فى قوله تعالى بل هو الله يحتمل ان يكون ضميرا راجعا الى الله تعالى والمعنى ليس الامر على ما انتم عليه من الحاق الشركاء به فى العبادة بل هو الله وحده فقوله هو مبتدأ والله خبره والعزيز الحكيم صفتان فيكون هو من قبيل الضمير المبهم المفسر بما بعده تفخيما لشأن المرجع اليه وتمكينا له فى الذهن فانك اذا قصدت الابهام للتفخيم تعقلت المرجع فى ذهنك ثم تعبر عنه بضمير الغائب لتشوق نفس السامع الى المعبر عنه ثم تذكر المرجع ويحتمل ان يكون ضمير الشأن فلفظ الجلالة حينئذ مبتدأ والعزيز الحكيم خبران والجملة خبر هو والفرق بين الاحتمالين ان الجملة التى بعد ضمير الشان هى المبينة له بخلاف ما اذا كان ضمير الجلالة فان خبره اسم مفرد مفسر له (قوله الا ارسالة عامة لهم) على ان كافة صفة مصدر محذوف وان تعليل تفسير الكافة بالعامة المحيطة فكانه قيل اريد بالكافة العامة لان الشمول والعموم مستلزم الكف فيكون كناية اوتجازا بمعنى عامة لهم محيطة بهم لان الارسالة اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم من الكف وهو المنع يقال كف يكف اى منع (قوله او الاجامعا) على ان يكون كافة بمعنى جامعا و يكون حالا من كاف ارسلناك وتكون الهاء فيه للمبالغة كما فى علامة وراوية ونسابة ومن استعمال كف بمعنى جمع قول الفقهاء وكره للمصلي كف ثوبه اى جمع ما تفرق من اطرافه ولا يجوز كونها حالا من المجرور مقدمة عليه لان تقدم حال المجرور عليه بمنزلة تقدم المجرور على الجار من حيث ان حال المجرور تكون معمولة بحرف الجر ايضا وتقدم المجرور على الجار ممتنع فكذا ما هو بمنزلته عند الجمهور وان جوزه بعض النحاة استشهادا بقول الشاعر

اذا المرء اعيته المروءة ناشئا * فمطلبها كهلا عليه شديد

ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى حقق مسائل التوحيد اولا ثم شرع فى تحقيق الرسالة فقال وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة تكف ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس كافة عامة ثم انه تعالى لما ذكر الرسالة بين الحشر على وجه يتضمن تجهيل منكريه فقال ويقولون متى هذا الوعد (قوله لكم ميعاد) جملة اسمية والميعاد زمان الوعد او مكانه لغة وهو ههنا الزمان الذى هو القيامة او وقت موتهم و يدل عليه قوله لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اى لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون وزاد المصنف احتمال ان يكون الميعاد مصدرا مضافا الى زمانه حيث قال وعد يوم والميعاد يطلق على الوعد والوعيد قال ابو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى والاضافة الى اليوم سواء جعل مصدرا او زمانا بيانية لانها من اضافة العام الى الخاص كما فى سحق عمامة وثوب خز و بعير سانية فان السحق الشئ البالى اضيف الى العمامة للبيان وكذا الثوب والبعير والسانية الناضحة وهى الناقة التى يستقى عليها يقال سنت الناقة تسنو اذا سقت الارض وفى المثل سير السوانى سفر لا ينقطع (قوله ويؤيده انه قرئ يوم) اى قرئ ميعاد يوم منونين على ابدال يوم من ميعاد اى و يؤيد كون الميعاد عبارة عن زمان الوعد ابدال اليوم منه وقرئ ميعاد يوما على تعظيم اليوم بتقدير اعنى فيكون منصوبا على المدح والتعظيم اى يوما من صفته كيت وكيت (قوله وهو جواب تهديد) جواب عما يقال كيف انطبق هذا جوابا لسؤالهم مع انهم سألوا عن تعيين وقت الوعد من حيث ان متى سؤال عن الوقت المعين ولا تعرض فى الجواب لتعيين الوقت وتقرير الجواب ان سؤالهم وان كان على صورة استعلام الوقت الا ان مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق لمثل هذا السؤال ان يجاب بطريق التهديد على تعنتهم فلذلك اجيبوا بانكم ترصدون بيوم يفاجئكم فلا تستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه ثم انه تعالى لما بين الاصول الثلاثة التى هى التوحيد والرسالة والحشر وكان المشركون كافرين بكل

(قل اروني الذين الحقتم به شركاء) لارى باى صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبههم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان (وما ارسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حال من الناس على المختار (بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (و يقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) وعد يوم او زمان وعد واضافته الى يوم للتبيين و يؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعنى (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) اذا فاجاكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار

(وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرءآن ولابالذى بين يديه) ولابماتقدمه من الكتب الدالة على النعت قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة ولوترى اذ الظالمون موقوفون عندربهم) اى فى موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون و يتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولاانتم) لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دآئبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع و قرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكرا الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير اواظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما فى اشكيته (وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا) اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم (هل يجزون الا ماكانوا يعملون) اى لا يفعل بهم ما يفعل الاجزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى اولنزع الخافض (ومارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه

واحد منها بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤ من بهذا القرءآن فان الكفر بالقرءآن يتناول الكفر بجميع مانطق به القرءآن ثم انه تعالى لما حكى عنهم الكفر المذكور بين عاقبة امرهم ومآل حالهم فى الاخرة فقال ولوترى يامحمداو يا من يتصور منه الرؤية اياهم على اذل حال محبوسين للسؤال يرد بعضهم الى بعض القول فى الجدال كما يكون عليه حال جماعة اخطأوا فى امر لرأيت امرا عجيبا وحالا فظيعا والعياذ بالله فحذف جواب لو للتهويل (قوله ولذلك) اى ولكون المقصود انكار كونهم صادين للاتباع عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا انفسهم بنوا الانكار على الاسم فقالوا أنحن فان وقوع المسند اليه بعد حرف الانكار بلا فصل يفيد نفى الفعل عن المسند اليه المذكور وثبوته لغيره ومثل هذا الكلام انما يقال اذا اتفق المتكلم والمخاطب على تحقق الفعل وصدوره من فاعله وزعم المخاطب انه صدر من المتكلم فيقول المتكلم فى رده أأنا فعلت ذلك بتقديم المسند اليه وايلائه حرف الانكار يريد بذلك انكار كونه الفاعل له واثبات كونه مفعولا لغيره كما فى هذه الآية اى أنحن منعناكم عن قبول الهدى وهو الايمان بعد اذ اجاءكم اسبابه من دعوة الرسول وقيام المعجزة بل كنتم مجرمين بترك الايمان اختيارا والجرم الذنب تقول منه جرم واجرم واجترم بمعنى فقال لهم المستضعفون مجيبين لهم بل مكر الليل والنهار اى بل الذى صدنا هو مكركم لنا دآئبا ليلا ونهارا والعاطف فى قوله تعالى وقال الذين استضعفوا يعطفه على كلامهم الاول والمقصود بيان الفرق بين قوله تعالى قال الذين استكبروا و بين قوله وقال الذين استضعفوا حيث صدر الثانى بحرف العطف دون الاول ووجه الفرق ان الاول كلام مستأنف ذكر جوابا لمن قال ماذا قال المستكبرون فى جواب المستضعفين فلا وجه لتحلل العاطف بخلاف كلام المستضعفين فانه لم يقصد به جواب لسؤال مقدر بل سيق منهم لكلام المستكبرين فعطف كلامهم الثانى على كلامهم الاول (قوله بل مكركم لنا دآئبا) اى دآئما اى بل صدنا مكركم لنا فى هذين الوقتين على ان مكر الليل مرفوع على انه فاعل فعل مقدر و يحتمل ان يكون مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره على معنى بل مكركم لنا فى الليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك دآئبا هو الذى اوقعنا فى الكفر والضلال اوعلى انه خبر مبتدأ محذوف اى سبب كفرنا مكركم (قوله حتى اغرتم) من قولك أغار على العدو يغير اغارة اى غلب عليه واستلب ما معه ونهبه (قوله واضافة المكر الى الظرف) يعنى ان قوله بل مكر الليل والنهار معناه مكركم فى الليل والنهار فاتسع فى الظرف باجرآئه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه على طريق اضافة المصدر الى مفعوله كما اتسع فى قوله * ياسارق الليلة اهل الدار * اوجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى كما فى قول جرير *لقد لمتنا ياام غيلان فى السرى * ونمت وماليل المطى بنائم
فيكون من اضافة المصدر الى فاعله وكل واحد من الوجهين احسن من قول من قال ان الاضافة فيه بمعنى فى اى مكر فى الليل لان ذلك لم يثبت فى غير محل النزاع (قوله ومكر الليل من الكرور) اى قرئ مكر بفتح الكاف وتشديد الرآء مرفوعا ومنصوبا اما الرفع فعلى ما ذكر فى القرآءة بسكون الكاف اى بل صدنا كرورهما علينا واختلافهما من كر اذا جاء وذهب على معنى صدنا طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامل فقست قلوبهم والظهر منه ان يكون ارتفاعه على انه مبتدأ حذف خبره او خبر مبتدأ محذوف اى بل مكركم اى كروركم بالاغوآء فى الليل والنهار دآئبا سبب كفرنا وصدودنا عن الهدى اوسبب ذلك مكركم وخلاصة المعنى انا انما اشركنا بسببكم واما النصب فعلى انه مصدر فعل محذوف اى بل تكرون الاغوآء مكر الليل والنهار اى وقت كرورهما مثل آتيك خفوق النجم والمعنى بل تكرون الاغوآء مكرا دآئما لا تفترون عنه (قوله فى اشكيته) فانه يجيء بمعنى اثبت له الشكاية وازلت عنه الشكاية وقد جمعهما من قال

شكوت الى الايام سوء صنيعها * ومن عجب باك تشكى الى المبكى
فما زادنى الايام الا شكاية * ومازالت الايام تشكى ولا تشكى

اى تزيد شكايتى ولا تزيلها (قوله تنويها بذمهم) اى تصريحا به من ناه الشئ ينوه اذا ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره وقوله تعالى هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى الاجزآء اعمالهم من الكفر والمعاصى اشار به الى ان ذلك حقهم عدلا وهو استفهام تقرير وعدى يجزون الى اعمالهم مع ان جزى لا يتعدى بنفسه الى مفعولين بل يقال جزيته بما صنع اما على طريق الحذف والايصال وهو ظاهر او لتضمين جرى معنى اقضى وهو يتعدى الى اثنين يقال اقضيته سرى (قوله مما منى به) اى ابتلى يقال منوته ومنيته اى

ابتليته كانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام يا ايها النبي لا تحزن على تكذيب الكفرة اياك فان ايذآء الكفار للانبياء
ليس بدعا بل ذلك عادة قديمة لهم (قوله ولذلك) اى ولكون المفاخرة بزخارف الدنيا والاستهانة بمن لم يحظ
منها معظم الدواعى الى التكذيب ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب حيث تهكموا بقولهم بما ارسلتم به فانهم
انما قالوا ذلك تهكما بالمرسلين ضرورة انهم غير معتقدين بالارسال وتفاخروا بقولهم نحن اكثر اموالا (قوله
بما ارسلتم به) متعلق بخبران وبه متعلق بقوله بما ارسلتم والتقدير انا كافرون بالذى ارسلتم به من الايمان والتوحيد
(قوله نحن اولى بما تدعونه) اى من الرسالة جعل المترفون قولهم نحن اكثر اموالا واولادا بالنسبة الى الرسل
وسيلة الى تكذيبهم وزعموا انهم اكرم على الله من الانبياء ومن المؤمنين قائلين انهم لو لم يكرموا عليه تعالى
لما رزقهم ذلك وان المؤمنين او لم يهونوا عليه تعالى لما حرمهم فابطل الله تعالى ظنهم ذلك بهاتين الآيتين وهما
قوله تعالى قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر وليس البسط والقبض للكرامة والهوان فكم من موسر شقى
ومعسر تقى وانما يوسع و يضيق بمشيئته لما رأى من الحكمة والمصلحة يبسط لمن يشاء لا لفضل ومنزلة عنده و يقدر
على من يشاء لا لجناية كانت منه اليه بل له ان يبتلى عباده بما شاء (قوله قربة) يعنى ان زلفى مصدر قوله
تقربكم من غير لفظه او اسم لمصدره كقوله انبته الله نباتا لما استدل المترفون بكثرة اموالهم واولادهم على كونهم
احسن حالا عند الله ابطل الله تعالى استدلالهم ذلك بان البسط والقبض لا يدلان على الكرامة والهوان ثم
اكد ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم الآية فكانه قيل استدلالكم بكثرة الاموال والاولاد على كونكم احسن
حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فانهما لم يدلا على قربة العبد من الله تعالى كيف وكل واحد من المال
والولد يشغل عن الله فكيف يقرب منه بل الذى يقرب اليه تعالى هو العمل الصالح لانه اقبال على الله تعالى
واشتغال بطاعته ومن توجه الى الله تعالى وصل ومن التجأ اليه ظفر بالامل (قوله والتى) يعنى ان الظاهر ان يقال
باللاتى لان التى اسم مفرد فلا وجه لتوصيف الاموال والاولاد به وحمله عليهما الا انه حمل عليها تأويلها بالجماعة
كانه قيل وما جماعة اولادكم واموالكم بالجماعة التى تقربكم اولكون التى صفة لموصوف محذوف اى وما هى بالتقوى
التى او بالخصلة التى تقربكم (قوله استثناء من مفعول تقربكم) وهو ضمير الخطاب المتناول لجملة بنى آدم فتكون
الآية اشارة الى ان العمل الصالح بالنظر الى الاموال ان ينفقها اصحابها فى سبيل الله و بالنظر الى الاولاد ان يعلمهم
آباؤهم الخير و يربوهم على الصلاح و يجوز ان يكون استثناء من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الا اموال
من آمن واولاده (قوله وقرئ بالاعمال) اى وقرئ جزآء مرفوعا منونا والضعف منصوبا فان الاصل ان
يجازوا الضعف ثم جزآء الضعف بالاضافة ومن نصب جزآء ونونه ورفع الضعف جعل جزآء تمييزا او حالا اى
فاولئك لهم الضعف جزآء والعامل فى الحال الاستقرار كما فى قوله تعالى فله جزآء الحسنى فيمن قرأ بنصب جزآء
فى الكهف و يحتمل ان يكون انتصاب جزآء على انه مصدر لفعله الذى دل عليه لهم جزآء وذلك لان فاولئك مبتدأ
والضعف مبتدأ ثان ولهم خبر الثانى والجملة خبر اولئك فكانه قيل فاولئك الضعف لهم يجزون جزآء (قوله على
ارادة الجنس) فانهم جميعا لا يشتركون فى غرفة واحدة بل لكل واحد غرفة تخصه وفى الصحاح الغرفة العلية
والجمع غرفات وغرفات وغرف بين الله تعالى اولا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات تضاعف حسناتهم ثم زاد وقال
وهم فى الغرفات آمنون اشارة الى دوام النعم وتأبيدها ثم بين حال المسئ فقال والذين يسعون فى آياتنا معاجزين
الآية اى مقدرين فى انفسهم ان يسبقوا الانبياء الذين شأنهم اظهار الآيات واثبات الحق المبين او ان يفوتونا فان
المعاجز الهارب يهرب لكى يعجز يقال عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه (قوله فهذا فى شخص واحد باعتبار
وقتين وما سبق فى شخصين) فان ما سبق رد لحسبانهم انه تعالى اكرمهم بكثرة الاموال والاولاد فلا يهينهم
بالتعذيب وانما يهين و يعذب من ضيق عليه فى الدنيا فرد عليهم بان اختلاف الاشخاص فى السعة والضيق لا يبتنى
على كرامة الموسع عليه وهوان المضيق عليه وانما يبتنى على مجرد مشيئته تعالى وههنا لما بين ان الايمان والعمل
الصالح هو الذى يقرب العبد الى ربه و يكون مؤديا الى تضعيف حسناته بين ان نعيم الآخرة وتضاعف الحسنات
فيها لا ينافى سعة الرزق فى الدنيا بل الصالحون قد يبسط لهم الرزق فى الدنيا مع ما لهم فى الآخرة من الجزآء الاوفى
والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الالهى وان كانوا فى بعض الاوقات يضيق عليهم وكلمة ما فى قوله تعالى وما انفقتم
شرطية فى محل النصب على انه مفعول مقدم لانفقتم ومن شئ بيانه وقوله فهو يخلفه جواب الشرط او موصولة

وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم الى
التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات
والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم
والمفاخرة الى التكذيب فقالوا (انا بما ارسلتم به كافرون)
على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا)
فنحن اولى بما تدعونه ان امكن (وما نحن بمعذبين)
اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا
بالعذاب (قل) ردا لحسبانهم (ان ربى يبسط الرزق
لمن يشاء و يقدر) ولذلك يختلف فيه الاشخاص
المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة
وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته (ولكن اكثر الناس
لا يعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف
والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال (وما
اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربة
والتى اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد او لانها
صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى
بالشئ الذى يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا)
استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله
فى سبيل الله و يعلم ولده الخير و يربيه على الصلاح
او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف
(فاولئك لهم جزآء الضعف) ان يجازوا الضعف
الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى
المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب
رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزآء على التمييز
او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم (بما عملوا وهم
فى الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الرآء
وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس
(والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها
(معاجزين) مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتونا
(اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده و يقدر له) يوسع عليه تارة و يضيق
عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين
وما سبق فى شخصين فلا تكرير

(وماانفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اماعاجلا اوآجلا (وهو خيرالرازقين) فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته (ويوم نحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عمايتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص و يعقوب يحشرهم و يقول بالياء فيهما (قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم) انت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا و بينهم كانهم بينوا بذلك برآءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غيرالله وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم (اكثرهم بهم مؤمنون) الضميرالاول للانس اوللمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا) اذالامر فيه كله له لان الدار دارجزاء وهو المجازى وحده (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده (واذاتتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (الارجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن (الا افك) لعدم مطابقة ما فيه الواقع (مفترى) باضافته الى الله سبحانه (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم) لامر النبوة اوالاسلام اوللقرآن والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه (ان هذا الاسحر مبين) ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه

مرفوعة المحل على الابتداء فهو يخلفه خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اى ماتصدقتم وانفقتم فى الخير من نفقة فهو يعطى خلفه للمنفق امابان يعجل له فى الدنيا وامابان يؤخرله فى الآخرة وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال مايقيمه و يصلحه فليقتصد فى الانفاق فان الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع مافى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر وقوله تعالى وماانفقتم من شئ فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة وفى الحديث الرفق فى المعيشة من بعض التجارة وماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم أعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا يؤيد ماذكره المصنف (قوله تعالى و يوم نحشرهم) قرأ يعقوب وحفص بالياء والباقون بالنون (قوله اياكم) منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل والاهتمام والكلام وان كان فى صورة الخطاب للملائكة الا ان المقصود تقريع المشركين فانهم لما اجابوا بتنزيه الله تعالى عن ان يعبد احد معه وبانه لايستحق العبادة سواه اشتد خزى المشركين وخجالتهم (قوله ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله) لان عابديهم يزعمون انهم بنات الله تعالى من مصاهرة الجن قال تعالى وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا والاولاد تكون من جنس الاباء والقول بتعدد الاله اصل الشرك بخلاف العبادة بناء على طمع الشفاعة فتبرأ الملائكة منهم ومن الرضى بعبادتهم اياهم بقوله سبحانك اى تنزيها لك من ان يكون لك شريك فى الالوهية واستحقاق العبادة والولى فعيل من الموالاة وهى ضد المعاداة و يقع على الموالى والموالى وهو ههنا بمعنى الموالى يعنون انما نواليك بالعبودية لك ولا نواليهم بعبادتهم لنا والظاهر فى جواب قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ان يقال لا اونعم الا انهم اجابوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار بيانا لبرآءتهم من الرضى بعبادتهم لهم بطريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان اختصاصهم بموالاة الله تعالى ومعاداة الكفار يستلزم عدم الرضى بعبادة الاعداء اياهم (قوله حيث اطاعوهم) جواب عما يقال ان المشركين كانوا يقصدون بعبادة الاصنام عبادة الملائكة ولايخطر الشياطين ببالهم حين عبادتهم الاصنام فضلا عن ان يعبدوا الشياطين فاوجه قولهم كانوا يعبدون الجن واجاب عنه بوجهين الاول ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوا الشياطين فى عبادة الملائكة فالمراد بقولهم يعبدون الجن انهم يطيعون الجن فى عبادة غيرالله تعالى وان العبادة هى الطاعة وانهم لما اطاعوهم فكانهم عبدوهم والثانى انهم عبدوا الجن حقيقة بناء على ان الجن مثلوا لهم صورة قوم منهم وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها فلما عبدها المشركون فقدعبدوا الجن حقيقة (قوله الضمير الاول للانس) جواب عما يقال الظاهر ان ضمير اكثرهم عبارة عما يرجع اليه ضمير كانوا يعبدون الجن وهم المشركون والمعنى اكثر المشركين مؤمنون بالشياطين اى مصدقون قولهم ومطيعون لهم وجميع المشركين كانوا عابدين للشياطين مطيعين فما وجه قوله اكثرهم بهم مؤمنون فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم واجاب عنه بوجهين الاول انا لانسلم ان ضمير اكثرهم يرجع الى المشركين بل يرجع الى الانس المذكور حكما واكثر الانس كفار مؤمنون بالجن والثانى سلمنا ان ضمير اكثرهم للمشركين الا ان الاكثر بمعنى الكل كما فى قوله تعالى واكثرهم كاذبون وهو من ترقيق الكلام ثم انه تعالى بين ان ماكانوا يعبدونه لاينفعهم فقال فاليوم لايملك بعضكم لبعض والخطاب لمجموع العابدين والمعبودين والمراد بالبعض الاول الملائكة وبالثانى عابدوهم والمعنى و يوم القيامة لايملك الملائكة لعابديهم نفعا بالشفاعة ولاضرا بالتعذيب فالكلام تنكيل الكافرين حيث بين لهم ان معبودهم لاينفع ولايضر كقوله تعالى لايملكون الشفاعة الا لمن ارتضى و يحتمل ان يكون الخطاب منا ولالجن ايضا (قوله وفى تكرير الفعل) فانه لماذكر قوله قالوا فى جواب قوله واذاتتلى عليهم آياتنا كان الظاهر ان يذكر مقول الكفرة بان يعطف بعضه على بعض بان يقال قالوا كذا وكذا من غير ان يعاد فعل القول مع كل مقول وقداعيد ذلك ههنا حيث قيل واذاتتلى عليهم آياتنا قالوا كذا وقالوا كذا ثم قيل وقال الذين كفروا باعادة الفعل مرة ثالثة وتصريح فاعله والمقام مقام الاضمار كما فى الاولين (قوله ومافى اللامين) اراد بهما اسم الموصول المذكور فى قوله وقال الذين كفروا ولام التعريف فى قوله للحق على سبيل التغليب وتعريف الموصول اشارة الى القائلين بانهم الكفرة المعاندون الذين حملهم كفرهم على الجرآءة على الله تعالى وان يقولوا فى حق نبيه وكتابه ودينه مالايتفوه به من له ادنى تمييز والتعريف اللامى اشارة الى المقول فيه بانه الحق المبين الذى لايطعن فيه الا المكابر المعاند والبت

بهذا القول من مثل ذلك القائل فى مثل هذا المقول فى غاية القباحة والفضاحة لاسيما اذا كان البت المذكور على سبيل المبادهة من غير تأمل يقال بادهه امر اى فاجأه وسلوك هذه الطريقة لايكون الا للايذان بان الامر عظيم وان ارتكابه عجيب غريب ثم انه تعالى بين ان جوابهم على هذه الاقوال الباطلة عند ما يتلى عليهم الآيات البينات غاية الضلالة ونهاية الجهالة فان الآيات البينات لاتعارض الا بالبراهين العقلية او الكتب السماوية او ببيان الرسول المؤيد بالمعجزات الباهرة وليس عندهم شئ من ذلك فى قولهم هذا رجل كاذب وان ما يقرؤه افك مفترى وان ما جاء به سحر مبين وهذا معنى ما نقل عن الفرآء انه قال فى تفسير هذه الآية من اين كذبوك ولم يأت لهم كتاب ولا نبى بين لهم صحة طريقهم وكذبك فيما دعوتهم اليه وقوله تعالى وما ارسلنا اليهم اى الى اهل مكة ومن حولهم من العرب الذين بعثت اليهم ولا يراد من تقدمه عليه الصلاة والسلام من العرب لان اسمعيل عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا قبله الى العرب (قوله وما بلغ هؤلاء) حال من الموصول اى هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين كعاد وثمود او ما بلغ المتقدمون عشر ما آتينا مشركى مكة والمعشار العشر كالمرباع الربع والمعنى على الاول كيف أمن مشركوا مكة مع ضعفهم ان يلحقهم بسبب التكذيب ما لحق من قبلهم من الاقوياء وعلى الثانى كيف امنوا ان يلحقهم بتكذيب البينات القاطعة المتكاثرة ما لحق من قبلهم بتكذيب ما هو اقل من عشر ما كذب به المشركون (قوله ولا تكرير فى كذب) جواب عما يقال ما وجه قوله فكذبوا رسلى بعد قوله وكذب الذين من قبلهم وما الفائدة فى هذا التكرير اجاب عنه اولا بان الاول لتكثير الفعل لا للتعدية والثانى للتعدية فلا تكرير وثانيا بان الاول مطلق حيث لم يقدر له مفعول به اجرى مجرى اللازم فكأنه قيل فعلوا التكذيب مطلقا واقدموا عليه والثانى مقيد بتعلقه بالمفعول وجعل تكذيبهم الرسل مسببا عن كونهم اهل التكذيب فعطف عليه عطف المسبب على السبب والمعنى فعلوا التكذيب فكذبوا الرسل بسببه (قوله وهو القيام من مجلس الخ) يعنى ان القيام يحتمل ان يراد به المثول على الرجلين من مجلسه عليه الصلاة والسلام لاجله تعالى وطلب وجهه ورضاه لا لحمية وعصبية او القيام لامر والتشمير له لاجله تعالى بالجد والاهتمام من قولك قمت لامر كذا اذا هيأت نفسك لاجله وتشمرت له (قوله فان الازدحام) علة لتقييد القيام لله تعالى بكونهم متفرقين مثنى وفرادى يعنى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمى البصائر ويقل معه الانصاف ويكثر فيه الاعتساف بخلاف الاثنين فانهما اذا جرى بينهما امر يتفكران فيه ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه سالكا مسلك العدل والانصاف متجانبا عن التعصب والاعتساف فيؤدى فكرهما الصحيح الى الحق الصريح وكذلك الواحد فانه يفكر فى نفسه طالبا لاصابة الحق باتباع عقله السليم مجانبا عن معارضة المجادلين واغوآء المبطلين فيصيب الحق المؤيد بالبرهان وقوله ثم تتفكروا عطف على قوله ان تقوموا ومحل ان تقوموا الجر على انه بدل من واحدة على سبيل التفسير والبيان او عطف بيان لها او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى ان تقوموا او النصب باضمار اعنى ومثنى وفرادى حال من فاعل تقوموا (قوله فتعلموا ما به جنون الخ) يعنى ان قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة يجوز ان يكون متعلقا بفعل مقدر معطوف على تتفكروا معلق عنه بحرف النفى وهى كلمة ما وان يكون مستأنفا للتنبيه على طريقة النظر المؤدى الى العلم بصدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة فان امر الرسالة امر عظيم تحته ملك الدنيا والآخرة ومن ادعاها لابد له ان يدعو الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم فى ادنى شئ الى قبول ما جاء به من الدين وترك ما الفوه منه ولا شك فى انه امر عظيم لايدعيه الا مؤيد من عند الله فاضطلع بحمله امره بما عنده من حجة وبرهان او مجنون لايبالى بافتضاحه على رؤس الاشهاد وهلاكه فى الدنيا ويوم التناد ومن المعلوم عندهم انه عليه الصلاة والسلام ارجح قريش عقلا واصدقهم قولا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال فكان علمهم هذا كافيا لهم فى ترجيح جانب صدقه عليه الصلاة والسلام (قوله وقيل ما استفهامية) لكن ليس المراد حقيقة الاستفهام بل هو بمعنى النفى والانكار فلهذا لم يرض به لان الاستفهام لما كان بمعنى الانكار الذى مآله النفى كان الاولى ان يحمل كلمة ما من اول الامر على النفى قصرا للمسافة وحملا للكلام على المعنى المتعارف (قوله اى شئ سألتكم) يعنى ان كلمة ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول سألتكم قدم عليه وقوله فهو لكم جوابها قال عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة اى حين ابتدأت واقبل اوائلها واصله من نسم الريح وهو اول هبوبها حين يقبل بلين قبل ان يشتد (قوله واياما كان لزم احدهما)

(وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك (وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء (قل انما اعظكم بواحدة) ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى ما دل عليه (ان تقوموا لله) وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المرآء والتقليد (مثنى وفرادى) متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول (ثم تتفكروا) فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او أعنى (ما بصاحبكم من جنة) فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون (ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة (قل ما سألتكم من اجر) اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبئ مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض او لغيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما

يعنى ان المدعى وشواد عاء النبوة كاذبا سوآء كان لغرض اولغيره يستلزم احد الامرين اى اما ان يكون لغرض اولغير غرض وذلك يستلزم ان يكون مجنونا اومتوقعا لنفع دنيوى ولما نفى كل واحد منهما لزمه ان لايكون متنبأ بل صادقا فى دعواه (قوله ما اسألكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) بان يتقرب اليه بالايمان والطاعة يريد أنى ارضى بتقربه اليه واعتدبه كما يرضى المثاب بالثواب فالاجر المذكور فى هذه السورة ان حمل على اتخاذ السبيل فمعنى كونه اجرهم ان يكون نفعه عائدا اليهم وكذا مودة اقربائه عليه الصلاة والسلام يعود نفعها اليهم من حيث ان قرباه قرباهم ثم ذكر ان اجره على الله تعالى وانه على كل شئ شهيد فعلم انه عليه الصلاة والسلام لايطلب الاجر على نصحهم وتبليغ الرسالة اليهم الامنه تعالى (قوله يلقيه وينزله) يعنى ان القذف فى الاصل هو الطرح والالقاء مع الدفع والاعتماد واطلق ههنا على مجرد الالقاء فهو مجاز مرسل بطريق استعمال المقيد فى المطلق والحق القرآن اوالوحى والباء فيه زآئدة كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم (قوله او يرمى به الباطل) اى يدفع الباطل بالقذف اى بالقاء الشئ ويزيله بايراد الحق عليه كما يدفع القبيح بان يقذف عليه ما يدفعه شبه ايراد الحق على الباطل لاذهاب الباطل بالقذف بالقاء الشئ على الشئ بدفع واعتماد ثم ذكر القذف واريد ايراد الحق على الباطل لاذهابه به فيكون قوله يقذف استعارة تصريحية تبعية وكذا على قوله او يرمى به الى اقطار الافاق حيث شبه نشر الاسلام واظهاره فى الآفاق بالقاء الشئ على وجه الدفع والاعتماد (قوله صفة محمولة على محل ان واسمها) فان محلها الرفع على الابتداء قرأ الجمهور علام الغيوب بالرفع على انه صفة تابعة لمحلها ومن نصبه جعله نعتا لاسم ان اومنصوبا على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فى الغين بالضم والكسر كما فى البيوت و بالفتح على انه صيغة مبالغة كالشكور والصبور وهو الامر الذى غاب جدا وخفى والكلب الصيود هو الماهر فى امر الصيد (قوله اى الشرك بحيث لم يبق له اثر) يعنى ان قولهم لايبدئ فلان ولا يعيد عبارة يعبر بها عن هلاكه وموته كقولهم لايأكل فلان ولا يشرب ولا يقول ولا يدبر فان انقطاع آثار الشئ وتوابع وجوده من لوازم هلاكه وانتفائه فصح جعله كناية عنه روى ان المنذر بن ماء السماء كان ملكا وكان له يوم فى السنة يذبح فيه اول من يلقى فبيناهو يسير فى ذلك اليوم اذا شرف له عبيد بن الابرص فقال عبيد لرجل ممن كان معه من هذا الشقى فقال له انه المنذر بن ماء السماء وافيناه يوم بؤسه فلمارآه المنذر امر بقتله فقيل له امدحه فقال حال الجريض دون القريض فقال المنذر انشدنا قولك

فقال

اقفر من اهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب

اقفر من اهله عبيد * فاليوم لايبدى ولا يعيد

قوله اقفر اى صار الى القفر وهو مفازة لانبات بها ولا ماء وملحوب موضع وكذلك القطبيات والذنوب والجريض الغصة من الجرض بالتحريك وهو الريق يغص به يقال جرض بريقه يجرض على مثال كسر يكسر وهو ان يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد والقريض الشعر فكلمة ما فى قوله تعالى وما يبدئ الباطل وما يعيد نافية ولا مفعول ليبدئ ولاليعيد اذ المراد لايوقع الباطل هذين الفعلين وقيل مفعوله محذوف اى ما يبدئ الشيطان لاهله خيرا ولا يعيده كان كفار مكة يقولون لرسول الله عليه الصلاة والسلام انك ضللت حتى تركت دين آبائك فنزل قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسى قرأ العامة بفتح اللام فى الماضى وكسرها فى المضارع وقرئ بكسر اللام فى الماضى وفتحها فى الغابر وقرئ اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد على لغة من يقول اعلم (قوله فانه) اى ضلال الشخص بسبب نفسه الجاهلة الامارة بالسوء وهو علة لكون وبال الضلال راجعا الى نفسه (قوله وبهذا الاعتبار) اى باعتبار ان النفس كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها و بسببها وقع التقابل بين قوله فانما اضل على نفسى و بين قوله فبما يوحى الى ربى والا فلا تقابل بينهما ظاهرا لانه انما يظهر التقابل بينهما ان اوردفيهما كلمة على اوكلمة الباء بان يقال ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لنفسى اوبان يقال ان ضللت فانما اضل بنفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى فيكون مدلول الآية على الاول بيان مآل الضلالة والهداية وعلى الثانى بيان سببهما فلما جيئ بعلى فى الاول دلت على ان الضلال وبال على النفس ولما جيئ بالباء فى الثانى دلت على ان سبب الاهتدآء هو هدآية الله تعالى وتوفيقه وما يوحى الى القلب من الحكمة والبيان ولا تقابل بينهما ظاهرا الا انهما متقابلان من جهة المعنى لان قوله فانما اضل على نفسى فى قوة ان يقال

وقيل ما موصولة مراد بها ما سألتهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل نفعهم وقرباه قرباهم (ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى باسكان الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف اوخبر ثان اوخبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابوبكر وحمزة والكسائى الغيوب بالكسر كالبيوت والباقى بالضم كالشعور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب (قل جاء الحق) اى الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) و زهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابدآء و لا اعادة قال اقفر من اهله عبيد * فاليوم لايبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس اوالصنم والمعنى لاينشئ خلقا ولا يعيده اولا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الحق (فانما اضل على نفسى) اى وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء و بهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) فان الاهتدآء بهدايته و توفيقه (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه

مائم اضل بنفسى فالموضعان مشتملان على بيان السبب وان اشتمل الاول على بيان مآل الضلال ايضا (**قوله** تعالى ولوترى اذفزعوا) تتمة لتهديدهم هددهم الله تعالى اولا بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم وساق الكلام الى هنا ثم بين ان قدامهم امراه ئلا يفزعهم وهوانهم حيث ما كانوافهم من الله تعالى قريب لايفوتونه بل يأخذهم من ظهر الارض الى بطنها عند الموت اومن الموقف الى النار عند البعث اومن صحرآء بدر الى القليب يوم بدر اومن تحت اقدامهم اذاخسف بهم على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الآية نزلت فى خسف البيدآء وذلك ان ثمانين الفا يأتون من قبل المشرق يقال لهم السفيانية يقصدون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا بيدآء المدينة خسف بهم وقصتهم مذكورة فى تيسير الامام النسفى وقرأ العامة فلافوت مبنيا على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلافوت اى فلم يفوتوا واخذوا وقرئ فلا فوت واخذ فوعين منونين وقرئ بفتح فوت ورفع اخذ على الابتدآء من حيث كونه معطوفا على محل فلافوت ومحله الرفع على الابتدآء وخبره محذوف اى واخذ هناك اوعلى انه خبر مبتدأ محذوف اى وحالهم اخذ فيكون من عطف الجملة المثبتة على المنفية ولما تعين فى هذه القرآءة كونه معطوفا على قوله فلافوت ايد ذلك كونه معطوفا عليه فى قرآءة اخذوا ايضا (**قوله** تعالى وقالوا آمنا به) اى قالوا ذلك وقت فزعهم وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا اوعند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ نفى الله تعالى نفع الايمان عنهم بقوله وانى لهم التناوش والتناوش مبتدأ وانى خبره بمعنى من اين ولهم حال وهو تناول ماقرب منك بسهولة ولما انقضى وقت تناول الايمان وان كان انقضاؤه عن قريب صار ابعد مايكون لامتناع الوصول اليه ابدا بخلاف يوم القيامة بالنسبة الى اهل الدنيا فانه قريب لكونه فى صدد القرب والدنو شيأ فشيأ والغلوة مقدار رمية سهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان اى ارادة الاتصاف به خالصا بعد فوات وقته ومضيه وبعده عنهم اراته جعل تمثيلا اذ ليس فى قوله آمنا به تناول الشئ من المكان بل ليس فيه الا ارادة الاتصاف بالايمان بعد فوات وقته وكونه ابعد مايكون لامتناع الوصول اليه فتعين حمله على التمثيل وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة بعد الالف وقرأ الباقون بواو مضمومة فاحتملا ان يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما روى عن ابى عمرو انه قال التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اى ابطأت وتأخرت وفى الصحاح التناؤش بالهمزة التأخر والتباعد وقد نأشت الامر انأشه نأشا أخرته فانتأش ويقال فعله نئيشا اى اخيرا قال الشاعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى * وقد حدثت بعد الامور امور

اى انه تمنى اخيرا وان يكونا مادة واحدة وتكون الهمزة مبدلة من الواو للزوم ضمة الواو كما فى ادؤر وأجوه فى ادور ووجوه قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار يقال ناشه ينوشه نوشا اى تناوله قال الشاعر

فهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع اجواز الفلا

اى تناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء آخر والاجواز جمع جوز وجوز كل شئ وسطه ويحتمل ان يكون التناؤش بالهمز من النأش بمعنى التطلب كما فى قوله

اقحمنى جار ابى الجاموش * اليك نأش القدر النؤش

اى كتطلب القدر الطالب اقحمه اى كلفه واوقعه فى الامر الشديد من القحمة بالضم وهى المهلكة وقحم الطريق مصاعبه والجاموش لغة فى الجاموس (**قوله** ويتكلمون بما لم يظهر لهم) يعنى ان القذف بمعنى رمى اللفظة باللسان والتكلم من غير روية والغيب الشئ المغيب عنهم غير المعلوم لهم فان قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام انه شاعر ساحر مفتر كذاب ونحو ذلك تكلم بالغيب لانهم لم يشاهدوا منه عليه الصلاة والسلام شيأ من ذلك واتوا به من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام لان ابعد شئ مما جاء به السحر والشعر وابعد شئ من عادته التى عرفت بينهم الكذب والزور وكذا انكارهم احوال الآخرة رأسا وقولهم ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والحساب والميزان والثواب والعقاب فنحن بمعذبين لانه تعالى اكرمنا بالاموال والاولاد فلا يهيننا بالتعذيب فى دار اخرى فانه ايضا تكلم بالغيب يقذفون به من جهة بعيدة حيث قاسوا امر

(ولوترى اذفزعوا) عند الموت اوالبعث اويوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا (فلافوت) فلا يفوتون الله بهرب او بحصن (واخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها اومن الموقف الى النار اومن صحرآء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اولافوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلافوت هناك وهناك اخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم وقدمر ذكره فى قوله مابصاحبكم (وانى لهم التناوش) ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعدمافات منهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها اولانه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة شعر

اقحمنى جار ابى الجاموش * اليك نأش القدر النؤش

اومن نأشت اذا أخرت ومنه قوله شعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى

وقد حدثت بعد الامور امور

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام اوبالعذاب (من قبل) من قبل ذلك اوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن اوفى العذاب من البت على نفيه

(من مكان بعيد) من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى تمحلوا بها فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية اوعلى قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ماضيعوه من الايمان فى الدنيا (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الامم الدارجة (انهم كانوا فى شك مريب) موقع فى الريبة اوذى ريبة منقول من المشكك اوالشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى (جاعل الملائكة رسلا) وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه ويتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى ما زاد عليها لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح (يزيد فى الخلق مايشاء) استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس (ان الله على كل شئ قدير) وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة

الآخرة على امر الدنيا ومعلوم ان دار الجزاء لا تقاس بدار التكليف (قوله ولعله تمثيل لحالهم) وهى التكلم بما لم يظهر لهم من المطاعن فى حقه عليه الصلاة والسلام ومن البت فى نفى العذاب على وجه بعيد الاول من حاله عليه الصلاة والسلام والثانى من حكمة الله تعالى وعدله شبه حالهم هذه بحال من يرمى شيأ بكرهه من مكان بعيد (قوله والعطف على وقد كفروا) وهو جملة حالية فيكون ماعطف عليه ايضا حالا فكان الظاهر ان يقال وقذفوا بالغيب الا انه جيئ بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية بان قدر ان ذلك الفعل الماضى واقع فى حال التكلم كانك تحضره لمخاطب ليتعجب منه (قوله اوعلى قالوا) كانه قيل ولو ترى اذ قالوا آمنا به ويقذفون بالغيب اى ماغاب وفات عنهم وهو الايمان فى الدنيا ومعنى قذفهم اياه طلب تحصيله والاتصاف به بعد فوات وقته وعبر عنه برمى المطلب الغائب من مكان بعيد تشبيها له به فى كون المطلب مستبعدا بحيث لا يطمع فى حصوله (قوله موقع فى الريبة اوذى ريبة) فالمريب على الاول اسم فاعل من ارابه المتعدى وعلى الثانى من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ووقع فيها وعلى التقديرين اسناد الارابة الى الشك مجاز اسند فعل صاحب التشكيك الى الشك على الاول وفعل صاحب الشك الى نفس الشك على الثانى حيث جعل الشك ذا شك كما جعل الشعر شاعرا فان المريب بالمعنى الاول هو المشكك وبالمعنى الثانى هو الشاك اطلق كل واحد منهما على نفس الشك للمبالغة تمت سورة سبأ والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده فى اواسط آخر الجمادين من شهور سنة خمس وثلاثين وتسعمائة

(سورة الملائكة عليهم الصلاة والسلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله مبدعهما) اى موجدهما على غير مثال (قوله والاضافة محضة) اى معنوية وهى مالا يكون المضاف فيها صفة مضافة الى معمولها اما بان لا يكون صفة نحو غلام زيد او يكون صفة ولكن لا تكون مضافة الى معمولها كفاطر السموات لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى الماضى فاذا لم يكن له معمول فكيف يضاف الى معموله فتكون اضافته معنوية تكسبه تعريفا مما اضيف اليه فيصح كونه نعتا لله وفسر الفطر بالابداع وهو ايجاد الشئ لا على مثال سبق والفطر بهذا المعنى غير شائع الاستعمال بل المشهور ان الفطر بمعنى الشق ومنه فطر ناب البعير اى طلع وفطر العجين الاستعجال فى خبزه قبل وقته واختماره ولما كان هذان المعنيان غير مناسبين للمقام فسر الفطر بالايجاد الابداعى وجعله مأخوذا من الفطر بمعنى الشق لوجود معنى الشق فيه وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصير وبمعنى خالق فعلى الثانى يكون رسلا حالا مقدرة مثل فادخلوها خالدين وعلى الاول لا يخلوا ما ان يكون بمعنى الماضى او الحال والاستقبال فعلى الاول تكون اضافته محضة ويكون انتصاب رسلا بفعل مقدر اى وجعلهم رسلا لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل وعلى الثانى تكون اضافته لفظية مفيدة للتخفيف بحذف التنوين ويكون رسلا مفعولا ثانيا لجاعل بمعنى مصير واذا لم يتعرف بالاضافة لم يصلح صفة لله تعالى فيكون بدلا منه وكون اللفظ المشتق بدلا جائز على قلة (قوله اولى) صفة لرسلا ومثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة وتعليق الحكم بمجرد العدد لا يدل على حكم الزائد والناقص لا نفيا ولا اثباتا الا اذا علق الحكم على عدد هو علة لذلك كقوله عليه الصلاة والسلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فانه يدل على ثبوت ذلك الحكم فى الزائد على ذلك العدد لا فى الناقص عنه فتوصيف الاجنحة بما ذكر من مثنى وثلاث ورباع لا ينفى ان تكون اجنحة بعض الملائكة زائدة عليها (قوله بالخواص والفصول) لف ونشر مرتب اى ان اختلاف الاصناف بالخواص واختلاف الانواع بالفصول لما امتنع ان يكون لذواتهم المشتركة تعين ان يكون مقتضى المشيئة الالهية (قوله والآية متناولة) اى ليس المعنى انه تعالى يزيد فى خلق الاجنحة فقط مايشاء على ان يكون الاصل المزيد عليه الجناحين او الاعداد المذكورة فى الآية بل المعنى انه تعالى يزيد على اصل المخلوق مايشاء من الاعضاء والجوارح الظاهرة ومن المعانى والفضائل السنية فالمعنى على هذا يزيد فى اصل المخلوق من الملائكة وغيرهم كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعنه عليه الصلاة والسلام ان مايشاء زيادته على اصل المخلوق هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وعن قتادة هو الملاحة فى العينين وقيل هو متانة العقل وقوة التميز وقيل السخاء وقيل الرضى بالتقدير وقيل علو الهمة وقيل التواضع فى الشرف وقيل القناعة فى الفقر وقيل غير ذلك

مما تناوله كلمة ما بعمومها والحصافة بالحاء المهملة متانة العقل واحكامه فى الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل وحصف بالضم حصافة اى استحكم واحصاف الامر احكامه (قوله من تجوز السبب للمسبب) لما كان الفتح والاغلاق من عوارض الباب جعل الفتح مجازا عن الاطلاق والارسال على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب (قوله من رحمة) تبيين او حال من ما الشرطية ولا يجوز كونه صفة لما لان اسم الشرط لا يوصف فان ما شرطية منصوبة المحل بيفتح و يفتح مجزوم بها فلذلك قرئ مايفتح الله بكسر الحاء لالتقاء الساكنين ولو كانت موصولة لقرئ بضم الحاء سماها المصنف موصولا حيث قال لان الموصول الاول مفسر بالرحمة باعتبار ان الثانية موصولة بالاولى بحرف العطف فتكون الاولى موصولة بالثانية ايضا لان الوصلة تكون من الجانبين (قوله واختلاف الضميرين) اى ضمير لها وله بالتذكير والتأنيث مع كونهما راجعين الى ما اعتبار الجانب المعنى اولا حيث فسر الاول بالرحمة ولما فسر الثانى اعتبر فيه اصل التذكير وذكر ما يرجع اليه (قوله وفى ذلك) اى فى تفسير المرسل بالرحمة وعدم بقائه على عمومه ليعم الرحمة والعذاب وابقاء الممسك على عمومه اشعار بذلك حيث لم يتعرض لارسال العذاب وتعرض لامساكه وفى الآية اشعار بذلك ايضا من حيث انه قدم التعرض لارسال الرحمة فى الذكر ومن حيث انه نفى من يمسك الرحمة التى ارسلها الله تعالى نفيا مطلقا بان قال فلا ممسك لها ولم يقل لا ممسك لها غير الله وفى جانب ارسال ما امسكه الله نفى المرسل غيره ولم ينفه نفيا مطلقا بل استثنى فقال وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى غيره على ما وقع فى بعض التفاسير وما فى ما يفتح الله شرطية منصوبة المحل بيفتح ويفتح مجزوم بها ومثلها وما يمسك ومن رحمة تبيين او حال من اسم الشرط وقوله من بعده اى من بعد امساكه فحذف المضاف لدلالة معناه وذكر ثانيا حملا على لفظه حيث لم يفسر بمؤنث فبقى على اصل التذكير (قوله ثم انكر الخ) اشارة الى ان هل استفهام قصد به الانكار كأنه قال لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات فكيف تشركون المنحوت بمن له الملك والملكوت والافك بفتح الهمزة مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ قال تعالى اجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه اباءنا قرئ غير الله بالحركات الثلاث وقوله وعلى الاخير وهو ان يكون يرزقكم كلاما مبتدأ يكون اطلاق هل من خالق وهو عدم تقييده بكونه رازقا من السماء والارض مانعا من اطلاق لفظ الخالق على غير الله تعالى لانه تم الكلام حينئذ عند قوله ليس خالق سوى الله موجودا فلا يصح اطلاقه على غيره تعالى وانتفاء المقيد لا يستلزم انتفاء المطلق فيجوز ان يكون هنا خالق سوى الله ليس برازق وقرأ حمزة والكسائى بجر غير الله على انه صفة لخالق محمول على اللفظ والباقون بالرفع محمول على محله لانه مبتدأ محذوف الخبر ومن زائدة تقديره هل خالق غير الله فى الوجود ويرزقكم صفة خالق او هو خبر خالق ويحتمل ان يكون خالق مرفوع المحل باضمار يرزقكم ويرزقكم المذكور تفسيرا له اى هل يرزق خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض (قوله فان الاستفهام بمعنى النفى) تعليل لصحة البدل مع ان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا يجب نصبه فى كلام موجب نحو جاءنى القوم الا زيدا لانك لو ابدلت منه كان المبدل منه فى حكم الساقط فيؤدى الى التفريغ فى الموجب فى الواقع بعد الا وهو لا يجوز فلا يقال جاءنى الا زيد لفساد المعنى فلم يبق الا النصب فلولا ان الاستفهام بمعنى النفى لوجب ان لا يجوز الابدال فى غير (قوله او لانه فاعل خالق) لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام فوجد شرط عمله (قوله وقد نصب على الاستثناء) كانه قيل هل يرزقكم خالق الا الله وقد تقرر انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور (قوله او كلام مبتدأ) فانه لما نفى ان يكون فى الوجود خالق سوى الله بقوله هل من خالق غير الله توجدان يقال ما سبب انتفائه فقيل لان الخالق ينبغى ان يكون رازقا لما خلقه ولا تتم الخالقية الا بالرازقية والرازق من السماء بالامطار ومن الارض بالانبات ليس الا هو فعلى هذا الوجه يكون فى الآية دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل واما على الوجهين الاولين فلا دلالة فيهما على ذلك لان المعنى على ذينك الوجهين ليس خالق سوى الله صفته ان يرزقكم ونفى الخالق المقيد لا يدل على نفى الخالق مطلقا غير الله وتقييد الخالق على تقدير ان يكون يرزقكم صفة ظاهر واما تقييده على تقدير كون يرزقكم مفسر الرافع وهو خالق محلا فان المعنى حينئذ نفى رازقية خالق غير الله فيئول المعنى الى نفى الخالق المقيد وهو ظاهر (قوله فوضع فقد كذبت موضعه) يعنى لا يصلح جزاء الشرط لان المعلق بالشرط حقه ان يكون بعده فى الوقوع وتكذيب الرسل واقع قبل تكذيب

(مايفتح الله للناس) مايطلق لهم و يرسل وهو من تجوز السبب للمسبب (من رحمة) كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة (فلا ممسك لها) يحبسها (ومايمسك فلا مرسل له) يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على مايشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه (الحكيم) لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال (ياايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون) فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الكفر باشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى اولانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له اوكلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) اى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة (والى الله ترجع الامور) فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب

(ياايها الناس ان وعد الله) بالحشر والجزآء (حق) لاخلف فيه (فلاتغرنكم الحيوة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (ولايغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود (ان الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم (انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير) وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء الامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرأه حسنا) تقرير له اى أفمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الخبر لدلالة (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة (فلاتذهب نفسك عليهم حسرات) عليه ومعناه فلاتهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليست صلة لها لان صلة المصدر لاتتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه

قريش فلابد ان يكون الجزآء حقيقة ما هو المسبب عن تكذيب الرسل وهو التأسى استغنى بذكر سببه عنه وحقيقة قولك ان اكرمتنى الآن فقد اكرمتك امس ان اكرامك اياى الآن بعد اكرامى اياك امس فنفس اكرام المتكلم وان كان سابقا على اكرام المخاطب لكن عد المخاطب اياه متفرع على عد اكرامه للمتكلم فصلح جزاء بهذا التأويل والغرور بالفتح صيغة للمبالغة كالصبور والشكور وبالضم اما جمع غار كقاعد وقعود واما مصدر كالجلوس (قوله عداوة عامة قديمة) كانه حمل تنكير عدو على التعظيم كتنكير رسل ويحتمل انه حمله على النوعية كما فى قوله تعالى وعلى ابصارهم غشاوة لما نهى الله تعالى عن الاغترار بتسويل الشيطان الاصرار على المعاصى اعتمادا على عفو الله تعالى وسعة رحمته بقوله لايغرنكم بالله الغرور اتبعه بما يمنع العاقل من الاغترار به وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلاتسمعوا قوله واشتغلوا بما يعنيكم من العمل الصالح الذى هو طريق محاربته وقهره لانكم ان تركتم معاداته وسلكتم سبيل ارضائه باتباعكم اياه فانه لايؤديكم الا الى السعير (قوله تقرير له) حيث انكر مساواة الفريقين فى الجزآء (قوله فحذف الخبر لدلالة فان الله يضل من يشاء الآية) وفى بعض النسخ فحذف الجواب وكلا هما صحيح فان من فى قوله تعالى أفمن زين له سوء عمله يجوز ان تكون موصولة وان تكون شرطية ومحلها على كلا التقديرين الرفع بالابتدآء والخبر والجواب محذوف واختلف فى تقديره فاختار المصنف انه كمن لم يزين له ذلك واستدل عليه بقوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجه دلالته على ذلك انه يقتضى ان يكون الكلام السابق مشتملا على ذكر من يهديه وهو من لم يزين له لان معنى تزيين سوء العمل والاضلال واحد فكانه قيل فان الله يزين سوء العمل لمن يشاء ولايزينه لمن يشاء واختار الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الخبر والجواب لدلالة فلاتذهب نفسك عليهم فانه يقتضى سبق معنى ان نفسه تذهب عليهم حسرة (قوله ومعناه فلاتهلك نفسك عليهم) اشارة الى ان قوله فلاتذهب نفسك بفتح التاء والهاء ورفع نفسك كما هو قرآءة العامة من باب لا ارينك ههنا من حيث ان النهى فى الظاهر متعلق بنفسه صلى الله عليه وسلم فنهاها عن ان تهلك عليهم حسرة واغتماما على غيهم واصرارهم على التكذيب والمراد نهى المخاطب عن اهلاك نفسه كما ان قولك لا ارينك ههنا فى الظاهر نهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب والمراد نهى المخاطب ان يحضر هناك اى عن ان يتعاطى اسباب ذلك وقوله تعالى فلاتذهب نفسك من قولهم ذهب فلان اذا هلك والحسرة شدة الحزن على مافات من الامر وقوله للحسرات اشارة الى انتصاب حسرات على انه مفعول له وجوز صاحب الكواشى انتصابها على الحالية على معنى لاتهلك نفسك حال صيرورة كلها حسرات بشرط التحسر او على معنى متحسرات كانه قيل متحسرة الا انها جمعت للدلالة على تعدد حسراتها وتكررها (قوله غير ان الاولين دخلتا على السبب) فكانه قال بعد ما بين اختلاف جزآء الفريقين واوعد لاحدهما ووعد الاخر وذلك لسبب ان المسئ ليس كالمحسن فى الجزآء ثم هذه الجملة متضمنة لاختلاف افراد الانسان بالاساءة والاحسان وان بعضا منها تميز عنده الاساءة من الاحسان والخير من الشر والبعض الآخر منها انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا مع تساوى تلك الافراد بحسب الحقيقة فلايكون ذلك باستقلال منهم بل هو مستند الى ارادة الفاعل المختار وبين ذلك بان قال فان الله يضل من يشاء الآية فكانه قال وذلك بسبب ارادة الفاعل المختار المختار له فان من علم منه اختيار الضلال يضله ومن علم منه اختيار الاهتدآء يهديه كل ذلك على حسب مشيئته وقوله فلاتذهب نفسك عليهم حسرات جواب شرط محذوف اى اذا علمت ان الامر كله بيد الله ويتوقف على ارادته ومشيئته فلاتهلك نفسك اغتماما على عدم اهتدآئهم بهدايتك والجزآء مسبب على الشرط (قوله وجمع الحسرات للدلالة) اى على كثرة افراد نفس اغتمامه او للدلالة على كثرة افراد ما يكون سببا لاغتمامه من احوالهم القبيحة فعلى الاول تكون حسرات حقيقة وعلى الثانى تكون مجازا مرسلا على طريق اطلاق اللازم وارادة الملزوم (قوله بل صلة تذهب) كانه اراد به صلته باعتبار تضمينه معنى الشرط ومعنى التحسر فكانه قيل فلاتتحسر عليهم فيجوز حينئذ ان يكون انتصاب حسرات على انه مفعول مطلق له (قوله او بيان للمتحسر عليه) كانه لما قيل له عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك حسرات فكانه قال على من فقيل عليهم على ان عليهم متعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر ولايجوز ان يتعلق بالظاهر لما ذكرناه وقوله والفاآت الثلاث هى التى فى قوله أفمن زين له سوء عمله وفى قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وفى قوله فلاتذهب نفسك الخ للسببية فان الفاء التى لغير العطف لاتخلوا عن افادة

معنى الترتب وهى التى تسمى فاء السببية وتختص بالجمل وتدخل على ما هو جزاء الشرط نحو ان لقيته فاكرمه ومن جاءك فاعطه ويرون تقدمها نحو زيد فاضل فاكرمه ويعرف دخولها على الجزاء بان يصح تقدير اذا او الشرط قبل الفاء ويجعل مضمون الكلام شرطا لما بعده كما فى مثالنا هذا فان المعنى فيه ان كان كذا فاكرمه قال تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب وقال تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها اى اذا كان عندك هذا الكبر فاخرج وقال رب فانظرنى اى اذا كنت لعنتنى فأنظرنى وقال فانك من المنظرين اى اذا اخترت الدنيا على الآخرة فانك من المنظرين والفاء الداخلة على المسبب اكثر من ان تحصى وكثيرا ما تكون الفاء السببية بمعنى اللام السببية وذلك اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها كقوله تعالى فانك رجيم وتقول اكرم زيدا فانه فاضل وهذه الفاء تدخل على ما هو شرط فى المعنى كما ان الاولى دخلت على ما هو الجزاء فى المعنى فانك تقول زيد فاضل فاكرمه وتعكس وتقول اكرمه فانه فاضل والتى فى الآيتين الاولتين دخلت على السبب وكانت بمعنى اللام السببية (**قوله على حكاية الحال الماضية**) بيان لوجه مجيء قوله فتثير بلفظ المضارع مخالفا لارسل مع انه عطف عليه ومعنى حكاية الحال ان يقدر ان ذلك الفعل الماضى واقع فى حال التكلم وانما يفعل هذا فى الفعل المشتمل على نوع غرابة كانك تحضره للمخاطب وتصوره له ليتعجب منه ويفعل هذا ايضا فى الفعل المبهم للمخاطب فيستحضر ليحصل له الوثوق بحصوله فكذا يفعل فى الفعل السار او المحزن ليقوى السرور او الحزن كما ان مشاهدة الامر الغريب ادخل فى افادة التعجب من سماع خبره (**قوله ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية**) وجه ثان لوجه مجيء فتثير بلفظ المضارع وتقريره ان المراد بقوله فتثير الاخبار بان الرياح فى حال احداثها فارسالها تثير السحاب وان اثارتها مقارنة لحال ارسالها وهذا المعنى لا يفهم من لفظ الماضى وليس معنى تثيرانها تثير السحاب حال التكلم كما هو المعنى على كونه لحكاية الحال الماضية بل معناه انها تثير حال احداثها بحيث كأنه الاثارة من لوازم ذاتها وللتنبيه على هذا المعنى اسندت الاثارة الى الرياح والا فهى فى الحقيقة مسندة الى الفاعل المختار كسوق السحاب الى البلد الميت وقوله ويجوز ان يكون الخ وجه ثالث للاختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه بحسب اقتران مدلول احدهما بالماضى والآخر بالحال فانه لما كان الامر مستمرا فى جميع الازمنة وان كل واحد من التعبيرين مطابق للواقع عبر عن الماضى والحال بالاحوال تغليبا والمراد بلفظ الجمع فى قوله اختلاف الافعال وفى بعض النسخ اختلاف الاحوال ما فوق الواحد (**قوله وذكر السحاب كذكره**) يعنى ان المطر كانه من معانى لفظ السحاب من حيث انه يصح اطلاق السحاب عليه مجازا بطريق اطلاق اسم السبب المادى على المسبب فيكون ارجاع ضميره به الى المطر المدلول عليه بلفظ السحاب من قبيل الاستخدام بهذا الوجه وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بالضمير العائد الى ذلك اللفظ معناه الآخر (**قوله او بالسحاب**) عطف على قوله بالمطر فيكون المراد بضمير السحاب وباسمه الظاهر معنى واحد وهو حقيقة السحاب وجعله سببا لاحياء الارض اما لكونه سببا ماديا لما هو سبب الاحياء او لكونه سببا بنفسه عند تبدل حاله الى المطرية ومبنى الوجهين تغاير السحاب والمطر بالذات ان كان احدهما سببا للاخر واتحادهما بالذات ان كان تغايرهما بسبب الاحوال والاوصاف كانه باعتبار تخلخله وانبثاثه سمى سحابا وباعتبار تكاثفه وتقاطره سمى مطرا فقوله او الصائر مطرا عطف على قوله سبب السبب (**قوله بعد يبسها**) لما كانت رطوبة الارض مبدأ الآثار المترتبة عليها من الانبات والتربية وصارت شبيهة للحياة التى هى مبدأ الحس والحركة الارادية وكان زوال تلك الرطوبة عن الارض شبيها بزوال الحياة عن الحيوانات استعير حياة الارض لرطوبتها وموت الارض ليبسها استعارة تصريحية (**قوله والعدول فيهما من الغيبة**) فى الآية اربعة مسانيد متعاطفة عدل فى كل واحد من الثلاثة الاخيرة عن سنن المعطوف عليه الاول وهو ارسل اما قوله فتثير فهو معدول عن سننه من وجهين من حيث مضارعته ومن حيث اسناده الى ضمير الرياح وارسل مسند الى ضمير اسم الله تعالى وقد ذكر للعدول بالوجه الاول ثلاثة اوجه وفرع على الوجه الثانى منها وجه اسناده الى ضمير الرياح واما قوله فسقناه مع قوله فاحيينا به فان كل واحد منهما معدول عن سننه من حيث انه مسند الى ضمير الغائب وهما مسندان الى ضمير المتكلم وذكر وجه عدولهما بهذا الوجه بقوله والعدول فيهما الخ وتقريره موقوف على بيان كون الاسناد الى ضمير اسم الله الذى هو علم الذات المتعينة فى نفسها والى بيان اشتمالها

(الله الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح (فتثير سحابا) على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر (فسقناه الى بلد ميت) قرأ نافع وحمزة والكسائى بتشديد الياء (فاحيينا به الارض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع

على مزيد الصنع اما الاول فلان اسناد ارسل الى ضمير اسم الله وان افاد اختصاص الارسال به تعالى الا ان الاسناد الى ضمير المتكلم ادخل فى افادة الاختصاص المذكور وادل عليه من حيث ان ضمير المتكلم اعرف المعارف والمسند اليه كلما كان اكشف واوضح كان الاسناد اليه ادخل فى افادة اختصاص المسند واما بيان اشتمالها على مزيد الصنع فلان احداث الرياح واثارتها السحاب لا يتوقفان على سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض به بخلافهما وان الاولين وسيلة محضة اليهما وانهما مقصودان اصليان يترتب عليهما مصالح شتى اذا تقرر هذا فنقول لما كانت الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى على الحشر والجزاء واثبات قوله ان وعد الله حق باثبات ما هو من دلائل القدرة الباهرة له تعالى على وجه يخصه ولا يشاركه احد مما سواه فى شئ من ذلك ناسب ان يسلك فى اسناده ما هو ادل على كمال القدرة اليه تعالى الى طريقة تكون ادخل فى افادة الاختصاص فلذلك عدل من الغيبة الى التكلم فى اسناد السوق والاحياء اليه تعالى (قوله اى مثل احياء الموات نشور الاموات) اى من القبور اشارة الى ان النشور مبتدأ والكاف فى محل الرفع على انه خبر له ووجه المماثلة من وجوه احدها ان الارض الميتة كما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاجساد الميتة تقبل الحياة وثانيها كما انا نسوق السحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت نحن قدر على احياء الموات بالطريق المذكور يقدر على احياء الاموات وبعثها من القبور ولا فرق بينهما الا باحتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه ولا احتمال لذلك فى المقيس فان النشور الموعود هو احياء كل واحد من الاموات المخصوصة باعادة الروح الذى فارقه بعينه اليه بخلاف المقيس عليه فانه يحتمل ان يكون احياء الارض الميتة بان يساق اليها من الامطار والرطوبات غير الذى فارقها فليس لقائل ان يقول بناء على هذا الفرق القياس المذكور لا يثبت صحة مقدور بة احياء الاموات لانه قياس مع الفارق فانه لا يلزم من مقدورية احياء الاموات بالحياة المبتدأة مقدورية احياء الاموات بحياتها الاولى لانا نقول هذا الفرق لا يضر لصحة القياس لانه لا مدخل لاحتمال اختلاف المادة فى صحة مقدورية احياء الاموات (قوله فليطلبها من عنده) يعنى ان قوله تعالى من كان يريد شرط وجوابه مقدر وقوله فلله العزة جميعا دليل للجواب المقدر اقيم مقام المدلول واستغنى عنه وليس جوابا له لوجهين احدهما ان العزة لله تعالى مطلقا وليست مشروطة بارادة احد اياها وثانيهما انه لا بد فى الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط ولم يوجد ضمير وجميعا حال والعامل فيها الاستقرار فمعنى الآية من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهذا دعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من اراد المال فالمال لفلان فليطلبه من عنده ويدل على صحة هذا التأويل ما روى انه قال عليه الصلاة والسلام ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن اراد عزة الدارين فليطع العزيز ثم بين طريق الطاعة وطريق طلب العزة عنده فقال اليه يصعد الكلم الطيب والكلم جمع كلمة وذكر صفتها حملا على اللفظ كما فى قوله اعجاز نخل منقعر (قوله وصعودهما اليه مجاز) لان انتقال الاعراض عن موضوعاتها مع بقائها على هوياتها المخصوصة مستحيل لان موضوعاتها من جملة مشخصاتها فاذا تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وفى قوله وصعودهما اشارة الى ارتفاع قوله والعمل الصالح بالعطف على الكلم الطيب فيكون كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح صاعدا اليه تعالى بصعود صحيفته اليه تعالى او بكونه مقبولا فيكون قوله يرفعه كلاما مستأنفا لبيان ما يصعد العمل على ان يكون المستكن فى يرفعه للكلم والبارز للعمل ويكون المعنى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح بان يقبل بسببه لان طاعة الكافر مردودة ويؤيده نصب العمل الصالح على الاشتغال فان الضمير المرفوع حينئذ يكون للكلم اولبيان ما يصعد الكلم الطيب وهو العمل على ان يكون المستكن فى يرفعه للعمل والبارز للكلم ويكون المعنى ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ولما كان الكلم الطيب مقبولا عند اهل السنة وان كان صاحبه عاصيا بين ان المراد بكون العمل رافعا الكلم الطيب كونه محققا للايمان ومقويا له ويرفعه كلام مستأنف اولبيان من يصعدهما فالمستتر المرفوع فى يرفعه يرجع الى الله تعالى والبارز المنصوب الى كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح وقيل وحد الضمير المنصوب مع رجوعه الى شيئين ذهابا به مذهب اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك بعد قوله لا فارض ولا بكر وقيل لاشتراكهما فى صفة واحدة وهى الصعود وقيل العمل الصالح مبتدأ ويرفعه خبره والمستتر فيه لله والبارز للعمل اى والعمل الصالح يرفعه الله اليه

(كذلك النشور) اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش فينبت منه اجساد الخلق (من كان يريد العزة) الشرف والمنعة (فلله العزة جميعا) اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك

وقيل المستتر ضمير العمل والبارز للكلم بمعنى ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب اليه تعالى ومثل هذا فسر اكثر المفسرين وقيل عليه انه لا يصح على مذهب اهل السنة لان الكلم الطيب مقبول عندهم بدون العمل الصالح اشار المصنف الى جوابه بان الرفع حينئذ بمعنى التقوية والتصديق اى العمل الصالح يزيده شرفا (قوله فحيى بها وجه الرحمن) يقال حياك الله اى ابقاك على انه من الحياة وقيل هو من استقبال المحيا وهو الوجه وهذا هو اللائق ههنا فمعنى حيى بها استقبل بها وجه الرحمن على سبيل الاستعارة التمثيلية روى عن الحسن وقتادة ان الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان الا ما قرر فى القلوب وصدقه الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (قوله تعالى والذين يمكرون السيئات) فى انتصاب السيئات وجهان احدهما انها نعت لمصدر محذوف اولما فى حكمه وتقديره يمكرون المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات لان ما اضيف الى المصدر مما هو وصف له فى المعنى بمنزلة المصدر فى انه يصح انتصابه بالفعل اللازم كالمصدر اوهو مصدر من معنى يمكرون لا من لفظه والمعنى يسيئون السيئات لان المكر اساءة وثانيهما انها مفعول به على تضمين يمكرون معنى يكسبون و يعملون لان المكر كسب وعمل ودار الندوة هى التى بناها قصى بمكة كانوا يجتمعون فيها للمشاورة لان يتفقوا على رأى فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم و يمكروا به كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك والاثبات الحبس وقيل جرح موهن لا يقدر المجروح معه على الحركة لما بين الله تعالى ان العزة انما تطلب بالطاعة وهى التوحيد والعمل الصالح بين ان العمل السيئ يذل صاحبه و يؤديه الى عذاب شديد فى الدنيا والآخرة (قوله لا يوبه دونه) يقال فلان لا يوبه به اى لا يبالى به و يقال بار عمله بورا اذا بطل وفسد (قوله كما دل عليه بقوله) فانه تعالى بين اولا كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب ثم بين كمال علمه بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه فان ما فى الارحام قبل ان يكتسى صورة البشر بل بعده ما دام فى البطن لا يعلم احد حاله كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيأ فكيف يعلمه غيرها ثم بين ان الاشياء كلها مقدرة فى كتاب وان القلم فرغ من كتبه مقاديرها واحوالها فلا يعتريها التبدل والتغير بالمكر والحيلة وهذه الآية اشارة الى دلائل الانفس بعد الفراغ من ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الرياح فان دلائل القدرة الكاملة والعلم المحيط مع كثرتها منحصرة فى قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم فالله تعالى خاطب كفار قريش بان اصلكم ومبدأ خلقتكم هو التراب بسبب انكم فروع آدم المخلوق من التراب فاذا كان التراب مبدأ اصلكم آدم عليه الصلاة والسلام يكون مبدأ لكم ايضا بواسطته و يمكن ان يقال ان اولاد آدم كلهم مخلوق من تراب ومن نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهى بالاخرة الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة (قوله من مصيره الى الكبر) اشارة الى ان معنى الآية وما يعمر احد وعبر عنه بالمعمر باعتبار ان مصيره اليه ومن شأنه ان يعمر واحتيج الى هذا التأويل لان تعمير المعمر بمعنى ممدود العمر غير مستقيم لانه تحصيل الحاصل يعنى ان المراد من التعمير المد فى العمر ومن المعمر من مصيره الى الكبر و يؤول امره اليه اذ لا معنى لتعمير المعمر بمعنى ممدود العمر بالفعل لانه تحصيل للحاصل ولما كان المعمر بمعنى ما من شأنه ان يعمر وانه سمى معمرا باعتبار ما يؤول اليه كان ضمير عمره فى قوله ولا ينقص من عمره راجعا الى المعمر بالمعنى المذكور اذ لو كان المراد بالمعمر هو طويل العمر حقيقة وضمير عمره راجعا الى المعمر بهذا المعنى للزم ان يجتمع طوله ونقصانه فى شخص واحد وهو محال فمعنى الاية ولا ينقص من عمر من شأنه ان يعمر بان يعطى له عمر ناقص من عمر غيره فقد نسب الى شخص واحد من شأنه ان يصير الى الكبر ان يكون ممدود العمر بوصوله الى حد الكبر وان يكون منقوص العمر بالنسبة الى غيره اى الى من هو اطول عمرا منه ولا استحالة فيه فقوله لغيره متعلق بقوله ينقص ولما كان المتبادر من قوله ينقص من عمر المعمر لاجل غيره ان يعمر الغير بما انقص من عمر المعمر وهو باطل فسره بقوله بان يعطى له عمر ناقص من عمر المعمر لغيره ذكر فى ضمير عمره ثلاثة اوجه الاول ان يرجع الى ما اريد بالمعمر المذكور اولا ولما ورد عليه ان الشخص كيف يكون ممدود العمر ومنقوصه معا اجاب بان مد عمره بالنسبة الى من هو اقصر عمرا منه ونقص عمره بالنسبة الى من هو اطول منه عمرا والمستحيل ان يكون شخص واحد بعينه ممدود العمر ومنقوصه فى نفسه لا بالنظر الى غيره وقوله لغيره متعلق بينقص اى لا ينقص نقصا معتبرا بالنسبة الى غيره

وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقرآءة القرءآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل (والذين يمكرون السيئات) المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتدارسهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه (لهم عذاب شديد) لا يوبه دونه بما يمكرون به (ومكر اولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله (والله خلقكم من تراب) بخلق آدم منه (ثم من نطفة) بخلق ذريته منها (ثم جعلكم ازواجا) ذكرانا واناثا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) الا معلومة له (وما يعمر من معمر) وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر

من هو اطول منه عمرا كما كان المد ايضا معتبر بالنسبة الى غيره الذى هو انقص عمرا والثانى ان يرجع الى المنقوص عمره المدلول عليه بذكر مقابله والثالث ان يرجع الى المعمر لاباعتبار تعلق الفعل السابق به (**قوله** اولا ينقص من عمر المنقوص عمره) اى و يحتمل ان لايرجع ضمير عمره الى المعمر بل يرجع الى المنقوص عمره المدلول عليه بذكر مقابله ويحتمل ان يرجع الى المعمر لابمعنى من مصيره الى الكبر بل بان يكون كل واحد من الاسم الظاهر والضمير بمعنى من اعطى له العمر فكانه قيل ومايعمر من احد ولاينقص من عمره واعيد الضمير الى الاحد (**قوله** ثقة بفهم السامع) واما من الالتباس اذ لايذهب الوهم الى ان يكون المراد من الاحد الذى رجع اليه الضمير عين الاحد الذى نسب اليه طول العمر لاستحالة ان ينقص عمر طويل العمر فيعلم كل احد ان المراد بالمعمر الثانى معمر آخر كما فى المثال المذكور فكانه قيل ومايعمر معمر ولاينقص من عمر معمر ولامحذور فيه لان المعمر الثانى غير الاول بالذات وان اطلق على كل واحد لفظ المعمر بمعنى ما من شأنه ان يعمر فان مفهوم المعمر تحته افراد كثيرة والفرق بين الوجه الاول و بين قوله وقيل الزيادة الخ و بين قوله وقيل المراد الخ مع ان ضمير عمره فى الكل للمعمر المذكور اولا ان الزيادة والنقصان فى الوجه الاول باعتبار النسب كما مر وفى الوجه الثانى باعتبار الشروط والاسباب وفى الوجه الثالث باعتبار ان من قدر له اجل وكتب فى صحيفته عمره كذا و كذا مدة والمراد بما ينقص من عمره مايمر من عمره فينقص شيأ فشيأ اذ اتصاف الشخص الواحد بالاوصاف المتضادة لاجل اختلاف النسب فى الاول ولاجل اختلاف الشروط والاسباب فى الثانى ولاجل اختلاف المحمول فى الثالث لان المعنى مايمر ينقص من عمره مايقدر له اصل العمر و يمضى من عمره شيأ فشيأ كما روى عن سعيد بن جبير انه يكتب فى ام الكتاب ان عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره (**قوله** وعن يعقوب ولاينقص على بناء الفاعل) ونقص يستعمل متعديا ولازما يقال نقصت الشئ نقصا ونقص الشئ نقصانا فهو فى قرآءة الجمهور متعد ليس لازما واما على هذه القرآءة فيجوز ان يكون لازما على معنى ولاينقص شئ من عمره وان يكون متعديا على معنى ولاينقص الله شيأ من عمره كما هو معنى قرآءة الجمهور (**قوله** ضرب مثل للمؤمن والكافر) اى بيان مماثلة لهما بالبحر العذب والملح اى تشبيه المؤمن بالبحر العذب من حيث ان المؤمن باق على الفطرة الاصلية والوصف المقصود من حقيقة الانسان كما ان البحر العذب باق على الحالة الاصلية والوصف المقصود من حقيقة الماء وان الكافر مغير عن الفطرة الاصلية والكمال المطلوب منه كما ان البحر الملح كذلك فذكر البحران واريد المؤمن والكافر ونفى الاستوآء لتفاوت مافيهما من الوصفين كتفاوت مابين البحرين واذا لم يستو المصدق والمكذب فى الثبات على اصل الفطرة فلابد ان يفترقا فى المجازاة واذا لم تقع بينهما التفرقة فى الدنيا فمن ضرورية البعث والقيامة ولما استعير لفظ البحرين للمؤمن والكافر كان قوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مستعارا للبقاء على الحالة الاصلية والتغير عنها اورد تعليلا لانتفاء استوآء البحرين مستعارا لانتفاء الوصف المقصود من كل واحد منهما بتشبيه عدم تساوى المؤمن والكافر بعدم تساوى البحرين واذا لم تقع بينهما تفرقة فى الدنيا فمن ضرورية البعث والنشور تشبيها تمثيليا وهو التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من امور متعددة (**قوله** تعالى هذا عذب فرات الخ) فى موقع التعليل لانتفاء استوآء البحرين وشرابه يجوز ان يكون مبتدأ وسائغ خبره والجملة خبر ثان وان يكون سائغ خبرا وشرابه فاعلا له لاعتماده على المبتدأ يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اى سهل دخوله فى الحلق لعذوبته لاينفر منه شاربه بل يجذبه طبعه لملائمته له وسغته انا يتعدى ولايتعدى والفرات المتناهى فى العذوبة والاجاج الماء الذى كان فى غاية الملوحة والمرارة بحيث يحرق مااصابه لملوحته من اجت النار تؤج اججا اى التهبت والأجة شدة الحر وتوهجه والشئ الذى له ملوحة فى اصل خلقته يقال له ملح ماء كان اوغيره وما كان فيه ملوحة عارضة يقال له مالح فلا يقال للبحر اذا كان فيه ملوحة مالح لانه ليس ماجاوره ملح بل هو فى اصل خلقته كذلك وقول من قال ان ملح على فعل فى قرآءة من قرأ مقصور من مالح ضعيف لان اطلاق المالح على ماء البحر لغة شاذة والاصل ان يقال ان ملحا بالفتح والكسر لغة فى ملح بالكسر والسكون (**قوله** استطراد فى صفة البحرين) لانه لادخل له فى التمثيل ولافى بيان عدم التسوية ليكون من تتمة قوله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج بل ظاهره افادة التسوية بينهما فاذا لم يكن له مدخل فيما سيق له الاية تعين كونه استطرادا (**قوله** كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوآئد لايستويان)

(ولاينقص من عمره) من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره اولاينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه اوللمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لايثيب الله عبدا ولايعاقبه الا بالحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان مايمر من عمره و ينقص فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولاينقص على بناء الفاعل (الافى كتاب) هو علم الله اواللوح اوالصحيفة (ان ذلك على الله يسير) اشارة الى الحفظ اوالزيادة والنقصان (ومايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج) ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) استطراد فى صفة البحرين ومافيهما من النعم اوتمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوآئد لايستويان من حيث انهما لايتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لايتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى و بقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر

متعلق بقوله لا يستوي المؤمن والكافر (قوله او تفضيل للاجاج على الكافر) من حيث ان الاجاج يشارك الفرات في منافع كثيرة فان اللحم الطري يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما والفلك تجرى فيهما ولا منفعة للكافر فالآية على هذا التوجيه مثل قوله اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قيل نسب الحلية الى كل واحد من البحرين مع انها انما تستخرج من الملح دون العذب وذكر في توجيه الآية انه قد يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح وتغلب عليه في بعض المواضع فيتفق ان اللؤلؤ يستخرج من ذلك الموضع الذي عذب ماؤه وهو من مواضع الاجاج حقيقة ولفظ فيه في قوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر يجوز ان يكون صلة مواخر وترى بصرية تتعدى الى واحد وهو الفلك ومواخر حال من الفلك وهو جمع ماخرة يقال مخرت السفينة الماء اى شقته اى ترى الفلك في كل واحد منهما تشق الماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (قوله وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال) اى ظاهر حال المخاطبين المنعم عليهم بهذه النعم فانه يدل على انه تعالى انما انعم عليهم بالبحرين وما فيهما من جلائل النعم ليستدلوا بها على وجوده ووحدانيته وانما قلنا باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال لعدم استقامتها نظرا الى حقيقة الحال لان الله تعالى يحيط علمه بانفس الامور وعواقبها فيستحيل عليه الترجي لانه لا يتأتى ممن يعلم عاقبة الامر وتحقيق كلامه ان الآية الكريمة من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه معاملته تعالى مع المكلفين بان منحهم عظائم احسانه واظهرهم على دلائل قدرته واراد منهم ان يعرفوا حق احسانه ويشكروه بصورة معاملة من يرجو ويؤمل فعبر عن معاملته تعالى معهم بمعاملة اهل الرجاء ولما ضرب الله تعالى مثلا للمؤمن والكافر ثم ذكر على سبيل الاستطراد صفات البحرين وما فيهما من النعم ليستدلوا بها على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال قدرته كما اشار اليه بقوله ولعلكم تشكرون اشار الى الاستدلال عليه بوجه آخر وهو الاستدلال باختلاف الازمنة وما يؤدي اليه من تسخير الشمس والقمر فقال يولج الليل في النهار اى يدخله فيه ويأخذ من هذا ويزيد في الآخر ويولج النهار في الليل كذلك وتسخير الشمس والقمر جعلهما منقادين لما امر به من الطلوع والغروب على النسق المأمور به وعلى الوجه الذي يتعلق به مصالح العباد ومعايشهم وعدم امتناعهما عن شئ من ذلك (قوله هي مدة دوره) فالمعنى كل من الشمس والقمر يجرى في مدته التي جعلها الله لهما فالقمر يقطع السماء في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وكل منهما يجرى الى ان يبلغ منتهى منازله في دوره او كل من الليل والنهار والشمس والقمر يجرى في الدنيا على العادة المعروفة الى ان يجئ الاجل المسمى عند الله تعالى في نقض هذه العادة بقيام الساعة وانشقاق السماء وانتثار الكواكب (قوله الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء) من فطر السموات والارض وجعل الملائكة رسلا وارسال الرياح واحياء الموات وخلق الانسان من التراب وغير ذلك (قوله وفيها اشعار الخ) وجه الاشعار ان تعليق الحكم بما هو متميز باوصاف معدودة يفيد علية تلك الاوصاف لذلك الحكم اى ذلك الذى فعل هذه الاشياء هو المتصف بالالوهية وانه مالككم ومربيكم بما يصلحكم وله الملك كله فله العبادة كلها وما تدعونه لا يفعل شيأ من ذلك فلا يثبت له شئ من هذه الاخبار المترادفة والقران ما يقرن به شيئان وعلى هذا الاحتمال يكون والذين تدعون معطوفا على قوله له الملك وعلى الاول يكون معطوفا على مجموع قوله ذلكم الله ربكم له الملك (قوله لعدم قدرتهم على الانتفاع) اشارة الى ان معنى الآية وان تدعوهم لا ينفعوكم ولم يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا فرضا ما اجابوا لكم فيما تطلبونه منهم اما لعجزهم عن ذلك واما لتبرئهم منكم واو لمنع الخلو والفرق بين الدليلين ان الاول لا ينافي اصل الاجابة وانما ينافي ما يتفرع عليها بخلاف الثاني فانه ينافيهما معا ولما بين الله تعالى عدم نفعهم في الدنيا بين انهم في الآخرة يتضررون بهم بقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم اى باشراككم بالله غيره على ان الشرك مصدر مضاف الى الفاعل وكفر اشراكهم اياهم مع الله بمعنى انكار حقيته وتقبيحه والشهادة على بطلانه او بمعنى انكار ان يكون من اشركوه بالله تعالى هو انفسهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون بل كنتم تعبدون من سول لكم ذلك من الشياطين (قوله والمراد تحقيق ما اخبر به) لانه اذا لم يكن اخبار احد من المخبرين مثل اخبار من احاط علمه بجميع المعلومات وعلم بما كان وما يكون قبل ان يكون وهو الله تعالى يكون ما اخبر به حقا واقعا لانه اذا نفى التماثل لمن يحيط علمه بجميع المعلومات في كون علمه بالاشياء واخباره بها كما هي في انفسها وعلى حقيقتها لزم ان يكون ما اخبر به حقا واقعا (قوله وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم) يعني ان الاصل ان يكون المبتدأ معرفة

او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشاركه فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت (وترى الفلك فيه) في كل (مواخر) تشق الماء بجريها (لتبتغوا من فضله) من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة (ولعلكم تشكرون) على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك) الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض (ما استجابوا لكم) لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به عن حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله) في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا

والخبر نكرة و يكون المعنى الشئ الفلانى الذى تعرفه ثبت له الحكم الفلانى الذى لا تعلمه وقد يعرف الخبر ليفيد كونه مقصورا على المبتدأ مخصوصا به وههنا ليس الفقر مقصورا على المخاطبين لان الممكنات باسرها مفتقرة اليه تعالى فى اصل وجودها وتوابعه واجاب عنه بان التعريف هنا يفيد القصر الا ان المقصود ليس قصر اصل الافتقار بل المقصود قصر الكمال كما فى مثل ذلك الكتاب وحاتم الجواد فان افتقار الانسان اشد واكمل من افتقار سائر الممكنات مع اشتراك الجميع فى الامكان الذى هو مناط الافتقار وذلك لان الانسان هو المكلف بالاستكمال بحسب قوته الفطرية والعملية والاجتناب عن مطاوعة نفسه الامارة بالسوء واتباع قوته الشهوية والغضبية وسائر ما هو مغمور فيه من الشواغل الانفسية والآفاقية فلا جرم احتاج فى صلاح احواله ورعاية ما كلف به الى امور كثيرة لا يحتاج الى شئ منها سائر الممكنات وذلك كثير لكثرة ما يختص به مما يتفرع على قوته النظرية والعملية مع كونه مغمورا بالشواغل والعوائق الانفسية والافاقية (**قوله المنعم على سائر الموجودات**) اشارة الى ان الحميد كناية عن اللزوم وهو المنعم وانه تكميل لقوله هو الغنى لانه تم به فائدة المقابلة وتعريض بانه مع استغنائه على الاطلاق جواد منعم على الاطلاق ومثله فى كونه من قبيل التكميل

حليم اذا ما الحلم زين اهله ٭ مع الحلم فى عين العدو مهيب

قيل فى سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اكثر دعوة الكفار ازدادوا اصرارا وقالوا ان الله تعالى محتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فنزل يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وهو مع استغنائه يدعوكم الى ما فيه سعادتكم وفوزكم وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه ثم قال تعالى على طريق الغضب والتهديد ان يشأ يذهبكم يعنى ان استحقاقكم للهلاك قد تحقق ولا يتوقف الاهلاك الا على مشيئته فان يشأ يذهبكم و يأت بقوم اطوع منكم يطيعونه فيما امرهم به ونهاهم عنه و يستحقون بذلك فضله ورحمته وقيل ان الآية بيان لغناه بغاية البلاغة وتقريره ان اذهاب الشئ انما يتوقف على محض المشيئة اذا كان مستغنى عنه بخلاف اذهاب ما يحتاج اليه فانه يتوقف بعد المشيئة على انتفاء الحاجة اليه فانه لا يقال ان شاء فلان هدم داره وانما يقال لو انتفى احتياجه اليها بوجدما وشاء هدمها لهدمها والله تعالى لما علق اذهابهم على مجرد مشيئة ذلك ظهر استغناؤه عنهم فكأنه قال ان اقتضت حكمتى ظهور ملكى وعظمتى بخلق ما هو من دلائل كمال علمى وقدرتى وشواهد علو شانى وعزتى ان يخلق آت بخلق جديد يدل على ذلك وما ذلك الاذهاب والاتيان بعزيز يغلب عليه تعالى بان يكون متعذرا عليه او متعسرا ولفظ العزيز استعمله الله تارة فى القائم بنفسه فقال فى حق نفسه وكان الله قويا عزيزا ونحوه و استعمله تارة فى القيام فقال وما ذلك على الله بعزيز اى ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين عليه وقوله عزيز عليه ما عنتم اى هو يحزنه و يؤذيه كالشغل الغالب (**قوله ولا تحمل نفس آثمة**) اشارة الى ان وزرت الشئ وهى وازرة بمعنى حملته فهى حاملة وان وازرة صفة محذوف العائد به وان الوزر بمعنى الحمل مستعار للاثم تشبيها له بالحمل فى كونه مؤذيا لصاحبه لما دلت الاية على ان النفس الوازرة لا تحمل الا وزرها لا وزر غيرها احتيج الى التوفيق بينها و بين قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه التوفيق ظاهر من تقرير المصنف وكل واحد من الاثقالين وان كان اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم لكنه اضاف احدهما اليهم دون الآخر لانه اضاف اثقالهم الى انفسهم حيث قال وليحملن اثقالهم ولم يضف اثقال الاضلال اليهم حيث قال واثقالا لكون اثقال ضلالهم اختصت بهم بالنسبة الى غيرهم او من حيث ان اثقال ضلالهم اكمل اختصاصا بهم بالنسبة الى اثقال الاضلال لان ضرر الاول مقصور عليهم لا يتعداهم بخلاف الثانى (**قوله تعالى وان تدع مثقلة**) اى تدع مثقلة بالذنوب غيرها الى حملها اى الى ان تحمل ما عليها من الذنوب لم تجب الى ذلك وان كان المدعو ذا قرابة للداعى ابنه او اباه او امه او اخاه قال ابن عباس رضى الله عنهما يلقى الاب او الام ابنه فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا استطيع حسبى ما على فهذه الاية دلت على ان نفسا من النفوس لا تحمل عنها ذنبها كما ان الاية السابقة دلت على انها لا تحمل ذنب غيرها و ترك مفعول تدع ليعم كل مدعو على طريق البدل بمعنى وان تدع احدا ممن يتصور منه الحمل فانه يعم كل فرد منهم على البدل فيحتمل ان يكون الفرد ذا قرابة للمثقلة وليس المراد العموم بمعنى من يتصور منه الحمل لانه لا يمكن ان يكون الجمع المذكور ذا قربى للمثقلة فلا يصلح ان يرجع اليه ضمير كان فى قوله ولو كان ذا قربى

(والله هو الغنى الحميد) المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد (ان يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد) بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر او متعسر (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففى الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم (وان تدع مثقلة) نفس اثقلها الاوزار (الى حملها) تحمل بعد اوزارها (لا يحمل منه شئ) لم تجب بحمل شئ منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه

(قوله على حذف الخبر) والتقدير ولو كان ذا قرابتها مدعوها ولو جعل كان تامة على معنى ولو حضر اووجد ذوقربى لفات انتظام الكلام لانه يقتضى ان يكون المعنى ان دعت احدا الى حملها لايجيبها الى مادعته اليه وان كان المدعو ذاقرابتها اووان كان ذا قرابتها مدعوها ولو كان المعنى لايحمل مدعوها شيأ منه ولووجد ذوقربى لفاتت الملائمة لعموم اعتباركونه مدعوا (قوله اوغائبا عنهم عذابه) فيكون بالغيب حالا من المفعول المقدر لان تقدير يخشون ربهم يخشون عذاب ربهم بحذف المضاف وان فسر بقوله غائبين عنه اى عن العذاب يكون حالا من الفاعل (قوله واختلاف الفعلين لمامر) اى فى تفسير قوله تعالى فتثير سحابا من ان اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فقوله لمامر هو الدلالة على استمرار الامر (قوله فانهم المنتفعون بالانذار لاغير) اى لاغير انذارك اذلا يستقيم حمل الكلام على ظاهره اذ الظهور انه عليه الصلاة والسلام كان ينذر جميع الناس سوآء كانوا اهل الخشية ام لا وعدل عنه للتنبيه على ان الانذار الغير النافع كعدمه وان غير اهل الخشية كانهم لم ينذروا اصلا (قوله تعالى ومن تزكى) اى بان يعمل خوفا من عذاب ربه بالغيب على حسب مايقتضيه الانذار ويفعل الطاعات ويترك المنكرات فان منفعة ذلك راجعة اليه والله تعالى غنى عن العباد وهو جملة معترضة وقعت بين قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة وبين قوله ومايستوى الاعمى والبصير الى قوله وماانت بمسمع من فى القبور الآية لانه متصل بالاول والمقصود من الكل تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لما اظهر غضبه على من اتخذ من دون الله اندادا بقوله ان يشأ يذهبكم واتبعه بالانذار بيوم القيامة واهوالها وانه صلى الله عليه وسلم لماقرأ عليهم هذه الاية فلم يتعظوا بها ولم ينتهوا عماهم عليه من الشرك وسوء الافعال التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له وخاطبه بان نعى اليه تمردهم وعنادهم وان الوعظ لايؤثر فيهم وانهم لايخافون عقابه لانهم جهال لايتفكرون فى العاقبة والوعظ انما يؤثر فيمن توقع انه لابد من المصير الى الله فيخشى عقابه ومثلهما مثل الأحياء والأموات وان مثل الكفر والايمان الظلمات والنور وان مثل الجنة والنار الظل والحرور فانى تتساوى هذه الاشياء وعلى هذا التقدير ظهر انها معترضة والكلام المعترض انما يؤتى به لتحقيق ماتقدم عليه وتأكيده فهذا الكلام جيئ به ترغيبا لهم اى لاهل الخشية وتقوية لنشاطهم على الخشية واقامة الصلاة لانهما من جملة مايتزكى به فكانه قيل ومن فعلهما فنفعهما لايعود الا اليه (قوله وقرئ ومن ازكى فانما يزكى) اصل ازكى تزكى على وزن تفعل ادغمت التاء فى الزاى ثم اتى بهمزة الوصل للابتدآء واصل يزكى يتزكى على وزن يتفعل فادغمت التاء فى الزاى كما ادغمت فى الذال نحو يذكرون فى يتذكرون ضرب البصير مثلا للمؤمن من حيث انه ابصر طريق الفوز والنجاة وسلكه بخلاف الكافر فانه لما لم يبصره ولم يسلك فيه شبه بالاعمى وقيل المشبه بالاعمى هو الصنم والمشبه بالبصير هو الله عزوجل فيكون تمثيلا مرتبا على قوله ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير وهذه الاشياء جيئ بها على الاستعارة والتمثيل وعلى احسن وجوه الترتيب فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للكافر والمؤمن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر فى ظلمة الكفر والباطل والمؤمن فى نور الايمان والحق لان البصير وان كان حديد النظر لابد له من نور يبصر به ثم ذكر ما لكل منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور وقدم الاعمى على البصير والظلمات على النور والظل على الحرور ليطابق فواصل الآى ويكون الكل على نسق قوله والى الله المصير ولما تقدم الاعمى فى الذكر لذلك ناسب تقديم ماهو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور (قوله ولا لتأكيد نفى الاستوآء الخ) اعلم ان فعل الاستوآء مثبتا كان اومنفيا لايكون الا بين شيئين او اكثر ومن ثمه لزم العطف على فاعله واسناده الى ضمير التثنية او الجمع نحو استويا ولا يستوون فههنا نفى الاستوآء بين الاعمى والبصير بعطف احدهما على الاخر عطف الوتر على الوتر ثم عطف عليهما مجموع الضدين وهما الظلمات والنور عطف الشفع على الشفع فاذا العطف المذكور يفيد انهما لايستويان ايضا وعطف فيه احد الضدين على الآخر عطف الوتر على الوتر ثم عطف عليهما مجموع الضدين الآخرين وهما الظل والحرور عطف شفع على شفع وعطف احدهما على الآخر عطف وتر على وتر فاذا العطف يفيد عدم استوآئهما ايضا ولاحاجة فى افادة العطف هذا المعنى الى كلمة لا لابين المعطوف عطف شفع على شفع وبين المعطوف عليه ولابين المعطوفين عطف وتر على وتر وهذا ظاهر لان العاطف يقوم مقام العامل وهو الفعل المنفى فانه لو عطف الشفع على الشفع بان قيل والظلمات

وقرئ ذوقربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لاتلائم نظم الكلام (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) غائبين عن عذابه اوعن الناس فى خلواتهم اوغائبا عنهم عذابه (واقاموا الصلاة) فانهم المنتفعون بالانذار لاغير واختلاف الفعلين لما مر (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصى (فانما يتزكى لنفسه) اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) فيجازيهم على تزكيتهم (ومايستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عزوجل (ولا الظلمات ولا النور) ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل ولا الحرور) ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفى الاستوآء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ماتهب نهارا والحرور ماتهب ليلا

والنور والظل والحرور لفهم ان الضدين الاولين لايستويان وكذا الضدان الاخيران الا انه زيد كلمة لا فى قوله ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوى الاحياء ولا الاموات لتأكيد النفى ثم بعد ذلك لم يكتف بان قيل ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور ومايستوى الاحياء والاموات كما قيل ومايستوى الاعمى والبصير بدون لا فى الشق الثانى وهو الشق المعطوف عطف الوتر مع ان الظاهر يقتضى ان يقال كذلك لان المساواة لاتكون الابين شيئين فلا يصح ان يقال لايستوى زيد ولا عمرو الا ان يحكم بزيادة لا بعد الواو العاطفة بل كررت كلمة لا مع كل واحد من شقى المعطوف والمعطوف عليه لمزيد التأكيد فليقف هذا الاطناب لان هذا المقام قد يخفى على بعض الطلاب قيل وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متسعة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو امر واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لايوجد فيها مايساوى هذا الواحد (قوله ابلغ من الاول) اى فى الدلالة على ضلال الكافر وحرمانه من الوصول الى ماينفعه ويصلح حاله فان الاعمى قد يهتدى الى مقصوده بخلاف الميت فانه محروم منه رأسا (قوله وقيل للعلماء والجهلاء) فان تشبيه الجهلة بالاموات شائع ومنه قوله

(لاتعجبن لجهول ماس فى حلل ✽ فانه ميت وثوبه كفن)

لان الحياة المعتبرة هى حياة الارواح وذلك بالحكم والمعارف وحياة الانسان من حيث انسانيته لاتكون الابها ولاعبرة لحياة الاجساد بدونها لاشتراك البهائم فيها وترشيح الاستعارة اقترانها بما يلائم المستعار منه واعتبر الترشيح مقيسا الى التشبيه حيث قال ترشيح لتمثيل المصرين اى تشبيههم لان الاستعارة لاتكون الا بملاحظة التشبيه ولما استعير لفظ الاموات من معناه الحقيقى للكفار وهو كونه موصوفا بمن فى القبور رشح بما يلائم معناه الحقيقى وهو المقبورية ووجه كون الترشيح المذكور مبالغة فى اقناط رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهتدائهم بدعوته ان الترشيح حيث ماوقع تحققت المبالغة فى التشبيه من حيث ان الاستعارة تفيد المبالغة فى التشبيه فترشيحها بما يلائم المستعار منه يحقق تلك المبالغة ويقويها (قوله محققين الخ) يعنى ان قوله بالحق يجوز ان يكون حالا من فاعل ارسلناك اى محققين اوملتبسين بالحق او من مفعوله اى محقا او ملتبسا بالحق وان يكون نعتا لمصدر محذوف اى ارسالا ملتبسا بالحق ومصحوبا به وان يكون متعلقا بقوله بشيرا ونذيرا الا انه لايمكن ان يتعلق بهما معا بل انما يتعلق على طريق التنازع وباحدهما يتعلق ويقدر للآخر مايتعلق به ويكون حاصل المعنى ما اشار اليه بقوله بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (قوله اهل عصر) فسر الامة بهذا المعنى لانه المناسب فى هذا المقام لان الامة كل جماعة يجمعهم امر يشتركون فيه اما دين واحد او مكان واحد كامة الاجابة او دعوة واحدة كامة الدعوة او طريقة واحدة او زمان واحد فقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون يصلح مثالا لهذه الثلاثة كانه قيل مامن قرن فيما سلف الامضى فيه من يبشر اهل الطاعة بالجنة وينذر اهل المعصية باثار الزاما للحجة عليهم وقوله الاخلا فيها نذير خبر عن امة (قوله او عالم ينذر) اى ينذر اهل عصره من الامة اوبما بلغه اليهم من امور الدين عن نبيه وهو اشارة الى جواب مايقال الامة الواقعة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يكن فيها نذير فما وجه قوله تعالى وان من امة الاخلا فيها نذير (قوله والاكتفاء بذكره) جواب عما يقال لم اكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية مع ذكرهما معا آنفا واجاب عنه بان النذارة والبشارة لما كان كل واحدة منهما من توابع الاخرى ولوازمها من حيث ان كل من ينذر على المخالفة يبشر على الموافقة جاز الاكتفاء باحداهما عن الاخرى ولان المقصود الاهم من البعثة هو الانذار لان الناس لتماديهم فى الغفلة والضلال وانهماكهم فى اتباع الشهوات واللذات وتقليد البطلة المصرين على المنكرات كان احتياجهم الى انذارهم لان التخلية عن الرذائل متقدمة على التحلية بالفضائل وتقريره ان النذير بمعنى المنذر من العذاب اعم من النبى المخبر عن الله تعالى ومن العالم المخبر عن النبى وفترة عيسى عليه الصلاة والسلام لم يزل فيها من هو على دينه وداع الى الايمان وحين ارتحلوا وانقرضوا ولم يبق منهم احد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم (قوله كالتوراة والانجيل) اشارة الى ان المراد بالكتاب المنير ليس مطلق الكتاب لتتحد بالزبر ويعم الصحف وغيرها بل المراد به الكتاب الكبير المنور الموضح لمايحتاجون اليه وهو اربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان والمراد هنا غير الفرقان لان المراد ماجاء به رسل الامم السابقة فلا يكون معنى قوله جاءتهم رسلهم بهذه الثلاثة على هذا التقدير اى على عدم اتحاد الزبر بالكتاب

(ومايستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء (ان الله يسمع من يشاء) هدايته ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وماانت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه منهم (ان انت الانذير) فما عليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولاحيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم (انا ارسلناك بالحق) محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله (بشيرا ونذيرا) اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من امة) اهل عصر (الاخلا) مضى (فيها نذير) من نبى او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل اولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبالزبر) وبصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) اى انكارى بالعقوبة

ان كل واحد منهم جاء بها جميعا ضرورة ان من جاء بالزبر لم يجئ بالكتاب المنير بالمعنى المذكور وكذا من جاء به لم يجئ بالزبر وان جاء كل واحد منهم بالبينات لان كل نبي لابد له من معجزة كما ان الرسول النبي هو اخص منه لابد له من كتاب سماوى سوآء كان من قبيل الصحف او من نحو التوراة والانجيل بل معناه انهم جاؤا بها على التفصيل دون الجمع بان يجيئ بعضهم ببعض منها كالبينات والزبر والبعض الآخر ببعض آخر منها كالبينات والكتاب المنير هذا على تقدير الفرق بين الزبر والكتاب واما على تقدير اتحادهما فالمعنى ان كل واحد منهم جاء بجميعهما ولا يكون حينئذ عطف الكتاب على الزبر من قبيل عطف الذات على الذات بل من قبيل عطف الصفات كما في مثل قولك جاءنى الآكل والشارب عند اتحاد الموصوف بهما وقوله تعالى جاءتهم رسلهم فى موضع النصب على انه حال من المفعول باضمار قد اى كذبوا رسلهم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والاستفهام فى قوله تعالى فكيف كان نكير للتقرير فانه عليه الصلاة والسلام علم شدة انكار الله تعالى عليهم فحسن الاستفهام على هذا الوجه فى مقام التسلية (قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) التفات من الغيبة الى التكلم لان سوق الآية للحث والتحريض على النظر في عجائب صنعه وآثار قدرته ليجعل ذلك ذريعة الى علمه تعالى بصفات كماله وما يجوز له وما لا يجوز عليه ليؤدى ذلك العلم الى خشيته لان الخشية نتيجة العلم كما اشار اليه استئناف قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قيل ما وجه التحريض على النظر فى دلائل علمه بصفات كماله فاجيب بان ذلك يورث الخشية ولا يخشى منه الا العلماء ولما تقرر ان سوق الآية للحث على النظر فى عجائب صنعه عبر عما هو اشمل على مزيد الصنع وكمال القدرة بما هو ادخل فى افادة اختصاصه به تعالى وقوله تعالى ثمرات منصوب على انه مفعول به لاخرجنا ومختلفا صفة الثمرات والوانها مرفوع بانه فاعل مختلفا كانه قيل فاخرجنا به ثمرات يختلف الوانها ومختلفا لما اسند الى ظاهر الجمع المكسر لغير العقلاء جاز تذكيره وتأنيثه وقيل مختلفة الوانها لجاز كما تقول اختلفت الوانها (قوله اجناسها) كالرمان والتفاح والتين والعنب ونحوها ولكل منها اصناف معلومة وكيفيات مبصرة يصح تفسير لفظ الالوان بكل واحدة منها لغة وفى الصحاح اللون هيئة كالسواد والحمرة واللون النوع فان فسرت الالوان بالاجناس يكون قوله مختلفا الوانها صفة مؤكدة لثمرات لان الثمرة مع كونها اسم جنس يعم القليل والكثير انما جمعت للدلالة على قصد الانواع فتوصيفها بكونها المختلفة الاجناس انما هو لتأكيد ما دل عليه لفظ الجمع وان فسرت بالاصناف او بما هو من الكيفيات المبصرة تكون صفة مخصصة على معنى فاخرجنا به اجناس الثمار المختلف اصنافها والوانها يعنى ان كل واحد من تلك الاجناس له اصناف مختلفة واختلاف اجناسها واصناف كل نوع والوانه مع اتفاق الماء والتراب دليل واضح على كمال قدرة صانعه والجدد بضم الجيم وفتح الدال الاول جمع جدة وهى الطريقة التى تخالف لونها لون ما يليها سوآء كانت فى الجبل او فى غيره ومنه جدة الحمار وهى الخطة التى فى ظهره تخالف لونه والخطة بمعنى الطريقة فعلة بمعنى المخطوط كالفرقة والقبضة وقوله اى ذو جدد اشارة الى ان المبتدأ هو المضاف المحذوف فلما حذف اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه والمعنى فى الجبال ما هو ذو جدد يخالف لونها لون الجبل فيؤول المعنى الى ان من الجبال ما هو مختلف الوانه فتتلائم القرآئن الثلاث فان ما قبلها فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وما بعدها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى منهم بعض مختلف فلابد فى القرينة المتوسطة بينهما من ارتكاب الحذف ليؤول المعنى الى ما ذكر فيحصل تناسب القرآئن (قوله جمع جديدة بمعنى الجدة) وقيل الجدد بضمتين جمع جديد بمعنى الجدة وقيل الجدد بضمتين جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الالوان للناظرين غير مختلفة والجدد بفتحتين اسم مفرد بمعنى الطريق الواضح البين الا انه وضع فى الآية فى قرآءة من قرأ به موضع الجمع اذ المراد الطرائق والخطوط بقرينة وصفه بالجمع وهو البيض والحمر فان بيض صفة لجدد وحمر عطف على بيض وجدد مبتدأ ومن الجبال خبره قدم عليه وهو الذى سوغ الابتدآء بالنكرة وبيض صفة جدد ومختلف صفة لجدد ايضا والوانها فاعل مختلف كما مر فى نظيره وضمير الوانها للجدد ولا يجوز ان يكون الوانها مبتدأ ومختلف خبرا مقدما عليه والجملة صفة جدد اذ كان يجب ان يقال حينئذ مختلفة لاسنادها الى ضمير المبتدأ (قوله بالشدة والضعف) اشارة الى ان المعنى ان كل واحدة من الجدد البيض تخالف لونها لون غيرها بالشدة والضعف مع اشتراك الكل فى كونه ابيض فرب ابيض اشد بياضا من ابيض آخر واضعف من آخر وكذا كل واحد من الجدد الحمر تخالف حمرته حمرة الباقين بان يكون اشد منها حمرة او اضعف ويحتمل ان يكون المعنى

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) اجناسها واصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيأتها من الصفرة والخضرة ونحوهما (ومن الجبال جدد) اى ذو جدد اى خطط وطرائق فيقال جدة الحمار للخطة السودآء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف الوانها) بالشدة والضعف

ان الجدد مختلف الوانها بان يكون بعضها بيض و بعضها حمر فيكون الجدد كلها على لونين بياض وحمرة الا انه عبر عن اللونين بالالوان لتكثر كل منهما باعتبار محالهما وعلى الاول لاحاجة الى هذا التوجيه (قوله عطف على بيض او على جدد) فان كان عطفا على بيض يكون من تفاصيل الجدد كالبيض وان كان عطفا على الجدد لا يكون داخلا فى تفصيله بل يكون قسيما اى منها ذو جدد وسود واشار بقوله كانه قيل الى انه متفرع على قوله او على جدد والغربيب هو الاسود المتناهى فى السواد فيكون تابعا للاسود مثل قان وناصع فى قولهم احمر قان وابيض ناصع والواو فى قول النابغة والمؤمن للقسم والمؤمن اسم فاعل مجرور بها والعائذات الحمائم التى عاذت بمكة والتجات اليها وضمير يمسحها للطير والغيل والسند موضعان وجواب القسم فى البيت الذى بعده وهو قوله

ما ان اتيت بشئ انت تكرهه * اذن فلا رفعت سوطى الى يدى

فكانه قال والله المؤمن الطير العائذات ما اتيت بشئ انت تكرهه والا اذن فشلت يدى فمفعول المؤمن مضمر هو الطير والطير المذكور يفسره والعائذات صفة لذلك المضمر لا للمذكور لتقدمه عليه ومن حق الصفة ان تتبع موصوفها وقد يضمر الشئ ثم يفسر بما ذكر بعده قصدا الى زيادة التأكيد بان يدل على المعنى الواحد من طريقى الاظهار والاضمار جميعا (قوله وهو تأكيد مضمر) جواب عما يقال ان الغربيب تأكيد الاسود كما ان القانى تأكيد الاحمر والناصع تأكيد الابيض ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد فينبغى ان يقال وسود غرابيب كما يقال احمر قان وابيض ناصع فلم قدم التأكيد على المؤكد واجاب عنه بان ما ذكره انما يرد ان لو كان غرابيب تأكيدا لما بعده وليس كذلك بل هو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده والتقدير وسود غرابيب سود كما ان التقدير البيت والمؤمن الطير العائذات الطير ويفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقى الاضمار والاظهار جميعا (قوله كاختلاف الثمار والجبال) اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه صفة لمصدر محذوف والمعنى ومن الناس والدواب والانعام نوع اوصنف او بعض مختلف الوانه اختلافا كائنا كاختلاف الثمرات والجبال على ان قوله تعالى مختلف صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ والجار والمجرور قبله وهو ومن الناس خبره ولذلك عمل اسم الفاعل (قوله ولهذا اتبعه الخ) اى ولكون شرط الخشية ما ذكر نزلت هذه الآية تابعة لقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء الى آخر ما يدل على افعاله الدالة على كمال قدرته فانه تعالى لما عدد آياته صلى الله عليه وسلم اعلام قدرته الباهرة فقد حرضه على النظر فى آياته الدالة على عظمة شأنه وكمال كبريائه ليعرفه بصفات كماله و يخشاه حق خشيته والظاهر انه فصله عما قبله استئنافا جوابا لسؤال نشأ مما قبله فكانه لما قيل الم تر الخ قال لم تخصصنى بهذا الخطاب فاجيب بانه انما يخشى الله من عباده العلماء لان العلم المترتب على النظر فى الآيات وآثار الصنع انما يحصل فيك وفيمن هو على صفتك فى التفكر والتدبر (قوله ولو اخر انعكس الامر) اى الحال فكان المعنى العلماء لا يخشون الا الله وهو غير مستلزم للمقصود ولانه لا ينافى ان يكون غير العلماء خائفا من الله والمقصود حصر الخوف من الله تعالى فى العلماء والمعنى الآخر وان جاء فى التنزيل فى قوله تعالى لا يخشون احدا الا الله لكن ليس هو الغرض فى هذا المقام (قوله فان المعظم يكون مهيبا) اشارة الى وجه تشبيه التعظيم بالخشية من حيث اتحاد تعلقهما فان المعظم لكونه على اكمل الحال واحسن الاحوال يخاف منه القاصرون فاستعير لفظ الخشية للتعظيم ثم اشتق من الخشية المستعارة لفظ يخشى (قوله لدلالته) اى لدلالة قوله ان الله عزيز غفور على عقوبة العصاة ومغفرة التائب من ذنبه والقادر على العقوبة والغفران حقه ان يخشى فان قلت اى مدخل لقوله تعالى غفور فى الدلالة على انه تعالى يجب ان يخشى مع ان الوصف بالغفران موجب الرجاء دون الخوف قلت ما ذكرته انما يرد اذا ذكر التعرض لصفة الغفران فقط واما اذا قرن بما يدل على عزته وانتقامه من المسئ فحينئذ يكون المقصود بيان قدرته الكاملة وانه يفعل ما يشاء وهذه الصفة توجب الخوف. (قوله يداومون قرآءته او متابعة ما فيه) اشارة الى ان يتلون يجوز ان يكون مضارع تلاه تلوا بمعنى تبعه وان يكون مضارع تلاه تلاوة بمعنى قرأه وحمل يتلون على الاستمرار اخذا من كون ما عطف عليه مخالفا حيث كان على صيغة الماضى وهو قوله واقاموا الصلاة وانفقوا ولولا ذلك القصد اى قصد الاستمرار لجئ به ماضيا كما فى قوله تعالى واقاموا الصلاة وانفقوا وكون المقام مقام المدح يؤيد كون الفعل محمولا على الاستمرار فانك اذا قلت فى مقام المدح فلان يطعم الجائعين و يعين المضطرين فانما تريد ان شانه وديدنه ذلك ولم تقصد الدلالة على الاستمرار

(وغرابيب سود) عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة شعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسند

وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون قرآءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا

فى اقامة الصلاة والانفاق لان المراد بهما اقامة الصلوات الخمس وايتاء الزكاة وهما لكونهما موقتين باوقات معينة لا يتصور الاستمرار فيهما (قوله فيكون ثناء على المصدقين) يعنى على تقدير كون المراد بكتاب الله جنس كتب الله تكون الآية مرتبطة بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم الى قوله ثم اخذت الذين كفروا اقتص به حال المكذبين من الامم المتقدمين ثم اثنى بهذه الآية على المصدقين منهم كانه قيل لما ارسل الى كل امة رسولا ينذرهم صاروا فريقين منهم من كذب رسولهم فاهلكهم ومنهم من صدقه فاولئك يرجون تجارة لن تبور وعلى تقدير ان يكون المراد بكتاب الله القرآن تكون مرتبطة بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء بين اولا ان العلم بصفات الله وافعاله يورث الخشية ثم بين ثواب العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه وفى الآيتين اشارة الى ان اول الواجب على المكلف النظر فى مصنوعات الله ليؤديه ذلك النظر الى علمه تعالى بصفاته وافعاله ثم يؤدى ذلك العلم الى الخشية التى هى عمل القلب ثم ان تلك الخشية تؤدى الى الذكر باللسان الذى هو افضله واجمعه تلاوة القرآن ثم يؤدى ذلك الذكر الى العمل بالجوارح الذى هو افضله واجمعه اقامة الصلاة وهذه العبادات الثلاث هى المتعلقة بالقلب واللسان والجوارح كلها من قبيل تعظيم امر الله تعالى وبقى من الاعمال الدينية ما يكون من قبيل الشفقة على عباد الله فان رجاء الله انما يتم بالشفقة على المحتاجين من خلقه واشير اليه بقوله وانفقوا مما رزقناهم مع ان الاقامة التى هى اتيان الشئ مستقيما مستجمعا لجميع ماله مدخل فى حسنه وكماله يغنى عن التعرض لما يدل على استمراره فان اقامة الصلاة والزكاة انما تحصل بالمواظبة عليهما فى اوقاتهما المعينة لهما (قوله تعالى سرا وعلانية) مصدران فى موضع الحال بتقدير مسرين ومعلنين اى غير قاصدين واحدا منهما بعينه فى انفاقهم بل يقصدون به مجرد المعاملة مع خلق الله بالشفقة والاحسان كيف ما تيسر فان تيسر سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان انفاق العلانية رياء فان ترك الخير مخافة الرياء هو عين الرياء فعلى هذا يكون المقصود من العطف الدلالة على ان المقصود الحث على الانفاق مطلقا كيف ما تيسر وعلى القول الاخير يكون العطف لتقسيم الانفاق الى الفرض والنفل والحث على كل واحد منهما ويكون تعيين كل واحد من القسمين بما خص به من الوصف اشارة الى ان الاولى والمستحب فى الصدقة المسنونة الاخفاء وفى المفروضة الاعلان كما ان المستحب فى الصلاة المفروضة اعلانها وفى النافلة اخفاؤها (قوله تحصيل ثواب بالطاعة) اشارة الى ان التجارة استعارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه شبه تلك المعاملة بالتجارة وهى معاملة الخلق بعضهم لبعض بالبيع والشراء لنيل الربح والمعنى انهم يرجون بما اتوا من الطاعات المذكورة متاجرة الله تعالى ونيل ثوابه متاجرة لن تبور بضياع رأس المال بالهلاك او بالكساد بل يروج ويربح منها صاحبها ارباحا كثيرة وقوله يرجون اشارة الى انهم لا يجزمون بنفاق تجارتهم ولا يقطعون به بل يخافون ان لا يقبل ما اتوا به ففى الاية اشارة الى بطلان قول من قال انه يجب على الله تعالى ان يقبل طاعة عبده ويثيبه عليها (قوله اى ينتفى عنها الكساد) والبور فى الاصل الهلاك وفسر قوله لن تبور بقوله لن تكسد ثم فسر انتفاء الكساد عنها بنفاقها عند الله يحتمل كل منهما على الكناية فان انتفاء البور لازم لانتفاء الكساد وكذا انتفاء الكساد لازم للنفاق والرواج فجعل لن تبور كناية عن لازمه وهو لن تكسد ولن تكسد كناية عن لازمه ايضا وهو تنفق فيكون قوله تنفق بهذا اعتبار مدلول قوله لن تبور فكانه قيل يرجون بما اتوا تجارة نافقة عند الله تنفق ليوفيهم بنفاقها فيكون نفاق طاعة العبد عنده تعالى معللا بتوفية اجر عمله لانه تعالى قيدها بذلك وهو معنى لام التعليل فى ليوفيهم على تقدير تعلقها بمدلول لن تبور واما على تقدير تعلقها بمدلول الافعال المتقدمة فمعنى كون التوفية علة انها كونها غرضا لفاعل تلك الافعال من فعلها اى فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض ووجب ان يعلم ان تعلقها بنفس الافعال المتقدمة انما هو على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون حالا لانه ان كان خبر ان لا يجوز ذلك احترازا عن الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى وعلى تقدير كونه حالا يكون الفاصل اجنبيا من العامل واما اذا تعلقت بمحذوف دلت عليه تلك الافعال فيجوز ان يكون يرجون حينئذ حالا وخبرا لعدم المحذوف فيهما جعل اللام على تقدير تعلقها بيرجون لام العاقبة لان غرضهم فيما فعلوا هو التجارة النافقة عند الله تعالى لا غير لان التعريف بالموصولية هنالك للايماء الى وجه ثبات الخبر ثم جعل ذلك الايماء ذريعة الى تحقق الخبر اى جعله محققا ثابتا ولما أدى ذلك الغرض الى ان يوفيهم الله اجورهم اتى باللام (قوله علة لمدلوله) اى مدلول لن تبور فان التجارة اذا كانت

والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين (واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله (ليوفيهم اجورهم) علة لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم

اوله اول ماعد من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على مايقابل اعمالهم (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبران ويرجون حال من واو وانفقوا (والذى اوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض (هو الحق مصدقا لما بين يديه) احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية (ثم اورثنا الكتاب) حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى اغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق

غيرها لكة وكاسدة عند الله تدل على انها نافقة عند الله مقبولة عنده وقوله ليوفيهم اجورهم متعلق بهذا المدلول كانه قيل ان التالين والمقيمين والمنفقين راجون لتجارة غير هالكة ولا كاسدة عنده تعالى بل تنفق عنده ليوفيهم جزاء اعمالهم ولا تتعلق اللام بنفس لن تبور لان الامر العدمى لا يكون علة حاملة للفاعل على الفعل ولا معلولا مرتبا عليه فى الخارج (قوله او المدلول ماعد من افعالهم) اى ولا يجوز ان تكون اللام متعلقة بكل واحد من الافعال الثلاثة لان المعمول الواحد لا يتوارد عليه عوامل متعددة ولا يجوز تعلقها بها على سبيل التنازع واعمال واحد منها واضمار معمول غيره او حذفه كما هو المذكور فى كتب النحو فالاحسن ان تتعلق بمدلول تلك الافعال اى فعلوا ليوفيهم بل لا يجوز تعلقها بنفس الافعال الثلاثة المذكورة على سبيل التنازع على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون خبران لانه يستلزم ان يقع الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى لان خبران لا يكون فى حيز شئ من تلك الافعال فيكون اجنبيا منها فلا بد ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه تلك الافعال اى فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض (قوله او عاقبة ليرجون) عطف على قوله علة لمدلوله جعل اللام على تعلقها بيرجون لام العاقبة لان رجاء التجارة النافقة عند الله تعالى هو لاجل ان يوفيهم ثواب اعمالهم وليس الاول معللا بالثانى ويجوز ان تكون التوفية عاقبة رجائهم وقوله احقه مصدقا يعنى ان قوله مصدقا حال مؤكدة من مفعول احقه المقدر المدلول عليه بقوله هو الحق (قوله ويرجون حال من واو وانفقوا) لم يجعله حالا من فاعل الافعال الثلاثة التى هى يتلون واقاموا وانفقوا لئلا يجتمع على معمول واحد عوامل بان جعله متعلقا بتلك الافعال على سبيل التنازع واعمل الاقرب وعلى تقدير ان يكون قوله انه غفور شكور خبران لا بد فيهما من العائد فقدره بقوله لفرطاتهم والشكر فى حق العباد صرف كل واحد من اللسان والجنان والجوارح الى طاعة المنعم وفى حقه تعالى المجازاة على طاعة العباد والشكور من ابنية المبالغة ووجهه انه تعالى يقبل القليل من طاعة عباده فيضاعف لهم الجزاء والعيار المعيار الذى يقاس به غيره ويسوى فان القرآن لكونه معجزا فى نفسه يكون دليلا على التصديق بانه وحى الهى فاذا وجد الوحى ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم علم اعجازه وصدق ما تقدم من الكتب وعلم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ان الله بعباده لخبير بصير استئناف جيئ به تعليلا للايحاء اليه فان من كان خبيرا بالبواطن بصيرا بالظواهر اذا خص احدا برسالته والايحاء اليه يكون ذلك حقا مبنيا على استحقاق الموحى اليه لذلك فهو كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وقوله بين يديه معناه بين الجهتين المحاذيتين لليدين فهو ظرف للمكان ثم يستعار للزمان المتقدم تشبيها للزمان بالمكان (قوله حكمنا بتوريثه منك او نورثه) فعلى هذين الوجهين يكون اورثنا عطفا على اوحينا ويكون المراد من الذين يتلون كتاب الله مؤمنى هذه الامة ويراد بالكتاب القرآن والمعنى اوحينا اليك القرآن ثم حكمنا بعدك بتوريثه او وضع الماضى موضع المستقبل وعبر عنه بالماضى لكونه محقق الوقوع وعلى التقديرين يظهر كون المعطوف متراخيا عن المعطوف عليه مع كونه ماضيا بالنسبة الى زمان الوحى فان حكمه تعالى بتوريث القرآن منه من صفاته الازلية ومتراخى عن مضمون قوله اوحينا اليك بمعنى استبعاد مضمون الحكم بتوريثه منه عن مضمون وحيه اليه قال نجم الدين الرضى فى شرحه للكافية وقد يجيئ ثم فى عطف الجمل خاصة لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له كما فى قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فان بين توبة العبد وهى انقطاع العبد اليه بالكلية وبين طلب المغفرة بونا بعيدا وهذا المعنى فرع التراخى ومجازه انتهى كلامه واجاب ثانيا بان اورثنا بمعنى نورثه الا انه وضع الماضى موضع المستقبل تنزيلا لما سيكون منزلة الكائن لكونه محقق الوقوع كقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف واجاب ثالثا بان اورثنا على حقيقته بناء على ان ليس المراد نورث القرآن بعده عليه الصلاة والسلام المؤمنين من امته بل المراد نورث جنس الكتب من الامم السالفة وقوله حكمنا بتوريثه منك او نورثه جواب عما يقال الظاهر ان قوله تعالى ثم اورثنا عطف على اوحينا وان كلمة ثم تقتضى التراخى فى الزمان كأن يقال ثم نورثه بعدك المصطفين فما معنى مجيئ اورثنا على لفظ الماضى واجاب اولا بان ايراث الكتاب المصطفين بمعنى اعطائه اياهم كاعطاء الارث للوارث من غير كد وتعب فى طلبه وان لم يكن ماضيا بالنسبة الى زمان نزول الاية فكان الظاهر ان يقال ثم نورثه الا انه قيل اورثنا على لفظ الماضى بناء على ان المراد بالايراث الحكم بتوريثه منه عليه الصلاة والسلام والحكم متقدم على زمان نزول الاية فلذلك حكى واورثنا بلفظ الماضى وعطف على

اوحينا بكلمة التراخي الا ان تلك الكلمة لا يجب ان تكون للتراخي الزماني البتة بل قد تكون لاستبعاد مضمون الجملة المعطوفة عن مضمون ما قبلها كما في هذا المقام فيكون مضمون الحكم بتوريثه منه مستبعدا عن مضمون الايحاء اليه وعلى قوله اورثناه من الامم السالفة يكون معطوفا على قوله ان الذين يتلون كتاب الله كما صرح به فيكون المراد بالذين يتلون اثم من مؤمني هذه الامة وبالكتاب جنس كتب الله وبالذين اصطفينا هذه الامة ويكون اورثنا ماضيا محمولا على ظاهره والمعنى ثم اورثنا هذا الكتاب الكريم هذه الامة بعد اعطاء تلك الامم الزبر والكتاب المنير ووجه انتظام الآيات بعضها ببعض انه تعالى اخبر اولا بانه ما من امة الا خلا فيها نذير مؤيد بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم بين ان تلك الامم تفرقوا فرقتين فرقة كذبوا رسلهم وما جاؤا به واليه اشار بقوله فقد كذب الذين من قبلهم الآية وفرقة صدقوهم وآمنوا بهم وتلوا كتاب الله وعملوا بمقتضاه واليه اشار بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الآية ثم عطف على هذه القصة قوله ثم اورثنا الكتاب بكلمة ثم الدالة على التراخي وبلفظ الماضي في اورثنا لان ايراث الكتاب لهذه الامة متراخ عن ارسال النذير في كل امة على الطريق المذكور فان الايراث المذكور سابق وماض بالنسبة الى نزول هذه الآية فصح ايراد ثم مقرونة بصيغة الماضي فعلى هذا يكون قوله تعالى والذي اوحينا اليك اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان ان توريث جنس الكتاب لهذه الامة انما هو حال كونه حقا مصدقا لما بين يديه ومعنى اورثنا اعطينا لان الميراث اعطاء قاله مجاهد يعني اورثنا استعارة تبعية شبه اعطاء الكتاب اياهم من غير كد وتعب في وصوله اليهم بتوريث الوارث فقوله الذين اصطفينا مفعول اول لاورثنا والكتاب مفعوله الثاني قدم لشرفه اذ لا لبس وقيل اورثنا بمعنى اخرنا ومنه الميراث لتأخره عن الميت والمعنى اخرنا القرآن عن الامم السالفة واعطيناكموه واهلناكم له وكلمة من في قوله من عبادنا يجوز ان تكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا وان تكون للتبعيض اي ان المصطفين بعض عبادنا لا كلهم ويؤيد الاول ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ثم اعطينا القرآن بعد الوحي اليك عبادنا المصطفين وهم امتك المسلمون فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا اي خيارا اهلا للشهادة على سائر الامم يكون هذا القرآن بينهم حكما واماما لهم الى يوم القيامة اكراما لهم واغتنا لا ثم قسمهم الى ثلاث طبقات فقال فمنهم ظالم لنفسه الآية مع كونهم مشرفين بشرف الاصطفاء والاضافة في قوله تعالى من عبادنا لان منشأ ذلك الشرف كونهم امة الاجابة لدعوة اشرف الرسل صلى الله عليه وسلم والمعصية لا تخرجهم من ذلك وعلى قوله من يقول المراد بالظالم هو الكافر بقرينة انه تعالى اطلق لفظ الظالم في كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما عظيما لا يكون القسم امة الاجابة ولا يرجع ضمير منهم الى الموصول ولا تكون كلمة من للبيان بل للتبعيض ولا تكون الاضافة في عبادنا للتشريف المضاف بل لتعظيم المضاف اليه ويكون المراد بالعباد مطلق الخلائق وقوله تعالى سابق بالخيرات اي سابق الى الجنة بالاعمال الصالحة بامر الله تعالى وارادته روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الظالم لنفسه هو من مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد الذي لم يصر على كبيرة كما قال تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي على طريق الحق غير حائد عنه ومنهم سابق اي سبق على الظالم والمقتصد في الدرجات بسبب الخيرات التي عملها وقال الحسن الظالم الذي رجحت سيئاته على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته روى اسامة بن زيد عن النبي عليه الصلاة والسلام قال سابقنا سابق الى الجنة ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه الصلاة والسلام قال السابق من هذه الامة يدخل الجنة بلا حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة والظالم يحبس في طول الحبس حتى يظن ان لن ينجو فتنالهم الرحمة ويدخلون الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وعن ابن عباس رضي الله عنهما الظالم اهل الاجرام يغفر لهم والمقتصد اصحاب اليمين يحاسبون حسابا يسيرا والسابق يدخل الجنة بغير حساب وقوله يحلون فيها اشارة الى ان الاحسان بدخول الجنة اعز واكمل من الاحسان بالتحلية حيث قال يدخلونها اولا وفيها تقع تحليتهم وتخصيص الاساور من بين وجوه زينة الجنة لكونها ادل على ان الجنة دار التنعم والاستراحة لان كثير الاعمال يحصل بالايدي فاذا حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال مع ان مطلق التحلي لا يجامع الابتذال والاشتغال بنحو الطبخ وغسل الثياب فان التحلي يكون لمعنيين احدهما اظهار كون المتحلي فارغا مستغنيا عن الابتذال بالخدمة وثانيهما اظهار استغنائه عما يعد من الحوائج الاصلية للانسان وعما يطلب

(جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول (يحلون فيها) خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية (من اساور من ذهب) من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين

زيادة التنعم والترفه في اسباب المعاش وذلك لان التحلي لايكون الابالاشياء امزية الوجود وباستعمالها في غير موضع الحاجة وذلك يدل على انه لوكان له حاجة الى مالابد منه او يكون له مدخل في زيادة تنعمه لصرفه الى ذلك فذكر التحلي كناية عن هذا الاستغناء واسارالزمخشري الى ان من تبعيضية بجعل مجرورها في معنى النكرة فيفيد التعظيم كما تفيد النكرة فالمعنى يحلون فيها بعض من الاساور سابق على سائر افراد الاسورة في التسرف كما سبق المسورون بهذا البعض على غيرهم (قوله عطف على ذهب) فان غير نافع وعاصم من السبعة قرأوا ولؤلؤ بالخفض عطفا على ذهب فيكون بيانا للاساور ايضا ومعنى كون الاساور من ذهب ولؤلؤ تركبها من هذين الجنسين حقيقة بان تصنع من ذهب مرصع باللؤلؤ او كونها مصوغة من ذهب في صفاء اللؤلؤ فكانها مصوغة منهما (قوله اوهمهم من اجل المعاش) يعني ان المراد حزن الدنيا وما كان فيها من الاهتمام في تحصيل اسباب المعاش من المأكل والملبس والمسكن والحزن بالضم والسكون والحزن بفتحتين لغتان بمعنى واحد كالبخل والبخل والعامة قرأوه بفتحتين يعني انهم اذا دخلوا الجنة يقولون ذلك لانهم لما اكرموا بدار الكرامة والنعيم المقيم الذي لايزول ولايفنى ابدا وقد عانوا وقاسوا والآن قد اذهب الله تعالى بفضله جميع ذلك عنهم واكرمهم بالملك الدائم والنعيم المؤبد فبالضرورة حمدوا من فضلهم بهذه الكرامة الجليلة القدر (قوله تعالى الذي احلنا) اي انزلنا دار المقامة مفعول ثان لاحلنا لاظرف له والالوجب ان يتعدى اليه الفعل بكلمة في لانه مكان محدود والمقامة مصدر ميمي بمعنى الاقامة لان المصدر الميمي من المزيد يكون على صيغة المفعول كالمدخل والمخرج والممزق وفي قوله دار المقامة اشارة الى ان الجنة دار الخلود التي لايتحول عنها ابدا من دخلها ولايموت بخلاف الدنيا فانها بمنزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق الى الجنة والى النار وقد تكون النار لبعضهم منزلة الانتقال واما الجنة فهي دار الاقامة مطلقا وكذا النار لاهلها ومن فضله يتعلق باحلنا ومن اما للعلة واما للابتداء الغاية اي انزلنا بفضله لاباعمالنا واستحقاقنا لان العمل متناه وثواب الجنة دائم لايزول ولاسيما ان العمل لايعادل عشر عشر النعم السابقة فكيف يستحق به العبد النعم الآجلة (قوله لايمسنا) حال من المفعول الاول لاحلنا او الثاني لان الجملة مشتملة على ضمير كل واحد منهما الا ان الاول اظهر (قوله اذلاتكليف فيها ولاكد) استدلال بنفي السبب وهو التعب والمشقة على نفي المسبب وهو الفتور والكلال الناشئ عنه ولما ورد انه ما الفائدة في نفي اللغوب اصالة مع ان انتفاءه يعلم من نفي النصب اذا انتفى لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب ضرورة فاذا قيل لم آكل يعلم منه انتفاء الشبع فلاحاجة بعده الى نفي الشبع اجاب عنه بان انتفاء التابع وان كان يعلم من نفي المتبوع لكنه نفاه بعد ذلك قصدا للمبالغة في بيان انتفائه وقيل النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس ونفي احدهما لايدل على انتفاء الآخر واللغوب مصدر لغب يلغب لغوبا اذا اعيي وقرئ اللعوب بفتح اللام وفيه وجهان احدهما مصدرا ايضا كالقبول والولوع والثاني صفة لمصدر محذوف اي لايمسنا فيه لغوب لغوب كأنه يصف اللغوب بانه قد لغب اي اعيي وتعب على المبالغة كقولهم موت مائت وشعر شاعر (قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم) عطف على قوله ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما يتعلق بالذين يتلون كتاب الله وقدمر ان المراد بهم اما مؤمنو هذه الامة والكتاب القرآن او المصدقون من الامم السابقة والكتاب جنس كتب الله فعلى الاول بين الله تعالى ثواب اهل الخشية الذين زادت حسناتهم بالمرابطة على تلاوة القرآن والعمل بما فيه من اقامة الصلاة والانفاق على ذوي الحاجة ثم شرع في بيان وعيد اضدادهم وهم المكذبون وعلى الثاني اثنى الله تعالى على المصدقين من الامم السابقة بعد اقتصاص حال المكذبين منهم في الدنيا ثم بين حال هؤلاء المكذبين في الآخرة بعطف هذه الجملة على جملة ان الذين يتلون الآية على تقدير ان يراد منهم مؤمنو هذه الامة ومن الكتاب القرآن وان كان المراد منهم المصدقين من الامم وبالكتاب الجنس يكون هذا عطفا على قوله ثم اورثنا بالوعيد للمخالفين من هذه الامة بعد الفراغ من وعد الموفقين والمصطفين من عباده (قوله لايحكم عليهم بموت ثان) اشارة الى ان قوله لايقضى من قضى بمعنى حكم كما في قوله تعالى وقضى ربك الاتعبدوا الااياه وفي الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ كما يكون بمعنى الحكم تقول قضيت حاجتي وضربه فقضى عليه اي قتله كأنه فرغ منه وسم قاض اي قاتل وقضى نحبه اي مات والنحب المدة والوقت انتهى كلامه وقوله فيموتوا منصوب بحذف النون جوابا للنفي بان مضمرة فان المضارع ينصب بان مضمرة بعد الفاء بشرطين

(واؤلؤ) عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن) همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذي احلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله اذلاواجب عليه (لايمسنا فيها نصب) تعب (ولايمسنا فيها لغوب) كلال اذلاتكليف فيها ولاكد اتبع نفي النصب نفي مايتبعه مبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم) لايحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولايؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد اسعارها

احدهما كونها للسببية والثانى ان يكون قبلها امر اونهى اواستفهام اونفى اوتمن اوعرض وقد وقعت الفاء هنا بعد النفى فنصب يموتوا بحذف النون كما فى قولك ماتأتينا فتحدثنا اى مايكون منك اتيان ولاحديث انتفى السبب وهو الاتيان فانتفى مسببه وهو الحديث ووجه القرآءة باثبات النون رفعه عطفا على يقضى وادخاله فى حكم النفى اى لايقضى عليهم فلايموتون اى انتفى الامران معا كقوله تعالى ولايؤذن لهم فيعتذرون اى فلايعتذرون ورجحت قرآءة الجمهور لان فيها نفى القضاء عليهم من حيث انه سبب الموت واذا نفى السبب فالمسبب اشد انتفاء وفى قرآءة الرفع نفى الامران جميعا مع قطع النظر عن السببية فالاول ابلغ والجملة تفيد التأكيد وتشير الى الفرق بين عذاب الدنيا والآخرة فان عذاب الدنيا لايدوم وان دام يتخلص المعذب منه بالموت وان لم يمت يعتاد البدن بان يفسد مزاجه بحيث لايحس بالعذاب (قوله مثل ذلك الجزآء) اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك انتصب على انه صفة مصدر محذوف اى جزآء مثل ذلك الجزآء (قوله يفتعلون من الصراخ) اصل يصطرخون يصترخون ابدلت التاء طاء للمناسبة بين الصاد والطاء لانهما حرفا اطباق وحرفا استعلاء وحمل يصطرخون على المجاز حيث فسر بقوله يستغيثون على طريق اطلاق المطلق على المقيد فان الصراخ كما ذكره رفع الصوت اى باى وجه كان واستعمل فى رفع الصوت مطلقا والاستغاثة رفعه طلبا للغوث (قوله ربنا اخرجنا) مقول قول مضمر وذلك القول ان شئت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون اى يقولون فى صراخهم ربنا اخرجنا من النار وان شئت قدرته حالا من فاعل يصطرخون اى قائلين ربنا (قوله وانهم كانوا) عطف على قوله بان استخراجهم يعنى ان مرادهم من قولهم غير الذى كنا نعمل العمل الصالح لكنهم جعلوا الغير صفة للعمل الصالح فانهم ارادوا نعمل صالحا آخر غير العمل الصالح الذى كنا عملناه فى الدنيا اشعارا منهم بانهم لم يعملوا ماعملوه فى الدنيا الا بحسبانهم انه عمل صالح فالان تميز عندنا الصالح من الطالح فاخرجنا منها نعمل غير الذى كنا نحسبه فى الدنيا صالحا فنعمله (قوله جواب من الله وتوبيخ لهم) اى يقول الله لهم مجيبا ذلك على وجه التوبيخ والتقريع قيل هذا الزام الحجة عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع وما فى قوله مايتذكر نكرة موصوفة اى اولم نجعل لكم من العمر فى الدنيا شيأ اوعمرا اومقدارا يتذكر ويتعظ فيه بالكتب ومقالات الرسل من اراد ان يتذكر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر أجله حتى بلغ ستين سنة وفى النهاية اى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث امهله طول هذه المدة ولم يعتذر كانه جعل همزة اعذر اليه للسلب اى سلب عذره ولم يقبل منه عذره كانه رماه اليه وجعل قوله تعالى وجاءكم النذير معطوفا على معنى اولم نعمركم لانه لايصح العطف على لفظه لاختلافهما خبرا وانشاء ويقال الشيب نذير الموت وفى الحديث مامن شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت (قوله والعطف) جواب عما يقال قوله تعالى وجاءكم النذير لايصح عطفه على قوله اولم نعمركم لاختلافه خبرا وانشاء ولا على قوله نعمركم بان يكون داخلا فى حيز الاستفهام الانكارى ايضا لعدم صحة المعنى ولا على نعمركم لان لم لايدخل على صريح الماضى واجاب عنه بانه معطوف على معنى اولم نعمركم لان الاستفهام فيه للانكار اى انكار عدم التعمير فكانه قيل عمرناكم وجاءكم نذير ونظيره قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ثم قال ووضعنا لانه فى معنى قد شرحنا ووضعنا لان معنى الاستفهام التقرير (قوله تعالى فذوقوا) امر اهانة وهذه الاية تؤيد قول من حمل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه على الكافر لانه ختم وعيد الكافر بتسميتهم هذا الاسم وظلمهم انهم وضعوا اعمالهم واقوالهم وحياتهم فى غير موضعها قيل قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض استئناف فى معرض التعليل لدوام عذاب الكافر مع ان الله تعالى قال جزآء سيئة سيئة مثلها ولايزاد عليها والكافر ما كفر بالله الا اياما معدودة فكان ينبغى ان لايعذب الا مثل تلك الايام فقال تعالى انه يعلم من الكافر ان الكفر تمكن فى قلبه بحيث لودام الى الابد لما اطاع الله فلذلك كان جزآء كفره المستوعب مدة عمره مع تصميم عزمه على الاصرار عليه ابدا ان عاش ولم يمت ابدا عذابا مؤبدا والاظهر انه جواب آخر لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا كانه قيل لورددكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا لانه عالم غيب السموات والارض علل علمه بذلك بقوله انه عليم بذات الصدور فتكون الاية نظير قوله تعالى ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه (قوله يلقى اليكم مقاليد التصرف) اى مفاتيحه اشارة الى ان المعنى ان الناس خلفاء الله تعالى فى ارضه استخلفهم فيها بعد ان خلقها مستمدة على جميع مايحتاج اليه اهلها وسلطهم على نواحيها من المنافع واسبابها كأنه قال

(كذلك) مثل ذلك الجزآء (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر اوالكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته (ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ماعملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه (اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل مابين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى اوالكتاب وقيل العقل اوالشيب اوموت الاقارب (فذوقوا فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) لايخفى عليه خافية فلايخفى عليه احوالهم (انه عليم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى مايكون كان اعلم بغيرها (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف

حاقتها على هذا الوجه البديع لا لان ترجع الى منافعها لانى غنى عن العالمين منزه عن شائبة الاحتياج ووجه من الوجود على وجه يستدعى التنزه عن الاحتياج وانى غنى عن العالمين بل انما خلقكم على هذه النعمة الجليلة لتشكروها بالتوحيد والطاعة وقوله فمن كفر حينئذ من كفران النعمة ومرتب على الاستخلاف والافضال او على قوله وقيل خلفا بعد خلف اى قيل معنى جعلكم خلائف جعلكم خلفا بعد خلف بان يكون اهل كل قرن خليفة من سبقهم والمعنى حينئذ انكم شاهدتم فيمن سبقكم ما ينبغى ان يعتبر به من هلاك بعضهم بالطوفان وبعضهم بالصيحة وبعضهم بريح العقيم وبعضهم بان ارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة ونحو ذلك وعلمتم ان ما اصابهم لم يصبهم الا لكفرهم ويستقيم بذلك ان من كفر عليه جزاء كفره فالكفر على هذا الوجه يجوز ان يراد به ما يقابل الايمان وان يراد به كفران النعمة (قوله بيان له) اى لكون جزاء الكفر ووباله راجعا الى الكافر اقتضى اصاحبه مقت الله الذى هو اهول الشدائد وخسار الاخرة الذى هو نهاية الخسران وتبين ان وبال كفره لا يعود الا عليه ومقت الله شدة غضبه والعمر كرأس المال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه فقد خسر خسرانا مبينا (قوله او لانفسهم فيما يملكونه) فانهم كانوا يعينون شيأ من اموالهم لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها (قوله لانه بمعنى اخبرونى) على ان لا يكون الاستفهام مرادا ويضمن أرأيتم معنى اخبرونى فيتعدى الى اثنين احدهما شركاءكم والثانى الجملة الاستفهامية بقوله ماذا خلقوا فان أرأيتم يطلبه مفعولا ثانيا له ويطلبه ارونى فانها وان كانت بصرية لكنها تعدت الى الثانى بهمزة النقل وتكون المسئلة من باب اعمال الثانى على مختار البصريين فيكون ارونى بدل اشتمال من أرأيتم للملابسة بين الاخبار والاراءة وقيل عليه ان المبدل منه اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها فى البدل ولم تعد ههنا وايضا ابدال الجملة من جملة لم يعهد فى كلامهم واجيب عن الاول بان الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد اداته لعدم ارادته وعن الثانى بانه شهادة على النفى فلا تسمع وقد نص النحويون على انه متى كانت الجملة الثانية فى معنى الاولى ومبينة لها ابدلت منها ويحتمل ان تكون الف الاستفهام فى أرأيتم على بابها ولا تتضمن هذه الكلمة معنى اخبرونى بل يكون استفهاما حقيقيا ويكون قوله ارونى امر تعجيز (قوله والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء) اى للدلالة على ان الاصنام لم تكن فى الحقيقة شركاء لله وانما هم الذين جعلوها شركاء فمعنى شركاءكم الشركاء بجعلكم وهذه الاية تقرير للتوحيد وابطال للاشراك بتبكيت المشركين وارغام انفهم بان يطلب منهم دليلا يدل على ما يدعونه على سبيل التنزل والتدرج من الدليل القوى الى الضعيف والى الاضعف فان الاستناد فى خلق شئ ادل على الالوهية من الشركة مع الله فى خلق بعض مخلوقاته اوفى خلق جميع الاشياء وكذا الشركة فى خلق شئ ادل عليها من الكتاب لان الاول يدل بالذات والثانى بالغير فان الشريك فى الخلق يستحق ان يكون شريكا فى الالوهية شركة ذاتية وام فى قوله تعالى ام لهم شرك فى السموات منقطعة بمعنى بل والهمزة فيكون قد اضرب عن الاستفهام الاول وشرع فى استفهام آخر فكانه بعد الاضراب عن الاستفهام قال ألهم شرك فى السموات على سبيل الانكار اى ليس لهم شرك فى السموات فلم تدعوهم من دون الله ثم اضرب عن هذا الاستفهام وشرع فى استفهام آخر فقال ام آتيناهم يعنى الشركاء كتابا فهؤلاء الشركاء على بينات وحجج وبراهين من ذلك الكتاب على انهم شركاؤه فلذلك تعبدونها يعنى ليس الامر كذلك فلم تعبدونها وهذا اذا قلنا الضمير فى آتيناهم يرجع الى الشركاء واما اذا كان راجعا الى المشركين ففيه التفات فكانه قيل بل آتيناهم كتابا فانتم مستقرون على حجج مستمسكون بها على آلهيتها وليس الامر كذلك فلم تدعونهم ولما بين انه لا مستمسك لهم بوجه ما اضرب عن طلبه وبين ان امرهم ليس الا ان شياطينهم ورؤساءهم غروهم فاغتروا بذلك روى ان من المشركين من يقول ان الله تعالى اله السموات وهؤلاء آلهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ومنهم من يقول ان السموات خلقت باستعانة من الملائكة فالملائكة شركاء فى خلق السموات وهذه الاصنام صورها ومنهم من يقول الاصنام شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فانكر سبحانه وتعالى على الاول بقوله ارونى ماذا خلقوا من الارض وعلى الثانى بقوله ام لهم شرك فى السموات وعلى الثالث بقوله ام آتيناهم كتابا الآية وان فى قوله تعالى بل ان يعد الظالمون نافية والمعنى ما يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا والغرور ما يخدع به الانسان مما لا اصل له قال مقاتل يعنى ما يعد الشيطان كفار بنى آدم من شفاعة الالهة لهم فى الآخرة غرور باطل لما بين ان شركاءهم لا خلق لها ولا قدرة بين انه تعالى قادر على

(فمن كفر فعليه كفره) جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل من أرأيتم بدل اشتمال لانه بمعنى أخبرونى كانه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء ارونى اى جزء من الارض استبدوا بخلقه (ام لهم شرك فى السموات) ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية (ام آتيناهم كتابا) ينطق على انا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه

مایشاء بقوله ان الله یمسك السموات والارض الخ والمعنى ان شركائكم لما لم یخلقوا شیأ لا استقلالا ولا شركة ولم یكن لهم شفاعة عنده تعالى ولم یستحقوا لذلك ان یعبدوا فاعلموا انه تعالى هو المستحق لها لانه خالقهما وحافظهما ولا یئوده حفظهما ولولم یحفظهما لزالتا ویحتمل ان یقال لما بین عدم شركتهم قال ان مقتضى شركتهم زوال السموات والارض كما قال فی مواضع اخر تكاد السموات یتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ویحتمل ان یقال ان ذلك من باب التسلیم فی اثبات المطلوب بطریق آخر كانه تعالى قال شركاؤكم ماخلقوا من الارض شیأ ولا من السماء جزأ ولا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شیأ من هذه الاشیاء فهل یقدرون على امساك السموات والارض ولا یمكنهم القول بانهم یقدرون على ابقائها وحفظها كما لا یمكنهم ان یقولوا انهم احدثوها او شیأ منها اول مرة فتبین ان لا معبود سواه (قوله كراهة ان تزولا) اشارة الى ان ان تزولا مفعول له وتقدیره عند اهل الكوفة لئلا تزولا فحذفت لا واللام وقوله او یمنعهما ان تزولا اشارة الى انه مفعول به غیر صریح لقوله یمسكهما بتضمینه معنى یمنعهما لان الامساك منع وحفظ ای یمنعهما من ان تزولا فاسقط الخافض واللام فی قوله تعالى ولئن زالتا لام توطئة القسم وهی فی اصطلاح النحاة عبارة عن لام دخلت على حرف الشرط بعد تمام القسم مظهرا او مضمرا فیكون ما یأتی بعد ذلك الشرط جواب القسم لا جواب الشرط وجزاء الشرط مضمر قال الرضی الاسترابادی فی شرح الكافیة اذا تقدم القسم اول الكلام ظاهرا او مقدرا و بعده كلمة الشرط سواء كانت ان او لو او لولا او اسماء الشرط فالاكثر والاولى اعتبار القسم دون الشرط فیجعل الجواب للقسم و یستغنی عن جواب الشرط لقیام جواب القسم مقامه اما فی ان فلقوله تعالى ولئن زالتا اذا الایة من هذا القبیل فلذلك كان فعل الشرط ماضیا قال ابن الحاجب فی الكافیة واذا تقدم القسم اول الكلام على الشرط لزمه المضی لفظا او معنى وكان الجواب للقسم لفظا فقول المصنف والجملة وهی قوله ان امسكهما من احد من بعده سادة مسد الجوابین یرید به انها جواب القسم وسادة مسد جواب الشرط ودال علیه ولا یصح حمله على ما یفهم من ظاهره لانها لو سدت مسدهما لكان لها موضع من الاعراب من حیث انها سدت مسد جواب الشرط ولا موضع لها من حیث انها سدت مسد جواب القسم والشیء الواحد لا یكون معمولا وغیر معمول (قوله ومن الاولى زائدة) زیدت لتأكید النفی لان قوله ان امسكهما من حد من بعده معناه ما یمسكهما احد من بعد امساكه ایاهما وقیل من بعد زوالهما وقیل من بعده بمعنى سواه ومن الثانیة على التقادیر لابتداء الغایة جعل قوله تعالى انه كان حلیما غفورا استئنافا فی معرض التعلیل لقوله ان الله یمسك السموات والارض ان تزولا والمعنى انه تعالى انما امسكهما حلما منه وغفرانا حیث لم یعجل عقوبتهم بل اخرها الى قیام الساعة ولولا حلمه وغفرانه لعجل تعذیبهم بان یشقق السماء والارض و یهدمهما علیهم وتبتلعهم الارض لفظاعة مقالتهم فی الله تعالى بان له اندادا وشركاء ولو لم یكن المراد هذا المعنى لكان المناسب للمقام ان یقال انه قدیر على الاحداث والامساك وانتصاب قوله تعالى جهد ایمانهم على المصدر ولك ان تجعله فی موضع الحال ای جاهدین وفی الصحاح قال الفراء والجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك فی هذا الامر ای ابلغ غایتك والجهد بالضم الطاقة وعند غیر الفراء كلاهما بمعنى الطاقة ای اقسموا بایمانهم و بالغوا فی تأكیدها واكدوها بما هو غایة وسعهم واللام فی قوله لئن جاءهم نذیر لام توطئة القسم وقوله لیكونن جواب القسم المقدر اذ لم یحك فی الایة قسمهم بل انما حكى معنى كلامهم وسد مسد جواب الشرط وقوله لئن جاءهم حكایة لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان كذلك لكان التركیب جاءنا لنكونن (قوله ای من واحدة من الامم) ای ممن كذب الرسل من اهل الكتاب كائنا من كان من الیهود والنصارى وغیرهما فان المكذبین احدى الامتین والمصدقین امة اخرى فان قوله من احدى الامم لما كان شائعا فی الامم كلها صالحا لكل واحدة منها على البدل صار فی معنى النكرة فی الاثبات وقد یحمل على العموم والاستغراق بقرینة المقام كما فی نحو تمرة خیر من جرادة ای كل واحدة من افراد التمر خیر من كل جرادة فمعنى قوله لیكونن اهدى من احدى الامم لیكونن اهدى من كل واحدة من الامم ومن ای احدى الامم یفرض وعلى قوله او من الامة التی یقال فیها هی احدى الامم یكون قوله من احدى الامم بمعنى من بعض الامم فیكون فی معنى النكرة المحمولة على التعظیم و یكون معناه لیكونن اهدى من افضل الامم واشرفها (قوله الیهود والنصارى وغیرهم) بدل من الامم لان كل واحد امم وفی الكواشی لیس المراد باحدى الامم احدى الامتین دون الاخرى بل هما جمیعا لان احدى شائعة فیهما لانها تصلح لكل واحدة منهما على البدل

ان الله یمسك السموات والارض ان تزولا) كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او یمنعهما ان تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا ان امسكهما) ما امسكهما (من احد من بعده) من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابین ومن الاولى زائدة والثانیة للابتداء (انه كان حلیما غفورا) حیث امسكهما وكانتا جدیرتین بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات یتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا (واقسموا بالله جهد ایمانهم لئن جاءهم نذیر لیكونن اهدى من احدى الامم) وذلك ان قریشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله الیهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم ای من واحدة من الامم الیهود والنصارى وغیرهم او من الامة التی یقال فیها هی احدى الامم تفضیلا لها على غیرها فی الهدى والاستقامة

دون العموم والاستغراق فكيف ثبت به دعوى العموم ولعل النكرة في الاثبات قد تحمل على العموم والاستغراق بقرينة المقام كما في قوله تمرة خير من جرادة اي كل واحدة من افراد التمر خير من كل جرادة فكذلك المعنى ههنا ليكونن اهدى من كل واحدة من الامم ومن اي احدى الامم بفرض وان كان المعنى ههنا ليكونن اهدى من افضل الامم فطريق ارادته منه انه لما كان في معنى النكرة صح ان يقصد به التعظيم والتفضيل كما اشار اليه الزمخشري في قوله تعالى من اساور (قوله على التسبب) يعني ان اسناد زادهم الى النذير او مجيئه اسناد مجازي من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان نفس النذير او مجيئه لا يزيدهم نفورا وانما ازداد نفورهم عن الحق بسبب النذير او بسبب مجيئه ونفورا مفعول به ثان لزادهم مثل زادهم الله مرضا واما استكبارا فيجوز ان يكون بدلا من نفورا كأنه مازادهم الا استكبارا وعلوا وان يكون مفعولا له لنفورا اي مازادهم مجيئه الا نفورا عن الحق لاجل الاستكبار اي ليكون لهم الكبرياء والعلو في الارض اي في بلادهم وان يكون حالا من المفعول الاول لزادهم اي حال كونهم مستكبرين قاله الاخفش وقوله ومكر السيء معطوف على استكبارا وحكمه في الاعراب حكمه في الاوجه وقد جوز ان يكون معطوفا على نفورا فيكون مفعولا به وقوله واصله وان مكروا المكر السيء يريد ان مكر السيء من اضافة الموصوف الى الصفة كصلاة الاولى ومسجد الجامع بدليل قوله تعالى بعد ذلك ولا يحيق المكر السيء حيث وصف المكر بالسيء فلما حذف الموصوف بقي وان مكروا السيء ولما بدل ان مع الفعل بالمصدر صار ومكر السيء اضيف المصدر الى نعته اتساعا كما في صلاة الاولى (قوله وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل) يريد همزة السيء المجرور في قوله تعالى ومكر السيء واما السيء المرفوع في قوله ولا يحيق المكر السيء فانه لا خلاف في تحريك همزته ووجه قراءتها بالاسكان انه استثقل اجتماع الحركات ومن جملتها كسرتان على حرفين ثقيلين فخفف باسكان الهمزة مع ان حركتها حركة الاعراب والاسكان في حركة الاعراب بغير ادغام ولا وقف ولا اعلال منكر عند النحويين لان حركة الاعراب انما وضعت للفرق بين المعاني واسكانها ابطال للحكمة في وضعها وجوزه سيبويه في ضرورة الشعر كما في قوله فاليوم اشرب غير مستحقب وقال الزجاج روى عن ابي عمرو بن العلاء انه قرأ الى بارئكم باسكان الهمزة ويأمركم وينصركم وينصرهم ويشعركم باسكان الراء وهذا رواية سيبويه باختلاس الكسر حيث قال سيبويه كان ابو عمرو يختلس الحركة من بارئكم ويأمركم وما اشبه ذلك مما يتوالى فيه الحركات فيرى من يسمعه انه قد اسكن ولم يسكن عن الاصمعي عن ابي عمرو قال سمعت اعرابيا يقول بارئكم فاختلس الكسر حتى كدت لا افهم الكسرة لعدم اشباعها فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه لضعف الصوت وخفائه اسكانا فان معنى الاختلاس ان تلين الحركة ولا تشبعها بحيث يكون الذي تحذفه من الحركة اقل مما تأتي به واسكان السيء اهون من اسكان بارئكم ويأمركم لانه لا يمكن ان يقال ان حمزة انما اسكنه وقفا فظن الراوي انه يفعل ذلك وصلا ومذهب حمزة في الهمزة المتطرفة اذا اسكنت في الوقف ان يبدلها بجنس حركة ماقبلها وماقبل الهمزة في لفظ السيء مكسور فيجب قلبها ياء لكنه استثقل اجتماع ثلاث ياءات الوسطى منها مكسورة فترك الهمزة ساكنة على حالها فهو اخف من ابدالها ويدل على انه انما اسكنها حال الوقف انه اسكن في قوله ومكر السيء دون قوله ولا يحيق المكر السيء مع ان الحركة في الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وذلك لان الاول تمام الكلام فيصح الوقف عليه دون الثاني وقال ابو اسحق الاسكان فيه لحن لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها وقال ابن القشيري ماثبت بالاستفاضة والتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلابد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من صار الى التخطئة ان غيره افصح منه وان كان فصيحا ايضا (قوله فهل ينظرون) يعني ان النظر بمعنى الانتظار والاستفهام بمعنى النفي اي فما ينتظرون الا سنة الله وطريقته في الاولين وهي انزال العذاب بهم حين كذبوا انبياءهم ومكروا بهم وقوله سنة الله فيهم اشارة الى ان سنة الاولين من اضافة المصدر الى مفعوله وسنة الله من اضافته الى الفاعل لان الاهلاك ليس سنة الاولين وانما هو سنة الله تعالى فيهم فان المصدر يضاف الى الفاعل والمفعول لتعلقه بهما (قوله اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب) اشارة الى بيان المراد من لفظي التبديل والتحويل في الاية والمعنى انك لن تعلم ان العذاب لا يتبدل بغير العذاب ولا يتحول عن مستحقه الى غيره فيتم به تهديد المسيء والخطاب في قوله فلن تجد عام كأنه قال لن تجد ايها السامع وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله استشهاد عليهم) اي على كون سنة الله تعالى تعذيب المكذبين من غير تبديل ولا تحويل فانه تعالى لما ذكر الاولين

(فلما جاءهم نذير) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مازادهم) اي النذير او مجيئه على التسبب (الا نفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا في الارض) بدل من نفورا او مفعول له (ومكر السيء) اصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل (ولا يحيق) ولا يحيط (المكر السيء الا باهله) وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اي لا يحيق الله (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنة الاولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء) ليسبقه ويفوته (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) بالاشياء كلها (قديرا) عليها

وسنته فی اهلاکهم نبههم بتذکیر حال الاولین فانهم کانوا یمرون علی دیارهم و یرون آثارهم وعلامات هلاکهم واملهم کان فوق املهم وعملهم کان دون عملهم وکانوا اطول اعمارا منهم واشد قوة واذا لم یعجزوا الله تعالی ولم یفوتوه فانهم اولی بان لا یعجزوه ولا یسبقوه فیفوتوه (قوله تعالی علی ظهرها) استعارة تخییلیة شبه الارض بالدابة التی یرکب الانسان علیها من جهة تمکنه وتعلیه علیها ثم اثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الظهر لیکون دلیلا علی الاستعارة بالکنایة فان قیل کیف یقال لما علیه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابل الوجه فهو من قبیل اطلاق الضدین علی شیء واحد قلت صح ذلک باعتبارین فانه یقال لظاهرها ظاهر الارض من حیث ان الارض کالدابة الحاملة للاثقال والاحمال وانهم راکبوها و یقال له وجه الارض لکون الظاهر منها کالوجه للحیوان وان غیره کالبطن والباطن منها (قوله بشؤم معاصیهم) لما بین ان بین الدابة ای النسمة التی تدب علیها و بین الناس ملازمة بالشرطیة والجزائیة ورد علیه ما وجه الملازمة بین الشرط والجزاء فانه تعالی اذا کان یؤاخذ الناس بما کسبوا فما بال الدواب حتی یهلکوا اشار الی جوابه بقوله بشؤم معاصیهم وتقریره ان انزال المطر انعام من الله تعالی فی حق عباده فاذا لم یستحقوا الانعام بما اجترحوا من المعاصی قطعت الامطار عنهم بشؤم معصیتهم فیظهر الجفاف علی وجه الارض فلا تنبت شیأ فیموت جوعا جمیع الحیوانات بطریق التبعیة لهم فقوله تعالی ما ترک علی ظهرها من دابة کنایة ارید بها اللزوم والمعنی انقطع عنهم ما هو سبب معاشهم وهو المطر فیموتون جمیعا و یموت وسائر الدواب ایضا تبعا لهم ویحتمل ان یکون مراده ان خلق الدواب نعمة فی حقهم فاذا کسبوا المعاصی یزیل الله تعالی نعمه وخص الدواب بالذکر من بین النعم لاشتمالها علی وجوه المنافع ولکونها اقرب المرکبات الیهم فان البسائط العنصریة اول عالم العناصر ثم من المرکبات المعادن ثم النبات ثم الحیوان ثم الانسان فهی اقرب درجة الانسان فی عالم العناصر والحمد لله وحده وصلی الله علی من لا نبی بعده تمت سورة فاطر والحمد لله علی کل حال

سورة یس ثمانون وثلاث آیات مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم و به نستعین

(قوله یس کالم فی المعنی والاعراب) ذکر فی الم احتمالات احدها ان یکون کل واحد من لفظ الف ولام ومیم اسما لمسماه المعین الذی هو من حروف التهجی الا انها کتبت فی المصحف علی صور مسمیاتها لا علی صور اسامیها بناء علی ان المقصود من ذکرها متقاطعة تهجی مسمیاتها ای تعدید اسمائها الفاظا وتنبیها لمن تحدی بالقرآن علی ان المتلو علیهم مؤلف من عنصر کلامهم و بسائطه لیتیقنوا انه لو کان من عند غیر الله لما عجزوا بأسرهم عن الاتیان بمثله مع کمال فصاحتهم کأنه قیل تنبهوا ان ما یتلی علیکم کلام منزل من ربکم لمصالح دینکم ودنیاکم وانا مرسل به من عنده لاصلاح شأنکم بالایمان به وطاعته فان کنتم فی ریب منه فأتوا بسورة من مثله فانه کلام مؤلف من جنس ما تؤلفون منه کلامکم وتقصدون به اعجاز غیرکم ولما کانت الکلم مرکبة من ذوات المسمیات وکان المقصود من ذکر الاسامی الدلالة علیها کتبت الاسامی علی صور المسمیات للدلالة علی ذلک المعنی فنحو الم علی هذا الوجه مؤلف من جنس هذه الحروف واعرابه انه فی موضع الرفع علی انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ حذف خبره تقدیره هذا المتحدی به من الصورة او القرآن وهذا الذی یتلی علیکم الم او حم او یس ای مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو المتحدی به والمقصود من الاخبار بمضمون هذه الجملة الزام الحجة علیهم وتبکیتهم وان کان المراد بذکرها تعدادا لحروف باسامیها لیکون اول ما یلقی الی السامع دالا علی ان المتلو وحی الهی لان مجرد التلفظ باسماء الحروف وتعدادها مختص بمن خط ودرس واما من الامی فمستغرب خارق للعادة کالکتابة والتلاوة فلا یکون لها محل من الاعراب لعدم ترکبها مع غیرها ترکیبا یحوجها الی ما یدل علی ما یعتبر بها من المعانی الترکیبیة ومن ثالث الاحتمالات کون نحو الم اسما لما کان من تلک الاسامی سمی به السورة او القرآن تنبیها علی اعجازها من حیث ان ترکیب کلماتها من جنس هذه الحروف التی هی مادة کلامهم ای کل ملة فلو کانت من عند غیر الله تعالی لما عجزوا عن الاتیان بمثلها فیکون لها محل من الاعراب اما الرفع علی انها خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف ای هذا المتلو سورة کذا او هذه السورة مما انزل علیکم واما النصب بتقدیر اتل سورة کذا و یدل علیه ان علیا رضی الله عنه کان یقول یا کهیعص یا حمعسق او بنزع الخافض فیکون مقسما به مجرورا منصوبا باضمار حرف

(ولو یؤاخذ الله الناس بما کسبوا) من المعاصی (ما ترک علی ظهرها) ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب علیها بشؤم معاصیهم وقیل المراد بالدابة الانس وحده لقوله (ولکن یؤخرهم الی اجل مسمی) وهو یوم القیامة (فاذا جاء اجلهم فان الله کان بعباده بصیرا) فیجازیهم علی اعمالهم عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرأ سورة الملائکة دعته ثمانیة ابواب الجنة ادخل من ای باب شئت (سورة یس) وعنه علیه الصلاة والسلام یس تدعی المعمة تعم خیر الدارین صاحبها والدافعة والقاضیة تدفع عنه کل سوء وتقضی له کل حاجة وهی مکیة وآیها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحیم

(یس) کالم فی المعنی والاعراب

القسم وحذفه والمراد بحذفه مالايكون اثره باقيا في نحو الله لأفعلن يجوز النصب بنزع الخافض وحذفه واعمال
فعل القسم المقدر فان تقديره اقسم بالله و يجوز الجر باضمار حرف الجر وتقديره عن الامام الواحدى انه قال
فى الوسيط اختلف المفسرون فى الحروف المقطعة فى القرآن فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا
الى ادراك معانيها وانها مستأثرة لله تعالى بعلمها ونحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى قال داود
ابن ابى هند كنت اسأل الشعبى عن فواتح السور فقال ياداود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور
فدعها وسل عما سوى ذلك وفسرها الاخرون انتهى كلامه فان من الاحكام الشرعية مايجب الايمان به لقيام
الدليل السمعى عليه ولم يكن للعقل سبيل الى ادراك وجهه كالصراط الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر
عليه المؤمن كالبرق الخاطف وكالميزان الذى يوزن به الاعمال مع انها لاثقل لها لكونه من خواص الاجسام
وكمقادير اعداد الركعات والحكمة فى ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم مافيه من الفوائد لايكون
اتيانه به الا لمحض العبادة بخلاف مالو علم فائدته فانه حينئذ ربما يأتيه لتلك الفائدة فعلى هذا اذا تلفظ بشئ من هذه
الفواتح مع انه لايفهم منه مايفهم من سائر الايات لايكون تلفظه به الا امتثالا للامر به فيكون اقرب الى التعبد
(قوله بلغة طى) فانهم يستعملون لفظ يس فى الانسان قال الزمخشرى ان صح ان ابن عباس رضى الله عنه
قال ان معنى يس ياانسان فوجهه ان يكون اصله ياانيسين فيكون لفظ يا حرف نداء وسين شطر انيسين قصر للتخفيف
كما اقتصروا فى ايمن على شطره لذلك فان ايمن الله اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وربما حذفوا منه النون
فقالوا ايم الله وربما حذفوا الياء ايضا فقالوا ام الله وربما ابقوا الميم مضمومة فقالوا م الله واورد عليه انه
لايجوز اطلاق اللفظ المصغر على النبى صلى الله عليه وسلم لانه تحقير له فانهم نصوا على ان التصغير لايدخل
فى الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال فى المهيمن انه تصغير مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت
الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله ويدفعه ان صيغة التصغير قد تكون لاظهار العطف
والتعظيم كما فى قول الاحباء ولاسيما ان المتكلم بصيغة التصغير هو الله وهو لايفعل الا ماهو صواب وحكمة
وقد تقدم للزمخشرى فى طه مايقرب من هذا البحث (قوله وقرأ بالكسر كجير) لان الكسر اصل فى تحريك
الساكن هربا من التقاء الساكنين واشار بقوله بالكسر الى انها ليست معربة مجرورة باضمار باء القسم بل
انها مبنية محكية عن حال التهجى وهى حال ان توقف على السكون والا لكان جرها بالفتح لعدم انصرافها للعلمية
والتأنيث فتعين ان تكون محكية عن حال التهجى وهو حال الوقف على السكون ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين
كما اجيز فى الكلم التى يوقف عليها فيكون كسرها على لغة من يهرب حذرا من التقاء الساكنين او لانها لما
حكيت عن حال التهجى استمر لها الوقف لانها فى الاعم الاغلب تذكر على طريق التهجى فيقال صاد نون قاف
فاشبهت المبنى الذى اجتمع فيه ساكنان فعوملت معاملته وقوله كجير اشارة الى هذا الوجه ومثل هذا المبنى يجوز
بناؤه على الفتح لخفته كأين وكيف وعلى الضم كحيث لان الضم لقوته يصلح ان يكون عوضا عما استحقه الاسم من
الاعراب او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه يس ويجوز ان تكون فتحة يس فتحة اعراب ويكون تقديره اتل
يس وان تكون فتحة غير المنصرف للعلمية والتأنيث فى موضع الجر بناء على ان يس مقسم به باضمار باء القسم اى
اقسم بيس على ان يس اسم من اسماء الله تعالى او اسم من اسماء القرآن اى اقسم بالكتاب المسمى يس او اسم
من اسماء السورة اى اقسم بسورة تسمى يس (قوله واما الياء حمزة والكسائى) لان يس عندهما اسم
مركب من جملة الاسماء وقد وقعت الفها بعد الياء فاميلت لتناسب الياء واذا مالوا يا التى هى حرف
نداء فلأن يميلوا الياء من يس اجدر لان الحروف لاحظ لها من الامالة بطريق الاصالة فلذلك لايمال الى وعلى
وحتى مع كون الفاتها مرسومة بالياء (قوله وادغم النون) فى الشاطبية ويس اظهر عن فتى حقه بدا
اى أظهر نون يس عمن اشير اليه بالعين فى عن وهو حفص وبالفاء فى فتى وهو حمزة وبلفظ حق وهما ابن كثير
وابو عمرو وبالباء فى بدا وهو قالون فتعين للباقين الادغام وهم ابن عامر والكسائى وابو بكر وورش ووجه الادغام
ظاهر لان النون الساكنة قبل الواو تدغم فيها نحو من وال ووجه الاظهار ان حروف التهجى حقها ان يوقف
عليها مبنيا لفظها لكونها الفاظا مقطعة غير مركبة مع العامل (قوله ارسلوا على صراط) اشارة
الى ان على صراط متعلق بالمرسلين فان فعل الارسال يتعدى بعلى فانه يقال ارسلت عليه كذا قال تعالى وارسل

وقيل معناه ياانسان بلغة طى على ان اصله ياانيسين
فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله فى ايمن
الله وقرئ بالكسر كجير و بالفتح على البناء كأين
او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم
والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على
هذه يس وامال الياء حمزة والكسائى وابو بكر وحفص
وروح وادغم النون فى واو (والقرآن الحكيم)
ابن عامر والكسائى وابو بكر وقالون وورش
ويعقوب وهى واو القسم او العطف ان جعل يس
مقسما به (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم)
لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد
والاستقامة فى الامور

عليهم طيرا ابابيل وجوز ان يكون خبرا ثانيا لقوله انك على معنى انه تعالى اقسم بالقرآن على ان محمدا صلى الله عليه وسلم جامع للوصفين كقوله هذا حلو حامض والحكيم بمعنى المحكم اى لا يلحقه التغير وقيل بمعنى ذى الحكمة فانه ناطق بالحكمة وقيل بمعنى الحاكم فانه يحكم بما فيه من الاحكام (قوله وان دل عليه لمن المرسلين التزاما) لانه قد علم ان المرسلين على صراط مستقيم وحاصل ماذكره انه ليس المقصود من ذكر قوله على صراط مستقيم تخصيص المرسلين حتى يقال لا حاجة اليه بل وصف ماجاء به من الشرع صريحا فكانه قال انك لمن المرسلين وان ماجئت به صراط مستقيم فسلك طريقة الاختصار بان جمع بين الوصفين فى نظام واحد (قوله خبر محذوف) قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو تنزيل اى منزل العزيز و يجوز ان يكون خبر يس اذا جعلته اسما للسورة اى هذه السورة المسماة بيس منزلة فالجملة القسمية على هذا اعتراض (قوله باضمار اعنى اوفعله) اى نزله تنزيل العزيز الرحيم اضيف المصدر الى فاعله وتقديره على الاول والقرآن الحكيم اعنى تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر (قوله او بمعنى لمن المرسلين) اى اوهو متعلق بفعل يدل عليه هذا اللفظ اى ارسلناك لتنذر ولا وجه لتعلقه بالمرسلين لان ارسالهم ليس لان ينذر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واقتصر على ذكر الانذار لانه المقصود الاهم من البعثة (قوله قوما غير منذر آباؤهم الخ) اشارة الى ان ما نافية والجملة المنفية صفة لقوما وهذا كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم ما قبلك من نذير فتكون الاية نازلة فى حق قوم لم يبلغهم خبرنبى لتطاول مدة الفترة وجوز ان تكون ما موصولة بمعنى الذى او تكون نكرة موصوفة فتكون مامع صلتها او صفتها منصوبة المحل على انها المفعول الثانى لتنذر و يكون العائد محذوفا والتقدير لتنذر قوما العذاب الذى انذر به آباؤهم اوعذابا انذر به آباؤهم وان تكون مصدرية اى لتنذر قوما انذار آبائهم اى انذارا مثل انذار آبائهم وهذه الاوجه الثلاثة تدل على ثبوت الانذار لآبائهم الاولين (قوله اى لم ينذروا فبقوا غافلين) يعنى ان الفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله فان النفى المتقدم سببه كما فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما فان الفاء داخلة على الحكم وما تقدمه سببه وعلى الوجوه الاخر داخلة على السبب للحكم المتقدم كقوله عليه الصلاة والسلام فى المحرم الذى وقصته ناقته لا تقربوه طيبا فانه يحشر يوم القيامة ملبيا (قوله تعالى لقد حق القول) فيه وجوه اشهرها ان المراد من القول قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفى الصحاح حق الشئ يحق اى وجب ولما تعلق قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك بمن تبع ابليس ونزل ذلك فى حقهم مؤكدا بالقسم ونون التأكيد وكان اكثر اهل مكة ممن علم الله منهم الاصرار على اتباعه وعدم الاعراض عنه الى ان يموتوا كانوا ممن وجب وثبت عليهم مضمون هذا القول والفاء فى قوله تعالى فهم لا يؤمنون اى بانذارك اياهم داخلة على الحكم المسبب عما قبله ثم بين سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا والغل مايشد به اليد الى العنق للتعذيب سواء كان من الحديد اوغيره (قوله فالاغلال واصلة الى اذقانهم) اشارة الى ان ضمير هى راجع الى الاغلال ووجه وصول الغل الى الذقن اما كونه غليظا عريضا يملأ ما بين الصدر والذقن فعلى هذا تنوين اغلالا للتعظيم والفاء فى قوله فهى الى الاذقان وفى قوله فهم مقمحون فاء النتيجة فلا جرم يصل الى الذقن و يرفع الرأس الى فوق واما كون طوق الغل الذى يجمع اليدين الى العنق بحيث يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فعلى هذا تكون الفاء فى قوله فهى الى الاذقان للتعقيب وفى قوله فهم مقمحون للنتيجة والاقماح رفع الرأس الى فوق مع غض البصر من قمح البعير فهو قامح اذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه اولبرودة الماء اولكراهة طعمه قال الزجاج يقال للكانونين شهرا اقماح لان الابل اذا وردت الماء فيهما رفعت رأسها لشدة البرد جعل الاية من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ ليس هناك غل حقيق واقماح يتفرع عليه شبه الكفار المصممين على الكفر فى عدم ارعوائهم عنه وعدم التفاتهم الى الحق وعدم انعطاف اعناقهم نحوه بالمغلولين المقمحين فى عدم التفاتهم الى مسالكهم وعدم انعطاف اعناقهم نحوها وبمن احاط به سدان والمطمورة حفرة يخبأ فيها الطعام عن الامام انه قال المانع من النظر فى الآيات والدلائل قسمان قسم يمنع من النظر فى الآيات التى فى انفسهم فشبه ذلك بالغل الذى يجعل صاحبه مقمحا لا يرى نفسه ولا يقع بصره على بدنه وقسم يمنع من النظر فى آيات الآفاق فشبه ذلك بالسد المحيط فان المحاط بالسد لا يقع نظره على الآفاق

و يجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما (تنزيل العزيز الرحيم) خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى اوفعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن (لتنذر قوما) متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين (ما انذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله اوالذى انذر به اوشيأ انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر اوانذار آبائهم على المصدر (فهم غافلون) متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين و بقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون (لقد حق القول على اكثرهم) يعنى قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (فهم لا يؤمنون) لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم (فهى الى الاذقان) فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون) و بمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل

ذلا تبين له الآيات التى فى الآفاق كان المقمح لا تبين له الآيات التى فى الانفس فمن ابتلى بهما حرم من النظر بالكلية لان الدلائل والآيات مع كثرتها منحصرة فيهما كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم فقوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم مع قوله وجعلنا من بين ايديهم الاية اشارة الى عدم هدايتهم لآيات الله تعالى فى الانفس والافاق انتهى كلامه والظاهر ان المراد بقوله من بين ايديهم ومن خلفهم ليس جهتى القدام والخلف فقط بل مايعم الجهات الست وجهة القدام لما كانت اشرف الجهات واظهرها وجهة الخلف كانت ضدها خصهما بالذكر و يدل عليه ان المصنف جعل وجه الشبه كونهم محبوسين فى مطمورة الجهل فان حفرة الجهل وظلمته تحيط بالجاهل من جميع جوانبه لا من امامه وخلفه فقط (قوله ان يرضخ) الرضخ بالضاد المعجمة و بالحاء المهملة والمعجمة لغتان بمعنى وهو كسر الشئ بالحجر يقال رضخت رأس الحية بالحجارة فعلى هذا القول تكون الاية الاولى فى مخزومى بعينه وهو ابوجهل عليه اللعنة والاية الثانية فى آخر بعينه و يكون ضمير الجمع فيهما على قولهم بنوا فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم وقال القرطبى ان المخزومى الثانى هو الوليد بن المغيرة وكان هناك مخزومى ثالث قال والله لأشدخن انا رأسه بهذا الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ماشأنك قال رأيت امرا عظيما رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل خطر بذنبه مارأيت قط فحلا اعظم منه حال بينى و بينه فواللات والعزى لودنوت منه لاكلنى فانزل الله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآيتين ولما اخبر الله تعالى عنهم بانهم لا يؤمنون بانذار النبى اياهم وعلله بانهم ممن علم منهم اختيار الكفر والاصرار عليه بقولهم ذلك ولم يوفقهم للايمان والطاعة وجعلهم بمنزلة المغلول المقمح و بمنزلة من احاط به السد من جوانبه بين ان الانذار لا ينفعهم مع مافعل الله بهم من الغل والسد والاغشاء والاعماء فقال وسوآء عليهم ءأنذرتهم وسوآء خبر لما بعده اى انذارك وعدمه سيان عليهم وهو اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما نعت بالمصادر فان الخبر فى المعنى وصف قائم بالمبتدأ وعدل عن المصدر الى الفعل فقيل أنذرتهم ليقرر معنى الاستوآء فينبغى ان تكون الموانع من جانب المشبه به ايضا متحققة فى جميع جوانبه و يظهر بذلك ترتب قوله فاغشيناهم اى جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون على جعل السد والمعنى جعلناهم محاطين بالسد من جميع جوانبهم فاغشيناهم اى جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيأ اصلا والغشاء كالغطاء وزنا ومعنى وهو ماتغطيت به وقوله فاغشيناهم تقديره فاغشينا ابصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فحذف المضاف وقرئ فاعشيناهم بالعين المهملة من العشى مقصورا وهو مصدر الاعشى وهو الذى لا يبصر بالليل و يبصر بالنهار يقال اعشاه الله فعشى يعشى عشى والمعنى اضعفنا ابصارهم عن ادراك الهدى كما اضعفت عين الاعشى والقرآءتان متقاربتان من حيث المعنى و يرضخ من رضخته اذا رميته بالحجارة وعلى هذا القول تكون كل واحدة من الآيتين فى مخزومى واحد ولفظ الجمع فيهما على طريق قولهم بنوا فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم (قوله انذارا يترتب عليه البغية المرومة) اشارة الى وجه الجمع بين قوله لتنذر قوما و بين انما تنذر فان الاول يقتضى الانذار العام والثانى يقتضى تخصيصه بمن يتبع الذكر ويخشى وتقريره ان معنى الاول لتنذرهم على العموم كيف ما كان سوآء كان مفيدا اولم يكن ومعنى قوله انما تنذر ان الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من اتبع الذكر اى القرءآن اوما فيه من التذكر والوعظ على ان يراد بالذكر القرءآن الذى تقدم ذكره فى قوله والقرءآن الحكيم والتعريف للعهد فى قوله انا نحن نزلنا الذكر او يراد به ما فى القرءآن من الآيات والتذكر والوعظ لقوله والقرءآن ذى الذكر (قوله وخاف عقابه قبل حلوله) اشارة الى ان مفعول خشى مضاف مقدر وان بالغيب حال منه اى خشى عقاب الرحمن حال كون ذلك العقاب غائبا عنه وقوله او فى سريرته اشارة الى انه حال من المنوى فى خشى اى خشى حال كونه غائبا عن الناس فى خلوته (قوله ولا يغتر برحمته) جواب عما يقال المناسب لذكر الخشية ذكر اسم ينبئ عن القهر والرحمن ينبئ عن اللطف والانعام والتنوين فى قوله بمغفرة للتعظيم اى فبشره بمغفرة واسعة تستره من جميع جوانبه (قوله الاموات بالبعث) يعنى ان كان نحيى الموتى بمعنى احياء من فى القبور بالبعث يكون حقيقة والمقصود به الاشارة الى اصل آخر وهو الحشر بعد تحقق اصل الرسالة لما اقسم الله تعالى على انه ارسله لانذار العصاة بانتقام الملك القهار وتبشير المطيعين بالاجر الكريم اتجه ان يقال متى يكون ذلك ولم يظهر بكماله فى الدنيا فاجيب عنه على طريق الاستئناف بان ذلك انما يظهر فى الدنيا فالله يحيى الموتى و يجزيهم على حسب اعمالهم وان كان احياء الموتى مجازا عن هداية الجهال واخراجهم من الشرك الى الايمان

وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان منه بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف ابوجهل ان يرضخ رأس النبى صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله (وسوآء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) سبق فى البقرة (انما تنذر) انذارا يترتب عليه البغية المرومة (من اتبع الذكر) اى القرءآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار (فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيى الموتى) الاموات بالبعث او الجهال بالهداية (ونكتب ماقدموا) ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم

يكون وجه الاستئناف انه لما ذكر انه مرسل للانذار بين الحكمة فيه بقوله انا نحن نحيي الموتى اى الجهال الذين ماتت قلوبهم بخلوها عن العقائد الحقة بان نملأ قلوبهم بنور الايمان والحكمة واخر ذكر الكتابة عن ذكر الاحياء مع انها متقدمة عليه فى الوجود تعظيما لامر الاحياء بالاشارة الى انه للحساب لان الكتابة انما تكون لاجل الحساب ومؤدية اليه فذكرها فى قوة ذكر الحساب وفسر قوله تعالى ماقدموا بما عملوه من الاعمال الصالحة والسيئة وآثارهم بما خلفوه مما يضاف اليهم من اموالهم المحبوسة وتصانيفهم المدونة وماسنوه من السنن الحسنة والسيئة فاتبعهم على ذلك من بعدهم فان له اجر هذا واجر من عمل به من غير ان ينقص من اجورهم شئ وعليه وزر ذلك ووزر من عمل به من غير ان ينقص من اوزارهم شئ كما ورد فى الحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجر العامل شئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزر العامل شئ وسمى اللوح اماما لانه يؤتم به ويتبع ولا يخالف والمبين هو المظهر بلا مؤنة واللوح كذلك لانه ما من شئ الا كتب فيه بجميع احواله كانه لما قال نكتب ماقدموا قيل هل ذلك كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك يفهم بعد التخصيص فكانه قال بعد قوله نكتب ماقدموا وآثارهم ليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شئ يحصى فى امام مبين واصل الاحصاء العد استعير للبيان والحفظ لان العد يكون لاجلهما (قوله ومثل لهم) فان اضرب لما كان مشتقا من الضرب بمعنى المثال كان معنى اضرب لهم مثلا مثل لحالهم المتعلقة بارسالك اليهم مثلا اى قصة عجيبة الشان اى اورد مثالا لحالهم وقصتهم مثل تلك القصة فيكون المثل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له لان اضرب بهذا المعنى يتعدى الى مفعول واحد وانما يتعدى الى مفعولين اذا جعل اضرب بمعنى اجعل فيكون مثل اصحاب القرية مفعولا اولا له ومثلا مفعولا ثانيا اى اجعل مثل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء المشركين ليتخذوه مثلا لهم فى معاملتهم معك ويحترزوا من ان ينزل بهم مانزل باصحاب القرية فقول المصنف لتضمنه معنى الجعل ليس على ظاهره لانه يستلزم ان يكون المحذوف الذى هو مدلول الفعل المضمن فيه مفعولا ثانيا للجعل المضمن والمثل المقدر مفعولا اولا فيبقى قوله بلا عامل ولو قال لكونه بمعنى الجعل لكان اظهر والمثل له معنى لغوى وهو الشبيه والنظير ومعنى عرفى وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده على طريق تشبيه القصة بالقصة ثم استعمل فى المضرب بطريق استعمال لفظ المشبه به فى المشبه ومعنى مجازى مستعار له من المعنى العرفى وهو الحال العجيبة والقصة الغريبة او الصفة البديعة تجوزا من المعنى العرفى بعلاقة الغرابة تشبيها لكل واحدة منها بالقول السائر فى الغرابة لان القول السائر لا يكون سائرا مشهورا بين الناس الا لغرابته فقوله تعالى مثل الجنة اى صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالقول السائر وقوله ولله المثل الاعلى اى له الوصف العجيب الشان ولما كان لاصحاب القرية مثل اى قصة عجيبة وهى انهم بعث اليهم رسل يدعونهم الى الله تعالى فآمن من آمن منهم ونجا ومن لم يؤمن هلك فانذر مشركى مكة بتذكيرهم قصة اهل انطاكية ان يحترزوا مما انزل بكفار اهل تلك القرية بسبب تكذيبهم الرسل (قوله اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية) بدل اشتمال كانه تعالى قال واضرب لهم وقت مجئ المرسلين مثلا اى مثل ذلك الوقت بوقت مجئ محمد وقيل فيه نظر لان ظرف الزمان كما لا يجوز ان يكون وصفا للعين ولا حالا منه ولا خبرا عنه ينبغى ايضا ان لا يكون بدلا منه والظاهر انه لا محذور فى كونه بدل اشتمال واذ الثانية وهى التى فى قوله اذ ارسلنا بدل من اذ الاولى كانه قال واضرب لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اثنين والاصح ان تكون اذ الثانية ظرفا لجاءها اى جاءها المرسلون حين ارسلناهم اليهم وانما جاؤهم من حيث انهم امروا به وآمرهم وان كان هو عيسى عليه الصلاة والسلام بالذات الا انه لما كان عليه الصلاة والسلام مأذونا فيه من قبل الله تعالى كان رسل رسول الله باذن الله له فى ذلك رسل الله فلذلك اضيف الارسال اليه تعالى ويؤيد هذا مسئلة فقهية هى ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل للموكل لا للوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وفى هذا الاسلوب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل لا يذهب الى خاطرك ان اولئك كانوا رسل الرسول وانما هم رسل الله وقد كذبوا وتكذيبهم كتكذيبك قيل القول بكون القرية انطاكية ضعيف لان اهل انطاكية لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اول مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت ولذلك كانت احدى المدن الاربع التى يكون فيها بطارقة النصارى وهن انطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا

(وكل شئ احصيناه فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ (واضرب لهم) ومثلهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما (مثلا اصحاب القرية) على حذف مضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية (اذ جاءها المرسلون) بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه فى قوله (اذ ارسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله وخليفته وهما يوحنى وبولس وقيل غيرهما

(فكذبوهما فعززنا) فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ماقبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به (بثالث) هو شمعون (فقالوا انا اليكم مرسلون) وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر فى امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين قال فهل سمعت مايقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر آلهتنا لاتبصر ولاتسمع ولاتضر ولاتنفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال انى ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فى نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (قالوا ماانتم الابشر مثلنا) لامزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا (وما انزل الرحمن من شئ) وحى ورسالة (ان انتم الا تكذبون) فى دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم (وماعلينا الا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لايحسن الا ببينة

واهل هذه القرية المذكورة فى القرآن اهلكوا لقوله تعالى ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون وفى كلام المصنف اشارة الى التوفيق بين اهلاك اهل انطاكية بالصيحة وبين كونهم اول اهل مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فان ايمان الملك فى جمع ممن تبعه يكفى فى صحة القول بان اهل انطاكية اول مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام وكذا اهلاك من لم يؤمن منهم بالصيحة يكفى فى صحة اهلاك اهلها بها (قوله فعززنا فقوينا) قال فى الكواشى فعززنا مخففا من عزه غلبه والمفعول محذوف اى غلبنا اهل المدينة برسول ثالث وعززنا مشددا من القوة والمفعول محذوف ايضا اى قوينا المرسلين برسول ثالث لان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد بعث الرسولين بعث شمعون تقوية لهما وكان شمعون الصفار رأس الحواريين فدخل المدينة متنكرا اى لم يعرف امره ورسالته فآل امره الى ان انس به الملك وذكر المصنف فى حذف المفعول وجهين حاصل الاول ان الفعل ليس منزلا منزلة اللازم بل له مفعول مقدر حذف لدلالة القرينة عليه وكون ذكره معها بمنزلة العبث لانه اذا كان المقصود من ذكر الجملة الفعلية الاخبار بوقوع الفعل من فاعله باعتبار تعلقه بمن وقع عليه الفعل دخل المفعول تحت قصد المخبر وحاصل الثانى ان الفعل منزل منزلة اللازم غير مقدر مفعوله الصريح من حيث ان المقصود اثباته لفاعله مع اعتبار تعلقه بمفعوله الغير الصريح وبيان تعلقه بمفعوله ليس بمراد فان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وذكر تدبيره اللطيف الذى عز به الحق وذل الباطل وليس بيان المعزز وتعلق الفعل به بمراد فيجب ان يصرح اللفظ على قدر الحاجة ويطرح مازاد عليه (قوله مطموس العينين) اى لايتميز موضع عينيه عن جبهته والطموس الدروس والامحاء وقد طمس الطريق يطمس ويطمس اذا كان بحيث لايتميز عن جانبيه (قوله فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه) اى اظهر امره وبدل تنكيره ووافق صاحبيه فقالوا جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون من غير ان يزيدوا اللام للتأكيد فى مرسلون لانه ابتداء اخبار منهم فلا يحتاج الى تأكيد والذى تقدم على هذا الاخبار هو دعوتهما الملك فقال لهما حتى انظر فى امركما وأمر بحبسهما فلما خرجا من عنده تبعهما الناس فكذبوهما وحبسوهما وتكذيب الاثنين فى اخبارهما لاينافى كون اخبار الثلاثة جميعا ابتدائيا هذا حاصل كلام الكشاف وفيه ان اخبار الثلاثة ليس ابتدائيا بل هو طلبى لانه كلام من المريد الطالب والابتدائى هو اخبار الاثنين ولما كان الاستواء فى البشرية والاتحاد فى الحقيقة النوعية مستلزما لعدم جواز اختلاف الافراد بحسب اللوازم والخواص على زعمهم بناء على عدم اعتقادهم بانه تعالى فاعل مختار يفعل مايشاء ويحكم مايريد كنوا بقولهم ماانتم الا بشر مثلنا عن انكار اختصاص المرسلين برسالتهم اليهم وعن اختصاص انفسهم بوجوب طاعة الرسل عليهم ثم قالوا وماانزل الرحمن من شئ من الوحى السماوى ومن رسول يبلغ ذلك الوحى اليكم فكيف صرتم رسلا وكيف يجب علينا طاعتكم وهو من تتمة هذه الكناية لانه ايضا يستلزم الانكار المذكور ويحتمل ان يكون شبهة اخرى فانهم لما قرروا شبهتهم بالنظر الى المرسل وهى انه تعالى ليس بمنزل شيأ فى هذا العالم فان تصرفه فى العالم العلوى والآثار السفلية مستند الى الكواكب والاوثان صورها فالله تعالى خص اسم الرحمن للتعبير عن ذاته المقدسة ردا عليهم لانه تعالى لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لاينزل رحمته وهو رحمن (قوله ورفع بشر) يعنى ان ما فى قوله ماانتم هى المشبهة بليس وهى تعمل عمل ليس كما فى قوله ماهذا بشرا الا انها انما تعمل لمشابهتها بليس فى النفى فاذا انتقض النفى بالا لم يبق لها شبه فلم تعمل (قوله الظاهر البين) اشارة الى ان ابان بمعنى بان ومعنى المبين البين صحته اى البين كونه بلاغا من قبل الله اى المبين الحق من الباطل لاقترانه بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة وفيه تسلية لانفسهم وتعريض لهم بان انكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو محض عناد واستكبار وحمية جاهلية اى نحن خرجنا من عهدة ماعلينا من طاعة ربنا حيث بلغنا رسالته اليكم وحققنا صدقنا بالبينات القاطعة والمعجزات الباهرة وليس فى وسعنا اجباركم على الايمان ولا ان نوقع فى قلوبكم العلم بصدقنا ان اظهرتم الانكار لامرنا على وجه المكابرة وهذه الفائدة تتمة لما ذكره المصنف من ان قوله وماعلينا الا البلاغ المبين جئ به ليحسن منهم ان يجيبوا الاخبار برسالتهم مؤكدا بالقسم وان واللام والاستشهاد بعلم الله تعالى فان من كذب فى دعواه لو قال والله انى لصادق فيما قلته من غير اقامة البينة عليها لاستقبح منه ذلك ولم يسمع قوله ولم يقتصر الا عن عجز عن اقامة الدليل واسكات خصمه ولم يبق لهم متشبث يتشبث به سوى هذه الكلمة اى الحلف بالله وبعلمه فكان قولهم وماعلينا الاية بمنزلة البينة المحسنة ليمين المدعى فما كان جوابهم بعد هذا الا ان قالوا انا تطيرنا

(بكم)

يكم اى بكونكم بين اظهرنا (قوله تشاءمنا بكم) اصل التطاير التفاؤل بالطير فانهم يزعمون ان الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به ووجد تشاؤمهم بالرسل انهم دعوهم الى دين غير مايدينون به فاستغربوه واستقبحوه ونفرت عنه طبيعتهم المعوجة فتشاءموا بمن دعا اليه كانهم قالوا اعاذنا الله مماتدعون اليه ماسمعنا بهذا قبل مجيئكم فكنتم لنا بمنزلة الطير البارح مع مقتضى الرسالة انذار المرسل اليهم بمكروه يلحقهم واهليهم ومايتعلق بهم من اسبابهم ان لم يؤمنوا فلذلك تشاءموا بالمنذرين وقالوا سمعنا منكم مايتطير به فكفوا عنه ولاتعودوا الى مثله لئن لم تنتهوا الاية اى والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم ودعوتكم ايانا الى التوحيد ورفض ديننا لنرجمنكم اى لنقتلنكم شر القتل وهو القتل بالحجارة وقيل وجه تطيرهم بهم حبس المطر عنهم فروه بشؤمهم والظاهر ان وجه التطير مااختاره المصنف وهو ان يكون ذلك ماذكره فى الاية من دعواهم الرسالة ودعوتهم اياهم الى ما استكرهته طبيعتهم الخبيثة والرجم القتل واصله الرمى بالحجارة كذا فى الصحاح قال قتادة لنرجمنكم اى لنقتلنكم وقيل نشتمنكم اى لنرمينكم بالقول القبيح وليمسنكم بسبب الرجم والقتل المذكور منا عذاب اليم مؤلم وان قلنا الرجم الشتم فكانهم قالوا لانكتفى بالشتم بل شتما يؤدى الى الضرب والايلام الحسى (قوله سبب شؤمكم) لما كان التطير بمعنى تشاؤم مطلقا كان الطائر بمعنى مايتشاءم به مطلقا فيتناول سوء العقائد والاعمال فلما اجابهم الرسل بان مااصابكم من المكاره ليس بسببنا وانما سبب شؤمكم مامعكم من الحال وقوله وقرئ طيركم على لفظ المصدر وهو اسم جنس فيكون تفسيره اسباب شؤمكم وقرأ السبعة أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام بعدها ان الشرطية انكارا وتوبيخا لهم على تطيرهم اوتوعدهم بالرجم والتعذيب عندما ذكروا ووعظوا وقرئ آئن بالف بين الهمزتين وقرئ أأن بهمزة الاستفهام وان الناصبة اى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان ذكرتم وان ذكرتم بفتح الهمزة وكسرها بلا استفهام فيكون اخبارا بانكم تطيرتم لان ذكرتم اوان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين على مثال كيف وذكرتم بتخفيف الكاف اى شؤمكم معكم اين جرى ذكركم وهو ابلغ فى الدلالة على لزوم الشآمة بهم لانه اذاكان موضع ذكرهم مهبط الشؤم فكيف بمكان حلوا فيه بانفسهم فان المكان اذاكان بسبب ذكرهم فيه شؤما يكون المكان بسبب حلولهم فيه اشأم (قوله وجواب الشرط محذوف) اختلف سيبويه و يونس فى انه اذا اجتمع الاستفهام والشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط فالتقدير عند سيبويه أان ذكرتم تتطيرون وعند يونس تتطيروا مجزوما فاختار المصنف قول يونس فمعنى كلامه ان جواب الشرط الذى يقوم مقام جواب الاستفهام محذوف (قوله وبفتح أن) اى بهمزة الاستفهام وان المفتوحة (قوله واين ذكرتم) بهمزة مفتوحة بعدها ياء ساكنة و بعدها نون مفتوحة وتخفيف كاف ذكرتم واين هذه شرطية لامكانية وجوابها محذوف عند جمهور البصريين اى اين جرى ذكركم فطائركم معكم لدلالة ماتقدم عليه (قوله فمن ثم جاءكم الشؤم) اشارة الى ان المراد بالاسراف الاسراف فى ارتكاب المعاصى وان الاضراب عن قوله طائركم معكم وحده ولما تطيروا بالرسل وعدوهم سبب الشؤم اجابهم الرسل بان سبب شؤمكم مامعكم من سوء العقيدة والايمان ثم قالوا بل هو اسرافكم فى العصيان فيكون قوله أئن ذكرتم مع جوابه المحذوف اعتراضا وقوله اوفى الضلال اشارة الى ان المراد به الاسراف فى الضلال وان الاضراب عن قوله أئن ذكرتم اى وعظتم وخوفتم تتطيرون اويكون الوعظ سبب التطير لا والله بل سبب تطيركم اسرافكم فى الضلال وتماديكم فى الغى فلذلك تطيرتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به و قال قصا المكان يقصو قصوا فهو قصى و يقال فلان بالمكان الاقصى والناحية القصوى فعلم من قوله من اقصى المدينة ان تلك القرية كانت مدينة متباعدة الاطراف وان دعوتهم بلغت الى اقصاها وتنكير رجل لتعظيم شانه وقوله يسعى اى يعدو وقيل يقصد وجه الله بالذب عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها روى ان القوم عزموا على قتل هؤلاء الرسل فسعى هذا الرجل ليخلصهم وكان يكتم ايمانه وكان ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بستمائة سنة لانه كان من العلماء بكتاب الله رأى فيه نعته ووقت بعثته فآمن به ولم يؤمن بنبى احد الابعد ظهوره (قوله وقيل كان فى غار الخ) فى مقابلة ماسبق من قوله ان عيسى عليه الصلاة والسلام ارسل الى اهل انطاكية اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما الخ فرغب الرجل الساعى قومه فى اتباع الرسل بان قال انهم مرسلون فيجب اتباعهم فلما رغبهم فيه وكانوا منعوا كونهم مرسلين نزل درجة فقال انهم يعرفون الطريق المستقيم الموصل الى خير الدارين فلاجرم انهم يصلحون لان يتخذوا ادليلا ومع ذلك انهم قوم لا تخسرون باتباعهم شيأ من

(قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ماادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم (أئن ذكرتم) وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم اوتوعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بالف بين الهمزتين و بفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ (بل انتم قوم مسرفون) قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم اوفى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم و يتبرك به (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) و هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم و بينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم اجرا) على النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) الى خير الدارين (ومالى لااعبد الذى فطرنى) على قرآءة غير حمزة فانه يسكن الياء فى الوصل تلطف فى الارشاد بابرازه فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ماارادلها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال

دنياكم وترجعون بهم ملكا دآئما ونعيما مقيما وقرأ حمزة و يعقوب ومالى باسكان الياء والباقون بفتحها ابرز الكلام في سورة النصيحة لنفسه وهو فى صدد ارشاد قومه تلطفا فى الارشاد حيث اسمع الحق على وجه لا يورث طالبى السمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح بارتكاب الباطل وامحاضا للنصح وفيه مع ذلك اشارة الى ان استحقاقه تعالى للعبادة بين لاخفاء فيه ومن يمتنع عن عبادته لا يمتنع الا بمانع من جهته ولا مانع من جانبى فلاجرم انا اعبده (قوله تعالى ءاتخذ) استفهام بمعنى الانكار اى لا اتخذ ولما بين انه يعبد الذى فطره بين ان من دونه لا تجوز عبادته لان كل ذلك حادث مخلوق مفتقر الى الغنى المطلق وفى قوله ءاتخذ اشارة الى ان من دونه ليس باله لان المتخذ لا يكون الها وقوله ان يردن اصله يريدنى اسكنت الدال لانه فعل شرط مجزوم بان وحذفت الياء التى قبلها لالتقاء الساكنين ولا تغن عنى جواب الشرط والجملة الشرطية فى محل النصب صفة لالهة اواستئناف لا محل لها ولا فى قوله لا تغن للنفى ولا يجوز ان تقع موقعها ما لان ما وضعت لنفى الحال نحو ما يفعل وما زيد منطلقا ولا لنفى الاستقبال نحو لا يفعل وجواب الشرط مستقبل ليس الا (قوله لا تنفعنى شفاعتهم) صادق على وجهين الاول انهم يشفعون ولا تقبل شفاعتهم والثانى انهم لا شفاعة لهم فتغنى وهذا هو المراد دون الاول لان الشفاعة يوم الجزآء مقبولة البتة اذ لا شفاعة يومئذ الالمن اذن له فيها والانقاذ التخليص اى لا يخلصونى من ذلك الضر والمكروه وقوله ولا ينقذون عطف على قوله لا تغن وعلامة العطف الجزم بحذف نون الاعراب لان اصله لا ينقذ ونى ثم قال انى اذا لفى ضلال مبين تعريض لهم بانهم على الضلالة وعلى خلاف ما عليه الرسل من الاهتدآء (قوله وقيل الخطاب للرسل) المعنى على الاول فاسمعوا ايمانى واطيعونى ياقوم وقيل فاسمعوا ماقلت من حال الرسل وحالكم ثم حالى لتفرقوا بين الحق والباطل فتتبعوا المرسلين وعلى الثانى فاشهدوا على الايمان ايها الرسل قيل اظهر ايمانه ليشغل القوم عن الرسل فلما سمعوا منه هذا وثبوا عليه فقتلوه وقيل رجموه بالحجارة كما قالوا لرسلهم لنرجمنكم قال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قتلوه وقطعوه وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل فان قيل قال من قبل ومالى لا اعبد الذى فطرنى وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربى فالجواب انه ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم آمن بالرب الذى دعوه اليه وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد لانه لما قال اعبد الذى فطرنى ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربى لان الكافر يقول حينئذ وانا ايضا آمنت بربى والمنادى فى قوله ياليت قومى محذوف اى يا اصحابى اويا احبابى اونحوهما وذكر لكلمة ما فى قوله تعالى بما غفرلى الاية ثلاثة اوجه الاول كونها خبرية اى موصولة بحذف العائد اى بالذى غفره لى ربى من الذنوب واستضعف بانه يكون تمناه على هذا ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة ولا وجه لتمنيه بل الوجه ان يتمنى علمهم بغفران ربه ذنوبه بالايمان وتصديق الرسل الا ان يقال الموصول عبارة عن المصدر اى بالغفران الذى غفرلى فيكون اشارة الى تعظيم الغفران واشتماله على انابة عظيمة وتعظيم بليغ والثانى كونها مصدرية اى بغفران ربى اياى والباء فى بما على الوجهين متعلقة بيعلمون والجار والمجرور فى محل النصب على انه مفعول يعلمون والثالث كونها استفهامية واليه ذهب الفرآء و بما غفرلى على هذا الوجه مفعول له والباء سببية متعلقة بغفر ورده الكسائى بانه كان ينبغى حينئذ حذف الفها لكونها مجرورة فان الاجود والاشهر ان ما الاستفهامية تحذف الفها عند انجرارها بحرف جر نحو عم يتساءلون وفيم انت من ذكراها وفناظرة بم يرجع المرسلون وقيل مجيئها باثبات الفها على الاصل كما فى قوله

على ماقام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

والاية من هذا القبيل ان جعلت ما استفهامية ووجه الحذف ان لها صدر الكلام لكونها استفهاما ولم يمكن تأخير الجار عنها فقدم عليها وركب معها حتى يصير المجموع ككلمة موضوعة للاستفهام فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة التصدر وجعل حذف الالف دليل التركيب وقيل تحذف الف ما الاستفهامية دون انجرارها دون الخبرية للفرق بينهما (قوله قيل له ذلك لما قتلوه) يعنى انه قيل له بعد قتله ادخل الجنة اما على انه اخبار بانك من اهل الجنة وانك تدخلها بعد البعث الا انه امر بدخولها فى الحال لان الجزآء بعد البعث واما على انه اذن له فى دخولها فى الحال اكراما له كسائر الشهدآء فانه قال فى حقهم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا

(ءاتخذوا من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ) لا تنفعنى شفاعتهم (ولا ينقذون) بالنصرة والمظاهرة (انى اذا لفى ضلال مبين) فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل (انى آمنت بربكم) الذى خلقكم (فاسمعون) فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهدآء اولما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاوليا فى كظم الغيظ والترحم على الاعدآء اوليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية اومصدرية والباء صلة يعلمون اواستفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اى باى شئ غفرلى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم

الى اخر الآية قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها وقوله اولما هموا بقتله عطف على قوله لما قتلوه اى روى انه لم يمت بل لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله تعالى الى السماء فهو فى الجنة على ماقاله الحسن فعلى هذا يكون قوله ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى صادرا عنه فى حياته وعلى الاول يكون ذلك بعد قتله وعلى القولين يكون سبب تمنيه علم قومه بحاله ان يكون علمهم بها سببا فى اكتساب الايمان والعمل الصالح ليكون ذلك مفضيا لهم الى الخلاص من العذاب المخلد ويفوزوا بالثواب المؤبد وفى الحديث انه نصح قومه حيا وميتا (**قوله بل كفينا امرهم بصيحة ملك**) روى انه لما قتل حبيب غضب الله تعالى له فعجل لهم النقمة فامر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فجعل طريق استئصالهم ما يتوصل به الى زجر نحو الطيور والوحوش من صيحة عبد واحد مأمور ففيه استحقار لاهلاكهم وهو ظاهر وايماء الى تعظيم رسولنا صلى الله عليه وسلم ووجهه انه لما ظهر ان تحريك ريشة من جناح ملك وادنى صيحة كان كافيا فى اهلاك مدآئن جماعات شتى علم ان انزال الجنود من السماء يوم بدر والخندق كما يدل عليه قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله بالف من الملائكة مردفين وقوله بثلاثة الاف من الملائكة منزلين وقوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كل ذلك لم يكن الا تعظيما لشأنه واجلالا لقدره لا لاحتياجه الى الملائكة فى المظاهرة والمعاونة (**قوله وما صح فى حكمتنا**) اشارة الى ان ما الثانية نافية كالتى قبلها فتكون الجملة جارية مجرى التأكيد للاولى يقال انتصر منه اى انتقم وقيل ما الثانية موصولة ومحلها النصب عطفا على موضع جند اى من جند من الذى كنا منزلين قيل عليه انه يستلزم ان تكون من الاستغراقية مزيدة ومذهب البصريين غير الاخفش انه لاتزاد الا فى كلام غير موجب ولا يكون مجرورها الا نكرة فينبغى على قول من يقول ان ما الثانية اسم معطوف على جند ان يجعلها نكرة موصوفة اى ومن عذاب كنا منزليه والجملة بعدها صفة لها فان قيل ما فائدة قوله تعالى من السماء وهو تعالى كما لم ينزل عليهم جندا من السماء لم يرسل عليهم جندا من الارض فالجواب ان العذاب نزل عليهم من السماء فتبين ان النازل لم يكن جندا وانما كان صيحة اخذتهم وخربت ديارهم (**قوله على كان التامة**) اى ماوقعت الا صيحة واحدة وانكرت النحاة قرآءة الرفع وضعفوها لاجل تأنيث الفعل وقالوا القياس فيه و فى نظائره تذكيره فانك اذا قلت ماقامت الا هند ضعيف والجيد ما قام الا هند وذلك لان الكلام محمول على معناه اى ماقام احد الا هند وكذا هنا ماوقع شئ الا صيحة فلما كان هذا المراد اختاروا تذكير الفعل ليؤذن لهم بهذا المراد ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة فى حكم فاعل الفعل فانث الفعل لذلك ومثله قرآءة من قرأ فاصبحوا لاترى الا مساكنهم بالتاء من ترى وعليه قول الشاعر وهو ذو الرمة * فمابقيت الا الصدور الجراشع * والقياس فيهما تذكير فعلهما لان المراد لايرى شئ الا مساكنهم ومابقى شئ منها الا الصدور واذا فى قوله تعالى فاذاهم خامدون للمفاجاة وهى مكانية ومابعدها مبتدأ وخبر اى فبذلك المكان هم خامدون وهو اشارة الى سرعة هلاكهم بحيث كان مع الصيحة ولم يتأخر عنها قال الجوهرى خمدت النار تخمد خمودا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها وهمدت اذا طفئ جمرها وسطع الشئ سطوعا اذا ارتفع والتهاب شعلة نار ساطعة (**قوله شبهوا بالنار**) اى شبهوا حال طريان الموت عليهم بالنار التى يسكن لهبها ولم يطفأ جمرها فاطلق عليهم اسم المشبه به وهو الخامد على طريق الاستعارة التصريحية وفى هذه الاستعارة رمز الى تشبيه الحى بالنار الساطعة فى ان كل واحد منهما يرتفع و يتحرك الى جهات مختلفة على حسب الدواعى المختلفة والى تشبيه الميت القديم العهد بالرماد من حيث انه سكنت حركته الارادية بالموت ثم تحول جسده ترابا كالرماد

وما المرء الا كالشهاب وضوءه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
وما الاهل والاموال الا وديعة * ولابد يوما ان ترد الودآئع

وكأن الشاعر اخذ هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم ان من فى الدنيا ضيف ومافى يده عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة و يحور بالحاء المهملة يرجع * قرأ الجمهور ياحسرة بالنصب والتنوين على انه منادى مشابه للمضاف من اجل طوله فانهم يعنون بالمشابه للمضاف اسما يجيء بعده شئ من تمامه اما معمول له نحو ياطالعا جبلا وياحسنا وجهه وياخيرا من زيد و اما نعت هو جملة اوظرف نحو ياحليما لايعجل وياجوادا لايبخل وقوله

اداراً بحزوى هجت للعين عبرة * فماء الهوى يرفض اويترقرق

(وماانزلنا على قومه من بعده) من بعد [illegible] لا كذا ورفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام (وما كنا منزلين) وماصح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة (ان كانت) ماكانت الاخذة اوالعقوبة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة (فاذاهم خامدون) ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد شعر

وما المرء الا كالشهاب وضوءه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها وهى مادل عليها (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون)

وقوله الا یا نخلة من ذات عرق * علیك ورحمة الله السلام

فقوله یا حسرة علی العباد من قبیل یا خیرا من زید وعلی متعلق بحسرة والمعنی یا حسرة علیهم تعالی فهذا اوان حضورك ای هذه الحالة ای حال استهزائهم بالرسل من حقها ان یتحسر منها والحسرة لا تدعی ولا یطلب اقبالها لانها مما لا یجیب والفائدة فی ندائها مجرد تنبیه المخاطب وایقاظه لیتمکن فی ذهنه ان هذه الحالة تقتضی الحسرة وتوجب التلهف فانك اذا قلت لمن هو مقبل علیك یا زید ما احسن ما صنعت كان ذلك ابلغ وآكد فی افادة المطلوب من قولك ما احسن ما صنعت لتصدر الاول بما ینبه المخاطب ویجعله متوجها لما یلقی الیه من المطلوب فكذا اذا قلنا العجب مما فعلت فقد افدته انك متعجب مما فعله ولو قلت یا عجبا مما فعلت كان ابلغ فی افادة انك متعجب فكانك قلت ایها العجب اقبل فهذا وقت اقبالك وحضورك وقوله تعالی ما یأتیهم من رسول الآیة استئناف فی حیز الجواب عن السؤال عن سبب التحسر علیهم فلا یكون لهذه الجملة محل من الاعراب والالف واللام فی العباد قیل للعهد وهم الذین اخذتهم الصیحة من قوم حبیب فانهم لما كانوا بحیث ما یأتیهم من رسول من الرسل الثلاثة یهدیهم الی ما فیه خیر الدارین الا كانوا به یستهزؤن كانوا احقاء بان یتحسر علیهم حیث ضیعوا خیر الدارین واستحقوا العذاب فهم المتحسرون والمتحسر علیهم وقیل لتعریف الجنس ای جنس الكفار المصرین علی التكذیب والاستهزاء فانهم ایضا احقاء بان یتحسروا علی انفسهم حال استهزائهم برسلهم **(قوله او یتحسر علیهم)** اشارة الی ان المتحسر عام والمعنی ان الامر لفخامته وشدته بلغ الی حیث كل من یتأتی منه التلهف اذا نظر الی حال استهزائهم بالرسل تحسر علیهم وقال یا لها من حسرة وخیبة علی هؤلاء المحرومین حیث بدلوا الایمان بالكفر والسعادة بالشقاوة وقوله وقد تلهف علی حالهم الملائكة والمؤمنون اشارة الی ان المتحسر كل من یعتد منه بالتحسر كما فی قوله ویلعنهم اللاعنون فقد حكی عن حبیب انه حین قتل كان یقول اللهم اهد قومی وبعد ما قتلوه وادخل الجنة قال یا لیت قومی یعلمون فصح ان یتحسر المسلم للكافر ویتلهف له وعلیه وقوله علی سبیل الاستعارة ای لان حقیقة التحسر مستحیلة علی الله لانها ما یلحق المتحسر من شدة الندم علی وجه لا نهایة بعده حتی یبقی حسیرا لا موضع فیه للزیادة علی ذلك القدر من الندم كالبصر الحسیر الذی لا قوة فیه للنظر والبعیر الحسیر الذی لا قوة له علی المسیر یقال حسر البعیر حسورا اذا اعیی فهو حسیر وحسر بصره اذا كل وانقطع نظره وتحسر الانسان علی غیره تلهف ورقة تعتریه مما یلحق صاحبه من مشقة وشدة وغایته ان یستعظم ذلك الامر وینكر علی ارتكابه كیف تورط فیه فالتحسر فی حق الله تعالی یراد به غایته فیكون كالالفاظ التی وردت فی حقه تعالی كالضحك والنسیان والسخریة والتعجب والتمنی واشار المصنف الیه بجعل المستعار له تعظیم الله تعالی لجنایتهم علی انفسهم والفرق بین ان یكون یا حسرة علی العباد تحسرا من الله علیهم مثل كون یا عجبا مما فعلت تعجبا من القائل وبین ان یقوله الله تعالی لافادة ان هذه الحال من حقها ان تحضر فیها الحسرة وان اصحابها احقاء بان یتحسروا علی انفسهم او یتحسر علیهم كل من یتأتی منه التحسر او كل من یعتد بتحسره من الملائكة والمؤمنین ان قوله یا حسرة علی العباد علی الاول انشاء التحسر من القائل مثل كون یا عجبا لانشاء التعجب منه وغایته ان یحمل علی المجاز لامتناع حمله علی الحقیقة وعلی الثانی یكون المقصود منه الاخبار بان هذه الحال من حقها ان یتحقق فیها الحسرة من اصحابها ومن غیرهم ولا یلزم ان یكون من یقول یا حسرة ویا ندامة متحسرا ونادما لا حقیقة ولا مجازا **(قوله ویؤید قرآءة یا حسرتا)** وجه التأیید ان اصله یا حسرتی قلبت الیاء الفا لان الالف والفتحة اخف من الیاء والكسرة فان نحو یا غلامی یخفف علی وجهین حذف الیاء اكتفاء بالكسرة وقلبها الفا لما ذكر فیكون یا حسرتا من القلب **(قوله ونصبها اطولها)** ای لكونها شبیهة بالمنادی المضاف فی طولها بالجار المتعلق بها وقیل انها مصدر مؤكد لفعلها المضمر وكلمة علی حینئذ متعلقة بذلك الفعل المضمر والمنادی محذوف تقدیره یا هؤلاء تحسروا حسرة او یا قوم تحسروا حسرة وقوله بالاضافة الی الفاعل او المفعول فیكون العباد فاعلین للحسرة فان العباد الهالكین یتحسرون علی انفسهم وكذا الملائكة والمؤمنون یتحسرون علی الكفار حین كذبوا الرسل او حین شاهدوا عذابهم علی معنی انهم یتحسرون علی غیرهم حین یرون عذابهم او یتحسر علیهم غیرهم وقرئ یا حسره بالهاء المبدلة من تاء التأنیث وصلا وكانهم اجروا الوصل مجری الوقف لما مثل حال كفار مكة بحال اصحاب القریة فی تكذیب الرسول الناصح وبین اهلاكهم بصیحة واحدة عقبه بان سجل علیهم بانهم قد علموا

فان المستهزئین بالناصحین المخلصین المنوط بنصحهم خیر الدارین احقاء بان یتحسروا او یتحسر علیهم وقد تلهف علی حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلین ویجوز ان یكون تحسرا من الله علیهم علی سبیل الاستعارة لتعظیم ما جنوه علی انفسهم ویؤیده قرآءة یا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقیل باضمار فعلها والمنادی محذوف وقرئ یا حسرة العباد بالاضافة الی الفاعل او المفعول ویا حسره علی العباد باجراء الوصل مجری الوقف

ان المهلكين بسبب تكذيب الرسل غير منحصر فيهم بل هم طوائف كثيرة فلم لا يعتبرون بهم والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود واستدل على ان كم هنا خبرية لانه ابدل منها ما ليس استفهاما وهو قوله انهم اليهم لا يرجعون والاستفهامية لا يعمل فيها ما قبلها فلا يقال سرت كم فرسخا وكم الخبرية محمولة عليها المشاركتها اياها فى افادة الابهام فقوله لان اصلها الاستفهام يريد به ان الاستفهامية اصل فى ان لا تكون معمولة لما قبلها والخبرية محمولة عليها لا ان احداهما اصل للاخرى بحسب نفس اللفظ لان كل واحدة منهما اصل بنفسها ولكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر فلما كان يروا معلقا عن كم كانت كم منصوبة المحل على انها مفعول اهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا (قوله بدل من كم على المعنى) اى لا من حيث اللفظ لان الم يروا لما لم يعمل فى كم لفظا لا يعمل فى بدله ايضا بل العامل فى كم لفظا هو اهلكنا فلو كان انهم اليهم لا يرجعون بدلا من كم من حيث اللفظ لوجب ان يكون معمولا لاهلكنا ايضا لان المبدل على نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم لاختل المعنى اذ لا معنى لقولنا اهلكنا انتفاء رجوعهم واهلكنا كونهم لا يرجعون فوجب ان يكون بدلا من كم على المعنى وان يكون معمولا لما عمل فى كم معنى وهو الم يروا لان الفعل المعلق ممنوع من العمل لفظا وعامل معنى وتقديرا لان معنى قولك علمت لزيد قائم علمت قيام زيد كما هو كذلك عند انتصاب الجزءين لفظا فمن ثمة جاز عطف الجزءين المنصوبين على الجملة المعلق عنها نحو علمت لزيد قائم وبكرا قاعدا فيكون المعنى ما ذكره من قوله الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم مع ان كم مفعول اهلكنا لفظا ولقائل ان يقول كما لا يصح ان يكون بدلا على اللفظ كما ذكره لا يصح ايضا ان يكون بدلا على المعنى لان كونهم غير راجعين اليهم ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل وليس بعض الاهلاك فلا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال اذ يصح ان يضاف الى ما بدل منه وهذا لا يصح هنا فانه لا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم وفى بدل الاشتمال لو قلت اعجبتنى الجارية ملاحتها او سرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبتنى ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد ولا يصح الاضافة ههنا فلا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم ويمكن ان يقال انه من قبيل بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين اليهم عبارة عن اهلاكهم بالكلية والمعنى الم يروا ان خروجهم من الدنيا ليس كخروج احدهم من منزله الى السوق او بلد آخر ثم يعود الى منزله عند اتمام مصلحته هناك بل هو مفارقة من الدنيا ابدا وفى اعجبتنى الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبتنى ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد وقيل هو بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين عبارة عن اهلاكهم لانه لازمه عبر به عنه تجوزا (قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون) قرئ بالتخفيف والتشديد واجمعوا على تخفيف ان ورفع كل على انه مبتدأ وجميع خبره ومحضرون خبر ثان فان خفف لما كانت ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان او الامر واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية فانه اذا خففت المكسورة جاز الغاؤها واعمالها والالغاء اكثر من الاعمال كقوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم وتلزمها اللام مع التخفيف سواء اعملت ام اهملت اما مع الاهمال فللفرق بين المخففة والنافية واما مع الاعمال فالمطرد هكذا قال ابن الحاجب وهو خلاف مذهب سيبويه وسائر النحاة فانهم قالوا المعملة لا تلزمها اللام لحصول الفرق بالعمل فمعنى الاية وان الشأن كل واحد من المهلكين مجموع مع الآخر مضموم محضرون لدينا للحساب والجزاء ولما بين الاهلاك بين ان من اهلكه ليس بمتروك على حاله بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلكه ترك بعده لكان الموت راحة كل حي ونعم ما قال من قال

ولو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي

ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعدها عن كل شئ

وان شدد لما تكون ان نافية بمعنى ما اى وما كل الا جميع كقولهم نشدتك بالله لما فعلت كذا اى ما اسألك الا ان تفعل وكقوله ان كل نفس لما عليها حافظ اى ما كل نفس الا عليها حافظ ولما اشار بقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون الى انه يحشر الاجساد الميتة ويحييهم ذكر ما يدل على امكانه قطعا لاستبعادهم اياه واصرارهم على انكاره فقال وآية لهم الارض الميتة الاية آية مبتدأ ولهم صفتها والارض الميتة مبتدأ ثان واحييناها خبر الثانى والجملة خبر الاول وهو آية ولعل الوجه فى خلوها عن العائد كونها فى تأويل احياؤنا الارض الميتة ويحتمل ان يكون آية لهم مبتدأ والارض الميتة خبره واحييناها صفة الارض ولما ورد عليه ان الارض معرف باللام

(الم يروا) الم يعلموا وهو معلق عن قوله (كم اهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون (وآية لهم الارض الميتة) وقرأ نافع بالتشديد (احييناها) خبر للارض والجملة خبر لآية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهى الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية

(واخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم مايؤكل و يعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب) من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) اى شيأ من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه اوالعيون ومن مزيدة عند الاخفش (ليأكلوا من ثمره) ثمر ماذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون (وماعملته ايديهم) عطف على الثمر والمراد مايتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل مانافية والمراد ان الثمر بخلق الله لابفعلهم و يؤيد الاول قرآءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها (افلا يشكرون) امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه (سبحان الذى خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن انفسهم) ومن الذكر والانثى (ومما لايعلمون) وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه و لم يجعل لهم طريقا الى معرفته

فكيف توصيفها بالجملة الخبرية وهى نكرة اجاب عنه بان اللام التى تكون للعهد الذهنى يشار بها الى الحقيقة من حيث وجودها فى ضمن بعض الافراد كما فى قولك ادخل السوق عند سوق معهود معين وارادة الجنس من حيث هى هى منتفية لان الدخول لايتعلق بحقيقة السوق بل انما تعلق بفرد منها الابعينه فيكون المعرف بلام العهد الذهنى فى معنى النكرة فيعامل معاملتها فلذلك صح توصيفه بالجملة الخبرية كما فى قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى ٭ ويحتمل ان يكون الارض الميتة مبتدأ اوخبر مبتدأ واحييناها استئنافا كان قائلا قال كيف تكون الارض آية فقال احييناها وقال ابو البقاء آية مبتدأ ولهم خبره والارض مبتدأ والميتة صفته واحييناها خبره وهذه الجملة مفسرة للجملة الاولى (قوله قدم الصلة) يعنى ان تقديمها يفيد اختصاص المأكولية بالحب وان لا يؤكل غيره وليس كذلك فما وجه التقديم اجاب بانها قدمت لتفيد انحصار معظم مايؤكل و يعاش به فى الحب فحاصله ان التقديم لحصر الكمال لالحصر المأكولية فهو من قبيل حاتم هو الجواد ولافتى الا على (قوله فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف) اى باختلاف مدلوله لان الجنس مقول على المختلفين بالحقيقة فلا يحتاج الى ان يجمع فانه يدل عليه بخلاف مايدل على النوع فانه يجمع اذا اريد به الاصناف المختلفة لذلك النوع لان النوع يقال على افراد حقيقة واحدة فلا يدل على اختلاف الاصناف فيجمع ليدل على ذلك فلذلك جمع النخيل والاعناب فان النخيل والنخل بمعنى واحد والواحدة نخلة (قوله ليطابق الحب) علة للنفى لاللنفى لان المطابقة للحب انما تحصل بذكر التمر لابعدم ذكره يريد انه اختير النخل على التمر لان المقام مقام تعداد النعم المترتبة على حياة الارض وتبيين الاية الدالة على كمال قدرته والنخيل فى انفسها من جلائل النعم ومن دلائل كمال القدرة تمورها وان ذكرها فى قوة ذكر التمور فلذلك ذكر النخيل دون التمور فان قيل قوله احييناها يكفى للاستدلال على جواز احياء الموتى فمافائدة قوله فاخرجنا منها حبا و مابعده قلنا فائدته الدلالة على كمال حياتها بحيث ينبت لها جميع منافعها فان موت الارض استعارة ليبسها وزوال رطوبتها التى هى مبدأ انبات النباتات وتربيتها فيكون حيتها مستعارا لثبوت تلك الحالة لها لكن لثبوتها مراتب مختلفة بعضها اكمل من بعض فقوله واخرجنا منها حبا الخ بمنزلة ان يقال احييناها احياء كاملا (قوله اى شيأ من العيون) على ان من للبيان قدم هذا الوجه لان زيادة من فى الاثبات قول مرجوح تفرد به الاخفش ذكر اولا ان ضمير ثمره راجع الى الجنات باعتبار المذكور وثانيا انه راجع الى الله عزوجل والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومقتضى الظاهر ان يقال من ثمرنا لقوله وفجرنا وجعلنا واخرجنا لكن عدل عن التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات وتشديد فجرنا وفتحنا للتكثير لاللتعدية لان فجرنا وفتحنا الثلاثيين ايضا متعديان (قوله عطف على الثمر) اشارة الى ان ما موصولة مجرورة المحل عطفا على ثمره اى ليأكلوا من ثمره ومن الذى عملته ايديهم فعلى قرآءة الجمهور الامر واضح لانهم قرأوا وما عملته ايديهم باثبات الهاء ليكون العائد الذى هو عائد الى الموصول حاصلا فى قرآءتهم واما على قرآءة حمزة والكسائى وابى بكر فان كانت ماموصولة يكون العائد محذوفا كما حذف فى قوله اهذا الذى بعث الله رسولا بالاجماع قال مكى فى معربه ومن قرأ وماعملت بغيرهاء كان الاحسن ان تكون مافى موضع خفض وتحذف الهاء من الصلة و يبعد ان تكون نافية لانك تحتاج الى اضمار مفعول لعملت و فى اللباب وعلى قرآءة الكوفيين غير حفص ان كانت مانافية لايقدر ضمير ولكن المفعول محذوف اى عملت ايديهم شيأ من ذلك وعلى قرآءة غيرهم الضمير يعود على ثمره ومراد مكى ماذكره المصنف من ان حذف معمول عملت حال كونه صلة احسن من حذف مفعوله غير صلة اذهو بعيد ومراد صاحب اللباب بان كانت نافية على قرآءتهم لايكون المفعول المحذوف ضمير الثمر فقط بل ما يرجع الى جميع ما اضافه الله تعالى الى نفسه من المخرج والجنات المجعولة والعيون المفجرة وثمرات الجنات لان ايديهم لم تعمل شيأ منها ولاضرورة تدعو الى تخصيص المفعول بواحد منها (قوله تعالى سبحان الذى الاية) سبحان علم دال على التسبيح فان العلم كما يكون علما للاشخاص كزيد وعمرو والاجناس كاسامة يكون للمعانى ايضا ومنه سبحان للتسبيح وتبين مفعوله بالاضافة اليه نحو سبحان الله وسبحان الذى خلق الازواج فان قيل كيف اضيف والعلم لايضاف قلنا الذى لايضاف هو علم الاعيان وماهو علم المعنى يجوز اضافته و يجب حذف فعله اى سبح تسبيحا اى نزه عن صفات النقص تنزيها الله الذى خلق الازواج الانواع والاصناف كلها من غير ان يشاركه فيه غيره فكيف يجوز ان يشرك به مالايخلق شيأ ابدا بل هو مخلوق مصنوع وعن ان يكون عاجزا عن احياء الموتى مع انه مبدئ

((الازواج))

الازواج كلها والاعادة كالابداء بل هى اهون ولما امر بالشكر بقوله افلا يشكرون وشكر الله بالعبادة له وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا قال ردا عليهم سبحان الذى خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيأ والزوج خلاف الفرد ويقال للانواع ازواج لان كل نوع زوج لقسيمه قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فانه سمى كل نوع زوجا فعلى هذا يقال للنوعين زوجان كما يقال هما زوج لا وتر وهما سيان وسواء (قوله نزيله ونكشفه عن مكانه) اى مكان الليل ونظر ظلمته اشارة الى ان المستعار له ازالة ضوء النهار عن الاماكن التى يقع عليها ظلمة الليل بحيث تكون تلك الظلمة ظاهرة منكشفة والمستعار منه سلخ الجلد عن الشاة شبه ازالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة فاطلق اسم السلخ عليها ثم اشتق منه نسلخ فهو استعارة تصريحية تبعية قال الفراء الاصل الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل ويكشف ويزول فتظهر الظلمة لما استدل باحياء الارض الميتة وهى مهاد ومكان لسكانها استدل بالليل والنهار وهو زمان لهم وبين الزمان والمكان مناسبة (قوله داخلون فى الظلام) وهو اول الليل واظلم القوم اى دخلوا فى الظلام مثل اصبحوا فاذا للمفاجاة اى ليس لهم بعد ذلك امر سوى الدخول فيه (قوله تعالى والشمس تجرى لمستقرلها) الشمس مبتدأ وتجرى خبره ولك ان تعطف الشمس على الليل على معنى وآية لهم الشمس فيكون قوله تجرى فى موضع الحال اى جارية وقيل فى الكلام حذف مضاف تقديره تجرى لجرى مستقرلها وعلى هذا فاللام أجلية اى لاجل جرى مستقرلها والصحيح انه لا حذف وان اللام بمعنى الى ويدل عليه قرآءة بعضهم الى مستقر والمستقر اما اسم مكان اى تسير الى موضع تستقر فيه اى تنتهى اليه ولا تتجاوز عنه كاستقرار المسافر اذا قطع مسيره ووجه الشبه الانتهاء اليه وعدم التجاوز عنه وان كان لاحدهما استقرار دون الآخر وذلك الموضع كبد السماء اى وسطها اشبه بطؤ حركتها فيه بالوقفة والاستقرار وحيرى تأنيث حيران مثل عطشان وعطشى يقال دومت الشمس فى كبد السماء اى ابطأت وصارت كانها لا تمضى واما مصدر ميمى واللام لام العاقبة اى تجرى بحيث يترتب على جريها استقرارها على نهج مخصوص بان تستقر فى كل برج شهرا وتبلغ نهاية ارتفاعها فى الصيف ونهاية انخفاضها فى الشتاء من منازلها فى السماء اى تجرى لان يستقر كل واحد من ارتفاعها وانخفاضها فى حد معين من مسافة سيرها فى سيرها فى بروجها الاثنى عشر على وجه يأخذ الليل من النهار فى نصفه الاطول والنهار من الليل فى نصفه الآخر ويترتب عليه اختلاف الفصول الاربعة وتهيئة اسباب معاش الارضيات وترتيبها (قوله اولمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب) فيكون المستقر اسم مكان كالاول وذلك المكان فى الوجه الاول تنتهى اليه الشمس فى آخر السنة وفى هذا الوجه تنتهى اليه فى كل يوم ولا تتجاوز عنه (قوله اولمنقطع جريها) فالمستقر على هذا زمان اى تجرى الى زمان استقرارها وانقطاع حركتها وذلك الزمان يوم القيامة وقرئ لا مستقر بلا النافية للجنس وبناء مستقر على الفتح ولها الخبر وقرئ لا مستقرلها بالرفع والتنوين على ان لا بمعنى ليس وعاملة عملها ومستقر اسمها ولها فى محل النصب خبرها على معنى انها لا تستقر فى الدنيا بل هى دآئمة الجريان وقوله على كل مقدور وبكل معلوم مستفاد من ترك المفعول به (قوله والقمر قدرناه منازل) قرأ الكوفيون وابن عامر بنصب القمر باضمار عامله على شريطة التفسير والباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو برفعه اما على انه مبتدأ وقدرناه خبره واما بالعطف على الليل والمعنى وآية لهم القمر ولا بد ههنا من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فلذلك قدر المصنف مضافا وهو مسيره اى موضع سيره فيكون منازل مفعولا ثانيا لقدرنا على تضمينه معنى صيرنا وان كان المضاف المقدر سيره يكون انتصاب منازل بنزع الخافض والمعنى قدرنا سيره فى منازل وقيل تقديره قدرناله منازل فيكون مفعولا به ثم حذفت اللام واوصل الفعل بنفسه وحرف الجر مراد وقيل منازل حال اى ذا منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة والعذق بالكسر الكباسة وهو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم والشماريخ جمع شمراخ او شمروخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة لان عود العذق اذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر والقديم ما تقادم فى العادة الا ترى انه لا يقال لمدينة بنيت من سنة انها مدينة قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له سنة واختلف فى وزن عرجون فقيل هو فعلول فنونه اصلية لا فعلون لان فعلونا ليس فى كلامهم وقال الزجاج هو فعلول من الانعراج وهو الانعطاف وهو حسن من جهة المعنى ولكنه ضعيف من جهة انه لا نظير له فى كلام القوم وقرئ كالعرجون بكسر العين وفتح الجيم وفى الصحاح

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ما سبق (فاذاهم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقرلها) لحد معين ينتهى اليه دورها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره اولكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجو تدويم * اولاستقرار لها على نهج مخصوص اولمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل اولمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اى لا سكون فانها متحركة دآئما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس .(ذلك) الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها .(تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) قدرنا مسيره (منازل) اوسيره فى منازل وهى ثمان وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوآء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الرآء (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا

البزيون بالضم السندس وهومارق من الحرير والاستبرق هوماغلظ منه (قوله فى سرعة سيره) فان القمر اسرع سيراحيث يقطع فلكه فى شهر بخلاف الشمس فانها ابطأ منه فانها لاتقطع فلكها الا فى سنة فهى لاتدرك القمر فى سرعة سيره فانه تعالى جعل سيرها ابطأ من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور دلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا فى مسافة شئ واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث فى بقعة واحدة بقدرما يخرج النبات من الارض والاوراق والثمار من الاشجار و بقدر ماينضج الثمار والحبوب ويختل بذلك تعيش الحيوان وكذا لاينبغى للشمس ان تدرك القمر فى آثاره ومنافعه مع قوة نورها واشراقها فان لكل واحد منهما آثارا ومنافع تخصه وليس للاخر ان يدركه فيها وكذا ليس لها ان تدركه فى مكانه بان تنزل منازله وتجرى حيث جرى فانه قدر لكل واحد منهما فلك على حياله فان القمر فى السماء الدنيا والشمس فى السماء الرابعة وكذا ليس لها ان تدركه فى سلطانه اى ان تجامعه كما فى سلطنته واشعة نوره وذلك بالليل اى ليس لها ان تجامع القمر بالليل فتطمس نوره والسلطان الوالى و يطلق على الحجة والبرهان واراد بسلطان القمر نوره الذى هو برهان لوجوده (قوله وايلاء حرف النفى الشمس) يعنى ان الظاهر ان يقال فلا ينبغى للشمس ان تدرك القمر على انه نتيجة الكلام السابق فانه لما قال والشمس تجرى لمستقرلها اى الى حد معين تنتهى اليه ولا تتجاوز عنه فان الشمس كل يوم تطلع من مشرق وتغيب فى مغرب ستة اشهر فتنتهى الى اقصى المشارق والمغارب فى زمان الصيف ثم ترجع الى تلك المشارق والمغارب فتطلع فيها وتغرب ستة اشهر فتنتهى الى غاية انخفاضها فى زمان الشتاء فذلك حدها فى الانخفاض لاتعدوه كما ان ذلك حدها فى الارتفاع ولا تعدوه فلزم منه انها لاتدرك القمر فى سرعة سيره فالظاهر انه نتيجة له الا ان فاء النتيجة تركت تعويلا على فهم السامع وجعل حرف النفى فى حيز الشمس وادخلت عليه للدلالة على ماذكره والفرق بين لا الشمس ينبغى لها و بين لا ينبغى للشمس ان الاول ابلغ وآكد فى افادة انها مسخرة فان قولك انت لاتكذب بتقديم المسند اليه فيه تقوية الحكم المنفى وتقريره فهذا اشد لنفى الكذب من لاتكذب لما فيه من تكرار الاسناد المفقود فى لاتكذب فكذا قولك لا الشمس تدرك ولا تدرك الشمس (قوله تعالى سابق النهار) الجمهور على حذف التنوين تخفيفا وقرئ سابق النهار بالتنوين والنصب على حذف التنوين لالتقاء الساكنين لما كان نفس الليل سابقا على النهار والنهار طارئا عليه والمطروء سابق على الطارئ لامحالة فسر قوله تعالى ولا الليل سابق النهار بان الليل لايعجز النهار من ان يتصل به و يجئ عقيبه بل يتعاقبان فهو كالنتيجة لقوله وآية لهم الليل نسلخ منه وقيل المراد بالليل والنهار القمر والشمس فمعنى قوله ولا الليل سابق النهار لايتسهل للقمر ان يكون ذا سلطان فى النهار بل تراه فيه جرما لانورانية ولا بهاء فيه فضلا عن ان يزيل سلطان الشمس (قوله والضمير للشموس والاقمار) لما كان المذكور الشمس والقمر وجئ بضمير الجمع اعتذر بان هنا شموسا واقمارا باعتبار مطالعهما ولما ذكر مطالعهما فكانه ذكر شموس واقمار فجئ بضمير الجمع لذلك قال الزجاج ومعنى يسبحون يسيرون فيه بانبساط وكل من انبسط فى شئ فقد سبح فيه ومن ذلك السباحة فى الماء والفلك هو الجسم المستدير والسطح المستدير والدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهى صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق المفسرون على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهى كالسقف المستوى و يدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع قال الامام ليس فى النصوص مايدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غيرمستديرة بل الدليل الحسى على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المرفوع لايخرج بذلك عن كونه سقفا وكذا كونه على جبال والظاهر ان الضمير فى قوله وآية لهم الليل وآية لهم انا حملنا ذريتهم عائد على هؤلاء العباد قال الراغب الذرية اصلها الصغار من الاولاد وان كانت تقع على الصغار والكبار فى التعارف وتستعمل فى الواحد والجمع واصلها الجمع قال تعالى ذرية بعضها من بعض وذرية ضعافا واستعمالها فى النساء مجاز من قبيل تسمية المحل باسم الحال وهو المراد بقوله لانهن مزارع الذرية عن حنظلة انه قال كنا فى غزاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى امرأة مقتولة فقال ما كانت هذه تقتل الحق خالدا وقل لاتقتلن ذرية يعنى النساء واذا كان ضميرلهم وذريتهم ليس واحدا كان المناسب ان تكون الالف واللام فى قوله فى الفلك المشحون لتعريف الجنس كما فى قوله وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون وقوله وترى الفلك فيه مواخر وقوله فاذا

(لا الشمس ينبغى لها) يصح لها و يتسهل (ان تدرك القمر) فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان اوفى آثاره ومنافعه اومكانه بالنزول الى محله اوسلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لايتيسر لها الا ما اريد بها (ولا الليل سابق النهار) يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره (وكل) وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد اما فى الذات اوللكواكب فان ذكرهما مشعر بها (فى فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم اوصبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعهم

ركبوا في الفلك الى غير ذلك كان تعريف الفلك فيه للاشارة الى الجنس من حيث وجوده في ضمن بعض الافراد وهو المسمى تعريف العهد الذهني والمعنى وآية لهم انا سخرنا لهم البحر والريح وجعلنا لهم اتخاذ السفن يركبونها و يسيرون بها في البحر كما يسيرون في البر (قوله وتماسكهم فيها اعجب) يعني ان تسخير البحر والفلك كما انه نعمة في حق الذرية نعمة في حقهم ايضا لانه لما كان تماسكهم انفسهم في الصبر على القرار فيها اشق واعجب كانت النعمة في حقها اتم وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام على ان يكون تعريف الفلك للاشارة الى حصة معينة فالمعنى انا حملنا اولادهم فعلى هذا كان الظاهر ان يقال انا حملناهم وذريتهم لان انفسهم ايضا محمولون في فلك نوح الا انه قيل حملنا ذريتهم بتخصيص الحمل للذرية لكونه ابلغ في الامتنان بكمال النعمة في حقهم فانه لو قيل حملناهم لكان امتنانا بمجرد تخليصهم من الغرق فلما قيل حملنا ذريتهم افاد الكلام ان نعمة التخليص من الغرق لم تكن مقتصرة عليكم بل هي متعدية الى اعقابكم الى يوم القيامة حيث حملنا معكم اولادكم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي لكم نسل ولا عقب و يحتمل ان يقال انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين لما كانوا كفارا لا فائدة في وجودهم قال حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر لا يقول حملت الصندوق انما يقول حملت ما فيه (قوله او من السفن والزوارق) هذا على تقدير ان يكون المراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام والاول على تقدير ان يراد به الجنس (قوله فلا مغيث لهم يحرسهم) اشارة الى ان الصريخ فعيل بمعنى مفعل اي مصرخ وهو المغيث يقال اصرخه اذا اغاثه و يقال استغاثني فاغثته قال الجوهري المصرخ المغيث والمستصرخ المستغيث يقال استصرخني فاصرخته والصريخ صوت المستصرخ والصريخ ايضا الصارخ وهو المغيث والمستغيث ايضا وهو من الاضداد انتهى كلامه وفي اكثر نسخ هذا الكتاب او فلا استغاثة وهو مبني على ان يكون الصريخ صوت المستغيث كما في قولهم اتاهم الصريخ وفي بعض النسخ او فلا اغاثة وكذا في الكشاف والظاهر انه مبني على ان يكون الصريخ عبارة عن صوت المستغيث وان يكون نفي الاستغاثة كناية عن نفي الاغاثة لانه لم ينقل ان صريخا مصدر من اصرخ بمعنى اصراخ واغاثة ومعنى الآية فلا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان الخلاص من العذاب قد يكون بدفع العذاب من اصله وقد يكون بدفعه بعد وقوعه فاشار تعالى الى انتفاء كلا طريقي الخلاص عنهم اشار الى انتفاء الاول بقوله فلا صريخ لهم يدفع عنهم الغرق والى انتفاء الثاني بقوله ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه ولو سلم انهم يخلصون من الموت بسبب عدم الغرق لكن لا محيص لهم من الموت اصلا اذا تم المسمى اي المدة التي قدرها الله لهم منه (قوله تعالى الا رحمة) منصوب على انه مفعول له ومتاعا عطف عليها والاستثناء مفرغ اي ولا ينقذهم من الغرق احد اذا اردنا اغراقهم الا ان نفعل نحن ذلك الانقاذ لرحمة صادرة منا ولتمتع بالحياة الى حين قدر لآجالهم وقيل منصوب على المصدر اي الا ان نرحمهم رحمة ونمتعهم تمتيعا الى اجل يموتون فيه وقيل انتصابه بنزع الخافض اي الا برحمة وقيل على انه مستثنى منقطع اي ولا هم ينجون من الغرق البتة ولكن رحمتي هي التي تنجيهم (قوله الوقائع التي خلت) اي وقعت قبلكم من عقوبات الله تعالى للامم الماضية الذين كذبوا رسلهم اي اتقوا ان ينزل بكم مثلها واتقوا ما حل بكم من العذاب المعد في الآخرة بعد هذا اليوم والوقائع الماضية باعتبار تقدمها صارت كانها بين ايديهم و باعتبار ادبارها صارت كانها خلفهم واحوال الآخرة باعتبار ان مصيرهم اليها كانت كانها بين ايديهم و باعتبار انها تكون بعد هلاكهم كانت خلفهم وقس عليه الباقي (قوله كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض) ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء يريد ان معنى هذه الآية مثل معنى تلك الآية في ان المراد بهما التخويف مما احاطهم من العذاب من كل جانب ايمانا ويسارا وفوقهم وامامهم وخلفهم محيط بهم بحيث ليس في وسعهم ان يتخلصوا عنه بالهرب فان الله تعالى قادر على ان يهلكهم بالخسف او باسقاط الكسف اي اذا قيل لهم اتقوا عذابا محيطا بكم من جوانبكم وجواب اذا محذوف وهو اعرضوا حذف لدلالة قوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال اذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة على ان قوله وما تأتيهم الخ كالتذييل للكلام السابق (قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا الآية) اشارة الى انهم اخلوا بجميع التكاليف لان جملتها ترجع الى امرين التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا فلم ينفقوا (قوله

وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم (في الفلك المشحون) المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) ينجون من الموت به (الا رحمة منا ومتاعا) الا لرحمة وتمتيع بالحياة (الى حين) زمان قدر لآجالهم بالغرق (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) لتكونوا راجين لرحمة الله و جواب اذا محذوف دل عليه قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله) على محاويجكم

من لو يشاء الله اطعمه) مفعول انطعم واطعمه جواب لو وجاء مجردا عن اللام لجواز ذلك عند علماء العربية
والافصح ان يكون باللام نحو لو نشاء لجعلناه حطاما حمل قولهم فى جواب المؤمنين من لو يشاء الله اطعمه على
استهزآئهم من حيث ان الكفرة سمعوا قول المؤمنين لو شاء الله لاغنى فلانا او اعزه ونحو ذلك مما يشتمل على تعليق
الامور بمشيئة الصانع المختار ثم سمعوا منهم قولهم انفقوا مما اعطاكم الله من المال فاجابوهم بقولهم انطعم الخ
بالاستفهام الانكارى والمعنى انطعم المقول فيه هذا القول فيما بينكم وهذا القول وهو التعليق وان كان قولا
حقا فى نفسه لكنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع ولا يقرون تعليق الامور بمشيئة فلا يتصور ان يكون هذا القول
منهم فى جواب المؤمنين عن اعتقاد وجد فيكون تهكما واستهزآء (قوله وقيل قاله مشركوا قريش) قال
مقاتل بن سليمان ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للمشركين اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله
ونصيبه يعنون ما حكاه الله عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فسألوهم نصيب الله من
اموالهم فقالوا انطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء بقولهم لانعطى من حرمه الله وذلك باطل فانه تعالى
اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء لينظر كيف عطف الغنى وصبر الفقير فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وامر الغنى
بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير بما فرض له فى الدنيا من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة
الله تعالى وحكمه فى خلقه (قوله حيث امرتمونا ما يخالف مشيئة الله) مبنى على ان يكون قوله ان انتم
الا فى ضلال مبين اى ما انتم الا فى خطأ بين من كلام الكفار للمؤمنين يعنون به ان الله تعالى لما لم يشأ اطعامهم
لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تأمروننا بالاطعام ولم يكن
فى الضلال الا هم لانهم فتشوا ما لم يكلفوا به وضيعوا الامر والامتثال به فانه تعالى اذا رزق عبدا شيأ وملكه اياه
لا ينقطع عنه ملكه واذا اوجب فيه حقا وامره بادآئه لا يكون للعبد ان يمتنع عنه و يقول انت اعطينى هذا من
عندك فاعط فلانا من عندك ايضا ولا تأمرنى بالاعطاء فى ما هو مالى وان لم تعطه من عندك مع قدرتك عليه فانا
ايضا لا اعطيه موافقة لمشيئتك فان من كان له فى يد غيره مال وله فى خزانته ايضا مال فهو مخير ان اراد اعطى
مما فى خزانته وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء وليس لمن فى يده المال ان يقول لمالكه ما فى خزانتك اكثر مما فى
يدى فاعطه منه (قوله و يجوز ان يكون جوابا من الله لهم الخ) على معنى انكم فى ضلال مبين فى التكلم بهذا
الكلام على وجه الاستهزآء بالمؤمنين وفى التمسك به فى ترك الانفاق على المحتاجين (قوله يعنون وعد البعث)
اى الوعد المدلول عليه بقوله تعالى اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم اى متى الساعة التى تعدوننا بمجيئها وتأمروننا
بالاتقاء من عذابها و بالانفاق ليضاعف لنا اجره فيها يقولون ذلك انكارا لحقيتها واستبعادا لوقوعها وان فى قوله
ان كنتم صادقين للشرط فتستدعى جزآء ومتى للاستفهام فلا تصلح جزآء والجواب قيل هو وان كان فى صورة
الاستفهام لكنه فى المعنى انكار فكأنهم قالوا ان كنتم صادقين فى الاخبار بوقوع البعث فقولوا متى يقع (قوله
ينتظرون) فان قيل هم ما كانوا منتظرين بل كانوا يجزمون بعدمها قلنا نعم الا انهم جعلوا منتظرين نظرا الى قولهم
متى يقع لان من قال متى يقع الشئ الفلانى يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه واعتبر فى ذكر الصيحة وجوه تدل على
عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اى لا يحتاج معها الى ثانية وثالثها تأخذهم اى تعمهم بالاخذ وتصل الى
من فى الارض مشارقها ومغاربها وفى قوله تعالى يخصمون سبع قرآءات الاولى ما روى عن حمزة انه قرئ يخصمون
بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا جادله والمفعول محذوف اى يخصم بعضهم بعضا والثانية ما روى عن
ابى انه قرأ يختصمون على الاصل والثالثة يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد اسكنت
تاء يختصمون فادغمت فى الصاد فالتقى ساكنان فكسر اولهما والرابعة بكسر الياء اتباعا للخاء والخامسة يخصمون
بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد المكسورة نقلوا الفتحة الخالصة التى فى تاء يختصمون بكمالها الى الخاء فادغمت
فى الصاد فصار يخصمون باخلاص فتحة الخاء واكمالها والسادسة يخصمون باخفاء فتحة الخاء واختلاسها وسرعة
التلفظ بها وعدم اكمال صوتها نقلوا شيأ من صوت فتحة تاء يختصمون الى الخاء تنبيها على ان الخاء اصلها السكون
والسابعة يخصمون بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد المكسورة والنحاة يستشكلون هذه القرآءة
لاجتماع الساكنين على غير حدهما اذ لم يكن اول الساكنين حرف مد ولين وان كان ثانيهما مدغما (قوله
فى شئ من امورهم) اشارة الى ان التنكير فى توصية للتعميم وان المعنى لا يقدرون توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة

(قال الذين كفروا) بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة
(للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم
الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله اطعمه)
على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم
فقرآء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم
ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم
فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام
الفقرآء وتوفيقهم له (ان انتم الا فى ضلال مبين)
حيث امرتمونا ما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم
(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون
وعد البعث (ما ينظرون) ما ينتظرون (الا صيحة
واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون)
يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم
امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون
واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت
الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء
للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء
على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع
اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوز
الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة
يخصمون من خصمه اذا جادله (فلا يستطيعون
توصية) فى شئ من امورهم (ولا الى اهلهم
يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة

واذالم يقدرواعليها يكونون اعجز عما يحتاج الى زمان طويل من اداآء الواجبات ورد المظالم ونحوهما الان القول ايسر من الفعل فاذا عجزوا عن ايسر مايكون من القول تبين ان الساعة لا تمهلهم فى شئ ما واختار التوصية من جنس الكلمات لكونها اهم الكلمات بالنسبة الى المحتضر والعاجز عنها يكون اعجز عن غيرها ثم بين مابعد الصيحة الاولى فقال ونفخ فى الصور اى نفخ فيه اخرى كقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون الجمهور على اسكان واو الصور وفيه وجهان احدهما انه القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام والثانى ان الصور جمع صورة كصوف جمع صوفة و يؤيد هذا الوجه قرآءة بعض القرآء ونفخ فى الصور بفتح الواو وهذه النفخة نفخة البعث و بين النفختين اربعون سنة (قوله وقرئ بالفاء) بناء على ان الاجداف لغة فى الاجداث كالثوم والفوم فان قيل اين يكون فى ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال فالجواب ان الله تعالى يجمع اجزآء كل ميت فى الموضع الذى اقر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه يقال نسل الثعلب ينسل و ينسل بكسر السين وضمها اى اسرع فى عدوه واذا المفاجأة بعد قوله ونفخ فى الصور اشارة الى كمال قدرته تعالى والى ان مراده لايتخلف عن ارادته حيث حكم بان النسلان وهو سرعة المشى وسرعة العدو يتحقق فى وقت النفخ ولايتخلف عنه مع ان النسلان لايكون الابعده بمراتب وهى جمع الاجزآء المتفرقة والعظام المفتتة وتركيبها واحياؤها وقيام الحى نسلانه فان قيل قال فى آية فاذاهم قيام ينظرون وقال ههنا فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقد قرئ كل واحد منهما فى موضعه باذا المفاجاة فيلزم ان يكونا بمعنى والجواب من وجهين الاول ان القيام لاينافى المشى السريع لان الماشى قائم ولاينافى النظر ايضا والثانى ان القيام والنظر لكونهما فى زمان يسير وعقيبهما النسلان بلامهلة كان كأن الكل واقع فى زمان واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا (قوله تعالى قالوا ياويلنا) ويل منادى اضيف الى ضمير المتكلمين وويل كلمة عذاب كما ان ويح كلمة رحمة والمعنى يقول الكفار تعالى ياويلنا فهذا زمانك واوانك وقيل هومنصوب على المصدر اى هلكنا ويلا والمنادى محذوف كانهم قالوا لبعضهم ياهؤلاء ويلالنا فلما اضيف حذفت اللام الثانية كراهة اجتماع المثلين وقال الكوفيون اللام الاولى هى المحذوفة واصله عندهم وى لنا على ان وى كلمة برأسها ولنا جار ومجرور ثم خلطت اللام الجارة بوى حتى صارت لام الكلمة فقيل ويله وويلك وويلى قيل فيكون المعنى ياهؤلاء العجب منا او العجب لنا لان وى كلمة تعجب وهوتأويل ضعيف اقول وى هذه ليست وى التى للتعجب بل مقصورة من ويل التى هى كلمة عذاب (قوله وقرئ ياويلتنا) فان ويل قد تدخل عليها تاء التأنيث فيقال ويلة كقول الشاعر *عليه ويلة وعليك اخرى* (قوله وفيه ترشيح) حيث استعير الرقود للموت ثم قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه وهو الطلب والانتباه فهو ترشيح حيث استعير الرقود ورمز الى ان مبنى الكلام تشبيه الموت بالرقود وتحقيق الكلام من بعثنا من قبورنا ونحن اموات فيها وظاهر النظم يشعر بان الكلام على حقيقته لااستعارة فيه ولاترشيح وانهم لحيرتهم وتفرق عقولهم يظنون انهم نيام فاستيقظوا فسألوا عن الموقظ وروى انه يخفف عنهم فيما بين النفختين فيستريحون استراحة النائم ثم يبعثون فيعاينون القيامة فحينئذ يدعون بالويل تحسرا على استراحتهم بين النفختين و يسألون من أنبهنا من مرقدنا هذا وقيل اذا رأوا اهوال يوم القيامة هان عليهم ماكانوا فيه من عذاب القبر حتى كان كالنوم فى جانب ماصاروا اليه ولم يقل فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون ياويلنا مع انه اقوم لينسلون لانه لوقيل كذلك لكان يقولون فى موضع الحال لينسلون اى ينسلون قائلين وليس المعنى هكذا لان قولهم ياويلنا قبل ان ينسلوا عقب النفخ وانما ذكر النسلان باذا المفاجاة للاشارة الى انه تعالى يجمع اجزآءهم و يؤلفها و يحييها و يحركها بحيث يقع نسلانهم فى وقت النفخ مع ان ذلك لابدله من الجمع والتأليف (قوله ومن بعثنا) اى وقرئ بكسر الميم فى من على انها حرف جر لا استفهامية و بعثنا مصدر مجرور بها فمن الاولى تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون مصدرا اى من رقادنا وان يكون اسم مكان اى من موضع رقادنا ومضجعنا وهو مفرد اقيم مقام الجمع والاول احسن لان المصدر يفرد مطلقا (قوله وما مصدرية او موصولة) اى هذا الذى ترونه وعد الرحمن وصدق المرسلون اى موعوده المصدوق فيه المرسلون وعلى التقديرين هذا مبتدأ وما وعد الرحمن خبره و يجوز ان يكون هذا صفة للمرقد و يعضده قرآءة من وقف على هذا ثم ابتدأ فقال ماوعد الرحمن على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو او هذا ماوعد الرحمن او مبتدأ خبره محذوف (قوله معدول عن سننه) فان السؤال

(ونفخ فى الصور) اى مرة ثانية وقد سبق فى سورة المؤمنين (فاذاهم من الاجداث) من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم ينسلون) يسرعون وقرئ بالضم (قالوا ياويلنا) وقرئ ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) مبتدأ وخبر وما مصدرية اوموصولة محذوفة الراجع اوهذا صفة لمرقدنا وماوعد خبر محذوف اومبتدأ خبره محذوف اى ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة اوللمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث فارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال

لما كان الباعث كان الظاهر ان يقال فى جوابه بعثكم الرحمن لكنه عدل عنه واجيب بانه البعث الموعود به والذى صدق المرسلون فى الاخبار تقريعا على كفرهم به وتنبيها على ان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث ان يقولوا ياويلنا ماهذا البعث الذى وعدالله به على ألسنة رسله (قوله تعالى محضرون) دليل على ان كونهم ينسلون اجبارى لا اختيارى اى فاذاهم مجتمعون لدينا من غير ان يتخلف منهم أحد و يحضرون مواقف الحساب كما ان ينسلون معناه يسرعون الى موقف حساب ربهم ثم بين مايكون فى ذلك اليوم بقوله فاليوم لا تظلم نفس شيأ اى لا ينقص من ثواب طاعتها ولا يحمل عليها معصية غيرها وقوله فاليوم منصوب بلا تظلم وشيأ مفعول له او مصدر اى شيأ من الظلم فقوله لا تظلم نفس لامان المؤمن وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ليأس الكافر قيل ما الفائدة فى ايسار طريق الخطاب عند الاشارة الى يأس المجرم والعدول عن الخطاب عند الاشارة الى امان المؤمن فالجواب ان قوله لا تظلم نفس شيأ يفيد العموم وهو المقصود فى هذا المقام فانه تعالى لا يظلم احدا مؤمنا كان او كافرا واما قوله لا تجزون فيختص بالكافر لان الله تعالى يجزى المؤمن بما لم يفعله من جهة الوراثة وجهة الاختصاص الالهى يختص برحمته من يشاء كانه يجزيه من جهة الاعمال فلذلك ترك الخطاب فى الاول وجاء الثانى بالخطاب وقوله من الفكاهة بفتح الفاء وهى طيب العيش والنشاط قال الجوهرى الفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس فرحا ذا نشاط من التنعم فلما فسر الفاكه بالمتلذذ المتنعم وجب ان يكون قوله من الفكاهة بفتح الفاء وانما يكون من الفكاهة بالضم ان لو فسر فاكهون بمازحون وقيل فاكهون بمعنى اصحاب فاكهة كما يقال لابن وتامر وعاسل وقرئ فكهون بالقصر وضم الكاف وهو لغة فى فهكون يقال رجل فكه وفكه كما يقال رجل حذر وحذر ونطس ونطس قال فى الصحاح النطس المبالغة فى التطهر وكل من ادق النظر فى الامور واستقصى علمها فهو متنطس يقال منه رجل نطس ونطس اى ذكى دقيق النظر فى الامور (قوله وهما خبران لان) يعنى قوله فى شغل ظرف مستقر خبر ان وفاكهون خبر ثان و يجوز ان يكون فاكهون هو الخبر وفى شغل متعلق به ظرف فاكهون و يعلم انه ليس بشغل فيه تعب و يجوز ان يكون فى شغل حالا من ضمير فاكهون وقرئ فاكهين وفكهين بالنصب على الحال وفى شغل ظرف مستقر خبر ان وقرأ الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين والباقون بضم فسكون (قوله جمع ظل كشعاب) جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق فى الجبل او جمع ظلة كقباب وقلال جمع قبة وقلة وقرأ حمزة والكسائى فى ظلل بضم الظاء والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل والظلة هو الستر الذى يسترك من الشمس وقرئ فى ظلال بكسر الظاء والالف (قوله تعالى هم وازواجهم فى ظلال على الارائك) هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه وخبره اما فى ظلال اى هم ونساؤهم اللواتى كن لهم فى الدنيا وقيل هم الحور العين وقيل يجوز ان يكون الكل مرادا ثابتون ومستقرون فى ظلال لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقيل هم يحلون بهن لا يقع عليهن ابصار غيرهن وعلى الارائك جملة مستأنفة على ان يكون متكئون خبر مبتدأ محذوف وعلى الارائك متعلق به او خبر ثان و يعضده قرآءة من قرأ متكئين بالنصب على الحال من المنوى فى الخبر الذى هو فى ظلال لان الحال ضرب من الخبر او متكئون وفى ظلال متعلق به وكذا على الارائك و يجوز ان يكون فى ظلال حال من المستكن فى متكئون و يجوز ان يكون هم تأكيدا للمستكن فى شغل اذا جعل ظرفا مستقرا خبرا لان وازواجهم عطف عليه اى على المستكن فى شغل كذا قيل وفيه نظر من حيث الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبران ونظيره ان يقال ان زيدا فى الدار قائم هو وعمرو على ان يجعل هو تأكيدا للضمير فى قولك فى الدار وفى الدار خبران وقائم خبر ثان و يجوز ان يكون تأكيدا للمستكن فى فاكهون وازواجهم على هذين الوجهين عطف على الضمير المؤكد المستكن اما فى الظرف او فى اسم الفاعل لافادة ازواجهم بشاركتهم فى ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وفى الظلال حال من مجموع هم وازواجهم وعلى الارائك متكئون خبر ثان او ثالث والارائك هى السرر فى الحجال واحدتها اريكة وهى لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وهى بيت يزين بالثياب والاسرة واتكاؤهم عليها اشارة الى الفراغ وقوله هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة فيها وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى ان لا جوع فيها لان التفكه ليس لدفع الم الجوع وتنكير فاكهة للتعظيم اى فاكهة لا توصف جمالا و بهجة وكمالا ولذة كما روى ان الرمانة منها تشبع السكن وهو اهل الدار وكل ما هو من نعيم الجنة فانما يشارك نعيم الدنيا فى الاسم دون الصفة (قوله كاشتوى) تمثيل لكون بناء افتعل الشئ بمعنى فعله

(ان كانت) ما كانت الفعلة (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاخيرة و قرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله (ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل و ابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى مما يحيط به الافهام و يعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان و يجوز ان يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات (هم وازواجهم فى ظلال) جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب و يؤيده قرآءة حمزة والكسائى فى ظلل (على الارائك) على السرر المزينة (متكئون) وهم مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير فى شغل اوفى فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه

لنفسه واجتمل اى شوى لنفسه وجمل والجميل الشحم المذاب يقال جمل الشحم جملا واجمله واجتمله اى اذابه فمعنى مايدعون مايدعون به لانفسهم اى مايصح ان يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب قال الامام ليس معناه انهم يدعون لانفسهم دعاء فيستجاب لهم بعد الطلب بل معناه لهم مايدعون لانفسهم اى لهم ذلك فلا حاجة الى الدعاء كما ان الملك اذا طلب مملوكه منه شيأ يقول لك ذلك فيفهم منه تارة انك تجاب الى مطلوبك واخرى الرد اى ذلك حاصل لك فلم تطلبه اى لهم مايدعون و يطلبون فلا طلب لهم ولهم الطلب والاجابة فان الطلب من الملك والمخاطبة معه فى حوائجه بلا واسطة لذة بليغة ومنصب عظيم واصل يدعون يدتعيون على وزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ماقبلها ثم حذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال فصار يدعون (قوله اومايدعونه فى الدنيا) على ان الادعاء هو الاتيان بالدعوى فان اهل الجنة كانوا يدعون فى الدنيا ان الجنة ودرجاتها ومافيها من النعيم المقيم لهم و يدعون ان لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لامولى لهم فقال تعالى لهم فى الجنة مايدعونه فى الدنيا (قوله اومايتداعونه) اشارة الى ان يفتعلون بمعنى يتفاعلون والمعنى ان كل مايطلبه احد من صاحبه فهو حاصل لهم بلا طلب (قوله او يتمنون) اشارة الى ان يدعون يفتعلون من الدعاء بمعنى التمنى اى كل مايتمنونه فهو حاصل لهم (قوله ومامرصولة) ويدعون صلتها اوموصوفة بمعنى شئ و يدعون صفتها والعائد محذوف (قوله سلام بدل منها) اى ممايدعون كانه قيل لهم سلام اى يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم قيل اذا كان بدلا كان مايدعون خاصا والظاهر انه عام فى كل مايدعونه واذا كان عاما لم يكن بدلا منه (قوله اوصفة اخرى) اى لماهذا اذا جعلتها نكرة موصوفة و يدعون صفتها اما اذا جعلتها بمعنى الذى تعذر ذلك لتخالفهما تعريفا وتنكيرا (قوله و يجوز ان يكون خبرها) اى خبر مايدعون ولهم متعلق بسلام بمعنى مايدعونه سلام خالص لهم لاينازعهم فيه منازع (قوله اوخبر محذوف) اى هو اوذلك سلام وقوله اومبتدأ اى سلام لهم (قوله وقرئ بالنصب على المصدر) اى سلم الله عليهم فى الجنة سلاما اكراما لهم على مافسر به على انه من التحية اومن السلامة (قوله اى يقوله الله) اشارة الى ان قولا مصدر مؤكد لفعله المحذوف ومن رب صفة لقولا (قوله و يحتمل نصبه على الاختصاص) قال الزمخشرى وهو الاوجه يعنى ان انتصابه على المدح بتقدير اعنى اوجه من ان ينتصب على المصدرية لفعل محذوف لان المقام مقام المدح من حيث ان هذا القول صادر من رب رحيم فى مقام التعظيم فكان جديرا بان يفخم امره و يعظم قدره و يكون جملة مستقلة مفصولة عماسبق روى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما اهل الجنة فى نعيمهم اذسطع لهم نور فيرفعون رؤسهم فاذا الرب عزوجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عزوجل سلام قولا من رب الرحيم فينظر اليهم و ينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم مادامو ا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركته فى ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بماصبرتم اى يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وهو قول المصنف انه تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم (قوله وانفردوا عن المؤمنين) يعنى ان الامتياز كما يقتضى الفاعل للتميز يقتضى مفعولا يتعدى اليه بعن او بمن وهو غير مذكور فى الآية فذكر فيه ثلاثة احتمالات الاول انه يقال للمجرمين امتازوا عن المؤمنين حين يسار بهم الى النار كما يسار بالمؤمنين الى الجنة الثانى ان يقال لهم امتازوا واعتزلوا عن كل خير والثالث انه يقال لهم ليتميز بعضكم عن بعض فى النار والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا اوصاه اى ألم اوص اليكم على لسان الادلة السمعية والعقلية والم انصبهما لكم بحيث تأمرانكم بعبادة الرحمن وتزجرانكم عن عبادة غيره وجعل عبادة غيره عبادة الشيطان والشيطان لايعبده احد ولم يرو ذلك عن احد لان العبادة هنا بمعنى الاطاعة والانقياد (قوله وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة) لان ماضيه فعل بكسر العين وكسر حرف المضارعة ماعدا الياء فى باب فعل لغة (قوله وأحهد) بابدال عين اعهد حاء وهى لغة هذيل وأحد بابدال العين حاء ثم ابدال الهاء حاء وادغام الحاء فى الحاء (قوله عدو مبين) اى ظاهر العداوة ووجه عداوته انه لما اكرم الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام عاداه ابليس حسدا والعاقل لايقبل من عدوه وان كان مايلقيه اليه خيرا اذلا امن من مكره فان ضربة الناصح خير من تحية العدو (قوله للعهد بشقيه) وهما الانتهاء عن متابعة الشيطان والاقبال على عبادة الرحمن وكون الجملة لبيان

اومايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على اومايدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها ومامرصولة اوموصوفة مرتفعة بالابتدآء ولهم خبرها وقوله (سلام) بدل منها اوصفة اخرى و يجوز ان يكون خبرها اوخبر محذوف اومبتدأ محذوف الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر اوالحال اى لهم مرادهم خالصا (قولا من رب رحيم) اى يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم و يحتمل نصبه على الاختصاص (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة لقوله و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير اوتفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى (الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة تميم (انه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وان اعبدونى) عطف على ان لاتعبدوا (هذا صراط مستقيم) اشارة الى ماعهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشقه الآخر

والتنكير للمبالغة والتعظيم اوللتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون) رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابوعمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا بتخفيف جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال (هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (اليوم نختم على افواههم) نمنعها من الكلام (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم (ولونشاء لطمسنا على اعينهم) لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف (فانى يبصرون) الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره

مايقتضى شق العهد منى على كون هذا اشارة الى مجموع ماعهد اليهم وكونها لبيان مايقتضى شقه الآخر منى على كونه اشارة الى الشق الآخر منه (قوله والتنكير للمبالغة والتعظيم) يعنى ان المقام بحسب الظاهر يقتضى تعريف المسند ليفيد الحصر بان يقال هذا الصراط المستقيم اوهذا هو الصراط المستقيم حتى يدل على ثبوت الاستقامة للصراط الموصى به اليهم وانتفائها عن غيره لان الصراط المستقيم ليس الا ذلك الصراط اذ ليس وراء ترك متابعة سبيل الشيطان والاقبال على متابعة سبيل الرحمن شئ من الاستقامة وتنكير صراط المستقيم بحسب الظاهر يدل على انه فرد من جملة الصرط المستقيمة وليس كذلك فامعنى التنكير اجاب عنه بان وجه الدلالة على ان هذا الصراط لارتفاع شأنه وعلو طبقته فى كونه صراطا مستقيما بلغ مبلغا لايمكن تعيينه والاشارة اليه بخصوصية ثابتة له فى استقامته واستجماعه جميع مايحسن ان يكون الصراط عليه وانه لاسبيل الى الدلالة عليه سوى ان يعبر عنه باسم جنسه كانه قيل وصية اليكم بهذا الصراط لانه فى غاية الاستقامة ونهاية الرفعة وعلو الطبقة ويجوز ان يكون التنكير فيه للافراد والبعضية بناء على ان قوله وان اعبدونى بمعنى وحدونى وخصونى بالعبادة والتوحيد بعض مايجب التصديق به وصاحب الكشاف جعل حمل التنكير على البعضية على انه توبيخ على العدول عنه اى بنى ارادة البعضية على التوبيخ على معنى ان هذا الصراط مع انحصار الاستقامة فيه وكونه اقوم الصرط اقل حاله ان لااعوجاج فيه ولايضل سالكه فبالكم تعدلون عنه كالعدول عن الطريق المعوج قيل كيفية اضلاله انه يامر بترك عبادة الله وعبادة غيره وان لم يقدر عليه يسول لهم امرا يفضى الى ترك عبادة الله والغفلة عنه بسبب الاشتغال به كحب الرياسة والجاه ونحوهما ثم قال افلم تكونوا تعقلون هلاك من قبلكم بطاعة ابليس عليه اللعنة قرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة وهى الخلقة كفطرة وفطر وقرئ جيلا بالياء المثناة من اسفل يقال جيل من الناس اى صنف منهم كالعرب والروم (قوله والجبل الخلق) اى المخلوق وقوله هذه جهنم يقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا الآية وفى هذا الكلام مايوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة اوجه احدها قوله اصلوها امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز الكريم الثانى قوله اليوم يعنى ايام لذاتك قد مضت وهذا اليوم وقت عذابك وصليك يقال صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق من باب علم الثالث قوله بما كنتم تكفرون على وجه التذكير والتقريع فان حياء الكفرة من المنعم اشد الالام (قوله تعالى اليوم نختم على افواههم) كانهم لما قيل لهم الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان جحدوا وقالوا ماعبدناه وما اطعناه فى شئ من المنكرات فيختم الله على افواههم او يفعل بافواههم مالايمكنهم ان يتكلموا بالسنتهم فتشهد عليهم جوارحهم (قوله تعالى ولونشاء لطمسنا على اعينهم) اى اعمينا قلوبهم اولونشاء لاذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لايبدو لها جفن ولاشق فكانوا بحيث لوتبادروا الطريق ليسلكوه لبعض مقاصدهم لم يقدروا عليه فكيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم ومعناه نقدر ان نفعل بهم فى الدنيا ذلك كما انطقنا جوارحهم فى العقبى وهم قد استحقوا ذلك بكفرهم لكنا لم نعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا و يشكروا نعمتى عليهم وهذا القول قول الحسن والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل وعطاء وقتادة معناه ولونشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم عن الضلال الى الهدى فاستبقوا الصراط فاهتدوا الى صراط الحق وابصروه فانى يبصرون اى كيف يبصرون لكن لم نفعل ذلك لم نفعل بهم ذلك وذكر فى وجه نصب الصراط وجوها اربعة الاول والثانى ظاهران وحاصل الثالث انه منصوب على انه مفعول به لكن بلا واسطة تضمين بل بجعل الصراط مسبوقا لامسبوقا اليه من قولهم استبق الصراط اى جاوزه وتركه كما يترك السابق المسبوق والمعنى ولونشاء لاعميناهم فلوطلبوا ان يجاوزوا الصراط الذى اعتادوا سلوكه وان يسلكوا غيره لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى انهم لايقدرون الاعلى سلوك الطريق المعتاد دون ماوراءه من المسالك كالعميان يهتدون فيما الفوا به دون غيره والرابع ان ينتصب على الظرف اى فى الصراط والمعنى ولونشاء لاعميناهم فلوارادوا ان يمشوا مستبقين فى الصراط الذى اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا والمسخ تحويل الصورة الى ماهو اقبح منها (قوله او بتضمين الاستباق معنى الابتدار) وابتدر يتعدى بنفسه يقال ابتدروا السلاح اى تسارعوا اخذه من المبادرة وهى المسارعة وقوله وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع اى ويجوز ان يكون انتصاب الصراط على انه مفعول به لقوله استبقوا بان يجعل الصراط مسبوقا

بطريق التجوز اذ الصراط مسبوق اليه لا مسبوق الا انه جعل مسبوقا بان شبه المسبوق اليه فى كونه متروكا بترك السابق المسبوق فمعنى استبقوا الصراط خلفوا الصراط المعهود بينهم وسلكوا غيره (قوله بحيث يجمدون فيه) يقال جمد يجمد جمدا وجمودا وهو مقابل ذاب و يجوز ان يكون يخمدون بالخاء لقوله فاذاهم خامدون واختلف فى المسخ فعن ابن عباس رضى الله عنهما لمسخناهم قردة وخنازير واشار اليه المصنف بقوله بتغيير صورهم وقيل لمسخناهم حجارة وقيل لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم واشار اليهما المصنف بقوله وابطال قواهم والمكانات جمع مكانة بمعنى المكان كالمقامات جمع مقامة بفتح الميم وهو موضع القيام (قوله وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم). والظاهر ان المعنى لمسخناهم مسخا يبطل قواهم فلا يستطيعون بعد الاصرار على التكذيب ولا الرجوع عنه كان المعنى على الاول لمسخناهم مسخا يلزمهم مكانهم لا يقدرون بعد ان يذهبوا امامهم ولا ان يرجعوا خلفهم (قوله المكسورة لقلب الواو ياء) وادغمت وكسرت الضاد قبل الياء الساكنة لتسلم الياء ثم كسرت الميم اتباعا للضاد والصئى على وزن فعيل صوت الفرخ ونحوه يقال صأى الفرخ يصأى صئيا اذا صاح والقرآءة المشهورة ضم الميم فى مضيا وفتحها وكسرها شاذ (قوله لشمول الرحمة لهم) فان رحمة الله تعالى تعم المؤمن والكافر فى الدنيا (قوله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه) والباقون ننكسه بفتح النون الاولى واسكان الثانية وضم الكاف مخففة من نكسه ينكسه نكسا اى قلبه على رأسه فانتكس والولد المنكوس الذى يخرج رجليه قبل رأسه و بناء التنكيس للتكثير لكثرة الاحوال التى تنقلب على الانسان الموجبة الى الهرم على حسب كثرة الاحوال التى يترقى فيها الصبى الى ان يبلغ اشده فانه خلق على ضعف فى جسده وخلق على عقل وعلم ثم يتزايد و ينتقل من حال الى حال الى ان يستكمل قوته و يعقل ماله وما عليه فاذا انتهى طفق يتنكس فى الخلق و يتناقص حتى يرجع الى حال تشبه حال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه عن العلم (قوله رد لقولهم ان محمدا شاعر) اشارة الى انه كلام مبتدأ غير متعلق بما قبله وقيل عادة الله فى كتابه المجيد انه فى كل موضع ذكر فيه اصلين من الاصول الثلاثة وهى الوحدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر اصلين الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففى توصية بنى آدم عليه الصلاة والسلام بتخصيصهم العبادة اياه واما الحشر ففى قوله اليوم نختم على افواههم واصلوها اليوم وغير ذلك فلما ذكرهما و بينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغى له ووجه كونه ردا لقولهم ان محمدا شاعر وان ما يتلوه عليهم شعر انه كناية عن انه ليس بشاعر وان ما يتلوه ليس بشعر لان كون ما انزل عليه و بلغ اليه شعرا ملزوم مستلزم ان يكون المنزل المبلغ علمه الشعر و بلغه اليه شعرا فنفى اللازم واريد نفى الملزوم ثم قال وما ينبغى له ان يقول الشعر اى ما يحصل وما يتأتى له ذلك لو طلبه من قولهم بغيته فانبغى اى طلبته فوجد وحصل فانه عليه الصلاة والسلام ما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه مكسرا روى الحسن انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال ابو بكر رضى الله عنه يا نبى الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال عمر رضى الله عنه اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغى له فالله سبحانه كما جعله اميا لا يهتدى للخط ولا يحسنه ولا يحسن قرآءة ما كتبه غيره ومع ذلك كان مدينة العلم جامعا لعلوم الاولين والآخرين لتكون الحجة اثبت وشبهة المرتابين فى حقية رسالته ابطل جعله ايضا بحيث لو اراد ان يقول الشعر لم يتأت له ذلك ولم يتسهل له فانه لو كان شاعرا لدخلت الشبهة على كثير من الناس فى ان ما جاء به يقوله من عند نفسه لانه شاعر صناعته نظم الكلام ولذلك عقبه بقوله و يحق القول على الكافرين لانه اذا انتفت الريبة لم يبق الا المعاندة فيحق القول عليهم قال الامام وما ينبغى له اى الشعر لا يليق بمثله ولا يصح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى ان يتخيل معنى يأتى به لاجل ذلك اللفظ ولان احسنه ما كان اكثر مبالغة ومجازفة واغراقا فى الوصف وكلها استدعى الكذب وجل جناب الشارع عنه فما هو الا اكتساب سماوى وتنزيل الهى فعلى هذا الشعر هو الكلام الموزون المقفى الذى قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيتفق ان يكون ما يدل عليه من اللفظ موزونا لا يكون شاعرا ولا ذلك اللفظ شعرا فلا يكون نحو قوله صلى الله عليه وسلم انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب شعرا قاله يوم حنين حين نزل ودعا واستنصر وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

(واو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرئ ابو بكر مكاناتهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتى ومضيا كصئى و المعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم (ومن نعمره) ومن نطل عمره (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر (افلا يعقلون) ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر اى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها

قاله لما اصاب اصبعه حجر فدميت اى لايكون نحوه شعرا لعدم قصده الى الوزن والقافية قصدا اوليا و يؤيد ذلك انك اذا تتبعت كلام الناس فى الاسواق تجده فيه مايكون موزونا واقعا فى بحر من بحور الشعر ولايسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا (قوله على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز) فالرجز مستفعلن ست مرات نحو هل انت الاصبع مستفعلن مستفعلن دميت فعولن هو مقطوع مخبون والقطع هو حذف ساكن الوتد ثم اسكان المتحرك كحذف نون مستفعلن ثم اسكان لامه والحذف ان تسقط السبب الثانى كاسقاط تن من فاعلاتن فقوله على ان الخليل متعلق بقوله هل انت الاصبع كما ذكرنا واما قوله انا النبى لاكذب فجزؤ والجزء ان يحذف العروض والضرب (قوله وقد روى انه حرك البائين) اى فى القول الاول بان فتحها فى لاكذب وكسرها فى المطلب وكسر التاء الاولى اى التى فى دميت من غير اشباع الكسرة وسكن التاء التى فى لقيت فلايكون شئ منهما شعرا اصلا (قوله يتلى فى المعابد) اشارة الى ان القرآن بمعنى المقروء والقرض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته والشعر قريض (قوله تعالى لينذر) متعلق بمحذوف يدل عليه قوله ان هو الا ذكر اى انزل عليه لينذر (قوله فان الغافل كالميت) لايتعقل ولايتفكر والمراد بالحى حى القلب بان يميز المصلحة من المفسدة معملا قلبه فيما خلق له لامضيعا اياه واستعيرت الحياة للعقل بجامع التكميل والتزيين وعلى الثانى استعيرت للايمان لكونه سبب الحياة الابدية فعلى هذا قول من كان حيا بمعنى من كان مآل امره الى الايمان والحياة مسببه ولما كان الايمان فى علم الله محقق الوقوع قيل كان حيا اى مؤمنا ثم ان الله تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة عليها فقال اولم يروا الاية اى اولم ينظروا نظرا اعتباريا انا خلقنا لاجلهم انعاما كائنة من جملة ما انفردنا باحداثه بمحض قدرتنا وارادتنا من غير استعانة بالجوارح لانه تعالى منزه عن ذلك شبه اختصاص آثاره وتفرده فى احداثها باختصاص مصنوع بمن عمله بيديه فان معمول الشخص بيديه اخص به مما تملكه من معمول غيره فاستعمل فيه عمل اليد مع تنزهه عن الجوارح والعمل بها على سبيل الاستعارة التمثيلية ليفيد المبالغة فى الاختصاص وانعاما مفعول خلقنا وهو جمع نعم وهى الماشية الراعية واكثر مايقع هذا الاسم على الابل ويجمع ليشمل انواعها المختلفة من الابل والبقر والغنم (قوله متملكون بتمليكنا اياهم) اشارة الى ان الفاء فى قوله فهم لها مالكون سببية وان الجملة معطوفة على مقدر اى خلقنا لهم انعاما فملكناها اياهم فهم يتملكونها و يتصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لايزاحمون ولايمنعهم احد من التصرف فيها وقوله او متمكنون من ضبطها فعلى هذا يكون المالك بمعنى القادر والقاهر من ملكت العجين اذا اجدت عجنه والاول اوجه لان قوله وذللناها لهم وتقسيمه الى الركوب والاكل يدل على الضبط والقهر فدل مالكون على ان احدا لايمنعهم من التصرف فيها ودل وذللناها لهم على انها لاتمتنع من التصرف فيها بما اراد صاحبها وعلى الوجه الثانى يكون وذللناها لهم عطفا تفسيريا على قوله مالكون وليس بقوى والاصل ان قوله مالكون يجوز ان يكون من ملك اليد والتصرف وان يكون من الملك بمعنى الضبط والتذلل واستشهد على استعمال الملك فى معنى الضبط بقول ابن هرمة حين سئل كيف انت فقال

اصبحت لااحمل السلاح ولا ✽ املك رأس البعير ان نفرا

والذئب اخشاه ان مررت به ✽ وحدى واخشى الرياح والمطرا

والمعنى ظاهر (قوله ركوبتهم) بفتح الراء وزيادة تاء التانيث لان فعولا اذا كان بمعنى المفعول يفرق بين مذكره ومؤنثه بالتاء فيقال ناقة حلوبة وركوبة وحمولة اى محلوبة ومركوبة ومحمول عليها فرقا بينه و بين فعول بمعنى فاعل نحو امرأة صبور وشكور (قوله اى ما يأكلون لحمه) ارتكب التقدير لان القسم المقابل للركوب لابد ان يكون من افراد الانعام وقوله وقيل جمعه قد عد بعضهم دخول التاء على هذه الزنة شاذا وجعل الركوبة جمعا اى اسم جمع لانه جمع حقيقة اذ لم ترد فى ابنية التكسير هذه الزنة وعد بعضهم ابنية اسماء الجموع ولم يذكر فيها فعولة وان قرئ ركوبهم بضم الراء فلابد من حذف المضاف امامن الاول اى فمن منافعها كما تقول اصاحبك من منافعك عطاؤك لى واما من الثانى اى ذو ركوبهم و يجوز ان يكون المصدر بمعنى المفعول كضرب الامير فعلى هذا لاحذف فى الكلام و يرجع بحسب المعنى الى قرآءة الجمهور بفتح الراء (قوله او المصدر) لاختلاف انواعه بحسب اختلاف متعلقه وهو اللبن والمخيض والزبد والسمن والاقط والرائب المخيض اللبن الذى قد مخض واخذ زبده والرائب لبن ذو روبة مثل تامر ولابن والروبة خميرة تلقى فى اللبن ليروب واتصال قوله تعالى واتخذوا من دون

(ومايبنغى له) ومايصح له الشعر ولايتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام انا النبى لاكذب انا ابن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت اتفاقى من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثل ذلك كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان الخليل ماعد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اى وما يصح للقرآن ان يكون شعرا (ان هو الا ذكر) عظة وارشاد من الله (وقرآن مبين) وكتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قرآءة نافع وابن عامر و يعقوب بالتاء (من كان حيا) عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا فى علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) ويجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات فى الحقيقة (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث (انعاما) خصها بالذكر لما فيها من بدآئع الفطرة وكثرة المنافع (فهم لها مالكون) متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

اصبحت لااحمل السلاح ولا ✽ املك رأس البعير ان نفرا

(وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم (ومنها يأكلون) اى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الجلود والاصواف والاوبار (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر (افلا يشكرون) نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها لما امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة

الله آلهة بما قبله انه حال مقررة لنهاية غيهم وضلالهم اى انا فعلنا لهم ما يوجب شكرهم وهم اتخذوا من دوننا ما لا يستطيع نصرهم ومع ذلك هم جند لهم محضرون بحفظه والتعصب له والذب عنه وقوله او محضرون اثرهم فى النار مبنى على ما قيل ان كل من عبد شيأ من دون الله فانه يؤمر يوم القيامة باللحوق بمعبوده فعبدة الاوثان يجعلون يوم القيامة جندا لهم يجمعون اليها ثم يحضرون النار جميعا قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية يقال حزبه امر اى اصابه والفاء فى قوله تعالى فلا يحزنك جزائية اى اذا سمعت قولهم فى الله انه له شريك او ولد او قيل انك كاذب شاعر وتألمت من اذاهم وجفائهم فتسل باحاطة علمى بجميع احوالهم اى بان اجازيهم على تكذيبهم اياك واشراكهم بى (قوله تسلية ثانية) والتسلية الاولى قوله انا خلقنا لهم كذا وكذا ليشكرونى فعكسوا الامر واتخذوا من دونى آلهة وترتيب النظم انه تعالى بعد ما رد عليهم قولهم انه شاعر اتى بقوله انا خلقنا لهم الآيات وعلموا انه المتفرد بها فكان عليهم ان يشكروها ويخصوا العبادة بمنعمها ومع ذلك كابروا وعاندوا واتخذوا من دونه آلهة اشركوها به وقابلوا مثل تلك النعم الجليلة بهذه الشنعة الشنيعة وهذا ليس بادنى من معاملتهم معك بالتكذيب والتهجين ثم اتى بقوله اولم ير الانسان الآية تسلية ثانية فيكون عطفا على قوله اولم يروا انا خلقنا لهم واسلوبهم فى التعكيس يعنى انا كما تولينا احداث تلك النعم لتكون ذريعة الى ان يشكروها فجعلوها وسيلة الى الكفران كذلك خلقناهم من اخس الاشياء ليخضعوا ويتذللوا فاذا هو خصيم مبين (قوله حيث عجب منه) بان رتب مخاصمة الملك الجبار على خلقة من هو اصله من احقر الاشياء باذا المفاجأة والافراط فى الخصومة مستفاد من صيغة الخصيم لانها للمبالغة ومن تنكيرها ايضا (قوله ومنافاة) بالنصب عطف على افراطا للتفسير لان كل واحد من الخصمين ينفى قول الآخر فتكون المخاصمة منافاة والتخاصم تنافيا وعلل كون انكار الحشر افراطا فى الخصومة بكونه جحودا للقدرة على ما هو اهون مما عمله وقدر عليه فى بدء خلقه وقوله ومقابلة للنعمة عطف على افراطا وقوله بالعقوق متعلق بمقابلة وقوله روى ان ابى بن خلف اشارة الى ان الآية نزلت فى حقه وانه المراد بالانسان وقد ثبت فى اصول الفقه ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية وان نزلت ردا عليه فى انكاره البعث فهى عامة تصلح رد الكل من ينكره (قوله بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق) اى ليس المعنى لو تأمل قلة حياته لا ينظر الى خسة عنصره ويمتد الى مخاصمة العزيز القهار بل المعنى انه ينكر البعث واحياء الاجساد البالية والعظام النخرة ولا ينظر الى بدء حاله وانه لم يكن فى بدء خلقه كما هو الآن وانما كان مواتا جمادا وشيأ مهينا فاحيى وقوم باحسن تقويم وجعل له اعضاء مختلفة بجمع المواد واعادة قواه ظاهرة وباطنة فليس باعجب من بدء خلقه من اجزاء النطفة وهو يجادل فى احياء العظام ولا يتفكر فى بدء قواه عليهم والتمييز وقوة النطق التى يعرب بها الحى عما فى ضميره وجمع جسمه الذى احيى بعد ما كان ماء مهينا اعجب واغرب من مجرد جمع المواد واعادة الاحياء فقوله خصيم على هذا التوجيه بمعنى ناطق واختياره على الناطق لان التكلم مع الغير على وجه المخاصمة اعلى مراتب النطق واكملها ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان الاول انسب بمقام التسلية (قوله امرا عجيبا) قدمر فى اول هذه السورة ان المثل يستعار للامر العجيب تشبيها له بالمثل العرفى وهو القول السائر فى الغرابة ولا شك ان نفى قدرة الله على البعث مع انه من جملة الممكنات وانه على كل شئ قدير من اعجب العجائب (قوله وتشبيهه بخلقه) مرفوع معطوف على نفى القدرة وبوصفه متعلق بتشبيهه اى القادر على كل شئ وصاحب الكشاف جعل اشتماله قوله من يحيى العظام وهى رميم على تشبيه القادر على كل شئ بمن يوصف بالعجز وجها ثانيا لتسميته مثلا بناء على ان المثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه وزنا ومعنى فمعنى الآية حينئذ وضرب لنا شبها بالمخلوقين وجعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجيب وبدأه الغريب قال الجوهرى فى الصحاح الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام تقول منه رم العظم يرم بالكسر رمة اذا بلى فهو رميم وانما قال تعالى من يحيى العظام وهى رميم بدون الهاء مع انه خبر عن مؤنث لان فعيلا وفعولا قد يستوى فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق انتهى واذا صار اسما لما بلى من العظام بالغلبة على وزن رغيف لا يحتمل الضمير فلا يؤنث (قوله ولعله فعيل بمعنى فاعل) جواب عما يقال الظاهر ان رميم فى الآية فعيل بمعنى فاعل وقد تقرر ان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث فينبغى ان يقال وهى رميمة لكونه خبرا عن مؤنث فما له لم يدخل الهاء وتقرير الجواب نعم انه فى الاصل صفة بمعنى الفاعل الا انه صار بالغلبة اسما لما بلى

(واتخذوا من دون الله آلهة) اشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم الظاهرة وعلموا انه المتفرد بها (لعلهم ينصرون) رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم فى النار (فلا يحزنك) فلا يهمك وقرئ بضم الياء من احزن (قولهم) فى الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل النهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة للنعمة التى لا مزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه (وضرب لنا مثلا) امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه (ونسى خلقه) خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث

او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم
ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء (قل يحييها
الذى انشأها اول مرة) فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها
(وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات
بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة
المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق
تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق
واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها او احداث
مثلها

من العظام بمعنى الرفت والرفات فالاسم لايحتمل الضمير كالرغيف لايؤنث واجاب ثانيا بانالانسلم انه بمعنى فاعل بل
يجوز ان يكون بمعنى المفعول لان رم قد يستعمل متعديا فيقال رممته وفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر
والمؤنث نحو قتيل وذبيح (قوله من رممته) يعنى ان رميما انما يكون بمعنى المفعول اذا استعمل رم متعديا
(قوله فيؤثر فيه الموت) اى ينجس بالموت كسائر الاعضاء كما هو مذهب الشافعية فان عظام الميتة نجسة
عندهم من جهة ان الحياة تحلها فيطرأ عليها الموت فتنجس به وعند الحنفية عظم الميتة وشعرها وعصبها طاهر
بناء على ان الحياة لاتحلها فلا يؤثر فيها الموت و يقولون معنى احياء العظام فى الاية ردها الى ماكانت عليه غضة
رطبة فى بدن حى حساس واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد
وهم الاكثرون كقولهم أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون قال من
يحيى العظام وهى رميم على طريق الاستبعاد فابطل استبعادهم بقوله ونسى خلقه اى نسى انا خلقناه من تراب
ثم من نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلناه من ناصيته الى قدمه اعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا بذلك حتى اودعناه
ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذين بهما استحق الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد
فهل لايستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحياة اصلا و يستبعدون اعادة النطق والعقل
الى محل كانا فيه ومنهم من ذكر شبهة وان كانت فى آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهى على وجهين الاول انه بعد
العدم لم يبق شيأ فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله قل يحييها الذى انشأها اول
مرة يعنى انه كما خلق الانسان ولم يكن شيأ مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيأ مذكورا الثانى من ان من تفرقت
اجزاؤه فى مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه فى ابدان السباع و بعضه فى حواصل الطيور و بعضه فى جدران
المنازل كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصارت اجزاء المأكول داخلة فى اجزاء الآكل فان
اعيدت اجزاء الآكل فلا يبقى للمأكول اجزاء تتخلق منها اعضاؤه وان اعيدت الاجزاء المأكولة الى بدن
المأكول واعيد المأكول باجزائه فلا يبقى للآكل اجزاء فابطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله وهو بكل خلق عليم
ووجهه ان فى الآكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفى المأكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صارت الاجزاء
الاصلية للمأكول فضليا من اجزاء الآكل والاجزاء الاصلية للآكل وهى ماكانت قبل الاكل هى التى تجمع
وتعاد مع الآكل والاجزاء المأكولة مع المأكول والله بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء
الاصلية للآكل و يجمع الاجزاء الفضلية للمأكول و ينفخ فيها الروح وكذلك تجمع اجزاؤه المتفرقة فى البقاع
المتباعدة بحكمته وقدرته (قوله بعلمه) اى بعلمه الزائد على ذاته لانه يعلمها بذاته بان يكون علمه عين ذاته
كما هو مذهب البعض (قوله فيعلم اجزاء الاشخاص الخ) تفريع و بيان لقوله وكيفية خلقها وقوله او احداث
مثلها عطف على اجزاء الاشخاص الخ بين ان كيفية اعادة المخلوقات على احد وجهين الاول ان تجمع اجزاؤها
المتفرقة و يضم بعضها الى بعض على النمط السابق والثانى ان يحدث مثلها بعد ماصارت نفيا محضا وعدما صرفا
بحيث لم يبق لها هوية متميزة ولا خصوصية خارجية وهذا التقسيم مبنى على ان الاختلاف فى ان فناء الاجسام
عبارة عن انعدامها وكونها نفيا محضا او عن تفرق اجزائها وخروجها عن الانتفاع بها كما ذهب اليه من لم يجوز
اعادة المعدوم بعينه اى بجميع عوارضه المشخصة من المعتزلة كابى الحسن البصرى والكرامية لانهم مسلمون
قائلون بالمعاد الجسمانى ولم يجز عندهم اعادة المعدوم بعينه ولم يتيسر لهم القول بانعدام الاجسام بطريق انعدام
اجزائها بالكلية والا لم يمكنهم القول باعادتها قال صاحب المواقف هل يعدم الله الاجزاء البدنية ثم يعيدها
او يفرقها و يعيد فيها التأليف الحق انه لم يثبت ذلك ولا نجزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل على شئ من الطرفين
وقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه لا يرجح احد الاحتمالين لان هلاك الشئ كما يكون باعدام اجزائه يكون
بتفريقها وابطال منافعها انتهى معنى كلامه بقى الكلام فى انه على تقدير ان يعدم الله الاجزاء ثم يعيدها هل
تكون الاجسام المعادة عين المبتدأة او مثلها الظاهر انها عين المبتدأة لان المتبادر من المعاد الجسمانى هو اعادة عين
الاول لا مثله وهو جائز عند اكثر المتكلمين من اهل السنة والمعتزلة فقول المصنف او احداث مثلها مع قوله فيما بعد
او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها محل تأمل والذى يبلغ اليه فهمى ان ضمير مثلها فى قوله او احداث مثلها راجع الى
المخلوقات لا الى الاجزاء وان فناء الاجسام ان كان عبارة عن اعدام اجزائها تكون اعادتها عبارة عن اعادة تلك

الاجزآء بعينها اى بجميع عوارضها المشخصة واعادة الاجزآء الاصلية للاجسام بعينها لا تستلزم اعادة الاجرام بعينها كيف وان اهل الجنة جرد مرد واهل النار ضرس احدهم مثل جبل احد فلذلك حكم بان الاجسام المعادة مثل المبتدأة فى اصول الذات وصفاتها وفيه ايماء الى ان الاجزآء الاصلية معادة باعيانها والله اعلم (قوله كالمرخ) وهو بالخاء المعجمة شجر صغير الورق والعفار بالعين المهملة شجر آخر تقدح منه النار وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى اختصا بالمجد يؤخذ منهما غصنان على قدر المسواكين وهما يقطران ماء فيحك بعضهما ببعض فتخرج منهما النار باذن الله تعالى نبه تعالى على وحدانيته وكمال قدرته على احياء الموتى بما يشاهدونه من اخراج النار المحرقة اليابسة من العود الندى الرطب فان الشجر الاخضر بما فيه من الماء البارد الرطب اذا اخرج منه النار اليابسة وهما لا يجتمعان فكيف يستبعد ان يخلق الحياة فى العظام النخرة (قوله لا تشكون فى انها نار خرجت منه) مستفاد من قوله تعالى منه توقدون بتقديم منه (قوله على المعنى) فان لفظ الشجر مذكر ومعناه مؤنث لانه جمع شجرة كتمر وثمرة والجمع مؤنث لكونه بمعنى الجماعة ونظيره فى الحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فان ضمير منها وعليه راجعان الى شجر من زقوم انث الاول وذكر الثانى لذلك (قوله او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها) فان المعاد هو الاول والاشتمال على الاجزآء الاصلية للاول وان امتاز كل واحد منهما عن الآخر بحسب اختلاف الامور الخارجية عن هوية الشخص وعينه (قوله وعن يعقوب يقدر) اى بدل بقادر ووجهه ظاهر واما وجه القرآءة الاولى وهى القرآءة بزيادة الباء على اسم الفاعل مع انها لا تزاد فى الايجاب ومعنى الكلام ههنا ايجاب لان الاستفهام انكارى وانكار النفى ايجاب فوجه زيادتها فيه الاكتفاء بوجود صورة النفى ولفظه وهو الوجه فى الايجاب ببلى المختصة بايجاب النفى المتقدم ونقضه فهى ههنا لنقض النفى الذى بعد الاستفهام اى بلى انه قادر كقوله ألست بربكم قالوا بلى اى بلى انت ربنا (قوله مشعر بانه لا جواب سواه) وجه الاشعار ان جواب الاستفهام التقريرى ينبغى ان يكون من المخاطب بان يقر و يقول بلى فاذا بادر المستفهم الى الجواب فكانه قال لم يتوقف وهل يذهب الوهم الى جواب سواه فان من قدر على خلق الاكبر يقدر على خلق الاصغر بدأ واعادة (قوله وهو تمثيل) يعنى ان حقيقة الحال ان شأنه تعالى اذا اراد شيأ ان يكونه بقدرته وارادته فيتكون من غير توقف وامتناع وليس هناك قول كن للامر بالتكوين لان الامر بالتكوين ان كان حال وجود المكون فلا وجه للامر وان كان حال عدمه فكذلك اذ لا معنى لانه يأمر المعدوم بان يوجد بنفسه الا ان اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بان شبه قدرة الله تعالى فى المراد من غير توقف وامتناع ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف فاستعير قوله كن فيكون من امر المطاع للمطيع لتأثير قدرته فى المكون وليس هناك قول ولا آمر ولا مأمور حقيقة وانما هو وجود الاشياء بالتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وقيل جرت سنة الله تعالى فى تكوين الاشياء بان يقول هذه الكلمة والمعنى يقول له احدث فيحدث عقيب هذا الكلام فيكون الكلام على الحقيقة وقوله قطعا لمادة الشبهة علة لقوله وهو تمثيل (قوله عطفا على يقول) والجمهور على رفع قوله فيكون بناء على انه فى تقدير فهو يكون على انه يكون جملة اسمية معطوفة على اسمية مثلها وهى قوله امره ان يقول له كن (قوله مالكا للملك كله) اشارة الى ان الملكوت بمعنى الملك وقرئ ملكة كل شئ بزنة شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك كل شئ ومعنى الكل واحد والملكوت ابلغ الجميع فانه فعلوت من الملك والواو والتاء فيه للمبالغة كالجبروت والرغبوت فانها مصادر دالة على المبالغة قال الفاضل الطيبى ان هذه السورة من فاتحتها الى خاتمتها فى تقرير امهات علم الاصول وجميع المسائل المعتبرة التى اوردها العلماء فى مصنفاتهم بابلغ وجه واتمه ثم فصل وجه ذلك الى ان قال انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون كالفذلكة للمذكورات وقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون كالخاتمة المشتملة على اسرار عجيبة فتحير فيها الافهام وتكل من شرحها الالسن والاقلام ولهذا قال حبر الامة ابن عباس رضى الله عنهما ما قال من ان ما روى فى فضل يس انما هو لهذه الاية قيل انما جعل يس قلب القرآن اى اصله ولبه لان المقصود الاهم من انزال الكتب بيان انهم محشرون وانهم جميعا لديه محضرون وان المطيعين يجازون باحسن ما كانوا يعملون ويمتاز عنهم المجرمون وهذا كله مقرر فى هذه السورة بابلغ وجه واكمله وروى عنه انه عليه الصلاة

(الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) كالمرخ والعفار (نارا) بان يسحق المرخ على العفار وهما خضرا وان يقطر منهما الماء فتنقدح النار (فاذا انتم منه توقدون) لا تشكون فى انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون (اوليس الذى خلق السموات والارض) مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر (بلى) جواب من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بانه لا جواب سواه (وهو الخلاق العليم) كثير المخلوقات والمعلومات (انما امره) انما شأنه (اذا اراد شيأ ان يقول له كن) اى تكون (فيكون) فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق و نصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شئ (واليه ترجعون) وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا اعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرأ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مؤمن قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وايها مائة واحدى اوثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) اقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها اوالناس عن المعاصى بالهام الخير اوالشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وحلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوآئف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة و الارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لايفترون او بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرآئعه او بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل اوالعدو التالين ذكر الله لايشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات اوالصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله * يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر اوالاسافة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس

والسلام قال اقرأوا سورة يس على موتاكم قال الامام وذلك ان اللسان حينئذ ضعيف القوة وكذا الاعضاء لكن القلب يكون مقبلا على الله بكليته فاذا قرئت هذه السورة الكريمة ترداد قوة قلبه و يشتد تصديقه بالاصول فيزداد اشراق قلبه بنور الايمان وتتقوى بصيرته بلوامع العرفان

سورة الصفات مكية وهى مائة واثنان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

(قوله والصافات) الصف ان يجعل الشئ على خط مستقيم تقول صففت القوم فاصطفوا اذا اقمتهم على خط مستقيم لاجل الصلاة والحرب والصافات جمع صافة وواو القسم فيهما بدل من الباء والاصل اقسم بالصافات ثم حذف الفعل لدلالة الجار المتعلق به وابدلت الواو من الباء لاشتراكهما فى المخرج وتقاربهما فى المعنى لان الالصاق والجمع متقاربان فى المعنى وصفا مصدر مؤكد ومثله زجرا وقيل صفا مفعول به على ان يكون بمعنى المصفوف وذكرا يجوز ان يكون مفعولا به للتاليات وان يكون مصدرا لمعنى التاليات وهوموافق لماقبله وقيل مفعول الصافات والزاجرات غير مراد والمعنى الفاعلات لذلك وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها اواقدامها اواجنحتها فى الهوآء واقفة منتظرة لامر الله تعالى و قول المصنف بالملائكة الصافين فى مقام العبودية يدل على ان مفعول الصافات غير مراد وقوله الزاجرين الاجرام اوالناس اوالشياطين وقوله التالين آيات الله يدل على ان مفعول الزاجرات والتاليات مراد نقل عن الراغب ان الزجر طرد بصوت ثم يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت وفى الصحاح الزجر المنع والنهى وزجر البعير اى ساقه والزجر ايضا العيافة وهوضرب من التكهن يقول انه يكون كذا وكذا وقال فى فصل العين من باب الفاء عفت الطير اعيفها عيافة اى زجرتها وهى ان يعتبر باسمائها ومساقطها واصواتها والعائف المتكهن انتهى كلامه والعيافة نوع تدبير لان التدبير فى الامر ان ينظر الى مايؤول اليه دابره وعاقبه وذلك حاصل فى الزجر بمعنى العيافة فقول المصنف الزاجرين الاجرام العلوية اى التى يعتبرونها و يدبرون امرها وكذا قوله والارواح المدبرة لها تفسير للزجر بالاعتبار والتدبر (قوله او بطوآئف الاجرام) عطف على الملائكة فى قوله اقسم بالملائكة الصافين وزاد لفظ الطوآئف لانه جمع طائفة يقال طائفة صافة وطوآئف صافات ولم يحتج الى زيادة الطوآئف على تقدير ان يكون المقسم به الملائكة اكتفاء بالتأنيث اللفظى فيها فيكون التقدير والملائكة الصافات وقوله بالملائكة الصافين رعاية لجانب المعنى وجلايا جمع جلية من جلوت الامر اى اوضحته وكشفته وجلايا قدسه كاشفاته وموضحاته قيل لايجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرأون من هذه الصفة واجيب بوجهين الاول ان الصافات محمولة على الملائكة باعتبار موصوفاتها المقدرة وهما المحمولة على الملائكة حقيقة فانه يقال جماعة صافة والثانى انهم مبرأون من التأنيث المعنوى فاما التأنيث اللفظى فلا كيف وهم يسمون بالملائكة وعلامة التأنيث حاصلة فيه والمراد من الاجرام المرتبة كالصفوف العناصر والافلاك والكواكب وقوله المرتبة كالصفوف اشارة الى ان الصافات بمعنى المصفوفات مثل عيشة راضية فان المبنى للفاعل اسند الى المفعول به و يقال رصصت الشئ ارصه رصا اى الصقت بعضه ببعض ومنه بنيان مرصوص وتراص القوم فى الصف اى تلاصقوا والمراد بالجواهر القدسية الملائكة (قوله مبارزة العدو) اى مقابلته يقال فلان يبارز فلانا اى يعارضه و يفعل مثل فعله وفلان يبارز الريح سخاء ذكر المصنف فى المقسم به وهو الصافات اربع حالات والموصوف بالصافات الثلاث واحد فى غير الاحتمال الثانى وثلاثة فيه الاجرام المرتبة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية فيكون العطف على هذا من قبيل عطف الذوات الموصوفة بعضها على بعض وفى باقى الاحتمالات من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الموصوف كما فى بيت زيابة فان الذى صبح فغنم فآب هو الحارث * ثم ان الزمخشرى رحمه الله ذكر فى الفاء المفيدة للترتيب والتعقيب اذا وقعت بين الصفات المتعاطفة ثلاثة قوانين الاول ان تدل على ترتيب الصفات فى الوجود كما فى بيت زيابة والثانى ان تدل على ترتيبها فى الرتبة والفضيلة بان يكون بعض الصفات ارفع قدرا وافضل من الباقية فتكون الباقية متأخرة عنه بهذا المعنى وان لم تتأخر عنه فى الوجود كما فى الاية اذا اتحد الموصوف بالصافات الثلاث فان الفاء تفيد ترتيب الصفات فى الفضل بان يكون للصف ثم للزجر ثم للتلاوة اوعلى العكس فان حمل على ان الاول افضل من الثانى تكون الفاء دالة على ان الوصف الثانى متأخر عن الاول فى الفضل وان حمل على ان الثانى افضل

من الاول تكون دالة على ان الثانى اعلى مرتبة من الاول والبعد متأخرة عنه كما يقال ذلك فى ثم والفاء ثم على ترتيب الموصوفات فى الفضل والشرف كما اذا قلت رحم الله المحلقين فالمقصرين فان الفاء تدل على ان المحلقين افضل من المقصرين بناء على ان الحلق افضل من التقصير وان التقصير متأخر عنه فى الفضل ثم انه جوز فى الاية على تقدير تعدد الموصوف وكون الفاء لترتيب الموصوفات فى الفضل ان تكون الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا وان يكون الامر على عكس هذا والعقل يجوز قولا رابعا وهو ان تكون الفاء دالة على ترتيب الموصوفات فى الوجود ولم يعتبره الزمخشرى اذ ليس للفاء دلالة على ان بعض الذوات متأخر عن البعض فى الوجود وقول المصنف والرتبة عطف على الوجود فى قوله والفاء لترتيب الوجود يريد ان الفاء اما لترتيب الوجود اى وجود الصفات اذا كانت لعطف الصفات واختلافها فان الصف كمال والزجر تكميل وابهر التكميل افاضة الخير التى هى التلاوة بعد المنع عن الشر وبعد الاساقة الى قبول الخير ايضا والاساقة افعال من السوق كنى بها عن القوة واما لترتيب الرتبة والفضل اى لترتيب رتبة الموصوفات وفضلها اذا كانت لعطف الذوات واختلافها او لترتيب رتبة وجود الصفات وفضلها اذا كانت لعطف الصفات واختلافها وجوز ان تكون الفاء فى الاية لترتيب الوجود من حيث ان الفضل بعد الكمال والافاضة الخير بعد المنع عن الشر وبعد الاساقة الى قبول الخير ايضا والاساقة افعال من الساقة التى كنى بها عن القوة وترتيب الفضل بينها على حسب ترتب وجودها اعنى ان الفاء فى الاية من الترقى من الفاضل الى الافضل ومنه الى الابهر فضلا على عكس قولك فالمقصرين فان الفاء فيه للتنزل من الافضل الى الفاضل (قوله وادغم ابو عمرو وحمزة) يعنى انهما قرآ بادغام التاء من الصافات والزاجرات والتاليات فى صاد صفا وزاى زجرا وذال ذكرا وكذلك فعلا فى والذاريات ذروا وفى الملقيات ذكرا وفى العاديات ضبحا بخلاف عن خلاد فى الاخيرين وكذلك اتفقا فى ادغام بيت طائفة فى سورة النساء مع انه ليس من اصل حمزة الادغام فى مثله وابو عمرو جارى على اصله من ادغام المتقاربين فحمزة خالف اصله وقرأ الباقون بالاظهار فى جميع ذلك لاختلاف المخارج (قوله والفائدة فيه) اشارة الى دفع ما يقال من انه تعالى اقسم فى اول هذه السورة على ان الاله واحد واقسم فى اول سورة الذاريات على ان القيامة حق والجزاء واقع فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع فالمقصود من القسم فى مثل هذه المطالب اما اثبات المطلوب عند المؤمن او عند الكافر وعلى كلا التقديرين لا فائدة فيه اما على الاول فلأن المؤمن يقر به من غير حلف واما على الثانى فلأن الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف ام لم يحصل والجواب ان هذا القسم فى مثل هذا الموضع ليس للاثبات بل للتنبيه على شرف المقسم به ولتأكيد ما حقق بالادلة القاطعة وتأكيد المطالب المثبتة بالدلائل اليقينية طريقة مألوفة عند العرب وقد انزل القرآن على لغتهم وعلى اسلوبهم فى محاوراتهم فان امر التوحيد وصحة البعث والجزاء قد حقق بالدلائل القاطعة فى مواضع شتى من القرآن العظيم فلا يبعد ذكر القسم تأكيدا لتلك الدلائل وتقريرا لمدلولاتها على انه لما اقسم بهذه الاشياء على ان قوله ان آلهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو دليل يقينى على التوحيد فكأنه قيل انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأملوا فيه ليحصل لكم العلم بالتوحيد لانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (قوله يتناول افعال العباد) لانها موجودة بين السماء والارض فلما ثبت ان كل ما حصل بينهما فالله ربه ومالكه فقد ثبت ان فعل العبد حصل بخلق الله والحكم على الاعراض بكونها حاصلة بين الشيئين لا يستلزم تحيزها بالذات لانها اذا كانت حاصلة فى الاجسام الحاصلة بين السماء والارض يصدق عليها انها حاصلة بينهما (قوله والمشارق مشارق الكواكب) لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فلذلك جمع المشارق هنا ويجوز ان يكون المراد مشارق الشمس وجمعت مع ان الشمس انما تشرق فى كل واحد من الايام فى موضع معين باعتبار جميع السنة فان لها فى جميع السنة مشارق ومغارب كثيرة تطلع فى كل يوم من مشرق وتغرب فى مغرب وقوله رب المشرقين ورب المغربين اراد بهما مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما اكتفى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لدلالة قوله ورب المشارق عليه وذكر للاكتفاء عن ذكر المغارب ثلاثة اوجه مبنى الاول على ان المغارب ايضا مراد وحذف من اللفظ لدلالة المشارق عليه لان تعدد المشارق يستلزم تعدد المغارب كما ان نفس المشرق يستلزم المغرب وعلى الوجهين الاخيرين كان ذكر المغارب مطوى بحسب اللفظ مطوى بحسب الاعتبار ايضا لان الشروق

وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليهما لتقارب مخارجها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا (ان آلهكم لواحد) جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف فى كلامهم واما تحقيقه فبقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس فى السنة وهى ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ فى النعمة

وماقيل انهامائة وثمانون انمايصح لولم تختلف اوقات الانتقال (انازينا السماء الدنيا) القربى منكم (بزينة الكواكب) بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قرآءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هى لها كاضوآئها واوضاعها اوبان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قرآءة ابى بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وماعدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة (وحفظا) منصوب باضمار فعله اوالعطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة برمى الشهب (لايسمعون الى الملاء الاعلى) كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء منهم ولايجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى ان يكون الحفظ من شياطين لايسمعون ولاعلة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك ان تكرمنى ثم حذف ان واهدارها كقوله ؎ الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ؎ فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة اواشرافهم

ادل على القدرة من الغروب لان الاحداث اقوى حالا من الاعدام وابلغ فى النعمة لان الاحتياج الى النور اشد واقوى من الاحتياج الى الظلمة (قوله وماقيل انها) اى مشارق الشمس فى السنة مائة وثمانون على ان مشارقها حال كونها آخذة فى الارتفاع هى بعينها مشارقها حال كونها آخذة فى الانتقاص فكيف يقال ثلاثمائة وستون اجاب عنه بان من سافر خمسة ايام بائتا كل ليلة فى موضع ومرتحلا عنه فى صباح تلك الليلة ثم رجع فى اليوم السادس الى ماعنه سافر بائتا فى المواضع التى بات فيها ومرتحلا عنها فمن عد مواضع نزوله وارتحاله يعدها عشرة ولايعدها خمسة بناء على ان اوقات بياته لما كانت عشرة كانت مواضع ارتحاله عشرة نظرا الى اختلاف الاوقات فكذا المشارق و المغارب انما تختلفان باختلاف اوقات الطلوع والغروب ضرورة ان الارتحال واقع فى وقت آخر فتختلف المراحل والمنازل والمشارق و المغارب على حسب اختلاف الاوقات (قوله تعالى بزينة الكواكب) قرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين وقرأ ابو بكر الكواكب بالنصب والباقون بالخفض واختار المصنف فى القراءة اضافة زينة الى الكواكب ووجه الاضافة بار بعة اوجه والزينة فى الوجهين الاخيرين اسم لما يزان به الشئ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة و يصلح مدادها والاضافة فى الوجه الاول من اضافة العام الى الخاص للبيان كخاتم فضة ومايزان به السماء يعم الكواكب وغيرها فاضيف اليها للبيان و فى الوجه الثانى بمعنى اللام والزينة المعتبرة بالنسبة الى الكواكب كانها مما تزان بها السماء فهى ايضا مما تزان بغيرها من اضوآئها واشكالها الحسنة كشكل الثريا و بنات نعش ونحوهما فاحتمل ان يكون المراد بالزينة نفس الكواكب على ان الاضافة بيانية وان يكون مايزان به الكواكب على ان الاضافة بمعنى اللام والزينة فى الوجه الثالث مصدر كالنسبة والخطة اضيف الى المفعول والمعنى انا زينا السماء الدنيا بان زينا الكواكب فيها بجعلها مشرقة مضيئة ذات اشكال حسنة ومطالع ومسائر على الحكمة فانها انما زينت السماء لحسنها فى انفسها واصله بزينة الكواكب وهى قرآءة ابى بكر عن عاصم كما مر والاضافة فى الوجه الرابع من اضافة المصدر الى فاعله والمعنى انا زيناها بان زينتها الكواكب بتزيينها وسائر احوالها (قوله وركوز الثوابت الخ) اشارة الى جواب مايقال من انه ثبت فى علم الهيئة ان الكواكب الثوابت مركوزة فى الكرة الثامنة وان السيارات ماعدا القمر مركوز فى الكرات الست المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اجاب عنه اولا بالمنع فقال ان تحقق اى لانسلم تحقق ذلك اذ لم يتم دليل الفلاسفة عليه وثانيا بتسليمه وانه لاينافى الحكم بان المزين بها هو السماء الدنيا لان اهل الارض اذا نظروا اليها يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فمحل الزينة بالنسبة اليهم انما هو هذه السماء (قوله وحفظا منصوب باضمار فعله) فهو مصدر مؤكد لفعله المضمر اى وحفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لان العطف على هذا الوجه قد دل على اضمار الفعل كقولك افعل وكرامة فان من المعلوم ان الاسماء لاتعطف على الافعال فيعلم ان المعنى افعل ذلك واكرمك كرامة ويحتمل ان يكون منصوبا بالعطف على زينة باعتبار المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما فى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا من كل شيطان متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا مؤكدا او بالفعل المضمر ان جعل مصدرا مؤكدا والمارد المتمرد العاتى وهو الذى يخرج عن الطاعة (قوله تعالى لايسمعون) قرآءة حفص وحمزة والكسائى بتشديد السين والميم فاصله يتسمعون والقرآءة بالتشديد ابلغ فى نفى الاستماع لانه اذا نفى عنهم التسمع بعدما حفظ منهم السماء نفى عنهم السماع بالاولوية والتسمع طلب السماع يقال تسمع فسمع اوفلم يسمع وتسمع لايتعدى الا بالى فلذلك اختار ابو عبيد القرآءة بالتشديد وقال لو كان مخففا لم يحتج فى تعديته الى كلمة الى حيث يقال سمعت فلانا يحدث وسمعت حديثه واجيب عنه بان المخفف قد يتعدى بالى فان قلت اى فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت ان المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك فتكون هذه الاية سوآء قرئت بالتشديد او التخفيف ابلغ فى نفى السماع من قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون لانها على التقديرين تدل على كونهم ممنوعين عن الاصغاء الذى هو طلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع اولى وفيها ايضا تهويل عظيم لما يمنعهم عنه وهو ظاهر وقوله كلام مبتدأ اى لاتعلق له بما قبله من جهة الاعراب اى لامحل له من الاعراب وان كان متعلقا به من جهة المعنى بان يكون استئنافا كأنه لما قيل وحفظا من كل شيطان مارد اى وحفظناها حفظا منهم سئل بان قيل فما يكون حالهم اذا وكيف تحفظ السماء

منهم فاجيب عن الاول بانهم لايسمعون و عن الثانى بقوله ويقذفون والمعنى انهم لايسمعون اى لايتطلبون
السماع الى الملأ الاعلى وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الامن امهل حتى خطف خطفة واسترق
استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب ولاتمهله وقوله ولايجوز جعله صفة لكل شيطان لان
الشيطان الذى لايسمع اولايستمع لاوجه لحفظ السماء منه وكذا لاوجه لجعله علة للحفظ بان يكون المعنى والتقدير
وحفظناها منهم لئلا يسمعوا الى كلام الملائكة ثم تحذف اللام بناء على ان حذفها من ان وان شائع فى كلامهم
فبقى ان لايسمعوا ثم تحذف ان و يهدر عملها كما فى قول من قال

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

فان اصله ان احضر الوغى حذف ان لدلالة ان اشهد عليه فلولم يقدر ان ليكون احضر فى تقدير المصدر لزم عطف
المفرد على الجملة وهو غير مستقيم وانما قلنا انه لاوجه له لان كل واحد من هذين الحذفين على انفراده وان كان
غير مردود لكن اجتماعهما تعسف يورث تعقيدا لفظيا يجب صون القرآن عن مثله والملأ الجماعة وحدت
صفته وهى الاعلى نظرا الى افراد لفظه وسميت الملائكة ملأ اعلى لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ
الاسفل لانهم سكان الارض (قوله من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده) بين ان ليس المراد من يقصد منهم
صعود السماء لاستراق السمع من جانب يرمى من جميع جوانب السماء بل المراد يرمى من الجانب الذى يصعد منه اى
جانب كان من جوانب السماء قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وذكر المصنف لانتصابه وجوها اربعة مبنى الوجه
الاول والثانى منها على ان يكون الدحور مصدر قولك دحره يدحره دحرا ودحورا اذا طرده وابعده فهو
اما مفعول له اى يقذفون بالشهب للدحور والابعاد او مصدر مؤكد ليقذفون لان القذف والطرد متقاربان
فى المعنى فكانه قيل و يقذفون قذفا او يدحرون دحورا الا انهما لما كانا متقاربين جاز ان يقام احد الفعلين مقام الفعل
الآخر او المصدر مقام المصدر على التبادل ولم يلتفت الى احتمال كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كما فى قوله
وحفظا لعدم الحاجة الى ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالعامل المذكور وكونه حالا مبنى على ان يكون
مصدرا بتقدير المضاف اى ذوى دحور او على ان يكون المصدر بمعنى المفعول اى مدحورين ولم يلتفت الى
ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالمذكور ومبنى الوجه الثالث وهو كونه حالا بمعنى مدحورين على ان يكون
الدحور جمع داحر كقاعد وقعود فدحورا بمعنى داحرين اى مدحورين وانتصابه على الحال ليس الا على هذا
التقدير ومبنى الوجه الرابع على ان يكون دحورا جمع دحر كدهر ودهور والدحر ما يرمى به و يطرد فيكون انتصابه
على اسقاط الخافض اى يقذفون من كل جانب بدحور (قوله ويقويه القرآءة بالفتح) اى يقوى كون
الدحور بضم الدال جمع دحر وان انتصابه بنزع الخافض وفى الطيبى قال ابن جنى القرآءة بفتح الدال على وجهين
احدهما انه من المصادر التى جاءت على فعول بفتح الفاء وثانيهما على ان يكون المعنى و يقذفون من كل جانب بدحر
وهو ما يدحر به على حذف حرف الجر وارادته انتهى والحاصل ان الدحور بالفتح اذا لم يكن مصدرا يكون لمبالغة
اسم الفاعل كالصبور والشكور فيكون صفة لمصدر مقدر بمعنى يقذفون قذفا دحورا على طريق اسناد الشئ الى
سببه مجازا و يطلق الداحر على آلة الدحر نحو سيف قاطع فيحتاج الى تقدير الجار (قوله وهو يحتمل ايضا) اى
الدحور بالفتح كما يحتمل كونه بمعنى الآلة الداحرة يحتمل ان يكون مصدرا او صفة له (قوله دائم اوشديد) يقال
وصب يصب وصوبا اى دام والوصب المرض والوجع فقوله اوشديد بمعنى النسبة من الوصب وهو الالم اى ذو
وجع وشدة كآمر (قوله ومن بدل منه) وهو المختار لان لايسمعون غير موجب فيكون مرفوع المحل
ويجوز ان يكون فى موضع النصب على اصل الاستثناء (قوله والمراد اختلاس كلام الملائكة) يعنى ان الخطف
هو الاختلاس والاستلاب بسرعة والخطفة مصدر بمعنى المفعول اى لاتسمع الشياطين كلام الملائكة مصغين
اليهم آذانهم الا الشيطان الذى استلب شيأ من كلام الملائكة مسارقة فلحقه شهاب ثاقب اى كوكب مضئ كانه
يثقب الهواء بضوئه وقال عطاء سمى النجم الذى يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم (قوله ولذلك عرف الخطفة)
يعنى ان الكلام الذى استلبه الشيطان لما كان كلام الملأ الاعلى نفى عنه استماعه كان ذلك معهودا متقدم
الذكر حكما وكناية لان السماع لايتعلق الا بالكلام فصح ان تعرف الخطفة بلام العهد الخارجى (قوله واصلهما
اختطف) ولما اريد الادغام اسكنت التاء وقلبت طاء فادغمت الطاء فى الطاء فاجتمع ساكنان الخاء والطاء

(ويقذفون) و يرمون (من كل جانب) من جوانب
السماء اذا قصدوا صعوده (دحورا) علة اى للدحور
وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال
بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو
ما يطرد به و يقويه القرآءة بالفتح وهو يحتمل ايضا
ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا دحورا
(ولهم عذاب) اى عذاب آخر (واصب) دائم
اوشديد وهو عذاب الآخرة (الامن خطف الخطفة)
استثناء من واو يسمعون و من بدل منه والخطف
الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة
ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف
(فاتبعه شهاب) اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان
كوكبا انقض

المدغمة فكسرت الخاء لان الكسر اصل فى تحريك الساكن فاستغنى عن الهمزة فصار خطف ووجه من قرأ خطف بفتح الخاء ظاهر وهو ان ينقل حركة التاء اليها ومنهم من قرأ خطف بكسرتين والتشديد ووجهها انه لما كسرت الخاء لالتقاء الساكنين كسرت الطاء ايضا اتباعا لحركة الخاء **(قوله وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير)** وهو الطبقة العليا من طبقات الهواء الملاصقة لكرة النار اشارة الى جواب مايقال ان المفهوم من هذه الآية انه تعالى زين السماء بالكواكب لمصلحتين الاولى ان يحصل لها زينة و بهجة والثانية ان يحفظها بتلك الكواكب من الشيطان المارد بان يرميه بها فيلحقه شهاب ثاقب وهومابعده عقلا من حيث ان هذه الشهب لوكانت تلك الكواكب بعينها لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة مخالف لقول من قال ان الشهاب بخار مشتعل ليس من كواكب السماء فاوجه التوفيق بينهما وايضا جعلها رجوما للشياطين يوجب النقصان فى زينة السماء وكان الجمع بين كونها زينة وبين كونها سببا لحفظ السماء بان يرجم بها الشياطين كالجمع بين المتناقضين * اجاب عنه اولا بان ذلك القائل انما قال ذلك القول تخمينا وظنا لا تحقيقا و يقينا اذ من الجائز ان يكون فى السماء غير الثوابت والسيارات نجوما اخر للرجم سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون مما فى اقطار السموات وتخوم الارضين ومايعلم جنود ربك الاهو وثانيا بان سلم ذلك القول ومنع كونه مخالفا لما يفهم من هذه الآية ومن قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوما للشياطين فان الذهن وان تبادر من ظاهرهما الى ان الشهب المقذوفة ومصابيح الرجوم هى الكواكب المركوزة فى السماء الا انه ليس فيهما مايدل عليهما صريحا **(قوله للشياطين تتصعد)** من قبيل قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى **(قوله وماروى ان ذلك حدث بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم)** اشارة الى جواب مايقال من ان كون الشهاب هو البخار المشتعل بصعوده الى الاثير مناف لما قيل من انه حدث بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قبل ميلاده عليه الصلاة والسلام حتى ان الحكماء الذين تقدموا ميلاده عليه الصلاة والسلام بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه فكيف يمكن الجمع بين كون شهاب الرجوم بخارا مشتعلا وبين كون حدوثه مخصوصا بزمان ولادته عليه الصلاة والسلام كما روى ان الشعبى انه قال لم يقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم و يعتقون رقيقهم يظنون انها القيامة فاتوا عبديا ليل الثقفى وكان قد عمى فقالوا قد سيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم فقال لم قالوا ان النجوم تتهافت من السماء فقال لهم لا تعجلوا فان كانت نجوما تعرف فهى عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهى لامر حدث فنظروا فاذا هى نجوم لا تعرف قال الشعبى فما مكثوا الا يسيرا حتى اتاهم النبى صلى الله عليه وسلم اجاب عنه بقوله ان صح انه حدث بميلاده صلى الله عليه وسلم فالمراد بحدوثه كثرة وقوعه او كونه رجما للشياطين وابعادا الا ان الظاهر انه كان يحصل قبل ذلك فصارت كثرة وقوعه فى زمانه صلى الله عليه وسلم معجزة له **(قوله واختلف فى ان المرجوم الخ)** اشارة الى سؤال وجواب اما السؤال فهو ان اهل التفسير اتفقوا على ان المرجوم لا يصل الى مراده البتة واختلفوا فى سببه على وجهين لانه اما ان يتأذى به فيرجع او يحترق فيهلك فكيف يجوز فى الشياطين مع اشتهارهم بمعرفة الحيل الدقيقة ان يذهبوا الى موضع يعلمون ان يصيبهم فيه مثل هذه المصيبة مع خيبتهم عن مقصودهم واما الجواب فهو ان الصاعد المرجوم لابد ان يتأذى او يحترق واما كون كل صاعد يلحقه الرجم فغير لازم لانهم انما يمنعون بالشهب من المصير الى موضع الملائكة فيتفق ان يرجم و يصيبه الشهاب وقد لا يتفق فلا يصيبه ذلك فلما هلكوا فى بعض الاوقات وسلموا فى بعضها جاز لهم الاقدام على الصعود لاستراق السمع طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب البحر **(قوله ان الشيطان من النار)** لقول ابليس خلقتنى من نار ولقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب تقدر الشياطين ان تصعد الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل ان تحترق النار بالنار الخ يعنى انه يحتمل ان الشياطين مع كونهم مخلوقين من النار نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم والضعيف يضمحل و يتلاشى بالقوى **(قوله يعنى ماذكر من الملائكة الخ)** فسر قوله تعالى ام من خلقنا بما ذكر من مخلوقاته من اول السورة الى هنا وحمل من على التغليب ولم يلتفت الى قول من قال ان المراد بقوله من خلقنا الامم الماضية كعاد وثمود بشهادة ان كلمة من تذكر لمن يعقل والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا ممن قبلهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما بالهم آمنين من العذاب واستدل على ما اختاره من التفسير بوجوه الاول انه لو كان المراد

وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما للشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وماروى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف فى ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (ثاقب) مضيء كانه يثقب الجو بضوئه (فاستفتهم) فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة او لبنى آدم (اهم اشد خلقا ام من خلقنا) يعنى ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب

بمن خلقنا الامم الماضية لناسب تقييده بالبيان ولما ابقاه على اطلاقه ولم يقيد ظهر ان المراد به هو المذكور سابقا لان المطلق لابد ان يحمل على المقيد ولم يسبق للامم الماضية ذكر ليحمل هذا المطلق عليه بخلاف الاشياء المعدودة قبل فيجب ان يحمل عليها والثانى مجيء قوله فاستفتهم أهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة بعد عد هذه الاشياء فيكون مابعد الفاء مرتبا على ماسبق من هذه الاشياء والثالث قرآءة من قرأ ام من عددنا وهو ظاهر والرابع قوله فى بيان الفرق بينهم و بين من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب فانه انما يصلح للفرق بينهم و بين هذه الاشياء المعدودة لا بينهم و بين من قبلهم والخامس ان المراد بقوله فاستفتهم الى قوله من طين لازب اثبات المعاد باثبات قدرته على اعادتهم ببيان انه خلق ماهو اشد خلقا بالاضافة اليهم ومن قدر على الاشد كيف لا يقدر على الاضعف مع ان قدرته ذاتية لاتتغير و بعد اثبات القدرة على الاعادة بين قابلية المحل لها بقوله انا خلقناهم من طين لازب و بثبوتها اثبت المعاد فعلى هذا لايكون المراد بمن خلقنا الامم الماضية لان تلك الامم ليست اشد من خلقهم حتى يقال ان من قدر على خلق تلك الامم مع شدتهم كيف لا يقدر على خلق مثلهم فى الضعف والرخاوة بل خلق احدهما كخلق الآخر فى الشدة والضعف ووجه استلزام القول بحدوث العالم القول بتولد الانسان الاول من الطين ان القول بوجوب الابوين ونطفهما فى تولد كل واحد من افراد الانسان يؤدى الى قدم النوع مع قدم العالم و يمتنع القول بحدوث العالم (قوله وتقريره) اى تقرير كون الآية لاثبات المعاد ورد استحالتهم اياه ان صحة المعاد تتوقف على امرين الاول ثبوت قدرة الفاعل عليه والثانى قابلية المادة له وقد اثبت الاول بقوله أهم اشد خلقا ام من خلقنا واثبت الثانى بقوله انا خلقناهم من طين لازب وهو التراب الممزوج بالماء وقوله اما لاعترافهم بحدوث العالم فان الاعتراف بالحدوثية يستلزم العلم بان تولد كل فرد من افراد الانسان من نطفة ابويه لايذهب الى غير النهاية بل لابد من الانتهاء الى انسان يتكون ابتدآء ولايكون مسبوقا بالاوين فثبت ان الاعتراف بحدوث العالم يستلزم القول بان الانسان الاول يتولد من الطين وكذا يستلزم الاعتراف بقصة آدم (قوله وشاهدوا) عطف على قوله وقد علموا وقوله فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك اى بطريق التولد من الطين من غير ان يسبقهم ابوان ومواقعتهما (قوله وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء) اى من عجبت اشارة الى ان قرآءة الباقين بفتحها على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اوكل من يصح منه ذلك اى عجبت من انكارهم للبعث ممن قدر على هذه المخلوقات العظيمة (قوله تعالى من طين لازب) صلصال لاصق يلصق باليد واللازب واللازم بمعنى واحد وقد قرئ لازم لانه يلزم اليد وقيل اللازم الممازج واكثر اهل اللغة على ان الباء فى اللازب بدل من الميم والمراد بخلقهم من طين لازب خلق اصلهم آدم عليه الصلاة والسلام منه فيكونون مخلوقين منه بواسطة خلقه منه و يحتمل ان يكون المراد خلق جميع الناس منه ووجهه ان الانسان انما يتولد من المنى ودم الطمث والمنى انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذآء والغذآء اما حيوانى واما نباتى والكلام فى كيفية تولد الحيوان الذى صار غذآء كالكلام فى تولد الانسان فثبت ان الاصل فى الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب فظهر ان جميع افراد الانسان متولد من الطين اللازب وانه قابل للحياة وانه تعالى قادر على احيائه وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فى جميع الاوقات والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل والمعنى لو كان العجب جائزا على لعجبت من كمال قدرتى اوممن ينكر البعث اوممن هذه افعاله والروعة الدهشة والهيبة يعنى ان العجب دهشة تعترى الانسان عند رؤية ماخفى سببه فيستعظمه لخروجه عن حد القياس وهو لايجوز عليه تعالى شأنه علوا كبيرا فلذلك كان شريح يقرأ بفتح التاء و ينكر على من قرأ بضمها و يقول ان الله لايعجب من شيء وانما يعجب من لايعلم فبلغ ذلك ابراهيم النخعى فقال ان شريحا معجب برأيه فقرأها من هو اعلم منه يعنى عبدالله بن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما ومعنى بل فى قوله بل عجبت الاضراب اضرب عن الامر بالاستفتاء اى لاتستفتهم فانهم معاندون مكابرون لاينفع فيهم الاستفتاء ولايتعجبون من قدرة الله تعالى على خلق هذه المذكورات ولايستدلون بها على قدرته على الاعادة وانما يتعجب منها امثالك ممن له انصاف ونظر صحيح موفق من عندالله (قوله يبالغون فى السخرية الى قوله او يستدعى بعضهم) اشارة الى ان سين يستسخرون يجوز ان تكون للتأكيد والمبالغة وان تكون للطلب وهذه الجملة المتعاطفة متعلقة بالاضراب السابق وتقرير لعنادهم ومكابرتهم وتوضيح المقام ان القوم لما بالغوا فى استبعادهم الحشر وقالوا ان من مات وصار ترابا وتفرقت اجزآؤه فى العالم كيف يعقل

ومن لتغليب العقلاء و يدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقرآءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم و بينها لابينهم و بين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سوآء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على خلق مالايعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لاتتغير (بل عجبت) من قدرة الله وانكارهم البعث (و يسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى انى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل اوعلى معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لايذكرون) واذا وعظوا بشيء لايتعظون به واذا ذكرلهم مايدل على صحة الحشر لاينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم (واذا رأوا آية) معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون فى السخرية و يقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون مايرونه (الا سحر مبين) ظاهر سحريته.

(أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) اصله أنبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قرآءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرآءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية (اوآباؤنا الاولون) عطف على محل ان واسمها اوعلى الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد (قل نعم وانتم داخرون) صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله اوالرسول وقرأ الكسائى نعم بالكسر وهو لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كأمر كن فى الابدآء ولذلك رتب عليها (فاذاهم ينظرون) فاذاهم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون مايفعل بهم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) اليوم الذى نجازى باعمالنا وقدتم به كلامهم وقوله (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء اوالفرق بين المحسن والمسيئ (احشروا الذين ظلموا) امر الله للملائكة اوامر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم (وازواجهم) واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم الشياطين

عوده بعينه وبلغ استبعادهم الى ان كانوا يسخرون ممن يقول بالحشر اراد الله تعالى تبكيتهم بهذه الاستبعاد والزام الحجة عليهم ووضع له طريقين الطريق الاول ان يذكر لهم مايدل على صحة الحشر مثل ان يقال الم تعلموا ان من قدر على الاشد الاصعب قادر على الاضعف الاهون والطريق الثانى ان يرسل اليهم رسولا ويحقق انه رسول من عنده بالمعجزات الدالة على انه رسول حق صادق فى جميع مااخبر به ثم يخبر ذلك الرسول بان البعث والقيامة حق ثم انه تعالى لما سلك كل واحد من الطريقين ولم ينتفعوا بشئ منهما اضرب عن محاجتهم وبين بلادتهم وعدم فهمهم للدلالة العقلية بقوله واذا ذكروا لايذكرون وبين عدم انتفاعهم بالطريق الثانى بقوله واذا رأوا آية يستسخرون (قوله فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام) ولولا ان قوله اوآباؤنا الاولون مفصول من مبعوثون بالهمزة لما جاز عطفه على ضميره المرفوع المتصل من غير تأكيده بنحوه قيل عليه لوكان آباؤنا معطوفا على ضمير لمبعوثون لكان مبعوثون عاملا فيه ايضا بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لايعمل ماقبلها فيما بعدها بل الاوجه ان يكون آباؤنا مبتدأ محذوف الخبر تقديره اوآباؤنا مبعوثون حذف لدلالة ماقبله كما ذكر سيبويه ان عمرا فى قولك ان زيدا قائم وعمرو مرفوع بالابتدآء حذف خبره للعلم واللام فى قوله لزيادة الاستبعاد متعلق بقوله مفصول ووجه زيادة استبعاد ان يبعث من كان ترابا وعظاما اذا كان مستبعدا بالنسبة الى مجرد البعث كان بعث من بعد زمان بلائه وتفتت اجزآئه ابعد لزيادة البعد ومن قرأ بسكون الواو على انها او العاطفة التى لاحد الشيئين اوالاشياء والمعنى انبعث نحن اوآباؤنا لم يجز عنده العطف على ضمير لمبعوثون لعدم الفصل (قوله وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه) يعنى اكتفى بقوله نعم اى تبعثون مع ان الاستبعاد البليغ الذى ذكروه بقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لايزول بمجرد ان يقال نعم بل لابد من تأكيده بقسم كما فى قوله تعالى قل اى وربى انه لحق وقوله لسبق مايدل على جوازه الخ وهو البرهان اليقينى القطعى المدلول عليه بقوله فاستفتهم فهذه الجملة المتعاطفة متعلقة بالاضراب السابق تقريرا لعنادهم ومكابرتهم فمعنى قول المصنف وانما اكتفى به فى الجواب اشارة الى انه لما ثبت بالبرهان القطعى امكان البعث وجوازه وقامت المعجزات القاهرة الدالة على صدق من اخبر عن وقوعه كان مجرد قوله تعالى قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع فتدبر بين الامكان بالدليل القطعى وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعى ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر الممتنع وقوله لسبق مايدل على جوازه اى فى قوله فاستفتهم أهم اشد خلقا ام من خلقنا فلما اقام البرهان القاطع على ان البعث امر ممكن فى نفسه وعلى ان المجيب بقوله نعم تبعثون وانتم صاغرون اذلاء والمخبر صادق فى جميع مااخبر به كان مجرد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع فلذلك اكتفى فى الجواب والدخور اشد الصغار والذل (قوله اذا كان ذلك) اى اذا وقع البعث فانما هى صيحة واحدة فكيف تستبعدونه وتستصعبونه لما كانت بعثتهم مسببة بالزجرة ناشئة عنها جعلت اياها للمبالغة فى سببيتها لها اوهذه الصيحة لاتأثير لها فى الحياة بدليل ان الصيحة الاولى استعقبها الموت والثانية الحياة فدل ذلك على ان الصيحة لااثر لها فى الموت ولافى الحياة بل الموت والحياة ليسا الا بخلق الله اياهما عند الصيحتين واما نحن فلا نعلم حكمتهما ولايعلم الاهو فانه يفعل مايشاء بحكمته روى ان الله تعالى يأمر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فينادى ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزآء المتفرقة قوموا باذن الله تعالى (قوله فانما البعثة) اشارة الى ان هى راجعة الى البعثة المدلول عليها بنعم لان المعنى نعم تبعثون (قوله وامرها فى الاعادة) اى امر الزجرة فى ترتب الاعادة عليها من غير توقف وامتناع كأمر كن فى ترتب الابتدآء عليه كذلك وهذا لاينافى ان تكون كن عبارة عن تعلق القدرة (قوله وقدتم به كلامهم) وقال ابوحاتم تم كلامهم بقوله ياويلنا ووقف عليه وجعل مابعده من قول البارى تعالى قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين اليوم المذكور فى قوله مالك يوم الدين اى لامالك فى ذلك اليوم الا الله وسمى القضاء فصلا لانه فصل للخصومة (قوله اوامر بعضهم لبعض) اى بعض الملائكة لبعض وفسر الازواج بالاشباه لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه فسر به حيث قال وهم نظرآؤهم واشباههم من العصاة كما فى قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اى اشكالا واشباها ويقال عندى من هذا ازواج اى امثال والرجل مع زوجته سميا زوجين لكونهما متشابهين وكذلك كل قسم من عدد الزوج مثل الاخر (قوله اوقرناءهم من الشياطين) قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال

(مقاتل)

مقاتل نحشر كل كافر مع شيطانه فى سلسلة (قوله وهو عام مخصوص) جواب عما يقال ما وجدان يحشر مع الظلمة كل ما كانوا يعبدونه فى الدنيا من دون الله وان يساقوا الى الجحيم مع ان بعضهم عبد المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام ومنهم من عبد الملائكة وتقرير الجواب ان قوله وما كانوا يعبدون وان كان عاما فى كل ما يعبدونه الا انه خصص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون كما خص به قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقال مقاتل المراد بما تعبدون هو ابليس وجنوده واحتج بقوله تعالى ان لا تعبدوا الشيطان (قوله وفيه دليل) اى فى قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله حيث ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهو يدل على ان الظالم المطلق هو الكافر وعلى ان كل وعيد ورد فى حق الظالم فهو مصروف الى الكفار ومما يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون (قوله فعرفوهم) مأخوذ من تفسير ابن عباس رضى الله عنهما حيث فسره بقوله دلوهم على طريق النار (قوله احبسوهم) فان وقف يعدى ولا يعدى فانه كما قال وقفت الدابة تقف وقوفا يقال وقفتها وقفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط كذا فى المعالم التنزيل هذا على تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى احشروا الذين ظلموا اجمعهم وسوقوهم الى الجحيم والامر بالسوق انما يكون فى حق من يقف ولا يبعد انهم اذا قاموا من قبورهم وقفوا هنالك لحيرة لحقتهم بمعاينة اهوال القيامة وان تكون الفاء فى قوله فاهدوهم للترتيب فى الذكر كما فى مثل قولك اجبته فقلت لبيك فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال وعقيبه لا ان مضمون الجملة الثانية عقيب مضمون الاولى فى الزمان فيكون ذكر قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وسوقهم اليها انما يكون بعد حبسهم فى موقف الحساب فترتيب الذكر ليس على وفق ترتيب الوجود حتى يجاب عنه بان الواو لا تدل على الترتيب ويجوز ان يكون الترتيب فى حقهم ان يعرفوا اولا انهم اهل النار وهذا طريقها ويؤمر بسلوكها ثم اذا انتهوا الى موقف الحساب يؤمر بالوقف للسؤال ثم ان يساقوا منها الى النار وفى حق غيرهم لا يبدأ بتعريف طريق الجحيم وانما يساقون الى الموقف ثم يقفون الى ما شاء الله وانما يبدأ به فى حقهم تعجيلا لمساءتهم وحسرتهم وقيل يجوز ان يكون المراد بالسؤال فى قوله وقفوهم انهم مسؤلون ما يذكر بعده وهو قوله ما لكم لا تناصرون بل تنقادون الى سوقكم الى النار فعلى هذا يكون هذا الموقف وما يكون فيه من السؤال غير موقف الحشر وما فيه فلا يرد ما ذكر ايضا ولعل ما يوجد فى بعض النسخ من قوله مع جواز ان موقفه متعدد بدل قوله مع جواز ان يكون موقفه فقوله والواو لا توجب الترتيب جواب عما يقال كيف ذكر قوله وقفوهم انهم مسؤلون بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم مع انه انما يكون الحبس والسؤال قبله وقوله مع جواز اى جواز ان يكون سبب الوقف فى هذا الموقف هو هذا السؤال وموضعه الجحيم وهذه النسخة اقرب واوجه وما اشار اليه المصنف من الايراد وجوابه انما يرد ان لو كان المراد بقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم سوقهم الى الموقف وهم واقفون عقيب ما بعثوا من قبورهم وكان فاء التعقيب فى فاهدوهم للدلالة على ان مضمون الهداية الى صراط الجحيم واقع عقيب الحشر الى الموقف بحسب الزمان فيرد ان الوقوف للسؤال واقع بينهما فلم اخر عنهما (قوله وهو توبيخ) اى لوم لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا اى متناصرين وهو تعريض لابى جهل فانه قال يوم بدر نحن جميع منتصرون فقيل له يوم القيامة ما لكم غير منتصرين والتعريض خلاف التصريح يقال عرضت لفلان وبفلان اذا قلت قولا وانت تعنيه والتقريع التعنيف (قوله منقادون) يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع والمعنى بل هم اليوم اذلاء لا حيلة لهم فى دفع تلك المضار يقال اسلمه اى خذله والتسالم التصالح وما فى ما لكم استفهامية فى موضع رفع بالابتداء وخبره لكم ولا تناصرون فى موضع النصب على انه حال من الضمير المجرور فى لكم وعامله معنى الاستقرار فى لكم (قوله عن اقوى الوجوه) ذكر لليمين ثلاثة اوجه الاول انه مستعار من يمين الانسان التى هى اقوى العضوين واشرفهما وانفعهما استعيرت لاقوى الوجوه واشرفها وانفعها تشبيها لها بذلك العضو فى القوة والشرف والنفع ومعنى قول الاتباع لرؤسائهم انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اى عن اقوى الوجوه واشرفها وهو الدين او خيرها وانفعها انكم تأتوننا مظهرين لنا ذلك وتروننا ان اقوى الوجوه وانفعها ما تضلوننا به وتدعوننا اليه وتروننا ان مقصودكم الدعوة الى اقوى الوجوه قال الزجاج تأتوننا عن اليمين اى من قبل الدين فتروننا ان الدين الحق ما تضلوننا به وقيل معنى قولهم اتاه عن اليمين انه اتاه من قبل الخير وحينئذ قصده عنه واضله فالمعنى قال

(وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فعرفوهم طريقها ليسلكوها (وقفوهم) احبسوهم فى الموقف (انهم مسؤلون) عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه (ما لكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله (واقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان

الاتباع للقادة انكم كنتم فى الدنيا تأتوننا من قبل الدين والحق والطاعة فتضلوننا عنها وتنفروننا عن امر الشريعة وقول المصنف كانكم تنفعوننا نفع السانح صريح فى ان مراده المعنى الاول والسانح مامر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تتيمن به فان مامر من جهة يسارك الى يمينك يعرض عليك يمينه واليمين من اليمن فلذلك يتيمنون به بخلاف البارح وهو مامر من يمينك الى يسارك فانه يبعد عنك يمينه فيتشاءمون به والثانى انه مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان اليد اليمنى سبب للقوة والقهر عبر بها عنه فيكون قوله تعالى عن اليمين حالا من فاعل تأتوننا اى تأتوننا اقوياء قاهرين فتبعناكم خوفا منكم وكذا فى الوجه الثالث وهو ان يكون اليمين بمعنى القسم والحلف اى تأتوننا مقسمين حالفين فتبعناكم اعتمادا على حلفكم وحاصله انكم اضللتمونا فاجابهم الرؤساء بانه انما يصح قولكم اضللتمونا ان لو كنتم فى انفسكم على الحق وليس كذلك بل كنتم ضالين فى انفسكم ثم قالوا ماكنتم عليه من الضلال والكفر انما كان باختياركم ذلك مع تمكنكم من الايمان وماكان لنا عليكم من سلطان تسلط وجبر يسلب عنكم ذلك التمكن والاختيار بل ضلالكم باختياركم والزمخشرى جعل مجموع الكلام جوابا واحدا بان جعل معنى قوله بل لم تكونوا مؤمنين وجعل قوله تعالى وماكان لنا عليكم من سلطان بيانا لصحة اختياركم وله وجه (قوله كان امرا مقضيا) مبنى على ان يكون قوله انا لذآئقون فى محل النصب على انه مفعول المصدر وهو قول ربنا وان القول بمعنى الوعيد وانهم لم يحكوا الوعيد كما هو ولم يقولوا انما قول ربنا انكم لذآئقوا العذاب بل عدلوا عن الخطاب الى التكلم بذلك عن انفسهم وفسر قوله اغويناكم بانهم دعوهم الى الغى وجعل قوله انا كنا غاوين استئنافا لبيان مايدعو الرؤساء الى دعوة الاتباع الى الغى (قوله وفيه ايماء الخ) اى فى قوله انا كنا غاوين من غير ان يتعرض لسبب غوايتهم اشارة الى معنى آخر غير ماذكر وهو انا اى ان الفريقين كنا فى اعلم الله وقضائه غاوين وان غوايتكم فى الحقيقة ليست مستندة الى اغوآئنا لان كل غواية لو استندت الى اغوآء غاو سابق لزم التسلسل وهو محال لان مجموع الغوايات المندرجة فى السلسلة من حيث هو مجموع غير كل واحد منها فله علة خارجة عن السلسلة وتلك العلة هى مااشار اليه فيما قبل بقوله فحق علينا قول ربنا (قوله وقرئ بنصب العذاب) والجمهور على جر العذاب باضافة لذآئقوا اليه وهو الوجه عند من قرأ بحذف النون ومن قرأ بنصب العذاب مع حذف النون فانه اجرى النون مجرى التنوين فى حذفه عند ملاقاة الساكن كقوله احد الله الصمد وقوله ولاذاكر الله الا قليلا اصله ولاذاكر الله بتنوين ذاكر ونصب الله حذف التنوين لالتقاء الساكنين لا للاضافة والا لوجب جر اسم الله والرواية بنصبه وذاكر مجرور عطف على مستعتب وهو قول الشاعر

فذكرته ثم عاتبته * عتابا رقيقا وقولا جميلا - فالفيته غير مستعتب * ولاذاكر الله الا قليلا

المعنى ذكرته مابيننا من المودة ثم عاتبته على فعله القبيح فالفيته اى فوجدته غير راجع بالعتاب عن ذنبه وتائب عنه فعبر عن عدم التوبة بعدم ذكر الله لان التائب من القبيح لايخلو عن ذكر الله ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كما فى قوله - قليل التشكى للمهم يصيبه (قوله وهو ضعيف فى غير المحلى باللام) اى حذف النون وتقريره ضعيف عند النحاة بعد حذفه اذا كان فيه الالف واللام كقوله

الحافظوا عورة العشيرة لا - يأتيهمو من ورآئهم نطف

ووجه الحذف فيه ان اللام موصول وقد طالت الصلة بنصب المفعول فجاز التخفيف بحذف النون كما حذفت فى الموصول فى قوله

ابنى كليب ان عمى اللذا - قتلا الملوك وفككا الاغلالا

فلما كان حذف النون لاجل التخفيف لم يكن لحذفه تأثير فى الحكم فينصب مابعده كما فى حال قيام النون واما اذا عرى عن الالف واللام وحذف منه النون فذلك الحذف لايكون الا للاضافة فيجب ان يكون مابعده مجرورا عندهم (قوله وعلى الاصل) وهو اثبات النون ونصب العذاب وهو معطوف على قوله على تقدير النون اى كما قرئ لذآئقوا العذاب بالنصب وحذف النون قرئ لذآئقون العذاب باثبات النون (قوله الا مثل ماعملتم) اى فى الدنيا وقد عملتم سيئا وشرا فلذلك جزيتم سيئا وشرا فجزآء اهل الكفر والعصيان مماثل لاعمالهم من حيث ان الجزآء سيئ كالعمل ومن حيث انه على مقدار العمل غير مضاعف عليه (قوله استثناء منقطع) بمعنى لكن والمفهوم من كلام المصنف ان المستثنى منه ضمير تجزون وهم الكفرة كانه قيل وماتجزون ايها الكفرة الاجزآء

(فحق علينا قول ربنا انا لذآئقون فاغويناكم انا كنا غاوين) ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقضيا لامحيص لهم عنه وان غاية مافعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغوآء غاو فمن اغواهم (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين لقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) اى عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم بان ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون (انكم لذآئقوا العذاب اليم) بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله (ولاذاكر الله الا قليلا) وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل (وما تجزون الا ماكنتم تعملون) الا مثل ماعملتم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم منه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار

ثم تلائمه لكم في المقدار وفي كونه سيئا كالعمل لكن عباد الله المخلصين الموحدين فان جزآءهم يضاعف اضعافا كثيرة تفضلا منه تعالى عليهم فاستثناؤهم من المشركين باعتبار ان جزآءهم مماثل لعملهم وان جزآء الموحد يضاعف وقيل ان المستثنى منه ضمير لذآئقون اى لكن الموحدون لهم رزق معلوم في الجنة بدل العذاب الاليم للكفرة وعلى التقدير ين عباد الله المخلصين ليسوا بداخلين في المستثنى منهم وهم المخاطبون الكافرون (قوله ولذلك فسره بقوله فواكه) اشارة الى ان قوله فواكه عطف بيان للرزق وقيل هو بدل منه بدل الكل من الكل بناء على ان رزقهم كله فواكه أي كلونهم للتلذذ لا للحاجة لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات وقيل هو بدل البعض من الكل والمقصود من ابداله منه التنبيه بالادنى على الاعلى اى لما كانت الفواكه حاضرة ابدا كان ما يؤكل للغذآء اولى بالحضور وقرأ الكوفيون ونافع المخلصين اذا كان في اوله الف ولام حيث وقع بفتح اللام والباقون بكسرها والمعنى على الفتح ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله وعلى الكسر انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى (قوله باناء فيه خمر) يعنى ان الكأس يطلق على الزجاجة مادام فيها خمر والا فهو قدح واناء وقد يطلق على الخمر نفسها كما في قول الاعشى

وكأس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها

لكى يعلم الناس انى امرؤ * اتيت المعيشة من بابها

يقول رب كأس شربتها الطلب لذة الخمر وكأس شربتها للتداوى من خمارها لما ذكر الله تعالى مأكل المخلصين ومساكنهم ذكر بعده صفة مشربهم فقال يطاف عليهم وهو في موضع الحال من المستكن في على سرر او في مكرمون اى مطافا عليهم بكأس ومن معين صفة الكأس وتفسيره بقوله اى ظاهر للعيون لكونه جاريا على وجه الارض مبنى على ان المعين اسم مفعول من عانه يعينه اى نظر اليه بعينه وفي الصحاح عنت الرجل اصبته بعينى فانا عائن وهو معين على الاعلال ومعيون على الاصل مثل مبيع ومبيوع فهو مفعول من العين بمعنى حاسة الرؤية وقوله او خارج من العيون مبنى على ان المعين مفعول مأخوذ من عين الماء وهو منبعه ومخرجه والماء المعين اى الذى له عين يظهر ويخرج منها جار ياو المعين بهذا المعنى من صفات الماء فانه الذى ينبع من العين اى يخرج ويجرى وتوصيف خمر الجنة به واطلاقه عليها اما حقيقة بناء على انها تجرى في الانهار كالماء قال الله تعالى وانهار من خمر والظاهر ان ما يجرى في الانهار له عين يخرج منها واما استعارة مبنية على تشبيهها بالماء في اجتماعها لما يطلب منها لكمال لذتها (قوله وكذلك قوله تعالى بيضاء) يعنى انها ايضا من صفات الماء وصفت بها الكأس اصفائها ووصفها ما فيها وتوصيف الكأس باللذة اما من قبيل توصيف الذات بالمصدر للمبالغة في اتصافها بمدلوله اى كاس لذيذة كانها نفس اللذة واما من قبيل توصيف الشئ بالصفة القائمة به اى بالشئ مثل رجل كرم بناء على ان اللذة تأنيث لذ بمعنى لذيذ وفي الصحاح شراب لذ ولذيذ بمعنى وانا لذ النوم في قول الشاعر • ولذ كطعم الصرخدى تركته يعنى ان الموصوف المقدر فيه هو النوم لان معنى اللذ هو النوم والصرخدى الخمر نسبة الى صرخد وهو موضع بالشام ينسب اليه الخمر اى رب نوم لذيذ كطعم الشراب الصرخدى تركته خشية الحوادث (قوله تعالى لا فيها غول) صفة الكاس ايضا وبطل عمل لا وان تكررت لتقدم خبرها يقال غاله الشئ واغتاله اذا اخذه من حيث لم يدر قال الواحدى الغول حقيقة الاهلاك وفي الصحاح غاله غولا واغتاله اهلكه والغول والغائلة المهلك ومنه الغول بالضم شئ توهمته العرب ولها فيه اشعار كالعنقاء فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبي لا فيها اثم وقال قتادة وجع البطن وقال ابو عبيدة اى تغتال عقولهم وقيل ليس فيها غائلة الصداع لانه قال في موضع آخر لا يصدعون عنها وقال اهل المعانى الغول فساد يلحق المرء خفية وخمر الدنيا يحصل فيها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والبول ولا يوجد شئ من ذلك في خمر الجنة (قوله وقرأ حمزة والكسائى) ينزفون هنا وفي الواقعة بضم الياء وكسر الزاى ووافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط من انزف الشارب اذا ذهب عقله من السكر او نفد شرابه والمعنى انهم لا تذهب عقولهم عنها اولا ينزف خمورهم بل هى باقية ابدا والباقون بضم الياء وفتح الزاى من نزف الشارب ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله ويجوز ان يكون من انزف ايضا بالمعنى المتقدم ومن النوادر ان يكون الثلاثى متعديا واذا نقلته الى باب الافعال يكون لازما نحو نزف الشارب الخمر فانزف هو ونحو كببته فأكب وقشعت الريح السحاب فأقشع (قوله نجل العين) هو بضم النون وسكون الجيم جمع نجلاء في الصحاح النجل

(اولئك لهم رزق معلوم) خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله (فواكه) فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة (وهم مكرمون) في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا (في جنات النعيم) في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك (على سرر) يحتمل الحال او الخبر فيكون (متقابلين) حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر او وخمر كقوله وكأس شربت على لذة (من معين) من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله تعالى (بيضاء لذة للشاربين) وهما ايضا صفتان الكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته

بارض العدى من خشية الحدثان

(لا فيها غول) غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطف على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن ابصارهن على ازواجهن (عين) نجل العيون جمع عيناء

كأنهن بيض مكنون) شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا (قال قائل منهم) فى مكالمتهم (انى كان لى قرين) جليس فى الدنيا (يقول أئنك لمن المصدقين) يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين بمعنى الجزآء (قال) اى ذلك القائل (هل انتم مطلعون) الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم (فاطلع) عليهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب به الملائكة فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع (فرآه) اى قرينه (فى سوآء الجحيم) وسطه (قال تالله ان كدت لتردين) لتهلكنى بالاغوآء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فيها

بالتحريك سعة شق العين والرجل انجل والعين نجلاء والجمع نجل ورجل أعين وامرأة عيناء اى واسعة العين والجمع فيهما عين واصله فعل بالضم يقال رجال عين ونساء عين والبيض جمع بيضة وهو المعروف والمراد به هنا بيض النعام والمكنون المصون المستور من كننه اى جعلته فى كن وهو الستر والبياض الذى يشوبه بعض من الصفرة احسن الوان الابدان عند العرب قال ذوالرمة بيضاء فى برج صفرآء فى نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب وقيل شبهت المرأة ببيض النعام فى تناسب اجزآئها فان البيضة من اى جهة اتيتها كانت فى رأى العين متناسبة الاجزآء وقد لاحظ بعض الشعرآء هذا المعنى حيث قال

تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى * بهن اختلافا بل اتين على قدر

وقيل فى معنى المكنون انهن عذارى صحيحات مصونات عن الكسر قال الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبلى * وهن اصح من بيض النعام

وذكر المكنون مع انه صفة جمع ينبغى ان يؤنث نظرا الى اللفظ (قوله وما بقيت من اللذات الا) اشار بايراد هذا البيت الى ان عادة العرب الحديث على الشرب والاحاديث جمع حديث وهو الخبر قل او كثر على غير القياس (قوله وقرئ بتشديد الصاد) اى والدال ومعناه ائنك من الذين يعطون الصدقة وهذا المعنى لا يناسب قوله أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما بل الملائم له ان المصدقين من التصديق وان يكون المعنى كان لى قرين يقول ائنك ممن يصدق بالبعث بعد ان يصير ترابا قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف دينار واراها صاحبه فقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبى قد ابتاع هذه الدار بالف دينار وانا اسألك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امرأة حسنة بالف دينار فتصدق هذا بالف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالف دينار فتصدق هذا بالفى دينار رجاء ان يعوضه الله تعالى من بساتين الجنة ماشاء فاطلع شريكه على ما فعله بماله فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله فى الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين اطلب الجزآء فى الآخرة فانكر ما فعله فبين الله انه بعد ما يبعثان يوم القيامة يعطى الله المتصدق دارا من قصور الجنة وبساتين من بساتين الجنة فيتمكن فيها بالبهجة والسرور ثم ان الله يزوجه من الحور العين ويعطيه ما طلب فى الجنة وهما اللذان قص الله خبرهما فى سورة الكهف بقوله واضرب لهم مثلا رجلين الآية (قوله اى ذلك القائل) اى الذى قال آنفا انى كان لى قرين قال الواحدى ومحيى السنة قال المؤمن لاخوانه فى الجنة هل انتم مطلعون الى اهل النار لننظر واكيف منزلة اخى فقال اهل الجنة انك اعرف به منا فاطلع انت فاطلع فرأى اخاه فى وسط الجحيم وقيل ان فى الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وان كان القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يكون المعنى هل تحبون ان تطلعوا وتعثروا على اهل النار لاريكم ذلك القرين المكذب بالبعث فاحب قرينه المسلم ان يراه فاطلع فرأى قرينه المكذب فى وسط الجحيم فان سوآء الجحيم وسطها قال ابن عباس رضى الله عنهما سمى بذلك لاستوآء المسافة منه الى الجوانب (قوله وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع) اصله مطلعونى فحذفت الياء كما تحذف فى رؤس الآى وبقيت الكسرة دليلا عليها فاطلع بضم الهمزة ونصب العين اما على انه ماض مبنى للمفعول او على انه مضارع منصوب بان المقدرة بعد الفاء فى جواب الاستفهام كما فى قوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وقوله مطلعون من اطلعه غيره فاطلع هو وقوله فاطلع بمعنى طلع فان اطلع يستعمل لازما ومتعديا يقال طلع علينا فلان واطلع كاكرم واطلع بالتشديد ماضيا بمعنى واحد وان جعل اطلع ماضيا مبنيا للمفعول يكون القائم مقام الفاعل ضمير القائل لاصحابه ما قاله وتكون الهمزة للتعدية فانه يقال طلع زيد واطلعه غيره ولا يجوز ان يكون القائل فى هذه القرآءة الله عز وجل ولا الملائكة بل هو القائل المذكور اولا يقول لاصحابه فى الجنة هل انتم مطلعون اياى على حال ذلك القرين فاطلع انا يعنى انظروا الى حاله حتى انظر فان نظرى اليه متوقف على نظركم اليه لانه ليس من ادأب المجالسة ان يستقل احد الجلساء بامر دون اصحابه ويجوز ان يخاطب ذلك القائل الملائكة ويقول ياملائكة الله عز وجل هل انتم مطلعونى على حال قرينى فاطلع انا عليها قرنائى من اهل الجنة والمعنى اطلعونى لاطلع انا قرنائى وقال ابو البقاء هذه القرآءة بعيدة جدا لان النون فى مطلعون ان كانت للوقاية فهى لا تلحق الاسماء وان كانت للجمع فلا تثبت فى حال الاضافة فان اسم الفاعل اذا ذكر بعده ضمير المتكلم او المخاطب لا يذكر معه النون ولا التنوين تقول

زيد ضاربى وضاربك وهم ضاربوك ولا يجوزهم ضاربونى ولاهم ضاربونك الا فى الشعر الا انه قد قرئ مطلعونى وجمع بين النون وضمير المتكلم والقياس مطلعى بياء مشددة وكسر العين لان الاصل مطلعوى باضافة مطلعون الى ياء المتكلم سقطت النون بالاضافة ثم ابدلت الواو ياء فادغمت كما فى مسلمى وقوله عليه الصلاة والسلام أومخرجى هم وذكر المصنف لهذه النون وجهين الاول انها نون الجمع وان الحال ليست حال الاضافة فان مطلعون وان كان على صورة الاضافة ليس بمضاف حقيقة لان اصله مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل ورد عليه بان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يقال ان المتصل وضع موضعه فانه لا يقال زيد ضارب اياى لانه لا يصار الى المنفصل الا اذا تعذر المتصل ولم يتعذر ان يقال مطلعى وضاربى ويمكن ان يجاب عنه بمنع الاقتدار على المتصل حال ثبوت النون والتنوين قبل الضمير فيصير الموضع للمنفصل فيصح التوجيه المذكور والوجه الثانى ان هذه النون نون الوقاية الا ان اسم الفاعل شبه فى اتصال نون الوقاية بالفعل المضارع لما بينهما من المواخاة كانه قيل هل انتم تطلعون واصله مطلعونى بنونين نون الوقاية ونون الجمع وحذفت احدى النونين والياء ايضا اكتفاء بالكسرة (قوله انحن مخلدون منعمون) يريد به الاشارة الى المعطوف عليه المحذوف وهو جملة قوله نحن مخلدون منعمون وهى مقدرة بعد الهمزة عطف عليها قوله افنحن بميتين فقوله عطف على محذوف جواب عما يقال كيف جاز دخول همزة الاستفهام على فاء العطف فى قوله تعالى افما نحن بميتين فان همزة الاستفهام تقتضى صدر الكلام وفاء العطف تقتضى وسط الكلام وتقدم شئ يعطف بها ما بعدها عليه فكيف يجتمعان وتقرير الجواب ان الذى عطف عليه بالفاء مقدر بعد الهمزة اما تقدير مخلدون فقد دل عليه قوله بميتين واما تقدير منعمون فقد دل عليه قوله بمعذبين (قوله ونصبها على المصدر) يعنى انه مستثنى مفرغ معرب على حسب العامل اى منصوب بميتين نصب المصدر بالفعل الواقع قبله فى مثل قولك ما ضربت زيدا الا ضربة واحدة كانه قيل افما نحن نموت موتة الا موتتنا الاولى وقيل على الاستثناء المنقطع اى لكن الموتة الاولى كانت لنا فى الدنيا والموتة المستفهم عنها هى ما تكون فى الجنة والتى كانت فى الدنيا خارجة عنها (قوله كالكفار فانهم معذبون فى حالة يتمنون فيها الموت كل ساعة قيل لبعض الحكماء ما الذى هو شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت (قوله تقريعا له) حيث كان ينكر البعث والثواب الدائم المطيع (قوله اومعاودة) عطف على قوله تمام كلامه يعنى ان ذلك القائل لما تم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين على صورة الاستفهام ومقصوده التقرير والتحدث بنعمة الله تعالى عليه والابتهاج والسرور بحاله فان تذكر الخلود فى الجنة لذة دونها كل لذة والبجح الفرح يقال بجح به من باب علم وبجحته انا تبجيحا فبجح اى فرحته ففرح (قوله وهو ايضا يحتمل الامرين) اى كونه من كلام ذلك القائل وكونه من كلام الله تعالى (قوله أذلك اشارة) الى الرزق المعلوم المعد لعباده المخلصين وقصة القائل المتعلقة بقرينه ذكرت استطرادا بين الكلامين المتصلين فانه تعالى لما ذكر كرمات المخلصين ومن كرماتهم كونهم على سرر متقابلين وعلى الشراب متحادثين الى ان قال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله اذلك خير نزلا الآية ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الآخر فى الخيرية الا انه جاء بهذا الكلام على سبيل السخرية بهم ولاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم كان ذلك خيرا فى معتقدهم وان الكفار لما اختاروا ما أدى الى شجرة الزقوم كان الواجب ان يكون خيرا فى معتقدهم فنسب الخيرية اليها بحسب اعتقادهم اياه فى تلك الشجرة وفيما يؤدى اليها فسئلوا عن الافضل منهما وان لم يكن فى احدهما فضل فى نفس الامر توبيخا للكافرين على سوء اختيارهم وقيل الزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس شئ منه جسم احد تورم فمات فسميت باسم هذه الشجرة الشجرة التى وصفها الله تعالى بقوله انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم (قوله محنة وعذابا) الجوهرى قال الخليل الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اى يحرقون و يعذبون ومعنى الاية جعلنا هذه الشجرة عذابا لهم يعذبون بها فى النار بان يكلفوا تناولها فيشق عليهم ذلك و يقال فتن الرجل فتونا اذا اصابته فتنة فذهب ماله او عقله وكذلك اذا اختبر وامتحن قال تعالى وفتناك فتونا والفاتن المضل عن الحق والكافرون لما سمعوا ذكر كون هذه الشجرة فى النار افتتنوا به فى دينهم وتوسلوا به الى الطعن فى القرآن والنبوة والتمادى فى الكفر فمعنى الآية انا جعلنا ذكر كون هذه الشجرة فى النار مما افتتن الكفار به فى دينهم ولم يعلموا ان من خلق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجرة لانه اذا جاز ان

(افنحن بميتين) عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع (وما نحن بمعذبين) كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (ان هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (لمثل هذا فليعمل العاملون) اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين (أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم) شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفى ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم فيما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق ما يعيش فى النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق

يكون فى النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله فى هذه الشجرة قال الكلبى لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجارية زقينا فأتت بزبد وتمر وقال تزقوا فان هذا الذى يتوعدكم به محمد فقال تعالى انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم ردا لقولهم انه تمر وزبد وفيه ايماء الى دفع استبعادهم ان تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وذلك ان الشئ انما يهلك بمصادفة ما يخالفه من جهة العنصر والطبيعة ويقوى بما يوافقه فيهما وتلك الشجرة لما نبتت فى ارض جهنم وكان اصل عنصرها النار لزم ان تبقى فى النار ولا تحترق بها بخلاف سائر الاشجار فانها لما لم تنبت فى النار لم تبق فيها كالسمك فانه لما تولد فى الماء بقى فيه ولم يغرق بخلاف ما لم يتولد فى الماء من الحيوانات فانه لا يبقى فى الماء بل يغرق (قوله مستعار من طلع التمر) يعنى ان الطلع موضوع لما يطلع من النخل وهو الكم قبل ان ينشق سمى به ما تمر اطلع منه كل سنة شبه ثمرة شجرة الزقوم بثمر النخل فى الشكل او فى الطلوع من الشجر فاستعير اسم المشبه به وهو الطلع للمشبه وهو ثمر شجرة الزقوم (قوله وهو تشبيه بالمخيل) والتشبيه التخييلى ما يكون المشبه فيه مما لا تحقق له فى الخارج بل لا يتحقق الا فى الوهم فالشياطين ورؤسهم وان كانوا موجودين الا انهم غير مرئيين للانسان وليس لهم بالنسبة الى الانسان صورة محققة فى الخارج ولكنهم اعتبروا صورة قبيحة للشيطان بطريق التخييل وهو اعمال القوة الواهمة ثم شبهوا به طلع شجرة الزقوم اى ثمرها قال الامام ان الناس لما اعتقدوا فى الملائكة كمال الفضل والصورة والسيرة واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة كمال الفضل فى قول نسوة يوسف ان هذا الا ملك كريم كذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين فى القبح وكراهة النظر (قوله ولعلها سميت بها لذلك) اى لعل ذلك الصنف من الحيات سميت بالشياطين لاشتمالها على الاعراف وهو جمع عرف وهو ما على رقبة الفرس من الشعر فعلى هذا لا يكون التشبيه من قبيل تشبيه المحسوس بالمخيل بل يكون تشبيها بما له تحقق فى الخارج (قوله لغلبة الجوع) فان المضطر ربما يستريح من الضرر الذى فيه بما يقاربه فى الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد يجوز ان يفزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول تلك الشجرة مع خشونتها ونتنها ومرارة طعمها او ان الزبانية يجبرونهم على اكلها تكميلا لعذابهم (قوله اى بعد ما شبعوا منها الخ) اشارة الى ان المراد من التراخى المستفاد من كلمة ثم التراخى الزمانى بان يمر عليهم بعد غلبة العطش عليهم واستسقائهم بما يدفع عطشهم زمان طويل زيادة فى عذابهم ثم يغاثون بما هو اضر من الاول ثم يجوز ان يكون المراد به التراخى فى الرتبة من حيث انه وصف لطعامهم بتلك الكراهة والبشاعة بان شبهه برؤس الشياطين ثم ذكر شرابهم بما هو اكره وابشع (قوله لشرابا من غساق او صديد) قال المصنف فى تفسير سورة عم والغساق ما يغسق اى يسيل من صديد اهل النار وقيل هو الزمهرير انتهى كلامه ولا يخفى ان حمل الغساق على الزمهرير لا يستقيم ههنا فتعين حمله على الصديد ويمنعه ايضا عطف الصديد عليه باو وقيل الغساق الدم والقيح الاسود الذى يسيل من اعضاء اهل النار والصديد ماء اصفر يسيل منها فيصح العطف حينئذ والحميم الماء الحار المتناهى فى الحرارة والشوب بفتح الشين مصدر بمعنى الخلط والمزج اخبر الله تعالى فى القرآن ان اهل النار لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا وقال فى موضع آخر وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم واخبر فى هذه الآية ان لهم بعد ما شبعوا منها لشوبا من حميم بيان لما يشاب به اى يمزج بشرابهم الحميم فى مقابلة مزج الزنجبيل والكافور والمسك بشراب اهل الجنة قال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ويسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وقيل الشوب عام فى كل ما خلط بغيره ويحتمل ان يكون مراد المصنف بقوله والاول مصدر سمى به هذا المعنى بل هو الاولى فيكون قوله تعالى من حميم صفة له وبالتهويل والتفخيم فان الحميم يشوى الوجوه ويقطع الامعاء (قوله الى دركاتها او الى نفسها) يعنى ان ما يفهم من الآية وهو انهم بعد اكل الزقوم وشرب الحميم يرجعون الى الجحيم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى الجحيم فاوجهه اجاب اولا بان المراد بالجحيم الدركات التى اسكن كل واحد منهم فى كل واحدة منها وانهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى دركاتهم فانه يذهب بهم عن منازلهم ودركاتهم الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يملؤا بطونهم ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم فهذا لا ينافى ان تكون شجرة الزقوم فى الجحيم غاية ما فى الباب انهما ليسا فى منازلهم وثانيا بانهما خارجان عن الجحيم بناء على انهما نزل يقدم اليهم قبل دخولها فيأكلون ويشربون ثم يدخلونها ولما كان لفظ الرجوع آبيا عن هذا المعنى فسره

(انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم) منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه فى الشكل او الطلوع من الشجر (كأنه رؤس الشياطين) فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك (فانهم لآكلون منها) من الشجرة او من طلعها (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع او الجبر على اكلها (ثم ان لهم عليها) اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمى به (ثم ان مرجعهم) مصيرهم (لالى الجحيم) الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها

بالمصير والدخول وثالثا بانهما خارجان عن الجحيم وانهم يدخلونها و يعذبون فيها فاذا جاعوا جاؤا الى الزقوم واذا عطشوا جاؤا الى الحميم وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فيسألون ان يردوا الى الجحيم فهم كذلك يردون فى العذاب (قوله و يؤيده) فيه انه مالفرق بين المنقلب والمرجع مع ان كل واحد منهما بمعنى العود حتى تكون احدى القرآءتين مؤيدة لهذا المعنى دون الاخر (قوله والاهراع الاسراع الشديد) الجوهرى قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا و يحضه على الاسراع وهو بمعنى قول المصنف كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم يقال ازعجه اى اقلقه وقلعه من مكانه وقوله تعالى ولقد ضل قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانى قد ارسلت قبلك رسلا الى الامم الماضية فكذبهم قومهم فصبروا واستمروا على دعوتهم الى الله تعالى فاقتد بهم وما عليك الا البلاغ (قوله الا الذين تنبهوا بانذارهم) اشارة الى ان المراد بالمنذرين الكفار منهم والاستثناء منقطع بمعنى لكنهم نجوا مما اهلكوا به (قوله فاخلصوا دينهم لله) تفسير للمخلصين بكسر اللام على قرآءة ابن كثير وابى عمرو وابن عامر وقدم ان الباقين قرأوا بفتح اللام وفسره بانهم الذين اخلصهم الله لدينه اى اصطفاهم لطاعته (قوله والمقصود خطاب قومه) لان هذا الكلام يقصد به الزجر والتعنيف وذلك لايليق الابهم (قوله شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها) فان قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين الى آخر الاية يدل اجمالا على انه تعالى ارسل الى الاولين رسلا انذروهم من العواقب فلم يتنبهوا بانذارهم فآل امرهم الى شدة وفظاعة والآن شرع فى تفصيل قصص الانبياء ووقائعهم فالقصة الاولى حكاية حال نوح عليه الصلاة والسلام حين نادى ربه ان ينجيه مع من نجا من الغرق وقيل نادى ربه اى استنصره على كفار قومه وقدر فوالله لدلالة قوله فلنعم المجيبون عليه والفاء فى قوله فلنعم المجيبون تدل على ان حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك والحكم المرتب على الوصف المشتق يقتضى كونه معللا به وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب حصول الاجابة واشار الى ان اللام الداخلة على نعم لام جواب لقسم مقدر والى ان المخصوص بالمدح ايضا محذوف لدلالة نعم عليه (قوله اذهلاك من عداهم) تعليل للحصر المستفاد من قوله تعالى هم الباقين قيل كان لنوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة اولاد سام وحام و يافث فلما استوت سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على الجودى وخرج من السفينة بمن معه مات من كان معه من الرجال والنساء الا هذه الاولاد الثلاثة فتناسلوا وتوالدوا فالناس كلهم بعد طوفان نوح عليه الصلاة والسلام لم يتناسلوا الا منهم فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان و يافث ابو الترك والخزر و يأجوج ومأجوج (قوله هذا الكلام) اشارة الى ان جملة سلام على نوح فى العالمين فى محل النصب على انها مفعول تركنا وتقدير الكلام على القول الثانى وتركنا عليه فى الامم ثناء حسنا فحذف المفعول به و به تم الكلام ثم ابتدأ جل ذكره فقال سلام على نوح فى العالمين وهو فى المعنى تفسير لمفعول تركنا اى تركنا عليه ثناء حسنا هو هذا الكلام وهو سلام من الله عليه (قوله متعلق بالجار والمجرور) يعنى انه بدل من قوله فى الآخرين وهذا اشارة الى سؤال مقدر وهو انه اذا كان معنى قوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين من الامم ان يسلموا عليه تسليما و يدعوا له فما معنى للعالمين فانه كالتكرار لقوله فى الآخرين ومحصول الجواب ان قوله فى العالمين ادل على الشمول والاستغراق من قوله فى الآخرين فذكر بعده لئلا يخرج احد ممن يدخل فى العالمين من الملائكة والثقلين من اهل التسليم والدعاء لنوح عليه الصلاة والسلام فمعنى قوله سلام على نوح فى العالمين على ان يكون سلام على نوح مفعول تركنا اى تركنا عليه الدعاء بثبوت هذه التحية له من الملائكة والثقلين جميعا (قوله من الكرمة) علل هذه التكرمة السنية بكونه من اولى الاحسان ثم علل كونه محسنا بان كان عبدا مؤمنا اظهارا لجلالة محل الايمان ورفعة واصالة امره وجعل الدنيا مملوءة من ذريته وتبقية ذكره الجميل فى ألسنة العالمين (قوله اوغالبا) اى فى غالب الفروع واكثرها فيكون معنى من شيعته ممن شايعه فى الشريعة اصولها وفروعها و يؤيد هذا المعنى قول ابن عباس رضى الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وشدة عداد جل اتباعه وانصاره من شايعه شيعا اى تبعه وقوله اذجاء ان كان معمولا لاذكر المقدر كما هو المشهور يكون مفعولا به وان كان عامله ما فى الشيعة من معنى المتابعة يكون ظرفا له والمعنى ان من شايع نوحا فى اصول علم الشريعة او فيها مطلقا حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم وقيل عليه لايجوز ان يكون العامل ما فى الشيعة من معنى المتابعة لانه يستلزم الفصل بين المعمول وعامله باجنبى وهو لابراهيم فانه اجنبى من شيعته ومن اذ وايضا لام الابتداء تمنع

وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم و يؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر و بحث (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك (اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين) انبياء انذروهم من العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الشدة والفظاعة (الا عباد الله المخلصين) الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول عليه السلام والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم (ولقد نادى نوح) شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين أيس من قومه (فلنعم المجيبون) اى فاجبناه احسن الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام مايدل عليه (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) من الغرق اواذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) اذهلاك من عداهم و بقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم (سلام على نوح) هذا الكلام جىء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء (فى العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية من الملائكة والثقلين جميعا (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره (ثم اغرقنا الآخرين) يعنى كفار قومه (وان من شيعته لابراهيم) ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع اوغالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم (اذجاء ربه) متعلق بما فى الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف هو اذكر (بقلب سليم) من آفات القلوب

ان يعمل ماقبلها فيما بعدها فان اللام فى لابراهيم لام ابتداء دخلت على اسم ان للفصل بينه و بينها بظرف هو خبران (قوله خالص لله) اشارة الى ان المراد من العلائق كل علاقة تكون لغيرالله وان سليم يجوز ان يكون بمعنى فاعل اى سالم وخالص وعلى قوله اومخلص له بمعنى المفعول اى بقلب اخلصه الله من الشرك والشك اومن التعلق بغيره تعالى (قوله ومعنى المجيئ به ربه) يعنى ان حقيقة المجيئ بالشئ موضع كذا نقله من مكانه وهذا المعنى لايتصور فيما نحن فيه قال الطيبي ناقلا عن المطلع معنى المجيئ به ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه كما يعرف مجيئ الغائب وحضوره فضرب المجيئ مثلا لذلك انتهى يريد انه شبه اخلاص ابراهيم عليه الصلاة والسلام قلبه لربه ومعرفة الله تعالى كون ذلك الاخلاص منه موجودا بالمجيئ بالغائب محضر احد فعرفه واحواله فاستعير هذا التركيب للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية وعلى ماذكره المصنف شبه اخلاص ابراهيم قلبه لله بالمجيئ به متحفا اياه فاستعير له ذلك (قوله ماذا تعبدون) استفهام توبيخ وتقريع على تلك الطريقة وقوله آلهة مفعول به لقوله تريدون قدم عليه للعناية لانهم يقدمون الذى شأنه اهم والاهم بيانه يعنى الآلهة ودون ظرف لتريدون وافكا يجوز ان يكون مفعولا له اى اتريدونهم للافك قدم على المفعول به لان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركتهم والافك اسوء الكذب يقال كافحه اذا استقبله بوجهه ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدلا منه للايضاح والتبيين ولما ورد ان الافك معنى والآلهة ذوات واعيان فكيف يعبر عن اسم المعنى باسم العين ويبدل منه * اجاب عنه بوجهين الاول انه جعل الآلهة افكا فى انفسها للمبالغة فى افك من يتخذها آلهة والثانى ان المراد بالآلهة عبادتها وهى اسم معنى كالمبدل منه ويجوز ان يكون حالا من فاعل تريدون اومن مفعوله وهو آلهة والمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين اومأفوكا فيها (قوله لكونه ربا للعالمين) فان الحوادث كما تحتاج فى حدوثها الى المحدث تحتاج فى بقائها الى من يبقيها او يربيها والتربية تبليغ الشئ الى كماله شيأ فشيأ فهى من النعم التى تستوجب شكر من انعم بها وان لايترك عبادته فلذلك علل المصنف كونه حقيقا بالعبادة بكونه ربا للعالمين واشار بهذا التفسير والتعليل الى ان قوله رب العالمين اريد به لازمه وهو كونه حقيقا بالعبادة مجازا مرسلا او كناية (قوله والمعنى انكار مايوجب ظنا) يصد او يجوز او يقتضى فالمعنى على الاول انه فى حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين وحقيقا بعبادة المكلفين فالذى افادكم ظنا بمافيه من اوصافه يكون ذلك الظن سببا لاعراضكم عن عبادته الى عبادة الاصنام فمعنى الاستفهام تجهيلهم فى حقه تعالى باعتبار الوصف وكذا على الثالث وتقديره انه فى حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين مالكا لامورهم متصرفا فيه بالقهر والقدرة التامة فالذى افادكم ظنا باتصافه بوصف يقتضى الأمن من عقابه وقد عصيتموه وعبدتم غيره والمعنى على الثانى ماظنكم برب العالمين اى شئ هو فى ذاته وما الذى افادكم ظنا بان حقيقته المخصوصة ماهى حتى جوزتم كون الاصنام اندادا له فان ند الشئ مايشاركه فى حقيقته الخاصة وتجويز اشراك غيره به يتوقف على معرفة حقيقته فعلى هذا معنى الاستفهام تجهيلهم فى حقه تعالى باعتبار حقيقته الخاصة وعلى التقادير الثلاثة يحصل الالزام وينقطع الكلام وهو ظاهر ويثبت ان الاشراك افك وباطل وهو معنى قوله كالحجة على ماقبله (قوله فرأى مواقعها الخ) اى نظر فى عين النجوم ونفسها فى السماء ولما لم يكن النظر فى نفس النجوم مما يستدل به على شئ من الاحكام جعل نظره اليها ليتوسل الى رؤية احوالها من مواقعها واتصالاتها وهى مما يستدل بها (قوله ولامنع منه) جواب مايقال من ان النظر فى علم النجوم او كتابها غير جائز فكيف اقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام عليه وتقريره انا لانسلم ان النظر فى علم النجوم والاستدلال بها حرام مطلقا لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل مع ان فيه فائدة اخرى وهى انه فعل مايفعل الناظر فى النجوم ليستدل بها على الحوادث من جهتها واراد به ان يوهمهم ان النجوم تدل على انه سيسقم غدا فى مخرجه ان خرج معهم الى موضع عيدهم فاراهم انه يريد ان يتخلف عنهم فى منزله لايتزايد به مايحدث بسبب الحر كذا فوقع عندهم انه كذلك فاعرضوا عنه مولين الادبار فانهم كانوا منجمين يقفون بها على امورهم فعاملهم على مقتضى عادتهم احتيالا للتخلف عنهم فانه عليه الصلاة والسلام لما كلمهم فى الاصنام ونهاهم عن عبادتها فلم يقبلوا منه اراد ان يريهم ماقال فى الاصنام من انها لاتضر ولاتنفع ولاتقدر ان تدفع عن نفسها من اراد بها سوأ فكيف عن غيرها بان يكسرها وكان يحتال الى ان يخلو بيت الاصنام فراقب الفرصة وانتظر عيدا لهم يخرجون فيه الى الصحراء

اومن العلائق خالص لله اومخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيئ به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى اوظرف لجاء اوسليم (أئفكا آلهة دون الله تريدون) اى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه على انها افك فى انفسها للمبالغة اوالمراد بها عبادتها فحذف المضاف اوحالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته اواشركتم به غيره اوأمنتم من عذابه والمعنى انكار مايوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضى الأمن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ماقبله (فنظر نظرة فى النجوم) فرأى مواقعها واتصالاتها اوفى علمها اوكتابها ولامنع منه مع ان قصده ايهامهم

جملة فدعوه يومئذ الى الخروج معهم فاحتال للتخلف عنهم بما ذكر (قوله على انه مشارف للسقم) متعلق بقوله استدل واشارة الى جواب ما يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله كاذبا وتقرير الجواب ان تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه امره ليس بكذب بل هو واقع في القرآن والحديث نحو انك ميت وانهم ميتون اى ستموت وسيموتون وقوله عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه اى من سيقتل وكما نقول لمن رأيته متجهزا للسفر انك مسافر والعدوى مجاوزة الطاعون والجرب ونحوهما من صاحبه الى غيره (قوله او بصدد الموت) فيكون سقيما بالفعل بطريق الكناية على انه حامل للموت في عنقه ومن يحمل الطاعون فهو سقيم فحامل الموت اولى روى انه مات رجل فجأة فقيل سبحان الله مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه (قوله من روغة الثعلب) وهي ذهابه في خفية وحيلة يقال راغ الى كذا اى مال اليه سرا عبر عن ذهابه اليها بالروغ من حيث انه توسل اليه بان اوهمهم سقمه واعتذر به في التخلف عنهم روى ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام رآى انهم وضعوا بين يديها طعامهم الذى اصلحوه للعيد وقالوا اذا كان حين نرجع رجعنا وجدنا طعامنا وقد باركت الاصنام فيه فاكلناه متبركا به فعلما نظر اليها والى ما بين يديها من الطعام قال الا تأكلون فلما لم تجب الاصنام قال ما لكم لا تنطقون على وجه الاستهزاء بها وما اراد الى انحطاط حالها عن حال عبدتها وهو وان كان خطاب جماد لكنه صح من النبي لانه يعبر عما في ضميره من الاستدلال على بطلان ما توهم فيها وعدى راغ الثانى بعلى لما انه مع الضرب المستولى عليه من فوقهم الى اسفلهم فيكون الاستعلاء حقيقيا او لشرف الفاعل وكراهة المفعول فالاستعلاء مجازى وان كان اليمين بمعنى احدى اليدين يكون ضربا ملابسا باليمين وان كان بمعنى الحلف كانت الباء للسببية (قوله كما شرحه في قوله) في سورة الانبياء من فعل هذا بآلهتنا دفع لما يتوهم من التناقض بين هذه الآية وبين ما في سورة الانبياء من قوله من فعل هذا بآلهتنا فانه سؤال عن الكاسر فيقتضى عدم علمهم بان الكاسر هو ابراهيم فاجيبوا بانا سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر وهذه الآية تدل على انهم ابصروه يضربهم باليمين ويكسرهم فاقبلوا اليه يسرعون ليكفوه فدفعه بما دفع به الزمخشرى حيث قال فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفر منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها للتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا اى انقبضوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها قال اولئك النفر على سبيل التورية والتعريض سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم والثانى انه عليه الصلاة والسلام كسرها وذهب ولم يشعر بذلك احد وكان اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على اعين الناس يؤيد الثانى (قوله تعالى يزفون) حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز تعليقه بما قبله او بما بعده (قوله من زفيف النعام) يريد ان اصل الزفيف للنعام وهو اشد عدوها قال زف الظليم الذكر من النعام يزف بكسر الزاى زفيفا اى عدا واسرع في المشي مع تقارب الخطو وزف القوم في مشيهم اى اسرعوا ومنه الآية المذكورة على قرآءة غير حمزة فانهم قرأوا بفتح الياء وكسر الزاى وتشديد الفاء وفسره في الكواشى بقوله يسرعون في المشي مع تقارب الخطو فان قرئ بضم الياء مجهولا او معلوما فهو من ازفه غيره اى حمله على الزفيف وقرئ يزفون على وزن يعدون ويزفون على وزن يعزون والحدآء سوق الابل وحملها على سرعة المشي بالنغمات فلما اقبلوا اليه مسرعين ادركوه واخذوه وعاتبوه على كسر الاصنام وقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها فقال لهم على طريق التوبيخ اتعبدون ما تنحتون ووجه التوبيخ ظاهر وهو ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا له عند ذلك لزم ان يكون الشيء الذى لم يكن معبودا اذا حصل فيه آثار تصرفه صار معبودا له وفساد ذلك واضح عند كل من له ادنى تمييز (قوله وما تعملونه الى قوله او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون) اشارة الى ان ما في وما تعملون موصولة او مصدرية على ان لا يكون المصدر بمعنى الحدث بل بمعنى المفعول وعلله بان المقصود من قوله والله خلقكم وما تعملون الاحتجاج على المشركين في بطلان عبادة منحوتهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولا العابد لما قدر المعبود ان يصور نفسه ويشكلها وهذا المعنى لا يستفاد منه ظاهرا الا بان يحمل ما على احد التفسيرين فانه على كل واحد منهما يكون ما تعملون عبارة عن معمولكم كما ان ما تنحتون في معنى منحوتكم فتطابق الجملة

وذلك حين سألوه ان يعيد معهم (فقال انى سقيم) اراهم بانه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى واراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة دآء وقول لبيد فمن عنوت ربى بالسلامة جاهدا ⁂ ليصحنى فاذا السلامة دآء (فتولوا عنه مدبرين) هاربين مخافة العدوى فراغ الى الهتهم) فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة (فقال) اى للاصنام استهزاء (الا تأكلون) يعنى الطعام الذى كان عندهم (ما لكم لا تنطقون) بجوابى (فراغ عليهم) فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل بمكروه (ضربا باليمين) مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن اصنامكم (فأقبلوا اليه) الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف اى يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه (قال أتعبدون ما تنحتون) ما تنحتونه من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون

اوانه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان معمولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك و بهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف اومجاز (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان (فأرادوا به كيدا) فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) الى حيث امرنى ربى وهو الشام اوحيث اتجرد فيه لعبادته (سيهدين) الى مافيه صلاح دينى اوالى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه و لم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لايوصف بالحلم اويكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالتهما المذكورة بعد تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لابه لان صلة المصدر لاتتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه اولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة

المدعى وهو الانكار لعبادتهم لمنحوتهم ولو كان المعنى والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن الكلام بهذا المعنى حجة عليهم ولم تحصل مطابقة بينه وبين الانكار لعبادتهم لمنحوتهم وقوله وشكلها وان كان بفعلهم اشارة الى وجه جعل الشئ الواحد مخلوقا لله تعالى ومعمولا لهم فانه بحسب جوهره مخلوق لله تعالى وبحسب شكله معمول لهم ولا يلزم من القول بان شكلها بفعلهم استقلال قدرتهم حتى لايكون مخلوقا لله تعالى بل اراد به ان يكون لقدرتهم مدخل فيه حيث كسبوه بمباشرة اسبابه ولا يرد انه جعل الشكل مقابلا للجوهر فى ان احدهما بخلقه تعالى وان الآخر بفعل العبد مع ان جميع الاشياء مخلوقة لله تعالى من جواهر الاشياء واشكالها وغيرهما وانث ضمير جوهرها وشكلها مع رجوعه الى ما فى وما تعملونه نظرا الى ان المراد به الاصنام (قوله فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم الخ) اشارة الى ان الاحتجاج يستفاد من الآية على تقدير كون ما مصدرية وان المصدر على حقيقته لابمعنى المفعول بناء على ان المنحوت من حيث انه منحوت يتوقف على فعلهم وهو النحت وفعلهم وهو النحت بخلق الله اى موقوف على خلق الله والفعل الموقوف على خلق الله يستلزم كون المفعول الموقوف عليه كذلك ورجحه على كونها موصولة بانه يستلزم حذف العائد دونه وعلى كون المصدر بمعنى المفعول بانه مجاز (قوله وهى شدة التأجج) التأجج والاجيج تلهب النار يقال أجت النار تؤج اجيجا واججتها فتأججت لما اورد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حجة على قومه بكونهم مبطلين فى امرهم ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء والاهلاك عنادا للحق بعد وضوحه لئلا يظهر للعامة عجزهم ومغلوبيتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما واحائطا من حجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه بالحطب واشعلوه نارا وطرحوه فيها (قوله اى مافيه صلاح دينى اوالى مقصدى) الاول مبنى على انه قصد المهاجرة من ارض قومه الى موضع يتجرد فيه لعبادة ربه ولم يعين موضعا بعينه فيؤل معنى قوله سيهدين الى ان يختار لى موضعا يكون فيه صلاح دينى ويبلغنى اليه والثانى مبنى على انه قصد موضعا بعينه واراد بقوله سيهدين انه سيرشدنى الى مقصودى الذى امرنى ربى بالمهاجرة اليه وهو الشام وهو نشر على غير ترتيب اللف ولم يقل المصنف الى مهاجرى بل قال الى مافيه صلاح دينى لان الصلاح اهم المهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام فالحمل عليه اولى (قوله وانما بت القول) اى لم يقل مايدل على الطمع والرجاء لحصول الهداية بل قال مايدل على انه قاطع وجازم بحصولها فان سين الاستقبال تدل على الجزم بوقوع الفعل قال فى المفصل ان سيفعل جواب لن يفعل وذلك لسبق وعد الله تعالى بهدايته بان قال له اذهب من ارض الكفر الى ارض الشام فانى سأهديك فبت القول فى حصول الهداية منه تعالى بناء على وعده بها وحيا بماذكره (قوله لان لفظ الهبة غالب فيه) يعنى ان اغلب مايستعمل فيه لفظ الهبة فى القرآن هو الولد وان كان قد جاء فى الاخ فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال مقاتل لما قدم ابراهيم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لى من الصالحين (قوله او يكون حليما) عطف على يبلغ اوان الحلم (قوله عليه) اى على حلمهما (قوله فلما وجد) اشارة الى ان فى الاية اختصارا والمعنى فبشرناه بما سأله من الولد الصالح فرزقناه اياه فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومصالحه فالسعى مفعول بلغ وهو المشى السريع دون العدو ويستعمل للجد فى الامور وهو المراد ههنا (قوله فقيل معه) اى السعى مع ابيه فكلمة مع متعلقة بالسعى المحذوف حذف لدلالة المذكور عليه ومنع تعلقها بالسعى المذكور بناء على ان معمول المصدر لايتقدم عليه ومنع ايضا تعلقها ببلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعى معا وهو باطل اذ لاشك ان بلوغ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك الحد متقدم على بلوغ ولده اياه ووجه اقتضائه ذلك ان مع للمصاحبة وهى مفاعلة فتكون بين اثنين فيجب ان يكون مدخول مع مشاركا ومقارنا للآخر فى تعلقه بمضمون العامل فى مع فى قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان يجب ان يكون دخولهما السجن مقارنا لدخول يوسف عليه الصلاة والسلام اياه لايقال فقول بلقيس اسلمت مع سليمان على ماذكر يقتضى كون اسلامهما معا وليس كذلك لانا نقول لايبعد ذلك فلعله عليه الصلاة والسلام وافقها اولقنها (قوله وتخصيصه) اى وتخصيص الاب بكون سعى الولد معه والحال ان المقصود بيان قوة الساعى وبلوغه حد السعى ويكفى فى بيان هذا المقصود ان يقال فلما بلغ السعى اى حد السعى من غير ان يقيد السعى بكونه مع ابيه واجاب عنه اولا بمنع كون الاطلاق كافيا فى بيان المقصود لان غير الاب قد يعنف الولد بتكليفه مايشق عليه فبلوغه السعى مع غير الاب لايدل على قوته وبلوغه حد السعى

بخلاف الاب فانه اوفر شفقته وعطفه على ولده لايستسعيه فيما يشق عليه وبلوغ الولد السعى مع ابيه يدل على قوته اى قوة الولد وبلوغه حد السعى (**قوله** والاظهران المخاطب) اى بقوله يابنى واذبحك اختلفت الصحابة والتابعون فى ان الولد المأمور بذبحه اسمعيل او اسحق فمنهم من قال انه اسحق وكانت هذه القصة بالشام ومنهم من قال انه اسمعيل وكانت القصة بمكة وكلا الفريقين يروى ما قاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن الامام ابى منصور انه قال لاحاجة بنا الى معرفة ذلك الولد بعينه ولوكان بنا حاجة اليه لبين الله عز وجل واحتج المصنف على انه اسمعيل بخمسة وجوه الاول انه يفهم من اسلوب الآية ان الذبيح هو الذى وهب له اثر الهجرة وقد ثبت عند اهل التواريخ ان ذلك هو اسمعيل والثانى انه تعالى لما حكى عن خليله عليه الصلاة والسلام انه استوهب منه ولدا صالحا حيث قال رب هب لى من الصالحين وعقبه بقوله فبشرناه بغلام حليم بالفاء وذكر بعده قصة الرؤيا والذبح واتم القصة بقوله سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين كما اتم بمثله سائر القصص المذكورة فى سائر السور الكريمة ابتدأ بحديث اسحق وبشارته وما يتعلق به بان عطف قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين الآية على قوله فبشرناه بغلام حليم ولايخفى ان هذا الاسلوب يدل على ان الذبيح هو الغلام الحليم وان البشارة باسحق بشارة مغايرة للبشارة الاولى وان اسحق غير الغلام الحليم الذى هو الذبيح والثالث قوله عليه الصلاة والسلام انا ابن الذبيحين ولايخفى انه عليه الصلاة والسلام ابن اسمعيل لا ابن اسحق (**قوله** ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة) روى عن عبد المطلب انه حين اخذ فى حفر زمزم وكانت قد اندفنت جعلت قريش تهزأ به فقال اللهم ان سقيت الحجيج ذبحت بعض ولدى فلما اسقى الحجيج منها اقرع بين ولده فخرجت القرعة على عبد الله فقالت اخواله بنوا مخزوم افد ابنك اى اعط فدآءه وأنقذه من الذبح فجاء بعشر من الابل فاقرع بينها او بين ابنه فخرجت القرعة على ابنه فزاد عشرا فاقرع بينهما فخرجت كذلك على ابنه فلم يزل يزيد عشرا وتخرج القرعة على ابنه الى ان بلغها المائة فخرجت على الابل فنحرها بمكة فى رؤس الجبال وروى انه لما باشر حفر زمزم وليس له يومئذ ولد سوى الحارث نازعته قريش فنذر ان ولد له عشرة نفر ثم بلغوا ان يمنعوه ويدفعوا عنه اذى من يتعرض له بالسوء لينحرن احدهم عند الكعبة فلما تموا عشرة وعرف انهم سيمنعونه اخبرهم بنذره فاطاعوه فاقرع بين ولده الى آخر القصة والرابع ان الذبح والفدآء كانا بمكة ولم يروان اسحق كان قدم مكة فى صغره ومما يدل على ان الذبح كان بمكة وان الذبيح هو اسمعيل ان قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال والذى نفسى بيده لقد كان قبل الاسلام ان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس رواه محيى السنة والخامس انه تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن ورآء اسحق يعقوب فلما بشرها باسحق بشرها بولادة يعقوب منه نافلة فالامر بذبح اسحق قبل ظهور يعقوب منه خلف لما وعدها من النافلة فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد فى يعقوب منه وكون الامر بالذبح بعد ولادة يعقوب منه ينافى قوله فلما بلغ معه السعى الآية فانه يدل على ان الامر بالذبح وقع حين كان مراهقا (**قوله** وماروى انه صلى الله عليه وسلم) اشارة الى دليل من قال بان الذبيح هو اسحق والى جوابه (**قوله** مثل ذلك) اى كان فيما كتب اليه من يعقوب اسرآئيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله (**قوله** ماذا ترى) ان قرئ بفتحتين يكون مضارع رأى الذى من الرأى بمعنى الاعتقاد فى القلب وما يخطر به وهو يتعدى الى مفعول واحد وهو ماذا اى فانظر اى شئ ترى لا من رؤية العين لانه لم يأمره ان يبصر شيأ وانما امره ان يدبر فى امر عرضه عليه وهو الذبح ويقول فيه برأيه ولا من رؤية القلب المتعدية الى مفعولين لانه لم يكلفه ان يقطع فيما عرضه عليه انه على صفة كذا وانما يسأله عما يبديه قلبه ورأيه اى شئ هل هو الامضاء او التوقف وان قرئ بضم التاء وكسر الرآء يكون من الرأى المذكور ايضا الا انه نقل بالهمزة الى باب الافعال فيتعدى الى مفعولين حذف فى الآية ثانيهما اى فانظر ما ترى اباك من الامضاء او التوقف (**قوله** من الرأى) اى لا من رؤية العين فانه شاور ولده ليعلم رأيه ولم يأمره بان ينظر بعينه ليبصر شيأ (**قوله** وانما شاوره فيه) يعنى ان المقصود من المشاورة ان يعمل المستشير برأى المستشار فيما اختاره له وذلك انما يتصور اذا لم يتعين عنده احد الطرفين لا اذا تعين كما فى هذه الحالة فلا فائدة فى المشاورة فان امضاء الذبح متعين عنده اجاب عنه بانه انما شاوره ليعلم ما عنده فان علم منه الجزع وعدم الصبر على الذبح ينصحه ويحمله على الصبر والثبات وان علم منه التسليم

(قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك) يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرآئيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوآئد من الراوى وماروى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الرآء وورش بين بين

(قال يا ابت) وقرأ ابن عامر بفتح التاء (افعل
ما تؤمر) اى ما تؤمر به فحذفا دفعة اوعلى
الترتيب كما عرفت اوامرك على ارادة المأمور به
والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى
انه يذبحه مأمورا به اوعلم ان رؤيا الانبياء حق
وان مثل ذلك لايقدمون عليه الا بامر ولعل
الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص
وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا (ستجدنى
ان شاء الله من الصابرين) على الذبح اوعلى
قضاء الله (فلما اسلما) استسلما لامر الله اوسلم
الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها
سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان
ينازع فيه (وتله للجبين) صرعه على شقه
فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة
وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا
يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى
اوفى الموضع المشرف على مسجده اوالمنحر الذى
ينحر فيه اليوم (وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا) بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى
انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع
وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما
ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما
وشكرهما الله على ما انعم عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله
واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين)
تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه
الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل
ما تؤمر ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين)
الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره
اوالمحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها
(وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل
(عظيم) عظيم الجثة سمين اوعظيم القدر لانه
يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد
المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة
والفادى على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه
لانه المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء
اوالاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده
لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه

والرضى لامر الله تعالى يامن زلله ويباشر الامر لامتثال امر الله تعالى وهو آمن من مخالفته ولان فى تقديم اعلام
ما امره الله تعالى به فى حقه على طريق المشاورة تهوينا للبلاء على نفسه من حيث انه حمله على ان يراجع نفسه ومن
راجع نفسه قبل حكم الله فيه يجده ما متوطنة على قبوله وهذا الطريق اقرب فى تهوين البلاء من اخذه على غفلة
قائلا انى اذبحك لان الله امرنى بذلك (قوله فحذفا دفعة) اى فحذف الجار والمجرور دفعة اوحذف الجار
اولا ووصل الفعل الى الضمير فصار ما تأمره ثم حذف العائد والتقدير افعل امرك على ان الامر بمعنى المأمور به
والكاف عبارة عن المأمور (قوله ولعله فهم من كلامه الخ) جواب عما يقال من اين علم اسمعيل عليه الصلاة
والسلام ان الذبح مأمور به حتى قال افعل ما تؤمر به من وحى وتقرير الجواب انه فهم من قوله رأيت فى المنام انى
اذبحك انى رأيت فيه ما يكون تعبيره ذبحك بان امر بذلك فى منامه اوانه علم ذلك باستدلال عقله وتقريره انه نبى رأى
فى منامه انه يعالج ذبح ولده ومعلوم عنده ان الانبياء لطهارة نفوسهم وقوة اتصالها بعالم الملكوت لا يجد الشيطان
سبيلا الى ان يلقى اليهم الخيالات الباطلة فيكون ما رأوه فى نومهم وتمثل فى نفوسهم ومرآتهم حقا واقعا قبل ذلك
اوسيقع بعده والذبح لم يقع قبل فعلم انه سيقع وانه لا يقدم على مثله الا بامر فلذلك حكم بان الذبح مأمور به فقال
افعل ما تؤمر به (قوله وقيل كبه على وجهه) اى صرعه فاكب على وجهه وهذا من النوادر فانه يقال افعلت
انا وفعلت غيرى يقال كب الله عدو المسلمين ولا يقال اكب قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اضجع ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ابنه على جنبه على الارض قال له الابن يا ابت اشدد رباطى حتى لا اضطرب واكفف عنى ثيابك
حتى لا ينضح عليها من دمى فينقص اجرى وتراه امى فتحزن واحدد شفرتك واسرع امرارها على حلقى ليكون
اهون على فان الموت شديد فان اتيت امى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قميصى الى امى فافعل فانه عسى
ان يكون اسلى لها عنى فقال له ابراهيم عليه الصلاة والسلام نعم العون انت يا بنى على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به
ابنه ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يعمل وروى انه شحذ الشفرة
وأمرها على حلقه فلم تقطع فحدها مرتين اوثلاثا بالحجر كل ذلك وهى لا تقطع شيأ قال السدى ضرب الله صفحة من
نحاس على حلقه فقال الابن عند ذلك يا ابت كبنى على وجهى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى وادركتك رقة تحول
بينك وبين امر الله وانا لا انظر الشفرة فاجزع ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودى
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وجواب لما محذوف وقيل جوابه وتله للجبين والواو زائدة وقيل هو قوله وناديناه
والواو زائدة ايضا كقوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب واوحينا اليه (قوله بما يذبح بدله فيتم به
الفعل) اشارة الى الذبح بالكسر اسم لما يذبح كالطحن فانه اسم للدقيق المطحون وبالفتح مصدر وكذا الذبح بالفتح والى
جواب ما يقال كيف احتيج الى الفداء وقد اقام الله بذل وسعه فى اتيان مقدمات الذبح وصدق عزمه مقام الذبح
حيث قال صدقت الرؤيا فانه يدل على سقوط التكليف بحقيقة الذبح بفعل ما فى حكمه فلا يحتاج بعده الى الفداء
لان الفداء انما هو التخليص من الذبح ببدله وتقرير الجواب ان اللازم من قيام فعل ما فى حكم ذبح الولد مقام
ذبحه سقوط ذبح ذلك الولد ولا يلزم من سقوط ذبحه سقوط الذبح بالكلية فاذا لم يسقط اصل الذبح فلا بد له من محل
يتعلق به ولما لم يتعلق بالولد لزم ان يتعلق ببدله ويتم به الفعل (قوله قيل كان كبشا من الجنة) عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال هو الكبش الذى قرب به هابيل بن آدم عليه الصلاة والسلام فتقبل منه فكان مخزونا فى الجنة
(قوله والفادى على الحقيقة ابراهيم) لان الفادى من يعطى الفداء لما لزم عليه من حق غيره وينقذه منه وذلك هو
ابراهيم فانه ذبح الكبش وأنقذ ابنه والفادى على الحقيقة ليس هو الله تعالى بل هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح
وموجبه فاوجد جعله تعالى فاديا فى قوله وفديناه بذبح عظيم يقال فداه اذا اعطى فداءه فانقذه وافتدى منه بذلك
اشترى منه نفسه بشئ والمصنف اجاب عنه بوجهين الاول ان مبنى الكلام على المجاز فى المفرد بان يكون فديناه
بذبح اعطيناه ذبحا وخلصناه ببدله وفدائه والثانى ان مبنى وفديناه على المجاز فى الاسناد من قبيل اسناد
الفعل الى الآمر به كبنى الامير ففى كلام المصنف لف ونشر مرتب (قوله وليس فيه ما يدل عليه) اشارة الى ما اورده
صاحب التقريب على هذا الاستدلال بقوله فيه نظر اذ ليس فى الاية ذكر النذر ولا لزوم الذبح بل ان الله تعالى تفضل
عليه بالفداء وايضا هو شرع من قبلنا انتهى واجاب عنه الشارح الطيبى بانه قد روى ان الملائكة حين بشرته بغلام
حليم قال هو اذا لله ذبيح وهذا نذر بذبحه ولهذا لما بلغ الغلام معه حد السعى قيل له اوف بنذرك فقال لولده انى

اری فی المنام انی اذبحك علی معنی اری فیه ما تعبیره ذبحك واما لزوم الذبح فلانه لو لم یلزم لم یحتج الی الفدآء وشرع من قبلنا اذا لم ینسخ فنحن متعبدون به علی حسب الخلاف (**قوله** وبهذا الاعتبار وقعا حالین الخ) جعل الزمخشری هذه الآیة نظیر قوله تعالی فادخلوها خالدین فی ان الحال فی کل واحدة منهما حال مقدرة اذ لم یمکن کونها حالا محققة لان الحال المحققة یجب ان تکون ثابتة لذی الحال وقت تعلق العامل بذی الحال والخلود لیس بثابت للداخلین وقت دخولهم وکذا النبوة لیست ثابتة للمبشر به وقت البشارة وایضا ان المبشر به معدوم وقت وجود البشارة وعدمه یستلزم عدم النبوة والصلاح ایضا لان عدم الموصوف یستلزم عدم الصفة وایضا اذا وجد المبشر به لا توجد النبوة الا بعد زمان مدید فکیف تجعل النبوة حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند صدور الفعل منه او تعلقه به ولیس النبوة کذلك اذ لا وجود لها وقت البشارة حقیقة وهو ظاهر ولا تقدیرا لان التقدیر لا یتصور من المعدوم وقوله وبهذا الاعتبار ای باعتبار جعل کل واحد من النبوة والصلاح مقضیا مقدرا وقعا حالین من غیر احتیاج الی تقدیر وجود المبشر به وهو اسحق والمقصود الرد علی صاحب الکشاف حیث جعل نبیا حالا مقدرة من اسحق بتقدیر المضاف العامل فی الحال علی ان یکون المعنی وبشرناه بوجود اسحق نبیا ای بان یوجد مقدرة نبوته وبنی کلامه علی ان الحال سوآء کانت محققة او مقدرة صفة قائمة بذی الحال عند تعلق العامل وذلك یقتضی وجود ذی الحال عند تعلق العامل به مقارنا لاتصافه بمضمون الحال لان اتصاف شیء بشیء متفرع علی وجود الموصوف فلذلك اوجب تقدیر المضاف فی جعل قوله تعالی نبیا من الصالحین حالین من اسحق فقال المصنف لا حاجة الی ذلك اذ التقدیر مقضیا نبوته مقدرا کونه من الصالحین وهذا القدر کاف فی کونهما مقدرتین لان تقدیر النبوة والصلاح صفة قائمة باسحق حال تعلق البشارة به فانه کانه مبشر به مقدر النبوة والصلاح ایضا غایة ما فی الباب ان یکون لفظ مقدر اسم مفعول من التقدیر ولا یکون تقدیر النبوة من قبل اسحق بل یکون ممن بشر به وکون اسحق معدوما وقت البشارة انما ینافی کونه مقدر النبوة والصلاح عند تعلق البشارة به بکسر دال مقدر بخلاف فتح الدال فانه لا ینافی کونه مقدر النبوة وقت البشارة لکن تقدیر خلود انفسهم یجوز ان یکون صفة ثابتة لهم وقت الدخول فصح ان تکون حالا مقدرة منهم وکذا کون المبشر به مقدرا نبوته صفة ثابتة له وقت البشارة فجاز کونها حالا مقدرة ایضا ثم اعترض علی کون الآیة نظیر فادخلوها خالدین بناء علی ان الحال حلیة وصفة لذی الحال فتقتضی محلا موجودا لان الحلیة لا تقوم بالمعدوم ولا شك ان المبشر به فی الآیة معدوم وقت تعلق البشارة به فلا یمکن اتصافه بها لا بحقیقة النبوة ولا بکونها مقدرة فی حقه لان ثبوت الشیء لآخر فرع ثبوت المثبت له فلا یصح ان تکون النبوة حالا مقدرة ایضا بخلاف الخلود فان الداخلین موجودون حال الدخول فیمکن اتصافهم بتقدیر الدخول وان لم یکونوا موصوفین بحقیقة الدخول فی ذلك الوقت فافترقا فرقا بینا لان الحالیة لها سبیل فی احدهما دون الآخر ثم اجاب بان التنظیر مبنی علی تقدیر المضاف وجعله عاملا فی الحال وهو الوجود لا فعل البشارة ولا خفاء فی صحة اتصاف المبشر به وقت تعلق الوجود بکونه مقدر النبوة فصح کون نبیا حالا مقدرة بهذا التقدیر مثل کون خالدین حالا مقدرة بهذا التقدیر غایة ما فی الباب ان تقدیر الدخول من قبل ذی الحال وان الداخلین هم الذین قدروا خلودهم بخلاف تقدیر النبوة فانه لیس من قبل المبشر به ولا یلزم فی الحال المقدرة ان یکون التقدیر من قبل ذی الحال فقول المصنف ومع ذلك لا یصیر نظیر قوله فادخلوها محل بحث واما قوله وبهذا الاعتبار وقعا حالین الخ فکلام حق لا غبار فیه وتقریره ان کون نبیا من الصالحین حالین من المبشر به لا یتوقف علی تقدیر مضاف هو العامل فیهما وانما یتوقف علی اعتبار کون کل واحد من النبوة والصلاح مقدرا مقضیا فی حق المبشر به ومثل هذه الاحوال لا یستدعی وجود ذی الحال وانما یلزم وجوده اذا کانت الحال من الصفات الحقیقیة لانها هی التی تقتضی وجود موصوفاتها واما الصفات الاعتباریة فلا بل یکفی فی وقوعها حالا مقارنة اعتبارها لتعلق العامل بذی الحال (**قوله** ومع ذلك) ای ومع ارتکاب تقدیر المضاف علی الوجه المذکور لا تصیر هذه الآیة نظیر قوله فادخلوها خالدین اقول انها نظیره فی ان الحال فی کل واحدة منهما حال مقدرة غایة ما فی الباب ان المقدر فی هذه الآیة اسم مفعول من التقدیر وفی تلك اسم فاعل منه والحال المقدرة لا یجب ان یکون التقدیر فیها من قبل ذی الحال البتة بل الامر موکول ومنوط بما یقتضیه المعنی والمقام (**قوله** ومن فسر الغلام باسحق الخ) جواب عما یقال المتبادر من عطف قوله تعالی وبشرناه باسحق نبیا علی قوله وبشرناه بغلام حلیم ان اسحق غیر الغلام الحلیم الذی هو الذبیح فکیف یتأول

(وترکنا علیه فی الآخرین سلام علی ابراهیم) سبق بیانه فی قصة نوح (کذلك نجزی المحسنین انه من عبادنا المؤمنین) لعله طرح منه انا اکتفاء بذکره مرة فی هذه القصة (وبشرناه باسحق نبیا من الصالحین) مقضیا نبوته مقدرا کونه من الصالحین وبهذا الاعتبار وقعا حالین ولا حاجة الی وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذی الحال غیر مشروط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنی بالحال فلا حاجة الی تقدیر مضاف یجعل عاملا فیهما مثل وبشرناه بوجود اسحق ای بان یوجد اسحق نبیا من الصالحین ومع ذلك لا یصیر نظیر قوله فادخلوها خالدین فان الداخلین مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم یکن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حیثما یوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته

وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى اولاده (وعلى اسحق) بان اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرآئيل وغيرهم كايوب وشعيب اوافضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله اوعلى نفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على ان النسب لااثرله فى الهدى والضلال وان الظلم فى اعقابهما لايعود عليهما بنقيصة وعيب (ولقد مننا على موسى وهرون) انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون اوالغرق (ونصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانواهم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهوالتوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق والصواب (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) سبق مثل ذلك (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس ابن ياسين سبط هرون اخ موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفى حرف ابى وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس (اذقال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أتعبدونه اوأتطلبون الخير منه وهواسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول (وتذرون احسن الخالقين) وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل (فكذبوه فانهم لمحضرون) اى فى العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الاعباد الله المخلصين) مستثنى من الواو لامن المحضرين لفساد المعنى (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) ؟

القول بان السلام الذبيح هواسحق وان المبشر به فى البشارتين واحد وتقرير الجواب ان مقتضى العطف تغاير البشارتين وهوحاصل وان فسر الغلام باسحق بناء على ان البشارة الاولى تتعلق بولادته والثانية بنبوته والمعنى وبشرناه بنبوة اسحق بعد ماامر بذبحه واخرت البشارة بنبوته عن الاولى ولايجوزان يبشره الله تعالى بولادته ونبوته معا ثم يأمر بذبحه لان الامتحان بذبحه لايصح مع علمه بانه سيكون نبيا لانه مع هذا العلم لايحمل الامر بالذبح على حقيقته (**قوله** وفى ذكر الصلاح بعد النبوة) جواب عمايقال مافائدة ذكر الصلاح بعد ذكر النبوة اى مع انها تستلزم الصلاح فان كل نبى صالح فذكرها يغنى عن ذكره فاجاب بان الفائدة فى ذكر الصلاح بعد ذكر النبوة تعظيم لشأنه حيث لم يكتف فى مقام المدح بمايدل عليه التزاما بل مدحه واثنى به عليه صريحا (**قوله** بالفعل على الاطلاق) جملة حالية اى وايماء بان الصلاح حال كونه ملحوظا على الاطلاق اى مع قطع النظر عن تقييده بكونه صلاح نفسه فقط بل مايتناوله وصلاح قومه غاية للنبوة لتضمنها معنى الكمال والتكميل فيكون كال قومه وصلاحهم غاية لنبوته وفى اكثر النسخ متعلق بالتكميل اى تكميل الامة بحملهم على الاعمال الصالحة مطلقا فلما تضمنت النبوة تكميل الامة بالصلاح كان النبى الكامل بالصلاح من جملة الصالحين من الامة بسبب تكميله اياهم بالصلاح الذى هوغاية النبوة فكان ذكر كونه من الصالحين بعد ذكر نبوته ايماء بانه الغاية للنبوة بالفعل على الاطلاق وهو بالباء السببية المتعلقة بالايماء (**قوله** البليغ فى بيانه) حمل استبان مبالغة أبان بمعنى أوضح بناء على ان الكتاب بكماله فى بيان الاحكام وتمييز الحلال عن الحرام كانه يطلب من نفسه ان يبينها ويحمل نفسه على ذلك يقال بان الشئ بيانا اى ظهر ظهورا وابانه اى اوضحه (**قوله** تعالى اذقال) ظرف لمحذوف اى انه مرسل من المرسلين حين قال لقومه الاتتقون وهواستفهام بمعنى الامر ثم ذكر ماهوالسبب لذلك الامر وهوعبادتهم للبعل (**قوله** وقيل البعل الرب بلغة اليمن) يقولون من بعل هذه الدار اى من ربها وسمى الزوج بعلا بهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال هذا بعلى شيخا (**قوله** احسن الخالقين) اى المقدرين فان الخلق حقيقة فى الاختراع والانشاء والابداع ويستعمل ايضا بمعنى التقدير وهوالمراد به ههنا لان الخلق بمعنى الاختراع لايتصور من غير الله تعالى حتى يكون هواحسنهم (**قوله** بالنصب على البدل) اوالمدح والباقون بالرفع اما على انه خبر مبتدأ محذوف اى هوالله ربكم واما على ان الجلالة مبتدأ ومابعدها خبره وروى عن حمزة انه كان اذا وصل نصب واذا وقف رفع وهوحسن جدا اذفيه جمع بين الروايتين (**قوله** وانما اطلقه) اى اطلق احضارهم ولم يبين مايحضرون فيه ولم يقيده به اكتفاء بدلالة القرينة عليه وهى التكذيب اولان اطلاقه تقييد له عرفا (**قوله** مستثنى من الواو) يعنى انه مستثنى متصل من فاعل فكذبوه دلالة على من لم يكذب به فلذلك استثنى ولايجوز ان يكون مستثنى من ضمير لمحضرون استثناء متصلا لان ضمير محضرون عبارة عن المكذبين فاستثناء المخلصين من ذلك الضمير يستلزم ان يكون المخلصين داخلين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وجعله منقطعا مع صحة الاتصال من غير تكلف لاوجه له (**قوله** لغة فى الياس) على ان الياس اسم عبرانى تارة يستعملونه على اللفظ وتارة يزيدون عليه ياء ونونا ولعل لهذه الزيادة وجها عند اهل اللغة كان سينا فى قوله تعالى طورسينا وفى قوله تعالى وطورسينين بزيادة الياء والنون وقيل جمع الياس على الياسين جمع السلامة واطلق على نفس الياس ومتبعيه كما قال المهلبون للمهلب واتباعه ورده الزمخشرى بانه اذا جمع العلم جمع سلامة اوثنى لزمته الالف واللام لانه اذا جمع وثنى تزول علميته فيقال الزيدان والزيدون والزينبات وقيل الياسين جمع الياسى المنسوب الى الياس اصله الياسيين حذفت ياء النسبة كما حذفت فى الجمين اصله الجميين (**قوله** وقيل محمدا والقرءآن) عطف على قوله ابا الياس اى قيل المراد بياسين فى قوله آل ياسين سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام على قول من قال يس اصله ياانيسين تصغير انسان اقتصر على نصفه الاخير فكان المعنى ياآل محمد واتباعه وقوله وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام ابو الليث فى تفسير سورة يس روى عن ابى حنيفة انه قال يس بمعنى محمد وروى معمر عن قتادة قال يس اسم من اسماء القرءآن انتهى فالمعنى سلام على آل محمد اوسلام على اهل القرءآن اواهل غيره من كتب الله والكل بعيد اذلم يسبق لشئ من ذلك ذكر حتى يقال وتركنا عليه هذه التحية فقوله اذ الظاهر تعليل للبعد وعدم المناسبة (**قوله** داخلين فى الصباح) اشارة الى ان مصبحين حال من فاعل تمرون وانه من اصبح التامة وقوله بالليل عطف على الحال قبلها اى ملتبسين بالليل والمراد من عطفه عليه اما تخصيص مرور اهل مكة على سدوم بوقت الصباح ووقت المساء

الذی هو خلاف الصباح لا اللیل کلہا وتعمید للاوقات کلہا من اللیل والنہار والیہ اشار بقولہ اونہارا ولیلا (**قولہ** ولعلہا وقعت) تعلیل لتخصیص مرورہم علی سدوم بوقتی الصباح والمساء ویحتمل ان یکون وجہ التخصیص ان من یسافر فی تلک الدیار یکون غالب مشیہ فی طرفی النہار فیکون مرورہ علیہا فی احد الوقتین (**قولہ** واصلہ الہرب من السید الخ) یعنی ان الاباق حقیقۃ فی ہرب المملوک من سیدہ واطلق علی ہرب یونس من قومہ علی طریق الاستعارۃ تشبیہا لہ بالہرب من السید حیث لم یأذن لہ ربہ ویجوز ان یکون مجازا مرسلا من قبیل اطلاق المقید علی المطلق کاطلاق لفظ المرسن علی انف الانسان روی ان یونس لما دعا قومہ الی اللہ تعالی کذبوہ فاخبرہم ان العذاب نازل بہم الی ثلاثۃ ایام وخرج من بینہم ینتظر ہلاکہم فاتاہم مقدمات العذاب فأخلصوا للہ تعالی بالدعاء والتضرع بان فرقوا بین کل والدۃ وولدہا ثم خرجوا الی الصحراء فتضرعوا الی اللہ تعالی واستغفروہ فصرف اللہ تعالی عنہم العذاب وقبل توبتہم وکان یونس ینتظر ہلاکہم وبینما ہو کذلک رأی بعض من مر علیہ من اہل تلک المدینۃ فسألہ عن حالہم فقال بخیر وعافیۃ فلما علم انہم لم یہلکوا استثقل ان یرجع الیہم مخافۃ ان ینسب الی الکذب ویعیر بہ فذہب مغاضبا ای مستنکفا خجلا حتی اتی قوما فی سفینۃ فحملوہ معہم وعرفوہ فلما دخل السفینۃ رکدت ولم تجر فقال ملاحوہا یا ہؤلاء ان فیکم رجلا عاصیا لان السفینۃ لا تفعل ہذا الا اذا کان فیہا رجل عاص فقال البحارون جربنا مثل ہذا فاذا رأیناہ نقترع فمن خرج سہمہ نرمیہ فی البحر لان غرق واحد خیر من غرق الکل فاقترعوا فخرج سہم یونس علیہ السلام فقال الملاحون نحن احق بالمعصیۃ من نبی اللہ تعالی ثم اعادوا الثانیۃ والثالثۃ فخرج سہم یونس علیہ الصلاۃ والسلام فی کل ذلک فقال یا ہؤلاء انا واللہ العاصی فتلفف فی کسائہ ثم قام علی رأس السفینۃ فرمی نفسہ فی البحر فابتلعتہ السمکۃ فاوحی اللہ تعالی الی السمکۃ ان لا تکسری منہ عظما ولا تقطعی منہ وصلا لانی جعلت بطنک لہ سجنا ولم اجعلہ لک طعاما وروی ان یونس علیہ الصلاۃ والسلام لما ابتلعہ الحوت ابتلع الحوت حوت آخر اکبر منہ فلما استقر فی جوف الحوت احس انہ قدمات فحرک جوارحہ فتحرکت فاذا ہو حی فخر للہ ساجدا وقال یا رب اتخذت لک مسجدا لم یعبدک احد فی مثلہ وروی ابو ہریرۃ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہ قال سبح یونس فی بطن الحوت فسمعت الملائکۃ فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعیفا بارض غریبۃ فقال ذلک عبدی یونس عصانی فحبستہ فی بطن الحوت فی البحر قالوا العبد الصالح الذی کان یصعد الیک منہ فی کل یوم ولیلۃ عمل صالح قال نعم فشفعوا لہ فامر الحوت فقذفہ بالساحل فی ارض نصیبین والعراء من التعری وہو الفضاء والصحراء الخالیۃ عن النبات والاشجار المظلۃ وقد صار فی بطن الحوت کالفرخ الممعوط لا شعر علیہ وقد رق بدنہ وضعف بحیث لا یطیق حر الشمس وہبوب الریاح فانبت اللہ لہ شجرۃ من یقطین قال اہل اللغۃ ہو کل شجرۃ لیس لہا ساق ولہا ورق عریض وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادۃ ومجاہد ہو القرع فکان یستظل بہا وقیل کانت وعلۃ تجیئہ ویشرب من لبنہا لا تفارقہ حتی اشتد وقال مقاتل مر الزمان علی الشجرۃ فیبست فحزن یونس لذلک حزنا شدیدا وبکی فاوحی اللہ تعالی الیہ تبکی علی شجرۃ نبتت فی ساعۃ وتلفت فی ساعۃ ولا تبکی علی مائۃ الف او یزیدون ترکتہم فانطلق الیہم (**قولہ** فقارع اہلہ) فان المساہمۃ القاء السہام علی وجہ القرعۃ وعن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال کان یونس وقومہ یسکنون فلسطین فغزاہم ملک یقال لہ بلغت فسبی منہم تسعۃ اسباط ونصف سبط وبقی سبطان ونصف فاوحی اللہ الی شعیب النبی ان ائت حزقیا الملک وقل لہ یوجہ تلقاءہم نبیا قویا امینا فانی القی الرعب فی قلوب اولئک حتی یرسلوا معہ بنی اسرائیل فجاء شعیب الی حزقیا الملک فاخبرہ بذلک فقال لہ الملک فمن تری وکان فی مملکتہ خمسۃ من الانبیاء فقال یونس فانہ قوی امین فدعا الملک یونس وامرہ ان یخرج فقال یونس ہل امرک باخراجی وہل سمانی لک باسمی فقال لا ولکنی امرت ان ابعث قویا امینا وانت کذلک فابی یونس ان یخرج وقال ان فی بنی اسرائیل انبیاء اقویاء غیری فألحوا علیہ فخرج یونس من بینہم مغاضبا للنبی وللملک ولقومہ فاتی بحر الروم فرکبہا وفی التیسیر انہ حین یبست شجرۃ الیقطین بکی یونس فاوحی اللہ الیہ بکیت علی شجرۃ یبست ولا تبکی علی مائۃ الف فی ید الکفار (**قولہ** داخل فی الملامۃ) علی ان الہمزۃ فی ألام کالہمزۃ فی أصبح وأمسی وقولہ اوآت بما یلام علیہ اوملیم نفسہ الجوہری یقال الام الرجل اذا اتی بما یلام علیہ ومنہ لام فلان غیر ملیم وفی المثل انی لأثم ملیم ابو عبیدۃ یقال ألمتہ بمعنی لمتہ (**قولہ** وقریٔ بالفتح) ای بفتح المیم علی انہ اسم مفعول من لام یلوم وہی شاذۃ والقیاس ملوم

٢ لغۃ فی الیاس کسینا وسینین وقیل جمع لہ مرادبہ ہو واتباعہ کالمہلبین لکن ینافیہ ان العلم اذا جمع یجب تعریفہ باللام اوللمنسوب الیہ بحذف یاء النسب کالاعجمین وہو قلیل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ویعقوب علی اضافۃ آل الی یاسین لانہما فی المصحف مفصولان فیکون یاسین ابا الیاس وقیل محمد صلی اللہ علیہ وسلم اوالقرآن اوغیرہ من کتب اللہ والکل لا یناسب نظم سائر القصص ولا قولہ (انا کذلک نجزی المحسنین انہ من عبادنا المؤمنین) اذ الظاہر ان الضمیر لالیاس (وان لوطا لمن المرسلین اذ نجیناہ واہلہ اجمعین الا عجوزا فی الغابرین ثم دمرنا الآخرین) سبق بیانہ (وانکم) یا اہل مکۃ (لتمرون علیہم) علی منازلہم فی متاجرکم الی الشام فان سدوم فی طریقہ (مصبحین) داخلین فی الصباح (وباللیل) ای ومساء او نہارا ولیلا ولعلہا وقعت قریب منزل یمر بہا المرتحل عنہ صباحا والقاصد لہ مساء (افلا تعقلون) افلیس فیکم عقل تعتبرون بہ (وان یونس لمن المرسلین) وقریٔ بکسر النون (اذ ابق) ہرب واصلہ الہرب من السید لکن لما کان ہربہ من قومہ بغیر اذن ربہ حسن اطلاقہ علیہ (الی الفلک المشحون) المملوء (فساہم) فقارع اہلہ (فکان من المدحضین) فصار من المغلوبین بالقرعۃ واصلہ المزلق عن مقام الظفر روی انہ لما وعد قومہ بالعذاب خرج من بینہم قبل ان یأمرہ اللہ فرکب السفینۃ فوقفت فقالوا ہہنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعۃ علیہ فقال انا الآبق ورمی بنفسہ فی الماء (فالتقمہ الحوت) فابتلعہ من اللقمۃ (وہو ملیم) داخل فی الملامۃ اوآت بما یلام علیہ اوملیم لنفسہ وقریٔ بالفتح مبنیا من لیم کمشیب فی مشوب

(فلولا انه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء (فنبذناه) بان حملنا الحوت على لفظه (بالعراء) بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وانبتنا عليه) اى فوقه (شجرة) مظلة عليه (من يقطين) من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره (وارسلناه الى مائة الف) هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم (او يزيدون) فى مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) فصدقوه او فجددوا الايمان به بحضره (فمتعناهم الى حين) الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين اصحاب الشرائع الكبار واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملائكة بنات الله

مثل مسبح لانه من خواص الواو وذكر من قرأ بيانا لانه من اهم شئ كذا مبينا مفعول ومنه [illegible] فهو مسبب وهو مشرق والقياس مشوب ومدعو لانهما من شوب ويدعو (قوله وقيل من المصلين) روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال وهب من العابدين وقال الحسن وما كانت له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا (قوله بان حملنا الحوت على لفظه) يعنى ان اسناد نبذه مجازى من قبيل الاسناد الى السبب الحامل على الفعل (قوله من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه) تفسير لليقطين كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل روى ذلك عن الحسن ومقاتل وقال البغوى المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين فظهر من هذا القول ان بيان الشجرة باليقطين يرد قول من زعم ان الشجر فى كلامهم ما يقوم على ساقه بل الصحيح انه اعم من ذلك وقوله تعالى والنجم والشجر لا دليل فيه وهو من قبيل استعمال اللفظ العام فى احد مفهوماته وقيل انبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له قال الواحدى الآية تقتضى شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين كان معروشا مرفوعا لينتفع بظله اذ لو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به (قوله هم قومه الذين هرب عنهم) فيكون المراد بقوله وارسلناه اليهم قبل الخروج من بينهم بناء على تكذيبهم اياه وقد وعده الله تعالى بانزال العذاب عليهم الى ثلاثة ايام لكفرهم ولا ينافيه ذكر الارسال بعد ذكر خروجه من بطن الحوت لان الواو لمطلق الجمع والمعنى ولكنا ارسلناه الى مائة الف او يزيدون فصدقوه بعد مفارقته اياهم حين جاءهم العذاب فمتعناهم اى فصرفنا عنهم العذاب وابقيناهم الى اجلهم المسمى او المعنى وارسلناه اليهم ثانيا بعد خروجه من بطن الحوت بان قلنا له عد اليهم وكن بينهم وسددهم فعاد اليهم فجددوا الايمان به بحضرته وقد آمنوا حين نزول العذاب او المعنى وارسلناه ثانيا الى قوم آخرين (قوله فى مرأى الناظر) اشارة الى ان كلمة او لتشكيك المخاطبين وابهام الامر عليهم لا للشك من المتكلم لاستحالة الشك على الله تعالى (قوله معطوف على مثله فى اول السورة) اراد به قوله تعالى فاستفتهم أهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل عليه انهم عدوا فصل المعطوف عن المعطوف عليه بجملة واحدة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التراكيب فكيف فصله عنه بجمل كثيرة وقصص متباينة واجيب بان الفصل وان كثر مغتفر فى عطف الجمل اذا كانت الفواصل ملائمة للمعطوف عليه موصولا بعضها ببعض وما فى المثال المذكور من عطف المفرد حيث عطف فيه خبزا على لحما (قوله وساق الكلام فى تقريره الى قوله موصولا بعضها ببعض) اشارة الى ان كثرة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه لا تمنع صحة العطف اذا كان الفاصل بينهما موصولا بالمعطوف عليه بغير واسطة او بواسطة ووجه الاتصال فى الآيات من هذا القبيل يعرف بالتأمل فان قلت عطف الاستفتاء الثانى على الاول يقتضى ان يكون الاستفتاء الثانى مرتبا على خلق السموات والارض كالاستفتاء الاول فما وجهه قلت وجهه ان تلك الاجرام العظيمة كما دلت على قدرته على البعث دلت على تنزيهه تعالى عن اتخاذ الاناث اولادا وعن خلق الملائكة اناثا (قوله ثم امر) كلمة ثم ليست فى موضعها لان المذكور فى النظم الفاء وام فى قوله تعالى ام خلقنا الملائكة جاز ان تكون منقطعة بمعنى بل التى تكون للانتقال من كلام الى كلام آخر وهمزة الاستفهام للانكار التوبيخى بمعنى اخلقنا الملائكة اناثا وهم حاضرون خلقنا اياهم وجاز ان تكون متصلة معادلة للهمزة حيث كانت التى قبلها معادلة للهمزة معها بمعنى اى التى لطلب التعيين كأن المستفهم يدعى ثبوت احد الامرين عنده ويطلب تعيينه منهم قائلا اى هذين الامرين تدعون احدهما ان تثبتوا لرب العالمين ما تستنكفون منه ولكم ما تشتهون وثانيهما ان تكون الملائكة اناثا وانكم حضرتم خلقنا الملائكة فرأيتم انا خلقناهم اناثا فاذا لم يمكنهم تعيين واحد منهما حصل تبكيتهم وظهر بطلان قولهم نقل عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واحياء من العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح قالوا الملائكة بنات الله تعالى وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات ان الملائكة بنات الله وهو باطل وثانيهما انهم اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس السليم واما الخبر الصادق واما نظر العقل وكل ذلك مفقود اما الحس فظاهر اذ لم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد بقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وقوله لم يمكن معرفته بالعقل الصرف فان ثبوت لوازم الماهية لها لما لم يكن مشروطا بخصوصية احد الوجودين وكانت ثابتة لها حال وجودها فى العقل ايضا امكن معرفة ثبوتها لها بالعقل الصرف والانوثة من اللوازم الخارجية فلا يمكن معرفة ثبوتها وعروضها الا بالمشاهدة وكذلك الخبر الصادق لان الذين يخبرون عن هذا

الحكم كذابون افاكون لم يدل على صدقهم دليل وهو المراد بقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فبان نطالبهم بالدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا ما يدل عليها ظهر بطلان مذهبهم وهو المراد بقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين (قوله لاختصاص هذه الطائفة بهما) اى لتفردها بهما وهو تعليل لوجه القصر وقوله حيث جعل المعادل بيان انه تعالى قصر الانكار عليهم وقوله لعدم ما يقتضيه تعليل لكون قولهم ولد الله ناشئا عن الافك وهو صرف الكلام عن الحق الى الباطل (قوله وقرئ ولد الله) باضافة الولد الى الجلالة على انه خبر مبتدأ محذوف حذف للعلم به اى يقولون الملائكة ولده وقرأ العامة ولد الله على ان ولد فعل ماض مسند الى الجلالة اى اتى بالولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا والجمهور على فتح همزة اصطفى على انها همزة استفهام دخلت على الافتعال والمقصود من الاستفهام الانكار والاستبعاد يعنى اتقولون الله اختار البنات على البنين مع نقصانهن ورضى بالاخس الادنى مالكم اى ماذا حملكم على هذا القول بغير حجة مع انه خلاف مقتضى العقل افلا تذكرون ما ركز فى العقول من ان من هو فى اعلى مراتب التنزه عما سواه من سمات العجز والنقصان يستحيل فى شأنه ان يتصف بما نسبتموه اليه حذفت همزة الافتعال استغناء عنها بهمزة الاستفهام فان شأن همزات الوصل سقوطها فى الدرج (قوله او على الاثبات) اى او على ان المقصود منه الاخبار لا الاستفهام وذكر له طريقين اضمار القول او ابداله من ولد الله وعلى التقديرين يكون من كلام الكفرة (قوله ذكرهم باسم جنسهم) مبنى على ما قالوا من اتحاد الجنس بين الجن والملائكة فمن خبث من الجن ومرد وكان شرا فهو شيطان ومن طهر واطاع ربه وكان خيرا فهو ملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولهذا فسر قوله تعالى الا ابليس كان من الجن بقوله اى من الملائكة فهو يجعل الاستثناء فى قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس متصلا ومن قال بان الملائكة بنات الله تعالى اراد به ذلك الحى منهم وقيل هم خزان الجنة وعلى القول بان الجن اسم جنس بمعنى من له الاجتنان عن الابصار وتحته نوعان الملك والشيطان يكون التعبير عن الملائكة بلفظ الجنة ذكرا لهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة اى حطا من درجتهم ان يبلغوا مرتبة ان يكون بينهم و بين الله تعالى نسبة الولادة وان يثبت له تعالى جنسية جامعة بينه و بينهم مثل ان يقال لرجل انه حيوان فانه وضع منه وتنقيص يقال وضع من فلان اذا حط عن درجته واعترض الامام على تفسير الجنة بالملائكة فقال هذا القول عندى مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا والعطف يقتضى كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد بالجنة غير ما تقدم (قوله وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن) اى تزوج منهم قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن اى ساداتهم وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا وروى ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله وابليس اخوان فالله سبحانه هو الاخ الكريم الخير وابليس هو الاخ اللئيم الشرير وهذا مذهب المجوس القائلين بالله الخير واله الشر وعليه فالمراد بالجنة والله اعلم فى قوله وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا هو الشياطين و بالنسب نسب الاخوة وهذه الاية رد وتقبيح لمذهب تلك الطائفة لعنهم الله قال الامام وهو اقرب الاقاويل عندى (قوله ان الكفرة) مبنى على تفسير الجنة بالملائكة اى والحال ان الملائكة عالمون بان الكفرة القائلين بهذه المقالة مبالغة فى تعظيم الملائكة كاذبون معذبون بتلك المقالة والمراد من ايراد هذه الجملة الحالية المبالغة فى تكذيب المشركين بعد ما كذبهم بقوله وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا حيث سماهم بالجنة ووضع من قدرهم فهو على اسلوب قولك ان الذى مدحته وعظمته هو الذى يعلم انك كاذب وهو الذى يسعى فى نكالك وخزيك (قوله او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة) يعنى ان فسرت الجنة بالجن المقابل للانس كما فى قول من قال بالمصاهرة يجوز ان يرجع ضمير انهم الى الانس المعهودين وهم الكفرة القائلون بالمصاهرة اى والحال ان الانس عالمون بان الذين يعظمونهم كاذبون معذبون ويجوز ان يرجع الى الجن اى والحال ان الجن عالمون بان انفسهم يحضرون النار و يعذبون فيها لان فيهم من آمن بالبعث والجزاء والحساب وصدق النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكره فى سورة الجن ولو كان بينهم و بينه تعالى نسب لما عذبهم وكذا ان فسرت الجن بالشياطين يجوز الامران فى ضمير انهم ويكون المعنى كما تقرر فى تفسيرها بالجن (قوله منقطع) ومعناه ولكن المخلصين ناجون وان فسر ضمير انهم بالانس العام كما اشار اليه المصنف يكون الاستثناء

وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم (ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (اصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله (مالكم كيف تحكمون) بما لا يرتضيه عقل (افلا تذكرون) انه منزه عن ذلك (ام لكم سلطان مبين) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته (فأتوا بكتابكم) الذى انزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا) يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان (ولقد علمت الجنة انهم) ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة (لمحضرون) فى العذاب (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب (الا عباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون

منصلا وعلى التقدير بن يكون قوله سبحان الله عما يصفون اعتراضا بين المستثنى والمستثنى منه وان كان استثناء من واو يصفون يكون المعنى لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما يليق به (**قوله تعالى فانكم وما تعبدون**) الواو فيه عاطفة وما موصولة منصوبة المحل عطفا على اسم ان وما انتم عليه ما نافية وانتم اسمها وبفاتنين خبرها وعليه متعلق بفاتنين وضمير عليه لله والجملة صلة من او صفة له وما مع ما اتصل بها فى موضع رفع خبر ان والمعنى فانكم ومعبودكم مفسدون للناس اشارة الى ان الفاتن بمعنى المضل والمفسد وان مفعوله محذوف اى ما انتم بمضلين بسبب اغوائكم احدا بحمله على المعصية والجرأة على الله بمخالفته وعصيانه من قولك فتن فلان على فلان امرأته اذا افسدها عليه وحملها على عصيان زوجها (**قوله ويجوز ان يكون وما تعبدون الى قوله سد امسد الخبر**) معطوف على معنى ماذكره فى تفسير الآية فكأنه قال الواو فى وما تعبدون للعطف وخبر ان جملة ما انتم عليه بفاتنين ويجوز ان يكون بمعنى مع فحينئذ يكون وما تعبدون سادا مسد الخبر ثم ابتدأ جملة اخرى فقال وما انتم على ما تعبدونه بفاتنين فعلى هذا ضمير عليه لما تعبدون وعدى الفاتن بعلى لتضمنه معنى البعث والحمل اى ما انتم باعثين او حاملين احدا على عبادته على طريق الفتنة والاضلال الامن هو ضال مثلكم والجمهور على كسر لام صال واصله صالى على وزن فاعل من صلى فلان النار يصلى صليا اى احترق فاعل كقاض ثم سقط التنوين حال الاضافة وقرئ صال الجحيم بضم اللام وذكر المصنف لها وجوها ثلاثة الاول ان يكون جمع صال واصله صالون حذف نونه للاضافة وواوه لالتقاء الساكنين فحذفها الكاتب من الخط اتباعا للخط على لفظ الوصل وجاز جمعه مع قوله من هو حملا له على معنى من فان من مفرد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه فى آية واحدة منها قوله تعالى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها قوله ومنهم من يستمع اليك ثم قال وجعلنا على قلوبهم ومنها قوله تعالى الا من كان هودا او نصارى حيث افرد فى كان وجمع فى هودا او نصارى والثانى ان اصله صائل كامر ثم قدم لام الكلمة الى موضع عينها فصار صالئ ثم خفف بحذف لام الكلمة بعد قلب المكان فبقيت اللام مضمومة وتجرى وجوه الاعراب على اللام فى الاحوال الثلاث ويقال هذا صال ورأيت صالا ومررت بصال فيصير بحسب اللفظ مثل باب من قولك هذا باب ورأيت بابا ومررت بباب (**قوله على القلب كشاك**) يريد ان صال نظير شاك فى مجرد اعتبار المكان فيهما الا فى بناء الكلمة ايضا فان صال من المعتل اللام كما ذكر وشاك من الاجوف فان اصله شائك ففعل فيه قلب المكان فصار شاكى فاعل كقاض قال الجوهرى فى باب ش و ك الشوكة شدة البأس والحد فى السلاح وقد شاك الرجل يشاك شوكا اى ظهرت شوكته وحدته فهو شائك السلاح وشاكى السلاح ايضا مقلوب منه وقال فى باب ش ك و رجل شاكى السلاح اذا كان ذا شوكة وحدة فى سلاحه قال الاخفش هو مقلوب من شائك انتهى قال الطيبى فكأنه لا اتفاق على كون شاكى مقلوبا والثالث ان اصله صالى وهو مفرد كما فى الوجه الثانى الا انه حذفت لامه استثقالا حذفا منسيا واجرى الاعراب على عين الكلمة وهذا اسهل من الحذف بعد القلب فانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجرون الاعراب على العين ويعضد هذا الوجه قراءة وله الجوار برفع الراء وجنى الجنتين دان برفع النون (**قوله ويحتمل الخ**) معطوف من حيث المعنى على كون جملة قوله الا عباد الله المخلصين استثناء من لمحضرون فان فيه اشارة الى ان الاستثناء من كلام الله اى جملة المستثنى منه وهى قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون من كلام الله تعالى بلا شبهة فيكون ما بينهما من الاعتراض ايضا من كلامه تعالى وكذا قوله فانكم وما تعبدون الخ وذكر ههنا انه يحتمل ان يكون الجميع من كلام الملائكة حتى تتصل حكاية كلامهم بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون فيكون الكلام من هنا الى قوله وانا لنحن المسبحون قصة واحدة كما قررها بقوله كأنه قال الخ (**قوله ثم اعترفوا بالعبودية الخ**) وذلك لانهم اذا اعترفوا بتفاوت مراتبهم فى المعرفة والقربة والمشاهدة وبتفاوت مواضع عبادتهم فى السماء وبتفاوت ما ينتهون اليه من امر الله فى تدبير العالم فقد اعترفوا بانهم عبيده لا بناته المعبودون كما زعمت الكفرة وذلك لان التفاوت لا يكون الا لكونهم عبيدا مأمورين مسخرين لحكم الله تعالى غير ان لكل واحد منهم فى كل باب امرا لا يتجاوزه الا باذن الله (**قوله فحذف الموصوف الخ**) يريد ان تقدير قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ما منا احد الا له مقام معلوم على ان احدا مبتدأ والا له مقام صفة ومنا المتقدم خبر المبتدأ قيل عليه ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان الا له مقام ليس صفة للمبتدأ المحذوف ولا منا خبر له بل الحق ان منا صفة للمبتدأ

(فانكم وما تعبدون) عود الى خطابهم (ما انتم عليه) على الله (بفاتنين) مفسدين الناس بالاغواء (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق فى علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونهم ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قوله ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية (وما منا الا له مقام معلوم) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين يعذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها (وانا لنحن الصافون) فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة

المحذوف وجملة قوله الاله مقام معلوم خبره والتقدير ما احد منا الا له مقام وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح ولا يجوز كون الا له مقام فى موضع الصفة لانهم قد نصوا على ان الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها بذلك فارقت غير اذا كانت صفة لتمكن غير فى الوصف وعدم تمكن الا فيه وعند الكوفيين هو من قبيل حذف الموصول وابقاء الصلة اى وما منا الا من له مقام معلوم (قوله المنزهون الله) قدر مفعول المسبحون لان سوق الكلام للانكار على من يجعل بينهم وبينه تعالى نسبا وذلك يقتضى ان يكون مفعول المسبحون مرادا اى كيف يصح ذلك الجعل وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه نتزهه عما لا يليق به ولم يقدر مفعول الصافين اذ لا دخل لاعتبار تعلقه بمفعوله فى الانكار المذكور بل يتم ذلك بان يقال نحن اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة نصطف فيه على حسب ما امرنا به (قوله وما فى ان واللام الخ) جواب عما يقال الآية تدل على حصر الاصطفاف فى مواقف الطاعة والتسبيح على الملائكة وما اكتفى بذلك الحصر بل اكد ذلك بان واللام فما وجهه مع ان البشر ايضا يصطفون ويسبحون وتقرير الجواب ظاهر (قوله وقيل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين) عطف على قوله حكاية اعتراف الملائكة فيكون مرتبطا بقوله تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يستفتيهم ويسألهم على وجه الانكار والتقريع عن وجه هذه القسمة ثم امره بان يثنى على المؤمنين ويصفهم بالاعمال الصالحة من اداء الصلاة بالجماعات وتسبيح الله تعالى وتنزيهه عن ما اضاف اليه الكفرة مما لا يجوز فى حقه ويبين ان كل واحد منهم له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى يوم القيامة على حسب عمله الصالح تقريعا للكفرة بان لا منزلة لهم عند ربهم لخلوهم عن الطاعة وتوغلهم فى الجهالة (قوله تبارك وتعالى وان كانوا ليقولون) ان هى المخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان والامر اى ان الشان والامر كان كفار مكة ليقولون كذا وكذا واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وفى الاتيان بان المخففة واللام الفارقة دلالة على انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فاكد بين اول امرهم وآخره لما هدد الكفار بقوله فسوف يعلمون اردفه بما يقوى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولقد سبقت كلمتنا ثم فسر الكلمة بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فيجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب ويجوز ان تكون خبر مبتدأ محذوف او عطف بيان لكلمتنا او منصوبة المحل باضمار اعنى اى هى انهم لهم المنصورون او اعنى بالكلمة هذا الكلام الذى حكمه حكم الكلمة المفردة من حيث ان كلماته انتظمت لمعنى واحد كانتظام حروف الكلمة المفردة والحاصل ان كلماته لما اجتمعت وتضامت صارت كانها شئ واحد (قوله وهو باعتبار الغالب) جواب عما يقال ما وجه الحصر المستفاد من هذه الكلمة وقد غلبوا فى بعض الاوقات وتقرير الجواب ان حصر الغلبة والنصرة فيهم مبنى على ان الغالب كونهم منصورين غالبين والحكم للغالب وذلك لان المقتضى بالذات انما هو ذلك وما وقع فى بعض الاحيان من الانهزام انما كان لعارض ادى اليه فان الانهزام من قبيل القضاء المعلق بما يليق بهم كمخالفة امرهم الوالى وطمع الدنيا والعجب والغرور وامثال ذلك ولا شك ان ما وقع لعارض قليل بالنسبة الى ما هو المقتضى بالذات ويمكن ان يقال انهم هم المنصورون فى الدنيا على اعدائهم بكونهم مؤيدين بالحجج القاطعة الدالة على صدقهم وحقية امرهم وانهم هم الغالبون بها عليهم فى الدنيا كما انهم غالبون عليهم فى العقبى بالسعادات الابدية ولا ينافى كون الاستيلاء والغلبة الظاهرة للكفار على ندرة لحكمة اقتضت ذلك (قوله والمراد بالامر الخ) جواب عما يقال ان الامر بابصارهم يقتضى حصول الحالة وقت الامر بالابصار والحالة التى تنالهم حينئذ ليست موجودة وقت الامر بل هى منتظرة بعده فما وجه الامر بابصارهم (قوله وسوف للوعيد لا للتبعيد) كما تقول اصبر سوف ترى حالك تريد به التخويف والوعيد لا التسويف والتبعيد اذا قلته وانت بصدد الايذاء والعقاب فان قلت ان كونها للوعيد لا ينافى كونها للتبعيد مع صحة معنى التبعيد هنا ايضا فان ما قضى له عليه الصلاة والسلام من التأييد والنصرة وثواب الآخرة جاز استبعاده فما معنى قوله لا للتبعيد قلت لما حمل سوف على معنى الوعيد بشهادة المقام تعين ان لا تكون للتبعيد لانها لو كانت للتبعيد لما فهم منها معنى الوعيد لانا لا نقول بعموم المشترك (قوله شبهه بجيش الخ) اشارة الى ان قوله تعالى واذا نزل بساحتهم استعارة تمثيلية شبه حال العذاب النازل بهم بعد ما انذروا به فانكروه بحال جيش انذر بهجومه قومه بعض نصحائهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى اناخ بفنائهم بغتة فاغارهم وقطع دابرهم فان ذلك التعبير حقيقة فى هذه الهيئة المشبه بها فاطلق على الهيئة الاولى مجازا على طريق التمثيل وما نقل عن الفراء من ان العرب تكتفى

(وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعة وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء (وان كانوا ليقولون) اى مشركوا قريش (لو ان عندنا ذكرا من الاولين) كتابا من الكتب التى نزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (فكفروا به) اى لما جاءهم الذكر الذى هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (وابصرهم) على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه قدامه (فسوف يبصرون) ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد (افبعذابنا يستعجلون) روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل (فاذا نزل بساحتهم) فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب

(فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صبح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصروا نهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة اوالاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه على ماحكى في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لاعزة الا له اولمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد (وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) على ماافاض عليهم وعلى مااتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه و يسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذاقام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

(سورة ص مكية وآيها ست اوثمان وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ص) قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه اواضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين

يذكر الساحة عن القوم يدل على ان التصرف في لفظ الساحة وماذكره المصنف ابلغ في افادة التهويل واحسن موقعا في النفوس ثم اشار الى ان ساء فعل ذم بمعنى بئس وان المخصوص بالذم محذوف وهو صباحهم واللام في المنذرين للجنس لاللعهد ليحصل به التفسير بعد الابهام فلوحملت على العهد لايحصل ذلك فان افعال المدح والذم موضوعة للمدح العام والذم العام اي لمدح المخصوص وذمه بجميع محاسن جنس الفاعل وقبائحه وذلك انمايكون بكون الفاعل معرفا بلام الجنس اومضافا الى المعرف بها نحو نعم صاحب القوم زيد (قوله مستعار من صباح الجيش المبيت) اسم فاعل من بيت العدو اذا اوقع بهم ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذافعله نهارا فالجيش المبيت هم الذين ساروا نحو العدو ليلا فوصلوا ديارهم ومنازلهم وقت الصباح فاوقعوا بهم من النهب والغارة ماشاؤا فيه فصباح الجيش المذكور وقت غارتهم فان عادة المغيرين ان يغيروا صباحا فلذلك خص الصباح بالذكر وان لم يتعين ان يكون نزول العذاب بهم في ذلك الوقت ولما تضمن قوله مستعار من صباح الجيش المبيت ان يكون الصباح زمان غارتهم في الاهم الاغلب ايده ونوره بانهم سموا الغارة صباحا وان وقعت وقتا آخر تسمية للشئ باسم زمانه ومحله (قوله تأكيد الى تأكيد) يعني انه كرر قوله فتول عنهم حتى حين على انه تأكيد منضم الى تأكيد فانه ذكر اولا تأكيدا للوعد المذكور بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فان معناه اترك مقالة الكفار ثقة بما وعدناه من اظهار الاسلام على سائر الاديان وغلبة المسلمين فهو تأكيد للوعد السابق وذكره ثانيا تأكيدا الى تأكيد ويحتمل ان يكون معنى كل واحد مما ذكر ثانيا من قوله وتول عنهم حتى حين وقوله وابصر فسوف يبصرون تأكيدا لماذكر اولا بضم احدهما الى الآخر وقوله واطلاق بعد تقييد يعني ان قوله اولا وابصرهم قيد بالمفعول فيكون قوله فسوف يبصرون مقيدا ايضا وان لم يذكر المفعول لدلالة المقام وفي هذه الآية اطلق كل واحد من الفعلين عن التقييد بالمفعول للتعميم (قوله لاختصاصها به) ادخل الباء على المقصور عليه يريد ان الرب بمعنى المالك فمعنى رب العزة صاحبها ومالكها فيفهم من اضافته اليها اختصاصها به وليس المراد ان الاضافة من حيث هي تفيد اختصاص المضاف اليه بالمضاف اذ من الظاهر انه ليس كذلك بل المراد بالعكس (قوله اولمن اعزه) اشارة الى انه يجوز ان يكون المراد بالعزة العزة المخلوقة الكائنة بعض خلقه لا العزة الذاتية الازلية التي هي من صفاته تعالى فيكون المعنى ان العزة الحادثة وان كانت صفة قائمة بغيره تعالى الا انها مملوكة له مختصة به يضعها حيث شاء قال تعالى وتعز من تشاء والعزة هي الغلبة والقوة وهي لاتكون الا بكون القدرة في غاية الكمال كما ان الربوبية لاتكون الا بكمال الحكمة والرحمة المستلزمة للعلم والحياة والمشيئة فقوله رب العزة يندرج فيه جملة صفاته الثبوتية كما يندرج في قوله تعالى سبحان ربك جملة صفاته السلبية لانه تنزيه له تعالى عن جميع مالايليق بالالوهية ومن جملة مايصفونه به ان له شركاء شفعاء عنده فلما قيل عما يصفون نزه عن الشريك وهو اشعار بالتوحيد (قوله ولذلك) اى ولكون النعم المحمود عليها مشتملة على ماانعم الله تعالى به على المرسلين واتباعهم من النصرة على المشركين وكون جند الله هم الغالبين اخره عن التسليم لان المناسب ان يؤخر مايتعلق بالاتباع عمايتعلق بالمتبوع

(سورة ص ثمانون وثماني آيات مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله ص) الجمهور على اسكان الدال لان هذه الحروف التي في اوائل السور في الاصل اسماء لمسمياتها التي هي عنصر كلامهم وبسائطه موضوعة للتهجي مسمياتها اى لتعديدها باسمائها فان التهجي تعداد الحروف باسمائها ويقال للمسميات حروف التهجي لانها تتهجى اى يتعلق بها التعداد باسمائها وحق الاسماء العارية عن العوامل ان تذكر موقوفة الاواخر ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة والمعادلة والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فالواو في والقرآن على هذا بمعنى الباء كما اذا كانت للقسم قال الشيخ ابو علي وليس فيها اكثر من جعل الواو بمنزلة الباء في غير القسم وقرئ ايضا بفتح الدال من غير تنوين وذكر فيه ثلاثة اوجه الاول البناء على الفتح كأين وكيف هربا من اجتماع الساكنين واختار الفتحة لخفتها والثاني ان يكون معربا منصوبا بفعل القسم بعد حذف حرف القسم وجعله نسيا منسيا كما قيل في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا اى من قومه فحذف الجار وجعل كالمنسي واوصل الفعل الى المجرور بنفسه فنصبه فكذا

هنااذا الاصل اقسم او احلف بصاد لحذف الجار نسيا منسيا واضمر فعل القسم ونصب ص كقولهم الله لأفعلن بالنصب وامتنع صرف ص للعلمية والتأنيث بناء على انها علم للسورة والثالث ان يكون علما مجرورا باضمار حرف القسم كما تقول الله لأفعلن بالجر وفتح فى موضع الجر لمنع الصرف والفرق بين الحذف والاضمار ان فى الحذف لايبقى اثر المحذوف فى المعمول بل يكون المحذوف متروكا اصلا فيتعدى الفعل بنفسه الى المعمول كما فى واختار موسى قومه بخلاف الاضمار فان المضمر وان كان متروكا لفظا فانه باق من حيث الاثر كما فى الله لأفعلن بالجر ففى مثالنا على تقدير الحذف والايصال يكون ص منصوبا باقسم نفسه وعلى تقدير الاضمار العمل لحرف الجر المقدر وعمل اقسم فى الجار والمجرور جميعا او فى المجرور ولكن بواسطة الجار المقدر ويجوز ان يكون انتصاب ص على انه مفعول به لفعل مقدر على تأويل اقرأ او اتل ص وان يكون فعلا ماضيا من صاد يصيد ويصاد صيدا على معنى صاد محمد قلوب العباد وقرئ ايضا بالجر والتنوين باضمار حرف القسم كقولهم الله لأفعلن الا انه صرف ونون لكونه اسما للكتاب والتنزيل فليس فيه الا العلمية ويجوز صرفه على تقدير كونه اسما للسورة ايضا مع تحقق العلمية والتأنيث حينئذ لان التأنيث المعنوى انما يكون متحتم التأثير اذا لم يكن ثلاثيا ساكن الوسط كهند وص ولذلك قرئ بالضم من غير تنوين على انه اسم للسورة وهو خبر مبتدأ محذوف اى هذه ص ومنع الصرف للعلمية والتأنيث وحاصل كلام المصنف ان ص اما اسم او فعل من المصاداة وعلى تقدير كونه اسما لايخلو اما ان يكون اسما للحرف او للسورة او يكون اسما من اسماء الله تعالى وفى تفسير الامام النسفى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم باسم من اسماء الله تعالى وعلى تقدير كونه اسما للحرف لايخلو اما ان يكون ذكره للتحدى وتقدمه دلائل الاعجاز بمنزلة قرع العصا للايقاظ والتنبيه كأنه قيل تنبهوا ان ما يتلى عليكم كلام رب العالمين فاسمعوا واطيعوا حكمه فان كنتم فى ريب منه فأتوا بسورة من مثله من كلام مؤلف من جنس ما تألفون منه كلامكم او يكون ذكره لانه يرمز به الى كلام هو جزؤ منه كقوله قلت لها قفى فقالت قاف اى وقفت وعلى تقدير كونه اسما للسورة وكانت تسميتها به تنبيها على اعجازها من حيث انها مركبة من جنس ما هو مادة كلامهم ومع ذلك اعجزتهم معارضتها واتيان مثلها لايخلو اما ان يكون ذكره لانشاء القسم بمسماه او الاخبار بان هذا ص على انه خبر مبتدأ محذوف والمعنى هذه السورة التى اعجزت العرب بكمال بلاغتها وفصاحتها والواو فى قوله تعالى والقرآن للقسم على جميع هذه التقادير الا اذا جعل ص مقسما به على ان يكون اسما للسورة او اسما للحرف ويكون قسما بحرف من حروف المعجم او اسما من اسماء الله تعالى او مفتاح اسمه الصمد او صادق الوعد فان الواو حينئذ تكون للعطف لا للقسم لانهم استكرهوا توارد القسمين على مقسم عليه واحد قبل مضى جواب القسم الاول **(قوله او الامر بالمعادلة)** على التحدى ولم يذكر ما يدل على قوله ان محمدا الصادق على تقدير ان يكون الجواب المحذوف ذلك ولو قال دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة او الرمز الى نحو صدق محمد لكان اولى **(قوله او قوله بل الذين كفروا)** عطف على قوله ما فى ص يريد ان الجواب المحذوف هو قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه حذف لدلالة الاصل عليه فان بل موضوعة لنفى حكم سبق حقيقة او توهما واثبات ما يناقضه فينبغى ان يقدر قبلها ما يناقض كون الكفرة فى تكبر عن قبول الحق وهو انه عليه الصلاة والسلام ليس فيه ما يوجب الكفر به بل هو نبى صادق فيما ادعاه وانما كفر به من كفر لتكبره عن قبول الحق وشقاقه اى خلافه وعداوته له عليه الصلاة والسلام فان بل تقتضى رفع حكم توهم قبلها واثبات ما يناقضه فيكون بل اضرابا عن الجواب المحذوف ان جعل الجواب ما كفر به من كفر الخ **(قوله وعلى الاولين)** اى على ان يكون دليل الجواب ما فى ص من الدلالة على التحدى او من الدلالة على الامر بالمعادلة يكون الاضراب ايضا من الجواب المقدر لكن من حيث اشعاره بذلك الجواب بمعنى قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه وكم فى قوله تعالى كم اهلكنا مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتداء الغاية والمعنى كم اهلكنا من قرن اى من امة من الامم الخالية فنادوا اى استغاثوا عند نزول العذاب وقيل نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة العذاب طلبا للخلاص فلم ينفعهم ذلك لانه كان حالة اليأس **(قوله اى ليس الحين حين مناص)** اشارة الى ان اسم لا المشبهة بليس محذوف وحين مناص منصوب على الخبرية وحجة من جعلها مشبهة بالفعل صحة دخول تاء التأنيث عليها ولا التى لنفى الجنس مشبهة بالحرف وهو ان فلذلك تعمل عملها فلا وجه لدخول التاء عليها وحجة من جعلها نافية للجنس انها كثيرة الاستعمال ولا التى بمعنى ليس

على تأويل الكتاب (والقرآن ذى الذكر) الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف مذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبرا لمحذوف او لفظ الامر او للعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا الصادق او قوله (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا (فنادوا) استغاثة او توبة واستغفارا (ولات حين مناص) اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص

انماتكون في الشعر فوجب ان يحمل ماورد فى القرآن على الشائع الكثير لا على النادر القليل وان كانت نافية للجنس وعامله عمل ان يكون انتصاب حين مناص على انه اسمها ويكون خبرها محذوفا والتقدير ولات حين مناص لهم كما تقول لاغلام سفر لك واعرب اسمها لكونه مضافا وقيل هى نافية للفعل المقدر بعدها وحين مناص منصوب بذلك المقدر اى لات ارى حين مناص لهم بمعنى لست ارى ذلك ومثله لامرحبا بهم ولااهلا ولاسهلا اى لا اتوا مرحبا ولا وطئوا سهلا ولا اهلوا اهلا وقرئ برفع حين على انه اسم لا بمعنى ليس وخبرها محذوف اى لات حين مناص حاصلا لهم وقد اشار الى هذه القرآءة ووجهها سابقا عند بيان ان لا فى لات هى المشبهة بليس بقوله وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين فمن قرأ بنصب حين جعلها محذوفة الاسم ومن قرأ برفعه جعلها محذوفة الخبر وقوله اومبتدأ وجه ثان لقرآءة الرفع وهو مااشار اليه صاحب الكشاف بقوله وعن الاخفش انما ينتصب بعدها منصوب بفعل مقدر ومايرتفع بعدها مرفوع بالابتداء وقوله محذوف الخبر صفة لكل واحد من الاسم والمبتدأ (قوله طلبوا صلحنا) اى طلبوا امنا والحال ان الاوان ليس اوان الصلح فاجبناهم ان ليس الحين حين ابقاء ومسالمة وضع البقاء موضع الابقاء كما يوضع العطاء موضع الاعطاء وقيل جاز ان يحمل على الظاهر على انه كناية عن نفى الابقاء وذكر للقرآءة بكسر حين وجهين الاول ان تجره لات كما ان لولا تجر الضمائر ذكر فى شرح الرضى فى بحث لعل ان لولا الداخله على الضمير المجرور حرف جر لامتعلق لها عند سيبويه فلم لايجوز ان تكون لات حين مناص ولات اوان من هذا القبيل وتمام البيت

أومت بكفيها من الهودج * لولاك هذا العام لم احجج

والثانى يتوقف بيانه على بيان وجه الكسر فى اوان فى البيت المذكور وبيان وجه الكسر فيه يتوقف على بيان كسر اذ فى قوله

جمالك ايها القلب القريح * ستلقى من تحب وتستريح
نهيتك عن طلابك ام عمرو * لعاقبة وانت اذ صحيح

اى الزم تجملك وحياءك لاتجزع جزعا قبيحا فانى قد نهيتك عن مطالبتك اياها وذكرت لك سبب نهيى عنها وهو سوء عاقبة الهوى ووخامتها وانت اذ ذاك اى فى زمان النهى صحيح القلب فلم تقبل نصحى ولم تنته بنهيى فلا حيلة بعده سوى الصبر الجميل ووجه كسر اذ ان اصله اذ ذاك فحذف ذاك ووضع التنوين موضعه فالتقى ساكنان الذال والتنوين فحرك الذال بالكسر لانه الاصل فى تحريك الساكن فصار اذ ووجه كسر اوان ان اصله اوان صلح فحذف منه المضاف اليه ووضع التنوين موضعه ثم كسرت النون المفتوحة وان لم يجتمع ساكنان تشبيها لاوان باذ لانه زمان قطع منه المضاف اليه ونون عوضا عنه كاذ فصار ولات اوان بالكسر والتنوين اذا تقرر هذا فنقول ان حين وان لم يكن مقطوعا عن الاضافة منونا عوضا عنها حتى يشبه فى ذلك باذ فيكسر حملا عليها الا انه لما كان مضافا الى مناص المقطوع عن الاضافة المنون عوضا عنها صار كانه هو المقطوع المنون لتنزيل المضاف والمضاف اليه بمنزلة شئ واحد بسبب الاضافة فلما كان الحين ظرفا منزلا منزلة المقطوع عن الاضافة المنون عوضا ناسب فى ذلك لقوله لات اوان فكسر حملا عليه وهو المراد بقول المصنف ثم حمل عليه مناص اى حمل عليه حين فى ولات حين مناص حيث جعل مكسورا مثله وليس محمولا على ظاهره لانه فى صدد بيان وجه القرآءة بكسر حين ولا كلام فى كسر مناص ولو قال ثم حمل عليه حين تنزيلا له منزلة ما اضيف هو اليه اعنى مناص لكان اظهر واسلم من المسامحة ولعل الوجه فى ارتكابها تأييد تنزيل المضاف والمضاف اليه بمنزلة شئ واحد حتى صح لذلك ان يعبر بكل واحد منهما عن الآخر وقوله ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن مبنى على التنزيل المذكور وذلك لان ضمير اضافته راجع الى الحين وهو ليس بمضاف الى غير المتمكن وهو الضمير بل المضاف اليه انما هو مناص فجعل اضافة المناص الى الضمير بمنزلة اضافة الحين اليه بناء على ذلك التنزيل ولما بين وجه كسر حين على وجه ظهر انها ليست بسبب اقتضاء العامل اياها بل كانت كسرة بنائية تعرض لوجه بنائه بقوله ثم بنى الحين الخ فان قيل لما جعل حين بمنزلة المقطوع عن الاضافة كفى ذلك فى بنائه كما ذكر فى بناء قبل وبعد فاى حاجة الى اعتبار كونه مضافا الى غير متمكن فى وجه بنائه قلنا انما يكفى فى بناء الاسم كونه مقطوعا عنها حقيقة مثل قبل وبعد واما كونه بمنزلة المقطوع عنها بناء على اتحاده بما هو مقطوع عنها بوجه ما فلا يكفى ذلك فى كونه سببا للبناء وان كفى فى مناسبته باوان فلذلك احتيج فى بنائه الى اعتبار

وقرئ بالرفع على انه اسم لا اومبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم اولا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات اوان * فاجبنا ان لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله * لولاك هذا العام لم احجج * اولان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن

اضافته الى غير المتمكن اى الى غير المعرب وفى شرح الرضى ومعنى التمكن كون الاسم معربا وما قيل من ان الاضافة الى الضمير لاتوجب البناء كما فى غلامك وغلامه يمكن دفعه بان يقال سلمنا انها لاتوجب البناء الا انه لا يلزم منه ان لاتكون مجوزة له فان مناسبة المبنى تجوز البناء لكن يرد على ماقيل من ان مناص اذا لم يبن مع كونه مقطوعا عن الاضافة الى غير المتمكن واجتماع الامرين فيه فلان لايبنى الحين مع بعده عن غير التمكن وعدم كونه مقطوعا عن الاضافة حقيقة اولى (قوله ولات بالكسر) يعنى ان الاكثر تحريك لات بالفتح حال الوصل وقرئ بكسرها كجير واما حال الوقف فمنهم من يقف كما يقف على الاسماء المؤنثة ومنهم من يقف كما يقف على الفعل الذى يتصل به تاء التأنيث (قوله ولايرد عليه) اشارة الى ماذكره صاحب الكشاف من ان اتصال التاء بحين فى مصحف عثمان رضى الله عنه لايدل على زيادتها على حين لانه كم وجد فى المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط فلعل هذا من جملتها اجاب عنه المصنف بانه امام المصاحف فالاصل اعتبار خطه والمتابعة له الافيما قام الدليل على مخالفته مثل ان يوصل فيه الحرف ويدل الدليل على قطعه او يقطع ويقوم الدليل على وصله فاذا ثبت هنا ان التاء كتبت موصولة تحكم بكونها مزيدة عليه اذ لادليل على خلافه لجواز ان يكون حين وتحين لغتين بمعنى ويدل عليه قوله العاطفون تحين لامن عاطف اى حين لامن عاطف (قوله والمناص المنجى) اى موضع النجاة والفوت عن الخصم على انه مفعل من ناصه ينوصه اذا فاته اريد به المصدر ويقال ناص ينوص اى هرب ويقال ايضا ناص ينوص اى تأخر ومنه ناص عن قرنه اى تأخر عنه جبنا والذى يفهم من تفسير المصنف ان قوله تعالى فنادوا لم يعتبر تعلقه بالمفعول بل المعنى انهم فعلوا النداء على طريق الاستغاثة او التوبة لطلب النجاة والخلاص من العذاب والحال ان ليس الحين حين النجاة وقال الكلبى كانوا اذا قاتلوا فاضطروا نادى بعضهم لبعض مناص اى عليكم بالفرار فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص قال القشيرى فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة مابعده عليه وقيل فيكون قد حذف المفعول وهو بعض ماينادون به وهو مناص والتقدير فنادوا بعضهم بهذا اللفظ (قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر) اى لان او من ان جاءهم لما حكى الله تعالى عن الكفار كونهم فى عزة وشقاق اتبعهم بذكر كلماتهم الفاسدة فانهم قالوا ان محمدا مساوى لنا فى الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل انه يختص من بيننا بهذا المنصب العالى فنسبوه الى السحر والكذب ثم تعجبوا من دعوته الى التوحيد بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا فان الاستفهام فيه بمعنى التعجب ولهذا قالوا ان هذا لشئ عجاب وآلها مفعول ثان لجعل لانه بمعنى صير اى صيرهم الها واحدا فى قوله وزعمه لان ذلك فى العقل محال اذ لايقدر احد ان يجعل الجماعة انسانا واحدا مثلا (قوله بليغ فى العجب) فان العجاب بمعنى العجيب وهو الامر الذى يتعجب منه الا ان العجاب ابلغ منه والعجاب بالتشديد ابلغ من العجاب بالتخفيف كان الكرام مشددا ابلغ من المخفف (قوله ولا تمل كل الميل عليهم) اى لاتظلمهم يقال مال عليه اذا ظلمه (قوله ويدين لكم) اى يطيعكم الدين الطاعة ودان له اى اطاعه (قوله قالوا نعم وعشرا) وعد منهم باعطاء تلك الكلمة بشرط ان يتركهم ولايلزمهم العدول عما يدينون ويترك ذكر آلهتهم وقوله عليه الصلاة والسلام قولوا لا اله الا الله الزام باعطاء ماوعدوه قبل ان يتحقق منه الترك لان الامر والالزام ينافى الترك فكيف يصح ان يطلب منهم انجاز ماوعدوه مع الالزام عليهم والجواب ان مقصوده صلى الله عليه وسلم عرض الكلمة التى يطلبها منهم بعد تركهم وآلهتهم لا الالزام فى الحال فان قيل ماوجه قوله عليه الصلاة والسلام ان اعطيتكم ماسألتم من ترك ذكر آلهتكم مع ان اعطاء هذا المسؤل اياهم يستلزم ترك ذكر كلمة التوحيد لانها ذكر لآلهتهم بالنفى وهذه الكلمة لايصح تركها قلنا لعله عليه الصلاة والسلام اضمر ان لايذكر آلهتهم بصريح اسمائهم (قوله وانطلق اشراف قريش) اشارة الى ان الملأ الاشراف لامطلق الجماعة كما فى الصحاح ويقال للاشراف ملأ لانهم اذا حضروا المجلس املأت العيون من وجاهتهم والقلوب من مهابتهم والتبكيت اسكات الخصم فصاحة والزامه بالحجة (قوله قائلين بعضهم لبعض امشوا) بيان لحاصل المعنى لا تقدير لكون ان مفسرة لمعمول صريح القول المقدر فانه خلاف المشهور فلذلك لم يأت بأن فيه (قوله يشعر بالقول) فان أن المفسرة لا تفسر الا مفعولا مقدر اللفظ دال على معنى القول كقوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم فان ناديناه دال على ان يا ابراهيم مفسر لمفعول مقدر للفظ دال على معنى القول وذلك اللفظ هو ناديناه وقد يفسر به المفعول الظاهر

ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ولايرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الافيما خصه الدليل ولقوله * العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون زمان ما من مطعم * والمناص المنجى من ناصه ينوصه اذا فاته (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) بشر مثلهم اوامى من عدادهم (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقول على الله تعالى (أجعل الآلهة الها واحدا) بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد (ان هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا ومانشاهده من ان الواحد لايفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام وروى انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا اباطالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ماسألتم أمعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعد مابكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان امشوا) قائلين بعضهم لبعض امشوا (واصبروا) واثبتوا (على آلهتكم) على عبادتها فلاينفعكم مكالمته وان هى المفسرة لان الانطلاق

من مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا (ان هذا لشئ يراد) ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له اوان هذا الذى يدعيه من التوحيد اويقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى اويريده كل احد اوان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه (ماسمعنا بهذا) بالذى يقوله (فى الملة الاخرة) فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا اوفى ملة عيسى عليه السلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ماسمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه (ءانزل عليه الذكر من بيننا) انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم اودون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن اوالوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم مايبنون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لايصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه (ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لايغلب الوهاب الذى له ان يهب كل مايشاء لمن يشاء

كقوله تعالى اذ اوحينا الى امك مايوحى ان اقذفيه فى التابوت والمختار انه لايجوز ان يفسر به مفعول صريح القول ظاهرا كان اومقدرا روى عن الزمخشرى انه قال واما فعل القول فيجئ بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لايقال قلت له ان قم وذلك لان التفسير يقتضى سبق المبهم ليوضحه المفسر و بين ان المراد به ماعو ولافائدة فى تقدير مقول القول مبهما ثم تفسيره بنفس المقول بما يتعدى اليه فعل القول اولا فيقال قلت له قم مثلا وقد جوز بعضهم ذلك مستند القوله تعالى ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله وجعل قوله ان اعبدوا الله تفسير الما فى قوله ماامرتنى وما مفعول ظاهر لامرتنى الذى فيه معنى القول ولا استدلال بالمحتمل وتمثيل المجوز لتفسيره لمفعول صريح القول بقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا فقال التقدير قائلا بعضهم لبعض ان امشوا واجيب بان صريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول فى عدم الظهور او بان انطلق متضمن معنى القول لان المنطلقين من مجلس يتذاكرون ماجرى فيه ويتكلمون به وحاصل الجواب الثانى منع كونه تفسير الصريح القول المقدر ببيان انه تفسير لمفعول انطلق باعتبار تضمنه معنى القول ويرد عليه ان تضمن انطلق معنى التقاول بماجرى فى ذلك المجلس لادخل له فى كون ان هذه مفسرة لمفعول انطلق وانمايكون ذلك ان لو كان مدخول ان ماجرى بينهم فى المجلس وليس كذلك وسكت المصنف عن تقدير قول المنطلقين بماجرى فى المجلس لئلا يرد عليه ماذكر ولانه لامدخل له فى هذا الغرض اصلا ولا هو لازم للانطلاق عن مجلس التقاول قطعا وانما اللازم بحسب العادة المألوفة ان ينطلقوا متقاولين غير ساكتين فلذلك كان ذلك مشعرا بالقول ومؤديا معناه مثل الامر فى قولك امرتك ان قم فقوله قائلين بعضهم لبعض تصريح بما اشعر به انطلق وبيان لحاصل المعنى لاتقدير للقول ليكون ان امشوا تفسيرا لمفعوله على خلاف المختار وقوله وقيل المراد عطف على قوله لان الانطلاق على انه وجه ثان لكون انطلق دالا على معنى القول مؤديا معناه وتقريره ان ليس المراد بقوله وانطلق الملأ منهم ذهبوا عن مجلس التقاول بل انهم اندفعوا اى خاضوا وشرعوا فى القول وهم حاضرون فى ذلك المجلس فقالوا امشوا اى اكثروا واجتمعوا فان مفسرة له من غير ارتكاب تضمين الجوهرى مشت المرأة تمشى مشاء بالمد اذا كثر ولدها ومشت الشاة اذا كثر نسلها وناقة ماشية كثيرة الاولاد فقولهم امشوا اما دعاء لهم بالكثرة والازدياد اوامر بالاجتماع والاتفاق (قوله وقرئ بغير ان) اى وانطلق الملأ منهم امشوا على اضمار القول اى قائلين امشوا بخلاف مااذا قرئ بان فالقول حينئذ ليس بمقدر بل يشعر به انطلق كامر (قوله فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا) اى يحتمل ان يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش ودينهم الذى هم عليه فانها متأخرة عما تقدم عليها من الاديان والملل ويحتمل ان يراد بها ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التى هى آخر الملل من اهل الكتاب وعلى التقديرين يكون فى الملة ظرفا لغوا لسمعنا ويجوز ان يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف على انه حال من اسم الاشارة والملة الآخرة بمعنى الملة المترقبة اى ماسمعنا ان نتخذ مثل هذا يعنون به توحيد الله تعالى كائنا فى الملة المترقبة (قوله وليس فى عقيدتهم الخ) اشارة الى ان بل هم فى شك اضراب عن انكارهم صدق النبى صلى الله عليه وسلم وكون القرآن من عند الله على سبيل البت والقطع بقولهم هذا ساحر كذاب وان هذا الا اختلاق اخيرا ولانهم يقطعون فى انكار الامرين ثم اضرب عنه وابطل كون ذينك القولين منهم عن اعتقاد وصميم قلب ببيان انهم شاكون مترددون فى حقية القرآن وصدق النبى صلى الله عليه وسلم فحين نظروا الى نظم القرآن واعجازه والى كون النبى صلى الله عليه وسلم مؤيدا بالمعجزات الباهرة قالوا بحقيتهما وحين نظروا الى لزوم كونهم تابعين بعدما صاروا رؤساء متبوعين وعسر عليهم الخروج من تقليد الآباء وترك العادات المألوفة قالوا ببطلانهما لكن لاعلى طريق الجزم وماوقع منهم من صورة البت والقطع فى بطلان امرهما انما حملهم على ذلك توغلهم فى الحسد لا انهم يعتقدون ذلك ويقطعون به لقوله تعالى بل هم فى شك من ذكرى ثم اضرب عن كونهم على الشك ببيان انهم لايستمرون عليه وانمايشكون الى ان يمسهم العذاب ودل على ماقلنا من ان قوله بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن قوله بل هم فى شك من ذكرى قول المصنف فاذا ذاقوه زال عنهم شكهم والانسب ان يكون اضرابا عن مجموع الجملتين السابقتين المبنية احداهما على حسدهم والاخرى على شكهم وهما ان هذا الا اختلاق و بل هم فى شك وقوله ءانزل عليه الذكر من بيننا تأكيد وبيان لقوله ان هذا الا اختلاق كما فى الكشاف حيث قال فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد فانه لوجعل الاضراب من قوله بل هم فى شك من ذكرى وحده لم يكن لذكر الحسد هنا معنى (قوله بل أعندهم خزائن رحمته) اشارة

الى ان ام منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام الانكارى فهو اضراب عن الكلام الاول باسلوب مغاير لاسلوب ماسبق عليه من الاضراب فانهم لما حسدوا النبى صلى الله عليه وسلم ما آتاه الله تعالى من فضل النبوة بقولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا وحكى الله تعالى ذلك عنهم اضرب عن الحكاية اى انتقل منها الى انكار ان تكون خزآئن الرحمة فى تصرفهم يقسمونها على من ارادوا واشار باضافة خزآئن الرحمة الى الرب العزيز الوهاب الى اختصاصها به تعالى وانه هو المتصرف فيها ووصف نفسه بالعزة وهى الغلبة والقهر ردا لزعمهم انهم احقاء بالنبوة منه صلى الله عليه وسلم لشرفهم وثروتهم يريد ان القاهر على خلقه المتصرف فى خزآئن رحمته كيف يشاء ليس لاحد ان يمنعه من ذلك يهب لمن يشاء مايشاء ومعنى المبالغة فى صيغة الوهاب الاشارة الى خطر الموهبة وعظم قدرها وهى النبوة وفى جعلها رحمة موهوبة دلالة على انها ليست بمكتسبة بل هى موهوبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده (قوله ثم رشح ذلك) اى ربى ما افاده قوله ام عندهم خزآئن رحمة ربك نفيا واثباتا بقوله ام لهم الآية فان نفى ملك هذا العالم الجسمانى مع انه بعض خزآئن تدبيرى يقوى انتفاء ملك جميع خزآئنه عنهم بلا شبهة (قوله اى ان كان لهم ذلك) لما برزوا فى صورة من له ملك السموات والارض وتعلقوا بما يتعلق به من تدبير الخلائق وقسمة الرحمة بينهم واشعروا بان عندهم من الحكمة ما يميزون به بين من هو حقيق باعطاء النبوة وبين من لا يليق بها قيل لهم على طريق التهكم البليغ ان كان كذلك كما زعموا فليصعدوا فى اسباب الارتقاء الى العرش عن مجاهد وقتادة انه اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وكل ما يوصلك الى شئ من باب اوطريق فهو سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز (قوله وقيل المراد بالاسباب السموات) استدل حكماء الاسلام بهذه الآية على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلى لانه تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ماذكرنا (قوله اى هم جند من الكفار) اشارة الى ان جند خبر مبتدأ محذوف ومن الاحزاب صفة ومهزوم خبر ثان له وهنالك صفة اخرى لجند وقيل هو ظرف لمهزوم واشارة الى ان الموضع الذى تقاولوا اوتكلموا بالكلمات السابقة فيه هو مكة والمعنى انهم جند من جملة الكفار الذين تحزبوا وتجمعوا على الرسل بالتكذيب سيصيرون منهزمين فى الموضع الذى ذكروا فيه هذه الكلمات اى سيهزمون بمكة وقيل هنالك اشارة الى بدر ومصارعهم وقيل الى يوم الخندق ومعنى الآية على تقدير ان يكون هنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم ان هؤلاء الحمقى الذين وضعوا انفسهم فيما هم ليسوا من اهله اى فى مرتبة ان يقولوا ءانزل عليه الذكر من بيننا وهو قول عظيم لاستلزامه الاعتراض على الله تعالى وهو لا يليق باحد من خلقه تراهم عن قريب منهزمين فمن اين لهم التدابير الالهية اوفلا تكثرت بما يقولون ولا تبال بهم (قوله وقيل للتعظيم) لان ما المزيدة تستعمل تارة للتحقير كما فى قوله تعالى مثلا ما بعوضة وتارة للتعظيم كما فى قوله وحديث ما على قصره * اى حديث عظيم على قصره ثم ان معنى التعظيم لما لم يكن مناسبا للمقام ومحصول الكلام حمله على الهزء والتهكم ثم قال وهو لا يلائم ما بعده اى جعلها مزيدة للتعظيم على سبيل الهزء لا يلائم قوله مهزوم من الاحزاب وانما الملائم له جعلها للتقليل (قوله من الانتداب) بيان لقوله حيث وضعوا فيه انفسهم الجوهرى ندبه لامر فانتدب له اى دعاه له فاجاب وقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

يقال غنى بالمكان اى اقام وغنى اى عاش وقبله

ماذا اؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وآل اياد

جرت الرياح على مقر ديارهم * فكانهم كانوا على ميعاد

وفى الصحاح و بعد اياد بدل وآل اياد والاياد التراب الذى يجعل حول الحوض اوالحيطان يتقوى به او يمنع به ماء المطر (قوله مأخوذ من ثبت البيت المطنب باوتاده) يريد ان اصل ذو الاوتاد ان يستعمل فى ثبات الخيمة بان تشد اطنابها على اوتاد مركوزة فى الارض فان اطنابها اذا شدت عليها كانت ثابتة فلا تقلبها الريح على الارض ولا تؤثر فيها ثم استعير لثبات العز والملك وفرعون الذى ثبت ملكه واستحكم بالاوتاد شبه ملكه بالبيت المطنب استعارة بالكناية واثبت له الاوتاد تخييلا وان اريد بالاوتاد جنوده تكون استعارة تصريحية (قوله نصب اربع سوار) فتكون الاوتاد حقيقة لا استعارة والسوارى جمع سارية وهى الاسطوانة والظاهر ان عادا ومن بعده معطوف على قوم نوح واولئك الاحزاب جملة مستأنفة لامحل لها والمعنى ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم

ثم رشح ذلك فقال (ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما) كانه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزآئن رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزآئنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) اى هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية اوفلا تكثرت بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد

مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده اوذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت (وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة) واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب (اولئك الاحزاب) يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم

فاهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الاحزاب اى اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم اذا كانت عاقبتهم هى الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين واولئك اشارة الى قوم نوح وعاد الخ واللام فى الاحزاب للعهد والمعهود هو الاحزاب المذكور فى قوله من الاحزاب يعنى ان قوم نوح وعاد الى آخر المذكورين هم الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم اى داخلا فى جنسهم ومعدودا فى عداد آحاد ذلك الجنس فالمقصود بقوله اولئك الاحزاب بيان ما اجمل فى قوله من الاحزاب ووجه كون التكذيب المسند اليهم مبهما انه لم يصرح اولا بانهم كذبوا الرسل ام غيرهم ولم يبين ان كل حزب كذبوا الرسل كلهم او بعض الرسل وهو الذى ارسل اليهم فقوله ان كل الاكذب الرسل ازال ذلك الابهام وبين ان كل واحد منهم كذب جميع الرسل ولما ورد على هذا البيان انه معلوم ان كل واحد من المكذبين انما كذبوا رسولهم ولم يتعد تكذيبهم الى غيره اجاب عنه المصنف بوجهين الاول انه من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى انقسام الآحاد على الاحاد اى كذب كل واحد منهم الرسول المبعوث اليه كما فى قولك القوم ركبوا دوابهم والثانى انه اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا من حيث ان الجميع فى حكم الرسول الواحد نظرا الى اتحاد المرسل والمرسل (**قوله** مشتمل على انواع من التأكيد) منها مجرد تكرير التكذيب ومنها ايضا احد بعد ابهامه ومنها نوع تكرير حيث اخبر اولا بتكذيبهم بما يدل على وصف زائد على مجرد الاخبار بالتكذيب ثم اخبر به على طريق النفى والاستثناء ومنها ما فى الجملة الاستثنائية من اثبات التكذيب على وجه التأكيد والتخصيص فان كلمة كل تفيد التأكيد وان النافية تفيد الحصر والتخصيص فلما كذب كل واحد من هؤلاء الاحزاب الرسل اشد التكذيب وابلغه استحقوا العذاب فحق عقاب اى استوجبوا ذلك فوجب اذا عقابهم كذب قوم نوح نوحا والرسل بشهادة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاهلكوا بالطوفان وعاد هودا فاهلكوا بالريح وفرعون موسى فاهلك ومن معه بالغرق وثمود صالحا فاهلكوا بالصيحة وقوم لوط لوطا فاهلكوا بالخسف ومدين شعيبا فاهلكوا بعذاب يوم الظلة (**قوله** فانهم كالحضور) اى حاضرون على انه جمع حاضر كقعود وقاعد يعنى ان الاصل فى اسم الاشارة ان يشار به الى مشاهد محسوس فان اشير به الى غيره فذلك انما يكون لتنزيله منزلة الشاهد وجميع الاحزاب من اهل مكة والاحزاب المذكورين فى قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ وان كانوا غائبين لكن يجوز تنزيلهم منزلة المشاهد لكونهم حاضرين مميزين فى الذهن بسبب الذكر اللفظى ولما جعلوا حاضرين صح قوله وما ينظر هؤلاء بلفظ الحال ولما قال فحق عقاب بين ان هؤلاء المكذبين وان لم يعذبوا فى الدنيا او لم يتم عذابهم بما اصابهم فيها فهو كانه واقع بهم لغاية قربه منهم لقرب زمان وقوعه وهو يوم القيامة فانها فى غاية القرب منهم فلذلك جعلوا منتظرين لها كالرجل الذى ينتظر الشئ ويمد طرفه اليه يترقب فى كل آن حضوره (**قوله** من توقف مقدار فواق) فان الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل مقدارا ما ثم تحلب فما بين الحلبتين من الزمان يسمى فواقا فان فسر الفواق فى الاية بهذا المعنى احتيج الى تقدير مضاف الى الفواق يكون ذلك المضاف صفة لمقدر والمعنى وما ينتظر هؤلاء الا صيحة واحدة موصوفة بانها اذا جاء وقتها لا يتوقف ولا يتأخر زمان ما بين الحلبتين وان فسر بالرجوع والترداد على ان يكون الفواق من افاقة المريض وهى رجوعه الى الصحة كالجواب فى الاجابة فلا حاجة حينئذ الى الحذف والتقدير فيكون ما لها من فواق صفة مؤكدة لوحدة الصيحة والمعنى انها صيحة واحدة بحيث لا تثنى ولا تردد بان لا يتخلل بينها انقطاع وسكون ويقال لكل من بقى على حالة واحدة انه لا يفيق منها ولا يستفيق واذا رجع الى الحالة الاولى يقال افاق واستفاق (**قوله** فان فيه يرجع اللبن الى الضرع) اشارة الى ان الفواق بالمعنى الاول وهو ما بين الحلبتين من الزمان فيه معنى الرجوع ايضا من حيث انه اسم للزمان الذى يرجع فيه اللبن الى الضرع (**قوله** وهو من قطه) يعنى ان القط المفسر بالقسط النصيب من الشئ مأخوذ من قطه بمعنى قطعه لان القط من الشئ قطعة منه حكى الله تعالى عن الكفار ثلاث جهالات الاولى تعجبهم من امر النبوة واثباتها وحكاه بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر الآية والثانية تعجبهم من التوحيد بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا والثالثة استهزاؤهم بالحشر والحساب والجزاء بقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون (**قوله** واذكر لهم قصته) مبنى على ان يراد بقوله اذكر الذكر اللسانى وقوله او تذكر قصته مبنى على ان يراد به التذكير القلبى الجوهرى ذكرت الشئ بعد النسيان تذكرته وذكرته بلسانى وداود بدل من العبد او عطف بيان له وذا الايد صفة له وأيد صفة مشبهة من آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد

ان كل الاكذب الرسل) بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه (فحق عقاب) وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله تعالى (الا صيحة واحدة) وهى النفخة (ما لها من فواق) من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها (قبل يوم الحساب) استعجلوا ذلك استهزاء (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود) واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال (ذا الايد) ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد وأياد بمعنى

وقوى وذوالايد بمعنى الايد (قوله دليل على ان المراد به القوة فى الدين) والعبادة لافى البدن وجه دلالة التعليل به على ذلك مع ان كونه ذا الايد يجوز ان يكون لقوة بدنه قال تعالى وألنا له الحديد انه لما علل ذلك بقوله انه اواب اى رجاع الى مرضاة الله تعالى علم ان المراد بالقوة القوة فى الدين لافى البدن لان كونه رجاعا اليها لايستلزم كونه قوى البدن فان قلت كما ان القوة مطلقة تحتاج فى تقييدها وتخصيصها الى دليل كذلك الاواب فانه بمعنى الرجاع مطلقا فلابد من تخصيصه وحمله على معنى الرجاع الى مرضاة الله تعالى من دليل مخصص قلت نعم ان مفهوم الاواب مطلق ايضا لكن اذا اسند الى انبياء الله تعالى او اوليائه يفهم منه بحسب العرف الرجوع الى طاعته ومرضاة الله تعالى ولايتبادر الذهن الا الى هذا المعنى (قوله قدمر تفسيره) اى فى سورة الانبياء فى تفسير قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اى تقدسن الله تعالى اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلقه الله تعالى فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير كأن قائلا قال كيف سخرن فقال يسبحن ومعه متعلقة بسخرنا او بيسبحن اى سخرنا الجبال كائنة مع داود يسبحن مع داود اذا سبح اى كلما سبح داود سبح معه الجبال والطير وقال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا وهى تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقد ذكر فى كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق فى جسم الجبال حياة وعقلا وقدرة ونطقا فحينئذ تسبح الله تعالى كما تسبحه الاحياء العقلاء والثانى قول القفال ان داود عليه الصلاة والسلام اوتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له فى الجبال دوى حسن وما يصغى الطير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحا روى محمد بن اسحق ان الله لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش يأخذ باعناقها وهى مصغية الى صوته والثالث ان يسبحن بمعنى يسبحن من السباحة وهى السير والتقلب شدد للتكثير اذ روى ان الله سخر الجبال حتى انها كانت تسير معه حيث ما سار وقيل لما سارت الجبال معه بتسيير الله تعالى اياها وكان ذلك سببا حاملا لمن رآها كذلك على التسبيح تعجبا اسند التسبيح اليها مجازا (قوله ويسبحن حال وضع موضع مسبحات) فان قوله تعالى ان سخرنا الجبال اخبار عما مضى فالمناسب بحسب الظاهر ان يقال مسبحات ولكنه عدل عنه الى يسبحن لحكاية الحال الماضية واستحضارها فى نظر السامع حتى يشاهد حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ ويتعجب من القدرة الربانية (قوله وعن امهانى) الطيبى عن البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الرحمن قال ما حدثنا احد انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى غير ام هانى فانها قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمانى ركعات ثم قال يا ام هانى هذه صلاة الاشراق (قوله تعالى والطير محشورة) الجمهور على نصبهما على ان الطير معطوف على الجبال ومحشورة على يسبحن اى وسخرنا له الطير مجموعة اليه من كل ناحية ولم يراع المطابقة بين الحالين اى لم يقل والطير يحشرن بلفظ الفعل ليطابق قوله يسبحن لان الاصل فى الموضعين ان يؤتى بهما على لفظ الاسم ليطابق قوله سخرنا الا انه عدل فى التسبيح الى لفظ المضارع للدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وهذه الدلالة غير مقصودة فى الحشر جئ به على لفظ الاسم على الاصل وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن لدل على ان الحشر يوجد من حاشرها شيأ فشيأ والحاشر هو الله ولا نكتة فى اعتبار التدريج لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (قوله لاجل تسبيحه) اشارة الى ان ضميرله راجع الى داود بحذف المضاف والى ان هذه الجملة الاسمية كما تدل على موافقتهما لداود فى التسبيح تدل ايضا على دوام موافقتهما له فيه وثباتهما عليه لان اواب صيغة مبالغة وهى انما تكون بالدوام والثبات على التسبيح بخلاف قوله يسبحن معه فانه انما يدل على مجرد الموافقة ثم ذكر انه يجوز ان يكون ضميرله راجعا الى الله تعالى وان الاواب كناية عن المسبح المكرر للتسبيح والمكثر له على ان بناء المرجع للتكثير والمبالغة حيث ذكر الاواب وهو كثير الرجوع الى التسبيح بشهادة المقام واراد ملزومه وهو المرجع للتسبيح المكثر له لان المرجع للشئ رجاع اليه يفعله مرة بعد اخرى ويرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع (قوله وكثرة الجنود) روى البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل وفى الكشاف قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف رجل مستلئم يحرسونه والمراد بالمحراب الغرفة والمستلئم لابس اللأمة وهى الدرع والغيلة اسم من الاغتيال الجوهرى الغيلة ان يخدع صاحبه

(انه اواب) رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) قدمر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال (بالعشى والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها وطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى انه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية (والطير محشورة) اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر (كل له اواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها اوكل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح (وشددنا ملكه) وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته

(وآتيناه الحكمة) النبوة او كمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع (اذ تسوروا المحراب) اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد أتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ فى (اذ دخلوا على داود) بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم الخلوة (قالوا لا تخف خصمان) نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسطه وهو العدل (ان هذا اخى) بالدين او بالصحبة (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولى

ويذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله (قوله الحكمة النبوة) بها فسرها ابن عباس وهى فى عرف الحكماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة الافعال الفاضلة على قدر الطاقة البشرية (قوله وفصل الخطاب) مبنى على ان يكون بمعنى القطع وهو التمييز بين الشيئين وان الخطاب بمعنى تخاطب الخصمين وان تمييز تخاطبهما عبارة عن تمييز ما هو الحق من الخطابين عما هو باطل منهما وقوله او الكلام المخص اشارة الى ان فصل الخطاب بمعنى الخطاب المفصول اى الكلام المبين الذى لا التباس فيه على ان الفصل بمعنى المفصول وهو ضد الكلام الملتبس المختلط الذى لا يبين فيه المراد (قوله يراعى فيه) بدل او عطف بيان من قوله ينبه المخاطب على المقصود (قوله فصل لا نزر ولا هذر) اى وسط لا قليل ولا كثير فان قوله لا نزر ولا هذر صفتان كاشفتان للفصل وقيل هما صفتان مستقلتان بان يكون الفصل بمعنى الفاصل والنزر القليل التافه وقد نزر الشئ بالضم ينزر نزارة اذا قل والهذر الكثير يقال هذر كلامه كفرح اذا كثر فى الخطأ والباطل والاسم منه الهذر بالتحريك وهو الهذيان اى فصل بين الحق والباطل ومع هذا لا نزر ولا هذر بكسر الذال يقال رجل هذر بكسر الذال وهذرة على مثل ثمرة وهذار ومهذار اى كثير الكلام (قوله استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه) فان القصة ان كانت معلومة واستفهم عنها يكون الاستفهام للحث والتحريض على اشاعتها واعلام الناس بها اى كأنك ما علمتها حيث تخفيها ولا تؤدى حقها من الاشاعة وان لم تكن معلومة يكون الاستفهام عنها للتعنيف واللوم على التقاعد عن استعلامها وللتشويق الى استماعها لكونها من الانباء العجيبة التى حقها ان تسمع ولا تخفى على احد (قوله والخصم فى الاصل مصدر) جواب عما يقال ان الخصم هنا الجماعة لقوله اذ تسوروا واذ دخلوا ففزع منهم قالوا فالظاهر ان يقال نبأ الخصماء اذ قيل كانت الجماعة جبرائيل وميكائيل بمن معهما على صورة المدعى والمدعى عليه والشهود والمزكين فاجاب بانه مصدر خصمه خصما مثل ضافه ضيفا فصح لذلك اطلاقهما على الجماعة قال تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين (قوله اذ تسوروا) اى صعدوا حائط المحراب ونزلوا اليه من فوق فان السور هو الحائط المرتفع والتسور تصعد السور وتعليه كما يقال تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روى ان الله تعالى بعث اليه جبرائيل وميكائيل بمن معهما على صورة الانسان لينبهاه على زلته فطلبا ان يدخلا عليه من باب الغرفة فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب فنزلوا عليه من فوق روى ان بعض المعربين ومنهم ابو البقاء ومكى جعلوا اذ معمولا للنبأ ان اريد به القصة والمعنى هل اتاك الخبر الواقع وقت تسورهم المحراب ورده الزمخشرى بان النبأ الواقع فى ذلك الوقت لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبأ الواقع فيه هو التحاكم والذى اتى النبى صلى الله عليه وسلم هو خبر ذلك التحاكم وقصته لا نفسه واجاب عنه المصنف بان عدم صحة اتيان نفس ذلك النبأ لا يستلزم عدم كون النبأ عاملا فى اذ لجواز ان يكون عاملا فيه ويقدر مضاف اى هل اتاك قصة نبأ الخصم فيتحد بحسب المعنى مع قوله نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا (قوله على ان المراد به الواقع فى عهد داود) وهو التحاكم احترازا عن ان يراد به قصة ذلك التخاصم وخبره (قوله او ظرف لتسوروا) اى تسوروا المحراب فى الوقت الذى دخلوا فيه على داود (قوله نحن فوجان) اشارة الى ان خصمان خبر مبتدأ محذوف والى وجه الانطباق بين صيغة التثنية فى خصمان وبين ما مر من ان الخصم عبارة عن الجماعة وصح اطلاقه عليهم لكونه مصدرا فى الاصل وحاصل الانطباق انه اطلق الخصم على جميع الجماعة ثم جعلهم خصمين على تأويل الفريقين والجماعتين وقوله على تسمية مصاحب الخصم خصما اشارة الى وجه تسمية الجميع خصما مع ان التخاصم والتحاكم حقيقة انما كان بين اثنين منهم بقرينة ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة الآية (قوله على الفرض) اشارة الى جواب ما يقال كيف قال بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على ما هو المشهور والملائكة لا يقع منهم البغى على احد فكيف يبغى بعضهم على بعض فهذا الكلام منهما كذب والملائكة معصومون من الكذب واجاب بانه انما يلزم الكذب ان لو اراد الاخبار بصدور البغى عنهما حقيقة وليس كذلك بل المقصود فرض المسئلة وتصويرها فى انفسهما (قوله ولا تشطط) قرأ الجمهور ولا تشطط بضم التاء وكسر الطاء الاولى وفك الادغام كقوله ومن يرتدد منكم عن دينه من اشط فى القضية اشطاطا اى جار فيها وبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء الاولى من شططت الدار تشطط وتشط شطا وشطوطا اى بعدت وقرئ ولا تشطط على ان بناء التفعيل للتكثير وقرئ ولا تشاطط من المفاعلة والكل من الشطط وهو مجاوزة الحد والمقصود من الامر والنهى الاستعطاف (قوله وقد يكنى بها عن المرأة) اى يعبر عنها على سبيل الاستعارة وقوله والكناية

والتمثيل الخ اشارة الى ان النعجة هنا استعارة وبيان لوجه اختيار سلوك طريق الاستعارة دون التصريح باسم المرأة وذلك ان تصور الملكين بما فعلا ليس حقيقة التحاكم والتخاصم بل المقصود ابرازا نفسهما فى صورة المتخاصمين فى واقعة تشبه واقعة داود عليه الصلاة والسلام مع اوريا وهى انه عليه الصلاة والسلام اراد ان تكون امرأة اوريا له على الوجه المشروع مع ان عنده امثال تلك المرأة وان تعرض تلك الواقعة عليه ليحكم بحكم لزم منه اعترافه بكونه مثل من حكم عليه فى ترك الاولى ويتنبه لزلته فيشتغل بالتوبة والاستغفار فلما كان المقصود من تحاكمهما التعريض بشانه عليه الصلاة والسلام كان المناسب ان يكنى عن المرأة لا ان يصرح بها لان الكناية عنها ادخل فى التعريض والتورية من التصريح واختيار طريق التعريض لكونه ابلغ فى التوبيخ من حيث انه انبه للمعرض به كان اوقع فى نفسه واجلب لخجالته وحيائه مع ما فيه من مراعاة حسن الادب (قوله اجعلنى اكفلها) اى اعولها وانفق عليها والمعنى طلقها لازوجها واعطنيها واجعلها كفلى اى نصيبى (قوله وغلبنى فى مخاطبته اياى) فيكون الخطاب مصدر خاطبه فى الكلام اى غلبنى فى المخاطبة بان اتى بما لا اقدر على رده من الجدال وعلى الثانى يكون مصدر خاطب من الخطبة للمبالغة بان تصدر الخطبة من كل واحد منهما على قصد ان يغلب صاحبه ويغتنم بالمخطوبة دونه (قوله على تخفيف غريب) يعنى ان من قرأ عزنى حذف من احدى الزايين تخفيفا كما يقال فى ظللت ومسست ظلت ومست وفى احسست احست كراهة التضعيف الا ان تخفيف عزنى لم يشتهر مثلها (قوله ولعله قال ذلك) جواب ما يقال كيف قال لقد ظلمك قبل ان يسمع كلام صاحبه قال ابن الانبارى لما ادعى احد الخصمين اعترف الثانى بما ادعاه الاول فحكم داود بعد اعترافه وقيل ان معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقال الامام ابو منصور فشهد الشهود بذلك فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك مضمومة الى نعاجه قال الامام للناس فى هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه وثانيها انها دلت على الصغيرة وثالثها لا تدل على كبيرة ولا على صغيرة وقيل ان داود احب امرأة اوريا فاحتال فى قتل زوجها بان ارسله الى غزوات حتى استشهد ثم تزوج بها فارسل الله تعالى ملكين فى صورة المتخاصمين فى واقعة تشبه واقعته مع اوريا وعرضا تلك الواقعة فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة وابطل الامام هذا القول بوجوه منها ان الله تعالى وصفه قبل شرح هذه القصة وبعده باوصاف تنافى كونه عليه الصلاة والسلام متصفا بهذا الفعل المنكر وبعد ما ابطله بالدلائل القاطعة قال ان قال قائل ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها ثم اجاب عنه بوجوه منها ان كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقى الرجوع فيه الى الدلائل التى ذكرناها والقول الثانى الذى يدل على صدور الصغيرة منه فيه روايات الاولى ان هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه بالقبول ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه والثانية قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها ثم اتفق ان قتل زوجها فى جهاد اعداء الله تعالى وكان بعث الجيش للجهاد فرضا عليه وكان زوجها من جملة من تعين للجهاد فبعثه معهم لاسقاط الواجب عن ذمته من غير ان يتوهم منه قصد قتله وهلاكه فلما بلغ خبر قتله داود لم يجزع كما جزع على غيره من جنده اذ هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى والثالثة انه كان اهل زمان داود عليه الصلاة والسلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكان ذلك عادة معهودة فيهم فاتفق ان عين داود عليه الصلاة والسلام وقعت على تلك المرأة فاحبها فسأله النزول فاستحى ان يرده ففعل وهى ام سليمان عليه الصلاة والسلام فعوتب به لما ان ذلك لا يليق به فان حسنات الابرار سيئات المقربين فعلى كل واحدة من هذه الروايات الثلاث لم يلزم فى حق داود عليه الصلاة والسلام الا ترك الافضل والاولى والقول الثالث ان تحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه ايجاب كبيرة ولا صغيرة لداود بل توجب الحاق مدح عظيم وهو انه روى ان جماعة من الاعداء طمعوا فى ان يقتلوا نبى الله داود عليه الصلاة والسلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة فى ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم فخافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس فى لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج به فى الحاق الذنب بداود عليه الصلاة والسلام الا الفاظ اربعة احدها قوله وظن

(فقال اكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى (وعزنى فى الخطاب) وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة

(وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط (ليبغى) ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم (وظن داود انما فتناه) ابتليناه بالذنب اوامتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه بها (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه اوخر للسجود راكعا اى مصليا كأنه احرم بركعتى الاستغفار (واناب) ورجع الى الله بالتوبة واقصى مافى هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما غيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته اواستنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامران يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤا وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا هذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب (فغفرنا له ذلك) اى ما استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) لقربة بعد المغفرة (وحسن مآب) مرجع فى الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) استخلفناك على الملك فيها اوجعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله (ولا تتبع الهوى) ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الاخر قبل مسألته (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى نصبها على الحق (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكرة يوم الحساب تقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى

داود انما فتناه وثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها فغفرنا له ذلك ثم نقول هذه الالفاظ لا يدل شئ منها على ما ذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه الصلاة والسلام منهم دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم ثم دناه علو شانه فى الفضل والكرم الى ان يميل الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله تعالى فكانت هى الفتنة لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب من ذلك الهم واناب فغفر له بقوله فغفرنا له ذلك اى ذلك القدر من الهم والعزم الثانى انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم يتعين منهم ان قصدهم ذلك فبئس ما عملت حيث ظننت فيهم هذا الظن الردى فنزله منزلة الابتلاء والامتحان ثم استغفر ربه واناب فغفر له ذلك الثالث ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه الصلاة والسلام حيث دخلوا عليه لقتله الا انه عليه الصلاة والسلام استغفر لذلك العازم على قتله ورجع الى الله فى طلب المغفرة لذلك فقوله فغفرنا له ذلك اى فغفرنا له ذلك الذنب منه لاجل حرمة داود وقدره عندنا ولم نرد شفاعته وذكر غير ذلك من الاحتمالات ثم قال فاذا حملت الآية على احد هذه المحامل لا يلزم اسناد شئ من الذنوب الى داود عليه الصلاة والسلام فحملها عليها اولى مع انه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لما اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال له تعالى فى اول الآية اصبر على ما يقولون وتحمل منهم ما كان من وجوه سفاهتهم ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه الصلاة والسلام قد صبر على اذاهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الآية على ما ذكرناه واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا (**قوله** الشركاء الذين خلطوا اموالهم) يدل على ان داود عليه الصلاة والسلام حمل النعجة على حقيقتها فكيف يفسر الخطاب بالمبالغة فى الخطبة مع ان الخطبة لا تكون الا فيما يصلح للتزويج وقد فسره بها حيث قال اوفى مغالبته اياى فى الخطبة والجواب انه فسره بها بناء على ان جعل النعجة مستعارة للمرأة وجعل قوله وان كثيرا من الخلطاء مبنيا على انه عليه الصلاة والسلام شبه حالهم بحال الخلطاء من حيث اطلاع بعضهم على اشياء الاخر واملاكه ثم قال كل ما يملكه احد الخلطاء من الاشياء النفيسة يطلع عليه صاحبه فيرغب فيه فيفضى ذلك الى زيادة المخاصمة وبغى بعضهم على بعض (**قوله** اضرب عنك الهموم طارقها) وتمامه ضربك بالسيف قونس الفرس * اى اضربن فحذفت النون الخفيفة فبقيت الباء مفتوحة طارقها بدل من الهموم بدل البعض والقونس عظم ناتئ بين اذنى الفرس وهو موضع ناصيته اى ادفع طوارق الهموم عن نفسك عند غشيانها كما يضرب بالسيف قونس فرس العدو عند اقبالها واللام فى ليبغى على ان تكون النون الخفيفة محذوفة مقدرة لام جواب قسم محذوف وعلى الاول لام التأكيد وقوله الا الذين آمنوا استثناء متصل من قوله بعضهم (**قوله** وهم قليل) اى هم مبتدأ وقليل خبره قدم عليه وما مزيدة وقيل هى موصولة والتقدير وقليل الذين هم كذلك فهم مبتدأ وخبره محذوف وهو كذلك والمعنى ان الموصوفين بهذه الصفة وهى الايمان واصلاح العمل قليلون (**قوله** استخلفناك على الملك فيها) اى جعلناك اهل تصرف نافذ الحكم فيها وهو معنى كون العبد خليفة الله فى ارضه لان حقيقة الخلافة لا تتصور الا ممن يتصور منه الغيبة لان خليفة الرجل من يخلفه بعد غيبته وينفذ حكمه فى رعيته فلما امتنعت الحقيقة كان معنى استخلاف الله تعالى العبد جعله نافذ الحكم بين عباده (**قوله** بحكم الله) يحتمل انه جعل الحق اسم الله تعالى وقدر المضاف اى بحكم الحق اى الله وانه جعل الحق بمعنى الصواب وفسره بحكم الله تعالى لانه لا يحكم الا بالصواب (**قوله تعالى** فيضلك) منصوب على جواب النهى وقيل مجزوم عطفا على لا تتبع وانما فتحت اللام لاجتماع الساكنين فهى نهى عن كل واحدة على حدة والاول فيه النهى عن الجمع بينهما وقد يترجح الثانى بهذا المعنى وفاعل فيضلك يجوز ان يكون ضمير الهوى وان يكون ضمير المصدر المفهوم من لا تتبع اى فيضلك اتباع الهوى والمراد بالدلائل المنصوبة ما يعم الدلائل العقلية والنقلية (**قوله** بسبب نسيانهم) اشارة الى ان ما مصدرية والجار متعلق بالاستقرار الذى تضمنه لهم وكذا يوم الحساب متعلق به ظرف له اى لهم عذاب شديد يوم القيامة بنسيانهم القضاء بمقتضى الدلائل العقلية والنقلية اى بتركهم سلوك سبيل الله تعالى وضلالهم عنه وقيل يوم الحساب متعلق بنسوا على انه مفعول به ومعناه بما تركوا الايمان بيوم الحساب او بتركهم العمل لذلك اليوم ويؤيده قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فانه تذكير عن نسيان يوم الحساب اى ما خلقت ما بينهما من المكلفين

لا تعلمه فلا آمرهم ولا انهاهم بل خلقتهم لا تحنهم واكلفهم واذا كلفتهم ميزت بين محسنهم ومسيئهم بالثواب والعقاب وذلك لا بد ان يكون يوم الحساب اى وذلك يقتضى وجود حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا لان مدة هذه الحياة قليلة وان صفاءها مشوب بالكدر ولا تصلح دار جزآء بل هى دار ابتلاء فقط والجزآء يكون فى دار اخرى (قوله خلقنا باطلا) اشارة الى ان باطلا صفة مصدر محذوف وعلى قوله ذوى باطل يكون فى موضع الحال من فاعل خلقنا ويحتمل ان يكون حالا من مفعوله اى عاريا عن الحكمة وعلى قوله اوللباطل يكون مفعولا له بان يكون الباطل بمعنى العبث واللعب وموضوعا موضعه فان شرط حذف اللام من المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل فلا بد ان يكون مصدرا اومأولا به (قوله مثل هنيئا) تمثيل فى كون الصفة موضوعة موضع المصدر فان هنيئا صفة لمصدر محذوف اى كلوا اكلا هنيئا احذف المصدر ووضع هنيئا موضعه كما اقيم هنيئا مريئا فى قوله فكلوه هنيئا مريئا مقام المصدر وهما صفتان لمقدر اى كلوا اكلا هنيئا مريئا (قوله بسبب هذا الظن) فان ظن ان لا حكمة لله تعالى فى خلق العالم كفر بالحشر والنشر واثبات السفه له تعالى فيكون سببا للويل والهلاك (قوله ليدل على نفيه) اى على نفى انه تعالى خلقها عبثا متعلق بقوله لانكار التسوية فان انكار اللازم ونفيه يدل على انكار الملزوم ونفيه (قوله والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة) فان الحكمة تقتضى ان يكون الفضل والفوز فى الدنيا للمؤمن والويل والخيبة للمفسد الفاجر والغالب فى الدنيا ان يكون التفاضل والوسعة والرخاء للكافر والفاجر والضيق والعناء للمؤمن والصالح فى امر التفضل فان الغالب ان تكون الكفار اوسع حالا واطيب عيشا بالنسبة الى المؤمنين فى الدنيا (قوله تعالى كتاب) خبر مبتدأ مضمر اى هذا كتاب وانزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ مضمر او خبر ثان ولا يجوز على المختار ان يكون نعتا ثانيا لانه لا يجوز عند الجمهور ان يتقدم النعت الغير الصريح على الصريح ومن يرى ذلك استدل بظاهر الاية ولا استدلال بالمحتمل (قوله تعالى ليدبروا) متعلق بانزلناه واصله ليتدبروا فادغمت التاء فى الدال وقرئ لتدبروا بتاء الخطاب وتخفيف الدال واصلها لتتدبروا بتاءين حذفت احداهما قال الحسن تدبر اياته اتباعه واشار المصنف الى انه من دبره اى تبعه والدابر التابع وعليه قرآءة والليل اذا دبر اى تبع النهار قبله فيكون التدبر بمعنى الاطلاع على ما يدبر ظاهر هذا النظم اى يتبعه من التأويلات الصحيحة فالتدبر كالتعطر والتنعم فى كونها لايجاد اصل الفعل لنفسه وقوله اوليستحضروا على ان يكون التذكر بمعنى استحضار ما ذهل عنه مع بقاء ارتسامه فى المدركة لكن انقطع التفاتها اليه لا الى حد النسيان حتى تحتاج فى تحصيله الى تجشم كسب جديد وتحصيل استعداد آخر بترتيب المقدمات المناسبة له والاحكام الاجتهادية وان كانت مستنبطة من النص بتعدية حكمه الى غير المنصوص لكنه كالمركوز فى عقول اهل الاستنباط من حيث تمكنهم من معرفتها بما عندهم من النصوص الواردة فيما يشارك موضع الاجتهاد فى العلة فاستنباطها من النصوص شبه استحضار المذهول عنه واحتمل لذلك ان يراد بالتذكر الاستنباط المذكور مجازا (قوله اذ ما بعده تعليل للمدح) علة لكون المخصوص بالمدح المحذوف هو سليمان لا داود وتقريره ان ما وقع بعده تعليل للمدح وهو حال من حال سليمان فان ضمير عليه لسليمان عند جمهور المفسرين فيكون الممدوح هو سليمان لا غيره (قوله مرجع له) اى للتسبيح يريد ان اوابا يجوز ان يكون كناية عن انه مكثر للتسبيح لان من كان مكثرا لشئ يلزمه ان يكون رجاعا اليه فكنى بذكر انه رجاع للتسبيح عن ملزومه * الجوهرى الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوآئم والرابعة على طرف الحافر والسنبك طرف مقدم الحافر وقيل الصافن هو الذى يجمع يديه ويسويهما من الصفن وهو الجمع بين الشيئين ضاما بعضهما الى بعض ومن الاول قول الشاعر

الف الصفون فما يزال كانه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

يريد ان هذا الفرس الف القيام على ثلاث قوآئم وسنبك الرابعة وكسيرا منصوب بما يزال وقيل حال من الضمير فى مما يقوم اى كانه من جنس ما يقوم على ثلاث قوآئم فى حال كونه كسير القائمة الاخرى ومن الثانى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اى واقفين صافين اقدامهم ويقال جاد الفرس يجود فهو جواد اى يجود بالعدو ويسرع فى الجرى ويقال فرس جود اى كثير الجرى ويجمع على جياد كحوض وحياض وسوط وسياط والصفون على ما فسره الجوهرى صفة مدح الخيل لان صفونها كناية عن كونها عربية بدوية لان الصفون صفة لازمة لها وكذا ان فسر بمطلق القيام او القيام جامعة يديها صافة اياهما فانه صفة

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) خلقا باطلا لا حكمة فيه اوذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اوللباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا (ذلك ظن الذين كفروا) الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله (ام نجعل المتقين كالفجار) كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والاية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة اوفى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها (كتاب انزلناه اليك مبارك) نفاع وقرئ بالنصب على الحال (ليدبروا آياته) ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك (وليتذكر اولوا الالباب) وليتعظ به ذووا العقول السليمة اوليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للقسم الاول والتذكر للثانى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله (انه اواب) رجاع الى الله بالتوبة اوالى التسبيح مرجع له (اذ عرض عليه) ظرف لاواب اولنعم والضمير لسليمان عند الجمهور (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد اورجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص (الجياد) جمع جواد اوجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود بالركض وقيل جمع جيد

روى انه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر اوعن ورد كان له فاغتم لمسافاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى (فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى) اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله * مثل بعير السوء اذ أحبا * اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع بفتح الياء (حتى توارت بالحجاب) اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها (ردوها على) الضمير للصافنات (فطفق مسحا) فاخذ يمسح السيف مسحا (بالسوق والاعناق) اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبالها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كمؤقن وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) اظهر ماقيل فيه ماروى مرفوعا انه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الاامرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لوقال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولدله ابن فاجمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحاب فماشعر به الاان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطاه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لايرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف رضى الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل الى الطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فيه وفى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ماعبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لاروح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجودا لصورة بغير علمه لايضره (قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى) (لم) لايتسهل له ولايكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى

ممدوحة حال وقوفها وصفها بالصفون والجودة جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها (قوله لانه بمعنى آثرت) كما يقول المخير بين الشيئين اخترت هذا اى آثرته واحببت ايضا يستعمل بمعنى آثر قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى والاصل على هذا ان يقال احببت حب الخير على ذكر ربى الاانه ضمن احببت معنى انبت فتعدى تعديته كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربى اى جعلته نائبا عنه فظهر منه انه لايلزم ان يكون المضمن من لوازم المتضمن بل يكفى ان يكون الحرف المذكور صلته (قوله وقيل هو بمعنى تقاعدت) من قولهم احب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء قال الشاعر

تبالمن بالهون قد ألبا - مثل بعيرالسوء اذ أحبا

قوله تبا من التباب وهو الهلاك وألب اى اقام ولزم المكان ولم يبرح عنه بالضرب ونحوه فالمعنى على هذا قعدت عن ذكر ربى من اجل حب الخير وحب الخير مفعول له (قوله شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها) فذكر التوارى واريد الغروب فيكون توارت استعارة تبعية يقال جارية مخبأة اى مخدرة مستترة (قوله فاخذ يمسح بالسيف مسحا) اشارة الى ان طفق بمعنى اخذ لان طفق واخواته يفيد شروع فاعله فى مضمون الخبر الا ان مسحا منصوب بفعل مقدر هو خبر طفق اى وطفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لايكون الامضارعا فى الاغلب والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والباء فى بالسوق زائدة مثلها فى قوله وامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسح رأسه وبرأسه بمعنى واحد والمعنى فاخذ يمسح بالسيف سوقها واعناقها اى يقطعها اى يقطع سوقها واعناقها بالسيف والعلاوة رأس الانسان مادام فى عنقه يقال ضرب علاوته اى قطع رأسه (قوله وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كمؤقن وعن ابى عمرو بالسؤوق) على وزن فعول جعلت الواو المضمومة من سووق همزة كما فى أجوه وادؤر اصلها وجوه وادور واصل سؤق فى قرآءة ابن كثير سوق على وزن فعل بواو ساكنة قبلها ضمة ابدلت الواو همزة مع انها ليست بمضمومة تنزيلا لضمة ما يلاصقها وهو السين منزلة ضمها وجعلا لضمة السين كانها على الواو كما ابدلت الواو همزة فى موقن لذلك قال صاحب التيسير فى السورة النمل قرأ قنبل عن ساقيها وفى ص بالسؤق وفى الفتح على سؤقه بالهمزة فى الثلاث والباقون بغير همزة انتهى كلامه وقنبل والبزى يرويان عن ابن كثير ورواة الهمز مخصصة بقالون والبزى والستة الباقية من الشيوخ متفقون على القرآءة بغير همزة على تقرير صاحب التيسير والله اعلم (قوله فاجمعت الشياطين على قتله) لانهم كانوا يقدرون فى انفسهم ان يستريحوا مما هم فيه من تسخير سليمان عليه الصلاة والسلام اياهم على التكاليف الشاقة والاعمال المسخرة الدائمة بموته فلما ولدله ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولدلم ينفك ماتحن فيه من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده ولانخليه فعلم بذلك سليمان فامر السحاب حتى حملته وغذا ابنه فى السحاب اى رباه فيه يقال غذوته اغذوه اى ربيته خوفا من مضرة الشياطين فابتلاه الله لاجل هذا الخوف بموت هذا الولد فالقى ميتا على كرسيه فهو المراد من الجسد الملقى على كرسيه وعلى القول بانه فتن لترك الاستثناء فالجسد الملقى على كرسيه هو شق غلام اى نصفه فانه لما ولد جيئ به وهو على كرسيه فوضع على حجره (قوله ليكون معجزة لى مناسبة لحالى) انما طلب الملك من بين سائر المعجزات لان الغالب فى زمنه عليه الصلاة والسلام الملك فطلب مثل ذلك ليكون حجة على نبوته لان معجزة كل نبى كانت من جنس الغالب فى زمانه كالسحر فى زمان موسى عليه الصلاة والسلام والابرآء من الجذام والبرص فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فتحداهم بابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى والفصاحة فى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم فتحداهم باقصر سورة من كلام ذى العزة والكبرياء فكذا سليمان عليه الصلاة والسلام فانه كان ملكا ومع ذلك استوهب من ربه ملكا زائدا خارقا للعادة بتسخير مالم يسخر للانس وهو الرياح والشياطين والطير فسخرله ذلك وكذا سخرله من الملك مالم يتيسر لغيره مثل ذلك فانه ورث ملك ابيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث قليلا حتى هلك ثم سار الى مرو ثم الى بلاد الترك وجاز بلاد الصين ثم رجع الى بلاد الفرس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام آمنا وبنى بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وتفقد الطير وكان من حديثه مع صاحبه آصف ماذكره الله تعالى فى كتابه الكريم وغزا فى بلاد المغرب الاندلس وطنجة وافرنجة ونواحيها والله اعلم بحقيقة الحال والحاصل انه عليه الصلاة والسلام

لم يطلب ماطلبه منافسة فى الملك اى رغبة فيه وحرصا على الاستقلال بالنعمة وحسدا على غيره بل انما طلبه
ليكون معجزة له وعين الملك لذلك كما ذكر (قوله اولا يصح لاحد من بعدى لعظمته) اى وليس المقصود من قوله
لاينبغى لاحد من بعدى استقلاله به بحيث لايعطى احد مثله ليكون منافسة فى الملك وحرصا عليه بل المقصود منه
توصيف الملك بكونه عظيما وكنى عنه بذكر لازمه ولا شئ فى ان تتعلق همة العبد و يستوهب من مولاه نعما جليلة
والطافا عظيمة وانما المحذور فى ان يتمنى زوالها عن غيره وقيل انما قال ذلك لان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة
عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكانه قال يا الهى اعطنى مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية
حتى احترز عنها ولا اكون مشغول القلب بها مع القدرة عليها ليصير ثوابى اكمل وافضل واجزل ولذلك كان يأكل
خبز الشعير و ينسج ورق النخل و يأكل من كديديه و يجالس مع المساكين و يقول انا مسكين جالس مع المساكين
(قوله لاتزعزع) الزعزعة تحريك الشئ يقال زعزعته فتزعزع وريح زعزعان وزعزع اى تزعزع الاشياء
ولا ينافيه قوله تعالى فى آية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره لان المراد ان تلك الريح كانت فى قوة الرياح
العاصفة الا انها لما جرت بامره كانت لينة طيبة (قوله قرن بعضهم مع بعض) شدد للكثرة يقال قرنت الشئ بالشئ
اى وصلته به قال الامام ابو منصور كان عليه الصلاة والسلام اذا امتنع احد منهم من العمل له بالبناء والغوص
وغير ذلك قيده بالغل وهو ما يجمع ايديهم الى اعناقهم يدفع به شرهم عن الخلق والعملة منهم تبنى له الابنية الدقيقة
البديعة ومنهم من يستخرج له من البحر الجواهر واللآلى والحلى المتخذة قال مقاتل كان سليمان عليه الصلاة والسلام
اول من استخرج اللؤلؤ من البحر (قوله ولعل اجسامهم شفافة صلبة) اشارة الى جواب ما يقال من ان هذه
الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة اولطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذلو جاز
ان لايراهم مع كثافة اجسادهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها
وذلك سفسطة وان كانت اجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع ان يكون موصوفا بقوة شديدة يقدر بها على ما لايقدر عليه
البشر لانه تتفرق اجسادهم وتتمزق بالرياح القاصفة فلا تطيق تحمل الاشياء الثقيلة بل تتأثر منها فتتفرق اجزاؤها
فتموت فى الحال وايضا فالاجسام اللطيفة لاتقبل التقييد بالاصفاد والاغلال فاجاب اولا بان اجسامهم لطيفة وان
اللطافة لا تنافى الصلابة بمعنى الامتناع عن التفرق فلكونها لطيفة لا ترى ولكونها صلبة يمكن تقييدها وتحمل
الاشياء الثقيلة وثانيا بانهم مع لطافة اجسامهم لما كانوا مسخرين مذللين لطاعته بتسخير الله تعالى اياهم له عليه
الصلاة والسلام كان قادرا على كفهم عن الاضرار للخلق فشبه كفه اياهم عن ذلك بالاقران فى الصفد ثم اشتق
من الاقران بهذا المعنى المجازى لفظ المقرنين فهو استعارة تبعية بمعنى ممنوعين من الشرور ومقرنين صفة لآخرين
(قوله وسمى به العطاء) كما فى قول على بن ابى طالب رضى الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك اى
من احسن اليك فقد قيدك وقيل

وفدت عليك رقابها مغلولة * ان العطاء اسار كل مؤمل

شبه الاحسان بالاسار لانه يتوسل به الى ربط من احسن اليه كالاسار وقوله وفرقوا بين فعليهما اى فعلى الصفد بمعنى
القيد و بمعنى العطاء فجعل فعل الصفد بمعنى الشر ثلاثيا و بمعنى الخير رباعيا على عكس وعد واوعد فان الثلاثى فيه
للخير والمنفعة والرباعى للشر والمضرة (قوله وفى ذلك نكتة) اى فى كون اصفده للخير نكتة وهى ان الهمزة فى اصفده
للسلب اى ازال ما به من قيد الحاجة بان اعطاه ما يدفع عنه حاجته بخلاف اوعده فانه لغة اصلية موضوعة للشر
والتهديد (قوله غير محاسب على منه وامساكه) اى لاحرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت فكان عليه
الصلاة والسلام ان اعطى اجر وان لم يعط لم يأثم بخلاف غيره قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة
الا سليمان فانه اعطى ولم يكن عليه تبعة وقوله او من العطاء فان كان حالا من العطاء يكون التقدير هذا
عطاؤنا كثيرا واسعا وان كان متعلقا به يكون التقدير اعطيتك بغير حساب ولا تقدير والمقصود على التقديرين
الدلالة على كثرة الاعطاء (قوله وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين) والظاهر حينئذ ان يكون بغير حساب
حالا من المستكن فى الامر اى خل من شئت منهم وامسك من شئت فى وثاقك لا تبعة عليك فى شئ منهما (قوله
اذ نادى ربه بدل) ولا يجوز ان يكون اذ معمول اذكر لان الذكر المأمور به لا يتصور ان يكون فى ذلك الوقت
(قوله وهو حكاية لكلامه) اى قوله انى مسنى الشيطان بضمير المتكلم حكاية لكلامه اى ناداه ودعاه بهذا

اولا ينبغى لاحد ان يسلب بعدمنى هذه السلبت
اولا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان
ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف
الملك بالعظم لاان لايعطى احد مثله فيكون منافسة
وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه
بامر الدين و وجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد
الاجابة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء (انك انت
الوهاب) المعطى ما تشاء لمن تشاء (فسخرنا
له الريح) فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ
الرياح (تجرى بامره رخاء) لينة من الرخاوة لاتزعزع
اولا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد (حيث اصاب)
اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب
(والشياطين) عطف على الريح (كل بناء
وغواص) بدل منه (وآخرين مقرنين فى الاصفاد)
عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة
استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة
قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر
ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى و يمكن
تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن
الشرور بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به
العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما
فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده
واوعده وفى ذلك نكتة (هذا عطاؤنا) اى هذا
الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على
ما لم يتسلط عليه غيرك عطاؤنا (فامنن او امسك)
فاعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب)
حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه
وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من
العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه
عطاء جم لايكاد يمكن حصره وقيل الاشارة
الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم
وابقاؤهم فى القيد (وان له عندنا لزلفى) فى الآخرة
مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا (وحسن مآب)
وهو الجنة (واذكر عبدنا ايوب) هو ابن عيص
ابن اسحق عليهم السلام وامرأته ليا بنت يعقوب
(اذ نادى ربه) بدل من عبدنا وايوب عطف
بيان له (انى مسنى) بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان
الياء واسقاطها فى الوصل (الشيطان بنصب)
بتعب (وعذاب) الم وهو حكاية لكلامه الذى
ناداه فيه ولولاهى لقال انه مسه

اللفظ ثم حذفت الباء لان حذفهما من ان وان شائع كثيرا فان قرآءة العامة بفتح همزة ان وقرئ بكسرها على اضمار القول اوعلى اجرآء النداء مجراه (قوله لما فعل بوسوسته) يعنى ان الذى اصابه بالنصب ليس الا الله جل ذكره واسند الى الشيطان اسنادا مجازيا لكونه سببا فيما مسه الله به فان الشيطان وسوس الى ايوب عليه الصلاة والسلام وطاوعه فيما وسوس فابتلاه الله تعالى بذلك (قوله اولسؤاله) عطف على قوله لما فعل بوسوسته وقوله امتحانا لصبره علة لقوله مسه بذلك اى والاسناد الى الشيطان لان الله تعالى مسه بذلك لسؤال الشيطان اياه منه عز وجل حسدا على ايوب و بغيا عليه حيث سمع تجاوب الملائكة بالصلاة عليه حين ذكره الله عندهم واثنى عليه كما ورد فى الحديث ان عبدى ان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم روى ان الشيطان قال الهى عبدك ايوب قد انعمت عليه بجميع انواع النعم واصنافها وشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لتحول عما هو عليه من شكرك وعبادتك فقال تعالى انى اعلم منه انه يعبدنى و يشكرنى وان لم يكن له سعة فى الدنيا فقال ابليس يارب سلطنى على جميع ما انعمت به عليه فسلط على كل شئ من ماله و بنيه الا على قلبه ولسانه و زوجته فطفق ابليس يباشر سبب هلاك امواله واولاده وزوال صحة جسمه فكلما سعى فى هلاك صنف من امواله اهلكه الله تعالى لسؤال ابليس ذلك وكان يجيئ لايوب فى صورة القيم على ذلك الصنف و يخبره بهلاكه وانه لم يبق منه شئ وان يقوم على غيره فيجيبه ايوب عليه الصلاة والسلام بقوله الحمد لله الذى اعطانيها واخذها عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود فى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل وليس لى ان افرح حين اعارنى وان اغتم واجزع حين قبض عاريته الله اولى بجميع ما اعطانى فله الحمد حين اعطانى وحين اخذ منى والقصة مفصلة فى البغوى (قوله فيكون اعترافا بالذنب) وذلك على الوجه الاول ظاهر اذ قوله مسنى الشيطان بنصب معناه حينئذ اصابنى تعب منك بسبب ما فعلته لوسوسة الشيطان وهو اعتراف صريح به واما على الوجه الثانى فكونه اعترافا منه ليس بظاهر لان المعنى حينئذ انه اصابنى منك تعب بسبب ان الشيطان سأل منك ذلك فاى ذنب منه فى ان عذبه الله تعالى اجابة لسؤال غيره الا ان يقال ان الشيطان انما سأل منه تعالى بناء على زعم انه ان ابتلى بنزع ما هو فيه من النعم والعافية قصر فى طاعته تعالى والرضى بقضائه باظهار الجزع ثم انه لما ابتلى به ودعا ربه فى كشف ذلك البلاء عد ذلك تقصيرا فى الرضى بالقضاء هضما للنفس والا فالتضرع الى الله تعالى فى كشف الضر لا ينافى الصبر والرضى (قوله اومراعاة) وجه ثان لاسناد المس الى الشيطان لان مآل ما تقدم واحد وهو الاسناد الى السبب وحاصله ان ايوب عليه الصلاة والسلام تأدب فى دعائه حيث لم ينسبه الى الله تعالى مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو (قوله اولانه وسوس الى اتباعه) فالذى مسه من النصب والعذاب هو ما فعل اتباعه من رفضهم واخراجهم اياه من ديارهم الى الصحرآء واسنده الى الشيطان لكونه سببا حاملا لهم على ذلك بوسوسته اليهم * قرأ الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد وهو اشد البلاء قيل النصب ما اصابه فى بدنه والعذاب ما اصابه فى سائر ماله من النعم وفيه بعد وقرئ بنصب بفتح النون وسكون الصاد على انه المصدر يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وقرئ بفتحتين وهو لغة فى نصب بالضم والسكون نحو رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وقيل الذى هو بالضم والسكون جمع نصب بفتحتين نحو اسد واسد ووثن ووثن وقرئ نصب بضمتين وهو تثقيل نصب بضم وسكون وفيه بعد لما تقرر ان مقتضى اللغة تخفيف فعل بضمتين كعنق لا تثقيل فعل كقفل (قوله حكاية لما اجيب به) اى لما انقضت مدة بليته دعا ربه فقيل له اركض برجلك واختلف فى مدة بلائه فعن انس رضى الله عنه يرفعه ان ايوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة وقال وهب لبث ثلاث سنين ولم يزد عليها يوما وقال كعب كان فى بلائه سبع سنين وسبعة اشهر وستة ايام وكان مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل تختلف فيه الديدان ولا يقربه احد غير زوجته رحمة تسأل الناس من صدقاتهم وتأتيه بطعامه وتحمد الله معه اذا حمد وايوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى فصرخ ابليس لعنة الله عليه صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارضين فقال لهم اعيانى هذا العبد الذى لم ادع له مالا ولا ولدا حتى جعلته قرحة ملقاة فى كناسة فلم يزد الا صبرا ورضى فاعينونى عليه فانه ابطل جميع ما اهلكت به من مضى من الهالكين فقالوا انشير عليك من ابن اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته فقالوا عليك بامرأة ايوب فقال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهى تطلب صدقة الناس فتمثل لها فى صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك الذى تسيل قروحه وتتردد الديدان

والاسناد الى الشيطان بواسطة ان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله اواستغاثه مظلوم فلم يغثه اوكانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه اولسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب اومراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة و يغريه على الجزع و قرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل (اركض برجلك) حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض (هذا مغتسل بارد وشراب) اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك و باطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (و وهبناله اهله) بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم اواحييناهم بعد موتهم وقيل وهبناله مثلهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) لرحمتنا عليه (وذكرى لاولى الالباب) وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم

فى جسده فلما سمع بها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والاموال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما فيه من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه ايوب لى حتى يبرأ مما هو فيه فجاءت تصرخ حتى قالت الى متى يعذبك ربك اين المال واين الجمال واين الاولاد والاصدقاء فقد دلنى معالج على ان تذبح هذه له وتستريح فقال ايوب انه عدو الله ابليس اتاك ونفخ فى فيك لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله حرام على ان ذقت شيأ مما تاتين به من الطعام والشراب بعد ما عرى بى عنى فلا اراك فطردها فذهب فلما نظر ايوب ان ليس عنده طعام ولا شراب خر ساجدا ودعا ربه فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله والركض هو الدفع القوى بالرجل ومنه ركض الفرس وظاهر اللفظ يدل على انه حين ركض الارض نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب فذهب بهما ما به من الداء من ظاهره وباطنه والمفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة اغتسل فيها فلم يبق عليه من دائه شئ ظاهر الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله اليسرى فنبعت عين اخرى باردة فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من اهل ومال وولد الا وقد رد اليه مضاعفا فخرج حتى جلس على مكان شريف ثم ان امرأته قالت ان كان طردنى هو فالى من اكله ادعه يموت جوعا لارجعن اليه فرجعت فلم تجده ورأت شابا صاحب حلة قعد فى مكان شريف فهابت ان تسأله عنه فدعاها ايوب فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا فى الكناسة لا ادرى اضاع ام ما جاله ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا فقال انا ايوب الذى امرتنى ان اذبح لابليس فانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين (قوله تعالى ولا تحنث) الحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على فعله لكونه سببا وهذا الكلام يدل على انه تقدم منه الحلف على ضرب اهله واختلفوا فى سبب يمينه واختار المصنف ما ذكره من انها خرجت لحاجة وابطأت فحلف على ضربها لذلك ولم يلتفت الى ما ذكر من ان الشيطان قال لها الذى اصابكم من البلايا لم يصبكم به الا انا فان الله تعالى سلطنى على اموالكم واولادكم وعلى جسد زوجك ففعلت فيكم جميع ما ترين من البلايا فان اردت ان ارد عليكم جميع اموالكم واولادكم وسائر ما زال عنكم من الاسباب والقوى فاسجدى لى فقالت امهلنى حتى اتفكر فذكرت ذلك لايوب فحلف وقيل قال لها ان زوجك ان استغاث بى خلصته من هذا البلاء وقيل قال لها ان ذبح وقرب لى عناقا او ان شرب الخمر برئ فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف لذلك وقيل ان امرأته كانت تخدم الناس لتحصيل القوت وفى يوم من الايام لم تقدر على القوت فباعت احدى ذؤابتيها برغيف ثم باعت الاخرى فى يوم آخر فلم يبق لها ذؤابة وكان ايوب عليه الصلاة والسلام اذا اراد ان يتحرك فى مضجعه تعلق بذؤابتيها فلما لم يجد الذؤابة وقع فى قلبه خاطر ردى فحلف لذلك ولم يلتفت المصنف الى مثل هذه الاقاويل لبعدها فى حق اهل بيت النبوة ولما كانت بريئة من الخيانة وحسنة الخدمة لزوجها حلل الله تعالى يمينه باهون شئ عليها لحسن نيته فيما حلف (قوله ولا يخل به شكواه الى الله) جواب عما يقال كيف وجده صابرا وقد شكا اليه حيث قال رب انى مسنى الضر ومسنى الشيطان بنصب وتقرير الجواب ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب معناها الاستعانة منه والالتجاء والتحصن بكنف الحبيب وظل حمايته وذلك لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع ان الالام كانت فى جسده والهوام على بدنه فتذكر الشكوى وقيل انه لما طالت مدة الالام اخذ الشيطان يوسوس اليه بالقنوط من رحمة الله والحمل على الجزع والشكاية من فوات الحالة الاولى وكذا شرع فى ان يوسوس الى امرأته والى سائر الناس انه لو كان نبيا لكان له عند الله جاه ومنزلة ولا يبتليه بمثل هذه البلية مدة مديدة حتى روى انه ارتد بعض من آمن به منهم فلما خاف ان تؤثر فتنة الشيطان فى القلب والدين تضرع الى ربه فى دفع شره وذلك لا ينافى الصبر لانه لا يجوز الصبر على مفسدة القلب والدين بل سبيله الاستغفار واصلاح الحال باى طريق امكن وانما الصبر على مخالفة النفس والهوى (قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم) والمقصود من جمع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما فى الدنيا احد كان اكثر نعمة ولا مالا ولا جاها من داود وسليمان وما كان اكثر بلاء ومحنة من ايوب فتأمل فى احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد فان

(وخذ بيدك ضغثا) عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) روى ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقيل رحمة بنت افرائيم ابن يوسف ذهبت لحاجة وابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود (انا وجدناه صابرا) فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين (نعم العبد) ايوب (انه اواب) مقبل بشراشره على الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه (اولى الايدى والابصار) اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة

فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعميان (انا اخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لاشوب فيها هى (ذكرى الدار) تذكرهم للاخرة دآئما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون به ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام ونافع بخالصة الى ذكرى للبيان اولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من ابناء جنسهم المفضلين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت اوميت (واذكر اسمعيل واليسع) هوابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرآئيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع
(وذا الكفل) ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) اى وكلهم (من الاخيار هذا) اشارة الى ماتقدم من امورهم (ذكر) شرف لهم اونوع من الذكر وهو القرءآن ثم شرع فى بيان ماعد لهم ولامثالهم فقال (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع (جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها (مفتحة لهم الابواب) على الحال والعامل فيها مافى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتدآء والخبر اوانهما خبران لمحذوف (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) حالان متعاقبان اومتداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) لاينظرن الى غير ازواجهن (اتراب) لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لاعجوز فيهن ولاصبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت ؟

العاقل لابدله من الصبر على المكاره واذكر ايضا صبر ابراهيم حين القى فى النار وصبر اسحق حين عرض على الذبح وصبر يعقوب عليه الصلاة والسلام حين فقد ولده وذهب بصره * قرأ الجمهور اولى الايدى باثبات الياء فى الايدى على انه جمع يد وقرئ ايضا اولى الايد بحذف الياء والايد القوة الجوهرى آد الرجل يئيد ايدا اشتد وقوى والايد والآيد القوة والظاهر ان المصنف قرر قرآءة الجمهور فيكون قوله اولى القوة فى تفسير قوله تعالى اولى الايدى بناء على انه جعل الايدى جمع اليد وجعل اليد عبارة عن القوة لاعن نفس الجارحة المخصوصة لان كل احد كذلك فلا يصلح للمدح وانما عبر عن القوة باليد لانها سبب التقوى على اكثر الاعمال وبها يحصل البطش والقوة والابصار حمل على بصر القلب ويسمى البصيرة وهى القوة التى يتمكن بها الانسان على ادراك المعقولات وتخصيص المعقولات بما يتعلق بالدين مستفاد من خصوصية الموصوف باولى الابصار وفيه تعريض بالزمخشرى حيث قال وتفسير الايد بطرح الياء بالقوة قلق غير متمكن اى لايستقر مع عطف الابصار عليه فانه لايناسب اليد بمعنى القوة وانما يناسب اليد بمعنى الجارحة المستعملة فى القوة مجازا لعطف الابصار عليه وكان المعنى اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين فلم يتمكن عطف الابصار على الايد بمعنى القوة لذلك المعنى (قوله لان اكثرها بمباشرتها) اى اكثر الاعمال لايتأتى بدون اليد فتكون اليد من لوازمها ويكون ذكر الايدى كناية عنها لان اليد سبب وآلة لها فتكون مجازا مرسلا كما فى الوجه الاول (قوله بخصلة خالصة) اى صافية لايشوبها غيرها وهو اشارة الى ان خالصة صفة لمحذوف يبينه ذكرى الدار على انه خبر مبتدأ محذوف يرجع اليها وان الذكرى مصدر بمعنى التذكر الذى هو نقيض النسيان اى وتلك الخصلة الصافية استغراقهم فى ذكر الآخرة واشتغالهم بذكرها عن ذكر الدنيا فان قيل كيف يكونون خالصين لله وهم مستغرقون فى الطاعة وفيما هو سبب لها وهو تذكر الآخرة اجاب عنه المصنف بان استغراقهم فى تذكر الاخرة ليس الا لاستغراقهم فى الشوق الى لقاء الله تعالى على وجه يرضى عنهم ويرضون عنه ولما لم يكن ذلك الا فى الآخرة استغرقوا فى تذكرها والاشتغال بما يؤدى الى لقائه على ذلك الوجه وهو خلوصهم فى الطاعة (قوله واطلاق الدار) مع ان المراد الدار المقيدة بكونها آخرة للاشعار بان حقيقة الدار منحصرة فيها لابتدار الذهن عند اطلاق اسم الدار الى غيرها وذكر لاضافة خالصة الى ذكرى وجهين الاول انها اضافة بيانية اى من قبيل اضافة الشئ الى ما هو متحد وبينه فان الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى فتبينت بالاضافة والثانى انها من اضافة المصدر الى فاعله على ان تكون خالصة مصدرا بمعنى الخلوص كالعاقبة والعافية والمعنى بان خلصت لهم ذكرى الدار واما اضافة ذكرى الى الدار فيجوز ان تكون من اضافة المصدر الى المفعول به اى اخلصناهم بسبب ذكرهم الآخرة ووجل قلوبهم منها ومايكون فيها مما لايحصى وان تكون من اضافته الى المفعول فيه على السعة وهو ظرف فى المعنى والمفعول به محذوف اى ذكرهم الوقوف او الحساب اونحوهما فيها وعلى هذا فى الكلام حذفان حذف المفعول به وحذف الجار كذهبت الشام وقيل المراد بالدار الدنيا وبالذكرى الصبر والثناء الجميل ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم والمعنى تلك الخصلة الصافية ثناء الناس لهم فى الدنيا فالدار على هذا ايضا ظرف كالوجه المذكور آنفا نحو ياسارق الليلة وعندنا فى قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يجوز ان يكون من صلة الخبر وان يكون من صلة محذوف دل عليه الخبر وهو لمن المصطفين اى وانهم مصطفون عندنا ولا يجوز ان يكون من صلة هذا الظاهر لانه فى صلة الالف واللام وما كان فى الصلة لايتقدم على الموصول واسمعيل وذو الكفل واليسع قوم آخرون من الانبياء تحملوا الشدآئد فى دين الله تعالى روى ان اليسع وذا الكفل كانا ابنى عم وكان اليسع فى اربعمائة من الانبياء فى زمان ملك ظلوم فقتل الملك منهم ثلاثمائة وبقى ذو الكفل مع من بقى منهم فكفلهم وجعل يطعمهم ويسقيهم ويكسوهم حتى نجوا ففى ذلك سمى ذا الكفل وفى شرح الرضى وقد ينكر العلم قليلا فاما ان يستعمل بعده على التنكير نحو رب زيد لقيته وقولك لكل فرعون موسى لان رب وكل من خواص النكرات او يعرف وذلك بان يأول بواحد من الجماعة المسماة فتدخل عليه اللام كقولك

رأيت اليزيد بن الوليد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله

او بالاضافة نحو قوله

علا زيدنا يوم النقى رأس زيدكم * بابيض ماضى الشفرتين يمانى

وفيما نحن فيه ايضا كان يسع اوليسع من الاعلام المشتركة فعرف باللام على ارادة اليسع الفلانى او الليسع الفلانى

(قوله ولقد) اى وفى سبب اقبد بذى الكفل (قوله اونوع من الذكر) وهو القرآن يريد ان التنوين فى ذكر للنوعية ومطلق الذكر هو القرآن لما ذكر الله تعالى بابا من ابواب القرآن ونوعا من انواعه وهو الباب الذى ذكر فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال هذا نوع من القرآن ثم شرع فى باب آخر من ابوابه وهو مايذكر فيه الجنة واهلها فقال وان للمتقين الخ (قوله وهو من الاعلام الغالبة) اختلف فى جنات عدن فقال قوم هى معرفة بشهادة قوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده حيث وصفها باسم الموصول فدل على انها معرفة وقال آخرون هى نكرة اذ ليس عدن بعلم وانما هو كقولك جنات اقامة والعدن فى اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به والمصنف رد عليهم بان ماذكرتم حاله فى اصل الوضع ثم صار علما بالغلبة وجنات عدن سوآء كان معرفة او نكرة يجوز كونها بدلا من حسن مآب لان المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس واما كونها عطف بيان لحسن مآب على تقدير كونها معرفة فلا يجوز عند البعض وجوزه الزمخشرى والمصنف فان الزمخشرى خرج فى مواضع جواز عطف البيان وان خالف متبوعه تعريفا وتنكيرا منها قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم (قوله وانتصب عنها) ظاهر العبارة يشعر بان مفتحة حال من نفس جنات عدن وذا لا يجوز اذ جنات تابع لاسم ان ومعمول لها تبعا فيلزم ان يكون الحال ايضا معمولا لها وان لا تعمل فى الاحوال بل هى حال من الضمير المستتر فى للمتقين وذلك الضمير لما كان راجعا الى الجنات وعبارة عنها تسامح فقال وانتصب عنها اى عن الضمير الراجع اليها المنوى فى للمتقين والمعنى ان جنات عدن استقرت للمتقين حال كونها مفتحة الابواب والابواب فاعل مفتحة والالف واللام فيه بدل من الضمير العائد الى ذى الحال اى ابوابها وهو قول الكوفيين وانكر البصريون ذلك بناء على ان الحرف لا يكون عوضا عن الاسم ولا يقوم مقامه وقالوا ان مفتحة فيها ضمير الجنات ولذلك انث والابواب بدل من ذلك الضمير بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال لان الابواب بعض الجنات وهى مشتملة عليها وقيل الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اى مفتحة لهم الابواب منها كما حذف منه فى قولهم السمن منوان بدرهم ورد عليهم بالفرق بينه وبين ما نحن فيه لان ضمير المبتدأ قد يحذف باسره فيجوز حذف بعضه ايضا بخلاف الصفة فانها لا تحذف اعتمادا على القرينة من حيث انها فضلة يتم الكلام بدونها فاذا لم يصرح بها لا يكتفى بالقرينة اذ يفوت الغرض المقصود منها (قوله وقرئتا مرفوعتين) على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او انهما خبران لمحذوف اى هو جنات عدن مفتحة لهم (قوله اومتدا خلان) بان يكون متكئين حالا من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة ويدعون حالا من ضمير متكئين لا حالا ثانية من ضمير لهم ويجوز ان يكون حالا منه اى من ضمير لهم فيكونان حالين متعاقبين (قوله لدات) اى متساويات فى السن وقيل انهن لدات لازواجهن مساوية لهم فى السن اى بعضهم لدة لبعض الجوهرى لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة وهما لدان والجمع لدات ولدون وهذه ترب هذه اى لدتها وصف الله تعالى احوال اهل الجنة فى هذه الاية فبدأ بذكر مساكنهم فاشار الى انها بساتين وانها موضع اقامة وان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وبين بقوله متكئين انهم لا يتقيدون فيها بشغل وعمل ينافى الحبور والراحة ثم بين سعة عيشهم بالوان الفاكهة ولما بين حال مسكنهم ومآكلهم ومشاربهم ذكر امر المنكوح وبين انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن وانهن على سن واحد (قوله اولا تخذناهم) اشارة الى ان ام المتصلة لابد ان تقع بعد اداة الاستفهام ويكون معها معنى اى ولما كان عدم رؤية الطاغين اياهم لازما لغيبتهم كنوا عنه فقالوا تعجبا وتحسرا مالنا لا نرى اى ما اعجب امرنا حيث لم يكونوا معنا فى النار ثم انكروا على انفسهم فى الاستسخار منهم بقولهم أتخذناهم سخريا ثم عادوا الى الاستفهام على انهم فى النار لكن خفى عليهم مكانهم ومالت عنهم ابصارهم لكونهم فى ناحية اخرى من النار فقالوا ام زاغت عنهم الابصار فأم على هذا متصلة بقولهم مالنا وان لم تكن للاستفهام فان لفظ الاستفهام يكفى فى معادلة ام المتصلة الا ترى ان همزة التسوية جعلت معادلة ام فى قوله تعالى سوآء عليهم ءاستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم هذا ان قرئ أتخذناهم على لفظ الاستفهام وكانت متصلة فيكون المعنى انهم بعد ما تحسروا على غيبتهم عنهم بكونهم من اهل الجنة انكروا على انفسهم كل واحد من الامرين الاستسخار منهم وتحقيرهم فان عدم الالتفات الى الشئ من لوازم تحقيره ويكنى به عنه (قوله اومنقطعة) عطف على قوله معادلة فتكون ام بمعنى بل وهمزة الانكار

٩ واحد (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزآء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ماقبله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع (هذا) اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا (وان للطاغين لشر مآب جهنم) اعرابه ماسبق (يصلونها) حال من جهنم (فبئس المهاد) المهد المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره (حميم وغساق) وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق مايغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى وغساق بتشديد السين (وآخر) اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اى مذوقات او انواع عذاب اخر (من شكله) من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة (ازواج) اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية مايقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها (لا مرحبا بهم) دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا رحبا وسعة (انهم صالوا النار) داخلون النار باعمالهم مثلنا (قالوا) اى الاتباع للرؤساء (بل انتم لا مرحبا بكم) بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا (انتم قدمتموه لنا) قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوآئنا واغرآئنا على ماقدمناه من العقائد الزآئغة والاعمال القبيحة (فبئس القرار) فبئس المقر جهنم (قالوا) اى الاتباع ايضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) اى الطاغون (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقرآء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم (أتخذناهم سخريا) صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين (ام زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلا نراهم وام معادلة لمالنا لا نرى على ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القرآءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارها على انفسهم او منقطعة

والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم (ان ذلك) الذى حكيناعنهم (لحق) لابدان يتكلموا به ثم بين ماهو فقال (تخاصم اهل النار) وهو بدل من حق اوخبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك (قل) يامحمد للمشركين (انما انامنذر) انذركم عذاب الله (ومامن اله الاالله الواحد) الذى لايقبل الشركة والكثرة فى ذاته (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض ومابينهما) منه خلقهما واليه امرها (العزيز) الذى لايغلب اذا عاقب (الغفار) الذى يغفر مايشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية مايشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار (قل هو) اى ماانبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد فى الوهيته وقيل مابعده من نبأ آدم عليه السلام (نبأ عظيم انتم عنه معرضون) لتمادى غفلتكم فان العاقل لايعرض عن مثله كيف وقدقامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فمامر واما على النبوة فقوله (ماكان لى من علم بالملأ الاعلى اذيختصمون) فان اخباره عن تقاول الملائكة وماجرى بينهم على ماورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لايتصور الا بالوحى واذ ظرف لعلم ومتعلق به اومحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى (ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين) اى لانما كانه لما جوز ان الوحى يأتيه بين بذلك ماهو المقصود تحقيقا لقوله انما انامنذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية (اذقال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) بدل من اذيختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على مامر فى البقرة

وام المنقطعة يصح ان تقع بعدالخبر والاستفهام فان قرئ اتخذناهم على الخبر يكون المعنى انهم بعدما اخبروا عن انفسهم بماصنعوابالمسلمين من الاستهزاء والسخرية على سبيل الندم والتحسر اضربوا عن ذلك الاخبار بالاخذ فى الانكار اشارة الى ان ليس للموضع موضع الاخبار عماصنعوا بهم بل الانكار لماحملهم على ذلك الصنع السوء من زيغ ابصارهم عنهم وكلال افهامهم عن معرفة قدرهم وعلوشأنهم وكونهم على الحق المبين وان قرئ على الاستفهام فالمعنى انهم انكروا على انفسهم ماصنعوابهم ثم اضربوا عنه وانكروا على انفسهم ماهو اليق بالانكار لكونه حاملا لهم على ذلك اى دعا الى ذلك زيغ ابصارنا عنهم فى الدنيا فلانعدهم شيأ وكلال افهامنا حيث خفى علينا حقيقة حالهم ومانظرنا منهم الاالى ظواهرهم ورثاثة الهيئة اى دناءتها وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤساء لامرحبابهم وقول الاتباع بل انتم لامرحبابكم من باب الخصومة ولما شرح الله تعالى نعيم المتقين وعقاب الطاغين عاد الى تقرير النبوة والتوحيد والبعث المذكور فى اول السورة فبدأ بتقرير النبوة بمايتضمن وعيدالمشركين بان وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو اصل التوحيد وثنى وعيدهم بتوصيف الاله الواحد عزوجل بانه قهار ثم اتبعه بماهو وعد للموحدين وهو قوله رب السموات الاية فان مالكيتها تشعر بالاتصاف بصفات الجلال والجمال ومنها تربيته بجوده واحسانه بايصال خلقه الى درجات كماله (قوله لان المدعو به هو الانذار) علة لتقديم مايشعر بالوعيد وتكريره يعنى انماقدمه وكرره لان السبب الحامل على نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقل يامحمد هو انذارهم وقوله تعالى هو مبتدأ ونبأ خبره وعظيم اى جليل القدر صفة نبأ وانتم عنه معرضون ايضاصفة وعنه متعلق بمعرضون (قوله فان اخباره عليه الصلاة والسلام عن تقاول الملائكة) اشارة الى ان المراد باختصام الملأ الاعلى وهو الملائكة عبارة عماجرى بينهم من التقاول فى شأن آدم عليه الصلاة والسلام حين قال تعالى للملائكة على لسان ملك انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيهامن يفسد فيها الخ سمى ماجرى هناك من السؤال والجواب مخاصمة ومناظرة مجازا لتشبيهه بها وقيل المراد اختصامهم واغتياظهم لبنى آدم ومافيهم من الفضائل وتقاولهم بان اختصاصهم بمزيد الكرامة والشرف لاى سبب هو ويجيبهم البعض الاخر بان ذلك الكفارات والدرجات كما ورد فى حديث الاختصام انه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الله فى احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات قال وماهن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه فى السبرات وفى بعض الروايات فى المكاره والسبرة الغداة الباردة قال من فعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وقال ثم ماالدرجات قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة فى الليل والناس نيام قال قل اللهم انى اسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموهن فوالله الذى نفسى بيده انه الحق وفيه روايات اخر حاصل جميعها ماكتب ويجوز انه تعالى ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم اجمالا اختصام الملائكة اولا فى القرءآن ثم بينه ثانيا مفصلا فى منامه (قوله واذ ظرف لعلم ومتعلق به) ولم يتعرض الزمخشرى لهذا الوجه ولعل وجهه انه لم يجد فائدة فى نفى علمه عليه الصلاة والسلام وقت الاختصام واختاره المصنف وقدمه على الوجه المبنى على الحذف على ان نفى علمه بهم وقت الاختصام على وجه الاستغراق يقتضى نفى علمه بشئ من اوصافهم واحوالهم وذلك يستلزم ان لايعلم اختصامهم ثم اذا علمه واخبر عنه من غير سماع ومطالعة كتاب ثبت انه نبى يوحى اليه (قوله اى لانما) اشارة الى ان محل انما انانذير انتصب بنزع الخافض والتقدير مايوحى الى الالانما انانذير اى للانذار فحذف الجار وهو غيرمرادفانتصب المجرور بايصال الفعل اليه اوهومراد فيكون فى موضع الجر كماهو المشهور فى مثله والقائم مقام الفاعل على هذا الى فان كان فى محل الرفع على انه القائم مقام الفاعل يكون المعنى مايوحى الى الاهذا وهوان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك فان مآل جميع مااوحى اليه عليه الصلاة والسلام هو الانذار وفى المعالم وقرأ ابوجعفر انما بكسر الالف لان الوحى قول امين فتكون الجملة متضمنة لهذا الاخبار وقال الزمخشرى على الحكاية اى الاهذا القول وهوان اقول لكم انما انانذير مبين ثم فسر ذلك القول بقوله وهو قولى لكم انما انانذير (قوله فان القصة) بيان لكونه بدل اشتمال من اذيختصمون بناء على ان قصة الاختصام مشتملة على مضمون هذه الجملة مع امور اخرى هى التقاول

الجاري بين الملائكة وآدم وابليس وسموا بالملأ الاعلى لانهم كانوا فى السماء وقت التقاول (**قوله** غير انها اختصرت) حيث لم يذكر فى هذا المقام كلام الملائكة فلذا لم يذكر آدم وكلامه ولما ورد ان يقال ان كان المراد بملأ الاختصام الملائكة وآدم وابليس فليس الاختصام والتقاول فيما بينهم بل كان بين الله وبينهم لان الله تعالى هو الذى قال لهم وقالوا له وان جعلت الله من قبيل الملأ الاعلى على سبيل التغليب فقد ابعدت المرمى اجاب عنه اولا بان المقالة الجارية بينهم وبين الله تعالى جعلت واقعة بين الملأ الاعلى بناء على ان تكون مقاولته تعالى اياهم بواسطة ملك بان اوحى الله الى ملك من الملائكة ان يقول اى وهو الذى قال لسائر الملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وهو القائل لهم اسجدوا لآدم والقائل لابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى والقائل لآدم انبئهم باسمائهم فيكون اسناد هذه الاقاويل اليه تعالى مجازا لكونه سبب اقواله وثانيا بتعميم الملأ بان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة على سبيل التغليب وهو ضعيف (**قوله** عدلت خلقته) اى هيئته الهيئة التى لايبقى بعدها الا نفخ الروح فيه والفاء فى قوله تعالى فقعوا له ساجدين يدل على انه لما تم نفخ الروح فى الجسد امر الله تعالى الملائكة بان يقعوا له ساجدين سجدة التحية والاكرام فان قع امر من وقع يقع فكذا قول المصنف فخروا بكسر الخاء على لفظ الامر (**قوله** وصار) فسر كان بصار اشارة الى ان وجود كفره انما كان وقت ابائه واستكباره من الازمنة الماضية لافى جميع الازمنة الماضية فان كان ليس بموضوع لاستمرار خبره لاسمه فى جميع الازمنة الماضية بل مطلقا فى جنس الاوقات الماضية فصح ارادة اى وقت منها وصح ارادة وقت ابائه واستكباره عنه وصح ايضا ارادة جميع الازمنة الماضية وذلك اذا حمل على وجود كفره فى علم الله تعالى (**قوله** خلقته بنفسى) اشارة الى ان خلقت بيدى استعارة لتفرده بخلقه تشبيها لتفرده بالايجاد باختصاص ما عمله الانسان بيديه كما مر فى سورة يس فى تفسير قوله مما عملت ايدينا ولما كفى فى افادة هذا المعنى توحيد لفظ اليد بين وجه تثنيته وقيل ان قوله او اختلاف الفعل اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم خمرت طينة آدم اربعين صباحا وقوله وترتيب الانكار عليه اشارة الى فائدة توصيف المسجود له بمضمون الصلة وهو خلقت بيدى فى مقام الانكار على ترك السجدة له وذكر فيها وجهين الاول ان ذلك الوصف داع الى السجود والتعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعى اليه اقبح فيكون التوبيخ على تركه اتم والثانى ان ذلك الوصف هو الذى صرف ابليس عن السجود لآدم وابى واستكبر ان يسجد لغير الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو من طين وان نفسه مخلوق من النار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فذكر الله تعالى فى مقام الانكار على ترك السجود والتوبيخ عليه ما هو الصارف عنه بزعمه توبيخا له على اعتباره مع ان وجود ما يدعوا الى السجود اقوى منه وهو امر الله تعالى له بالسجود فان فضل الساجد على المسجود له لايصلح مانعا وصارفا له عن الامتثال لامره تعالى بالسجود للمفضول (**قوله** وترتيب الانكار عليه) اى على كون المسجود له مخلوقا له تعالى من غير توسط اما للاشعار بان ذلك الوصف داع الى التعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعى اليه اقبح فيكون التوبيخ على تركه اتم او الاشعار بان كونه مخلوقا له تعالى هو الذى تشبث به اللعين فى ترك تعظيمه قال كيف يستحق المخلوق لان اسجد له واعظم من دون الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو مخلوق من طين وان نفسه مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فابى ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه وذكر الله تعالى ما هو الصارف عنه بزعم اللعين وانكر على تركه السجود لما خلقه بنفسه للاشعار بان ما زعمه صارفا لايصلح صارفا اذ للسيد ان يجعل بعض عبيده خادما للبعض ولو كان للخادم مزيد اختصاص بالسيد فكان شرف الخادم لاعبرة به مع وجود ما يدعوه الى خدمة المفضول وهو امر السيد بخدمة المفضول فان امر السيد واجب الاتباع سواء امر الفاضل بخدمة المفضول او بالعكس (**قوله** وقيل استكبرت الآن الخ) والمعنى على الاول ألاستكبارك تركت السجود ام لعلوك وعلى الثانى ألاستكبارك الحادث تركت السجود ام لاستكبارك القديم المستمر ولم يرض به المصنف لان جواب ابليس لايطابقه فانه اجاب بانه انما ترك السجود لكونه خيرا منه وعاليا بالنسبة اليه وبين ذلك بان اصله من النار واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين لان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه وايضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية واللطافة والنورانية خير من الكثافة والظلمانية (**قوله** اى فاحق الحق واقوله) اشارة الى ان الحق الاول منصوب بفعل مقدر والثانى باقول المذكور (**قوله** ان عليك الله ان تبايعا) تمامه تؤخذ كرها او تجيء طائعا *

غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود ههنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة (فاذا سويته) عدلت خلقته (ونفخت فيه من روحى) واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته (فقعوا له) فخروا له (ساجدين) تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) باستكباره امر الله تعالى واستنكافه عن الطاعة او كان منهم فى علم الله تعالى (قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى) خلقته بنفسى من غير توسط كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة او اختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى تركه سجوده وهو لايصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص (أاستكبرت ام كنت من العالين) تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل أاستكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار (قال انا خير منه) ابداء للمانع وقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (قال فاخرج منها) من الجنة او السماء او من صورة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الرحمة ومحل الكرامة (وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) مر بيانه فى الحجر (قال فبعزتك) فبسلطانك وقهرك (لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القراءتين (قال فالحق والحق اقول) اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله * ان عليك الله ان تبايعا *

فان اسم الله تعالى مقسم به حذف منه حرف القسم واوصل الفعل اليه كان شخصا اخذ قهرا الان يبايع واليا فقيل له اقسم بالله ان الواجب عليك ان تبايع فلا تؤخذ كرها الاجل ذلك ثم بعد المبايعة ترد طوعا فتؤخذ بدل من تبايع بدل الفعل من الفعل كما يبدل الاسم من الاسم (قوله تعالى لاملأن جهنم منك) اى من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم اى من ذرية آدم على ان من فى منهم بيان لمن تبعك واجمعين يجوزان يكون تأكيدا للكاف فى منك وماعطف عليه وهو ومن تبعك اى لاملأن جهنم منك يا ابليس وممن تبعك من بنى آدم لا اترك احدا من التابعين والمتبوعين وان يكون تأكيدا لضمير منهم اى لاملأن جهنم منك وممن تبعك من جميع الناس لا تفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الايجوز منهم وهو الاغواء والاتباع (قوله وقرئا مرفوعين) اما رفع الاول فلما ذكر من كونه مبتدأ حذف خبره اى فالحق قسمى لاملأن جهنم كقوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اومن كونه خبرا لمبتدأ محذوف اى فانا الحق كقوله و يعلمون ان الله هو الحق المبين واما رفع الثانى فبالابتداء وخبره الجملة بعده والعائد محذوف كما فى قول ابى النجم

قداصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع

لان الرواية برفع كله ولابد من العائد وقرئا مجرورين ايضا اما الاول فمجرور على الحكاية وهو منصوب المحل باقول بعده كأنه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم مقيدا بما لفظ به اولا وفسره الزمخشرى بقوله اى ولا اقول الا الحق كما فى قرآ.نهما منصوبين ووجه القصر على تقدير النصب ظاهر لانه مفعول قدم على عامله وكذا على تقدير الجر لان الحق المجرور حينئذ منصوب محلا والجر على حكاية لفظ المقسم به فاذا قدم على الفعل جاء القصر ايضا وعلى تقدير ان يجعل الحق الثانى حكاية عن الاول ومعربا باعرابه لايكون قوله والحق اقول معترضا بل يكون لمجرد التأكيد كالتكرير قال الزمخشرى ومعناه التوكيد والتشديد اى تأكيد القسم وتشديده لانه اذا قيل وبالقسم الحق اقول واتكلم كان ذلك فى معنى تكرير القسم (قوله وهو سائغ فيه اذا شارك الاول) اى الوجه المذكور وهو الاعراب على حكاية اللفظ المتقدم جائز فى الثانى اذا شارك الاول فى صورة الاعراب بان كانا منصوبين اومرفوعين اومجرورين ولايختص بالاخبر لان المنصوبين ايضا مقسم بهما كالمجرور وغيرانه لابد فى المرفوع من تقدير الخبر فحكايتهما تفيد ماتفيده حكاية المجرور وهذا الوجه فى المرفوع والمنصوب فيه دقة لبست فيهما على تقدير عدم الحكاية اذلا يهتدى اليه كل احد وفيه ايضا حسن حيث يقبله الطبع وينبئ عنه المقام وقوله وتخريجه على ماذكرنا اراد غير الحكاية يعنى ان المرفوع مبتدأ محذوف الخبر اى الحق قسمى والمجرور مجرور باضمار حرف القسم ونصب الثانى على انه مفعول مقدم والجملة معترضة (قوله اذا الكلام فيهم) جواب مايقال ان من تبعك يعم الناس والجن فعلى هذا الظاهر ان يكون ضمير منهم للثقلين وضمير منك للشيطان وحده (قوله على ماعرفتم من حالى) اشارة الى ان قوله وما انا من المتكلفين انما هو للتنبيه على ماعرفوا من حاله لا للاخبار والالكان دعوى بلا بينة (قوله فأنتحل النبوة) اى ادعيها لنفسى كاذبا يقال انتحل شعر غيره اذا ادعاه لنفسه (قوله وهو مافيه من الوعد) اشارة الى ان الاضافة فى نبأه بمعنى فى اى لتعلمن الخبر الذى فى القرآن اولتعلمن خبر صدقه على حذف مضاف والله اعلم

سورة الزمر سبعون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن) اراد بالوجه الاول كون تنزيل خبر مبتدأ محذوف والظاهر انه اراد بالكتاب هذه السورة لان الكتاب والقرآن وان كانا اسمين لما بين دفتى المصحف متناولان لجميع السور الا ان الظاهر ان يختص الكتاب بالسورة حينئذ لوجود المخصص وهو الاشارة فان الاصل ان تكون الاشارة الى الموجود الحاضر فيكون المعنى هذا التنزيل تنزيل السورة من الله او كائن من الله واراد بالوجه الثانى كون تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف بعده خبره والظاهر ان يبقى الكتاب على اطلاقه لعدم المخصص والمعنى هذا تنزيل الكتاب ان كان من الله حالا من التنزيل والعامل فيها ما فى هذا من معنى الفعل وهذا تنصيص على ان معانى الافعال تعمل سواء كان ماهى فيه محذوفا ومذكورا وقيل اذا كان ماهى فيه محذوفا لاتعمل كما لاتعمل فى المتقدمة لضعفها وان كان حالا من الكتاب والعامل فيها التنزيل فكأنه قيل تنزيل الكتاب كائنا من الله وجاز مجئ الحال من

وجوابه (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يمينى اوقسمى اوالخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله قداصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاول وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول و برفع الاول وجره ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرنا والضمير فى منهم للناس اذا الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له اوللضميرين (قل ما اسألكم عليه من اجر) اى على القرآن اوعلى تبليغ الوحى (وما انا من المتكلفين) المتصنعين بما لست من اهله على ماعرفتم من حالى فأنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمن نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد وصدقه باتيان ذلك (بعد حين) بعد الموت اويوم القيامة اوعند ظهور الاسلام وفيه تهديد * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير اوكبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل ياعبادى وآيها خمس وسبعون اوثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(تنزيل الكتاب) خبر محذوف مثل هذا اومبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وهو على الاول صلة التنزيل اوخبر ثان اوحال عمل فيها معنى الاشارة اوالتنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ اوالزم

المضاف اليه لكونه مفعولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف الى مفعوله (قوله ملتبسا بالحق) اشارة الى ان بالحق متعلق بمحذوف فى موضع النصب على انه حال من الكتاب لمابين انه منزل من عندالله بين انه انما انزل ملابسا بالحق و يجوز ان يكون حالا من فاعل انزلنا اى انزلناه ملتبسين بالحق والصدق والصواب اى كل مافيه حق يجب فيه الاعتقاد والعمل به وقوله اوبسبب اثبات الحق اشارة الى انه متعلق بالانزال فيكون بيانا لما دل عليه الحكيم اجمالا ولما بين ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه ببعض مافيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص على ان الدين هو الطاعة والعبادة واخلاصها لله تعالى ان يكون الداعى الى اتيانها مجرد الانقياد والامتثال من غير ان يشوبها شئ من الشرك والرياء وقوله تعالى مخلصا حال من فاعل فاعبد والدين منصوب بمخلصا وله متعلق به (قوله وقرئ برفع الدين على الاستئناف) فيتم الكلام على مخلصا و يكون له الدين مبتدأ وخبرا قصد به تعليل الامر بالعبادة لله تعالى على وجه الخلوص ولما كان تقديم الخبر مفيدا لتأكيد الاختصاص المستفاد من الامر ورد ان يقال فحينئذ يكون قوله الالله الدين الخالص تكريرا له فالفائدة فيه اجاب عنه بانه تأكيد لذلك الاختصاص مع التصدير بحرف التنبيه الدال على ظهور الامر (قوله والاطلاع على الاسرار والضمائر) فيطلع على سر من اخلص له الطاعة ومن فعلها رياء وسمعة فلا يقبل الا ما خلص له ويضيع غيره (قوله يحتمل المتخذين) يعنى ان الموصول فى قوله والذين اتخذوا يحتمل ان يكون عبارة عن المتخذين بكسر الخاء وهم المشركون الذين اتخذوا غيره اولياء فيكون ضمير اتخذوا راجعا اليهم فالذين مبتدأ وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى مقول مضمر وذلك المضمر مع معموله خبر المبتدأ والتقدير والذين اتخذوا من دون الله اولياء قالوا مانعبدهم الا ليقربونا الى الله تقريبا و يشفعوا لنا عندالله و بذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما اى قرأ باظهار قالوا وقال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فان قيل لهم فما معنى عبادتكم الاوثان قالوا ليقربونا الى الله لانهم يزعمون انها تماثيل الكواكب اوتماثيل الملائكة اوتماثيل الصالحين الذين مضوا فيعبدونها رجاء ان تنفعهم عندالله و يجوز ان يكون خبر المبتدأ قوله ان الله يحكم بينهم فيكون ذلك القول المضمر مع مقوله فى محل النصب على الحال من فاعل اتخذوا اى فالذين اتخذوا قائلين كذا وكذا ان الله يحكم بينهم او يكون ذلك القول المضمر بدلا من صلة الذين التى هى اتخذوا اى والذين اتخذوا قالوا مانعبدهم والخبر ايضا ان الله يحكم بينهم و يحتمل ان يكون والذين عبارة عن المتخذين بفتح الخاء اى والذين اتخذهم المشركون اولياء من الملائكة وماعبد من دون الله كعيسى وعزير واللات والعزى فحينئذ ضمير اتخذوا يكون راجعا الى المشركين الذين يدل عليهم سوق الكلام اذ يكفى فى الاضمار ذكر ما يرجع اليه الضمير واولياء مفعول ثان لاتخذوا ومفعوله الاول محذوف وهو الضمير العائد الى الموصول والتقدير والذين اتخذهم المشركون من دون الله اولياء يقولون مانعبدهم الا ليقربونا لان هذا الكلام انما يصح ممن يعبد غير الله والمتخذون بفتح الخاء ليسوا كذلك والزلفى اسم مصدر بمعنى القربة والمنزلة وانتصابه لاقامته مقام المصدر المؤكد لعامله لانه متحد به فى المعنى اى ايزلفونا الى الله زلفى اى ليقربونا تقريبا وجوز ابو البقاء ان تكون حالا مؤكدة (قوله والضمير) اى ضمير الجمع فى قوله بينهم وهم يختلفون للكفرة ومقابليهم وقد تقدم ذكر الكفرة صريحا على الاحتمال الاول فى قوله والذين اتخذوا وذكر المؤمنين تقدم لدلالة سوق قوله الالله الدين الخالص فان اهله المؤمنون وعلى الاحتمال الثانى كلاهما مذكوران دلالة والمراد بالكذب فى قوله تعالى من هو كاذب كفار وصفهم الاصنام بانها آلهة مستحقة للعبادة وانها تشفع لهم وتقربهم اوقولهم الملائكة بنات الله بقرينة تعقيبه بما يبطله و يحتمل ان يكون المراد بالكفر كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم وذلك لايليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وهو الله تعالى والاوثان لامدخل لها فى الانعام فعبادتها غاية الكفران لنعمة المنعم الحق (قوله اذلاموجود سواه) تعليل لقوله لاصطفى ممايخلق باعتبار تضمنه لما هو جواب لو حقيقة فان تقرير الكلام لوثبت القول بانه اراد اتخاذ الولد لامتنع اجراؤه على حقيقته ولايكون معناه الا انه اراد اصطفاء بعض خلقه وتخصيصه وتقريبه اليه كما يخصص ولده ويقربه وذلك لان حقيقة اتخاذ الولد ممتنع فى حقه تعالى لاستلزامه تركب ذاته من الماهية الكلية والتعين المنضم اليها ضرورة ان الولد والوالد متفقان بالحقيقة ومتمايزان بالهوية والتعين فيكون لكل واحد منهما ماهية نوعية وتعين منضم اليها وارادته تعالى لايجوز ان تتعلق بالممتنع فلم يبق للقول بانه اراد اتخاذ الولد

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله (فاعبدالله مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال (الالله الدين الخالص) اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر (والذين اتخذوا من دونه اولياء) يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) باضمار القول او (ان الله يحكم بينهم) وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى خبره حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا مانعبدهم و مانعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا (فيماهم فيه يختلفون) من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم (ان الله لايهدى) لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب كفار) فانهما فاقدا البصيرة (لو اراد الله ان يتخذ ولدا) كما زعموا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ لاموجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لايماثل الخالق فيقوم مقام الولد له

ثم قرر ذلك بقوله (سبحانه هوالله الواحدالقهار) فان الالوهية الحقيقية تدع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هو منتهى دوره او منقطع حركته (الا هو العزيز) القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) نوع استدلال آخر بما اوجده فى العالم السفلى مبدوأ به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكر ثلاث دلالات خلق آدم عليه السلام اولا من غير اب وام ثم خلق حوآء من قصيراه ثم تشعب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اى من نفس وجدت ثم جعل منها زوجها مشفعا بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية

سوى ما ذكر ثم انه تعالى لما اصطفى بعض خلقه وقربهم اليه زعم الكفرة لجهلهم وانطماس عين بصيرتهم ان الذين اصطفاهم اولاده حقيقة من جهة تحقق لوازم الاولاد فيه من قربتهم اليه تعالى وكرامتهم عنده ولم يقتصروا على هذا القدر بل تجاوزوا الى جعلهم بنات الله تعالى فهم كذابون كفارون مبالغون فى الافترآء على الله واذا ثبت ان تقدير الكلام ما ذكر يكون جواب لو قوله لامتنع اجرآؤه على حقيقته فحذف هذا الجواب فى الآية واقيم قوله لاصطفى مما يخلق ما يشاء مقامه ولما تضمن هذا ابى ان يصطفى ما يتحد معه فى الحقيقة المشتركة علله بقوله اذ لا موجود الخ ولما تبين بهذه العلة ان معنى ارادته تعالى اتخاذ الولد هو اصطفاء بعض خلقه تبين ان استحالة اتخاذ الولد عليه تعالى محقق لان المخلوق لا يماثل الخالق حتى يكون ولدا له فتكون الآية من قبيل قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى لو قيل انه تعالى اراد اتخاذ الولد يكون معنى ارادته ارادة اصطفاء بعض خلقه ولا خفاء ان هذا الاصطفاء ليس باتخاذ الولد فى شئ فاذن محال ان يقال يتخذ ولدا (قوله ثم قرر ذلك) اى اثبت ان ما يتصور من اتخاذ الولد فى حقه تعالى وهو اصطفاء بعض خلقه بان وحدته الذاتية وكونه قهارا اى غلابا لكل شئ موجود تنافى ان يكون شئ من الموجودات ولده فان الوحدة الذاتية تنافى المماثلة وقهاريته لكل شئ يوجد تنافى ان يكون شئ من الموجودات ولده ثم استدل على انه واحد لا يشارك وقهار لا يغالب بقوله خلق السموات الاية فان هذه الافعال من خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام تدل على ان كل واحد من متعلقات تلك الافعال مغلوب مقهور ولا بد من قاهر يكون كل منها تحت تدبيره وقهره وانه واحد لا شريك له والظاهر ان قوله تعالى يكور الليل على النهار كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وقيل انه حال من فاعل خلق وهو ضعيف من حيث ان تكوير احدهما على الآخر كان بعد خلق السموات والارض الا ان يقال هى حال مقدرة وهو خلاف الاصل اذ لا يصار اليه من غير ضرورة (قوله يغشى كل واحد منهما الآخر) اى يجئ به اياه يقال غشيته بكذا غشيانا جاءبه اياه واغشاه اياه اى جاءبه غيره يريد ان اصل التكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه يكورها كورا اذا لفها عليه وكل دور كور ومعنى تكوير كل واحد من الملوين على الآخر كون كل واحد منهما خلفة بان يذهب هذا ويغشى مكانه ذاك واذا غشى مكانه ذاك كانما لف عليه ولبسه كما يلف الثوب على اللابس شبه التغشية بالالباس والتكوير فى الاحاطة فعبر بها عنهما استعارة تصريحية ثم اشتق من التكوير بمعنى التغشية لفظ يكور فكان استعارة تبعية فعلى هذا اعتبر التشبيه فى الفعل (قوله او يغيبه) اى الليل والنهار شبه كل واحد منهما بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه ووجه الشبه التغييب اى لما كان كل واحد منهما يغيب الآخر شبه باللفافة التى يغيب الملفوف فيها بالستر والاحاطة (قوله او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا) هو كالوجه الاول فى انه اعتبر التشبيه فى الفعل حيث شبه التغشية اى تغشية كل واحد منهما الآخر على سبيل التتابع والتعاقب بتكوير العمامة ولف بعض اكوارها اثر بعض متتابعا على نسق واحد الا انه جعل وجه الشبه التتابع (قوله نوع استدلال آخر) اشارة الى ان ما تقدم من الدلائل الدالة على قهاريته ووحدته فلكية فان كل واحد من خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير الشمس والقمر متعلق بالفلك وبما يتصل به ولما ذكر الدلائل الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية السفلية * والقصيرى تصغير القصرى وهى الضلع الاسفل التى هى اقصر الضلوع (قوله وثم للعطف على محذوف) جواب عما يقال عطف قوله تعالى ثم جعل منها زوجها على قوله خلقكم من نفس واحدة على طريق عطف الجملة على الجملة يدل على ان خلق حوآء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام متراخ عن تشعيب الخلق الفائت للحصر من آدم والظاهر انه ليس كذلك مع ان تشعيب الخلق الفائت للحصر من آدم لم يكن مقدما على خلق حوآء من ضلع آدم عليهما الصلاة والسلام واجاب عنه بثلاثة اوجه كلمة ثم على الوجهين الاولين على اصلها من كون المعطوف بها متأخرا عن حكم المعطوف عليه بحسب الوجود والزمان وعلى الثالث تكون ثم للتراخى فى الرتبة لان كل واحد من المعطوف عليه والمعطوف جئ به للدلالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته فالجملة الثانية وان كان مضمونها مقدما على مضمون الاولى زمانا الا انه متأخر عنه رتبة من حيث ان مضمون الثانية ادل على كمال القدرة وادخل فى كونها آية دالة على التفرد فى الوهيته واجلب لتعجب السامع بالنسبة

الى مضمون الاول والثانى ادل عليها وادخل فى كونها آية واجلب لعجب السامع وذلك لان تشعب الخلائق من نفس واحدة بطريق التناكح والتوالد عادة مستمرة بخلاف خلق حوآء من ضلع آدم فانه خارق للعادة انلم تخلق انثى غير حوآء من قصيرى رجل (قوله وقيل اخرج من ظهره الخ) جواب رابع تقريره انه ليس المراد من قوله خلقكم من نفس واحدة خلقهم على هيئتهم الآن حتى يرد ان خلقهم كذلك ليس مقدما على خلق حوآء كما يقتضيه عطف قوله ثم جعل منها زوجها عليه بل المراد خلقهم على هيئة الذر وهو اخراجهم من ظهر آدم كالذر وجاز ان يكون ذلك مقدما على خلق حوآء من ضلعه من حيث الزمان فحينئذ تكون ثم للتراخى الزمانى ولم يرض به المصنف لانه خلاف الظاهر (قوله وقضى اوقسم الخ) لما لم تكن الازواج الثمانية وهى الذكر والانثى من الاجناس الاربعة التى هى الابل والبقر والضأن والمعز نازلة من السماء ومتعلقة بالانزال فسر الانزال بما يصح تعلقها به وهو القضاء او القسمة و بين وجه العلاقة بين الانزال وبينهما بكون الانزال من توابعهما ولوازمهما فيكون ذكر الانزال وارادة القضاء من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم فيكون مجازا مرسلا (قوله او احدث لكم باسباب نازلة الخ) تصوير لصورة الاسناد المجازى من جعل الازواج متعلق الانزال مع ان الانزال فى الحقيقة متعلق سبب حدوثها و بقائها كالاشعة والامطار للملابسة بينها و بين هذه الاسباب فجعل انزال اسبابها بمنزلة انزال انفسها (قوله بيان لكيفية خلق ماذكر) اشارة الى ان قوله تعالى يخلقكم فى بطون امهاتكم جملة استئنافية لبيان ذلك وخطاب الاناسى والانعام بضمير العقلاء مبنى على تغليب العقلاء على غيرهم وقوله خلقا مصدر يخلق وقوله من بعد خلق صفة للمصدر ليفيد النوعية من حيث انه لما وصف زاد معناه على معنى عامله و يجوز ان يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقا لمجرد التأكيد قيل قوله تعالى فى ظلمات متعلق بخلق المجرور ولا يجوز تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر مؤكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد الا بالبدلية او العطف الا ان يجعل فى ظلمات بدلا من بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون مشتملة عليها و يكون بدلا باعادة الجار فحينئذ يجوز تعلق الجار بيخلقكم ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل وليس باجنبى عنه (قوله او الصلب والرحم الخ) لم يرض به لان خلق الحيوان السوى ليس فى الصلب (قوله لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك) فان هاء الضمير اذا تحرك ماقبلها تتبع حركتها فان كانت الهاء مضمومة تلحق بها الواو وان كانت مكسورة تلحق بها الياء نحو له و به و يرضه يشابه ضربه صورة حيث كان ماقبل الهاء المضمومة مفتوحا فيهما ويشبه برماه تقديرا لان اصله يرضاه فمن قرأه باشباع ضمة الهاء اعتبر مشابهته بنحو ضربه فى كون ماقبل الهاء متحركا والحق به الواو ومن حرك الهاء ولم يلحق الواو نظر الى ان اصله يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس بلازم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف يجوز اشباع الضمة والحاق الواو فكذا اذا كانت فى حكم الباقية لما امر باخلاص العبادة لله تعالى و بين ان الدين الخالص ليس الا له وهدد من اتخذ من دونه اولياء بان يحكم بينهم و بين الموحدين وساق دلالة التوحيد الى ان قال ذلكم الله ربكم وقصر به الالوهية اى استحقاق العبادة والربوبية بمعنى المالكية على المبدأ وهو من هذه افعاله بين ههنا ان طرق الكفار متناقضة لانهم اذا مسهم الضر طلبوا دفعه من الله لعلمهم انه يزيل الضر وان الاصنام لا تضر ولا تنفع وان مبدأ الكل ليس الا الله واذا ازال ذلك الضر عنهم عادوا الى عبادة الاصنام لمنازعة الاوهام الباطلة والخيالات الفاسدة لمقتضى عقولهم وهو الالتجاء اليه فى جميع الاحوال فهم مذبذبون لا يثبتون على شئ (قوله من الخول) اى بالتحريك وهو التعهد اى الرعاية والتحفظ وحسن القيام على الشئ فى الصحاح الخائل الحافظ للشئ يقال فلان يخول على اهله اى يرعاهم وخوله الله الشئ اذا ملكه اياه وقد خلت المال اخوله اذا احسنت القيام عليه يقال فلان خال مال وخائل مال اى حسن القيام عليه ومنه ماجاء فى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا اى يتعهدنا و يطلب اوقات نشاطنا ولا يكثر علينا خوفا من الملال وقال ابو النجم

اعطى فلم يبخل ولم يبخّل * كوم الذرى من خول المخوّل

ومطلعه * الحمد لله الكريم المجزل * ولم يبخل تأكيد يقال ابخلته اذا وجدته بخيلا و بخلته اذا نسبته الى البخل والكوم جمع كوماء كحمر وحمرآء والكوماء الناقة العظيمة السنام والذرى و يجوز ان يكون خوله بمعنى جعله يخول من قولهم

وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حوآء (وانزل لكم) وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار (من الانعام ثمانية ازواج) ذكر وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز (يخلقكم فى بطون امهاتكم) بيان لكيفية خلق ماذكر من الاناسى والانعام واظهار لما فيها من عجائب القدرة غيرانه غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات) ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه افعاله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم والمالك (له الملك لا اله الا هو) اذ لا يشاركه فى الخلق غيره (فانى تصرفون) يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) لاستضرارهم به رحمة عليهم (وان تشكروا يرضه لكم) لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو و يعقوب اسكانها وهو لغة فيها (ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (انه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) لزوال ماينازع العقل فى الدلالة على ان مبدأ الكل منه (ثم اذا خوله) اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار (نعمة منه) من الله

خال يخول اذا اختال وافتخر لان الغنى يختال ومنه قول العرب * ان الغنى طويل الذيل مياس * اى متبختر من ماس يميس اذا تبختر ومنه يجوز ان يتعلق بخوله وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لنعمة (قوله اى الضر الذى) اشار الى ان ما موصولة بمعنى الذى مرادا بها الضر وان مفعول يدعو محذوف وان قوله اليه على حذف المضاف (قوله او ربه الذى) على ان تكون ما بمعنى الذى ايضا مرادا بها ربه الذى كان يتضرع اليه فكان الظاهر حينئذ ان يقال ما كان يدعوه الا انه ضمن يدعو معنى يتضرع ويبتهل فلذلك عدى بالى وكلمة ما يجوز اطلاقها على اولى العلم كما اشار اليه المصنف بقوله وماثله الذى فى قوله اى وكلمة ما على الوجه الثانى تماثلها فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وفى قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم فان كلمة ما فى الجميع بمعنى من حيث اطلقت على اولى العلم وكلمة ما فى قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى فى موضع الجر بالعطف على المجرور بحرف القسم كقوله والنهار اذا تجلى وهى موصولة بمعنى من اى ومن خلق الذكر والانثى وهو الله عز وجل والمراد من نسيانه ترك رعايته كانه لم يدعه قط ولو اراد النسيان الحقيقى لما ذمه عليه (قوله والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح) جواب عما يقال كيف جعل عبدة الاوثان اندادا لله تعالى ليضلوا بنفسهم او باضلال غيرهم مع ان العلة الغائية يجب ان تكون مما يقصد من الفعل ويدعوا فاعل اليه وشئ من الضلال والاضلال ليس كذلك وتقرير الجواب ان عاقبة الفعل شبهت بالعلة الغائية للفعل فى ترتبها عليه فاستعمل فيها لام العلة بطريق الاستعارة التبعية كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا (قوله تعالى قل) اى قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا ولا يصح كونه امر ايجاب او ندب او تخيير وهو ظاهر فلا محل له سوى التهديد والمبالغة فى خذلانه وتخليته وشأنه (قوله فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى) فانه لما عبر عن الاشتغال بالكفر بالتمتع وهو الانتفاع بما تشتهيه النفس اشعر ذلك كون الكفر فيه نوع تشهى لابتنائه على الاستمرار على المألوفات وموافقة الاسلاف من الاباء والامهات (قوله واقناط) عطف على اشعار وهو مستفاد من قوله قليلا لانه لما قلل زمان تمتعه بكفره علم ان المراد بذلك الزمان مدة بقائه فى الدنيا والحكم عليه بانه فى دار الابد من اصحاب النار مبالغة فى اقناطه من التمتع لانه كيف يتصور التمتع والتلذذ ممن يعذب ابدا فى النار ثم انه تعالى لما شرح صفات المشركين وتمسكهم بغير الله تعالى حال الاختيار اردفه بشرح احوال المحقين فقال أمن هو قانت الآية اصله ام من فادغمت الميم فى الميم فسر القنوت بالقيام بما يجب عليه من وظائف العبادات والاتيان بها مطلقا اى سواء كان ذلك حال الانتصاب على الاقدام اولا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل قنوت فى القرآن فهو طاعة الله عز وجل وام متصلة داخلة على من الموصولة وقوله هو قانت صلة من والموصول مع صلته فى محل الرفع على الابتداء وخبره محذوف كما حذف معادل ام المتصلة والتقدير الكافر الذى جعل مع الله آلها آخر وقيل له تمتع بكفرك قليلا خير ام المؤمن القائم بوظائف العبادات خير اى ايهما خير وان كانت ام المنقطعة المتضمنة معنى بل والهمزة تكون للاضراب عن الكلام السابق وهو قوله واذا مس الانسان ضر الى آخر الآية كانه قيل دع ذلك الذم وقل لهم بل أمن هو قانت كضده او كالانسان المذبذب الذى قيل له تمتع بكفرك وان قرئ بتخفيف الميم تكون همزة الاستفهام داخلة على من بمعنى الذى ويكون خبره محذوفا تقديره امن هو قانت كمن جعل لله اندادا او أمن هو قانت كغيره والاستفهام فيه للانكار وآناء الليل منصوب على الظرفية اى قانت ساعات الليل وفيه دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار وقرئ ساجد وقائم بالرفع فيهما على ان ساجد خبر ثان لهو فى قوله هو قانت وقائم عطف عليه والواو المتخللة بينهما مع عدم تخللها بين الاول والثانى لافادة الجمع بينهما اذ ليس المقصود مجرد اتيان كل واحد منهما بل اتيانه مقارنا للآخر مجامعا معه لان افراد احدهما عن الآخر لا يعتبر فى الشرع بخلاف افراد القنوت بمعنى الطاعة فانه معتبر وان لم يتحقق فى ضمن الصلاة وقوله تعالى يحذر الآخرة يجوز ان يكون حالا من ضمير قانت او من ضمير ساجدا وقائما وان يكون مستأنفا جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ما شأنه يقنت آناء الليل ويتعب نفسه فقيل يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه والمعنى ليس من يفعل ما ذكر كمن لا يفعله وبعد ما نفى الاستواء بين من يعمل ومن لا يعمل نفى الاستواء بين من يعلم ومن لا يعلم على وجه ابلغ فى افادة النفى المذكور حيث ذكر الفريقين المتقابلين صريحا فى النفى الثانى ونفى الاستواء بينهما بطريق الاستفهام الانكارى بخلاف الآية الاولى فانه لم يذكر فيها مقابل الفريق الاول ولم يصرح بنفى المماثلة والمساواة بينهما بل استفيد بشهادة

(نسى ما كان يدعو اليه) اى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه وماثله الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى (من قبل) من قبل النعمة (وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين (قل تمتع بكفرك قليلا) امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى لا سند له واقناط للكافر من التمتع فى الاخرة ولذلك علله بقوله (انك من اصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة (امن هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا (ساجدا وقائما) حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فى موضع الحال او الاستئناف للتعليل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر اولوا الالباب) بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام

(قل ياعبادى الذين امنوا اتقوا ربكم) لزوم طاعته (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) اى الذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة (وارض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه (انما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها (اجرهم بغير حساب) اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل (قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) موحدا له (وامرت لأن اكون اول المسلمين) وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص اولان اكون اول من اخلص وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم

نحوى الكلام ودلالة المقام على ان المراد ذلك والفارق فى اختياره هذا الطريق الايماء الى مزيد فضل العلم ثم قال انما يتذكر اولوا الالباب يعنى ان هذا التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال انما يعرفه اولوا الالباب قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلماء فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنفعة فطلبوه والجهال من الملوك لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فلهذا لم يطلبوه ولم يراجعوا مواضع تحصيله ثم انه تعالى لما نفى المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يخاطب المؤمنين ويعلمهم ما يؤديهم الى السعادة الابدية وهو الاتقاء والتجنب عن المخالفة بملازمة الطاعة فيما امر ونهى ثم بين لهم ما فى الاتقاء من الفوائد فقال للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة فقوله حسنة مبتدأ والجملة خبره وصح الابتداء بالنكرة لتقدم الخبر ولان التنكير فى حسنة للتعظيم اى حسنة عظيمة لا يصل العقل الى كنه كمالها والمراد بالاحسان احسان العمل بالايمان والطاعة وحذف مفعول احسنوا للتعميم فان الحسنة المذكورة منوطة باحسان جميع الاعمال من العقائد والافعال والاقوال والنيات والتروك وقوله فى هذه الدنيا متعلق بقوله للذين احسنوا وقيل انه متعلق بحسنة فينبغى ان تفسر الحسنة حينئذ بالثلاثة المذكورة فى قوله عليه السلام ثلاث ليس لهم نهاية الامن والصحة والكفاية وان يكون قوله فى هذه الدنيا بيانا لمكان قوله حسنة فكانه قيل هذه الحسنة فى اى دار هى فاجيب بانها فى الدنيا فهى جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ولا يجوز كونه صفة لحسنة لان الصفة لا تتقدم على الموصوف ولم يرض المصنف بهذا القول لان الدنيا ليست بدار جزاء ولان قوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة يريد الحصر فلو حملت الحسنة على حسنة الدنيا لكان المعنى ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهو باطل واما لو حملناها على حسنة الآخرة فقد صح الحصر واتضح المعنى فثبت ان حملها عليها اولى (قوله فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الخ) اشارة الى ان الواو فى قوله وارض الله واسعة استئنافية جيئ بها قطعا لعذر من فرط فى الاحسان متعللا بتسلط الاعداء على الديار والاوطان كانه قيل اتقوا ربكم لان للمتقين اجرا عظيما وليس لتارك التقوى عذر البتة اذ غاية امره ان يتعلل فى تركه بتعسره عليه فى وطنه وهو لا يصلح عذرا لانه قد ابتلى به الانبياء والصالحون فهاجروا من اوطانهم ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يعنى ارتحلوا من مكة والآية حث لهم على الهجرة الى حيث يأمنون فيه من تعرض الاعداء وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب استئناف فانه لما حث على المهاجرة عن الاوطان والعشائر والصبر على احتمال البلايا رغبة فى التوفير على التقوى توجه ان يقال كيف نتحمل هذه المشاق وما لنا ان صبرنا على ذلك فاجيب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال مقاتل اجرهم الجنة يرزقون فيها بغير حساب وقوله اجرهم مفعول ثان ليوفى وبغير حساب فى موضع النصب على انه حال من الاجر اى كائنا بغير نهاية لان كل شئ دخل تحت الحساب فهو متناه وما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب (قوله موحدا له) يعنى ان اخلاص الدين له من لوازم وحدانيته وتفرده بالالوهية لما نبه الله على مزيد فضل العلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبين لامته امورا تتعلق بها سعادة الدارين فقال اولا قل ياعبادى الذين آمنوا الخ وقال ثانيا قل انى امرت واللام فى قوله وامرت لان اكون للتعليل والتقدير وامرت بما امرت به لان اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة وقوله فى الدنيا والآخرة مستفاد من اطلاق قوله اول المسلمين (قوله لان قصب السبق) اى احرازه والظفر به يبين بذلك وجه كون تقدمه عليه الصلاة والسلام على المسلمين علة غائية لكونه مأمورا بالاخلاص فى العبادة فان احراز قصب السبق فى امر الدين اذا كان منوطا بالاخلاص لا بارياء كان امره عليه الصلاة والسلام بذلك لاجل ان يكون مقدمهم فى الدارين والمعنى ان الناس يتسابقون فى مضمار الدين ولما لم ينالوا قصب السبق ولم يستحقوا حيازته الا على حسب السبق فى الاخلاص امرت به لان افوز بفضيلة التقدم الرتبى عليهم فى الدارين ذكر الجوهرى من جملة تفاسير القصب انه كل ما اتخذ من فضة وغيرها وانه انابيب من جوهر وفى الحديث بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب (قوله اولان اكون اول من اخلص وجهه لله) عطف على قوله لاجل ان اكون فسره اولا بان قال وامرت بذلك اى باخلاص الدين لاجل ان اكون مقدم من دخل فى الاسلام بحسب الرتبة والفضيلة فى الدارين بسبب كون اخلاصى اتم من اخلاصهم وفسره ثانيا بان قال امرت به لان اكون اول من

اخلص وجهه لله بحسب الزمان و يقتدى بى من امرته باخلاص الدين فان من امر غيره بما لم يفعله بنفسه لا يؤثر وعظه ولا يقبل قوله وفى اكثر النسخ اولانه اول من اسلم وجهه لله الخ فيكون معطوفا على قوله لان قصب السبق الخ ويكون وجها ثانيا لكون تقدمه عليه الصلوة والسلام علة غائية لكونه مأمورا بالاخلاص فيكون الوجه الاول مبنيا على ان يكون المراد بقوله تعالى لان اكون اول المسلمين الاولية بحسب الرتبة والشرف والوجه الثانى على ان يراد الاولية بحسب الزمان فالمصنف بين وجه التعليل على الاحتمال الاول بان السبق والتقدم فى الدين بحسب السبق فى الاخلاص وعلى الاحتمال الثانى بقوله اول من اسلم وجهه لله فيكون معنى الآية امرت لان اسلم واخلص وجهى لله بان اكون اول المسلمين اى اول من اخلص واسلم وجهه لله بحسب الزمان ليصح لى ان آمر غيرى بذلك ولا ادخل فى عداد من قال فيهم اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم (قوله والعطف لمغايرة الثانى الاول) جواب عما يقال لما جعلت اللام فى قوله لان اكون للعلة كان مفعول امرت الثانية محذوفا وهو ما كان مفعولا لامرت الاولى وكان التقدير وامرت ان اعبد الله مخلصا له الدين كما اشار اليه بقوله وامرت بذلك فلزم ان يكون المعطوف عين المعطوف عليه ولا يصح عطف الشئ على نفسه واجاب عنه بوجهين الاول انا سلمنا ان مفعول امرت الثانية مقدر هو مفعول الاول لكن لا نسلم انه يستلزم اتحاد المعطوف والمعطوف عليه فان المعنى الواحد اذا كرر بان اطلق اولا وقيد ثانيا بما يرتبط به بوجه من الوجوه لا يكونان متحدين وما نحن فيه من هذا القبيل اذ التقدير امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لان اكون من السابقين والحكمة فى تكرير الامر بذلك مطلقا ومقيدا ما ذكره المصنف من اشعاران الاخلاص كما يستحق ان يؤمر به لذاته يستحق ان يؤمر به لاجل ما يستلزمه من السبقة فى الدين و الوجه الثانى لا نسلم ان مفعول امرت الثانية محذوف بل هو ان مع الفعل المذكور بعدها واللام زائدة فالثانية مغايرة للاولى من حيث ان الاولى امر باخلاص العبادة والثانية امر بالتقدم فيه وفى دعوة نفسه الى مادعا اليه غيره (قوله لعظمة ما فيه) اى ما فى ذلك اليوم من الامور العظام وهو تعليل لتوصيف اليوم بالعظم (قوله امر بالاخبار عن اخلاصه) جواب عما يقال ما معنى التكرير فى قوله تعالى قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى (قوله خائفا) خبر ثان لكان فى قوله عن كونه مأمورا وكون المأمور به اخبارا عن اخلاصه مبنى على ان تقديم المفعول فى قوله الله اعبد يفيد الاختصاص وان يكون مخلصا عطفا على اخلاصه اى الاخبار عن اخلاصه وعن كونه مخلصا له دينه الاول مستفاد من تقديم المفعول والثانى من تقديم العبادة بقوله مخلصا له دينى فالمأمور به بهذه الآية شيئان الاول اخبار عن تخصيصه العبادة لله تعالى بان لا يعبد احدا سواه والثانى الاخبار عن كون تلك العبادة خالصة عن السمعة والرياء وقوله وان يكون مخلصا له دينه لم يوجد فى بعض النسخ ولا وجه له (قوله قطعا لاطماعهم) مفعول له لقوله امر بالاخبار وطمعهم ما روى ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تنظر الى ملة ابيك عبد الله وملة جدك عبد المطلب وسادة قومك كانوا يعبدون الاصنام فنزل قوله تعالى قل انى امرت الى آخر الآيات (قوله ولذلك) اى ولكون هذه الآية امرا بالاخبار عن تخصيصه العبادة لله وتمحيضها من الشرك رتب عليه ما بعده بزيادة من دونه فى آخره فانه لولا ان التقديم يفيد الاختصاص لكان قوله الله اعبد بمعنى اعبد الله ولكان المقابل له اعبدوا ما شئتم من غير ان يزيد فى آخره قوله من دونه قيل ان كفار قريش لما يئسوا من ان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم قالوا خسرت ان خالفت دين آبائك فنزل قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم اى هم الذين خسروا ويحتمل ان يكون الذين خسروا صفة للخاسرين ويكون الخبر لهم فى قوله لهم ظلل او محذوف دل عليه قوله هو الخسران المبين (قوله لانهم جمعوا وجوه الخسران) بيان لوجه القصر والتخصيص المستفاد من قوله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة فانه من قبيل قولك المنطلق زيد فى افادة القصر ولما كان الخاسرين ليسوا بمنحصرين فيما ذكر حمله على حصر الكمال كما فى نحو هو الرجل اى هو الكامل فى الرجولية الجامع ما فى الرجال من مرضيات الخصال فان من ضل بنفسه واضل اهاليه من الازواج والاقارب والخدم وسائر الاصحاب والعشائر وصرفهم عن طريق الجنة التى هى الجامعة لجميع السعادات الابدية وادخلهم النار التى لا يعقل ما فيها من وجوه الخسران والشقاء فانه لا خسران اعظم من خسرانه وخسران اهله هذا على تقدير ان يكون المراد باهليهم اهليهم الذين كانوا فى الدنيا وقد اضلوهم فيها وقيل اصحاب النار خسروا انفسهم واهليهم حيث لا يكون لهم اهل فى النار

والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة فى الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء (عذاب يوم عظيم) لعظمة ما فيه (قل الله اعبد مخلصا له دينى) امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) تهديدا وخذلانا لهم (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران (الذين خسروا انفسهم) بالضلال (واهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده

وقد كان لهم اهل فى الدنيا يستأنسون بهم لان اهلهم الذين فى الدنيا ان كانوا كفارا وكانوا معهم فى النار فهم سبب زيادة
حسرة ووحشة لهم لاسبب انس وراحة وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا اخرجوا عن كونهم اهلا لهم
ابدا وقال ابن عباس رضى الله عنهما خسروا اهليهم لان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا فى الجنة واهلا من
الحور العين والغلمان فمن لم يعمل بطاعته تعالى كان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعته تعالى فقد خسروا
اهليهم الذين كانوا يكون لهم لو آمنوا (**قوله** مبالغة فى خسرانهم) الوجه فى افادة الاستئناف المبالغة
ان الاستئناف انما يكون فى مقام الاهتمام بالحكم المبين والاعتناء بشأنه ولايعتنى بشئ الا اذا كان بالغا اقصى مراتبه
وكذا تصدير الحكم بحرف التنبيه يدل على تفخيم شأنه كانه قيل بلغ خسرانهم فى الفظاعة الى حيث لاتصل العقول
اليه فتنبهوا له وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر يفيد الحصر كانه قيل كل خسران فى مقابلته كلا خسران
(**قوله** اطباق من النار) اى قطع عظيمة منها جمع طبق يقال طبق من الشئ اى معظم منه نحو مضى طبق من الليل
وطبق من النهار اى معظم منه ونحو اتانا طبق من الناس اى جماعة عظيمة و يطلق ايضا على مايستر الشئ و يغطيه
والمأورد ان يقال الظلة ماعلا الانسان فكيف سمى ماتحتهم من قطع النار ظلة اشار الى جوابه بقوله هى ظلل
للآخرين اى انها ظلل بالنسبة الى من تحتهم وهو المنافقون لقوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وتلك
القطع فرش بالنسبة للمشركين لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش والمعنى ان النار تحيط بهم من
جميع الجوانب (**قوله** ذلك العذاب) يعنى ان ذلك اشارة الى الظلل المحيطة بهم الا انه ذكر اسم الاشارة لتأويل
المشار اليه بالعذاب اى ذلك الذى وصف من العذاب يخوف الله به عباده ثم خوفهم بابلغ تخويف فقال ياعبادى
فاتقون بطاعتى (**قوله** فعلوت منه) اى من الطغيان يريد ان وزنه فى الاصل ذلك لان اصله طغيوت ولام
الكلمة هى الياء لانها من الطغيان ثم قدمت الياء على الغين وقلبت الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار وزنه فلعوت
بتقديم اللام على العين (**قوله** كالرحموت) فانه مبالغة فى المصدر بمعنى الرحمة الواسعة والملكوت الملك الواسع
فالطاغوت ايضا بمعنى الطغيان المتجاوز الحد ثم وصف به الذات الموصوفة به للمبالغة فى اتصافها بالطغيان
بحيث صارت كانها عين الطغيان كما يقال رجل عدل ولذلك اختص لفظ الطاغوت بالشيطان وصار بالغلبة علما له
لايطلق على غيره حقيقة كما لايطلق النجم المعرف باللام على غير الثريا اطلاقا حقيقيا وذلك لكمال الشيطان
فى الطغيان وتميزه به عن جميع ماعداه وقد يطلق على غيره مثل كعب بن الاشرف وامثاله تشبيها له بالشيطان
فى كونه رأسا للضلال (**قوله** ولذلك) اى ولكون بناء الطاغوت للمبالغة فى المصدر وكون اطلاقه على الاعيان
والذوات للمبالغة فى اتصافها بالطغيان اختص بالشيطان فان قيل ماعبد الشيطان احد وانما عبدوا الصنم
فالجواب ان الداعى الى عبادة الصنم هو الشيطان فكانت عبادة الصنم بمنزلة عبادة الشيطان (**قوله** واقبلوا اليه
بشراشرهم) اى بكليتهم وفى الصحاح الشراشر الاثقال الواحدة شرشرة يقال القى عليه شراشره اى نفسه حرصا
ومحبة وهذا المعنى مستفاد من عدم ذكر صلة قوله وانابوا الى الله حيث لم يقل وانابوا اليه بقلوبهم او بالسنتهم اونحو
ذلك (**قوله** وضع فيه الظاهر) يعنى ان المراد بقوله عبادى عباده الذين اجتنبوا الطاغوت وانابوا لاغيرهم
لان قوله فبشر عبادى مرتب على قوله والذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى على معنى اذا كان لهم البشرى فبشرهم
وحمل العباد على غير ماذكر سابقا يستلزم تفكيك النظم والنكتة فى وضع الظاهر موضع الضمير بعد الاحتراز عن
تفكيك النظم الدلالة على انهم كما يستحقون البشارة لاجتنابهم وانابتهم يستحقونها ايضا لكونهم يستمعون القول
فيتبعون احسنه اى لكونهم نقادا يميزون بين الحق والباطل بناء على ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بعليته
للحكم المذكور فلو قيل فبشرهم لفهم ان استحقاقهم للبشارة انما هو لاجل اجتنابهم وانابتهم فلما وضع الظاهر
موضع الضمير فهم ان ذلك الاستحقاق لاجل مجموع مالهم من الاوصاف الثلاثة والمصنف لم يجعل الاستماع
واتباع الاحسن مبدأ وعلة لاستحقاقهم البشارة بل جعله مبدأ اجتنابهم حيث قال للدلالة على مبدأ اجتنابهم
وانهم اى وعلى انهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل وفيه اشارة الى ان القول لعمومه يتناول كل قول من قول
الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وقول من سلف من المؤمنين والكفار فيتبعون احسنه اى احسنه عاقبة
ومدلولا وهو مايكون مؤداه طاعة الله تعالى واتباع الحق والاعراض عن الباطل و يؤثرون من بين الاقوال
مايكون مدلوله افضل فافضل وقيل المعنى يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون الاحسن وهو القرآن

(الا ذلك هو الخسران المبين) مبالغة فى خسرانهم
لمافيه من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل
و تعريف الخسران ووصفه بالمبين (لهم من فوقهم
ظلل من النار) شرح لخسرانهم (ومن تحتهم
ظلل) اطباق من النار هى ظلل للآخرين (ذلك
يخوف الله به عباده) ذلك العذاب هو الذى يخوفهم
به ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعبادى فاتقون)
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا
الطاغوت) البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم
اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم
وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان
(ان يعبدوها) بدل اشتمال منه (وانابوا الى الله)
واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه (لهم البشرى)
بالثواب على ألسنة الرسل او الملائكة عند حضور
الموت (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه) وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين
اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد فى
الدين يميزون بين الحق والباطل و يؤثرون الافضل
فالافضل

(قوله وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها) لان حصولها فى النفس امر حادث لا محالة فلابد من فاعل وقابل اشار الى الفاعل بقوله اولئك الذين هداهم الله والى القابل بقوله اولئك هم اولوا الالباب فان الانسان مالم يكن سليم العقل كامل الفهم امتنع حصول المعارف الحقية فى قلبه بل يغلب عليه تقليد عادات اهل زمانه واتباع مايدعوا اليه وهمه وهواه والحصر المدلول عليه بقوله هم اولوا الالباب حصر الكمال لان العقول المغلوبة وجودها كعدمها (قوله انت مالك امرهم) همزة الاستفهام لما اقتضت صدر الكلام والفاء العاطفة اقتضت سبق المعطوف عليه كان ينبغى ان لا يصح اتصال احداهما بالاخرى لاستلزامه اجتماع المتنافيين الا انهما اتصلا فى الآية بناء على ان اداة الاستفهام داخلة تقديرا على الجملة المحذوفة التى عطفت عليها الجملة الشرطية فلا محذور فى اجتماعهما صورة ومن شرطية مرفوعة المحل على الابتدآء وقوله أفانت تنقذ اى تخلص جزآء الشرط مرفوع المحل على انه خبر المبتدأ والفاء الثانية فاء الجزآء والفاء الاولى العطف على محذوف يدل عليه الخطاب فى أفانت والهمزة الاولى لانكار مضمون الجملة المحذوفة والتى عطفت عليها والهمزة الثانية هى الاولى كررت لتأكيد معنى الانكار والاستبعاد وامتنع حملها على الانكار الابتدآئى لحصوله بالهمزة الاولى والهمزة الداخلة على الجزآء مؤكدة لما افادته الهمزة الاولى فعلى هذا يكون من فى النار من اقامة الظاهر موضع الضمير كأنه يقول افانت تنقذه وهذا الوضع طريق لتأكيد الانكار لان الضمير انما يحصر الذات التى استحقت العذاب فى الدنيا ولاشك ان انقاذ من فى النار ابعد من هداية من استحق العذاب فى الدنيا وهو معنى قوله وضع من فى النار موضع الضمير لذلك اى لتأكيد الانكار والاستبعاد وعطف عليه قوله وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف يعنى ان قوله من فى النار عبارة عمن حقت عليه كلمة العذاب لانه قائم مقام الضمير ومن حكم عليه بالعذاب لا يوصف به اذ هو غير واقع فيه وانما يوصف به اذا وقع فيه بعد ولما وضع من فى النار موضع ضمير من حكم عليه بالعذاب علم منه ان المحكوم عليه بالعذاب منزل منزلة الواقع فيه لامتناع الخلف فى حكم الله تعالى فعبر عنه بمن فى النار لذلك ونزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذه من فى النار فان اصل الكلام افانت تهدى من هو منغمس فى الضلال فوضع النار موضع الضلال ووضع المسبب موضع السبب لقوة امره ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله تنقذ بدل تهدى كما تعقب الاستعارة بالترشيح لكون الانقاذ انسب بمن هو فى النار من الهداية قيل المراد بكلمة العذاب قول الله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل هى قوله هؤلاء للنار ولا ابالى وقوله تعالى افانت تنقذ من فى النار معناه انت لاتقدر عليه بل ان الله تعالى هو الذى يقدر عليه لاغير لما تقرر من ان تقديم الفاعل المعنوى على الفعل وايلاءه همزة الانكار يدل على ان الكلام فى الفاعل لا فى الفعل اى لست انت الفاعل لهذا الفعل بل فاعله هو الله تعالى وحده وقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب الاية على هذا التوجيه جملة واحدة كرر فيها اداة الاستفهام داخلة على جزآء الشرط وعلى قوله يجوز ان يكون الخ تكون جملتين الاولى شرطية محذوفة الجزآء والثانية جملة مستأنفة وتقدير الاية انت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تهديه اوفانت تخلصه من استحقاق العذاب ثم استأنف كلاما آخر للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب وهو فى الدنيا كالواقع فيه وللاشعار بالجزآء المحذوف فقال افانت تنقذ من فى النار فانه يدل على جزآء الجملة الاولى ويفسره فعلى هذا الفاآن كلتاهما للعطف الاولى للعطف على المحذوف والثانية للعطف على الجملة الاولى والهمزة الثانية كالاولى فى كونها للانكار ابتدآء لا لتأكيد المستفاد من الاولى ثم انه تعالى لما شرح خسران الكفار وبين ان لهم من فوقهم ظللا من النار ذكر احوال اضدادهم وهم الذين اجتنبوا الطاغوت واقبلوا الى الله تعالى بشراشرهم ووعدهم باشياء احدها قوله تعالى لهم البشرى وثانيها لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اى لهم فى الجنة منازل رفيعة وفوقها فى الجنة ارفع منها وهذا كالمقابل لما ذكره فى شرح خسران الكفار بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والعلالى جمع علية وهى الغرفة وهى فعيلة واصلها علووة ابدلت الواو الثانية ياء وادغمت وقيل هى علية بالكسر على فعلية (قوله بنيت بناء المنازل على الارض) اشارة الى فائدة توصيف العلالى بكونها مبنية مع العلم بانها لا تكون الا كذلك وتوضيح ماذكره من الفائدة ان قوله مبنية ذكر تمهيدا لقوله تجرى من تحتها الانهار فالعلالى اذا بنيت بناء المنازل على الارض بان كان لها صحن بنيت عليه كالمنازل السفلى يتأتى معه جرى الانهار من تحت العلالى كما تجرى من تحت الغرف السفلى من غير تفاوت بينهما

(اولئك الذين هداهم الله) لدينه (واولئك هم اولوا الالباب) العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار) جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزآء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون أفانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزآء المحذوف (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بنيت بناء المنازل على الارض (تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت تلك الغرف (وعد الله) مصدر مؤكد

(**قوله** لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد) تعليل لقوله مصدر مؤكد وتقديره ان قوله وعد الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة لا محتمل لها غيره مثل اعترافا فى قولك له على الف درهم اعترافا ومثله يسمى تأكيدا لنفسه مع انه تأكيد لمضمون الجملة المتقدمة الا انها لما لم يكن لها محتمل غير المصدر جعلت كانها نفس المصدر فسمى تأكيدا لنفسه وعلل ذلك بان قوله لهم غرف مبنية فى معنى الوعد وفى مثله يجب حذف عامل المفعول المطلق لكون الجملة المتقدمة بمنزلة النائب عن عامله والتقدير وعد الله تلك الغرف وعدا ثم حذف الفعل مع فاعله ثم اضيف المصدر الى فاعله ثم انه تعالى لما شرح ما اعده لكل واحد من فريقى الكفار والمؤمنين بما يليق به من الثواب والعقاب وتضمن ذلك كونه تعالى صانعا بالغا مدبرا بالحكمة عظيم القدرة نبه على ما يدل على كال حكمته وقدرته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى من السحاب ماء وقال الامام لما وصف الاخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها فان من شاهد اختلاف احوال النبات فيها تنبه الى ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فحينئذ تعظم رغبته عن الدنيا ولذاتها فاذكر من حال النبات مثل ضربه الله تعالى للدنيا وسرعة زوالها والينابيع جمع ينبوع وهو اما الموضع الذى يجرى فيه الماء من خلال الارض بمنزلة العروق المنبسطة فى الجسد اونفس الماء الجارى و الينبوع يفعول من نبع الماء اذا خرج وسال ومضارعه ينبع بالحركات الثلاث فى عين الفعل وكلها لغات فان كان الينبوع بمعنى المنبع كان نصب ينابيع على المصدر اى سلكه سلوكا فى ينابيع وادخله ادخالا فيها على ان تكون ينابيع ظرفا للمصدر المحذوف فلما اقيمت مقام المصدر جعل انتصابها على المصدر وان كانت بمعنى النابع كان انتصابها على الحال اى نابعات (**قوله** لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور) اى ينفصل و يرتفع يعنى ان العرب تقول هاج النبت اذا تم جفافه و يبسه مع ان الهيجان والثوران هو الارتفاع والذهاب عن الموضع بناء على ان النبات اذا تم جفافه يصير بمنزلة الهائج والثائر لان الشئ يسمى باسم ما يؤول اليه كما يسمى العصير خمرا وفتات الشئ ما تكسر منه من قولهم فت الشئ اى كسره والتفتت التكسر ثم انه تعالى لما بالغ فى بيان وجوب الاجتناب عن عبادة غير الله تعالى ووجوب الانابة اليه قلبا وقالبا و وعدلهم البشارة بالمثوبة الحسنى ثم عاتب رسوله صلى الله عليه وسلم على شدة حرصه على هداية اهل الضلال بقوله افمن حق عليه كلمة العذاب الاية ثم بين خساسة الدنيا وسرعة زوالها بان مثل حالها بحال النبات بين بعد ذلك ان الانتفاع بهذه البيانات لا يحصل الا لمن شرح الله صدره للاسلام اى افمن فسح ووسع قلبه لقبول الايمان فهو على نور اى بصيرة و يقين من ربه روى انه قيل له عليه الصلاة والسلام ما هذا الشرح قال نور يقذفه الله فى القلب فينفسح القلب و ينشرح فقيل وما علامة ذلك الخ والكلام فى افمن شرح الله صدره كالكلام فى افمن حق وتقدير الاية اليس هذه الخصائل الحميدة منوطة بتوفيق الله تعالى وعنايته فمن شرح الله صدره للاسلام كمن اقسى قلبه وطبع عليه فلم يهتد اولبس اولوا الالباب والعقول السليمة كغيرهم فمن شرح الله صدره الخ وحذف خبر من لدلالة قوله فويل للقاسية قلوبهم وقساوة القلب غلظته وصلابته بحيث يصير كالشئ المصمت الذى لا يدخله شئ ولا ينفذ فيه شئ يقال حجر قاس اذا كان صلبا مصمتا (**قوله** عبر به عن خلق نفسه سديدة الاستعداد) يعنى ان شرح الصدر عبارة عن تهيئة النفس الناطقة وتقويته استعدادها لقبول الاسلام على طريق ذكر المحل وارادة الحال فان الصدر محل القلب الذى هو المنبع للروح الحيوانى الذى يتعلق به النفس اولا لطافته فذكر الصدر واريد به النفس بهذه العلاقة ولما كان التعلق حاصلا بين كل منهما قال للروح المتعلق بالنفس بدل ان يقال للروح المتعلق للنفس (**قوله** وهو ابلغ) اى فى الدلالة على تأبيهم عن قبول الحق وبيان الابلغية موقوف على معرفة الفرق بين تعدية القسوة بكلمتى من وعن فانها اذا عديت بمن كانت من سببية كما فى قولك اطعمه من الجوع اى من اجله و بسببه قال تعالى مما خطاياهم اغرقوا واذا عديت بعن كانت للمجاوزة على اصلها بناء على تضمين القساوة معنى الاباء كأنه قيل للآبية قلوبهم عن ذكر الله بسبب ما كما اذا قلت اطعمه عن الجوع يكون المعنى اشبعه مبعدا اياه عن الجوع فمعنى من ذكر الله ان ذكرا لله احدث فى قلوبهم القساوة واذا قلت عن ذكر الله لم يكن معناه ذلك بل يكون المعنى ان قلوبهم اشتدت وابت عن قبول الحق وذكر الله بسبب ما اذا تقرر هذا الفرق ظهر ابلغية التعبير الاول بالنسبة الى الثانى لان القاسى عن الشئ من اجل نفسه اشد تأبيا عن قبوله من القاسى عنه بسبب اخر فان قيل ذكر الله تعالى سبب لحصول

لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد (لا يخلف الله الميعاد) لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال (الم تر ان الله انزل من السماء ماء) هو المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومجارى كائنة فيها اومياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع والنابع فنصبها على المصدر او الحال (ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه) اصنافه من بر وشعير وغيرهما اوكيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما (ثم يهيج) يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته (فتراه مصفرا) من يبسه (ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها (لاولى الالباب) اذ لا يتذكر به غيرهم (افمن شرح الله صدره للاسلام) حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متباينة عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابلة للاسلام (فهو على نور من ربه) يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشئ اشد تأبيا من قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة فى وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم (اولئك فى ضلال مبين) يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت فى حمزة وعلى وابى لهب وولده

(الله نزل احسن الحديث) يعني القرآن روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله و بناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه (كتابا متشابها) بدل من احسن اوحال منه ونشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة (مثاني) جمع مثنى اومثنى على مامر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب اوجعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها (ذلك) اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فماله من هاد) يخرجهم من الضلالة

النور والحضور وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعل في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب فالجواب انه اذا كانت النفس خبيثة الجوهر مجبولة على الطبيعة البهيمية بعيدة عن الفضائل الروحانية فان سماعها الذكر الله يزيدها قسوة وكدورة فان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس فانه يسود وجه القصار و يبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح ويذكر كلام واحد في مجلس واحد فيستطيبه شخص و يستكرهه آخر وماذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس فلا يبعد ان يكون ذكر الله تعالى يوجب النور والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية و يوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية **(قوله تأكيد للاسناد)** لما فيه من تكرار اسناد التنزيل اليه تعالى وبه يتأكد الاسناد ويتقوى الحكم وقد تقرر ان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي في نحو انا سعيت في حاجتك قد يفيد تخصيص الخبر الفعلي به ردا لمن زعم انفراد غير المسند اليه بذلك الخبر اوزعم مشاركة الغير به في الخبر الفعلي واذا كان تنزيل القرآن مختصابه تعالى كان المنزل مفخم الشان رفيع القدر لامحالة وكان احسن من سائر الاحاديث لكونه كلام اللطيف الخبير العليم الحكيم **(قوله وتشابهه تشابه ابعاضه)** لما فسر قوله احسن الحديث بالقرآن العظيم وهو كتاب واحد من جملة الكتب المنزلة والشئ الواحد لا يوصف بالتشابه فلذلك جعل تشابهه عبارة عن تشابه اجزائه وابعاضه فان بعضه يشبه البعض في صحة معانيه وفي الانباء عن الحق والصدق ومافيه من منافع المكلفين وفي تناسب الفاظه وتوافقها في الفصاحة والبلاغة وتجاوب نظمها ومعانيها في التبكيت والاعجاز ولما اطلق التشابه ولم يقيده ببيان ما فيه التشابه لم يعين المصنف مافيه التشابه بل حمله على مايصلح ان يراد به في هذا المقام **(قوله جمع مثنى اومثنى على مامر في الحجر)** قال في صورة الحجر المثاني من التثنية او الثناء فانه مثنى اى تكرر قرآته والفاظه اوقصصه ومواعظه اومثنى عليه بالاعجاز والبلاغة ومثن على الله تعالى بماهو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى فقوله ههنا جمع مثنى بضم الميم وفتح الثاء وتشديد النون على انه اسم مفعول من ثنيته تثنية اى جعلته اثنين لان المراد ههنا مطلق التكرير والاعادة كما يجئ صيغة التثنية لمجرد التكرير كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ونحو لبيك وسعديك وحنانيك بمعنى اقامة بعد اقامة ومساعدة بعد مساعدة ورحمة بعد رحمة فان القرآن العظيم يثنى ويكرر في التلاوة فلا يمل كما جاء ولا يخلق على كثرة الرد وايضا يكرر ما فيه من القصص والانباء والاحكام والاوامر والنواهي والوعد والوعيد للتقرير والتأكيد فان النفوس لكونها مجبولة على الميل الى عالم الشهادة وقضاء الحظوظ العاجلة معرضة عن الاستماع لحكمه وحفظه وتدبر فحواه والعمل بمقتضاه مالم يتكرر عليها امره بعد مرة اخرى وقوله اومثنى بضم الميم وسكون الثاء وفتح النون على انه من الثناء اى مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او بكسر النون اى مثن على الله بماهو اهله وقوله كتابا الظاهر انه بدل من احسن الحديث ويجوز ان يكون حالا منه وقوله متشابها صفة لكتابا وقوله مثاني بفتح الياء صفة ثانية واليه اشار المصنف بقوله وصف به كتابا وهو جواب لما يقال الكتاب واحد فكيف وصف بالجمع والتفاصيل جمع تفصيل وهو جعل الشئ فصلا فصلا وتمييز بعضها عن بعض بجعل ابعاض الكتاب واقسامه تفاصيل لكون كل واحد منها فصلا متميزا عن غيره **(قوله اوجعل تمييزا)** عطف على قوله وصف به كتابا اى ويجوز ان يكون انتصاب مثاني على انه تمييز من متشابها من جهة مثانيه لا على انه صفة حتى يرد اشكال توصيف الواحد بالجمع **(قوله وتركيبه من حروف القشع)** يعني ان بين اقشعر والقشع اشتقاقا كبيرا لان في اقشعر معنى القشع مع زيادة فهما مشتركا في اصل المعنى والحروف الاصلية ولايخل بذلك اختصاص احدهما بحرف زائد يدل على معنى زائد والقماط حبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح وكذلك مايشد به الصبي في المهد يقال قمطت الشاة والصبي بالقماط اقمطه قمطا ويقال اقمطر الامر اشتد واستغلق **(قوله والاطلاق)** اى اطلاق ذكر الله وعدم التعرض لصفة من صفاته التي يذكر بها للاشعار بان مبنى امره تعالى على الرأفة والرحمة فاذا ذكر تعالى لا يخطر بالبال من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فتلين جلودهم بذكره تعالى كما تقشعر بذكر وعيده **(قوله وذكر القلوب الخ)** جواب عما ذكره الزمخشري بقوله فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت القلوب بها ثانيا ومحصول جوابه منع انفراد الجلود عن القلوب اولا بناء على ان الجلود لما ذكرت مقرونة بالخشية اولا فكأنها ذكرت مقرونة بالقلوب لكون الخشية من عوارض القلوب فكأنه قال وذكر القلوب هنا لكونها مذكورة اولا ذكر ماهو من عوارضها ثم انه تعالى لما ذكر كون من شرح صدره للاسلام فاهتدى كمن

مطبوع على قلبه فقسا بيانا لتفاوت حالهما فى الدنيا انكر كون من يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن منه بيانا لتفاوت حاليهما فى العقبى فقال افمن يتقى بوجهه الآية فكانه قال أيستوى من هداه الله ومن يضلله فمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو فى رحمة الله وجنته (قوله يجعله درقة) هى الترس التى تعمل من الجلد فان الاصل فى التستر ووقاية النفس من المخاوف هو الترس فمن لم يجده يتستر ويتقى بيده اى بقى بها وجهه لكون الوجه اعز الاعضاء عايد من حيث انه محل الصباحة والحسن ومجمع الحواس الشريفة حتى كأن الانسان عبارة عنه ومن يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره وقاية له والحاصل ان من كان يقدر على الاتقاء جعل كل ماسوى الوجه وقاية لوجهه ثم قيل لمن يقع فى النار انه يتقى بوجهه منها لاوقاية له سوى وجهه فيكون ذلك كناية عن انه لاقدرة له على الاتقاء البتة ولاوقاية له اصلا ونظيره قول النابغة

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى لاعيب فيهم الاهذا وهو ليس بعيب فهو كناية عن انه لاعيب فيهم بوجه من الوجوه فكذا ههنا فان الاتقاء من النار بالوجه كيف يكون اتقاء منها وهو فى نهاية الملابسة اهاشبه وجهه بالترس ودل عليه بجعله آلة الاتقاء فهو من قبيل الاستعارة التخييلية والواو فى قوله تعالى وقيل للظالمين للحال من فاعل يتقى بوجهه اى وقد قال لهم الخزنة ذوقوا عقوبة كسبكم ويجوز ان تكون للعطف فيكون المعطوف من تمام صلة افمن اى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب وقيل له ذق جزاء كسبك كمن ليس بهذه الصفة وجمع الضمائر فى آخر الآية لان كلمة من تصلح للجمع ثم انه تعالى لما بين كيفية عذاب القاسية قلوبهم فى الآخرة بين كيفية وقوعهم فى عذاب الدنيا فقال كذب الذين من قبلهم اى من قبل كفار قومك انبياء الله تعالى وتجحد فاتاهم العذاب بسبب تكذيبهم فهو تهديد لكفار مكة وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما لقى من كفار قومه (قوله لو كانوا من اهل العلم) اشارة الى ان يعلم منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بشئ ما وان جواب لو محذوف لما بين الله تعالى بهذه الآيات فوائد عظيمة ومواعظ بليغة بين ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس الآية (قوله والاعتماد فيها على الصفة) يعنى ان قوله قرآنا حال موطئة وعربيا صفتها وذلك لان الحال ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به ثم ان المشهور ان تكون مبينة لها بالذات وقد تكون مبينة لها بالغير وهو الحال الموطئة فانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة وذكر الموصوف توطئة لما هو الحال حقيقة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا ويجوز ان يكون قرآنا منصوبا على المدح اى منصوبا بتقدير اعنى (قوله لا اختلال فيه بوجه ما) اى بوجه من الوجوه المستغرقة المستفادة من كون عوج نكرة فى سياق النفى فان غير فيه معنى النفى فلذلك كان غير ذى عوج ابلغ من مستقيما اذ ليس فيه ما يدل على انه مستقيم من جميع الوجوه (قوله واختص بالمعانى) يعنى ان العوج بكسر العين لايختص به الاعيان بل هو مختص بالمعانى كما ان العوج بفتح العين مختص بالاعيان يقال فى دينه عوج وفى العصا عوج والمقصود ههنا وصف القرآن يعنى معانيه باستقامتها وعدم التناقض والاختلال فيها بوجه ما لان استقامة الفاظه قد علمت بقوله قرآنا عربيا اى فى اعرابه و بيانه لما قصد فيه من المعنى (قوله وقيل بالشك) عطف على قوله بوجه ما اى وقيل المراد بالعوج الشك واللبس اى غير ذى شك ولبس استشهادا عليه بقول الشاعر فى حق القرآن

وقد اتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وجه الاستشهاد ان الشاعر وصف القرآن باليقين وقابل اليقين بقوله غير ذى عوج ومقابل اليقين هو الشك واللبس فعلم ان العوج يطلق على الشك واللبس ولم يرض المصنف بهذا القول لانه تخصيص للعوج ببعض مدلوله فان عوج اليقين هو الشك لا محالة وكون العوج المذكور فى البيت بمعنى الشك انما يدل على ان الشك من جملة مدلوله ولا يدل على ان ليس له مدلول غيره وقد شاع عند اهل اللغة ان العوج بالكسر بمعنى الاختلال المختص بالمعانى مطلق فقول القائل تخصيص له ببعض مدلوله من غير دليل (قوله علة اخرى مرتبة على الاولى) بين اولا ان الحكمة فى ضرب هذه الامثال اتعاظهم بسبب ان يعلموا ما وعد الله للمتقين واوعد للعاصين وبين ثانيا ان ذلك لان يتقوا الله فى ان يوقع بهم ما وعدهم به من العذاب وقدم العلة الاولى لان التذكر متقدم على الاتقاء والاحتراز ثم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار نبه على ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقهم فقال

(افمن يتقى بوجهه) يجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه (سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف فى نظائره (وقيل للظالمين) اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو (ذوقوا ما كنتم تكسبون) اى وباله والواو للحال وقد مقدرة (كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون) من الجهة التى لايخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها (فاذاقهم الله الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (اكبر) لشدته ودوامه (لو كانوا يعلمون) لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى امر دينه (لعلهم يتذكرون) يتعظون به (قرآنا عربيا) حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدح له (غير ذى عوج) لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعانى وقيل بالشك استشهادا بقوله شعر

وقد اتاك يقين غير ذى عوج
من الاله وقول غير مكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله (لعلهم يتقون) علة اخرى مرتبة على الاولى

ضرب الله مثلا الآية (قوله مثلا) مفعول ضرب بمعنى بين ورجلا بدل من مثلا وفى الكلام حذف مضاف تقديره مثلا مثل رجل وشركاء مرفوع على الابتداء وجاز الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالظرف المتقدم وفيه خبره ومتشاكسون صفة شركاء والجملة الاسمية منصوبة المحل على انها صفة رجل ويجوز ان تكون جملة ظرفية منصوبة المحل على انها صفة لرجل وشركاء فاعل للظرف ومتشاكسون صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر يقال شكس شكاسة فهو شكس من باب علم اذا كان صعب الخلق ضيق البال وهذا مثل للمشرك الذى يعبد آلهة شتى وللموحد الذى يعبد الله وحده فالذى عبد الاصنام مثله كمثل عبد فيه شركاء ملاك بينهم اختلاف كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه لاستعماله فى مهن شديدة صعبة واذا عنت له حاجة تدافعوه واحال كل واحد منهم الى غيره فهو متحير فى امره لايدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد فى حاجته والذى وحد الله وعبده كعبد خلص لواحد فاعتنى فى خدمته واعتمد عليه فى حاجته واى هذين العبدين اصلح حالا وافرغ بالا (قوله على مايقتضيه مذهبه) وهو آلهة شتى واثبات عبوديته لها فانه يقتضى ان يدعى كل واحد من معبوديه عبودية ذلك المشرك (قوله بعبد) متعلق بقوله مثل المشرك وكذا قوله فى تحيره وقوله والموحد منصوب بالعطف على المشرك وهذا المثل فى غاية الحسن فى الدلالة على تقبيح الشرك وتحسين التوحيد فان قيل لاحسن فيه لعدم انطباقه على عبدة الاصنام لانها جمادات لايتصور منها المنازعة والتشاكس قلنا تشبيه شئ باخر لايستدعى ان يكون وجه الشبه حالة موجودة فى كل واحد من المشبه والمشبه به تحقيقا بل يكفى وجودها فى احد الطرفين او فى كليهما على سبيل التخييل والتأويل كما فى قوله

وكأن النجوم بين دجاها ٭ سنن لاح بينهن ابتداع

فان وجه الشبه فى هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من حاصل اشياء مشرقة فى جوانب شئ مظلم فهذه الهيئة غير حاصلة فى المشبه به وهو السنن بين الابتداع الا على سبيل التخييل فان السنن والبدع ليستا من قبيل الاجسام حتى توصفا بالاشراق والاظلام حقيقة وكذا وجه التمثيل بين المشرك والعبد الذى فيه شركاء متشاكسون وكون امر المحتاج المشترك موكولا الى عناية الشركاء المتشاكسين وكونه متحيرا فى امره بناء على انه كلما ارضى هو احدهم غضب الباقون واذا احتاج فى مهم اليهم فكل واحد يرده الى الآخر فانه لايوجد فى المشبه الذى هو المشرك الا على وجه التخييل اشار اليه المصنف بقوله مثل المشرك على مايقتضيه مذهبه فان تشاكس الشركاء وحيرة المشرك بسببه لايوجد فيه تحقيقا بل تخييلا بناء على مقتضى مذهب المشرك (قوله قرأ نافع) يعنى انه قرأ ابن كثير وابو عمرو ورجلا سالما بالالف وكسر اللام على انه اسم فاعل من سلم من كذا فهو سالم وقرأ الباقون سلما بفتح السين واللام بغير الف وقرئ ايضا سلما بكسر السين وسكون اللام وبفتح السين وسكون اللام ايضا وهذه الثلاثة مصادر سلم وصف بها للمبالغة او على حذف المضاف اى ورجلا ذا سلامة الرجل اى ذا خلوص له من الشركة وقرئ ايضا ورجل سالم برفعهما على ان رجل سالم مبتدأ حذف خبره اى وهناك رجل سالم (قوله وتخصيص الرجل) اى وتخصيص كل واحد من المالك والمملوك بكونه رجلا حيث لم يقل ضرب الله مثلا شخصا او مملوكا سالما لمالكه لان الرجل المملوك افطن لما يلحق به من تشاكس الملاك من المرأة والصبى وكذا الرجل المالك افطن لما يعود اليه من تفرد المملوك واختصاصه بخدمته وكونه مشتركا بين شركاء يستخدمه كل واحد منهم والمرأة والصبى قد يغفلان عن ذلك (قوله ونصبه على التمييز) اى على التمييز المنقول من الفاعلية اذ الاصل هل يستوى مثلهما اى هل يستوى صفة العبد الذى فيه رجال متشاكسون وصفة العبد الخالص لواحد فان لفظ المثل قد يستعار للصفة والحال العجيبة تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة (قوله ولذلك) اى ولكونه تمييزا من النسبة فى يستويان لم يطابق التمييز لما انتصب عنه وهو ضمير يستويان الراجع الى الرجلين المنعوتين حيث افرد التمييز مع كون ما انتصب عنه مثنى فانه قد تقرر فى النحو ان التمييز ان كان اسما يصح جعله لما انتصب عنه بان يكون نفس ما انتصب عنه كابا فى قولك طاب زيد أبا او يكون صفة لنفس ما انتصب عنه كابوه فى قولك طاب زيد ابوه علما يطابق فيهما ما قصد الا ان يكون جنسا كالابوة والعلم فان الجنس من حيث انه يتناول القليل والكثير لا يطابق ما قصد وما نحن فيه من هذا القبيل فان الحال والصفة جنس فلذلك لم يطابق لما قصد والتمييز الذى يكون جنسا انما يطابق ما قصد اذا قصد به الانواع نحو طاب زيد علمين او علوما فيتنى

(ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد (رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل) مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعى كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهامهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف قرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اى هناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع (هل يستويان مثلا) صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده

ويجمع على حسب ماقصد من الانواع مع كونه جنسا (قوله على ان الضمير للمثلين) يعني ان الظاهر ان يرجع
ضمير يستويان الى رجل ورجل لكن يجوز ان يرجع الى المثلين المذكورين تقديرا لان تقدير رجلا في الموضعين
مثلا رجلين فكان المثلان مذكورين تقديرا كانه قيل يستوى المثلان مثلين فورد عليه ان يقال لاوجه لتمييز
المثلين بالمثلين اذ الشئ لايميز نفسه فان المعنى الحاصل من التمييز قد فهم من المميز الذي هو الضمير فان المصنف اشار
الى جوابه بقوله في الوصفية اى لامحذور في تمييز المثلين بالمثلين لان المراد بالمثلين الاولين مثلا الرجلين المنعوتين
بالاخيرين وهما جنسان مبهمان غير ملحوظين بخصوصية ما والمعنى هل يستويان الرجلان المذكوران صفتين
اى من حيث انهما صفتان وهذا كما تقول كفى بزيد وعمرو رجلين اى من حيث انهما رجلان اذا احتجت الى رجلين
وقسمت الناس رجلين رجلين (قوله كل الحمدلله) اشارة الى ان اللام سواء كانت للاستغراق اوللجنس تفيد
اختصاص كل فرد من افراد الحمد به تعالى اما على تقدير كونها للاستغراق فظاهر واما على تقدير كونها
للجنس فانه لوثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لثبت الجنس له في ضمن ذلك الفرد فلايكون الجنس مختصابه
تعالى لما بين الله تعالى خسران المشركين وسوء عاقبتهم وبين قبح مذهبهم بضرب المثل وثبت انه لااله الاهو
بين انه مولى النعم كلها فقال الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون فكم ضربت الامثال ولايتفكرون فيها قيل ان كفار
قريش قالوا نتربص بمحمد عليه الصلاة والسلام ريب المنون يعني ننتظر به حتى يموت فنزل قوله تعالى انك
ميت وانهم ميتون فميت صفة مشبهة ينبغي ان لاتطلق على الموصوف الااذا كان الموصوف متصفابأخذ الاشتقاق
بالفعل الا انه اطلق على الحى تنزيلا له منزلة الميت لكون الموت محقق الوقوع والحاصل ان الصفة المشبهة يجب
ان تكون بمعنى الماضي ولايجوز حملها على الاستقبال بخلاف اسم الفاعل فانه صفة حادثة يمكن حمله على الاستقبال
فيقال زيد مائت غدا اى سيموت الا انه اطلق الميت على الحى لالكونه للاستقبال بل لتنزيل الشئ المحقق الوقوع
منزلة الواقع (قوله وقيل المراد به الاختصام العام) اى لاالاختصام الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين
المشركين المتعلق بالدين فالضمير في قوله وانهم ميتون على الوجه الاول للمشركين الذين لم يقبلوا منه عليه الصلاة
والسلام هذه البينات الواضحة الدالة على الوحدانية ولم يلتفتوا اليها فالله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم
بانكم ستموتون ثم تحشرون يوم القيامة فتخاصمهم بان تقول لهم بذلت مافي وسعى من التبليغ والارشاد ومازدتم به
الا اباء عن الحق واستكبارا حسدا اوانهم يعتذرون اليك بالاباطيل التى لاطائل تحتها والاعتذار عن كفرهم
ولجاجهم لماكان توجيها له ودفعا لجحده عليه الصلاة والسلام كان ذلك في صورة الاختصام فلذلك جعل الاختصام
مشتركا بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم حيث قيل تختصمون عند ربكم فيحكم بينكم بالحق ويميز المحق من المبطل
فيجازى كل واحد بماهو حقه فعلى هذا يكون التخاصم في الدين لافي المعاملات والتبعات وعلى الثاني يكون الضمير
لعامة الناس لاللمشركين خاصة ويكون المراد بالتخاصم التخاصم في طلب المظلوم الانتقام من الظالم باعتداء بعضهم
على بعض في الحقوق روى انه عليه الصلاة والسلام قال لاتزال الخصومة يوم القيامة حتى يختصم الروح
والجسد فيقول الجسد انما كنت بمنزلة جذع ملقى لااستطيع شيأ ويقول الروح انما كنت ريحا لااستطيع اعمل شيأ
فيضرب الله لهما مثل الاعمى والمقعد يحمل الاعمى المقعد فالمقعد يعمل ببصره ويعمل الاعمى برجليه ثم انه تعالى لما
ذكر الاختصام الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين المشركين فيما يتعلق بالدين بين ان لااعظم من الكفر والتكذيب
بالله تعالى وانبيائه والافتراء عليه تعالى باتخاذ الصاحبة والولد والشريك فقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب
بالصدق اى بالتوحيد والقرآن اذجاءه من غير ريب وروية ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم مثوى للكافرين
(قوله واللام تحتمل العهد) فيكون قوله للكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على كفر من
افترى على الله وكذب بالصدق (قوله وهو ضعيف) اى الاستدلال بهذه الآية على كفر المبتدعة ضعيف
لان المبتدع وان كان كافرا في نفس الامر بناء على ان كل من كذب على الله وكذب بالصدق فهو كافر سواء كان
تكذيبه مفاجئا لماجاء الرسول به اوكان بعده بزمان مديد ووجه ضعفه ان الآية انما تدل على كفر من كذب وكذب من
غير توقف وتكذيب المبتدعة ليس كذلك فالاستدلال بها على كفرهم ضعيف (قوله والذى جاء بالصدق وصدق
به للجنس) اشارة الى وجه الاخبار عن الذى وهو مفرد بقوله اولئك هم المتقون يعني ان التعريف بالموصول
كالتعريف باللام في انه يجوز ان يكون للاستغراق فيكون جمعا بحسب المعنى فان حقيقة من اتصف بمضمون جاء

وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع اولان المراد
هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين
فان التقدير مثل رجل ومثل رجل (الحمدلله) كل الحمدله
لايشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات
والمالك على الاطلاق (بل اكثرهم لايعلمون)
فيشركون به غيره من فرط جهلهم (انك ميت وانهم
ميتون) فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ
مائت ومائتون لانه مماسيحدث (ثم انكم) على تغليب
المخاطب على الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون)
فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد
وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد
والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل
مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم
في الدنيا (فمن اظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد
والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ماجاء به محمد
صلى الله عليه وسلم اذجاءه من غير توقف وتفكر في امره
(اليس في جهنم مثوى للكافرين) وذلك يكفيهم مجازاة
لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به
على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه
وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ماعلم مجيئ
الرسول به بالتكذيب (والذى جاء بالصدق وصدق به)
للجنس المتناول للرسل والمؤمنين لقوله (اولئك
هم المتقون) وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون وقيل الجائي الرسول صلى الله عليه وسلم
والمصدق ابو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي اضمار
الذى وهو غير جائز

بالصدق وصدق به باعتبار تحققه فى ضمن جميع افراده فى معنى الجمع فيصح الاخبار عنه باولئك فالذى جاء بالصدق هم الانبياء والذى صدق به هم الاتباع وهم جماعة فلذلك قيل اولئك هم المتقون وقيل الذى جاء بالصدق المراد به واحد بعينه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان ذا اصحاب واتباع كان ذكره وحده فى قوة ذكرهم معه فاعتبر ذلك فجمع خبره فقيل اولئك هم المتقون كما قيل ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون واذا جاز ذلك فى العلم ففيما نحن فيه اجوز وقيل الذى جاء بالصدق هو سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن والذى صدق ابو بكر والمؤمنون بعده ولما كان المصدق بعده غير الجائى على هذا القول احتيج الى موصول آخر وحذف الموصول مع بقاء صلته لا يجوز عند البصريين ويجوز عند الكوفيين كقوله * بئس الليالى سهرت من طربى اى التى سهرت فيها (قوله اوصار صادقا بسببه) اى ظهر صدقه بسبب نزوله اليه لان القرآن معجزته عليه الصلاة والسلام والمعجزة تصديق من الله تعالى للانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو تعالى لا يصدق الا الصادق فصار ذلك سببا لظهور صدقه عليه الصلاة والسلام (قوله فى الجنة) متعلق بالاستقرار الذى تعلق به قوله تعالى ولهم وهى كقوله ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون وقوله عند ربهم اى فى حكمه وقضائه كما تقول الامر كذا عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى (قوله تعالى ليكفر الله) يجوز ان يكون من صلة المحسنين كانه قيل الذين احسنوا ليكفر الله اى لاجل ان يمحو عنهم بحسناتهم السوأ الذى عملوا يعنى الكفر بالايمان والكبائر بالطاعات ويجوز ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بما قبله اى اعطاهم ما يشاؤن من فضله ورحمته ليكفر فقوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه وقوله ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العذاب عنهم على اكمل الوجوه (قوله خص الاسوأ) جواب عما يقال من انه يفهم من نظم الآية ان تكون اعمال المحسنين مشتملة على السيئ والاسوأ والحسن والاحسن ويكون الكفر هو الاسوأ لا السيئ والمجزى به هو الاحسن لا الحسن وتقرير جوابه يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان افعل التفضيل اذا اضيف فله معنيان احدهما ان يقصد به الزيادة على ما اضيف اليه اى زيادة الموصوف على من سواه من جملة ما اضيف اليه فى اصل المبدأ الذى هو قدر مشترك بين المفضل والمفضل عليه وثانيهما ان يقصد تفضيله على كل ما سواه مطلقا لا على المضاف اليه وحده ولا تكون اضافته لقصد تفضيله على المضاف اليه فقط بل لمجرد التخصيص والتوضيح كقولك نبينا افضل قريش اى افضل الناس مطلقا من بين قريش اذا تقرر هذا فقوله خص الاسوأ للمبالغة مبنى على ان تحمل الاضافة فى قوله اسوأ الذى عملوا على المعنى الاول وقوله اوللاشعار الخ مبنى على ان تحمل على المعنى الثانى والاسوأ المضاف بهذا المعنى لا يستدعى ان يكون لهم عمل آخر يشاركه فى كونه سوأ ويكون هذا ازيد منه حتى يرد ان يقال لزم ان يكفر الاسوأ دون السيئ بل انهم لاستعظامهم الذنوب يعدون ما صدر منهم من الصغائر بالغا اقصى المراتب فى كونه ذنبا ومعصية من بين اعمالهم كانه قيل ليكفر الله عنهم اسوأ الذنوب من بين اعمالهم واجاب عنه ثالثا بان اسوأ يجوز ان يجرد عن معنى التفضيل ويكون بمعنى السيئ كما جرد اعدل عن ذلك وكان بمعنى العادل لان المقصود ان بنى مروان كلهم جائرون وانهما عادلان لا ان من بينهم لان فيهم من يعدل وهما اعدلاهم قيل الناقص هو محمد الخليفة سمى به لانه نقص اعطية القوم حين استخلف والاشج عمر بن عبد العزيز وكان فى رأسه شجة اوضربه فرس لمروان جده برجله والاسوآء جمع سوء على وزن افعال كقرء واقراء (قوله فيعدلهم محاسن اعمالهم باحسنها) يعنى ان ما ذكره فى وجه تخصيص الاسوأ بالذكر لما لم يصلح وجها لتخصيص الاحسن جعل معنى الآية يعطيهم بمقابلة احسن اعمالهم وبسببها ثوابا مثل ثواب احسن اعمالهم بان يعد محاسن اعمالهم باحسنها لحسن اخلاصهم فيها فتكون اضافة الاحسن للزيادة المطلقة عبر الله تعالى عن اعمالهم الحسنة بالاحسن بالمعنى المذكور لانها عند الله كذلك لحسن اخلاصهم فيها فلا يرد ما يقال مقتضى الآية ان يكون المجزى به الاحسن دون الحسن (قوله مبالغة فى الاثبات) علة لقوله انكار للنفى فان نفى النفى اثبات كانه قيل الله كاف البتة (قوله والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم) بناء على الظاهر من ان قوله تعالى ويخوفونك حال من العبد اذ المعنى أليس كافيك حال تخويفهم اياك بكذا كانه قيل انه كافيه فى كل حال حتى فى هذه الحالة فانه قد جرت العادة على ان المبطلين يخوفون المحقين بالتخويفات الباطلة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله أليس الله بكاف عبده (قوله ويحتمل الجنس) فيكون قوله ويخوفونك كلاما مستأنفا ويكون قوله أليس الله بكاف عبده متصلا بما قبله من شرح

وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل اوصار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول (لهم ما يشاؤن عند ربهم) فى الجنة (ذلك جزآء المحسنين) على احسانهم (ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا) خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك اوللاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ اسوآء جمع سوء (ويجزيهم اجرهم) ويعطيهم ثوابهم (باحسن الذى كانوا يعملون) فيعدلهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس

احوال المتقين والتخييل افساد العقل والعضو والسادن الخادم القيم على الخدمة ثم انه تعالى لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الاوثان فقال قل افرأيتم اى أتعبدون غير الله فاخبرونى فان ارأيتم تستعمل بمعنى اخبرونى مجازا بناء على ان مشاهدة الاشياء ورؤيتها كانت طريقا الى العلم بها وصحة الاخبار عنها جعل الرؤية مجازا عن الاخبار بجامع السببية بطريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وجعل الاستفهام عن الرؤية مجازا عن طلب الاخبار بجامع الطلب وقوله ارأيتم يتعدى الى اثنين اولهما ماتدعون وثانيهما الجملة الاستفهامية والعائد الى المفعول منها قوله هن انث العائد تحقيرا لما يدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسم الاناث كالمنات واللات والعزى وكانوا يقولون فى الملائكة ايضا هن بنات الله امره الله تعالى بان يحتج عليهم بان يحملهم اولا على ان يقروا بان خالق العالم هو الله تعالى وان النفع والضر كله بيده ثم يقول لهم اخبرونى ان آلهتكم ان ارادنى الله بضر من مرض اوفقر اوشدة هل يقدرن على كشفه وان اراد ان يصيبنى بخير وصحة وعافية هل يقدرن على ان يمسكنها عنى ومعلوم انهن لا يقدرن على شئ من ذلك فكيف اخاف منهن ولما كان هذا الاحتجاج مفحما لهم راغما لانفهم امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم حسبى الله اى ثقتى بالله لانه هو الكافى فى اصابة الخير ودفع الضر وفرض المسئلة فى نفسه دون المشركين حيث قال ان ارادنى ولم يقل ان ارادكم لان المراد تبكيت المشركين فى تخويفهم اياه عليه الصلاة والسلام بقولهم لتكفن عن شتم آلهتنا اوليصيبنك منهم خبل اوجنون وهذا المقصود يقتضى فرض المسئلة فى نفسه (**قوله** استعير للحال) يعنى ان المكان والمكانة بمعنى واحد الا ان لفظ مكانة اطلق ههنا على الحال التى كانت المشركون عليها من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادة انواع المكر والكيد به تشبيها للحال التى كانوا عليها بالمكان الذى كانوا فيه وقوله اعملوا على مكانتكم امر تهديد اى اعملوا واجتهدوا على حسب حالكم التى انتم عليها من بغض الحق واهله فانى عامل فى اعلاء الحق واظهار الدين على حسب حالى وتأييدى من عند ربى (**قوله** والمبالغة فى الوعيد) يعنى حذف صلة قوله انى عامل للتعميم وليذهب ذهن السامع كل مذهب فيما يغيظهم ويفرق شملهم ويبطل كيدهم والاشعار بان حاله لا يقف على حد فانه لو ذكر على مكانتى لربما يتوهم ان له حالة واحدة يستقر هو عليها فلما لم يذكر ذلك فهم ان حاله لا تقف على حد يتمكن الواصف من وصفه بل انها لاتزال على الترقى ساعة فساعة الى ان تنتهى الى اقصى غايات الكمال (**قوله** ولذلك) اى ولكون قوله على مكانتى مرادا حذف لما ذكره رتب قوله فسوف تعلمون الخ على قوله انى عامل على وجه التهديد والايعاد بكونه منصورا عليهم فى الدارين فلو لم يكن الكلام السابق مشعرا بما يستلزم كونه عليه الصلاة والسلام منصورا عليهم فى الدارين لما صح تفريعه عليه ثم انه تعالى لما بالغ فى ارشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طريق دعوة المشركين الى التوحيد والطاعة وبين فساد مذهبهم تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد وكلما زاد الله تعالى بيانا وارشادا ازداد المشركون طغيانا وضلالا وكان ذلك يعظم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد التأسف والتلهف على اصرارهم على الضلال المؤدى الى العذاب الابدى كما قال تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين انزل الله قوله انا انزلنا عليك الكتاب للناس الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام كانه قيل انك لست مأمورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القسر والقهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم فمن اهتدى به فنفعه يعود اليه ومن ضل فضرر ضلاله لا يعود الا عليه (**قوله** ملتبسا به) اشارة الى ان قوله بالحق متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول انزلنا ويجوز ان يكون حالا من فاعله بمعنى ملتبسين به وان تكون الباء سببية متعلقة بانزلنا اى انزلناه بسبب بيان ما فيه من الحق الذى تحتاج اليه الناس ثم انه تعالى لما قال ان كل واحد من الاهتداء والضلال ليس الا لصاحبه بين ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وجعل الهداية مثلا للحياة واليقظة وجعل الضلال مثلا للموت والنوم فكما ان كل واحد من الحياة واليقظة ومن الموت والنوم لا يحصل الا بتخليق الله تعالى وايجاده كذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى. فهذا وجه انتظام الآية بما قبلها وقيل وجه الانتظام انه ذكر حجة اخرى فى اثبات انه اله العالم لتدل على انه بالعبادة احق من هذه الاصنام (**قوله تعالى** يتوفى الانفس) اى يقبضها ويستوفيها يقال اوفاه حقه ووفاه اى اعطاه وافيا واستوفى حقه وتوفاه بمعنى واحد ايضا اى قبضه من غير نقصان فقوله تعالى والتى لم تمت

ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا بعيبك اباها وقيل انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضى الله عنه ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لانه الآمر له بما خوف عليه (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فما له من هاد) يهديهم الى الرشاد (ومن يهدى الله فماله من مضل) اذ لاراد لفعله كما قال (اليس الله بعزيز) غالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من اعدآئه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) اى ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبنى بضر هل يكشفنه (او ارادنى برحمة) بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمسكنها عنى (قل حسبى الله) كافيا فى اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير او شر روى ان النبى عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بان الكل منه تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم (انى عامل) اى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزى اعدآئه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) دآئم وهو عذاب النار (انا انزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (بالحق) ملتبسا به (فمن اهتدى فلنفسه) اذ نفع به نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) فان وباله لا يتخطاها (وما انت عليهم بوكيل) وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم

فى منا مها فى محل النصب على تقدير ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منا مها لحذف الناصب والموصوف لدلالة ما تقدم عليهما وقوله فى منا مها متعلق بهذا الفعل المقدر اى يتوفاها فى وقت منا مها مثل آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه فالنفس المائتة و النائمة يشتركان فى ان كل واحدة منهما مقبوضة لله تعالى بمعنى انه تعالى يقطع تعلقها عن الابدان وتصرفها فيها ويفترقان من حيث ان النفوس النائمة يرسلها ويردها الى البدن عند اليقظة ويستبقى هذه الحالة الى اجل مسمى هو وقت الموت و يمسك النفس المائتة ولا يرسلها ولا يردها الى يوم البعث قال الامام لابد فى هذا المقام من مزيد البيان فنقول النفس الانسانية كناية عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه فى جميع الاعضاء فنقول انه فى وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه حيث لا يتصرف فى ظاهر البدن بالاحساس والتمييز ولا فى باطنه بالتنفس وذلك هو الموت واما فى وقت النوم فانه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن فقط حيث تتعطل حواسه الظاهرة باسرها لا عن باطنه لان النائم حى متنفس كما فى حال يقظته فالموت والنوم جنس واحد بهذا الاعتبار لكن الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص (قوله وماروى) مبتداء وقريب مما ذكرناه خبره وقوله فالنفس مبتدأ وقوله التى بها العقل والتمييز خبره وكذا قوله والروح مبتدأ والتى بها النفس خبره فهو رضى الله عنه اثبت فى بنى آدم شيئين وسمى احدهما نفسا والآخر روحا وجعل نسبة الروح الى النفس كنسبة الشعاع الى الشمس فى كونه متعلقا بها اثرا لها فان الروح الذى هو مبدأ النفس والحياة بمنزلة الشعاع للنفس التى هى مبدأ التعقل والتمييز فالله يقبض النفس عند النوم ولا يقبض الروح وعلى ماذكره المصنف ليس فى بنى آدم الا شئ واحد هو الجوهر المشرق النورانى يكون لابن آدم بحسب ثلاث احوال حال يقظة وحال نوم وحال موت فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان وباطنه تعلقا كاملا تثبت له حالة اليقظة وباعتبار ظاهر الانسان فقط تثبت له حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن جميعا تثبت له حال الموت ووجه كون ماروى قريبا مما ذكره المصنف ان النفس والروح وان كانا امرين متغايرين بالذات على ماروى الا ان المقبوض عند الموت ما يكون متعلقا بباطن الانسان ومبدأ للنفس والحياة والامر كذلك على ماذكره المصنف والمقبوض عند النوم هو ما يكون متعلقا بظاهر الانسان ومبدأ للتعقل والتمييز كما هو كذلك على ماذكره المصنف وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد ورفع الموت لقيامه مقام الفاعل والوجه قرآءة العامة لذكر الفاعل باسمه الصريح فى اول الآية وهو الله تعالى (قوله بل أتخذ قريش) أتخذ بهمزة واحدة مفتوحة وهى همزة الاستفهام وحذف همزة افتعل للوصل يعنى ان أم فى قوله تعالى ام أتخذوا منقطعة بمعنى بل و همزة الاستفهام الانكارى اى دع طمع ان يتفكروا فيها فيستدلوا على كمال قدرته وحكمته فينقادوا الامره وحكمه وانظر الى فرط جهالتهم حيث اتخذوا من لا يملك شيأ شفعاء لهم عند الله وان كان قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية للاستدلال على ان الواجب على العاقل ان يعبد الها موصوفا بهذه القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التى هى جمادات لا شعور لها فضلا عن القدرة والحكمة يكون وجه اتصال قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء الآية بما قبله ان يكون جوابا عما اورده الكفار على الدليل السابق بقولهم نحن لا نعبد الاصنام لاعتقاد انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل اشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فاجاب الله تعالى بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء وتقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا فى تلك الشفاعة من عبادة هذه الاصنام او من الاشخاص التى الاصنام تماثيل لها والاول باطل بالبداهة اذ لا يتصور صدور الشفاعة من الجماد الذى لا يملك شيأ ولا يعقل والثانى ايضا باطل لان يوم القيامة يوم لا يملك فيه احد شيأ من الاشيا فلا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله الذى يأذن فى تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا (قوله أيشفعون ولو كانوا) يعنى ان مدخول الهمزة محذوف وهو يشفعون وان قوله ولو كانوا حال من فاعله اى أيشفعون حال تقدير عدم ملكهم وعدم عقلهم (قوله ثم قرر ذلك) اى قرر قوله قل لله الشفاعة جميعا ببيان اختصاص الملك له فى اليوم و فى يوم القيامة لان الشفاعة من الملك والملك له فكيف يشفع احد لاحد بغير اذن من له الملك ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من اعمالهم القبيحة وهو انك اذا ذكرت الله وحده بأن تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار النفرة فى قلوبهم ووجوههم واذا ذكرت الاصنام والاوثان ظهرت آثار الفرح والبشارة فى قلوبهم ووجوههم وذلك

(فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع (ويرسل الاخرى) اى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى اجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية حين الارسال وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه (ان فى ذلك) من التوفى والامساك والارسال (لآيات) دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها (ام اتخذوا) بل أتخذ قريش (من دون الله شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا يقدرون ولا يعلمون (قل لله الشفاعة جميعا) لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها ولا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال (له ملك السموات والارض) فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم فى امره دون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ

يدل على كمال جهالتهم وحماقتهم لان ذكر الله وتوحيده رأس كل خير ومفتاح كل سعادة وذكر الاصنام التى هى الجمادات الخسيسة رأس كل الجهالات والحماقات فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام من اقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق التديد (قوله ولقد بالغ فى الامرين) وهما الاشمئزاز الذى هو غاية النفرة والاستبشار الذى هو غاية الفرح والسرور وقوله حتى بلغ الغاية فيهما بيان لوجه المبالغة فيهما فان كل واحد منهما غاية فى بابه فانه اذا امتلأ القلب سرورا ينبسط الروح الحيوانى الى ظاهر البدن فيتهلل بسبب بشره وجهه واذا اشتد غيظه ينقبض الروح الى داخل القلب فيظهر فى اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة والارضة (قوله والعامل فى اذا المفاجأة) جملة اسمية اى العامل فى اذا الاولى هو فعل المفاجأة العامل فى اذا الثانية وهو فاجأ والكن قوله اذا ذكر ظرف لذلك الفعل وقوله اذاهم مفعول به وليسا ظرفين له لان العامل الواحد لا يعمل فى ظرفين من جنس واحد من غير ان يكون الثانى بدلا من الاول ولان فعل المفاجأة لا بد له من مفعول به لانه متعد جعل الزمخشرى تقدير الكلام فى وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار ففسر اذا المفاجأة بالوقت وقد قالوا انه للمكان ولعل الداعى اليه رعاية المناسبة بين اذا الاولى والثانية فان قلت ماذكره يؤدى الى ان يكون للزمان زمان قلنا انما يلزم ذلك ان لو لم يكن الوقت الثانى هو الوقت الاول بمعنى انهم يجعلون وقت الذكر وقت الاستبشار من غير تلبث واما العامل فى اذا التى فى قوله واذا ذكر الله فهو قوله اشمأزت ثم انه تعالى لما حكى هذا الامر العجيب الذى تشهد فطرة العقل بفساده امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول اللهم فاطر السموات والارض اى ياخالق السموات والارض وياعالم السر والعلانية انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اى قد علمت حالى وحال قومى هؤلاء وانى قد ابلغتهم واجتهدت فى النصح لهم واوضحت لهم دلائلك فاشمأزوا فاحكم بينى وبينهم *انى لاعرف آية ماقرأها احد قط فسأل الله تعالى شيأ الا اعطاه اياه وهى قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم انه تعالى لما حكى هذه الجهالات وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العليا ويسأله ان يحكم بينه وبينهم فيما كانوا فيه يختلفون ذكر فى وعيدهم اشياء اولها ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما فى الارض من الاموال وملكوا مثله معه فجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من ذلك العقاب الشديد لم يقبل منهم ذلك وهو قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اى كفروا فوضعوا العبادة فى غير موضعها وظلموا انفسهم بذلك وثانيها وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اى ظهرت لهم انواع من العقاب لم يكن فى حسابهم ما يماثلها ويدانيها كما قال عليه الصلاة والسلام فى صفة الثواب فى الجنة فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكذا الحال فى جانب العقاب والعياذ بالله تعالى وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا وكلمة ما يجوز ان تكون موصولة اى سيئات اعمالهم التى اكتسبوها وان تكون مصدرية اى سيئات كسبهم ثم قال وحاق بهم اى احاط ونزل بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا به يستهزؤن قدر الجزاء كما قدر فى قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اى جزاء ما كنزتم لان ما كانوا يستهزؤن به فى الدنيا من آيات الله وانبيائه لا معنى لاحاطته بهم به فى العقبى الا بذلك التقدير ثم انه تعالى حكى عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة وهى انهم عند الوقوع فى الضر من نحو الفقر والمرض يفزعون الى الله تعالى ويرون ان دفع ذلك لا يكون الا منه ثم انه تعالى اذا خولهم اى اعطاهم نعمة تفضلا يقول احدهم انما اوتيته على علم (قوله اخبار عن الجنس) حمل الانسان على الجنس واستدل عليه بقوله اكثرهم لا يعلمون لانه لو حمل على المعهود وهم الذين اشمأزت قلوبهم عن ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره لما كان لتخصيص اكثرهم بانهم لا يعلمون وجه لانهم كلهم كذلك وهذا الحمل لا ينافى وجه دخول المشمئزين والمستبشرين دخولا اوليا فى هذا الحكم وهو تخصيصه تعالى بالدعاء اذا مسهم ضر وشدة فلذلك عطف هذه الجملة على قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت الخ بالفاء السببية المؤذنة بانهم يجعلون اشمئزاز قلوبهم عن ذكر الله سببا للالتجاء اليه تعالى عند الشدائد انكارا عليهم فى هذا الالتجاء وتعجيبا من حالهم لان السبب الصالح للالتجاء اليه عند الشدائد صدق الانقياد والانابة اليه وقت الرخاء لا النفور عنه والاشمئزاز بذكره وهم يقيمون النفور والاشمئزاز المذكورين مقام الانقياد التام والانابة الدائمة فيلتجئون اليه عند الشدائد وما هذا الا تعكيس فى التسبب الا ان الظاهر من عطف هذه الجملة على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء ان يحمل الانسان على المعهود وان يكون المشمئز عن ذكر الله ملحوظا قصدا لما فى ضمن الجنس حتى

(واذا ذكر الله وحده) دون الهتهم (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انقبضت ونفرت (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاوثان (اذاهم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجأة (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها (انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) فانت وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم (ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم فى الوعد (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا) اخبار عن الجنس بما يغلب فيه

يكون العطف المذكور تقبيحا لحالهم وبيانا لمناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب حيث جعلوا ما هو سبب للاعراض عنه سببا للالتجاء اليه (**قوله** وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم) اى لانكار منا قضتهم انفسهم حيث تشمئز قلوبهم عن ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره ثم يرجعون اليه تعالى فى الشدائد دون آلهتهم وما هو الا مناقضة صريحة وتعكيس فى التسبب يعنى ان من حق الجملة المعترضة ان تؤكد كل واحدة من الجملتين اللتين وقعت هى معترضة بينهما والامر ههنا كذلك لان الجملة المتقدمة اذا ذكر الله وحده الخ معناها انكار اشمئزازهم وكذا الجملة المتأخرة وهى قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر الخ انكار للالتجاء اليه تعالى بعد الاشمئزاز عن ذكر الله وحده والاستبشار بذكر غيره وما وقع معترضا بينهما وهو دعاؤه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى بامر منه بذلك تأكيد للانكار الواقع فى الطرفين كأنه قيل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك بمثل هذه الجراءآت الا انت (**قوله** فان التخويل مختص به) اى بالاعطاء تفضلا ولا يستعمل فى الاعطاء بطريق المجازاة والمكافاة بل فى ابتداء العطية (**قوله** على علم منى بوجوه كسبه) على ان قوله تعالى على علم حال من الضمير المرفوع فى اوتيته وان فسر ذلك بقوله انى سأعطاه يحتمل ان يكون حالا من الضمير المرفوع او المنصوب فى اوتيته لتصريح الضمير فى سأعطاه وان فسر بقوله على علم من الله تعالى ومن استحقاقى يتعين كونه حالا من الضمير المرفوع (**قوله** والهاء فيه لما) يعنى ان كلمة ما فى انما تحتمل ان تكون كافة وان تكون موصولة فالضمير المنصوب فى اوتيته على الاول يرجع الى النعمة من حيث ان المراد بها شئ من النعمة او من حيث ان المراد بها الانعام وعلى الثانى يرجع الى ما اى الذى اوتيته على علم منى ومن الله تعالى بى وباستحقاقى اياه فان قلت كيف يحتمل انها موصولة وحق الموصولة ان تكون مفصولة فى الخط عن ان اجيب بان خطين لا يجرى القياس فيهما خط المصحف وخط العروضيين وانث ضمير النعمة فى قوله تعالى بل هى فتنة اعتبارا بلفظ النعمة (قوله وهو رد لما قاله) كأنه قيل ما خولناك اياها لما تقول بل هى فتنة اى ابتلاء وامتحان لك ليظهر للناس أتشكر تلك النعمة ام تكفر وكلمة ما فى قوله تعالى فما اغنى عنهم يجوز ان تكون نافية او استفهامية اى ما ينفع او اى شئ ينفع ما كسبوا من المال عند حلول العذاب المدلول عليه بقوله فاصابهم سيئات ما كسبوا وهو معطوف على قوله قد قالها الذين من قبلهم (**قوله** او جزاء اعمالهم) على ان يراد بالعقوبات السيئات التى هى جزاء ما كسبوه من المعاصى وكلمة ما على الوجهين موصولة ولما ورد ان يقال عقوبة العاصى عدل تقتضيه الحكمة فكيف يصح ان تسمى سيئة اجاب عنه بقوله وسماه سيئة على طريق المجاز المرسل تسمية للشئ باسم متعلقه فان الجزاء الذى اصابهم انما اصابهم فى مقابلة اعمالهم السيئة ونكتة المجاز الرمز الى ان جميع اعمالهم كذلك ووجه الرمز ان قوله ما كسبوا يعم جميع اعمالهم فاذا عبر عن جزاء ما كسبوا بالسيئات لكونها فى مقابلة السيئات كان ذلك رمزا اليها بلاحظة اضافتها الى جميع ما كسبوا من العقائد الباطلة والاقوال والافعال الفاسدة او عد كفار مكة ومن كان بمثل حالهم فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اى بفائتين عذاب الله فى الدنيا والآخرة ثم رد عليهم زعمهم فيما اوتوا من المال وسعة الحال بقوله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ويضيق على من يشاء لا يتعلق البسط بحسن حيلته فى كسبه ولا الضيق ببلادته فيه ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين فى سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وسبب ذلك ليس عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر فى اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف فى غاية السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبائع والانجم والافلاك لان فى الساعة التى ولد فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان وعالم النبات فلما اثبتنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلى صحة قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر

فلا السعد يقضى به المشترى * ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السما * وقاضى القضاة تعالى وجل

ثم انه تعالى لما اطنب فى تفصيل الوعيد اردفه بشرح كمال قدرته وفضله واحسانه فى حق العبيد فقال قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم (**قوله** افرطوا فى الجناية عليها) يريد انه ضمن الاسراف معنى الجناية فعدى بعلى لذلك وقوله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا الظاهر انه قوله اولا وثانيا اشارة الى ترتيبهما فى كونهما

والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده باعتبار ما فيه من البيان لمناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم (ثم اذا خولناه نعمة منا) اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما اوتيته على علم) على منى بوجوه كسبه او بانى سأعطاه لما لى من استحقاقه او علم من الله بى وباستحقاقى والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها (بل هى فتنة) امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا (فاصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) المشركين ومن للبيان او للتبعيض (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم (وما هم بمعجزين) بفائتين (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم) افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن (لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا

مدلول الاية بناء على ان التفضل لايكون الابعد المغفرة يحتمل أن يكون اشارة الى ترتيبهما فی كونهما مدلول الاية بناء على انه اذا دلت على النهى عن اليأس من تفضله فدلالتها على النهى عن اليأس من مغفرته اولى لان المذنب مالم يغفر له لايتفضل عليه بالدرجات وقوله واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين يعنى ان قوله تعالى الذين اسرفوا على انفسهم ليس بعام فی حق جميع المشركين وان دخلوا دخولا اوليا فيمن افرطوا فی الجناية على انفسهم بالافراط فی المعاصی بناء على ان لفظ العباد اذا ذكر مضافا اليه تعالى يراد به المؤمنون فی عرف القرآن وان كان عرف اهل اللغة لا يقتضی اختصاصه بهم لان الخلائق باسرها عباده مملوكون وفی قبضة قدرته مسخرون فلا يرد ان يقال نهى العباد عن القنوط من رحمة الله يستلزم امرهم بان يطمعوا ويرجوا رحمته تعالى والكريم اذا امر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم بالمغفرة والتفضل فی حق عامة المكلفين من المؤمنين والمشركين ويعارضه نصوص كثيرة فما وجه التوفيق واذا خص العباد بالمؤمنين بشهادة الاضافة يكون معنى الآية اطماع المؤمنين بانه تعالى يغفر جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر فان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ينجو من النار قطعا اما قبل الدخول فی جهنم واما بعد الدخول فيها كما قال المصنف رحمه الله يغفرها عفوا ولو بعد تعذيب اى يسترها جميعا بان يمحوها من عنا الدار اى هدمها واعلم ان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى يغفر جميع ذنوب المؤمنين ويعفو عنها قطعا وان هذا العفو والغفران يقع على وجهين تارة يقع ابتداء وتارة بعد ان يعذب فی النار مدة ثم يخرج من النار ويعفى عنه فان قيل اذا كانت جميع الذنوب مكفرة بعفو الله تعالى ومغفرته فما الحاجة الى التوبة فان التوبة يراد بها اسقاط العذاب فاذا سقط العذاب بعفو الله تعالى فای حاجة الى التوبة مع انها واجبة على العاصی عندنا وان لم تكن شرطا فی العفو والغفران اجيب بان فائدتها اسقاط العذاب عمن تكون مغفرته مسبوقة بالعذاب وان كان يحتمل ان يغفر له ابتداء من غير توبة وسبق تعذيبه بحكم مشيئته لا بحكم ملكه وجبروته والمعتزلة قيدوا قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا بالتوبة وحملوا هذا المطلق على ما قيد فی مواضع آخر دفعا للتناقض الا ان قولهم بالتقييد فی غير هذا الموضع محل نظر اذ لم يصرح فی شیء من المواضع بان المغفرة متوقفة على التوبة وغاية ما ذكر انه تعالى ذكر المغفرة بعد ذكر التوبة وهو لا يستلزم عدم حصول المغفرة بدونها كالايستلزم ذكر الانابة والاخلاص بعد ذكر المغفرة عدم حصولها بدونها كما فی هذه الآية والمصنف رد على الزمخشری فی تقييد المغفرة بالتوبة بان التقييد خلاف الظاهر فلا يصار اليه بلا ضرورة ثم استدل على ان غفران ما عدا الشرك من الذنوب مطلق غير مشروط بالتوبة بوجوه الاول قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ووجه الاستدلال به ان الشرك الغير المغفور هو الذی لم يتب عنه ضرورة ان المشرك اذا تاب من شركه واسلم يغفر له شركه فيكون المراد بما دون الشرك المغفور لمن يشاء ما لم يكن مسبوقا بالتوبة والا لم يتطابق النفی والاثبات والثانی التعليل المستفاد من قوله تعالى انه هو الغفور الرحيم فانه لاشتماله على صيغتی المبالغة وهما صيغتا فعيل وفعول يدل على ان الغفران والرحمة مطلقان غير مقيدين بالتوبة لان كونهما فی غاية الكمال انما يكون اذا كانا غير مشروطين وكذا ما فيه من الدلائل على الحصر يدل ايضا على ان غفرانه ورحمته تعالى فی غاية الكمال ومن وجوه كمالهما كونهما غير مشرطين بالتوبة والثالث انه تعالى لم يكتف بتوصيف ذاته بالمغفرة البالغة الذی هو فی قوة الوعد بها بل اردفه بتوصيفها بالرحمة البالغة بها فان قوله الرحيم يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد من قوله الغفور فان قوله الغفور اشارة الى محو ما يوجب العقاب وقوله الرحيم اشارة الى التفضل بالثواب ومن هذا شأنه لا يليق به ان تكون مغفرته مشروطة بالتوبة والرابع تقديم ما يستدعی عموم المغفرة وهو ان عبر عن المذنبين بلفظ العباد المشعر بالذلة والمسكنة وان اضاف المفظ المذكور الى نفسه بياء الاضافة ولا شك ان اللائق بالكريم الرحيم افاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج من غير تقييد واشتراط بشیء وان شرف الاضافة اليه يدل على الامن من عذابه مطلقا تاب او لم يتب والخامس ان تخصيص ضرر اسرافهم بهم وارجاعه اليهم توصيف لهم بجهل وخامة عاقبة الاسراف وهو ايضا يشعر بان تكون مغفرته لهم غير مشروطة بشیء والسادس انه تعالى اطلق النهی عن القنوط من الرحمة وهو فی قوة الامر برجاء الرحمة مطلقا والكريم اذا امر بالرجاء والرحمة مطلقا فهو آمر برجاء المغفرة مطلقا بطريق الاولى والسابع ان اطلاق الرحمة وعدم تقييدها بنوع منها اطماع فيها بجميع وجوهها فتقييد المغفرة بالتوبة ينافی اطلاق الرحمة والثامن ان تعليل النهی عن القنوط من الرحمة بقوله ان الله يغفر الذنوب يدل على اطلاق المغفرة اذ لا وجه لتعليله بالمغفرة

(ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعی عموم المغفرة مما فی عبادی من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهی عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير لدلالته على انه المستغنی والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجمع وما روی انه عليه الصلاة والسلام قال ما احب ان لی الدنيا وما فيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن اشرك ثلاث مرات

المقيدة والتاسع انه تعالى قال اولا ياعبادى فكان الظاهر ان يقول بعده لاتقنطوا من رحمتى الا انه تعالى قال لاتقنطوا من رحمة الله بوضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بان رحمته غير مشروطة فضلا عن مغفرته والعاشر التأكيد بالجميع فانه تعالى لو قال يغفر الذنوب من غير تأكيد بقوله جميعا لحصل اصل المعنى لكنه اردفه بقوله جميعا ليدل على كمال مغفرته ومن جملة كمالها كونها غير مشروطة بالتوبة وقوله عليه الصلاة والسلام ما احب ان لى الدنيا وما فيها بها اى بهذه الآية والباء فى قوله بها للمقابلة والمعنى ما احب ان املك الدنيا وما فيها بهذه الآية وذلك لانه تعالى وعد فيها المسرفين من عباده ان يغفر لهم ذنوبهم جميعا ونهاهم عن ان يقنطوا من رحمة الله الواسعة وهى ارجى آية فى حق عصاة المؤمنين فقال رجل على سبيل الاستبعاد ومن اشرك اى وذنوب من اشرك على انه معطوف على قوله تعالى الذنوب جميعا اى ويغفر ذنوب من اشرك ايضا فلعل الصحابى نظر الى عموم قوله ياعبادى لمن آمن واشرك فقال وذنوب من اشرك ايضا وسكوته عليه الصلاة والسلام يحتمل ان يكون لتعليم التأنى اولانتظار الوحى اوللاجتهاد على رأى من يجوزه له عليه الصلاة والسلام روى فى سبب نزول هذه الآية وجوه قيل انها نزلت فى اهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان من قتل النفس وعبد الاوثان لايغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم ولعلهم قالوا ذلك حين سمعوا قوله تعالى فى آخر الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى ان قال والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فنزلت جوابا لهم اى قل لهؤلاء المشركين عنى ياعبادى اى ياخلقى انا مالكهم اصرفهم فى حكمى كيف اشاء وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان وحشيا كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة انى اريد ان اسلم ولكن يمنعنى آية نزلت عليك من القرآن هى قوله والذين لايدعون مع الله الها اخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وانى قد فعلت هذه الاشياء الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاؤلئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فكتب ذلك وارسله الى وحشى فقال وحشى ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح وانا لاادرى اقدر عليه ام لا فنزل ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى وكتب وحشى ان فى هذه الآية شرطا ايضا وهو قوله تعالى لمن يشاء ولاادرى ايشاء ان يغفر لى ام لا فنزل قوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فكتبه الى وحشى فلم يجد فيه الشرط فقدم المدينة فاسلم فقال المسلمون هذا له خاصة ام للمسلمين عامة قال عليه الصلاة والسلام بل للمسلمين عامة وقيل نزلت فى اناس اصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلية فلما جاء الاسلام اشفقوا ان لايقبل الله تعالى توبتهم وقيل نزلت فى عياش ابن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا ثم فتنوا بان امروا بالتكاليف الشرعية من القتال وغيره فلم يصبروا عليها فارتدوا والعياذ بالله قال الامام العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فنزول هذه الآيات فى هذه الوقائع لايمنع من عمومها (قوله ومارو‌ى) مبتدأ ومابعده عطف عليه وقوله لاينفى عمومها خبر المبتدأ وهو جواب عن سؤال مقدر وهو ان ماذكرته من الادلة الدالة على ان المغفرة ليست مقيدة بالتوبة معارض بهذه الروايات فانها تدل على ان هذه الآيات نازلة فى حق المشركين او المرتدين اوفى المسرفين مطلقا من المشركين وعصاة المؤمنين ومن المعلوم انه لايغفر الشرك والارتداد الا بشرط التوبة فتكون المغفرة المذكورة فى الآية مقيدة بالتوبة كما ذهب اليه المعتزلة وتقرير الجواب ان نزولها فى حق المشركين والمرتدين لايستلزم كون المغفرة مشروطة بالتوبة بل الآية باقية على عمومها وتقييدها بالتوبة فى حق الكفرة يستفاد من الدليل المنفصل نحو قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فان مثل هذا النص يدل على ان مغفرة الشرك مشروطة بالتوبة والانتهاء عنه وتخصيص الشرك من بين الذنوب بان مغفرته متوقفة على التوبة لاينافى بقاء الآية على عمومها فى حق مغفرة الذنوب قال صاحب الكشاف وانما ذكر الانابة اثر المغفرة ودعاهم بذكرها الى التوبة لئلا يطمع طامع فى حصول المغفرة بدون التوبة وللدلالة على انها فيها شرط لازم لاتحصل بدونها فاجاب المصنف عنه بقوله وكذا قوله وانيبوا الى ربكم الآية فانه ايضا لاينفى عموم الآية اى عموم الذنوب المذكورة فيها للذنوب المتوب عنها وغير المتوب عنها فان الانابة انما ذكرت ههنا للحث عليها لكونها واجبة على العاصى فان الآية

ومارو‌ى انها نزلت فى اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا اوفى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله (وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتعينى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالتعذيب

السابقة انما تدل على انه تعالى يصح منه ان يغفر الذنوب جميعا عفوا اى من غير توبة وسبق تعذيب ولا تدل على حصول المغفرة قطعا لكل واحد من غير توبة وسبق تعذيب حتى يقال اذا حصلت مغفرة الذنوب جميعا بطريق العفو والتفضل فاى حاجة الى التوبة والحث عليها وايضا فاوجه الوعيد بالعذاب مع كون جميع الذنوب مغفورا ابتداء فى حق كل احد ومعنى الآية ارجعوا الى ربكم من الشرك والذنوب واسلموا له اى اخلصوا له التوحيد والعمل من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابه وهو استئناف غير معطوف على المنصوب فلذلك رفع فيستحسن الوقف على ماقبله (قوله القرآن) جواب عما يقال الظاهر ان المراد ان ما انزل الى هذه الامة انما هو القرآن والقرآن كله احسن فامعنى الامر باتباع احسنه وتقرير الجواب ان المراد بقوله احسن ما انزل اليكم احسن ما انزل الى بنى آدم على ان الخطاب لبنى آدم والمعنى اتبعوا احسن وحى او كتاب انزل اليكم وهو القرآن كله او المراد بما انزل فى الاوجه القرآن والمراد باحسنه ما فى ضمنه من المأمور بها فانها احسن من المنهى عنها لا محالة او من العزائم فانها احسن من الرخص او من الناسخ فانه احسن من المنسوخ لان النسخ عبارة عن انتفاء حكم المنسوخ واثبات حكم آخر مكانه فلما كان الناسخ هو المعول عليه من حيث حكمه كان احسن فى حقنا ورجح احتمال ان يكون المراد باحسن القرآن ما هو اظهر تأدية الى النجاة والسلامة لكونه اشمل واكثر فائدة (قوله لان القائل بعض الانفس) وهى الانفس الكفرة كانه اراد ان التنكير فيها للنوعية وعبر عن النوع بالبعض فان النفس الكافرة نفس من جنس النفوس قال الاعشى شاكيا من قومه حين قعدوا عن نصره

دعا قومه حولى بجاؤا لنصره ❊ وناديت قوما بالمسناة غيبا

ورب بقيع لو هتفت بجوه ❊ اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

يريد افواجا من الكرام ينصرونه مغضبين اى محمولين على غضب اى غضب والمسناة العرم والبقيع موضع فيه اروم الشجر من ضروب شتى ومنه بقيع الغرقد وهو مقبرة بالمدينة والغرقد صنف من الشجر كانه لما تقاعد قومه عن نصرته دعا ومعنى قوله قوما بالمسناة غيبا امواتا مقبورين تشبيها لهم بالاموات المقبورة فى غيبتهم وعجزهم وشبه القبر بالمسناة لانه اذا قبر الميت صارت الاحجار المركومة مسناة فوق الميت واراد بالبقيع المقبرة تشبيها لها بالغرقد وتنكير كريم فيه للتكثير يريد اتانى افواج من الكرام ينصروننى لانه فى صدد مدح نفسه وبيان ان الكرام من الرجال لا يخذلونه وحمل التنكير على الافراد يخل بالمقصود (قوله يا حسرتا) قرأ العامة يا حسرتا بالف مبدلة من ياء الاضافة فان الاصل يا حسرتى والعرب تبدل ياء الضمير الفا فى الاستغاثة فتقول يا ويلتا ويا ندامتا هربا الى خفة الالف مع الفتحة بالنسبة الى الياء والكسرة وقرئ يا حسرتى على الاصل ويا حسرتاى على الجمع بين الاصل والعوض وما فى قوله على ما فرطت مصدرية اى على تفريطى والجنب والجانب والناحية بمعنى يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته ويقال فرطت فى جنبه وفى ناحيته اى فى حقه والوامق المحب ومقه يمقه ومقا بكسر العين فيهما اى احبه فهو وامق وحرى تأنيث حران مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقطع اصله تتقطع (قوله وهو كناية الخ) اى اثبات التقصير فى جنب الله تعالى وناحيته كناية عن اثباته لذاته لان اثبات الامر فى مكان الرجل يستلزم اثبات ذلك الامر فى نفسه كما فعل زيادة الاعجم فى مدح عبد الله بن الحشرج حيث جمع السماحة والمروءة والندى فى قبة تنبيها بذلك على ان محلها ذو قبة واراد بجعل محلها ذا قبة اختصاص الاوصاف المذكورة بابن الحشرج ثم لما رأى ان غرضه لا يتم بجعل محلها ذا قبة لوجود ذوى القباب فى الدنيا جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج فتم غرضه بذلك لان كون تلك الاوصاف فى قبة مضروبة على الممدوح من لوازم كونها قبة فكنى الشاعر بكونها فى تلك القبة عن كونها قبة ولا فرق بين ذكر الله نحو المكان والجنب والجانب ونحوه فى تأدية اصل المعنى الا انه اذا ذكر يكون كناية فيكون الكلام ابلغ فاذا قيل فرطت فى جنب الله فكانه قيل فى الله اى فى ذاته فلا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر اى فرطت فى حقه وهو طاعته فيما امر به ونهى عنه (قوله وقيل فى ذاته) على ان يجعل جنب الله كناية عن ذات الله ايضا لا بتقدير فى حق ذات الله بل بتقدير فى ذات طاعة الله والفرق بين الوجهين ان المضاف مقدر قبل الجنب الذى كنى به عن الذات فى الوجه الاول وبعده فى الوجه الثانى (قوله وقيل فى قربه) اذ الجنب القرب يقال فلان يعيش فى جنب فلان اى فى قربه وجواره والمعنى على هذا فرطت فى قرب الله وجواره (قوله باهله) اى باهل الله تعالى بمعنى اهل دينه وطاعته قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله وفرط فيها حتى سخر من

(واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) القرآن او المأمور به دون المنهى عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) بمجيئه فتتداركون (ان تقول نفس) كراهة ان تقول نفس وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

شعر

ورب بقيع لو هتفت بجوه

اتانى كريم ينفض الراس مغضبا

(يا حسرتا) وقرئ بالياء على الاصل (على ما فرطت) قصرت (فى جنب الله) فى جانبه اى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى شعر

اما تتقين الله فى جنب وامق

له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله شعر

ان السماحة والمروءة والندى

فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر (او تقول لو أن الله هدانى) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل وأو للدلالة على انها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته

ادلمها وكلمة ان فى قوله وان كنت هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية واسمها ضمير الشأن المحمل والجملة فى محل النصب على انها حال من فاعل فرطت كأنه قال فرطت فى حال كونى ساخرا من الساخرين ولم يقنع بتفريطه فى طاعة الله تعالى وسخريته باهل الطاعة حتى عدى فى زمرتهم واشتهر بذلك واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب بقوله من قبل ان يأتيكم العذاب بين انهم عند نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى عليهم بثلاثة انواع من الكلام فالاول قوله ان تقول نفس يا حسرتا والثانى قوله او تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين والثالث قوله او تقول حين ترى العذاب الآية تحسروا اولا على التفريط فى طاعة الله تعالى وثانيا تعللوا بفقد الهداية وثالثا تمنوا الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المحسنين اعتقادا وعملا وكلمة أو فى هذه الاقوال لمنع الخلو لا لمنع الجمع اذ يجوز ان تجتمع هذه المقالات ويقولوا بها جميعا فاجاب الله عن كلامهم بان قال بلى قد هديت الى الدين بالوحى الحق وانزال القرآن وان تعللك بفقد الهداية باطل واعذار لان آياته بما جاءك من الآيات القرآنية الا انك كذبت بها قائلا انها ليست من عند الله تعالى وتكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين باختيار الكفر على الايمان والضلال على الهدى بعد وضوح البيان ولما كانت كلمة بلى مختصة بايجاب النفى ولا تقع جوابا لغير النفى وليس فى واحدة من تلك المقالات لفظ النفى حتى يحسن ان يجاب عنه ببلى جعلها جوابا عن مقالتهم الوسطى وهى قولهم لو ان الله هدانى واحتاج الى اعتبار ما فيه من معنى النفى لان معناه انه تعالى ما هدانى لان لو اذا دخلت على المثبت تفيد معنى النفى فورد عليه ان بلى لما كانت جوابا عن المقالة الوسطى كان ينبغى ان تقترن بها فلم فصلت عنها فاجاب عنه بان اقتران الجواب بتلك المقالة يفرق القرآن بان يتخلل كلام الغيرين مقالتهم وتأخير تلك المقالة عن المقالة الثالثة لان يقترن جوابها يخل بالنظم المطابق للوجود فتعين ان تذكر تلك المقالات على وفق ترتيبها فى الوجود ثم يجاب من بينها عما يستدعى ان يجاب عنها (قوله وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد) جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآيات على ان العبد مستقل بفعله لا تأثير لقدرة الله تعالى فيه من حيث انه تعالى رد قولهم انه تعالى ما هدانا الى الحق بقوله بلى قد هديتكم وبينت لكم آياتى لكنكم كذبتم بها واخترتم الضلالة على الهدى فانما جاء التقصير من قبلكم وهذا يدل على ان قدرة الله تعالى لا تأثير لها فى شقاوتهم والا لكان لهم ان يقولوا نعم جاءتنا الآيات لكنك خلقت فينا التكذيب وصرفتنا عن التصديق بها وايضا انه تعالى وصفهم على وجه الذم والتوبيخ بتكذيب الآيات والاستكبار عن الايمان بها والاهتداء بهداها والكفر والاسراف فلو لم يكن لهم استقلال فى هذه الافعال لما صح هذا الذم ولا شك ان استدلالهم هذا باطل لان غاية ما فى الباب انه تعالى رد ما تضمنته مقالتهم الوسطى ببيان انه هداهم لكن استحبوا العمى على الهدى وذمهم باسناد تلك الافعال اليهم وذلك لا يستدعى استقلال قدرتهم بها بل يكفى فى ذلك ان يكون لقدرتهم مدخل فيها (قوله وتذكير الخطاب) اى فى قوله قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت بفتح التاء من الجميع مع ان الظاهر كسر التاء على خطاب النفس الا انها فتحت نظرا الى جانب المعنى لان النفس عبارة عن الكافر (قوله والجملة حال) اى من الموصول على طريق كلمته فوه الى فى بناء على ان الرؤية بصرية وان كانت من رؤية القلب تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مفعول ثان وقرئ وجوههم مسودة بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل ومسودة اما حال او مفعول ثان (قوله بفلاحهم) وهو الظفر بالبغية اى بغية كانت والنجاة من جهنم من جملتها فسر المفازة التى هى اسم بمعنى الفوز اولا بمعناها الحقيقى وهو الفلاح والظفر بالخير على اتم الوجوه والمعنى وينجى الله المتقين مما ناله المتكبرون من سواد الوجه والثواء فى الجحيم بسبب ظفرهم وفسرها ثانيا بالنجاة وبين وجهها بان النجاة من العذاب اهم اقسام الفوز والظفر بالخير واكمل افراده فصح صرف مطلق الفوز اليها وارادتها منه وحينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اى ينجيهم بسبب مفازتهم ونجاتهم وهى الاعمال الصالحة لان نفس النجاة ليست سببا لتنجيتهم بل سببها هو الاعمال الصالحة اوالى انه يجعل المفازة التى اريد بها النجاة مجازا مرسلا عن العمل الصالح على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان العمل سببها وفسرها ثالثا بالسعادة الازلية ورابعا بالعمل الصالح وبين وجهها بان اطلاق الفوز عليهما من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان كل واحد منهما سبب للفوز والفلاح اى ينجيهم فى حال انهم لا يمسهم السوء بمفازتهم اى بسعادتهم او بصلاحهم اى بصلاح اعمالهم على انه صلة لا يمسهم او انه حال من الذين اتقوا وان كان استئنافا لبيان المفازة لا يكون له محل من الاعراب فكانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء ثم انه تعالى

(بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرآنى وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد (وجوههم مسودة) بما ينالهم من الشدة او مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو (اليس فى جهنم مثوى) مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) وقرئ وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى او لقوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وهو حال او استئناف لبيان المفازة (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه

لماطال الكلام فى الوعد و الوعيد عادالى دلائل الالهية والتوحيد فقال الله خالق كل شئ جعل كل شئ متناولا للشر والخير والكفر والايمان ردا على المعتزلة المنكرين لكونه تعالى خالقا للشر ولافعال العباد وقوله لايملك امرها الحصر المذكور مستفاد من تقديم الظرف فانه يفيد الاختصاص تأكيدا للاختصاص المستفاد من اللام وهو معنى قوله و فيها مزيد دلالة على الاختصاص جعل ملك مفاتيح السموات والارض كناية عن كونه مالكا لها قادرا على جميع التدابير المتعلقة بها بناء على ان ملك مفاتيح الشئ لازم لملك نفس ذلك الشئ والتصرف فيه فاثبت الله لذاته المتعالى اللازم للدلالة على ثبوت اللزوم وفيه اشكال بناء على ماذكر فى الفرق بين المجاز والكناية من ان المجاز لاشتماله على القرينة الصارفة عن ارادة الموضوع له لايجوز فيه ارادة الموضوع له بخلاف الكناية فان المقصود فيها هو المعنى الكنائى وهو الملزوم مع جواز ارادة الموضوع له وهو اللازم وفيما نحن فيه لايصح ارادة حقيقة المفاتيح اذ ليس ثمة مفاتيح و لا اغلاق الا ان يجعل اثبات المقاليد للسموات والارض استعارة تخييلية منبهة على تشبيههما باشياء ذوات ابواب وان ابوابها مغلقة بذوات مفاتيح ثم يجعل مايدل على اختصاص تلك المفاتيح به تعالى وهو قوله له مقاليدهما كناية عن كونه تعالى مالكهما والمتصرف فيهما بالحفظ وانواع التدابير (قوله كذا كبر) فانه جمع ذكر على الشذوذ كان المحاسن جمع الحسن على خلاف القياس قال الامام النسفى الاقليد اصله بالفارسية اكليد فعربته العرب وتكلمت به فصار عربيا كما اذا طرأ الاستعمال على المهمل فانه يخرج عن كونه مهملا و يصير مستعملا (قوله متصل بقوله وينجى) يعنى انه معطوف عليه عطف احد المتقابلين على الاخر اى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا اولئك هم الخاسرون فان مفردات احدى الجملتين مقابلة للاخرى من حيث المعنى وهاتان الجملتان لماسيقتا لبيان انه تعالى يجازى كل واحد من اهل التقوى والكفر على حسب افعالهم اعترض بينهما ما يؤكد هذا المعنى لانه تعالى اذا كان خالق كل شئ وكانت الاشياء كلها موكولة اليه وكان مالكا لخزائن السموات والارض لزم كونه تعالى مطلعا على افعال المكلفين مجازيا عليها قال الامام الغزالى فى المقصد * المهيمن معناه فى حق الله تعالى انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليها باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه امر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعانى اسمه المهيمن (قوله وتغيير النظم) جواب عما يقال من ان قوله تعالى وينجى الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله و الذين كفروا بايات الله جملة اسمية ولايحسن عطف الاسمية على الفعلية وتقرير الجواب ان مقتضى الظاهر ان يقال ويهلك الكافرين الا انه غير النظم الى ما وقع فى التنزيل لنكتتين الاولى الاشعار بان ما اصاب المتقين من الحسنة فمن الله تعالى بفضله ورحمته و مااصاب الذين كفروا فمن انفسهم حيث خسروا حظها بسوء اختيارهم وحاصل النكتة الثانية انه تعالى لغاية كرمه صرح بوعد المتقين واضافه الى نفسه ولم يصرح بوعيد الكفار فضلا عن ان يضيفه الى نفسه (قوله او بمايليه) عطف على قوله بقوله وينجى اى هو متصل بقوله الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض اى كمال قدرته وحكمته كذا ومن كفر بذلك وجحد ان الامر كذلك اولئك هم الخاسرون ثم ذكر ان المراد بايات الله دلائل قدرته ان كان قوله له مقاليد السموات والارض كناية عن قدرته وان فسر المقاليد بماروى عنه عليه الصلاة والسلام يكون المراد بايات الله كلمات توحيده وتمجيده (قوله اى أفغير الله اعبد) يعنى ان قوله أفغير الله منصوب باعبد ولما ورد ان يقال كيف يجوز ذلك والظاهر ان اعبد مفعول لتأمرونى فانه يقتضى مفعولين اولهما ياء المتكلم وثانيهما اعبد الا ان مفعول الامر لما وجب ان يكون مفردا لفظا اوتقديرا وههنا وقع جملة وجب ان تقدر ان المصدرية لتكون الجملة فى تأويل المفرد فيكون تقدير الكلام تأمرونى ان اعبد فيكون اعبد صلة ان المصدرية فان جعل غيرالله منصوبا باعبد لزم منه ان يتقدم معمول الصلة على الموصول و ذا لا يجوز اشار الى منعه بقوله وتأمرونى اعتراض اى بين المفعول و فعله والمعنى أفغير الله اعبد بامركم ووجه المنع ان اعبد اذالم يكن مفعول تأمرونى لم يحتج الى تقدير ان المصدرية حتى يلزم تقدم معمول الصلة على الموصول (قوله استلم) امر الحاضر من قولهم استلم الحجر اذا لمسه امابالقبلة اواليد اى بتقبيله بنفسه اوبالاشارة باليد وتقبيلها كما يفعل بالحجر الاسود (قوله لفرط غباوتهم) متعلق بقوله قالوا استلم فان امرهم اياه عليه الصلاة والسلام بذلك بعد ما تبين انه تعالى خالق الاشيا كلها وان التصرف فيها جميعا موكول

(له مقاليد السموات والارض) لايملك امرها ولايتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لايدخلها ولا يتصرف فيها الامن بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد اومقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ وكذا اكبر وعن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه (والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) متصل بقوله و ينجى الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجازيها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل الله وفى هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم اوبمايليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض اوكلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب (قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون) اى أفغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمرونى اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم

ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمرونى اعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع اعبد كقوله احضر الوغى * ويؤيده قرآءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك) اى من الرسل (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخيرتان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (وما قدروا الله حق قدره) ما قدروا عظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ قبضته بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض مطوية فى حكمها

اليه فان مقابلته بما جرى بينه غاية الجهل والغباوة (قوله ويجوز ان ينتصب غير) لما كان انتصاب غير الله باعبد مستلزما بحسب الظاهر تقديم ما فى حيز الصلة على الموصول دفعه اولا بجعل قوله تأمرونى اعتراضا بين المفعول وفعله فلا يرد تقديمه ودفعه ههنا بانه ليس منصوبا باعبد المذكور بل بما دل عليه مجموع قوله تأمرونى اعبد اى وتقولون لى اعبد غير الله لان الامر نوع من القول والتعبيد ولا محذور فى كون غير منصوبا باعبد هذا لكونه مفعولا للقول المدلول عليه بالجملتين المذكورتين لان القول لا يستدعى ان كان يستدعيه الامر كانه يقول قد تقرر ان مفعول القول يكون جملة محكية فلا يحتاج الى ان بخلاف مفعول الامر لانه لا بد ان يكون مفردا فان اتفق كونه جملة يحتاج الى ان لفظا او تقديرا لتكون الجملة فى تأويل المفرد (قوله على ان اصله) اى اصل الكلام على تقدير ان لا يكون تأمرونى اعتراضا ويكون غير منصوبا بمضمون الجملة (قوله وقرأ ابن عامر تأمروننى) بفك الادغام وسكون الياء وقرأ نافع تأمرونى بحذف نون الوقاية وفتح الياء وقرأ الجمهور بادغام نون الرفع فى نون الوقاية وفتح الياء ابن كثير مع الادغام (قوله كلام على سبيل الفرض) لما كان الاصل فى تعليق الحكم بكلمة ان ان يكون المعلق عليه محتمل الوقوع ومتساوى الطرفين والله تعالى عالم بان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يشركون ولا يحبط عملهم البتة فلم يظهر وجه تعليق حبط اعمالهم على اشراكهم وتأكيده بالقسم مع انه غير محتمل اجاب عنه بانه تعليق على سبيل الفرض والتقدير لا على سبيل عده محتمل الوقوع وبيان حكمه ثم بين ان المراد من فرضه امور ثلاثة تهييج الرسل وتقوية عزيمتهم على الثبات على التوحيد واقناط الكفرة عن الانابة على اعمالهم والاشعار على حكم الامة فان الرسل مع كرامتهم عند الله اذا حبطت اعمالهم وخسروا بالاشراك فالامة اولى بذلك (قوله وافراد الخطاب) جواب عما يقال كيف قال لئن اشركت على التوحيد مع ان الموحى اليهم جماعة (قوله واطلاق الاحباط) جواب عما يقال احباط عمل المرتد ليس بمطلق بل هو مقيد بشرط موته على الكفر عند الشافعية لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فلم يعتبر هذا الشرط فى هذه الآية وكذا الخسران فى الآخرة لا يكون بمجرد الشرك بل يكون بالموت عليه وعند الحنفية يحصل الاحباط بمجرد الشرك واجاب عنه بوجهين الاول ان اطلاق كل واحد من الاحباط وخسران الآخرة يحتمل ان يكون من خصائص الرسل من حيث ان منزلتهم عند الله تعالى لما كانت اعلى واعز من منازل الامة فلو فرض ان واحدا منهم قد ارتد والعياذ بالله تعالى ليهلكه الله تعالى بلا مهلة لشدة غضبه على ردته فيحبط عمله ويخسره فى الآخرة البتة فلا حاجة فى حقهم الى تقييد الاحباط وخسران الآخرة بالموت على الردة لكون الموت على الردة لازما لارتداد هم المفروض والثانى ان هذا المطلق محمول على المقيد فى آية اخرى والمعنى ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ان مت على الشرك (قوله وعطف الخسران عليه) كعطف قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله والمعنى ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل (قوله ما قدروا عظمته فى انفسهم) اشارة الى ان قدر المخفف فى الآية بمعنى قدر المشدد ووزانه بيانا بقوله وقرئ بالتشديد من غير ان يتعرض لاختلاف المعنى بالتشديد وفى الصحاح قدرت الشئ اقدره قدرا بمعنى قدرته من التقدير ومعنى التقدير لما كان راجعا الى المعرفة والعلم لان كنه ذاته لا يقدره ولا يعلمه احد كيف ينكر على الكفار بانهم ما عرفوه حق معرفته قدر المضاف فقال ما قدروا عظمته فى انفسهم حق عظمته (قوله تعالى والارض جميعا قبضته) جملة اسمية فى موضع الحال من مفعول قدروا الله اى ما عظموه حق تعظيمه والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقرئ قبضته بالنصب اى فى قبضته وهو ضعيف لان هذا الظرف محدود فلا بد فى تعلق الفعل به من كلمة فى على رأى البصريين واما الكوفيون فانهم يجوزون نصب المحدود ايضا فيقولون زيد دارك بالنصب اى فى دارك ومثله عند البصريين يحتاج الى الاعتذار فلذلك اعتذر المصنف عنه فقال تشبيها للموقت بالمبهم (قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه) برفع الاسمين جملة اسمية معطوفة على ما قبلها وقوله بيمينه متعلق بمطويات او خبر ثان او حال من الضمير فى مطويات (قوله على طريقة التخييل والتمثيل) يعنى انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان تشبه صورة منتزعة من متعدد باخرى مثلها فتذكر الالفاظ الدالة على صورة الثانية ويراد بها الصورة الاولى فتكون مجموع تلك الالفاظ استعارة تمثيلية ولا يكون فى شئ من مفردات ذلك المجموع تصرف بحسب هذه الاستعارة بل تكون هى باقية على حالها من حقيقة او مجاز فلا يراد بقوله والارض جميعا قبضته اثبات الطى واليمين له لا بحقيقتهما ولا بمجازهما بل الاعتبار انما هو لمجموع الكلام

ران المقصود منه التنبيه على عظمته تعالى والدلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه كالشئ المقبوض بيمين احد فان التصرف فيه يسير كما ان المقصود من قولهم شابت لمة الليل الدلالة على استنارته وذهاب ظلمته بذلك الطريق من غير التعرض لاثبات اللمة له حقيقة ولا مجازا و اللمة بكسر اللام الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن والقبضة بالفتح المرة من القبض و بالضم المقدار المقبوض بالكف اى هى اسم له وقد تطلق القبضة بالفتح على ذلك المقدار اما على طريق تسمية الشئ بالمصدر للمبالغة اوعلى تقدير ذو مثل رجل عدل (قوله عن اشراكهم) على ان تكون ما فى قوله عما يشركون مصدرية وقوله اوما يضاف اليه من الشركاء على انها موصولة اى عن الذين يشركونهم به ثم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره اردفه بطريق آخر يدل ايضا على كمال عظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ فى الصور الآية (قوله خرميتا اومغشيا عليه) اشارة الى ان الصعقة يحتمل ان يراد بها الموت وان يراد بها الفزع الشديد من شدة الصوت فانهم اختلفوا فى الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى فى حق موسى عليه الصلاة والسلام وخر موسى صعقا وهو لم يمت بل خر مغشيا عليه وعلى هذا القول فالمراد من نفخ الصعقة و من نفخ الفزع واحد وهو المذكور فى سورة النمل بقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وانفخ فى الصور على هذا القول لا يكون الا مرتين نفخ الصعقة الذى هو بعينه نفخ الفزع ونفخ البعث وقيل الصعقة عبارة عن الموت وقد دل القرءآن على تحقق نفخ آخر يؤدى الى الفزع والخوف الشديد وعلى هذا القول فالنفخة تحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع وهى المذكورة فى سورة النمل والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام وهما مذكورتان فى هذه الصورة ويؤيده ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الصور فقال القرن وان عظم دائرته مثل ما بين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق ثم ينفخ فيه نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثانية اجتمعت الارواح كلها فى الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح كلها منه كالنحل والزنابير ويأتى كل روح الى جسده رواه الامام ابو الليث قال ابن عباس عند نفخة الصعق يموت من فى السموات ومن فى الارض الا جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت ثم يميت الله ميكائيل و اسرافيل و يبقى جبرائيل و ملك الموت ثم يميت الله جبرآئيل ثم يميت ملك الموت وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال جابر هو موسى صلوات الله عليه وسلامه لانه صعق مرة ولا يصعق ثانيا وقيل هم الحور العين وسكان العرش والكرسى وقال قتادة الله اعلم بهم وليس فى القرءان ولا فى الاخبار ما يدل على من هم (قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى) يدل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخى وعن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال اجل (قوله واخرى يحتمل الرفع والنصب) الرفع على اقامة المصدر مقام الفاعل دون اقامة الظرف والنصب على عكسه قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة الحاقة فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السماك نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور وهو فى الصور فاعراب قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى كاعراب هذه الآية بعينه فى جواز الوجهين فلذلك قال المصنف واخرى يحتمل الرفع والنصب بناء على ان موصوفها المحذوف يحتملهما لما تقرر فى النحو انه اذا لم يوجد المفعول به فالظرف و المصدر متساويان فى القيام مقام الفاعل واما اذا وجد فهو متعين له (قوله اومتوقفون) يحتمل ان يراد بالقيام البعث من القبور وان يراد التوقف بالمكان لاستيلاء الحيرة والدهشة عليهم قرأ العامة فاذا هم قيام برفع قيام على انه الخبر وقرئ بنصبه على انه حال من ضمير ينظرون وينظرون هو الخبر ومعنى النظر فى المشهور هو تقليب البصر لطلب الابصار وقوله او ينتظرون عطف على قوله يقلبون فيكون النظر بمعنى الانتظار كما فى قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اى انتظرونا ولما ذكر يوم القيامة ذكر من احوال ذلك اليوم اشياء اولها قوله واشرقت الارض بنور ربها اى اضاءت وتنورت عرصة القيامة وارض الموقف بنور ربها اى بعدله وقضائه بالحق بين عباده فاستعير النور للعدل تشبيها له بالنور فى ان كل واحد منهما سبب لتزيين البقاع وظهور الاشياء كما شبه ضد العدل وهو الظلم بالظلمة تشبيها بليغا فى قوله عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة النور بهذا المعنى اليه تعالى لا يحتاج الى تأويل لانه صفة قائمة بذاته تعالى كعلمه وقدرته (قوله ولذلك) اى ولكون المراد

(سبحانه وتعالى عما يشركون) ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم اوما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور) يعنى المرة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الارض) خر ميتا اومغشيا عليه (الا من شاء الله) قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه اخرى) نفخة اخرى وهى تدل على ان المراد بالاول و نفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى يحتمل الرفع والنصب (فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره و المعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم (واشرقت الارض بنور ربها) بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه

ووضع الكتاب) الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجيء بالنبيين والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لايظلمون) بنقص ثواب اوزيادة عقاب على ما جرى به الوعد (ووفيت كل نفس ما عملت) جزاءه (وهو اعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (الم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم علاوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة

نور الرب عدله القائم به اضاف اسم الرب الى الارض فان اضافته اليها تؤذن بانه تعالى مالكها ومدبرها وانه الذي زينها من غير توسط شيء من خلقه بان ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها فلما قيل ان رب الارض نورها فمنه بنوره كان المناسب ان يراد بالنور الذي ينور الارض ويزينها الصفة القائمة به تعالى وهو عدله الذي لاشيء ازين للبقاع منه ولا اعمر لها غيره وتفسيره بالنور المخلوق له لايناسب تلك الاضافة وقيل المراد بالنور المضاف اليه تعالى نور يخلقه في القيامة ويلبسه وجه ارض الموقف فتشرق به الارض من غير شمس ولا قمر فالنور بهذا المعنى وان لم يكن صفة قائمة به تعالى الا انه صح اضافته اليه تعالى لان الاضافة يكتفي فيها بادنى ملابسة ولما كان ذلك النور من خلقه تعالى شرفه باضافته الى نفسه فان اضافته اليه تؤذن باختصاصه به بان لايكون بتوسط نير مثل الشمس والقمر (قوله الحساب والجزاء) يعني ان وضع الكتاب عبارة عن الشروع في الحساب والجزاء لان وضعه من لوازم الشروع فيهما فافراد الكتاب حينئذ على مقتضى الظاهر وان اريد به صحائف الاعمال يكون المعنى ووضعت الكتب في ايدى الناس في ايمانهم وشمائلهم ليقرأوها ويكون افراد الكتاب لكونه اسم جنس مغنيا عن صيغة الجمع ولما بين تعالى انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يترتب عليه فصل الخصومات بين بعده ان يوصل الى كل احد حقه وعبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولاها قوله تعالى وقضى بينهم بالحق وثانيها قوله وهم لايظلمون وثالثها قوله ووفيت كل نفس ما عملت ورابعها قوله وهو اعلم بما يفعلون فانه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لايقضي بالحق لاجل عدم العلم والمقصود المبالغة في تقرير ان كل مكلف يصل اليه حقه ثم انه تعالى لما شرح احوال اهل القيامة على سبيل الاجمال وقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم بين كيفية احوال اهل الثواب وختم به السورة فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا والسوق الحث على السير والاسراع بالسائر نحو المقصد وذلك يكون بالعنف والدفع لقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا وزمرا في الموضعين منصوب على الحالية مشتق من الزمر وهو الصوت وقيل القلة ومنه شاة زمرة اي قليلة الشعر ورجل زمر اي قليل المروءة (قوله فتحت ابوابها) جواب اذا وهذا يدل على ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك وانما تفتح بوصول الكفار اليها بخلاف ابواب الجنة فانها تفتح قبل مجيء اهلها اكراما لهم واستقبالا لخدمتهم وتهيئة لاسباب اكرامهم لئلا ينتظروا ويشهد له قوله تعالى في آية اخرى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو في قصة اهل الجنة ولم يؤت بها في قصة اهل النار كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت بالواو الحالية (قوله وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة) يعني ان حتى في الموضعين حرف استئناف وما بعدها كلام مستأنف لايتعلق بما قبلها من حيث الاعراب وقد استؤنف بعدها فيهما جملة شرطية هي قوله تعالى اذا جاؤها الا انه حذف جواب اذا الثانية للدلالة على ان ثواب اهل الجنة لايحيط به الوصف وحق ذلك الجزاء المقدر ان يقدر بعد خالدين لان موضعه بعد تمام الشرطية بمتعلقاتها وما عطف عليها اي حتى اذا كانت هذه الاشياء كان ما كان من وجوه الكرامة وتمام النعمة (قوله وقتكم هذا) اشارة الى جواب ما يقال من ان الظاهر ان المراد باليوم في قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا يوم القيامة ولا اختصاص ليوم القيامة بهم فلم اضيف اليهم وتقريره ان المراد باليوم وقت الشدة ولا خفاء في اختصاص ذلك الوقت بهم واستعمال اليوم في وقت الشدة شائع كثير (قوله وفيه دليل الخ) لاتكليف ولا وجوب بتحسين العقل وتقبيحه عند الاشاعرة ويدل عليه ان الملائكة بينوا انهم ما بقي لهم عذر ولا علة بعد مجيء الرسل وتبليغ الكتب ولو لم يكن ذلك شرطا في استحقاق العذاب لما بقي لهذا الكلام فائدة (قوله ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم) فان ابهامه يدل على ان الاهتمام والعناية متعلقة ببيان ما يقال لهم لان المهم في مقام التهديد واظهار الوعيد انما هو بيان ما يقال لهم لابيان ان قائله من هو (قوله اللام فيه للجنس) لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وقد تقرر ان فاعل باب نعم وبئس اما اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى المعرف بلام الجنس والآية من قبيل الثاني ولما ورد ان هذه الآية تشعر بان علة ثوائهم واقامتهم في النار هو تكبرهم عن الحق من حيث ان بناء الحكم على المشتق يفيد علية المأخذ له وقد سبق ان علية ما قالوه هو ان كلمة العذاب حقت على الكافرين وبينهما تناف اجاب عنه بان تعليله بالتكبر ونحوه من القبائح تعليل له بعلته القريبة وتعليله بانه تعالى حكم عليهم بالشقاوة تعليل بالعلة البعيدة لان الحكم المذكور علة لتلك القريبة كما يدل عليه الحديث (قوله اسراعا بهم الى دار الكرامة) اشارة الى جواب ما يقال

ان السوق لكونه منبئا عن العنف والهوان معقول فى حق من يذهب به الى موضع العذاب واما اهل الجنة فانهم اذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاى حاجة بهم الى السوق وتقريره ان العنف والهوان خارج عن حقيقة السوق وهى عبارة عن الحث على السير والاسراع بالسائر نحو المقصد وقد يكون خيرا له بايصاله سريعا الى موضع الراحة وقد يكون شرا بايصاله الى ضد ذلك فكل واحد من العنف والهوان ومن ضدهما انما يستفاد من السوق بمعونة المقام وقرآئن الحال وقيل المراد بسوق الكافرين انفسهم وبسوق المتقين مراكبهم فالاول للعنف والثانى لتعجيل الكرامة لقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا (**قوله** والفاء للدلالة على ان طبتم سبب لدخولهم وخلودهم) حيث رتب الامر بدخولهم خالدين على طبتم بالفاء السببية واستدلت المعتزلة بهذه الآية على ان احدا من المكلفين لا يدخل الجنة الا اذا كان طيبا اى طاهرا عن كل المعاصى بالعصمة الالهية او بالتوبة النصوح والا فهو من اهل النار والمصنف اشار الى الجواب عنه بقوله وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره يعنى ان كون الطيب سببا لدخول الجنة لا يستلزم ان يكون طريق الطيب التوبة فقط بل يجوز ان يكون طريقه العفو والشفاعة (**قوله** يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة) تشبيها له بالارض الحقيقية التى هى ارض الدنيا فى كونه موضع الاستقرار لا على الحقيقة لان الجنة فى السماء لا فى الارض فارض الجنة بمعنى منازل اهلها من اجزآء السماء وقوله الذى استقروا فيه اشارة الى ان تعريف الارض للعهد الخارجى والمعهود ما هو مقر كل واحد من اهلها وليس المراد جميع ارض الجنة لان كل واحد من اهلها يقول هذا القول وليس له جميع ارض الجنة بل له من ارضها ما هو مقره ومثواه وقولهم واورثنا الارض نتبوأ بمعنى ملكناايا ها بان وفقنا للاتيان باعمال اورثنا الجنة من قولهم اورث العمل الفلانى له لان امر كذا تشبيها له لحصوله له بعد ذهاب العمل بالوراثة وللعمل بالمورث ولتخليف العمل اياه بالايراث واشتق منه اورثنا واسند الايراث اليه تعالى لانه هو الموفق لاتيانه او بمعنى مكنا من التصرف فيها كما نشاء من غير منازع كما يتصرف الوارث فيما يرثه كذلك فشبه التمكين المذكور بالايراث فالارض استعارة تصريحية لمستقرهم واورثنا استعارة تبعية لمكنا وقوله تعالى نتبوأ فى موضع الحال من مفعول اورثنا وحيث ظرفه كما اشار اليه المصنف بقوله فى اى مقام اراده من جنته الواسعة واشار باضافة جنته وتوصيفها بالسعة الى ان اهل الجنة لا يتبوأ احدهم مكان غيره لسعة مكانه بحيث لا يحتاج معها الى مكان غيره وان كان ظاهر قوله حيث نشاء يوهم خلاف ذلك هذا اذا حمل حيث على المكان الحسى الحسمانى الذى يصح تمانع اهله فيه وتدافع بعضهم بعضا وان حمل على المقامات المعنوية والجنات الروحانية فمن تبوأ فى واحد منها صح ان يتبوأ فيه غيره ايضا لان حصول مقام معنوى لاحد لا يمنع حصوله لآخر (**قوله** محدقين) اى محيطين من حففت بالشئ اى احطت به ولهذا قيل لا واحد لحافين لان الاحاطة بالشئ لا تتحقق من واحد وانتصاب حافين على الحال لان الرؤية بصرية ومن مزيدة عند الاخفش وقيل لابتدآء الغاية على معنى ان ابتدآء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله ويسبحون فى موضع الحال من الملائكة او من المنوى فى حافين على التداخل وكذا بحمد ربهم فى موضع الحال ايضا اى مسبحين الله تعالى حامدين له اى ترى الملائكة يوم القيامة عند فصل القضاء بالحمد على هذه الاحوال (**قوله** والقائلون هم المؤمنون لا) جميع من قضى بينهم من المكلفين لان الكفار لا يصلون فى الآخرة الى ما يحمدون بمقابلته (**قوله** وطى ذكرهم) اى ذكر القائلين حيث بنى الفعل للمفعول اورد كلمة او بناء على ان قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يحتمل ان يكون لشرح احوال الملائكة فى الثواب وبيان ان دار ثوابهم جوانب العرش واطرافه بعد شرح ثواب البشر وبيان ان دار ثوابهم هى الجنة فيكون قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم مشعرا بان ثوابهم عين ذلك التحميد والتسبيح وان اعظم درجات الثواب استغراق عقول العباد فى درجات التنزيه ومنازل التقديس ويكون قوله تعالى وقضى بينهم بالحق معناه وقضى بين الملائكة بالحق للدلالة على انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة فى باب المعرفة والطاعة وان كل واحد منهم لا يتعدى ولا يتجاوز عما حد له من المراتب ثم انهم لما قضى بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وههنا نكتة وهى ان الملائكة لما خاطبوا المتقين بقولهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذى صدقنا وعده بقوله لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة بخلاف الملائكة فانهم لما قضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله رب العالمين لم يحمدوا الله تعالى لاجل ذلك

على ان طبتم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (واورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) اى يتبوأ كل منا فى اى مقام اراده من جنته الواسعة مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم اجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) اى حوله ومن مزيدة او لابتدآء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذآئذهم هو الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم او الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرآئيل والزمر

القضاء بل حمدوه لكونه رب العالمين وهو يشعر بكونهم ارفع طبقة فى باب المعرفة فان من حمد المنعم لاجل
انعامه الواصل اليه فهو فى الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام واما من حمده لصفات كماله وعلو شانه وكبريائه فانه
اكثر استغراقا فى باب المعرفة ويحتمل ان يكون قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش من تتمة شرح ثواب
المتقين وتقريره ان يقال ان المتقين لما قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
وقد ظهر منه انهم فى الجنة مشتغلون بحمد الله تعالى وبذكره بالثناء بين الله تعالى انه كما ان حرفة المتقين
فى الجنة الاشتغال بهذا التحميد فكذلك حرفة الملائكة الحافين حول العرش الاشتغال بالتسبيح والتحميد ثم قال
وقضى بينهم بالحق اى بين البشر تم هنا ما يتعلق بسورة الزمر والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده

سورة غافر ثمانون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

روى عن ابن عباس انه قال الحواميم كلها مكية وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يرتع
فى رياض الجنة فليقرأ الحواميم فى صلاة الليل وعن ابن مسعود ان الحواميم ديباج القرآن (**قوله** اماله ابن
عامر) اى برواية ابن ذكوان عنه وابو بكر عن عاصم فانهم امالوا حا من حم فى السور السبع امالة محضة وامالة
نافع برواية ورش وابو عمرو بين الفتح والكسر بان لايفتحها فتحا خالصا وقرأ الباقون بالفتح الخالص والعامة
على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة فان حقها ان يوقف على كل واحد منها ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين
كما اجيز فى الكلم التى يوقف عليها وقرئ بضم الميم ايضا على ان حم خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ما بعده وبفتح
الميم ايضا وتلك الفتحة يحتمل ان تكون حركة بناء حركت الاسم بها هربا من التقاء الساكنين واختيرت الفتحة لخفتها
كما فى اين وكيف وان تكون حركة اعراب بان ينصب الاسم بفعل مقدر اى اقرأ حم ولم ينون لمنع صرفه للعلمية
والتأنيث على ان الكلمة اسم للسورة او للعلمية وشبه العجمة اذ ليس فى الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف
الاعجمية نحو قابيل وهابيل ويتم الوقف على حم ورفعها على انها خبر مبتدأ محذوف ونصبها بفعل مضمر ولا يجوز
الوقف عليها ان رفعتها على انها مبتدأ خبره تنزيل او جعلتها قسما تقديره بحم تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره
فيكون تنزيل مبتدأ والظرف بعده خبره قال الامام الاقرب ههنا ان يقال حم اسم لهذه السورة مرفوع المحل على
الابتداء وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب والتنزيل مصدر
لكن المراد منه المنزل (**قوله** لعل تخصيص الوصفين الخ) يعنى انه تعالى بعد ما بين ان حم تنزيل الكتاب
وان منزله هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال على الاجمال وصف نفسه فى مقام تحقيق امر التنزيل بكونه عليما
لا يخفى عليه شئ المستلزم لكونه بالغ الحكمة وبكونه عزيزا غالبا لا يغلب اصلا المستلزم لكونه كامل القدرة
وكون المنزل كامل القدرة يحقق كون المنزل منه معجزا لا يمكن معارضته وكونه بالغ الحكمة يحقق كون التنزيل
متضمنا للحكم والمصالح بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولولا كونه عزيزا حكيما لما كان المنزل منه
معجزا متضمنا للحكم فذكر هذين الوصفين فى هذا المقام يحمل السامع على التشمير عن ساق الجد للاستماع ويزجره عن
التهاون والتوانى فيه وقوله الدال على القدرة والحكمة صفة لقوله ما فى القرآن وخلاصة التعليل ان تخصيص
الوصفين لاجل ما فى القرآن اى للتنبيه عليه وتحقيقه فان كون المنزل كامل القدرة بالغ الحكمة يحقق ذلك
ويؤيده لا محالة الا ان الظاهر على هذا ان يقال فانهما يدلان عليه ويحققانه وجعله دليلا عليهما من قبيل الاستدلال
بالمعلول على العلة كما فى البرهان الآنى وهو ما يجعل فيه المعلول حدا اوسط مثل ان يقال هذه الخشبة محترقة
وكل ما هى محترقة فقد مسها النار فهذه الخشبة مسها النار وجعل الصفات الباقية لتحقيق ما فى القرآن من
الترغيب فى التوبة والترهيب عن الاصرار على المعصية والحث على ما هو المقصود من القرآن وهو الاعراض عما
يشغل سره عن الخلق والتبتل اليه بشراشره (**قوله** والاضافة فيها حقيقية) دفع لما يرد على قوله صفات اخر للفظ
الجلالة وهو ان الموصوف معرفة وما ذكره بعده سوى قوله العزيز العليم ذى الطول نكرات من حيث ان الاضافة
فيها لفظية لكون المضاف صفة اضيفت الى معمولها من حيث ان غافر وقابل اسما فاعل اضيفا الى معمولهما
وشديد صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها وقد تقرر ان ما اضيف اضافة لفظية لا يتعرف بالاضافة بل يبقى نكرة على حاله
فلا يوصف به المعرفة وتقرير الدفع ان اسمى الفاعل فى الآية ليسا مضافين الى معمولهما بناء على ان اسم الفاعل

سورة المؤمن مكية وآيها ثمانون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) امالها ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرأ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث اولانها على زنة اعجمى كقابيل وهابيل (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيهما حقيقية على انه لم يرد بهما زمان مخصوص

لكونه بمعنى الحدوث انما يعمل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال وليس معنى غافر الذنب وقابل التوب انه تعالى يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا الان صفاته تعالى منزهة عن التجدد والتقيد بزمان دون زمان بل المراد ثبوتهما ودوامهما له تعالى ولما فقد شرط عمل اسم الفاعل ولم يكن مضافا الى معموله كانت اضافته معنوية للتعريف فصح وقوعه صفة للمعرفة وقد نقل عن سيبويه انه قد نص على ان كل ما كانت اضافته غير معنوية جاز ان تجعل محضة اى معنوية الا الصفة المشبهة وانما استثنى الصفة المشبهة لانها ليست بمعنى الحدوث فلا يشترط فى عملها الزمان المخصوص فتكون عاملة البتة وتكون اضافتها لفظية دائما فلا تعرف بالاضافة فوجب ان يحمل التعريف فى قول المصنف والاضافة حقيقية على العهد الخارجى والمعهود اضافة لفظى القابل والغافر لما تبين من ان اضافة لفظ شديد لفظية البتة فلذلك احتاج المصنف فى تصحيح وقوعه صفة للمعرفة الى وجهين آخرين فقال واريد بشديد العقاب الخ عطفا على قوله والاضافة حقيقية فانه جعل شديد العقاب فى تأويل مشدده اى فى تأويل اسم الفاعل الذى اريد به الدوام والثبوت فتكون الاضافة فيه معنوية لانه لا يعمل حينئذ فلا يكون مضافا الى معموله والوجه الثانى لوقوع قوله تعالى شديد العقاب صفة للمعرفة ان اصل الكلام وتقديره الشديد عقابه معرفا بلام التعريف الا انه حذف منه حرف التعريف ليشاكل ما قبله وما بعده لانقطاع الامن من التباس الموصوف به وجها للتنبيه فانهم كثيرا ما يغيرون كلامهم من قانونه للازدواج ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ارجعن مأزورات غير مأجورات والاصل وازرات من الوزر فاخرج على لفظ المفعول فصار موزورات فقلبت الواو الفا فصار مأزورات ليزاوج مأجورات وقرآءة بعضهم الحمد لله بضم الدال واللام تارة وبكسرها اخرى وقولهم ما يعرف سحادليه من عباديه والاصل سحادله وعباده والسحادل الذكر والعبادل الخصيتان فثنى الوتر ليزاوج الشفع (**قوله او ابدال**) عطف على قوله صفات اخر اى ويحتمل ان يكون الكل ابدالا بناء على ان شديد العقاب وان كان بمعنى الدوام والاستمرار لما كانت اضافته لفظية لم يصلح لان يكون صفة للمعرفة فتعين كونه بدلا منها فجعل ما عداه ايضا ابدالا ليتوافق النظم فان جعله وحده بدلا من بين الصفات مشوش للنظم مع ان توسيط البدل بين الصفات وان جاز فى النحو الا ان علماء المعانى يستقبحونه لان الصفات تدل على ان المقصود هو الموصوف دونها والبدل يدل على انه المقصود دون متبوعه وهما متنافيان (**قوله وتوسيط الواو الخ**) جواب عما يقال ما الحكمة فى ان هذه الصفات كلها سردت من غير عاطف الا قابل التوب فانه انفرد من بينها بتوسيط الواو بينه وبين ما قبله وذكر له ثلاث فوائد الاولى انه لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة اى لافادة اجتماعهما فى موصوف واحد بالنسبة الى طائفة واحدة وهى طائفة المذنبين التائبين كانه قيل يجامع بين محو الذنوب وقبول التوبة فى حق المذنبين التائبين بان يمحو ذنوبهم بتوبتهم وبان يجعل تلك التوبة طاعة مقبولة يثاب عليها فقبول التوبة كناية عن انه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من الطاعات والا لما قبلها لانه تعالى لا يقبل الا ما يكون طاعة وليس المراد افادة مجرد اجتماع الوصفين فى موصوف واحد لان اجراء صفات المتعاقبة بدون العاطف يفيد اجتماعها فيه فلما كان الاجتماع فى الموصوف مستفادا بدون ذكر العاطف وجب ان يكون ذكره لافادة معنى زائد صونا للكلام البليغ عن الالغاء فالمراد اجتماعهما فيه بالنسبة الى متعلق واحد والفائدة الثانية لتوسيط العاطف انه لافادة تغاير الوصفين فانه لو لم يذكر العاطف لربما يتوهم اتحادهما وان ذكر ثانيهما انما هو لمجرد الايضاح والتفسير ولما ذكر العاطف اضمحل هذا الاحتمال ضرورة استحالة عطف الشئ على نفسه والفائدة الثالثة انه لافادة تغاير موقع الفعلين اى متعلقيهما بان يكون الغفران بالنسبة الى من لم يتب من اصحاب الكبائر والقبول بالنسبة الى التائبين عنها وذلك لان الغفر فى اللغة الباس الشئ وستره بما يصونه عن الدنس والغفران والمغفرة من الله تعالى ان يصون العبد من ان يمسه العذاب والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال لا بالمقال وحده فانه فعل الكذابين ولما كان الغفران عبارة عن الستر وان معنى الستر انما يعقل بالنسبة الى الشئ الموجود الباقى فينبغى ان يكون قوله تعالى غافر الذنب انه غافر الكبائر وان لم يتب عنها صاحبها فان المراد بالذنب الكبيرة لان الصغيرة لا تبقى بل تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها فلما لم تبق لم يكن وجه لتعلق الغفران والستر بها فان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة ويدل عليه هذه الآية لان قوله تعالى غافر الذنب مذكور فى مقام المدح العظيم فينبغى ان يحمل على ما يفيد اعظم انواع المدح وهو كونه غافر الكبائر قبل التوبة والمعتزلة قالوا معناه انه تعالى غافر الذنب اذا استحق العبد غفرانه

به اذا احتاجوا الى الرد على من يصفه بما يؤدى الى ما لا يليق به او ظهر ايهم ما يدل على كمال عظمته (قوله اخبر عنهم بالايمان الخ) جواب عما يقال ما الفائدة فى قوله ويؤمنون به مع انه لا يخفى على احد ايمانهم بالله لا سيما بعد الاخبار عنهم بانهم يسبحون بحمد ربهم فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يكون الا بعد الايمان بالله تعالى وتقرير الجواب ان الكلام الخبرى لا يجب ان يكون لافادة نفس الحكم او لازمه البتة بل قد يذكر لاغراض اخر والغرض ان الحكمة ههنا اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالايمان والصلاح فى مواضع من القرآن مع ان ايمانهم وصلاحهم لا يخفى على احد قال تعالى بعد ذكر كل نبى انه من عبادنا المؤمنين وانه لمن الصالحين اظهارا لشرفهما ووجه الاظهار ان تخصيصه من بين صفاتهم الجميلة فى مقام المدح دليل واضح على شرفه وفضله بالنسبة الى سائر اوصافهم مع ان جميع اوصافهم اوصاف شريفة لما قيل ان اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف واذا دل تخصيصه بالذكر فى مقام المدح على شرفه دل توصيف اهله به على تعظيمهم وقد مر ان سوق الآية لتعظيم اهله من حيث ان اشراف طبقات المخلوقات يبالغون فى محبتهم ونصرتهم والدعاء لهم بالمغفرة والخلاص من عذاب الجحيم والحكمة الاخرى فى الاخبار عنهم بالايمان الاشعار بان حملة العرش والحافين حوله انما يعرفون ربهم بالنظر والاستدلال لا بطريق المعاينة والمشاهدة كما زعمه المجسمة القائلون بانه تعالى متمكن على العرش لانه تعالى لما اخبر عنهم على سبيل المدح والثناء بانهم يؤمنون بوجوده تعالى بجنانهم وقلوبهم فهم منه ان ايمانهم به انما هو عن برهان لا عن مشاهدة وعيان وانهم محجوبون عن ادراكه بابصارهم ولو كان الامر كما زعمه المجسمة لكان حملة العرش والحافون به يشاهدونه ويعاينونه فلا يصح ان يقال انهم يؤمنون به بالجنان بل لا يجوز ان يوصفوا الا بالمشاهدة والعيان ولو حمل ايمانهم على التصديق المتفرع على المشاهدة لما كان ايمانهم بوجوده تعالى موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شئ حاضر مشاهد لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله تعالى على سبيل المدح والثناء والتعظيم دل على انهم آمنوا به تعالى عن برهان لا لانهم شاهدوه حاضرا جالسا هنالك نقله الامام عن صاحب الكشاف ثم قال رحمه الله صاحب الكشاف لو لم يحصل فى كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا وقال بعد ذلك قد ثبت ان كمال السعادة منوط بامرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون الاول مقدما على الثانى فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله تعالى وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله واحتج كثير من العلماء بهذه الآية على ان الملك افضل من البشر لانها دلت على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالتقديس اشتغلوا بالاستغفار للمؤمنين من غير ان يقدموا الاستغفار لانفسهم وهذا يدل على انهم مستغنون عن الاستغفار لانفسهم اذ لو كانوا محتاجين اليه لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله عليه الصلاة والسلام ابدأ بنفسك ولقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم مع ان خواص البشر فضلا عن عوامهم محتاجون اليه كما قال تعالى واستغفر لذنبك ظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم والمختار عندنا ان الخواص من بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وعوام بنى آدم سوى الانبياء افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم ثم ان الآية دلت على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين من المؤمنين لان قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا يدل على انهم يستغفرون لكل المؤمنين وقد ثبت ان صاحب الكبيرة مؤمن فوجب دخوله تحت شفاعة الملائكة واستغفارهم الذى هو طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا باسقاط العذاب عن المؤمن المذنب وقولهم فاغفر للذين تابوا معناه والله اعلم للذين تابوا من الكفر واتبعوا سبيل الايمان (قوله وفيه تنبيه) فانه تعالى لما ذكر ايمانهم ذكر انهم يستغفرون لمن كان بمثل حالهم فنبه على ان الاشتراك فى الايمان ادعى شئ الى النصيحة وان كان الاشتراك المذكور بين سماوى وارضى (قوله وهو بيان ليستغفرون او حال) يعنى ان قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ مقول قول مضمر اى يقولون ربنا وهذا المضمر اما فى محل الرفع على انه عطف بيان لقوله يستغفرون او فى محل النصب على انه حال من فاعل يستغفرون اى يستغفرون قائلين ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك يعنى ان قوله رحمة وعلما تمييز منقول من الفاعلية لما ذكره من الاغراق كان ذاته تعالى رحمة وعلم يسعان كل شئ يقال اغرق النازع فى القوس اذا استوفى مدها وعموم الرحمة وان كان يستفاد من جعلها فاعلا الا ان عمومها على تقدير جعلها تمييز الفاعل يكون ابلغ لان نسبة ذاته تعالى الى الاشياء كلها اظهر من نسبة رحمته اليها فلما اسندت

(ويؤمنون به) اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين امنوا) واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة (ربنا) اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما

الوسعة الى ذاته تعالى وجعلت الرحمة تمييزاً لها كان ذلك ابلغ فى الدلالة على عمومها (قوله وتقديم الرحمة) مع ان وسع علمه اظهر واتم بالنسبة الى سعة رحمته فكان الظاهر ان يقدم ما كانت وسعته اتم واظهر فان كل موجود غير الله تعالى وان نال من رحمته نصيبا مطيعا او عاصيا الا ان بعض الموجودات تعلق به نعمته من وجه آخر بخلاف العلم فانه لا يعزب عن علمه شئ ما (قوله للذين علمت منهم التوبة) جواب عما يقال ان قوله تعالى فاغفر للذين تابوا رتب بالفاء السببية على سعة رحمته وعلمه كل شئ فوجب ان يكون الغفران مسببا عن كل واحد من الرحمة والعلم وكونه مسببا عن الرحمة ظاهر فاوجه كونه مسببا عن العلم وتقرير الجواب ان الملائكة لما علموا انه تعالى لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر لمن تاب عن الشرك واتبع سبيل التوحيد والايمان كان معنى كلامهم ربنا اغفر لمن علمت منه شرط الغفران وهو التوبة عن الشرك والتحلى بالايمان والطاعة فظهر بهذا ان ما بعد الفاء مسبب عن كل واحد من الرحمة والعلم (قوله وهو تصريح بعد اشعار) جواب عما يقال لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب فعلى هذا لا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم وتقريره ان الاول رمز واشارة الى اسقاط العذاب والثانى تصريح به تأكيدا ومبالغة ثم انهم لما طلبوا من الله تعالى ازالة العذاب عنهم اردفوه بطلب ايصال الثواب فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقد وعد الله تعالى بان يدخل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله جنات عدن اما ابتداء او بعد ان يدخلهم النار ويعذبهم بها بقدر عصيانهم وايضا انه تعالى وعد بقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وقوله تعالى ومن صلح فى محل النصب اما بالعطف على الضمير فى وادخلهم كانه قيل ووعدت من صلح من آبائهم والجمهور على فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وقرئ بضمها يقال صلح فهو صليح كما يقال فسد فهو فاسد وفسد فهو فسيد (قوله العقوبات) وهى اجزية الاعمال السيئة وتسميتها سيئة اما لانها تسوءهم واما لان السيئة اسم للملزوم وهو الاعمال السيئة فاطلق على اللازم وهو جزاؤها (قوله وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح) جواب عما يقال معنى قوله تعالى وقهم السيئات على كل واحد من التفسيرين وقهم من ان تصيبهم اجزية اعمالهم السيئة ولا فرق بين هذا المعنى ومعنى قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار بلا فائدة واجاب عنه بوجهين الاول ان قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء بحفظهم من عذاب الجحيم بخصوصه وقولهم وقهم السيئات دعاء بحفظهم من جميع العقوبات من عذاب الجحيم وعذاب القبر وموافق القيامة والحساب والصراط والسؤال ونحوها فهو تعميم بعد التخصيص والثانى ان قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء للاصول وهم الذين تابوا عن الشرك واتبعوا سبيل الاسلام وقولهم وقهم السيئات دعاء للاتباع وهم الاباء والازواج والذريات (قوله او المعاصى) عطف على قوله العقوبات فيكون تفسيرا ثالثا للسيئات فالملائكة طلبوا من الله تعالى اولا ان يقيهم عذاب الجحيم ثم طلبوا ان تتفضل عليهم بالمثوبات فقالوا وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا ان يصونهم فى الدنيا عن الاعمال الفاسدة والعقائد الباطلة ثم عللوا طلب هذه الصيانة بان الصيانة عنها فى الدنيا سبب للرحمة فى الآخرة بالوقاية من عذاب الجحيم والفوز بجنات النعيم فقالوا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فجعلوا وقاية السيئات شرطا للفوز بالرحمة التى هى نعمة غير منقطعة بازاء الاعمال المنقطعة وملك عظيم بمقابلة الاعمال الحقيرة وقدم هنا ما يدل على فضل الايمان وتعظيم اهله ولما كان المقصود من ذكره تقريع المجادلين فى آيات الله وتوبيخهم ببيان رذالة الكفر وخذلان اهله عاد الى شرح احوالهم وبين انهم فى القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسألون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم ولات حين مناص فقال ان الذين كفروا ينادون اى يناديهم خزنة جهنم حين رأوا اعمالهم قد احصاها الله ودخلوا النار جزاء لها ومقتوا انفسهم اشد المقت قائلين لمقت الله وهو جواب قسم محذوف كانه قيل والله لمقت الله والمقت اشد البغض وهو مستحيل فى حقه تعالى فالمراد ابلغ الانكار والزجر (قوله لمقت الله اياكم) يعنى ان المقت مصدر اضيف الى فاعله وحذف مفعوله لدلالة مفعول المقت الثانى عليه (قوله تعالى اذ تدعون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول اى مقتكم الله اذ تدعون الآية احتاج الى تقدير العامل لانه اذا لم يقدر فلا يخلو من ان يكون الظرف معمول قوله لمقت الله او معمول من مقتكم او معمول قوله تدعون لا سبيل الى الاول لانه يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو الخبر فان قوله لمقت الله مبتدأ ومصدر مضاف الى فاعله واكبر خبره ومن مقتكم متعلق باكبر والمصدر الثانى مضاف الى فاعله ايضا وانفسكم مفعوله والمصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بعدم تمامه بدونه ولا الى الثانى لاختلاف

وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم منه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم) اياها (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على هم الاول اى ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد (انك انت العزيز) الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (وقهم السيئات) العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة فكأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه

الزمانين لانهم انما مقتوا انفسهم فى النار لاحين دعوا الى الايمان ولا الى الثالث لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف ولما بطلت الاقسام باسرها تعين ان يكون معمولا لمحذوف وقول صاحب الكشاف انه منصوب بالمقت الاول لعله اراد به انه دال على ناصبه عبر عن المدلول بلفظ الدال او بنى كلامه على ان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره كما نقل عن ابن الحاجب انه قال فى الامالى اذا انتصب اذ تدعون بالمقت الاول كان المعنى لمقت الله اياكم فى الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم فى الآخرة وليس فيه سوى الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو اكبر الذى هو الخبر وهو جائز لان الظرف متسع فيه (**قوله** الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن) استثناء من قوله ولا للثانى اى يجوز ان يكون اذ ظرفا للمقت الثانى بناء على ان مقتهم انفسهم وان كان فى الآخرة لا حين مادعوا الى الايمان فكفروا الا ان سبب ذلك المقت لما كان حاصلا حين ما دعوا صار المقت كانه واقع حين الدعوة كما فى مثل المذكور فانه يضرب لمن حرم من مراده الآن بسبب صد رعنه فيما مضى فيجعل الحرمان كانه واقع فيما مضى يروى ان امرأة كانت تحت رجل موسر فكرهت صحبته لكبر سنه فطلقها فتزوجها شاب فقير فدعتهما الضرورة الى ان بعثها الشاب الى زوجها الاول لطلب المعروف والاحسان فاعطاها شيأ فقالت له لم صيرتنى محرومة فقال لها الصيف ضيعت اللبن فيضرب لكل من يشابه حاله حال تلك المرأة بكسر تاء المو حدة المخاطبة سواء كان المضروب له مذكرا او مؤنثا واحدا او جمعا لان الامثال لا تغير ولا يخرج المثل عن كونه من باب الاستعارة (**قوله** او تعليل للحكم) عطف على قوله ظرف لفعل والحاصل ان مقتهم انفسهم ان فسر بانهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء فى الدنيا يكون زمان احد المقتين مغايرا لزمان الاخر ويكون الكلام محمولا على التقديم والتأخير كانه قيل والله لمقت الله اياكم فى الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وان فسر مقتهم انفسهم بمقت بعضهم بعضا على معنى ان الاتباع يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كما فى قوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضكم بعضا فيكون زمان المقتين واحدا وهو وقت ان عاينوا العذاب يوم القيامة ويكون اذ تدعون تعليلا لكون مقت الله اياهم اكبر ويكون المعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم بعضا لاتباعكم هوى انفسكم وايثاركم الباطل على الحق من حيث انكم كنتم تدعون الى ما فيه السعادة الابدية فتأبونه ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى اماتتين واحياءتين اثنتين على ان اثنتين صفة مصدر محذوف قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والضحاك كانوا امواتا فى اصلاب آبائهم فاحياهم الله فى الدنيا ثم اماتهم الموتة التى لابد منها ثم احياهم يوم البعث والنشور فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فسروا الاماتة بما يعم خلقهم امواتا ابتداء وتصييرهم امواتا بازالة الحياة عنهم وتبعهم الزمخشرى والمصنف فى ذلك التفسير ولما ورد على هذا التفسير انه كيف يصح والحال ان الاماتة انما تعلق بالحى بازالة الحياة عنه لان تعلقها بما لا يكون مسبوقا بالحياة تحصيل الحاصل والتنظير بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم غير معقول اذ ليس فيه انه تعالى اماتهم بل المذكور فيه كونهم امواتا والموت لكونه عبارة عن عدم الحياة لا يستدعى سبق الحياة وانما يستدعيه ان لو كان عبارة عن زوال الحياة وليس كذلك فظهر الفرق ولم يبق للتنظير وجه واجاب عنه المصنف بقوله فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء وتصييرا وتقريره انا لا نسلم ان الاماتة معناها ازالة الحياة بل هى تستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشئ ميتا ابتداء وثانيهما تصييره ميتا كما فى التصغير والتكبير فانه يستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشئ صغيرا وكبيرا كما فى قول من قال سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وقد يكون بمعنى تصييره صغيرا بعد كبره وكبيرا بعد صغره فصح التفسير المذكور وان سلمنا ان الاماتة تصيير الشئ ميتا بازالة الحياة عنه وانها لا يصح اطلاقها حقيقة على ايجاد الشئ ميتا ابتداء لكن لا نسلم انه لا يصح تفسيرها بالمعنى المجازى المتناول لكل واحد من المعنيين فان لفظ الاماتة حينئذ يكون حقيقة فى تصيير الحى ميتا ومجازا فى الايجاد ميتا تشبيها لاختيار الفاعل احد الوصفين المقبولين للشئ بدل الاخر بنقله من احد الوصفين الى الاخر حقيقة فصح ان يستعار لفظ الاماتة لاختيار انشاء الشئ ميتا مع كون انشائه حيا مقدورا للفاعل لكونه بمنزلة تصييره ميتا بعد كونه حيا وان تفسر الاماتة بالمعنى المتناول لكل واحد من المعنيين على طريق عموم المجاز فقوله احد مقبوليه معناه احد مقبولى

ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد (قالوا ربنا امتنا اثنتين) اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الآخر

مصنوعه فان البعوضة و الفيل مثلا يقبل كل واحد منهما كل واحد من وصفى الصغر والكبر بدل الآخر فاختيار الفاعل احد الوصفين المقبولين لمصنوعه يشبه تصييره موصوفا به وصرفه عن الآخر وكذا اختيار ايجاده ميتا بدل ايجاده حيا بمنزلة تصيير الحى ميتا (قوله اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه) تعليل لعدم ادخال القائل الاحياءة الاولى فى الاحياءين يعنى ان مقصود الكفار من قولهم ربنا امتنا اثنتين الخ اعترافهم بما كانوا ينكرونه فى الدنيا وهو حياة القبر والبعث لا الحياة الاولى اذ لا انكار لاحد فيها كانهم اجابوا عن ندائهم بقوله لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم بان الانبياء دعونا الى الايمان بالله واليوم الآخر وكنا نعتقد كما تعتقده الدهرية ان لا حياة بعد الممات فلم نلتفت الى دعوتهم ودمنا على ما كنا عليه من الكفر والاعتقاد الباطل ثم بعد ذلك قد شاهدنا ما انكرناه واستبعدناه حين ماقا سيناشدائد الموتين والحياتين فاعترفنا بانا خاطئون فى انكار ذلك فوجب ان يفسر الاماتتان بما كانت عقيب حياة الدنيا وما كانت عقيب حياة القبر للسؤال فانهم بعد ما سئلوا فى القبر يموتون ثانيا الى ان ينفخ للبعث وان يفسر الاحياءتان بما كانت فى القبر وما كانت يوم البعث لا الاحياءة الاولى لان الاعتراف بها لم يكن بعد انكار وعلى هذا يكون معنى الاماتة ظاهرا غير محتاج الى التأويل (قوله ولذلك) اى ولكون المقصود من اخبارهم مشاهدة الاماتتين والاحياءتين الاعتراف بما غفلوا عنه بسبب معاينته جعلوا مشاهدتهما للاعتراف به فقالوا فاعترفنا بذنوبنا بالفاء الدالة على سببية ما قبلها للاعتراف المذكور (قوله نوع خروج من النار) يعنى ان تنكير خروج للنوعية وكذا تنكير قوله من سبيل كانه قيل فهل الى خروج سريع او بطئ شئ من السبيل او اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل الى ذلك وهذا كلام من غلب عليه القنوط يذكره تعللا اى اكتفاء وقناعة بذكر الخروج عن الخروج حقيقة يقال علله بالشئ اى ألهاه به كما يعلل الصبى بالشئ مما يلهيه عن لبن امه ولو كان مرادهم الاستفهام عن تأتى الخروج لكان الجواب لا او نعم ولم يجابوا بذلك بل ببيان سبب خلودهم فى النار وقنوطهم من الخروج منها وهو اصرارهم فى دار العمل على اقبح المعاصى فلذلك جوزوا فى دار الجزاء باهول العذاب وهو الخلود فى النار والقنوط من الخلاص عنها (قوله تعالى ذلكم) مبتدأ وبانه خبره والضمير فى بانه ضمير الشان والامر اى ذلكم الخلود والعذاب بسبب كفركم بوحدانية الله تعالى وايمانكم اى تصديقكم بالاشراك به (قوله وحده) مصدر فى موضع الحال من الجلالة وجاز كونه معرفة لفظا لكونه فى قوة النكرة كانه قيل متحدا او منفردا فان شرط الحال ان تكون نكرة لعدم الحاجة الى تعريفها ثم انه تعالى لما بين للكافرين القانطين من الخروج من النار ما هم عليه من الخلود والعذاب السرمد بسبب اعراضهم عن التوحيد وتصديقهم بالاشراك به بين ان الاشراك من اعظم الذنوب لكونه معاندة للبرهان الساطع مبنيا على محض التقليد واتباع الهوى فقال هو الذى يريكم آياته رعاية لمصالح اديانكم وينزل لكم من السماء رزقا رعاية لمصالح ابدانكم فان الآيات بالنسبة الى حياة الاديان بمنزلة الارزاق بالنسبة الى حياة الابدان ولما تفرد سبحانه وتعالى فى حصولهما العباده فقد اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة من غيران يشاركه فى ذلك احد مما اتخذه المشركون شركاء فبان ان من اشرك به شيئا من ذلك فقد ضل ضلالا مبينا واستحق عذابا مهينا ثم بين ان دلائل الوحدانية وكمال القدرة والعلم لغاية ظهورها كالامر المركوز فى العقول الا ان عدم اهتدائهم بها الى الحق انما هو لعدم اقبالهم عليها وتفكرهم فيها وما يهتدى بها الا من ينيب اليها ويعرض عن التقليد والانهماك فى اتباع الهوى طالبا للرشاد وطامعا فى الفوز يوم التناد ولما قرر هذا المعنى التفت الى المنيبين وامرهم بالاعراض عن غير الله و الاقبال اليه بالكلية فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك والالتفات الى غيره (قوله خبران آخران) اى عن قوله هو الذى يريكم آياته و الصمدية السيادة والصمد السيد لانه يصمد اليه فى الحوائج اى يقصد من صمده يصمده صمدا اى قصده (قوله من حيث المعقول والمحسوس) متعلق بقوله صمديته وقوله الدال صفة لعلو صمديته وقوله فان من ارتفعت بيان لوجه دلالته على التفرد فى الالوهية واعلم ان الرفيع يحتمل ان يكون بمعنى المرتفع وتكون الدرجات عبارة عن صفات الجلال والاكرام ويحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع وتكون الدرجات عبارة عن درجات الانبياء و الاولياء فى الجنة وعن مراتب المخلوقات فى العلوم والاخلاق الفاضلة ونحو ذلك والمصنف اشار بقوله فان من ارتفعت درجات كماله الخ الى ان رفيع بمعنى مرتفع وان المراد بالدرجات صفات كماله التى هى من قبيل المعقولات فقوله تعالى رفيع الدرجات يدل على علو صمديته من حيث المعقول والعرش من جنس الجسمانية المحسوسة فكان قوله ذو العرش اى خالقه ومالكه ومدبره دالا على

(واحيتنا اثنتين) الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءآن ما فى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله (فاعترفنا بذنوبنا) فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث (فهل الى خروج) نوع خروج من النار (من سبيل) طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله (ذلكم) الذى انتم فيه (بانه) بسبب انه (اذا دعى الله وحده) متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه فى الحالية (كفرتم) بالتوحيد (وان يشرك به تؤمنوا) بالاشراك (فالحكم لله) المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلى) عن ان يشرك به ويسوى بغيره (الكبير) على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة (هو الذى يريكم آياته) الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم (وينزل لكم من السماء رزقا) اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم (وما يتذكر) بالآيات التى هى كالمركوز فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى (الا من ينيب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) اخلاصكم وشق عليهم (رفيع الدرجات ذو العرش) خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح

علو صمديته من حيث المحسوس فان من كان محل تصرفه وتدبيره اعظم كانت صمديته ونفاذ قدرته اتم واقوى وان كان المراد بالدرجات مراتب المخلوقات يكون الرفيع بمعنى الرافع فانه تعالى رفع درجات الانبياء والاولياء فى الجنة ورفع درجات الخلق فى العلوم والاخلاق الفاضلة والارزاق والآجال وجعل لكل واحد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل نوع من الاجسام درجة فجعل بعضها ارضية سفلية كدرة وبعضها فلكية علوية مشرقة وبعضها من جواهر العرش والكرسى وان كانت الدرجات عبارة عن مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش يحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع وبمعنى المرتفع وكذا ان كانت عبارة عن السموات كما قال سعيد ابن جبير هى سماء فوق سماء والعرش فوقهن (**قوله تعالى يلقى الروح**) الصحيح ان المراد به الوحى سمى روحا تشبيها له بالروح من حيث ان الروح لحياة الاجسام والوحى سبب لحياة القلوب فان حياة القلوب انما هى بالمعارف الحاصلة بالوحى فلما كان الوحى سببا للحياة صار بمنزلة الروح فسمى روحا واعلم ان ما سوى الله تعالى اما جسمانى واما روحانى فبين الله تعالى بهذه الآية ان كلا القسمين مسخر تحت تسخيره تعالى اما الجسمانى فاعظمه العرش فقوله تعالى ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الاجسام وقوله يلقى الروح الخ يدل على ان الروحانيات ايضا كالجسمانيات مسخرات لامره والباء فى قوله باظهار آثارها صلة الامر اى الملائكة مسخرات لامره باظهار الوحى وتبليغه الى الانبياء استعير الروح للوحى لانه يحيى به القلب بخروجه من الجهل والحيرة الى المعرفة والطمأنينة ثم بين الوحى بالامر بمعنى طلب الخير والبعث عليه وهو ان يحلى المكلف بما امره به الشارع وندبه اليه ويخلى عما نهاه عنه وكرهه وفسر الامر به ليتناول الامر والنهى بالمعنى المشهور وليعلم ان ليس المراد به الامر بمعنى الشان لعدم ملاءمته لهذا المقام فقوله لانه امر بالخير اى لان الوحى بعث على ما هو الخير للمكلف فيما يأتيه ويذره وقوله او مبدأه عطف على قوله امر فيكون وجها ثانيا لكون قوله من امره بيانا للروح بمعنى الوحى او لانه مبدأ الامر بالخير الاول على ان يفسر الوحى بالكلام الذى تلقيه الى غيرك خفية والثانى على ان يفسر بالارسال وفى الصحاح الوحى الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفى وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيته وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والوحى بمعنى الكلام الخفى الذى ألقاه الله تعالى الى الانبياء بواسطة الملك سمى روحا لكونه سببا لحياة القلب وكذا الوحى بمعنى الرسالة الملك روح باعتبار وامر باعتبار آخر وهو كونه مبدأ لامر الملك المبلغ له هذا على ان يكون قوله والآمر هو الملك المبلغ على لفظ اسم الفاعل ويحتمل ان يكون قوله او مبدأه عطفا على قوله الوحى اى ويجوز ان يراد بالروح مبدأ الوحى وهو الملك الذى يبلغه ويكون من امره ايضا بيانا للروح بمعنى مبدأ الوحى ويسمى الملك المبلغ أمر الكمال امتثاله اوامر الله تعالى قال تعالى لا يسبقونه بالقول ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون او لكونه واسطة بينه تعالى وبين انبيائه فى تبليغ ما امره الله تعالى به اليهم واستعير له الروح لكونه مبدأ للوحى الذى به حياة القلوب ومشبها بالروح الذى به حياة الابدان فقوله تعالى يلقى الروح معناه على هذا ينزل الملك المبلغ للوحى الذى هو امره على من يختاره للنبوة ويكون قول المصنف والامر هو الملك المبلغ على لفظ المصدر (**قوله والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح**) واسناد الانذار الى من يشاء حقيقى كما فى قوله بنت العملة المدينة واسناده الى الله تعالى مجازى كما فى بنى الامير المدينة وكذا اسناده الى الروح (**قوله واللام**) مبتدأ ويؤيد الثانى خبره اى اللام تؤيد كون المستكن راجعا الى من يشاء كما يؤيد ذلك قرب المرجع اليه والوجه فى تأييد اللام ذلك ان المستكن فيه لو كان راجعا الى الجلالة لكان المفعول له فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو القاء الروح فينبغى ان يقال انذارا بدون اللام والذى تؤيد الثانى بخصوصه هو مجموع اللام وقرب المرجع اليه فان مجرد اللام انما يؤيد عدم كونه راجعا الى الجلالة ولا يؤيد رجوعه الى من بخصوصه لجواز رجوعه الى الروح ايضا وهذه اللام متعلقة بقوله يلقى وانتصاب يوم التلاق على انه مفعول به للانذار وليس ظرفا له لان الانذار لا يكون فيه وانما يكون به (**قوله يوم هم بارزون**) يجوز ان يكون بدلا من قوله يوم التلاق فى بدل الكل من الكل فيكون مفعولا به من حيث المعنى وان يكون ظرفا للتلاق لان التلاق يقع فى يوم بروزهم وان يكون ظرفا لقوله لا يخفى اى لا يخفى على الله منهم شئ فى يوم بروزهم وهذا على قول من يجوز ان يعمل ما بعد لا فيما قبلها وقوله لا يخفى يجوز ان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من ضمير بارزون وان يكون خبرا ثانيا (**قوله والاعمال والعمال**

(يلقى الروح من امره) خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأه والامر هو الملك المبلغ (على من يشاء من عباده) يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية (لينذر) غاية الالقاء والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثانى (يوم التلاق) يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم او ظاهرون

العمال والعمولة بتخفيف الميم رزق العامل واجر عمله اى لينذر يوم يلقى فيه كل عامل اجر عمله (**قوله** لايسترهم شئ) من جبل او اكمة او بناء لان الارض فيه بارزة قاع صفصف وليس عليهم ثوب يسترهم بل هم عراة مكشوفوا الرؤس والارجل كما جاء فى الحديث يحشر الناس حفاة عراة غرلا والغرل جمع اغرل وهو الاقلف الذى لم يختن (**قوله** او ظاهرة نفوسهم) اى منكشفة غير محجوبة بغواشى الابدان على زعم من لايقول بالمعاد الجسمانى وقيل المراد بروزهم اسرارهم قال تعالى يوم تبلى السرآئر اى تنكشف الاسرار والابلاء والابتلاء فى الاصل الاختبار الذى يكون للكشف فاطلق على غايته وقيل بروزهم عبارة عن بروز اعمالهم (**قوله** وازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا) من انهم اذا تستروا بالحيطان والحجب لايراهم الله وتخفى عليهم اعمالهم وهو جواب عما يقال قوله تعالى لايخفى على الله منهم شئ بيان وتقرير لبروزهم فكانه قيل يوم هم صائرون بحيث لايخفى على الله منهم شئ وهو تعالى لايخفى عليه منهم شئ فى جميع الايام فما معنى تقييده بذلك اليوم وتقريره انه ليس المقصود عدم خفاء شئ منهم عليه تعالى بل المقصود به هو ازاحة ما يتوهمه متوهم فانهم كانوا يتوهمون فى الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب لايراهم الله وتخفى عليه اعمالهم فاخبر انهم صائرون ذلك اليوم الى حال لايتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون (**قوله** حكاية لما يسأل عنه) يعنى انه مقول قول مضمر اى يقال لهم فى ذلك اليوم لمن الملك اما بلسان المقال او بلسان ظاهر الحال ويدل على الاول ما روى من انه اذا حضر الاولون والآخرون يوم التلاق وبرزوا لله جميعا نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول جميع من حضر فى محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا به وبما اعتقدوا به دلوله فى الدنيا التى هى مزرعة الآخرة المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه تحسرا وصغارا وندامة على تفويتهم هذا الذكر الجميل فى الدنيا وقيل السائل والمجيب هو الله تعالى وحده وذلك بعد فناء الخلق ولما قرر ان الملك لله تعالى فى ذلك اليوم ذكر نتائج كون الملك والامر له فى ذلك اليوم لا يشاركه فيه احد فقال اليوم تجزى كل نفس وهو داخل فى حكم القول المضمر (**قوله** فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا اخذ فى حساب الخلق لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها (**قوله** اى القيامة) ذكر لتأنيث لفظ الآزفة وجهين الاول تأنيث مسماه وهو يوم القيامة والثانى صفة لموصوف مؤنث وهى الخطة وهى الخطب العظيم والامر الصعب والآزفة فاعلة من ازف الامر اذا قرب وهو من باب علم ويوم الآزفة منصوب على انه مفعول به لانذرهم لانه المنذر به والمقصود التنبيه على ان يوم القيامة قريب كقوله اقتربت الساعة قيل لها آزفة لكونها قريبة وان استبعد الناس مداها اذ كل ما هو كائن فهو قريب وقيل المراد بيوم الآزفة مشارفتهم دخول النار فانهم عند ذلك ترتفع قلوبهم من مقارها من شدة الخوف وقيل يوم الآزفة يوم حصول الاجل لانه تعالى وصف يوم القيامة بانه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وأنذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ويوم حضور الاجل من جملة الشدآئد والامور الصعاب وان المرء الكافر عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه بحيث يرتقى قلبه الى حنجرته من شدة الخوف ويبقى كاظما ساكتا عن ذكر ما فى قلبه من شدة الخوف والغم ولايكون له حميم ولا شفيع يدفع عنه ما به من انواع الخوف والقلق (**قوله** كاظمين على الغم) اى ساكتين حال امتلائهم غما وكربا وغيظا يقال كظم الغيظ اذا امسك على ما فى نفسه من الغم والغيظ بالصبر وعدم اظهار الاثر من قولهم كظم القربة اذا ملأها ماء وشد فاها والمعنى انهم لايمكنهم ان ينطقوا او يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف من شدة الكربة وغلبة الغم عليهم والمقصود من الآية تقرير امرين احدهما الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين والثانى العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له نوع خفة وسكون واذا لم يقدر عليه عظم قلقه واشتد حاله (**قوله** لانه على الاضافة) اى لان المعنى على الاضافة اى اذ قلوبهم لدى حناجرهم بناء على ان التعريف اللامى بدل من التعريف بالاضافة ولما كان قوله اذ القلوب فى معنى اذ قلوبهم باضافة القلوب الى اصحابها جاز انتصاب الحال عن الاصحاب المجرور بالاضافة لان العامل المعنوى يجوز ان يعمل فى الحال فيجوز ان تعمل فيها الاضافة كانه قيل اضيف اليهم القلوب حال كونهم كاظمين (**قوله** او منها) اى او هو حال من نفس القلوب على معنى حال كون القلوب كاظمة على كرب وغم مع بلوغها الحناجر او هو حال من الضمير المستكن فى قوله لدى الحناجر فان القلوب مبتدأ ولدى الحناجر خبره وفيه ضمير مستكن انتقل اليه من

لايسترهم شئ او ظاهرة نفوسهم لاتحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرآئرهم (لا يخفى على الله منهم شئ) من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دآئما (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لاتشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوآئق وادركت لذتها وألمها (لاظلم اليوم) بنقص الثواب وزيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لايشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا (وأنذرهم يوم الآزفة) اى القيامة سميت بها لأزوفها اى قربها او الخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدى الحناجر) فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين

متعلقه وكاظمين حال منه ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان يقال كيف يجوز ان يكون كاظمين حالا من القلوب اوضميرها مع انه قد جمع جمع السلامة وهو مختص بمن يعقل اشار المصنف الى جوابه بقوله وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء يعنى انه لما اسند الى القلوب ما هو من افعال العقلاء وهو الكظم جمعت جمع العقلاء كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (قوله على انه حال مقدرة) لانهم غير كاظمين حقيقة وقت الانذار (قوله ولا شفيع مشفع) يعنى ان قوله تعالى يطاع مجاز بمعنى يجاب وتقبل شفاعته لان حمله على اصل معناه يستلزم خلو الكلام عن الفائدة لان انتفاء شفيع يطيعه الله تعالى حقيقة معلوم بالضرورة من حيث ان المطيع حقيقة يكون اسفل حالا من المطاع وليس فى الوجود من هو اعلى حالا من الله تعالى حتى يكون تعالى مطيعا له فوجب حمل الاطاعة على الاجابة كما فى قوله

رب من انضجت غيظا صدره ＊ قد تمنى لى موتا لم يطع

اى لم يجب (قوله والضمائر) اى التى فى قوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ وانذرهم اذ القلوب لدى حناجرهم الظاهر ان هذه الضمائر للكفار الذين يجادلون فى آيات الله وينادون يوم القيامة بان يقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم فيكون قوله تعالى ما للظالمين موضوعا موضع ضميرا لكفار المعهودين فمعنى الاية الحكم عليهم بانهم ليس لهم حميم ولا شفيع مشفع وقد اتفق اهل الملة على انه لا شفاعة فى حق الكفار فلا دلالة فى الآية على نفى الشفاعة عن عصاة المسلمين كما قال به المعتزلة بناء على ان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم غاية ما فى الباب ان هذه الآية وردت لذم الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول المصنف وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم اى على اختصاص انتفاء كل واحد من الحميم والشفيع المشفع اشارة الى جواب ذلك وتقريره ان الاصل فى حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل فى هذه الآية معهود سابق وهم الكفار المجادلون فى آيات الله فوجب ان ينصرف الحكم بانتفاء الحميم والشفيع اليهم لا الى عامة الظلمة لانفسهم (قوله النظرة الخائنة) اشارة الى ان خائنة اسم الفاعل وانه صفة محذوف هو النظرة واسناد الخائنة الى النظرة مجاز لان الخائن الناظر فانه خان الشارع حيث لم ينته عما نهى عنه بان نظر نظرة محرمة عليه والتقدير يعلم النظرة الخائنة للاعين حذف الموصوف ثم حذفت اللام من الخائنة واضيفت الى الاعين اضافة معنوية بمعنى اللام (قوله او خيانة الاعين) اشارة الى جواز كون الخائنة مصدرا بمعنى الخيانة كالعافية والكاذبة وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين امامرفوع المحل على انه خبر آخر لهو فى قوله تعالى هو الذى يريكم مثل قوله يلقى الروح الا ان يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم ذكر استطرادا احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد هذا الخبر بالتعليل والاستطراد المذكور عن اخواته اعنى قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح وهذا الوجه هو الذى اختاره المصنف ويحتمل ان لا يكون له محل من الاعراب بناء على انه فى قوة التعليل للامر بالانذار فانه تعالى لما امر بانذارهم يوم الآزفة وما يعرض لهم من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد له فيه من يحميه ويشفع له ذكر انه تعالى مطلع على جميع ما يصدر من الخلائق سرا وجهرا وبين انه عالم لا يخفى عليه مثقال ذرة فى السموات والارض والحاكم اذا بلغ فى العلم الى هذا الحد وجب ان يكون خوف المجرم منه اشد واقوى واعلم ان افعال العباد على قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب فافعال الجوارح اخفاها خائنة الاعين فاذا كانت مع كونها فى غاية الخفاء معلومة لله تعالى فعلمه تعالى بسائر افعال الجوارح يكون اولى واظهر ثم بين بقوله تعالى وما تخفى الصدور ان افعال القلوب ايضا معلومة لله تعالى فدلت الآية على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم ثم انه تعالى لما بين احاطة علمه بذلك بين انه لا يحكم الا بما يستحقه المكلف ويليق به تشديدا لخوف المكلف (قوله وقضائه بالحق) فان من يسمع ما يقولون ويبصر ما يفعلون اذا قضى قضى بالحق ويستفاد منه الوعيد ايضا ثم انه تعالى لما بالغ فى تخويف الكفار باحوال الآخرة اردفه بتخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا فى الارض الآية والمعنى ان العاقل من اعتبر بحال غيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار واقوى آثارا فى الارض من الحصون والقصور والعساكر فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله تعالى عاجلا وان هؤلاء الحاضرين شاهدوا آثار اهلاكهم فباى وجه أمنوا ان يصيبهم مثل ما اصاب السابقين وقوله تعالى فينظر ويجوز ان يكون مجزوما بعطفه على يسيروا

او من مفعول أنذرهم على انه حال مقدرة (ما للظالمين من حميم) قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين (وما تخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (او لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود

وان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام (قوله وانما جيء بالفصل) يعني ان هم ضمير فصل قد توسط بين اسم كان وهو معرفة وخبرها الذي هو قوله اشد منهم وهو نكرة وحق الفصل ان يقع بين معرفتين كما في قوله تعالى اولئك هم المفلحون اولئك هم الخاسرون وجوابه ظاهر وهو ان افعل من لما شابه المعرفة في عدم دخول الالف واللام عليه حيث لا يقال الاشد منهم كان في حكم المعرفة (قوله وقيل المعنى واكثر آثارا) اى قيل ان قوله آثارا ليس بداخل في حيز اشد منهم بان يكون معطوفا على قوة بل هو منصوب بعامل مقدر معطوف على اشد كما في قوله

يا ليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

فان رمحا منصوب بمقدر اى وحاملا رمحا لان تقلد الشيء بالشيء تعليقه عليه وجعله بمنزلة القلادة في العنق يقال قلدت المرأة تقلدت هي ولا يصح هذا في الرمح فلذلك احتيج الى تقدير ناصب ومثله

علفتها تبنا وماء باردا * حتى غدت همالة عيناها

اى حتى مضت الشاة وعيناها تفيض اى وسقيتها ماء باردا لان الماء ليس مما يعلف ولم يرض المصنف بهذا القول لعدم الحاجة الى التقدير لصحة المعنى بدونه فانهم كما انهم اشد منهم قوة اشد منهم آثارا ايضا ويدل عليه قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فان قيل ما ذكر في مثل قوله علفتها تبنا وماء باردا ومتقلدا سيفا ورمحا يستلزم حذف المعطوف مع بقاء حرف العطف وانه ممتنع اجيب بانا لا نسلم امتناع ذلك مطلقا وانما الممتنع ان يحذف المعطوف مع جميع متعلقاته واما اذا بقي شيء من معمولات المحذوف فلا نسلم امتناعه كما في قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان اى وألفوا الايمان وقول الشاعر * وزججن الحواجب والعيونا * اى وكحلن العيون كذا في شرح البخاري للكرماني رحمه الله تعالى (قوله لا يؤبه بعقاب دون عقابه) اى لا يذكر ولا ينتبه لعقاب حد غفل عنه عند معاينة عقابه نعوذ بالله من ذلك الجوهري ابهت للامر آبه ابها وهو الامر تنساه ثم تتنبه له ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله وبيان عاقبة امرهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى الاية (قوله والعطف لتغاير الوصفين) يعني انه من قبيل عطف الخاص على العام تفخيما لشأنه (قوله تعالى الى فرعون وهامان وقارون) خص هؤلاء الثلاثة بالذكر مع انه عليه الصلاة والسلام مرسل الى القوم كلهم لان هؤلاء الثلاثة كانوا مدبري امورهم فكان خطابهم ودعوتهم بمنزلة خطاب القوم كلهم فان فرعون ملكهم وهامان وزيره وقارون بمنزلة المالك من حيث كثرة امواله وكنوزه (قوله أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا) فانه لما جاء اوان ولادة موسى عليه الصلاة والسلام اخبر المنجمون فرعون بانه قد حان ولادة مولود يظهر عليك ويزول ملكك على يده فامر بقتل ابناء بني اسرائيل وابقاء بناتهم احياء احتيالا في دفع ما انذر به الكهنة ففعلوا ذلك زمانا طويلا ثم امسك فرعون عن قتل الولدان مخافة ان يفنى بنو اسرائيل وتقع الاعمال الشاقة كلها على القبط فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام ودعا الى الايمان والتوحيد واظهر المعجزات القاهرة فعند هذا امر بقتل ابناء الذين آمنوا معه لئلا ينشأوا على دين موسى فيتقوى بهم وضمير الجمع في قوله قالوا اقتلوا لفرعون وذوي الرأي من قومه (قوله كانوا يكفونه) يعني ان فرعون انما قال هذا الكلام من اجل انه كان في خواص قومه من يمنعه من قتل موسى بناء على اعتقاده انه ساحر ضعيف لا يمكنه ان يغلب سحرتك فان قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا صادقا في دعواه وانهم عجزوا عن جوابه فقتلوه ويحتمل ان يكون سبب منعهم اياه انهم اعتقدوا بقلوبهم كون موسى عليه الصلاة والسلام صادقا في دعواه لما عاينوا من معجزاته الباهرة فمنعوه من ذلك خوفا من ان يعاجلهم الله تعالى بالهلاك ويحتمل ان احدا لم يمنع فرعون من قتل موسى عليه الصلاة والسلام وانه كان يحب ان يقتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرات تمنعه عن قتله فيفتضح الا انه اوقاحته وجبنه قال ذروني اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه واراءة قومه انه لا يخاف شيأ يصيبه بمخالفته (قوله وتعلله بذلك) اى جعل فرعون منع قومه اياه علة لعدم قتل موسى دليل على تيقنه بحقية امر موسى عليه الصلاة والسلام وانه يخاف ان قتله عاجله الله تعالى بالعقوبة وانه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرات تمنعه من قتله فيفتضح عند الناس ويؤيد ذلك تجلده بقوله وليدع ربه فان مثله انما يصدر من الخائف المرائي فلما سمع موسى عليه الصلاة والسلام قوله لم يأت في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضله ورحمته فلا جرم صانه الله تعالى عن كل بلية واوصله الى كل امنية وقيض له انسانا اجنبيا

(كانوا هم اشد منهم قوة) قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف (وآثارا في الارض) مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا * (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات او الاحكام الواضحة (فكفروا فاخذهم الله انه قوي) متمكن مما يريده غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه بعقاب دون عقابه (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعني المعجزات (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافرادا بين المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) اى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى (وما كيد الكافرين الا في ضلال) في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة (وقال فرعون ذروني اقتل موسى) كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو جادله لم يتيسر له ويؤيده قوله (وليدع ربه) فانه تجلد وعدم مبالاة بدعاء ربه (اني اخاف) ان لم اقتله (ان يبدل دينكم) ان يغير ما انتم عليه من عبادتي وعبادة الاصنام كقوله ويذرك وآلهتك (او ان يظهر في الارض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد

(وقال موسى) اى لقومه لما سمع كلامه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب) صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثالهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق و الدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله (وقال رجل مؤمن من ال فرعون) من اقاربه وقيل من متعلق بقوله (يكتم ايمانه) والرجل اسرائيلى اوغريب موحد كان ينافقهم (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول اووقت ان يقول من غير روية وتأمل فى امره (ربى الله) وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد (وقدجاءكم بالبينات) المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات (من ربكم) اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لايتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله

حتى ذب عنه باحسن الوجوه و بالغ فى تسكين تلك الفتنة فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وهذا استفهام على سبيل الانكار (قوله لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة) وهو السبب الاصلى فى كون اجتماع الناس لاداء الصلوات الخمس والجمعة والاعياد والاستسقاء ونحوها سنة (قوله ولم يسم فرعون) يعنى انه عليه الصلاة والسلام استعاذ من كل متكبر اى كل متعظم عن الايمان ولم يذكر فرعون بخصوص اسمه لثلاث فوائد الاولى تعميم الاستعاذة من كل متكبر اى متعظم والثانية رعاية حق تربية كانت من فرعون له فى صغره فلذلك لم يصرح بكونه عدوا يستعاذ من شره والثالثة الدلالة على العلة التى حملت موسى عليه الصلاة والسلام على هذه الاستعاذة وهى ان يجتمع فى الانسان كونه متكبرا قاسى القلب و كونه منكر البعث والجزاء فان مجرد التكبر وغلظة القلب وان كان يحمل الانسان على ايذاء الناس الا انه اذا اقر بالبعث والحساب يمتنع منه خوفا من جزاء ظلمه بخلاف ما اذا لم يؤمن بالبعث والقيامة فانه يشتد توغله فى الظلم والايذاء لاقتضاء طبيعته اياه وارتفاع ما يمنعه عنه وهو الاقرار بالبعث فكل من اجتمع فيه التكبر والانكار للبعث كان اظلم واطغى وبالاستعاذة من شره اليق واحرى (قوله عدت فيه وفى الدخان بالادغام) اى بادغام الذال فى التاء بجعلها دالا كما فى ادكر (قوله من اقاربه) قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله عنه فى سورة القصص وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فعلى هذا يكون قوله من آل فرعون صفة ثانية لرجل متعلقة بمحذوف اى كائن من آل فرعون وقيل كان اسرائيليا فعلى هذا يكون من آل فرعون متعلقا بيكتم والتقدير و قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون قال وهب انه كان خازن فرعون وكانت امرأته ماشطة بنات فرعون اظهرت الايمان فقتلها فرعون وذبح اولادها قبل قتلها على وجهها فتكلمت اولادهم ياامه أبشرى بالجنة من ربك واصبرى انك على الحق واعلمى ان عذاب ربك اشد من عذاب فرعون ثم اظهرت آسية ايمانها فقتلها بعد قتل الماشطة واظهر زوج الماشطة ايمانه وهو خازن فرعون وجادل فرعون وقومه بعد كتمه ايمانه مدة وقتله فرعون مع السحرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله والثالث ابو بكر الصديق رضى الله عنه وهو افضلهم روى ان المشركين تقاروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه (قوله اووقت ان يقول) فان ان يقول وان لم يكن مصدرا صريحا الا انه فى تأويل المصدر فجاز ان يقام الوقت مقامه كما فى قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك اى وقت خفوقه وصياحه قيل عليه اقامة المصدر مقام الوقت لاتجوز الا فى المصدر الصريح ولاتصح فيما هو فى تأويل المصدر فلا يقال آتيك ان يصيح الديك بمعنى وقت ان يصيح وقد نص عليه النحاة (قوله وحده) استفادة الحصر من تعريف الجملة كما فى قولك زيد الكريم وصديقى زيد اى لاغيره (قوله من المعجزات والاستدلالات) يعنى البينات بمعنى الدلائل الواضحات يتناول المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة وما اقامه من البراهين الدالة على الوحدانية كقوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى آخر الايات (قوله احتجاجا عليهم واستدراجا لهم) فان مجيئ البينات من قبل ربهم تقوية لشانها واحتجاج عليهم بوجوب اتباعها واذعان حكمها واستدراج لهم الى الاعتراف بموسى وحقية امره فانهم اذا سمعوا انه جاءهم بالبينات من ربهم دعاهم ذلك الى التأمل فى امره بخلاف ما لو قيل من ربه (قوله ثم اخذهم بالاحتجاج) يعنى انه احتج اولا على ان اقدامهم على قتله منكر بالبرهان العقلى الذى يفيد القطع بكونه منكرا ثم احتج عليهم ثانيا بما يفيد الظن به لابتنائه على الاحتياط (قوله لايتخطاه وبال كذبه) الحصر مستفاد من تقديم الخبر على المبتدأ (قوله فيحتاج) منصوب بان المقدرة بعد الفاء الواقعة فى جواب النفى واشار به الى جواب ما يقال لانسلم انه على تقدير كونه كاذبا فى دعوى حقية ما اظهره من الدين يقتصر ضرر كذبه عليه ولا يتخطاه الى غيره اذ قد يغتر جماعة فيقعون فى المذهب الباطل والاعتقاد الزائغ ثم ان اغترارهم ذلك قد يؤدى الى ان يقع بينهم وبين من يخالفهم فيه من المخاصمات والمحاربات ما يختل به نظام العالم ولما تعدى ضرر كذبه الى غيره كيف يصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وتقرير الجواب انه على تقدير كونه كاذبا لايقدر ان يحمل الناس على

قبول ما اظهره من الدين لكون طباع الناس آبية عن قبوله وقد رتكم على ان تمنعوه من اظهار مقالته و مادعا الناس اليه فصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه (قوله فلا اقل من ان يصيبكم بعضه) اشارة الى جواب مايقال وان يك صادقا يصبكم كل الذى يعدكم لان من يصيب بعض مايعده دون البعض هم الكهان والمنجمون واما الرسول الصادق الذى لايتكلم الا بالوحى فانه يجب ان يكون صادقا فى كل مايقوله فما وجه ذكر البعض فى هذا المقام وتقرير الجواب ان مدار هذا الاحتجاج على المبالغة فى التحذير عن قتله بان يقال احتمال اصابة بعض مايعده المتفرع على احتمال صدقه كاف فى التجنب على قتله فالتجنب عنه مع احتمال اصابة جميع مايعده اولى ويحسن هذا الاسلوب ايضا ان فيه اظهار الانصاف وترك اللجاج والتعصب وذلك انه لما فرضه صادقا فى جميع ما اخبر به كان الواجب ان يفرع عليه اصابة جميع ماوعده به ولم يفعل ذلك بل قال يصبكم بعض الذى يعدكم فنقص بعض مايكون على تقدير صدقه ليريهم انه ليس بكلام من اعطى الكلام حقه تاما وافيا فضلا عن ان يتكلم جزافا ومبالغة وتعصبا ومن انصف فى كلامه يسمع الخصم كلامه ولا يرده عليه فلذلك كان كلامه بليغا مقبولا عند البلغاء وتقرير الجواب الثانى ان المراد ببعض الموعود هو عذاب الدنيا فانه عليه الصلاة والسلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فاذا اصابهم فى الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض ماوعدهم به وخصوا عذاب الدنيا مع ان صدقه عليه الصلاة والسلام يستلزم ان يصيبهم جميع ماوعدهم به من عذاب الدارين لكون عذاب الدنيا اظهر احتمالا عندهم وكافيا فى تجاوزهم عن قتله واجيب ايضا بان المراد كل الذى يعدكم فان البعض قد يراد به الكل كما فى قول لبيد

ترّاك امكنة اذا لم ارضها ＊ او يرتبط بعض النفوس حمامها

قوله تراك خبر محذوف اى انا تراك واو بمعنى الى اى الى ان يرتبط الحمام ببعض النفوس اى كلها وكانه قال الى يوم القيامة لان ارتباط الموت بكل النفوس انما يكون فيه فعلى هذا التوجيه ينبغى ان يكون يرتبط منصوبا الا انه سكن الطاء للضرورة والمصنف رد هذا الجواب برد سنده وهو كون البعض فى بيت لبيد بمعنى الكل فقال لانه اراد بالبعض نفسه ومعنى كلام لبيد انا على هذه الصفة حتى اموت وليس مراده حتى يموت جميع الناس لانه يكون يوم القيامة ومن المعلوم انه لايبقى الى ذلك اليوم (قوله احتجاج ثالث) احتج به الرجل المؤمن على انه لايجوز قتل موسى وايذآؤه ويمكن تقريره على وجهين الاول ان الاقدام على قتله مبنى على زعم انه مسرف فى ارتكاب الزيف والكذب ولا وجه لهذا الزعم لانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى اقامة البينات واظهار المعجزات وقد هداه اليهما فهو رجل واجب التعظيم والاكرام دون التكذيب والايلام والثانى ان هذا الاحتجاج مبنى على تسليم كلام الخصم وارخاء العنان كانه قال سلمنا انه مسرف كذاب الا انا لانسلم انه يجب عليكم تعرضه بالقتل والايذآء لانه تعالى لايؤيد امر امثاله بل يخذله ويهلكه عن قريب فلا وجه للالتفات اليه والاشتغال بشأنه وعرض به لفرعون بانه مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى ادعاء الربوبية والله لايهدى من هذا شأنه بل يفضحه ويهدم امره ثم ان المؤمن من آل فرعون لما استدل على انه لايجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذى توعدهم به فى قوله يصبكم بعض الذى يعدكم فقال ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين الاية (قوله تعالى ظاهرين) حال من الضمير فى لكم والعامل فيها او فى قوله اليوم ما تعلق به لكم (قوله ومساهمهم) اى صاحب سهم ونصيب معهم ولما قال المؤمن ما قاله فى الذب عنه عليه الصلاة والسلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وهو يجوز ان يكون من الرأى وان يكون من الرؤية بمعنى العلم يقال رأى فيه رأيا بمعنى اعتقد فيه اعتقادا ورآه بعينه اى ابصره ورآه بقلبه اى علمه والمعنى على الاول ما اشير اليكم برأى سوى ما ذكرته من انه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ولما نقل رأى من الرأى الى باب الافعال عدى الى الضمير المنصوب ثم استثنى استثناء مفرغا فقيل الا ما ارى وعلى الثانى ما اعلمكم الا ما علمت فيتعدى الى مفعولين ثانيهما الا ما ارى وقوله وقلبى ولسانى متواطئان عليه بيان لحاصل المعنى على الاحتمالين وقد كذب فى الاخبار عن مواطأة قلبه لسانه فان قلبه مملوء بالخوف الشديد من جهة موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه كان يتجلد عند قومه (قوله لا من ارشد) يعنى ان صيغة فعال قد تبنى من افعل نحو ادرك فهو دراك واجبر فهو جبار واقصر فهو قصار واسأر فهو سأار ولم يجعل قرآءة رشاد بتشديد الشين من ارشد الرباعى لان بناءه منه نادر غير منقاس بل مقصور على السماع (قوله اوللنسبة) عطف على قوله للمبالغة ورشد بفتح الشين وكسرها لغتان بمعنى فان كان الرشاد بالتشديد صيغة مبالغة من الثلاثى يكون معناه كثير الرشد وان كان

(وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ＊ او يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه اراد بالبعض نفسه (ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب وسبيل النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين (فى الارض) ارض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم (قال فرعون ما اريكم) ما اشير اليكم (الا ما ارى) الا ما استصوبه من قتله (وما اهديكم) وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات

صيغة مبالغة من الرباعي يكون كثير الارشاد وان كان للنسبة الى الرشد كان المعنى الاسبيل ذى الرشا دوالعاج عظم الفيل والواحدة عاج والعواج صاحبه وبائعه والبت الطيلسان من وبر أو صوف والبتات من يعمله او يبيعه والبت ايضا يطلق على كساء من صوف كما فى قوله

من كان ذابت فهذا بتى * مقيظ مصيف مشى
اخذته من نعجات ست * سود نعاج كنعاج د ست

اى يكفينى لقيظى وشتائى والقيظ حرارة الصيف (قوله تعالى وقال الذى آمن) صرح بفاعل قال ولم يضمره عطفا على ما قبله من اقواله لتخلل الاخبار عن قول اللعين بينهما فذكر فاعله صريحا ازالة للشبهة وهذا هو الجواب عن قوله فيما بعده بايات وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى لانه تقدمه قول فرعون فى قوله وقال فرعون ياهامان ابن لى الايات ولما اصر فرعون على ان الرأى الصائب ليس الا قتله واخلاء العالم من فتنته قال المؤمن ياقوم انى اخاف عليكم فى تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه ومن يكتم ايمانه كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا الاشكال ذكرههنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذرونى اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن انه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه زعم ان المصلحة تقتضى ابقاء موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب قتله بل الاقدام على قتله يوجب الوقوع فى ألسنة الناس بالكلمات القبيحة فالاولى تأخير قتله ومنعه من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا يقتصر وبال كذبه عليه بهذا الطريق من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يعنى انه ان كان كاذبا فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدى المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لانه هو المسرف الكذاب والقول الثانى ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه فيما مضى فلما قال فرعون ذرونى اقتل موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وجادله بالتى هى احسن وقال ياقوم انى اخاف عليكم فى تكذيبه الخ (قوله مثل ايام الامم الماضية) اشارة الى ان ظاهر المقام يقتضى ان يقال مثل ايام الاحزاب لان الاحزاب باسرهم ليس لهم يوم واحد بل لكل حزب يوم على حدة اى وقعة هائلة وعذاب شديد قال ايام العرب للوقائع العظيمة والاهوال الشديدة على طريق ذكر المحل وارادة الحال الا ان جمع الاحزاب وتفسيره بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اغنى عن جمع اليوم فان جمع الاحزاب وتفسيره بالطوائف المختلفة المتباينة الازمان فى الاماكن يرفع الالتباس ويبين ان المراد به الايام كما ان اضافة البطن الى الجمع فى قوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * اغنت عن جمع البطن للعلم بان الجمع العظيم لا يأكلون فى بطن واحد فاستغنى بدلالة الاضافة على المراد عن ان يقال فى بعض بطونكم) قوله مثل جزاء ما كانوا عليه دآبا) اى دائما يقال دأب فى العمل اى دام عليه وكان ذلك عادة له والدأب العادة والشان احتاج الى تقدير المضاف بعد المثل الثانى لانه تفسير للمثل الاول بان يكون بدلا منه او عطف بيان له وقد اضيف المثل الاول الى اليوم الذى عبر به عن عقوبة تكذيب الاحزاب انبياءهم فلا بد ان يكون المثل الثانى ايضا مضافا الى نحو ما اضيف اليه الاول حتى يكون عبارة عن الاول وموضحا له (قوله فلا يعاقبهم بغير ذنب) يعنى ان المؤمن اتم كلامه بقوله وما الله يريد ظلما للعباد للدلالة على انه تعالى انما اهلك الاحزاب المتقدمين لذنب استحقوا به الهلاك وهو تحزبهم على انبيائهم فكل من كذب نبيه وتعرض له بالسوء يخاف عليه مثل ما اصاب هؤلاء لان تخلية الظالم من غير انتقام ظلم بالمظلوم والله تعالى منزه عن ارادة الظلم فضلا عن نفس الظلم والمعنى ما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب وهذه الآية فى عذاب الدنيا لان عقوبة تكذيب الاحزاب قد عجلت لهم فى الدنيا ثم قال وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد والتنادى مصدر تنادى القوم اى نادى بعضهم بعضا اصله تناديا بضم الدال ثم كسر وها لاجل الياء وحذف الياء حسن فى الفواصل كقوله يوم التلاق اصله يوم التلاقى سمى يوم القيامة يوم التناد لان الناس ينادى بعضهم بعضا للاستغاثة كقولهم فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او يتصايحون بنحو قولهم ياويلنا من بعثنا او ياويلتنا مال هذا الكتاب او ينادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة والنعيم المقيم حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم اى من عذاب النار حقا قالوا نعم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وقرئ يوم التناد بتشديد الدال على انه مصدر تناد من ند البعير اذا هرب ونفر ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى

(وقال الذى آمن ياقوم انى اخاف عليكم) فى تكذيبه والتعرض له (مثل يوم الاحزاب) مثل ايام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) مثل جزاء ما كانوا عليه دآبا من الكفر وايذاء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه نفى حدوث تعلق ارادته بالظلم (وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه

بعد ذلك يوم تولون مدبرين وقول الضحاك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة فيه صفوفا فيرجعون الى مكانهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وانتصاب يوم التناد اما على انه ظرف اخاف كانه خاف عليهم فى هذا اليوم لما يلحقهم من العذاب ان اصروا على التكذيب والايذاء واما على انه مفعول به على ان يكون تقدير الكلام انى اخاف عليكم عذاب يوم التناد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه وقوله تعالى يوم تولون مدبرين يجوز ان يكون بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا بتقدير اعنى ولا يجوز ان يكون عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة ثم ان المؤمن اكد التهديد فقال مالكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فماله من هاد ثم ان ذلك المؤمن وبخ قوم فرعون بان الكفر والشك فى البينات القاطعة عادة قديمة فيكم حتى كذبتم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة وقد جاءكم يوسف عليه الصلاة والسلام بالبينات اى بالمعجزات التى من جملتها تعبير الرؤيا او بالدلائل الدالة على الوحدانية التى منها قوله ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وهذا يدل على ان يكون فرعون يوسف هو فرعون موسى فانه عاش فرعون يوسف الى زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو فرعون آخر وملوك مصر تسمى فراعنة كما تسمى ملوك الروم قياصرة وملوك العجم اكاسرة والمعنى على ان ملك مصر فى زمان يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام هو الذى كان ملكها فى زمن موسى عمر الى زمن موسى والمشهور ان اهل عصر موسى وفرعون لم يروا يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فينبغى ان يكون مقصود مؤمن آل فرعون توبيخ اهل عصره بحال آبائهم الاقدمين (قوله اوسبطه) عطف على قوله يوسف بن يعقوب والسبط ولد الولد روى ان يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام ارسل اليهم واقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده) اى لم يقولوا ذلك تصديقا برسالة من اتى بعد يوسف كيف وقد شكوا فى رسالته وكفروا بها وانما قالوه تكذيبا لرسالة من بعده مضموما الى تكذيب رسالته وجعلوا قولهم هذا اساسا لهم فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك جزما بان لا يبعث بعده رسول ويحتمل ان يقولوه جزما بذلك مع الشك فى رسالة يوسف اى لن يبعث الله من بعده من يدعيها بعده لانه لا يأتى احد بمثل ما اتى به يوسف من الخوارق (قوله وقرئ ألن يبعث) باد خال همزة التقرير على قولهم لن يبعث على ان يحمل كل واحد منهم صاحبه على ان يقر بالجزم بان لا يبعث بعده رسول (قوله مثل ذلك الاضلال) اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف لقوله يضل اى يضل الله كل مسرف شاك فى الدين بعد وضوح الحجج والبراهين اضلالا لا مثل اضلال الله اياكم حين لم تؤمنوا برسالة يوسف وقد جاءكم بالبينات (قوله لانه بمعنى الجمع) يعنى ان الموصول الاول وان كان مفرد اللفظ الا انه مجموع المعنى فصح ان يبدل منه اللفظ الموضوع للجمع بدل الكل من الكل ابدل منه تفسيرا او بيانا لوجه كونهم مسرفين شاكين اذ لا شك ان الجدال بغير حجة اما بناء على التقليد المجرد او بناء على الشبهات الخسيسة اسراف باطل وشك فى غير موضعه (قوله وافراده للفظ) جواب عما يقال على تقدير ان يكون كبر مسندا الى ضمير من ينبغى ان يقال كبروا لما مر انه بمعنى الجمع كانه قيل يضل الله المسرفين المرتابين وتقرير الجواب ان من مفرد اللفظ ومجموع المعنى فابدل الذين يجادلون منه نظرا الى جانب المعنى وافرد الضمير العائد اليه فى كبر نظرا الى جانب اللفظ قيل عليه انه اعتبار اللفظ بعد اعتبار جانب المعنى واهل العربية يجتنبون عنه واجيب بان هذا شئ نقله ابن الحاجب ولم يساعده غيره فهو غير مسلم ولو سلمناه فلا نسلم ان اعتبار اللفظ ههنا تأخر عن اعتبار المعنى بل الامر بالعكس فانه روعى فيه لفظ من اولا حيث قيل من هو مسرف ثم معناه ثانيا حيث ابدل منه الذين يجادلون الآية ثم عاد الامر الى رعاية جانب اللفظ ايضا حيث افرد الضمير الراجع اليه وليس هذا من قبيل ما يجتنب عند اهل العربية (قوله على حذف مضاف) ليعود ضمير كبر اليه ولو لم يعتبر الحذف لكان ضمير كبر مع افراده راجعا الى الذين وهو غير صحيح لعدم المطابقة بينهما ولقائل ان يقول لا نسلم انه لا بد من ارتكاب حذف المضاف فى هذا الوجه لجواز ان يرجع ضمير كبر حينئذ الى الجدال المدلول عليه بقوله يجادلون كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى ويكون التقدير كبر جدالهم مقتا اى كبر مقت جدالهم على ان مقتا تمييز منقول من الفاعلية (قوله او بغير سلطان) عطف على كبر فى قوله وخبره كبر فالتقدير الذين يجادلون فى آيات الله كائنون او مستقرون فى غير السلطان اتاهم كبر مقتا مثل ذلك الجدال القبيح فاجيب يطبع الله على قلوبهم فوضع

(يوم تولون) عن الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار وقيل فارين منها (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف) يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الاضلال (يضل الله) فى العصيان (من هو مسرف مرتاب) شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع (بغير سلطان) بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة (أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر (كذلك) اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم

قوله على كل قلب متكبر جبار موضع على قلوبهم تسجيلا عليهم بالتكبر والتجبر واشعارا بعلة الطبع المذكور (قوله على وصفه بالتكبر والتجبر) مع انهما من صفات صاحب القلب والقلب آلة له فيهما الا انه شاع اسناد الوصف القائم بالانسان الى مبداه وآلته كقولهم رأت عيني وسمعت اذني واسناد التكبر والتجبر الى القلب من هذا القبيل ويجوز ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويقال ان تقديره على كل ذى قلب متكبر لتطابق هذه القرآءة قرآءة عبد الله ابن مسعود فانه قرأ على قلب كل متكبر جبار فان الموصوف بالتكبر والتجبر على قرأءته هو صاحب القلب فتتوافق القرآءتان فان المعنى على الاضافة على كل قلب شخص متكبر جبار بخلاف ما اذا لم يقدر المضاف فى القرآءة بالتنوين فانه يصير الموصوف بهما حينئذ هو القلب لا صاحبه الذى هو الموصوف بهما فى قرآءة ابن مسعود (قوله من صرح الشئ) فانه بالتشديد كما يستعمل متعديا بمعنى اظهره يستعمل ايضا لازما بمعنى ظهر وفى الصحاح الصرح القصر وكل بناء عال وفى المجمل الصرح بيت واحد يبنى مفردا ضخما طويلا فى السماء وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد (قوله بيان لها) يحتمل ان يكون المراد ان قوله اسباب السموات بدل او عطف بيان لقوله الاسباب ويحتمل ان يكون المراد انه منصوب باضمار اعنى والاول اولى لان الاصل عدم الاضمار (قوله وفى ابهامها ثم ايضاحها) يعنى انه لو قيل من اول الامر لعلى ابلغ اسباب السموات لتم المقصود الا انه ذكر الاسباب اولا على الابهام ثم اوضحها بقوله اسباب السموات لفائدتين الاولى تفخيم شأن الاسباب التى امل بلوغها لان ايضاح الشئ بعد ابهامه انما يكون للاعتناء بشأنه والتنبيه على جلالة قدره والثانية تشويق السامع الى معرفتها فان النفس تواقة الى ما لم تنله فذكر الاسباب مبهمة لتتشوق نفس هامان الى معرفة المراد منها ثم اوضحها ليكون ايرادها على نفس تيقظت وتشوقت الى معرفتها فيحصل المقصود من ايرادها وكل ما يوصلك الى الشئ فهو سبب له واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدى اليها (قوله ولعله اراد ان يبنى له رصدا الخ) يعنى ان الظاهر ان فرعون لم يقصد ان يبنى له هامان بناء رفيعا يصعد منه الى السماء لان فرعون ليس من المجانين الذين لا يعلمون امتناع ذلك ببداهته والا لما صح من الله تعالى ان يرسل اليه رسولا ويكلفه الايمان به والامتثال لامره وان يحكى عنه شدة شكيمته وعلوه فى الاسراف وانما قلنا ان امتناع ذلك معلوم بالبداهة لان كل احد يعلم بالبداهة ان ليس فى وسع البشر ان يبنى ما هو ارفع من ارفع الجبال وان من نظر الى السماء من اسفل ما هو ارفع الجبال ثم نظر اليها من اعلى ذلك الجبل لا يجد تفاوتا فى نسبة السماء اليه بان تكون فى احدى الحالتين اقرب اليه منها فى الحالة الاخرى ومع هذا العلم كيف يقصد العاقل ان يبنى بناء يصعد منه الى السماء وفرعون من العقلاء فلا وجه لان يسند اليه مثل هذا القصد وان ذهب بعض اهل التفسير الى انه قد قصد ذلك وذكر حكاية طويلة فى كيفية بناء ذلك الصرح ولما كان قول هذا البعض بعيدا كل البعد ذكر المصنف فى وجه امره لهامان ببناء الصرح وجهين اولهما انه اراد بالصرح الرصد فى موضع عال وبالاسباب الكواكب التى هى اسباب سماوية يتوصل بها الى الاطلاع على الحوادث الارضية وباطلاعه الى اله موسى ان يطلع الى انه هل ارسل موسى عليه الصلاة والسلام اولا وثانيهما ان فرعون كان من الدهرية وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك من غير ان يستند الى صانع خارج من المجموع من حيث هو مجموع ولم يزل الحيوان مثلا من النطفة والنطفة من الحيوان لا الى نهاية وهؤلاء هم الزنادقة وفرعون كان منهم وغرضه من هذا الكلام ايراد شبهة فى نفى الصانع الذى هو اله العالم وتقريرها انا لا نرى شيأ نحكم عليه بانه اله العالم فكيف نحكم بوجود ما لم نره اما انا لا نراه فلأنه لو كان موجودا لكان فى السماء وما فى السماء لا يراه اهل الارض الا بصعود السماء ولا سبيل لنا الى صعود السماء فلا سبيل لنا الى رؤية الاله الذى هو رب موسى والحكم بوجوده الا بتقليد رجل لا نعلم أصادق هو ام كاذب ثم ان فرعون اراد المبالغة فى بيان انه لا يمكن الصعود الى السماء فامر هامان بان يبنى له صرحا يصعد منه الى السماء ليعترف بعجزه عنه مع انه اقدر اهل الارض فيتحقق امتناع الصعود الى السماء ويظهر به امتناع الوصول الى معرفة اله العالم بطريق الرؤية والاحساس وهذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس السليم والخبر الصادق ونظر العقل ولا يلزم من امتناع كون الحس طريقا الى معرفة الله تعالى امتناع معرفته مطلقا وقد بين موسى لفرعون ان الطريق الى معرفة الله تعالى انما هو النظر والاستدلال بالآثار كما قال ربكم ورب آبائكم الاولين وقال رب المشرق والمغرب الا ان فرعون بسبب خبثه ومكره تغافل عنه وألقى الى الجهال

وقرأ ابن عامر وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت اذنى او على حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى ابلغ الاسباب) الطرق (اسباب السموات) بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فأطلع الى اله موسى) عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء متوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه (وانى لأظنه كاذبا) فى دعوى الرسالة

انه لما كان الطريق الى الاحساس بهذا الاله منتفيا وجب نفيه وتكذيب من يدعى انه رسول من قبله (قوله ومثل ذلك التزيين) اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى زين له وصده تزيينا وصدا مثل ذلك التزيين والصد والمعتزلة لما ابوا من اسناد التزيين والصد اليه قالوا المزين والصاد هو الشيطان ونحن نقول ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان ان كان شيطانا آخر لا الى نهاية لزم التسلسل فى الشياطين او الدور وهو باطل ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات الى واجب الوجود وان الفاعل الحقيقى هو الله تعالى وان اسناده الى الشيطان فى نحو قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم باعتبار ان له مدخلا فيها بوسوسته (قوله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح) اى بفتح الزاى لانه جرى ذكر الله موسى ومن قرأ وصد على بناء الفاعل اسنده الى ضمير فرعون وحذف مفعوله اى صد قومه عن الهدى والرشاد ضد الغواية وكلاهما من صفات من يسلك السبيل والاضافة فى سبيل الرشاد من قبيل اضافة السبب الى المسبب اى سبيلا يرشد سالكه ويأمن من الغواية (قوله تمتع يسير) يعنى ان المتاع اسم بمعنى المتعة وهى التمتع والانتفاع لا بمعنى السلعة لان وقوعه خبرا عن الحياة الدنيا يمنع منه وان التنكير فيه للتقليل وفى الصحاح المتاع السلعة والمتاع ايضا المتعة وهى ما تمتعت به ولما كانت الحياة الدنيا ولذاتها سريعة الزوال وكانت الآخرة دار القرار ظهر ان العاقل ينبغى ان يسعى فيما يسعده فى دار الابد ويتمتع فى الدنيا بما يبلغه الى سعادة الآخرة لان الدائم خير من المنقضى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق ولما بين ان سبيل الرشاد هو التجافى عن دار الفناء والغرور والانابة الى دار الابد والخلود بين كيف تحصل المجازاة فى الآخرة فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها فى الاستحقاق قال الامام فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد فى كفره انه طاعة وايمان فلهذا السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى على ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فانه يعتقد فى حق فسقه انه جناية ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم كان عقابه منقطعا وما قوله المعتزلة من ان عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها ايضا ليس دائما بل هو منقطع ايضا فاثابته بعذاب دائم تكون على خلاف قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها (قوله وفيه دليل على ان الجنايات) اى سواء كانت فى النفوس او الاعضاء او الاموال تغرم بمثلها لانه تعالى بين ان جزاء السيئة سيئة مماثلة لها فدلت الاية على وجوب رعاية المماثلة بينهما وان الزائد على المثل غير مشروع (قوله ولعل تقسيم العمال) اى بقوله من ذكر او انثى وقوله تعالى اولئك مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبره وتعريف المسند اليه بالاشارة للتنبيه على ان المشار اليه جدير للحكم المذكور وبعد اسم الاشارة لاجل الاوصاف المذكورة بعد المشار اليه كما فى قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم فان المشار اليه وهم المتقون قد عقب باوصاف هى الايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق مما رزقناهم ثم قيل اولئك على هدى للتنبيه على ان كونهم على الهدى عاجلا وفوزهم بالفلاح آجلا من اجل اتصافهم بالاوصاف المذكورة فكذا الحال ههنا فانه عرف المسند اليه بايراده اسم اشارة للتنبيه على ان فوزهم بدخول الجنة وكونهم مرزوقين فيها بغير حساب من اجل اكتسابهم عملا صالحا حال اتصافهم بالايمان ووجه دلالة هذا الاسلوب على تغليب جانب الرحمة ان الجزاء المذكور قد علق على ان يعمل العامل صالحا واحدا من الصالحات بشرط الايمان فان صالحا فى قوله من عمل صالحا نكرة فى سياق الاثبات فلا تعم فجرى مجرى ان يقال من ذكر كلمة او خطى خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من اتى بتلك الكلمة او تلك الخطوة مرة واحدة فكذا ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب وان زنى وان سرق ومن قال ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب منها يبقى خالدا فى النار ابدا فقد خالف هذا النص الصريح ولا خفاء فى دلالة هذه الاية على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب حيث دلت على ان الصالح الواحد يؤدى الى النعيم الدائم وما اكتسبه صاحبه من السيئات وان كثرت معفو اما ابتداء واما بعد ان يعاقب بما يماثله (قوله وان ثوابه) اى ثواب العمل اعلى من اجل الايمان لان ما ذكر من الثواب العالى لما جعل مشروطا بالايمان دل ذلك على ان علو ذلك الثواب من اجل الايمان (قوله عن سنة الغفلة) اى عن غفلة كالسنة وهى بكسر السين فتور يتقدم النوم فالاضافة فيه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء (قوله ومبالغة

(وكذلك) ومثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده (وما كيد فرعون الا فى تباب) اى خسار (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى (يا قوم اتبعونى اهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هى دار القرار) لخلودها (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك (ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له

في توبيخهم على مايقابلون به نصحه (فان تكرير ندائهم باضافتهم الى نفسه يدل على انه ناصح لهم مخلص في حقهم
وان له مزيد شفقة واهتمام برشدهم فيكون مقابلة نصحه لهم بالاساءة والايذاء في غاية القباحة فيكون المقصود من
هذا النداء مع ماذكر بعده من المنادى له توبيخ قومه باساءتهم اليه في مقابلة نصحه لهم فان قوله تعالى مالي جملة
اسمية والاستفهام فيه للتوبيخ وادعوكم في موضع الحال من المنوي في الخبر وتدعونني عطف عليه ويحتمل ان تكون
الجملة المعطوفة مع ما عطفت عليه كلاما مستأنفا بيان الحال المستفهم عنها كانه قيل كيف حالي معكم وهي اني
ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان والتوحيد وتدعونني الى النار بالاشراك (قوله وعطفه على النداء الثاني)
جملة اسمية اي وعطف قوله وياقوم مالي ادعوكم على قوله انما هذه الحياة الدنيا متاع وانما عطف عليه لاشتراكهما
في ان كل واحد منهما بيان وتفسير لما اجمل في قوله اهدكم سبيل الرشاد فان الذي آمن نادى قومه اولا وامرهم
بان يتبعوه فيما هو عليه ووعد لهم في مقابلة اتباعهم اياه بان يهديهم سبيل الرشاد وذلك السبيل مجمل محتاج الى
البيان والتفسير ثم ناداهم ثانيا وادخل هذا النداء على ما هو بيان لما اجمله اولا فان قوله انما هذه الحياة الدنيا متاع وان
الآخرة هي دار القرار ذم للدنيا بسرعة زوالها وتعظيم للآخرة بانها دار تستقر وتبقى ولا يطرأ عليها الفناء وان اهلها
يقرون فيها من غير امد وانقضاء والمقصود منه ان يبين ان سبيل الرشاد ان لا ينهمك المرء في حظوظها ولذاتها
لعدم استقرارها وبقائها وان يسعى ويجتهد فيما يسعده في دار الابد والبقاء (قوله ولذلك) اي ولكون الكلام الذي
دخل عليه النداء الثاني بيانا لما قبله لم يعطف النداء الثاني على النداء الاول لان النداء حكمه حكم ما دخل عليه
من الكلام فاذا دخل على كلام لو انفرد عن النداء لم يدخله العاطف لا يدخل العاطف على النداء ايضا واذا دخل
على ما يجوز دخول العاطف عليه يجوز دخول العاطف على نفس النداء ايضا وقد دخل النداء الثاني في الآية
على ما هو بيان المجمل وتفصيل له فلم يجز عطفه عليه لان البيان لا يعطف على المبين لكونه بمنزلة عطف الشيء
على نفسه لكمال الاتصال بينهما فكذا لم يجز عطف النداء الداخل على البيان على ما دخل على المبين (قوله
فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه علة لقوله وعطفه على النداء الثاني كانه قيل انما قلنا ان النداء الثالث
معطوف على النداء الثاني لانه يشارك الثاني في كونه تفسيرا لما اجمل في الاول تصريحا وتعريضا فان النداء
الاول تصريح بان السبيل الذي يدعوهم اليه سبيل الرشاد وتعريض بان سبيل قومه سبيل الغواية والضلال
وكل واحد من السبيلين مجمل فقوله بعد النداء الثالث ادعوكم الى النجاة تفسير وبيان للسبيل المصرح به بان مآله
النجاة من النار وقوله وتدعونني الى النار بيان للسبيل المعرض به بان مآله النار ولما شارك النداء الثالث للثاني
في ان كل واحد منهما تفسير لما اجمل في الاول عطف الثالث على الثاني (قوله او على الاول) عطف على الثاني
في قوله وعطفه على النداء الثاني اي ويجوز ان يكون الثالث معطوفا على الاول لكون مدخوله مغايرا لمدخوله
بحيث لا يكون تفسيرا له فان قوله مالي ادعوكم الى النجاة ليس من جنس قوله اهدكم سبيل الرشاد من حيث ان
مدخول النداء الاول يدل على الملاطفة ومحاض النصح والشفقة ومدخول الثالث يدل على المغلظة والمخالفة
بينه وبينهم وانه محق وانهم مبطلون والوعيد بان مصيرهم الى النار (قوله بدل او بيان) يعني ان قوله تدعونني لاكفر
بدل من قوله تدعونني الى النار وفيه تعليل لمضمون متبوعه بان الكفر ما ادى الى الخلود في النار (قوله والدعاء
كالهداية) جواب عما يقال ما بال فعل الدعاء حتى عدي اولا بالى وثانيا باللام واجاب بان تعديته بكل واحدة
منهما لغة شائعة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (قوله والمراد نفي المعلوم)
وهو ربوبية ما يزعمونه شريكا له تعالى كانه قيل واشرك به ما ليس شريكا له في الربوبية فهو من باب نفي الشيء بنفي
لازمه على سبيل الكناية فان عدم العلم بربوبية الشريك من لوازم عدم كونه شريكا في الواقع وانما حمله على الكناية
لان عدم العلم بالشيء لا يكون سببا لانكار القوم في دعوتهم اياه الى اشراكه به تعالى واتى بقوله تدعونني جملة فعلية
لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها واتى بقوله وانا ادعوكم جملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويتها) قوله
اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها الخ) يعني ان مؤمن آل فرعون بعد ما رد عليهم ما دعوه اليه من الكفر
والاشراك بقوله لا جرم استدل به على بطلان ربوبية الاصنام ويمكن تقريره بثلاثة اوجه الاول ان تنكير دعوة
في سياق النفي يدل على ان الاصنام لا تدعو الخلق الى عبادة انفسها اصلا ومن حق المعبود ان يدعو الناس الى
عبادته بارسال الرسل وانزال الكتب وهذا الشأن منتف عن الاصنام بالكلية لانها في الدنيا جمادات لا تستطيع شيأ

ومبالغة في توبيخهم ؛ بما يقابلون به نصحه وعطفه
على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك
لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل
فيه تصريحا او تعريضا او على الاول (تدعونني لاكفر
بالله) بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية
في التعدية بالى واللام (واشرك به ما ليس لي به
بربوبيته (علم) والمراد نفي المعلوم والاشعار بان
الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن
ايقان (وانا ادعوكم الى العزيز الغفار) المستجمع لصفات
الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من
العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب
والغفران (لا جرم) لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل
بمعنى حق وفاعله (ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الآخرة) اي حق عدم دعوة آلهتكم
الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي
الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة
دعوة لها

من دعاء غيرها و فى الآخرة اذا انشاها الله تعالى حيوانا نطقا تتبرأ من عبدتها والثانى ان الاصنام كيف تكون ربا وليس لها دعوة مستجابة من قبل عبدتها فان العبدة وان كانوا يدعون الالهة لكنها لا تستجيب لداعيها حتى تثبت لها دعوة مستجابة فلما لم تثبت لها دعوة مستجابة قيل ليس لها دعوة لان الداعى اذا دعا ولم يستجب له فكانه لم يدع فقوله وليس له دعوة بتنكير دعوة فى سياق النفى الدال على الاستغراق مبنى على جعل الدعوة الغير المستجابة كلا دعوة او على تسمية المسبب وهو الاستجابة باسم السبب الذى هو الدعاء حيث ذكر الدعوة واريد الاستجابة مجازا مرسلا لعلاقة السببية والثالث كالثانى بحسب المعنى الا انه قدر المضاف فى قوله ليس له دعوة اى ليس لها استجابة دعوة اصلا (قوله وقيل جرم بمعنى كسب) اى قيل لا رد لما دعوه اليه من الكفر والاشراك وقوله جرم فعل بمعنى كسب وفاعله المستكن فيه راجع الى الدعاء الذى دل عليه تدعوننى لاكفر بالله واشرك به وان ان مع ما فى حيزها مفعول جرم بمعنى كسب ومعناه كون دعائهم اياه الى الاشراك وعبادة الاصنام سيبا فى بطلان تلك الدعوة والعبادة كانه قيل انكم تزعمون ان دعاءكم الى الاشراك يبعثنى على الاقبال عليه والحال انه سبب الاعراض عنه وظهور بطلانه (قوله وقيل فعل) عطف على قوله وجرم فعل بمعنى حق فعلى هذا يكون جرم اسم لا مبنيا على الفتح لا فعلا ماضيا كما هو كذلك على الوجهين الاولين (قوله ويؤيده) اى يؤيد كون جرم بالفتحات اسم لا قولهم لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء ووجه التأييد ان جرم فيه اسم لا بلا شبهة وان فعلا وفعلا اخوان يجيئان بمعنى واحد كالرشد والرشد والعدم والعدم وانهما لغتان بمعنى واحد فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا لا بد لك من فعله فكذلك معنى لا جرم ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة لا جرم ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اى لا تزال باطلة ولا ينقطع ذلك فينقلب حقا ولما بلغ مؤمن آل فرعون فى باب النصيحة الى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم عند معاينة العذاب حين لا ينفعكم الذكر وهو كلام مجمل فى باب التخويف بعد تفصيل وجوهه ولما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه وخوفوه بالقتل فعول فى دفع مكرهم وكيدهم على الله تعالى حيث قال وافوض امرى الى الله كما رجع موسى اليه تعالى حين خوفه فرعون بالقتل فقال انى عذت بربى وربكم من كل متكبر قال مقاتل لما قال المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه فذلك قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال الضحاك ارادوا قتله فرأى له جبل فصعده فكان من يأتيه من جنود فرعون تأكله السباع اويرجع عنه فيقتله فرعون وقيل انهم قتلوه مع السحرة فعلى هذا يكون ضمير فوقاه راجعا الى موسى (قوله الغرق او القتل او النار) الاول على ان يكون المراد بآل فرعون نفس فرعون وقومه والثانى ان يكون المراد به طلبة المؤمن والثالث على ان يكون قوله النار خبر محذوف وهو ضمير سوء العذاب او بدلا منه فان كان المراد بسوء العذاب الغرق او القتل يكون الاستئناف لبيان حالهم بعد ما حاق بهم سوء العذاب من الغرق او القتل وان كان المراد به النار يكون الاستئناف لبيان كيفية تعذيبهم المدلول عليه بقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب ويكون قوله يعرضون استئنافا آخر لبيان كيفية تعذيبهم بها (قوله مثل يصلون) اى يدخلون من قولك صليت العود نارا اذا ادخلته النار وقوله يعرضون لكونه بمعنى يحرقون يفسر هذا المضمر بمعنى انه يدل على اضماره فان احراقهم بالنار انما يكون بعد ادخالهم فيها فكانه قيل يصلون النار يعرضون عليها واستدل بهذه الآية على ثبوت عذاب القبر اذ ليس المراد بها انهم يعرضون عليها فى الدنيا لان العرض المذكور فيها ما كان حاصلا فى الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة فدلت الآية على ثبوت العرض لارواحهم كما روى عن ابن مسعود انه قال ان ارواح آل فرعون فى اجواف طير سود تغدو وتروح الى النار يعرضون على النار كل يوم مرتين فيقال يا آل فرعون هذه داركم وهذا يؤذن بان العرض ليس بمعنى التعذيب والاحراق بل هو بمعنى الاظهار والابراز وان الكلام على القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض فان اصله عرضت الحوض على الناقة بسوقها اليه وايرادها عليه فكذا هنا اصل الكلام النار تعرض عليهم اى على ارواحهم بان تساق الطير التى ارواحهم فى اجوافها الى النار وعن مقاتل وقتادة والسدى والكلبى رحمهم الله تعرض روح كل كافر على النار غدوا وعشيا ما دامت الدنيا وعن نافع عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد (وان مردنا الى الله) بالموت (وان المسرفين) فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم اصحاب النار) ملازموها (فستذكرون) فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب (ما اقول لكم) من النصيحة (وافوض امرى الى الله) ليعصمنى من كل سوء (ان الله بصير بالعباد) فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى (وحاق بآل فرعون) بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (سوء العذاب) الغرق او القتل او النار (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة

ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة رواه الشيخان فى صحيحيهما (قوله وذكر الوقتين يحتمل التخصيص) لجواز ان يكتفى فى القبر بتعذيبهم بهذا النوع من العذاب فى هذين الوقتين وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان ينفس عنهم او يعذبوا بنوع آخر من العذاب ويحتمل ان يكون ذكر الوقتين كناية عن الدوام كما فى قوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان قيل الغدو والعشى انما يحصلان فى الدنيا واما فى القبر فلا وجود لهما فيه فكيف يمكن حمل الآية على عذاب القبر قلت انما هو امر تقديرى بحسب بكرة يوم الدنيا وعشيه (قوله فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا) اشارة الى ان قوله تعالى ويوم تقوم معمول لقول مضمر حكى به الجملة الامرية التى هى قوله ادخلوا بهمزة وصل على انه امر من دخل يدخل وآل فرعون منادى حذف حرف النداء منه واشد العذاب مفعول به وقرئ بهمزة القطع على انه امر للملائكة من أدخل يدخل وآل فرعون مفعوله الاول واشد العذاب ثانى مفعوليه قال ابن عباس يريد به الوان العذاب الذى كانوا يعذبون به منذ اغرقوا (قوله ويحتمل عطفه على غدوا) فلا يكون معمولا لاذكر بل يكون ظرفا لقوله يعرضون اى يعرضون على النار فى هذه الاوقات كلها وعلى تقدير كونه معمولا لاذكر يكون وجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما ختم قصة آل فرعون عند قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وانجر الكلام فى تلك القصة الى شرح احوال اهل النار ذكر الله تعالى عقيبها قصة المناظرات التى تجرى بين الرؤساء والاتباع من اهل النار فقال واذكر اذ يتحاجون الآية اى يتخاصمون ثم شرح خصوماتهم وفصلها بقوله فيقول الضعفاء للرؤساء هل تقدرون على ان تدفعوا عنا نصيبا من العذاب يقصدون بذلك توبيخ الرؤساء وايلام قلوبهم والمبالغة فى اظهار عجزهم لانهم يعلمون ان الرؤساء لا يقدرون على تخفيف شئ من العذاب (قوله اوذوى تبع) على ان يكون قوله تبعا مصدرا بمعنى الاتباع يقال تبع القوم تبعا اذا مشى خلفهم واخبار الضعفاء عن انفسهم بانهم كانوا اتباعا للرؤساء مبنى على اضمار المضاف او على انه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل بمعنى ذى عدل او عادل (قوله ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون) فان اغنى قد يتعدى بنفسه فيقال اغناه الله وقد يتعدى بكلمة عن فيقال ما يغنى عنك هذا اى ما يجزى عنك وما ينفعك واذا عدى بعن لا يتعدى الى مفعول آخر بنفسه وقد عدى ههنا الى قوله نصيبا فذكر لانتصابه ثلاثة اوجه الاول انه مفعول لفعل مقدر دل عليه مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا والثانى ان يضمن مغنون معنى حاملين والثالث ان ينتصب على المصدر كانتصاب شيأ فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فان شيأ فيه فى موضع اغناء فكذلك نصيبا وقوله من النار متعلق به وكل فى قول الرؤساء انا كل فيها مرفوع على الابتداء فى قراءة العامة وفيها خبره والجملة خبر ان وكل وان كان لفظه نكرة الا انه جاز الابتداء به لكونه معرفة من حيث المعنى لان التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اى كلنا فيها والمصنف اشار اليه بقوله نحن وانتم وهذا كقوله تعالى فى آل عمران قل ان الامر كله لله فى قراءة ابى عمرو (قوله فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة) يعنى ان المستكن فى الظرف معمول له فكون قوله كلا حالا من المستكن فيه يستلزم ان يكون معمولا له ايضا والظرف وان جاز ان يعمل فى الظرف المتقدم لا يعمل فى الحال المتقدمة فلا يجوز ان يقال قائما فى الدار زيد ويجوز ان يقال كل يوم لك ثوب قيل عليه قد اجاز الاخفش ان يعمل الظرف فى الحال المتقدمة اذا توسطت الحال نحو زيد قائما فى الدار وزيد قائما عندك والآية من هذا القبيل لان كلا فيها قد وقع بين المسند والمسند اليه الا ان قال مراد المصنف بقوله ولا يجوز جعله حالا انه لا يجوز عند الجمهور ولما اجاب الرؤساء اياهم بانا لو قدرنا على الاغناء لاغنينا انفسنا وبانه تعالى قد حكم بين العباد بما يستحقه كل احد فلا معقب لحكمه اعرض الضعفاء عن المتبوعين والتجأ والى خزنة جهنم وهم القوام بتعذيب اهلها طمعا فى التخفيف بدعائهم لهم (قوله اولبيان محلهم فيها) اى محل الخزنة فى النار على ان لا يكون النار وجهنم اسمين لمسمى واحد بل يكون جهنم اسما لموضع فى النار هو اشد المواضع قعرا وبعدا فيها من قولهم بئر جهنام اى بعيدة القعر يعاقب فيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع تكون اعظم خزنة النار قدرا ودرجة عند الله تعالى فلما عرفت الكفار ان الامر كذلك استغاثوا بهم من بين خزنة النار فقوله ويحتمل ان يكون جهنم الخ من تتمة قوله اولبيان محلهم فيها (قوله قدر يوم) اشارة الى ان قوله يوما ظرف لقوله يخفف ومفعوله

وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر (ويوم تقوم الساعة) اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا آل فرعون) يا آل فرعون (اشد العذاب) عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص أدخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار (واذ يتحاجون فى النار) واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) تفصيل له (انا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم فى جمع خادم اوذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون اوله بالتضمين او مصدر كشيأ فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فتكون من صلة لمغنون (قال الذين استكبروا انا كل فيها) نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب (ان الله قد حكم بين العباد) بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) اى لخزنتها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل اولبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) قدر يوم (من العذاب) شيأ من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه

محذوف ومن العذاب بيان لذلك المحذوف اى يخفف شيأ من العذاب فى مقدار يوم واحد من ايام الدنيا ثم اشار الى
جواز ان يكون يوما مفعول يخفف بتقدير المضاف اى يخفف عنا عذاب يوم لان نفس اليوم لا يخفف وانما يخفف
ما فيه ومن العذاب بيان لذلك المقدر الذى سألوا ان يخفف عنهم فاجابهم الخزنة موبخين اياهم على ترك اجابتهم دعوة
الرسل فى الدنيا بقولهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اى كيف تدعوربنا بما ذكرتم وقد تركتم اجابتكم دعوة
الرسل بتصديقهم والايمان بهم بل كفرتم بهم وكذبتم بالآيات (قوله اذ لم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم) اى لا تنفع
الا بشرطين احدهما ان يكون المشفوع له مؤمنا والثانى حصول الاذن فى الشفاعة ولم يوجد شئ من هذين
الشرطين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة ثم صرحوا بانه لا اثر لدعائهم فقالوا وما دعاء
الكافرين من اضافة المصدر الى فاعله بمعنى ما دعاء الكافرين لانفسهم ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى
مفعوله اى وما دعاء غيرهم لهم بتخفيف العذاب عنهم الا فى ضلال ثم انه تعالى لما بين ان الكفار لا ينصرون فى الآخرة
البتة ذكر ان النصرة فى الدنيا والآخرة لمن تكون فقال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بهم وصدقوهم فقد وعد بان
يتولى نصرة اهل الحق من الرسل واتباعهم فى الدنيا والآخرة ونصرتهم فى الدنيا تكون من وجوه منها ان ينصرهم
بالحجة والبرهان فان اهل الزيغ حجتهم داحضة بخلاف حجة المحقين فانه يمتنع ان يتطرق اليها الخلل والفتور ابد الآباد
وقد سمى الله تعالى هذه النصرة سلطانا فى غير موضع وهى اقوى من سلطنة الدنيا لانها قد تبطل وقد تتبدل بالفقر
والذلة بخلاف سلطنة الحجة ومنها ان ينصرهم بان يجعل الظفر والقهر والغلبة فى المحاربة لهم على اعدائهم فانه
لم ير كون الرسول مغلوبا فى المحاربة وان اتفق ان يقع لبعض من المحقين نوع من انواع المكاره من قبل
اعدائهم كما وقع ليحيى وزكرياء وبعض آخر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه تعالى قد انتقم لهم من اعدائهم
فى الدنيا ولو بعد حين ألا ترى ان يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون الفا على يد بخت نصر ومنها انهم منصورون
بالمدح والتعظيم ايضا فان اعداءهم وان غلبوا عليهم فى بعض الاحيان الا انهم لا يقدرون على اسقاط مدحهم
من ألسنة الناس واسقاط تعظيمهم ومحبتهم من قلوبهم فهم منصورون فى الدنيا باحد هذه الوجوه لا محالة
وفى الآخرة ايضا باعلاء درجاتهم فى مراتب الثواب وتعذيب اعدائهم فى دركات العقاب وانما آثر قوله ويوم يقوم
الاشهاد على قوله وفى الآخرة للايذان بان السلطان العظيم اذا خص بعض اوليائه بالاكرام والتشريف بمحضر
الاشهاد والجمع العظيم يكون ذلك الذ وابهج بالنسبة الى الكرامة فى الخلوة والمراد بالاشهاد كل من يشهد باعمال العباد
يوم القيامة من الملائكة والانبياء والمؤمنين اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا واما الانبياء
فانهم يحضرون يوم القيامة ليشهدوا على الامم بالتصديق والتكذيب قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنابك على هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فانهم يشهدون على الناس ايضا يوم القيامة قال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم انه تعالى بين ان اكرام الانبياء وتشريفهم
يكون فى يوم القيامة بان يحصل لاعدائهم فيه امور ثلاثة الاول انهم لا ينفعهم شئ من المعاذير البتة والثانى ان
لهم اللعنة وهذا يفيد انحصار اللعنة فيهم وهى الاهانة والاذلال والثالث اختصاصهم بسوء الدار والمقصود من بيان
اكرام الانبياء فى زمان اهانة الاعداء تعظيم ثواب الانبياء لان الاشياء تعرف باضدادها (قوله وعدم نفع
المعذرة الخ) جواب عما يقال قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على انهم يذكرون الاعذار الا انها لا تنفعهم
فما وجه الجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وتقرير الجواب ان قوله تعالى لا ينفع الظالمين معذرتهم
لا يدل الا على انه ليس عندهم عذر مقبول نافع وصدقه لا يستلزم انهم يذكرون الاعذار ولكنها لا تنفعهم بل يصدق
بان لا يعتذروا اصلا فان من لم يعتذر اصلا يصدق ان يقال انه لم يعتذر بما ينفعه فلا منافاة بينهما ان كان سلب النفع
لانتفاء اصل المعذرة واما ان كان سلب النفع عنها مبنيا على انهم يذكرون الاعذار ولكنها لا تنفعهم لبطلانها فحينئذ
يحتاج فى دفع التناقض الى اعتبار تعدد الاوقات فان يوم القيامة يوم طويل فجاز ان يعتذروا فى وقت آخر بان
يمنعوا من الكلام بان يقال لهم اخسأوا ولا تكلمون ثم انه تعالى لما بين انه ينصر الانبياء ومن آمن بهم فى الدنيا
والآخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة فقال ولقد آتينا موسى الهدى (قوله وتركنا عليهم بعده) اشارة
الى ان قوله اورثنا مستعار لتركنا عليهم بعده لتعذر حمله على اصل معناه لان الايراث الحقيقى انما يتعلق بالمال
والنكتة فى اختيار طريق التجوز الاشعار بان ميراث الانبياء ليس الا العلم والكتاب الهادى فى باب الدين

(قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) ارادوا به
الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات
الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة (قالوا بلى قالوا
فادعوا) فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن لنا فى الدعاء
لامثالكم وفيه اقناط لهم من الاجابة (وما دعاء
الكافرين الا فى ضلال) ضياع لا يجاب
(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالحجة والظفر
والانتقام لهم من الكفرة (فى الحياة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد) اى فى الدارين ولا ينتقض ذلك
بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة
بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة
للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين
(يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الاول
وعدم نفع المعذرة لانها باطلة اولانه لا يؤذن
لهم فيعتذرون وقرئ غير الكوفيين ونافع بالتاء
(ولهم اللعنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار)
جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدى به
فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع
(واورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم بعده

(قوله من ذلك) اشارة الى الهدى خص الكتاب بكونه متروكا لهم بعده لان سائر ما اهتدى به فى امر الدين قد ارتفع بموته (قوله هداية وتذكرة) يعنى ان هدى وذكرى يجوز ان يكونا مفعولين لهما وان يكونا مصدرين بمعنى اسم الفاعل وقعا موقع الحال وانتصبا على الحالية والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على شئ آخر وليس من شرطه ان يذكر شيأ آخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذى يكون كذلك وكتب الانبياء مشتملة على هذين القسمين فان بعضها دلائل فى انفسها وبعضها مذكرات لما ورد فى الكتب الالهية المتقدمة (قوله واستشهد بحال موسى) اشارة الى ان قوله تعالى فاصبر مرتب على قوله انا لننصر رسلنا وان قوله ولقد آتينا موسى الهدى كالجملة المعترضة اوردت بينهما للبيان والتأكيد لنصرة الرسل كانه قيل اذا سمعت ما وعدت به من نصرة الرسل وما فعلنا بموسى من ايتائه اسباب الهدى والنصرة على فرعون وقومه وابقاء آثار هداه فى بنى اسرآئيل بعده فاعلم ان الله ناصرك كما نصرهم واصبر على اذى المشركين فان العاقبة لك (قوله وتدارك فرطاتك) قيل المصدر فى قوله تعالى واستغفر لذنبك مضاف الى المفعول اى لذنب امتك فى حقك والظاهر انه تعالى يقول ما اراد ان يقول وان لم يجز لنا ان نضيف اليه ذنبا وقيل هذا تعبد من الله تعالى لرسوله ليزيد به درجة وليصير ذلك سنة لمن بعده (قوله ودم على التسبيح والتحميد لربك) اشارة الى ان المقصود من ذكر العشى والابكار الدلالة على المداومة عليهما فى جميع الاوقات بناء على ان الابكار عبارة عن اول النهار الى نصفه والعشى عبارة عن نصف النهار الى اول النهار من اليوم الثانى فيدخل فيهما كل الاوقات وقيل المراد بهما طرفا النهار كما قال أقم الصلاة طرفى النهار وكثيرا ما يذكر طرفا الشئ ويراد كله قوله بل هو المسيح بن داود) يعنون به الدجال فان اليهود قالوا فى صدد الانكار لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج صاحبنا الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فالآية وان نزلت فيهم او فى مشركى مكة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذلك قال المصنف الذين يجادلون عام فى كل مجادل مبطل سوآء كان من اليهود او من مشركى مكة او غيرهما فهو تعالى لما ابتدأ بالرد على الذين يجادلون فى آيات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هنا نبه الله تعالى على ان الداعية التى دعتهم الى تلك المجادلة الباطلة الكبر الذى فى صدورهم اى فى قلوبهم عبر بالصدر عن القلب لكونه موضع القلب فكنى به عنه وفسر الكبر اولا بالتكبر عن الحق والتعظم عن تعلمه والتفكر فيه وفسره ثانيا بارادة التقدم والرياسة على النبى والمؤمنين وان لا يكون احد فوقهم فلذلك عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعوا آياته خيفة ان يتقدمهم ويكونوا تحت يده وامره ونهيه لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفسره ثالثا بانه ارادة ان تكون لهم النبوة دونه حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه واعتبرت الارادة فى هذين الوجهين لان نفس الرياسة والنبوة ليستا فى قلوبهم (قوله ببالغى دفع الآيات) على ان يكون ضمير بالغيه راجعا الى الكبر بمعنى التكبر والتعظم من الانقياد للحق بتقدير المضاف اى ما هم ببالغى مقتضى كبرهم وهو دفع الآيات فانى انشر انوارها فى الآفاق واعلى قدرك وانفذ امرك ونهيك بين العباد (قوله او المراد) مبنى على ان يكون الكبر بمعنى ارادة الرياسة او ارادة الاختصاص بالنبوة فيكون كل واحد منهما مرادا (قوله فالتجئ اليه) فى السلامة من كيد من يحسدك ويتكبر عن متابعتك (قوله وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه بامر توحيد) اى لا شبهة بذلك فى كونه معظم ما يجب الاعتقاد به فان اول ما يجب على المكلف بعد الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وبالرسالة ان يعتقد بحقية البعث والجزآء فان الاعتقاد بها هو الذى يحمل المكلف على رعاية احكام الشرع وان المجادلة فيها اصل المجادلة فى كل شئ ومدارها لان من اعترف بالبعث والحساب يترك المجادلة فى آيات الله تعالى رأسا ويجتهد فى رعاية جميع ما جاء به الشارع من الاحكام فعلى هذا يكون قوله اشكل اسم تفضيل من التشكل بمعنى المثل وتكون الباء فى قوله بامر التوحيد صلة اشكل ولم توجد كلمة الباء فى اكثر النسخ فينبغى ان يكون امر التوحيد حينئذ منصوبا بنزع الخافض وفى الصحاح الشكل بالفتح المثل والجمع اشكال يقال هذا أشكل بكذا اى اشبه به ومقصود المصنف من هذا الكلام الاشارة الى وجه اتصال قوله تعالى لخلق السموات والارض الآية بقوله ان الذين يجادلون فى آيات الله الآية فان امر البعث كان مما يجادلون فيه وينكرونه بل هو مبنى مجادلتهم فى كل ما يجادلون فيه واشبه بامر التوحيد من بين جميع ما يجادلون فيه فلا جرم

من ذلك التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة اوهاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة (فاصبر) على اذى المشركين (ان وعد الله حق) بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) وأقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم (ما هم ببالغيه) ببالغى دفع الآيات او المراد (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه (انه هو السميع البصير) لاقوالهم وافعالهم (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه بامر التوحيد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهوآءهم

احتج الله على حقيته بانكم تعترفون بان خالق السموات والارض هو الله تعالى وبانها خلق عظيم لايقادر قدره وان خلق الانسان بالقياس اليه شيء قليل مهين لاسيما اذا قيس على وجه الاعادة فمن قدر على خلقها مع عظمها كيف يعجز عن خلق ما هو احقر منها واهون وهذا الاحتجاج ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لان الاستدلال بالشيء على غيره على ثلاثة اوجه الاول ان يقال من قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد والثاني ان يقال من قدر على شيء وجب ان يقدر على مثله وهو استدلال صحيح لما تقرر ان حكم الشيء حكم مثله الثالث ان يقال من قدر على الاعظم الاقوى وجب ان يقدر على الادنى الاضعف بالاولوية وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولايرتاب فيه عاقل البتة (قوله الغافل والمستبصر) يعني ان المراد بالاعمى من عمي قلبه عن رؤية الآيات والاستدلال بها وبالبصير من ابصرها واستدل بها وهو احتجاج آخر على حقية البعث والجزاء واشار اليه المصنف بقوله فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت (قوله وزيادة لافي المسيء) اراد بزيادتها مجرد ذكرها الا ذكرها خالية عن المعنى ويشهد عليه قوله لان المقصود الخ اعلم ان الاخفش ذهب الى ان كلمة لا الواقعة بين فاعلي فعل الاستواء زائدة اينما وقعت واستدل عليه بان فعل الاستواء مثبتا كان او منفيا لايكون الابين اثنين او اكثر ومن ثم لزم العطف على فاعله واسناده الى ضمير التثنية او الجمع ولا يصح اسناده الى كل واحد من المتقابلين بانفراده لاستحالة قيامه وحده فلو قيل لايستوي زيد ولا عمرو وجب ان تجعل لا زائدة وذهب الجمهور الى انها ليست بزائدة بل يؤتى بها لتفيد نفي مساواة كل واحد من المتقابلين للآخر فيما يخصه من المعاني والاوصاف والمعنى في الآية نفي مساواة المحسن للمسيء فيما يستحقه من الحقارة والهوان ونفي مساواة المسيء للمحسن فيما له من الفضل والكرامة كانه قيل ومايستوي المؤمن الذي عمل صالحا والمسيء ولا المسيء والمؤمن (قوله والعاطف الثاني) وهو ما في قوله والذين فانه ثان بالنسبة الى ما في قوله والبصير يعني ان البصير عاطف على الاعمى عطف فرد على فرد نفي استواءهما اولا ثم عطف مجموع الموصول وما عطف عليه عطف فرد على فرد على مجموع الاعمى والبصير عطف شفع على شفع فافاد انهما لايستويان ايضا لان المجموع الثاني يغاير المجموع الاول بحسب الوصف وان اتحدا بحسب الذات فان مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المحسن والمسيء الا انهما متغايران بحسب الوصف فان الطائفتين اللتين نفيت المساواة بينهما عبر عنهما اولا بالاعمى والبصير وثانيا بالمؤمن والمسيء الفاجر ولا تغاير بينهما الا بحسب الوصف بناء على ان المقصود بالوصفين الاولين مغاير لما قصد بالوصفين الاخيرين (قوله او الدلالة بالصراحة والتمثيل) هذا على ان يكون المقصود بما ذكر من الوصفين اولا عين ما ذكر منهما ثانيا بان يكون الاعمى مثلا للمسيء والبصير مثلا للمؤمن العابد فحينئذ لايكون بين الشفعين الاخيرين فرق الا بان يدل احدهما على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا فان الشفع الثاني حينئذ وان اتحد بالشفع الاول بحسب الذات وبحسب ما قصد بهما من الوصفين الا ان احدهما يدل على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا (قوله تذكرا ما قليلا يتذكرون) يعني ان قليلا صفة لمصدر محذوف ليتذكرون وما لتأكيد معنى القلة والمعنى انهم وان كانوا يعلمون ان التبصر خير من الغفلة ولايستويان وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انهم يتذكرونه تذكرا قليلا والمراد لايتذكرونه (قوله والضمير) اي ضمير يتذكرون ان قرئ بياء الغيبة للناس المدلول عليه بقوله ولكن اكثر الناس لايعلمون فان اكثرهم ينكرون البعث والحساب فلا يتذكرون عدم استواء المحسن والمسيء او للكفار المدلول عليه بقوله ان الذين يجادلون في آيات الله ووجه القراءة بتاء الخطاب اما تغليب المخاطبين فيكون التوبيخ اشمل حيث يتناول غير الذين اخبر عنهم بقوله ان الذين يجادلون واما الالتفات الى المجادلين المذكورين بعد الاخبار عنهم واما كونه مقولا لقول مضمر اي قل لهم قليلا ما تتذكرون قيل التغليب وان كان اعم واشمل لكنه غير مناسب للمقام بخلاف الالتفات فانه اتم فائدة وانسب للمقام لان العدول من الغيبة الى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والانكار البليغ (قوله لوضوح الدلالة على جوازها) علة لانتفاء الريب في مجيئها فان ما قام الدليل الواضح على امكانه وجواز وقوعه اذا اجتمع الرسل المتصفون بالمعجزات على الاخبار بوقوعه يكون وقوعه مقطوعا به بلا ريب ومن جملة دليل جوازها ما ذكر آنفا بقوله لخلق السموات والارض وما ذكر بعده بقوله ومايستوي الاعمى والبصير وهذا يدل على ان الحكمة تقتضي وقوعها فهو تعالى لما استدل على جواز وقوعها وبين قضاء الحكمة بوقوعها ذكر بعده انها آتية لا محالة ثم امرنا بعبادته ووعدنا الاثابة في مقابلتها فقال ادعوني استجب لكم فانه لما كانت الحكمة في وقوعها

(ومايستوي الاعمى والبصير) الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ما يتذكرون) اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به

مجزاة كل واحد من المحسن والمسيء على وفق عمله امرنا باحسان العمل ليحسن جزاؤنا وبين ان جزاء المستكبرين عن عبادته سوء الجزاء. واختلف الناس فى المراد بقوله ادعونى فقيل انه امر بالسؤال والتضرع وقيل انه امر بالعبادة واستدل عليه بقوله تعالى بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتى فانه لولا ان المراد بالدعاء مطلق العبادة لكان المناسب ان يقال بعده ان الذين يستكبرون عن دعائى ومسألتى ولما اردفه بقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى علم ان المراد بالدعاء العبادة ولما عبر عن العبادة بالدعاء عبر عن الاثابة بالاستجابة رعاية للتشاكل ويدل على صحة هذا التفسير ما روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ هذه الآية ومن حمل كلا من الدعاء والاستجابة على ظاهره ورد عليه ان يقال كيف يحمل عليه وقد قيل بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتى وكان الظاهر حينئذ ان يقال ان الذين يستكبرون عن دعائى فاشار المصنف الى جوابه بقوله وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته اذا لاستكبار الصارف عن العبادة متحد به ادعاء للمبالغة فى استلزام كل واحد الآخر فان من استكبر عن مسألة الاحسان من الكريم المنان يستكبر عن عبادته وطاعته ايضا ومن استكبر عن طاعته يستكبر عن مسألة فضله واحسانه فصح بذلك تنزيل كل واحد منهما منزلة الاخر وارادته بدله واجاب عنه ثانيا بجواز ان يكون المراد بالعبادة فى قوله يستكبرون عن عبادتى هو الدعاء وعبر عن الدعاء بالعبادة ليعلم ان الدعاء باب من ابوابها كما ورد فى الحديث ان الدعاء مخ العبادة فان الدعاء هو الخضوع للبارى مع اظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال افضل العبادة الدعاء لما حث الله تعالى عباده على عبادته ذكر دلائل دالة على وجوده وكمال قدرته ووفور رحمته وبالغ حكمته ليكون ذلك أدعى لهم الى عبادته ودلائل وجوده تعالى وقدرته اما فلكية اوعنصرية فبدأ بايراد الدلائل الفلكية فقال الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية وهى كالتعليل للامر بالدعاء كانه قيل انى انعمت عليكم بهذه النعم الجليلة قبل ان تسألوها ومن هذا شأنه كيف لا يستحق العبادة وكيف لا يستجيب دعاء عبده فيما سأله (قوله ليؤدى الى ضعف الحركات وهدوء الحواس) لف ونشر مرتب فان الليل لكونه باردا رطبا تضعف فيه القوى المحركة ولكونه مظلما يؤدى الى سكون الحواس فتستريح النفس والقوى والحواس بقلة اشتغالها واعمالها (قوله يبصر فيه او به) تصريح بان النهار ظرف الابصار او سببه وليس فاعلا له ليظهر ان اسناد الابصار اليه مجاز مبنى على الملابسة من جهة الظرفية او السببية والوجه فى دلالة هذا الاسناد المجازى على المبالغة فى اتصاف الفاعل الحقيقى للابصار به انه لو قيل وجعل لكم النهار لتبصروا فيه او به لم يفهم الا كون النهار ظرفا للابصار او سببا له ولما جعل نفس النهار مبصرا فهم ان النهار لكمال سببيته للابصار وكثرة القوة الباصرة فيه جعل كانه هو المبصر وان فعل الفاعل الحقيقى اذا اسند الى وقته مثلا مثل ان يقال صام نهاره او نهاره صائم يفهم انه لكثرة صومه فى النهار وقوة ملازمته للصوم فيه صح ان يوصف نهاره بكونه صائما وكذا الابصار (قوله ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال) جواب عما يقال حق المقابلة يقتضى ان يقال والنهار لتبصروا على وفق قوله لتسكنوا ولم يقل هكذا بل قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وتقرير الجواب انه عدل عن مقتضى الظاهر للدلالة على المبالغة المفهومة من الاسناد المجازى (قوله لا يوازيه فضل) يعنى ان تنكير الفضل لتعظيم واو قيل لمتفضل لدل تنكيره على تعظيم ذات المفضل ولا يعلم صريحا ان عظمته أهى لعظم افضاله ام لعظم غيره (قوله لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم) اى رفعة شأنها وعلو قدرها فى الصحاح الموقع بالتسكين المكان المرتفع عال الشكر بامرين احدهما الجهل بالمنعم فان من اعتقد ان هذه النعم ليست من الله تعالى كيف يشكره كالدهرية مثلا فانهم يزعمون ان الافلاك واجبة الوجود لذواتها وواجبة الدوران المستدعى لاختلاف اوضاعها واوضاع ما فيها من الكواكب وان النعم الحاصلة فى العالم السفلى مستندة اليها فمع هذا الاعتقاد كيف يشكرون المنعم الحقيقى وثانيهما ان يعتقد الرجل ان كل العالم من الله تعالى حاصل بتخليقه وتكوينه الا انه لاستغراقه فى نعم الله تعالى عليه ودورها عليه فى كل لحظة وآن وعدم ذوقه ألم فقدانها قد ينسى قدرها ويغفل عن كونها نعمة جليلة فيترك شكرها لذلك ثم اذا ابتلى بفقدان شئ منها فحينئذ يعرف قدرها مثل ان يتفق لبعض الناس والعياذ بالله ان يحبسه بعض الظلمة فى بئر عميق مظلم مدة مديدة فانه حينئذ يعرف قدر نعمة الهواء الصافى وقدر نعمة الضوء (قوله وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم) يعنى ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر الناس الا انه وضع الظاهر موضع المضمر ليفهم اختصاص كفران

(وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (استجب لكم) اثب لكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدوء الحواس (والنهار مبصرا) يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال (ان الله لذو فضل على الناس) لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم

النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه فان وضع المظهر المعرف باللام موضع المضمر يفيد اختصاص الحكم به لانه من باب الله يستهزئ بهم والله يبسط الرزق لمن يشاء فان مثل هذا الاسلوب لو لم يحمل على الاختصاص لكان تخصيص الاسم الظاهر بالذكر وتعريفه باللام فى مقام الاضمار خاليا عن الفائدة ولا يجوز اخلاء كلام البليغ عنها (قوله اخبار مترادفة) يعنى ان اسم الاشارة مبتدأ وما بعده من الالفاظ الاربعة اخبار له اشار الى المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها احد غيره واخبر عنه بانه الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخالق كل شئ وانه لا ثانى له وكل واحد من هذه الاوصاف يخصص سابقه ويقرره والوقف على كل شئ لازم لئلا يلتبس ما بعده بكونه صفة شئ ولما قرر ما يدل على وجود الموصوف بالصفات المذكورة قال فانى تؤفكون اى اذا تقرر هذا البيان الواضح كيف صح لكم ان تصرفوا عن توحيده وعبادته الى عبادة غيره ثم بين ان هذه الضلالة ليست مختصة بهم بل هى ثابتة فى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يستدل بها على ما هو الحق فى باب الاعتقاد والعمل وتقاعد عن طلب الحق وخوف العاقبة فانهم جميعا أفكوا عن الحق وحرموا من التحلى به مجازاة لجحودهم بالآيات وتكذيبهم اياها وتركهم الاستدلال بها وفسر قوله تعالى يؤفك الذين بقوله أفك عن الحق اشارة الى ان لفظ المضارع فى الآية الكريمة بمعنى الماضى عدل اليه لحكاية الحال الماضية واستحضارها اى انهم جميعا أفكوا أفكا مثل أفك قومك ثم زاد فى البيان وتقرير دلائل وحدته فقال الله الذى جعل لكم الارض قرارا اى ذات قرار تستقرون فيها والقرار فى المكان الاستقرار فيه يقال قررت بالمكان بكسر العين اقر قرارا قال ابن عباس رضى الله عنه قرارا اى منزلا فى حال الحياة وبعد الممات وقيل سكن الارض وجعلها مستقرة ليمكن التصرف عليها والسماء بناء اى قبة مبنية مرفوعة فوقكم لمصالحكم وحوائجكم لان السماء فى نظر العين كقبة مضروبة على فضاء الارض والدلائل المذكورة الى هنا من دلائل الآفاق وهى كل ما هو غير الانسان من كل هذا العالم ثم ذكر شيأ من دلائل الانفس بقوله وصوركم فاحسن صوركم واستدل اولا بحدوث صورة الانسان وثانيا بحسن صورته وثالثا بانه رزقه من الطيبات فالمذكور هنا خمسة دلائل اثنان منها من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس (قوله والتخطيطات) اراد بها ما بين كل عضوين من الخطيطة وهى الارض التى لم تمطر بين ارضين ممطورتين والبركة النماء والزيادة وتبارك الله اى بارك الله مثل قاتل وتقاتل الا ان فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى كذا فى الصحاح قال الامام وتفسير تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة الخيرات وقال النسفى اى جل الله ودامت بركاته وتتابعت خيراته ويستعمل تبارك فى موضع تعالى لما اخبر الله تعالى بان الذى فعل بكم كل ذلك هو الله ربكم فرع عليه قوله فتبارك الله رب العالمين اى تعالى وتعظم عن ان يكون له شريك فى العبادة اذ لا شريك له فى شئ من تلك النعم (قوله المنفرد بالحياة الذاتية) اى لا حى كذلك الا هو والحصر مستفاد من تعريف طرفى الجملة الاسمية مثل صديقى زيد وفسر الدعاء بالعبادة بقرينة قوله مخلصين له الدين لان الدين هو الطاعة (قوله قائلين له) يعنى ان قوله الحمد لله رب العالمين مقول قول مقدر فى موضع الحال من فاعل فادعوه فيكون داخلا فى حيز الامر قيدا له ويؤيد هذا التفسير ما روى عن ابن عباس انه قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (قوله فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها) جواب عما يقال اذا كان عليه الصلاة والسلام منهيا عن عبادة غير الله ابدا بالدلائل العقلية القائمة قبل مجئ البينات وهى الدلائل المتقدمة الدالة على ان اله العالم من ثبتت له صفات العظمة والجلال ومن دبر فى ملكه بما ذكر من الافعال فاوجه قوله نهيت ان اعبد غيره تعالى لما جاءنى البينات وتقرير الجواب ان بداهة العقل وان كانت شاهدة على ان عبادة الممكن العاجز فى حد ذاته قبيحة مستنكرة الا ان الدلائل السمعية لما جاءت مقوية لادلة العقل صح تقوية النهى عنها بوقت مجئ الادلة السمعية بمعنى انى نهيت نهيا متأكدا عن عبادة غيره تعالى وقت مجيئها فكانت ادلة الشرع منبهة على الادلة العقلية من حيث كونها متضمنة لادلة العقل كقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكانه قيل نهيت ان اعبد ما تعبدونه وقت مجئ البينات المتناولة لادلة العقل والسمع وكونه منهيا عنها قبل ورود الشرع بمجرد ادلة العقل لا ينافى تقوية النهى بمجئ الادلة المتناصرة المتعاضدة فان مجيئها اقوى وابلغ فى ابطال طريق اهل الشرك وهذا السؤال والجواب لا يرد على مذهب اهل السنة اذ لا نهى ولا وجوب عندهم الا بعد ورود الشرع الا ان المصنف اجاب عنه بطريق التسليم ثم انه لما بين انه نهى عن عبادة

(ذلكم) المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فانى تؤفكون) فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) اى كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة (وصوركم فاحسن صوركم) بان خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال (هو الحى) المنفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) اذ لا موجود يساويه او يدانيه فى ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) من الحجج او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها

المبتدأ اعني الشرط وقوله من سائر الكتب على ان يفسر الكتاب بالقرآن وما بعده على ان يفسر بجنس الكتب ففيه صنعة اللف والنشر (قوله اذ المعنى على الاستقبال) جواب عما يقال ان اذ للماضي فكيف يكون ظرفا ليعلمون وهو مقرون بعلم الاستقبال فهو الامثل قولك سوف اصوم امس وتقرير الجواب ان اذ هنا بمعنى اذا بشهادة عامله والامور المستقبلة اذا كانت متيقنة الوقوع تنزل منزلة ما قد وجد وانقضى ويعبر عنها بلفظ الماضي للتنبيه على كونها محققة الوقوع (قوله وهو على الاول) اى قوله يسحبون على تقدير ان يكون قوله والسلاسل معطوفا على الاغلال ويكون قوله فى اعناقهم خبرا عنهما يكون حالا من الضمير المجرور فى اعناقهم على معنى ان الاغلال والسلاسل يضافان الى اعناقهم حال كونهم مسحوبين اى مجرورين تجرهم خزنة جهنم فى الحميم وهو الماء الذى تناهى حره والسحب الجر بعنف ومنه السحاب لان الريح تجره ويقال سحب ذيله اى جره ومن قرأ والسلاسل منصوبا جعله مفعولا مقدما ليسحبون المبنى للفاعل وجعل تقدير الكلام اذ الاغلال فى اعناقهم ويسحبون السلاسل ومن قرأ مجرورا عطفه على الاغلال اعتبارا بمعنى الكلام فان المعنى اذ اعناقهم فى الاغلال والسلاسل ويسحبون فى هذه القرآءة على بناء المفعول (قوله او اضمار الباء) عطف على قوله حملا على المعنى فيكون جملة والسلاسل يسحبون فى موضع الجر عطفا على الجملة الاسمية التى اضيف اليها اذ (قوله يحرقون) من قبيل تفسير اللفظ بلازم معناه فان يسجرون معناه يملأون نارا بان تكون اجوافهم مملوءة بها فان من كان فى النار وكانت هى محيطة به وصارت اجوافهم مملوءة بها لزمهم ان يحرقوا بها على اعظم الوجوه وافظعها والعياذ بالله (قوله والمراد) اى من قوله تعالى اذ الاغلال الى هنا بيان كيفية عقابهم حيث بين انه يكون فى اعناقهم اغلال وسلاسل ثم بين انهم يسحبون بتلك السلاسل فى الحميم المسخن بنار جهنم ثم بين انهم يملأون بها كائنين فيها ثم يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع اين ما كنتم تشركون من دون الله رجاء شفاعتهم ادعوهم ليغيثوكم ويشفعوا لكم وهو نوع آخر من تعذيبهم (قوله وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم) جواب عما يقال كيف يقولون انهم ضلوا عنا وهم مقرونون مع آلهتهم كما يدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (قوله غابوا عنا) اى عن اعيننا وان كانوا قائمين اى غير هالكين فى انفسهم على ان يكون قولهم ضلوا عنا من قول العرب ضلت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شئ قائم اى غير هالك لكنك لا تهتدى اليه وقوله او ضاعوا عنا على ان يكون من ضل بمعنى ضاع وهلك تنزيلا لوجودهم منزلة الضياع والهلاك لفقدهم النفع الذى يتوقعونه منهم وان كانوا مع المشركين فى جميع الاوقات (قوله مثل هذا الضلال) وهو ضلال آلهتهم عنهم بمعنى غيبة الآلهة عن نظرهم او بمعنى ضياع لآلهة عنهم بفقدان ما يتوقع العبدة منهم وضلال الكافرين الذى شبه بهذا الضلال اما ضلالهم فى الدنيا عما ينفعهم فى الآخرة من العقائد والاعمال وعدم اهتدائهم اليه اصلا واما ضلالهم عن آلهتهم بحيث لو طلبوا الآلهة لم يصادفوها اى لم يجد احد منهما الآخر وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض الخ يؤيد الاحتمال الاول فان الظاهر ان قوله ذلكم بما كنتم تفرحون اشارة الى اضلال الله تعالى اياهم وان ما ذكر بعده بيان اسبابه ولا يخفى ان كونه سببا لاضلالهم فى الدنيا عما ينفعهم فى الآخرة اظهر من كونه سببا لاضلالهم عن آلهتهم فان فرحهم واختيالهم بالاباطيل التى كانوا يشتغلون بها فى الدنيا يكون سببا لاضلال الله تعالى اياهم عما ينفعهم فى الآخرة وعدم توفيقه اياهم لذلك ولا يظهر كونه سببا لاضلاله تعالى اياهم عن آلهتهم وجعل ذلك اشارة الى العذاب المذكور بقوله اذ الاغلال فى اعناقهم لا يخلو عن بعد فيكون المعنى حينئذ ذلك العذاب الذى نزل بكم بما كنتم تفرحون والباء فى قوله تعالى بما كنتم للسببية وفى قوله بغير الحق صلة الفرح والمرح شدة الفرح والنشاط وقوله تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف واحد (قوله الابواب السبعة) مأخوذ من قوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (قوله وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين) ليناسب عجز الكلام صدره فانه مصدر بلفظ ادخلوا فالمناسب ان يقال فى عجزه فبئس مدخل المتكبرين وتقرير جوابه ان فوات التناسب بينهما انما يكون ان لو لم يقيد الدخول بالخلود لان الدخول غير الثوآء الذى هو الاقامة ولا يستلزمه ايضا واما اذا قيد به فقد استلزمه بل اتحد معه بحسب المفهوم فحصل به التناسب بين العجز والصدر ثم انه تعالى لما فرغ من ذم المجادلين فى آيات الله وبيان عقوبتهم فى الآخرة فرع عليه قوله فاصبر يا محمد على ايذائهم اياك بسبب تلك

(اذ الاغلال فى اعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال او مبتدأ خبره (يسحبون فى الحميم) والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال او اضمار الباء ويدل عليه القرآءة به والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية (ثم فى النار يسجرون) يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اى ملئ والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض (ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) مثل هذا الضلال (يضل الله الكافرين) حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ (ادخلوا ابواب جهنم) الابواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثوآء عبر بالمثوى

المجادلات ثم قال ان وعد الله حق وعنى به ما وعد رسوله من نصرته ومن انزال العذاب على اعدآئه (قوله
فلذلك) اى فلكون ان الشرطية مؤكدة بما المزيدة لتأكيد معنى الشرط لحقت نون التأكيد فعل الشرط فان نون
التأكيد انما تلحقه اذا اكدت كلمة ان بما ولا تلحقه اذا لم تؤكد بها فلا يقال ان تكرمنى اكرمك بل يقال اما تكرمنى
قيل ما ذكر من تلازم نون التأكيد وما المزيدة انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخفيف (قوله
وهو جواب نتوفينك) جواب عما يقال الظاهر ان قوله او نتوفينك معطوف على قوله نرينك ففى الكلام
شرطان اشتركا فى جزآء واحد وهو قوله تعالى فالينا يرجعون فيلزم ان يكون كل واحد من الشرطين المذكورين
سببا للجزآء المذكور بعدهما وهو انتقامه تعالى منهم فى الآخرة وكون الشرط الاول سببا له غير معقول لان
تعذيبهم فى الدنيا بمرأى النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون سببا لانتقامه تعالى منهم فى الآخرة وان جعل قوله
تعالى فالينا يرجعون جوابا للشرط الثانى وحده بقى الشرط الاول بغير جزآء وتقرير جوابه ظاهر ثم قال ويجوز
ان يكون جوابا لهما فيكون المقصود من الشرطية تقرير قوله ان وعد الله حق على ان يكون المراد بالوعد تعذيب
المجادلين بعذاب الآخرة فقدره ببيان ان تعذيبهم فى حياته لا يسقط عنهم عذاب الآخرة بل انهم يعذبون فيها البتة
سوآء عذبوا فى حياته اولم يعذبوا (قوله اذ قيل) تعليل لقوله تعالى ومنهم من لم نقصص عليك روى عن ابى ذر
رضى الله عنه انه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كم عدة الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا
الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر ولما كان الذين يجادلون فى آيات الله قد اقترحوا معجزات زآئدة على
ما اظهر الله تعالى على يده كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وغير ذلك مع كون ما اظهره من
المعجزات كافية فى الدلالة على صدقه سلاه تعالى بانزال قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وقوله تعالى منهم يجوز ان
يكون صفة لرسلا فيكون من قصصنا فاعلا له لاعتماده على الموصوف ويجوز ان يكون خبرا مقدما ومن قصصنا
مبتدأ مؤخر اوالجملة اما صفة لرسلا وهو الظاهر او استئناف فكانه تعالى قال لم انت من جملة الرسل المبعوثين الى
الامم وليس فيهم احد اعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكان قومهم ابدا يقترحون
عليهم اظهار المعجزات الزآئدة على الحاجة عنادا وعبثا ولم يكن احد من اولئك الرسل اتى قومه بشئ من المعجزات
من قبل نفسه وما استقل فى اتيان شئ مما اقترحوه من المعجزات الزآئدة على قدر الحاجة ولم يقدح ذلك فى نبوتهم فكذا
الحال فى اقتراح قومك عليك اى ان ما تأتيهم به من الآيات هو ما قدره وقسمه لك وليس اختيار شئ منها موكولا
اليك ثم قال تعالى على سبيل التهديد والوعيد فاذا جاء امر الله قضى بالحق ثم انه تعالى لما اطنب فى تقرير الوعيد عاد
الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم وتفصيل وجوه انعامه على عباده فقال الله الذى جعل لكم الانعام وهى
الازواج الثمانية الابل والبقر والضأن والمعز فانها ثمانية باعتبار ذكورتها وانوثتها وقال الزجاج الانعام الابل خاصة
وفى الصحاح اكثر استعمال اسم النعم فى الابل وهو فى الاصل المال الراعية ومن فسر الانعام فى الآية بالابل خاصة
فسر قوله لتركبوا منها بقوله لتركبوا الكبار منها (قوله فان من جنسها ما يؤكل الخ) اشارة الى ان كلمة من فى الموضعين
للتبعيض وعلى ان المراد بالانعام الازواج الثمانية تكون من لابتدآء الغاية (قوله تعالى ولتبلغوا) عطف على قوله
لتركبوا منها وحاجة مفعول لتبلغوا وقوله بالمسافرة عليها اشارة الى متعلق قوله عليها وقوله وعلى الفلك تحملون
ادخال منة اخرى فى هذه المنن على سبيل الاستطراد وهى المنة بخلق سفائن البحر للمسافرة عليها فى البحر (قوله
وانما قال على الفلك) جواب عما يقال الظاهر ان يقال فى الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
لان الفلك وعاء وظرف لحملها فلم قيل عليها بكلمة الاستعلاء فاجاب عنه بقوله للمزاوجة اى لمزاوجة ويطابق
قوله وعليها فان محمولات الانعام لما كانت مستعلية عليها ذكرت كلمة على فيها فى موضعها ومحمولات الفلك
وان لم تكن مستعلية عليها الا انه ذكرت كلمة الاستعلاء فيها ايضا للمشاكلة (قوله وتغيير النظم فى الاكل)
حيث جئ فى الركوب بلام الغرض لا فى الاكل مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما من الفوآئد المحصلة من
الانعام والمصالح المترتبة على خلقها وتقريره ان الاكل وما فى حكمه من منافع الجلود والالبان والاصواف
الغالب فيها اقتضاء حق الضرورة الطبيعية من دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد بخلاف الركوب والمسافرة عليها
فان الغالب فيهما قضاء حاجة حق العبادة ومراعاة امر الدين وما اتاه الانسان باقتضاء الضرورة الطبيعية لا يكون
عبادة لان معنى العبادة مخالفة هوى النفس باختيار ما حسنه الشرع وندب اليه فلا يكون الاهتمام بالاكل

(فاصبر ان وعد الله) بهلاك الكافرين (حق) كائن
لا محالة (فاما نرينك) فان نرك وما مزيدة لتأكيد
الشرطية فلذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان
وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والاسر
(او نتوفينك) قبل ان تراه (فالينا يرجعون) يوم القيامة
فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما
بمعنى ان نعذبهم فى حياتك اولم نعذبهم فانا نعذبهم
فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار
بذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك) اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة
وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة
(وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله) فان
المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته
كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها
والاستبداد باتيان المقترح بها (فاذا جاء امر الله)
بالعذاب فى الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بانجاء
المحق وتعذيب المبطل (وخسر هنالك المبطلون)
المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها
(الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل
ويركب وهو الابل والبقر (ولكم فيها منافع) كالالبان
والجلود والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم)
بالمسافرة عليها (وعليها) فى البر (وعلى الفلك) فى
البحر (تحملون) وانما قال على الفلك ولم يقل فى الفلك
للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز
الضرورة

وماقى حكمه كالاهتمام بالركوب والمسافرة عليهامن حيث ان الثانى من قبيل العبادات التى خلق الانسان لاجلها دون الاول فللاشارة الى هذا الفرق بينهما جيئ فى الثانى بلام العلة دون الاول (قوله لانه يقصد به التعيش والتلذذ) والفرق بين مااختاره ومانقله مع اتفاقهما فى ان الركوب والمسافرة عليها ينبيان غالبا على رعاية الامر الدينى والانتداب الى ماندب اليه الشارع انه اختار ان الاكل وماقى حكمه مماتقتضيه الطبيعة وتلجئ اليه الجبلة الحيوانية والمقصود منه اولا وبالذات انماهو رعاية مقتضى الطبيعة وان جاز ان يكون بعض ماوقع رعاية لمقتضى الطبيعة وسيلة الى رعاية الحقوق الشرعية وواقعا بطريق اتباع الشارع وامتثال امره فلما كان الغالب فى الاكل ونحوه رعاية مقتضى الطبيعة وفى الركوب والمسافرة رعاية الامر الدينى فرق بينهما بان جعل الثانى علة حاملة على خلق الانعام دون الاول ومحصول مانقله ان الاكل وماقى حكمه من قبيل المباحات التى لايتعلق بها نفع أخروى بخلاف الركوب والمسافرة عليها فانهما غالبا يكونان لاغراض دينية ويؤديان الى مثوبات اخروية فلذلك فرق بينهما بماذكر ولعل وجه ضعفه ان وقوع الفعل باقتضاء الطبيعة اياه اظهر فى الدلالة على عدم كونه لغرض دينى من دلالة كونه من قبيل المباحات عليه فان كثيرا من المباحات يكون لغرض دينى (قوله اوللفرق بين العين والمنفعة) فان الركوب منفعة مستفادة من الانعام مع بقاء اعيانها بخلاف الاكل فانه ليس من المنافع المتفرعة على بقاء اعيانها بل انما يكون باهلاك اعيانها ولايخفى ان لام الغرض انسب بالمنافع المتفرعة على العين مع بقائها بحالها بالنسبة الى الانتفاع بالعين باهلاكها فانه بمنزلة ان يقال خلقت فلانا لاهلاكه وقد تسامح فى جعل الاكل من قبيل الاعيان والظاهر ان يقال للفرق بين مايكون من منافع العين وبين مايكون اهلاكا لها او انتفاعا باهلاكها ثم انه تعالى لماذكر هذه الدلائل المتكثرة قال بعضه ويريكم آياته فاى آيات الله تنكرون يعنى ان كل واحدة من هذه الآيات التى عددناها ظاهرة باهرة لاوجه لانكار شئ منها (قوله وهو ناصب اى) يعنى ان قوله تعالى تنكرون غير مشتغل عن العمل فى اى بان قدر عاملا فى ضميره بل هو عامل فيه الا انه وجب تقديمه على ناصبه لاقتضائه صدر الكلام ولوقدر كونه مشتغلا عنه بضميره لكان الاولى رفعه فان قولك ايهم ضربته مثل قولك زيد ضربته فى ان المختار رفع الاسم فيهما لان النصب يحتاج الى حذف العامل واضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه انما يكون بعامل معنوى لايظهر قط حتى يقال حذف واضمر (قوله والتفرقة بالتاء فى اى) جواب عما يقال الظاهر ان يقال فاية آيات الله بتاء التأنيث لكون اى عبارة عن المؤنث لاضافته اليه فلم عدل عن مقتضى الظاهر وتوضيح الجواب ان الفرق بين المؤنث والمذكر بالتاء وعدمه قياس شائع فى الانواع الاربعة من الصفات وهى اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والاسم المنسوب بياء النسبة كضاربة ومضروبة وحسنة وبصرية بخلاف افعل التفضيل وافعل الصفة والاسماء الجامدة فالفرق بالتاء فيها قليل غريب كاسامة وحمارة واى من قبيل الاسماء الجامدة فالاصل فيه عدم الفرق لذلك مع ان الفرق فيه اغرب من الفرق فى سائر الاسماء الجامدة لانه موضوع لابهام موضوعه ولايقصد فيه التمييز اصلا فتكون التفرقة فيه بعيدة كل البعد وان جاء الفرق على قلة كقوله

باى كتاب ام باية سنة * ترى حبهم عارا على وتحسب

والظاهر انه اراد باى فى قوله والتفرقة بالتاء فى اى اغرب ماوقع فى غير النداء فان اللغة الفصيحة الشائعة ان تؤنث اى الواقعة فى نداء المؤنث كما فى قوله تعالى ياأيتها النفس المطمئنة ولايسمع ان يقال ياايها المرأة واعلم انه لما كان معظم المقصود فى هذه السورة الكريمة ذم المجادلين وبيان فساد طريقتهم وماذكر فى اثنائه من دلائل الوحدانية وكمال القدرة والحكمة والرحمة انماذكر تقريعا لهم بسبب اعراضهم عن تأمل تلك الدلائل والاهتداء بها الى الحق ختم السورة الكريمة ببيان ان هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله وقد حصل الكبر العظيم فى صدورهم انما كان السبب الكلى فى عدولهم عن الحق وانهماكهم فى الضلال هو طلب الرياسة والتقدم على الغير فى المال والجاه ومن المعلوم ان من ترك الانقياد للحق طلبا لهذه الاشياء الفانية والحظوظ العاجلة فقد باع السعادة الابدية بلذة يسيرة فانية فبين الله تعالى فساد هذه الطريقة واحتج عليه بقوله افلم يسير وافى الارض الاية يعنى انهم لوساروا فى اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع ان الهالكين المتقدمين كانوا اكثر عددا ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين وحيث لم تفدهم تلك المكنة العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هؤلاء الفقراء والمساكين (قوله والمصانع) وهى الحصون والمصنعة بفتح النون وضمها ايضا شئ كالحوض يجمع فيه ماء المطر (قوله

وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكونان لاغراض دينية واجبة او مندوبة اوللفرق بين العين والمنفعة (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته (فاى آيات الله) اى فاى آية من تلك الآيات (تنكرون) فانها لظهورها لاتقبل الانكار وهو ناصب اى اذ لوقدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض) مابقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم

والاولى نافية) بمعنى لم تغن عنهم اواستفهامية منصوبة باغنى اى اى شئ اغنى عنهم وفاعل اغنى هو ما الثانية سوآء كانت موصولة محذوفة العائد اومصدرية اى الذى كسبوه او كسبهم (قوله وسماها علما) مع ان الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقه ان يسمى جهلا بناء على زعمهم فانهم يزعمون ان عندهم علما ينتفعون به وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علم الانبياء وما اظهروه من البينات (قوله او علم الطبائع) عطف على قوله عقائدهم الزائغة والمراد بعلم الطبائع علم الفلاسفة فان الحكماء كانوا يصغرون علوم الانبياء ويكتفون بما يكتسبونه بنظر العقل ويقولون نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا (قوله او علم الانبياء) فيكون ضمير فرحوا للكفار كما فى الوجهين الاولين الا ان ضمير عندهم يكون للرسل والمعنى فرح الكفار فرح ضحك واستهزآء بما عند الرسل من العلم حيث لم يقبلوه ولم يمتثلوا احكام الوحى ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى نزل بالكافرين جزآء استهزآئهم وقيل كان المراد بالعلم علم الانبياء فالمراد بالفرح ايضا فرحهم والمعنى ان الرسل لما رأوا جهل الكفار واستهزآءهم فرحوا بما اوتوا من علم الوحى وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين جزآء جهلهم واستهزآئهم (قوله لامتناع قبوله حينئذ) فان الايمان انما ينفع اذا وقع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا على الكفر والتكذيب ووقت رؤية البأس وهو شدة العذاب يكون المرء ملجأ الى الايمان ولا يكون مبنيا على مجرد تصديق الشارع واخباره بنزول البأس على من اصر على الكفر ومن عاين نزول الملائكة العذاب لا يكون ايمانه كذلك فلا يقبل (قوله ولذلك) اى ولامتناع قبوله حينئذ لم يقل فلم ينفعهم ايمانهم بل قال فلم يك ينفعهم ايمانهم فانه ابلغ فى نفى النفع من لم ينفعهم ايمانهم لانه بمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم كما فى قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد فان أداة النفى اذا دخلت على الكون المتضمن لمعنى الفعل المنفى صار النفى كانه وجد الى الفعل المنفى مرتين فكانه قيل هذا الفعل من الشؤن التى عدمها راجح على وجودها البتة وانها من قبيل المحالات وارتفاع قوله ايمانهم يجوز ان يكون على انه اسم كان ويكون ينفعهم خبرها مقدما عليه وان يكون على انه فاعل ينفعهم واسم كان ضمير الشأن المستتر فيه (قوله والفاء الاول) يعنى ان فى الاية اربع فآت مترادفة الاولى فى قوله فما اغنى عنهم والثانية فى قوله فلما جاءتهم رسلهم والثالثة والرابعة فى قوله فلما رأوا وفى قوله فلم يك ينفعهم فالفاء الاولى تشبه فاء النتيجة فان قوله تعالى كانوا اكثر منهم الخ جملة مستأنفة لبيان اول حال من قبلهم وآخرها التى بين سوء عاقبتهم وان ما جمعوه وكسبوه لم ينفعهم فى العاقبة فقوله فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا اى فما احدث ذلك لهم من النفع الا ان حرموا نفعه ووقعوا فى عكس ما توقعوا من جمع الجنود والاموال وبناء شدآئد القصور والحصون والثانية فاء التفسير فان قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بمنزلة التفسير لنفى الغناء المدلول عليه بقوله فما اغنى عنهم ونظير الآية قولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقرآء فلم يواس اليتامى والارامل والفاء الثالثة وهى التى فى قوله فلما رأوا عاطفة له على مضمون قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم ومفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها فانه فى قوة ان يقال فلما جاءتهم رسلهم كفروا فان رؤية البأس مسببة عن مجئ الرسل وكفرهم بما جاؤا به ومترتبة عليه وكذا الفاء فى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم فانها عاطفة على قوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ومفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها فان الايمان وقت رؤية البأس سبب لعدم نفعه لصاحبه (قوله اى سن الله ذلك) اى سن الله عدم قبول ايمان من آمن وقت رؤية البأس وعدم نفعه لصاحبه وقت معاينته له وهى سنة مطردة لله تعالى فى الامم كلها ويجوز ان يكون انتصاب سنة على التحذير اى احذروا سنة الله المطردة فى المكذبين السابقين (قوله اسم مكان) يعنى ان هنالك فى الاصل اسم موضوع للاشارة الى المكان ولما اشير به فى الآية الى مدلول قوله لما رأوا بأسنا ولما الزمان تعين انه قد اشير به الى الزمان تشبيها له بالمكان فى كونه ظرفا للفعل كالمكان وكذلك قوله خسر هنالك المبطلون فانه لما ذكر قوله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر تعين كونه مستعارا للزمان لان اذا للزمان فان قيل لم خص خسران الكافرين بوقت معاينة البأس وهم لم يزالوا فى خسران قلنا انهم الا انه قبل معاينة العذاب كانوا متمكنين من الايمان النافع ولما عاينوا العذاب استقر خسارهم ولم يرج فلاحهم نعوذ بالله من الخذلان وزوال الايمان وشر الشيطان * تمت سورة غافر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة حم السجدة خمسون واربع آيات مكية

(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات والآيات الواضحات (فرحوا بما عندهم من العلم) واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لانبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به فرح ضحكهم منه واستهزآئهم به ويؤيده (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزآء جهلهم واستهزآئهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجئ الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية (سنة الله التى قد خلت فى عباده) اى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) اى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة وآيها خمسون واربع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ان جعلت حم اسم للسورة كانت فى محل ارفع على الابتدآء وخبره تنزيل وان جعلت مسرودة اى منزلة على نمط تعديد الحروف لتنبيه المخاطب وايقاظه لايكون لها محل من الاعراب ويكون تنزيل خبر مبتدأ محذوف اى هذا تنزيل وكتاب بدلا من تنزيل اوخبر ابعد خبر اوخبر مبتدأ محذوف اى هذا كتاب (قوله لكونها مصدرة ببيان الكتاب) تعليل لافتتاحها بحم وجه التعليل ان معنى حم كما قيل قضى ماهو كائن لانه يقال حم الامر بضم الحاء وتشديد الميم اى قضى وقد روتم قال الشاعر * واس لامر حمه الله رافع * وقال آخر الاليتى حمت لنفسى منيتى * ولما كانت هذه السورة مصدرة بذكر الكتاب الذى قدرت فيه الاحكام وبينت ناسب ان يفتتح بحم رعاية لبراعة الاستهلال وقوله متشاكلة فى النظم والمعنى تعليل للتسمية بها فان هذه السور السبع لما كانت متشاكلة فى النظم والمعنى فى الاشتمال على ذكر الكتاب والافتتاح بحم والرد على المجادلين فى آيات الله والحث على الايمان بها والعمل بمقتضاها ناسب تسميتها باسم واحد (قوله للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية) اذ كل واحد من الرحمن والرحيم لكونه صيغة مبالغة اطلقت على الله ينبئ عن رحمة هى ابعد عن مقدورات العباد فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فاضافة تنزيل الكتاب الى من اتصف بهما تدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى تنوط بها المصالح كلها دينية كانت اودنيوية لان الفعل المقرون بالصفة لابد وان يكون مناسبا لتلك الصفة والامر فى نفسه كذلك لان القرءآن مشتمل على كل مايحتاج اليه اهل هذا العالم المرضى والزمنى من الادوية وعلى كل مايحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم انعم من الله تعالى على هذا العالم انزال القرءآن عليهم (قوله ميزت باعتبار اللفظ والمعنى) اما تمييز بعض الآيات عن بعضها بحسب اللفظ فظاهر واما تمييزها بحسب المعنى فلاختلاف معانى الآيات القرءآنية من حيث ان بعضها متعلق باحوال ذات الله تعالى وصفات تقدسه وتنزهه وبيان كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبعضها متعلق بعجائب احوال خلقه من السموات والارض والكواكب وتعاقب الليل والنهار ونحوها وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها فى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها فى قصص الانبياء واحوال الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه انواع من العلوم المختلفة مثل القرءآن (قوله وقرئ فصلت) اى بفتح الفاء وتخفيف الصاد بمعنى فرقت آياته بين الحق والباطل اوفصل بعضها من بعض اى انفصل باختلاف معانيها من قولهم فصل فلان من البلد فصولا اى خرج وانفصل (قوله اوالحال من فصلت) اى مما اسند اليه فصلت وهو آياته وهو اما حال بنفسه وعربيا صفته اوهو حال موطئة والحال فى الحقيقة عربيا وهى حال مؤكدة غير منتقلة اعلم ان الاحوال اربع موطئة ومقدرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال مايبين هيئة الفاعل اوالمفعول فاما ان تكون مبينة للهيئة بالذات اوبالغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهى الحال الموطئة لانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة تبين الحال فى الحقيقة كقرءآنا فى قوله انا انزلناه قرءآنا عربيا وان كانت مبينة بالذات فاما ان تكون مبينة للهيئة الثابتة فى الحال اوفى الاستقبال فان كانت مبينة لها فى الاستقبال فهى الحال المقدرة وان كانت مبينة لها فى الحال فاما ان تكون لازمة لذى الحال اومفارقة والاولى حال مؤكدة والثانية حال منتقلة (قوله يعلمون العربية اولاهل العلم) الاول على ان يعتبر تعلق يعلمون بالمفعول والثانى على ان ينزل منزلة اللازم (قوله وهو صفة اخرى لقرءآنا) فيكون متعلقا بمحذوف اى قرءآنا عربيا كائنا لهم وهو اولى من جعله متعلقا بقوله تنزيل اوفصلت لان قوله عربيا صفة قرءآنا وكذا بشيرا ونذيرا فلو لم يكن هو ايضا صفة له بل كان متعلقا بتنزيل اوبفصلت لزم ان يفرق به بين الصفات واعلم انه تعالى حكم على هذه السورة باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد به المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولهم هذا الدرهم ضرب السلطان اى مضروبه ومعنى كونها منزلا انه تعالى كتبها فى اللوح المحفوظ وامر جبريل ان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل سمى ذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان ما نشأ من هاتين الصفتين لايكون الا كذلك وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) ان جعلته مبتدأ فخبره (تنزيل من الرحمن الرحيم) وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف اومبتدا لتخصصه بالصفة وخبره (كتاب) وهو على الاولين بدل منه اوخبر آخر اوخبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية (فصلت آياته) ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى اوفصلت بين الحق والباطل) قرءآنا عربيا) نصب على المدح اوالحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قرآءته وفهمه (لقوم يعلمون) العربية اولاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرءآنا اوصلة لتنزيل اولفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئتا بالرفع على الصفة لكتاب اولخبر المحذوف (فاعرض اكثرهم) (فاعرض اكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لايسمعون) سماع تأمل وطاعة

وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والاخرين ورابعها انه قد فصلت آياته وقد ذكرنا انها كذلك وخامسها كونه قرآنا عربيا كائنا للعالمين بلغة العرب وبشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعاصين بالعقاب (قوله جمع كنان) وهو الغطاء وفى الكلام حذف تقديره قلوبنا فى اكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحذف متعلق حرف الجر ايضا (قوله ومن الدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه) اشارة الى فائدة زيادة كلمة من فى قوله ومن بيننا مع انه لو قيل بيننا وبينك حجاب لاستفيد حصول الحجاب المانع عن التواصل فى المسافة المتوسطة بينه وبينهم ومحصول كلامه ان فائدة كلمة من الدلالة على قوة الحجاب فى كونه مانعا عن التواصل وذلك لان البين بمعنى المسافة المتوسطة بين المتكلم والمخاطب واضافته الى المتكلم تدل على ارادة الطرف الذى يلى المتكلم من تلك المسافة وكذا اضافته الى المخاطب تدل على ان المراد طرفها الذى يليه فلو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى مجرد حصول الحجاب فى المسافة المتوسطة بينهم وبينه بخلاف ما لو قيل من بيننا فانه يفهم منه ان مبدأ الحجاب طرفه الذى يلى المتكلم واذا عطف عليه بان قيل وبينك فهم ان ذلك الحجاب ايضا مبتدأ من الطرف الذى يلى المخاطب واذا كان حجاب واحد مبتدأ من كل واحد من ذينك الطرفين فمعلوم انه لا بد له من منتهى وانه هو الطرف الاخر منهما فبالضرورة يكون ذلك الحجاب مستوعبا لمجموع ما بينهما من المسافة بحيث لا يبقى جزء منها فارغا عن هذا الحجاب ففائدة من الدلالة على قوة الحجاب وكماله فى المانعية عن التواصل (قوله وهذه تمثيلات) اى قولهم قلوبنا فى اكنة الى قولهم حجاب واثبت ضمير القول لتأنيث الخبر او لكون كل واحد من الاقوال الثلاثة عبارة عن جملة شبهوا قلوبهم بالشئ المحوى المحاط بالغطاء المحيط به بحيث لا يصيبه شئ من خارج من حيث نبوها وتباعدها عن ادراك الحق واعتقاده وشبهوا اسماعهم بآذان بها صمم من حيث انها تمج الحق ولا تميل الى استماعه وشبهوا حال انفسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال شيئين بينهما حجاب عظيم وحاجز منيع من ان يواصل احدهما الاخر ويوافقه وتعظيم الحجاب مستفاد من تنكيره ولقد بالغوا فى وصف انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه حيث اثبتوا بينهم وبينه ثلاثة انواع من الحجاب احدها الحجاب الخارجى المانع من الرؤية والابصار ثم حجاب الصمم ثم حجاب اكنة القلوب و القلب محل المعرفة والسمع والبصر اقوى ما يستعان به فى تحصيل المعارف فهذه الالة اذا كانت محجوبة كان ذلك اقوى ما يكون من الحجاب نعوذ بالله من ذلك فلذلك اقتصر على ذكر هذه الاعضاء الثلاثة ثم انهم لما وصفوا انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم اليه فرعوا عليه قولهم فاعمل اننا عاملون (قوله لست ملكا الخ) بيان لوجه كون قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم الآية جوابا عن قولهم قلوبنا فى اكنة الآية وتقريره ان حاصل ما ذكروه من الاعراض عن قبول ما دعاهم الرسول اليه يرجع الى امرين احدهما كون ما دعاهم اليه مما تنبو عنه العقول و الاسماع بناء على ان عقولهم السخيفة تستبعد امر التوحيد والنشر من القبور وسائر ما يكون يوم القيامة وثانيهما كون بشريته حجابا مانعا يمنعهم من تصديقه فى دعوى الرسالة بناء على ان البشرية فى زعمهم منافية للرسالة وانما هى من مناصب الملائكة وهو المراد من قولهم ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل فى ابطال امرنا اننا عاملون فى ابطال امرك فان عندنا ما ينافى رسالتك وهو ان البشر لا يكون رسولا وانت بشر مثلنا فكيف تدعى الرسالة وليس عندك ما تدفع به هذا الدليل فالله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم عما ذكروه من الامرين اما عن الثانى فبان يقول ما جعلتموه منافيا للرسالة وهو البشرية هو المصحح للرسالة لان ارسال الملك والجنى الى البشر لا يوافق الحكمة من حيث ان البشر لا يمكنه ان يتلقى منهما ما يلقى اليه كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما عن الاول فبان يقول ان ما ادعوكم اليه من التوحيد والاستقامة فى العمل ليس مما تنبو عنه العقول والاسماع بل مما تقتضيه دلائل العقل وشواهد النقل (قوله متوجهين اليه) لما عدى فعل الاستقامة فى الآية بكلمة الى وهو لا يتعدى بها بل باللام ذكر لذلك وجهين الاول انه من باب التضمين والثانى ان الاستقامة بمعنى الاستواء وهو يتعدى بالى (قوله وذلك) اى الاستخفاف بالله وعدم الشفقة على خلقه من اعظم الرذائل لان انواع السعادة باسرها منوطة بامرين تعظيم امر الله والشفقة على خلقه فيكون الانصراف عنهما بالاشراك به وترك الانفاق فى وجوه الخير من اعظم الرذائل (قوله وفيه دليل) اى وفى تهديد المشرك على شركه وعدم ايتائه الزكاة دليل على ان المشرك حال شركه مخاطب بايتاء الزكاة

(وقالوا قلوبنا فى اكنة) اغطية جمع كنان (مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر) صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) على دينك او فى ابطال امرنا (اننا عاملون) على ديننا او فى ابطال امرك (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل (فاستقيموا اليه) فاستقيموا فى افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص فى العمل (واستغفروه) مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال (وويل للمشركين) من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله (الذين لا يؤتون الزكاة) لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع

اذلولاه لما استحق بعدم ايتائها الوعيد المذكور واذا كان مخاطبا بايتاء الزكاة يكون مخاطبا بسائر فروع الاسلام اذلا قائل بالفصل (قوله وقيل معناه لايفعلون مايزكى انفسهم) والمعنى على هذا فاستقيموا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة له وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك وسوء العمل وويل لكم ان لم تفعلوا ذلك فوضع موضعه المشركون الموصوفون بانهم لايفعلون مايزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة للاشعار بان الاستقامة اليه فى الافعال والتبرى من سوء العقائد والاعمال هو تزكية النفس (قوله حال مشعرة) وجه الاشعار ان الحال وصف لذى الحال واثبات الحكم للموصوف مشعر بعلية الوصف ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الاية (قوله لايمن به عليهم) فيكدر بالمن فان المن تهدم الصنيعة يقال من عليه منة اى امتن عليه ومن بهذا المعنى لازم لايجيئ منه اسم المفعول الابان يعدى بحرف الجر فلا بد ان يكون الممنون بمعنى الممنون عليهم على طريق الحذف والايصال وجميع مايعطيه الله تعالى عباده فى الآخرة تفضل منه تعالى وكرم وليس شئ منها بواجب عليه عند اهل السنة وماكان بطريق التفضل وان صح الامتنان به لكنه تعالى لايمن به عليهم فضلا وكرما (قوله اولايقطع) اى لايقطع اجرهم وثوابهم فى الآخرة بل هو دائم ابدى (قوله وقيل نزلت فى المرضى) فالمعنى على هذا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى زمان اقتدارهم عليها لهم اجر غير مقطوع اذا عجزوا عنها بالمرض او الهرم او نحوهما روى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طائعا حتى اطلقه او اقبضه الى وقيل غير مقطوع بعد موتهم ايضا اسند لا لابد لالة هذا الحديث (قوله كاصح ماكانوا يعملون) على حذف المضاف اى اكتب الاجر كاجر اصح ماكانوا يعملونه من الاعمال حال قدرتهم عليها ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول للمشركين انما انا بشر مثلكم الآية امره ثانيا بان ينكر عليهم امرين اولهما كفرهم بالله تعالى بالحادهم فى ذاته وصفاته كالتجسيم واتخاذ الصاحبة والولد والقول بانه تعالى لايقدر على نشر الموتى وانه لايبعث من البشر رسولا وثانيهما اثبات الشركاء والانداد له تعالى فقال عز من قائل قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا والاستفهام فيه للانكار ويجب ان يكون الكفر المذكور اولا مغايرا لاثبات الانداد له تعالى ضرورة انه عطف احدهما على الآخر فوجب التغاير (قوله فى مقدار يومين) اى لافى نفس يومين لان اليوم لكونه عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها لايمكن حصوله قبل حدوث السموات والشمس والقمر وظاهر هذه الاية يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء ومافيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب فكيف يتحقق اليوم حال خلق الارض وعلى تقدير ان يتقدم خلق السموات ومافيها على خلق الارض لايمكن ان يحصل اليوم قبل ان يخلق الارض لان طلوع الشمس وغروبها انما هما بالنسبة الى الافق ولا افق قبل تحقق الارض فظهر انه لايتحقق اليوم قبل خلق الارض سواء تأخر خلقها عن خلق السماء ام تقدم عليه فلما لم يتحقق اليوم حين خلق الارض وجب ان يحمل قوله تعالى فى يومين على مقدار يومين او ان يجعل اليومان مجاز امرسلا عن النوبتين على طريق الملزوم وارادة اللازم (قوله ولعل المراد من الارض مافى جهة السفل) اى من البسائط العنصرية التى هى الارض والماء والهواء والنار فسر الارض بالمعنى المجازى المتناول لحقيقة الارض وسائر البسائط العنصرية واختار ان يكون المراد بخلق الارض بهذا المعنى فى يومين خلقها بنوبتين على معنى انه تعالى خلق لها فى النوبة الاولى اصلا مشتركا هو الهيولى الاولى التى هى حقيقة واحدة مشتركة بين جميع العناصر وخلق لها فى النوبة الثانية صورا جسمية ونوعية بها صارت انواعا متمايزة على طبقات مختلفة والذى بعثه على تفسير الارض بالمعنى العام المتناول لجميع البسائط العنصرية انه تعالى ذكر فى مقام بيان مقدار آثار قدرته الكاملة وتفصيلها انه خلق الارض فى يومين وانه جملها مشتملة على ثلاثة انواع من الصنع العجيب الاول انه خلق فيها جبالا شامخات ثابتات فوقها لاستقرارها والثانى انه بارك فيها اى زاد فى خيرها بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار من الوان النبات وانواع الخيرات وجميع مايحتاج اليه من الخيرات والثالث انه قدر فيها اقوات اهلها بما يحدثه فى كل ناحية من نواحيها ثم ذكر استواءه الى خلق السموات من غير ان يتعرض لخلق ماعدا الارض من العنصريات مع ان ماعداها ايضا من جملة آثار قدرته الباهرة والمقام مقام تفصيلها فناسب لذلك ان يفسر الارض بمعنى يعم الجميع غاية مافى الباب ان يجعل الضمير فى قوله وجعل فيها رواسى من فوقها للارض الحقيقية على الاستخدام (قوله

وقيل معناه لايفعلون مايزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالاخرة هم كافرون) حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) لايمن به عليهم من المن واصله الثقل اولايقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ماكانوا يعملون (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) فى مقدار يومين او بنوبتين وخلق فى كل نوبة ماخلق فى اسرع مايكون ولعل المراد من الارض مافى جهة السفل من الاجرام البسيطة

ومن خلقها فى يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته (وتجعلون له اندادا) ولا يصح ان يكون له ند (ذلك) الذى خلق الارض فى يومين (رب العالمين) خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها (وجعل فيها رواسى) استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (وبارك فيها) واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات (وقدر فيها اقواتها) اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها (فى اربعة ايام) فى تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة ايام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة

ثم خلق لها صورا) يدل على انفكاك الصورة عن الهيولى وهو خلاف ما ثبت بالدليل اللهم الا ان يحمل التراخى المدلول عليه بكلمة ثم على التراخى فى الرتبة فان قيل المستدل به على ثبوت امر يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض فى يومين لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يثبت بالسمع ووحى الانبياء ومن انكر الوحى والنبوة كيف يسلم هذه المقدمة وكيف يمكن الاستدلال بها على فساد مذهبه اجيب بان الكفار يسلمون كون السموات والارض حادثتين مخلوقتين له تعالى فيمكن ان يقال لهم كيف تعقل التسوية بين الاله القادر على خلق هذه الاجرام العظام وبين الاصنام الموصوفة بالعجز التام و بقى ان يقال فحينئذ لا يبقى لكونه تعالى خالقا للارض فى يومين نفع فى الاستدلال واجيب عنه بانا لا نسلم ذلك بل له نفع فيه بناء على ان ذلك مذكور فى التوراة ومشهور عند اهل الكتاب وان كفار مكة كانوا يعتقدون فى حق اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم قد سمعوا هذه المقدمة منهم وسلموها واعتقدوا تحقيقها فبهذا الاعتبار كان لخلقه تعالى اياها فى يومين نفع فى الاستدلال (قوله استئناف غير معطوف على خلق) لما كان هذا النظم يوهم كونه معطوفا على خلق وكونه داخلا فى جملة الصلة بين فساد ذلك وهو وقوع الفصل بين اجزاء الصلة بالاجنبى وهو قوله تعالى وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ومنهم من قال انه معطوف على مقدر اى خلقها وجعل فيها رواسى احترازا عن لزوم هذا الفساد (قوله مرتفعة عليها) يعنى ان قوله من فوقها فى محل النصب على انه صفة رواسى وقوله ليظهر الخ بيان لفائدة قوله من فوقها يعنى ان الجبال التى اثبتت فوق الارض لتمنعها عن الميلان لو كانت تحتها كاساطين الغرف او مركوزة فيها كالمسامير لمنعتها منه لكن الحكمة الالهية اقتضت كونها مرتفعة عليها لما ذكر من وجهين الاول ان يظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستدلال ومن جملة الوجوه ان الانسان اذا رأى بعينه كون الجبال الثقال مثبتة فوق الارض الثقيلة علم ان كل واحدة من تلك الاثقال التى بعضها فوق بعض مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذلك الحافظ الممسك الا الله تعالى والثانى كون منافعها ظاهرة للطلاب والظاهر ان قوله معرضة بسكون العين وكسر الراء بمعنى ظاهرة من قولك عرضت الشئ فاعرض بمعنى اظهرته فظهر ومن النوادر ان يكون الثلاثى متعديا ثم اذا نقل الى باب الافعال يصير لازما نحو كببته فاكب (قوله اقوات اهلها او اقواتا تنشأ منها) يعنى ان المراد باقوات الارض ارزاق سكانها واضافتها الى الارض اما على حذف المضاف واما لكونها محلا لحدوثها فان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة فان الشئ يضاف الى فاعله والى مفعوله والى من ينتفع به وغير ذلك والمعنى على الاول انه تعالى قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وقدر فى كل قطر قوتا لاهل ذلك القطر وعلى الثانى انه تعالى خص لحكمته كل نوع من انواع الاقوات بقطر من اقطارها وجعل ذلك سببا لتعيش اهل البلدان بمراجعة بعضهم الى بعض للتجارة واكتساب الاموال ويؤيد هذا المعنى قراءة من قرأ وقسم فيها اقواتها (قوله فى تتمة اربعة ايام) اى فيما يتم به اليومان الاولان اربعة ايام فالمراد بالتتمة ما تتم به اليومان السابقان اربعة كانه قيل كان نصب الرواسيات وتقدير الاقوات وتكثير الخيرات فى يومين آخرين بعد خلق الارض فى يومين واشار بتقدير المضاف الى دفع ما يتوهم من المنافاة بين هذه الاية وبين ما تكرر فى القرآن من ان خلق السموات والارض كان فى ستة ايام وذلك لانه نص فى هذه الاية على انه خلق الارض فى يومين ثم انه جعل فيها رواسى واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام ثم صرح بانه قضاهن سبع سموات فى يومين فيكون مجموع ايام خلق العالم ثمانية ايام والمذكور فى الايات الاخر انها ستة ايام وبينهما منافاة ظاهرة ولما قدر المضاف اندفعت المنافاة ويمكن دفع المنافاة بوجه آخر وهو ان الآيات الدالة على ان ايام خلق السموات والارض ستة لم يذكر فيها تقدير الاقوات فجاز ان يصرف اليومان من الثمانية اليه وتبقى الستة لما سواه والله اعلم (قوله والى الكوفة فى خمسة عشر يوما) اى فى خمسة ايام بها تمت العشرة الاولى خمسة عشر يوما (قوله ولعله قال ذلك) جواب عما يقال لو كان المعنى كما ذكرت لكان الظاهر ان يقال خلق الارض فى يومين وجعل فيها الثلاثة انواع من الصنع العجيب فى يومين آخرين لكونه ابين للمراد وابعد من الشبهة وايهام خلاف المراد وتقرير الجواب ظاهر لمن تأمل فيه والفذلكة مأخوذة من قول الحاسب فذلك يكون كذا كالسبحلة والحوقلة المأخوذتين من سبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال سبحل المتعجب اى قال سبحان الله وفذلك الحاسب اذا كتب تفاصيل الاعداد ثم جمع تلك التفاصيل وكتب فى آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فان قيل كيف يكون قوله فى اربعة ايام تصريحا بالفذلكة مع ان

الفذلكة تقتضى ان يتقدم ذكر عددين او اكثر على وجه التفصيل وفى هذا الموضع لم يذكر العددان بل انما ذكر مدة خلق الارض فقط قلنا لا نسلم انه يجب فيها تقدم ذكرها صريحا بل يكفى فيها تقدم العلم بها باى وجه كان والامر فيما نحن فيه كذلك لانه لما ذكر ان الارض خلقت فى يومين وكذا السموات السبع علم ان ما فى الارض من الرواسى وسائر الخيرات خلق فى يومين آخرين بشهادة ما تكرر فى القرآن من ان خلق السموات والارض كان فى ستة ايام وعلى هذا الوجه كان قوله تعالى فى اربعة ايام تصريحا بالفذلكة لمدة خلق الارض وما فيها ويجوز ان يكون المراد بقوله والتصريح على الفذلكة التصريح بما هو شبيه بالفذلكة لانه فذلكة حقيقة لانه غير مسبوق بذكر العددين ولانه فسر قوله فى اربعة ايام بقوله فى تتمة اربعة ايام اى فى اليومين اللذين تم بهما اليومان السابقان اربعة وهذا ليس بفذلكة بل هو بيان ابتدائى لمدة خلق ما فى الارض وما عليها (قوله اى استوت سواء) على ان سواء اسم بمعنى استوآء منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مقدر والجملة صفة ايام اى فى اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ومن قرأ سوآء بالجر جعله صفة ايام فهو دليل على ان الجملة فى قرآءة النصب صفة له ايضا وقيل انتصابه على انه حال من احد ضميرى الارض اى مستوية والاول اولى لان المقام يقتضى توصيف الايام بانها مستوية لا تزيد ولا تنقص لا وصف الارض بذلك (قوله هذا الحصر) اى حصر مدة خلق ما ذكر من الارض وما فيها وما عليها فى اربعة ايام مستوية كائن لمن يسأل عنها ويقول فى كم خلق الارض وما فيها وما عليها ويكون السؤال سؤال استعلام لا سؤال استعطاء ويكون قوله للسائلين خبر مبتدأ محذوف صرح بالفذلكة بقوله كل ذلك خلق فى اربعة ايام سوآء ثم استأنف بان قال هذا الحصر والبيان لمن يسأل عن مدة خلق ذلك وان كان للسائلين متعلقا بقوله وقدر فيها اقواتها يكون السؤال سؤال استعطاء وهو طلب الخير فان اهل الارض كلهم طالبون للقوت محتاجون اليه (قوله من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره) والاستوآء بهذا المعنى هو ضد الاعوجاج ونحوه استقام اليه ولما كان الاستوآء الى الشئ بهذا المعنى محالا على الله تعالى لاستلزامه الانتقال من مكان الى مكان قال صاحب الكشاف والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك فجعل الاستوآء الى خلق السماء مجازا عن ملزومه الذى هو استدعاء الحكمة خلقها من غير ان يعارضها صارف يصرفها عنه (قوله والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين) اى بحسب الرتبة على سبيل الترقى من الادنى الى الاعلى لان الكلام مع المعاندين المتمردين والمعنى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وفعل كذا وكذا واعظم من ذلك انه استدعت الحكمة ان يخلق السماء وهى شئ حقير ظلمانى كالدخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها الخ ومقصود المصنف من هذا القول دفع ما يتوهم من المنافاة بين قوله ثم استوى الى السماء وخلقها وبين قوله أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها فان الاول يشعر بان السماء خلقت بعد الارض وبه قال ابن عباس والثانى يدل على ان خلق الارض كان بعد خلق السماء وبه قال قتادة والسدى وهما متنافيان وجوابه المشهور بين المفسرين ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعده السماء كما هو المفهوم من هذه الآية ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبسطها وبهذا الطريق يزول التناقض والمصنف اشار الى رد هذا الجواب بقوله ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وتقريره ان دحو الارض كيف يكون متأخرا عن خلق السماء والحال ان خلق السماء على ما يشعر به قوله ثم استوى الى السماء متأخر عن ارساء الجبال على الارض وتكثير خيرها وتقدير اقواتها ولا يخفى ان هذه الاحوال لا يمكن تحققها الا بعد ان صارت الارض مدحوة منبسطة اما ارساء الجبال عليها فظاهر واما تكثير خيرها فلانه مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة وكذا تقدير الاقوات فيها فانها متفرعة على تمييز اقطارها واطرافها واذا كان خلق السماء متأخرا عن هذه الاحوال المتأخرة عن الدحو استحال ان يكون الدحو متأخرا عن خلق السماء ضرورة كون الدحو متقدما على الاحوال المذكورة المتقدمة على خلق السماء كما يقتضيه قوله تعالى ثم استوى الى السماء فلما لم يجز كون الدحو متأخرا عن خلق السماء لم يصلح الجواب المذكور جوابا وبقى التناقض بحاله فلذلك اعرض المصنف عنه واجاب عن سؤال التناقض بوجه آخر وهو ان يجعل قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها باقيا على ظاهره ويجعل كلمة ثم فى هذه الآية للدلالة على تفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى الزمان حتى

(سوآء) اى استوت سواء بمعنى استوآء والجملة صفة ايام ويدل عليه قرآءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها وقرئ بالرفع على هى سوآء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اى قدر فيها الاقوات للطالبين لها (ثم استوى الى السماء) قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها

يلزم التناقض (قوله امر ظلماني) اشارة الى ان قوله وهي دخان من قبيل التشبيه البليغ والمعنى انه قصد وتوجه نحو السماء توجها يليق بذاته والحال انها امر مظلم عديم النور شبه الدخان في بادي النظر وحمله على التشبيه لتعذر ان يكون المراد حقيقة الدخان وهو ما ارتفع من لهب النار (قوله ولعله اراد به مادتها) اى ولعله اراد بتلك المادة البخار المتصاعد من الماء الذي انقلب اليه من اول ما خلق الله تعالى على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت من ذلك النظر ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله تعالى فيه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات فسمى الله تعالى ذلك البخار المتصاعد سماء والحال انه لم يكن على صورة السماء حال الاستواء اليه حيث قال ثم استوى الى السماء وهي دخان على طريق تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه ثم بين انه جعل ذلك البخار المظلم سبع سموات حيث قال فقضاهن سبع سموات هذا على ان يكون المراد بالامر الظلماني المادة التي صورت بصورة السماء ثم ذكر انه يحتمل ان يكون المراد بذلك الامر الظلماني الاجزاء التي لا تتجزأ فانها في ابتداء خلقها كانت اشياء مظلمة عديمة النور ثم اذا ركبت وجعلت سموات وكواكب وشمسا وقمرا احدثت فيها صفة الضوء فحينئذ كانت مشرقة مستنيرة ولما كانت اول حدوثها مظلمة صح تسميتها بالدخان تشبيها لها به من حيث انها اجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان فانه ليس له صورة تحفظ تركيبه (قوله بما خلقت فيكما) دفع لما يتوهم من ان قوله تعالى للارض والسماء ائتيا يستلزم ارادة ايجاد الموجود بالنسبة الى الارض لان الفاء في قوله فقال لها وللارض لعطف مدخولها على قوله استوى وقدم ان الاستواء الى السماء عبارة عن ملزومه وهو اقتضاء الحكمة خلقها من غير ان يعارضه مايصرفه عن خلقها فكان امرهما بالاتيان عقيب الاخبار باستدعاء الحكمة لخلق السماء بمعنى ارادة وجودها وارادة وجود الارض بعد الاستواء الى السماء المتأخر عن خلق الارض في يومين ارادة لايجاد الموجود والمصنف دفع لزومه بوجوه محصول الاول ان قوله فقال معطوف على مقدر والتقدير ثم استوى الى السماء اى ثم دعا داعي الحكمة الى خلقها فخلقها فقال لها وللارض بعد خلقهما ائتيا على ان يكون مفعول ائتيا محذوفا والمعنى ابرزا ما اودع فيكما من الاوصاف كتأثير العلويات في السفليات وتأثر الاخرى عن الاولى وتبدل اوضاع الاولى وكيفيات الثانية وما يتفرع عليها من الكائنات المتنوعة ومحصول الوجه الثاني ان المراد بخلقهما تقديرهما والحكم بوجودهما في اوقات معينة وبالامر باتيانهما ايجادهما طبق ما قدرهما ولا يلزم ايجاد الموجود بناء على ان الخلق السابق بمعنى التقدير فقوله تعالى خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثها في يومين وقضاء الله بانه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فجاز ان يقضي الله تعالى بحدوث الارض في يومين ثم يقول للسماء وللارض ائتيا في الوجود والحدوث من غير ان يلزم منه ايجاد الموجود ولما ورد ان يقال لما كان قوله تعالى خلق الارض في يومين بمعنى انه قضى وقدر وجودها في يومين كان قوله ثم استوى الى السماء اى الى خلقها بمعنى ثم دعاء داعي الحكمة الى تقدير السماء بعد تقدير الارض وتقدير كل واحد من الاشياء صفة ازلية لا يترتب بعضها على بعض فلا وجه لكلمة ثم في قوله ثم استوى الى السماء اجاب عنه بوجهين الاول ان ثم لترتيب رتبة التقديرين لا لترتيب زمانهما والثاني انها لترتيب الاخبار على الاخبار ومحصول وجه الثالث ظاهر وقد عرفت ما فيه من ان دحوها اى دحو الارض متقدم على خلق الرواسي من فوقها المتقدم على خلق السماء فكيف يقترن خلقهما مع الدحو وفيه ايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز الا ان يقال الاتيان المسند الى ضمير الارض غير ما اسند الى ضمير السماء فلا جمع بينهما في لفظ واحد حكما ومحصول الرابع ان المراد بخلقهما ايجادهما وباتيانهما موافقة كل واحدة منهما صاحبتها في كونها سببا مؤديا الى حدوث ما اريد توليده منهما (قوله من المؤاتاة) يعنى ان وزن آتيا وآتينا بالمد فيهما فاعلا وفاعلنا مثل قاتلا وقاتلنا وسارعا وسارعنا وانهما ليسا من الايتاء بمعنى الاعطاء على ان يكون وزنهما افعلا وافعلنا مثل اكرما واكرمنا وانما جعله من المؤاتاة لا من الايتاء بمعنى الاعطاء لان الاول متعد الى مفعول واحد والثاني الى مفعولين وحذف المفعول الواحد اسهل من حذف المفعولين (قوله لاثبات الطوع والكره لهما) لانهما من اوصاف العقلاء ذوى الارادة والاختيار والسماء والارض من قبيل الجمادات العديمة الارادة والاختيار فلذلك لم يكن المراد اثبات حقيقة الطوع والكره لهما بل المراد اظهار تأثير قدرته

(وهي دخان) امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابراز ما اودع فيكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه اولتأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اى لتوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما (طوعا او كرها) شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لاثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال

فيهما واستحالة امتناعهما عن التأثر عنها كما يقول الجبار لمن هو تحت يده لتفعلن هذا شئت او أبيت ولتفعلنه طوعا او كرها يريد به ذلك الاظهار والاستحالة وان كان ذلك الشخص مما يصح اتصافه بحقيقة الطوع والكره الا ان مراد الجبار ليس اثباتهما له وانما مراده اظهار كمال قدرته وقوله وهما اى طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الحال اى طائعين او مكرهتين (قوله اى منقادين بالذات) اى بالارادة والاختيار (قوله والاظهر) جواب عما يقال كيف خوطب الجمادات بقوله ائتيا وكيف اخبرن بقولهن اتينا مع انهن لسن اهلا للخطاب والجواب وتقرير جوابه انه من قبيل الاستعارة التمثيلية من غير ان يتحقق هنا خطاب ولا جواب شبه تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها بالذات اى لا بالمشيئة والاختيار بامر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع له فيمتثل امره ولا يرد قوله بل يتلقاه بالقبول والامتثال فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها (قوله وما قيل انه تعالى خاطبهما الخ) اى قيل لا يبعد ان يخاطب الله تعالى اياهما ويأمرهما بالاتيان وان يجيباه ويمتثلا امره بان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف اليهما ويدل عليه قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فانه يدل على كونها عاقلة عارفة بالله ويتوجه تكليفه اليها وبعقوبة من قصر فى رعاية مقتضى التكليف وذلك كما انطق الله تعالى الجبال مع داود وانطق الايدى والارجل بالشهادة بما فعل اصحابهما قال المصنف وهذا القول انما يتصور ان لو كان المراد بالامر باتيانهما الامر بابراز ما اودع فيهما من الاوصاف والاوضاع والكيفيات والامر بان تأتى كل واحدة منهما صاحبتها اتيانا تقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض لتحقق التأثير والتأثر المؤديان الى انتظام احوال اهل الارض واما ان اريد باتيانهما الاتيان الى الوجود والحدوث وهو الوجه الثانى او اريد باتيان الارض كونها مدحوة قرارا ومهادا لاهلها او باتيان السماء حدوثها على وفق التقدير الازلى وهو الوجه الثالث فلا يصح ذلك القول لان كون الشئ صالحا للخطاب قادرا على الجواب متفرع على وجوده والوجود حاصل على الوجهين المتطرفين فان السماء والارض حال توجه الامر بالاتيان الى الوجود اليهما والى السماء وحدها كانتا معدومتين او كانت احداهما معدومة اذ لو كانتا موجودتين لما جاز ان يتوجه اليهما الامر بالاتيان الى الوجود لانه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود وان كانتا معدومتين او احداهما لم تكونا عاقلتين فاهمتين للخطاب قادرتين على الجواب فلا يتصور ان يقال لا بعد فى ان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ويخاطبهما ويجيبا خطابه فان قلت الوجود حاصل فى الارض على الوجه الثالث ولم يحصل فى السماء قلت يجوز خطاب اثنين وجوابهما بمجرد صلاحية احدهما لهما (قوله وانما قال طائعين) جواب لما يقال السماء والارض اسمان مفردان من قبيل المؤنثات السماعية ومدلول كل واحد منهما متعدد سموات وارضون فكان ينبغى ان يقال طائعتين حملا على اللفظ او طائعات حملا على المعنى فلم قيل طائعين على لفظ جمع الذكور العقلاء وتقرير الجواب انهما لما وصفا باوصاف العقلاء من كونهما مخاطبات ومجيبات وطائعات ومكرهات عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدد مدلولهما كقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (قوله خلقا ابداعيا) اى على طريق الاختراع لا على مثال لعل قيد الابداع مستفاد من كون اتمامهن والفراغ منهن حال كونهن سبع سموات متفرعا على الاستواء الى السماء حال كونها دخانا اى شيأ حقيرا مظلما كالدخان فيكون خلقها ابداعيا من غير ان يكون على مثال او مستفاد من قوله تعالى فى مواضع آخر بديع السموات واما قيد الاتقان فانه مستفاد من قوله تعالى فقضاهن اى اتمهن وفرغ من خلقهن فان قضاء الشئ اتمامه اما قولا كما فى قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه واما فعلا كما فى هذه الآية والاتمام فعلا انما يكون بان لا يكون فى المفعول خلل ونقصان وهو معنى الاتقان (قوله والضمير للسماء على المعنى) اى ضمير فقضاهن فان السماء وان كان مفرد اللفظ الا انه فى معنى الجمع لتعدد مدلوله ويحتمل ان لا يرجع الى السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بل يكون ضميرا مبهما يفسره سبع سموات كضمير ربه رجلا ٭ ورد فى الاخبار انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة والظاهر انه ينبغى ان يكون المراد به انه خلق العالم كله فى مدة لو حصل فيها افلاك وشمس وقمر لكان مبدأ تلك المدة اول يوم الاحد وآخرها آخر يوم الجمعة (قوله شأنها وما يتأتى منها) اى من الحركات المختلفة والاوضاع المتجددة

(قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثانى (فى يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (وأوحى فى كل سماء امرها) شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره

وكونها مزينة بالثوابت والسيارات الى غير ذلك من الشؤون والاحوال فسر الامر بالشأن فيكون واحد الامور
فان الامر الذى هو مصدر قولك امرته بكذا امر يجمع على اوامر ومعنى ايحاء الامر بهذا المعنى فى كل سماء جعل
كل واحدة منها على ما يأتى منها من الشؤون والامور بحيث تأتى السماء به اختيارا عند من يقول بان الافلاك لها
نفوس تؤثر فى اجرامها بارادته واختياره اوطبعا عند من لايقول بذلك والايحاء فى الاصل الالقاء استعمل هنا
فى اظهار ما اراده فى كل سماء وقيل اوحى الى اهلها باوامره على ان الامر مصدر امر بكذا والآمر هو الله تعالى
والمأمور اهل كل سماء الا انه اضيف الامر الى نفس السماء للملابسة فانه تعالى كلف اهل كل سماء بتكليف خاص
فمن الملائكة من بقى فى القيام من اول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لاينتصبون ومنهم سجود لايرفعون
رؤسهم ولما كان ذلك الامر مختصا باهل تلك السماء كان مختصا بتلك السماء ايضا بواسطة اهلها فصحت اضافته اليها
(قوله فان الكواكب كلها) يعنى ان المراد بالمصابيح جميع الكواكب المنيرة التى خلقها الله تعالى فى السموات من
الثوابت والسيارات وليس كلها فى السماء الدنيا وهى التى تدنو وتقرب من اهل الارض فان كل واحد من السيارات
مختص بسماء من السموات السبع والثوابت مركوزة فى الفلك الثامن الا ان كونها مركوزة فيما فوق السماء الدنيا
مما لاينافى كونها زينة لها الا ترى جميعها كالسرج الموقدة فيها (قوله اومن المسترقة) وهى الشياطين
الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهب صادرة من نار الكواكب منفصلة عنها لا رجوما بالكواكب
انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذلك الا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لاينتقص منها شئ
والشهاب شعلة نار ساطعة والشهب جمعه (قوله وقيل مفعول له) لم يرض به لاحتياجه الى اعتبار الفعل المعلل
وتغيير اسلوب النظم الى مالا حاجة اليه ويمكن جعله مفعولا له بتجريد جعله معطوفا على آخر مثله ويكون التقدير
وزينا السماء الدنيا بمصابيح تزيينا لها وحفظا وهو ليس بابعد من تقدير العامل ثم انه تعالى لما امر بان يجيب
المشركين بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ثم يحتج عليهم بقوله ائنكم لتكفرون بالذى خلق
الارض فى يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز ان يكفر به ويجعل له اندادا قال فان
اعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة واصروا على الجهل والتقليد فقل لهم لم يبق فى حقكم علاج الا انزال العذاب
الذى نزل على من قبلكم من المعاندين والانذار التخويف والصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته
استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيها له بها فى الشدة والهول (قوله وهى المرة من الصعق اوالصعق) بسكون العين
مصدر من المتعدى ومعناه الاهلاك وبفتح العين مصدر من اللازم بمعنى الهلاك يقال صعقته الصاعقة صعقة بفتح
العين فى الماضى وسكونها فى المصدر اى اهلكته الصاعقة فصعق صعقا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المصدر
اى هلك ومات (قوله حال من صاعقة عاد) اى من الصاعقة الثانية اى مثل صاعقتهم التى كانت وقت مجيئ الرسل
اليهم فكذبوهم فالمراد كون متعلق الظرف حالا منه لان الصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق فهى جثة والزمان
كما لا يكون صفة للجثة لايكون حالا منها ايضا ولا يجوز جعله صفة لصاعقة الاولى ولا ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى
لان انذاره قومه المعرضين ليس فى وقت مجيئ الرسل الامم المكذبة ولا صاعقتهم كانت فى ذلك الوقت (قوله
من جميع جوانبهم) ليس المراد الجهات الحسية والاماكن الحقيقية المحيطة بهم بل ما يشبهها من جهات الارشاد
وطرق النصيحة فتارة جاؤا من جانب الانذار والتخويف واخرى من جانب التشويق والترغيب فيما اعد لاهل
الايمان والطاعة ومرة من جانب البينات الدالة على حقية ما دعوهم اليه من التوحيد والاذعان بجميع ما شرع
لهم من وجوه الطاعة ونحو ذلك واعمل كل رسول فى حق قومه كل حيلة حرصا لايمانهم (قوله اومن قبلهم ومن
بعدهم) على ان يكون من بين ايديهم حالا من الرسل اى كائنين قبلهم وبعدهم اوصفة لهم اى الرسل الكائنين
من قبلهم ومن بعدهم ولما ورد ان يقال الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف
يخاطبهم عاد وثمود بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون اشار الى جوابه بقوله اذ قد بلغهم خبر المتقدمين (قوله بان
لاتعبدوا اواى لاتعبدوا) اى يحتمل ان يكون كلمة أن فى قوله ان لاتعبدوا مصدرية وان يكون مفسرة لما جاءت
الرسل به لان قوله جاءتهم يتضمن معنى القول (قوله على زعمكم) يعنى ان قوله ارسلتم به ليس اقرارا منهم بكون
اولئك الانبياء رسلا وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل اوعلى سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل
اليكم لمجنون ثم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجمال اخذ فى تفصيل حال كل واحدة من هاتين

(وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها
ترى كانها تتلألأ عليها (وحفظا) اى وحفظناها
من الآفات اومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له
على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح
زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ
فى القدرة والعلم (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا
البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) فحذرهم ان يصيبهم
عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة
عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهى المرة
من الصعق اوالصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا
فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة
عاد ولايجوز جعله صفة لصاعقة اوظرفا لانذرتكم لفساد
المعنى (من بين ايديهم ومن خلفهم) أتوهم من جميع
جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن
الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة
المستقبل بالتحذير عما اعد لهم فى الآخرة وكل
من اللفظين يحتملهما و من قبلهم ومن بعدهم
اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح
عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل
ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان (الا تعبدوا الا الله) بان
لاتعبدوا اواى لاتعبدوا (قالوا لوشاء ربنا) ارسال الرسل
(لأنزل ملائكة) برسالته (فانا بما ارسلتم به) على زعمكم
(كافرون) اذ انتم بشر مثلنا لافضل لكم علينا (فاما عاد
فاستكبروا فى الارض بغير الحق) فتعظموا فيها على
اهلها بغير استحقاق (وقالوا من اشد منا قوة)
اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم
ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده

الطاغين فقال فاما عاد فاستكبروا الاية كان هود يهددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه عنا بفضل قوتنا فرد الله تعالى عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة فان قولهم من اشد منا قوة استفهام اريد به النفى اغتروا بقدرة كائنة باقدار الله تعالى اياهم على بعض الاشياء وجحدوا قدرة من هو قادر على كل شئ بقدرة ذاتية غير مستفادة من غيره فاستحقوا ان يردعليهم بان نفيكم من هو اشد منكم قوة جحد وانكار لما تعلمونه فان قوله تعالى اولم يروا تقرير لعلمهم بذلك ثم ان المصنف فسر القوة فى قوله تعالى هو اشد منهم قوة بالقدرة لان صيغة التفضيل تقتضى اشتراك المفضل والمفضل عليه فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل ولا اشتراك بينه تعالى وبين الانسان فى القوة التى هى عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف فانه تعالى منزه عن القوة بهذا المعنى وانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فوجب ان يراد بقوة الانسان القدرة مجازا لكونها مسببة عن القوة بمعنى صلابة البنية فتكون القوة فى كل واحد من جانبى المفضل والمفضل عليه بمعنى واحد فيصح تفضيل احدهما على الاخر فى القوة بالمعنى المجازى (قوله يعرفون انها حق وينكرونها) يريد ان الجحود هو الانكار مع العلم (قوله وهو عطف على فاستكبروا) ونظم الكلام هكذا فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وكانوا بآياتنا يجحدون والمعنى انهم جمعوا بين الاستكبار اى طلب العلو فى الارض وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الاحسان الى الخلق وبين الجحود بالآيات وهو كفر وترك لتعظيم الخالق فيكون قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اعتراضا واقعا بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان السبب الداعى الى الاستكبار والرد عليهم فيما زعموه ولما جمعوا بين الوصفين اللذين هما اصل جميع الصفات الذميمة لا جرم سلط الله عليهم العذاب فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى الصحاح الصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث والصرصر تكرير لبنى الصر ويقال ايضا صر القلم والباب يصر صريرا اى صوت فيكون الصرصر تكرير يصر (قوله وقرأ الحجازيان) ابن كثير ونافع والبصريان ابو عمرو ويعقوب بسكون الحاء فى نحسات على انه صفة مشبهة من نحس على وزن علم اصله نحسات بكسر الحاء فاسكنت للتخفيف او على ان كل واحد من نحس ونحس بكسر الحاء وسكونها لغة اصلية فى صفة فعل الا ان علماء التصريف لم يذكروا فى الصفة من باب فعل بكسر العين الا اوزانا محصورة ليس فيها افعل بالسكون فذكروا فرح فهو فرح وحور فهو احور وشبع فهو شبعان وسلم فهو سليم وبلى فهو بال او على انه مصدر وصف به كرجل عدل وفيه ضعف لان الاصل الفصيح فى المصدر الذى وصف به ان لا يجمع وقد جمع ههنا ويمكن ان يعتذر عنه بان جمع نحسات لاختلاف انواعه فى الاصل وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء على انه صفة مشبهة من نحس كفرح فهو فرح وأشر فهو أشر والمعنى فى ايام مشئومات لان النحس مقابل السعد ونحوستها ان الله تعالى ادام تلك الريح فيها على وتيرة وحالة واحدة لا تتغير وأهلك القوم بها لا كما زعم المنجمون من ان بعض الايام قد يكون فى ذاته نحسا وبعضها سعدا استدلالا بهذه الاية فان اجزاء الزمان متساوية فى حد انفسها ولا تمايز بينها الا بحسب تمايز ما وقع فيها من الطاعات والمعاصى ولا استدلال بالمحتمل (قوله على قصد وصفه به) اى وصف العذاب بالخزى وكون اضافة العذاب اليه من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كما تقول فعل السوء بالاضافة وتريد الفعل السيء على الوصفية فاصل الكلام عذاب خزى اى عذاب ذليل مهان فخزى صفة مشبهة اصله خزى فاعل كقاض ثم اضيف العذاب الى ما قصد توصيفه به فقيل عذاب الخزى كما قيل رجل صدق للدلالة على اختصاصه بتلك الصفة واستدل على ان اضافة العذاب الى الخزى على قصد وصفه بالخزى بقوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى اى اذل وازيد خوفا وخزيا فانه لولا ان المقصود توصيف العذاب بالخزى لما صح ان يجعل عذاب الاخرة مقابلا لعذاب الدنيا لكون الاول اشد خزيا بالنسبة الى الثانى ولما ذكر الله تعالى قصة عاد اتبعها بقصة ثمود فقال واما ثمود الجمهور على رفع ثمود غير منون لمنع صرفه للعلمية والتأنيث فانه اسم قبيلة ومن نونه وصرفه جعله اسم رجل وهو الجد الاعلى للقبيلة ورفعه على الابتداء لان اما لا يليها الا المبتدأ ولا يجوز الاشتغال فيما بعدها الا نادرا قال ابن الحاجب ويختار رفع ما اضمر عامله بالابتداء اذا وقع بعد اما مع غير الطلب ولو كانت مع الطلب يختار النصب لئلا يقع الطلب خبرا واذا قدرت الفعل الناصب فقدره بعد الاسم المنصوب هكذا واما ثمود هدينا فهديناهم قالوا لان اما لا يليها الافعال (قوله فدللناهم على الحق) اشارة الى ان الهداية عبارة عن الدلالة على ما يوصل الى المطلوب سواء ترتب عليها الاهتداء ام لا وليست عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية وفسرها

(واولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة) قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره (وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع او شديد الصوت فى هبوبها من الصرير (فى ايام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله (ولعذاب الاخرة اخزى) وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (واما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى

[illegible]

[illegible]

[illegible] وأما ثمود فهديناهم [illegible] فاستحبوا العمى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والايمان [illegible]

[illegible] واما ثمود فهديناهم [illegible]

[illegible] وهذا [illegible]

[illegible] الله [illegible] كل شئ وقوله [illegible] ولا يستحق ان [illegible]

اختياره [illegible] والتحقيق ان من اسباب [illegible] ليست باختيارية [illegible]

والاختيار [illegible] الاختياري [illegible] من الله تعالى [illegible]

لا تجاب ما يشعر بان قدرة الله تعالى هي المؤثرة وقدرة العبد [illegible] الايمان مقدور [illegible]

[illegible] دقيق عجيب (قوله واضافتها الى العذاب) اى اضافة الصاعقة الى العذاب الموصوف بالهون

[illegible] في كونه مهينا ليدل على شدة وقع الصاعقة وقوتها [illegible]

[illegible] من جنس العذاب الهون الذي بلغ في الدرجة الهوان للعذاب الى حيث [illegible]

ما كان [illegible] الوقع كانه صاعقة [illegible] والهون مصدر بمعنى الهوان والذل وصف به العذاب [illegible] عذاب

مهين كانه عين الهوان [illegible] من ثلاثة اوجه الاول من [illegible] صاعقة العذاب [illegible]

[illegible] الصاعقة الى العذاب والثالث من وصف العذاب بالهون ثم انه تعالى [illegible]

في الدنيا [illegible] في الآخرة [illegible] الاعتبار [illegible] ويوم يحشر اعداء

الله الى النار فيوم منصوب بمحذوف دل عليه ما بعده من قوله فهم يوزعون [illegible] يوم يحشر

وقال ابو البقاء تقديره [illegible] يوم يحشر وقيل المنصوب باذكر مقدرا اى اذكر يوم يحشر [illegible] من الاولين

والآخرين [illegible] يوزعون اى يحبس سوابقهم حتى يلحق بهم اواخرهم وهو عبارة عن كثرتهم [illegible] يحشر

[illegible] الشين على بناء [illegible] ورفع اعداء لقيامه مقام الفاعل وحتى غاية يحشر [illegible]

[illegible] ومعنى التأكيد في كلمة ما ان وقت حضورهم النار [illegible] هو وقت الشهادة عليهم [illegible]

اذا ما وقع آمنتم به [illegible] لوقت وقوع العذاب [illegible] روى انه صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] ثم قال ألا تسألون لم ضحكت قالوا لم ضحكت يا رسول الله قال عجبت من [illegible]

يقول يوم القيامة يا رب أليس قد وعدتني ان لا تظلمني قال فان لك ذلك قال فاني لا اقبل على شاهدا الا من

نفسي قال او ليس قد كفى بي شهيدا [illegible] الكرام الكاتبين [illegible] يا رب قد اجرتني من الظلم [illegible]

[illegible] هذا الامر [illegible] وتكلم الاركان [illegible] قال عليه الصلاة والسلام [illegible]

[illegible] (قوله تعالى سمعهم) اى آذانهم وافرد لكونه مصدرا في الاصل [illegible]

[illegible] سؤال [illegible] للاعضاء وهذا على ان يكون [illegible]

ان يظهر عليها احوال تدل على صدور [illegible] الاعمال منهم فيكون الجواب بقالوا انطقنا الله [illegible]

(قوله اى ما نطقنا باختيارنا) اى حتى [illegible] هذا على ان يكون [illegible] سؤال توبيخ وقوله او [illegible]

[illegible] على ان يكون سؤال تعجب (قوله تمام كلام الجلود) فيكون معطوفا على قوله انطق كل شئ [illegible]

[illegible] الله الذي [illegible] على [illegible] تمام كلام الجلود [illegible] انطق كل شئ

[illegible] وهو خلقكم ابتداء كلام من الله تعالى لبيان ان من قدر على خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من

مضغة [illegible] حيوانا [illegible] اول مرة اى في الدنيا [illegible] وارجاعكم الى موقف حسابه وجزائه كيف [illegible]

[illegible] في الجوارح [illegible] ان يخلق الله فيها [illegible] على النطق

[illegible] وهذا القول [illegible] مذهب المعتزلة [illegible]

(بما كانوا يكسبون) [illegible] (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) [illegible] (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) وقرأ [illegible] نحشر بالنون [illegible] (فهم يوزعون) [illegible] أولهم على آخرهم [illegible] عن كثرة اهل النار (حتى اذا ما جاؤها) [illegible] وما مزيدة [illegible] (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بأن ينطقها الله [illegible] (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شئ) اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شئ [illegible] انطق كل حي [illegible] (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا

والعقل والقدرة و اللسان مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا للعلم والعقل فان قلت انه تعالى غير تلك البنية والصورة خرج عن كونه لسانا وجلدا وظاهر القرآن يدل على اضافة تلك الشهادة الى السمع والبصر والجلود وان قلنا انه تعالى ما غير بنية هذه الاعضاء فحينئذ يمتنع كونها عاقلة ناطقة فاهمة وانما يتأتى على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم ولا للقدرة عندنا فهو تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق فى كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء وقيل فى كيفية نطقها وشهادتها ان تظهر فيها احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال شهد العالم بتغيرات احواله على حدوثه (قوله تعالى ان يشهد) فى موضع النصب باسقاط الخافض من ان يشهد او الجر على ارادته لان استتر لا يتعدى بنفسه وقيل فى موضع الجر على تقدير المضاف اى مخافة ان يشهد اى كنتم تكتفون عند ارتكاب الفواحش بالتستر والاستخفاء من الناس ولم تعلموا انه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة من خفيات الامور وجلياتها حتى تخافوا من ان يفضحكم بان ينطق اعضاءكم ويشهدها عليكم ولكن ظننتم انه تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون اى لا يعلم ما فعلتموه خفية مستترين بالحيطان والحجب وظلمة الليل فلذلك اجترأتم على ارتكاب الفواحش خفية وما علمتم انه تعالى مطلع عليها ومفضحكم بها بان ينطق جوارحكم ويشهدها عليكم فان طائفة من الكفار بلغ جهلهم الى ان ظنوا انه تعالى يعلم بعض الامور ويخفى عليه بعضها عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما فى انفسنا ولكنه يعلم ما نظهره وعن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى او قرشيان وثقفى كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال آخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الثالث ان كان يسمع ان جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الاية قيل الثقفى عبد ياليل والقرشيان ختناه ربيعة وصفوان بن امية (قوله اذ صار ما منحوا) فان القوة العاقلة نعمة انعم الله تعالى بها على عباده ليتوسلوا بها الى تحصيل العقائد الحقية التى هى سبب سعادة الدارين ومن توسل بها الى شقاء الدارين فقد خسر خسرانا مبينا وهذه الاية نص صريح فى ان من ظن انه تعالى يخرج عن علمه شئ من المعلومات فانه الهالك الخاسر وان ظنه ذلك يرديه ثم قال فان يصبروا اى ان امسكوا عن الاستغاثة والجزع مما هم فيه انتظار الفرج زاعمين ان الصبر مفتاح الفرج لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم من الثواء وهو الاقامة وذكر فى مقابلة صبرهم استعتابهم فقال وان يستعتبوا بفتح ياء الغيبة وكسر التاء الثانية على بناء الفاعل اى وان اظهروا الجزع واستغاثوا فى ازالة ما هم فيه من العذاب لم يعتبوا اى لم يجابوا الى ذلك فكان جزعهم وصبرهم سواء فى ان شيأ منهما لا يؤدى الى الخلاص يقال عتب عليه اى وجل عليه وغضب واعتبنى فلان اى عاد الى مودتى راجعا عن الاساءة والاستعتاب طلب العتبى وهو اسم من الاعتاب بمعنى ازالة العتب كالعطاء والاستعطاء فهو تعالى عاتب مغضب على المسئ بتعذيبه والمسئ مستعتب يطلب منه تعالى ان يعتبه اى يزيل عنه ما هو فيه من العقوبة والعذاب الا انه لا يكون معتبا وقرئ وان يستعتبوا على بناء المفعول فما هم من المعتبين على بناء اسم الفاعل من اعتب بمعنى رضى وازال عنه اى ان استعتب احد منهم بان يطلب منهم ان يعتب ربه ويزيل ما يعتب ربه عليه لم يقدروا عليه لانهم فارقوا دار التكليف والطاعة وآتوا دار الجزاء فاين يقدرون على اعتاب ربهم ثم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد فى الدنيا والاخرة على كفر اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذى لاجله وقعوا فى ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اى جعلنا القرناء وقدرناها قيضا لهم اى بمنزلة القيض الذى يستولى على اللب كما يستولى القيض على البيض وقيض البيضة قشرها فانهم لما صمموا على الكفر لم يبق لهم من الاصدقاء الا الشياطين وهذا معنى قول الجوهرى قيض الله فلانا لفلان اى جاءه به واتاحه له اى قدره له واخدان جمع خدن وهو الصديق وقيل قيضنا ليس من القيض بمعنى القشر بل هو من القيض بمعنى البدل والعوض كما يقال هذان ثوبان قيضان اذا كان كل واحد منهما مكافئا للآخر فى القيمة بحيث يصح ان يباع احدهما بالآخر مقايضة اى مبادلة وهى بيع السلعة بالسلعة سمى بها لكونه معاوضة احد المتباعين بالاخر ولما كان عقد المقايضة مبنيا على مناسبة احد البدلين للاخر كان معنى الاية جعلنا وقدرنا قرناء السوء لهم قيضا اى مناسبا لهم بحيث يليق ان يتخذوهم اخدانا واصدقاء يقبلون ما دعوهم اليه ولم يرض بهذا الاحتمال لما فيه من التكلف وقد دلت الاية على ان كفر الكافر بارادة الله تعالى ومشيئته وان لم يرضه لانه حكم بانه قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا

(وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغى ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على ما فعلتم (وذلكم) اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله (ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم) خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا (فاصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم عنها (وان يستعتبوا) يسألوا العتبى وهى الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (وقيضنا) وقدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة

يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر لانه تعالى قيض لهم اولئك القرناء باردته وهو يعلم انهم يزينون لهم الباطل ويحملونهم على الكفر لزم انه يريد منهم ذلك التزيين وما يترتب عليه لان من فعل فعلا باراده وهو يعلم ان ذلك الفعل يفضي لا محالة الى الرفعة الفاعل لذلك لابد ان يكون مريدا لذلك الاثر (قوله ما بين ايديهم من امر الدنيا) جعل امر الدنيا بين ايديهم لكونهم حاضرة لهم كما يقال لشيء بعدما حضر انه خلفه وقيل ما بين ايديهم الآخرة لانهم قادمون عليها وهم يعرضون عنها وما خلفهم الدنيا لانهم يتركونها خلفهم (قوله تعالى فى امم) فى محل النصب على الحال من الضمير المجرور فى عليهم اى حق عليهم القول حال كونهم فى جملة امم من المتقدمين وشبه فى للوافقة فى الآية بما فى قول الشاعر فى آخرين قد أفكوا اى فانت فى جملة آخرين وفى تعدادهم فى كونك افوكا عن احسن الصنيعة ولست بأوحدي فى ذلك واعلم انه تعالى لما وصف كتابه العزيز فى اول السورة باوصاف جليلة ثم اخبر ان اكثرهم اعرضوا عن تدبره وتقبوله بين طريق اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا فى اكنة الى قوله فاعمل اننا عاملون وامر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم فاجاب بوجوه من الاجوبة واتصل الكلام بعضه ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم طريقا آخر لاعراضهم عن القرآن فقال وقال الذين كفروا الآية (قوله بالخرافات) وهى الهذيان والاحاديث التى لا اصل لها قيل خرافة اسم رجل من بنى عذرة استهوته الجن وكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا لكل ما يكذبونه من الاحاديث ولكل ما يستملح ويتعجب منه خرافات وكان بعضهم يوصى بعضا اذا رأيتم محمدا صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن لا تسمعوا الى قراءته والغوا فيه اى افسدوا فيه بالمنكر وهو ما ليس له معنى مفيد ليختلط عليه ما يقرأ فلا يتمكن من قراءته ولا يتمكن اصحابه ايضا من سماعه قال مقاتل اى ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام فى وجهه حتى تلبسوا عليه ولما ذكر الله تعالى ذلك عنهم هددهم بالعذاب الشديد وقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وهذا تهديد شديد لان لفظ الذوق انما يذكر فى القدر القليل الذى يؤتى به لاجل التجربة واذا كان المذوق وهو قدر قليل عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه (قوله المراد بهم هؤلاء القائلون) يعنى ان التعريف فى قوله الذين كفروا للعهد الخارجى والمعهود هم الذين يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون للاستغراق فيدخل فيه القائلون دخولا اوليا (قوله سيئات اعمالهم) يعنى ان الاسوأ لم يقصد به الزيادة على ما اضيف اليه ليفيد انه تعالى يجزيهم جزاء سيئات اعمالهم وجزاء اسوئها بل قصد الزيادة المطلقة واضيف الى ما عملوا للبيان انه بعض منه لا لتفضيله عليه كما قال الاشج اعدل بنى مروان ولا يقصد به ان بنى مروان اهل العدل وان الاشج اعدلهم بل قصد به الزيادة المطلقة واضيف اليهم لبيان انه بعض منهم فان قيل الموصوف بافعل على تقدير ان يحمل على الزيادة المطلقة يجب ان يكون بالغا غاية الكمال فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل فبقيت الشبهة وهى ان يجزون جزاء ما هو فى غاية القباحة من الاعمال مع انهم يجزون جزاء ما لم يبلغ الى تلك الغاية قلنا كل معصية من حيث كونها مخالفة للملك المتعال فى غاية القباحة واليه اشار المصنف بقوله سيئات اعمالهم حيث جعل الاعمال السيئة مطلقا اسوأ (قوله اشارة الى الاسوأ) كون قوله جزاء اعداء الله خبرا عن الاسوأ ينافى تفسير قوله اسوأ الذى عملوا بقوله سيئات اعمالهم فانه يفهم منه ان يكون تقدير الكلام ولنجزينهم بمقابلة اسوأ ما عملوا فيكون الاسوأ من قبيل الاعمال فكيف يخبر عنه بالجزاء فينبغى ان تحمل الآية على تقدير المضاف اى ولنجزينهم جزاء اسوأ ما عملوا وكذا قول المصنف سيئات اعمالهم اى جزاء سيئات اعمالهم (قوله فانها دار اقامتهم) يعنى ان كلمة فى ليست للظرفية بل للتجريد والمعنى ان النار نفسها دارهم وهم خالدون فيها كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة يعنى انه عليه الصلاة والسلام اسوة لكم والامام الرازى رحمه الله جعل كلمة فى للظرفية حيث قال لهم فى جملة النار دار معينة وهى دار العذاب المخلد لهم والمصنف اقتفى اثر الزمخشرى فى حملها على التجريد وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر مماثل للاول فى الاتصاف بتلك الصفة لقصد المبالغة فى كمال تلك الصفة فى الامر الاول حتى كأنه بلغ فى الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه امر آخر موصوف بتلك كالنار مثلا فانها لما بلغت فى كونها دار الخلد بالنسبة اليهم مرتبة عالية صح معها ان ينتزع منها اخرى مثلها فى تلك الصفة (قوله على ان المقصود هو الصفة) اى المبالغة فيها (قوله ينكرون الحق) اى ينكرون ما يعرفون انه حق فانهم يعلمون باعجاز القرآن انه كلام الله تعالى لا ريب فيه وانما يجحدونه حسدا فلذلك كان بعضهم يوصى الى بعض ان لا يسمع الى قراءته عليه الصلاة

(وزينوا لهم ما بين ايديهم) من امر الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من امر الآخرة وانكاره (وحق عليهم القول) اى كلمة العذاب (فى امم) فى جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففى آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل اعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغى يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) اى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار (ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون) سيئات اعمالهم وقد سبق مثله (ذلك) اشارة الى الاسوأ (جزاء اعداء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزاء او خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو

والسلام وان يلغى فيه خوفا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به ثم جوزان يكون الجحود مجازا عن اللغو على طريق ذكر السبب وارادة المسبب وقوله جزآء مصدر مؤكد لفعله الذى دل عليه قوله لهم فيها اى يجزون جزآء ويجوزان يكون مفعولا له اى لهم ذلك الجزآء وان يكون منصوبا بالمصدر الذى قبله وهو جزآء اعدآء الله والمصدر ينصب بمثله كما فى قوله فان جهنم جزآؤكم جزآء ثم انه تعالى لما بين ان الذى حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد هو مجالسة قرناء السوء بين ان الكفار عند الوقوع فى العذاب الشديد يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا (قوله فانهما سنا الكفر) سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل حيث قتل اخاه هابيل ثم انه تعالى لما ذكر قرناء الكفار وسوء عاقبتهم ذكر قرناء المؤمنين واولياءهم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة وهم الملائكة (قوله من حيث انه مبدأ الاستقامة) فان من اقر بان من هو رب العالمين ربه ومالكه ومدبر امره يستوجب الاستقامة والثبات على مقتضى اقراره بان يستمر على شكره وثنائه باللسان وصرف جوارحه وحياته الى العمل والاعتقاد على وفق اقراره حتى يسلم لسانه وجوارحه وقلبه من الاعوجاج بان يخالف بعضها بعضا فنسبة الاستقامة الى الاقرار نسبة المنتهى الى المبدأ (قوله فيما يعن) اى يعرض ويعترض لهم من الاهوال سوآء كان فى القبر او عند البعث او عند الموت (قوله لاتخافوا ما تقدمون عليه) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق بما وقع من المكروه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى لاتخافوا ما انتم قادمون عليه من امر الاخرة فلن تروا مكروها ولاتحزنوا على ما خلفتموه من اهل وولد فانه تعالى يخلفه عليكم بخير ويعطيكم فى الجنة اكثر من ذلك واحسن ويجمع بينكم وبين اهاليكم واولادكم المسلمين فى الجنة (قوله وان مصدرية) ولا نافية لا ناهية لان ما فيه معنى الطلب لا يصح ان يكون صلة لان المصدر بناء على المشهور والفعل بعدها منصوب بان الا ان صاحب الكشاف والمصنف يجوزان ذلك والتقدير تتنزل عليهم الملائكة ملتبسين بان لاتخافوا اى بهذا القول وهو انه تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا (قوله او مخففة من الثقيلة مقدرة بالباء) اى يتنزلون بان لاتخافوا والهاء ضمير الشان ولا ناهية اى يتنزلون ملتبسين بهذه البشارة ان لاتخافوا من هول الموت ولا من هول القبر وافزاع يوم القيامة فان المؤمن ينظر الى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له لاتخف اليوم ولاتحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد وانك سترى اليوم امورا لم تر مثلها فلا تهولنك فانما يراد بها غيرك (قوله وهو اعم من الاول) لان كل مطلوب لايلزم ان يكون بحيث تتوق اليه الشهوة الطبيعية لجواز كونه من الفضائل الروحانية والكمالات النفسانية (قوله حال من ما تدعون) اى من الموصول او من الضمير المحذوف اى ما تدعونه والمراد بالنزل الرزق المعد للنازل وهو الضيف كانه قيل ولكم فيها الذى توعدونه حال كونه كالنزل للضيف واكرامهم فيها بما لايخطر ببالهم فضلا عن ان يشتهوه او يتمنوه والعامل فيها متعلق لكم اى ثبت لكم المدعى حال كونه نزلا وقوله من غفور رحيم متعلق بمحذوف هو صفة نزلا واعلم انه تعالى لما ذكر او لا وعيد من اعرض عن القرآن وتدبر معناه وذكر بعده فضيلة من اقر بالعبودية واستقام قلبا وقالبا بين ان هذه رتبة استكمال ذات النفس وجوهرها وان من اشتغل بتكميل الناقصين بعد تكميل جوهر نفسه فانه اعلى شانا واحسن حالا بالنسبة الى من اكتفى تكميل نفسه واعرض عن الالتفات الى حال غيره فقال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وهذا صريح فى ان الدعوة الى الله احسن من كل ما سواه وكل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم يدعون الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف والمرتبة الثانية دعوة العلماء فانهم يدعون اليه تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء ثلاثة اقسام عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله وعالم بامر الله اما الاول فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا فى مشاهدة نور الجلال وصفات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الاقدر ما لابد منه والثانى وهو الذى يكون عالما بامر الله وغير عالم بالله هم الذين عرفوا الحلال والحرام ودقائق الاحكام ولكنهم لايعرفون اسرار جلال الله تعالى وجماله واما العالم بالله وباحكامه فهم الجامعون لفضائل القسمين الاولين وهم تارة مع الله تعالى بالحب والارادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجعوا الى الخلق صاروا معهم كواحد منهم كانهم لايعرفون الله واذا خلوا بربهم صاروا مشتغلين بذكره كانهم لايعرفون الخلق وهذا سبيل المرسلين والصديقين والمرتبة الثالثة للدعوة الدعوة بالسيف وهى للملوك فانهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى وطاعته وهى

(وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس) يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الرآء (نجعلهما تحت اقدامنا) ندسهما من الدوس انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) مكانا او ذلا (ان الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة اولانها عسر قلما يتبع الاقرار وماروى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرآئض فجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر (ان لاتخافوا) ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء بانه لاتخافوا او مفسرة (وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على لسان الرسل (نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشيطان يفعل بالكفرة (وفى الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما تتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) فى الآخرة (ما تشتهى انفسكم) من اللذآئذ (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول (نزلا من غفور رحيم) حال من ما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لايخطر ببالهم كالنزل للضيف

اضعف مراتب الدعوة الى الله فلما كانت كل واحدة من هذه المراتب داخلة فى الدعوة الى الله ظهر انه لاوجه لتخصيصها ببعض تلك المراتب وقيل نزلت الآية فى حقه عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى ومن احسن قولا تعجبا من المشركين الذين تواصوا باللغو فى قرآءته عليه الصلاة والسلام من انه لاقول احسن من قوله ولا قائل احسن قولا منه وهو يدعو الى الله تعالى ولا تهمة فيه ولانه يعمل بما يقول ويظهر دين الاسلام الذى هو دين ابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله قاله تفاخرا به) اى ليس الغرض من قوله تعالى وقال اننى من المسلمين مجرد أن يتكلم بهذا الكلام بل المقصود التوصيف بانه يتكلم به ابتهاجا بما انعم الله تعالى عليه من نعمة الاسلام وان يتكلم به اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا فاحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاث اولاها الدعوة الى الله وثانيتها العمل الصالح وثالثتها التدين بدين الاسلام والافتخار به ثم انه تعالى لما عد سيئات المشركين و بين سوء عاقبتها شرع فى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستمرار على دعوتهم الى الله وطاعته فقال ولا تستوى الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة ما هو عليه من دعوتهم الى الدين الحق والصبر على جهالتهم وترك الانتقام منهم والالتفات الى سفاهتهم وبالسيئة ما اظهروه من المخالفة والعناد بمثل قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكانه تعالى قال يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزآء وحسن العاقبة فانك اذا اتيت بهذه الحسنة استوجبت التعظيم فى الدنيا والثواب فى الاخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغى ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتى هى احسن (قوله وانما اخرجه مخرج الاستئناف) جواب عما يقال الظاهر ان يقال فادفع بالفاء الدالة على السببية لان نفى الاستوآء بينهما سبب للدفع بالاحسن وتقرير الجواب ان صورة الاستئناف ابلغ فى الحث على دفع السيئة بالحسنة والحمل عليه لان اخراج الكلام على صورة الاستئناف انما يكون فى مقام الاهتمام بالحكم (قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) كلمة اذا فيه للمفاجأة والموصول مبتدأ وصلته قوله عداوة وفى الخبر وجهان احدهما اذا المذكورة المكانية وقوله كانه ولى فى موضع النصب على الحال من الموصول كانه قيل فبالحسنة من يعاديك يصير مشبها بالولى والفائدة منوطة بالحال والثانى كانه مع ما اتصل به هو الخبر واذا ظرف لمعنى التشبيه والظروف تعمل فيها رائحة الفعل تقدمت على العامل او أخرت (قوله تعالى واما ينزغنك) ان فيه شرطية وما مزيدة لتأكيد معنى الشرطية والاستلزام فلذلك لحقت نون التأكيد بفعل الشرط فانها لا يلحق الشرط بها ما لم تؤكد بما كما مر وفى الصحاح نزغ الشيطان بينهم اى افسد ونزغه بكلمة اى طعن فيه مثل نخسه بعود او باصبع والمعنى ان الشيطان ان وسوس اليك بان ألقى فى خاطرك لا تقبل هذه الوصية وهى ان تدفع السيئة بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وكلمة من فى قوله من الشيطان ابتدآئية ونزغ صادر من جهته وان كان قوله نزغ بمعنى نازغ وهو الشيطان تكون كلمة من تجريدية على ان يجرد من الشيطان شيطانا آخر ويسمى نازغا قال الشيخ ابن العربى قدس سره فى فتوحاته المكية روى ان اعرابيا من فصحاء العرب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع انه عليه الصلاة والسلام اوتى جوامع الكلم وانه انزل عليه كتاب معجز تعجز فصحاء العرب عن معارضته فقال له يا رسول الله هل فيما انزل عليك ربك مثل ما قلته فقال عليه افضل الصلاة والسلام وما قلت فقال الاعرابى قلت

وحى ذوى الاضغان تسب عقولهم * تحيتك القربى فقد يرفع النغل

وان جهروا بالقول فاعف تكرما * وان ستروا عنك الملامة لم تبل

فان الذى يؤذيك منه استماعه * وان الذى قد قيل خلفك لم يقل

فقرأ عليه الصلاة والسلام ولا تستوى الحسنة ولا السيئة الآية فقال الاعرابى هذا والله السحر الحلال والله ما تخيلت ولا كان فى علمى انه نزل ويؤتى باحسن مما قلت اشهد انك رسول الله والله ما خرج هذا الا من ذى الال انتهى كلامه والال بالكسر هو الله عز وجل اى والله ما بلغ هذا الكلام الا من هو رسول الله جاء به من عند ربه لانه خارج عن وسع البشر امر ان تحيى من بينك وبينه عداوة وحقد تحية كتحيتك اقرباءك ويقال نغل الاديم بالكسر اى فسد والعامة تقول نغل قلبه على اى ضغن (قوله الا ذو حظ عظيم) من الخير اى من الفضائل النفسانية والقوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام لا يكون الا لضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية فان النفس اذا

ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) قاله تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى عليه السلام وقيل فى المؤذنين (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) فى الجزآء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى (ادفع بالتى هى احسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (وما يلقيها) وما يلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام (وما يلقيها الا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغى كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شره ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك او بصلاحك

كانت قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا كانت لم تتأثر منها لم يصعب عليها تحملها ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة لا يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء جوهرها ويحتمل ان يكون المعنى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه يكون قوله وما يلقاها الا الذين صبروا مدحا لهم بفعل الصبر وقوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعدا باعظم الحظ من الثواب ثم انه تعالى لما بين فى الآية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى ومن المعلوم ان العمدة الكبرى فى طرق الدعوة اليه تعالى هى تقرير الدلائل واقامة الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله الموصوف بالفردانية والقدرة القاهرة والحكمة البالغة شرع فى تقرير تلك الدلائل فقال ومن آياته الليل والنهار الآية فان تعاقب الليل والنهار على الوجه الذى يتفرع عليه منافع الخلق ومصالحهم وتذليل الشمس والقمر لما يراد منهما من اظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال علمه وحكمته (قوله والمقصود تعليق الفعل بهما) اى بالشمس والقمر والجملة حالية لتقرير جهة الاشكال فان مقتضى الظاهر ان يقال لله الذى خلقهما تنصيصا على الامر بتخصيص السجود الذى هو نهاية التعظيم بمن يستحقه وهو رب العالمين على وجه يتضمن تعليل النهى عن سجود الشمس والقمر الا انه تعالى جمع الشمس والقمر مع الليل والنهار على خلاف الظاهر اشعارا بانهما مع كونهما عبدين مأمورين مخلوقين من عداد ما لا يعقل ولا يختار فما ابعدهما عن كونهما مسجودين فقال خلقهن فان قيل ما عدا الشمس من هذه الاربع ذكور فكان المناسب تغليب الذكور على المؤنث الواحد فلم غلب الانثى الواحدة على الذكور قلنا تلك الاربع المتعاطفة جماعة ما لا يعقل فلا يجوز ان يرجع اليها ضمير جماعة الذكور وانما يرجع اليها اما ضمير الانثى او ضمير الاناث لان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث نحو الاقلام بريتها او بريتهن واختير الثانى فى الآية وما قيل من انه قيل خلقهن بضمير الاناث دون ضمير الانثى لان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فان الافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والمرجوع اليه فى الآية جمع قلة فلذلك رجع اليه ضمير الاناث مما لا وجه له لان المرجوع اليه فى الآية ليس لفظا واحدا موضوعا لما دون العشرة حتى يكون جمع قلة (قوله فان السجود اخص العبادات) به تعالى لان العبادة عبارة عن التذلل لله تعالى وتعظيم جنابه والسجود نهاية التعظيم فيكون اخص به تعالى بالنسبة الى سائر وجوه العبادة وتقديم المفعول فى قوله تعالى اياه تعبدون للحصر والتخصيص فمن خص العبادة به تعالى لزمه ان لا يسجد لغيره ضرورة ان اختصاص مطلق العبادة لله تعالى يستلزم اختصاص اخص العبادة به بطريق الاولى فقوله فان السجود اخص العبادات علة للجواب المحذوف لقوله ان كنتم اياه تعبدون وتقدير الكلام ان كنتم اياه تعبدون لا تسجدوا لغيره قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا الا لله الذى خلق هذه الاشياء فان قيل اذا كان لا بد فى السجود من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة له منافع عظيمة فى صلاح احوال الخلق فلو اذن الشرع فى جعلها قبلة فى الصلوات بان يتوجه اليها ويركع ويسجد نحوها لربما غلب على بعض الاوهام ان ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله فللاحتراز عن هذا الوهم نهى الحاكم الشارع من جعل الشمس قبلة بخلاف الاحجار المعينة فانه ليس فى جعلها قبلة ما يوهم الالهية فكان المقصود من اتخاذ القبلة حاصلا بالتوجه اليها مع زوال المحذور المذكور فكان جعلها قبلة اولى قال السدى لما نزلت هذه الاية قال المشركون لا تسجدوا الا للات والعزى فنزل قوله تعالى فان استكبروا فان قيل ان الذين يستكبرون يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى بالذات فلا نعبد الا من يشفع لنا عنده ويقربنا اليه واذا كان قولهم هكذا فما الوجه فى جعلهم مستكبرين عن السجود لله تعالى اجيب بان ليس المراد بالاستكبار الاستكبار عن السجود لله تعالى بل المراد الاستكبار عن قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نهيه عن السجود لغير الله تعالى والمعنى فان استكبروا عن امتثال امرك وابوا الا اتخاذ الواسطة فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله تعالى فان الملائكة المقربين عند الله تعالى ينزهونه عن الانداد دائما وقيل يسبحون له اى يسجدون له ويسبحون فيه وقيل يصلون وفيها السجود وغيره وجزاء قوله تعالى فان استكبروا محذوف وهو ما اشرنا اليه بقولنا فذلك لا يقلل عدد المخلصين حذف لدلالة قوله فالذين عند ربك يسبحون له عليه فانه علة الجزاء المحذوف اقيم مقامه واشار الزمخشرى الى

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان مأموران مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) اى دائما لقوله (وهم لا يسأمون) اى لا يملون

الجواب المحذوف بقوله فدمهم وشانهم ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة شبه يبس الارض وخلوها عن الخير والبركة بكون الشخص خاضعا ذليلا عاريا لا يؤبه به لدناءة هيئته فاطلق اسم الخشوع عليه ثم اشتق منه خاشعة فهى استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة ولك ان تجعله من قبيل الاستعارة المكنية والتخييلية يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وتماور بالفرس اذا انتفخ من عدو او فزع وهو المراد ههنا الا ان المصنف فسره بقوله وانتفخت وقوله تزخرفت اى تزينت تفسير لقوله اهتزت فان النبت اذا قرب ان يظهر ارتفعت الارض له وانتفخت ثم تصدعت عن النبات ثم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة اليه انما تحصل بذكر دلائل وجوده واتصافه بصفات العظمة وذكر فيها دلائل وآيات كثيرة عاد الى تهديد من ينازع فى تلك الايات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون فى آياتنا الآية والالحاد فى الاصل مطلق الميل والانحراف ثم خص فى العرف بالانحراف عن الحق الى الباطل اى الذين ينحرفون عن تأويل آيات القرءآن من طريق الصحة والاستقامة تجازيهم على انحرافهم ثم نبه على انهم يلقون فى النار وان اضدادهم يأتون يوم القيامة آمنين (قوله بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا) لان الالحاد فيها كفر بالقرءآن فلذا اكتفى بجواب الاول عن الثانى والذى يحكم به على البدل هو المحكوم به على المبدل منه فيلزم ان يكون الخبر لا يخفون علينا (قوله او اولئك ينادون) معطوف على قول محذوف استبعد هذا الاحتمال من وجهين الاول كثرة الفواصل بينهما والثانى تقدم من تصح الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يؤمنون وحق اسم الاشارة ان يشار به الى اقرب مذكور (قوله والذكر القرءآن) فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات ولما بالغ فى تهديد الذين يلحدون فى آيات القرءآن اتبعه بيان تعظيم القرءآن فقال وانه لكتاب عزيز ان كان من العز الذى هو خلاف الذل يفسر بانه كثير النفع عديم النظير وان كان من عزه يعزه عزا بمعنى غلبه يفسر بانه منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه فان القرءآن وان كان لا يخلو عن طعن باطل من الطاعنين وتأويل فاسد من المبطلين الا انه تعالى وقاه بحفظه وقدر له فى كل عصر منعة يحفظونه ويحرسونه بابطال شبه اهل الزيغ والهوى وردتأويلاتهم الفاسدة فهو غالب بحفظ الله تعالى اياه وكثرة منعته على كل من يتعرض له بالسوء (قوله لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات) بان يذكر اظهر الجهات واكثرها فى الاعتبار وهو جهة القدام والخلف ويراد الجهات باسرها فيكون قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه استعارة تمثيلية شبه الكتاب فى عدم تطرق الباطل اليه بوجه من الوجوه بمن هو محمى بحماية غالب قاهر يمنع جاره من ان يتعرض له العدو من جهة من جهاته ثم اخرجه مخرج الاستعارة بان عبر عن المشبه بما يعبر به عن المشبه به فقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقوله لا يأتيه الباطل صفة ثانية للكتاب وقوله تنزيل من حكيم حميد تعليل لاتصاف الكتاب بالوصفين المذكورين فان كونه منزلا من حكيم يوجب كونه عزيزا كثير النفع عديم النظير وكونه منيعا غالبا لا يتأتى ابطاله وكونه من حميد يستلزم كونه حقا لا يتطرق اليه الباطل (قوله او مما فيه) عطف على قوله من جهة من الجهات اى لا يأتيه الباطل مما فيه من الاخبار الماضية والآتية على ان الاخبار بمعنى المخبر بها ثم انه تعالى لما بين شرف آياته وعلو درجة كتابه رجع الى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه باعراضهم عن تدبر كتاب الله تعالى فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل (قوله وهو على الثانى) لا على الاول اذ لا يتصور ان تكون هذه الجملة من مقول الكفرة ذكر المفسرون ان سبب نزول قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا ان الكفار كانوا يقولون لتعنتهم هلا نزل القرءآن بلغة العجم فاجيبوا بان الامر لو كان كما تقترحون لم تتركوا الاعتراض والتعنت ولم يرض الامام بقولهم وقال انه لا يخلو عن الطعن فى القرءآن لانه يقتضى تجويز ورود آيات لا تعلق للبعض منها بالبعض فلا يكون كتابا منتظما فضلا عن كونه معجزا ثم قال بل الحق عندى ان هذه السورة من اولها الى آخرها كلام واحد بعضه متعلق ببعض وهذا الكلام متعلق بما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وجواب له ايضا والتقدير انا لو انزلنا هذا القرءآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجمى الى القوم العرب على لسان النبى العربى وصح لهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة من هذا الكلام وفى آذاننا وقر منه فانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما اذا انزل هذا القرءآن بلغة العرب وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان

(ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اى زادت (ان الذى احياها) بعد موتها (لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (فى آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها (لا يخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة) قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين (اعملوا ما شئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرءآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) اى حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (ما يقال لك) اى ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب اليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا اعجميا) جواب لقولهم هلا نزل القرءآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه

قلوبكم فى اكنة منها وفى آذانكم وقر فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة من اولها الى آخرها على احسن وجوه الانتظام واما على الوجه الذى يذكره الناس فيختل امر الانتظام فهو عجيب جدا (قوله انكار مقرر للتحضيض) فان معنى التحضيض فى قوله لولا فصلت الانكار والتوبيخ واللوم على ترك الفعل كما انها اذا دخلت على المضارع تكون للتحضيض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر وفى الماضى للانكار فيكون انكارهم بقولهم أقرءآن اعجمى ورسول عربى اومرسل اليه عربى مقررا للانكار المستفاد من حرف التحضيض والاعجم يقال لمن لا يفصح ولا يفهم كلامه سوآء كان من العرب اومن العجم ويقال لكلامه ايضا والاعجمى مثله اى يقال لنفس من لا يفصح ولكلامه ايضا وزيادة ياء النسبة فيه للتأكيد والمبالغة كما يقال فى احمر ودوار احمرى ودوارى ومنه زيادة ياء النسبة فى الاعجمى سمى بذلك لافة كانت فى لسانه كانه ينسب الذات الى صفته للمبالغة فى اتصافه بها وليس النسب فيه حقيقيا بخلاف عجمى فان الياء فيه للنسب حقيقة يقال رجل عجمى اذا كان من الاعاجم منسوبا الى امة العجم فصيحا كان اوغير فصيح فان قلت قد ظهر من كلامك ان الاعجمى كما يقال لذات من لا يفصح عن مراده لعجمة فى لسانه وان كان من العرب يقال ايضا لكلامه الملتبس الذى لا يوضح المعنى المقصود وشئ منهما غير مقصود ههنا بل المراد بالاعجمى ههنا هو الكلام المنتظم على لغة العجم كما يدل عليه قوله انه جواب لقولهم هلا نزل القرءآن بلغة العجم قلت نعم الا ان مقصود المصنف بيان المعنى الحقيقى للفظ الاعجمى وهو لا ينافى اطلاقه على الكلام المؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة تشبيها له بكلام من لا يفصح من حيث انه لا يفهم معناه بالنسبة الى العرب (قوله وقرئ أعجمى) بفتح العين بعد همزة الاستفهام اى كلام منسوب الى العجم ورسول عربى اومرسل اليه عربى وقرئ اعجمى ايضا بسكون العين بدون همزة الاستفهام فيكون اخبارا بان القرءآن اعجمى والرسول اوالامة المرسل اليهم عربى (قوله على الاخبار) اى لا على الاستفهام والانشاء والمعنى ولو جعلنا المنزل اعجميا لقالوا طاعنين فيه ومنكرين لكونه اعجميا لولا فصلت آياته ولقالوا مستأنفين لبيان عدم كون آياته مفصلة ومبينة اعجمى وعربى اى المنزل اعجمى والمنزل عليه عربى على ان كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لبيان ما ذكر (قوله وعلى هذا) اى قرآءة اعجمى بعد همزة الاستفهام يجوز ان يكون التفصيل بمعنى التفريق والتمييز لا بمعنى التبيين ويكون المعنى ولو جعلنا المنزل كله اعجميا لقالوا لا يجوز ان يراد هذا المعنى لان الهمزة تدل على انكار التفصيل بمعنى التفريق وهو ينافى التحضيض عليه وانما قال يجوز لاحتمال ان يكون المعنى ما ذكرناه اولا (قوله والمقصود) اى المقصود من قوله تعالى ولو جعلناه قرءآنا اعجميا اما ابطال ما اقترحوه بقولهم هلا نزل القرءآن بلغة العجم بناء على ان ذلك يستلزم تنافى وصفى المنزل والمنزل عليه واما الدلالة على ما ذكر والتعنت طلب زلة المخاطب ثم انه تعالى لما بين بطلان ما اقترحوه وانهم لا ينفكون عن التعنت فى الايات كيف جاءت وصف القرءآن بانه لوضوح آياته وسطوع براهينه هاد الى الحق ومزيل للريب والشك وشفاء من دآء الجهل والكفر والارتياب ومن ارتاب فيه ولم يؤمن به فارتيابه انما نشأ من توغله فى اتباع الشهوات وتقاعده عن تفقد ما ينجيه ويبعده عما يرديه ويشقيه فقوله للذين آمنوا معناه لمن يؤول امره الى الايمان لصفاء جوهر نفسه عن الكدورات النفسانية والاخلاق الردية (قوله مبتدأ وخبره فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم وقر) احتاج الى تقدير ضمير مرفوع على الابتدآء فيكون وقر خبره وفى آذانهم بيان لمحل الوقر والمبتدأ الثانى مع خبره خبر الاول لانه لو جعل والذين لا يؤمنون مبتدأ وفى آذانهم خبره ووقر فاعل الظرف اوجعل فى آذانهم خبرا مقدما ووقر مبتدأ مؤخرا والجملة خبر الاول لورد ان يقال ما وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها مع ان ما قبلها قد اخبر فيه عن الكتاب بانه هدى وشفاء وفى هذه الجملة اخبر عمن لم يؤمن بانه فى آذانه وقر فكانتا جملتين متباينتين فى الغرض والاسلوب فلا وجه لعطف احداهما على الاخرى فلما قدر المبتدأ الثانى اتصلت بالاولى لتحقق الجامع بينهما باعتبار المسند اليه فيهما ولما اخبر عن الكتاب بانه هدى لاولئك اخبر عنه بانه وقر فى آذان هؤلاء وعمى عليهم فجعل نفس القرءآن وقرا كما جعل فى نفسه هدى ثم ذكر وجها ثانيا لاتصال الجملة الثانية بالاولى وهو ان لا يكون قوله والذين لا يؤمنون فى آذانهم مبتدأ بل يكون فى محل الجر بالعطف على قوله للذين آمنوا ويكون قوله وقر معطوفا على هدى على طريق العطف على معمولى عاملين مختلفين والمجرور مقدم على ما جوزه الاخفش واختاره المحققون من المتأخرين والوقر بفتح القاف الثقل فى الاذن وبسكونها

(ءاعجمى وعربى) أكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للذى لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قرآءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ البا قون أأعجمى لكون قالون وابى عمرو سهلا الثانية وفصلا بينهما وورش ابدل الثانية الفا ا ذسهلها بلا فصل وابن كثير وابن ذكوان وحفص سهلوا الثانية بلا فصل وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور اوالدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) من الشك والشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ وخبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى

مصدر يقال وقرت اذنه بالكسر توقر وقرا اى صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين ووقر الله اذنه يقرها وقرا يقال اللهم قراذنه ووقرت اذنه على مالم يسم فاعله فهو موقور والمعنى ان الذكر ذو وقر لايصل الى اسماعهم صمت آذانهم عنه قرأ الجمهور وهو عليهم عمى بفتح الميم المنونة اى ذو عمى على معنى عميت قلوبهم وهو مصدر عمى يعمى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع كصدى يصدى صدى وقرئ عم بكسر الميم المنونة وهو صفة مشبهة وقرئ عمى بلفظ الماضى المسند الى ضمير القرءآن وقوله فى آذانهم وكذا عليهم متعلق بمحذوف على انه حال من المصدر المذكور بعدهما لانه صفة له فى الاصل فلما قدم عليه وقع حالا منه وليس متعلقا بالظاهر بعده لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه (قوله اى هم) يعنى قوله تعالى اولئك لكونه اشارة الى ماعبر عنه بضمير الجمع فى آذانهم وعليهم ظاهر وضع موضع الضمير (قوله تمثيل) يعنى ان قوله اولئك ينادون من مكان بعيد استعارة تمثيلية شبه حالهم فى عدم قبولهم مواعظ القرءآن ود لائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لايفهم ولايقبل قول المنادى فكذلك هؤلاء لايقبلون دعوة من دعاهم الى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم (قوله كما اختلف فى القرءآن) اشارة الى وجه تعلقه بما قبله فانه تعالى لما بالغ فى وصف الكفرة بالعناد والتكذيب بنحو قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه سلاه عليه الصلاة والسلام بان قال له لست متفردا فيما بين الانبياء بالتأذى من قومه فانا قد آتينا موسى الكتاب فقبله بعض قومه ورده آخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله اصحابك ورده آخرون فقالوا قلوبنا فى اكنة ونحو ذلك (قوله وهى العدة بالقيامة) ومجازاة الخلق فيها وعدها بنحو قوله بل الساعة موعدهم وايضا قد سبق منه تعالى تقدير الاجل لتعذيب الكفار كقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اى لولا ان قول ربك سبق فى تأخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة لقضى بين المصدق والمكذب وفرغ من عذاب المبطلين وعجل اهلاكهم لاستحقاقهم بذلك ولكن الحكمة اقتضت امهالهم ثم قال لاتستوحش من سوء مقالتهم فى حقك وفى حق ماجئت به فانهم ان آمنوا فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم فانه تعالى يجازى كل احد بمايليق به من الجزاء يوم القيامة ولما كان مظنة ان يقال ومتى يكون ذلك اليوم اجاب عنه بقوله اليه يرد علم الساعة (قوله اذ لايعلمها الا هو) تعليل للحصر المستفاد من تقديم اليه على متعلقه فانه يدل على انه لايعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى وذكر من امثلة هذا الباب مثلين احدهما قوله وماتخرج من ثمرة من اكمامها والثانى قوله وماتحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه والمعنى الى الله يضاف علم وقت وقوع القيامة واذا سئلت عنه فردها اليه بقولك الله اعلم به كما يرد اليه علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنتاج وغيرهما ومن قرأ من ثمرات بلفظ الجمع قرأ من اكمامهن لامن اكمامها وذكر النحاة ان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والثمارات جمع قلة فالافصح ان يقال من اكمامهن والاظهر ان كلمة ما فى قوله وماتخرج نافية كالتى بعدها ويحتمل ان تكون موصولة مجرورة المحل عطفا على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم التى تخرج ومن ثمرات بيان ما ويجوز ان يكون حالا ومن الثانية لابتداء الغاية وما الثانية ليست الا نافية لعطف ولاتضع عليها ثم ينتقض النفى بالا ولو كانت بمعنى الذى معطوفة على الساعة لم يجز ذلك (قوله الا مقرونا بعلمه) يعنى انه مستثنى مفرغ من اعم الاحوال ولم يذكر متعلق العلم للتعميم فان ذهن السامع يذهب حينئذ كل مذهب من ذكورة الحمل وانوثته وحسنه وقبحه وان امه تلقيه عند تمام الايام اوقبله وان الثمرة تبلغ اوان النضج اوتفسد قبله ونحو ذلك روى ان منصور الدوانقى اهمه مدة معرفة عمره فرأى فى منامه خيالا اخرج يده من البحر واشار بالاصابع الخمس فاستفتى فى ذلك العلماء فأولوه بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتح الغيب خمس وتلا قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى ارض تموت ثم انه تعالى لما ذكر القيامة اردفه بذكر شئ من احوال يوم القيامة واوعد به القائلين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم وهو ظرف لقوله قالوا والايذان الاعلام وهو فى قولهم آذناك مجاز عن القول اى قلنا لك لان حقيقة الاعلام لاتتصور فى حقه تعالى لان اهل القيامة يعلمون الله تعالى ويعلمون انه يعلم الاشياء كلها بحيث لايغيب عن علمه شئ مما يسرون ومايعلنون ولفظ الماضى فى قولهم آذناك مبنى على انهم قالوا ذلك قبل

(اولئك ينادون من مكان بعيد) اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرءآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ اوتقرير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود اوالذين لايؤمنون (لفى شك منه) من التوراة والقرءآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن اساء فعليها) ضرره (وماربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ماليس له ان يفعله (اليه يرد علم الساعة) اى اذا سئل عنها اذ لايعلمها الا هو (وماتخرج من ثمرة من اكمامها) من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وماتحمل من انثى ولاتضع) بمكان (الا بعلمه) الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم اين شركائى) بزعمكم

ان يناديهم الله تعالى قائلا لهم اين شركائى فان الظاهر انهم يتبرأون من الشركاء اومن الشهادة لهم بالشركة حين عاينوا حقيقة الحال و يقولون له تعالى تبرأنا اليك ويجوز ان يخاطبهم الله تعالى على سبيل التوبيخ ويقول لهم اين الذين كنتم تشركون بى وتقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله ومانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى ويجيبونه بقولهم آذناك من قبل هذا الخطاب فقوله فيكون السؤال عنهم للتوبيخ تفريع على انهم تبرأوا من الشركاء قبل هذا الخطاب والنداء اذلاوجه لان يقال لمن تبرأ من الشركاء اين شركاؤك لسوى التوبيخ (قوله اومن احد يشاهدهم) على ان يكون الشهيد من الشهود لامن الشهادة كمافى الاول وعلى هذا يكون قوله وضل عنهم جملة حالية بتقدير قد من فاعل قالوا ويكون الضلال بمعنى الغيبة التى هى اصل معناه فانه يجوز ان لايبصروا آلهتهم فى ساعة التوبيخ وان كان قوله تعالى آذناك مامنا من شهيد من كلام الشركاء على ماقيل يكون الشهيد من الشهادة لامن الشهود لانه لما كانت الشركاء هم المجيبين عن السؤال المتعلق بالعبدة لم يكن لقولهم مامنا من يشاهد العبدة المشركين معنى وحينئذ يكون ضلال الشركاء من العبدة بمعنى عدم نفعهم للعبدة بالشفاعة لهم لانهم اذا لم ينفعوهم فكانهم غابوا عنهم لابمعنى حقيقة الغيبة لانهم هم المجيبون لما سئل عنهم العبدة (قوله والظن معلق عنه بحرف النفى) فان افعال القلوب تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد قائم وبالاسم المتضمن لمعنى الاستفهام كقوله لنعلم اى الحزبين احصى وعلمت اين جلست ومتى تخرج وبلام الابتداء نحو علمت لزيد قائم وبحرف النفى نحو علمت مازيد قائم وان زيد قائم وذلك لانها تقتضى ان تقع فى صدر الجمل وضعا فابقيت الجمل التى دخلت هى عليها على الصورة الجملية رعاية لاصل هذه الحروف وان كانت فى تقدير المفرد من حيث المعنى فان التعليق ابطال العمل لفظا لامعنى فالجملة مع التعليق فى تأويل المصدر مفعولا به للفعل المعلق كما كان كذلك قبل التعليق فالجملة المعلق عنها فى محل النصب به وجوز بعضهم الوقوف على ظنوا على حذف المفعولين على معنى وضل عنهم ماكانوا يدعونهم وظنوهم آلهة ثم استأنف فقال مالهم من محيص وقول المصنف والظن معلق عنه رد لقول هذا البعض ثم انه تعالى لما بين ان هؤلاء الكفار بعد ان كانوا فى الدنيا مصرين على اثبات الشركاء له تعالى يتبرأون منهم فى الآخرة ذكر ان الانسان فى جميع الاوقات متغير الاحوال لايثبت على منهج واحد فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء ومحنة ذل وهان فقال لايسأم الانسان من دعائه الخير اى من دعاء الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول والمعنى ان الانسان فى حال اقبال الخير اليه لاينتهى الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ولايمل من طلبها ابدا وفى حال الادبار والحرمان يصير آيسا قانطا من رحمة الله تعالى (قوله من جهة البنية) فان بناء فعول للمبالغة ومن جهة التكرير فان قوله قنوطا تكرير لقوله يؤوس من جهة المعنى وان كان مغايرا له من جهة اللفظ وفى القنوط معنى ابس فى اليؤوس لان القنوط ان يظهر على المرء اثر اليأس فيضأل وينكس ثم انه تعالى بين ان الذى صار آيسا قانطا او عاودته النعمة والدولة يأتى بثلاثة انواع من القول الفاسد الموجب للكفر الاول هو قوله هذا لى والفرق بين ماذكره من الوجهين ان اللام فى الاول للتعليل وفى الثانى للاختصاص ومعنى الدوام مستفاد من لام الاختصاص لان مايختص باحد الظاهر انه لايزول عنه وذلك المسكين ان كان عاريا عن الفضائل واعمال البر فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهى انما حصلت بفضل الله وتوفيقه فكيف استحق ذلك المسكين على الله تعالى بما انعم وتفضل عليه ببعض وجوه الفضل والاحسان فضلا آخر زائدا عليه فثبت بهذا فساد قوله هذا لى بمعنى انه حصل باستحقاقى اياه وكذا ان اراد به انى مالكه وهو مختص بى لايزول عنى لانه اشتغال بالنعمة عن المنعم وذهول عن ان مقاليد السموات والارض بيد الله وانه اذا فتح على عبده بابا من ابواب فضله ليبلوه ايشكر ام يكفر فهو يقدر على ان يسده ويسلبه عنه والثانى من قوله الفاسد قوله وما اظن الساعة قائمة فانه اذا عرض عليه البعث والجزاء وقيل له كل امرئ يجزى فى الآخرة بما اكتسبه فى الدنيا فمن اطاع ربه فله جزاء الحسنى ومن عصاه فله نار لظى فحينئذ يلتجئ الى انكار الساعة ويقول ما اظن انها تقوم والثالث قوله لست على يقين من قيام الساعة ولو فرض انها تقوم وانا راد الى ربى فانه يعطينى الحالة الحسنى كما اعطانى فى الدنيا لان سبب الاعطاء متحقق فيها ايضا وهو استحقاقى اياها واقتضاء ذاتى المجازاة بها فرد الله تعالى عليه قوله ان لى عنده للحسنى بان قال فلننبئن الذين كفروا اى لنقفنهم على مساوى اعمالهم ثم انه تعالى لما حكى اقوال من انعم عليه من بعد ضراء مسته حكى احواله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض عن المنعم والاعتراف بفضله واحسانه

(قالوا آذناك) اعلمناك (مامنا من شهيد) من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ اومن احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى مامنا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين (وضل عنهم ماكانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لاينفعهم اولايرونه (وظنوا) وايقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لايسأم الانسان) لايمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعائه الخير (وان مسه الشر) الضيقة (فيؤوس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) حقى استحقه بمالى من الفضل والعمل اولى دائما لايزول (وما اظن الساعة قائمة) تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لاينفك عنه (فلننبئن الذين كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس مااعتقدوا فيها (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لايمكنهم التفصى عنه (واذا انعمنا على الانسان اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله

(واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير مستعار مما له عرض متسع الاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قل ارأيتم) اخبرونى (ان كان) اى القرءآن (من عند الله ثم كفرتم به) من غير نظر واتباع دليل (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) يعنى ما اخبرهم النبى عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفى انفسهم) ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم انه الحق) الضمير للقرءآن او الرسول او التوحيد او الله (اولم يكف بربك) اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كانه قيل اولم يحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى (انه على كل شئ شهيد) بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية (الا انهم فى مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية (من لقاء ربهم) بالبعث والجزآء (الا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وآيها ثلاث وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق) لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل لتطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق

والاشتغال بذكر نعمه الى الاشتغال بنفس النعمة والنظر لهاونأى بمعنى بعد والباء فى بجانبه للتعدية ونأى الجانب عن الذكر يستلزم الانحراف عنه فلذلك فسره ثم جوز ان يكون الجانب عبارة عن النفس ويكون المعنى تباعد عن الشكر بذاته وكليته لا بجانبه فقط فانهم قد يحتشمون من التصريح باسم الشئ ويعبرون عن ذاته بالمجلس والمكان والجانب ونحو ذلك اشعارا لتعظيمه فيقولون حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز دون نفسه وذاته (قوله مستعار مما له عرض متسع) لتعذر الحقيقة لان الطول والعرض من صفات الاجرام فلا يتصور ان فى الدعاء واتساع العرض مستفاد من صيغة فعيل لانها للمبالغة وكل واحد من الطول والعرض مستعار للكثرة فيقال اطال فلان الكلام واعرض اى اكثر (قوله اخبرونى) فيه تجوزان الاول انه اطلق الرؤية واريد الاخبار لان الرؤية سبب للاخبار والثانى انه جعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب ثم انه تعالى لما بالغ فى وعيد المشركين وبين انهم يرجعون عن القول بالشرك والشهادة بكون ما زعموه فى الدنيا انهم شركاء لله ذكر بعده كلاما آخر يوجب عليهم ان لا يبالغوا فى الاعراض عن القرءآن وقبول ما فيه من امر التوحيد والنبوة والحشر والجزاء فقال قل ارأيتم الآية (قوله شرحا لحالهم) فان من كفر بما نزل من عند الله بان قال هو اساطير الاولين او كذا وكذا فقد كان مشاقا لله تعالى اى معاديا ومخالفا له خلافا بعيدا عن الوفاق ومعاداة بعيدة عن الموالاة ولا شك ان من كان كذا فهو فى غاية الضلال ولما كان محصول الآية انكم لما سمعتم هذا القرءآن اعرضتم عنه حتى قلتم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة ان العلم بكون القرءآن مما يجب ان يعرض عنه ويترك ليس مما يحصل بالبديهة وذكر العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة ليس كذلك فمن اعرض عنه وانكر ما فيه مما يتعلق بالاعتقاد والعمل قبل المراجعة الى النظر والاستدلال كيف يأمن ان يكون منكر الما هو الحق الواجب الاتباع ومستوجبا للعقاب الشديد فالاصرار على تكذيبه والاعراض عنه قبل المراجعة الى النظر والاستدلال بعيد كل البعد لا يجترئ عليه عاقل وعدهم ان يريهم آيات اخر بعد الذى اراهم بنزول هذه الآية الكريمة والآفاق جمع افق وهو الناحية من نواحى الارض وكذا آفاق السماء نواحيها واطرافها فلو لم يكن القرءآن والرسول الذى انزله هو عليه حقا لما وقعت الحوادث الآتية حسب ما اخبر عنها وهى بالغيب ولما طابق ما فيه من الاخبار المتعلقة بالنوازل الماضية لما هو المضبوط المقرر عند اصحاب التواريخ والحال ان المخبر امى لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط اصحاب التواريخ ولما نصر حملة القرءآن ومن آمن به هذه النصرة الخارقة للعادة فان خذلان معادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعادى خلفائه وناصرى دينه فى كل زمان خارق للعادة وخارج عن المعهود فلو لم يكن امر الدين حقا لما كان لهم ذلك الثبات والاستقرار فان للباطل ريحا يخفق ثم يسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (قوله والباء مزيدة للتأكيد) اى مزيدة فى فاعل يكف فان قوله بربك فى محل الرفع على انه فاعل يكف والمفعول محذوف والتقدير اولم يكفك ربك وانه على كل شئ شهيد بدل من ربك اى اولم يكفك ان ربك على كل شئ شهيد واصل المعنى سنريهم هذه الآيات اظهارا للحق وكفى بها دليلا على ذلك ووضع المظهر وهو قوله بربك وانه على كل شئ شهيد موضع ضمير الآيات فى قولنا وكفى بها دليلا للاشعار بالعلية لان هذه الآيات انما صلحت للدلالة على حقية ما هو الحق لكون منشئها من هو على كل شئ حاضر مطلع لا يغيب عنه شئ ما قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله تعالى بين لهم ما فيه كفاية فى الدلالة على حقية القرءآن او دين الاسلام او صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم السورة بقوله الا انهم فى مرية اى فى شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة والا كلمة تنبيه بمعنى اعلم والله اعلم

سورة الشورى خمسون وثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله ولذلك فصل بينهما) اجاب عما يقال انهم اجمعوا على انه لا يفصل بين كهيعص وعلى انه يفصل ههنا بين حم وعسق فما السبب فيه وعما يقال انهما عدا آيتين واخواتهما مثل كهيعص والمص والمر عدت آية واحدة فما السبب فيه ايضا بجواب واحد وهو قوله لعله اسمان للسورة قال الامام واعلم ان الكلام فى امثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه فالاولى ان يفوض علمه الى الله تعالى (قوله وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم) فانها جميعا سور اولها حم واسم هذه السورة وان كان خماسيا كان

القياس ان تكتب حروفها موصولة الا انه فصل حم عن سائر حروف الاسم لما ذكر من المطابقة (قوله مثل ما في هذه السورة من المعاني) وهي الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في امور الآخرة يريد ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه مفعول به ليوحي المبني للفاعل وذا اشارة الى شئ سبق و هو حم عسق والمراد بايحاء مثل هذه السورة ايحاء مثل ما فيها من المعاني لان مماثلة الموحى لهذه السورة مماثلة معانيه لمعاني هذه السورة وقوله مثل ايحائها على ان الكاف صفة مصدر محذوف ولابد من تقدير مصدر آخر مضاف الى اسم الاشارة اي ايحاء كايحاء ذلك اذ لا معنى لتشبيه الايحاء بنفس السورة والمقصود من تشبيه الايحاء بالايحاء تشبيه الموحى بالموحى فيتحد الوجهان من حيث المعنى (قوله وانما ذكر بلفظ المضارع) مع ان مقتضى المقام ان يذكر بلفظ الماضي ضرورة ان الوحي الى الذين من قبله امر قد مضى (قوله ويوحى مسند الى اليك) ولا يجوز اسناده الى ضمير كذلك الذي هو صفة مصدر محذوف لان الموحى هو المتلو لا الايحاء ولا ما يماثله بخلاف ما اذا كان كذلك مبتدأ فان يوحى يكون مسندا الى ضميره ويكون المعنى مثل ما تضمنه مثل هذا المتلو يوحى هو اليك والى غيرك من الرسل اي تكرر هذه المعاني في القرآن وجميع الكتب السماوية لما فيها من ارشاد بليغ للاولين والاخرين واطف عظيم لجميع المكلفين (قوله والله مرتفع الى آخره) جواب عما يقال ان يوحى المبني للمفعول اذا كان مسندا الى ضمير المبتدأ او الى الجار والمجرور فما وجه ارتفاع لفظ الجلالة اجاب عنه بانه فاعل فعل مضمر دل عليه يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله اي يوحيه الله كما في قوله

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

كأن قائلا يقول من يبكيه فقيل المحتاج الى الحكم والى نائله والاختباط الاتيان لطلب المعروف والطوائح الدواهي (قوله مقررتان لعلو شأن الموحى به) وذلك لان توصيف الموحى بكونه عزيزا يدل على كمال قدرته وتوصيفه بكونه حكيما يدل على كمال علمه ومن المعلوم ان الاثر المستند الى من اتصف بكمال القدرة والعلم يكون في اقصى المراتب من علو الشأن ورفعة القدر (قوله او بالابتداء) عطف على قوله بما دل عليه يوحى فان الوحي في قرآءة نوحى بالنون لما اسند الى فاعله وهو ضمير المتكلم لم يتجه السؤال عن تعيين الفاعل بان يقال من نوحى او من الموحى حتى يكون قوله الله فاعل فعل مضمر او خبر مبتدأ محذوف فتعين ان يكون رفعه على انه مبتدأ وما بعده خبره (قوله وعلى الوجوه الاخر) اي على ان يكون لفظ الجلالة مبتدأ وقوله له ما في السموات خبره يكون قوله له ما في السموات استئنافا (قوله من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له) يعني يحتمل ان يكون المقصود من بيان بلوغ هيبته وجلاله الى حيث تكاد السموات ينفطرن تقرير عزته وحكمته فانه تعالى لما بين ان الموحى لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه بهذه الاية ويحتمل ان يكون المقصود منه تصوير قباحة طريقة المشركين ويدل عليه قوله بعد هذه الاية والذين اتخذوا من دونه اولياء الله الخ كما قال في سورة مريم تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا (قوله وهذا مطاوع فطر) بمعنى شق يقال فطرته فانفطر اي شققته فانشق وبناء فعل منه للتكثير يقال فطرته فتفطر اي شققته شقوقا كثيرة فتشقق وفطر يستعمل بمعنى خلق ايضا والسبعة مع يعقوب اتفقوا على القرآءة بياء الغيبة الا ان ابا عمرو وابا بكر ويعقوب قرأوا من باب الانفعال والباقون من باب التفعل وروى يونس عن ابي عمرو تتفطرن بتاءين مع النون وهو شاذ مخالف للقياس والاستعمال لان العرب لا تجمع بين علامتي التأنيث فلا يقال النساء تقمن بل يقال والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن والشاذ على وجوه شاذ عن القياس مع موافقة الاستعمال وشاذ عن الاستعمال مع موافقة القياس وشاذ عنهما جميعا وهذا من قبيل الثالث وذكر في توجيهه ان التاء لتأكيد التأنيث كانها لتأكيد الخطاب في قولك ارأيتك (قوله وتخصيصها على الاول) اي وتخصيص جهتهن الفوقانية ان يفسر تفطر السموات والارض بتشققها من عظمة الله خشية منه واجلالا له كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ويدل عليه ان الاوصاف السابقة كلها مسوقة لبيان عظمة الله تعالى وعلو شأنه فالمناسب لها ان يجعل سبب تشققهن عظمة الله ولما كان في جهتهن الفوقانية من نحو العرش والكرسي وصفوف الملائكة المسبحين والمقدسين حول العرش ادل الايات على العظمة والجلال كان المناسب ان يكون تفطر السموات مبتدئا من تلك الجهة بان ينفطر اولا اعلى السموات ثم وثم الى ان ينتهي الى اسفلها بان لا تبقى سماء الا سقطت على

(كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قرآءة نوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله (له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم) خبر ان له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائي بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى

الاخرى وان فسر تفطرهن بتشققهن من ادعاء الولدله كان الظاهر حينئذان يبتدئ انفطارهن من جهتهن التحتانية لانها الجهة التي منها جاءت كلمة الكفر لان المتكلم بها ساكن الارض وهي تحت السماء ومع ذلك جعل مبدأ انفطارهن جهة فوقهن للدلالة على ان تلك الكلمة الشنعاء اذا اثرت في خلاف جهتها فتأثيرها فيما كان في جهتها اولى (قوله وقيل الضمير للارض) ولعل من قال به يجعل كلمة من زائدة في الاثبات ويدل عليه قول صاحب التيسير وقيل معناه تقارب السموات ان يتشققن فوق الارضين (قوله فان المراد بها الجنس) فتكون في معنى الجمع فيصح ارجاع ضمير الجمع اليها (قوله بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم) جواب لما يقال من ان من في الارض يعم الكفار فكيف تستغفر لهم الملائكة وقد ثبت انهم يلعنون الكفار كما قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولاوجه لكونهم لاعنين لهم ومستغفرين وتقرير الجواب انه لامنافاة بين لعنهم على شركهم و بين استغفارهم بمعنى السعي فيما يستدعي مغفرتهم وهو الايمان والتبري من الكفر فان استغفارهم في حق الكفار بطلب الايمان لهم وفي حق المؤمنين بالتجاوز عن سيئاتهم فيكون استغفارهم في حق عامة من في الارض محمولا على عموم المجاز فان قول من قال اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وأزل عنها ظلمة الكفر والفسوق والعصيان وان كان طلبا لسبب المغفرة لا لنفس المغفرة الا انه يصح ان يطلق عليه الاستغفار مجازا (قوله وذلك) اي الاستغفار بمعنى السعي المذكور لما ذكر الله تعالى ان الملائكة يستغفرون لمن في الارض اشار الى انه يجيب دعاءهم ويغفر تعالى لاغيره فقال الا ان الله هو الغفور الرحيم (قوله والاية على الاول) اشارة الى وجه ارتباط قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم بقوله تكاد السموات يتفطرن على كل واحد من تفسيريه فان فسر بانهن يتشققن من عظمة الله تكون هذه الاية زيادة تقرير لعظمته فان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها الملائكة فهو تعالى بين اولا كمال قدرته على الجسمانيات فقال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم ثم ان الجواهر الروحانية لها تعلقان تعلق بعالم الكبرياء والجلال بالاستفاضة والقبول وتعلق بعالم الاجسام بالافاضة والتأثير فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم اشارة الى الوجه الذي لهم الى جناب ذي الجلال والاكرام وقوله ويستغفرون لمن في الارض اشارة الى وجه الذي لهم الى عالم الاجسام والتسبيح لكونه عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي مقدم على التحميد الذي هو عبارة عن وصفه تعالى بكونه مولى النعم كلها ومعطي الخيرات باسرها فان كونه تعالى منزها في ذاته عما لا ينبغي مقدم بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات فلذلك قال يسبحون بحمد ربهم واما ان فسر بانهن يتشققن من فظاعة قول المشركين من نسبة الولد اليه تعالى فوجه ارتباط هذه الاية بما قبلها ما ذكره بقوله وعلى الثاني دلالة الخ (قوله الاشارة الى مصدر يوحي) فالكاف تكون في محل النصب على انها صفة مصدر اوحينا ويكون قرءانا مفعول اوحينا اي واوحينا اليك قرءانا عربيا ايحاء مماثلا لذلك الايحاء اي ايحاء مفهما بلا لبس وستره على ان الكاف في كذلك نحو المثل في قولك مثلك لا يبخل (قوله اوالى معنى الآية المتقدمة) وهي قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي اوحينا اليك حال كونه قرءانا عربيا لالبس فيه عليك لما كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمان المشركين متحزنا على اصرارهم على الشرك والضلال انكر الله تعالى عليه ذلك بقوله الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل والمعنى ان امثال هؤلاء المصرين ليس في وسعك وقدرتك ان تهديهم والله وحده هو القادر على ذلك والذي عليك هو الانذار فقط ثم قال واوحينا اليك مثل هذا الآية وما تضمنته من الانكار على حرصك الشديد على ايمانهم وتكرر عليك في القرءان هذا النوع من الانكار حال كون ما يدل عليه قرءانا عربيا لا يخفى عليك معناه لكونه بلسانك وانت تنزله منزلة الكلام المبهم الملتبس حيث لا تترك الحرص البتة (قوله اهل ام القرى) قدر المضاف لان نفس مكة لا يصح انذارها والعرب تسمى اصل كل شئ امه وسميت مكة ام القرى تشريفا لها واجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولما روي من ان الارض دحيت من تحتها وبين من حولها بقوله من العرب ويجوز ان يبين باهل الارض كلها وتقييده بالعرب لا ينافي عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لان تخصيص الشئ بالذكر لا ينافي عموم الحكم لما عداه (قوله وحذف ثاني مفعولي الاول) والتقدير لتنذر ام القرى بعذاب الله تعالى على تقدير اصرارهم على الكفر حذف

وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس (والملائكة يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون لمن في الارض) بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (الا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته (والذين اتخذوا من دونه اولياء) شركاء و اندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها (وما انت) يامحمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم او بموكول اليه امرهم (وكذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحي اوالى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر في القرءان في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرءانا عربيا حال منه (لتنذر ام القرى) اهل ام القرى وهي مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او الاعمال والعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرءان

الثانى للتهاويل وتقدير الثانى وتنذرام القرى ومن حوليوم القيامة وحذف اول مفعولية لايهام التعميم (قوله
اعتراض لامحل له) على قول من يجوز الاعتراض فى آخر الكلام والمشهور انه لايقع الابين متلازمين كالمبتدأ
والخبر والمعطوف والمعطوف عليه (قوله والتقدير منهم فريق) على ان فريق مبتدأ حذف خبره وجاز الابتداء
بالنكرة لأمرين تقدم خبرها وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله فى الجنة (قوله والضمير) اى الضمير
المجرور فى منهم لما دل عليه يوم الجمع فان المعنى يوم جمع الخلائق فى موقف الحساب (قوله بمعنى مشارفين
للتفرق) جواب عما يقال كيف يكون حالا من المجموعين والجماعة الواحدة لايجوز ان يكونوا مجتمعين
متفرقين فى حالة واحدة واجاب عنه بوجهين الاول ان المراد بالجمع اجتماعهم فى الموقف وكونهم متفرقين فيه مجاز
عن كونهم مشارفين للتفرق تسمية لما يقرب من الشئ باسم ذلك الشئ والثانى ان المراد بالجمع اجتماعهم فى الموقف
وكونهم متفرقين فيه مجاز عن كونهم مشارفين للتفرق فى ذلك اليوم وبتفرقهم تفرقهم فى الدارين والاجتماع
فى الزمان لاينافى الافتراق فى المكان ثم انه تعالى لما بين ان اهل الجمع فريقان بين ان ذلك بمشيئة الله تعالى فمن علم
منه اختيار الهدى يهديه فيدخله بذلك فى جنته ورحمته ومن علم منه اختيار الضلال يضله ويجعله بذلك من اهل
السعير (قوله ولعل تغيير المقابلة) فان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء فى سخطه ونقمته وعدل عنه
الى ما هو ابلغ فى الوعيد فانه يدل على ان الذين ظلموا انفسهم ليس لهم احد يتولى امورهم ويعينهم ولا من ينصرهم
فيدفع العذاب عنهم فهم معذبون ابدا لظلمهم انفسهم ولاشك انه ابلغ فى الوعيد من ان يقال ويدخل من يشاء
فى سخطه (قوله بل اتخذوا) اشارة الى ان ام منقطعة فيجوز ان تقدر ببل التى للانتقال وبهمزة الانكار وبالهمزة
وحدها وبل وحدها والمصنف قدرها ببل وحدها اضرابا عن توصيفهم بانهم اتخذوا من دون الله اولياء على طريق
التخصيص بعد التعميم للاشعار بان هذا الخاص مع كونه من افراد ذلك العام بلغ فى كونه ظلما الى حد خرج
بذلك عن كونه معدودا فى عداده وقيل ام هذه بمعنى همزة الانكار والتوبيخ وصفهم الله تعالى اولا بانهم اتخذوا
من دونه اولياء ثم قال له عليه الصلاة والسلام لست عليهم بوكيل وان هدايتهم ليست اليك ولوشاء الله
لفعلها ثم اخبر عنهم بما وصفهم به اولا انكارا عليهم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما هدد المشركين بقوله
الله حفيظ عليهم وبقوله والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير ثم حكم بانه هو الولى بالحق اردفه بما يدل على انه ولى
المؤمنين بالنصر والاثابة ومذل اعداء الدين بالتعذيب والعقاب فقال وما اختلفتم فيه من شئ قيل انه حكاية قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فكانه عليه الصلاة والسلام وكل الحكم الى الله فى امر الدين وغيره فحكى
الله تعالى ذلك فى القرآن المجيد ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه انيب اى ذلك
الحاكم بينى وبينكم هو ربى عليه توكلت (قوله بالنصر) اى عز بنصره المؤمن المحق على الكافر المبطل فان المؤمن
اذا خالف الكافر فى شئ من الاحكام وتمسك فيه باصل من اصول الشرع وهى اربعة الكتاب والسنة واجماع
الامة والقياس فقد تأيد بنصر الله تعالى ونص كتابه فان الاصول الثلاثة الاخيرة مستندة الى الاصل الاول الذى
هو الكتاب غاية ما فى الباب انه لايجوز الاجتهاد والقياس بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (قوله او بالاثابة)
اى عين المحق من المبطل يوم الفصل والجزاء بان يجازى كل واحد من المختلفين على حسب ما استحقه فيثيب
المحق ويعاقب المبطل (قوله تعالى ذلكم) مبتدأ والله خبره وربى نعت لله وعليه توكلت واليه انيب
خبر بعد خبر قدم الظرف فيهما ليفيد الاختصاص (قوله وقرئ بالجر) اى على انه بدل من الهاء فى عليه واليه
او على انه نعت للجلالة فى قوله فحكمه الى الله فيكون ما بينهما اعتراضا (قوله يكثركم) ضمير الجمع فيه للمخاطبين
والانعام وفيه تغليبان تغليب العقلاء فان كم ضمير العقلاء وتغليب المخاطب على الغائب فان مقتضى الظاهر
ان يقال يذرأكم واياهن اورد بدل اياهن ضمير المخاطب (قوله فانه كالمنبع للبث) جواب عما يقال هذا التدبير
ليس ظرفا للبث والتكثير بل هو سبب له فلم قيل يذرأكم فى هذا التدبير ولم يقل بهذا التدبير (قوله تعالى ليس
كمثله شئ) المشهور عند القوم ان الكاف زائدة فى خبر ليس وشئ اسمها والتقدير ليس شئ مثله قال ابو البقاء
ولو لم تكن زائدة لفسد المعنى اذ يصير المعنى على تقدير عدم زيادتها ليس مثل مثله شئ وهو فاسد لان نفى المثل
عن مثله يستلزم ان يكون له مثل لا مثل لذلك المثل وهو محال تعالى الله عن ذلك وايضا فيه تناقض لانه اذا كان له
مثل كان لمثله مثل وهو نفس ذاته وقيل ان كلمة مثل هى الزائدة كزيادتها فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به

(لا ريب فيه) اعتراض لا محل له (فريق فى الجنة
وفريق فى السعير) اى بعد جمعهم فى الموقف
يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير
للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال
من هم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى
مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى الثواب والعقاب
(ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة) مهتدين او ضالين
(ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والحمل
على الطاعة (والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير) اى
ويدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة
للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار (ام اتخذوا)
بل اتخذوا (من دونه اولياء) كالاصنام (فالله هو الولى)
جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا وليا بحق فالله
هو الولى بالحق (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير)
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم) انتم
والكفار (فيه من شئ) من امر من امور الدين او الدنيا
(فحكمه الى الله) مفوض اليه يميز المحق من المبطل
بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه
من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله
(ذلكم الله ربى عليه توكلت) فى مجامع الامور (واليه
انيب) ارجع فى المعضلات (فاطر السموات والارض)
وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف
لالى الله وبالرفع خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره (جعل
لكم من انفسكم) من جنسكم (ازواجا) نساء (ومن
الانعام ازواجا) اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا
او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا (يذرأكم)
يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذرو والذر
والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب
المخاطبين العقلاء (فيه) فى هذا التدبير وهو جعل الناس
والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث
والتكثير (ليس كمثله شئ) اى ليس مثله شئ يزاوجه
ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك
لايفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى

فقد اعتدوا وتقديره ليس كهو شئ وهذا القول ليس بجيد لان زيادة الاسماء ليست بمعهودة وايضا زيادة المثل تستلزم ان يكون التقدير ليس هو شئ ودخول الكاف على الضمائر لايجوز الا فى الشعر ولم يرض المصنف والزمخشرى بهذين القولين بناء على ان القول بزيادة ماله فائدة جليلة و بلاغة مقبولة بعيد كل البعد وجعلا المثل كناية عن الذات كما فى قول العرب مثلك يجود ومثلك لايبخل وقول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فان البلغاء يثبتون لمثل الشئ وصفا وينفونه عنه ويريدون اثبات ذلك الوصف لنفس الشئ اذ نفيه عنه على ابلغ وجه وآكده لانه بمنزلة اثبات الشئ او نفيه بالدليل وكدعوى الشئ بالبينة وذلك لان مثل الشئ انقص حالا منه كما هو القاعدة فى باب التشبيه فالمشبه مع كونه انقص حالا من المشبه به اذا اتصف بصفة كمال او تباعد عن صفة نقصان فيكون المشبه به متصفا بالاولى ومتباعدا عن الاخرى اولى ومثله يسمى اثبات الشئ او نفيه بالطريق البرهانى وهذا الطريق لايتوقف على ان يتحقق لذلك الشئ مثل فى الخارج حتى يقال نفى مثل مثله يستلزم اثبات المثل له وهو محال بل يكفى فيه ان يقدر له مثل ثم يحكم عليه بانه يحمل بكذا او يبخل عن كذا ليفيد ان الممثل به اولى بذلك ولو توقف ذلك على ثبوت المثل والنظير له فى الخارج لكان قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اشبه بالذم منه بالمدح (قوله فى سقيا عبد المطلب) السقيا اسم بمعنى الاستسقاء روى ان عبد المطلب صعد ابا قبيس مع رجال من بطون العرب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام يافع اى مرتفع قدر على اعدو واسراع المشى خرجوا مستسقين لانقطاع المطر عنهم مدة طويلة (قوله لداته) لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة والمراد بالطيب الطاهر لداته رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبت الطهارة والطيب الى لداته كناية عن طيب نفسه وطهارته (قوله وقيل مثله صفته) بناء على ان المثل والمثل الصفة كما فى قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التى لغيره فانه تعالى وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليست تلك الصفات الثابتة له تعالى كالتى ثبتت لغيره تعالى وعلى القولين يكون قوله ليس كمثله شئ كلاما مستأنفا على سبيل التعليل لما قبله (قوله خزائنها) اشارة الى ان ملك المفاتيح كناية عن ملك الخزائن لما ذكر الله تعالى وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم شرع فى تفصيل ما تضمنته هذه السورة من المعانى فقال شرع لكم من الدين الاية اى بين لكم يا اصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا وهو اول انبياء الشريعة ومعنى شرع بين المسالك وفتح الطريق الى مرضاته والدين هو الطاعة والانقياد واقامة الدين الدوام عليه باحياء شروطه وحدوده وخص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة (قوله وهو الاصل المشترك فيما بينهم) يعنى ان المراد بالدين الذى وصى به هؤلاء الانبياء اصول الدين وهى ما تطابقت الانبياء على صحته ولم يختلف باختلاف الشرائع كالايمان بالله وحده لاشريك له و بملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر (قوله او الرفع على الاستئناف) فتكون ان مصدرية ويكون الفعل معها فى تأويل المصدر كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين والاجتماع عليها وترك التفرق فى اقامته فان الامر اذا انتظم على هذا الوجه زال الفساد وظهر العدل وتباعد الناس عن التظالم فيتفرغون لعمارة دنياهم ويتوصلون بها الى اقامة دينهم وينالون المنزلة الرفيعة عند ربهم (قوله يجتلب اليه) اشارة الى ان يجتبى مأخوذ من الجباية وهى طلب الخراج لا من الاجتباء بمعنى الاصطفاء لانه لايتعدى بالى بخلاف الجباية فان فيها معنى الضم فلذلك تعدى بالى فيقال يجتبى اليه اى يوفقه له ويقربه اليه رحمة واكراما لما بين الله تعالى انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان مظنة ان يقال فلم ذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى انهم ما تفرقوا الا من بعد ما اتاهم الاجماع على اقامة الدين المتفق عليه وعلموا بذلك ان التفرق ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك لاجل البغى الحاصل منهم والحسد والعداوة المستقرة بينهم المانعة من الاتفاق فلذلك ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه ويحتمل ان يكون البغى مصدر بغاه بمعنى طلبه ويكون المعنى تفرقوا طلبا للدنيا والرياسة ثم انه تعالى اخبر انهم استحقوا العذاب بسبب تفرقهم الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اى وقتا معلوما والمصنف فسر المتفرقين فى اصول الدين بالامم السابقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسر

والطيب قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل ما يسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) (خزائنها) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شئ عليم) فيفعله على ما ينبغى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (ان اقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرع فتختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ما تدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين (ويهدى اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وما تفرقوا) يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب (الا من بعد ما جاءهم العلم) بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة او طلبا للدنيا

الذين اورثوا الكتاب من بعدهم باهل الكتاب الذين تفرق كل فريق منهم عن صاحبه بالانتساب الى كتاب غير كتاب الاخر فقوله من بعدما جاءهم العلم بان التفرق ضلال ناظر الى ما اختاره من ان المراد بالتفرق اختلاف الامم السالفة في الاصل المشتركة بين ارباب الشرآئع وقوله والعلم بعثته عليه افضل الصلاة والسلام ناظر الى مانقله من ان المراد بالتفرق تفرق كل فريق من اهل الكتاب بالانتساب الى كتابه فعلى هذا يكون ضمير تفرقوا لاهل الكتاب و يكون المراد بالذين اوتوا الكتاب من بعدهم المشركين وبالكتاب القرءآن وقوله لايعلمونه كما هو ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرقين الاسلاف و بالذين اورثوا الكتاب المعاصرين وقوله اومن القرءآن ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرقين مطلق اهل الكتاب وبالذين اورثوا المشركين (قوله فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم) الاول على ان تكون الاشارة الى مصدر تفرقوا والثانى على ان تكون الاشارة الى الكتاب الذى اريد به القرءآن والثالث على ان تكون الاشارة الى المشروع المبين الذى هو الامر باقامة الدين والنهى عن التفرق (قوله وعلى هذا) اى على ان تكون الاشارة الى الكتاب او الى ما جاءه من العلم يجوز ان تكون اللام فى موضع الى حتى تكون صلة ادع المذكورة صريحا وتفيد معنى التعليل ايضا قال الفرآء والزجاج فى تفسيره فالى ذلك الدين الذى وصينا به الانبياء فادع الناس (قوله تعالى وامرت لاعدل بينكم) يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بين شريفكم ووضيعكم فى تبليغ الشرائع وفى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى وقيل تقديره وامرت ان اعدل على ان تكون اللام زآئدة بدل ان المصدرية كما فى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اى ان يبين لكم اى اسوى بين شريفكم ووضيعكم فلا احابى احدا ولا اخص البعض بامر اونهى (قوله لااحتجاج بمعنى لاخصومة) الحجة فى الاصل البرهان والدليل ثم يقال لاحجة بيننا بناء على ان ايراد الحجة من الجانبين لازم للخصومة فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم (قوله وليس فى الابة الخ) رد لما قيل من انها نزلت قبل الامر بالقتال حين كونه عليه الصلاة والسلام مأمورا بالدعوة فقط ثم نسخت بآية القتال وما فعل بهم من القتل وتخريب البلاد وقطع النخيل والاجلاء انما وقع بعد نزول آية القتال ووجه الرد أن هذه الآية انما تدل على المتاركة القولية معهم لانهم قد عرفوا صدقه عليه الصلاة والسلام بما قام من الحجج المتعاضدة وانما تركوا تصديقه والايمان به عنادا وبعد ماظهر الحق وصاروا محجوجين به كيف يحتاج الى المحاجة القولية فلا يبقى بعد ذلك الا السيف او الاسلام (قوله تعالى والذين يحاجون) مبتدأ وحجتهم مبتدأ ثان وداحضة خبر الثانى والجملة خبر الاول والمعنى ان الذين يخاصمون فى دين الله تعالى نبيه قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم و نبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم فى دين الله تعالى من بعد ما استجاب له الناس فاسلموا ودخلوا فيه قال الامام فى بيان مخاصمة اليهود فى دينه تعالى انهم قالوا ألستم تقولون ان الدين المتفق عليه يجب اخذه لا الذى اختلف فيه ونبوة موسى عليه الصلاة السلام وحقية كتابه معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه و سلم ليست متفقا عليها فوجب ان يكون الاخذ باليهودية اولى واوجب فهذه حجتهم وحكم الله تعالى بانها داحضة اى باطلة وذلك لان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه الصلاة والسلام لاجل انه صدقه تعالى بان اظهر المعجزات على يده وكل من صدقه الله تعالى فى دعوى الرسالة بهذا الطريق فهو صادق فى دعواه يجب الايمان به فاجماعهم هذا يستلزم بطلان حجتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ادعى الرسالة فصدقه الله فى دعواه بان خلق على يديه معجزات بينة باهرة واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة دليلا على صدق مدعى النبوة يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يكن دليلا عليه فى حق محمد عليه الصلاة والسلام فيكف يكون دليلا فى حق موسى عليه الصلاة والسلام فجعله دليلا على صدق احدهما دون الاخر تحكم محض وعناد صرف ثم اعلم الله تعالى ماتضمنته هذه السورة الكريمة من المعانى بان بين انه كرر وحيه اليه عليه الصلاة والسلام فى القرءآن المجيد والى من قبله عليهم الصلاة والسلام وبان اسند وحيه الى الله العزيز الحكيم ثم انكر على رسوله صلى الله عليه وسلم شدة حرصه على ايمان المشركين وعدم اقتصاره على تبليغ رسالته اليهم وانذارهم يوم الجمع وما فيه من تعذيب المسيء على وجه يتضمن تهديدهم بان الله حفيظ عليهم وانهم مالهم من ولى ولا نصير ثم بين استحقاقهم للتهديد المذكور بانهم خالفوا الدين المتفق عليه بين ارباب الشرآئع وهو الايمان بجميع ما يجب الايمان به وطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه وعدم الافتراق فيه شرع الآن فى بيان انه انما شرع ذلك الدين المتفق عليه بانزال الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والبينات فقال الله الذى انزل الكتاب

(ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى اجل مسمى) هو يوم القيامة اوآخر اعمارهم المقدرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القرءآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لايعلمونه كما هو اولا يؤمنون به حق الايمان اومن القرءآن (مريب) مقلق او مدخل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذى اوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما امرت) واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى (ولا تتبع اهوآءهم) الباطلة (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وامرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرآئع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى امره (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فكل مجازى بعمله (لاحجة بيننا وبينكم) لااحتجاج بمعنى لاخصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) مرجع الكل بفصل القضاء وليس فى الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه اومن بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر اومن بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة (وعليهم غضب) بمعاندتهم (ولهم عذاب شديد) على كفرهم

(الله الذى انزل الكتاب) جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام (والميزان) والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن اوحى باعدادها (وما يدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفجأك اليوم الذى يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب (ويعلمون انها الحق) الكائن لا محالة (الا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها (الله لطيف بعباده) بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام (يرزق من يشاء) اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذى لا يغلب

(قوله والشرع) لفظ الميزان حقيقة فى آلة الوزن ويستعار للشرع تشبيها له بالميزان العرفى من حيث انه توزن به الحقوق الواجبة الاداء سواء كانت من حقوق الله تعالى او من حقوق العباد ويطلق على العدل والتسوية تسمية للشئ باسم آلته فان الميزان آلة العدل فسمى باسمه والشرع ينزل بانزال مبلغه وكذا العدل فانه ينزل بانزال الامر به فى الكتب الالهية المنزلة بانزال مبلغها (قوله او آلة الوزن) اى ويجوز ان يكون المراد بالميزان معناه الاصلى وانزالها اما حقيقة كما ذكره الزمخشرى فى سورة الحديد من انه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه الصلاة والسلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل نزل آدم عليه الصلاة والسلام بجميع آلات الصنائع واما مجاز عن انزال الامر باستعماله فى الايفاء والاستيفاء (قوله فاتبع الكتاب) اشارة الى وجه ارتباط وما يدريك الخ بانزال الكتب والميزان باى معنى يراد به يعنى ان قوله تعالى وما يدريك الآية كناية عن الترغيب فى اتباعهما واقامة حدودهما قبل مفاجاة اليوم الذى توزن فيه الاعمال فيوفى لمن اوفى ويطفف لمن طفف (قوله وقيل تذكير القريب) عطف على قوله قريب اتيانها يعنى ان قريب فعيل بمعنى الفاعل ولا يستوى فيه المذكر والمؤنث عند سيبويه فكان الظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الساعة الا انه ذكر لكونه صفة جرت على غير من هى له والتقدير قريب اتيانها وقريب منه قول الزمخشرى ولعل مجئ الساعة قريب بتقدير المضاف وروى عن سيبويه انه انما لم يقل قريبة لان المراد ذات قرب يعنى انه على معنى النسب لا على معنى الحدوث فى احد الازمنة فان الصفات التى كانت كالفعل انما يفرق بين مذكرها ومؤنثها بالتاء اذا قصد بها الحدوث لانها حينئذ تشبه الفعل الذى مبناه على الحدوث فكما ان الفعل تلحقه التاء اذا اسند الى المؤنث فكذا الصفات التى كانت كالفعل فى معنى الحدوث فانها تلحقها التاء ايضا فتقول حاضت هند فهى حائضة وطلقت فهى طالقة واما اذا قصد بها الاطلاق فلا تكون حينئذ بمعنى الفعل بل بمعنى النسب وان كانت على صورة اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذوى لبن وتمر اى لبنى وتمرى فلما لم تكن فى معنى الفعل لم تلحقها تاء التأنيث لعدم ما يشابهه معنى وان شابهته لفظا (قوله او لان الساعة بمعنى البعث) تسمية للحال باسم ما حل فيه (قوله استهزاء) فانه عليه افضل الصلاة والسلام لما هددهم بيوم القيامة قالوا مستهزئين متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر الحق أهو الذى نحن عليه ام ما تدعونا اليه فانهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها فهم يطلبون وقوعها استبعادا لقيامها بخلاف الذين آمنوا فانهم مشفقون منها لعلمهم بانهم محاسبون ومجزيون بما عملوا فى الدنيا مع اعتنائهم اى مع اعتنائهم بها واهتمامهم بشأنها اى يجمعون بين الخوف منها والاهتمام بشأنها لتوقعهم ما فيها من الثواب (قوله من المرية) فقوله يمارون معناه فى الاصل تداخلهم المرية والشك فيؤدى ذلك الى المجادلة فقوله فى تفسيره يجادلون تفسير له بمؤداه ولازمه وان كان من المرى وهو التعرض لضرع الناقة لاستخراج ما فيه من اللبن يكون تفسيره بيجادلون حملا على الاستعارة التبعية بان شبه المجادلة بمماراة الحالب الضرع لاستخراج ما فيه من اللبن من حيث ان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (قوله اشبه الغائبات الى المحسوسات) فان البعث مع كونه امرا ممكنا فى نفسه غير مستبعد من قدرة الله تعالى قامت على وقوعه دلائل قطعية فبلغ بكثرة شواهده مبلغ المحسوسات فان الكتاب المعجز مملوء بالاخبار عن وقوعه والعقول السليمة شاهدة على انه لا بد من دار جزاء لئلا يكون تكليف الحكيم عبثا (قوله بصنوف من البر لا تبلغها الافهام) كثرة البر مستفادة من تنكير لطيف ومن صيغة فعيل لانها للمبالغة وكونها بحيث لا تبلغها الافهام مستفاد من مادته فان اللطف ايصال نفع فيه دقة وعظم قدر ولا تبلغ قوة المتفكر الى ادراك لطفه فى ترزيق عبده من بنى آدم وغيرهم وان بذل جهده حيث جعله منوطا بترتيب العالم العلوى والسفلى وما فيهما من الصنائع العجيبة والتدبيرات الغريبة بحيث يعجز عقل البشر عن معرفة ادنى شئ منها فضلا عن استقصائها (قوله اى يرزقه كما يشاء) لما ورد ان يقال ان اضافة العباد وهو جمع الى ضمير اسم الله تعالى من طرق الاستغراق فتفيد انه تعالى لطيف بجميع عباده فالمناسب له ان يقال بعده يرزقهم جميعا برا وفاجرا ولا يهلك الفاجر جوعا بمعاصيه فما وجه تخصيص ترزيقه بمن شاء اشار الى جوابه بان المخصوص بمن يشاء هو نوع البر وصنفه وذلك لا ينافى عموم جنس بره لجميع عباده فانه تعالى بر بهم جميعا لا بمعنى ان جميع انواع البر واصنافه تصل الى كل احد فانه مخالف للحكمة بل يصل بره اليهم على سبيل التوزيع بان يخص بنعمة واحدا وآخر باخرى فيرجع بذلك كل واحد منهم الى الآخر فيما عنده من النعمة فينتظم به احوالهم وتتم اسباب معاشهم وصلاح دنياهم وعمارتها فيؤدى ذلك الى

فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة ثم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم اشار الى ان الانسان مادام فى دار الكسب والاختيار لا بد له من السعى فى طلب الخيرات وفى الاحتراز عن القبائح والسيئات فان لطفه تعالى واحسانه وان لم يكن مقدرا بقدر سعى العبد وعمله الا ان عادته تعالى قد جرت على ان جعله منوطا بسعى العبد وكسبه فقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية والحرث فى الاصل هو الزرع الحاصل بالقاء البذر فى الارض استعير للثواب الحاصل بمقابلة العمل (قوله ولذلك) اى ولكون ثواب الآخرة حاصلا بعمل الدنيا (قوله شيئا منها) اى شيأ كائنا منها على ان منها متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول الثانى المحذوف لقوله نؤته قال الامام فان قيل ظاهر الآية يدل على ان من صلى لا لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى الا بالقاء البذر الصحيح فى الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس الا العبودية لله تعالى (قوله اذ الاعمال بالنيات) واذا عمل لدنياه لا لآخرته فلا يثاب فى الآخرة على ذلك العمل شيأ قال تعالى فى طالب ثواب الآخرة نزد له فى حرثه ولم يذكر انه يعطيه الدنيا ام لا بل بقى الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا مع ان الرزق المقسوم له يصل اليه بلا محالة للاستهانة بذلك والاشعار بانه فى جنب ثواب الاخرة كانه ليس بشئ وصرح فى حق طالب خير الدنيا بانه لا يعطيه شيأ من نصيب الاخرة تنصيصا على الفرق بين من اراد الاخرة وبين من اراد الدنيا وليس له من ثواب الاخرة نصيب البتة وبين ان طالب الاخرة يكون حاله ابدا فى الترقى والتزايد وان طالب الدنيا لا ينال مراده من الدنيا و يكون محروما من ثواب الاخرة بالكلية (قوله بل ألهم شركاء) يريد ان ام هذه منقطعة فيها معنى بل والهمزة وبل للاضراب عما سبق وهو بيان انه تعالى شرع لهم من الدين ما وصى به الانبياء المتقدمين وان الذين يحاجون فى دين الله حجتهم داحضة عند ربهم اضرب عن هذا البيان واستفهم استفهام تقرير وتقريع بان قال ألهم شركاء اى نظراء يشاركونهم فى الكفر والشيطان ويعاونهم عليه بالتزيين والاغواء وهم شياطين الانس والجن وسماهم لهم شركاؤهم من الطريق الباطل وسماه دينا للمشاكلة والتهكم (قوله وقيل شركاؤهم اوثانهم) وحينئذ ينبغى ان تكون الهمزة للانكار فان الجماد الذى لا يعقل شيأ كيف يصح ان يشرع لهم دينا والحال انه تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين الباطل فمن اين يدينون به من عند انفسهم بغير حجة تكون عذرا لهم فى التدين به واسناد الشرع الى الاوثان مع كونها بمعزل عن الفاعلية اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب او من قبيل اسناده الى ما هو على صورة الفاعل الحقيقى فى زعمهم فانهم يزعمون ان الاصنام صور الملائكة او المسيح او عزير او غيرهم من العباد الصالحين فانهم يزعمون ان هؤلاء العباد سووا لهم ما هم عليه من الدين الباطل ودعوهم اليه وفى بعض النسخ صور من شبه لهم من التشبيه فالمعنى شبه لهم ان عبادته تنفعهم وتنجيهم (قوله اى القضاء السابق) سمى القضاء كلمة الفصل لان الفصل قد يطلق على قطع الحكم كما قال تعالى وهو خير الفاصلين ويطلق على القول الحق ايضا كما فى قوله تعالى انه لقول فصل ولا شك ان القضاء السابق كلام لفظى متلو ووعد صادق وقول حق فلذلك اطلق عليه كلمة الفصل و يحتمل ان تكون اضافة الكلمة اليه للملابسة على ان يكون الفصل بمعنى التمييز والفرق و يكون المعنى ولولا القضاء او العدة بالفصل اى الفرق بين مكذبى هذه الامة ومكذبى الامم السالفة لانبيائهم لقضى بين هؤلاء و بين المؤمنين بمعاجلة عذابهم ولاهلكوا كما اهلك اولئك الامم (قوله او المشركين وشركائهم) على ان يكون المراد بالشركاء شياطينهم والاول على ان يكون المراد بالشركاء الاوثان (قوله وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة) احتاج الى تقدير المضاف لان كلمة لو لا تستدعى تحقق مدخولها حال التكلم بها والذى يحقق حال التكلم هو تقدير تعذيب الظالمين لا نفس عذابهم وقرئ الجمهور وان الظالمين بكسر ان على الاستئناف ولما كان العذاب الاليم غالبا فى العذاب الاخرة بين حال الفريقين فيها على طريق الاستئناف فبدأ باحوال الكفرة فقال ترى الظالمين اى ترى الكافرين يوم القيامة خائفين من جزاء كسبهم فى الدنيا او جزاء ما كسبوه فى الدنيا وهو الشرك او التكذيب وذلك الجزاء واقع بهم البتة خافوا اولم يخافوا فلذلك اوثر لفظ واقع على يقع مع ان المعنى على الاستقبال لان الخوف انما يكون من المتوقع لا الكائن ثم ذكر احوال المؤمنين وثوابهم فقال و الذين آمنوا الآية (قوله فى اطيب بقاعها) بخلاف الثانى فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده حاصل لهم منه او غيره ولا يدل على حصول مطالبهم وذلك مستفاد من اضافة الروضة الى الجنة فى مقام الامتنان فان الاضافة تنبئ عن

(من كان يريد حرث الاخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال الزرع الحاصل منه (نزد له فى حرثه) فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيأ منها على ما قسمنا له (وما له فى الاخرة من نصيب) اذ الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى (ام لهم شركاء) بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم (ولولا كلمة الفصل) اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب اليم) وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) اى وباله لاحق بهم اشفقوا اولم يشفقوا

امتياز المضاف عن المضاف اليه وكون الامتنان بكونها اطيب بقاعها مستفاد من كون المقام مقام الامتنان (قوله اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم) يعنى ان قوله عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم فيدل على ان الاشياء حاضرة متهيئة عنده تعالى وليس ظرفا لقوله يشاؤن لانه على الاول يكون قوله ما يشاؤن باقيا على عمومه ويكون المعنى جميع ما يشتهونه حاصل لهم عنده تعالى خاصة بخلاف الثانى فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده حاصل لهم منه او من غيره ولا يدل على حصول جميع مطالبهم ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا تصريح بان الجزاء المرتب على العمل الصالح انما حصل بطريق الفضل لا بطريق الاستحقاق (قوله ذلك الثواب الذى) اشارة الى ان ذلك مبتدأ والذى خبره على حذف الموصوف وذلك الموصوف اما الثواب الذى اخبر الله تعالى بانه اعده لعباده او التبشير المدلول عليه بقوله الذى يبشر الله عباده فالاشارة على الاول الى ما ذكر سابقا من الكرامة المعدة لهم وحذف الباء التى هى صلة يبشر كما فى قولك امرتك الخير ثم حذف الضمير الراجع الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا لانهم لا يجوزون حذف الجار والمجرور دفعة واحدة وانما يحذفونهما على التدريج الا نادرا كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وعلى الثانى تكون الاشارة الى مدلول قوله الذى يبشر الله كما فى قولك هذا اخوك لا الى المذكور سابقا اذ لم يتقدم فى هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليه والعائد الى الموصول محذوف ايضا لكن لا بقدر الجار والمجرور لان العائد حينئذ فى حكم المفعول المطلق فيتعدى الفعل اليه بنفسه (قوله وقرأ ابن كثير الخ) اختار المصنف قرآءة نافع وعاصم وابن عامر يبشر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة وهو منقول من بشره يبشره بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع والتشديد فيه للتكثير لا للتعدية لان الثلاثى متعد بنفسه وقرأ الاربعة الباقية من السبعة يبشر بفتح الياء وضم الشين المخففة ولا فرق بين القراءتين من حيث المعنى الا بان احداهما فيها معنى التكثير لا فى الاخرى وعلى قرآءة يبشر من باب الافعال يكون منقولا من بشر بكسر الشين فانه لازم يتعدى بنقله الى باب الافعال يقال بشرت بكذا ابشر اى استبشرت به بخلاف بشرت بالفتح فانه متعد (قوله على ما اتعاطاه) اى اخوض فيه واباشره وفى الصحاح يقال فلان يتعاطى كذا اى يخوض فيه (قوله نفعا منكم) اشارة الى وجه جواز كون الاستثناء متصلا كما اشار اليه بضعف قوله وقيل الاستثناء منقطع فان ودهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا ودهم اهل قرابته اعترافا بفضلهم ورعاية لحقهم داخل فى جنس النفع الواصل منهم اليه عليه افضل الصلاة والسلام غاية ما فى الباب ان يكون اطلاق الاجر على مطلق النفع مجازا لان يكون الاجر عبارة عن العوض المالى الواجب فى مقابلة العمل (قوله ان تودونى لقرابتى منكم) اى يجوز ان يكون المراد بالمودة مودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقربى القرابة بمعنى الرحم ويكون كلمة فى فى قوله فى القربى بمعنى اللام متعلقة بالمودة فيكون المعنى ان تودونى لاجل قرابتى منكم كما يقال الحب فى الله اى فى حقه ومن اجله ويجوز ايضا ان يراد بالمودة مودة اهل قرابته ويكون القربى مصدرا كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة التى يراد بها الاقارب بتقدير المضاف اى ذوى القرابة واهلها فلا يكون قوله فى القربى ظرفا لغوا متعلقا بالمودة بل يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف منصوب على انه حال من المودة اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فيها فتكون كلمة فى على بابها كانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى فلان مودة وهذا النظم ابلغ من ان يقال الا مودة القربى او المودة للقربى فان قيل كيف يصح ان يكون الاستثناء متصلا والحال انه يفيد كونه عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على تبليغ الوحى وانه لا يجوز لوجوه اولها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء تصريحهم بنفى طلب الاجر فقال فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما اسألكم عليه من اجر الخ وكذا فى قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ورسولنا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وسيد المرسلين فكيف يليق بشأنه ان يطلب الاجر على تبليغ الوحى والرسالة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام ايضا صرح بنفى طلب الاجر فقال قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه لقوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وطلب الاجر على طلب الواجب لا يليق باقل الناس قدرا فضلا عن سيد الكائنات ورابعها ان متاع الدنيا اقل الاشياء واخسها بالنسبة الى الوحى الالهى وعلم النبوة فكيف يصح فى العقل ان يطلب اخس الاشياء بمقابلة اشرف الاشياء وخامسها ان طلب الاجر يوهم التهمة وذلك ينافى القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز منه عليه الصلاة والسلام ان يطلب الاجر على التبليغ البتة

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) فى اطيب بقاعها وانزهها (لهم ما يشاؤن عند ربهم) اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى ما للمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره (قل لا اسألكم عليه) على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة (اجرا) نفعا منكم (الا المودة فى القربى) ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله

فكيف يصح ان يصدر منه ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودة فى القربى اجيب عنه بانه من قبيل قول
من قال

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

لان حاصله انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر لان الاجر ما يجب بمقابلة العمل ومودة اقربائه عليه
الصلاة والسلام واجبة على قريش وقد روى عن الشعبى انه قال اكثر الناس على ان المراد بالقربى فى هذه الآية
على وابناء وساحبته فكتبنا الى ابن عباس رضى الله عنه نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس الينا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة وان فرض
انه عليه الصلاة والسلام لم يبعث اليهم نبيا ولم يبلغ اليهم وحى الله تعالى لان اقرباءه عليه الصلاة والسلام ذووا
قراباتهم فكانت صلتهم والامتناع من ايذائهم واجبة بحكم المروة الجبلية فودتهم فى القربى لا تكون اجر
التبليغ لوجوبها عليهم مع قطع النظر عن التبليغ فلا يكون عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على التبليغ
الا انه عليه الصلاة والسلام سماها اجرا واستثناها منه تنبيها لها به وهذا القدر كاف فى صحة الاتصال
ولان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه الصلاة
والسلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والايات والاخبار فى هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور
المسلمين واجبا فحصولها فى حق اشراف المسلمين واكابرهم اولى فكانه قيل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
فى القربى ومن المعلوم ان المودة فى القربى ليست اجرا فى الحقيقة فرجع حاصل الكلام الى انه لا يسأل اجرا البتة
(قوله روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك) الذين وجبت علينا مودتهم يريد ان ليس المعنى الا ان
تودونى لقرابتى بل المعنى الا ان تودوا اقاربى وان قرابته كل من حرمت عليهم الصدقة وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب
وفى الحديث حرمت الجنة على من ظلمنى فى اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد
المطلب ولم يجازه فانا اجازيه غدا اذا لقينى يوم القيامة ومن ظن ان هذه نسخت بقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر
فهو لكم فقد غلط لانه لا يصح ان ينسخ مودة النبى صلى الله عليه وسلم فى كف الاذى عنه ولا مودة آله واقاربه
ولا التقرب الى الله تعالى بطاعته لان كل واحد منها من قرآئن الدين واصوله فلا يتصور نسخه (قوله وقيل
نزلت) عطف على معنى قوله ومن يكتسب طاعة سيما حب آله عليه الصلاة والسلام فانه يدل على ان قوله ومن
يقترف عام فى كل من يكتسب حسنة ابابكر كان اوغيره وعلى ان قوله حسنة عام فى كل طاعة سوآء كانت مودة
فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم اوغيرها كانه قيل كل واحد من قوله ومن يقترف ومن قوله حسنة عام وقيل
كل واحد منهما خاص والعامة على حسنا بالتنوين وهو مصدر على فعل نحو شكر وانتصابه على انه مفعول به وقرئ
حسنى بالف التأنيث بلا تنوين وهو ايضا مصدر على وزن فعلى كالبشرى والرجعى وهو مفعول به ايضا ويحتمل
ان يكون صفة كفضلى فيكون وصفا لمحذوف اى خصلة حسنى لما حث على الحسنة المخصوصة وهى ان يودوه
عليه الصلاة والسلام لقرابته منهم ويودوا اقرباءه ذكر ان كل من يقترف حسنة واحدة اى حسنة
كانت يضاعفها له عشر اضعافا (قوله بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة) يعنى ان الشكر من الله تعالى يراد به
هذا المعنى مجازا لان معناه الحقيقى وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما لا يتصور منه تعالى لامتناع
ان ينعم عليه احد حتى يقابله بالشكر شبهت اثابته اهل الطاعة وتفضله عليه بالزيادة بالشكر الحقيقى من حيث
ان كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير واكرامه لاجله (قوله بل أيقولون) اشارة الى ان ام منقطعة
متضمنة معنى بل الاضرابية وهمزة التوبيخ والكلام المضروب عنه هو الاضراب الاول وهو قوله ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وبيانه انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يتلو عليهم قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية وساق الكلام الى ان انتهى الى الاضراب الاول اضرب عن الامر بالتلاوة
الى السؤال على سبيل التقرير والتهكم اى اهم يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والانس واجرى الكلام حتى
بلغ الى مقام الاضراب الثانى فوبخهم على امر آخر اعظم من الاول وهو نسبة الافتراء الى اكرم خلق الله تعالى فقال
ام يقولون اى أيتفوهون بهذه العظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم شرع من تلقاء نفسه هذا الذى دعاكم اليه
وسماه دينا وذكر انه تعالى وصى به الانبياء السابقة وامرهم ان تمسكوا به وان يأمروا اممهم بالتدين به وهذا معنى

روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك
هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب
الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه
بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى
(ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب
آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه
ومودته لهم (نزد له فيها) اى فى الحسنة (حسنا)
بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنا
حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب (شكور) لمن
اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة
(ام يقولون) بل أيقولون (افترى على الله كذبا)
افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن

(فان يشأ الله يختم على قلبك) استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترا لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه اوبقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذى لا مرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله ويدع الانسان بالشر (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن او عن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن على هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن شاء (ويعلم ما تفعلون) فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابى بكر ما يفعلون بالياء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها

قوله افترى على الله كذبا والمعنى ايقولون انه عليه الصلاة والسلام كاذب فى دعوى انه تعالى ارسله نبيا ودعوى ان القرآن كلام الله تعالى اوحى اليه بواسطة الملك وانه مفتر عليه تعالى فى ذلك لانه تعالى لم يجعله نبيا ولم يوح اليه شيأ وانه انما يدعى ذلك من تلقاء نفسه وقيل ام متصلة معادلة لهمزة الاستفهام المحذوفة والتقدير أيصدقونك فيما تبلغه اليهم ام يقولون افترى على الله كذبا ولم يوح اليه شئ وعلى تقدير كونها منقطعة يكون هذا الاضراب معطوفا على الاضراب الاول وادخل فى افادة الانكار والتوبيخ منه لان اتباعهم شرع الشياطين وان كان قبيحا وشرا عظيما الا انه ليس كجعل دعواه النبوة ودعواه ان القرآن كلام الله المنزل عليه الموحى اليه ادعاءا ناشئا من تلقاء نفسه افتراء عليه تعالى فى نسبة بعثه اليه وانزاله عليه لان دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام فى كل واحد منهما بلغت فى القوة والكثرة الى حيث سقط معها احتمال كونه عليه الصلاة والسلام كاذبا مفتريا كانه قيل أيجدون من انفسهم ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله وهو اعظم الفرى وافحشها (قوله استبعاد للافتراء عن مثله) لما كان ظاهر النظم يدل على ان المقصود منه المبالغة فى استبعاد الافتراء عن مثله كانه قيل من كان مثلك فى كونه اعرف خلق الله تعالى به واخشاهم منه واكرمهم عنده منزلة بحيث يكون آدم عليه الصلاة والسلام ومن دونه تحت لوائه كيف يصح ان يفترى عليه فان الافتراء عليه لا يصدر الا ممن كان مختوما على قلبه جاهلا بربه ابعد خلق الله تعالى منه واما صدوره عمن هو مثلك فبعيد كل البعد وانما يتوهم ذلك منه ان لو كان ممن ختم الله تعالى على قلبه فكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل ومن البين انك لست كذلك فمن اين يتصور منك ان تفترى عليه تعالى وعن قتادة يختم الله على قلبك اى ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو كذب على الله وافترى لانساه القرآن ولقطع عنه الوحى ولما عمل خيرا بسبب ختم قلبه فعلى هذا يكون الكلام استدلالا على عدم كونه مفتريا بانتفاء لازمه كما انه على الاول استبعاد لاصل الافتراء عليه (قوله استئناف) يعنى تم الكلام بذكر قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله ويمح الله الباطل ليس مجزوما بالعطف على جزاء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا لا معلقا بالشرط ولانه لو كان مجزوما به لما انعطف عليه ما بعده مرفوعا وهو قوله ويحق الحق وسقط لام الفعل منه لفظا لالتقاء الساكنين حال الوصل وخطا ايضا حملا على اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية استبعد الله تعالى اولا صدور الافتراء على الله تعالى عن مثله عليه الصلاة والسلام ثم اقام الدليل على انه عليه الصلاة والسلام ليس مفتريا وتقرير الدليل ان من عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه فلو كان عليه الصلاة والسلام مبطلا كذابا لما أيده بالقوة والنصرة بل يفضحه ويكشف عن باطله ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكذابين المفترين على الله تعالى ثم انه تعالى لما انكر على المشركين ووبخهم على اتباعهم ما شرع لهم شياطينهم ونسبتهم اياه عليه الصلاة والسلام الى اصل الافتراء على الله تعالى الذى هو اعظم الفرى واقبحها ندبهم الى التوبة وعرفهم انه يقبلها من كل مسئ وان عظمت اساءته فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده اى من اوليائه واهل طاعته ويدل عليه اضافة التشريف فى عباده واقل ما لا بد منه للتائب الندم على الماضى والترك فى الحال والعزم على ان لا يعود اليه فى المستقبل (قوله لتضمنه معنى الاخذ والابانة) من قبيل اللف والنشر المرتب فلتضمنه معنى الاخذ تعدى اليه بمن فيقال قبلته منه اى اخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ولتضمنه معنى الابانة والتفريق تعدى بعن فيقال قبلته عنه اى عزلته وابنته عنه وقوله تعالى ويعفو عن السيئات معناه يعفو عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر كما ذكره الزمخشرى بناء على مذهبه وذلك لان عفو ما تيب عنه هو عين قبول التوبة والتجاوز عما تيب عنه فيتحد المعطوف والمعطوف عليه مع ان العطف يقتضى التغاير بل المعنى ان الله تعالى من شأنه ان يقبل التوبة من عباده اذا تابوا وان يعفو عن سيئاتهم صغيرها وكبيرها التى هى غير الشرك لمن يشاء بمحض رحمته او شفاعة شافع وان لم يتوبوا وهو مذاهب اهل السنة وقالوا ايضا لا يجب عليه تعالى شئ من قبول التوبة وغيرها واحتجوا عليه بهذه الآية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان قبولها واجبا عليه لما حصل التمدح العظيم به وقالت المعتزلة يجب ذلك عليه تعالى عقلا (قوله وقرأ الكوفيون غير ابى بكر) اى قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله من عباده وقوله بعده يزيدهم من فضله والباقون بتاء الخطاب التفاتا للناس عامة او خطابا للمشركين (قوله اى يستجيب الله لهم او يستجيبون الله) يجوز ان يكون قوله الذين آمنوا فى محل النصب

على انه مفعول به واصل الاستجابة ان تعدى باللام كما فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اى اجيبوا لله ولرسوله فان استجاب واجاب بمعنى قال صاحب الكشاف فى تفسير سورة القصص الاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسها والى الداعى باللام و يحذف الدعاء اذا تعدت الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه فان قلت قد عدى الى الداعى بنفسه فى قوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندا ✻ فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قلت معناه فلم يستجب دعاءه مجيب على حذف المضاف الا انه حذف اللام للعلم بها كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون وفاعل يستجيب مضمر فيه يعود على الله ثم الاجابة يجوز ان تكون مجازا عن الاثابة على الطاعة فان الطاعة لما شابهت الدعاء فيما يترتب عليهما من الثواب كانت الاثابة عليها بمنزلة اجابة الدعاء فعبر عن الاثابة بالاجابة على سبيل الاستعارة كما يعبر بالدعاء عن الطاعة قال عطاء عن ابن عباس يستجيبهم اى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا عليهم ويجوز ايضا ان يكون الذين آمنوا فى محل الرفع على انه فاعل يستجيب ويكون المفعول محذوفا اى يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها على ان استجاب بمعنى اطاع اواجاب ويؤيد كون الموصول فاعل يستجيب ما روى انه قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى انه تعالى دعاهم وقرأ قوله ويستجيب الذين آمنوا فاشار بقراءة قوله والله يدعو الى دار السلام الى انه تعالى دعاهم وبقراءة قوله ويستجيب الذين آمنوا الى انه لم يجب الى دعائه الا البعض (قوله على ما سألوا) على ان تكون الاستجابة فعل الله ويكون المعنى ويجيب الله دعاء المؤمنين اذا دعوه بان تكون الاجابة على اصل معناها وقوله واستحقوا على ان يكون الفعل لله تعالى ويكون بمعنى الاثابة وقوله واستوجبوه اى استحقوا به على [ان] الفعل لهم و يكون بمعنى الاطاعة (قوله لتكبروا) فان البغى قد يكون بمعنى التكبر فيكون المعنى لفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فى الارض والفساد والوجه فى كون البسط مستلزما له ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهى التكبر واذا وقع فى شدة و بلية انكسر و عاد الى التواضع والطاعة وقد يكون بمعنى الظلم اى لظلم بعضهم بعضا ووجه تعلق الاية بما قبلها انه تعالى لما قال فى الاية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين او يثيبهم على طاعتهم و يزيدهم على الثواب الذى استحقوه بها اوانهم يستجيبون لربهم بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو تعالى على ما استحقوه بالاستجابة تفضلا وكرما ورد عليه ان يقال مقتضى الاية على جميع التقادير ان يكون المؤمن فى سعة وفاهية اما بان يجيب الله تعالى دعاءه او بان يزيده على ما استحقه من الكرامة والحال ان المؤمن كثيرا ما يبتلى بالشدة وانواع البلية والفقر الى ان يموت ولا يظهر فيه اثر الاجابة والزيادة فكيف الجمع بين هذه الحالة وبين قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا فاجاب الله تعالى بان شأنه تعالى ذلك الا ان اثر الاستجابة لا يجب ان يظهر فى الدنيا فانه تعالى يدبر امر الانسان فى الدنيا على ما تقتضيه الحكمة فيفقر ويغنى ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم جميعا لهلكوا (قوله وهذا على الغالب) جواب عما يقال من ان البغى قد يكون مع الفقر فلم شرط البسط فيه فانه كم من مقبوض عليه يبغى وكم من مبسوط له بضده وتقرير الجواب نعم ان ذلك قد يكون الا ان الغالب ان يكون البسط مؤديا الى البغى والفقر مؤديا الى الانكسار والتواضع فلذلك جعل البغى مشروطا بالبسط (قوله فيقدر لهم ما يناسب من شأنهم) روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه الصلاة والسلام عن الله عز وجل فى حديث طويل انه قال يقول الله عز وجل ما ترددت فى شئ انا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله العجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك انى ادبر امر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير (قوله اذا اخصبوا) اى اذا اصابهم الخصب والرخاء وهو ضد اجدبوا اذا اصابهم الجدب والقحط وصاروا اليه (قوله انتجعوا) اى طلبوا وتضرعوا من النجعة بالضم وهو طلب الكلا فى موضعه وتقول منه انتجعت فلانا اذا اتيته تطلب معروفه قال شاعرهم

(ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا واستوجبوه بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا وافسدوا فيها بطرا اولبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية اوكيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) ما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا

وقدجعل الوسمي ينبت بيننا * و بين بنى رومان نبعا وشوحطا

النبع والشوحط شجران يتخذ منهما القوس والنشاب والوسمي مطر الربيع الاول سمي به لانه يسم الارض اى يؤثرفيها سمة النبات نسب الى الوسم والمراد به مايتفرع عليه من الغنى والخصب يعنى انهم لما مطروا واخصبوا اعدوا المراكب وطلبوا القسى والاوتار والسهام وحاربوهم فصار كأن المطر والخصب انبت آلة الحرب وهى القسى والسهام ورومان بضم الراء اسم رجل ثم انه تعالى لما بين انه لا يعطيهم بما زاد على ما تقتضيه الحكمة لاجل علمه بان اعطاء ذلك يضرهم فى دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه يرزقهم ولا يميتهم جوعا فقال وهو الذى ينزل الغيث خص اسم الغيث بالذكر دون المطر لاختصاص الغيث بما ينزل رحمة ونفعا فانه اسم للمطر الذى يغيث الناس من الجدب (قوله ولذلك) اى ولكون اسم الغيث منبئا عن معنى الاغاثة من الجدب خص بالمطر النافع دون الضار والاعم منهما ولما كان حصول النعمة بعد اشتداد البلية اقصى مراتب الاغاثة وجالبا لكمال الفرح والمسرة اردفه بقوله من بعد ماقنطوا لمزيد الامتنان واستدعاء الشكر (قوله و ينشر رحمته فى كل شئ) اشارة الى ان ضمير رحمته لله تعالى وان قوله تعالى وينشر رحمته بعد قوله وهو الذى ينزل الغيث مع ان الغيث رحمة بالغة تعميم بعد التخصيص اى من باب عطف العام على الخاص كانه قيل ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر سائر انواع الرحمة ويجوز ان يكون ضمير رحمته للغيث ويكون المعنى وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ولما كان محصول هذه الاية بيان ما يدل على تفرده بالالوهية اورد آية اخرى تدل عليه فقال ومن آياته خلق السموات والارض الآية (قوله من حى) اشارة الى جواب ما قيل من ان المبثوث فى السموات هو الملائكة فكيف يجوز اطلاق لفظ الدابة عليهم مع انه اسم لما يدب على الارض اى يمشى عليها وهم طيارون فى السماء لا ماشون على الارض اجاب عنه اولا بان الدابة مجاز عن الحى على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان الحياة سبب للدبيب فاطلق عليها اسم الدبيب وعلى الدابة ولاشك ان الملائكة احياء وثانيا بان المراد بالدابة معناه اللغوى وهو ما يدب على الارض والدابة بهذا المعنى وان كانت مبثوثة فى الارض فقط الا انها جعلت مبثوثة فيهما بناء على ان ما يكون فى احد الشيئين يصدق عليه انه فيهما فى الجملة ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح لا من العذب وقد يسند الفعل الصادر من واحد من الجماعة اليهم جميعا لوقوعه فيما بينهم فيقال بنوا فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ولما بين انه خلقها متفرقة بين ان خلقها كذلك لا لعجز ولكن لمصلحة وهو قادر على جمعهم ايضا اى وقت شاء يعنى الجمع للحشر والجزاء والحساب فقال وهو على جمعهم اذا يشاء قدير (قوله وهو) مبتدأ وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير واذا يشاء ظرف لجمعهم لا لقوله قدير لان اذا ظرف المستقبل وقدرته تعالى ازلية وغير معلقة بالمشيئة (قوله واذا كما تدخل على الماضى) لما كان اذا للقطع والماضى هو الذى يدل على القطع كان دخوله على الماضى اصلا وعلى المضارع لحقا به ولما كان الجمع المذكور فى قوله وهو على جمعهم اذا يشاء قدير جمعا للحساب والجزاء بين الله تعالى انه مطهر عبده المؤمن من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيامة فقال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصى لان ما اصاب المذنبين من اهل الايمان من المكاره كالآلام والاسقام والقحط والغرق والصواعق ونحوها عقوبات على الذنوب السالفة ويعفو الله تعالى عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب بها بحكم هذه الآية الكريمة * عن الحسن انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير آية فى كتاب الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير ثم قال يا على ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا نكبة حجر الا بذنب و ما يعفو الله عنه اكثر و ما عاقب الله عبده فى الدنيا بذنب فالله ارحم من ان يثنى عليه عقوبته فى الآخرة وما عفا الله عن عبده فى الدنيا من ذنب فالله اكبر من ان يعود فيما قد عفا عنه رواه الواحدى فى الوسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية فى كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب المذنبين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه فى الدنيا وهو كريم لا يرجع فى عفوه وهذه سنة الله تعالى فى ذنوب المؤمنين واما الكافر فلا يعاجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة و الآية مخصوصة بالمذنبين من اهل الايمان واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصبيان والمجانين فما اصابهم من المكروه فليثابوا به فى الآخرة اولحكمة لا يعلمها

(وهو الذى ينزل الغيث) المطر الذى يغيثهم من الجدب و لذلك خص بالنافع و قرأ نافع وابن عامر و عاصم ينزل بالتشديد (من بعد ماقنطوا) ايسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولى) الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (وما بث فيهما) عطف على السموات او الخلق (من دابة) من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون فى احد الشيئين يصدق انه فيهما فى الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) فى اى وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) فبسبب معاصيكم

الا الله تعالى معان قوله تعالى ما اصابكم وايديكم خطاب مع من يفهم و يعقل فلا يدخل فيه الاطفال والمجانين والبهائم ومنهم من انكر كون المكاره المذكورة جزية للذنوب السالفة استدلالا بان الدنيا دار تكليف والجزاء انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون اليوم تجزى كل نفس بما كسبت و لقوله مالك يوم الدين اى يوم الجزآء فاجمعوا على ان المراد به يوم القيامة وحملوا قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك المكسوب ازال هذه المصائب عليكم (قوله ولم يذكرها) اى ولم يذكر الفاء بل قرأ بما كسبت بغير فاء والظاهر على هذه القرآءة ان تكون ما موصولة بمعنى الذى و بما كسبت خبرها والموصولة التى صلتها فعل وان تضمنت معنى الشرط الا ان ذلك يجوز دخول الفاء فى خبرها ولا يوجبه وقيل انها شرطية حذفت الفاء من جوابها كما فى قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وقوله من قال من يفعل الحسنات الله يشكرها فان الجواب اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء ولا يجوز حذفها عند جمهور النحاة وانما يجوز حذفها عند الاخفش و بعض البغداد بين ثم انه تعالى ذكر آية اخرى تدل على وجود الاله القادر الحكيم وهى ان هذه السفن العظيمة التى فى عظمها وثقلها كالجبال تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون الرياح تقف ومن المعلوم ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر على تحريكها ولا على تسكينها احد من البشر فيكون جرى السفن و وقوفها من الآيات الدالة على وجود الاله القادر الحكيم ووقوفها على الماء مع غاية ثقلها آية اخرى وفى تسخير السفن على الوجه المذكور حكمة بالغة ومنة عظيمة له تعالى علينا فانه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب بالسفن الى الجانب الآخر وبالعكس حصلت المنافع العظيمة للتجار فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال السفن الجارية قرأ نافع وابو عمرو الجوارى بالياء حال الوصل دون الوقف وقرأ ابن كثير بالياء حال الوصل والوقف والباقون بحذف الياء فى الوصل والوقف فاثبات الياء على الاصل وحذفها للتخفيف والجوارى جمع جارية وهى السائرة فى البحر والمراد بها السفن فحذف الموصوف لعدم الالتباس فان قوله فى البحر قرينة معينة للمراد فلا يرد ان يقال الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا يقال مررت بماش لان المشى من الصفات العامة والجرى ليس من الصفات الخاصة بالسفن فلم حذف موصوفها ويجوز ان يقال الجوارى وان كان فى الاصل من الصفات المشتقة كما ذكر الا انه صار بمنزلة الاسماء الجامدة لكونه اسما للسفن بالغلبة قال تعالى لما طغى الماء حملناكم فى الجارية يعنى السفينة فلا حاجة الى تقدير الموصوف والاعتذار لحذفه وقوله فى البحر متعلق بالجوارى اذا لم ينزل منزلة الجامد بان يكون الجارية اسما للسفينة بالغلبة ويكون فى البحر حالا منه او صفة له اى كائنة فى البحر او كائنة فيه وكذا قوله كالاعلام واتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال واستشهدوا على اطلاق العلم على الجبل بقول الخنساء فى مرثية اخيها صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به ❊ كانه علم فى رأسه نار

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى الى هذا البيت قال قاتلها ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت فى رأسه نارا (قوله فيبقين ثوابت) كانه اشارة الى ان يظللن ليس بمعنى انهن يركدن و يثبتن بالنهار دون الليل وهو اصل معناه يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل ولا وجه لتقييد ركودهن بوقت الظلول وهو النهار فالمناسب ان يكون يظللن رواكد بمعنى يصرن ثوابت بعد ما كانت جوارى برياح طيبة وقوله يبقين ثوابت بيان لحاصل المعنى (قوله تعالى ان فى ذلك) اى فى اجرآء السفن بارسال الريح الملائمة مع القدرة على اسكان الريح المستلزم لكونها ثوابت على ظهر البحر (قوله لكل من وكل همته) اى استعملها واستعان بها على الصبر اى على حبس النفس على النظر فى آيات الله تعالى والاعتبار بها والتفكر فى آلائه المؤدى الى ادآء شكرها بقدر الطاقة فالشكر نتيجة الصبر على النظر والتفكر المذكورين (قوله او لكل مؤمن كامل) اى كامل فى رعاية حقوق الايمان وثمراتها بان يكون آتيا بجميع ما كلف به من الافعال والتروك فيكون مجموع قوله صبار شكور كناية واحدة عن المؤمن الموصوف لان مرجع ما فيه من الاوصاف والاحوال الى الصبر على مرارة الطاعة ومرارة كف النفس عن المحرمات اللذيذة للنفس الامارة والى الشكر على ما اعطاه الله من النعماء فان المؤمن لا يخلو عن السرآء والضرآء فان كان فى السرآء شكر وان كان فى الضرآء صبر ولا يتبعهما

والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية (و يعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب آخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (وما انتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولى) يحرسكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ❊ كانه علم فى رأسه نار

(ان يشأ يسكن الريح) وقرأ نافع الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر

فى تينك الحالتين الامن آمن بالله واليوم الاخر وهذا كما يكنى بمجموع الطويل العريض العميق عن الجسم وبمجموع حى مستوى القامة عريض الاظفار عن الانسان (قوله او يهلكهن) اى او يهلك اصحابهن باغراق السفن بالريح العاصفة اى الشديدة يقال عصفت الريح اذا اشتدت والايباق الاهلاك فقوله او يوبقهن معطوف على المجزوم قبله وهو يسكن والمعنى ان يشأ يوبقهن ثوابت على ظهر البحر باسكان الريح او يهلكهن فهو من حيث اللفظ معطوف على قوله فيظللن رواكد على ظهره لانه الذى تعلق به المشيئة ومن حيث المعنى معطوف على ارسال الريح العاصفة المغرقة فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لسببه اعتمادا على دلالة المقام عليه بل عطف المقصود الثانى على سبب المقصود الاول واشار اليه بقوله واصله او يرسلها فيوبقهن لعطفه على جواب الشرط مع ما عطف عليه فان يسكن جواب الشرط وقوله فيظللن عطف عليه وسبب مقصود منه وحذف من المعطوف السبب واقتصر على المقصود للاختصار وعدم الالتباس كما اقتصر على المقصود فى قوله ويعف عن كثير فان انجاء الكثير بطريق العفو ايضا مسبب عن ارسال الريح عاصفة وقوله ويعف مجزوم معطوف على قوله يوبقهن فكما ان الايباق مسبب عن الارسال فكذا الانجاء والعفو (قوله عطف على علة مقدرة) قرأ من عدا نافع وابن عامر من السبعة ويعلم بالنصب وذكر المصنف لهذه القراءة وجهين الاول انه عطف على علة مقدرة للايباق المرتب على مشيئة ارسال الريح عاصفة كانه قيل او ان يشأ يرسلها عاصفة فيوبقهن بما كسبوا لينتقم منهم وليعلم الذين يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه و يكذبونهم ان لا مخلص لهم من عقاب الله اذا عاقبهم فانهم اذا علموا ان السفن اذا ركدت على متن البحر باسكان الريح اوغرقت فى البحر بارسالها عاصفة عرفوا ان لا محيص لهم من هذه الورطة غير الله تعالى فيعلمون لا محالة ان لا مخلص لهم من عقابه اذا عاقبهم والعطف على العلة المقدرة كثير فى القرآن منه قوله تعالى فى سورة مريم ولنجعله آية للناس تقديره لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقوله تعالى فى الجاثية خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت اى ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس الا ان ذلك فى هاتين الآيتين مع وجود حرف التعليل ولم يوجد فيما نحن فيه والثانى انه معطوف على جزاء الشرط الا انه نصب باضمار أن كما تقول ما تصنع اصنع واكرمك بالنصب وان شئت قلت واكرمك بالرفع على تقدير وانا اكرمك واذا نصبت يكون باضمار أن وتكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اوعلى انه مبتدأ حذف خبره اى وشأنى اكرامك او وعلى اكرامك فمعناه مثل معنى الرفع فى القطع والاستئناف مع زيادة مبالغة فى المعنى والكوفيون يسمون هذه الواو واو الصرف لكونها صارفة للمعطوف عن اعراب ما قبله والمعطوف على المجزوم اذا صرف عنه نصب (قوله ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة) جواب عما يقال المضارع انما ينتصب بعد الواو والفاء بان مضمرة اذا وقع بعد الاشياء الستة التى هى الامر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعرض ويعلم لم يقع بعد شئ منها فكيف جاز ان ينتصب بان مضمرة وتقرير الجواب انه انتصب المضارع الواقع بعد الجزاء بان المضمرة كما ينتصب الواقع بعد الاشياء الستة تشبيها للجزاء بالاشياء الستة من حيث ان مضمون كل واحد منها ليس محقق الوجود اما مضمون تلك الاشياء فظاهر واما مضمون الجزاء فلكون وجوده مشروطا بوجود الشرط ووجود الشرط مفروض مقدر فلم يكن شئ منهما موجودا حقيقة فلما اشابه الجزاء تلك الاشياء صار الواقع بعد الجزاء كالواقع بعدها فانتصب بان المضمرة وانتصب المضارع بعد الفاء فى قول الشاعر

سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فاستريحا

يعنى ان المضارع غير ثابت المعنى كالتمنى والترجى ونحوهما فلذلك جاز أن ينتصب ألحق وما بعده وان لم يقع بعد الاشياء الستة ولا بعد الجزاء قيل فى توجيهه انه لما كان مستقبلا ضارع النفى وحمله اخرون على ضرورة الشعر (قوله بالرفع على الاستئناف) ثم الاستئناف اما بجملة فعلية على ان يكون الموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل يعلم واما بجملة اسمية على ان يكون فى محل النصب على انه مفعول يعلم وفاعله مستتر فيه راجع الى المبتدأ المقدر قبله اى وهو يعلم الذين الخ وعلى التقديرين تكون هذه الجملة معطوفة على جملة قوله ومن آياته الجوارى اى ومن آياته الدالة على كمال القدرة السفن الجارية فى البحر ثم ذكر ان وجه الدلالة انها مسخرة تحت امره الذى يتضمن تارة نفع من فيها وتارة بالعكس ثم قال و يعلم الذين يعاندون ولا يعترفون بآيات الله الباهرة ما لهم من محيص وهذه الجملة المنفية فى محل النصب لسدها مسد مفعولى العلم المعلق عنها الفعل بحرف النفى (قوله وقرئ بالجزم) فيكون

(اويوبقهن) او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله (بما كسبوا) واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (ويعف عن كثير) اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو عنهم وقرئ و يعفو على الاستئناف (و يعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم اوعلى الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين (مالهم من محيص) محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل

الميم لالتقاء الساكنين ولما ورد ان يقال لو جزم يعلم بالعطف على يعف للزم ان يكون العلم من نتيجة اعصاف الريح وكونه كذلك غير ظاهر فاوجد الجزم اشار الى دفعه بقوله فيكون المعنى او يجمع الخ يعنى ان قوله ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص تحذير لهم وبهذا الاعتبار يصح جعله من نتائج اعصافها والمعنى ان يشأ يعصف الريح فيجمع بين امور ثلاثة هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين فههنا فرق ثلاث فرقة هالكة وفرقة ناجية وفرقة محذ رون غير الاولين ووجه كونه تحذيرا ان علمهم بذلك انما يكون باعلام الله تعالى اياهم واعلامه اياهم تحذير لهم ثم انه تعالى لما ذكر دلائل الوحدانية وكمال القدرة اردفهما بالتنفير عن الدنيا وتحقير شانها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة فى الدنيا فقال عز و جل من قائل وما اوتيتم من شئ الآية ونزولها فى حق ابى بكر رضى الله عنه لا ينافى اتصالها بما قبلها بهذا الوجه (**قوله فجازت الفاء فى جوابها**) اى فى خبرها سمى الخبر جوابا نظرا الى تضمن المبتدأ معنى الشرط وقيل ما الاولى شرطية وهى فى محل النصب على انه مفعول ثان لاوتيتم بمعنى اعطيتم والاول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وقدم المفعول الثانى لان له صدر الكلام وقوله من شئ بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام وقوله فمتاع جواب الشرط فلذلك دخلت الفاء عليه ومتاع خبر مبتدأ محذوف اى فهو متاع وما الثانية موصولة مبتدأ وخير خبرها وقوله للذين متعلق بابقى نبه على خساسة الدنيا وانقراضها بتسميتها متاع الحياة الدنيا ثم وصف ثواب الآخرة بانه خير وابقى ثم بين ان هذه الخيرية بالنسبة الى من كان موصوفا بالصفات وجمع بينها وهى الايمان والتوكل على الرب تعالى لا على عمله نفسه والاجتناب من كبائر الاثم والفواحش ومغفرة الجانى والانتقام منه والاستجابة للرب تعالى اى اجابته الى ما دعاهم اليه من توحيده وطاعته (**قوله تعالى والذين يجتنبون**) فى موضع الجر عطفا على قوله للذين آمنوا وكذا قوله والذين استجابوا لربهم بطريق عطف الصفة على الصفة لان الذات واحدة او فى موضع النصب بتقدير اعنى او الرفع بتقديرهم الاول يسمى نصبا على المدح والثانى رفعا على المدح (**قوله و بناء يغفرون الخ**) يعنى ان هم مبتدأ و يغفرون خبره واذا منصوب بيغفرون والجملة الاسمية عطف على الفعلية قبلها وهى قوله يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون قدم المسند اليه فى الجملة الثانية للدلالة على انهم الاخصاء المتميزون بالعفو عمن اغضبهم وآذاهم لا يذهب الغضب بعقولهم كما يذهب عقول الناس والاخصاء جمع خصيص بمعنى المختص مثل قريب واقرباء يقال اختص بكذا اذا انفرد به وتميز والاضافة فى قوله كبائر الاثم بمعنى من اى الكبائر من جنس الاثم قيل كبير الاثم هو الشرك وقال الامام هو عندى ضعيف لان شرط الايمان قد ذكر وهو يغنى عن ذكر الاجتناب عن الشرك فالظاهر ان يقال كبائر الاثم يعم كل كبيرة والفواحش جمع فاحشة وهى القبيحة وقيل هى المفرطة فى القبح ثم قيل هما وصفان لعظائم الذنوب والعطف لتغاير الوصفين والموصوف واحد كانه قيل يجتنبون المعاصى وهى عظيمة عند الله فى الوزر وقبيحة عند العقل والشرع وقال السدى المراد بالفواحش ههنا الزنى وقال مقاتل هى ما يوجب الحد فى الدنيا والعذاب فى الاخرة (**قوله نزلت فى الانصار**) انه اشار به الى جواب ما يقال الاستجابة للرب تعالى أليس قد فهم من قوله تعالى للذين آمنوا وما ذكر بعده الى ههنا فالفرق بينه وبين ما قبله حتى يعطف احدهما على الآخر وتقرير الجواب انه من قبيل عطف الخاص على العام بان يكون ما سبق عليه عبارة عن المؤمنين الذين يجمعون الصفات المذكورة ثم عطف عليه الانصار الذين استجابوا لربهم الحسنى كمال الاجابة والانقياد للاشارة الى انهم لكمال استجابتهم كانهم ليسوا من عداد المؤمنين الموصوفين فيكون التعريف فى المعطوف للعهد الخارجى قال الامام فان قالوا أليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه فقد دخل فى الايمان اجابة الله تعالى قلنا الاقرب عندى ان تحمل الاجابة على تمام الرضى بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون فى قلبه منازعة بوجه من الوجوه ولا يلزم منه معنى محصل فلذلك لم يلتفت اليه المصنف ومن امهات الفضائل اقامة الصلاة اى اتمام الصلوات الخمس برعاية جميع اركانها وشرائطها وسننها وآدابها (**قوله ذو شورى**) يعنى ان شورى مصدر بمعنى التشاور كالفتيا بمعنى الافتاء والمعنى ان التشاور كان حالهم المستمرة ويدل عليه عطف الاسمية على الفعلية حيث قيل واقاموا الصلاة وامرهم شورى وبولغ فيه بجعل امرهم نفس الشورى مدحهم بذلك تنبيها على انه خصلة ممدوحة عن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا الارشد امرهم (**قوله على ما جعله الله لهم**) اى ليس المراد من الانتصار الانتقام ممن بغى عليهم وظلمهم مطلقا باى وجه كان بل المراد الانتقام على الوجه الذى عينه الله تعالى لهم وهو رعاية المماثلة وعدم التجاوز

(فما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا) تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجازت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق ابو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضمير هم خبرا للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة) نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا واقاموا الصلاة (وامرهم شورى بينهم) ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون) على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل

عما حدلهم * عن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال وجزآء سيئة سيئة مثلها الى غير ذلك والمقصود من هذه الاية وصفهم بالتجاعد لان البغي الذى هو الظلم والتعدى انما يصيبهم من اهل الشوكة والغلبة واذا انتقموا منهم بالحد المشروع كراهة التذلل وردعا للجاني عن الجرآءة على الضعفاء فقد ثبت تجاعدهم وصلابتهم فى دين الله ولهذا قال العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض الاحوال فيصير ترك العفو مندوبا اليه بان ادى الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى دل عليه ما روى ان زينب اسمعت عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ينهاها فلا تنتهي فقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها دونك فانتصري والاسماع السب (قوله وهو لا يخالف وصفهم بالغفران) جواب عما يقال انه تعالى جعل العفو عن الجاني وغفرانه صفة مدح حيث جعله سببا لاستحقاق الثواب الباقي وهو يدل على ان ضده وهو الانتصار من الباغي صفة نقصان وقد جعل فى هذه الاية صفة مدح ايضا فكيف يكون كل واحد من المتقابلين صفة مدح وتقرير الجواب ان الغفران عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز والانتصار من الباغي هو الانتقام من الظالم الغالب فلا تقابل بينهما حتى يلزم من كون احدهما صفة مدح كون الاخر صفة نقصان والحاصل ان العفو على قسمين احدهما العفو الذى يكون سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته والثاني ما يكون سببا لمزيد جرآءة الجاني وازدياد سفاهته فاية العفو محمولة على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني فلا مخالفة (قوله ثم عقب وصفهم بالانتصار) اى اورد عقيب وصفهم بالانتصار والتجاعد قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها لاجل المنع عن التعدى والبيان لحد الانتصار (قوله وسمى الثانية سيئة) جواب عما يقال جزآء السيئة مشروع ماذون فيه وكل مشروع حسن فكيف سمى سيئة ثم انه تعالى بين ان العفو اولى فقال فمن عفا واصلح فاجره على الله وفى الحديث اذا كان يوم القيامة ينادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى ثم قال فى مقام التحريض على العفو انه لا يحب الظالمين ثم دل ذلك على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز الحد والاعتداء لانه يكون فى حال الغضب فربما يكون المجازى من الظالمين وهو لا يشعر به وقال مقاتل المراد بالظالمين البادئون بالظلم واللام فى قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه لام الابتدآء دخلت على المبتدأ ومن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر والفاء فى فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفاء فى خبرها لتضمنها معنى الشرط وقوله تعالى بعد ظلمه من اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك ومن دعاء الخير اى من بعد ظلم الظالم اياه فاولئك المنتصرون ما عليهم لاحد من سبيل بلوم او عقوبة لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار (قوله او يطلبون ما لا يستحقونه) تفسير ثان لقوله يظلمون الناس اعم من الاول يتناول الاضرار ابتدآء والمجازاة على سبيل الاعتدآء ولو كان تفسيرا لقوله ويبغون فى الارض بغير الحق لكان المناسب ان يؤخر عنه وان يقال ويطلبون بالواو دون او والا ان تفسير القاشانى يعين الاحتمال الثاني حيث قال يظلمون الناس ابتدآء واعتدآء فى الانتصار ويبغون فى الارض بغير الحق يطلبون ما لا يستحقونه او يتكبرون فيها ويعلون تجبرا (قوله اى ان ذلك منه) اللام فى قوله ولمن صبر موطئة للقسم ومن شرطية وقوله لمن عزم الامور جواب القسم المقدر ساد مسد جواب الشرط او لام الابتدآء ومن موصولة مبتدأ ونهاية صلته وغفر وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ وعلى التقديرين العائد الى من محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه اى ان ذلك منه لمن عزم الامور كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم والمعنى ان الصبر على الظلم والاذى والتجاوز عمن ظلمه لمن معزومات الامور التى ندب الله اليها فينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ويعزم عليه ولا يرخص فى تركه او من عزآئم الله التى لم تنسخ ولا تنسخ ابدا (قوله تعالى يقولون هل الى مرد من سبيل) فى موضع الحال من الظالمين لان الرؤية بصرية وكذا قوله يعرضون وخاشعين وينظرون حال ايضا والطرف مصدر فى الاصل ولهذا لم يجمع قوله تعالى ومن يضلل الله اى ومن يغوه ويخلق فيه فعل الضلالة لاختياره ذلك ومباشرته اسبابه فليس له من يلى ارشاده ومعونته ومنع العذاب عنه (قوله مما يلحقهم من الذل) اشارة الى ان قوله من الذل متعلق بخاشعين ومن للتعليل اى من اجل الذل والمصبور من حبس وقيد ليقتل ذكر الله تعالى حالهم عند عرضهم على النار فقال خاشعين اى

وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجراء واغرآء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدى فقال (وجزآء سيئة سيئة مثلها) وسمى الثانية سيئة للازدواج اولانها تسوء من تنزل به (فمن عفا واصلح) بينه وبين عدوه (فاجره على الله) عدة مبهمة تدل على عظم الموعود (انه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم وقد قرئ به (فاولئك ما عليهم من سبيل) بالمعاتبة والمعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم (ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) على ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك لمن عزم الامور) اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا (يقولون هل الى مرد من سبيل) اى الى رجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار ويدل عليها العذاب (خاشعين من الذل) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف

خاضعين حقيرين لسبب مالحقهم من الذل والهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها اذلة فى انفسهم كما ينظر من قدم ليقتل الى السيف فانه لا يقدر ان ينظر اليه بملئ عينه ثم انه تعالى لما وصف حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية فقوله تعالى وقال يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا وان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيامة معمولا له اى الخسران فى الحقيقة لهؤلاء الذين حرموا منافع انفسهم واهليهم واهلكوها واهليهم باغوائهم وتعريضهم للعذاب المخلد وحرموا الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا بتركهم الايمان ثم انه تعالى لما اطنب فى ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود من ذكرهما فقال استجيبوا لربكم اى اجيبوا داعى ربكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال فان اعرضوا عن استجابته ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم وذلك تسلية من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم بين السبب فى اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان اى الجنس ويدل على ارادة الجنس قوله وان تصبهم فانه لو لم يرد به الجنس لما رجع اليه ضمير الجمع والمعنى ان قلبهم مملوء بحب الدنيا يفرحون باقبالها ويغتمون بزوالها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلا يستجيبون لمن دعا الى سعادة الآخرة لذلك واعلم ان نعم الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سمى الانعام بها اذاقة بين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير فى الدنيا فرح وعظم غروره ووقع فى العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وذلك لجهله بحال الدنيا وبحال الاخرة ثم بين انهم اذا اصابهم سيئة اى حالة تسوءهم كالمرض والفقر والقحط فانهم يظهرون الكفران لما تقدم من نعم الله عليهم وينسون ويجحدون باول شديدة جميع ما سلف من النعم فقوله ان الانسان من وقوع الظاهر موقع الضمير اى فانه كفور وذلك للتسجيل على ان شان هذا الجنس كفران النعم ولهذا التسجيل اقام علة الجزاء مقامه فقال فان الانسان كفور بدل ان يقال فانه يذكر البلاء وينسى النعم ويحقرها ويترك شكرها ثم انه تعالى لما بين شان الانسان وانه فى حالتى الانعام عليه واصابته بشئ مما يسوءه مشتغل بالنعمة عن المنعم ان اعطى اغتر وازداد حرصا ورغبة وان منع ازداد حزنا على فقده وكفرانا بين ان ملك السموات والارض لله تعالى وحده فله التصرف فيهما يبتلى تارة بالنعمة وتارة بالبلية فالائق بمن انعم عليه ان لا يغتر بالنعمة بل يزداد بها الشكر للمنعم ويشتغل بطاعته وبمن ابتلى ببلية ان يعتقد انها انما اصابته من شؤم نفسه ويشتغل بالتوبة والاستغفار والتجئ الى عفو الله ورحمته (**قوله** اولان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله تعالى) وذلك لانه تعالى بين سبب اعراضهم عن الاستجابة لربهم بان حالهم الركون الى الدنيا والفرح باقبالها والتحزن بزوالها والغفلة عن المنعم بها فضلا عن الاجتهاد فى طلب مرضاته والاجابة الى ما دعا اليه من توحيده وطاعته فانكر منهم هذا الحال لكونها مؤدية الى الاعراض المذكور ثم اكد هذا الانكار بان ملك السموات والارض له ومقاليد التصرف فيهما بيده يعطى ويمنع لا راد لقضائه ولا معقب لما حكم ليس لهم من الامر شئ وانما الامر يجرى بمشيئته فحيث يخلق ما يشاء وان كان مخالفا لما يشتهونه فكيف يركنون الى مملوكه ويعرضون عن استجابة دعائه فظهر بهذا التقرير ان سوق الاية للدلالة على ان الكائنات مرتبطة بمشيئة الله تعالى وحده لا دخل لمشيئة العبد فيها فناسب ذلك ان يقدم فى تفصيل قوله يخلق ما يشاء ذكر ما لا يتعلق به مشيئة العباد وهو الاناث فانه لو بشر احد بان زوجته ولدت انثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ويتردد فى انه يمسكه على هون أم يدسه فى التراب (**قوله** اولان الكلام فى البلاء) لانه قد تم بيان حال الانسان اذا اذاقه الرحمة ثم شرع فى بيان حاله ان اصابته سيئة وبلاء فقال وان تصبهم سيئة وقوله لله ملك السموات والارض الاية تذييل له فناسب ان يقدم فى التفصيل ذكر ما هو من جنس البلاء بزعم العرب روى ان واحدا من العرب بشر بمولودة فقيل له نعمت المولودة هى فقال والله ما هى بنعمت المولودة نصرها بكاء وبرها سرقة (**قوله** او للمحافظة على الفواصل) فانه لما قدم الاناث كانت فاصلة الآية الذكور على وفق قوله نكير وكفور وقدير ولهذه المحافظة ايضا عرف الذكور مع تنكير قوله اناثا (**قوله** او لجبر التاخير) عطف على قوله ولذلك يعنى ان الوجوه المذكورة لما اقتضت تقديم الاناث ولزم منه تاخير الذكور مع ان حقهم التقديم لشرفهم وكونهم الاول فى الوجود جبرا ما لزم من نقص حقهم بالتعريف فان التعريف تنويه بالاسم وتشهير له ورفع لقدره بناء على ان التعريف يكون للعهد فكانه قيل ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين

(وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم) بالتعريض للعذاب المخلد (يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول فى الدنيا او لقال اى يقولون اذا رأوهم على تلك الحال (الا ان الظالمين فى عذاب مقيم) تمام كلامهم او تصديق من الله لهم (وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى الهدى او النجاة (استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتى اى من قبل ان يأتى يوم من الله لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ) مفر (يومئذ وما لكم من نكير) انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف اعمالكم يشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا) رقيبا او محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) اراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير فى الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (ولله ملك السموات والارض) فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء (يخلق ما يشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك اولان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير

يذكرون فى المجالس والمحافل بالمفاخر والمعالى ولايغيبون عن الاذهان والخواطر ولايخفى ان مثل هذا التنويه يقاوم التنويه الحاصل بتقديمهم على الاناث (قوله لانه قسيم المشترك بين القسمين) فان القسم الثالث المدلول عليه بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا هو من وهب له الصنفان جميعا فهو قسيم لمن وهب له اناثا فقط كما ان من جعل عقيما قسيم للمشترك بين الاقسام المتقدمة وهو من وهب له ما اصنف منهما او الصنفان جميعا والعقيم بمفهومه مفصح بكونه قسيما للمشترك بين الثلاثة فلم يحتج بذلك الى تغيير العاطف ليدل عليه بخلاف القسم الثالث وهو الذى زوج له الصنفان فانه غير مفصح بكونه قسيما للمشترك بين القسمين الاولين فاحتيج الى تغيير العاطف ليدل على ذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا المراد به لوط وشعيب عليهما الصلاة والسلام اذ لم يكن لهما الا البنات وقوله ويهب لمن يشاء الذكور المراد به ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ لم يكن له الا الذكور وقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضوان الله عليهم اجمعين وقوله ويجعل من يشاء عقيما المراد به يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وقال المفسرون هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام فى كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى فى تكوين الاشياء كيف شاء فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما بين علمه وقدرته وحكمته اتبعه بيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال وما كان لبشر ان يكلمه الله كلمة ان مع ما عملت فيه فى موضع الرفع على انه اسم كان ولبشر خبرها (قوله كلاما خفيا) اشارة الى ان قوله الا وحيا منصوب على انه مفعول مطلق بناء على كونه موضوعا موضع كلاما لان الوحى بمعنى الكلام الخفى المدرك بسرعة ضرب من الكلام كما ان من وراء حجاب وارسال الرسول ضربان آخران منه فان الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وكذا وانما قاله وكيلك اورسولك فصح وضع كل واحد منهما موضع المصدر كما تقول لا اكلمه الا جهرا او الا خفية لانهما ضربان من الكلام وفسر الوحى بالكلام الخفى المدرك بسرعة وقيد الكلام بكونه خفيا ليبان ان كلامه تعالى القائم بذاته ليس من قبيل الاصوات وبكونه مدركا بسرعة ليبان انه ليس فى ذاته مركبا من حروف يعنى ان كلامه انما يدرك بسرعة لكونه عبارة عن تمثل المعنى وارتسامه فى علم المتكلم تمثلا وقعيا ليس فى ذاته مركبا ما ذكر كتمثل المعانى بصورة خيالية مشتملة على اجزاء كثيرة من غير تقدم وتأخر بينها فاذا لم يكن الكلام الخيالى كالحسى فالعقلى والمعنوى اولى والمقصود من الحصر المذكور بقوله الا وحيا الى آخر الاية نفى الكلام بوجه يقتضى الحدوث كالكلام الحسى المعهود لنا (قوله وهو ما يعم المشافه به) اى تكليم الله البشر بهذا الكلام الخفى يجوز ان يكون بان يشاهده البشر ويواجهه كما روى انه عليه الصلاة والسلام حين عرج به الى السماء دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى اى انه عليه الصلاة والسلام شاهد ربه وسمع كلامه مشافهة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء فارقنى جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفى حديث انس نحو منه قال ومن سمع صريف الاقلام كيف يستحيل فى حقه او يبعد سماع الكلام (قوله وما وعد به) عطف على قوله ما روى وقوله والمهتف به عطف على قوله المشافه به اى تكليم الله تعالى وحيا يعم الكلام المهتف به ايضا بان يكلمهم الله ويسمعون منه من غير ان يشاهدوا وانه كما يسمع من الهاتف والهتف الصوت والهاتف من يسمع صوته ولا يرى شخصه والتكليم بهذا الطريق هو الذى سماه الله تكليما من وراء حجاب والمراد به احتجاب السامع من الرؤية لا احتجابه تعالى من السامع لان الاستتار بالحجاب من خواص الاجسام وهو تعالى منزه عن ان يحيط به ستر فيحجبه عن خلقه فالتكليم وحيا وان كان متناولا لكل واحد من قسمى التكليم من غير واسطة وهما التكليم مشافهة والتكليم من وراء حجاب الا ان عطف قوله من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فقوله تعالى الا وحيا يحمل على التكليم بطريق المشافهة مع المشاهدة واعلم ان الاشاعرة قالوا ان كلام الله تعالى صفة قديمة يدل عليها هذه الالفاظ والعبارات ليس من جنس الحروف والاصوات وقالوا يصح ان يسمع ذلك الكلام المنزه عن الحرف والصوت وقالوا كما لا يبعد ان يرى ذات الله تعالى مع انه ليس بجسم ولا فى حيز لا يبعد ايضا ان يسمع كلامه مع انه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدى السمرقندى ان تلك الصفة يمتنع كونها مسموعة

وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة (انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار (وما كان لبشر) وما صح له (ان يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روى فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى فى طوى والطور لكن عطف قوله (او من وراء حجاب) عليه يخصه بالاول

وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام وهذا القول قريب من قول المعتزلة ومن سوى الاشاعرة اتفقوا على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة والاصوات المؤلفة ثم صاروا فريقين الفريق الاول الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف ولا يقول به عاقل والفريق الثانى اطبقوا على انها حادثة ثم اختلفوا فى انها هل هى قائمة بذات الله تعالى او يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام فالاول قول الكرامية والثانى قول المعتزلة فكلام الله تعالى عندهم هو صوت يخلقه فى شئ وانه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره وقولهم هذا قول مخالف للعرف واللغة فان الفعل انما يسند الى القائل لا الى الفاعل وصيغة اسم الفاعل انما تطلق على من قام به الفعل لا على من اوجده فلا يقال لخالق السواد اسود ولا لخالق الضلال ضال فوجب ان يكون المتكلم من يقوم به الكلام لا من يخلقه (قوله فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها) رد على المعتزلة القائلين بان هذه الاية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام تكليمه للبشر فى هذه الثلاثة التى هى التكليم على طريق الوحى وقالوا الوحى هو الالهام الذى هو القذف فى القلب او المنام فالاول كما اوحى الله تعالى الى ام موسى والثانى كما اوحى الى ابراهيم فى ذبح ولده والتكليم من وراء حجاب وهو ان يسمع كلامه الذى يخلقه فى شئ من غير ان يبصر السامع من يكلمه كما كلم موسى والتكليم بان يرسل رسولا من الملائكة فيوحى الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى ولم يتصور التكليم مشافهة فى حقه تعالى عندهم بناء على ما زعموا من استحالة رؤيته تعالى لم يضرهم خروج المشافه به عن الحصر وحصروا الكلام وحيا فى الالهام والمنام ولو صحت رؤية الله تعالى لصح من الله تعالى ان يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد فحينئذ يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الاقسام والله تعالى نفى القسم الرابع بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا على احد هذه الاوجه الثلاثة والفاء فى قول المصنف فى فالاية دليل فاء جواب الشرط المحذوف اى اذا حمل الوحى على الكلام المشافه به تكون الآية دليلا على جواز الرؤية لا على امتناعها وانما تدل على امتناعها اذا فسر الوحى بما فسروا به وهو الالهام حال اليقظة والرؤيا حال المنام (قوله وقيل المراد به) اى بقوله الا وحيا (قوله او الوحى المنزل به) عطف على قوله الالهام وقوله فيكون تفريع على القول الثانى اى اذا كان قوله الا وحيا بمعنى الا ان يكلمه وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة وقوله او من وراء حجاب بمعنى او يكلم بغير واسطة ملك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام يكون قوله او يرسل رسولا بمعنى او يرسل نبيا كما كلم امم الانبياء على ألسنة انبيائهم الا ان تبليغ الرسول امته لا يسمى ايحاء فى العرف فتفسير قوله تعالى فيوحى باذنه ما يشاء بان يقال فيبلغ اليه وحيه كما امره لا يخلو عن بعد (قوله ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر) لان شرط المفعول المطلق ان يوافق عامله من حيث المعنى لا بحسب اللفظ والاشتقاق ووحيا يوافق عامله فى المعنى لان الوحى بمعنى الكلام الخفى من ضروب مطلق الكلام وتقدير قوله او يرسل او ارسالا لكونه منصوبا بأن المضمرة والارسال نوع من الكلام (قوله ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين) واقعين موقع الحال لان ان يرسل فى معنى ارسالا وكما يصح ان يقع المصدر الصريح موقع الحال نحو اتيته ركضا ومشيا اى راكضا وماشيا فكذا يصح ان يقع موقعه ما كان فى تأويل المصدر وكذا الجار والمجرور قد يقع موقع الحال كقوله تعالى وعلى جنوبهم بعد قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى والذين يذكرون قائمين وكائنين على جنوبهم فمعنى الاية على تقدير كون كل واحد من الثلاثة فى موقع المصدر الصريح وهو انما يقع موقع الحال اذا كان نوعا للفعل لا مطلقا فلا يقال اتيته بكاء اى باكيا ولو سلم ان المصدر الصريح مطلقا يقع موقع الحال فلا نسلم ان ان مع الفعل كذلك اذ لا يصح جاءنى زيد ان يمشى بمعنى ماشيا وان صح جاءنى زيد مشيا نص عليه سيبويه ثم انه تعالى لما بين اقسام تكليمه مع انبيائه عليهم السلام وهى انه تعالى يكلمهم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما عيانا ومشافهة واما من وراء حجاب قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا اى ومثل ذلك الايحاء والتكليم على الطرق الثلاثة اوحينا اليك روحا تحيى به القلوب الميتة من عالم امرنا المنزه عن الزمان والمكان على ان تكون الاشارة الى التكليم المدلول عليه بقوله ان يكلمه الله ويجوز ان ترجع الاشارة الى قوله او يرسل رسولا اى ومثل هذا النوع من التكليم وهو التكليم بارسال الرسول كلمناك وهو قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ومحل الكاف النصب على انه صفة مصدر محذوف اى وحيا مثل ذلك الوحى (قوله ما كنت تدرى) فى موضع الحال من الكاف فى اليك وكلمة ما فيه نافية وقوله ما الكتاب استفهامية وهو جملة اسمية استفهامية ومحلها النصب لسدها مسد مفعولى الدراية وهى معلقة عنها بحرف الاستفهام وقد

فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع او الوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام (انه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) يعنى ما اوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع

اتفق المسلمون على ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة وبعدها فضلا عن الكفر الا انه تعالى نفى عنه عليه الصلاة والسلام دراية الايمان والعلم به قبل ان يوحى اليه ونفى العلم يكنى به عن نفي المعلوم في مثل هذا المقام فالمفهوم من الآية ان لا يكون عليه الصلاة والسلام قبل الوحي مؤمنا بالله و بوحدانيته الا انه لا يلزم من نفي الايمان عنه عليه الصلاة والسلام بقوله ولا الايمان ان يكون كافرا بل اللازم هو عدم الاعتقاد وذلك لان المراد بعدم الدراية الجهل البسيط وهو كون النفس ساذجة عن الاعتقاد والحكم لا الجهل المركب الذي هو الكفر والاعتقاد الباطل ولهذا كانت الآية دليلا على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع لان التعبد به فرع الايمان به وقيل المراد بالايمان هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ويجوز ان يراد كمال الايمان والتوحيد الذي هو عليه وقيل المراد بالايمان شعائر الايمان ومعالمه كالصوم والصلاة ونحوهما ومن لم يتبين له شعائر الايمان كيف يتعبد بها واسم الايمان يطلق على الشعائر ايضا قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني الصلاة واجمع اهل الكلام على ان الرسل قبل الوحي كانوا مؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن علي رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا ومازلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان ولذلك انزل في القرآن ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا من دين اسمعيل عليه الصلاة والسلام ومن ذلك الحج والختان وايقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والمصاهرة وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الايمان بالله والعمل بشرائعهم وفي الحديث انه كان يوحد الله ويبغض اللات والعزى ويحج ويعتمر ويتبع شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قوله تعالى نهدي به من نشاء من عبادنا) اي نعطي به صفة الاهتداء وهو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون مفعولا مقررا للجعل وان يكون صفة لنورا وتوصيفه تعالى بالذي له ملك السموات والارض للتنبيه على ان الذي تجوز عبادته هو الذي يملك السموات والارض فبين الله تعالى اولا ان ما اوحى اليه الكتاب والايمان يهدي ثم قال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ثم بين ان ذلك الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ثم قال الا الى الله تصير الامور وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين

سورة الزخرف ثمانون وتسع آيات مكية قال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اقسم بالقرآن) فسر الكتاب المبين بالقرآن لا بجنس الكتب المنزلة وجعل الواو فيه واو القسم ليكون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد ويكون القسم المذكور من بدائع الاقسام وان جعلت حم مقسما به كانت واو والكتاب المبين عاطفة اي بحم والكتاب المبين وان جعلت حم في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذه حم او في محل النصب على انه مفعول فعل محذوف اي اقرأ حم كانت الواو للقسم وقوله انا جعلناه قرآنا جواب للقسم ولا يخفى ان القرآن لكونه مفخما عظيم القدر يصح جعله مقسما به ليتقوى به المدعى ويتأكد والمدعى ههنا هو انه الذي جعل القرآن عربيا ولا نزاع لاحد في كونه عربيا حتى يحتاج في دفعه والرد على من انكره الى تأكيد الحكم بالقسم والجملة الاسمية وان بل المقسم به حقيقة مستفاد من اسناد جعله قرآنا عربيا الى ذاته العظيم الشان فكأنه قيل والقرآن المبين الذي أبان طريق الهدى من طرق الضلال وابان ما تحتاج اليه الامة من الشرع بعد والدلائل الواضحة على انه ليس بسحر وكلام مفترى على الله واساطير الاولين بل هو الذي تولى انزاله على لغة العرب مشتملا على كمال الفصاحة والبلاغة فرجع خلاصة الكلام الى اثبات عظمته بعظمته فلذلك كان من الايمان البديعة الدالة على شرف القرآن وعزته بابلغ وجه وادقه لدلالته على انه ليس عنده شيء اعظم قدرا وارفع منزلة منه حتى يقسم به كأنه لا اهم عنده من وصفه حتى يقسم عليه قصد الاهتمام في اثباته وتحقيقه فاقسم وجعله مقسما به للتنبيه على انه لا شيء اعلا منه فيقسم به فان الشاعر لما اراد المبالغة في اثبات شرف ثغر المحبوبة اقسم عليه بان جعله مقسما به للاشعار بانه ليس شيء اعز منه يصلح لان يجعل مقسما به سواه فقال

وثناياك انها اغريض ✻ ولآل توم وبرق وميض
واقاح منور في بطاح ✻ هزه في الصباح روض اريض

(ولكن جعلناه) اي الروح او الكتاب او الايمان (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول والنظر فيه (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) (هو الاسلام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاول (الذي له ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا (الا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين ✻ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية قيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا) اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابي تمام

وثناياك انها اغريض

ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او مبين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك

الاغريض والغريض الطلع ويقال هوكل ابيض طرى ويقال هوالبرد والتوأم جمع تؤمة وهى حبة تعمل من الفضة كالدرة وقيل هى اللؤلؤة ويقال وميض البرق يمض فهو وميض اذالمع لمعاناخفيفاولم يعترض فى نواحى الغيم واقاح جمع اقحوان وهو البابونج الذى حوله ورق ابيض ووسطه اصفر والبطاح جمع ابطح على غير القياس وهو المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى وقال منور بالافراد فى وصف اقاح على تأويله بالجنس شبه صفاء اسنانها بصفاء اوراق الاقاح وروض جمع روضة من البقل والعشب واريض فعيل من ارضت الارض بضم الرآء اذازكت ومبين فى قوله من حيث انه معجز مبين خبر بعد خبر لان وقوله او بين للعرب لكونه بلغتهم واساليب كلامهم عطف على مبين للاشارة الى ان المبين كانه يجوز ان يكون من أبان بمعنى اظهر يجوز ان يكون من أبان بمعنى ظهر وقوله يدل على ان الله صيره كذلك خبر للمبتدأ وهوقوله والقرءآن قصد بايراد هذه الجملة الاسمية بيان كون الاقسام بالكتاب المبين استشهادا بمافيه على المقسم عليه (قوله لكى تفهموا معانيه) لما كانت حقيقة الترجى والتوقع ممتنعة فى حقه تعالى لكونها مختصة بمن لايعلم عواقب الامور جعل المصنف كلمة لعل مستعارة بمعنى لام كي وهو السببية الحاملة والحكمة الباعثة شبهت الحكمة الداعية الى الفعل بترجيه من حيث كون كل واحد منهما مؤديا الى وجود الفعل فى الجملة وجعله الزمخشرى مستعارا بمعنى الارادة اى ارادة ان يعقلوا ويفهموا اذ لوكان اعجميا لما فهموه بان شبه الترجى بالارادة ويجوز ان يكون لعل مجازا مرسلا فى معنى الارادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان التوقع ملزوم للارادة (قوله عطف على انا اى فيكون القسم السابق واردا عليهما جميعا واهل مكة لما كذبوا القرءآن وجعلوه كلاما مفترى حاصلا بتعليم البشر اقسم الله عزوجل على انه الذى جعله قرءآنا عربيا ارادة ان يفهموا معناه وعلى ان القرءآن لعلى رفيع الشأن فى المحل المنعوت بام الكتاب اوانه لعلى حكيم مثبت فى ام الكتاب وخبر ان قوله لعلى وفى ام الكتاب متعلق بالخبر وجاز ان يعمل مابعد اللام فيما قبلها لان اصلها ان تكون فى الابتدآء وانما اخرت لاجل ان والمعنى وان القرءآن لعلى فى هذ المحل المكرم وكذا قوله لدينا متعلق بالخبر ايضا ويجوزان يكون بدلا من ام الكتاب ويجوزان يكوناحالين مما بعدهما لانهما كانا وصفين فى الاصل فلما قدما عليه انتصبا حالين منه فيتعلقان بمحذوف ولا يجوزان يكون شئ منهما خبرا له لان الخبر يجب ان يكون قوله على لاجل اللام لانها اذالم تدخل على اسم ان ولا على ما تعلق بخبران وجب ان تكون داخلة على الخبر ولايجوزان يكون الخبر غير مااقترن به اللام (قوله مجاز من قولهم ضرب الغرآئب) يعنى انه استعارة تبعية شبه ابعاد الذكر وتنحيته عنهم مع اقتضاء الحكمة انزاله عليهم بذود الابل وابعادها عن الحوض فاستعمل لفظ المشبه به وهو الضرب بمعنى الذود فى المشبه وهو اهمال الذكر وعدم انزاله ثم اشتق منه نضرب ويحتمل ان يريد انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهى ماوجهه منتزع من متعدد بان يشبه حال الذكر فى تنحيته مع تحقق دواعى انزاله والزام الحجة به عليهم بحال النوق الغريبة التى تذاد وتدفع عن الحوض بسبب ابل صاحب الحوض فان الابل اذاوردت الماء فدخلت بينها ناقة غريبة تطرد وتذاد حتى تخرج من بينها * والقونس منبت شعر الناصية وقيل العظم النابت بين اذنى الفرس واصل اضرب اضربن مؤكدا بالنون الخفيفة فحذفت النون وابقيت الفتحة قبلها لتدل عليها والطارق مايطرق بالليل فيكون طارقها بدل البعض من الهموم والصفح الاعراض يقال صفحت عن فلان اصفح صفحا اذا اعرضت عنه اوعن ذنبه والصفح ايضا الناحية والجانب يقال نظر الى بصفح وجهه اى بعرض وجهه وناحيته والمصنف جعل الصفح بمعنى الاعراض وذكر لانتصابه ثلاثة اوجه الاول انه مفعول مطلق من غير لفظ عامله لكونه موافقا له من حيث المعنى فان دفع الذكر عنهم والامتناع من انزال القرءآن المشتمل على الاوامر والنواهى والمواعظ والمصالح مع كونه متوجها اليهم لاقتضاء الحكمة انزاله عليهم فى معنى الاعراض عنهم فكانه قيل أفنعرض عنكم صفحا اى اعراضا بان نهملكم ونترككم سدى فلا نأمركم ولا ننهاكم عن قتادة قال والله لوكان هذا القرءآن رفع حين رده اوآئل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة اوما شاء الله والثانى كونه مفعولا له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرءآن والزام الحجة به اعراضا عنكم والثالث كونه حالا من الفاعل بمعنى صافحين ومعرضين ثم نقل قول من قال انه بمعنى الجانب والناحية فحكم بان انتصابه حينئذ يكون على الظرفية لنضرب لانه حينئذ لايكون مصدرا ولاعلة لابعاد الذكر ولاهيئة للفاعل اوالمفعول به فتعين ان يكون ظرفا لنضرب اى أنبعد عنكم

(لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف (فى ام الكتاب) فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا عن التغير (لعلى) رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة اومحكم لاينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لايمنع اوحال منه ولدينا بدل منه اوحال من الكتاب (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرآئب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها
ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف يعنى أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك

الذكر جانبا كما يقول ضعه جانبا وامش جانبا اى فى جانب ثم ايد كرن صفحا بالفتح بمعنى الجانب بقرآءة من قرأ بضم الصاد فان المشهوران صفحا بالضم بمعنى الجانب لاغير فينبغى ان يكون صفحا بالفتح ايضا بمعنى الجانب ليناسب القرآءتان (قوله وحينئذ) اى وحين اذ قرئ بالضم يحتمل ان يكون ظرفا بمعنى الجانب كما ان المفتوح لغة فيه يحتمل ايضا ان يكون تخفيف صفح بضمتين فى جمع صفوح كرسل فى جمع رسول وصفوح مبالغة فى صافح بمعنى كثير الصفح والعفو عن الجانين فيكون حالا من فاعل نضرب اى صافحين معرضين (قوله وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم) بناء على اسرافهم فى الجهل والعصيان و الكفر والطغيان والمعنى ان ذلك الاسراف كيف يكون سببا للاعراض المذكور وهو فى الحقيقة سبب لترك الاعراض (قوله على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم) جواب عما يقال من انه كيف صح استعمال ان الشرطية فى مقطوع الوقوع فانهم كانوا مسرفين على القطع بحيث لايشك فيه عاقل وحق كلمة ان أن تدخل على ماهو مشكوك الوقوع وتقرير الجواب أنها قد تستعمل فى مقام القطع للقصد الى تجهيل المخاطب ومانحن فيه من هذا القبيل فانه استعمل فيه كلمة ان توبيخا لهم بالجهل بانهم مسرفون فى الضلالة والطغيان مع وضوح كونهم كذلك بالبراهين القاطعة فان استعمالها فى هذا المقام يخيل لهم ان الاصرار على ما هم عليه فعل من له شك فى كونه اسرافا فى الضلالة ونظيره قول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك (قوله وماقبلها دليل الجزآء) بناء على ان ماذهب اليه البصريون من ان جزآء الشرط لايتقدم عليه و يقولون فى مثله انه حذف الجزآء اعتمادا على دلالة ماقبل اداة الشرط عليه ثم انه تعالى لما وصفهم بالاسراف فى الطغيان والتكذيب على رسوله صلى الله عليه وسلم قال وكم ارسلنا من نبى الاية وكم فيه خبرية فى موضع النصب على انه مفعول مقدم لارسلنا ومن نبى تمييز وفى الاولين متعلق بارسلنا او بمحذوف مجرور على انه صفة لنبى والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزآء فلاينبغى ان تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزآءهم لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال اتماما لتسليته ووعداله ووعيدا لقومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى فاهلكنا الاولين الذين هم اشد واقوى من قومك فى البطش وهو شدة الاخذ فقوله اشد ظاهر وضع موضع ضمير الاولين للتنصيص على شدتهم وقوتهم والمعنى ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله تعالى اليهم الرسل فاستهزأوا برسلهم كانوا اشد بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا ومع ذلك اهلكناهم فليحذر قومك الذين سلكوا مسلكهم فى الكفر والتكذيب ان ينزل بهم مثل ماجرى على الاولين وبطشا تمييز لأشد وقيل حال من فاعل اهلكنا اى اهلكناهم باطشين اوذوى بطش (قوله اى من القوم المسرفين) وهم قوم قريش اذ ضمير منهم راجع الى قومه عليه السلام الذين خوطبوا بقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ولا يرجع الى الاولين لان المعنى لايساعد ذلك الا انه عبر عنهم ههنا بضمير الغائبين بناء على انه تعالى بعد ماخاطبهم بذلك اعرض عنهم والتفت اليه عليه الصلاة والسلام تسلية عن استهزآئهم فصاروا غائبين فى موضع هذا الخطاب فلهذا اعبر عنه بضمير الغائبين ثم انه تعالى وبخ مشركى قريش وجهلهم بانهم مع اعترافهم بقدرته تعالى وعلمه وعزته بقولهم خلقهن العزيز العليم يصرون على الشرك والتكذيب و يجعلون له من عباده جزأ فقال ولئن سألتهم الآية (قوله لعله لازم مقولهم) جواب عما يقال من ان قوله تعالى خلقهن العزيز العليم الى آخر ماذكر من الاوصاف ان كان من قول اهل مكة كان الظاهر ان يقال الذى جعل لنا الارض مهادا وجعل لنا فيها سبلا وجعل لنا من الفلك والانعام مانركب ولا يظهر وجه قوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون لانهم لاينشرون شيأ ولايقولون ايضا بالبعث حتى يقيسوه باحياء البلدة الميتة وان كان من قول الله تعالى مع ان اهل مكة هم المسؤلون لزم ان يكون المجيب غير المسؤل فاوجهه اجاب عنه اولا باختيار انه من قول الله تعالى الا انه لما كان لازم مقولهم الذى هو قولهم خلقهن الله او تفصيلا لما اجملوه بذلك المقول نزل منزلة مقولهم فان لفظة الله اسم علم للمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال فيكون متضمنا لهذه الاوصاف ومستلزما لها فكانهم ذكروا عند ذكرهم هذا الاسم الشريف هذه الاوصاف كلها فصح بذلك جعلها مقولا لهم وظهر ايضا وجه قوله وجعل لكم بدل لنا ووجه قوله فانشرنا به بلدة ميتا الا انه كلام الله تعالى حقيقة فكانه قيل ليسندن خلقها الى الذى هذه اوصافه وعدل عن حكاية عين مقولهم الى اقامة لازمه مقامه اوالى اقامة المفصل مقام المجمل الزاما للحجة عليهم حيث اعترفوا بما يستلزم تفرده بالالوهية ثم عبدوا غيره.

وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ماذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه (ان كنتم) اى لان كنتم (قوما مسرفين) وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وماقبلها دليل الجزآء (وكم ارسلنا من نبى فى الاولين ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزآء قومه (فاهلكنا اشد منهم بطشا) اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم (ومضى مثل الاولين) وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاولين (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) لعله لازم مقولهم اوما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع آخر وهو الذى من صفته ماسرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم ومابعده استئناف (الذى جعل لكم الارض مهدا) فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا الى مقاصدكم اوالى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك

وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم وغباوتهم واجاب ثانيا بان مقولهم وجوابهم تم عند قوله العليم وما بعده ابتداء كلام من الله تعالى بذكر مصنوعاته التى لا يشاركه فى شئ منها احد غيره لما وصف الكفار خالقهن بالعزيز العليم وصفه الله تعالى بتلك الاوصاف ايضا على انها من تتمة كلامهم وان لم يتفوهوا بها ولم ينظروا الى كونها لازم مقولهم ولا تفصيلا لاجمال جوابهم للدلالة على ان الذى وصفوه بكمال العزة والعلم والقدرة هو الموصوف بان اسبغ عليهم هذه النعم الجليلة والآلاء العظيمة فكيف يكفرونها بعبادة غيره ونظيره فى كلام الناس ان يقول الرجل هذا المسجد بناه فلان العالم فيقول السامع لكلامه الزاهد الكريم فكان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه وازيد فى صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين فى حق رجل واحد (قوله زال عنها النماء) يعنى ان البلدة الميتة من قبيل التشبيه البليغ شبهت البلدة التى زال عنها النماء بالجسد الذى زالت الحياة عنه (قوله مثل ذلك الانشار تنشرون من قبوركم) يعنى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تنشرون انشارا مثل انشار البلدة الميتة من حيث ان كل واحد منهما احياء بعد الاماتة والمقصود ان انشار البلدة الميت كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته مطلقا فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة (قوله ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه الخ) يعنى ان ركب بالنسبة الى الفلك يتعدى بكلمة فى كقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك وبالنسبة الى غيره يتعدى بنفسه كقوله تعالى لتركبوها فغلب ههنا المتعدى بنفسه لقوته على المتعدى بواسطة فى فقيل تقدير قوله ما تركبون ما تركبونه والمراد تغليب احد اعتبارى الفعل على الآخر لا تغليب احد الفعلين على الآخر لان الفعل المتعدى الى الفلك هو المتعدى الى الانعام الا ان تعديته الى احدهما تحتاج الى آلة التعدية وتعديته الى الآخر لا تحتاج اليها وذلك لا يوجب التعدد فى نفس الفعل حتى يقال غلب احد الفعلين على الآخر وقوله ولذلك اى وللبناء على احد التغليبين الاخيرين عدى فعل الاستواء بكلمة على الى ظهور ما يركبونه مع ان الاستواء المتعلق بالفلك لا يتعلق بظهره ولا يتعدى اليه الفعل بعلى بل بفى لكونه حاويا للمستوى وظرفا له (قوله وجمعه للمعنى) جواب عما يرد على قوله ظهور ما تركبون وهو انه لما اضيف الظهر الى ضمير ما تركبون افرد ضميره اعتبارا اللفظ ما ولم يقل ظهورها فلم جمع لفظ الظهر مع افراد ما اضيف هو اليه فاجاب عنه بانه جمع اعتبارا لمعنى ما اضيف اليه فان ما تركبون متناول لجنسى الفلك والانعام المشتملين على افراد واصناف كثيرة (قوله معترفين بها حامدين عليها) اى ليس المراد من ذكر النعمة بالقلب مجرد تصورها واخطارها فى البال بل المراد انه ذكرها من حيث كونها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم مستدعية لطاعته والاشتغال بشكر نعمه فان من تفكر فى ان ما يركبه الانسان من الفلك والانعام اكثر قوة واكبر جثة من راكبه ومع ذلك فقد كان مسخرا لراكبه يتمكن من تصريفه الى اى جانب شاء وتفكر ايضا فى خلق البحر والريح وفى كونهما مسخرين للانسان مع ما فيهما من المهابة والاهوال استغرق فى معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه وكمال قدرته وحكمته فيحمله ذلك الاستغراق على ان يتعجب ويقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اى مطيقين ضبطه وتسخيره كيف نشاء يقال اقرن له اى اطاقه وقوى عليه واقرنت الان اذا صرت قرنا له اى معادلا وكفوا له فى الشجاعة غير مغلوب له وقرئ مقرنين بالتشديد والمقرن الذى يجعل مقرنا للشئ اى مطيقا له يقال قرنه فاقرن وقوله والمعنى واحد المراد به وحدة معنى المأخذ ولا ينافيه كون احد البناءين للتعدية والآخر للمطاوعة (قوله واتصاله بذلك) اى اتصال قوله وانا الى ربنا لمنقلبون بما قبله من وجهين الاول أن الركوب للانتقال وان يتذكر به النقلة العظمى ولا يدع ذكره بلسانه وقلبه ليكون مستعدا للقاء الله تعالى غير غافل عنه والثانى ان الركوب مخطرا اى موقع فى خطر الهلاك وسبب من اسباب التلف اما ركوب السفينة فظاهر واما ركوب الدابة فانها لا تخلو من العثار والنفار والتقحم فى المضايق والمهالك بسبب من الاسباب فركوبها تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب ان يتذكر امر الموت عند الركوب ويعلم انه هالك لا محالة وان هلاكه انما هو انقلابه الى الله تعالى والى مقام حسابه فيستعد للقائه باصلاح احواله (قوله اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف) اى اعتراف الممكنات باسرها بانه ذو العزة البالغة والعلم المحيط وقدر لفظة قد للاشارة الى انه حال من فاعل قوله ليقولن وبين به وجه اتصاله بقوله ولئن سألتهم (قوله ولعله سماه جزأ) اى ولعل الوجه فى التعبير عن الولد بالجزء الدلالة على استحالته على الواحد الحق كما سمى الولد بعضا لكونه بضعة من

(والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار ينفع ولا يضر (فانشرنا به بلدة ميتا) زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد و المكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء (والذى خلق الازواج كلها) اصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)

مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى او لانه مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته

والده قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم فان الوالد ينفصل منه جزء من اجزائه ثم ينزل ذلك الجزء ويتولد منه شخص آخر يماثل الوالد فولد الرجل جزء منه فاثبات الولد له تعالى يستلزم التركيب لان كل ماله جزء فهو مركب وكل مركب ممكن والامكان ينافي الوجوب الذاتي والتركيب ينافي الوحدة الذاتية فيكون التعبير بالجزء عن الولد مشعرا باستحالة اثبات الولد لمن هو متصف بالوحدة الذاتية ومنزه عن الامكان والاحتياج الى الغير فالجعل ههنا بمعنى الحكم بالشئ والاعتقاد به كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى حكموا به ووصفوهم بالانوثة ويحتمل ان يكون ههنا بمعنى التصيير القولي (قوله وقرئ جزأ بضمتين) وهي قرآءة عاصم في قول ابي بكر في كل القرآن والباقون باسكان الزاى وبالهمزة في كل القرآن وهما لغتان واما حمزة فانه اذا وقف قال جزا بفتح الزاى بلا همزة ثم انه تعالى اضرب عن الاخبار بانهم جعلوا ولدا واخذ فيما هو أعم وهو الانكار عليهم والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له ولدا حتى جعلوا ذلك الولد شر الولدين وهو الاناث فانهن ابغض الاولاد عندهم ولو كان الامر كما زعموه وهو ان اتخذ لنفسه البنات واصفى عباده بالبنين للزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال المولى الخالق لكل شئ وذلك مما تستحيله بديهة العقل بل اصفيت فلانا بكذا اذا اثرته به بحيث حصل له ذلك على سبيل الصفاء من غير ان يكون له فيه مشاركة (قوله تعالى واذا بشر احدهم) جملة وقعت موقع الحال (قوله صار وجهه) فسر الظلول بالصيرورة لكونها اوفق بالمقام واكثر الافعال الناقصة يستعمل بمعنى الصيرورة ولا يبعد كل البعد ان يكون على اصل معناه وهو ثبوت خبره لاسمه بالنهار دون الليل بمعنى بقى في كل يومه متغير اللون ظاهرا عليه اثر الحزن والكآبة (قوله وفي ذلك) اى وفي قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزأ الى ههنا دلالات وذلك لانه تعالى اخبر عنهم بانهم اثبتوا الولد للواحد الحقيقي الواجب لذاته مع ان التركيب والامكان ينافيان الوحدة والوجوب واقبح من ذلك ما زعموه انه تعالى اتخذ اخس الجزئين لنفسه وآثر عباده باشرفهما وبين دناءة ما نسبوه اليه تعالى بقوله واذا بشر احدهم الاية وما بلغ في الدناءة الى هذا الحد كيف يجترئ العاقل على اثباته له تعالى (قوله وتعريف البنين لما مر في الذكور) يعني ان سوق الكلام لما اقتضى تقديم البنات مع تأخرهن عن البنين وجودا وشرفا اولزم من ذلك تأخير البنين جبر ذلك بتعريفهم تشريفا وتعظيما كما نكرت البنات تحقيرا لهن واهانة وانما قلنا ان الكلام اقتضى تقديم البنات لان الكلام انما سيق لتوبيخهم وانكار انهم اثبتوا له تعالى اخس الاولاد ولانفسهم اشرفها فكان ذكر البنات هو الذي سيق له الكلام اصالة وذكر البنين وقع استطرادا لمزيد الانكار والتعميم ثم انه تعالى زاد في توبيخهم فقال اومن ينشأ وقول المصنف وجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة اشارة الى ان من الموصولة في محل النصب على انه مفعول به لفعل مقدر معطوف على قوله وجعلوا له او على قوله ام اتخذ مما يخلق وان الواو عاطفة لذلك الفعل المقدر وان الف الاستفهام مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد الانكار المستفاد من فحوى الكلام على الاول او من الهمزة التي تضمنتها ام المنقطعة على الثاني ولا يخفى ان ذم الاناث بان يقال في حقهن او جعلوا الرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وان دل على ان التحلي والنشأة في الزينة وسعة العيش وان كان مباحا للنساء الا انه من المعايب ودلائل النقصان لان المتزين بالحلي لولا نقصانه في ذاته لما احتاج الى تزيين نفسه بالحلية فاقدام الرجل عليه يكون القاء لنفسه في الذل وذلك حرام لقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمؤمن ان يذل نفسه وانما زينة الرجل الصبر على طاعة الله تعالى والتزين بزينة التقوى كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا اخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي الاعاجم يقال الغليظ من اللباس خشن ومن الطعام واللباس ما هو الغليظ لا ما هو الرقيق الناعم ويقال تمعدد فلان اذا اقتنع بعيش معد بن عدنان ابي العرب وكانوا اهل غلظ في امر المعاش فقوله وتمعددوا اى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وفي الحديث عليكم باللبسة المعدية ثم بين نقصان حالها طريق آخر فقال وهو في الخصام غير مبين وهذه الجملة حال من فاعل ينشأ (قوله واضافة غير اليه لا تمنعه) جواب عما يقال كيف يعمل مبين فيما قبل المضاف وقد ثبت في النحو عدم جوازه وتقرير الجواب ان ما ذكر في النحو انما هو اذا لم يكن المضاف كلمة غير فان ما بعد غير يجوز ان يعمل فيما قبلها بناء على ان غير فيها معنى النفي كانه قيل وهو لا يبين في الخصام فكما جاز ان يعمل ما بعد كلمة لا فيما قبلها جاز ان يعمل ما بعد غير فيما قبلها ايضا ومنه مسئلة الكتاب من جواز زيدا غير ضارب فزيدا منصوب بضارب

وقرئ جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين) معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم به اشتد غمهم به كما قال (واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا (اومن ينشأ في الحلية) اى وجعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات (وهو في الخصام) في المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى اومن هذه حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت

كما ذكر فى قوله تعالى غير المغضوب عليهم (قوله وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين وقرآءة باقى السبعة بفتح الياء واسكان النون وفتح الشين من نشأ وينشأ على وزن يقاتل مبنيا للمفعول والتفعيل والمفاعلة والافعال قد يكون بمعنى واحد نحو علاه الله تعالى وعالاه فعلى كما يقال اعلاه الله تعالى فعلا ويظهر من نقل هذه القراءآت انه اختار قرآءة العامة يقال نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شببت فيهم ونشأ وأنشأ بمعنى كذا فى الصحاح (قوله كفر آخر) اى غير كفرهم بالوجهين الاولين وهما اثبات الولد لرب العالمين ثم نسبة اخس صنفى الولد اليه مع ايثارهم انفسهم على نفسه باشرفهما حيث قالوا الملائكة بنات الله ومن قرأ عند الرحمن بكسر العين والنون الساكنة وفتح الدال جعله ظرفا ولما استحال حمل العندية على القرب المكانى وجب جعلها استعارة لاختصاصهم بمزيد كرامة الله تعالى وتشريفه اياهم تشبيها لحالهم فى الاختصاص بمزيد الشرف والمكانة بحال من يكون عند الملك وفنائه بحيث لا يحجبه عنه حاجب ولا بواب فاستعمل فى المشبه ما كان حقه ان يستعمل فى المشبه به وقرئ عبيد الرحمن واناثا بضمتين وهو جمع أناث مثل كتاب وكتب وحمار وحمر (قوله وقرأ نافع ءاشهدوا) بادخال همزة الانكار والتهكم على اشهد وافعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل الهمزة الثانية فجعلها بين الهمزة والواو ولم تدخل بينهما الف الفصل اكتفاء بتسهيل الثانية وادخلها تارة كراهة لاجتماعهما فقال ءاشهدوا فقوله وآشهدوا عطف على قوله ءاشهدوا والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا والفعل على التقديرين من الشهود بمعنى الحضور لا من الشهادة وقرأ العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول وبرفع شهادتهم وقرئ ايضا سنكتب بنون العظمة شهادتهم اى شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله تعالى بالنصب مفعولا به (قوله فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع النهى عنها وعلى حسنها) وتوضيح المقام يتوقف على تفصيل مذهب اهل السنة واهل الاعتزال فى مسئلة ان الكائنات باسرها هل هى بارادة الله تعالى ومشيئته وانه لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء او بعض منها بارادة الله ومشيئته والبعض الآخر بكراهته وسخطه فذهب اهل السنة الى ان الكائنات كلها من الطاعة والمعصية والكفر والايمان بارادة الله تعالى ومشيئته وان ما كان طاعة من فعل العباد فهو بمشيئة الله تعالى وارادته وقضائه وقدره ورضاه ومحبته وامره وما كان معصية منها فهو بمشيئته وارادته وقضائه وقدره وليس بامره ولا برضاه ومحبته وقالت المعتزلة المعاصى ليست بارادة الله تعالى ومشيئته بل بكراهته واستدلوا عليه بهذه الاية وبقوله تعالى فى سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون وتقريره ان لو معناه الامتناع للامتناع وان عبادة الملائكة كفر فالله تعالى حكى عنهم عين ما ذهب اليه اهل السنة وهو قولهم لو شاء الله منا عدم الكفر اى ترك عبادة غيره لتركناها وفاقا ومعنى الكلام انا ما تركنا عبادة غيره وكنا كافرين لانه تعالى لم يشأ منا ترك عبادتهم بل شاء منا الكفر وعبادة غيره فلذلك فعلنا ذلك ثم انه تعالى ابطل منهم هذا القول بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت بهذه الاية بطلان القول بان الكفر بمشيئة الله تعالى وهو قول اهل السنة والمصنف اجاب عن هذا الاستدلال بانه انما يتم ان لو كان ما توجه اليهم من الذم والتجهيل المستفاد من قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون لمجرد قولهم ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر ولا نسلم ذلك بل انما توجه اليهم الذم والتجهيل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان فانه كيف يصح الامر بالشئ وارادة خلافه فكان خلاصة كلام المشركين لو شاء الله تعالى منا عدم الكفر لما كفرنا وانما كفرنا بسبب مشيئته تعالى كفرنا ومن المعلوم ان من شاء الكفر لا ينهى عنه فلا يكون الكفر منهيا عنه ومن المعلوم ان من اراد الكفر يكون الكفر حسنا عنده فكيف تزعمون قبحه وتعيروننا بسببه فلما صرفنا الذم والطعن الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الاية واعلم ان ارادة الله تعالى ومشيئته موافقة لعلمه وتابعة له لا لامره فكل ما علم الله تعالى فى الازل انه يوجد فقد اراد وجوده طاعة او معصية وما علم انه لا يوجد فقد اراد ان لا يوجد ولما علم من ابى جهل الكفر لا الايمان أراد منه الكفر وكذا اراد من سائر العصاة والكفرة عصيانهم وكفرهم على حسب ما علم منهم فى الازل وقالت المعتزلة ارادة الله تعالى مطابقة لامره فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده وكل ما نهى عنه فقد كرهه فقولهم لو شاء الله ما اشركنا معناه لو شاء الله عدم اشراكنا لما اشركنا اى علمنا ان المشيئة قد تعلقت باشراكنا لا بعدم اشراكنا ومقصودهم من هذا الكلام الاستدلال بانتفاء مشيئته تعالى عدم الاشراك على امتناع النهى عنه فان

وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع ءاشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة (ويسألون) اى عنها يوم القيامة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزأ وانه بنات وهن الملائكة ويسألون من المسألة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع النهى عنها وعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان اوغيره ولذلك جهلهم

من لا يريد عدم الاشراك فقد اراد نفس الاشراك ومن اراد الاشراك كيف ينهى عنه والاستدلال بثبوت مشيئة الاشراك على حسنه بناء على مااعتقدوه من ان كل مراده مأموربه فيكون حسنا فذمهم الله تعالى وجهلهم في قولهم لما اراد الله تعالى الكفر والاشراك من الكافر كان حسنا وامتنع النهى عنه وامره بالتوحيد والايمان بناء على ان المشيئة لا يجب ان تطابق الامر بل يجوز ان تتعلق بالمأموربه والمنهى عنه وبالحسن وغيره لان شأن المشيئة ليس الا ترجيح بعض المقدورات على بعض بالوقوع (قوله ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى) وهو قولهم الملائكة اناث وانهم بنات الله تعالى فانه اصل بالنسبة الى مازعموه من ان عبادة الملائكة حسن مأموربه ويمتنع النهى عنه وهذا القول من المصنف جواب ثان عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على ان الكفر والمعاصي ليست بارادة الله تعالى ومشيئته كما سبق تقريره وقد اوضحنا ما اجاب به عنه اولا بما لا مزيد عليه وتقرير هذا الجواب ان ماذكرتم من الاستدلال انما يتم ان لو كان قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون مرتبطا بقول المشركين لو شاء الرحمن ما عبدناهم وابطالا لقولهم الكفر بمشيئة الله تعالى وليس كذلك بل هو متعلق باصل دعواهم وهو قول الزجاج ورده الزمخشري بانه تمحل مبطل وتحريف مكابر وذلك لانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما حكى قولهم الاول بقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وابطله بقوله اشهدوا خلقهم الاية ثم حكى عنهم قولهم انهم بنات الله تعالى متمسكين فيه بانه تعالى اراد منهم ذلك وشاءه ثم حكم ببطلانه بقوله مالهم بذلك من علم وصرف هذا الابطال عما يليه الى كلام متقدم عليه تمحل بعيد وتحريف غير سديد والمصنف اشار الى دفع ماذكره الزمخشري في رد قول الزجاج ووجه كلامه بان جعل قول المشركين اتخذ الله ولدا وان الملائكة بناته اصل الدعوى الصادرة منهم وجعل ما بعده من الآيات مسوقا للانكار عليهم والاشارة الى وجوه فساد ما ادعوه وجعل قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم جزاء منهم لما تضمنته الآيات السابقة من معنى الانكار والاحتجاج عليهم في دعواهم الباطلة وهذا الجواب وان كان لا يطابق مضمون تلك الآيات ولا يدفعه الا انهم تشبثوا به لانقطاع حجتهم بحيث لم يبق لهم متشبث غير ذلك ولهذا جعله المصنف شبهة مزيفة ولما لم يكن قولهم لو شاء الله كفرا مستقلا منفصلا عن اصل الدعوى لم يكن ارجاع قوله تعالى ما لهم بذلك من علم الى ما تقدم عليه تمحلا وتحريفا (قوله ثم اضرب عنه) اى عن نفي ان يكون لهم متمسك عقلي ثم اضرب عن نفي ان لهم متمسكا فيما ادعوه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل الى بيان ان ليس لهم حامل يحملهم على ذلك الادعاء الا التقليد المحض حيث قالوا وجدنا آباءنا على امة اى على سنة وطريقة قال صاحب الكشاف وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر مستمر من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك الاية اى وكما قالوا ذلك بالتقليد تمسك مترفو الامم السالفة ايضا بالتقليد يقال اترفته النعمة اى اطغته والمراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء الذين آثروا النعمة واتباع الشهوات على الجد في تحصيل سعادة الاخرة وظهر بهذا ان حب الدنيا وايثار لذاتها رأس كل خطيئة (قوله وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير) يعني ان المأمور بقوله قل يجوز ان يكون النذير فيكون قل امرا ماضيا متعلقا بالنذير السالف حكاه الله تعالى في القرآن على تقدير فقلنا له قل كذا وكذا ويجوز ان يكون امرا حاليا متعلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول قراءة من قرأ قال بدل قل اى قال النذير المرسل لمترفي قومه ويؤيده ايضا ما قالوا في جوابه انا بما ارسلتم به بلفظ الجمع ولو كان الخطاب بقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الظاهر ان يجيبوه بان يقولوا انا بما ارسلت به فلما لم يكن المخاطب بقل رسول الله بل حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان هو اهدى مما كنا عليه فعند هذا انقطع طريق النصح والارشاد ولم يبق الا الانتقام منهم فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم الاية (قوله وقرئ بريء وبراء) وهما صفتان بمعنى واحد مثل طويل وطوال لمن هو بالغ في الطول وقرأ العامة براء بفتح الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر نعت به للمبالغة او بتقدير ذو البراء (قوله استثناء منقطع) لان الفاطر تعالى غير داخل في قوله ما تعبدون لانهم كانوا لا يعبدون الا الاصنام (قوله اوصفة) اى ويجوز ان تكون الا صفة بمعنى غير كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الا ان كلمة ما حينئذ تكون نكرة موصوفة لا موصولة ولا مصدرية لان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة قال ابن الحاجب وغير صفة حملت على الا في الاستثناء كما حملت الا عليها في الصفة اذا كانت تابعة لجمع منكر غير محصور لتعذر

فقال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال (ام آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن اوادعائهم ينطق على صحة ما قالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين (وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم) اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولا تكترث بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ من التقليد وتمسك بالدليل اوليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم (لابيه وقومه انني براء مما تعبدون) بريء من عبادتكم او معبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام (الا الذي فطرني) استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان اوصفة على ان ما موصوفة اى انني براء من إلهة تعبدونها غير الذي فطرني

الاستثناء مثل لو كان فيهما آلهة الا الله والفطر الخلق ابتداء من غير مثال من قولهم فطرت البئر اذا انشأت حفرها من غير اصل سابق (قوله سيثبتنى على الهداية) جواب عما يقال كيف قال سيهدين بالتسويف مع ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مهديون لامحالة روى ان ابراهيم قال ذلك لابيه وقومه حين خرج من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة ورأى اباه وقومه يعبدون الاصنام (قوله كلمة التوحيد) وهى ما تكلم به من قوله انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فان البراءة من كل معبود سوى الله تعالى توحيد للمعبود بالحق بمنزلة ان يقال لا اله الا الله الذى فطرنى بين تعالى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل هذه الكلمة كلمة باقية فى عقبه اى فى ذريته بان وصى بها بنيه ليرجع المشرك منهم عن شركه بدعاء الموحد اياه الى التوحيد فكلمة لعل بمعنى لام كى ثم انه تعالى لما بين براءة ابراهيم من التقليد وتمسكه بالدليل فانه دعا اباه وقومه الى التوحيد ووصاهم بالملازمة على هذه الطريقة اضرب عن هذه القصة الى ماذكر مما انعم به على اهل مكة وهم من عقبه صلى الله عليه وسلم فقال بل متعت هؤلاء واباءهم وقرئ بل متعنا اى يقول بل متعناهم بانفسهم واموالهم وسائر انواع النعم ولم اعاجلهم بعقوبة كفرهم حتى جاءهم الحق اى القرءآن ورسول مبين اى ظاهر الرسالة على ان يكون مبين من ابان بمعنى بان وظهر او مبين على ان يكون من ابان بمعنى اظهر وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوا الرسول باجابته فلم يجيبوه وعصوا وهو قوله فلما جاءهم الحق يعنى القرءان قالوا هذا سحر الآية وقالوا استحقارا للرسول صلى الله عليه وسلم لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين اى من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكة والطائف الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف (قوله اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية) على ان يكون المنوى فى جعلها ضمير ذاته تعالى وتكون كلمة بل للاضراب عن الحكم بانه تعالى جعل تلك الكلمة باقية فى عقبه لما حكم بذلك اعترض على ذاته بطريق التجريد على منوال قول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

فقال بل متعت هؤلاء واباءهم بطول العمر وسعة الرزق فشغلهم ذلك عن استماع قول الناصح واراد بذلك الاعتراض المبالغة فى تعييرهم من حيث ان التمتيع بزيادة النعم ينبغى ان يجعل سببا للشكر والتوحيد لا للشرك واتخاذ الانداد ونظير هذا الاسلوب ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى ذلك باحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيئ لا تقبيح فعله ثم انهم لما استحقروه صلى الله عليه وسلم ولم يعدوه لائقا لمنصب النبوة بناء على قولهم منصب الرسالة منصب عظيم فلا يليق الا برجل عظيم وان العظمة والشرف انما تكون بكثرة المال والجاه وهو صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ابطل الله تعالى شبهتهم هذه بان نزلهم منزلة من يدعى اختصاص قسمة رحمة الله تعالى به فانكر عليهم ذلك فقال أهم يقسمون رحمة ربك وانكر كونهم هم المتولين لقسمة النبوة حال عجزهم عن تدبير معيشتهم فى الحياة الدنيا والخويصة تصغير خاصة صغرها اشارة الى حقارة تلك المعيشة وهى مايعيشون به من منافع الدنيا واسبابها وهو يعم الحلال والحرام وجعل المعيشة بهذا المعنى حاصلة لهم بقسمة الله تعالى اياها بينهم يقتضى ان يكون الحرام رزقا كالحلال كما ذهب اليه اهل السنة من انه تعالى لما قسم بينهم الحلال قسم الحرام ايضا لان منهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام وقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى مايعيشون به وهو يقتضى ذلك وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لان الرزق عندهم عبارة عن الملك والحرام لايكون ملكا فلايكون رزقا وقالوا انه لايكون ملكا لان الملك مايكون للشخص فيه يد محقة يدفع بها اليد المبطلة لغيره عينا كان او منفعة واليد انما تثبت باسباب شرعية عينها الله تعالى لثبوت الملك والاختصاص للمالك وهى غير متحققة فى الحرام فلايكون ملكا ومالا يكون ملكا لايكون رزقا وفيه ان الرزق لو وجب ان يكون ملكا لوجب ان لايكون البهائم مرزوقة اذ لايتصور لها الملك وقد قال تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها (قوله واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره) كالقوة والضعف والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سوينا بينهم فى هذه الاحوال كلها لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره فيفسد به نظام الدنيا ويخرب العالم فاوقع الله تعالى بينهم التفاوت ليسخر للاغنياء باموالهم الاجراء والفقراء بالعمل فينتفع الاغنياء بقوة الفقراء والفقراء بنعمة الاغنياء وينتظم امر كل صنف منهم بالآخر (قوله لحقارة الدنيا) علة لقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن واشارة

(فانه سيهدين) سيثبتنى على الهداية اوسيهدينى الى ماوراء ما هدانى اليه) وجعلها (وجعل ابراهيم عليه السلام اوالله كلمة التوحيد (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) دعوة التوحيد اوالقرءآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بماله من المعجزات اومبين للتوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) لينبههم عن غفلتهم (قالوا هذا سحر وانابه كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرءآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين) اى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لايليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لابالتزخرف بزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمة ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لالكمال فى الموسع ولا لنقصان فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه (ورحمة ربك) هذه يعنى النبوة ومايتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم مارزق منها لامنه (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج (عليها يظهرون) يعلون السطوح لحقارة الدنيا

الى ان الاية استئناف لبيان كون رحمة الله تعالى خيرا مما يجمعون قال الزجاج لما علم تعالى ان الآخرة احظ من الدنيا بقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون ذكر حقارة الدنيا ومافيها من المنافع الجسمانية بهذه الآية وقوله ومعارج عطف على سقفا والتقدير ومعارج من فضة لان الظاهر ان المعطوف يشارك المعطوف عليه فى قيوده وحذف لدلالة الاول عليه وكذا الكلام فى الابواب والسرر وقوله عليها يتكئون وعليها يظهرون صفتان لما قبلهما يقال ظهر عليه اذا علاه قال تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه والمعرج آلة الصعود وهى المرقاة والسلم (قوله ولبيوتهم بدل من لمن) فيكون كل واحد من اللامين للاختصاص (قوله اوعلة) اى ويجوز ان تكون اللام الثانية للعلة كما فى قوله وهبت له ثوبا لقميصه اى لاجل ان يخيطه قميصا (قوله وقرأ ابن كثير وابوعمرو سقفا) اى بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس الذى هو فى معنى الجمع او اكتفاء بالواحد عن الجمع لدلالة البيوت عليه فان قوله لبيوتهم يدل عن لكل بيت سقفا على حدة والباقون من السبعة سقفا بضمتين وقرئ سقوفا مثل فلس وفلوس وسقفا بفتحتين وهو لغة فى سقف بالفتح والسكون (قوله وزينة اوذهبا) يعنى ان الزخرف يجوز ان يكون بمعنى الزينة كما فى قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون معطوفا على قوله سقفا والمعنى لجعلنا لهم كذا اى لبيوتهم كذا وكذا زينة عظيمة فى كل باب يزينون بها بيوتهم من الاوانى والفرش وغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الذهب فيكون معطوفا على محل من فضة والمعنى لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وزخرفا فنصب عطفا على محل من فضة وفى الصحاح الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه ومزوق والمزخرف المزين ومعنى الآية لولا ذلك لفعلنا بالكفار ماذكرنا ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لعلمه بان الغالب على الخلق حب العاجلة فان قيل حيث لم يوسع على الكفار للفتنة التى ذكرت فهلا وسع على المسلمين ليجتمع الناس على الاسلام اجيب بان التوسعة عليهم مفسدة ايضا من حيث انها تؤدى الى ان يكون الدخول فى الاسلام لاجل توسعة الدنيا وذلك من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبره الله تعالى ثم انه تعالى اخبر ان جميع ماذكر انما يتمتع به فى الدنيا ثم يزول عن قريب فقال وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى وان الامر والشأن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا على ان اللام فى لما هى الفارقة بين ان المخففة من الثقيلة وبين النافية وماصلة مؤكدة (قوله وقرئ به) اى وقرئ بالاسكان مع ان وما فقيل وان كل ذلك الا متاع وقيل ايضا وما كل ذلك الا متاع (قوله وفيه دلالة) وجه الدلالة ظاهر لانه جعل جميع ماذكره من زينة الدنيا متاعا يتمتع به الانسان مدة قليلة ثم يزول ويذهب ثم حكم بان الجنة ونعيم الآخرة للمتقين من الكفر والمعاصى لا للمشركين الذين الهاهم الانهماك فى شهوات الدنيا عن السعى فيما يؤدى الى سعادة الآخرة لانه قد ضاع منهم ما افنوا فيه اعمارهم وقد حرموا من سعادة الآخرة ايضا بخلاف المتقين وفيه ايضا اشعار بما لاجله لم يجعل ذلك الذى حكم عليه انه متاع الحياة الدنيا للمؤمنين (قوله وهو) اى الذى لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين انه اى ماذكر من زينة الدنيا تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به اى بما لهم فى الآخرة لما فيه اى فيما ذكر من الآفات والمصنف اشار بهذا الكلام الى جواب ما يقال من انه تعالى قد بين ان الدنيا ومافيها من انواع الزينة والشهوات لحقارتها عند الله تعالى لا يليق الا بالكفار كما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ولولا كراهة ان يجتمع الناس على الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لوسعنا على الكفار بما لا يكون اوسع منه لحقارة حطام الدنيا عندنا فورد ان يقال اذا كان توسيع حطام الدنيا على الكافر سببا لاجتماع الناس على الكفر كان توسيعه على المؤمن ايضا سببا لاجتماعهم على الايمان فلم يفعل ذلك فنزل قوله تعالى وان كل ذلك الآية للاشارة الى جوابه كانه قيل كما لم يوسع على الكفار كراهة الفتنة كذلك لم يوسع على المؤمنين لان متاع الدنيا القليل لا يصلح ان يكون مقصودا لذاته مع انه مخل ومفوت لثواب الآخرة لما فيه من الآفات ومن جملتها انه لو وسع عليهم لاحبوها وآثروا الاسلام لاجلها لا لله تعالى وطلبا لمرضاته واتباعا لما نصبه من الادلة القطعية ولازدادوا احرصا وانهماكا فى الشهوات ولادى ذلك الى ان يقيض الله لهم شيطانا يزين لهم الباطل ويزلهم عن طريق الحق مجازاة لهم على ما آثروا الباطل على الحق (قوله يتعام ويعرض) مبنى على قراءة يعش بضم الشين وهى قراءة العامة من عشا يعشو بمعنى تعامى يتعامى اى ينظر نظر المعشى ولا آفة فى بصره واما اذا كان فى بصره آفة مخلة للرؤية فحينئذ يقال عشى يعشى كعمى يعمى وزنا ومعنى كما يقال عرج بالكسر فهو

ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال اوعلة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف (ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون) اى ابوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا اوذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الآفات التى قل من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات

اعرج اذا اصابته آفة فى رجله مخلة بالمشى السوى وعرج بالفتح لمن مشى مشية العرجان وليست به آفة تقتضيها نعنى القرآءة بفتح الشين ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرءآن كقوله تعالى صم بكم عمى ومعناها بالضم ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتعامى اى يتجاهل و يتعالى كقوله وجحدوابها واستيقنتها انفسهم قال الشاعر

متى تأته تعشوالى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد *

اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء (قوله وقرئ يعشو) باثبات الواو على ان من موصولة عارية من معنى الشرط وينبغى على هذه القرآءة ان يقرأ نقيض مرفوعا ولم تنقل هذه القرآءة فدل ذلك على ان عدم سقوط الواو ليس مبنيا على كون من موصولة بل هى شرطية كما فى القرآءة الاخرى الا انه ألحق الفعل الناقص بالصحيح فى ان يكون جزمه بحذف الحركة وقد حكى عن الاخفش انه قال هى لغة بعض العرب (قوله وجمع الضميرين) وهما ضمير الشيطان والعاشى فضمير الشيطان هو المنصوب فى قوله وانهم والمرفوع فى قوله ليصدونهم وضمير العاشى هو المنصوب فى قوله ليصدونهم والمعنى وان الشيطان ليصدن العاشين عن السبيل اعتبر معنى من بعد اعتبار لفظه فى قوله ومن يعش ونقيض له شيطانا وضمير يحسبون للعاشين اى ويحسب العاشون انهم مهتدون روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك اهلكتهم بالاهوآء وهم يحسبون انهم مهتدون وقطع المصنف بان ضمير قوله انهم مهتدون للشيطان والمعنى وهؤلاء الكفار العاشرن يحسبون ان الشياطين مهتدون فقوله الضمائر الثلاثة مبتدأ وقوله الاول مبتدأ ثان وله خبر الثانى وضميره راجع الى من والجملة خبر المبتدأ الاول والتقدير الاول منها له والباقيان منها للشيطان (قوله اى ما انتم عليه من التمنى) يعنى ان فاعل ينفعكم مضمر فيه راجع الى التمنى المدلول عليه بقوله ياليت بينى و بينك فقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل لعدم النفع بتقدير حرف التعليل وقوله مشتركون بمعنى تستحقون الاشتراك فيه ليصح معنى التعليل اشار اليه المصنف بقوله لان حقكم ان تشتركوا (قوله بدل من اليوم) متفرع على كون قوله تعالى اذظلمتم بمعنى اذصح وتبين انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا والا لما جاز كونه بدلا منه لان المراد من اليوم يوم القيامة ووقت ظلمهم انفسهم هو وقت كونهم فى الدنيا فليس احدهما عين الآخر ولا بعضه ولا اشتمال بينهما و بدل الغلط لا يقع فى القرءآن فلما كان تقدير الكلام ان ينفعكم اليوم وقت تبين ظلمكم بحيث لم يبق لكم ولا لاحد غيركم شبهة فى انكم كنتم ظالمين صح كون الظرف الثانى بدلا من الاول لاتحادهما بالذات و بقى هنا اشكال اخر وهو ان اليوم ظرف حالى واذ ظرف ماضى فلا يتحدان ذاتا الا ان يقال جردت كلمة اذ هنا لمطلق الزمان وايضا اليوم ظرف حالى و ينفعكم للاستقبال لاقترانه بلن التى لنفى المستقبل فكيف يعمل الحدث المستقبل الذى لم يقع بعد فى ظرف حاضر الا ان يقال جردت كلمة لن هنا لمجرد النفى (قوله ويجوز ان يسند الفعل اليه) اى و يجوز ان يكون قوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون فى محل الرفع على انه فاعل لن ينفعكم والمعنى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما يقتضيه قولهم البلية اذا عمت خفت والاعباء جمع عبئ بالكسر وهو الحمل الثقيل (قوله وهو يقوى الاول) اى يقوى ان يكون فاعل لن ينفعكم ضمير التمنى و يكون قوله انكم مشتركون تعليلا كما هو كذلك على قرآءة انكم بالكسر لان ان تقتضى صدر الكلام فيمتنع ان يكون مع ما فى حيزها فاعلا لما قبلها ثم انه تعالى ذكر انه لا ينفع الدعوة والوعظ لمن سبقت عليه الشقاوة من الله فقال افانت تسمع الصم الاية الا ان قول المصنف انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم يفهم منه انه تعالى نزله صلى الله عليه وسلم منزلة من يقول انا اسمع الصم واهدى العمى مريدا به تخصيص القدرة عليهما به صلى الله عليه وسلم بناء على ان تقديم المسند اليه فى مثل انا سعيت فى حاجتك للقصر والتخصيص ردا على من زعم انفراد غيره بالخبر اومشاركة الغير له فيه على انه قصر قلب او قصر افراد ثم انه تعالى عجب من تخصيصه القدرة على ذلك به وانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم الاية وهذا المعنى غير ملائم بالمقام وسوق الاية بل الظاهر انه تعالى نزله منزلة من يدعى انه قادر على ذلك لاصراره على دعائهم مع تمرنهم على الكفر قائلا انا اسمع واهدى على قصد تقوى الحكم لا على قصد التخصيص فعجب تعالى من ادعائه ذلك وانكر عليه فالوجه على هذا ان يقول من ان يكون قادرا عليه من غير توسيط ضمير الفعل وتعريف الخبر فى قوله من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم لان ما اختاره من التعبير يفيد كون

وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة (نقيض له شيطانا فهوله قرين) يوسوسه و يغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه (وانهم ليصدونهم عن السبيل) عن الطريق الذى من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له (ويحسبون انهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءنا) اى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى والشيطان (قال) اى العاشى للشيطان (ياليت بينى و بينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب و المغرب من المشرق فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما (فبئس القرين) انت (ولن ينفعكم اليوم) اى ما انتم عليه من التمنى (اذظلمتم) اذصح انكم ظلمتم (انفسكم) فى الدنيا بدل من اليوم (انكم فى العذاب مشتركون) لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه و يجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى امر صعب تعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم مكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول (أفانت تسمع الصم اوتهدى العمى) انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاؤهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين

المخاطب ممن يدعى اختصاص الخبر به (قوله وفيه اشعار بان الموجب لذلك) اى وفى عطف قوله ومن كان فى ضلال مبين على العمى اشعار بان الموجب للصمم والعمى المدلول عليهما بلفظى الصم والعمى فانه تعالى لما وصفهم فى الاية المتقدمة بالعشى واصله النظر ببصر ضعيف وصفهم فى هذه الاية بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب فان الانسان فى اول اشتغاله بطلب الدنيا وميله الى الحظوظ الجسمانية يكون كمن بعينه رمد ضعيف ثم انه كلما ازداد اشتغاله بها واشتد اعراضه عن الفضائل الروحانية ازداد رمده فينتقل الى ان يصير اعشى ومن كونه اعشى الى كونه اعمى فالقوم بلغوا بسبب تصميمهم على الكفر وثباتهم على الغى والنفرة عن قبول الحق الى حيث كانوا اذا تلى عليهم القرءآن كانوا كالصم واذا ظهرت المعجزات عليهم كانوا كالعمى فلذلك شبهوا بالصم والعمى واشير الى ان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وطيب قلبه فقال فاما نذهبن بك (قوله بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون) قد اشتهر بين النحاة ان نون التوكيد لا تدخل الا على مستقبل فيه معنى الطلب كالامر والنهى والاستفهام والتمنى والعرض واما المستقبل الذى هو خبر محض فلا تدخل عليه نون التوكيد كلام القسم نحو والله لافعلن وما المزيدة على حرف الشرط لتأكيد معنى الشرطية والتعلق نحو فاما نذهبن فيكون ما دخل على اوله توطئة وابدا لما دخل على آخره وهو معنى كونهما مستجلبين لها ومقتضيين اياها ثم انه تعالى لما بين انه لا ينفع اجتهاده فى دعوة قومه الصم العمى وانهم لا يرجعون عما هم عليه من الضلال المبين وانهم قد استحقوا العذاب الاليم بين ان احد الامرين متعين اما ان انصرك عليهم فى الدنيا واشفى به صدور المؤمنين او انتقم منهم فى الآخرة اشد الانتقام ثم قال اذا علمت هذا فأعرض عنهم واشتغل بما يهمك وهو التمسك بالقرءآن الكريم لانك على صراط مستقيم ولما بين ان التمسك به صراط مستقيم يوصل الى منافع الدين بين ايضا تأثيره فى منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اى وان القرءآن لشرف لك ولقومك من قريش حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله لهؤلاء وقال مجاهد القوم هم العرب فان القرءآن لهم شرف حيث انزله الله بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون قريش وبنو هاشم وبنو عبد المطلب اكثر حظا منه (قوله واسأل امهم) لما كان سؤال من مضى قبله صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ممتنعا احتيج الى تقدير المضاف وقيل لا حاجة الى تقدير المضاف بناء على ما روى عن ابن عباس قال انه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به الى المسجد الاقصى جمع له آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال صلى الله عليه وسلم لا اسأل لانى لست شاكا فيه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم ما انا بالذى اشك وما انا بالذى اسأل وانما لم يسأل مع كونه مأمورا بالسؤال لانه صلى الله عليه وسلم علم ان الامر ليس لايجاب السؤال عليه بدلالة ان السؤال يكون لرفع الالتباس ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشك فى ذلك فعلم بذلك ان المراد التقرير لمشركى قريش ونحوهم انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى (قوله فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب) علة لقوله فيكذب ويعادى له فان التوحيد لما كان امرا متفقا عليه كل الانبياء والرسل وجب ان لا يكذب ويعادى لاجله فان التوحيد هو معظم ما جعلوه سببا لبغضه صلى الله عليه وسلم ومخالفته (قوله يريد باقتصاصه) اى ليس المقصود من ذكر هذه القصة بيان نفسها بل المقصود تسليته صلى الله عليه وسلم بان فرعون مع بلوغه فى عز الدنيا الى غاية الكمال لما صار مقهورا لموسى وأعوانه كان الامر فى حق اعدائك هكذا ومناقضة مقدمتهم القائلة لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم فانهم ارادوا بها القدح فى نبوته صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى بايراد هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام بعد ان اورد المعجزات الباهرة التى لا يشك فى صحتها عاقل اورد فرعون عليه ما قاله كفار قريش فى حقه صلى الله عليه وسلم من انه رجل حقير عديم المال والجاه الا ترون انه حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولا لسان فكيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان شبهته التى ذكرها كفار مكة وهى قولهم لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى صلى الله عليه وسلم ثم ان تلك الشبهة لم تقدح فى نبوة موسى صلى الله عليه وسلم حيث بلغ رسالته به فلم يقبلوها فانتقم الله تعالى منهم فاغرقهم اجمعين فلو كان فى هذه الشبهة ما يدل على قدح امر النبوة

وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى (فاما نذهبن بك) اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعدك فى الدنيا والآخرة (او نرينك الذى وعدناهم) او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) لا يفوتونا (فاستمسك بالذى اوحى اليك) من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لا عوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسألون) اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا) اى واسأل اممهم وعلماء دينهم (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة (ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد (فلما جاءهم باياتنا اذاهم منها يضحكون)

لنفعت فرعون فيمازعمه وانالم تنفع ثبت بطلانها فهذا وجه كون ذكر قصة موسى وفرعون مناقضة وابطالا لشبهة كفار قريش (قوله تعالى اذاهم منها يضحكون) قيل انه عليه الصلاة والسلام لماالقى عصاه فصارت ثعبانا ثم اخذه فصار عصا كما كان ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا واستهزئوا من غير ان يتأملوا (قوله فاجأوا وقت ضحكهم منها) لما ورد ان يقال ان كلمة لما لابد لها من عامل وان العامل فيها جوابها وقد اجيب عنها فى الاية الكريمة باذا المفاجاة وهى لاتعمل وكذا مابعدها لايعمل فيما قبلها فما العامل فى لما اشار الى جوابه بتقدير فعل المفاجاة وجعله عاملا يعمل النصب فى محل اذا على انه مفعول به وفى محل لما على انه ظرف هذا حاصل ماذكره الزمخشرى سؤالا وجوابا الا ان جعل اذا الفجائية منصوبة المحل بالفعل المقدر غير منقول عن النحويين فان المنقول فى اذا الفجائية ثلاثة مذاهب وهى انها اما حرف فلا تحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان وعلى التقديرين لاتكون مفعولا لفعل المفاجاة مقدرا لانه ان ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قائم تقديره خرجت ففى المكان الذى خرجت منه زيد قائم اوففى الوقت الذى خرجت زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انه ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اى فبالحضرة الاسد اذ لاخفاء فى صحة كون ظرف المكان خبرا عن الجثة وكذا قولك خرجت فاذا الاسد صائلا وان قلنا انها ظرف زمان كان الكلام على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اى ففى الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان تكون اذا ظرف زمان او ظرف مكان ولاحاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شئت قدرت فبالحضرة القتال اوففى الزمان القتال لصحة كون كل واحد من ظرفى الزمان والمكان خبرا عن الحدث (قوله الاوهى بالغة اقصى درجات الاعجاز) اشارة الى دفع مايقال ان قوله كل واحدة من تلك الآيات اكبر من اختها يستلزم ان تكون كل واحدة فاضلة عن اختها ومفضولة عنها فى حال واحدة وهو تناقض باطل وتقرير الجواب انه ليس المراد ظاهر مايفهم من الكلام بل المراد المبالغة فى كون كل واحدة منها بالغة الى اقصى درجات الاعجاز بحيث اذا ظهرت آية واحدة منها اى اية كانت يحسب الناظر انها اكبر من كل آية تقاس عليها والمراد به وصف الكل بالكبر لان كل واحدة منها اذا كانت بحيث يقول الناظر فى حقها انها اكبر من اختها مطلقا اى مما تقاس هى اليه من الآيات اى آية كانت لاجرم تكون كلها متساوية متماثلة فى هذا المعنى فقوله الاهى اكبر من اختها اى فى زعم الناظر ورأيه (قوله اوالا وهى مختصة الخ) عطف على قوله الاوهى بالغة وجواب ثان عن سؤال التناقض وتقريره انما يلزم التناقض ان لو كان المعنى كل واحدة منها اكبر من البواقى مطلقا اى من جميع الوجوه وليس كذلك بل المعنى ان كل واحدة منها اكبر من البواقى باعتبار الجهة التى تميزت هى عن البواقى بتلك الجهة (قوله كالسنين والطوفان والجراد) اى والقمل والضفادع والدم والطمس والعصا واليد البيضاء فانهم عذبوا بهذه الآيات فكانت عذابا لهم وآيات عظاما لموسى عليه الصلاة والسلام عذبهم الله تعالى بها لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الشرك ويتوبون (قوله على وجه يرجى رجوعهم) يعنى ان كلمة لعل استعارة تمثيلية شبه الله تعالى معاملته معهم بمعاملة من يرجو ويتوقع وجعلها الزمخشرى مستعارة لمعنى الارادة وفرع عليه كلاما مبنيا على مذهبه (قوله نادوه بذلك فى تلك الحال) اى فى حال تضرعهم لموسى عليه الصلاة والسلام بقولهم ادع لنا اى لاجلنا ربك مع ان مقام التعظيم ينافى النداء بالساحر فانه مباين للمعجزة فلا يكون دليلا على النبوة بل منافيا لها فان السحر صفة مذمومة ويحتمل ان يكون النداء بمعنى ياايها العالم الحاذق بناء على ان يكون السحر فيهم فضيلة عظيمة وصفة محمودة وليس المراد ياايها الذى غلبنا بسحره كما فى الوجه الاول بل يعظمونه بذلك النداء (قوله بعهده عندك) ذكر فى الايضاح بعهده اوجه وكلمة ما فى الثلاثة الاول منها مصدرية وفى الرابع موصولة وفسر العهد اولا بالنبوة فانها تسمى بعهد الله تعالى وثانيا بوعد الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام باستجابة دعائه وثالثا بوعده تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بكشف العذاب عمن اهتدى وتاب ورابعا بالتوصية من قولهم عهد اليه بكذا اى وصاه به واخذ عهده فيه على ان يفعل والباء فى جميع الوجوه للسببية اى ادع الله لنا بسبب عهده الذى عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او بكشف العذاب عمن اهتدى او بالذى عهد اليك ووصاك به من الايمان والطاعة اللذين اتيت بهما وفاء للعهد والاظهر انها فى الوجه الاول والرابع للقسم اى ادع الله لنا بحق ماعندك من النبوة او بحق الايمان

فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزئوا بها اول مارأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها) الاوهى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التى يسرى بها السارى

اوالا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (واخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد (لعلهم يرجعون) على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا ياايها الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم اولانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا (ادع لنا ربك) اى لتدع لنا فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة اومن ان يستجيب دعوتك اوان يكشف العذاب عمن اهتدى

او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة (اننا لمهتدون) بشرط ان تدعولنا) فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء (ونادى فرعون) بنفسه او بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) تحت قصرى اوامرى او بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجرى حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها (أفلا تبصرون) ذلك (ام انا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير لما قدم من اسباب فضله اومتصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه (فلولا القى عليه اساورة من ذهب) اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وألقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (او جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم (فاطاعوه) فيما امرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين) فى اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت (ومثلا للآخرين)

والطاعة الذين عندك وفى الوجه الثانى والثالث للسببية (قوله فوفيته) لعله مأخوذ من قوله عندك بدل اليك فان اصل العهد بمعنى التوصية ان يتعدى بالى الا انه اورد بدلها لفظ عندك اشعارا بان تلك الوصية مرعية محفوظة عنده لا تصير ملغاة (قوله بشرط ان تدعولنا) كأنه جواب عما يقال كيف قالوا اننا لمهتدون مع ان تسميتهم اياه بالساحر تكذيب له بمنزلة ان يقال غلبتنا بالسحر لا بالمعجزة فلست نبيا وتقرير الجواب ظاهر (قوله فاجؤا نكث عهدهم) اظاهر على قياس ما ذكر فى قوله تعالى اذا هم منها يضحكون ان يقال فاجؤا وقت نكث العهد على ان يكون الفعل المقدر عاملا فى اذا بنصبه على الظرفية وفى اذا بنصبه على انه مفعول به الا انه اكتفى بذكر ما يدل على خلاصة المعنى (قوله انهار النيل) اى الانهار التى فصولها من النيل وطولون اسم رجل وتنيس بفتح التاء وتشديد النون وحاصل كلامه انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه وعدم استحقاق موسى للرياسة (قوله تحت قصرى الخ) لما لم يمكن ان يكون النهر نفسه تحت الشخص احتيج الى تقدير شئ يكون النهر تحته ويكون تحت الشخص ايضا بواسطة كون ذلك الشئ تحت الشخص حسا كالقصر او معنى كالامر ويقال لما بين يدى الشخص انه تحت الشخص لكونه فى مكان اسفل من مكان الشخص والرتة بضم الراء وتشديد التاء العقدة الحاصلة فى اللسان حيث تمنع سلاسة التكلم والجريان فان قيل أليس ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله تعالى ان يزيل الرتة من لسانه بقوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فاعطاه الله تعالى ذلك حيث قال قد اوتيت سؤلك ياموسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة قلنا نعم انها زالت فكان عليه الصلاة والسلام فى غاية طلاقة اللسان وكمال البيان حال مخاطبته مع فرعون وملائه وانما عابه فرعون بما كان عرفه به فى الابتداء فان موسى عليه الصلاة والسلام مكث عند فرعون زمانا طويلا وكان عليه الصلاة والسلام فى لسانه حبسة حينئذ فوصفه فرعون بما عهده عليه تمويها للضعفة الذى كانوا اعلوه منه قبل ذلك وام منقطعة وتقدر بل والهمزة حمل قومه اولا على ان يقروا بسعة ملكه وكثرة اسباب عزه وشوكته ثم اضرب عنه وحملهم على الاقرار بكونه خيرا من موسى عليه الصلاة والسلام بناء على ما قدم من ذكر اسباب فضله وزعمه انه عليه الصلاة والسلام ضعيف حقير وقيل انها متصلة حذف معادلها واقيم ما هو السبب مقامه والاصل افلا تبصرون لكون علمهم بانه خير منه سببا عن الابصار (قوله مقاليد الملك) اى مباديه واسبابه المتقدمة عليه بحيث تكون بمنزلة المفاتيح له فان عادة القوم حينئذ انهم اذا جعلوا واحدا رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فاحتج فرعون على عدم رسالته عليه الصلاة والسلام بانعدام هذا الامر فى حقه قرأ العامة فلولا ألقى على بناء المفعول وقرئ فى الشواذ ألقى على بناء الفاعل اى الله فيكون اساورة منصوبا على المفعولية وقرأ حفص اسورة على انه جمع سوار كاحمرة فى جمع حمار وهو جمع قلة والباقون اساورة على انه جمع اسوار كاعاصير جمع اعصار واصل اساورة اساوير بالياء فعوض تاء التأنيث منها بعد حذفها كما فى بطارقة وزنادقة اصلهما بطاريق وزناديق جمع بطريق وزنديق وقيل بل هى جمع اسورة فهى جمع الجمع لا جمع اسوار وقرئ ايضا اساوير بالياء واساور بدون الياء والتاء (قوله مقرونين به) منضمين اليه يعينونه على امر النبوة او يشهدون له بصدقه (قوله او متقارنين) على أن المراد اقتران بعضهم ببعض لا اقترانهم بموسى عليه الصلاة والسلام وهو كناية عن كثرتهم واجتماعهم لانهم فى الاعتضاد من التفرق ومحصول كلامه انه عليه الصلاة والسلام لو كان رسولا اصطفاه الله تعالى من عباده لطوقه وسوره بطوق وسوار من ذهب ولشيعه بمن عنده من الملائكة كما هو عادة السلاطين اذا جعلوا واحدا من خواصهم رئيسا لقومهم وليس عند موسى عليه الصلاة والسلام شئ من ذلك فكيف يكون نبيا (قوله فطلب منه الخفة) يعنى ان سين استخف اما للطلب او للوجدان اى وجدهم جهالا عديمى العقل يغترون بالتلبيسات الباطلة حيث اغتروا بقوله أليس لى ملك مصر الخ (قوله قدوة لمن بعدهم) السلف سواء كان مصدرا بمعنى المضى والتقدم من قولك سلف يسلف سلفا مثل طلب يطلب طلبا وصف به الاعيان للمبالغة او جمع سالف كحرس وحارس لا يتعدى باللام وقد عدى بها فى الاية على طريق التنازع فلذلك فسر بالقدوة ومجازا لان المتقدمين يلزمهم ان يكونوا قدوة لمن بعدهم غالبا ذكر لقراءة سلفا بضمتين ثلاثة اوجه الاول ان يكون جمع سليف بمعنى الفريق المتقدم كرغيف ورغف وكثيب وكثب والثانى ان يكون جمع سالف بمعنى المتقدم كصابر وصبر والثالث ان يكون جمع سلف بفتحتين كخشب وخشب (قوله وقرئ سلفا) بضم السين وفتح اللام وذكر لها وجهين الاول ان يكون اصله

سلفا بضمتين ابدلت ضمة اللام فتحة كراهة اجتماع الضمتين والثانى ان يكون جمع سلفة كغرفة وغرف والسلفة الفرقة السالفة فمعنى قوله تعالى فجعلناهم سلفا جعلنا هم ثلة سلفت اى جماعة مضت فان الثلة بالضم هى الجماعة من الناس (قوله وعظة لهم) ليتعظوا به فلا يجترئوا على اتيان مثل افعالهم من الاصرار على مخالفة الرسول واتباع الهوى فعلى هذا يكون المثل بمعنى الشبه والعبرة التى هى مثال يعتبر به و يستدل بتشابه الفعلين على تشابه الجزاءين وهو معنى كونهم عظة لمن بعدهم فانهم يشبه حالهم بحال قوم فرعون اذا داموا على العصيان فيخافون ان يعاقبوا بمثل عقابهم (قوله اوقصة عجيبة) على ان يكون لفظ المثل مستعارا لها من معناه العرفى وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده والمثل لما كان مصدرا فى الاصل جاز اطلاقه على الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث (قوله اى ضربه ابن الزبعرى) وجعله مشبها للاصنام من حيث ان النصارى اتخذوه آلها وعبدوه من دون الله وانت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا كان هو من حصب جهنم كان امر آلهتنا اهون قال اكثر المفسرين لما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على قريش قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا وغضبوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبدالله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فلما ضرب به ابن الزبعرى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه فرح المشركون من هذا المثل وضحكوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم توقرا عن مجادلات السفهاء فانزل الله تعالى آية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية فالمثل على هذا التقرير بمعناه اللغوى وقال شرف الدين الطيبى رحمه الله المثل على قول ابن الزبعرى قوله فان كان هؤلاء يعنى المسيح وعزيرا والملائكة فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم وانما سمى مثلا لما فيه من الغرابة من بعض الوجوه ولذلك فرح المشركون وضحكوا وضجوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه جعل المثل مستعارا للامر الغريب والقول العجيب الوارد فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة وجعل ضربه عبارة عن التكلم به فى حقه (قوله اوغيره) عطف على ابن الزبعرى اى اوضربه غير ابن الزبعرى وهم بنو مليح وهم الذين قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم ثم حكى ما قالوه فقال بان قال اى غير ابن الزبعرى فانهم قالوا ان النصارى ضربوا المسيح مثلا للملائكة وعبدوه وزعموا انه ابن الله والملائكة اولى بذلك (قوله وعلى قوله) عطف على لفظ قوله فى قوله اى اوقال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله تعالى واسأل وهو فى محل النصب على انه حال من فاعل قال اى قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا فلما سمع المشركون ما قاله بنو مليح ورأوا انه صلى الله عليه وسلم سكت ولم يجب توقرا عن مجادلات السفهاء فرحوا اظنهم انه عليه الصلاة والسلام صار ملزما به (قوله والملائكة اولى بذلك) اى بان يعبدوا وينسبوا اليه تعالى بالجزئية فكما ان النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرا فكذا بنو مليح يعبدون الملائكة ويجعلونهم بنات الله تعالى وهم اولى بذلك من المسيح وعزير معترضين على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان قالوا كيف يصح انكار وقوع عبادة غير الله تعالى فى ملة من ملل الرسل المتقدمين مع ان بعض اهل الكتاب وهم النصارى يعبدون عيسى عليه السلام يقولون انه ابن الله ونحن افضل منهم قولا وفعلا لانهم عبدوا البشر وجعلوه ابن الله ونحن نعبد الملائكة المقربين الروحانيين ونقول انهم بنات الله بناء على ان المشركين الذين يعبدون الملائكة وهم بنو مليح جعلوا المسيح مثلا وشبها للملائكة فى كونه معبودا من دون الرحمن ويحتمل ان يكون المثل مستعارا من المثل السائر لقولهم العجيب فى حق عيسى عليه السلام ويكون صديدهم وضجيجهم سرورا منهم بوجود من يوافقهم فى عبادة غير الله تعالى (قوله اوان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح) معطوف على قوله النصارى اهل كتاب يعنى ان بعض المفسرين ذكروا فى تأويل الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه آلها لانفسهم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان نجعله آلها كما تجعل النصارى المسيح آلها لانفسهم ثم عند هذا قالوا آلهتنا

وعظة لهم اوقصة عجيبة تسير مسير الامثال فيقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اوغيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اوان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به

وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا ءآلهتنا خيرام هو) اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه اوآلهتنا الملائكة خيرام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى بذلك اوآلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما والباقون بتليين الثانية (ماضربوه لك الاجدلا) ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل والخصومة لالتمييز الحق من الباطل (بل هم قوم خصمون) شداد الخصومة حراص على اللجاج (ان هو الاعبدا نعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا) امرا عجيبا كالمثل السائر (لبنى اسرآئيل) وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (ولو نشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم يارجال كما ولدنا عيسى من غير اب اولجعلنا بدلكم (ملائكة فى الارض يخلفون) ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ماهو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انهاذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى

خيرام هو ذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه وآباؤنا زعموا انه تجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لابد من احد هذين الامرين فعبادة هذه الاصنام اولى لان آباءنا واسلافنا كانوا متطابقين عليها واما محمد فانه متهم فى امرنا بعبادة نفسه فكان الاشتغال بعبادة الاصنام اولى وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قالوا مايريد محمد بهذا الاان نعبده وانه يستأهل ان يعبد مع كونه بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر جعل محمد عيسى شبها لآدم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فى كونه بشرا يوهم كونه مستحقا للعبادة وعلى هذا معنى يصدون يضجون بفتح الياء ويصيحون والضمير فى ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم يقال اضج القوم اضجاجا اذا جلبوا وصاحوا واذا جزعوا من شئ وغلبوا قيل ضجوا يضجون ضجيجا كذا فى الصحاح فعلى هذا قوله يضجون فرحا ينبغى ان يكون بضم الياء من باب الافعال فلما راى المشركون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ولم يجب ابن الزبعرى صدوا ورفعوا اصواتهم فرحا وظنوا انه صلى الله عليه وسلم صار ملزما بجدله على ماجرت العادة به من ان احد الخصمين اذا انقطعت حجته وصار مغلوبا اظهر الخصم الآخر الفرح والضجيج (قوله وقيل هما لغتان) فى الصحاح صد يصد صديدا اى اضج وصاح (قوله اى آلهتنا خير عندك) لما اختلف فى ان ابن مريم بمن ضرب مثلا فقيل انه جعل مثلا للاصنام وقيل للملائكة وقيل لمحمد عليهما الصلاة والسلام ذكر لقوله تعالى آلهتنا خير ام هو وجوها ثلاثة مرتبة على ترتيب الالف وجعل ضمير ام هو على الوجهين الاولين لعيسى عليه الصلاة والسلام وفى الوجه الثالث لمحمد عليه الصلاة والسلام وضربوا المثل بينه وبين آلهتهم استهزاء لاتمييزا للحق من الباطل (قوله ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل) والغلبة فى القول يعنى ان انتصاب جدلا على انه مفعول له للضرب وقيل هو مصدر فى موضع الحال اى الامجادلين مخاصمين بالباطل لاممیزين بين الحق والباطل وكونه لاجل الجدل ظاهر اما على الوجه الاول فلانهم قد علموا ان المراد بقوله تعالى وماتعبدون هؤلاء الاصنام بشهادة المقام لانهم انما يعبدون الاصنام وكذا قوله عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم اذ المراد بجميع الامم الذين هم عباد الاصنام الا ان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه لما رأى كلام الله تعالى وكلام رسوله يعمان العقلاء وغيرهم بحسب الظاهر مع علمه بان المراد منه الاصنام انتهز الفرصة وجادل بالباطل فصرف معناه الى الشمول والتناول لكل معبود سوى الله تعالى وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل على ان الآية خاصة بالاصنام وعبادهم على ان ظاهر قوله تعالى وماتعبدون لغير العقلاء واما على الثانى فلان المشركين يعلمون ان عبادة النصارى للمسيح لم تكن بحكم الله تعالى وانما تمسكوا فى كونها بحكم الله عز وجل بكونهم اهل الكتاب ولايلزم ان يكون جميع مايفعله اهل الكتاب موافقا للكتاب فان النصارى انما عبدوه زاعمين ان الولد لابد له من اب واذ لم يكن اب من البشر علمنا انه ابن الله وانه يستحق لان يعبد ومن المعلوم ان الولد من غير اب من البشر لايقتضى كون الولد ابن الله تعالى كآدم وحواء عليهما الصلاة والسلام واما على الثالث فظاهر لان شيأ من افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله لايوهم كونه داعيا الى عبادة نفسه فكيف يقولون ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح (قوله وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة) سواء اوردت على قوله تعالى وماتعبدون من دون الله حصب جهنم بان المسيح قد عبد من دون الله مع انه ليس من اهل النار او على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان يقال انه عليه الصلاة والسلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح فان معنى قوله تعالى ان هو الاعبد أنه عبد كسائر العبيد فلا يستحق ان يعبد مع انا اصطفيناه وانعمنا عليه بالنبوة وبعثناه يدعو الناس الى توحيد الله تعالى وطاعته فكيف يصح له ان يدعو الناس الى طاعة نفسه وان يكون من اهل النار ومن عبده فانما يعبد من سول له عبادته ولايعبده حتى يقال انه قد عبد فينتقض الايراد بان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح ومن جملة ماانعمنا به عليه انا جعلناه مثلا اى عبرة عجيبة وآية بديعة كالمثل السائر لبنى اسرآئيل حيث خلقناه من غير اب كما خلقنا آدم من غير ابوين فهو مثل لهم يشبهون به مايرون من عجائب صنع الله تعالى فلاينكرونه ثم خاطب كفار مكة فقال ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة اى لو نشاء لولدنا منكم يارجال مكة ملائكة كما ولدنا عيسى من غير اب اولو نشاء اهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة فى الارض يكونون خلفاءكم كما يخلفكم اولادكم فان كلمة من قد تكون للبدل تقول اخذت هذا من ثوبى اى بدلا منه

فقوله تعالى ولونشاء مرتبط بقوله وجعلناه مثلا وامرا عجيبا اى ولونشاء لجعلنا منكم عبرة اعجب من خلق
عيسى من غير اب دلالة على قدرتنا على عجائب الامور وتخصيص الملائكة بالذكر للاشعار بالرد على
من يزعم انهم استحقاق الالوهية والعبادة وانهم بنات الله عزوجل ووجه الاشعار انهم على تقدير ان يخلقوا
توليدا لايتولدون الا من اجسام والجسم لايتولد الا من الجسم فمايكون جسما متولدا من جسم كيف يستحق
الالوهية والانتساب الى الله تعالى (قوله لان حدوثه اونزوله الخ) اشارة الى ان المعنى وان حدوثه اونزوله سبب
للعلم بدنو الساعة بتقدير المضاف فى الموضعين ان كان المقدر اولا الحدوث والنزول فانهما سببان للعلم بدنو الساعة
لانفسها وان كان المقدر اولا الاحياء لايحتاج الى تقدير المضاف الآخر لان احياء الموتى لايدل على دنو
الساعة بل يدل على نفسها قرأ العامة لعلم بكسر العين وسكون اللام سمى المضاف المقدر علما لها مبالغة لكونه سببا
للعلم بها او بدنوها والثنية الطريق فى الجبل (قوله ثم يقتل الخنازير) الظاهر انه كناية عن منع الانتفاع بجميع ماهو
محرم فى شريعتنا واجراء جميع احكام هذه الشريعة فى جميع الانام بقتل من خالفهما (قوله الامن آمن به) اى
بمحمد صلى الله عليه وسلم قال عليه افضل الصلاة والسلام ليوشكن ان ينزل فيكم حكما عادلا يكسر الصليب و يقتل
الخنزير ويدع الجزية وتهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام (قوله واتبعوا هداى اوشرعى) احتيج الى تقدير
مايضاف الى ياء المتكلم على ان يكون قوله واتبعون قول الله تعالى لان اتباع ذات الله تعالى مما لايتصور
بخلاف ما اذا كان قول النبى صلى الله عليه وسلم بان أمر بان يقوله اى قل فاتبعون فلايحتاج حينئذ الى تقدير شئ
قبل المنصوب بقوله اتبعون (قوله الذى ادعوكم اليه) وهو الاتباع المدلول عليه بقوله واتبعون وهذا هو المعنى
سوآء كان القائل هو الله تعالى اورسوله وان جعل ضميرانه للقرءآن يجوز ان يكون هذا اشارة اليه ايضا (قوله
تعالى ولأبين) اللام فيه متعلق بمحذوف اى وجئتكم بها لابين لكم بين اولا ماجاءهم به ثم بين مالاجله جاءهم به
والمورد ان يقال هلا بين كل الذى يختلفون فيه اشار الى جوابه بقوله وهومايكون من امر الدين (قوله الفرق
المتحزبة) يقال حزب قومه فتحزبوا اى جعلهم احزابا اى فرقا وطوائف فكانوا كذلك كالنصارى فانهم اختلفوا
فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام وصاروا بعده طوائف ثلاثا منهم النسطورية وهم قالوا المسيح ابن الله ومنهم
اليعقوبية وهم قالوا ان الله هو المسيح ومنهم الملكانية وهم قالوا ان الله ثالث ثلاثة المسيح وامه واياه فعلى هذا
ضمير من بينهم للنصارى فقط من جملة بنى اسرآئيل لان كل حزب من هذه الفرق الثلاث انما هو من جملة النصارى
واما ان اريد بالاحزاب اليهود والنصارى بناء على انهما تحزبا فى امره عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود لعنهم
الله زنت امه فهو ولد الزنى وقالت النصارى انه ابن الله فضمير من بينهم حينئذ لجميع بنى اسرآئيل فانه عليه الصلاة
والسلام بعث اليهم بالنبوة فخاطبهم جميعا بقوله قدجئتكم بالحكمة فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه واصر على
اليهودية قائلا بتأبيد دين موسى عليه الصلاة والسلام واليه الاشارة بقوله من بين قومه المبعوث هو اليهم وقيل
من زآئدة فالمعنى فاختلف الاحزاب بينهم على ان ضمير بينهم للاحزاب (قوله تعالى من عذاب يوم اليم)
اى اليم عذابه كقوله فى يوم عاصف اى عاصف ريحه فقوله تعالى فلما جاء عيسى بالبينات الى قوله فاختلف الاحزاب
من بينهم كالتفصيل لقوله ان هو الاعبد انعمنا عليه لما ضربوا ابن مريم مثلا لمن عبد من دون الله رد الله تعالى عليهم
فى اتخاذهم اياه معبودا بانه عبد لامعبود غاية الامر انا انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا يشبهون به مايرون من
الامر العجيب فلا يستبعدونه من قدرة الله تعالى ثم بين مقالته حين ماجاء قومه بالبينات وهى قوله قدجئتكم
بالحكمة لابين لكم ماتختلفون فيه من امر دينكم فاتقوا الله ولاتخالفوا دينه واطيعون فيما ابلغه عنه وهو امران
اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرآئع فمن كان حاله ومقاله هكذا كيف يتوهم فيه مايقوله النصارى فى حقه من كونه
مستحقا لان يعبد من دون الله مع ان جل همته الدعوة الى عبادة الله تعالى وتوحيده الا انا لما جعلناه مثلا بان
خلقناه من غير اب اختلفوا فى امره فصاروا فرقا ثلاثا فقالوا فيه ماقالوا بزعمهم الباطل وهو برئ منه (قوله الضمير
لقريش) فانه تعالى لما حكى عنهم ان منهم من ضرب ابن مريم مثلا ومنهم من فرح به ووقع فى الصديد ورفع الاصوات
شرع فى وعيدهم بانهم استحقوا بذلك عذابا شديدا وانه لايمنعهم من ذلك العذاب الا عدم قيام الساعة اى الساعة
التى يحاسب فيها المكلفون ويجازى كل امرئ بما كسب وانها تأتيهم لامحالة فكانوا ينتظرونها (قوله غافلون
عنها) اشارة الى جواب مايقال مافائدة قوله وهم لايشعرون بعد قوله بغتة مع انه يؤدى مؤداه ويغنى عنه

(وانه) وان عيسى (لعلم للساعة) لان حدوثه
اونزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها اولان
احياءه الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم
اى علامة ولذكر على تسمية مايذكر به ذكرا وفى
الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة
يقال لها افيق و بيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى
بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام
فيقدمه عيسى و يصلى خلفه على شريعة محمد
عليهما السلام ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب
و يخرب البيع والكنائس و يقتل النصارى الا من
آمن به وقيل الضمير للقرءآن فان فيه الاعلام بالساعة
والدلالة عليها (فلاتمترن بها) فلاتشكن فيها
(واتبعون) واتبعوا هداى اوشرعى اورسولى
وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله (هذا) هذا
الذى ادعوكم اليه (صراط مستقيم) لايضل
سالكه (ولايصدنكم الشيطان) عن المتابعة
(انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بان اخرجكم
من الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات)
بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرآئع الواضحات
(قال قدجئتكم بالحكمة) بالانجيل او بالشريعة
(ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو
مايكون من امر الدين لاما يتعلق بامر الدنيا فان
الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم
اعلم بامور دنياكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما
ابلغه عنه (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه)
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد
والتعبد بالشرآئع (هذا صراط مستقيم) الاشارة
الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى
صلى الله عليه وسلم اواستئناف من الله يدل على
ماهو المقتضى للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب)
الفرق المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى
اواليهود والنصارى من بين قومه المبعوث هو
اليهم (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من
عذاب يوم اليم) هو القيامة (هل ينظرون الا
الساعة) الضمير لقريش اوللذين ظلموا (ان تأتيهم)
بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون)
غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها

(الاخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد الآباد (يا عبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ما تشتهى الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ (وانتم فيها خالدون) فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتى خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة

وتقرير الجواب ان مجئ الشئ بغتة اى فجأة يكون على وجهين الاول ان يجئ مع شعور القوم بمجيئه والاستعداد له وانتفى عن شدائده الا انهم لايعرفون خصوص الوقت الذى يجئ فيه فهو فى اى وقت اتى يأتى بغتة والثانى انه يجئ والقوم غافلون عن اصل وقوعه مشتغلون بافعال من ينكر وقوعه رأسا غير مهيئين له بوجه ما والمراد باتيان الساعة بغتة ههنا اتيانها لحال غفلة القوم عنها وعدم استعدادهم لوقوعها فوجب تقييد اتيانها بغتة بمضمون الجملة الحالية احترازا عن اتيانها بغتة على الوجه الآخر (قوله يتعادون يومئذ) اشارة الى ان يومئذ معمول لقوله عدو وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه اى يوم اذ تأتيهم الساعة لما ذكر الله تعالى مجئ الساعة بغتة ذكر عقبه بعض ما يتعلق باحوال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الذين تكون الخلة الواقعة بينهم على الايمان والتقوى فان خلتهم لاتنقلب عداوة لانهم يشاهدون ثواب ما تحابوا وتعاونوا عليه من الطاعات فتزداد محبة كل واحد منهم لصاحبه فضلا عن ان تنقلب عداوة بخلاف العصاة (قوله حكاية لما ينادى به المتقون) يعنى لفظ العباد وان كان يطلق لكل من هو مملوك مخلوق لله تعالى الا ان المراد به المتقون خاصة بقرينة ذكره عقيب الاية السابقة مع ان عادة القرآن العظيم جارية على تخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المتقين وفى الآية تشريف عظيم لهم من وجوه الاول انه سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة والثانى انه تعالى وصفهم بعبوديته والتذلل لوجهه الكريم والانقطاع عما سواه وهو تشريف عظيم يدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده اضافه عليه الصلاة والسلام الى نفسه بالعبودية له فى حكاية تشريفه اياه ليلة المعراج والثالث انه تعالى نفى عنهم جنس الخوف والحزن حين يفزع الخلائق روى ان الناس حين يبعثون يفزع كل احد منهم فينادى مناد يا عبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم رافعين رؤسهم منتظرين روحا وكرامة من ربهم الكريم فيتبعها قوله الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة وقوله انتم اكد المرفوع المتصل فى قوله ادخلوا بالمنفصل ليصح عطف الاسم الصريح عليه وهو قوله وازواجكم وتحبرون فى موضع النصب على الحالية اى مسرورين يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره والحبار الاثر وقد احبر به اى ترك به اثرا (قوله او تزينون) من قوله حبرته حبرا اذا حسنته وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه ويقال فلان حسن الحبر والسبر وحسن الحبر والسبر بالكسر والفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة وقال الزجاج تحبرون اى تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل اى فى الوصف بالجميل ولما ذكر الجنة وانها موضع الحبور ذكر ما فيها من النعم فذكر اولا المطاعم بقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب فيها الاطعمة ثم ذكر المشارب بقوله واكواب فيها الاشربة ثم انه تعالى لما فصل ما فى الجنة بعض التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم ذكر تمام النعمة فقال وانتم فيها خالدون حذف العائد الى الموصول فى قوله ما تشتهى الانفس اى ما تشتهيه الانفس ومعناه ما تطلبه القلوب من شهواتها وتلذ الاعين اى تستلذه بنظرها وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة فى القلوب واما مستلذة فى العيون (قوله تعالى وتلك) مبتدأ وقوله الجنة خبره والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة لتلك والتى اورثتموها خبر المبتدأ او التى اورثتموها صفة بعد صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء متعلقة بمحذوف اى مستحقة به وفى الوجه الاول تتعلق الباء بمحذوف (قوله لانه يخلفه عليه العامل) اى لان الشأن ان العامل يخلف العمل بعد ذهابه ويستولى عليه ما ينسب الى ذلك العمل من اجزاء كما يخلف الوارث المورث ويستولى على ما ينسب اليه من امواله واملاكه بعد موته فكان العمل كالمورث والعامل كالوارث وجزاء العمل كالميراث فلما شبه الجزاء بالميراث استعير له اسم الميراث ثم اشتق منه اورثتموها استعارة تبعية (قوله ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم) يعنى انه تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم الى العرب اولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا فى ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهذا السبب كرر ذكر التنعم بها تكميلا لرغباتهم فى الجنة وما يؤدى اليها من الاعمال الصالحة وتقوية لدواعيهم (قوله بعضها تأكلون) يعنى ان كلمة من فى قوله منها تأكلون للتبعيض جئ بها للدلالة على كثرة ثمار الجنة وبقاء اعقابها فى شجرها بعد الاخذ فان اشجار الجنة مزينة بالثمار ابدا لايرى فيها شجرة عارية من ثمرها كما فى الدنيا فان اى ثمرة من ثمار الجنة تؤخذ نبت مكانها مثلها او اكثر ثم انه تعالى لما ذكر وعده فى حق المتقين اردفه بذكر وعيد المجرمين فقال ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون واحتجت المعتزلة

بهذه الاية على القطع بخلود الفساق فى النار فقالوا لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب ان يكون كل واحد
من الفريقين يخلد فى عذاب جهنم لقوله لا يفتر عنهم وقوله وهم فيه مبلسون وخالدون والمصنف اشار الى الجواب
بان حمل المجرمين على الكافرين الكاملين فى الاجرام وعلله بانه تعالى جعل المجرمين قسيم المؤمنين بالآيات حال
كونهم مخلصين فكل من آمن بالاخلاص يدخل تحت قوله تعالى ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاانتم
تحزنون والفاسق من اهل الصلاة قد آمن بالله وآياته واسلم اى اخلص فى ايمانه فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد
وان يخرج من هذا الوعيد وهو يستلزم ان يكون المراد بالمجرمين الكفار وان يكون الوعيد المذكور مختصا بهم
ويدل عليه ايضا انه تعالى حكى عنهم ما يختص بالكفار وهو الكراهة للحق وقد حكاها الله تعالى عنهم بعد هذه الآية
بقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والكراهة للحق مختصة بالكفار لان المراد بالحق اما الاسلام واما
الرسول واما القرآن والمسلم لايكره شيأ من ذلك فثبت ماقبل الآية ومابعدها يدلان على ان المراد بالمجرمين الكفار
(قوله آيسون من النجاة) الجوهرى ابلس من رحمة الله اى يئس ومنه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل والابلاس
ايضا الانكسار والحزن يقال ابلس فلان اذا سكت غما فالمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من الفرج (قوله
وهم فصل) عند البصريين وفائدته ان يفرق بين الخبر والصفة فانك اذا قلت زيد القائم ربما يتوهم السامع كون
القائم صفة لزيد فينتظر الخبر فلما جئت بصيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر تعين كون مابعدها خبرا لاصفة
لان الضمير لايوصف ولايوصف به والكوفيون يسمونها عمادا لكونها حافظة لما بعدها من ان تسقط عن الخبرية
كعماد البيت فانه يحفظ سقف البيت عن السقوط (قوله مكسورا اومضموما) وجه الكسر جعل المحذوف
لاجل الترخيم فى حكم الثابت كما ذهب اليه الاكثرون ومن جعل الباقى بعد الترخيم اسما برأسه يقول يامال بضم
اللام لكونه منادى مفردا معرفة (قوله والمعنى سل ربنا) يعنى ان طلب القضاء وان كان متوجها اليه تعالى
ظاهرا الا ان المطلوب من حيث المعنى ان يسأل مالك خازن النار منه تعالى ان يميتهم فيستريحوا مما هم فيه من
العذاب والا لكان نداء مالك ضائعا خاليا عن الفائدة روى انه يلقى على اهل النار الجوع بحيث يعدل ماهم فيه
من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك قيل فيسكت عنهم مالك ولا يجيبهم اربعين سنة
وقيل لايجيبهم مائة سنة وقيل الف سنة ثم يجيبهم ويقول انكم ماكثون مقيمون فى العذاب ويحتمل ان يكون المجيب
هو الله تعالى كما قال وهو تمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله يعنى ان قوله لقد جئناكم بالحق كلام الله
تعالى بدليل قرآءة من قرأ لقد جئتكم بالحق فان كان ماقبله مقولا له تعالى يكون هو من تمة الجواب من حيث انه
كالعلة للجواب بقوله انكم ماكثون وان كان ماقبله مقولا لمالك يكون هو جوابا منه تعالى بعد تمام جواب مالك
(قوله ولكن اكثركم) اى كلكم لان الكفرة كلهم كارهون للحق اما طبعا واما تقليدا (قوله وهو لاينافى ابلاسهم)
جواب عما يقال قد وصفهم الله تعالى آنفا باليأس من النجاة فكيف يطمعونها وينادون مالكا بذلك وتقرير الجواب
ان النداء المذكور انما ينافى وصفهم باليأس ان لو كان طلب الاماتة على وجه الترجى وليس كذلك بل هو على
وجه التمنى وقيل لايبعد ان يقال انهم لشدة ماهم فيه من العذاب نسوا قضية ان لاخلاص لهم من ذلك العقاب
فطلبوه على سبيل الطمع والرجاء ثم انه تعالى لما ذكر كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم
فى الدنيا فقال ام ابرموا امرا فانا مبرمون فام فيه منقطعة اضرب عن ذكر كيفية عذابهم فى الآخرة الى ذكر
حالهم فى الدنيا والابرام احكام الامر واتقانه اى بل احكموا امرا فى تكذيب الحق ورده او فى المكر برسول الله صلى
الله عليه وسلم قال مقاتل نزلت فى تدبير كفار مكة فى المكر به عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك (قوله والعدول عن الخطاب) يعنى انه تعالى خاطب كفار قريش حال نسبة كراهة
الحق اليهم واخبر عنهم بطريق الغيبة حال نسبة ابرام المكر اليهم للاشعار بان الثانى اقبح من الاول لان الالتفات
الى الغيبة فى مقام المخاطبة يكون لتحقير المخاطب واسقاطه عن صلاحية المخاطبة معه فلما اوثرت هذه الطريقة
فى نسبة الابرام اليهم اشعر ذلك بكونه اسوأ من كراهتهم (قوله اوام احكم المشركون) عطف على قوله ام ابرموا
فى تكذيب الحق فاعل ابرموا على الاول الكفار الذين عبر عنهم بقوله تعالى ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون علل
مكثهم وخلودهم فى النار اولا بكراهتهم للحق ثم اضرب عنه الى الاخبار بانهم لم يقتصروا على كراهة الحق بل ابرموا
امرا فى تكذيبه ورده كانه قيل ارم هؤلاء الذين هم للحق كارهون امرا يقدرون انهم يكيدون به الحق ويبطلونه

(ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار
لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات وحكى عنهم
مايخص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبر
ان او خالدون خبر والظرف متعلق به (لايفتر عنهم)
لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا
والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون)
آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا
يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا
ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لايستطيعون
تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا
(ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا ان يقضى
علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لاينافى ابلاسهم
فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة (قال انكم
ماكثون) لاخلاص لكم بموت ولاغيره (لقد
جئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب
ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى
تولى جوابهم بعد جواب مالك (ولكن اكثركم
للحق كارهون) لما فى اتباعه من اتعاب النفس
وادآب الجوارح (ام ابرموا امرا) فى تكذيب
الحق ورده ولم يقتصروا على كراهيته (فانا
مبرمون) امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب
للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم اوام احكم
المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون
كيدنا بهم ويؤيده قوله

(ام يحسبون انا لانسمع سرهم) حديث نفسهم بذلك (ونجواهم) تناجيهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمون لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين) منكم فان النبي يكون اعلم بالله و بما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم مايوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت مما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فالظنك بمبدعها وخالقها (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) اى القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة

بالجدل فانا مبرمون امرا في ابطال كيدهم باظهار الحق واثابة من اتبعه وتعذيب من خالفه (قوله تناجيهم) اى التكلم فيما بينهم على وجه المسارة وترك المجاهرة والسر ما حدث به نفسه ولم يكلم به غيره لاسرا ولا جهرا ثم انه تعالى اوجب النفي المذكور فقال بلى اى بلى نسمعهما و يطلع عليهما ومع ذلك فالحفظة ملازمون يكتبون ذلك لما قال بعض المشركين الملائكة بنات الله نزل قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين تبكيتا لهم حيث ادعى الملازمة بين كينونة الولد له تعالى وكونه عليه الصلاة والسلام اول العابدين له اى ان كان ذلك وصح وثبت ببرهان صحيح فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه ومن المعلوم ان اللازم منتف فانه عليه الصلاة والسلام اشد الناس نفرة من ان يعظم احدا على زعم انه ولد الله تعالى فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم (قوله فان النبي يكون اعلم بالله الخ) اثبات وتعليل للملازمة المذكورة (قوله ولا يلزم من ذلك) اى من تعليق كونه عليه الصلاة والسلام اول العابدين لذلك الولد كينونة الولد واتى بكلمة ان التي حقها ان تستعمل في حق تعليق المحتمل بالمحتمل لكون كل واحد من كينونة الولد وعبادته له عليه الصلاة والسلام من الامور المحتملة الوقوع لان صدق الشرطية لا يستلزم صدق المقدم ولا كونه من الامور المحتملة اذ المحال قد يستلزم محالا آخر كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكذا كينونة الولد له تعالى مما يستحيل في نفسه مع انه يستلزم ان يكون عليه الصلاة والسلام اول من يعبده من قريش ففرض وقوعها وحكم بكونها مستلزمة لمحال آخر تبكيتا لمن زعم وقوعها وافحاما له (قوله بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه) فان الشرطية المذكورة تدل على نفي كل واحد من كينونة الولد له تعالى ومن عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك الولد اما دلالتها على نفي الولد فمن حيث انها مستلزمة لعبادته عليه الصلاة والسلام له ومن المعلوم ان هذا اللازم منتف فعلم من انتفائه انتفاء الملزوم وهو كينونة الولد له تعالى فثبت به ان الشرطية قد دلت على نفي الولد بواسطة ان يضم اليها استثناء نقيض التالي فان استثناءه ينتج نقيض المقدم واما دلالتها على نفي عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك الولد المفروض كينونته فمن حيث ان تلك العبادة قد علقت بالمحال وجعلت مسببة عنه ومن المعلوم ان الموقوف على المحال محال (قوله والدلالة) معطوف على قوله نفيهما اى بل المراد نفيهما والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد بل مبني على النظر والاستدلال حيث استدل على نفيه بانه لو كان له ولد لكان هو عليه الصلاة والسلام اولى الناس بتعظيمه والاعتراف به بناء على استحالة ان يكون الاعرف بالله تعالى و بما يصح له وما لا يصح والاولى بتعظيم مايوجب تعظيمه تاركا له شديد النفرة عنه (قوله وقيل) اى وقيل ليس المعنى ان كان للرحمن ولد وثبت ذلك ببرهان قاطع وحجة واضحة فانا اول من يعظمه تعظيما لله تعالى بل المعنى ان زعمتم ان له تعالى ولدا فانا اول من كذبكم وخالفكم في زعمكم الباطل ووحد الله وخصص العبادة به تعالى او فانا اول من انف منه ومن عبادته على ان يكون العابد من العبد بمعنى الغضب يقال عبد يعبد عبدا فهو عابد وعبد اذا انف وغضب وفي الصحاح العبد بالتحريك الغضب والانف يقال عبد اى انف قال ابو عمرو وقوله فانا اول العابدين من الانف والغضب والمعنى ان كان للرحمن ولد كما تزعمون فانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقيل ان نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد ولم يرض بالقولين الاولين لانه ليس لزعمهم ذلك مدخل في كونه عليه الصلاة والسلام اول العابدين لله تعالى الموحدين له ولا في كونه عليه الصلاة والسلام اول الآنفين منه فانه عليه الصلاة والسلام سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوا عابد لله تعالى موحد له وانف من اثبات الولد له فلم يكن للتعليق وجه وفائدة وكذا لا وجه لكون ان نافية بمعنى ما كان لان الاخبار بقوله فانا اول العابدين بالفاء السببية الواقعة بعد كلمة ان يستدعي ان يكون ما بعد الفاء مرتبا على ما قبلها بان تكون للشرط والجزاء فجعل ان في مثل هذا الموضع نافية خلاف الظاهر (قوله وهو دلالة) اى قوله تعالى فذرهم يخوضوا دليل على ان قولهم الملائكة بنات الله وان لله ولدا على ما روى ان النضر بن عبد الدار قال ان الملائكة بنات الله فنزلت جهل باطل وقوله تعالى و يلعبوا دليل على ان ذلك القول اتباع هوى وقوله تعالى حتى يلاقوا الخ دليل على انهم مطبوع على قلوبهم والمعنى قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما قالوا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في اتباع الهوى وحب الرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى يوم الجزاء فانهم ان لم يهتدوا بدعوتك وتبليغك فقد حصل به الزام الحجة وازالة المعذرة فلا فائدة بعد في تكرار الدعوة والاستمرار فلم يبق الا تخليتهم وشأنهم

(قوله والظرف متعلق به) يعني ان في السماء متعلق بقوله اله لانه فعال بمعنى مفعول من قولهم اله بفتح اللام الاهة اى عبد عبادة وفعال بمعنى مفعول كثير نحو كتاب وامام وقولنا الله اصله الاه فلما ادخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرة دورانه في الكلام فمن قرأ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله جعل الظرف متعلقا بقوله الله لان اصله اله والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق فهو في الاصل بمعنى المعبود و باعتبار الغلبة متضمن معناه وعلى التقديرين يصلح عاملا في الظرف (قوله والراجع مبتدأ محذوف) لما ورد ان يقال صلة الذي لابد ان تكون جملة وليس في الآية سوى قوله في السماء اله فان جعلت قوله في السماء متعلقا باله ولم تقدر شيأ لم تنعقد جملة وان جعلت اله مبتدأ وفي السماء خبره تنعقد جملة لكنها تكون خالية عن العائد وتكون مثل قولك هو الذي في الدار زيد فاوجه تصحيح الكلام اجاب عنه بان تقدير الكلام وهو الذي هو في السماء اله حذف المبتدأ بدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد الى الموصول وحذف العائد الى الموصول لطول الصلة بمعمول الخبر فان في السماء متعلق باله وزاد الكلام طولا اذ المعطوف داخل في حيز الصلة (قوله ولا يجوز جعله) اى لا يجوز جعل الظرف الذي حكم عليه بانه متعلق بالخبر خبرا لقوله اله لان الجملة حينئذ تبقى بلا عائد لكن لو جعل الظرف المذكور صلة للموصول وجعل اله خبر مبتدأ محذوف لجاز لان الظرف لاشتماله على العائد يصلح صلة وحينئذ تكون جملة هو اله بيان ان كونه تعالى فيهما انما هو بالالوهية والربوبية دون الاستقرار (قوله وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية) وذلك لان الموصول مع صلته وقع خبرا لقوله وهو ومثل هذا التركيب يفيد الحصر لما تقرر من ان الخبر المعرف تعريف الجنس قد يفيد حصر الجنس في المبتدأ نحو عمر الشجاع اى الكامل في الشجاعة كانه لا اعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال (قوله كالدليل عليه) لان قوله وهو الحكيم العليم لما دل على اختصاص الالوهية به تعالى ايضا لان اختصاص لوازم الالوهية يستلزم اختصاص نفس الالوهية به فثبت به بطلان قول من قال الملائكة الكائنون في السماء بناته والمسيح الكائن في الارض ابنه (قوله وقرأ نافع وابن عامر الخ) اختار قرآءة ابن كثير وحمزة والكسائي فانهم قرأوا يرجعون بالياء من تحت ليوافق ماقبله فانه عبر عنهم بلفظ الغيبة من قوله ام ابرموا امرا الى هنا والباقون بالتاء من فوق وهو في كليهما على بناء المفعول وقرئ بتاء الخطاب على بناء الفاعل ايضا وتبارك يحتمل ان يكون مشتقا من البركة بمعنى الثبات والبقاء او من البركة بمعنى كثرة الخير مثل كونه خالقا للسموات والارض ومابينهما فان من اختص به ملك السموات والارض ومابينهما يكون واجب الوجود لذاته ثابتا باقيا ازلا وابدا و يكون كثير الخير ايضا وعلى التقديرين يكون منزها عن ان يتخذ ولدا لان الولد لابد ان يكون من جنس الوالد ولا شئ في الموجودات من هذا شأنه الا الله الواحد القهار ثم انه تعالى لما اطنب في نفي الولد عنه تعالى اردفه بذكر ان لا شفاعة لمعبودهم عند الله فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ثم استثنى منهم عيسى وعزيرا والملائكة عليهم الصلاة والسلام فقال الا من شهد بالحق فانهم عبدوا من دون الله ولهم عند الله شفاعة ومنزلة ومعنى قوله شهد بالحق اى بانه لا اله الا الله وحده وهم يعلمون بقلوبهم ماشهدوا به بألسنتهم وفيه دليل على انه لا يتحقق ايمان ولا شهادة حتى يكون ذلك عن علم بالقلب لانه تعالى شرط مع الشهادة العلم وقيل معنى الاية لا يملك الشفعاء ان يشفعوا الا لمن شهد بالحق وهو المؤمن المخلص فحذف اللام واوصل الفعل او الا شفاعة من شهد بالحق فحذف المضاف (قوله ونصبه) قرآءة حمزة وعاصم بكسر اللام والباقون بفتحها وذكر المصنف لنصبه ثلاثة اوجه الاول العطف على سرهم اى يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم وقول محمد عليه افضل الصلاة والسلام شاكيا منهم والثاني العطف على محل الساعة فانها مفعول المصدر اضيف اليه كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا والثالث كونه مفعولا مطلقا لفعله المضمر اى وقال قيله وشكا شكواه الى ربه والقال والقيل والقول بمعنى واحد ثم قيل الفعل المضمر معطوف على قولنا المضمر قبل قوله ولئن سألتهم اى قلنا له عليه افضل الصلاة والسلام ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقال قولا آيسا من ايمانهم وهو قوله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فعلى هذا يكون تقدير قوله فاصفح عنهم فقلنا له اصفح عنهم اى لما كان آيسا من ايمانهم امرناه بالمتاركة والاعراض الكلى (قوله بتقدير مضاف) اى وعنده علم الساعة وعلم قيله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه (قوله وقيل هو قسم منصوب بحذف حرف القسم) وايصال الفعل اليه محذوفا كما في قولك الله لافعلن او مجرور باضماره

(وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذي له ملك السموات والارض ومابينهما) كالهواء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها (واليه يرجعون) للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين او المعبودين (ليقولن الله) لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره (فانى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمي وان هؤلاء جوابه

كما فى قولك الله لافعلن كأنه قيل واقسم قيله او بقيله والواو فيه لعطف الجملة القسمية على الجملة الشرطية وهى قوله لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله او مرفوع على انه من قبيل قولك لعمرك لافعلن فان تقديره لعمرك قسمى لافعلن وكذا تقدير الاية وقيله يارب قسمى واقسام الله تعالى بقيله رفع منه تعالى وتعظيم لدعائه والتجائه وجواب القسم على الاوجه الثلاثة قوله ان هؤلاء قوم لايؤمنون ويجوز ان يكون الجواب محذوفا مثل لينصرن اولافعلن بهم ما اريد (قوله تسلم منكم ومتاركة) يريد انه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بان يجيبهم ويسلم عليهم بل امر بالمتاركة اى اذا ابيتم القبول فامرى التسلم منكم والمتاركة (قوله على انه من المأمور) اى على ان قوله فسوف تعلمون من الذى امر بان يقوله لهم • تم هذا ما يتعلق بسورة الزخرف والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لانبى بعده وعلى آله وصحبه اجمعين

سورة الدخان ست اوسبع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله والقرءآن) لم يفسر الكتاب المبين بجنس الكتب السماوية ولا باللوح المحفوظ لان ضمير انزلناه يرجع الى الكتاب وهذا الحكم مختص بالقرءآن من بين الكتب فيكون الكلام من قبيل قوله * وثناياك انها اغريض * فى كونه من بدآئع الاقسام من حيث كون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد وذلك لان المقصود من المقسم عليه وهو قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة تعظيم القرءآن بانه كثير البركة حتى جعل الليلة التى انزل فيها مباركة بنزوله فيها فلما اكده بجعل القرءآن مقسما به فقد اثبت عظمته بعظمته فكانا من واد واحد (قوله ان كان حم مقسما بها) فيكون حم مجرور المحل باضمار حرف القسم ولا يجوز ان يكون منصوب المحل بحذف الجار وايصال الفعل اليه لانهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار واضماره ان المضمر لايكون مذكورا لفظا ويكون اثره باقيا فى الكلام والمحذوف هو المتروك اصلا لابقاء له بحسب لفظه ولا بحسب اثره وههنا اثر الجار قائم فى حم بشهادة جر المعطوف عليه وهو الكتاب (قوله والا فالقسم) اى وان لم يكن حم مقسما بها سوآء جعلت تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوع المحل على انها خبر مبتدأ محذوف او نحو ذلك يكون واو والكتاب المبين للقسم ووصف الكتاب بالمبين لكونه مشتملا على بيان ما بالناس حاجة اليه فى دينهم ودنياهم وهو من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان المبين فى الحقيقة هو الله تعالى (قوله فى ليلة القدر او البرآءة) وهى ليلة النصف من شعبان سميت ليلة البرآءة والصك لان الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البرآءة فى هذه الليلة كما ان من يجبى الخراج اذا استوفى الخراج من اهله يكتب لهم البرآءة وذهب الاكثرون الى ان ليلة القدر تكون فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرءآن فعلم منهما ان ليلة القدر من ليالى شهر رمضان وروى ابو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان واطلبوها فى كل وتر واكثرهم على انها السابعة والعشرون منه واختلف المفسرون فى هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البرآءة واحتج الاولون بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه فى ليلة القدر وقال ههنا انا انزلناه فى ليلة مباركة فلو لم يكن المراد بالليلتين واحدا لزم التناقض والثانى انه تعالى قال شهر رمضان الذى انزل فيه القرءآن فوجب ان تكون الليلة المباركة من ليالى رمضان لامن ليالى شعبان ولانه تعالى وصف الليل المباركة بقوله فيها يفرق كل امر حكيم وقال فى ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحياة وموت وقيل بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامره وقال ههنا رحمة من ربك وقال فى تلك الاية سلام هى واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هى الاخرى واحتج الاخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء منها الليلة المباركة وليلة البرآءة وليلة الصك وليلة الرحمة وبما روى انها مختصة بخمس خصال منها ما قاله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فظهر بهذين الوجهين ان الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان (قوله ابتدئ فيها انزاله) جواب عما يقال ما معنى انزال القرءآن فى هذه الليلة مع انه تعالى انزله فى جميع الشهور ولياليها وايامها وروى ان عطية الحرورى سأل ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وقوله انا انزلناه فى ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع انه تعالى انزل القرءآن فى جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع

(فاصفح عنهم) فأعرض عن دعواهم آيسا من ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيامة يا عبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم والكتاب المبين) والقرءآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فالقسم والجواب قوله (انا انزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر او البرآءة ابتدئ فيها انزاله

هذاقى نفسك ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرءآن جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور فى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك فى انواع الوقائع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل الله القرءآن فى ليلة القدر من ام الكتاب الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى عشرين سنة (قوله وبركتها لذلك) اى لالذاتها الان اجزآء الزمان متشابهة بحسب ذواتها فان الزمان عبارة عن مدة ممتدة تقدرها حركات الافلاك والكواكب وانه فى ذاته امر واحد متشابه الاجزآء فلايكون بعض اجزآئه افضل من البعض الآخر لذاته والالزم ترجح احد طرفى الممكن على الاخر لالمرجح وانه محال فوجب ان يكون امتياز الليلة المباركة عن سائر اجزآء الزمان بمزيد القدر والشرف بسبب انه حصل فيها امر شريف له قدر عظيم بارادة الفاعل المختار فانه لايبعد عن الفاعل المختار ان يخصص وقتا معينا بامر شريف ويميزه بذلك عن سائر الاوقات التى قبله وبعده ومن المعلوم ان امر الدين اعز واشرف من امر الدنيا وان اعظم الاشياء قدرا من بين امور الدين هو القرءآن لانه ثبت به نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل فلما خص الله تعالى تلك الليلة بانزاله فيها كانت لذلك كثيرة الخير والبركة ولو لم يكن فيها الا انزال القرءآن الذى فيه خير الدين والدنيا لكفى ذلك بركة وشرفا لها مع ان لها شرفا وقدرا عظيما من وجوه اخر كنزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعم والارزاق وفصل الاقضية روى ان الملائكة تنزل الى الدنيا ليلة القدر ومعهم جبريل بالرحمة من الله تعالى والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله تعالى وروى عنه عليه الصلاة والسلام من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه والعمل فيها بطاعة الله افضل من العمل فى الف شهر ليس فيه ليلة القدر اى من العمل فى ثلاث وثمانين سنة واربعة اشهر وليلة القدر سميت بذلك لكونها ليلة تقدير الاعمال والارزاق والآجال ومعنى تقديرها اظهار مقاديرها واثباتها فى النسخ ودفعها الى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرآئيل وقيل سميت بذلك لكونها الليلة العظمة وهى ليلة جليلة القدر عظيمة الامر فهى خير من الف شهر قال ابن عباس تقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان وتسلم الى اربابها من الملائكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وقيل يبدأ فى ليلة البرآءة باستنساخ الامور من اللوح المحفوظ وكتب الكتب بارزاق العباد وآجالهم وجميع الامور المحكمة الواقعة فى تلك الليلة الى مثلها من السنة القابلة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قيل ليلة البرآءة مختصة بخمس خصال الاولى تفريق كل امر عظيم والثانية فضيلة العبادة فيها روى انه عليه افضل الصلاة والسلام قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان والثالثة نزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يرحم امتى فى هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب والرابعة حصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن اوساحر اومشاحن اومدمن خمر اوعاق لوالديه اومصر على الزنى والخامسة انه تعالى اعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه عليه الصلاة والسلام سال ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة فى امته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلث ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله تعالى فى هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة (قوله استئناف يتبين فيه المقتضى للانزال) اى ان قوله تعالى انا كنا منذرين يتبين به مقتضى اصل الانزال وقوله فيها يفرق كل امر حكيم يتبين به مايقتضى اختصاص ذلك الانزال بليلة مباركة فان جواب القسم وهو قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة يتضمن معنيين الاول انزال القرءآن والثانى وقوع ذلك الانزال فى الليلة المباركة فعلل الاول بقوله انا كنا منذرين اى نخوف الخلق بالعذاب ردعا عن الكفر والمعصية وشوقا الى الايمان والطاعة وذلك يقتضى ارسال الرسول وانزال الكتاب وعلل الثانى بقوله فيها يفرق كل امر حكيم اى محكم متقن لايبدل ولايغير على ان الحكيم بمعنى المحكم كالبديع بمعنى المبدع اوكل امر ذى حكمة ملتبس بها بان يكون وقوعه على مقتضى الحكمة فان مابين وفصل فى تلك الليلة من الامور كالآجال والارزاق وغيرهما كائن لامحالة على وفق الحكمة البالغة ومقتضاها ولما كان انزال القرءآن الكريم من اجل الامور اختص انزاله بفرق

اوانزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرءآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية اولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يتبين فيه المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل امر حكيم) فان كونها مفرق الامور المحكمة اوالملتبسة بالحكمة استدعى ان ينزل فيها القرءآن الذى هو من عظائمها

الامور الحكمية والحكيم حقيقة فاعل الامر لانفسه فجعل الامر حكيما من قبيل الاسناد المجازى وقيل ينسخ من اللوح المحفوظ فى هذه الليلة ما يكون فى تلك السنة من ارزاق العباد واجالهم وجميع احوالهم من الخير والشر حتى حج الحاج فيكتب فلان يحج وفلان لايحج حتى ما يكون فى تلك السنة من الخصب والرخاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال انك لتلقى الرجل يمشى فى الاسواق وقد وقع اسمه فى الموتى وعنه عليه الصلاة والسلام قال منقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح و يولد له ولقد اجرى اسمه فى الموتى (قوله وقرئ يفرق بالتشديد) لكثرة المفرقات و يفرق على بناء الفاعل ونفرق بنون العظمة ونصب كل امر فى كل واحدة من قراءة يفرق بالياء ونفرق بالنون والفاعل فيهما هو الله تعالى (قوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا) اشارة الى ان قوله امرا منصوب على الاختصاص اى على المدح بتقدير اعنى وان قوله من عندنا متعلق بمحذوف هو صفة امرا اى اعنى امرا حاصلا من عندنا وكائنا من لدنا وصف به الامر زيادة على تفخيم الامر وتعظيمه فخمه اولا بان وصفه بقوله حكيم ثم زاد فى تفخيمه بان نكره ونصبه على الاختصاص ووصفه بقوله من عندنا واشار الى وجوه زيادة الفخامة بقوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا (قوله لانه موصوف) تعليل لجواز كونه حالا من امر وهو نكرة ولاينتصب الحال من النكرة المخصصة الا مقدما عليها وليس تعليلا لكونه حالا من ضمير حكيم لانه معرفة ويرد على كونه حالا من امر انه يلزم مجئ الحال من المضاف اليه فى غير المواضع المذكورة (قوله وان يراد به مقابل النهى) عطف على ما يفهم من الوجوه المتقدمة فانها مبنية على كون الامر بمعنى الشان واحد الامور وذلك لانه لاخفاء فى ان الامر فى قوله كل امر حكيم بمعنى الشان وان المعنى كل شان ذى حكمة اى مفعول على ما تقتضيه الحكمة فيكون الامر فى قوله امرا من عندنا بمعنى الشان ايضا ان نصب بتقدير اعنى اوعلى ان يكون حالا من امر اوضميره لانه حينئذ يكون عبارة عن الامر الحكيم المذكور اولا فذكر احتمال ان يكون منصوبا بتقدير اعنى اوعلى الحالية من امر اوضميره فى قوة ذكر انه بمعنى الشان ايضا لان ذكر الملزوم فى قوة ذكر اللازم فلذلك عطف عليه قوله وان يكون المراد به مقابل النهى ثم بين ان انتصابه على تقدير ان يكون المراد به ما يقابل النهى اما على انه مفعول مطلق ليفرق اولفعله المضمر اوعلى انه حال من احد الضميرين وكونه مصدرا ليفرق اما مبنى على ان المعنى فيها يفرق كل شان حكيم فرقا او يؤمر بكل ذلك امرا من عندنا وذلك لان معنى قوله فيها يفرق كل امر حكيم ان كل ذلك يؤخذ و يفصل ويستنسخ من اللوح المحفوظ وهو بمعنى فيها يؤمر بكل شان ذى حكمة لانه تعالى اذا قضى بالشئ وقدره اى ظهر قدره واثبته فى نسخ الملائكة فقد اوجد كما اذا امر به فيكون فرقا وامرا بمعنى واحد فلذلك صح ان يوضع امرا موضع فرقا وان يوضع يفرق موضع يؤمر والمصنف اشار الى كونهما بمعنى واحد بقوله من حيث ان الفرق به اى من حيث ان فرق الشان الحكيم من اللوح و ثباته فى نسخ الملائكة يكون بايجابه والامر به فيكونان بمعنى واحد وان كان حالا من فاعل انزلناه اومفعوله يكون المعنى على الاول آمرين وعلى الثانى مأمورا وعلى التقديرين لايكون من عندنا صفة لامرا بل يكون متعلقا بيفرق او يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لامر اى آمرين امرا كائنا من عندنا (قوله اى انا انزلنا القرءآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب) ولما كان المبدل منه وهو قوله انا كنا منذرين استئنافا قصد به تعليل الانزال كان المقصود بالبدل ايضا ذلك ولم يتعرض للمبدل منه اشعارا بكونه فى حكم الساقط وان المقصود هو المبدل وزاد قوله بالكتب ليصح كونه تعليلا للانزال (قوله لاجل الرحمة عليهم) اشارة الى ان انتصاب الرحمة على انها مفعول له للارسال ولو جعل انتصابها على انها مفعول به لقوله مرسلين لكان له وجه غايته ان تجعل الرسل انفسهم رحمة للمبالغة الا ان المصنف لم يلتفت اليه لان المبدل منه لما لم يعتبر فيه تعلق الفعل بالمفعول به بل كان معناه انا كنا فاعلين الانذار كان المناسب ان لايعتبر تعلق الفعل به فى البدل ايضا و يكون معناه انا كنا فاعلين الارسال ليتطابق البدل والمبدل منه فى ان كل واحد منهما منزل منزلة اللازم (قوله اوعلة ليفرق اوامرا) عطف على قوله بدل اى ويحتمل ان يكون قوله انا كنا مرسلين استئنافا لبيان علة فرق كل شان حكيم من اللوح اى لبيان علة الامر به فقوله اوامرا معناه اوللفعل الناصب لقوله امرا على المصدر بدا اوالحالية والمعنى امرنا بكل شان حكيم امرا اوانزلنا القرءآن آمرين لان شأننا ارسال الرحمة وعدم امساكها وكون شانه تعالى ذلك يصلح علة لفصل الامور المحكمة ولامره بها لان كل واحد منهما من باب الرحمة اما الاول فظاهر واما الثانى فلأن المقصود الاصلى من تكليف العباد تعريضهم

ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد و يفرق كل اى يفرقه الله ونفرق بالنون (امرا من عندنا) اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر و يجوز ان يكون حالا من كل اوامر اوضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق اولفعله مضمرا من حيث ان الفرق به اوحالا من احد ضميرى انزلناه بمعنى آمرين اومأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرءآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق اوامرا اورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر اوتصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لاتحق الا لمن هذه صفاته

للمنافع والرحمة لهم وهذه صفاته لان توسيط ضمير الفصل مع تعريف الخبر من جملة طرق الحصر فيفيد تعريضا بان آلهتهم لاتسمع ولاتبصر وليس لهم مدخل فى تربية شئ من الكائنات العلوية والسفلية فمن انتفى عنه لوازم الربوبية بالكلية كيف يكون ربا (قوله خبرآخر) فان غير الكوفيين قرأ وارب السموات بالرفع على انه خبر بعد خبر وعلى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات او على انه مبتدأ ولااله الاهو خبره (قوله اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم الخ) يعنى يجوز ان يكون قوله موقنين منزلا منزلة اللازم ولا يعتبر تعلقه بمفعوله الغير الصريح وان يكون بمعنى موقنين فى اقراركم بان خالق هذه الاجرام هو الله تعالى بان يعتبر تعلقه بمفعوله ولكن حذف ذلك المفعول لدلالة المقام عليه وقوله علمتم ان الامر كما قلنا اشارة الى ان جواب الشرط محذوف مدلول عليه بماذكر قبل الشرط وليس الجواب نفس ماذكر قبل الشرط على رأى الكوفيين ولامضمونه المقدر بعده على رأى البصريين لان كونه تعالى رب السموات والارض ومابينهما امر محقق على جميع التقادير وليس تحققه موقوفا على بعض التقادير والاعتبارات حتى يصح تعليقه بكونهم موقنين فلم يجز ان يجعل كونه تعالى ربا بالماذكر فى نفس الامر معلقا وموقوفا على كونهم موقنين جعل المعلق على ذلك علمهم بماذكر قبل الشرط اما العلم الواقع قبل ذكر الشرط بذا او العلم المطلق بذكرها الا ان الايقان على الثانى يكون مجازا عن الارادة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب اى ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا كونه رب السموات والارض ومابينهما او كونه واحدا لاشريك له على ان يكون الجواب المحذوف مادل عليه ماقبل الشرط اومابعده من قوله لااله الاهو (قوله وقرئا بالجر) يعنى من قرأرب السموات بالجر على انه بدل من ربك وهم الكوفيون قرأهما بالجر ايضا على انهما بدلان او عطفا بيان لرب السموات ومن رفعه رفعهما ايضا على انهما بدلان او نعتان له او خبر بعد خبر لقوله انه او خبر مبتدأ مضمر (قوله رد لكونهم موقنين) الا انه انتقل فيه الى طريق الغيبة تحقيرا لهم واعراضا عنهم حين افرطوا فى العناد ولم يقبلوا رسول من يقرون انه خالق السموات والارض ومابينهما ولا كتابه ووجه انتظام الآيات من اول السورة الى هنا انه تعالى عظم كتابه المبين بان جعله مقسما به واكد به الاخبار بانه هو الذى تفرد بانزاله فى ليلة شريفة كثيرة الخير والبركة وعلل تخصيص تلك الليلة بالانزال بكونها مفرق الامور الحكمية الحاصلة من عنده تعالى وعلل نفس الانزال بان شأنه وعادته انذار المعاندين بالعذاب بان يرسل اليهم رسلا مؤيدين بالكتاب السماوى لاجل الرحمة عليهم واقتضاء الربوبية اياه ثم وصف ذاته المكرم باوصاف جليلة تحقيقا لربوبيته وارشادا الى ان الربوبية لاتحقق الالمن هذه اوصافه وسلك فى قوله ان كنتم موقنين وقوله ربكم ورب آبائكم سبيل الخطاب ايهاما لحميتهم وتوبيخا عليهم بان انزال هذا الكتاب وارسال هذا الرسول انما هو من قبل من تقرون به وتقولون انه خالق السموات والارض ومابينهما فمالكم لاتقبلونهما ولاتؤمنون بهما مع انكم تدعون انكم موقنون فى هذا القول والاقرار ومن ايقن به يلزمه ان يستيقن ان ملكوت كل شئ بيده وانه يرحم من اطاعه وينتقم ممن عصاه فمالكم لاتخافون عذابه لاصراركم على مخالفته وعصيانه ثم التفت من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم فى شك يلعبون تحقيرا لشأنهم وابعادا لهم عن موقف الخطاب لكون شأنهم التزلزل والامتراء وكون افعالهم الهزؤ واللعب لعدم التفاتهم الى البراهين القاطعة وعدم تمييزهم بين الحق والباطل والضار والنافع ولما بين ان شأنهم الحماقة والطغيان وعدم قبول الحق والانتفاع به التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له واقناطا من ايمانهم وبيانا لكونهم من اهل العذاب والخذلان لامن اهل الرحمة والغفران فقال فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قابل انزال الكتاب من السماء بانزال العذاب منها عليهم على ان قوله تعالى يوم تأتى السماء مفعول به لقوله ارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف اهل التفسير فى هذا الدخان فذهب ابن مسعود رضى الله عنه الى ان المراد به ما اصاب قريشا من القحط وشدة الجوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة وذلك انهم لما عاندوا وابوا عن متابعة الحق وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم ذلك بسبب دعائه عليه الصلاة والسلام والمصنف اختار هذا القول ثم اشار الى ان اطلاق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع اما كناية حيث اطلق اللازم واريد الملزوم او مجاز مرسل حيث اطلق المسبب واريد السبب فان شدة القحط والجوع مستلزمة وسبب لان يرى الهوآء مظلما كالدخان اما من ضعف البصر من شدة الجوع واما لتكدر الهوآء بسبب غلبة اليبس على الارض وكثرة ماتصاعد منها الى الهوآء من الغبار المكدر واما لان العرب يجعلون الدخان والظلمة استعارة للشر الغالب من حيث ان كل واحد منهما

(رب السموات والارض ومابينهما) خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لااله الاهو) اذلا خالق سواه (يحيى ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا (بل هم فى شك يلعبون) رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار

يمنع تمام الابصار والسماء لا تأتى بالقحط و المجاعة فاسناد اتيانهما اليها من قبيل اسناد الحكم الى سببه لانهما يحصلان بعدم امطار السماء (قوله او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة) عطف على قوله يوم شدة ومجاعة فعلى هذا يكون الدخان مستعملا فى معناه الحقيقى وهو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار مع الدخان وليس فيه فرجة يخرج منها الدخان (قوله يخرج من قعر عدن ابين) فى الصحاح ابين اسم رجل نسب اليه عدن فقيل عدن ابين و يقال فلان ابين من فلان اى افصح منه (قوله او يوم القيامة) عطف على قوله يوم شدة ايضا اى ويحتمل ان يكون المراد بالدخان نفس يوم القيامة كما يحتمل ان يراد معناه الحقيقى واطلاق الدخان على يوم القيامة من قبيل اطلاق اللازم وارادة الملزوم وهو يوم القيامة فانه لشدة اهواله يظلم العين بحيث لا يرى الانسان فيه ايما توجه الا الظلمة مستولية عليه وكان الفضاء كله مملوء دخانا وانكر ابن مسعود رضى الله عنه ان يكون المراد بالدخان غير ما اصاب اهل مكة من شدة الجوع واحتج عليه بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فاذا حملناه على القحط الذى وقع بمكة استقام الكلام فانه روى ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من اصحابه وناشدوه الله والرحم وقالوا يا رسول الله استسق الله لنا فقد اصابنا شدة وواعدوه ان دعا لهم و كشف الله تعالى عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به فلما ازالها الله تعالى عنهم استمروا على شركهم ولم يؤمنوا واما اذا حملناه على ظهور علامة من علامات القيامة او على ظهور نفس القيامة فلا يصح ذلك لانه عند ظهور علامات القيامة او ظهور نفسها لا يمكنهم ان يقولوا ربنا كشف عنا العذاب انا مؤمنون ولا يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون لانه حينئذ ينقطع التكليف فلا يصح الايمان بعده فلا يبقى وجه لان يعدوا بالايمان على تقدير الكشف ويمكن ان يجاب عنه بان هذه العلامة لم لا يجوز ان تكون كسائر علامات القيامة فى انها لا توجب انقطاع التكليف ويصح الايمان بعد ظهورها (قوله مقدر بقول وقع حالا) يعنى ان قوله تعالى هذا عذاب اليم فى محل نصب على انه مقول قول مقدر اى يغشاهم قائلين هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب الآية فعند ذلك يقول الله تعالى كيف يتذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب والمعجزة وغيره وهو قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم ثم تولوا عنه (قوله ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط الخ) جواب عما احتج به ابن مسعود رضى الله عنه وتقريره ان مجرد ظهور ما هو من اشراط الساعة لا يوجب انقطاع التكليف وعدم اعتبار الايمان بعد ظهوره ولا يوجب ايضا دوامه وعدم انكشافه فلا يمتنع ان يغوث الكفار بالدعاء بان يقولوا يا ربنا اغثنا مما نحن فيه من غشيان الدخان ايانا فيكشفه الله تعالى عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون (قوله ومن فسره بما فى القيامة) جواب عنه ايضا وتقريره ان نفس القيامة لا تنكشف بعد ظهورها وان الايمان لا يعتبر بعد ظهورها واتيانها الا ان قولهم ربنا اكشف عنا العذاب ليس المراد بالعذاب كشف نفس القيامة وازالتها بل معناه تمنى ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا كما حكى عن امثالهم انهم يقولون او ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون مأول بالشرط والتقدير والمعنى ان رددناكم اليها تعودون الى ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب على اسلوب قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالكلام مبنى على الفرض والتقدير (قوله فان ان يحجزه عنه) اى يمنع قوله منتقمون عن ان يعمل فيما قبلها لاقتضائها صدر الكلام (قوله وقرئ نبطش) بضم النون وكسر الطاء من ابطشه اذا حمله على البطش ومكنه منه والبطش الاخذ بالشدة فقوله تعالى البطشة الكبرى على هذا يجوز ان ينتصب على انه مفعول به بجعلها باطشة بهم على الاسناد المجازى نحو جد جده او على انه مفعول مطلق لنبطش على حذف الزوائد نحو انبتكم من الارض نباتا ومفعول الابطاش محذوف للعلم به اى يوم نبطش الملائكة البطشة الكبرى ثم انه تعالى لما بين ان كفار مكة ليسوا موقنين بل هم فى شك يلعبون وامره عليه الصلاة والسلام بان ينتظر يوم تأتى السماء بشدة ومجاعة بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك ومن جملتهم قوم فرعون فقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بالامر والنهى بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة اى فى الشدة والبلاء فان حملت فى الآية على المعنى الاول يكون الاسناد فى قوله فتنا حقيقة عقلية لانه تعالى هو الذى اختبرهم بارسال موسى عليه الصلاة والسلام اليهم

او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من اين وكيف يتذكرون بهذه الحال (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط (قليلا) كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيامة اوله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة

فاختاروا الكفر على الايمان وعلى الثانى يكون مجازا عقليا من باب اسناد الفعل الى سببه لان المراد بالفتنة حينئذ ارتكاب المعاصى فانه تعالى كان سببا لارتكابهم اياها بان امهلهم ووسع رزقهم (قوله وقرئ بالتشديد) فيكون صيغة التفعيل فى فتنا اما للتأكيد او المبالغة فى الفتنة او لتكثيرها لكثرة متعلقها فان لكل فرد من القوم نصيبا من الفتنة فيكون ما للقوم كثيرا (قوله بان أدوهم الى) على ان تكون ان مصدرية ناصبة للمضارع وهى توصل بالامر نحو امرته ان قم اى بالقيام والمعنى جاءهم بان ادوا اى ملتبسا بهذا القول وعباد الله مفعول به طلب منهم ان يؤدوا اليه بنى اسرآئيل بدليل قوله فأرسل معى بنى اسرآئيل ثم ذكر احتمال ان يكون عباد الله منادى ويكون المفعول محذوفا اى أعطونى الطاعة وقبول الدعوة ياعباد الله وعطف عليه جواز ان تكون مخففة والمعنى وجاءهم بان الشأن والحديث ادوا الى عباد الله وقيل عليه وقوع الخبر فى هذا الباب طلبيا نادر وحمل الآية على النادر القليل بعيد ثم جوز ان تكون هى المفسرة لتقدم ماهو بمعنى القول لان الرسالة تتضمن القول (قوله بسلطان مبين) اى بحجة واضحة يعترف بها او يتذلل لها كل عاقل ففى ذكره فى مقابلة العلاء شان لايخفى كما فى ذكر الامين مع الاداء قيل انه عليه الصلاة والسلام لما قال وأن لاتعلوا على الله الآية توعدوه بالقتل فقال وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون اى تقتلونى بالحجارة قال قتادة وكان ذلك عادتهم فى القتل وعن ابن عباس قال ان تشتمونى باللسان (قوله وقرئت بالادغام) اى بادغام الذال فى التاء قيل هى قرآءة حمزة وابى عمرو والكسائى (قوله وان لم تؤمنوا لى) اى ان لم تصدقونى فيما بلغتكم عن الله تعالى اى لاجل ما أتيتكم به من السلطان المبين فاللام فى قوله لى لام الاجل (قوله بعد ما كذبوه) اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فدعا ربه للعطف على مقدر اى انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون سماه دعاء مع انه ليس بدعاء صريح لانه دعاء عليهم على سبيل التعريض كانه قيل انهم قوم تناهى امرهم فى الكفر والعصيان وانت اعلم بهم فافعل بهم مايستحقونه قرأ العامة ان هؤلاء بفتح ان على اضمار حرف الجر (قوله اى فقال أسر او قال ان كان الامر كذلك فأسر) ولما كان عطف قوله فاسر على قوله فدعا ربه من قبيل عطف الانشاء على الاخبار بحسب الظاهر ذكر له وجهين الاول ان يضمر القول بعد الفاء اى فقال الله تعالى اسر بعبادى ليلا والثانى ان يكون فاسر جواب شرط محذوف كانه قيل قال الله تعالى ان كان الامر كما تقول فاسر وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها على ان سرى واسرى لغتان بمعنى انه سار به ليلا (قوله مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا) يعنى ان الرهو مصدر اما من قولك رها بين رجليه يرهو رهوا اى فتح او من قولك رها البحر اى سكن يقال افعل ذلك رهوا اى راهيا ساكنا فقوله البحر رهوا من قبيل رجل عدل اى راهى ساكن او وصف البحر بالمصدر للمبالغة او بتقدير ذى رهو والفجوة الفرجة المتسعة بين الشيئين اى اتركه على حاله منفتحا متفرقا بين كل فرقين منه طريق متسع يابس وكان موسى عليه الصلاة والسلام امر بضرب البحر بعصاه حتى ينفلق طرقا وقام كل فرق فى الهوآء كالطود العظيم فلما عبر هو وبنو اسرآئيل سالما خاف ان يدخله القبط مع فرعون و يعبروا كما عبر هو واصحابه واراد ان يضرب به بعصاه فينطبق كما ضرب به اولا فانفلق فامر ان يتركه منفتحا ساكنا على حاله وهيئته من انتصاب الماء فى الهوآء وكون الطريق يبسا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه جميعا اطبقه الله تعالى عليهم فيغرقهم اجمعين قرأ العامة انهم مغرقون بكسر همزة ان على الاستئناف اخبر الله تعالى موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه فيترك البحر على حاله (قوله كثيرا تركوا) يعنى ان كم خبرية للتكثير منصوبة المحل بتركوا وفى الآية اختصار والمعنى ففعل موسى ما امر به من ترك البحر رهوا ودخله فرعون وقومه فانطبق البحر عليهم فاغرقوا اجمعين فبعد ذلك تركوا بساتين كثيرة وكذا وكذا والنعمة بكسر النون ما انعم به عليك وبفتحها التنعم وغضارة العيش (قوله مثل ذلك الاخراج) اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف منصوب بفعله المحذوف المدلول عليه بقوله انكم متبعون وقوله كم تركوا وقوله اورثنا لان كل واحد من الاتباع والترك والايراث انما يحصل بعد الاخراج فعلى هذا يكون قوله تعالى واورثنا معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف وعلى قوله او الامر كذلك تكون الكاف مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف و يكون قوله واورثنا معطوفا على تركوا والمراد بايراثها انتقالها اليهم نقل الميراث الى الوارث لان بنى اسرآئيل ليسوا ورثة للقبط حيث لم يكونوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين و لا ولاء فنقلها اليهم يكون اشد عليهم واغيظ لهم فوق خروجها من ايديهم (قوله وقيل غيرهم) اى وقيل المراد بالقوم الاخرين

(ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم [illegible] موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن ادوا الى عباد الله) بان أدوهم الى وارسلوهم معى او بان أدوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة ياعباد الله و يجوز ان تكون ان مخففة او مفسرة لان مجيئ الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول امين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لاتعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى فى وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (ان ترجمون) ان تؤذونى ضربا او شتما او تقتلونى وقرئت بالادغام (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعدما كذبوه (أن هؤلاء) بان هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادى ليلا) اى فقال أسر او قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضرب به بعصاك ولا تغير منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك (وأورثناها) عطف على الفعل المقدر او على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ وهم بنوا اسرآئيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر

غير بني اسرآئيل لانهم لم يعودوا الى مصر (قوله مجاز عن عدم الاكتراث) وهو المبالاة والاعتناء بشأن الهالك يعني ان البكاء المدلول عليه بقوله بكت مجاز مرسل عن الاكتراث بهلاك الهالك بطريق ذكر المسبب وارادة السبب فان الاكتراث المذكور سبب مؤدي الى البكاء عادة وحمله على المجاز لان مجرد عدم البكاء مع قطع النظر عن كونه مترتبا على عدم الاكتراث لا يدل على خساسة الهالك والآية مسوقة للدلالة عليها فان المراد بها التهكم بهم والدلالة على ان حالهم منافية لما عندهم من التعظم على الناس والافتخار بما لديهم من اسباب العز والشرف ولا بد مع حمل نفي البكاء على عدم الاكتراث من جعل الآية استعارة بالكناية بان شبهت السماء والارض بمن يصح منه الاكتراث وجعلت نسبة الاكتراث اليهما استعارة تخييلية دالة على التشبيه المذكور لكونه من توابع المشبه به ولولا هذا لما صح نسبة الاكتراث اليهما وكانت العرب اذا ماتت منهم من له خطر وقدر عظيم يقولون بكت له الارض والسماء يعنون به ان المصيبة بموته عمت الخلق فبكى له الكل حتى الارض والسماء فاذا قالوا مابكت عليه الارض والسماء يعنون به ما ظهر بعده ما يظهر بعد موت ذوي الاقدار والشرف بمعنى انه كان بحيث لا يعتنى بوجوده ولا يكترث بهلاكه والتحقيق ان عدم بكاء السماء والارض عليهم كناية عن انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي الارض بانقطاعه وانهم لا يصعد الى السماء منهم عمل صالح ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي السماء بانقطاعه قال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا ذكر الله تعالى ان حالهم مخالف لحال من يعظم فقده من المؤمنين (قوله وما كانوا منظرين مهلين الى وقت آخر) اذا جاء وقت هلاكهم او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل هلاكهم في الدنيا ثم انه تعالى لما بين كيفية هلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى وقومه فقال ولقد نجينا بني اسرآئيل من العذاب المهين وهو قتل الابناء واستخدام النساء والرجال في الاعمال الشاقة (قوله بدل من العذاب) اما على حذف المضاف اي من عذاب فرعون واما على المبالغة بجعل فرعون نفس العذاب (قوله تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة) كانه قيل هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته ثم بين حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين (قوله لكثرة الانبياء فيهم) علة لكونهم مختارين على جميع طوائف الناس فان بني اسرآئيل مختارون بهذا الوجه على من عداهم من قوم كل عصر لفقد هذا المعنى فيهم (قوله او على عالمي زمانهم) فانه تعالى اختارهم على اهل ذلك الزمان بان وفقهم للايمان بالنبي المبعوث في ذلك الزمان والاهتداء بهداه وانجاهم مما هم عليه من العذاب المهين باهلاك اعدآئهم بالاغراق (قوله نعمة جلية او اختبار ظاهر) البلاء حقيقة في الاختبار وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة ايضا مجازا من حيث ان كل واحد منهما يكون سببا وطريقا للاختبار يعامل الله تعالى باصابة كل واحد منهما للمكلف معاملة من يختبره ليعلم المطيع الشاكر من خلافه علم تحقق وعيان والبلاء في الآية يحتمل ان يكون بمعنى النعمة لان الآية التي آتاها الله تعالى بني اسرآئيل كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحو ذلك نعم جلية اي ظاهر كونها نعمة ولم ينفرد بها موسى عليه الصلاة والسلام بل لكل واحد من بني اسرآئيل حظ منها وان يكون بمعنى الاختبار لانه تعالى كان يمتحن بايتائها اياهم و ينظر كيف يعملون فان قيل ان كان المراد بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها فلا شك انها في انفسها نعم جلية فما معنى قوله تعالى ما فيه بلاء مبين اي نعمة جلية قلت لعل الكلام من قبيل قوله تعالى لكم فيها دار الخلد من حيث ان كلمة في للتجريد (قوله لان الكلام فيهم) لان الله تعالى لما حكى عن مشركي قريش انهم تولوا واعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيه حيث قال واني لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وهددهم بقوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وضرب لهم مثلا قوم فرعون ومجيء رسول كريم اليهم وصدهم اياه وتدمير الله تعالى اياهم وقطع دابرهم اعتبارا وانعاظا ذكر من قبائحهم ما هو اعظم من الاول وهو تكذيب الله تعالى اياهم لانهم يقولون لا بعث ولا حساب ولا جزآء فظهر بهذا ان الكلام فيهم وان قصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار من مثل ما حل بهم (قوله ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى) جواب عما يقال القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية اي البعث بعد الموت وليس النزاع الا فيه فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وقوله ان هي الا موتتنا الاولى يؤذن ان يكون النزاع في الموت بان يكون المسلمون يثبتون موتة

(فما بكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ومنه ماروي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) ممهلين الى وقت آخر (ولقد نجينا بني اسرآئيل من العذاب المهين) من استعباد فرعون وقتله ابناءهم (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) في العلو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم (ولقد اخترناهم) اخترنا بني اسرآئيل (على علم) عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال (على العالمين) لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى (ما فيه بلاء مبين) نعمة جلية او اختبار ظاهر (ان هؤلاء) يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم (ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات

ثانية وهم ينفونها بحصر الموتة فى الاولى وليس الامر كذلك وتقرير الجواب ان ماذكر انما يلزم ان لو كان المعنى ما الموتة الا الاولى وليس كذلك بل المعنى ما العاقبة الا الموتة الاولى يقصدون به انكار البعث بعد الموت كما قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وذلك انهم لما اخبروا بان عاقبة حياتكم هذه ونهايتها امر ان الموت ثم البعث انكروا ذلك بحصر نهاية الامر فى الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيا وتوصيف الموتة بالاولى لا يستدعى ان يثبت الخصم موتة ثانية فيقصدوا بذلك انكارها لان كون الشئ اولا لا يستلزم وجود ما كان آخرا بالنسبة اليه كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وكما لو قال اول عبد املكه فهو حر فملك عبدا عتق سواء ملك بعده آخر ام لا (قوله وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة) وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو جواب بوجه اخر اختاره صاحب الكشاف بحصوله انهم لما اخبروا بالموتة التى تعقبها حياة انكروا ذلك بان حصروا الموتة التى من شانها ذلك فى الموتة الاولى وهى ما كانت متقدمة على الحياة الدنيا لا التى تزيل تلك الحياة كما فى الوجه الاول وليس مقصودهم من هذا الحصر انكار طريان الموت على الحياة الدنيا بل المقصود انكار ان يكون ذلك الموت تعقبه حياة ثانية فالحصر بهذا المعنى هو الذى يستفاد من ان يقال ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين ولما كان المتبادر من لفظ الموتة ما يزيل الحياة وكان اطلاقه على ما كان قبل الحياة الدنيا بعيدا وكان انكار البعث بهذه العبارة بعيدا ايضا لم يلتفت المصنف اليه (قوله خطاب لمن وعدهم بالنشور) يعنى ان الكفار الذين انكروا البعث والنشور قالوا لمن وعدهم بذلك ان كان ذلك ممكنا معقولا فاجعلوا لنا احياء من مات من ابائنا ليستدل به على صدقكم فى الوعد بالنشور ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام انكر به كون كفار قريش خيرا منهم فان قيل ما معنى قوله تعالى أهم خير ام قوم تبع مع انه لاخير فى كل واحد من الفريقين اما فى كفار مكة فظاهر واما فى قوم تبع فلانه تعالى ذمهم بقوله انهم كانوا مجرمين اشار المصنف الى جوابه بقوله أهم خير فى القوة والمنعة اى ليس المراد الخيرية فى الدين بل المراد الخيرية فى القوة والعدة كما فى قوله أكفاركم خير من اولائكم اى وليس كفار قريش باقوى من قوم تبع ومن تقدم عليهم فقد اهلكناهم بجرمهم فكيف لا يخافون ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء (قوله تبع الحميرى) حمير قبيلة من اليمن سميت باسم ابيهم وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول قيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لان اهل الدنيا يتبعونه وان تبع فى الجاهلية بمنزلة الخليفة فى الاسلام فالتبع على هذا بمعنى المتبوع وقيل سموا تبعا لانهم يتبعون آباءهم و يقتدون بهم فى سيرتهم فالتبع بمعنى التابع والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الاعظم المسمى بالتبع واصله قيل بالتشديد فخفف كميت فى ميت كانه الذى له القول والامر والنهى (قوله وحير الحيرة) اى بنى الحيرة وهى قرية بقرب الكوفة كقولهم مدن المدائن اى بناها قال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا مسلما من حمير سار بالجنود حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند فبناها وكان قبل عهد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين عاما وكنيته ابو كرب واسمه اسعد وهو اول من كسا البيت سبعة أثواب وكان يعبد الاوثان ثم اسلم على يد حبر بن عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به ونحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر بها للناس و يطعم اهلها و يسقيهم وأرى فى المنام ان يكسوا البيت فكساه نوعا من ثياب ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافرى ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فهو اول من كسا البيت واوصى به (قوله بما كان قوم تبع والذين من قبلهم) اشارة الى ان قوله والذين من قبلهم فى محل الرفع بالعطف على قوم تبع كانه قيل اهم خير ام هذان ثم بين مآلهما بقوله اهلكناهم تهديدا لكفار قريش (قوله او حال) اى من الضمير المستكن فى الصلة وهى قوله من قبلهم فعلى هذا الوجه ايضا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع ثم اشار الى جواز ان يكون قوله والذين من قبلهم اهلكناهم مرفوع المحل على الابتداء وان يكون اهلكناهم خبره ثم ذكر سبب هلاكهم فقال انهم كانوا قوما مجرمين اى فمن اين يامن هؤلاء من باسنا وهم يسيرون بسيرتهم (قوله وما بين الجنسين) يعنى ان من قرأ وما بينهما اول السموات والارض بالجنسين ومن قرأ بينهن نظر الى كون المرجع اليه جمعا (قوله وهو دليل على صحة الحشر) اى على ثبوته فانه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق لهوا وعبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به اسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات و بدائع الاحوال والهيئات ثم كلفهم بالايمان والطاعة على

وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شأنها ذلك الا الموتة الاولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فى وعدكم ليدل عليه (أهم خير) فى القوة والمنعة (ام قوم تبع) تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة و بنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى اكان تبع نبيا ام غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) كعاد وثمود (اهلكناهم) استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضى للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها

الوجه المشرو ح بلسان نبيه الامين وكتابه المبين فاقتضى ذلك ان يتميز المطيع من العاصى بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصى متعلق عدله وعقابه وذلك لايكون فى الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلابد من البعث والنشأة الاخرى لتجزى كل نفس بما كسبت فى دار التكليف فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما حكى مقال منكرى البعث والجزآء وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا قبلهم ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزآء فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين (قوله الا بسبب الحق) يعنى ان قوله الا بالحق اى ملتبسا بالحق ماخلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان او الطاعة او الجزآء ويجوز ان يكون فى موضع الحال من الفاعل اى ماخلقناهما فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا محقين عالمين بالحق متلبسين به ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على انه لابد من البعث والجزآء ذكر عقيبه حال يوم البعث فقال ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين اى وقت موعدهم على ان الميقات اسم للوقت المضروب للفصل والموعد مصدر بمعنى الموعود اى انه وقت لما وعدوا به من الاجتماع فى المحشر للحساب والجزآء سمى يوم البعث بيوم الفصل لانه تعالى يفصل فيه بين الحق والباطل و بين اهل الجنة والنار وقيل لانه تعالى يفصل فيه بين المؤمن وبين مايكرهه ويفصل بين الكافر وبين مايوده ويريده ويوم الفصل منصوب على انه اسم ان وميقاتهم خبرها واجمعين تأكيد للضمير المجرور فى ميقاتهم واجاز الكسائى والفرآء نصب ميقاتهم على انه اسم ان ويوم الفصل ظرف واقع فى موضع خبر ان اى ان ميقاتهم واقع فى يوم الفصل (قوله او صفة لميقاتهم) فيكون مرفوع المحل او منصوبه على القرآءتين فى موصوفه لكونه مبنيا على الفتح (قوله او ظرف) اى ويجوز ان يكون يوم لايغنى منصوبا على انه ظرف افعل يدل عليه الفصل اى يفصل بينهم يوم لايغنى ولايجوز ان يكون بنفس الفصل لانه مصدر فلايجوز ان يفصل بينه وبين معموله باجنبى وهو قوله ميقاتهم اجمعين فانه وقع فاصلا بينهما فسر يوم الفصل بقوله لايغنى اى لاينفع ولايدفع ونكر مولى فى الموضعين للابهام والتعميم فان المولى يطلق على القريب والمعتق وابن العم والجار والصديق والصهر وكل من ولى امر واحد فهو وليه ومولاه فواحد من هؤلاء اى واحد كان لايغنى عن مولاه اى مولى كان شيأ من الاغناء اى اغناء قليلا على ان يكون انتصاب شيأ على انه مفعول مطلق يعنى وان تنكيره للتقليل او التعميم فاذا لم ينفع بعض الموالى بعضا ولم يدفع عنه شيأ من العذاب بشفاعته له كان عدم حصوله ممن سواهم اولى (قوله الضمير لمولى الاول) يعنى ضمير الجمع يرجع الى ماهو مفرد اللفظ لكونه فى معنى الجمع لانه عام لكونه نكرة واقعة فى سياق النفى ولعل تخصيص المولى الاول بارجاع الضمير اليه من حيث ان الكلام حينئذ يكون محمولا على الافادة وان جعل الضمير للمولى الثانى يكون محمولا على الاعادة والتأسيس اولى من التأكيد وذلك انه تعالى حكم اولا ان احدا من الموالى لاينفع مولاه اى مولى كان ولا ينصره بان يشفع فى حقه فان النصرة فى القيامة لاتكون الا بالشفاعة اما فى دفع العذاب او تحصيل البغية ورفع المنزلة فان جعل الضمير للمولى الثانى تكون الجملة الثانية تأكيدا للاولى وان جعل الاول يكون المعنى كان الموالى لايملكون ان ينفعوا مواليهم لاينصرون ايضا اى لايملكون ان يغنى عنهم غيرهم ويشفع لهم وهذا معنى جديد غير الاول والتأسيس اولى من التأكيد (قوله ومحله الرفع) اى على انه بدل من واو لاينصرون اى لاينصر الا من رحم الله فينصره الله بالعفو عنه وقبول شفاعة الشافعين فى حقه بعد ان يأذن لهم فيها ويجوز ان يكون منصوب المحل على انه مستثنى متصل من واو ينصرون لما اشتهر من انه يجوز فيما بعد الا النصب على الاستثناء ويختار البدل اذا كان فى كلام غير موجب بشرط ان يكون المستثنى منه مذكورا والاية من هذا القبيل وقيل انه بدل من مولى الاول او مستثنى منه متصل اى لايغنى مولى الا المؤمنون او الا المؤمنين فانه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى حق بعض المؤمنين والاول ارجح لانه اقرب لفظا ومعنى واعلم انه تعالى لما اقام الدليل على حقية البعث والقيامة ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر عقيبه وعيد الكفار بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ثم وعد الابرار بقوله ان المتقين فى مقام امين والزقوم فى لغة العرب اسم شجرة صغيرة الورق وثمرتها وافرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة التى وصفها الله تعالى بانها شجرة تنبت فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وثمرتها نزل اهل النار (قوله والمراد به) اى بالاثيم الكافر لامطلق ذى الاثم كافرا كان او فاسقا لان الاصل فى المفرد الذى دخل عليه حرف التعريف ان ينصرف الى المذكور سابقا لا ان يحمل على العموم والمذكور سابقا هنا هو الكفار فينصرف اليهم فان

(ماخلقناهما الا بالحق) الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزآء (ولكن اكثرهم لايعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق عن الباطل او المحق عن المبطل بالجزآء او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه (ميقاتهم) وقت موعدهم (اجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزآئهم فى يوم الفصل (يوم لايغنى) بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل (مولى) من قرابة او غيرها (عن مولى) اى مولى كان (شيأ) شيأ من الاغناء (ولاهم ينصرون) الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لاينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن اراد ان يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات (طعام الاثيم) الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله وما بعده عليه (كالمهل)

المفسرين قالوا المراد بقوله لايغني مولى عن مولى الكفار و بقوله لامن رحم الله المؤمنون لان بعضهم يشفع لبعض وكذا بين الله تعالى بعد هذه الاية انه يقال للزبانية فى حقهم خذوه فاعتلوه الى قوله ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون فيه ولا تؤمنون به ولا يشك فيه الا الكافر ومراد المصنف من تخصيص الاثيم بالكافر والاستدلال عليه ان يجيب عن تمسك المعتزلة بهذه الاية على وعيد الفساق بناء على ان الاثيم من صدر عنه الاثم فيكون الوعيد المذكور هنا متناولا للفساق قيل نزلت الاية فى ابى جهل وقيل فى الوليد بن المغيرة و يؤيد الاول ماروى ان اباجهل كان يقول انا اعز اهل هذا الوادى واكرمه فيقال له فى الآخرة ذق انك انت العزيز الكريم اى المتعزز المتكرم كما قلت ذلك فى الدنيا (قوله وهو ما يمهل فى النار) من المهلة اى يوضع فى النار و يترك فيها بالامهال والتؤدة حتى يذوب اختار ماروى عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما ان المهل كل مايذاب بالنار كالفضة والذهب والحديد والرصاص ونحوها وسمى بالمهل لانه يمهل فى النار حتى يذوب وقيل المهل دردى الزيت وقيل هو عكر القطران والكاف فى قوله تعالى كالمهل فى محل الرفع على انه خبر ان بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اى هو كالمهل وكذلك قوله تعالى تغلى فى البطون فى قرآءة من قرأ بالتاء الفوقانية فان الجمهور قرأوا بها فحينئذ يكون ضمير تغلى للشجرة وتكون الجملة خبرا آخر او خبر مبتدأ محذوف اى هى تغلى والمصنف جعل ضميره للطعام اوالزقوم بناء على قرآءته بالياء من تحت او بناء على ان الاظهر ان الجملة حال من احدهما فان كان حالا من الطعام يكون العامل معنى النسبة والاضافة كما فى قولك زيد اخوك شجاعا كانه قيل انسبه اليه غالبا الا ان الظاهر ان المراد بكون الجملة حالا من الزقوم كونها حالا من الضمير المستتر فى قوله كالمهل فان ما فيه من الضمير وان كان راجعا الى شجرة الزقوم الا ان المراد منها نفس الزقوم لان اضافتها اليه للبيان غاية ما فى الباب ان يكون المراد بالزقوم وهو الشجرة ثمرها فيكون العامل فى الحال معنى التشبيه المستفاد من الكاف ولم يرض بكون الجملة حالا من نفس المهل حتى يكون ضمير تغلى راجعا اليه بناء على ان الغليان فى البطن انما هو فعل الطعام قائم بنفس المطعوم لا بما شبه به المطعوم وهو المهل فانه لا يوصف بانه يغلى فى البطون فكان اسناد يغلى الى ضمير المهل بعيدا غير ظاهر (قوله غليانا مثل غليه) اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف ليغلى (قوله على ارادة القول) يعنى ان قوله تعالى خذوه الى آخر الآية فى محل النصب على انه مقول قول مضمر اى يقال للزبانية خذوه اى الاثيم فاعتلوه اى فجروه بغلظة وقهر يقال عتله اى ساقه بجفاء وغلظة والعتل الغليظ الجافى و فعله من باب ضرب يضرب يقال اخذ فلان بزمام الناقة فعتلها اذا قبض على اصل الزمام عند الرأس وقاد ها قودا عنيفا (قوله كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم) الظاهر ان يقال كان اصله ثم صبوا فوق رؤسهم الحميم الا انه اختار ذلك النظم لكونه عين نظم القرآن فى آية اخرى ولما ورد ان يقال ما وجه جعل العذاب مصبوبا وهو لا يصب لكونه من قبيل المعانى والصب انما يتعلق بالاجسام المائعة اشار الى جوابه بان اصل المعنى الامر بصب نفس الحميم وهو الماء الذى كان فى غاية الحرارة الا ان الزبانية امروا بصب عذابه والحميم للمبالغة فى كون الحميم سبب العذاب حيث جعل نفس العذاب مع انه سببه (قوله فى موضع اقامة) فسره به بناء على انه اختار قرآءة نافع وابن عامر فانهما قرأا مقام بضم الميم وهو موضع الاقامة والباقون بفتحها والمقام بالفتح فى الاصل موضع القيام خاصة ثم استعمل فى مطلق الموضع والمكان حتى قيل لموضع القعود والاضطجاع مقام وان لم يقم فيه اصلا فهو من الخاص الذى استعمل فى معنى العموم قال اهل السنة كل من اتقى الكفر صدق عليه انه متق فيدخل فى هذا الوعد قال المصنف المتقى فى عرف الشرع من يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك والثانية ان يجتنب كل ما يوجب الاثم من فعل او ترك والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الخالق و يتبتل اليه بشراشره (قوله يأمن صاحبه) يعنى ان الامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائف ووصف المقام به مجاز لانه من صفة صاحبه فى الحقيقة ووصف به المحل على طريق عيشة راضية بمعنى ذات رضى يرضى عنها صاحبها (قوله للدلالة على نزاهته) اى تباعده عن وجود السوء لكونه فى غاية البهجة والزينة فان الجنات والعيون من اقوى اسباب نزهة الخاطر وانفراجه عن الغم كما قيل ثلاثة تنفى عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن (قوله من البراقة) وهى التلألؤ واللمعان (قوله الامر كذلك الخ) يعنى ان الكاف اما فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف او فى محل النصب على انها مفعول فان لفعل الايتاء المدلول

وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت (تغلى فى البطون) وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما (كغلى الحميم) غليا مثل غليه (خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر و يعقوب بالضم وهما لغتان (الى سوآء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك انت العزيز الكريم) اى قولوا له ذلك استهزآء به او تقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك (ان هذا) ان هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون او تمارون فيه (ان المتقين فى مقام) فى موضع اقامة وهو قرآءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم (أمين) يأمن صاحبه من الآفة والانتقال (فى جنات وعيون) بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان لان او حال من الضمير فى الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة (متقابلين) فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك

(وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا اوغيرهن (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون و يأمرون باحضار مايشتهون من الفواكه لايتخصص شئ منها بمكان ولازمان (آمنين) من الضرر (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دآئما والاستثناء منقطع اومتصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها اوالجنة والمؤمن يشارفها بالموت و يشاهدها عنده فكأنه فيها اوالاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لايذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (فانما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به

عليه بقوله ان المتقين فى مقام امين وقوله وزوجناهم معطوف على ذلك الفعل المحذوف اى مثل ذلك آتيناهم وزوجناهم وعلى الاول يكون معطوفا على يلبسون عدل الى لفظ الماضى لكون التزويج فى حكم الواقع وللدلالة على كونه نعمة جليلة وفضلا عظيما (قوله قرناهم بهن) يعنى ان تزويجهم بهن ليس معناه انشاء عقد التزويج لان التزويج بمعنى العقد لايتعدى بالباء فلايقال زوجته بامرأة وتزوجت بها بل يقال زوجته امرأة وتزوجتها وفى التنزيل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو لم يكن المراد عقد التزويج لقيل زوجناك بها بمعنى كنت فردا فجعلناك شفعا بها قال ابوعبيدة معنى زوجناهم بحور عين جعلناهم ازواجا بهن كما يزوج النعل بالنعل اى يجعل كل واحد منهما شفعا بالاخر (قوله والحوراء) اشارة الى ان الحور جمع الحوراء كما ان العين جمع العيناء اصله العين بضم العين كحمر فى جمع حمراء ثم كسرت العين لاجل الياء كما فى بيض واصل الحور البياض يقال احور الشئ بمعنى ابيض وتحوير الشئ تبييضه وقيل لاصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام الحواريون لانهم كانوا قصارين وقال مجاهد سميت نساء الجنة حورا لانه يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء الوانهن ثم اختلفوا فى هؤلاء الحور العين فقال الحسن انهن من نساء الدنيا ينشئهن الله خلقا آخر وقال ابوهريرة انهن لسن من نساء الدنيا (قوله يطلبون) اشارة الى ان يدعون من صفة المتقين وان وزنه يفعلون من قولهم دعا بكذا اذا استحضره فعلم منه ان الوقف على عين لازم لانه لو وصل يدعون بقوله عين لتوهم ان الدعاء فعل الحور العين وان وزنه يفعلن فان صيغتى جماعة الذكور والاناث يستويان فى باب الناقص فيقال الرجال يدعون والنساء يدعون والتقدير مختلف (قوله لايتخصص شئ منها بزمان ولامكان) مستفاد من اطلاق قوله بكل فاكهة وقوله تعالى يدعون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من مفعول زوجناهم ومفعول يدعون محذوف اى يدعون الخدم و يستحضرونهم بكل ما يقصد تناوله تفكها اى لمجرد التنعم والتلذذ فان نعيم الجنة لايقصد به الا ذلك (قوله آمنين) يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من فاعل يدعون فيكون حالا متداخلة والضرر كالتخمة واخراج المزاج عن الاعتدال والتأدية الى الاسقام والاوجاع (قوله والاستثناء منقطع) لان الموتة الاولى ليست مما يذاق فى الجنة والمعنى لايذوقون الموت فى الجنة ابدا لكن الموتة الاولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة وحمل الاستثناء على الاتصال لما كان بعيدا بحسب الظاهر لان الموتة الاولى ليست من جنس ما يذاق فى الجنة ذكر ثلاثة اوجه الاول ان يكون ضمير فيها للدار الاخرة المدلول عليها بذكر ما يكون فيها من فصل المحق عن المبطل بالجزاء والموت مما يذاق فى الآخرة لكونه اول احوالها والثانى ان يكون الضمير للجنة والموتة الاولى كانها واقعة من حيث ان اهل السعادة يشاهدونها عند الموت و يرون منازلهم فيها فكانوا اذا ماتوا فى الدنيا فكأنهم ماتوا فى الجنة لكونهم مشارفين دخولها فصح بذلك ان تستثنى الموتة الاولى من موتهم فى الجنة والثالث ان الاستثناء للمبالغة فى نفى الموت عن اهل الجنة بتعليقه بالمحال وهو ان تكون الموتة الاولى مما يمكن ذوقها فى المستقبل كانه قيل لايذوقون فيها الموت على جميع التقادير الا على تقدير ان يستقيم ذوق الموتة الاولى فى المستقبل فانه حينئذ يجوز ان يذوقوها فى الجنة ومن المعلوم بالبداهة ان ذوقها فى المستقبل محال فيكون ذوق الموت فيها محالا لكونه موقوفا على المحال ومثله يسمى نفى الشئ بدليله ونظيره قول النابغة .

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعنى ان كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم لكنه ليس بعيب بالاتفاق فثبت انتفاء العيب عنهم لكون ثبوته لهم موقوفا على المحال (قوله وقرئ ووقاهم بالتشديد على المبالغة) اى لا لاجل التعدية لان المخفف ايضا يتعدى الى اثنين واحتج اهل السنة بقوله تعالى فضلا من ربك على ان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص عن النار والفوز بالجنة ونعيمها فانما يحصل بفضل الله تعالى ورحمته وانه لايجب عليه شئ من ذلك كما زعمت المعتزلة (قوله وهو فذلكة للسورة) الفذلكة فى الحساب اجماله بعد التفصيل بان يذكر تفاصيل الحساب اولا ثم تجمل تلك التفاصيل و يكتب فى آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك من قبيل هذا القبيل لانه تعالى بعدما اقسم بالكتاب المبين على انه انزله فى ليلة مباركة بين ما يقتضى انزاله بان شأنه ارسال الرسل مؤيدين بالكتب السماوية رحمة لعباده ببيان ما يسعدهم مما يشقيهم ثم فصل ذلك وشرحه الى آخر السورة ثم اجمل ذلك بما معناه ذكر بالكتاب المبين قومك فانا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه اليهم منزلا بلغتك ولغتهم وقيل معناه سهلناه على لسانك فتقرأه به من غير كتابة ولانظر فى مكتوب استدل بعض

المعتزلة بقوله لعلهم يتذكرون على انه تعالى اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر واجيب بان الضمير
فى لعلهم راجع الى اقوام مخصوصين وهم المؤمنون فى علم الله تعالى وهذا على تقدير ان يكون الترجى مجازا عن
الارادة و يجوز ان يكون على اصل معناه ويكون من قبل من شاهد نزوله مسهم لا فصيح اللفظ واضح المعنى (قوله
ولما لم يتذكروا فارتقب) اشارة الى ان الفاء فيه فاء الجواب لشرط محذوف اى ومن لم يتذكر به فارتقب فيهم ومفعول
الارتقاب محذوف فى الموضعين اى فانتظر ما وعدناك من النصرة والظفر والعلو فى الدنيا والآخرة انهم منتظرون
ما اوعدناهم به من العذاب فى الدنيا والآخرة اى صائرون الى ذلك وان لم يعتقدوه فينتظرونه اوفانهم منتظرون
ما يحل بك من دوائر الدهر كما قال تعالى خبرا عنهم نتربص به ريب المنون ولن يضرك ذلك — تم هنا ما يتعلق بسورة
حم الدخان * بفضل الله الكريم المنان * والحمد لله وحده * وصلى الله على من لا نبى بعده

(سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله ان جعلت حم مبتدأ) على انه اسم للسورة احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم لئلا يلزم الاخبار عن المنزل
بتنزيل والتقدير تنزيل الكتاب من الله قال صاحب الكشف ففيه اقامة الظاهر مقام المضمر ايذانا بانه الكتاب
الكامل ان اريد بالكتاب السورة وفيه تفخيم ليس فى قوله تنزيل من الله ولهذا لم يراع فى حم السجدة هذه النكتة
عقب بقوله كتاب فصلت ليفيد هذه الفائدة مع التفنن فى العبارة وان اريد به الكتاب كله يكون الكلام من باب
التشبيه البليغ على معنى ان تنزيل هذه السورة كتنزيل الكتاب كله فى ان الفائدة المترتبة على انزاله من التحدى به
وكونه هدى للناس وشفاء لما فى الصدور مترتبة على انزالها وحمله الطيبى ايضا على التشبيه حيث قال يعنى تنزيل
هذه السورة كتنزيل سائر القرآن فيكون فى قوله من الله العزيز الحكيم دلالة على وجه التشبيه فكونه من الله
عزوجل دل على انه حق وصدق وصواب وكونه من العزيز دل على انه معجز يغلب ولا يغلب وكونه من الحكيم
دل على انه مشتمل على الحكم البالغة وعلى انه محكم فى نفسه ينسخ ولا ينسخ انتهى (قوله وقيل حم مقسم به) فيكون
فى محل النصب بحذف الجار وايصال الفعل اليه والمعنى اقسم بحم الذى هو تنزيل الكتاب اى منزله ان فى السموات
الاية (قوله وهو يحتمل ان يكون على ظاهره) اى بان لا يقدر مضاف و يكون المعنى ان فى نفس السموات
والارض لآيات لما فيهما من احوال دالة على وجود صانع قادر حكيم مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وكون
الارض مهادا والسماء سقفا محفوظا ويحتمل ان يكون فى الكلام مضاف مقدر و يكون المعنى ان فى خلق السموات
و يدل على هذا المحذوف قوله فيما بعد وفى خلقكم فانه لو لم يكن مبنيا على حذف المضاف لكان الظاهر ان يقال
وفيكم بدل وفى خلقكم فان فى خلق هذه المخلوقات على هذا النظام العجيب لآيات باهرة على كمال قدرة الله تعالى
وعلمه وحكمته (قوله ولا يحسن عطف ما) يعنى ان كلمة ما فى قوله وما يبث موصولة فى موضع الجر عطفا على المضاف
فى قوله وفى خلقكم لا على المضاف اليه لانه ضمير متصل مجرور ولا يعطف عليه الا باعادة الجار سواء كان مجرورا
بحرف الجر او بالاضافة فيقال مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ويقبح ان يقال مررت به وزيد وهذا غلامه
وزيد لانه يشبه العطف على بعض الكلمة لان الضمير المتصل لشدة اتصاله بعامله صار كشئ واحد ثم ان قباحة
العطف عليه لا تزول بتأكيده بالمنفصل مثل ان يقال مررت بك انت وزيد الا عند الجرمى فانه يقول انا كده جاز
والا فلا (قوله باحد الاحتمالين) اى المذكورين فى قوله ان فى السموات وهما كون الكلام على ظاهره اوعلى
حذف المضاف وكذا كلمة ما المعطوفة على المضاف يحتمل ان يكون عطفها عليه على حذف المضاف فى المعطوف
و يكون المعنى وفى خلق ما يبث من آيات وهو الاظهر بحسب المعنى ليتلاءم المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل
ان يكون على ظاهره على معنى فى نفس ما يبث آيات كما فى قوله ان فى السموات والارض لآيات ولما كان كون نفس
ما يبث آيات لا يخلو عن خفاء بخلاف كون خلقه آية بين وجه الاول بقوله فانه بثه الخ يعنى ان نفس ما بثه آيات
لما فيه من وجوه الدلالة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته من بثه وتنوعه الخ (قوله محمول) اى فى ارتفاعه
على محل ان واسمها واعلم انه لا خلاف فى كسر تاء آيات فى قوله لآيات للمؤمنين لانها اسم ان وانما الخلاف فيما
ذكر بعده فى الموضعين وهو آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون فان جمهور القراء غير حمزة والكسائى قرأوا
برفع آيات فى الموضعين وهما قرأا بكسر التاء فيهما و بتوحيد لفظ الرياح ومبنى قراءة الرفع كونه معطوفا على محل

ولما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم
(انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك * عن النبى
عليه السلام من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له
سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم
الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهى سبع او ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره
تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان
جعلتها تعدادا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره
(من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم (ان فى السموات والارض
لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل ان يكون على ظاهره
وان يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى
خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على
الضمير المجرور بل عطفه على المضاف باحد
الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم
معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار
(آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها
وقرأ حمزة والكسائى و يعقوب بالنصب حملا على
الاسم (واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من
السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه
(فأحيى به الارض بعد موتها) يبسها

ان واسمها فان محلها الرفع على الابتدآء او على الفاعلية على اعمال الظرف على رأى الاخفش ووجه قرآءة الكسر ظاهر وهو العطف على لفظ اسم ان فى قوله ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين فانه لاخلاف فى كسر التاء فيه على انها اسم ان كانه قيل وفى خلقكم ومايبث من دابة آيات كما تقول ان فى الدار زيدا وفى السوق عمرا وقوله يلبسها على تشبيه الرطوبة الارضية بالروح الحيوانى فى كونها مبدأ التوليد والتنمية وتشبيه زوالها بزوال الروح وموت الجسد (قوله ويلزمهما العطف على عاملين) اى ويلزم كل واحدة من القرائتين عطف معمولين على معمولى عاملين مختلفين على قرآءة الرفع واما على قرآءة نصب آيات فان لفظ آيات حينئذ يكون معطوفا على اسم ان الذى هو معمول لكلمة ان ولفظ اختلاف يكون معطوفا على خلق السموات الذى هو معمول لكلمة فى وعلى التقديرين فقد عطف بحرف واحد وهو الواو معمولان وهما لفظا اختلاف وآيات على معمولين قبلهما وهما لفظا خلق السموات وآيات وكل واحد منهما معمول لعامل مخالف لعامل آخر فقوله فى والابتدآء اوان معناه احد العاملين فى والاخر الابتدآء اوان ورفع آيات بالعطف على محل ان واسمها واما ان نصب فالعامل الاخر حينئذ كلمة ان ومثل هذا العطف لايجوز مطلقا عند سيبويه وجمهور البصريين لان العاطف ينوب مناب العامل فهو عامل ضعيف لايقوى ان ينوب مناب عاملين مختلفين ولو ناب رافع وناصب لكان رافعا وناصبا فى حالة واحدة وهو لايجوز ومنهم من يجوزه مطلقا ومنهم من يفصل ويقول ان كان احد العاملين جارا وكان المجرور مقدما نحو فى الدار زيد والحجرة عمرو جاز والا فلا وهذا العطف غير متحقق فى قوله تعالى آيات لقوم يوقنون سوآء قرئ مرفوعا او منصوبا لتكرير كلمة فى فى قوله وفى خلقكم فلم يكن العاطف نائبا عنهما وانما يتحقق فى قوله لآيات لقوم يعقلون على كل واحدة من قرآءتى الرفع والنصب كما ذكر (قوله الا ان يضمر فى) اشارة الى توجيه اعراب الآية على رأى من لايجوز العطف المذكور وهو ان يضمر العامل فى احد المعطوفين حتى لايلزم نيابة العاطف مناب عاملين الا ان اضمار حرف الجر وابقاء عمله نادر ضعيف جدا الا ترى انه لايجوز ان يقال مررت به وزيد بجر زيد واجيب عنه بانه لما تقدم ذكر حرف الجر لفظا قويت الدلالة عليه فصار كانه ملفوظ بخلاف المثال المذكور ونظير اضمار العامل فى احد المعطوفين قول الشاعر

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

قدر سيبويه وكل نار واضمر كل مع نار المجرور لتقدم ذكره لئلا يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين فان النار المجرور معطوف على امرئ المجرور بكل ونارا المنصوب معطوف على امرأ المنصوب بتحسبين وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار اى فى تعاقبهما على المقادير المتقنة التى لاتتفاوت فى كل سنة صيفا وشتاء وربيعا وخريفا بان يزداد طول النهار على طول الليل تارة وتارة بالعكس وما يزداد فى النهار الصيفى مثلا يزداد مثله فى الليل الشتوى اى يتبدل النهار بالليل وبالعكس او باختلاف مطالع الشمس فى ايام السنة ولا خفاء فى دلالته على وجود الفاعل المختار وعلمه وقدرته وحكمته وكذا فى دلالة ارسال الرياح المختلفة الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية واللينة والعاصفة والحارة والباردة ونحوها وانشاء تلك الرياح المختلفة والسحاب وانزال المطر منه الى الارض الميتة واحيائها بتولد النبات وتشعبه شعوبا مختلفة الانواع وهى ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها المختلفة الانواع والاصناف والهيئات والالوان والطعوم والروائح وماذلك الا تدبير العليم الحكيم تعالى شانه ما اعظم برهانه (قوله ولعل اختلاف الفواصل الثلاث) وهى قوله للمؤمنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون واعلم ان العلم المستفاد من النظر فى الآيات والدلائل على ثلاث مراتب بعضها اقوى واكمل من بعض فاول المراتب مرتبة الايمان ثم مرتبة التصديق لان التصديق قد لايكون ثابتا بل يزول بالتشكيك بخلاف اليقين ثم مرتبة استحكام العلم وقوة اليقين فان مرتبة اليقين متفاوتة بالكمال والنقصان بحسب كثرة الدلائل وامعان النظر فيها فان النظر الصائب كلما تكرر وتجدد استحكم العلم وقوى اليقين وعبر عن هذه المرتبة بقوله تعالى لقوم يعقلون لان العقل المطلق ينصرف الى الكامل الذى تم استعداده للاستفاضة من المبدأ العالى الفياض ثم ان الآيات والدلائل المذكورة فى هذه الآيات الكريمة مختلفة الدقة والظهور واظهرها السموات والارض فالنظر الصحيح فيها يفيد العلم بانها مصنوعة لابد لها من صانع قادر على مايشاء فيؤدى الى الايمان بالله تعالى والاقرار بوحدانيته وادق منها خلق الانسان وانتقاله من حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخلق ماعلى الارض من صنوف الحيوانات والدواب من حيث ان التفكر فيها واحوالها

(وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القرآءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتدآء اوان الا ان يضمر فى او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور

يستلزم ملاحظة السموات والارض لكونهما من اسباب تكون الحيوانات وانتظام احوالهم ولما كانت هذه الآية ادق بالنسبة الى الاولى كان التفكر فيها مؤديا الى مرتبة اليقين وادق من هذه الآية الثانية سائر الحوادث المتجددة فى كل وقت واوان من نزول المطر وحياة الارض بعد موتها وغير ذلك من حيث ان استقصاء النظر فى احوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات والارض لكونهما من اسباب هذه الحوادث ومحالها وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الارض من حيث ان تجدد هذه الحوادث انما هو لانتظام احوالها وتحقق اسباب معاشها ولما كانت هذه الآية الثالثة ادق بالنسبة الى الاولين وكانت متجددة حينا فحينا بحيث تبعث على النظر والاعتبار وكلما تجددت كان النظر فيها مؤديا الى استحكام العلم وقوة اليقين فلذلك جعل قوله للمؤمنين فاصلة للآية الاولى وقوله لقوم يوقنون فاصلة للثانية وقوله لقوم يعقلون فاصلة للآية الثالثة وظهر بهذا التقرير ان المراد بالمؤمنين والموقنين والعاقلين من يؤول حالهم الى هذه الاوصاف ونظيرها قوله تعالى هدى للمتقين فان الكتاب هدى للناس كلهم الا ان الانتفاع والاهتداء به لما كان مخصوصا بالمتقين اى الصائرين الى التقوى قيل هدى للمتقين فكذا الامر هنا فان الصائرين الى الايمان نظروا فى السموات والارض وآمنوا والصائرين الى الايقان نظروا فى انفسهم وفى الدواب المبثوثة فى الارض فايقنوا والناظرين فى اختلاف الحوادث المتجددة استحكم يقينهم بسببه ثم انه تعالى اشار الى هذه الآيات وحكم عليها بانها دلائله حال كونها متلوة على رسوله صلى الله عليه وسلم اسند التلاوة الى نفسه لكونه سببا حاملا لجبريل على تلاوته وقوله بالحق حال من الفاعل اى ملتبسين بالحق اومن المفعول اى ملتبسة به ويجوز ان تكون للسببية فتتعلق بنفس تتلوها اى تتلوها بسبب الحق واقامته بين الخلق والفاء فى قوله تعالى فباى حديث جزائية اى ان لم تؤمنوا بهذه الآيات المتلوة بالحق فباى حديث بعده تؤمنون والمقصود الدلالة على انه لا بيان ازيد من هذا البيان ولا آية ادل من هذه الآيات ولما لم يمكن حمل قوله تعالى فباى حديث بعدالله على ظاهره من حيث ان ما اضيف اليه يجب ان يكون من جنس ما قبله فى مثل هذا التركيب وهو تعالى ليس من جنس الحديث ذكر له وجهين الاول انه من باب اعجبنى زيد وكرمه فان المراد اعجبنى كرم زيد الا انه قدم ذكر زيد للدلالة على تعظيم كرمه حيث جعل ذكر نفسه وسيلة الى ذكر كرمه فكذا فى الآية قدم اسمه تعالى لتعظيم ذكر آياته وللاشعار بان التجاوز عنها تجاوز عنه تعالى والوجه الثانى ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويجعل تقديم ذكره قرينة له والتقدير فباى حديث بعد حديث الله اى بعد كتابه وقرآنه وقد سماه حديثا فى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فحينئذ يكون المراد بالآيات الدلائل المتلوة ويكون عطفه على حديث الله من قبيل عطف الخاص على العام لان آياته المتلوة هى حديث الله المفيد بكونه دلائل وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته ويحتمل ان يكون المراد بها القرآن كما ان المراد بحديث الله ذلك ويكون عطفه عليه لتغاير الوصفين ومن قرأ يؤمنون بياء الغيبة اعتبر موافقة قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون ومن قرأ بتاء الخطاب جعل تقدير الكلام قل لهم فباى حديث تؤمنون (قوله تعالى فباى) متعلق بتؤمنون قدم عليه لان له صدر الكلام وقوله تتلى فى موضع الحال من آيات الله اى متلوة ومستكبرا حال من المنوى فى يصر وكأن لم يسمعها حال بعد حال على قول من يجوز انتصاب حالين من ذى حال واحد اى يصر على الكفر بآيات الله متعظما مشبها بغير السامع اوحال من المنوى فى مستكبرا وكأن مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان والحديث اى كانه لم يسمعها (قوله يرى غمرات الموت ثم يزورها) اوله لا يكشف الغماء الا ابن حرة اشار بكلمة ثم الى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيته اياها مستبعدة مستنكرة عقلا وعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه اياها بالغ فى مدحه بالشجاعة بانه يقدم على غمرات الموت وشدائده بعد رؤيتها والغماء الشدة وغمرات الموت شدائد الحرب ثم انه تعالى لما بين شناعة من لم يؤمن بآيات الله بقوله فبأى حديث بعده الله وآياته يؤمنون اى اذا لم يؤمنوا بها مع ظهور كونها من آياتنا تبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اى كذاب (قوله والبشارة على الاصل اوالتهكم) فان البشارة قد تطلق على الاخبار بالخبر النافع المفيد للفرح والسرور مطلقا اى سواء قرنت بما يوجب المسرة اوبما يوجب الحزن والمساءة وقد تطلق على الشر والخبر المؤلم اذا قرنت به كما فى هذه الآية قال الجوهرى البشارة المطلقة لا تكون الا بالخير وانما تكون بالشر اذا كانت مقيدة به كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى الاول تكون البشارة المذكورة فى هذه الآية محمولة على التهكم وعلى الثانى تكون على اصل

(تلك آيات الله) اى تلك آيات دلائله (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة (بالحق) ملتبسين به اوملتبسة به (فبأى حديث بعدالله وآياته تؤمنون) اى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيد وكرمه اوبعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة اوالقرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله (ويل لكل افاك) كذاب (اثيم) كثير الاثم (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله

يرى غمرات الموت ثم يزورها (كأن لم يسمعها) اى كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب اليم) على اصراره والبشارة على الاصل اوالتهكم

(واذا علم من آياتنا شيئا) واذا بلغه شئ وعلم انه منها (اتخذها هزؤا) لذلك من غير ان يرى فيها ماينا سب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه اولشئ لانه بمعنى الآية (اولئك لهم عذاب مهين من ورآئهم جهنم) من قدامهم لانهم متوجهون اليها اومن خلفهم لانه بعد آجالهم (ولايغنى عنهم) ولايدفع (ماكسبوا) من الاموال والاولاد (شيئا) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اى الاصنام (ولهم عذاب عظيم) لايتحملونه (هذا هدى) الاشارة الى القرآن و يدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب (الله الذى سخر لكم البحر) بان جعله املس السطح يطفو عليه مايتخلل كالاخشاب ولايمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه بامره) بتسخيره وانتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال مما اى سخر هذه الاشياء كائنة منه اوخبر لمحذوف اى هى جميعا منه اولما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد اولما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى اوخبر محذوف (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا (للذين لايرجون ايام الله) لايتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم اولايأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) علة للامر

معناها وهو الاخبار بالشر حيث ذكرت مقارنة له ثم انه تعالى وصف الاثيم المذكور اولا بانه يصر على الانكار والاستكبار عن الايمان بالآيات معجبا بما عنده قيل نزلت الآية فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن وسبب نزولها وان كان خاصا الا انها عامة فى كل من كان موصوفا بالصفة المذكورة ثم وصفه ثانيا بانه ينتقل من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزاء فقال واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزؤا (قوله لذلك) اى لعلمه انه من آياتنا (قوله وفائدته) اى وفائدة العدول عن الظاهر وكان الظاهر ان يقال اتخذه هزؤا اى اتخذ ذلك الشئ الواحد الذى بلغه الا انه تعالى قال اتخذها اى اتخذ آياتنا هزؤا للاشعار بانه لايقتصر على الاستهزاء بذلك الشئ الواحد الذى بلغه بل يخوض فى الاستهزاء بجميع الآيات التى انزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون ضمير اتخذها للشئ وتأنيثه لكون الشئ بمعنى الآية (قوله من قدامهم) قال صاحب الكشاف الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص اى يسترها من خلف كانت اوقدام وجعل الوراء فى الآية بمعنى القدام لان شخص الكافر يوارى جهنم اذا نظر اليها من خلفه لانه متوجه اليها فيكون حائلا بينها وبين الناظر اليها والمصنف جوز كونه بمعنى الخلف ايضا لكون جهنم خلفه بمعنى انها بعد موته ولما ذكر ان جهنم مصيرهم يعذبون فيها بين ان ماملكوه فى الدنيا لاينفعهم ولايدفع عنهم شيئا من عذابها فقال ولايغنى عنهم ماكسبوا شيئا ثم انه تعالى لما وبخهم على كفرهم بالقرآن وذكر انواع ضلالهم فى حقه وهددهم عليها بوجوه متعددة جعله كالجبل المشار اليه بالحس ونكر خبره تنكير تعظيم وتهويل فقال هذا هدى اى كامل فى الهداية وليس بمظنة التكذيب والاستهزاء والذين كفروا به وكذبوه لهم عذاب فوق العذاب بسبب كفرهم به وتكذيبهم اياه (قوله وقرئ منة) بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء على المفعول له اوعلى انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اولقوله سخر لكم لكونه بمعناه وفى الصحاح من عليه منا اى انعم عليه ومن عليه منة اى امتن عليه امتنانا وقرئ ايضا منه بفتح الميم ورفع النون وضم هاء الضمير على ان المن مصدر مضاف الى الضمير وذكر لارتفاعه وجهين الاول انه فاعل سخر على الاسناد المجازى اى سخر جميع ذلك منه عليكم كقولك احيانى اقتالك على وسدد امرى حسن رأيك فى والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى تسخير ذلك منه عليكم ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد والعلم الكامل والقدرة البالغة اردفه بتعليم الاخلاق والافعال الجميدة فقال قل للذين آمنوا الآية حث المؤمنين على ترك المنازعة مع الكفار والتجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة (قوله تعالى يغفروا) مجزوم على انه جواب الامر والمقول محذوف لدلالة الجواب عليه ونظيره قوله تعالى فى سورة ابراهيم قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة (قوله اولايأملون الاوقات) مبنى على ان الايام تطلق على اوقات النعمة والمحنة جميعا (قوله والآية نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الا انه اختلف فى سبب نزولها فيه فقال ابن عباس رضى الله عنه انهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل عبدالله بن ابى غلامه ليستقى له الماء فابطأ عليه فلما اتاه قال ماحبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر رضى الله عنه فقال عبدالله مامثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ عمر قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الآية وروى ان فنحاص اليهودى لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج فى طلبه فبعث النبى صلى الله عليه وسلم حتى رده وقال مقاتل ان رجلا من بنى غفار من كنانة رهط ابى ذر الغفارى شتم عمر بمكة فهم ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل هذه الآية وقال القرطبى والسدى انها نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال قال الامام اكثر المفسرين يقولون انها منسوخة وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران ان لايقتلوا ولايقاتلوا فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة كان ذلك نسخا ثم قال والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة فى المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة والمصنف اختار ماذهب اليه الامام حيث لم يرض بقول من قال انها منسوخة بآية القتال اذلا منافاة بين فرضية القتال مع الكفار الذين استكبروا عن الايمان وقبول الجزية وبين الامر بالاعراض عنهم وترك المنازعة معهم فى محقرات الامور (قوله علة للامر)

اى للامر بالمغفرة كانه قيل انما امروا بان يغفروا ليوفيهم الله جزآء مغفرتهم يوم القيامة (**قوله** فيكون التنكير الخ) نشر على ترتيب اللف فان اريد بالقوم المؤمنون المذكورون بقوله قل للذين آمنوا كان الظاهر ان يقال ليجزيهم او ليجزى القوم معرفا بتعريف العهد الا انه نكر تعظيما لشانهم كانه قيل ليجزى قوما اى قوم من شانهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن الاذيات وتجرع المكاره والصبر عليها وان اريد به الكفار المذكورون بقوله للذين لا يرجون ايام الله يكون وجه التنكير تحقيرهم وان اريد به كلا الفريقين يكون التنكير للشيوع والابهام وكذا قوله والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمها فانه من قبيل اللف والنشر المرتب (**قوله** وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون) اى بنون العظمة كانه قيل قل لهم اغفروا واصفحوا عن آذاكم ولا تكافئوهم باذيتهم حتى نكون نحن الذين نجازيهم وننكا فيهم وباقى السبعة قرأ وليجزى بياء الغيبة مبنيا للفاعل اى ليجزى الله وقرئ ليجزى قوم بالياء التحتية مبنيا للمفعول ورفع القوم لقيامه مقام الفاعل وليجزى قوما على بناء المفعول ونصب قوما على معنى ليجزى الخير او الشر قوما باسناد الفعل الى ضمير المفعول الثانى فان المفعول الثانى للافعال التى تتعدى الى اثنين يجوز اقامته مقام الفاعل تقول اعطى درهم زيدا وجزى يتعدى الى اثنين تقول جزيت فلانا الخير فاذا بنيته للمفعول اقمت ايهما شئت مقام الفاعل واضمر ههنا الخير او الشر لدلالة قوله بما كانوا يكسبون عليه (**قوله** او الجزآء اعنى ما يجزى به) اى ويجوز ان يضمر الجزآء بمعنى ما يجزى به فان الجزآء قد يستعمل بمعنى ما يجزى به كما فى قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات لا الجزآء الذى هو مصدر جزيته بما صنع لانهم قالوا اقامة المصدر مقام الفاعل ضعيف مطلقا لاسيما مع وجود المفعول به فانه اذا وجد المفعول به تعين لان يقوم مقام الفاعل وعلى تقدير اقامة المصدر مقامه فى الجملة فانما يقوم مقامه بشرط ان لا يكون لمجرد التأكيد فلا يقال ضرب ضرب لعدم الفائدة فيه فان الشئ انما يقام مقام الفاعل اذا افاد اسناد الفعل اليه فائدة جديدة زائدة على ما افاده الفعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضرب به او ضرب شديد او الضرب الفلانى ونحو ذلك واذا كان الجزآء الذى اسند اليه قوله يجزى بمعنى ما يجزى به يكون مفعولا ثانيا لا مصدرا وقوله ليجزى الخير او الشر او الجزآء من قبيل اللف والنشر المرتب ايضا فان اضمار الجزآء بمعنى ما يجزى به مبنى على انه يراد بالقوم العام المتناول للمؤمنين والكافرين ويكون تنكيره للشيوع والابهام والمراد بالكسب ما يعم العفو والاساءة ثم انه تعالى لما ذكر اجمالا ان المرء يجزى بكسبه بين ان من كسب صالحا كالعفو عن المسئ فانه يثاب وانه هو المنتفع بكسبه ومن كسب الاساءة يعاقب ويتضرر بكسبه وانه تعالى انما امر بالصالح ونهى عن السيئة رحمة للمكلف لا لنفع يعود اليه تعالى ثم لما بين ان نفع العمل الصالح للعامل وان مضرة العمل السئ عليه بين ان ذلك النفع والضر انما يكون بالمراجعة الى مقام العرض والحساب ثم بين ان طريقة قومه عليه الصلاة والسلام كطريقة من تقدم من الامم فانه تعالى انعم على بنى اسرآئيل نعما كثيرة من نعم الدين والدنيا ومع ذلك لم يشكروا ذلك الانعم بل اختلفوا فى امر الدين بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال على سبيل البغى والحسد حيث طلب كل فريق ان يكون هو الرئيس المتبوع حسدا واتباعا للهوى فصاروا الى التعادى والتضارب وقتل الانبياء ومن حق العلم بحقيقة الحال ان يكون سببا للاتفاق على الحق وارتفاع الخلاف وكان علمهم بها سببا لحصول الاختلاف فكذا كفار قومه عليه افضل الصلاة والسلام جاءتهم ادلة واضحة دالة على حقيقة دينه عليه الصلاة والسلام ثم اصروا على الكفر واستكبروا عن الايمان والطاعة عداوة وحسدا (**قوله** حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم) اشارة الى انه لا حاجة الى تخصيص العالمين بعالمى زمانهم بناء على ان الظاهر ان المراد تفضيلهم بما يختص بهم من الفضائل من كثرة الانبياء منهم فان عدد الانبياء فيما بين يوسف وعيسى عليه الصلاة والسلام لا يعلمه الا الله فهذه الفضيلة مختصة ببنى اسرآئيل غير موجودة فى غيرهم فهم مفضلون من هذا الوجه على سائر الامم ومما يختص بهم فلق البحر واغراق عدوهم فيه باسرهم وانزال المن والسلوى وانفجار ثنتى عشرة عينا من حجر صغير الى منازل الاسباط الاثنى عشر فى مدة احتباسهم فى التيه ونحو ذلك وليس المراد تفضيلهم على العالمين بحسب الدين والثواب قال الامام محيى السنة فى تفسير العالمين اى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله عز وجل ولا احب اليه منهم الى هنا كلامه (**قوله تعالى** انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) تعليل للنهى عن اتباع اهوآئهم اى انك ان اتبعت اهوآءهم وملت الى اديانهم الباطلة صرت مستحقا للعذاب بسببهم وهم لا يقدرون على دفع شئ مما اراد الله بك من العذاب ان اتبعت اهواءهم ثم بين الله

والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوما وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشر او الجزآء اعنى ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اذلها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ولقد آتينا بنى اسرآئيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما احل الله من اللذآئذ (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) ادلة فى امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبى عليه السلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) فى ذلك الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) امر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع اهوآء الذين لا يعلمون) آرآء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) مما اراد بك

تعالى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة بايصال الثواب اليهم وازالة العقاب عنهم وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فتكون من تتمة العلة الثانية للنهى المذكور لان بيان ان ولى الظالم من هو ظالم مثله بيان ان مثلك لا يوالى ظالما فكيف تتبعه ولما بين ان المتقين عن الظلم لا يوالون ظالما بين ان وليهم هو الله وحده وانهم لا يفعلون شيئا مما يأتون ويذرون الا ابتغاء لوجه الكريم وطلبا لمرضاته (قوله بينات تبصرهم) اى دلائل تعرفهم وفى الصحاح البصيرة الحجة والتبصير التعريف والايضاح جمع خبر هذا باعتبار ما فيه ثم انه تعالى لما رغب فى اتباع الشريعة ونهى عن اتباع آراء الجهال ذكر ان القرآن او اتباع الشريعة مع ما فيهما من البينات الشافية والدلائل الواضحة بمنزلة البصائر فى القلوب اذ يتوصل بكل واحد منهما الى تحصيل العرفان واليقين ثم انه تعالى لما بين الفرق بين الظالمين وبين المتقين وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولا حظ لهم من ولاية الله تعالى بخلاف المتقين فانه تعالى وليهم وناصرهم بين الفرق بينهما من وجه آخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وكلمة ام فيه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن بيان الفرق بينهما على الوجه المذكور الى بيان الفرق بينهما بوجه آخر ويحتمل ان تكون مقدرة ببل وحدها او بالهمزة وحدها وقوله تعالى ان نجعلهم ساد مسد مفعولى حسب لان باب حسب اذا وقع بعده ان المشددة او المخففة او الناصبة تكون هى مع ما عملت فيه سادة مسد المفعولين وههنا قد وقع بعد فعل الحسبان ان الناصبة فهى سادة مسد المفعولين ونجعلهم من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين اولهما الضمير وثانيهما الكاف فى كالذين والمعنى ان نجعلهم مثلهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب والباقون بالرفع وعلى قرآءة الرفع يكون محياهم مبتدأ ومماتهم عطفا عليه وسواء خبر المبتدأ والجملة فى موضع النصب على انها بدل من المفعول الثانى للجعل وهو الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا نحو حسبت زيدا ابوه منطلق فلو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا فكذا يجوز جعل الجملة بدلا من المفعول الثانى (قوله لان المماثلة فيه) اى فى استوآء المحيا والممات علة لكون الجملة بدلا اذ لا معنى لانكار حسبان ان يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء وامواتا اما افتراقها امواتا فان هؤلاء عاشوا على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصى واما افتراقها امواتا فان هؤلاء ماتوا على البشرى بالرحمة والرضوان وهؤلاء على اليأس من الرحمة والمصير الى الهوان و يجوز ان يكون المعنى انكار ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات فان المحسنين يتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وان وجوههم يوم القيامة مسفرة ضاحكة مستبشرة ولهم من الكرامات ما لا يعلمها الا الله تعالى بخلاف المسيئين فانهم وان كانوا مكرمين فى حياتهم كالمؤمنين بل قد يكون حالهم فى الدنيا ارجح من حال المحسنين الا ان مماتهم ليس كحياتهم فانهم مخذولون مهانون عند الموت و بعده فممات المسيئين لا يوافق حياتهم كما توافقت حياة المحسنين ومماتهم فى البهجة والكرامة وهذا اعنى كون جملة سواء محياهم بدلا من الكاف انما هو على تقدير ان يكون ضمير محياهم ومماتهم للمجترحين واما على تقدير كونه للمحسنين فلا يجوز ذلك لان المجهول مثلا هم المجترحون واستوآء الحالين وصف المشبه فلا وجه للبدلية وذكر لانتصاب سواء ثلاثة اوجه الاول ان يكون سواء بدلا من الكاف بمعنى مستويا ويكون محياهم فى محل الرفع على انه فاعل سواء بمعنى مستويا والثانى ان يكون حالا من الضمير المرفوع المستكن فى كالذين آمنوا اى احسبوا ان نجعلهم مثلهم فى حال استوآء محياهم ومماتهم وليس من الحكمة ان يستوى محيا المجترحين ومماتهم كالمؤمنين بل يقتضى ان يكون احدهما مرحوما فى الحالين ويكون الآخر مرحوما حياة ليتمكن من القيام على مقتضى التكليف و لا يكون مرحوما موتا بمقتضى العدل والثالث ان يكون سواء هو المفعول الثانى للجعل ويكون كالذين حالا من ضمير نجعلهم اى نجعلهم حال كونهم مثلهم سواء وليس هو بقوى من حيث المعنى وعلى القرآءة بنصب سواء على كل واحد من هذه الاوجه الثلاثة يريد ان تكون حياة المجترحين كمماتهم لانكار ان تكون حياة احد الفريقين كحياة الآخر ومماته كمماته فينبغى ان يكون المعنى كذلك على قرآءة الرفع (قوله وان كان للثانى) اى وان كان ضمير محياهم للموصول الثانى وهو الذين آمنوا فحينئذ يجوز لن يكون قوله سواء حالا اى من الموصول الثانى وان يكون استئنافا على سبيل التعليل للانكار اى لم يكن الفريقان على السوآء لان المؤمنين سواء محياهم ومماتهم من حيث انهم على الطاعات

(وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) اذ الجنسية علة الانضمام فلا تولوهم باتباع اهوآئهم (والله ولى المتقين) فواله بالتقى واتباع الشريعة (هذا) اى القرآن او اتباع الشريعة (بصائر للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح (وهدى) من الضلال (ورحمة) ونعمة من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين (ام حسب الذين اجترحوا السيئات) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (ان نجعلهم) ان نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله (سوآء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص سوآء بالنصب على البدل او الحال من الضمير فى الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثانى فحال منه او استئناف يبين المقتضى للانكار

حياة وعلى البشرى والرضوان مماتا بخلاف المجترحين (قوله وان كان لهما) اى ان كان الضمير للموصولين جميعا فحينئذ يكون سوآء بدلا من الكاف لان المماثلة تكون باستوآء الحالين اوحالا من الموصولين جميعا اى من نفس الشانى وضمير الاول اواستئنافا مقررا لتساوى حالى المؤمنين بالنسبة اليهم فيكون تعليلا للانكار بحسب المعنى دالا على عدم المماثلة لافى الدنيا ولا فى الآخرة لان هؤلاء متساووا المحيا و الممات فى الرحمة وهؤلاء متساووا المحيا والممات فى النقمة فان كل واحد من المحسن والمسيئ يموت على حسب ماعاش عليه فالاول عاش على الهدى ومات عليه والثانى عاش على الضلال ومات عليه فانى احدهما يكون كالآخر والحاصل انه تعالى لما انكر حسبان ان يستوى المسيئ والمحسن كان مظنة ان يقال فاذا كيف الحال فاجيب بان المؤمن يعيش حميدا او يموت سعيدا يعيش فى طاعة الرحمن ثم المرجع الى الرضوان والكافر يعيش فى طاعة الشيطان ثم المآب الى عذاب النيران فانى يستويان ومن قرأ محياهم ومماتهم بالنصب جعلهما ظرفى زمان كمقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى وقت مقدم الحاج ووقت خفوق النجم والعامل اماالجعل واماسوآء والتقدير ان نجعلهم فى هذين الوقتين سوآء اونجعلهم مستويين فى هذين الوقتين ثم انه تعالى صرح بانكار التسوية فقال ساء مايحكمون وساءهنا يجوز ان تكون للاخبار عن قبح حكمهم فتكون مامصدرية ومايحكمون فى محل الرفع على انه فاعل ساء وان تكون لانشاء الذم بمعنى بئس فتكون مانكرة موصوفة بمعنى شيأ كما فى قولك مررت بمامعجب لك اى بشئ معجب لك ومحلها النصب على التمييز والمميز المنوى فى ساء اى بئس الشئ شيأ حكموا به ذلك والمخصوص بالذم محذوف وهوذلك (قوله كانه دليل على الحكم السابق) وهوان الذين اجترحوا السيئات لايساوون المحسنين بعد الممات وتقريره ان الحق هوالشئ الثابت الذى يقتضيه الدليل ويثبت كوجود الصانع الحكيم ووحدته ووجوب طاعته شكرا لاحسانه وحرمة مخالفته وعصيانه فالله تعالى لما خلق السموات والارض بسبب الحق ولاجل ظهوره ومن جملة حكمته وعدله لزم من ذلك ان ينتقم من الظالم لاجل المظلوم والتفاوت بين المسيئ والمحسن وذلك يستدعى ان يحشر الخلائق و يحاسبوا و يجزى كل نفس بماعملت من خير اوشر فثبت به ان حسبان جعل المسيئ كالمحسن والتسوية بينهما بعد الممات امر منكر غير واقع (قوله لانه فى معنى العلة) بناء على ان الباء للسببية اى بسبب الحق ولاجل ظهوره (قوله وتسمية ذلك ظلما) جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على ان بعض مقدوره تعالى كنقص الثواب وتضعيف العقاب لووقع لكان ظلما مع انه لوفعل الله تعالى ذلك لم يكن منه ظلما لقوله وماالله يريد ظلما للعالمين فضلا عن ان يفعله وتقرير الجواب ان قوله تعالى وهم لايظلمون معناه انه لايتحقق بهم فى الآخرة فعل لوفعله غيره تعالى لكان ظلما فان شيئا من الافعال لايكون قبيحا ولاظلما من حيث وقوعه منه تعالى فان اهل الملة اتفقوا على انه تعالى لايظلم الناس شيئا الاان اهل السنة يقولون ان شيئا من الافعال لايكون ظلما بالنسبة اليه تعالى وانه لايفعل بالناس فعلا لوفعله غيره لكان ظلما كان المراد بالابتلاء والاختبار فعل مالوفعله غيره لكان ابتلاء واختبارا ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وذكر قبائحهم فقال افرأيت اى اخبرنى وفيه تجوزان اطلاق الرؤية وارادة الاخبار على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الرؤية سبب الاخبار وجعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب وقوله تعالى من اتخذ مفعول اول لقوله ارايت ومفعول الثانى محذوف مقدر بعد قوله غشاوة وهو يهتدى وحذف لدلالة قوله فمن يهديه عليه وانما قدر بعد غشاوة لئلا يتخلل بين الصلات المتعاطفة اى اخبرنى يامحمد ان هؤلاء المشركين الذين اتخذوا اهوآءهم آلهة يعبدونها ويطيعون امرهااى اطاعوا اهوآءهم حتى صاروا كأنهم يعبدونها هل يتوقع منهم ان يهتدوا ويتبعوا الهدى وقوله فمن يهديه استفهام بمعنى النفى وقوله على علم حال من الجلالة اى عالما بانه منكس البنية قدانقلب وجهه الى الجهة السفلية لا يرفع رأسه الى الفضائل الروحانية ولايقبل هدى الله بل اخلد الى الارض واتبع هواه قال الامام نظيره فى جانب التعظيم الله اعلم حيث يجعل رسالاته وتحقيق الكلام فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة نورانية علوية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى الشهوات الحيوانية فهو تعالى يعامل كلامنهم بمايليق بجوهره وماهيته وهو المراد بقوله واضله الله على علم فى حق المردودين وبقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فى حق المقبولين (قوله وقرأ حمزة والكسائى غشوة) بفتح الغين وسكون الشين وباقى السبعة غشاوة بكسر الغين وقرئ بفتحها ايضا وهى لغة ربيعة وقرئ بضمها ايضا وهى لغة قليلة وقرئ غشوة بكسر الغين كما قرئ بفتحها (قوله تعالى أفلا تذكرون) اى ايها الناس

وان كان لهما فبدل اوحال من الثانى وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة اوترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة اواستئناف مقرر لتساوى محيا كل صنف و مماته فى الهدى و الضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء مايحكمون) ساء حكمهم هذا اوبئس شيأ حكموا به ذاك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم و التفاوت بين المسيئ والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه فى معنى العلة اوعلى علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته اوليعدل ولتجزى (وهم لايظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولوفعله الله لم يكن منه ظلما لانه لوفعله غيره لكان ظلما كالابتلاء (أفرأيت من اتخذ آلهه هواه) ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهته هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه (واضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلايبالى بالمواعظ ولايتفكر فى الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله (أفلا تذكرون) وقرئ تتذكرون

(وقالوا ماهى) ماالحياة اوالحال (الاحياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيى) اى نكون امواتا نطفا وماقبلها ونحيى بعدذلك اونموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا اويموت بعضنا ويحيى بعضنا اويصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثرعبدة الاوثان (ومايهلكنا الاالدهر) الامرورالزمان وهوفى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (ومالهم بذلك من علم) يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال اوانكار البعث اوكليهما (ان هم الايظنون) اذلا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لمالم يحسوا به (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الدلالة على مايخالف معتقدهم اومبينات لهم (ماكان حجتهم) ماكان لهم متشبث يعارضونها به (الا ان قالوا ائتوابآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم اوعلى اسلوب قولهم

تحية بينهم ضرب وجيع

٧فانه لا يلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على مادلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) فان من قدر على الابدآء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء (ولكن اكثر الناس لايعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم للقدرة بعد تخصيصها

٧فانه لايلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا تعليل لكونه على اسلوب قولهم صح

بعقولكم ثم انه تعالى لمابين ضلالة المشركين بايثارهم متابعة الهوى على متابعة الهدى وايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايمان من علم منهم انهم لايؤمنون حكى عنهم شبهتهم فى انكار القيامة وفى انكار الاله القادر اماشبهتهم فى انكار القيامة فهى قولهم بانه وآلهتهم التى عبدوها واطاعوها ليس مايقوله المؤمنون من الاحياء بعد الموت حقا وماالحياة الاحياتنا القربى التى نحن عليها واماشبهتهم فى انكار الاله الفاعل المختار فهى قولهم ومايهلكنا الاالدهر فانهم ينسبون الموت والحيوة ونحوهما من الحوادث السفلية الى تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ويقولون لاحاجة فيها الى اثبات امر خارج عن هذا النظام المشاهد هوفاعل مختار مستند اليه الحوادث باسرها اماابتدآء او بواسطة فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وانكار القيامة واهل الجاهلية كانوا اصنافا منهم من ينكر الصانع و يضيف الحوادث الى الدهر ومنهم من يثبت الصانع وينكر البعث والثواب والعقاب ومنهم من يشك فى البعث ولاينكره على سبيل البت والقطع (قوله اى نكون امواتا ونحيى بعدذلك) جواب عمايقال الحياة متقدمة على الموت عند من ينكر حياة البعث فالمناسب لهم ان يقولوا ماهى الاحياتنا الدنيا نحيى ونميت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة ومحصل الجوابين الاولين انا سلمنا ان الاصل ان يكون الترتيب فى الذكر على وفق الترتيب فى الوجود لكن لانسلم انه قدخولف هذا الاصل فى هذه الآية وانما يلزم ذلك ان لوكان المراد بالموت مايعقب الحياة ويزيلها وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بالموت كونهم امواتا حال كونهم نطفا وماقبلها من الاغذية وبالحياة الحالة الحاصلة بعدذلك فى الدنيا او يكون المراد بالموت مايزيل حياتهم وبحياتهم بقاءهم فى الدنيا ببقاء اولادهم بعدهم فان بقاء اولادهم بعدهم حياة لهم مجازا ومبنى الجوابين الاخيرين منع دلالة الكلام على الترتيب فى الوجود على حسب الترتيب فى الذكر لان الواو للجمع المطلق ومع ذلك يحتمل ان يكون المراد من تعلق به الموت غيرالذى تعلق به الحياة بان يكون المعنى يموت بعضنا ويحيى بعض آخر ويحتمل ان لايكون كذلك بان يكون المعنى يصيبنا الموت والحياة منها وليس ورآء ذلك حياة وقال الامام انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هى الاحياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعنى ان تلك الحياة منها مايطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين ماتوا ومنها مالم يطرأ عليها الموت بعدذلك وهى فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد (قوله ماكان حجتهم) قرأ العامة بنصب حجتهم على تقديم خبركان على اسمها وقرئ برفعها على الاصل (قوله وانما سماه حجة) جواب عمايقال الحجة انما تطلق على الدليل القطعى وقولهم فى معرض الاحتجاج على انكار البعث ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ليس بحجة بل هى شبهة ضعيفة جدا لان عدم حصول الشئ حالا لا يستلزم ان يكون ممتنع الحصول مطلقا فان الحوادث كلها كانت معدومة من الازل الى اوقات حصولها وحدوثها ولوكان عدم الحصول فى وقت معين دليلا على امتناع الحصول مطلقا لكانت الحوادث كلها ممتنعة الحصول مطلقا وهو باطل بالضرورة الا انه تعالى سماه حجة بناء على حسبانهم ومساقهم فانهم يذكرون هذه الشبهة ويسوقونها فى معرض الاحتجاج بها او سماه حجة لبيان انهم لاحجة لهم البتة لان من كانت حجته هذه الشبهة الضعيفة جدا لايكون له حجة البتة فيكون الكلام على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فان من ابتدئوا بالضرب الوجيع فى اول التلاقى لايكون بينهم تحية البتة فقوله لاتحية بينهم ضرب وجيع لانه فى قوة ان يقال سماه حجة للدلالة على انه لاحجة لهم على امتناع البعث البتة (قوله على مادلت عليه الحجج) وهى التى استدل بها على وجود الاله القادر العليم الحكيم فى خلق السموات والارض وحدوث الحيوانات المبثوثة فى الارض وحدوث الحوادث المتجددة كانه جواب عما يقال قوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم كيف يكون جوابا لمن ينكر البعث ووجود الاله القادر على كل شئ ويقول ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الاالدهر فابطال كلامه بان يقال قل الله يحييكم مصادرة واثبات الشئ بنفسه وتقرير الجواب انه انما تلزم المصادرة ان لوقيل فى ابطال قول من ينكر البعث ووجود الاله لاتنكرهما فان الله يجمعكم الى يوم القيامة وليس كذلك بل يوجه كونه جوابا له بان معنى قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم كيف تنكر البعث ووجود الاله القادر وقد ثبت وجوده بوجود الحوادث من السموات والارض والحيوان والانسان ومن قدر على الابدآء قدر على الاعادة ومن قدر على اماتة الاموات يقدر على اعادة آبائكم واتيانها فحجتكم داحضة وشبهتكم ضعيفة واهية (قوله تعميم للقدرة بعد تخصيصها) فانه تعالى لما احتج بقدرته على الاحيا والاماتة احتج على قدرته على الاعادة ثانيا وجمعهم للمجازاة بين انه قادر على جميع الممكنات سوآء كانت سماوية اوارضية واذا ثبت كونه قادرا على كل الممكنات

فقد ثبت ان حصول الحياة فى الذوات التى وجدت ابتدآء ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصلت ابتدآء فقد لزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحياء فى المرة الثانية ثم انه تعالى لما بين صحة القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال يوم القيامة فاولها قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى يظهر خسران اهل الباطل لانهم لم يكونوا فى خسران قبله وانما خسروا يومئذ والخسران عبارة عن اضاعة رأس المال من غير بدل ينوب منابه ومن المعلوم ان الحياة والعقل والصحة كأنها رأس المال بالنسبة الى المكلف والتصرف فيها لطلب السعادة الاخروية بمنزلة تصرف التاجر فى ماله لطلب الربح ومن صرفها ايام حياته فى الكفر والمعاصى ولم يكتسب بها ماينفعه فى الاخرة ثم انتقل الى دار الآخرة فقد ظهر له هنالك انه ضيع رأس ماله بغير شئ حيث لم يجد فى ذلك اليوم الا الخيبة والخذلان وعذاب النيران ويوم ظرف لقوله يخسر ويومئذ بدل منه وتنوين يومئذ تنوين عوض عن المضاف اليه المقدر والتقدير ويوم تقوم الساعة يوم اذ تقوم الساعة يخسر المبطلون والثانية من احوال القيامة ماذكره بقوله وترى كل امة جاثية الظاهر ان الرؤية بصرية فيكون جاثية حالا من المفعول والجثوة بالضم الشئ المجتمع واجتماع كل امة معناه عدم اختلاطهم بامة اخرى وقيل جاثية اى جالسة على الركب كما يجلس الخصماء بين يدى الحاكم ومصدره الجثو وتجلس الامة على هذه الهيئة لكونها خائفة فلا تطمئن فى جلستها يوم الحساب يقال استوفز فى قعدته اذا قعد قعودا منتصبا غير مطمئن هيبة واحتراما والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى حق تلميذه يحضر مجلسه للتعلم وقلبه متعلق بمصالحه

يجيئ من فضلة وقته * ليس له هم خلاف النزوع

مذ ترى جلسة مستوفز * قد شددت احماله بالنسوع

ماشئت من زهزهة الفتى * بمصقلا باد لسقى الزروع

النسوع جمع نسعة وهى التى تنسج عريضا للتصدير وهو الحزام الذى فى صدر البعير ويشد بها فوق الاحمال لئلا تضطرب والزهزهة التحسين معرب من قولهم عند التحسين زه زه وما ابهامية ومن بيانية وهو مقول قول مقدر فى موضع الحال من فاعل ترى اى ترى جلسة مستوفز قائلا فى حال تعليمى اياه زه زه وقلبه فى مصقلا باد لسقى زرعه ومصقلا باد محل بجرجان (قوله وقرأ يعقوب كل) اى بالنصب على البدلية من كل امة الاولى ابدال نكرة موصوفة من مثلها فان تدعى على هذه القرآءة فى موضع النصب على انه صفة لكل أو حال منه او مفعول ثان لترى على ان الرؤية قلبية فتكون جاثية ايضا كذلك والعامة على الرفع بالابتدآء وتدعى خبرها (قوله اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه) مع انها اضيفت الى الامة فيما قبل حيث قيل الى كتابها وحاصل الجواب انه لامنافاة بين الاضافتين لانه كتابهم من حيث اشتماله على تفصيل اعمالهم وكتاب الله تعالى من حيث انه مكتوب بامره وقوله تعالى هذا مبتدأ وكتابنا خبره اى يقال لهم هذا كتابنا وينطق اما خبر بعد خبر او هو الخبر وكتابنا بدل من هذا او عطف بيان له ويجوز ان يكون ينطق حالا من كتابنا والعامل مافى هذا من معنى الفعل (قوله نستكتب الملائكة اعمالكم) اى نامرهم بكتبها واثباتها عليكم والنسخ فى الاصل هو النقل من اصل ويستعمل فى الكتب ابتدآء وقيل نستنسخ هذا الكتاب من اللوح المحفوظ لما روى عن ابن عباس انه قال ألستم قوما عربا ناهل يكون النسخ الا من كتاب وفى الخبر ان الملائكة اذا كتبوا اعمال العباد وصعدوا بها الى السماء امروا ان يعرضوها على اللوح المحفوظ فيوجد كذلك فالمعنى على هذا ان الملائكة كانوا يكتبون عليكم بامرنا من كتاب عندنا كتب قبل خلقكم وعملكم فلن يخفى علينا شئ ثم انه تعالى لما بين احوال القيامة من ان كل امة تدعى الى كتابها بين احوال كل واحد من المطيعين والعاصين فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته واحتجت المعتزلة بهذه الآية على حرمان الفاسق من الجنة لانه تعالى علق الدخول فى رحمته على اتيان مجموع الايمان والعمل الصالح والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز بالجنة والجواب ان تعليق الحكم على الوصف لايدل على عدم الحكم عند عدم الوصف (قوله اى فيقال لهم ألم تأتكم رسلى) اشارة الى ان جواب اما محذوف وهو قوله فيقال هذا القول وان المعطوف عليه بالفاء جملة مقدرة بين الهمزة والفاء وقوله اكتفاء واستغناء من قبيل اللف والنشر المرتب (قوله عادتهم الاجرام) اى من حيث

(ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه (وترى كل امة جاثية) مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم (كل امة تدعى الى كتابها) صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان (اليوم تجزون ماكنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ماكنتم تعملون) اعمالكم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر لخلوصه عن الشوائب (واما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) اى فيقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) عادتهم الاجرام

(واذاقيل ان وعدالله) يحتمل الموعود والمصدر (حق) كائن هو او متعلقه لا محالة (والساعة لا ريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ماندري ما الساعة) اى شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ماعداه كانه قال مانحن الا نظن ظنا اولنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله (ومانحن بمستيقنين) اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة (وبدالهم) ظهر لهم (سيئات ماعملوا) على ماكانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها اوجزاؤها (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) وهو الجزاء (وقيل اليوم ننساكم) نترككم في العذاب ترك ماينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزؤا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحياة الدنيا) فحسبتم ان لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء (ولاهم يستعتبون) لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه

انهم مع استكبارهم عن الايمان بالآيات ماكانوا اعدوا لافي اديان انفسهم بل كانوا فساقا في ذلك الدين ايضا وهذا المعنى مستفاد من لفظ كنتم وبه يحسن وصف الكافر بكونه مجرما في معرض الطعن فيه والذم له (قوله تعالى واذاقيل ان وعدالله حق الآية) داخل في حكم الاستفهام المذكور عطفا على استكبرتم اى اولم يكن الشان انه اذاقيل لكم ان وعدالله بالبعث والجزاء والعقاب حق والساعة لاريب فيها وكل واحد من الوعد والموعود حق الاول انه كائن نفسه والثاني بمعنى ان متعلقه كائن لامحالة قلتم (قوله وقرأ حمزة بالنصب) اى والباقون برفعها على انها مبتدأ والجملة المنفية بعدها خبرها وعلى انها معطوفة على اسم ان لانه قبل دخول ان مرفوع بالابتداء او على محل ان واسمها معا على رأى من يقول كلمة ان مع اسمها لها موضع وهو الرفع بالابتداء وما الاولى في قوله ماندري ما الساعة نافية والثانية استفهامية في موضع الرفع على ان الساعة مبتدأ وهي خبرها والجملة في موضع النصب بقوله ماندري (قوله اصله نظن ظنا الخ) اشارة الى ان هذه الآية لابد فيها من تأويل لان المصدر الذي يكون للتأكيد لايجوز ان يكون مستثنى مفرغا فلا يقال ماضربت الاضربا لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة ان يقال ماضربت الاضربت فانه قد تقرر في النحو انه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع معمولاته مرفوعا كان اوغير مرفوع الا المفعول المطلق فانه لايفرغ له عامله فلا يقال ماظننت الاظنا لانه لا فائدة فيه لكونه بمنزلة تكرير الفعل وهو لايجوز لاتحاد مورد النفي والاستثناء وهو الظن والحصر انما يتصور حيث تغاير موردا هما فالمصنف ذكر في تأويل الآية وجهين تقرير الاول ان مورد النفي محذوف وهو كون المتكلم على فعل من الافعال ومورد الاستثناء كونه يظن ظنا كانه قيل مانحن نفعل فعلا الانظن ظنا فكلمة الا وان كانت متأخرة لفظا فهي متقدمة في التقدير فدل اول الحصر اثبات الظن لانفسهم ونفي ماعداه ومن جملة ماعداه اليقين الذي هو الاعتقاد الجازم والمقصود نفي اليقين لكنه نفي ماعدا الظن مطلقا للمبالغة في نفي اليقين ولذلك اكده بقوله ومانحن بمستيقنين وتقرير الوجه الثاني وهو ماذكره بقوله اولنفي ظنهم فيما سوى ذلك عطفا على قوله لاثبات الظن ونفي ماعداه فان متعلق الظن في الموضعين مقدر الاان متعلق الاول عام ومتعلق الثاني خاص كانه قيل مانظن في شئ من المدركات الاظنا في هذا المدرك خاصة فاختلف موردالنفي والاستثناء باختلاف متعلق الظن في الموضعين وفيه مبالغة لاتخفى وقال السكاكى التنكير في قوله الاظنا للتحقير والمعنى لانظن بالساعة شيئا من الظن الاظنا ضعيفا لااعتداد به فالنفي جميع مراتب الظن والمثبت اضعف مراتبه فاختلف مورد النفي والاستثناء بهذا الوجه (قوله ولعل ذلك قول بعضهم) جواب عما يقال ماوجه التوفيق بين قولهم ان هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيي وبين قولهم ان نظن الاظنا ومانحن بمستيقنين فان الاول يدل على انهم قاطعون بنفي البعث والثاني يدل على انهم شاكون في امكانه ووقوعه وتقريره ان القوم لعلهم كانوا فرقتين في امر البعث والقيامة فرقة منهم كانت جازمة بنفيها وهم المذكورون في قوله تعالى ان هي الاحياتنا الدنيا وفرقة منهم كانت تشك وتتحير فيه من حيث انهم لكثرة ماسمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم من دلائل صحته ووقوعه صاروا شاكين فيه وهم المذكورون في هذه الآية حكى الله تعالى اولا قول من يقطع بنفيه ثم اتبعه بحكاية قول الشاكين (قوله على ماكانت عليه) حال من سيئات ماعملوا على ان المراد منها اعمالهم السيئة ومن ظهورها ظهورها من حيث انها سيئات وقبائح وان كانت في الدنيا مصورة بصورة مستحسنة مشتهاة تميل اليها الطباع والنفوس (قوله بان عرفوا قبحها) متعلق بقوله وبدالهم (قوله اوجزاؤها) اى ويحتمل ان يراد بسيئات اعمالهم جزاء الاعمال السيئة وتكون تسمية الجزاء سيئة من قبيل تسمية المسبب باسم سببه والا فالجزاء عدل فكيف يكون سيئة (قوله نترككم في العذاب ترك ماينسى) اشارة الى انه من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان من نسى شيئا تركه ويحتمل ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية (قوله تعالى ذلكم) اشارة الى الامور الثلاثة التي جمعها الله تعالى عليهم من وجوه العذاب بقوله وقيل اليوم ننساكم ومأواكم النار ومالكم من ناصرين كانه قيل انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب لانكم أتيتم بثلاثة انواع من الافعال القبيحة الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء والسخرية والانهماك والاشتغال بلذائذ الدنيا اشار الى الاولين بقوله اتخذتم آيات الله هزؤا والى الثالث بقوله وغرتكم الحياة الدنيا (قوله اى يرضوه) بان يرجعوا عن معصية ربهم الى طاعته بالتوبة عما سلف وباصلاح الحال فيما بقي لان ذلك اليوم لايقبل فيه عذر ولا توبة والاستعتاب طلب الاعتاب وهو الارضاء وازالة العتب

(قوله تعالى فلله الحمد الآية) خبر فى معنى الامر اى اذا ثبت وتبين فى هذه السورة الكريمة ان تنزيلها تنزيل الكتاب الكامل من الله العزيز الحكيم وثبت فيها ايضا ما يدل على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته وثواب من اطاعه فيما امر به ونهى عنه وعقاب من خالفه وعصاه ثبت انه يجب تحميده والثناء عليه وتكبيره وتعظيمه وطاعته فى كل ما كلف به فاحمدوه وهو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين جميعا فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم فاصل الكلام فالله احمدوا فعدل الى هذه الصيغة للدلالة على طلب دوام تخصيص الحمد به تعالى لانه رب كل شئ فيجب على كل مربوب تخصيص الحمد به دائما وكذا قوله وله الكبرياء اصله والله كبروا فعدل اليه لما ذكرنا قرأ العامة بجر لفظ رب فى المواضع الثلاثة تبعا للجلالة بيانا او بدلا او نعتا للاشارة الى علة اختصاص الحمد به تعالى وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو (قوله وهو العزيز الحكيم) يفيد الحصر يعنى ان العزيز الذى لا يغلب والحكيم فيما قدر وقضى ليس الا هو فعليكم طاعته والحذر من مخالفته والمواظبة على تخصيص التحميد والتكبير به تعالى شانه تم ما يتعلق بسورة الجاثية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين آمين آمين

سورة الاحقاف آياتها ثلاثون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله الا خلقا ملتبسا بالحق) يعنى ان قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو صفة لمصدر محذوف اى خلقا ملتبسا بالحكمة والصواب ويجوز ان يتعلق بخلقنا اى ما خلقنا هذه المذكورات الا بسبب اقامة الحق بين الخلق (قوله وبتقدير اجل مسمى) قدر المضاف لان خلق ما ذكر ليس خلقا ملتبسا بالاجل المسمى بل بتقديره فانه تعالى ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دارا للعمل ثم يفنيه وينشئ دارا اخرى لتكون دار الجزآء فعلى هذا الاجل المسمى هذا الوقت الذى عينه الله تعالى لافناء الدنيا وهو آخر مدة بقاء هذا العالم والاجل فى اللغة مدة الشئ والمراد به ههنا اما آخر مدة بقاء العالم ومنتهاها او آخر مدة بقاء كل احد وكلمة ما فى قوله تعالى عما انذروا يجوز ان تكون موصولة اى عن الذى انذروه من هول ذلك الوقت وان تكون مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم وعن متعلقة بالاعراض ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على وجود الاله العزيز الحكيم العدل رتب عليه الرد على عبدة الاصنام فقال قل ارأيتم ما تدعون من دون الله (قوله اى اخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها) اشارة الى ان النكتة فى التعبير عن الاخبار الذى هو السبب عن الرؤية هى الحث على النظر والتأمل ثم طلب الاخبار بعده وقوله تعالى أرونى بعد قوله ارأيتم يحتمل ان يكون تأكيدا له لانهما بمعنى اخبرونى وعلى هذا يكون المفعول الثانى لارأيتم هو قوله ماذا خلقوا ومفعول الاول هو قوله ما تدعون ويحتمل ان لا يكون مؤكدا له وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع لان ارأيتم يطلب ثانيا وارونى كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه واعمل فيه الثانى وحذف مفعول الاول وقوله من الارض بيان للابهام الذى هو فى قوله ماذا خلقوا وام فى قوله تعالى ام لهم شرك منقطعة اضرب عن الاستفهام الاول الى الاستفهام عن ان لهم مشاركة مع الله فى ملك السموات وخلقها فان الشرك بمعنى المشاركة والمعنى ان العبادة عبارة عن الاتيان باكمل وجوه التعظيم فلا تليق الا بمن صدر عنه اكمل وجوه الانعام وهو من تفرد بخلق الكائنات وترزيقها والتدبير فيها على اصلح الوجوه ومن لا يقدر على شئ من اجزآء هذا العالم كيف يجوز ان يكون شريكا لله العزيز الحكيم فانه لا يجوز ان يشرك به فى العبادة الا من يشاركه فيما يستحق به العبادة وهو خلق الكائنات وتدبير امرها (قوله وتخصيص الشرك بالسموات) يعنى ان الظاهر فى الاحتجاج على المشركين ان يقال اخبرونى ان الذين تعبدون من دون الله هل يعقل ان يضاف اليهم خلق جزء من اجزآء هذا العالم بالاستقلال فان لم يصح ذلك فهل يجوز ان يقال انهم اعانوا خالق العالم فى خلق جزء من اجزآء العالم اى جزء كان فى السموات والارض فان لم يصح ذلك ايضا صح ان الخالق الحقيقى لهذا العالم هو الله تعالى وانه هو المنعم بجميع اقسام النعم فيجب ان يخص العبادة به تعالى فكيف يصح ان يشرك به غيره فى استحقاق العبادة لكنه عدل عن ان يقال هكذا الى ما عليه نظم التنزيل لانه لو قيل ماذا خلقوا من اجزآء هذا العالم بالاستقلال ام لهم شرك فى خلق جزء من اجزآئه لاحتمل ان يقولوا نشرك ما نعبده وان لم يكن خالق شئ من اجزآء هذا العالم بالاستقلال

(فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء فى السموات والارض) اذ ظهر فيها آثارها (وهو العزيز) الذى لا يغلب (الحكيم) فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له * عن النبى عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

(سورة الاحقاف مكية وهى اربع او خمس وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا (واجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له (والذين كفروا عما انذروا) من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله (قل ارأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات) اى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل فى انفسها فى خلق شئ من اجزآء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية

الاان له شركة ومدخلا فى ايجاد الحوادث السفلية من حيث انه تعالى جعله واسطة فى ايجاد تلك الحوادث وجعلها منوطة بتأثيره فلايتم الاحتجاج عليهم حينئذ (قوله تعالى من قبل هذا) صفة لكتاب اى بكتاب كائن من قبل هذا الكتاب اذلا يمكنكم الاحتجاج بالقرآن لانه ناطق بالتوحيد وبطلان عبادة غيرالله تعالى يعنى ان جميع الكتب المنزلة تشهد بما انتم عليه من الشرك وتلخيص الاحتجاج عليهم ما خبرونى عن دليل عقلى اوائتونى بدليل نقلى اما كتاب منزل اواثر اوسنة من آثار الاولين واخبارهم والاثارة البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من الشحم الاول وهى مصدر على وزن فعالة كالغواية والضلالة وقوله اوبقية من علم صفة لاثارة اى بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (قوله وقرئ اثارة بالكسر) مثل اقامة فى انه افعال من ثار الغبار يثور ثورا وثورانا اى سطع وأثار غيره اثارة واطلاق لفظ الاثارة على المناظرة من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان المناظرة سبب لاثارة المعانى اى ان لم تأتونى بكتاب يشهد بصحة الشرك فأتونى بمناظرة تثير المعانى تشهد بصحة ما انتم عليه (قوله وأثرة) هى بفتح الهمزة والثاء اسم من الاستئثار يقال استأثر فلان بالشئ اى استبد به وتفرد فمعنى اواثرة من علم اوائتونى بشئ اوثرتم به وخصصتم من علم لااحاطة لغيركم به والاثرة بفتح الهمزة وسكون الثاء بناء مرة من اثر الحديث ورواته كانه قيل اوأتونى بخبر واحد ورواية شاذة رويت عمن اوحى اليهم من الانبياء المتقدمين فانى قدقنعت فى الاحتجاج لكم بهذا القدر على قلته وعدم شهرته وشيوعه والاثرة بكسر الهمزة بمعنى الاثرة بفتحتين وبضم الهمزة اسم للحديث المأثوراى المروى كالخطبة اسم لما يخطب به (قوله انكار ان يكون احد اضل من المشركين) وذلك لان من فى قوله تعالى ومن اضل استفهامية بمعنى النفى والانكار وهو فى موضع الرفع بالابتدآء واضل خبره ومن فى قوله من لايستجيب له يجوزان تكون موصولة وان تكون نكرة موصوفة وعلى التقديرين هى فى موضع النصب على انها مفعول يدعو اى يدعو من اذا دعى لايسمع ولايجيب لافى الحال ولافى المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية مع ان عدم استجابتهم امر مستمر فى الدنيا والآخرة اشعارا بان معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة اشد وافظع مما وقعت فى الدنيا اذ يتجدد هنالك العداوة والتبرى نحو قوله تعالى وان عليك لعنتى الى يوم الدين فانه للاشعار بانه اذا جاء ذلك اليوم لقيت ماتنسى معه اللعن (قوله لانهم اما جمادات) اى لاتسمع ابدا ان كان المراد بمن لايستجيب الاصنام (قوله واما عباد مسخرون) على تقدير ان يكون المراد به الملائكة اوعيسى عليه الصلاة والسلام (قوله يضرونهم) لانهم سبب عذابهم لكونهم اما حصب جهنم مقرونون بهم فى العذاب واما منكرون لعبادتهم بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون فلبسوا فى الدارين من عبادتهم ودعائهم الاعلى نكر ومضرة وكلمة من وهم وجمع العقلاء للتغليب ان كان المراد كل معبود سوى الله تعالى ولاسناد ما يسند الى العقلاء اليهم من الاستجابة والغفلة ان كان المراد الاوثان ويكون وصفها بترك الاستجابة على طريق التهكم بها وبعبدتها (قوله مكذبين بلسان الحال اوالمقال) الاول على تقدير ان يكون المراد به العباد المسخرين وقيل الاصنام ايضا تعادى عابديهم بلسان المقال بناء على انه تعالى يحييها يوم القيامة فتتبرأ من عبادتهم قائلة نحن متبرئون منكم ابدا ما امرناكم بعبادتنا ولا رضينا بها وانما فعلتم ذلك اتباعا لهواكم ولمن سول لكم ذلك ما كنتم ايانا تعبدون وكذلك الجن والشياطين اذا اجتمعوا فى النار مع اغواهم يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا (قوله وقيل الضمير للعابدين) عطف على المفهوم مما سبق وهوان يكون ضمير كانوا المعبودين اى وقيل معنى الآية اذا حشر الناس وجمعوا يوم القيامة كان من يعبد غيرالله اعدآء لمعبوديهم لما اصابهم من العقوبة بسبب عبادتهم غيرالله ولم يرض المصنف بهذا القول اذ لاوجه له سوآء اريد بمن لايستجيب الاصنام اوالعباد المكرمون اومايعم الجميع اذ لاوجه لان يعادى العبدة الجمادات اوالعباد المكرمين وان كان مراد القائل ان ضمير كانوا الاولى للمعبودين وضمير الثانية للعابدين كما هو المفهوم من تقرير المصنف كان وجه عدم رضاه به لزوم تفكيك الضمير (قوله اضراب) يعنى ان كلمة ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى بل الاضراب عما ذكر سابقا ومعنى الهمزة الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المناقض العجيب وهو انهم بعد تسميتهم اياه سحرا اعترفوا بانه كلام لايقدر احد على مثله عادة ثم انهم وصفوه عليه الصلاة والسلام بانه تقوله من عند نفسه ثم قال انه كلام الله تعالى افترآء عليه ولوكان الامر كذلك لكانت قدرته عليه دون امة العرب معجزة له لكونه خارقا للعادة فكان ذلك تصديقا له عليه الصلاة والسلام من الله تعالى فلايكون مفتريا لان الحكيم لايصدق الكاذب ثم انه

(ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (اواثارة من علم) اوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها مايدل على استحقاقهم للعبادة اوالامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم مايدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة اى شئ اوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم مايؤثر (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار ان يكون احد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لايستجيب لهم لوسمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرآئرهم ويراعى مصالحهم (الى يوم القيامة) مادامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم اعدآء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال اوالمقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات اومبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة (لما جاءهم) حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (ام يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ماهو اشنع منه وانكار له وتعجب

تعالى بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته الضمير فيه للحق وجواب الشرط محذوف تقدير الكلام ان افتريته
على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه حذف لدلالة قوله فلا تملكون لى من الله شيئا ومعناه
لا تقدرون على دفع عقابه عني ان افتريت عليه فكيف افترى على الله من اجلكم وانتم لا تقدرون على دفع عقابه
عني ان افتريت (**قوله** تندفعون فيه) الاندفاع الخوض والشروع بالسرعة وكذا الافاضة يقال اندفع
الفرس اى اسرع فى مشيه (**قوله** بديعا منهم) يعني ان البدع صفة بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف والبديع
من كل شئ المبتدع الذى لا سبق له والمخترع لا على مثال سبق ويجيئ بمعنى المبدع ايضا كما فى قوله بديع السموات
والارض لما حكى الله عنهم انهم طعنوا فى الآيات المتلوة عليهم وقالوا فى شأنها هذا سحر مبين وقالوا فى شأن من
تلاها عليهم انه اختلقها من عند نفسه ونسبها اليه تعالى بانها كلامه افتراء عليه وانه كاذب فى دعوى الرسالة
وكانت لهم مقالات اخر باطلة مثل قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى
فى الاسواق وقولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانهم كانوا يقترحون عليه الآيات العظيمة
ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب امره الله تعالى ان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل اى لست باول مرسل
ارسل الى البشر فانه تعالى قد بعث قبلي كثيرا من الرسل وكان كل واحد منهم بشرا يأكل ويشرب ويمشى
فى الاسواق وكانوا يدعون الى التوحيد وينهون عن الشرك وعبادة الاصنام وانهم لم يكونوا يأتون من
الخوارق والمعجزات الا ما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون بكل ما يسألون عنه من المغيبات وانما يخبرون بما اوحى
اليهم منها وانا واحد منهم فكيف تنكرون منى ان ادعى الرسالة مع انى بشر متصف بلوازم البشرية وانا ادعوكم الى
التوحيد وانهاكم عن الشرك وانا لا اقدر على ما لم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات كلها فان هذه الاشياء لا تقدح
فى نبوتى كما لم تكن قادحة فى نبوتهم (**قوله** وقرئ بفتح الدال) اما على انها صفة كالبدع بسكون الدال فان الصفة
قد تجيئ على وزن فعل كقيم وزيم يقال دين قيم اى ثابت مقوم ومستقيم وزيم روى الجوهرى عن الاصمعى انه
قال اللحم الزيم المتفرق ليس بمجتمع فى مكان واما على انه جمع بدعة مقدر بمضاف اى ذا بدع والبدعة الامر المخترع
الذى لم يكن موجودا قبل (**قوله** وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل) اختلف فى ان المراد
بما نفى عنه علمه مما يفعل به وبهم من احوال الدنيا ام من احوال الآخرة والمصنف حمله على ما هو اعم من احوال
الدنيا والآخرة لعموم اللفظ وعدم المخصص والمورد ان يقال كيف يصح منه عليه الصلاة والسلام ان يقول
ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انه نبى معصوم من الكبائر والزلات المهلكة
وانه قدوة السعداء وارفعهم منزلة فى الدنيا والآخرة وان المؤمنين هم المنصورون وان جند الله هم الغالبون وان
حزب الله هم المفلحون وان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان مصيرهم الى النعيم المقيم ومصير الكفار الى
الجحيم اشار الى جوابه بقوله على التفصيل يعني ان المنفى هو دراية خصوصيات ما يفعل به وبهم فى الدارين على
التفصيل وذلك لا ينافى كونه عالما بما يفعل به وبهم فى الدارين على الاجمال (**قوله** ولا لتأكيد النفى المشتمل على
ما يفعل بى) جواب عما يقال من ان قوله بكم فى قوله ولا بكم معطوف على بى وهو فى حيز الاثبات لان العامل فيه
يفعل وهو مثبت فلم يكن ما عطف عليه من مواضع زيادة لا فكان القياس ان يقال ما يفعل بى وبكم وتقرير الجواب
ان ما يفعل وان كان مثبتا فى نفسه الا ان النفى المذكور فى قوله ما ادرى مسلط على ما فى قوله ما يفعل لانه مفعول
الفعل المنفى فيكون مسلطا على ما فى حيزها وهو الصلة فيكون يفعل منفيا بهذا الاعتبار فتصح زيادة لا على ما هو
معطوف على معموله (**قوله** وما اما موصولة) يريد بها ما التى فى قوله ما يفعل بى لان ما التى فى قوله وما ادرى نافية
لا غير واما الثانية ان كانت موصولة تكون منصوبة بقوله ادرى اى لا اعرف الذى يفعله الله بى وان كانت
استفهامية تكون مرفوعة بالابتداء ويفعل بى خبره والجملة سادة مسد مفعولى ادرى وقد علق عن العمل
بالاستفهام والمعنى اى ما ادرى شئ يفعل بى وقرأ العامة يفعل على بناء المفعول وقرئ مبنيا للفاعل ايضا وهو
الله تعالى (**قوله** او استعجال المسلمين) مجرور معطوف على اقتراحهم روى انه لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام انه مهاجر الى ارض ذات نخل وشجر فاخبر به اصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا
ان ذلك فرج ما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا
الذى قلت متى نهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت

(قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى
من الله شيئا) اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون
على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض
نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم
(هو اعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح
فى آياته (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء
افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) وعد بالمغفرة والرحمة
لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم
(قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه
وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى
الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر
بمضاف اى ذا بدع (وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم)
فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد
النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة
او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله
(ان أتبع الا ما يوحى الى) لا اتجاوزه وهو جواب
عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب
او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين
(وما انا الا نذير) عن عقاب الله (مبين) بين الانذار
بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة

بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهو شئ رأيته فى المنام وانا لا اتبع الا ما اوحاه الله الى ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا فى حق القرآن هذا سحر مبين قال له عليه الصلاة والسلام قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به اى ألستم ظالمين لحذف فى لدلالة قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين عليه (**قوله** وقد كفرتم به) اشارة الى ان الواو فى قوله تعالى وكفرتم به حالية وقد معها مقدرة ثم جوز كونها عاطفة تعطف قوله كفرتم على فعل الشرط قال وكذا الواو فى قوله تعالى وشهد شاهد فانها ايضا عاطفة تعطف مدخولها على ما عطف عليه وهو قوله فآمن واستكبرتم اى تعطف جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله ان كان من عند الله وكفرتم به والمعنى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم اضل الناس واظلمهم وكيفية شهادته على نزول مثله ان يقول ان مثله قد نزل على موسى عليه الصلاة والسلام فلا تنكروا نزوله على رجل مثله فى كونه مصدقا بالمعجزات القاهرة فان التوراة مثل القرآن من حيث الدلالة على اصول الشرع كالتوحيد والبعث والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك وان اختلفا فى بعض الفروع والاحكام وقيل المثل فى قوله تعالى على مثله صلة والمعنى وشهد شاهد عليه اى على انه من عند الله والفاء فى قوله فآمن للدلالة على ان ايمانه مسبب عن الشهادة على نزول مثله فانه لما علم ان مثله قد انزل على نبى قبله وانه من جنس الوحى لا من كلام البشر وشهد عليه واعترف به كان الايمان نتيجة ذلك فآمن عقب تلك الشهادة بلا مهلة وجعل مجموع قوله وشهد شاهد الآية معطوفا على مجموع قوله ان كان من عند الله وكفرتم به لانه لو جعل وشهد معطوفا على كفرتم لكان قوله واستكبرتم تكرارا لقوله كفرتم من حيث المعنى خاليا عن الفائدة (**قوله** وقيل موسى عليه الصلاة والسلام) يعنى اختلف فى المراد بقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل فذهب الاكثرون الى ان المراد بهذا الشاهد هو عبد الله بن سلام لما قدم المدينة وقيل انه موسى عليه الصلاة والسلام (**قوله** استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم) فانه تعالى لما وصفهم بالكفر بما هو من عند الله والاستكبار عن الايمان به توجه ان يقال فكيف يكون عاقبة امرهم مع هذا الكفر والاستكبار فاجيب عن هذا القول المتوهم بان الله لا يهديهم ما داموا على الوصف المذكور الذى هو ظلمهم لانفسهم فاشعر بنفى هدايته اياهم انهم ضالون وبوضع الظالمين موضع ضميرهم ان سبب ضلالهم هو ظلمهم لانفسهم بالكفر والاستكبار ثم انه تعالى حكى عنهم مقالة اخرى باطلة فقال وقال الذين كفروا للذين آمنوا بعد ما حكى عنهم قولهم للحق وفى شأنه لما جاءهم هذا سحر مبين وقولهم افتراه ومقصودهم بهذه المقالة انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل نزلت حين قال كفار مكة ان عامة من يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم السقاط يعنون الفقراء والموالى مثل عمار وصهيب وابن مسعود وبلال رضى الله عنهم ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم فنزلت وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه فنزلت وقيل كانت بريرة امرأة ضعيفة البصر فلما اسلمت كانت الاشراف من مشركى قريش يستهزؤن بها ويقولون لو كان والله ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه بريرة فانزل الله تعالى فيها وفى امثالها هذه الآية قيل لما قدم الرسول المدينة اتاه عبد الله بن سلام ونظر الى وجهه المنير فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمل فى سيرته وكلماته فتحقق عنده انه هو النبى المنتظر الذى بشرهم موسى عليه الصلاة والسلام ببعثته وشهد شاهد على مثل شهادة القرآن حيث قال اشهد انك رسول الله كشهادة القرآن فى نحو قوله محمد رسول الله فآمن بالقرآن وبكونه وحيا الهيا هذا على ان يكون معنى قوله وشهد شاهد على مثله على مثل القرآن وشهادته وقيل معناه على مثل ما قلته من ان القرآن من عند الله على ان يرجع ضمير مثله الى كون القرآن من عند الله المدلول عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ان كان من عند الله وانكر جماعة كون المراد بالشاهد المذكور فى هذه الآية عبد الله بن سلام وقالوا ان حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة الى المدينة واجيب بان السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وكثيرا ما تنزل الآية فيأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان توضع فى سورة كذا فى موضع كذا منها لكونه تعالى امره بذلك ومنها هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يضعها فى هذه السورة المكية فى هذا الموضع المعين واجيب ايضا بان قوله وشهد شاهد عطف على الشرط المقدم فيكونان شرطين والمقدر بعدهما وهو قوله ألستم الظالمين جواب عن كل واحد منهما

(قل أرأيتم ان كان من عند الله) اى القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التوراة من نعت الرسول (على مثله) مثل القرآن وهو ما فى التوراة من المعانى المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله (فآمن) اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل عن الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم (لو كان خيرا) الايمان او ما اتى به محمد عليه السلام (ما سبقونا اليه) وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله عنه واصحابه

والشرط لا يجب حصوله عند التكلم به فلا تكون شهادة عبد الله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة منافية لكون الآية
نزلت بمكة والتعليق بالشرط المترتب ثم وقوعه كما ذكر ووصف معجزة ظاهرة لكونه اخبارا عن الغيب على ما هو عليه
ثم ان من انكر كون المراد بالشاهد المذكور في الآية عبد الله بن سلام قال المراد به موسى عليه الصلاة والسلام
فانه عليه الصلاة والسلام شهد على التوراة وهي مثل القرآن من حيث اشتمالها على الشهادة بحقية نبوة سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم وسائر ما هو من اصول الدين من التوحيد والترغيب في الطاعة والترهيب عن
المخالفة والعصيان ونحو ذلك وقال الامام قيل ليس المراد من الشاهد شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر محمد
صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة وان البشارة بمقدمه وبعثه حاصلة فيها فتقدير الكلام اوان رجلا منصفا
عارفا بالتوراة اقر بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لكنتم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق وقوله
لاجلهم اى لاجل ايمان الذين آمنوا على ان اللام للعلة لا للتبليغ بان يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا
على وجه الخطاب لهم كما تقول قال زيد لعمرو والا لكان الظاهر ان يقال ما سبقتمونا اليه (قوله ظرف لمحذوف)
لان اذ لازمة الاضافة وقد اضيفت الى قوله لم يهتدوا فلا يعمل فيها لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف وايضا هي
للمضي فلا يعمل فيها قوله فسيقولون لكونه للاستقبال والفعل الاستقبالي لا يعمل في الظرف الذي للمضي
فلا يقال ساكتب امس والفاء في قوله فسيقولون سببية تقتضي ان يذكر قبلها ما يكون سببا لقولهم هذا افك
قديم فلذلك قدر ما يكون عاملا في الظرف وسببا للقول المذكور والمعنى واذ لم يهتدوا بالقرآن المبين والآيات
البينات ظهر عنادهم فسيقولون كذلك هذا افك قديم كما قالوا انه اساطير الاولين ومعنى السين فيه انه يتحقق منهم
هذا القول حينا بعد حين مسببا عن العناد والاستكبار (قوله وهو خبر لقوله كتاب موسى) يعني ان قوله كتاب
موسى مبتدأ ومن قبله خبره قدم عليه وهذا الخبر المقدم ناصب لقوله اماما على الحالية كقولك في الدار زيد
قائما وقال الزجاج انتصب اماما بما دل عليه قوله ومن قبله كتاب موسى لان معناه وتقدمه كتاب موسى اماما
اى قدوة يؤتم به في دين الله تعالى وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه قال الامام ووجه
تعلق هذا الكلام بما قبله ان القوم طعنوا في صحة القرآن وحقية الدين بقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه
هؤلاء الصعاليك فنزل هذا الكلام استشهادا بحقية التوراة على حقيتهما فكأنه تعالى قال والذي يدل على
صحة القرآن والدين انكم لا تنازعون في ان الله تعالى انزل التوراة على موسى وجعله اماما يقتدى به فاقبلوا
حكمها في حقية امر محمد صلى الله عليه وسلم وحقية كتابه ودينه (قوله اولما بين يديه) من الكتب الالهية
مطلقا اى القرآن يصدق الكتب التي قبله اى كتاب كان في ان محمدا عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله
استشهد على حقية كتاب موسى بكونه اماما يقتدى به في الدين ورحمة لمن آمن به وعمل صالحا بما فيه وعلى حقية
القرآن بكونه مصدقا مطابقا له اولجميع ما بين يديه من الكتب الالهية (قوله اومنه) اى اوهو حال من كتاب
لتخصصه بالصفة فان الحال من النكرة الغير المتخصصة يجب تقدمها عليها (قوله وفائدتها) اى وفائدة الحال
اوفائدة الصفة من حيث كون نسبتها الى فاعلها مقيدة بمضمون الحال للاشعار بان كون القرآن مصدقا
للتوراة حال كونه لسانا عربيا يدل على كونه وحيا الهيا كما ان مجرد كونه مصدقا لها يدل على انه حق ضرورة ان
ما يطابق الحق حق واما وجه دلالة التقييد على انه وحي الهي فان ما يطابق العبراني حال كونه لسانا عربيا لا يتصور
صدوره عمن لا يعرف اللغة العبرانية فتعين كونه وحيا الهيا وقوله عربيا صفة لقوله لسانا وهو المسوغ لوقوع هذا
الجامد حالا فان الحال لا بد ان تكون مبينة للهيئة اما بالذات او بالغير والاسم الجامد لا يبين الهيئة بالذات فلا يصح
ان يقع حالا الا بما يتبعه من الصفة فتكون حالا موطئة (قوله اى يصدق ذا لسان عربي) هو النبي صلى الله
عليه وسلم (قوله علة مصدق) اى ومتعلق به فان المفعول له يكون منصوبا بتقدير اللام اذا اشترك مع فعله في
الفاعل بان يكونا فعلين لفاعل واحد ومقارنين له في الزمان فاذا فقد احد الشرطين اوكلاهما يكون مجرورا
بلام ملفوظة فان قرئ لينذر بياء الغيبة وكان المنوى فيه ضمير الكتاب كان الظاهر ان يقال انذارا وتبشيرا بتقدير
اللام فيهما لوجود شرطي النصب فيهما واما ان قرئ بتاء الخطاب اوقرئ بياء الغيبة وكان المنوى فيه ضمير البارى
تعالى اوضمير الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اتيان اللام ظاهر لاختلاف الفاعل فقول المصنف وفيه ضمير
الكتاب اوالله اوالرسول محل بحث وقوله وبشرى في موضع النصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول له وهو

(واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم
وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو
كقولهم اساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرآن
وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما
ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب
موسى اولما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا)
حال من ضمير كتاب في مصدق اومنه لتخصصه بالصفة
وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على
ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه
وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل لسانا عربيا مفعول
مصدق اى يصدق ذا لسان عربي باعجازه (لينذر
الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب اوالله
اوالرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي
بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين)
عطف على محله

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزآء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزآء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزآء (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا (حملته امه كرها ووضعته كرها) ذات كره اوحملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر و الفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدة حمله و فصاله والفصال الفطام ويدل عليه قرآءة يعقوب وفصله اووقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال

كل حى مستكمل مدة العمر ... ومود اذا انتهى امده

(ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء

٧ وليس المراد به حقيقة الفصال لان المراد بيان مدة الرضاع لا الفصال
صح

من المنصوبات اى للانذار والتبشير وقيل الاجود ان يكون قوله وبشرى مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو بشرى لان نصبه بالحمل على المحل انما يكون اذا كان الاصل فى المفعول له مطلقا النصب وليس كذلك بل الاصل فيه الجر والنصب انما هو عند ومتفرع على الحذف والايصال ثم انه تعالى لما بين اختلاف احوال الناس فى قبول الدعوة الى الايمان وفى التمرد والاصرار على الشرك والطغيان حيث قال فى اول السورة والذين كفروا عما انذروا معرضون ثم ساق الكلام الى ان قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم الآية انزل قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى آخر الآيتين وبين بهما اختلاف احوال الناس فى قبول نصيحة الابوين ودعوتهما الى الايمان وعدم قبولهما واذا كان حال الناس مع الوالدين كذلك لم يبعد ان يكون حالهم مع النبى عليه الصلاة والسلام وقومه كذلك كأنه يقول امرنا الانسان فى حق والديه بالاحسان ثم بين السبب فقال حملته امه كرها ووضعته كرها قرأ غير الكوفيين من السبعة حسنا بضم الحاء وسكون السين وهو مفعول ثان لقوله ووصينا على تضمين التوصية معنى الالزام عدى الى مفعوله الثانى بنفسه باعتبار التضمين كأنه قيل الزمناه حسنا اى امرا ذا حسن فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولك ان لا تعتبر التضمين وتجعل تقدير الكلام ووصيناه بامر ذى حسن على ان يكون بدلا من قوله بوالديه بدل اشتمال ثم حذف منه ما ذكرنا وحذف الجر ايضا على طريق الحذف والايصال وعلى قرآءة الكوفيين يكون احسانا منصوبا بفعل مقدر أى وصيناه بوالديه بان يحسن اليهما احسانا على ان يكون بدلا من قوله بوالديه ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لوصينا على تضمينه معنى الزمناه وان يكون مفعولا له اى وصيناه بهما احسانا اليهما (قوله وقرئ حسنا) بفتح الحاء والسين على انه صفة مصدر محذوف اى ايصاء حسنا وقيل هو مصدر ايضا كالحسن ونظيرهما البخل والبخل والشغل والشغل (قوله ذات كره اوحملا ذا كره) على الاول يكون كرها حالا من الفاعل وعلى الثانى يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لفعله والكره والكره لغتان فى معنى المشقة كالشرب والشرب والضعف والضعف وقيل المضموم اسم للشئ المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم والمفتوح مصدر كرهت الشئ اكرهه دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فى مقام ذكر سبب التوصية وذلك يدل على ان حقها اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد اكثر والاخبار فى هذا الباب كثيرة (قوله ومدة حمله) قدر المضاف ليصح الاخبار بقوله ثلاثون شهرا واولم يقدر المضاف لقيل ثلاثين بالنصب على انه ظرف واقع موقع الخبر وهو خلاف الرواية وايضا دلالته على المعنى المراد لا يخلو عن خلل لان كون الحمل والفصال فى ثلاثين شهرا ليس بصريح فى ان مدتهما تمام ثلاثين شهرا والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى يقال فطمت الرجل عن عادته اى قطعته عنها وفطمت الام ولدها اى قطعته عن اللبن ولم ترضعه وفصلت الرضيع عن امه فصلا وفصالا اذا قطعته عنها وذكر المصنف ان الفصال قد يطلق على وقت الفطام ايضا واكد كون المراد منه فى الآية نفس الفطام بقرآءة وفصله لان الفصل لا يطلق الا على وقت الفطام (قوله والمراد به الرضاع التام المنتهى به) جواب عما يقال المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال وتقرير الجواب انه لما كان المراد بيان مدة الرضاع التام المنتهى بالفصل عبر عن المراد به تعبيرا عن المراد باسم ما يجاوره وينتهى هو اليه وهو الفصال فيكون الفصال مجازا مرسلا عن الرضاع التام والعلاقة كون احدهما غاية للآخر ومنتهاه ٧ والنكتة فى ارتكاب المجاز التنبيه على ان المراد الرضاع التام المنتهى الى الفصال ووقته ولو قيل وحمله ورضاعه ثلاثون شهرا لما كان فى العبارة دليل على كون المدة المذكورة منتهية الى الفصال ونظيره ان الشاعر عبر عن مدة العمر بالامد الذى هو غاية الزمان ونهايته فقال

كل حى مستكمل مدة العمر ... ومود اذا انتهى امده

اى هلك اذا انتهى مدة عمره فان الامد بمعنى الغاية ولا معنى لان يقال وهلك اذا انتهى غاية عمره فالمراد بمدة العمر عبر به عنه للدلالة على ان المراد المدة التامة المنتهية الى الموت ومود اسم الفاعل من أودى فلان اذا هلك (قوله لانه اذا حط منه الفصال حولان) يعنى انه علم من هذه الآية ان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقد عين اربعة وعشرون شهرا للفصال بقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا أسقطنا الحولين الكاملين وهى اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين شهرا بقى اقل مدة الحمل ستة اشهر وعليه اجماع المسلمين واما اكثر مدة الحمل فليس

فى القرآن مايدل عليه قال ابو على ابن سينا بلغنى وصح عندى ان امرأة وضعت بعد الرابعة من سنى الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة الولادة لجميع الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت الحبلى لتسعة اشهر وربما وضعت فى الشهر الثامن وقلما يعيش المولود فى الثامن الا فى بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع واكثر مدة الرضاع ثلاثون شهرا عند ابى حنيفة خلافا لهما فانهما قالا اكثر مدة الرضاع سنتان وقال زفر ثلاث سنين واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ووجه الاحتجاج به انه تعالى ذكر شيئين وضرب لهما مدة واحدة وذلك يقتضى ان يكون جميع المذكور مدة لكل واحد منهما كما قال اجل الدين الذى على فلان والدين الذى على فلان سنة يفهم منه ان يكون اجل كل واحد من الدينين سنة الا انه قام الدليل على ان مدة الحمل لا تكون اكثر من سنتين وهو قول عائشة رضى الله عنها لا يبقى الولد فى بطن امه اكثر من سنتين ولو بقدر ظل مغزل والظاهر انها قالت سماعا لان المقادير لا يهتدى اليها الرأى فبقى مدة الفصال على ظاهره ولهما قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ولزم ان الرضيع لا يمكنه التحول من الرضاع الى الطعام فى ساعة واحدة فلا بد من الزيادة على الحولين والحول يصلح لان يكون زمانا للانتقال من حال الى حال لاشتماله على الفصول الاربعة (قوله ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع) لما جعل الاية دليلا على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وان اكثر مدة الرضاع حولان بما ذكره من الوجه ورد ان يقال لم يتعرض لبيان اكثر مدة الحمل واقل مدة الرضاع فاجاب عنه اولا بان ما تعرض له منضبط حيث لم تر ان المرأة تلد لاقل من ستة اشهر وما جاءت به قبلها سقط وليس بولادة وكذا ما وقع بعد الحولين من الرضاع ليس برضاع اذ الرضاع ما يكون مبنيا على الضرورة ولا ضرورة بعد تمام الحولين وما وقع بعده تناول جزء الادمى عن تشهى كتناول سائر المحرمات فلا يكون رضاعا وما سكت عنه غير منضبط فان النساء قد تلد لتسعة اشهر ولاقل منها ولاكثر وكذا زمان استغناء الولد عن الرضاع غير مضبوط وهو ظاهر وثانيا بان تخصيصهما بالبيان لتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما فانه اذا ثبت ان الاشهر الستة اقل مدة الحمل يثبت نسب من ولد فى هذه المدة وتكون امه مصونة عن تهمة الزنى وارتكاب الفاحشة وكذا اذا ثبت ان اكثر مدة الرضاع سنتان علم ان ما حصل بعد هذه المدة من الرضاع لا يترتب عليه احكام الرضاع من كون المرضعة اما للرضيع وكون زوجها الذى لبنها منه أبا له فيحرم التناكح بينهم ففى تخصيصهما بالبيان فائدة عظيمة هى دفع المضار واندفاع التهمة عن المرأة فسبحان من له تحت كل كلمة من كتابه الكريم اسرار عجيبة ولطائف نفيسة تعجز العقول عن الاحاطة بها (قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده) لا بد ههنا من جملة محذوفة مدلول عليها بقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اى فعاش بعد الفصال واستمرت حياته او بقوله ووصينا الانسان اى اخذ ما وصيناه به حتى اذا بلغ اشده كمال عقله وقوته وقوله اشده واربعين سنة مفعولا البلوغ اى بلغ وقت اشده وتمام اربعين سنة فحذف المضاف واختلف المفسرون فى تفسير الاشد روى عن ابن عباس انه ثمانى عشرة سنة وقال اكثر المفسرين انه ثلاث وثلاثون سنة لان هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان قال الامام تحقيق الكلام فى هذا المقام ان يقال مراتب سن الحيوان ثلاث وذلك لان بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية ولا شك ان الرطوبة الغريزية غالبة زائدة على الحرارة الغريزية فى اول العمر وناقصة فى آخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يقبل حصوله الا اذا حصل الاستواء فى وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام اولها ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد فى ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء والمرتبة الثانية وهى المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة وهى المرتبة الاخيرة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين الاول هو النقصان الخفى وهو سن الكهولة والثانى هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة وساق الكلام الى ان قال فبلوغ الانسان الى آخر سن الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنماء وان بلوغه الى اربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص والنفس من وقت الاربعين تأخذ فى الاستكمال (قوله قيل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين) اى سنة قال الامام هذا يشكل بعيسى عليه الصلاة

ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ اشده) اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ اربعين سنة) قيل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين

(اذهبتم) اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين (طيباتكم) لذاتكم (فى حياتكم الدنيا) باستيفائها (واستمتعتم بها) فما بقى لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر (واذكر اخا عاد) يعنى هودا (اذ انذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود وبعده والجملة حال اواعتراض (الا تعبدوا الا الله) اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى عن الشئ انذار عن مضرته (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما العلم عند الله) لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له (وابلغكم ما ارسلت به) اليكم وما على الرسول الا البلاغ (ولكنى اراكم قوما تجهلون) لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض فى افق من السماء (مستقبل اوديتهم) متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) اى يأتينا بالمطر (بل هو) اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هى ريح ويجوز ان يكون بدل ما (فيها عذاب اليم) صفتها

مجهولا على القلب والاصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا اى تظهر وتبرز عليهم بحيث ينظرون اليها ظاهرة مكشوفة ويحضرون عندها قبل ان يلقون فيها فيقال لهم اذهبتم الخ اى استوفيتم والنكتة فى اعتبار القلب المبالغة بادعاء ان النار ذات تميز وقهر وغلبة (قوله غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة) لان الف الاستفهام دخلت على همزة القطع مسهلة بين الهمزة والالف ولم يدخل بينهما الف وهو مذهبه فى نحو أانذرتهم فتكون الهمزة المسهلة بمنزلة حرف المد للهمزة المحققة (قوله وهما يقرآن بها) اى بهمزة ممدودة كابن كثير هذا على رواية هشام عن ابن عامر ويقرآن بهمزتين محققتين ايضا اى من غير تسهيل الثانية وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر دون الاستفهام الا انه من حيث المعنى كالقرآءة بهمزة الاستفهام فان معنى الاستفهام فيها التقرير والتوبيخ كما فى قوله تعالى أكفرتم بعد ايمانكم فكذا المعنى فى القرآءة على الخبر فان العرب توبخ بالخبر كما توبخ بالاستفهام (قوله فما بقى لكم منها شئ) استفاد معنى العموم من اضافة الطيبات لان اضافة الجمع تفيد العموم (قوله بسبب الاستكبار والفسوق) اشارة الى ان الباء فى قوله بما كنتم فى الموضعين سببية وما فيهما مصدرية وعذاب الهون معناه العذاب الذى فيه ذل وهوان علل الله تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار عن قبول الدين الحق والايمان بمحمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو ذنب القلب والثانى الفسق والمعصية بترك المأمور به وفعل ما نهى عنه وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثانى لان ذنب القلب اعظم تأثيرا من ذنب الجوارح لما كان اصرار كفار مكة على الشرك لانهماكهم فى لذات الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى فى حقهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قال تعالى واذكر اخا عاد اى واذكر لقومك هذه القصة ليعتبروا ويخافوا مثل حالهم فان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها من قومك مع انه تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فليعتبروا بحالهم وليتركوا الاغترار بما عندهم من زخارف الدنيا وليقبلوا على طلب الدين الحق فان الفائز من اتبع الحق لا من اتبع الهوى والشهوات (قوله يعنى هودا) عليه الصلاة والسلام فانه نسيب عاد وواحد منهم (قوله اذ انذر) بدل من اخا عاد بدل اشتمال (قوله من احقوقف الشئ) يريد ان بينهما اشتقاقا لان الحقف مشتق من احقوقف وليس الامر كذلك بل الامر بالعكس (قوله بالشحر) وهو اسم موضع من بلاد اليمن الجوهرى شحر عمان وشحر عدن هو ساحل البحر بين عمان وعدن (قوله الرسل) على ان يكون النذر جمع نذير بمعنى المنذر وقيل انه فعيل بمعنى الانذار (قوله والجملة حال) من فاعل انذر اومفعوله اى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده فانه على تقدير ان يكون قوله وقد خلت حالا وقيدا لانذاره قومه لابد من اعتبار علم القوم بمضمون تلك الجملة ليكون اعتبار ذلك القيد مفيدا كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اى اتكفرون والحال انكم عالمون بهذه القصة فان قلت ما معنى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده مع ان المنذرين الذين سيبعثون بعده لا يصح ان يقال انهم خلوا ومضوا على زمانه قلت هو اما من باب * علفتها تبنا وماء باردا * والتقدير هنا وقد خلت النذر من بين يديه وتأتى من خلفه واما من قبيل تنزيل الآتى منزلة الماضى لكونه محقق الوقوع وهذا هو الملائم لفصاحة الكتاب المعجز (قوله اواعتراض) اى ويجوز ان تكون الجملة معترضة بين انذر وبين ان لا تعبدوا اى انذرهم بان لا تعبدوا الا الله اوان لا تعبدوا على ان تكون ان مصدرية اومفسرة لان انذر فى معنى القول اى نهاهم عن الشرك وانذرهم عن مضرته وقد انذر من تقدم من الرسل ومن يأتى بعده مثل ذلك (قوله لتصرفنا) فان الافك مصدر افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ (قوله سحابا عرض فى افق من السماء) يعنى ان العارض السحابة التى تعرض اى تبدو وترى من ناحية من السماء ثم تطبق السماء اى تغطيها ويصيب مطرها جميع الارض والضمير المنصوب فى قوله تعالى فلما رأوه يرجع الى ما فى قوله بما تعدنا اى فلما رأوا الموعود به من العذاب وعارضا حال اوتمييز لان قوله رأوه من رؤية العين (قوله والاضافة فيه لفظية) لكونها من قبيل اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اى عارضا مستقبلا اوديتهم متوجها اليها وكذا اضافة ممطر فان اصله ممطر لنا اى يأتينا بالمطر فلذلك لم تفد الاضافة فيهما تعريفا للمضاف وهما مضافان الى معرفتين فصح كونهما صفتين للنكرة فان مستقبل صفة لقوله عارضا وممطرنا صفة لقوله عارض (قوله اى قال هود بل هو) احتاج الى اضمار القول لان الاضراب المذكور لا يصح ان يكون مقولا لمن قال هذا عارض وهو ظاهر وتعين كون القائل هودا عليه الصلاة والسلام مستفاد من قرآءة ابن مسعود رضى الله عنه قال هود بل هو ولان الكلام فيما سبق

انما وقع بينه وبينهم ولوقدر قال الله بل هو ما استعجلتم به لانفك النظم (**قوله** هى ريح الخ) يعنى ان قوله ريح يجوزان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هى ريح وان يكون بدلا من ما فى قوله بل هو ما استعجلتم (**قوله** وقرئ يدمر كل شئ) بالياء التحتانية المفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على انه فاعل يدمر من دمر الشئ يدمر دمارا اذا هلك وعلى هذه القرآءة يكون العائد الى الموصوف محذوفا والتقدير يدمر كل شئ بهبوبها عاصفة ويجوز ان يكون العائد الضمير المجرور فى ربها ويحتمل ان لا تكون الجملة صفة بل استئنافا وقوله كل شئ عبارة عن الكثرة لانه كم من شئ لم تدمره تلك الريح وكون التدمير بامر رب الريح معناه ان الدمار ليس بقتضيه طبيعة الريح لذاتها وليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات ايضا بل هو امر حدث ابتدآء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم (**قوله** اذلا توجد نابضة حركة) علة لكون كل ممكن ليس له قيام بنفسه يقال نبض العرق اى تحرك (**قوله** وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد) فان الريح ليست من العقلاء المميزين حتى تكون مأمورة بالتدمير من قبله تعالى وانه تعالى رب كل شئ وليست ربوبيته بالنسبة الى الريح فقط حتى يضاف الرب اليها الا انه اضيف اليها الرب للدلالة على عظم شأنها بكونها منسوبة اليه تعالى ومظهرا من مظاهر قدرته وعلى عظم شأن خالقها ويكون مثل هذا الشئ العظيم مملوكا له تعالى ومنقاد التصرفه فان تصريفه تعالى اياها من جهات مختلفة على وجوه متباينة يدل على كمال قدرته ونفاذ مشيئته واكد هذا المعنى بذكر الامر وجعلها مأمورة من قبله عز وجل تشبيها لها بالعقلاء المميزين الذين لا يتوقفون فى امتثال امر الآمر المطاع من حيث كونها منقادة مطاوعة لارادة الله تعالى وتكوينه فيها ماشاء روى انه احتبس عنهم المطر ايا مافبعثوا قوما الى الكعبة للاستسقاء فجاؤها فاستسقوا لقومهم واظهر الله تعالى لهم ثلاث قطع من السحاب على الوان مختلفة فقيل لهم اختاروا لقومكم واحدة من هذه القطع فاختاروا قطعة سودآء منها وقالوا انها اكثر مطرا فساقها الله تعالى الى ديارهم فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا فقالوا هذا عارض ممطرنا فاجابهم هود بان قال بل هو ما استعجلتم به لقولكم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فرأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشى تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم ورمت بهم فى البحر ولم يبق الا هود ومن آمن به وكانوا قد اعتزلوا منهم ودخلوا فى حظيرة وكانت التى تصيبهم ريحا طيبة هادية وكون الريح فى حقهم بهذا الوصف وفى حق الكفرة بما ذكر من الشدة معجزة له عليه الصلاة والسلام (**قوله** والتقدير ولقد مكناهم فى الذى اوفى شئ) اشارة الى ان ما يجوزان تكون موصولة ومابعدها صلتها وان تكون موصوفة ومابعدها صفتها وذكر لكلمة ان ثلاثة اوجه الاول انها نافية بمعنى ما وعدل عنها الى ان كراهة اجتماع المثلين كما قلبت لذلك الفها هاء فى مهما اصله ماما عند الخليل والثانى انها شرطية والجملة الشرطية صلة ما او صفتها وجواب الشرط محذوف والثالث انها صلة كما فى قوله

يرجى المرء ما ان لا يراه * ويعرض دون ادناه الخطوب

اى يؤمل ما لا يراه ولا يصل اليه والخطوب جمع خطب وهو الامر والشأن العظيم اى تعرض الخطوب بينه وبين ادنى شئ مما يؤمله فلا يمكنه الوصول الى ادنى شئ منه والمعنى حينئذ ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وان احوالهم كانت كاحوالكم ولستم باكثر منهم مكنة وقدرة فاذا قدرنا على اهلاكهم فنحن قادرون على اهلاككم ايضا وكونها نافية اصح الوجوه والمعنى حينئذ مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة الارزاق والاموال ثم انهم مع هذه القوة والبسطة مانجوا من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم انه تعالى ذكر من جملة ما انعم به عليهم ما يكون سببا لنجاتهم من عذابه ولنيل رحمته واحسانه فانهم ان استعملوا اسماعهم فى سماع الدلائل وابصارهم فى ان ينظروا بها فى ملكوت السموات والارض ويشاهدوا اعجائب مصنوعاته ويستدلوا بافئدتهم على معرفة الله وكمال قدرته ودقائق حكمته حيث هيألهم مما ينتظم به احوالهم ما يعجز عن احاطته افكار اولى الالباب فما استعملوا هذه القوى فيما يسعدهم بل صرفوها الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم شئ منها من عذاب الله تعالى وما فى قوله فما اغنى عنهم نافية لا استفهامية لان قوله من شئ يأبى عن كونها استفهامية اذ يصير التقدير حينئذ اى شئ اغنى عنهم من شئ (**قوله** صلة لما اغنى) اى ظرف معمول له منصوب به اى ما اغنى عنهم وقت

وكذلك قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم واموالهم (بامر ربها) اذلا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل شئ ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) اى فجأتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن (كذلك نجزى القوم المجرمين) روى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية وهى احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى او فى شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما فى قوله
يرجى المرء ما ان لا يراه * ويعرض دون ادناه الخطوب
والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ) من الاغناء وهو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث

كونهم جاحدين وهذا ظرف يفيد فائدة التعليل بان يقال لانهم كانوا يجحدون اذ لا فرق بين ان يقال ضربته لاسائته وضربته اذ أساء فان الضرب لما كان مترتبا على ما اضيف اليه الظرف وهو الاساءة كان المضاف اليه بمنزلة العلة وكذلك حيث فانه ايضا ظرف جار مجرى التعليل من حيث ان ما اضيف اليه يترتب عليه الحكم ترتب المعلول على علته (**قوله** ماكانوا به يستهزئون من العذاب) فان قولهم فائتنا بما تعدنا من العذاب استهزاء به (**قوله** كحجر ثمود) الحجر منازل ثمود فى ناحية الشام وقرى قوم لوط فى ارض سدوم بالشام وقرى قوم هود باليمن فانها جميعا قريب من بلاد الحجاز والمراد باهلاك القرى المهلكة باليمن والشام اهلاك اهلها ولذلك قال لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا عن كفرهم فان قيل دل ذلك على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم وهو مذهب المعتزلة القائلين بجواز تخلف مراد الله تعالى عن ارادته والجواب ان المعنى انه تعالى فعل مالو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة كالاختبار والامتحان اذا اسند اليه تعالى والمقصود من الاية تبكيت مشركى مكة وابطال زعمهم ان الاصنام شفعاؤهم عند الله وانهم يتقربون بها اليه تعالى كانه قيل كيف تزعمون ذلك الا ترون انا اهلكنا عبدة الاصنام الساكنين فى حوالى بلاد الحجاز فهلا نصرهم اصنامهم قطع المصنف بان المفعول الاول لقوله تعالى اتخذوا محذوف وهو العائد الى الموصول ثم ذكر ان مفعوله الثانى اما قربانا واما آلهة ثم ذكر ان الثانى ان كان قربانا يكون آلهة اما بدلا من قربانا اوعطف بيان له وان كان الثانى آلهة يكون قربانا اما حالا من آلهة قدم عليها لكون ذى الحال نكرة اومفعولا له على انه مصدر بمعنى التقرب كالكفران والشكران والغفران وهو فى سائر الاحتمالات اسم بمعنى ما يتقرب به وقال صاحب الكشاف لا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى ولم يذكر وجه الفساد ولعل وجه الفساد ان قوله من دون الله يأبى عن كون قربانا مفعولا وذلك لان المعنى يصير حينئذ اتخذوهم ما يتقرب بهم متجاوزين عن الله والمفهوم منه انه تعالى ذمهم بانهم لم يتخذوه تعالى ما يتقرب به بل عدلوا عنه واتخذوا الاصنام قربانا وهذا معنى فاسد لانه تعالى لا يتقرب به بل يتقرب اليه وهذا الفساد لا يتجه على تقدير ان يكون آلهة مفعولا ثانيا وقربانا حالا دخلت بين المفعولين لان معنى الذم حينئذ يكون متوجها الى ترك اتخاذ الله تعالى الها معبودا بالحق والعدول الى اتخاذ آلهة يتقربون اليها ولم يلتفت المصنف الى ما قاله لان معنى الذم على تقدير ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه يكون متوجها الى عدولهم عن عبادة الله تعالى الى عبادة الآلهة لان قربانا لما كان بدلا منه كان فى حكم الساقط وكان المفعول الثانى بحسب المعنى آلهة وكان المعنى اتخذوهم آلهة من دون الله والحال ان الاله هو الله وحده ولا فساد فى هذا المعنى (**قوله** غابوا عن نصرهم) اى ليس المراد غيبة الالهة باعيانها عنهم ولا ضياعها وهلاكها فى انفسها فان الضلال قد يكون بمعنى الهلاك كما فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر اى فى هلاك ويقال ضل الشئ يضل ضلالا اى ضاع وهلك وقد يكون بمعنى الغيبة كما فى قوله تعالى أئذا ضللنا فى الارض فانه بمعنى خفينا وغبنا كما فى قولهم ضل اللبن فى الماء وليست آلهة المشركين غائبة عنهم بذواتها ولا ضالة هالكة فى انفسها وقوله ضلوا عنهم استعارة تبعية شبهت الالهة بالاشياء الغائبة عنهم فى عدم نفعهم بها عند نزول العذاب وامتناع الاستمداد بها امتناع الاستمداد بمن ضل وغاب وهذا هو الذى اراده المصنف بقوله غابوا عن نصرهم (**قوله** صرفهم عن الحق) وهو التوحيد والطاعة اختار قراءة من قرأ وذلك افكهم بالفتحات الثلاث على انه فعل ماض من افكه يأفكه بفتح العين فى الماضى وكسرها فى الغابر أفكا بفتح الهمزة وسكون الفاء اى قلبه وصرفه عن الامر فيكون ما فى قوله وما كانوا يفترون مصدرية فى موضع الرفع بالعطف على المبتدأ وهو ذلك وقيل على الضمير المرفوع فى افكهم وحسن ذلك الفصل بينهما بالضمير المنصوب فقام ذلك مقام التأكيد ويكون المعنى حينئذ وذلك الاتخاذ الذى كان مؤداه امتناع ما اتخذوه قربانا عن نصرهم وامتناع ان يستمدوا به امتناع الاستمداد بالضال صرفهم عن التوحيد والطاعة وكونهم مفترين على الله باتخاذ الشركاء وقرأ الجمهور وذلك افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء فيكون ذلك اشارة الى امتناع النصرة وضلالهم عنهم ويكون الافك مصدر أفك يأفك بمعنى كذب يكذب ويقدر المضاف قبل الافك ويكون المعنى وذلك الذى اصابهم من امتناع النصرة وامتناع الاستمداد بما اتخذوه سبب التقرب اليه تعالى اثر كذبهم الذى هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وانهم يستحقون العبادة لكونهم قربانا وأثر كونهم مفترين على الله تعالى على ان يكون قوله وماكانوا يفترون معطوفا على افكهم وقرئ افكهم بالفتحات الثلاث وتشديد الفاء للمبالغة والتكثير اى صرفهم

(وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون) من العذاب (ولقد اهلكنا ما حولكم) يا اهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكريرها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل اوعطف بيان او آلهة وقربانا حال اومفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال (وذلك افكهم) وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك (وماكانوا يفترون)

صرفا بليغا وقرئ ايضا آفكهم بالمد وكسر الفاء وضم الكاف على انه اسم فاعل من افكه اى صارفهم اوقولهم الافك اى الكاذب اوذو الافك ثم انه تعالى لما بين ان الانس فريقان معرضون عما انذروابه وموحدون مستقيمون فى الامور بين ان الجن ايضا فريقان منهم من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم يغفرله ويتخلص من عذاب اليم وان كافرهم معرض للعقاب العظيم فقال واذصرفنا اليك وهو منصوب باذكر فى قوله واذكر اخاعاد فانه معطوف على قوله اخاعاد اى اذكر اذصرفنا اليك نفرا اى اقبلنابهم نحوك ومن الجن صفة لنفرا وكذا يستمعون ويجوز ان يكون يستمعون حالا من نفر لتخصيصه بالصفة وروعى معنى النفر حيث اعيد اليه ضمير الجمع فى يستمعون ولوروعى لفظه وقيل يستمع لجاز (قوله اوالرسول) على طريق الالتفات من الخطاب فى قوله اولئك الى الغيبة فى حضوره (قوله تعالى فلماقضى) قرأ العامة على بناء المفعول اى فرغ من قرآءة القرآن وهو يؤيد كون هاء حضروه راجعا الى القرآن وقرئ على بناء الفاعل اى فلما اتم الرسول قرآءته وهى تؤيد عود الهاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف فى عدد ذلك النفر فروى عن ابن عباس ان اولئك الجن كانواسبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم وفيه دليل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس وعن ذربن جيش انهم كانوا تسعة احدهم زوبعة وهو رئيس من رؤساء الجن وعن قتادة انه قال ذكرلنا انهم صرفوا اليه من نينوى وقيل نصيبين اسم بلد باليمن وقيل نصيبين ونينوى كانامن توابع ديار بكر والاول قرية بالشام والثانى قريب من الموصل (قوله روى انهم وافوا) اى صادفوا ووجدوا اختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل هو مأمور بانذار الجن والقرآءة عليهم ففعله امتثالا لذلك الامر اوامروا وهو يقرأ القرآن فوقفوا مستمعين وهو لايشعر فانبأه الله تعالى باستماعهم قرآءته وذهب الى كل واحد من القولين جماعة قال المفسرون لما مات ابوطالب وايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجابة اهل مكة اياه خرج الى الطائف وحده يدعوهم الى الاسلام ويلتمس منهم نصرتهم اياه فى الدعوة الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه فى ذلك وقالوا انت اعلم بامرك ومالنا رغبة فى القبول منك وأغروابه سفهاء ثقيف فلما يئس من خير ثقيف انصرف الى الطائف راجعا الى مكة ووصل الى وادى النخلة ويقال له بطن مكة وسمى بوادى النخلة لان فيه نخلة فقام صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوادى يصلى العشاء الاخيرة وقيل قام فيه يصلى الفجر فمربه نفر من اشراف جن نصيبين فاستمعوا لقرآءته وآمنوا واجابوا لما سمعوا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وهو صلى الله عليه وسلم ماقرأ عليهم القرآن امتثالا لامر الله ولارآهم وروى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا هذا الذى حدث فى السماء انما حدث لامر ظهر فى الارض فذهبوا يطلبون السبب حتى بلغوا تهامة فمروا بوادى النخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى ويقرأ القرآن فاستمعوا القرآءته وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن فجمع صلى الله عليه وسلم اصحابه لذلك فقال انى امرت ان اقرأ القرآن على الجن الليلة فمن يتبعنى منكم قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبدالله بن مسعود قال لم يحضر معه صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد غيرى وقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذت اداوة ولااحسبها الاماء فانطلقنا حتى اذاكنا على مكة فى شعب الحجون رأيت اسودة مجتمعة قال فخط لى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال ههنا حتى آتيك ومضى صلى الله عليه وسلم اليهم فرأيتهم يثيرون اليه فقام معهم ليلا طويلا حتى جاءنى مع الفجر فقال لى هل معك من وضوء قلت نعم ففتحت الاداوة فاذا هو نبيذ فقال صلى الله عليه وسلم ثمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منهاثم قال يصلى وفى رواية لمسلم ان ابن مسعود قال لم اكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لو كنت معه (قوله قيل انما قالوا ذلك) يعنى قيل فى جواب مايقال لم قالوا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى مع ان الظاهر ان يقولوا كذلك لان القرآن انزل من بعد عيسى المبعوث بعد موسى عليهما الصلاة والسلام روى عن عطاء والحسن ان من قال ذلك كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا اناسمعنا كتابا انزل من بعدموسى لان فى الجن طوائف مختلفة من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام كما فى الانس واطبق المحققون على ان الجن مكلفون وعن ابن عباس ان الجن ماسمعت امر عيسى صلى الله عليه وسلم فلذلك قالوا ذلك (قوله تعالى مصدقا لمابين يديه) اى الكتب الانبياء وذلك ان كتب الانبياء

(واذصرفنا اليك نفرا من الجن) املناهم اليك والنفردون العشرة وجمعه انفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) اى القرآن اوالرسول (قالوا أنصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلماقضى) اتم وفرغ من قرآءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول (ولوا الى قومهم منذرين) اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده (قالوا ياقومنا اناسمعنا كتابا انزل من بعد موسى)قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا اوماسمعوا بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لمابين يديه يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرآئع

(يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يكون فى خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب اليم) هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم فى توابع التكليف كبنى آدم (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) اذ لا ينجى منه مهرب (وليس له من دونه اولياء) يمنعونه منه (اولئك فى ضلال مبين) حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد (بقادر على ان يحيى الموتى) اى قادر ويدل عليه قرآءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شئ قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين

جميعا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم وعقيدة امر النبوة والمعاد وتهذيب الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعانى (قوله فان المظالم لا تغفر بالايمان) دم المسلم اذا كان ذميا ثم اسلم لا تسقط عنه حقوق العباد باسلامه ولا يغفر عن الحربى الحق اذا كان ماليا (قوله واحتج ابو حنيفة) يعنى ان العلماء اختلفوا فى ان مؤمنى الجن هل يثابون بنعيم الجنة اولا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا بقول الجن يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وهو قول الحنفية قال لان العبد لا يستحق الثواب بعمله وانما يناله ذلك بمجرد الوعد الالهى تفضلا وكرما ولا وعد فى حق الجن الا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فيقول بهذه المرتبة قطعا واما الاثابة بنعيم الجنة فوقوف على قيام الدليل ولم يقم عليه دليل فان قيل كيف يحتج بقول الجن اجيب بانه تعالى اذا حكاه من غير نكير فقد علم رضاه به فكان دليلا من هذه الجهة ثم انه تعالى لما ذكر من اول السورة الى هنا امر التوحيد والنبوة ذكره هنا ما يقرر امر المعاد فقال اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الآية فان المقصود منها الاستدلال على كونه قادرا على البعث بأن خلق ما ذكرا دون من اعادة الشخص حيا والقادر على الاكمل لا بد ان يكون قادرا على ما دونه (قوله ولم يتعب ولم يعجز) يقال عيى بالامر يعيى من باب علم يعلم اذا تحير فيه ولم يهتد لوجهه وعجز عنه ومنه كقوله تعالى وما مسنا من لغوب وهو التعب والاعياء تقول منه لغب يلغب لغوبا من باب دخل (قوله اى قادر) اشارة الى ان قوله تعالى بقادر فى موضع الرفع على انه خبر ان وزيدت الباء فى خبر ان مع انها لا تزاد فى الكلام الخبرى الا اذا كان مشتملا على النفى بليس او بما نحو ليس زيد براكب او ما زيد براكب بناء على ان المقصود اثبات القدرة لا اثبات الرؤية فان الاستفهام الانكارى فى اولم يروا متوجه الى نفى القدرة لا الى نفى الرؤية وان النفى المذكور فى اول الآية مشتمل على ان وما فى حيزها فكأنه قيل أليس هو بقادر الا ان اداة النفى ادخلت على فعل الرؤية للدلالة على ان نفى القدرة مع كون ثبوتها ظاهرا بينا بعيد عجيب فكأنه قيل قدرة من هذا شأنه على البعث بينة محسوسة فكيف لا يبصرونها وينفونها ولما كان الانكار والتعجب المطلق لنفى الرؤية ظاهرا متعلقه بنفى القدرة بحسب المعنى صح دخول الباء فى خبر ان كما صح دخولها فى خبر ليس فى قولنا أليس هو بقادر ويدل على ان المعنى ذلك ان بلى لايجاب النفى بمعنى انها تنقض النفى المتقدم سواء كان ذلك النفى مجردا عن اداة الاستفهام نحو بلى فى جواب من قال ما قام زيد اى بلى قد قام زيدا وكان مقرونا بالاستفهام فانها ايضا تنقض النفى المذكور بعد اداة الاستفهام كقوله ألست بربكم قالوا بلى اى بلى انت ربنا فلولا ان النفى فى قوله اولم يروا انه بقادر متعلق بالقدرة بحسب المعنى لكان الجواب ان يقال بلى انهم يرون انه قادر بان يجعل بلى لتقرير الرؤية لانها هى المنفى لفظا ومعنى وحينئذ فلما جعلت مقررة للقدرة حيث قيل بلى انه على كل شئ قدير علم ان النفى متعلق بها من حيث المعنى (قوله والمعنى ان قدرته واجبة) يعنى ان قوله تعالى ولم يعى بخلقهن اشارة الى ان قدرته تعالى ذاتية لا تنقص ولا تنقطع بايجاد الاجرام العظام وغيرها وقرر ذلك ببلى وما بعدها على سبيل التعميم ليكون كالبرهان على المقصود الذى هو القدرة على البعث ثم انه تعالى لما اثبت قدرته على البعث ذكر بعض احوال الكفار بعد البعث فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يقال لهم يوم يعرضون على النار أليس هذا بالحق والمقصود بهذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على ما كان منهم فى الدنيا من الانكار لوعد الله تعالى من البعث والجزاء والفاء فى قوله فذوقوا للسببية اى اذا عرفتم انه الحق فذوقوا بسبب كفركم وتكذيبكم وعد الله ووعيده فى قولكم وما نحن بمعذبين (قوله ومعنى الامر) جواب عما يقال من ان صيغة الامر تقتضى ان يكون المأمور فاعلا للمأمور به باختياره ولا اختيار للكفار فى ذوق العذاب اذ ليس لهم الا قبول ارادة الله تعالى والتحمل له فما معنى صيغة الامر ههنا فاجاب عنه بان ذلك من امر التكليف والامر ههنا ليس للتكليف بل هو للاهانة والتوبيخ والظاهر ان صيغة الامر لا دخل لها فى التوبيخ بل هو مستفاد من قوله بما كنتم تكفرون الا ان الاهانة الواقعة بصيغة الامر لما كانت مسببة عن كفرهم المستوجب للتوبيخ كان التوبيخ مستفادا من الامر ايضا لانه لما استفيد من الامر الاهانة المسببة عما يوجب التوبيخ استفيد منه التوبيخ ايضا والفاء فى قوله تعالى فاصبر عاطفة لهذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة وهى فاء الجواب لشرط محذوف اى اذا سمعت وعلمت انى منتقم من الذين كفروا فاصبر على اذاهم اياك (قوله اولوا الثبات والجد) والصبر على

اذى معانديهم ومكذبيهم وهم الرسل كلهم على ما اختاره المصنف حيث جعل من للتبيين وقيل اولوا العزم بعض الرسل وهم المأمورون بالجهاد والصابرون على اذى اعداء الدين وقيل الصابرون على البلاء مطلقا وهم نوح حيث صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسمعيل على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال تعالى فى حق آدم ولم نجد له عزما وفى حق يونس ولا تكن كصاحب الحوت والصحيح ان الرسل كلهم اولوا العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل ولفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض فكأنه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم وبصبرهم وثباتهم وما قيل ان جميع الرسل اولوا العزم الا يونس لعجلة منه كانت لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت والا آدم لقوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ليس بصحيح لان معنى قوله ولم نجد له عزما والله اعلم لم نجد له قصدا الى الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيا عن نزول العذاب (قوله تعالى ولا تستعجل لهم) قيل انه صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب على من ابى من قومه فامر بالصبر وترك استعجال نزول العذاب عليهم ثم اخبر ان العذاب نازل بهم فى وقته لا محالة وانه اذا انزل بهم صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار لهول ما عاينوا فان الشئ اذا مضى صار كأنه لم يكن وان كان طويلا (قوله اى كفاية فى الموعظة او تبليغ) وفى الصحاح الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ والبلاغ ايضا الكفاية فقوله تعالى بلاغ معناه هذا ابلغ قدر الكفاية فلن يهلك بعذاب بعد هذا البيان او البلاغ الا من فسق وخرج عن الاتعاظ بمواعظ الله تعالى والاستفهام فى قوله تعالى فهل يهلك للنفى (قوله ويؤيده) اى ويؤيد كون قوله بلاغ من الابلاغ قرآءة من قرأ بلغ على الامر (قوله وقيل مبتدأ خبره لهم) الواقع بعد قوله ولا تستعجل اى لهم بلاغ اى وقت يبلغون اليه فحينئذ يتم الكلام عند قوله ولا تستعجل ويوقف عليه ولم يرض بهذا القول لان الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة التشبيهية بعيد جدا مع ان الظاهر ان يتعلق لهم بالاستعجال لا بالاستقرار المقدر (قوله وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها) قرأ الجمهور فهل يهلك على بناء المفعول وقرآءته بفتح الياء وكسر اللام على بناء الفاعل ههنا ظاهرة لان هلك يهلك من باب ضرب يضرب لغة شائعة وكونها من باب علم يعلم ليس شائعا * هذا آخر ما يتعلق بسورة الاحقاف والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه) يعنى ان صد يجيئ لازما ومتعديا وما فى الآية يمكن حمله عليهما وفى الصحاح صد عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه فان حمل على المتعدى يكون عطفه على قوله كفروا من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على ان منع الغير عن الدخول فى الاسلام اشد توغلا فى الكفر والضلال بحيث يكون مظنة لان يتوهم انه امر مغاير للكفر لا يدل عليه قوله الذين كفروا كما فى قوله تعالى وملائكته وجبريل وان حمل على اللازم يكون عطفه عليه للبيان والتفسير لان الامتناع من الدخول فى الاسلام هو الكفر لا غير (قوله كالمطعمين يوم بدر) قيل هم ستة نفر من اغنياء قريش اطعم كل واحد منهم الجنود الذين اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا الى انقضاء حادثة بدر وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو جهل والحارث ابنا هشام وقال مقاتل كانوا اثنى عشر هؤلاء الستة والباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود وابو سفيان بن حرب وصفوان ابن امية والعباس بن عبد المطلب اطعم كل واحد منهم الاحابيش يوما (قوله اى ضائعة محبطة بالكفر) يعنى ان كان المراد باعمالهم ما يعدونه مكارم ومحاسن يكون المراد باضلالها اما جعلها ضائعة بحيث لا يكون لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل فانها لا رب لها يحفظها ويعتنى بشأنها او يدبر امرها فكذا مكارم الكفار فان شيأ من ذلك لا يعتبر الا بالاسلام واما جعلها مغلوبة مغمورة فيه اى غائبة فى كفرهم وشركهم مضمحلة مستورة بظلمة الكفر

(ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة (بلاغ) هذا الذى وعظتم به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد عليه الصلاة والسلام وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآيها سبع او ثمان وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام فى جميع من كفر وصد (اضل اعمالهم) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله

كضلال الماء فى اللبن واما جعلها ضلالا وغواية لان كل مالا يقصد به وجه الله تعالى لا يكون هدى وطاعة بل يكون ضلالا ومعصية (قوله او ابطل ما عملوه الخ) عطف على قوله صلى الله عليه وسلم جعل الله مكارمهم ضالة اى ان كان المراد بما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع عباد الله عن الدخول فى الاسلام فاضلالها جعلها بحيث لا يترتب عليها ما قصد وامنها وان يبطل سعيهم فيها ويجعلهم خائبين محرومين من مرادهم بتحقيق ما اراده من نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم وان بالغوا فى الكيد به واظهار دينه على جميع الاديان او بالغوا فى منع الناس عن الدخول فيه (قوله يعم المهاجرين والانصار الخ) يعنى ان قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عام فى كل من آمن وعمل صالحا كما ان قوله والذين كفروا وصد وا عام فى كل من كفر وصد وان التعريف فيهما ليس للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين وما روى عن ابن عباس من ان الذين كفروا وصدوا مشركوا مكة وان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الانصار تخصيص من غير مخصص اذ لا يظهر وجه التخصيص فيه الا ان جعل التعريف فى قوله والذين آمنوا كذلك وان جعل للجنس والعموم يكون التعريف فى الذين آمنوا ايضا للعموم لوجوب مقابلة الخاص بالخاص والعام بالعام (قوله تخصيص للمنزل) يعنى انه من عطف الخاص على العام المقدر بناء على ان قوله والذين آمنوا معناه آمنوا بجميع ما يجب الايمان به بناء على ان حذف المفعول للتعميم مع الاختصار كما فى قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام اى يدعوا جميع عباده ولا شك ان الايمان بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من جملة افراد ما يجب الايمان به فلا بد لتخصيصه بالذكر بعد ذلك التعميم من نكتة وهى ما ذكره من التعظيم لشأنه والاشعار بانه الاصل فيه (قوله ولذلك) اى ولكون تخصيصه بالذكر لتعظيم شأنه اكده بالجملة الاعتراضية الواقعة بين المبتدأ والخبر الواردة على طريق الحصر مثل ذلك الكتاب وحاتم الجود فان امثال هذه التراكيب تفيد حصر الصفة على الموصوف لكما لها فيه بحيث يكون ما عداه بالنسبة اليه كأنه ليس بمتصف بما اسند اليه من الصفة فمعنى الحصر فى قوله وهو الحق ان القرآن هو البالغ فى كونه حقا منزها عن ان يشوبه شئ من وجوه البطلان لكون نظمه ومعناه بالغا الى اقصى مراتب الكمال (قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ) معطوف على ما سبق من حيث المعنى فان قوله ولذلك اكده بكذا اعتراضا على طريقة الحصر يشعر بان المراد بالحق ضد الباطل وان قوله وهو الحق من ربهم معناه انه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان وجه الحصر كون المنزل عليه فى اقصى مراتب الحقية ووجه كونه متعرا بذلك ان كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل عليه بالذكر انما يظهر اذا كان معنى الحقية عدم تطرق الفساد اليه بوجه ما اذ لو كان معنى حقيته كونه ثابتا لا ينسخ لما ظهر كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد مما قبلها من تعظيم المنزل عليه لان النسخ عبارة عن بيان انتهاء الحكم لانتهاء علته وكون الحكم منسوخا بهذا المعنى لا يوجب نقصانا حتى يكون عدم تطرق النسخ اليه مظنة التعظيم ولما كان الكلام السابق متعرا بان حقيته ان لا يتطرق اليه الفساد بوجه ما عطف عليه قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ ولم يرض به لان الجملة الاعتراضية لا يبقى لها فائدة يعتد بها حينئذ وهذا التقرير على ان تكون عبارة المصنف هكذا اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ الا ان العبارة فى اكثر النسخ هكذا ٩ فحينئذ يكون الكلام محل بحث لان تلك الجملة على تقدير ان يكون الحق بمعنى الثابت كيف تكون مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل بالذكر الا ان يقال كونه ثابتا لا ينسخ كناية عن كونه حقا واجب الاتباع عاريا عن تطرق البطلان اليه بوجه ما فحينئذ يظهر وجه التأكيد الا انه يبقى ان يقال لا فائدة فى قوله على طريقه بعد قوله اكده لان الظاهر ان ضمير طريقه للتأكيد المدلول عليه بقوله اكده (قوله وقرئ نزل) الجمهور على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ نزل مشددا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وما عدا قراءة الجمهور من الشواذ (قوله سترها بالايمان) على ان يكون بناء التفعيل للتكثير والمبالغة يقال كفرت الشئ اكفره بالكسر كفرا اى سترته فهو من باب ضرب والذى هو ضد الايمان من باب نصر ويتعدى بالباء وهذا يدل على ان قوله تعالى اضل اعمالهم بمعنى جعلها مغلوبة مستورة فى كفرهم وان المعنى ان اعمال الكفار وان كانت من قبيل المكارم والحسنات يجعلها الله تعالى غائبة مستورة فى غمرات كفرهم وترك متابعتهم الحق المنزل من عند الله تعالى وان سيئات المؤمنين يسترها الله تعالى اى بكنف ايمانهم ومتابعتهم الحق المنزل (قوله وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها) فان كل واحد من حكم الاضلال والتكفير قد رتب سابقا على الموصول

٥ الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين ينبغى ان يجعل التعريف فى قوله صح

او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) سترها بالايمان وعملهم الصالح (واصلح بالهم) حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره (بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك تسمى تفسيرا

٩ اعتراضا على طريقه وحقيته بكونه ناسخا صح

(فاشعر)

فاشعر ذلك بعلية مضمون الصلة له كما ان ترتيب الحكم على الموصوف يشعر بعلية الصفة له ثم ذكر صريحا سبب
كل واحد من الحكمين المذكورين بعد ما ذكر على سبيل الايماء ومثل هذا تسميه علماء البيان التفسير لكونه موضحا
للعلة التي ذكرت ايماء واشعارا (قوله مثل ذلك الضرب) اشارة الى ان الكاف منصوب المحل على انها صفة
مصدر محذوف وان الضرب بمعنى التبيين وان المثل في العرف العام وان كان عبارة عن القول السائر المشبه
مضربه بمورده وان ضربه استعماله فيما شبه بمورده على سبيل الاستعارة التمثيلية الا ان المراد بالمثل ههنا
الحالة العجيبة تشبيها لها بالقول السائر في الغرابة المؤدية الى التعجب وان ضمير امثالهم يحتمل ان يرجع الى فريقي
المؤمنين والكافرين فانه تعالى بين حال الكافر بان كفره بلغ في كونه شرا له الى ان صارت مكارمه
مغمورة في كفره بحيث لم ير شيئا من منافعه وبين حال المؤمن بان ايمانه بلغ في كونه خيرا له الى ان صارت
سيئاته مكفرة مستورة بكنف ايمانه بحيث لم ير شيأ من تبعاتها ومضارها ولم يكتف بذلك بل انضم اليه
اصلاح بالهم بان بدل الله تعالى سيئاتهم حسنات وهذه احوال عجيبة للفريقين بينها الله تعالى ٥ للناس
احوال انفسهم ليعتبروا ويتداركوا بعد ما وفقهم تعالى لصالح الاعمال والاخلاق فالمشار اليه بقوله تعالى
كذلك هو معنى ما ذكر من اول السورة الى قوله واصلح بالهم (قوله او يضرب امثالهم الخ) عطف على قوله
يبين لهم احوال الفريقين او احوال الناس ويجوز ان لا يكون المراد بامثالهم احوالهم العجيبة بل يراد به معناه
اللغوي فان المثل في اللغة بمعنى الشبه والامثال بمعنى الاشباه والاشكال ويراد بضرب امثالهم واشباههم
بيان ما يشبه به انفسهم واعمالهم فانه تعالى شبه الكافر بمن يتبع الباطل على طريق التشبيه البليغ من حيث
كونه متوجها الى الباطل ساعيا فيه فكأنه يتبعه اذ ليس ثمة اتباع باطل حقيقة بل ليس هناك الا ارتكاب باطل
والاتيان به وكذا شبه المؤمن بمن يتبع الحق من حيث كونه متوجها اليه قاصدا اياه فصار كأنه يتبعه اي
انه يتبع الحق وان الكافر يتبع الباطل اي كأنه هو ولما كان المقصود من تشبيه قسميهما تشبيه عمل الكافر باتباع
الباطل وتشبيه عمل المؤمن باتباع الحق قال المصنف جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار اي شبيها شبه به
حال الكافر وعمله وكذا جعل اتباع الحق مثلا لعمل المؤمن اي شبيها شبه به حال المؤمن وعمله وقال والاضلال
مثلا لخيبتهم اي وشبه خيبتهم وحرمانهم من ثواب مكارمهم باضلالهم اياها وكونها كالبعير الضال الذي
لا يهتدى اليه صاحبه اذ ليس ثمة اضلال الثواب حقيقة وانما المتحقق هو الحرمان منه وقال وتكفير السيئات
مثلا لفوزهم اي وشبه فوزهم بسعادة الآخرة بتكفير السيئات اذ ليس ثمة الا فوز المؤمن بفضله تعالى ورحمته
وعبر عنه بتكفير السيئات واصلاح البال فظهر انه تعالى بين من اول السورة الى قوله والذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم ما يشبه به اعمال الفريقين وعاقبة امرهما من خيبة احدهما وفوز الآخر ثم قال كذلك يضرب
الله للناس امثالهم اي يبين ما يشبه به اعمالهم وعواقبهم ثم انه تعالى لما بين ان الذين كفروا وامتنعوا عن الدخول
في الاسلام او منعوا الناس عنه ليس لهم من المكارم والاعمال الصالحة ما يعتد به وان بينهم وبين الذين آمنوا
تباين الطريق من حيث ان احد الفريقين يتبع الباطل ويكون حزب الشيطان والفريق الآخر يتبع الحق
ويكون حزب الرحمن امر المؤمنين ان يقتلوهم افضح قتلة بان يفصلوا مجمع حواسهم عن ابدانهم فقال فاذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب فالفاء في قوله فاذا لقيتم فاء الجواب شرط محذوف وفي قوله فضرب الرقاب فاء
جواب اذا وقوله فضرب مصدر مؤكد لفعله المحذوف لدلالة المصدر عليه وذلك الفعل المقدر هو العامل في فاذا
ومنع ابو البقاء ان يكون المصدر نفسه عاملا فيه فقال لانه مؤكد وهو احد القولين في المصدر النائب عن الفعل
فقال بعضهم ناصب المفعول به في نحو ضربا زيدا هو المصدر المؤكد وقال آخرون هو عامله (قوله والتعبير
به عن القتل) اشارة الى ان ضرب الرقاب كناية عن القتل عبر به عنه لكونه من لوازم القتل غالبا فان قتل الانسان غالبا
يكون بضرب رقبته (قوله ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن) وذلك لان قصد المؤمن في محاربة
الكفار ليس دفعهم عن نفسه حتى يقتصر على قدر ما يدفعهم به عن نفسه فان من يضرب الصائل لدفعه عن نفسه
لا يضرب مقتله اولا بل يتدرج فيضرب اولا غير مقتله فان اندفع به فذاك والا يترقى الى درجة الاهلاك بل مقصوده
رفع وجود الكافر عن وجه الارض بالكلية وتطهير الارض منهم فانه تعالى جعل الارض للمسلمين مسجدا
وطهورا والمشركون نجس ويجب تطهير المسجد من النجاسة وطرح من لا يعبد الله تعالى عن محل عبادته فلذلك

٥ للناس ليعتبروا ويتعظوا بها ويحتمل ان يكون ضمير
امثالهم للناس فيكون المعنى يبين صح

(كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس)
يبين لهم (امثالهم) احوال الفريقين او احوال الناس
او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل
الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا
للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم
الذين كفروا) في المحاربة (فضرب الرقاب) اصله
فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد
الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي
ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له
باشنع صورة

كان ينبغي لمن يحاربهم ان يقصد مقتلهم اولا وهو الحلقوم والاوداج لكن لا يتهيأ ذلك حال الحرب الا نادرا فيضرب رقابهم ان امكن لكون ضربها مستلزما لقطع الحلقوم والاوداج المستلزم للموت والا فيضرب اى عضو امكن (قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم) غاية للامر بضرب الرقاب وايجابه لا لبيان غاية لنفس القتل اذ لو كان لبيان غاية القتل لما جاز القتل بعد الاثخان مع انه يجوز الى ان يسلموا او يرضوا باعطاء الجزية وفسر اثخانهم باثخان قتلهم وتكثيره فيهم بحيث يعجز الباقين عن الاضرار بالمسلمين ويجوز ان تكون همزة اثخن للازالة والسلب كما فى قولك اشكيته اى ازلت عنه الشكاية اى ازلت شكواه ويكون المعنى ازلتم ثخن الاعدآء وقوتهم بالقتل ومنه قولهم اثخن الصيد اذا ازال قوته على التوحش بالجرح والوثاق وهو الاسر والشد لا يكون الا بعد اكثار القتل كما قال تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض (قوله منا وفدآء) مصدر ان لفعل محذوف لا يجوز اظهاره لما تقرر فى النحو من ان المصدر متى سيق تفصيلا لاثر مضمون جملة متقدمة وعاقبتها وجب نصبه باضمار فعله والتقدير ما ذكره المصنف والمراد بالمن ان يطلق الاسير الكافر مجانا ويترك من غير ان يؤخذ منه شئ والفدآء ان يطلق بان يؤخذ منه مال او اسير مسلم محبوس عندهم فى مقابلته والآية محكمة عند الامام الشافعى وجماعة لاطلاق النبى صلى الله عليه وسلم ثمامة بعد عرض الاسلام عليه ثلاثة ايام فلما اطلقه فى اليوم الثالث ذهب واغتسل ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم واسلم وفدآء النبى رجلا من عقيل كان اسيرا عند ثقيف برجلين كانا من ثقيف اسيرين عنده صلى الله عليه وسلم فان الامام الشافعى يقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهى القتل والاسترقاق والفدآء باسارى المسلمين والمن وعند ابى حنيفة واصحابه الامام مخير فى الاسارى بين ان يقتلهم او يسترقهم او يتركهم اهل ذمة للمسلمين ولا يردهم الى دار الحرب لا على وجه المن والاطلاق مجانا ولا على وجه الفدآء وقالوا الآية منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فان هذه الآيات نسخت المن والفدآء بالمال والفدآء باسارى المسلمين عند ابى حنيفة خلافا لصاحبيه فى الفصل الاخير قال لا يجوز شئ من ذلك لئلا يعود وبالهم علينا ولئلا يكثر سوادهم قال مجاهد ليس اليوم من ولا فدآء انما هو الاسلام او ضرب العنق وهذا فى مشركى العرب خاصة لانهم لا يسترقون ولا تقبل منهم الجزية واما فى غيرهم ان شاء جعلهم الامام ذمة وان شاء استرقهم وان شاء قتلهم (قوله آلاتها واثقالها) فان الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل فيتناول آلات الحرب كلها قال الاعشى

واعددت للحرب اوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

ومن فسر الاوزار بالآثام شبه الاثم بالحمل فسماه وزرا على طريق الاستعارة والوزر باى معنى كان انما هو على المحاربين لا على نفس الحرب فالمعنى حتى تضع اهل الحرب اوزارهم او حتى تضع الحرب اوزارها على حذف المضاف كما فى واسأل القرية ومحصل المعنى افعلوا ما ذكر من الاحكام الى ان تنقضى الحرب ولا يحتاج الى قتال مشرك لزوال شوكتهم بسبب اسلامهم او مسالمتهم فما دام فى الدنيا مشرك يعادى الاسلام والمسلمين فالحرب قائمة وقيل حتى لا يبقى احد من المشركين ولا يبقى دين الا الاسلام وذلك يكون عند نزول عيسى صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنازير وتضع الحرب اوزارها اى وسلم الناس حتى لا يبقى فى الارض مشرك وعلى هذا يكون المراد بالاوزار اوزار اهل الشرك من الكفر والمعاصى (قوله اى الامر ذلك) وهو وجوب ضرب رقاب الذين كفروا على الوجه المذكور ليقطع دابر الكافرين ويكون الدين كله لله ثم انه تعالى بين ان قتالهم ليس طريقا متعينا للانتقام منهم بل لو اراد الله تعالى لاهلكهم من غير سيف ودم مهراق ومن غير تجنيد الجنود والاتفاق فقال ولو يشاء الله لانتصر منهم بجند من جنوده غيركم او بعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او صيحة او غرق كما فعل بغيرهم من الامم ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اى ليختبر المؤمنين بالكافرين والعكس اى ليظهر منكم الطائع من العاصى فيجازى كل احد على حسب استحقاقه فان ظهور كل واحد من الاطاعة والعصيان بحسب تعلق العلم الازلى بهما لا يكفى فى استحقاق الثواب والعقاب فان مناطهما تحقق حقيقة الاطاعة والعصيان لا العلم الازلى باستعداد العبد لهما وانهما سيصدران منه وذلك التحقق انما يكون بان يكلف الله تعالى المؤمنين بجهاد اعدآء الدين ليتحقق ما فى استعداد كل واحد من الفريقين وهذا معنى ما فى التيسير من قوله اى ليظهر منكم ما فى الازل من فعل الامر وتركه انتهى ولما كان كل واحد من امتثال الامر

(حتى اذا اثخنتموهم) اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدوا الوثاق) فاسروهم واحفوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (فاما منا بعد واما فدآء) اى فاما تمنون منا او يفدون فدآء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفدآء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر يخير الامام بين القتل والمن والفدآء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب اوزارها) آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفدآء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله عليه وسلم (ذلك) اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم باستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر

بان يختار المكلف طاعة المولى على متابعة الهوى او يختار عكس ذلك صح

ومخالفته وطاعة الآمر وعصيانه متوقفا على الامر والتكليف امر المكلف ونهاه ليظهر ما فى علمه الازلى ويتحقق و يعلم بالوقوع ويستحق المكلف لان يثاب او يعاقب بسبب اختياره طاعة مولاه على متابعة هواه او بالعكس ولما كان التكليف المؤدى الى ذلك التحقق والاختبار مشابها للاختبار سمى اختبارا و بلوى واشتق منه قوله ليبلو فهو استعارة تبعية ثم انه تعالى لما امر بالجهاد و بين وجه الحكم فيه بين ثواب من امتثل به فقال والذين قاتلوا فى سبيل الله الآية قرأ العامة قاتلوا وقرأ ابو عمرو ويعقوب وحفص قتلوا مبنيا للمفعول (قوله فلن يضيعها) تفسير لقوله تعالى فلن يضل اعمالهم بضم الياء وكسر الضاد على بناء الفاعل وهو قرآءة الجمهور وقرئ يضل على بناء المفعول ورفع اعمالهم لقيامه مقام الفاعل وقرئ ايضا يضل بفتح الياء ورفع اعمالهم فاعلاله والفاء فى قوله فلن يضل جزائية لتضمن المبتدا معنى الشرط وعن قتادة ان الآية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (قوله او بينها لهم) فان اهل الجنة اذا دخلوها يعرف كل واحد منهم منزله منها فكانوا اعرف بمنازلهم من اهل الجنة اذا انصرفوا منها الى منازلهم قال مقاتل الملك الذى وكل بحفظ عمله يمشى بين يديه فيعرفه ما اعطاه الله تعالى من درجات الجنة (قوله او طيبها لهم) من قولهم طعام معرف اى مطيب (قوله او حددها لهم) من قولهم عرف الدار اذا حددها والعرف والارف جمع عرفة وارفة وهما الحدود وقد حددها الله تعالى فى قوله وجنة عرضها السموات والارض ثم انه تعالى لما بين ما يترتب على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصرة فى الدنيا زيادة على الحث على القتال ليزداد اقدامهم عليه فقال ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله ورسوله بالغزو والجهاد لاعلاء كلمة الله وقمع اعداء الدين ومن نصرة الدين ايضاح دلائله وازالة شبهة القاصرين وشرح احكامه وفرائضه وسننه وحلاله وحرامه ومن نصرة الله تعالى للعبد ارسال الرسل و انزال الكتب و اظهار المعجزات والآيات وبيان ما يؤدى الى جنة النعيم او عذاب الجحيم والامر بالجهاد الاكبر والاصغر والتوفيق للسعى فيها طلبا لمرضاة الله لا اتباعا لهواه ثم زاد فى تقوية قلوبهم فقال والذين كفروا فتعسا لهم فانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان يتوهم ان الكفار ايضا تثبت اقدامهم فى قتال المؤمنين فيدوم القتال والحرب والطعان والضرب وفيه مشقة عظيمة فازال هذا الوهم بان قال لكم الثبات والاقدام وعليهم العثار والاحجام فان التعس فى اللغة العثرة وهى الزلق وزلة الرجل وهو دعاء بالانتعاس وهو عدم الارتفاع والنهوض من العثرة ويكون نقيض لعا فانه دعاء بالانتعاش وهو الارتفاع والنهوض من العثرة قال الاعشى

بذات لوث عفرناة اذا عثرت * فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

واللوث بالفتح القوة وناقة عفرناة اى قوية والعفرنان الاسد سمى بذلك لشدته والالف والنون فيه للالحاق والعفر الرجل الخبيث الداهى والمرأة عفرة والعفريت من كل شئ القوى البالغ فى قوته وفى الحديث ان الله يبغض العفرية النفرية الذى لا يرزأ فى اهل ولا مال وما قبل هذا البيت

كلفت مجهولها نفسى وشايعنى * همى عليها اذا ما آلها لمعا

الآل السراب والمعنى كلفت نفسى قطع المفازة المجهولة الاعلام اذا ما سرابها يلمع ووافقنى همى على قطعها ملتبسا بناقة ذات قوة غليظة لا تتضرر من شئ فهى بحيث يكون العثار والانحطاط ابعد شئ من شأنها حتى لو فرض عثارها كانت احق بان يدعى عليها بالتعس والهلاك من حيث ان عثرتها مع كمال قوتها وسلامة اعضائها بعيدة كل البعد فتستحق لذلك ان يدعى عليها بان يقال تعسا وانما تستحق لان يدعو لها بان يقال لعا اذا عثرت من ضعفها والتعس الهلاك واصله الكب والانحطاط وهو السقوط على الوجه بسبب العثرة يقال لمن عثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه ولضده لعا اذا ارادوا قيامه وانتعاشه اى نهوضه من عثرته (قوله والجملة خبر الذين) يعنى ان قوله والذين كفروا مبتدأ وخبره الجملة المقدرة المركبة من الفعل الناصب لتعسا مع معموله اى فتعسوا تعسا ودخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط (قوله او مفسرة لناصبه) اى ويجوز ان تكون الجملة المقدرة مفسرة لناصب الذين بان يكون قوله الذين كفروا منصوب المحل على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير فيكون منصوبا بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم فيكون ذلك المقدر معطوفا على قوله ويثبت اقدامكم اى يثبت الله اقدامكم ويتعس الذين كفروا فتعسوا تعسا وقوله تعالى واضل عطف على ناصب الذين وقوله لهم خبر مبتدأ محذوف اى الدعاء بالتعس والاضلال لهم واللام فيه كما فى هيت لك (قوله وهو تخصيص) اى ذلك الحكم

(والذين قاتلوا فى سبيل الله) اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا (فلن يضل اعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب او سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استوجبوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فعثارا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى

فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه (واضل اعمالهم) عطف عليه (ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فاحبط) الله (اعمالهم) كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال

انى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم (وللكافرين) من وضع الظاهر موضع المضمر (امثالها) امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التى قد خلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على اعدائهم (وان الكافرين لا مولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) (٣٤٨) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (اهلكناهم) بانواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم وهو كالحال المحكية (افمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبى والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصى (واتبعوا اهواءهم) فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التى وعد المتقون) اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجرى مثله تصوير المكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من هو على بينة فى الآخرة تقريرا لانكار المساواة (فيها انهار من ماء غير آسن) استئناف بشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وانهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وانهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينغصها وينقصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع امعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين اوتوا العلم) اى لعلماء الصحابة (ماذا قال آنفا) ما الذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذلم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ أنفا (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول (وآتاهم تقواهم) بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها (ان تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء اشراطها) كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كبعث الرسول وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفزع له ولا ينفع (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

بان ذلك التعس والاضلال بسبب كراهتهم للقرآن وكفرهم به تخصيص السبب الذى اشير اليه بترتيب حكم التعس والاضلال على الموصول فانه يشعر بعلية مضمون الصلة وهو الكفر مطلقا لذلك الحكم وقدم ان مثل هذا الاسلوب يسميه علماء البيان تفسيرا (قوله كره) فان اضلال اعمالهم التى عملوها وحسبوها خيرا واحباطها بمعنى واحد وكرره لدفع وهم من يتوهم ان اضلالها مسبب عن الكفر بجميع ما يجب الايمان به ولا يتحقق بمجرد الكفر بالقرآن فلما فرعه على الكفر به علم انه لا ينفك عن الكفر به سواء انضم اليه الكفر بسائر ما يجب الايمان به ام لا ثم انه تعالى خوفهم عاقبة كفرهم بما نزل بالامم المكذبة قبلهم بقوله افلم يسيروا اى أجهلوا وخامة الكفر فلم يسيروا (قوله استأصل عليهم ما اختص بهم) وفى الكشاف دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به من نفسه واولاده وامواله ففرق بينهما وجعل الثانى ابلغ ولعل تلك الابلغية مستفادة من حذف مفعول دمر فان حذفه يكون للتعميم ومن اتيان كلمة الاستعلاء فان اتيانها يشعر بتضمين دمر معنى اطبق واذا اطبق الله عليهم الدمار والهلاك لا يتخلص مما يختص بهم شئ (قوله من وضع الظاهر موضع المضمر) فان الظاهر ان يقال ولهم امثالها بارجاع الضمير الى فاعل افلم يسيروا الى الذين فى قوله عاقبة الذين من قبلهم والمعنى على الاول ولمن كذبك وكفر بك امثال ما للمتقدمين من العقوبة من حيث ان حقية دينك اظهر ودلائل صدقك اكثر بسبب تقدم الانبياء عليهم الصلاة والسلام عليك واخبارهم عنك وانذارهم عن مخالفتك وعلى الثانى دمر الله على هؤلاء المتقدمين فى الدنيا ولهم فى الآخرة امثال ما اصابهم فى الدنيا لكن وضع الظاهر موضع الضمير توبيخالهم وذمالهم على كفرهم واشعارا بعلة استحقاقهم لامثالها (قوله امثال تلك العاقبة) يريد ان ضمير امثالها اما للعاقبة المذكورة فى قوله عاقبة الذين او لمصدر دمر وهو التدمير وتأنيث ما يرجع اليه لتأويله بالعقوبة او المهلكة او للسنة المدلول عليها لما علم ان تدمير الله تعالى للكافرين من سنته الماضية وعادته القديمة كما قال سنة الله التى قد خلت فان قيل كيف يصح ان يكون المراد بالكافرين الكافرين بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وان يكون المعنى ولهم امثال ما كان لمن تقدمهم من العقوبة مع ان من تقدمهم قد اهلكوا بامور شديدة كالاغراق فى البحر والطوفان والخسف والمسخ والصيحة ولا كذلك من كفر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب انه يجوز ان يكون المعنى ان لهم فى الآخرة امثال عقوبة الاولين فى الدنيا او امثال ما اصاب الاولين فى الدنيا بناء على انهم قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل والاسر بيد المثل آلم واشد من الهلاك بسبب عام فكيف اذا كان بيد من دونه (قوله تعالى ذلك) اشارة الى تدمير المكذبين ونصرة المؤمنين عليهم ثم انه تعالى لما قال الله ولى المؤمنين وناصرهم بين مآل الفريقين فى الآخرة اشعارا بان تمام النصرة يكون فيها فقال ان الله يدخل الذين آمنوا الآية ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله وكأين من قرية اى من اهل قرية على حذف المضاف فيه وفى قوله من قريتك اى من اهل قريتك التى هى مكة (قوله على حذف المضاف) فان المراد اهل القرية ولذلك قال اهلكناهم وقوله وهو كالحال المحكية جواب عما يقال انه امر قد مضى (قوله افمن كان على بينة) وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه (قوله فعرى عن حرف الانكار) اشارة الى ان تعريته عن حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى اهلها الحميم والغساق وقوله فيها انهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التى فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هى فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار (قوله آسن من أسن) يعنى قراءة آسن على صيغة فاعل هو على معنى الحدوث (قوله ولهم فيها من كل الثمرات) فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة (قوله كمن هو خالد) فى موضع رفع اى حالهم كحال من هو خالد فى الاقامة الدائمة وقيل هو استهزاء بهم وقيل هو على معنى الاستفهام اى أكمن وقيل فى موضع نصب اى يشبهون من هو خالد فيما ذكرنا وقوله والذين اهتدوا يحتمل النصب والرفع (قوله بغتة) وقرئ بغتة بوزن حرية وهى غريبة لم يرد فى المصادر مثلها وهى مروية عن ابى عمرو وما اخوفنى ان تكون غلطة من الراوى على ابى عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد (قوله تعالى فانى لهم) هو خبر ذكراهم والشرط معترض وقيل التقدير انى لهم الخلاص اذا جاء تذكرهم (قوله تعالى فاعلم) قال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم

اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك (و
والمؤمنات) ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار حذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله
تبعة ما كترك الاولى (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها (ومثواكم) فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم (ويقول
الذين آمنوا لولا نزلت سورة) اى هلا نزلت سورة فى امر الجهاد (٣٤٩) (فاذا انزلت سورة محكمة) مبينة لا تشابه فيها (وذكر فيها القتال) اى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم
مرض) ضعف فى الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك
نظر المغشى عليه من الموت) جبنا ومخافة (فاولى لهم)
فويل لهم افعل من الولى وهو القرب اوفعلى من آل
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤل اليه
امرهم (طاعة وقول معروف) استئناف اى امرهم
طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم اوحكاية قولهم
لقرآءة ابى يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) اى جد
وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف
محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) اى فيما زعموا من
الحرص على الجهاد اوالايمان (لكان) الصدق (خيرا
لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) امور
الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام
(ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) تفاخرا
على الولاية وتجاذبا عن الاسلام لها او رجوعا الى
ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا
احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول
لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم
لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم
اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم
معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم
وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع
(اولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله)
لافسادهم وقطعهم الارحام (فأصمهم) عن استماع
الحق (وأعمى ابصارهم) فلا يهتدون سبيله (افلا
يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى (ام على قلوب
اقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان
المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها
فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة
منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال
مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة
وقرئ اقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا
على ادبارهم) الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعد
ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة المعجزات
الظاهرة (الشيطان سول لهم) سهل لهم اقتراف
الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على
الشهوات من السؤل وهو التمنى وفيه ان السؤل
مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على
تقرير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم (واملى لهم)
ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم
بالعقوبة لقرآءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال اوالاستئناف وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير
الشيطان اولهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين
(سنطيعكم فى بعض الامر) فى بعض اموركم اوفى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول (والله يعلم
اسرارهم) ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر

الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الله (قوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات) اكرام من الله لهذه
الامة حيث امر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (قوله والله يعلم متقلبكم) اى
والله يعلم احوالكم ومنصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم
فى حياتكم ومثواكم فى القبور او متقلبكم فى اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم
منصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم الى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم من اصلاب الآباء الى
الارحام ومثواكم مقامكم فى الارض (قوله محكمة مبينة) وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة
وهى اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح
والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد
ذلك اوتبقى غير منسوخة وفى قرآءة عبد الله سورة محدثة (قوله فهل يتوقع منكم) اشارة الى جواب ما يقال
حق حرف الاستفهام ان يدخل على ما هو خبر سؤالا عن مضمونه فما معنى دخول هذا على عسيتم وتقرير الجواب
انها دخلت على ما يتضمنه عسى من معنى التوقع قرأ نافع عسيتم بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من
الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ فى التوبيخ ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص
الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحى اذا أبطأ عليهم فاذا انزلت سورة محكمة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم
يضجرون (قوله وفيه ان السؤال مهموز) اى وشرط الاشتقاق وجود معنى المأخذ فى المشتق مع زيادة مفهوم
الصيغة واجاب المصنف عن كونه مخالفا لقاعدة التصريف بان السؤال قد يستعمل معتل العين يقال سال يسال
مثل خاف يخاف وهما يتساولان مثل يتقاولان وقرئ سول لهم على لفظ الماضى المبنى للمفعول على ان يكون
المبتدأ مضافا محذوفا (قوله واملى لهم) قرأ العامة واملى لهم بفتح الهمزة واللام على بناء الفاعل وهو ضمير
الشيطان فيكون واملى عطفا على سول لا مستأنفا والمعنى زين وسهل لهم ركوب المعاصى واملى لهم اى مد لهم فى
الآمال والامانى وغرهم بان يقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم فى آخر العمر تؤمنون وقيل فاعل أملى
هو الله عز وجل فيتم الكلام عند قوله سول لهم ثم يبتدأ بقوله واملى لهم اى واملى الله لهم اى امهلهم وأخر العذاب
عنهم توسعة عليهم ليتمادوا فى طغيانهم وقرأ ابو عمرو واملى بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على لفظ الماضى المبنى
للمفعول ولهم هو القائم مقام الفاعل والمعنى امهلوا ومد فى عمرهم والفاعل هو الله عز وجل وقرئ واملى بضم الهمزة
وكسر اللام وسكون الياء على لفظ المضارع المبنى للفاعل المسند الى ضمير المتكلم وحده وهو الله عز وجل على معنى
ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم وامهلهم ثم انه تعالى لما بين ان الشيطان هو الذى سول للذين ارتدوا على ادبارهم
ارتكاب الكبائر واملى لهم بين سبب ذلك التسويل والاملاء فقال ذلك اى ذلك التسويل والاملاء بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله قيل القائلون هم اليهود والكارهون هم المنافقون وقيل على العكس وقيل القائلون احد الفريقين
والكارهون المشركون فان كان المراد بالذين ارتدوا على ادبارهم اليهود يكون ارتدادهم كفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم بعد بعثته وقد ايقنوا بحقية امره قبل بعثته وان كان المراد بهم المنافقين يكون ارتدادهم رجوعهم عن
طاعة الله تعالى فى الجهاد من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام واحكامه وعلى التقديرين فالمراد بالذين كرهوا
الفريق الآخر او المشركون فان كان التقاول جاريا بين احد الفريقين والمشركين فهم لا يتوافقون فى التوحيد
والاقرار بالكتاب والنبى والحشر وما يتفرع عليه فان المشركين لا يقولون بشئ من ذلك بخلاف كل واحد من الفريقين
فان عامة المنافقين من اليهود وهم اهل كتاب فكل واحد من الفريقين لا يوافق المشركين الا فى بعض الامر
كالتكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعاون على محاربته وعداوته فان اليهود اتفقوا مع المشركين
يوم الاحزاب وان كان التقاول بين احد الفريقين والآخر بان يكون القائل المنافقين فبعض الامر ما يسرونه
الى اليهود مما يتعلق بعداوة الرسول وقول المنافقين كقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم
لننصرنكم والقعود عن الجهاد قالوا كل ذلك سرا فيما بينهم فاخبر الله تعالى به عنهم واعلم انه يعلم ذلك وغيره من
اسرارهم فقال والله يعلم اسرارهم وقيل الاظهر ان قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى ما فى قلوبهم من العلم بصدق محمد
صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا مكابرين معاندين فى انكار نبوته ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم (قوله اوفى بعض
ما تأمرون به) على ان يكون الامر واحد الاوامر وعلى الاول يكون واحد الامور (قوله فكيف يعملون

ويجبنون حينئذ) اشارة الى ان عامل الظرف محذوف والتقدير ما ذكره وقوله يضربون حال من الفاعل ويجوز كونه حالا من المفعول ايضا لانهم لما كرهوا القتال واطاعوا من امرهم بتركه والقعود عنه خوفا من ان يضربوا من حيث وجوههم ان يجبنوا ومن جهة ادبارهم ان فروا فكانه قال ان كرهتم ما امرتم به من قتال الكفار خوفا من ان تضربوا من قبل وجوهكم وادباركم فكيف تحتالون في الخلاص مما تخافون منه اذا توفتكم الملائكة ضاربين وجوهكم وادباركم فان كل من يتوفى على معصية الله تعالى فالملائكة العذاب لا يقبضون روحه الا بان يضربوا وجهه ودبره كما روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما (قوله تصوير لتوفيهم) يعني ان المقصود من تقييد توفيهم بقوله يضربون وجوههم وادبارهم تصويره بالصورة التي كانوا يجبنون عن القتال خوفا من تلك الصورة (قوله ما يرضاه) فسر الرضوان بالمرضى لانهم لا يكرهون رضى الله تعالى بل يرغبون فيه ويزعمون ان ما هم فيه سبب رضوانه حتى ان المشرك يطلب رضوانه بشركه ويقول ما نعبد الصنم الا ليقربنا الى الله زلفى ويشيع استعمال المصدر في معنى المفعول شائع فلذلك فسر الرضوان بالمرضى (قوله ام حسب الذين) ام فيه منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الحكم بانه يعلم اسرار الذين كفروا الى انكار حسبان المنافقين ان الشان انه تعالى لن يبرز الغش الكائن في قلوبهم للمؤمنين وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وان في قوله ان لن يخرج الله مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر وما بعدها خبرها قال الامام ويحتمل ان يقال كلمة ام هنا متصلة والكلام السابق الذي يليه همزة الاستفهام ما يفهم من قوله والله يعلم اسرارهم فكانه تعالى قال احسب الذين كفروا ان لن يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل باطل لانه تعالى يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك ان ام المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء ام جاء زيد ولا ام جاء عمرو (قوله ولو نشاء لاريناكهم) كانه جواب عما يقال لتدفعهم من قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان الله تعالى يظهر ضمائرهم ويبرز سرائرهم فلم يظهرها فاجاب عنه بانا اخرناها لمحض المشيئة لا لخوف منهم كما لا تفشى اسرار الاكابر خوفا منهم (قوله تعالى فلتعرفتهم) عطف على جواب لو واللام فيه وفيما قبله لام جواب لو وفي عطفه عليه زيادة فائدة لا تحصل بدونه لان التعريف والاعلام لا يستلزم ان يترتب عليه العلم والمعرفة فانه يقال عرفته ولم يعرف وعلمته ولم يعلم فلما عطف عليه قوله فلعرفتهم كان المعنى لو نشاء لعرفناكهم تعريفا يترتب عليه معرفتك اياهم باعيانهم بعلاماتهم التي نسمهم بها قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس من المسلمين فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام في قوله ولتعرفنهم لام جواب قسم محذوف كانه قال ولتعرفنهم والله الآن وقيل تعرف سيماهم وصورهم في لحن القول اي اسلوبه في مخاطبتهم لك فانهم لا يقدرون على كتمان ما في انفسهم بل يخرجون كلامهم على اسلوب يدل فحواه ومعناه على فساد باطنهم يقال لحنه بالكسر يلحنه بالفتح لحنا اي فهمه فالمراد من القول قولهم اي لتعرفنهم في لحن القول ومعناه حيث يقولون ما معناه التعليق كقولهم عند مجيء النصر انا كنا معكم وقولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقولهم ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ونحو ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما لحن القول هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا اذا عصينا من العقاب (قوله او امالته الى جهة تعريض) من قولهم لحن اليه يلحن لحنا اي نواه ومال اليه والتعريض ان يضمن الكلام دلالة على ما ليس مذكورا فيه كما تقول في محضر زيد ان البخل قبيح تريد به ان تصف زيدا بالبخل وتورية الخبر ستره واظهار غيره كقول ابي بكر رضي الله عنه حين كان يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فسأله شخص وقال من هذا يريده صلى الله عليه وسلم فقال رضي الله عنه رجل يهديني الطريق قيل كان صلى الله عليه وسلم بعد هذا لا يتكلم منافق عنده الا عرفه بقوله واستدل بفحوى كلامه على فساد دخلته الا انه لا يظهر امره الى ان يأذن الله له في اظهار امر المنافقين ولو لم يميز عنده المنافق من غيره لما صح ان يمنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم ثم انه تعالى لما شرح احوال الكفرة والمنافقين خاطب المؤمنين بقوله والله يعلم اعمالكم وعدا لهم وبيانا لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فان المنافق له قول بلا عمل والمؤمن يعمل ولا يقول به وانما قوله ذكر الله تعالى وما فيه صلاح نفسه وغيره ثم قال ولنبلونكم اي

(ولنعاملنكم)

(وكيف اذا توفتهم الملائكة) فكيف يعملون ويجبنون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تاءيه (يضربون وجوههم وادبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن اقتاله (ذلك) اشارة الى التوفي الموصوف (بانهم اتبعوا ما اسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر (وكرهوا رضوانه) ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فاحبط اعمالهم) لذلك (ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله) ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين (اضغانهم) احقادهم (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف (ولتعرفنهم في لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب (والله يعلم اعمالكم) فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقها

ولنعاملنكم معاملة المختبر حتى نعلم من اطاع امرنا بانه قد تحقق منهم الاطاعة كما علمنا انهم سيطيعون فان الثواب والعقاب انما يترتبان على العلم الذى يكون بعد وجود الاطاعة والعصيان لا على العلم بانهما سيوجدان (**قوله** تعالى ونبلوا اخباركم) اى ونعلم اخباركم فان البلوى وهو الاختبار سبب للعلم فاطلق اسم السبب واريد العلم المسبب عنه ولو ابقى على ظاهره لكان المعنى ولنبلونكم حتى نعلم اخباركم ولا وجه له بل المراد حتى نعلم الاخبار التى نخبر بها عنكم وعن اعمالكم اهى حسنة ام قبيحة بان تجاهدوا وتصبروا ونخبر الناس عنكم باخبار حسنة وهى انكم مجاهدون صابرون مؤمنون مطيعون والا فبخلا فها فالاخبار جمع خبر وهو الكلام الذى يخبر به الناس عنهم وعن اعمالهم (**قوله** فيظهر حسنها وقبحها) اى حسن الاعمال وقبحها يعنى ان المقصود من علم الاخبار من حيث حسنها وقبحها ظهور حسن الاعمال وقبحها فان ظهور الاخبار من حيث حسنها وقبحها من توابع حسن الاعمال وقبحها فيستدل بظهور الاخبار على ظهور الاعمال واحوالها (**قوله** او اخبارهم عن ايمانهم) اى ويحتمل ان يكون المراد باخبارهم اخبارهم عن انفسهم بانهم مؤمنون مطيعون للمؤمنين موالون وعن الكفار معرضون لا الاخبار التى يخبر بها الناس عنهم وعن اعمالهم وقد كشف الله تعالى صدقهم فيما اخبروا به عن انفسهم بان كلفهم بالتكاليف الشاقة (**قوله** وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة) وهى قوله تعالى ولنبلونكم وحتى نعلم ونبلو بالياء والباقون بالنون (**قوله** وحذف المضاف لتعظيمه) صلى الله عليه وسلم بالدلالة على انه لعلو قدره ومنزلته عند الله كانت المشاقة معه مشاقة مع الله تعالى لانه رسوله وما عليه الا البلاغ فشاقته فى غاية الفظاعة الجوهرى فظع الامر بالضم فظاعة فهو فظيع اى شديد شنيع جاوز المقدار (**قوله** ثواب حسنات اعمالهم بذلك) اى بالكفر والصد ومشاقة الرسول فان قيل قد تقدم فى اول السورة ان الله تعالى احبط اعمالهم فكيف يحبطها فى المستقبل فالجواب انه يحتمل ان يكون معنى قوله فى اول السورة اضل اعمالهم انه حكم ببطلان ثواب اعمالهم وقوله ههنا وسيحبط اعمالهم انه سيظهر بطلان ثوابها فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد بقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فى اول السورة المشركين وليس لهم اعمال مشروعة يستحقون بها الثواب فقال تعالى فى حق مكرماتهم انها ضائعة لبيان انه لا ينفع مع الكفر عمل ويكون المراد بالذين كفروا ههنا اهل الكتاب مثل قريظة والنضير وقد كانت لهم اعمال شريفة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فاحبطها تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولم ينفعهم ايمانهم بالتوحيد والرسول والحشر مع كفرهم به صلى الله عليه وسلم وان كان المراد بما فى هذه الآية المطعمين يوم بدر يكون المراد باعمالهم ههنا مكايدهم التى نصبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وباحباطها عدم وصولهم بها الى مقاصدهم واغراضهم وبما فى اول السورة ما ظنوه حسنة وباحباطها عدم الاعتبار بها (**قوله** وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر) اى على بطلانها بضياع ثوابها بسبب ارتكاب الكبائر وذلك لان عطف قوله ولا تبطلوا اعمالكم على الاطاعتين وان كان من قبيل عطف المسبب على السبب كقولك اجلس واسترح وقم وامش وفهم منه ان الاطاعة سبب لعدم احباط الاعمال وان المخالفة سبب لاحباطها الا انه ليس فيه دلالة على ان المخالفة بارتكاب الكبائر مطلقا يحبطها وقد ثبت بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان ما دون الشرك لا يحبط العمل بل الامر فيه منوط بمشيئة الله تعالى فلا وجه للقطع بان ارتكاب الكبائر مطلقا يبطل العمل وانما يجزم باحباط ما ثبت كونه محبطا بالنصوص القاطعة والآثار الصحيحة وهو الكفر والنفاق وقد ورد ان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وورد فى الحديث القدسى فى حق السمعة والرياء انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن اشرك بى غيرى فى عمل عمله لى تركته وشركه وثبت به ان الاخلاص شرط لقبول العمل وما وقع منه رياء وسمعة فهو مردود على صاحبه وما لم يقبل ابتداء لا يكون عملا فكيف يحبط وقد ورد فى حق المن والاذى انهما يبطلان الصدقة فان صاحب المن كانه يقول فى امتنانه فعلت هذا لاجلك وقصدت به اصلاح حالك ولولا ذلك لما فعلته وهذا مناف للاخلاص فلهذا لا يثاب على صدقته ويقال له اطلب جزاءك ممن فعلته لاجله ولا يقبل الله تعالى الا ما كان خالصا له وعن مقاتل انه قال ان اسدا وخزيمة اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا اتيناك باولادنا وتركنا اموالنا وعشائرنا وان العرب لم يؤمنوا بك الا من بعد ما قاتلوك ولم نقاتلك فمننا عليك منه فنزلت ولا تبطلوا اعمالكم اى بالمن وقالت المعتزلة الكبيرة تحبط الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر فلهذا فسر الزمخشرى هذه الآية بقوله

(ونبلوا اخباركم) ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى) هم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر (لن يضروا الله شيئا) بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط اعمالهم) ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر

٦ وفى النظم دليل على ان المراد بالمبطل هو الكفر ومشاقة الرسول حيث قال ان الذين كفروا الى قوله لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم ثم قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فانه يدل على ان المعنى لا تبطلوها بمخالفتهما بترك ما امرتم به من الجهاد بانكار فرضيته وهو كفر محبط للعمل او بسبب الجبن والمخافة وهو معصية غير مبطلة للعمل الا انه جعل مبطلا على سبيل التغليظ والتشديد على تارك الجهاد جبنا صح

اى ولا تبطلوا اعمالكم بالكفر ونحوه وذهب اهل السنة الى ان المراد كل صالح من اعمالهم ابطالها بارتكاب المعاصى وشرك آخر فمن ارتكب الكبائر لا يحبط عمله ولا يبطل ثوابه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولا ينافيه الامر بعدم ابطالها بارتكاب المعاصى والشرك آخر قد تعد وقوله الدال على عدم الابطال ولا تبطلوا اعمالكم اى لا تبطلوا بالمعاصى والكبائر حسنات المؤمن يرى ثواب حسنة ثم يرى عقوبة سيئة الا ان ثواب السيئات على الحسنات عند الموازنة لا تبقى حسنة مما يعدل من السيئات ومن ثواب حسناته ما يقابل عقاب السيئات بل يستحق ان يعاقب ان شية احبطت ثواب حسناته بمعنى انه يبقى من ثواب الحسنات ما يدفع عقوبة السيئات فمن نقول بهذا المعنى ومن النزاع فيه وايضا الاحباط بهذا المعنى لازم عندنا ولا عندهم بناء على قولهم انه تعالى يجب عليه عقاب العاصى وثواب المطيع ولا يجوز العفو والشفاعة (قوله ويدل عليه قوله) اى بما يدلهم من تقييد الحكم بمن مات منهم بقوله وهم كفار على غفران من لم يمت على الكفر ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالقتال بقوله فضرب الرقاب ولعنه الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ثم اكده وجوبه بقوله واطيعوا الرسول فان معظم المقصود منه تأكيد الامر بالجهاد والتشديد على من ترك جنده وتقاعد اذ تركه سبب لاحباط الاعمال فهذا يقتضى ان لا يتهاونوا المكلف فى امر الجهاد بل يجتهد ويسعى فيه ما امكن ثم ان تحقق المقتضى لا يكفى فى وجود المعلول بل ينبغى ان لا يتحقق هنالك مانع وجود المعلول فبين الله تعالى ان ليس هنا مانع من القتال اصلا فان المانع اما دنيوى او اخروى ولا مانع لا في الدنيا ولا فى الآخرة اما فى الآخرة فلان الله تعالى لن يغفر له فيها واما فى الدنيا فلانه لا تضرره فى الدنيا بل انتم الاعلون فيها فلذلك رتب عليه قوله فلا تهنوا على انه جواب شرط محذوف اى اذا انتم ومن الجهاد وتأكدامره فلا تضعفوا ولا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بطلب المصالحة (قوله ولا تدعوا) اشارة الى ان قوله وتدعوا فى نظم الآية مجزوم بالعطف على فعل النهى قبله والخور بتحتين الضعف يقال خار الرجل يخور خورا وخورة ضعف وانكسر ويجوز كونه منصوبا باضمار ان بعد الواو فى جواب النهى كما فى قوله * لا تنه عن خلق وتأتى مثله * واصل اعلون اعليون فأعل قال الكلبى آخر الامر لكم وان غلبوكم فى بعض الاوقات والله معكم بالعون والنصرة (قوله شبه به تعطيل ثواب العمل) يعنى ان الوتر والترة فى الاصل اهلاك ما تعلق بالرجل من اهل او مال او حميم وافراد الرجل عنه فشبه به تضييع عمله بابطال ثوابه ثم استعير من جانب المشبه اللفظ المستعمل فى جانب المشبه به وهو الوتر والترة فاطلق الوتر واريد تضييع العمل ثم اشتق منه يتركم فكان استعارة تبعية والضمير المنصوب فيه واقع موقع الرجل فى وترت الرجل ولا بد من تضمين معنى السلب او التضييع ليتعدى الى المفعول الثانى بنفسه اى لن يتركم سالبا او مضيعا اعمالكم قال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى افرد عنهما بان قتل اهله ونهب ماله ثم ان حب الدنيا والحرص على ما فيها من اللذات والشهوات لما كان سببا للجبن عن الغزو والتخلف عنه بين الله تعالى ان الدنيا وما فيها من الحظوظ العاجلة لا يصلح مانعا من الاقدام الى الجهاد وما يؤدى الى ثواب الآخرة لكونها بمنزلة اللهو واللعب فى سرعة زوالها وفى انه لا يترتب عليها بعد زوالها شئ من ثواب الآخرة التى فيها الحياة الباقية بخلاف الايمان والاتقاء عن المعاصى فان كم ان تؤمنوا وتتقوا يعطكم الله تعالى ثواب ايمانكم وتقواكم فى الآخرة ثم بين انه لا يسألكم جميع اموالكم بل الاجر وانما يسأ لكم غيضا من فيض وهو ربع العشر فى اموال التجارة ونصف العشر فى نماء الارض وتخرجه فتطيبوا نفسا يقال غاض الكرام اى قلوا وفاض اللئام اى كثروا وقولهم اعطاه غيضا من فيض اى قليلا من كثير (قوله تعالى فيحفكم) عطف على فعل الشرط وعلامة الجزم فيه سقوط الياء وتبخلوا جواب الشرط ويخرج عطف عليه والاحفاء المبالغة فى كل شئ والاستقصاء فيه يقال احفى فى المسئلة اذا الح وبالغ فيها وكذا يقال احفى السائل اذا الح والفاء فى قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفاء يتبع السؤال وان الانسان لكونه مجبولا على الشح لا يعطى بمجرد السؤال وانما يعطى شيئا اذا اتبع السؤال بالاحفاء ووجه الاشارة ان العطف بالواو قد يكون لمتباينين وبالفاء لا يكون الا لمتعاقبين او للشيئين اللذين يتعلق احدهما بالآخر والمصنف فسر الاحفاء بالجهد وهو المشقة لان طلب الكل مشقة عظيمة وتحميل ما لا يطاق يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها قال قتادة علم الله ان فى مسئلة الاموال خروج الاضغان وعدم طيب النفس بها فلو يسألكم لم يسألها وآلح عليكم فى الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير فيخرج اضغانكم بسبب

(ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (فلا تهنوا) فلا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين (وانتم الاعلون) الاغلبون (والله معكم) ناصركم (ولن يتركم اعمالكم) ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته منه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لا ثبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم اموالكم) جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره (ان يسألكموها فيحفكم) فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج اضغانكم) ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم

(**قوله** اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الخ) اشارة الى ان انتم مبتدأ وها فى هؤلاء للتنبيه واولاء خبره والمعنى انتم اولاء الموصوفون الذين وصفناهم وكررت ها فى هؤلاء لتأكيد التنبيه ثم ابتدا فقال تدعون كانهم قالوا ماوصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله كانه قيل انتم الذين طلب منكم اليسير فكان منكم من يبخل عليه فكيف لو طلبت منكم الكل (**قوله** اوصلة) عطف على قوله استئناف ولم يذكر مفعول قوله لتنفقوا ليعم ماينفقه الغازى على نفسه ومركبه ومالابد له منه فى الغزاة وماينفقه من وجب عليه الزكاة والعشر وصدقة الفطر ونحوها (**قوله** ناس يبخلون) اشارة الى ان من موصوفة بجملة كما فى قول الشاعر

رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لى موتا لم يطع

فان من فيه لايجوز ان تكون موصولة والالكانت معرفة ورب تختص بالنكرات فمن مبتدأ ويبخل صفته وقوله فمنكم خبره (**قوله** وهو كالدليل على الآية المتقدمة) يعنى ان قوله تدعون لتنفقوا سوآء جعل استئنافا اوصلة لهؤلاء كالدليل على انه تعالى لو احفاهم لبخلوا (**قوله** لتضمنه معنى الامساك والتعدى) والامساك يعدى بعن والتعدى بعلى فلو عدى بعلى لكان المعنى فانما يبخل متعديا على نفسه (**قوله** فانه امساك عن مستحق) علة لكونه متضمنا لكلا المعنيين فكونه علة لتضمنه معنى الامساك ظاهر وكونه علة لتضمنه معنى التعدى مبنى على ان الامساك عن المستحق تعدى عليه فالمنفق لاينفق على غيره وانما ينفق على نفسه فمن بخل بالانفاق فانما يمسك عن نفسه ولايتعدى بالامساك الاعلى نفسه كمن يبخل باجرة الطبيب وثمن الدوآء وهو مريض فانه لايمسك عن الطبيب وبائع الدوآء وانما يمسك عن نفسه ولايعود ضرر امساكه الاعليه ثم حقق ذلك بقوله والله الغنى عما عندكم من الاموال وانتم الفقرآء الى ماعنده من الفضل والرحمة فلا يدعوكم الى الانفاق فى سبيله لاحتياجه الى ماعندكم من المال بل لتخالفوا اهواءكم وتتبعوا مرضاة ربكم وتستحقوا بذلك ماعنده من الثواب الجزيل (**قوله** تعالى وان تتولوا) معطوف على قوله وان تؤمنوا وتتقوا والمعنى وان تعرضوا عن الايمان والاتقاء عن العصيان وقوله ثم لايكونوا مجزوم معطوف على قوله يستبدل ويجوز فى المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع تقول ان تأتنى آتك فاخبرك بالجزم والرفع جميعا وقد ورد العطف بالوجهين فى التنزيل بالجزم فى هذه الآية وبالرفع فى قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون فانه مرفوع لثبوت النون (**قوله** والزهد فى الايمان) اى وفى عدم الرغبة فيه فان الزهد خلاف الرغبة تقول زهد فى الشئ وعن الشئ يزهد زهدا وزهادة اى رغب عنه ولافرق بين التعديتين فى المعنى بخلاف رغب الجوهرى رغبت فى الشئ اذا اردته ورغبت عن الشئ اذا لم ترده وزهدت فيه (**قوله** سئل عنه) اى عن القوم الذين يقيمهم الله مقام من تولى واعرض عن الايمان والتقوى ويكون افضل واطوع منهم فضرب صلى الله عليه وسلم يده على فخذ سلمان وقال هذا وقومه ثم قال والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وثم فى قوله تعالى ثم لايكونوا مستعار لبعد من يستبدله عنهم فى الفضيلة * هذا آخر مايتعلق بسورة محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله وحده

(سورة الفتح)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(**قوله** انافتحنالك فتحامبينا) الفتح فى اللغة فتح المغلق كفتح الباب والقفل والمتاع وكفتح المغلق من العلوم ويطلق فى العرف على الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب اوبغير حرب لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به وحصل فى اليد فقد فتح قيل المراد فى الآية فتح مكة وقد فتحت مكة سنة ثمان من الهجرة ونزلت الآية سنة ست بين مكة والمدينة بعد رجوعه من مكة عام الحديبية وهو العام الذى صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فتحنا وعدله بالفتح وجيئ به على لفظ الماضى لكون الفتح بمنزلة الكائن الموجود من حيث كونه محقق الوقوع والحديبية موضع قريب من مكة وعام الحديبية هو العام الذى صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة وصالحوه على ان يأتوا العام القابل روى انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة سنة ست من الهجرة فى ذى القعدة يريد العمرة ومعه الف واربعمائة من المهاجرين والانصار وغيرهما من قبائل العرب وقيل الف وستمائة وساق سبعين بدنة واحرم من ذى الحليفة ليعلم الناس انه ماخرج محاربا وانما خرج زائرا البيت ومعظما له ولما نزل بوادى الحديبية والحديبية اسم بئر بذلك الوادى وسمى الوادى باسم تلك البئر بعث قريش

(هاانتم هؤلاء) اى انتم يامخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك اوصلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله الغنى وانتم الفقرآء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم (وان تتولوا) عطف على وان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لايكونوا امثالكم) فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه اوالانصار اواليمن او الملائكة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا فتحنالك فتحامبينا) وعد بفتح مكة عظمها الله والتعبير عنه بالماضى لتحققه اوبمااتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك اواخبار عن صلح الحديبية

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا وامروه ان يقول له صلى الله عليه وسلم انا لا نرضى ان تدخل علينا مكة عامك هذا احترازا عن ان تقول العرب انه دخلها عليكم عنوة فانا لا نرضى بهذا القول ابدا فارجع عنا عامك هذا واذا جاء العام القابل نخرج منها فتدخلها باصحابك فتطوف لعمرتك معهم وتقيمون فيها ثلاثة ايام ثم ترجعون بعدها فلما انتهى الرسول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فاطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح على ان تكون الحرب موضوعة بين الناس عشر سنين وقيل ستين يامن فيهما الناس ويكف بعضهم عن بعض الى انقضاء مدة الصلح فامر صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه فكتب كتاب الصلح وكان سبب رضاهم بالصلح انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث عثمان الى قريش يستأذنهم فى ان يدخل صلى الله عليه وسلم مع اصحابه مكة معتمرين معظمين حرمات البيت غير محاربين فذهب عثمان اليهم فاستأذنهم فى ذلك فابوا ان يأذنوا له وقالوا طف انت ان شئت فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبسوه عندهم ثلاثة ايام ولم يأذنوا له ان يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقى عندهم ثلاثة ايام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك الخبر لا ابرح حتى نأخذ القوم ودعا الناس الى البيعة وجلس تحت الشجرة فقال لاصحابه بايعونى على الموت فبايعوه عليه وقال جابر بايعناه على ان لا نفر ثم رجع عثمان رضى الله تعالى عنه فاخبرانهم ابوا ذلك وبلغت قضية البيعة الى قريش فكبرت عليهم وخافوا ان يحاربوا معه فقالوا لسهيل بن عمرو اذهب واردده عنا وصالحه فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر الناس ان يحلوا من احرامهم بان ينحروا ابدنهم ويحلقوا رؤسهم ونحر هو ايضا البدن وحلق رأسه ثم انصرف متوجها الى المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله هو الذى انزل السكينة يعنى السكون والطمأنينة فى البيعة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا تصديقا مع تصديقهم الذى هم عليه ثم دخلوا فى العام القابل سنة سبع وقضوا عمرتهم ثم فتحت مكة سنة ثمان ثم حج ابو بكر سنة تسع ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر فلما كان نزول الآية قبل فتح مكة كانت عدة بالفتح (قوله او بما اتفق له) عطف على قوله بفتح مكة وقوله او اخبار عطف على قوله وعد (قوله وانما سماه فتحا) مع انه ليس بفتح بالمعنى العرفى للفتح ولا بالمعنى اللغوى اما الاول فلانه ليس بظفر على البلد واما الثانى فلانه ليس بظفر للمتعلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية الا انه لما آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا الى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح كان سببا لامور اخر كانت متعلقة قبل ذلك منها ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام فى قلوبهم واسلم فى مدة قليلة خلق كثير كثر واسواد اهل الاسلام الى آخر ما ذكره المصنف عن البراء بن عازب رضى الله عنه انه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية حيث ترتب عليها من ظهور الاسلام وانتكاس احوال المشركين ما لا يمكن وصفه فصارت كأنها مبدأ فتح الاسلام وقد قال جابر ما كنا نعد فتح مكة الى يوم الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بعد الصلح فصار ذلك سببا لاسلام خلق كثير فى زمان قليل (قوله او فتح الروم) عطف على صلح الحديبية فان اهل الروم غلبت على اهل فارس فى تلك السنة وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه الصلاة والسلام وعد بوقوع تلك الغلبة فى بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى التسع فكانت كما وعد بها فظهر صدقه عليه الصلاة والسلام فكانت بذلك فتحا له عليه الصلاة والسلام (علة للفتح من حيث انه مسبب الخ) يعنى ان الغفران علة غائية للفتح متأخرة عنه فى الوجود الخارجى وعلة حاملة عليه بحسب الوجود الذهنى كما فى قولك اتخذت السرير ليجلس عليه السلطان والعلة الغائية للحكم ينبغى ان تكون مسببة عنه وغفران الجرم لا يظهر كونه مسببا للفتح الصادر منه تعالى فكيف يكون علة غائية له الا ان الفتح لما كان مسببا عن الافعال الحسنة الصادرة من العبد كالجهاد والسعى فى اعلاء الدين وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة ونحوها وكانت تلك الافعال مسببة عن الغفران من حيث كونه حاملا عليها صح ان يجعل الغفران علة للفتح بواسطة كونه علة لما هو علة للفتح وهى الافعال وجعل المصنف الغفران علة للفتح رد على صاحب الكشاف فى قوله فكيف جعل فتح مكة علة للمغفرة لان العلة الغائية للحكم متأخرة عنه فى الوجود الخارجى كما فى قولك ضربته تأديبا فان التأديب وان كان علة للضرب متقدمة عليه فى الوجود الذهنى الا انه غاية له متأخرة عنه

وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل (ليغفر لك الله) علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة

بحسب الوجود الخارجي الا ان المقصود بيان كون المغفرة علة للفتح كما يقتضيه دخول لام العلة عليها لا بيان كون الفتح علة لها فالمناسب للمقام انما هو عبارة المصنف وفي قوله تبارك وتعالى انا فتحنا لك تعظيم لامر الفتح من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجل كرامتك عندي ولاجل جهادك في فتح مكة او صلح الحديبية وفي اظهار فاعل قوله ليغفر لك وينصرك اشعار بان كل واحد من المغفرة والنصرة دليل على الوهية وكونه معبودا بالحق لا يقدر عليه غيره (قوله نصرا فيه عز ومنعة) جواب عما يقال كيف اسند العزيز الى ضمير النصر مع ان العزيز من له النصر دونه وتقرير الجواب الاول ان صيغة الفعيل هنا للنسبة فالعزيز بمعنى ذي العزة كما ان راضية في قوله تعالى في عيشة راضية بمعنى ذات رضى فالمعنى نصرا ذا عز ومنعة لا ذل معه اي لا يترتب عليه الا عز المنصور وكونه ذا منعة تمنعه عن ان يصيبه سوء ومكروه فاسناد العزيز بهذا المعنى الى ضمير النصر حقيقة وتقرير الجواب الثاني ان العزيز هو المنصور وان ما تعلق به من النصر هو سبب عزته فوصف النصر بوصف متعلقه للمبالغة في عزة المنصور كما يقال جد جده للمبالغة في حد الفاعل الحقيقي ثم انه تعالى لما قال وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصرة فقال هو الذي انزل السكينة اي انزلها تحقيقا للنصر فانه تعالى قد ينصر رسله باهلاك اعدائهم بسبب من الاسباب وقد ينصرهم بتقوية قلوب انصارهم بان يرزقهم رسوخ الاعتقاد وازدياد اليقين فيثبتون على الحق حين تضطرب ضعاف القلوب واليقين فالسكينة بمعنى السكون والثبات كما ان البهيتة بمعنى البهتان فالمعنى انزل السكون والطمأنينة في قلوبهم بتقوية يقينهم ليزدادوا يقينا او بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم باظهارهم على عدوهم فيزدادوا يقينا (قوله علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله) ذكر في متعلق اللام وجوها الاول ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض فانه يدل على انه تعالى جعل المؤمنين جندا متعاونين على نصرة دينه واعلاء كلمته ليدخلهم الجنة ويعذب الكفار والثاني انها متعلقة بفتحنا فقوله او فتحنا عطف على قوله ما دل في قوله علة لما دل عليه اي او هو علة لقوله انا فتحنا لانه روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا له عليه السلام لما نزل قوله تعالى ليغفر لك الله هنيئا لك يا رسول الله ان الله قد غفر لك فما لنا عند الله فنزل ليدخل المؤمنين الآية فكأنه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم (قوله او انزل) اي او هو علة بما بعده لقوله انزل السكينة في قلوب المؤمنين معللا بقوله ليزدادوا الآية ولو كان متعلقا بنفس انزل من غير اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا فلا يخلو اما ان يكون كل واحد من ازدياد الايمان وادخال الجنة علة على حدة لانزال السكينة او يكون علة انزالها هي ادخال الجنة ويكون قوله ليزدادوا توطئة لذكره من غير أن يقصد بذكره التعليل بان يكون قوله ليدخل المؤمنين بدلا من قوله ليزدادوا بدل الاشتمال فان كان الاول كان المناسب ان يقال وليدخل عطفا على قوله ليزدادوا وان كان الثاني فهو عين ما نقله بعده بقوله وقيل انه بدل اشتمال فلا وجه لعطفه عليه فتعين انه انما يكون متعلقا بقوله انزل بعد اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا (قوله او ليزدادوا) فيه ان قوله عز وجل ويعذب المنافقين عطف على قوله ليدخل فلو كان قوله ليدخل متعلقا بقوله ليزداد والكان علة ازدياد المؤمنين ايمانا مجموع الادخال والتعذيب ولا دخل للازدياد المذكور في تعذيب المنافقين الا ان يقال اذا كان ازدياد الايمان سببا لدخول صاحبه الجنة واستحقاقه الكرامة يكون ايضا سببا لان يعذب اعداءه لان اكرام عدو الرجل اهانة له فما يكون سببا لاكرام عدوه يكون سببا لتعذيب نفسه (قوله الا اذا جعل بدلا) فان اعراب البدل ليس بعامل حتى ينوب العاطف عنه فيعمل لنيابته عنه فلا يجوز العطف على البدل فيكون ما عطف عليه ظاهرا معطوفا على المبدل منه حقيقة (قوله تبارك وتعالى الظانين) صفة لطائفتي اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منسوب على المصدر والاضافة فيه ليست من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانها غير جائزة عند البصريين ولا عكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن شيء واحد فاضافة احدهما الى الآخر من اضافة الشيء الى نفسه فالاضافة في نحو صلاة الاولى ومسجد الجامع كالاضافة في سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع وصلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع والمراد بالساعة الاولى اول ساعة تجدد عقيب الزوال وبالوقت الجامع يوم الجمعة فان ذلك اليوم جامع للناس في مسجده للصلاة حذف المضاف اليه في الجميع واقيمت صفته مقامه واضافة ظن السوء من هذا القبيل اذ التقدير كما ذكره المصنف ظن الامر السوء والسوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوءا فهو سوء وما قابله من حيث المعنى قولك

(وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة (هو الذي انزل السكينة) الثبات والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر ويدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (ويكفر عنهم سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) اي الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل (الظانين بالله ظن السوء) ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو ودائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غالب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر (وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب

حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديئا بخلاف ساءه يسوءه سوءا ومساءة اى احزنه نقيض سره فانه متعد ووزنه فى الماضى فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل يأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح لفظ مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدى وقيل السوء بالفتح والضم لغتان بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف والدائرة فى الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيطة بمن وقعت هى عليه الا ان اكثر استعمالها فى المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة فى المحبوب الذى يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والاضافة فى دائرة السوء من اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة والمعنى اكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولم يظفروا بالنصرة ابدا قيل الفائدة فى اعادة قوله تعالى ولله جنود السموات والارض الاشارة الى ان لله جنود رحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما اياهم وان له تعالى جنود عذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم فى جهنم ويدل على هذا الوجه انه تعالى ذكر جنود الرحمة قبل قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وذكر جنود العذاب بعد قوله واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ويدل عليه ايضا انه تعالى قال عند ذكر الجنود ثانيا وكان الله عزيزا حكيما وقال عند ذكرهم اولا وكان الله عليما حكيما فان عادته تعالى فى كلامه المجيد ان يصف نفسه بالعزة فى مقام ذكر العذاب والانتقام كما قال تعالى اليس الله بعزيز ذى انتقام وقال فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقال العزيز الجبار ثم انه تعالى لما قال له عليه السلام انا فتحنا لك بطريق العدة والاخبار امتنانا عليه بذلك بين فائدة ارساله شاهدا ومبشرا ونذيرا فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك اى على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه اى مقبولا قوله فى حقهم عند الله تعالى سواء شهد لهم ام عليهم كما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم والخطاب فى قوله تبارك وتعالى لتؤمنوا بالله للنبى عليه الصلاة والسلام ولامته فيكون تعميما للخطاب بعد التخصيص لان خطاب ارسلناك للنبى خاصة ومثله قوله تبارك وتعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خصه عليه الصلاة والسلام بالنداء ثم عمم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على انه عليه السلام يجب عليه ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد فى الحديث انه عليه افضل الصلاة والسلام قال اشهد انى عبد الله ورسوله (قوله على ان خطابه عليه السلام منزل منزلة خطابهم) جواب عما يقال كيف يجوز تخصيص الخطاب الثانى بالامة فى مقام توجيه الخطاب الاول اليه عليه الصلاة والسلام بخصوصه اجاب عنه بان خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع فى مقام تخصيص الرئيس بالخطاب (قوله وتقووه بتقوية دينه ورسوله) تصريح بان الضمائر المذكورة فى قوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى لان ضمير رسوله ليس الا له تعالى وكذا ضمير تسبحوه لان التسبيح لا يكون الا لله تعالى فلا وجه لان يجعل الضميران الاولان لنبيهما للنبى صلى الله عليه وسلم وان جوزه بعض اهل التفسير وجعل الجوهرى التعزير والتوقير بمعنى حيث قال التعزير التعظيم والتوقير والمفسرون حملوا تعزيره تعالى على تعظيمه بنصرة دينه ورسوله وتقويتهما وحملوا توقيره على تعظيمه باعتقاد انه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان قرئ لتؤمنوا الى آخر الافعال الاربعة بالياء والتاء فياء الغيبة مبنى على اسناد الافعال المذكورة الى ضمير المرسل اليهم المدلول عليه بلفظ ارسلناك وتاء الخطاب على خطاب الرسول والامة وتغليب المخاطب على الغائب وقرأ الجمهور وتعزروه بضم التاء وفتح العين وكسر الزاى مشددة وقرئ وتعزروه بضم التاء وسكون العين من اعزره بمعنى عزره وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها مخففة وتعززوه بزايين معجمتين من العزة ومعنى الكل واحد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان هذه الآية التى فى القرآن وهى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا هى ما قال فى التوراة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا عن البخارى فى هذه السورة ثم انه تعالى لما بين انه مرسل ارسله لما ذكر من الحكم والمصالح بين ان منزلته وقدره عند الله عظيم بحيث يكون من بايعه صورة فقد بايع الله تعالى حقيقة لان من بايعه عليه الصلاة والسلام على ان لا يفر من موضع القتال الى ان يقتل او يفتح الله لهم وان كان يقصد بها رضى الرسول عليه الصلاة والسلام ظاهرا لكن انما قصد بها حقيقة رضى الرحمن وثوابه

الاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا) على امتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة والمعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبى والامة اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه اوتصلوا له (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره

وجنة وسميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التى هى مبادلة المال بالمال تشبيها لها بالمبايعة فى اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة وذلك فى المبايعة ظاهر وكذا فى المعاهدة المذكورة فانها ايضا مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات على محاربة المشركين وبين ضمانه عليه السلام برضاء الله تعالى عنهم واثابته اياهم بجنة النعيم وملكا لايبلى فى مقابلة ذلك الثبات فاطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة ثم انه لما كان ثواب ثباتهم على الحرب انما يحصل لهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة معه عليه السلام المبايعة مع الله تعالى وانه عليه الصلاة والسلام هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذا الاعتبار صار من بايعه عليه السلام على ذلك بمنزلة من بايع الله تعالى فقيل انما يبايعون الله كانهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة وان كان العقد معه عليه السلام ولما جعلت المبايعة مع الرسول مبايعة مع الله تعالى وشبه تعالى بالمبايع اثبت له تعالى ماهو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة التخييلية فان المبايع لابد له عند مباشرة العقد من الصيغة عادة فلما قيل ان تلك المبايعة انما هى مع الله تعالى اكد هذا المعنى بان قيل يد الله فوق ايديهم كانه قيل لاتظن ان الامر على خلاف ذلك فان يده يد الله تعالى فلما شبه الله تعالى بالمبايع اثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل والا فهو تعالى منزه عن الجوارح وصفات الاجسام (قوله تعالى انما يبايعون الله) خبران ويد الله مبتدأ ومابعده خبره والظاهر ان الجملة خبر ثان لان جيئ به تأكيد اللاول ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال بل جعلها جملة حالية من ضمير الفاعل فى يبايعون اومستأنفة لتصوير المبايعة مع الله تبارك وتعالى فعلى هذا التقدير تكون اليد فى الموضعين بمعنى الاحسان والصنيعة قال الطيبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ماصنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وعن ابن كيسان انها فى الموضعين بمعنى القوة والنصرة والمعنى قوة الله تعالى ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم كانه قيل ثق بنصرة الله لك لابنصرهم ومبايعتهم على النصرة والثبات فانه يقال اليد لفلان اى القوة والنصرة وقيل هى فيهما بمعنيين ففى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله اى حفظه تلك المبايعة من الانتقاض والبطلان فوق ايديهم كان احد المتبايعين اذا مديده الى الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما الى ان يتم العقد ولا يترك واحدا منهما لان يقبض يده الى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ البيعة فلذلك قال الله تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين (قوله نقض العهد) يقال نكث العهد والحبل فانتكث اى نقضه فانتقض ويقال اوفى بالعهد ووفى بالعهد اذا اتمه ويحتمل ان يراد بنكث العهد مايتناول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه انه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لانفر فما نكث احد منا البيعة الا الجد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم (قوله استنفرهم) اى طلب منهم ان ينفروا ويخرجوا معه حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب فتثاقل كثير من الاعراب الكائنين حول المدينة وتخلفوا عنه وخافوا ان يكون قتال وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى قعر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه يعنون احدا فنقاتلهم فظنوا انه عليه السلام يهلك ولا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام عنهم بما سيقولون فى الاعتذار من تخلفهم اذا رجع الى المدينة وعاتبهم فى التخلف وبانهم لا يكتفون بالاعتذار بل يتضرعون ويقولون ان تخلفنا وان كان مبنيا على العذر عند انفسنا الا انا نسألك ان تسأل الله تعالى ان يغفر لنا تخلفنا عنك اذ كنا حراصا على الخروج معك الا انه منعنا عنك مانع قوى ثم كذبهم فى اعتذارهم واخبر بنفاقهم فقال يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم فان الشك والنفاق هو الذى خلفهم وليس لهم عذر فيه سوى الشك ولما كان حاصل اعتذارهم ان تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر وهو سوء الحال من اختلال حال الاهل والاموال ويجلب لهم النفع وهو السلامة فى انفسهم واموالهم قال الله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا الآية يعنى انكم ايها المساكين تحترزون عن الضر وتتركون امر الله تعالى وامر رسوله وتقعدون طلبا للسلامة فهل يمنعكم القعود والتخلف مما اراد الله بكم ان اراد بكم الضر وقرئ بضم الضاد ايضا وهو رد قولهم شغلتنا وصلاحيته للاعتذار ثم انه تعالى اضرب

(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (يد الله فوق ايديهم) حال اواستئناف مؤكد له على سبيل التخييل (فمن نكث) نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) وفى فى مبايعته (فسيؤتيه اجرا عظيما) هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت فى بيعة الرضوان (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم اسلم و جهينة و مزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم و اهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم (شغلتنا اموالنا واهلونا) اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالنا وقرئ بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) من الله على التخلف (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار (قل فمن يملك لكم من الله شيئا) فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (ان اراد بكم ضرا) مايضركم كقتل اوهزيمة وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة و الكسائى بالضم (او اراد بكم نفعا) مايضاد ذلك و هو تعريض بالرد

(بل كان الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم
فيه (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى
اهليهم ابدا) لظنكم ان المشركين يستأصلونهم
واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال (وزين
ذلك فى قلوبكم) فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل
وهو الله او الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن
المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر
مايظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة (وكنتم
قوما بورا) هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء
نيتكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا) وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم
يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب
للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار
مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره كيف
يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) اذ لا وجوب
عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة
من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض
ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى
(سيقول المخلفون) يعنى المذكورين (اذا انطلقتم الى
مغانم لتأخذوها) يعنى مغانم خيبر فانه عليه السلام
رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام
بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد
الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم
(ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله) ان
يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم عن
مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا
والظاهر انه فى تبوك والكلام اسم للتكليم غلب
فى الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع
كلمة (قل لن تتبعونا) نفى فى معنى النهى (كذلكم قال الله
من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون
بل تحسدوننا) ان نشارككم فى الغنائم وقرئ بالكسر
(بل كانوا لا يفقهون) لا يفهمون (الا قليلا) الا فهما
قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب
الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات
الحسد والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور
الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا
الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف
(ستدعون الى قوم اولى بأس شديد) بنى حنيفة
او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام فانه
قال (تقاتلونهم او يسلمون) اى يكون احد الامرين اما
المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا

عن تكذيبهم فى اعتذارهم الى ايعادهم بانه يجازيهم بما عملوا من التخلف والاعتذار الباطل باظهار امر واخفاء غيره
فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم اضرب عن بيان بطلان اعتذارهم الى بيان ما حملهم على التخلف فقال بل
ظننتم الآية (**قوله الظن المذكور**) يعنى التعريف فى ظن السوء اما للعهد والمعهود ظنهم المتقدم وهو ظن
ان لا ينقلبوا لكثرة العدو وقلة انفسهم ويكون العطف لمجرد التسجيل عليه بالسوء والا فهو من عطف الشئ على
نفسه او للاستغراق فيكون المراد بالمعطوف سائر ظنونهم الزائغة لما تقرر من ان العام اذا عطف على الخاص يراد به
سائر افراده (**قوله هالكين**) اشارة الى ان البور جمع بائر من بار بمعنى هلك كالعوذ جمع عائذ وهى من الا ل والحيل
الحديثة النتج ويحتمل ان يكون مصدرا فانه يقال بار بورا مثل هلك هلكا بناء ومعنى ولذلك يوصف به الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث (**قوله وضع الكافرين موضع الضمير**) جواب عما يقال من فى قوله تعالى ومن لم يؤمن سواء
كانت شرطية او موصولة فى محل الرفع على الابتداء والجملة المصدرة بان خبرها فاين العائد منه الى المبتدأ اجاب
عنه بان الظاهر قائم مقام العائد على التقديرين فانا اعتدنا لهم ثم انه تعالى لما ذكر من له اجر عظيم من المبايعين ومن
له عذاب اليم فى السعير من الطائفين ذكر بعده ولله ملك السموات والارض الى آخر الآية للدلالة على عظم الامرين
جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهبته فى غاية العظمة وكذا يكون عذابه فى غاية الشدة (**قوله تعالى يريدون
ان يبدلوا كلام الله**) حال من المخلفون او مستأنف لبيان مرادهم من قولهم ذرونا والمراد بكلام الله وعده بان
تكون غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة فقال عليه الصلاة والسلام لا يخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وجعل ذلك
عوضا لهم عن غنائم اهل مكة اذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيئا وهذا القول هو الاشهر عند المفسرين
والاظهر نظرا الى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل اى من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر وقيل المراد بكلام الله قوله
لن تخرجوا معى ابدا بناء على ان القوم لما تخلفوا واطلع الله تعالى نبيه على باطنهم واظهر نفاقهم قال تعالى له عليه
الصلاة والسلام قل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا فالقوم ارادوا بقولهم ذرونا نتبعكم ان تبدلوا ذلك
الكلام بالخروج معه ولم يرض المصنف بهذا القول بناء على ان ذلك الكلام ورد فى غزوة تبوك لا فى هذه الواقعة
(**قوله واثبات الحسد**) عطف على قوله رد منهم والمعنى فسيقولون تكذيبا لكم فيما اخبرتموهم من انه تعالى كذلك
قال من قبل ما قال الله كذلك بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم والاضراب الثانى رد من الله تعالى لما زعموه
من ان النهى عن اتباعهم لاجل الحسد واثبات لجهلهم شان النبى وما يصح ان يكون منه وما لا يصح اثبت لهم فهما
قليلا وهو فهمهم بظاهر من الحياة الدنيا (**قوله كرر ذكرهم**) فان المراد من المخلفين هم الذين منعوا عن الخروج الى
خيبر فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معى ابدا وهم
جمع كثير من قبائل شتى دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على
النفاق بل منهم من رجع عنه وحسن حاله فجعل تعالى لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون بعد وفاته عليه الصلاة
والسلام الى قوم اولى بأس شديد اى اولى قوة فى الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان وحاربهم فانه تقبل
توبته ويعطى الاجر الحسن فلولا انه تعالى بين انهم يدعون الى حرب اولى بأس شديد فان اطاعوا اعطوا الاجر
الحسن لاستمر حالهم على النفاق كما استمر حال ثعلبة عليه فانه قد امتنع من اداء الزكاة ثم اتى بها فلم يقبل منه النبى
صلى الله عليه وسلم واستمر على هذا الحال ولم يقبلها منه احد من الصحابة فعلم تعالى من ثعلبة ان حاله لا يتغير فلم يبين
لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انها تتغير فبين لتغيرها علامة فقال اذا اطعتم من دعاكم الى حرب اولى
البأس الشديد تثابوا وتؤجروا فى الدنيا والآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الخروج الى الحديبية يعذبكم
عذابا اليما (**قوله تعالى او يسلمون**) الجمهور على رفعه باثبات النون عطفا على تقاتلونهم بيانا لوجوب احد الامرين
عليهم بحيث لا يكون لهما امر ثالث لان او لاحد الشيئين وينبئ عن الحصر كما فى قولك العدد زوج او فرد وقيل انه
مرفوع على الاستئناف تقديره او هم يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب باضمار ان بمعنى الا ان يسلموا او بمعنى الى ان
يسلموا فيكون ما بعد او فى تأويل مصدر مجرور بها والتى بمعنى الى واستدل المصنف بقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
وقرئ او يسلموا بالنصب اى على ان المراد بقوم اولى بأس شديد هم المرتدون او المشركون مطلقا سواء كانوا مشركى
العرب او العجم بناء على ان من عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقاتلوا الى
ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين فمشركوا العرب والعجم لا تقبل منهم الجزية بل يقاتلون حتى يسلموا وهذا

عندالامام الشافعي رحمةالله عليه واماعندالامام ابي حنيفة رحمةالله عليه فمشركوا العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من اهل الكتاب والمجوس والذين لايقبل منهم الا الاسلام اوالسيف انماهم مشركوا العرب والمرتدون فقط عنده (قوله اذلم تتفق هذه الدعوة) اى دعوة المخلفين الى قتال اولى البأس لم تتفق لغيرابي بكرفانه دعاهم الى قتال بنى حنيفة وهم اهل اليمامة ورأسهم مسيلمة الكذاب ووجه دلالة الآية على امامة ابي بكرانها اوجبت على المخلفين طاعة من يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا لمن يدعوهم الى قتال اولى البأس واوعد على تخلف الفتة حيث قال تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ومن اوجب الله تعالى طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكراماما حقا الااذا ثبت ان المراد باولى البأس اهل حنين وهم ثقيف وهوازن فلا دلالة للآية على امامة ابي بكر لان الدعوة الى قتالهم كانت فى حياته عليه الصلاة والسلام فيكون المخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين وقيل فارس والروم فتكون الآية دليلا على امامة عمر لانه هوالذى قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم (قوله فصل الوعد) اى المدلول عليه بقوله يؤتكم الله اجرا حسنا واجمل الوعيد المذكور سابقا ولاحقا (قوله فنعه الاحابيش)وهوجمع احبوشة وهوالافراد من قبائل شتى تحبشوا اى تجمعوا يقال حبش قومه تحبيشا اى جمعهم والحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة والحبش والتحبيش الجمع والتجميع يقال حبشت له حباشة اذا جمعت له شيئا قال سلمة بن الاكوع بينما نحن قائلون اى نائمون وقت الظهيرة من القيلولة اذنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة نزل روح القدس فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهوتحت شجرة سمرة فبايعناه وكان عثمان رضى الله عنه يومئذ بمكة فقال عليه الصلاة والسلام ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله وحاجة المؤمنين ثم وضع احدى يديه على الاخرى وقال هذه بيعة عثمان وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وقال لمن بايعه من المؤمنين وهوجالس تحت الشجرة انتم اليوم خيراهل الارض وقوله تعالى فعلم مافى قلوبهم يشعر بان يكون علم الله تعالى بما فى قلوبهم من الاخلاص واقعا عقيب رضاه عنهم مع ان علمه تعالى بذلك كان واقعا موجودا قد حصل قبل الرضى قبلية ذاتية لانه تعالى علم به فرضى عنهم الا ان هذا انما يلزم اذا كانت الفاء فى قوله فعلم مافى قلوبهم لبيان وقوع العلم عقيب الرضى وليس كذلك بل هى لبيان وقوعه عقيب البيعة ليعلم ان الرضى لم يكن لمجرد المبايعة فقط بل انما كان للمبايعة التى كان معها علم الله تعالى بصدقهم فيها والفاء فى قوله فانزل السكينة لبيان ان انزال السكينة كان عقيب رضاه عنهم فانه تعالى لما رضى عنهم وقت مبايعتهم المقرونة بالاخلاص رزقهم طمأنينة النفس اما بان شجعهم على طاعة الرسول فيما دعاهم اليه من البيعة فبايعوه على ان يقاتلوا الى الموت ولايفروا اوبان خوف المشركين والجأهم الى الصلح الموجب لسكون النفس وحصول الامن (قوله يعنى مغانم خيبر) وكانت ذات عقار واموال اخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم وكان الله عزيزا غالبا حكيما فى امره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولاهل خيبر بالسبى والهزيمة ثم ذكر سائر الغنائم التى يأخذونها فيما يأتى من الزمان الى يوم القيامة فقال وعدكم الله مغانم كثيرة (قوله ايدى اهل خيبر وحلفائهم) قيل كان اهل خيبر سبعين الفا وانه عليه الصلاة والسلام لما حاصر اهل خيبر هم حلفاؤهم من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله ايديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل جاؤوا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا (قوله اوعنوانا لفتح مكة) عطف على قوله امارة قيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الانبياء وحى فتأخر ذلك فى السنة الآتية فجعل فتح خيبر صورة مارأه فى منامه من فتح مكة (قوله لتسلموا اولتأخذوا) نشر على ترتيب اللف اى فجعل لكم هذه الغنيمة لتأخذوها ولتكون آية اوكف ايديهم عنكم لتسلموا اوليكون الكف آية (قوله اوالعلة لمحذوف) عطف على قوله والعطف على محذوف اى ويحتمل ان لايكون الواو للعطف على العلة المحذوفة قبلها بان تكون الواو ابتدائية وتكون اللام لتعليل ماحذف بعدها اى ولتكون آية فعل ذلك (قوله يفسره قداحاط الله بها) فان احاط قد اشتغل عن اخرى بتعديته بحرف الجر الى الضمير ولايحسبه لوسلط عليه لكونه لازما لاينصب بنفسه فيضمر مايناسبه من حيث المعنى كما فى نحو زيدا مررت به فان مررت وان لم يصلح ناصبا للمفعول به الا انه يصلح مفسرا لما ينصبه بنفسه فان تقديره جاوزت زيدا مررت به وكذا قوله تعالى قداحاط الله بها يصلح مفسرا لما يناسبه من حيث المعنى مثل قضى فيجوز ان يكون تقدير الكلام وقضى اخرى قد احاط الله بها لان الاحاطة مجاز عن الاستيلاء واستيلاء الله تعالى على الغنيمة

ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر رضى الله عنه اذلم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا) هوالغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) عن الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولاعلى الاعرج حرج ولا على المريض حرج) لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة فى الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول يعذبه عذابا اليما) اذالترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون (لقد رضى الله عن المؤمنين اذيبايعونك تحت الشجرة) روى انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة اواربعمائة اوخمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولايفروا منهم وكان جالسا تحت سمرة اوسدرة (فعلم مافى قلوبهم) من الاخلاص (فانزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع اوالصلح (واثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر عقب انصرافهم وقيل مكة اوهجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى مغانم خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) غالبا مراعيا مقتضى الحكمة (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى مايفيء على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر (وكف ايدى الناس عنكم) اى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان اوايدى قريش بالصلح (ولتكون) هذه الكفة اوالغنيمة (آية للمؤمنين)امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان اوصدق الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه من الحديبية اووعد المغانم اوعنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هوعلة لكف اوعجل مثل لتسلموا اولتأخذوا والعلة لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) هوالثقة بفضل الله والتوكل عليه (واخرى) ومغانم اخرى معطوفة على هذه اومنصوبة بفعل يفسره قداحاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب

قضاؤه بها ويحتمل ان يكون واخرى فى محل الرفع على الابتدآء ولم تقدروا عليها صفته وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وقد احاط الله بها خبره وان يكون مجرورا برب المضمرة بعد الواو ولم تقدروا صفة لمجرور رب وقد احاط جواب رب (قوله لما كان فيها من الجولة) اى من تكرر الهزيمة والرجوع الى القتال يقال تجاولوا فى الحرب اى جال بعضهم على بعض فكانت بينهم محاولات وبالجملة الجولة كناية عن كثرة العدو والاحتياج الى الجد القوى فى محاربتهم (قوله وهى مغانم هوازن) فانهم لم يقدروا عليها فى عام الحديبية وان قدروا عليها عقيب فتح مكة فى غزوة حنين (قوله سن الله غلبة انبيائه سنة) اشارة الى ان سنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف (قوله واستشهد به) فان ابا حنيفة رضى الله عنه استشهد بقوله تعالى هو الذى كف ايديهم عنكم الى قوله من بعد ان اظفركم عليهم ٦ معناه من بعد ما سلطكم عليهم وخولكم الظفر والغلبة عليهم وذلك انما يكون بان تفتح قهرا وغلبة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه انما فتحت صلحا لما روى ان ابا سفيان طلب الامان لاهل مكة فعقد النبى صلى الله عليه وسلم لهم الامان واستثنى رجالا مخصوصين امر بقتلهم وايضا انه عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يسب ولا قسم عقارا ولا منقولا ولو فتحت عنوة لامر بخلافه ومن قال انها فتحت عنوة يقول انه عليه الصلاة والسلام دخلها مستعدا للقتال لو قوتل و بعث خالد بن الوليد والزبير بن العوام وامرهما ان يدخلاها من طرفيها فدخل خالد اسفلها عنوة ودخل الزبير اعلاها ولم يتفق فى تلك الناحية قتل وحرب من جهة اهل مكة فامتنع الزبير عن قتالهم لذلك لا لسبق عقد المصالحة قبل ذلك ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب الذى دخل منه الزبير وسبب امتناعه عن قسمة عقار مكة انها خلقت حرة لا لاجل انها فتحت صلحا فلهذا لا يجوز عند ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه بيع دور مكة (قوله وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله) فيه ان نزول السورة قبل فتح مكة لا يستلزم نزول الآية قبله ولو سلم انه يستلزم ذلك فلم لا يجوز ان يكون من قبل القوة باظفارهم عليها وكف ايدى كل واحد من الفريقين عن الآخر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه كما فى قوله تعالى انا فتحنا لك وقيل فى وجه ضعفه ان الظفر هو الفتح مطلقا سوآء كان عنوة او صلحا كما قال صاحب الكشاف فى اول السورة ان الفتح هو الظفر بالبلد سوآء كان عنوة او صلحا فان قلت احتجاج ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه ليس مبنيا على ورود لفظ الظفر بل على تعديته بكلمة على الدالة على الاستعلاء والغلبة ولم يعبر الزمخشرى عن فتح البلد صلحا بالظفر عليه بل قال الظفر به اجيب عنه بانه يكفى فى تحقق الاستعلاء من جهة المؤمنين انهم باشروا عقد المصالحة بالطوع والاختيار بخلاف اهل مكة فانهم صالحوا عن اضطرار فتعدية الظفر بعلى ايضا لا يدل على فتحه عنوة واستدل المصنف على ان الكف المذكور كان عام الحديبية لا عام الفتح بقوله تعالى هم الذين كفروا الآية لان صدهم وصد الهدى معكوفا كان عام الحديبية وقوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم اى بان حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم فى بلادهم بصدد الذب عن اهليهم واولادهم فالفرار من مثلهم فى غاية البعد كما ان ترك المسلمين اياهم بعد ما ظفروا عليهم بعيد وايديكم عنهم بان حملكم على الرجوع عنهم وتركهم مع ان العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه ان لا يتركه بل يستأصله وقد اظفركم الله عليهم حيث هزمتم جيش الكفار وادخلتموهم بيوتهم كما روى ان اصحاب خالد بن الوليد هزموا اصحاب عكرمة وهم خمسمائة نفر وادخلوهم حيطان مكة ثم رجعوا سالمين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى اظفر المسلمين عليهم بالحجارة ثم ادخلهم البيوت فلما كان الكف على الوجه المذكور فى غاية الشمة قال تعالى هو الذى كف الخ على طريق الحصر استشهادا به على ما تقدم من قوله سبحانه وتعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ووجه الاستشهاد ظاهر ثم انه تعالى اشار الى ان كف كل فريق عن صاحبه لم يقع من حيث انهم اصطلحوا وارتفع ما بينهم من الاختلاف والعداوة بل الاختلاف باق لبقاء سببه وهو انهم كفروا بالله وصدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدى معكوفا اى محبوسا عن ان يبلغ محله وهو الموضع الذى ينحر فيه وهو الحرم فهم مع هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقاتلوا ويقتلوا الا انه تعالى كف ايدى كل فريق عن صاحبه محافظة على ما فى مكة من المسلمين المستضعفين ليخرجوا منها وتدخلوها على وجه لا يكون فيه ايذآء من فيها من المؤمنين والمؤمنات فقال هم الذين كفروا الآية والجمهور على نصب قوله تعالى والهدى عطفا على الضمير المنصوب فى قوله وصدوكم ومعكوفا حال من الهدى اى صدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدى محبوسا ممنوعا عن ان يبلغ محله حذفت كلمة عن واوصل العكف او الصد الى البلوغ توسعا وذلك الجار المقدر يجوز ان يتعلق بصدوكم

٦ على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا ووجه الاستشهاد ان قوله تعالى من بعد ان اظفركم عليهم صح

(لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد احاط الله بها) استولى فاظفركم بها وهى مغانم هوازن او فارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) من اهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغيرا (وهو الذى كف ايديهم عنكم) ايدى كفار مكة (وايديكم عنهم ببطن مكة) فى داخل مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة ابن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد قيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو بكر بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله) يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول

وان يتعلق بمعكوفا ويحتمل ان يكون قوله ان يبلغ محله مفعولا له علة للصد اى صدوا الهدى كراهة ان يبلغ محله وقرئ بالجر عطفا على المسجد الحرام ولابد حينئذ من تقدير الجار اى وعن الهدى. بالرفع ايضا على انه مفعول لمالم يسم فاعله بفعل مقدر اى صد الهدى وقرئ والهدى بكسر الدال وتشديد الياء واحده هدية مثل تمرة وتمر وهو مايهدى الى الحرم من الغنم ليذبح فيه * يقال عكفته عن كذا اى حبسته عنه ومنه العاكف فى المسجد لانه حبس نفسه فيه ويستعمل لازما ومتعديا فيقال عكفه عكفا فعكف عكوفا (قوله ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره) اشارة الى ان المحل اسم للمكان الذى ينحر فيه الهدى ودم الاحصار يختص بالحرم عندنا فلا يجوز ذبحه الا فى الحرم وعند الامام الشافعى لا يختص به فيجوز ان يذبح فى الموضع الذى احصر به لنا قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله بعد قوله فان احصرتم فما استيسر من الهدى والمراد بالمحل الحرم بدليل قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وقوله ثم محلها الى البيت العتيق والمراد بالحرم ماعدا البيت اذ لا يراق فيه الدماء وللامام الشافعى ان دم الاحصار انما شرع رخصة للتحلل من الاحرام قبل وقته وترفها والتوقيت بالحرم يشعر بالتضييق فيعود على موضوعه بالنقض ولما ذكره المصنف من انه عليه الصلاة والسلام تحلل بنحره حيث احصر ونحن نقول ان بعض الحديبية حرم فانه قد روى ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهدى المحصر بالحج لا يذبح الا فى الحرم عند الحنفية الا انه لا يتوقت بالزمان بل يذبح فى اى وقت شاء عند ابى حنيفة وقالا يتوقت بالزمان وهو ايام النحر كما يتوقت بالمكان واما المحصر بالعمرة فلا يتوقت بزمان بالاجماع والمضارب جمع مضرب بفتح الميم وكسر الراء وهى المواضع التى ضرب فيها خيامه (قوله ووطئتنا وطئا على حنق * وطأ المقيد نابت الهرم) استشهد به على ان الوطئ عبارة عن الايقاع والابادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الوطئ مستلزم للاهلاك يقال وطئت الشئ برجلى وطئا ووطئ الرجل امرأته يطأ فيهما جميعا والحنق بالحاء المهملة الغيظ الشديد يقال حنق عليه بالكسر اى اغتاظ فهو حنق واحنقه غيره فهو محنق والمقيد البعير المعقول الركبة و الهرم بكسر الزاى المعجمة ما انكسر من الضريع وبالراء المهملة ضرب من الحمض وهو ما ملح من النبات كالرمث والاثل والطرفاء والخلة من النبات ما كان حلوا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها ويقال لحمها وخص المقيد لان وطأته اثقل كما خص الحنق لان اتقاءه ورحمته اقل والمعنى اثرت فينا تأثير الحنق الغضبان كما يؤثر البعير المقيد اذا داس النبت (قوله كان آخر وقعة للنبى صلى الله عليه وسلم بها) فانه عليه الصلاة والسلام لم يغز بعدها الا غزوة تبوك ولم يكن فيها قتال (قوله وهو) اى قوله تعالى ان تطأوهم بدل اشتمال من رجال اى ولولا وطؤهم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات غير معلومين للمرء باعيانهم انهم مؤمنون فان قوله لم تعلموهم فى موضع الرفع على انه صفة لرجال ونساء وان كان قوله ان تطأوهم فى موضع النصب على انه بدل من الضمير المنصوب فى لم تعلموهم بدل الاشتمال ايضا يكون المعنى لم تعلموا وطأهم و يشكل على هذا ان يكون قوله بغير علم متعلقا بقوله ان تطأوهم حالا من الضمير المرفوع فيه لانه على تقدير ان يكون ان تطأوهم بدلا من الضمير وان يكون بغير علم حالا من فاعل تطأوا يكون المعنى لم تعلموا ان تطأوهم غير عالمين بهم وهو يستلزم ان يعتبر نفى علمهم بهم مرتين لان عدم علمهم بوطئهم المؤمنين قد استفيد من قوله لم تعلموهم ان تطأوهم فيكون قوله بغير علم تكرارا الا ان يقال معنى عدم علمهم بوطئهم اياهم غير عالمين بهم عدم علمهم بكونهم معذورين فى وطئهم اياهم بناء على كون ذلك الوطئ فى حال عدم علمهم بكونهم مؤمنين فالظاهر على هذا ان يجعل قوله بغير علم متعلقا بمحذوف على انه صفة لمعرة او يكون حالا من مفعول تصيبكم وقوله فتصيبكم معطوف على قوله ان تطأوهم (قوله وجواب لولا محذوف) وهو قوله لما كف ايديكم عنهم وفى هذا المحذوف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كأنه قيل لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم مالا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على ان الحذف للتعميم والمبالغة وخبر المبتدأ ايضا محذوف تقديره لولا رجال ونساء من اهل الايمان موجودون او بالحضرة فان مابعد لولا الابتدائية مبتدأ وخبره محذوف فقولك لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت (قوله علة لما دل عليه كف الايدى) يعنى ان اللام فى قوله ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه سوق الآية وهو كف ايدى المؤمنين عن اهل مكة صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته فيكون تعليلا للكف بعد اعتبار تعليله بصون من بين اظهر اهل مكة من المؤمنين والاحتراز من وطئهم بغير علم وليس علة لنفس الكف المذكور لانه قد علل بوجود رجال ونساء

ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول عليه الصلاة والسلام حيث احصر فلا ينهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين (ان تطأوهم) ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال

ووطئتنا وطئا على حنق * وطأ المقيد نابت الهرم

وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبى عليه الصلاة والسلام بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم (فتصيبكم منهم) من جهتهم (معرة) مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه مايكرهه (بغير علم) متعلق بان تطأوهم اى تطأوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم (ليدخل الله فى رحمته) علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين

اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير او الاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم اومشركيهم (لو تزيلوا) لوتفرقوا اوتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما) بالقتل والسبى (اذجعل الذين كفروا) مقدر باذكر اوظرف لعذبنا اوصدوكم (فى قلوبهم الحمية) الانفة (حمية الجاهلية) التى تمنع اذعان الحق (فانزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين) فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ماروى انه عليه الصلاة والسلام لماهم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى و مكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا مانعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لوكنا نعلم انك رسول الله ماصددناك عن البيت وماقاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال النبى عليه الصلاة والسلام اكتب ماتريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا (وألزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها (وكانوا احق بها) من غيرهم (واهلها) المستأهل لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم اهل كل شئ وييسره له (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا بها وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ماحلقنا ولاقصرنا ولارأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه

من المؤمنين كانه قيل كف ايديهم عنكم لئلا تطأوا الرجال والنساء المؤمنين المختلطين بهم من غير شعور بايمانهم فلاوجه لتعليله بشئ آخر (قوله اى فى توفيقه لزيادة الخير) اى الطاعة على تقدير ان يكون المراد بقوله من يشاء المؤمنين بين اظهر الكفرة فانهم لما رأوا الطف الله تعالى بهم حيث صانهم من وطئ المسلمين اياهم مع انه تعالى اظفرهم على اهل مكة وصانهم من اجلهم من عداهم ممن استوجب العذاب كان ذلك سببا لمزيد الشكر والخير والطاعة (قوله اوالاسلام) هذا على تقدير ان يكون المراد بمن يشاء المشركين الذين آمنوا بعد ذلك فان المناسب حينئذ ان يفسر الادخال فى الرحمة بالتوفيق للاسلام فان المشركين لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله حيث كف ايدى المسلمين عنهم بعد ان غلبوا عليهم مع استحقاقهم العذاب الشديد صونا لما بينهم من المؤمنين رغبوا فى مثل هذا الدين والانخراط فى زمرة المؤمنين (قوله لوتفرقوا اوتميز بعضهم من بعض) اشارة الى ان ضمير تزيلوا للفريقين من المؤمنين والكافرين وجاز ان يرجع الى المؤمنين فقط وان يرجع الى الكافرين فقط يقال زلت الشئ ازيله زيلا اى مزته وفرقته وزلته منه فلم يزل اى ومزته فلم يتميز وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق (قوله مقدر باذكر) فيكون مفعولا به اى اذكر وقت جعلهم كقولك اذكر اذ قام زيد اى اذكر وقت قيامه فيكون اذ ظرفا فالمفعل الذى اضيف هو اليه وقوله اوظرف لعذبنا اى وصدوكم اى لعذبناهم حين جعلوا فى قلوبهم الحمية اوصدوكم فى ذلك الوقت وفى قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى التى فيتعدى الى واحد اى اذا التى الكافرون فى قلوبهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على الاول على ان جعل بمعنى صير اى صيروا الحمية حاصلة فى قلوبهم وحمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها فانهم حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن زيارة البيت قالوا بناء على الحمية الناشئة عن الجهل والكفر بالله عز وجل انهم قتلوا ابناءنا واخواننا ثم اتوا يريدون ان يدخلوا علينا فى منازلنا فيتحدث العرب بانهم دخلوا علينا ثم على رغم انفنا واللات والعزى لايدخلون علينا فهذه هى حمية الجاهلية التى دخلت قلوبهم ومن تلك الحمية انهم استنكفوا من اشتمال كتاب الصلح على توصيفه تعالى باسم الرحمن وعلى توصيفه عليه الصلاة والسلام بوصف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المؤمنون منهم هذه الحمية الباطلة هموا ان يأبوا الاما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وان يبطشوا بهم فانزل الله تعالى السكينة فتحملوا اشناعتهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ماارادوا فتم الصلح بذلك قال الزهرى انما ساعدهم النبى صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام لما خرج يريد مكة وبلغ الحديبية وقعت ناقته فزجرها الناس فلم تنزجر وبركت فألحوا عليها فلم تقم فقال اصحابه خلأت القصواء فقال عليه الصلاة والسلام ماخلأت القصواء وماذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لاتدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى وفيها صلة الرحم الااعطيتهم اياها فلذلك ساعدهم فيما قالوا وصالحهم على مايريدون (قوله كلمة الشهادة) وهى لااله الاالله وهى كلمة التقوى اذبها يتوقى من الشرك ومن النار فان اصل التقوى الاتقاء بهما وقد وصف الله تعالى هذه الامة بالمتقين فى مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الامة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا ان يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ولابان يكتب محمد رسول الله فصارت هذه الكلمة مختصة بالمؤمنين فلذلك قال تعالى وألزمهم كلمة التقوى اى جعلها شعار المتقين وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد وان المؤمنين ثبتوا على مقتضى الصلح ووفوا بالعهد بخلاف المشركين حيث نقضوا العهد وعادوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهو العهد الواقع فى ضمن الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها (قوله والمعنى صدقه فى رؤياه) يعنى ان صدق يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر يقال صدقك فى كذا اى ماكذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما فى هذه الآية وفى قوله من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه دخل هو واصحابه مكة آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين ومن المعلوم انه ليس من تخييل الشيطان تعين انه من وحى الرحمن أوحى اليه انك ستدخل مكة مع اصحابك على الوصف المذكور الا انه تعالى اراه الدخول واقعا محققا لكونه فى حكم المحقق ثم انهم لما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون والله ماحلقنا ولاقصرنا ولادخلنا المسجد الحرام فنزلت الآية ناطقة بانه تعالى لم يكذب فيما ارى نبيه من دخول مكة

على الوجه المذكور اذ ليس فيما اراه الدخول فى عام ست وانما اراه مجرد صورة الدخول وقد صولح على الدخول فى عام سبع (قوله بالحق ملتبسا به) على ان يكون بالحق متعلقا بمحذوف على انه حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق (قوله جوابه) اى جواب لقوله بالحق على ان يكون قسما باسم الله او بنقيض الباطل وان كان بالحق حالا يكون لتدخلن جواب قسم مضمر وعلى التقديرين يكون الجملة القسمية مستأنفة لتحقيق صدقه تعالى فيما اراه من الدخول على الوجه الموصوف (قوله تعليم للعباد) اشارة الى جواب ما قال الظاهر ان قوله تعالى لتدخلن وعد الهى بالدخول وقوله ان شاء الله تعليق للموعود بالمشيئة فما وجه هذا التعليق فان المخبر انما يعلق ما اخبر به بالمشيئة اذا كان له تردد وشك فى وقوعه والله تعالى منزه عن ذلك فما وجه تعليق موعوده بمشيئته اجاب عنه اولا بانه تعالى علق عدته بمشيئته تعليما للعباد لكى يقولوا فى عداتهم مثل ذلك لا لكونه شاكا فى وقوع الموعود وفيه ايضا تعريض بان دخولهم مبنى على مشيئة الله تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوتهم وهذا معنى ما قيل استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون وثانيا بان الموعود دخولهم جميعا وعلقه بمشيئته اشعارا بان بعضهم لا يدخل فكلمة ان ليست للشك بل للتشكيك وثالثا بمنع ان يكون التعليق من كلام الله تعالى اذ يجوز ان يكون من قبيل الملك الذى القى على النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام كلام الله تعالى وهو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الآية فعلى هذا لا يكون لتدخلن استئنافا بل يكون تفسير الرؤيا فان ذلك الملك لما القى عليه عليه الصلاة والسلام فى رؤياه هذا الكلام الالهى ادخل فيه هذه الكلمة من تلقاء نفسه تبركا مع انه تعالى لما رضى به القاه كذلك على لسان جبرائيل فالتعليق المذكور حكاية ما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وليس من قبله تعالى ورابعا بانه من كلام الرسول فانه عليه الصلاة والسلام لما قص رؤياه على اصحابه استأنف فقال لتدخلنه ان شاء الله (قوله اى محلقا بعضكم) يعنى ان الواو للجمع ليست لاجتماع الامرين فى كل واحد بل لاجتماعهما فى مجموع القوم فان قيل محلقين حال من الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا ولا مقصرا الا ان كل واحد من الحلق والتقصير يخرج به الانسان من الاحرام ولا يقارن شئ منهما الاحرام فالجواب انه حال مقدرة فان قيل قوله لا تخافون معناه غير خائفين وهذا المعنى قد حصل بقوله آمنين فما الفائدة فى اعادته فالجواب ان فيه بيان كمال الامن لان أمنهم حال الدخول يحتمل ان يكون لاجل احرامهم او لاجل كونهم فى الحرام فان اهل مكة كانوا يجتنبون عن قتال الحرم ومن هو داخل الحرم وبعد الحلق او التقصير لا يبقى الانسان محرما فقوله لا تخافون بمنزلة ان يقال يبقى أمنكم بعد خروجكم من الاحرام الا ان هذا الجواب مبنى على ان يكون لا تخافون حالا من ضمير محلقين او مقصرين على التداخل فالظاهر فى الجواب ما شار اليه المصنف بقوله حال مؤكدة او استئناف (قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تأخير ذلك) الموعود الى السنة القابلة وهى انكم لو لم تصالحوهم فى تأخير الدخول الى السنة القابلة ودخلتم عليهم فى هذه السنة عنوة بالمقاتلة والحرب لوطئتم المؤمنين والمؤمنات بغير علم ولاصابتكم منهم معرة والفاء فى قوله تعالى فعلم عاطفة الجملة التى بعدها على جملة لقد صدق الله رسوله دالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ما قبلها فى الذكر من غير ان يكون مضمون ما بعدها واقعا عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره فكذا فى هذه الآية فان التعرض لحكمة الشئ انما يصح بعد جرى ذكره ليستروح اليه اى ليسكن ويطمئن الى ذلك الفتح قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود وهو دخول المسجد او فتح مكة فكلمة الى فى قوله اليه صلة الاستراوح وفى قوله الى ان يتيسر الموعود غاية له قال الجوهرى استروح اليه اى استنام ثم قال فى فصل الميم استنام اليه اى سكن اليه واطمأن (قوله ملتبسا به او بسببه) فالباء على الاول متعلق ٥ بارسل لا بالمحذوف ومحمد خبر محذوف اى هو محمد رسول الله والمبتدأ المحذوف راجع الى الرسول المذكور فى قوله هو الذى ارسل رسوله فانه تعالى لما ذكر انه بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بارسال رسوله ملتبسا بالهدى والدين الحق لذلك الخطب الجليل والامر الخطير توجه ان يقال من ذلك الرسول فاجاب عنه على طريق الاستئناف بقوله هو محمد رسول الله ثم ابتدأ بقوله والذين معه اشداء على الكفار تشريفا لهم وكرامة كقوله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين (قوله تعالى سيماهم) مبتدأ وفى وجوههم خبره ويحتمل ان يكون المراد بالعلامة الثابتة فى وجوههم ما يظهر عليها يوم القيامة من النور والبياض

(بالحق) ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا فى النوم او النبى لاصحابه (آمنين) حال من الواو والشرط معترض (محلقين رؤسكم ومقصرين) اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون (لا تخافون) حال مؤكدة او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير ذلك (فجعل من دون ذلك) من دون دخولكم المسجد او فتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) ملتبسا به او بسببه او لاجله (ودين الحق) وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (اشداء على الكفار رحماء بينهم) واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشتغلون بالصلاة فى اكثر اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضى (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار

٥ بمحذوف هو حال من مفعول ارسل وعلى الثانى هى سببية متعلقة صح

كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وقال يوم تبيض وجوه فان من توجه نحو الحق الذى هو نور السموات والارض لاجرم يقع عليه شئ من نوره كمن يحاذى الشمس يقع شعاعها على وجهه ويحتمل ان يكون المراد بها مايظهر عليها فى الدنيا من اصفرار الوجه فى النهار من طول السهر ومابقى على الجباه من تراب الارض لانهم كانوا يسجدون على التراب لاعلى الثواب وكهيئة الخشوع والتواضع اللازمة للصلاة فانه من واظب على الصلاة يبقى عليه آدابها بعد خروجه منها الاكما قال عليه افضل الصلاة والسلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار الا ترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لايكون وجهه فى النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة والاخلاص ولما كان السيما العلامة مطلقا وكان المراد بها ههنا العلامة الخاصة المترتبة على كثرة السجود بينها بقوله من اثر السجود فهو صفة موضحة لها ويجوز ان يكون حالا من المنوى فى الخبر (قوله اشارة الى الوصف المذكور) وهو كونهم اشداء رحماء ركعا سجدا وكون سيماهم التى هى اثر السجود ثابتة فى وجوههم فقوله تبارك وتعالى ذلك مبتدأ ومثلهم خبر وفى التوراة حال من مثلهم والعامل فيها معنى الاشارة اى ذلك الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين التوراة والانجيل فانهم وصفوا بذلك فيهما ثم ابتدأ فقال كزرع اى هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله فى التوراة ثم ابتدئ بان قيل ومثلهم فى الانجيل كزرع فهما مثلان اى وصفان عجيبان لهم كما ذكره المصنف بقوله او مبتدأ خبره كزرع فانه معطوف على قوله عطف عليه فان جعل معطوفا على مثلهم الاول يكون مثلا واحدا فى الكتابين ويكون قوله كزرع مثلا مستأنفا غير ما فى الكتابين اى هم كزرع وان جعل ذلك اشارة الى الوصف المبهم لاالى الاوصاف المذكورة قيل يكون قوله كزرع تفسيرا لذلك المبهم لاتمثيلا مستأنفا ومن كون ذلك للاشارة الى المبهم المفسر قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (قوله شطأه اى فراخه) الفرخ فى الاصل ولد الطائر ويجمع فى القلة على افرخ وافراخ وفى الكثرة على فراخ كرجال يقال افرخ الطائر اذا صار ذا فرخ بان خرج فرخه من البيضة ويقال ايضا افرخ الامر اذا استبان بعد اشتباه ويقال افرخ الزرع وفرخ اذا تشقق وخرج منه فروعه بعد ما نبت اصله فان الزرع اول ما نبت فهو نبت وما خرج بعده فهو شطؤه فاول ما نبت بمنزلة الام وما تفرع وتشعب منه بمنزلة اولاده وافراخه وعن الاخفش اخرج شطأه اى اطرافه ولعله اخذه من شاطئ الوادى بمعنى جانبه (قوله وهو لغة فيه) كالنهر والنهر والجمهور على سكون الطاء (قوله وقرئ شطاه) كعصاه نقلت حركة الهمزة الى الطاء اساكنة قبلها ثم قلبت الفا على لغة من يقول المراة والكماة (قوله من الموازرة) فيكون آزر فاعل من الازر وهو القوة (قوله او من الايزار) اى ويحتمل ان يكون آزر على وزن افعل وهو الظاهر لانه لم يسمع فى مضارعه يوازر بل يؤزر وفى الصحاح الازر القوة وقوله تعالى اشدد به ازرى اى ظهرى وآزرت فلانا اى عاونته والعامة تقول وازرته انتهى والمنوى فى ازره ضمير الزرع اى اعان الزرع الشطئ وقواه بقرينة ان فاعل اخرج ضمير الزرع اى اعان الزرع الا ان الامام النسفى جعل المنوى فى آزر ضمير الشطئ حيث قال فآزره فقوى الشطئ اصل الزرع بالكثافة والنماء وهو صريح فى ان الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع وقيل آزره بمعنى ساواه فيكون الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع اى ساوى الشطئ الزرع الذى هو بمنزلة الام له فصار الشطئ مثل امه وعلى قامتها (قوله فصار من الدقة الى الغلظة) يعنى ان السين فى استغلظ للتحول كما فى استحجر الطين والظاهر ان ضمير استغلظ للزرع اى غلظ ذلك الزرع واستقام على قصبه وقوله يعجب الزراع يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اى مجازاى استوى هذا الزرع على سوقه حال كونه بحيث يعجب زراعه اى يسرهم بقوته وطول قامته (قوله وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة) اى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى فى حق الذين آمنوا معه هم كزرع قيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعنى انهم فى بدء الاسلام يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون (قوله علة لتشبيههم بالزرع) الموصوف ٩ فى نمائهم وتقوى بعضهم ببعض اى جعلوا كالزرع فى النماء والقوة ليغيظ بهم الكفار او هو علة لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا او متعلق به اى وعدهم ذلك ليجعل الكفار مغتاظين بسببهم وكلمة من فى منهم لتبيين الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لاللتبعيض لان ضمير منهم للذين آمنوا معه والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس بعضا منهم بل كلهم مؤمنون مطيعون فلامعنى للتبعيض * هذا آخر مايتعلق بسورة الفتح والحمد لله مولى النعم كلها وميسر الآمال لاهلها

٧ كاستنارة الوجوه بالنهار من طول ماصلوا بالليل صح

(ذلك) اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم فى التوراه) صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها (ومثلهم فى الانجيل) عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره (اخرج شطأه) اى فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من الموازرة وهى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كاجير فى آجر (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظة (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظته وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

٩ يعنى ان اللام فى قوله تعالى ليغيظ متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع الموصوف صح

سورة الحجرات وهى مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قوله او ترك) عطف على قوله فحذف المفعول يعنى ان الجمهور قرأوا لاتقدموا بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وفيها وجهان احدهما انه متعد وقصد تعلقه بمفعوله ومع ذلك حذف للتعميم اى ليذهب ذهن السامع الى كل ما يمكن تقديمه من قول او فعل مثلا اذا جرت مسئلة فى مجلسه عليه الصلاة والسلام لايسبقونه بالجواب واذا حضر الطعام لايبتدئون بالاكل واذا ذهبوا معه عليه السلام الى موضع لايمشون امامه الا لمصلحة دعت اليه ونحو ذلك مما يمكن فيه التقديم وثانيهما انه وان كان متعديا فى الاصل الا انه نزل ههنا منزلة اللازم ولم يقصد تعلقه بمفعوله بل ترك مفعوله رأسا فقوله تعالى لاتقدموا بهذا المعنى لايكون فى معنى لاتقدموا بل هو نهى عن التقديم مع قطع النظر عن ان المقدم ماهو كما لايكون يعطى فى قولك فلان يعطى ويمنع بمعنى العطاء بل بمعنى الاعطاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمعطى اى يفعل فعل الاعطاء فكذا معنى الآية لاتفعلوا فعل التقديم رأسا وبالكلية (قوله اولاتقدموا) اى ويحتمل ان يكون التقديم لازما بمعنى التقدم فانه يقال قدم بين يديه بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين نهى عن التقدم لان التقدم بين يدى المرء خروج عن صفة التابعة واشعار بالاستقلال فى الامر فيكون التقدم بين يدى الله ورسوله منافيا للايمان واشار المصنف الى هذا الاحتمال بقوله اولاتقدموا وايده بقرأءة من قرأ لاتقدموا بالفتحات الثلاث المتوالية وتشديد الدال اصله لاتتقدموا فحذف احدى التاءين كراهة اجتماع المثلين فى اول الكلمة وقرئ لاتقدموا بفتح التاء والدال وسكون القاف من قدم من سفره يقدم قدوما من باب علم اى لاتقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومه ولاتعجلوا عليه (قوله مستعار مما بين الجهتين المسامتين) اى الكائنين فى سمت يدى الانسان يريد انه استعارة مبنية على المجاز المرسل ووجه المجاز فيه انه عبر عن الجهتين باليدين لكونهما على سمت اليدين فان جهة اليمين واقعة على سمت اليد اليمنى وجهة الشمال واقعة على سمت اليد اليسرى فالتعبير باليدين من قبيل تسمية الشئ باسم ما يدانيه ويحاذيه فاذا كان لفظ اليدين بمعنى الجهتين كان بين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التى بينهما هى جهة الامام فقولك جلست بين يديه بمعنى جلست امامه واذا قيل بين يدى الله امتنع ان يراد به الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه حال ما وقع من بعض الصحابة من القطع فى امر من امور الدين قبل ان يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدم فى المشى فى الطريق مثلا لوقاحة على من يجب ان يتأخر عنه ويقفو اثره تعظيما له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها والمراد من الاستعارة تهجين الحالة المشبهة فان الحالة المشبه بها لما كانت قبيحة مستهجنة فى العادة ومنافية لمقتضى التعظيم والمتابعة كانت ما شبه بها مستهجنة ايضا وهذا التهجين هو النكتة فى الاستعارة المذكورة فمعنى الآية لاتقطعوا امرا قبل ان يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين بالنبى المرسل عليه الصلاة والسلام قال مجاهد والحسن نزلت الآية فى النهى عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة كانه قيل لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى عليه الصلاة والسلام وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى فامرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الى ان تزول الشمس وعند الامام الشافعى ايضا يجوز اذا مضى من الوقت ما يسع الصلاة عن البراء قال خطبنا النبى عليه الصلاة والسلام يوم النحر فقال ان اول ما نبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل ان نصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن الصوم يوم الشك اى لاتصوموا قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك فاتى بلبن فناولتنى فقلت انى صائم قالت عائشة قد نهى عن هذا ونزلت هذه الآية فقالت هذه فى الصوم وغيره وقيل هى عامة فى كل قول وفعل وهو الظاهر ارشدهم الله الى ان يتأدبوا باتباع الشارع فى كل ما عن لهم من قول وفعل وايجاب وسلب ثم نهاهم وزجرهم عما يرتكبه بعض القاصرين من رفع اصواتهم وندائهم اياه من وراء الحجرات وتركهم التصبر الى ان يخرج اليهم لان من خصه الله تعالى بالمنزلة الرفيعة والكرامة العالية يجب ان يهاب منه ويخفض بين يديه الصوت ولايجترأ على مناداته عند اختياره الاستراحة والجائه الى الخروج اليهم استحياء (قوله وذكر الله تعالى تعظيما له) حيث جعل ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ليدل على قوة اختصاصه عليه الصلاة والسلام به اذ ذكره بطريق العطف عليه يدل عليها لامحالة كما يقال اعجبنى زيد وكرمه فى موضع ان يقال اعجبنى كرم زيد للدلالة على

سورة الحجرات مدنية وايها ثمانى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ياايها الذين آمنوا لاتقدموا) اى لاتقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا اولاتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قرآءة يعقوب لاتقدموا وقرئ لاتقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم او مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم (ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى اذا كلمتموه فلاتجاوزوا اصواتكم عن صوته

فوة اختصاص الكرم به ويؤيد هذا القول ان الله ذكر فى هذه الآية وفيما بعدها ارشاد الامة وتعليمهم ما يجب عليهم
من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والتهيب منه والاحتراز عما ينافى ذلك كالتقدم بالامر قبل
ان يحكم به ورفع الصوت بحضرته وندائهم اياه من ورآء الحجرات ونحو ذلك وانه تعالى اكد النهى عن التقديم بقوله
واتقوا الله فانه تصريح بان من قدم بين يدى الرسول يستحق عقابه تعالى فلولا قوة اختصاصه عليه السلام
بحضرته تعالى لما كان الامر كذلك (قوله ولا تبلغوا به الجهر اندآء بينكم) لما كان رفع الصوت والجهر بالقول مؤداهما
واحد فتوهم ان النهى الثانى كالتكرير الاول اشار الى الفرق بينهما بان معنى النهى الاول انه عليه الصلاة والسلام
اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم فوق الحد الذى يبلغه صوته عليه الصلاة والسلام وان تغضوا من
اصواتكم بحيث يكون صوته عليه الصلاة والسلام غالبا على اصواتكم ومعنى الثانى انكم اذا كلمتموه وهو عليه الصلاة
والسلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر فى القول الجهر الدآئر بينكم بل لينوا القول لينا يقارب الهمس الذى يضاد
الجهر وهذا الفرق خلاصة ما فى الكشاف والمصنف فرق بينهما بان مدلول النهى الاول حرمة رفع الصوت فوق
صوته عليه الصلاة والسلام ومدلول الثانى حرمة الجهر باصواتهم مع كونها ليست بارفع من صوته عليه الصلاة
والسلام وهذا المعنى لا يستفاد من النهى الاول فلا تكرير والترجيب بالجيم المنقوطة التعظيم يقال رجبته بكسر
الجيم اذا هبته فهو مرجوب اى معظم ومنه سمى رجب لانهم كانوا يعظمونه فى الجاهلية ولا يستحلون فيه القتال
وانما قيل له رجب مضر لانهم كانوا اشد تعظيما له (قوله وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار) فان النداء
تنبيه للمنادى واستدعاء منه ان يستبصر اى يتحول من الغفلة الى البصيرة حتى يقبل استماع الكلام وفهمه
فيكون تكريره استدعاء لمزيد الاستبصار ومبالغة فى التنبيه والايقاظ واشعارا بان كل واحد من الكلامين
مقصود على حدة لقصد اقبال المخاطب على استماعه فانه اذا كان مؤداهما واحدا كما فى قولك يا زيد لا تنطق
بالباطل ولا تتكلم الا بالحق لا يحسن تخلل النداء بينهما كما يحسن عند اختلاف المطلوب منهما (قوله فيكون علة
للنهى) اى على طريق التنازع فان كل واحد من قوله لا ترفعوا اصواتكم ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى
فيكون علة للثانى عند البصريين وللاول عند الكوفيين كانه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط اعمالكم
وكراهته بحذف المضاف ولام التعليل اذ النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية والفرق بين الوجهين ان المعلل هو
الاول والفعل المنهى فى الثانى كانه قيل انتهوا عن الفعل الذى تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم واللام فيه لام
العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فانهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت
والجهر حبوط اعمالهم الا انه لما كان بحيث قد يؤدى الى الكفر المحبط جعل كانه مثله فادخل عليه لام العلة تشبيها
له (قوله وكان جهوريا) اى جهير الصوت يقال جهور بالقول اى رفع صوته وجهر
وهو رجل جهورى الصوت اى جهير الصوت قيل ان ثابت بن قيس مات بخير حيث قتل شهيدا يوم مسيلمة
الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم ان فلانا وهو رجل من المسلمين نزع درعى
فذهب بها وهو فى ناحية كذا من المعسكر وعنده فرس فى طوله وقد وضع على درعى برمة فأت خالد بن الوليد واخبره
حتى يسترد درعى وأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا يقضى دينى وفلان من رقيقى
حر فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر تلك الرؤيا فاجاز ابو بكر
وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس رضى الله عنهم
لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وقال ابن الزبير ما حدث عمر
النبى عليه الصلاة والسلام بعد نزول قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم حديثا الا استفهمه مما يخفض صوته فانزل
الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله (قوله جربها للتقوى) يشعر بان الامتحان ههنا مستعمل
فى اصل معناه وهو التجربة ومن المعلوم انه لا يجوز ارادة ذلك المعنى ههنا بل المراد بامتحان القلوب بالتقوى
وتمرينها عليها وجعلها صفة راسخة فيها بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان بامتحان الشئ للعمل يستلزم ان يتكرر
صدور ذلك العمل منه مرة بعد اخرى وذلك يستلزم تمرنه اى اعتياده واستمراره عليه والتمرن التعود على الاشياء
بحيث يكون قويا فيها متعودا عليها فقوله تعالى امتحن الله قلوبهم معناه قوى قلوبهم فيها ومرنها عليها فى الصحاح مرن
الشئ يمرن مرونا اذا لان ومرن على الشئ يمرن مرونا ومرانة تعوده وا تمر ومرنت يده على العمل اذا صلبت

(ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولا تبلغوا
به الجهر الدآئر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من
صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل
معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا
وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد
الاستبصار والمبالغة فى الايقاظ والدلالة على استقلال
المنادى له وزيادة الاهتمام به (ان تحبط اعمالكم) كراهة
ان تحبط فيكون علة للنهى اولان تحبط على ان النهى
عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الرفع والجهر
استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه
قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس
رضى الله عنه كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت
تخلف عن رسول الله عليه السلام فتفقده ودعاه فقال
يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال
عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة (وانتم لا تشعرون) انها محبطة
(ان الذين يغضون اصواتهم) يخفضونها (عند
رسول الله) مراعاة للادب اومخافة من مخالفة النهى
قيل كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما بعد ذلك يسر
انه حتى يستفهمهما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها

والغرين التليين الا ان المصنف فسره بقوله جربها للتقوى ولم يقل عود قلوبهم التقوى وقواها لها ومرنها عليها
للاشارة الى ان اللام فى قوله للتقوى صلة قوله امتحن باعتبار اصل معناه لالكون امتحن مستعملا فى اصل معناه
واشار بعطف قوله ومرنها عليها على قوله جربها التقوى الى كونه تفسيرا المرادفة (قوله اوعرفها) اى ويحتمل ان
يكون مجازا عن المعرفة على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الامتحان سبب المعرفة فعلى هذا الاحتمال
تكون اللام صلة محذوف هو حال من مفعول امتحن اى امتحنها اوعرفها كائنة للتقوى كما فى قوله انت لها احمد من
بين البشر اى انت كائن لها (قوله او حرب الله قلوبهم بانواع المحن) فيكون الامتحان على اصل معناه وهو الاختبار
بالمحن والشدآئد فتكون اللام حينئذ للتعليل والمعنى امتحنها بالشدآئد لاجل التقوى اى لاجل ظهورها (قوله
او اخلصها للتقوى) اى جعلها خالصة بان ازال عنها الملكات الردية والعادات الدنية فيكون امتحن الله قلوبهم
استعارة تمثيلية من امتحن الذهب بان شبه تنقية القلوب عما سوى التقوى وجعلها خالصة لها بامتحان الذهب
الابريز وتخليصه من الخبث باذابته بالنار فاطلق عليها اسم الامتحان (قوله بجملة مؤلفة من معرفتين) وهى قوله
اولئك الذين فان اولئك مبتدأ والموصول بصلته خبره ومثل هذا التركيب يفيد الحصر كما فى زيد المنطلق ففيه
تعريض بان حال الذين لم يغضوا اصواتهم على خلاف حال هؤلاء الغاضين فيكون المبتدأ الثانى اسم اشارة يفيد
ان المشار اليه جدير بما ذكر بعده من الحكم لاجل اتصافه بما ذكر قبله من مضمون جملة الصلة وهو التأدب
فى حضرة الرسول بغض الصوت وكون الصلة دالة على بلوغهم اقصى الكمال لان المقام مقام المدح والتعظيم
كانه قيل هم الذين شرفهم الله بامتحان القلوب وتمرينها على التقوى وفيه مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له
حيث جعل ذلك سببا لاختصاص المشار اليهم بما يرد بعد اولئك من كون التقوى صفة راسخة لقلوبهم او كون
قلوبهم خالصة للتقوى طاهرة عما ينافيها من الرذآئل (قوله من خارجها خلفها او قدامها) لان ورآء الحجرات
عبارة عن الجهة التى يواريها شخص الحجرة بجثتها اى من اى ناحية ولابد ان تكون تلك الجهة خارج الحجرة لان
ما فى داخلها من الجهة لا يوارى عمن فيها بجثة الحجرة (قوله وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة) وجه
دلالة من الابتدائية على ذلك ان الورا المعنى المذكور مكان مبهم يتناول كل جزء من اجزآء المسافة التى كانت
خارج الحجرة فاذا دخلت عليه من الابتدآئية كانت تلك الجهة المبهمة على ابهامها مبدأ النداء والمبدأ لابد له من
المنتهى ولابد ان يكون المنتهى غير المكان الذى ابتدئ منه الندآء وذلك لا يكون الا بان يكون المنتهى داخل الحجرة لان
الندآء لما ابتدئ من الجهة المسماة بالوراء وقد تقرر انها خارج الحجرة وانها مبهمة صح ان يكون كل جزء من اجزآئها
مبدأ الندآء فلو فرض ان يكون المنادى خارج الحجرة لكانت تلك الجهة منتهى الندآء ايضا وهو غير جائز لاستلزامه
ان تكون تلك الجهة الواحدة مبدأ ومنتهى ولو قيل ينادونك ورآء الحجرات بدون كلمة من لما دل عليه اى على كون
المنادى داخل الحجرة فانه انما استفيد من جعل خارج الحجرة مبدأ النداء واذا خلا الكلام عن كلمة من لا يكون فيه
دلالة على الابتدآء والانتهاء ولا يفيد ما هو المقصود منه فان المقصود انكار انهم ينادونه من الخارج وهو عليه السلام
فى الحجرة وانكار هذه الصورة بخصوصها موقوف على اشتمال الكلام على من الابتدآئية (قوله اوبانهم تفرقوا
الخ) اى ويجوز ان يكون منهم من تولى ندآءه من ورآء كل حجرة منها ورضى الباقون به فصاروا كانهم نادوه جميعا
من ورآئها قرأ الجمهور الحجرات بضمتين وهى جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهى الموضع يحجره
الانسان لنفسه ويمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع والحظيرة قطعة محجورة من الارض تعمل للابل
من شجر لتقيها الحر والبرد (قوله ولو ثبت صبرهم) لما كانت كلمة لو حرف شرط وجب ان يليها الفعل ظاهرا او مقدرا
فلذلك جعل قوله انهم صبروا فى محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر واوله بالمفرد وجعل اسم كان ضميرا راجعا الى هذا
المفرد وجعل دلالة كلمة ان على الثبوت دليلا على تعين ثبت لكونه مقدرا من بين الافعال ثم اشار الى الفرق بين ان يقال
حتى تخرج اليهم والى ان تخرج اليهم بان حتى انما تدل على ما هو غاية فى نفس الامر مع قطع النظر عن الجعل والاعتبار
بخلاف الى فانها عامة فى كل نهاية سوآء كانت جعلية فى نفس الامر فالمغيا حتى لا يجوز ان يكون لها غاية اخرى
غير مدخولها لان ما هو غاية فى نفس الامر لا يكون متعددا بخلاف المغيا بالى لجواز تعدد ما يبنى على الجعل (قوله
اذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سرية الى حى بنى العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم

اوعرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة محذوف او الفعل باعتبار الاصل
اوحرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة
لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها
اواخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز
ابريزه من خبثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر عظيم)
لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة
خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزآء الغاضين
احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين
والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم
والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال
مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما
على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من ورآء الحجرات)
من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدآئية
فان المناداة نشأت من جهة الورآء وفائدتها الدلالة
على ان المنادى داخل الحجرة اذ لابد وان يختلف
المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم
وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض
المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة
وهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد
حجرات نساء النبى عليه الصلاة والسلام وفيها كناية
عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورآئها اما بانهم اتوها
حجرة حجرة فنادوه من ورآئها او بانهم تفرقوا على
الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل
وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصين والاقرع
بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد
فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم
لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
(اكثرهم لا يعقلون) اذ العقل يقتضى حسن الادب
ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب (ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم) اى ولو ثبت صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما فى حيزها
على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب
اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغى ان يكون
مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه
ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى
نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار
بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم
بالكلام او يتوجه اليهم (لكان خيرا لهم) لكان
الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ
الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسئول اذ روى انهم وفدوا شافعين
فى اسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف

فسباهم عينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة فألقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما في اهله فلما رأتهم الذراري اكبوا على آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج عليه الصلاة والسلام اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم بينهم وعمي شاهد فقال اترضون شابه بن ضرار فرضوا ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (قوله مصدقا) حال مقدرة من الوليد اى آخذا للصدقة وهى الزكاة فانه كما يطلق على من يصدقك فى حديثك يطلق ايضا على من يأخذ صدقات السوائم وفى الصحاح المصدق الذى يصدقك فى حديثك والذى يأخذ صدقات الغنم والمتصدق الذى يعطى الصدقة وقوله تعالى ان المصدقين والمصدقات اصله المتصدقين والمتصدقات قلبت التاء صادا وادغمت والاحنة الحقد والبغض الكامن (قوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد) اى بعثه اليهم بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم فى عسكر وقال اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلا مستخفيا هل ترى شعائر الاسلام وآدابه فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم ترمنهم ذلك فاستعمل فيهم ما يفعل فى الكفار ففعل ذلك خالد واتاهم وقت المغرب فسمع اذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين اى باذلين وسعهم ومجهودهم فى امتثال امر الله تعالى فاخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزلت (قوله وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم) اى فى الفساق والانباء كأنه قيل ان جاءكم فاسق اى فاسق كان بنبأ اى نبأ كان فتوقفوا فيه ولا تعتمدوا على قول الفاسق وان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه اخرج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين اصحابه عليه الصلاة والسلام (قوله وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر) استدل الشافعى بهذا التعليق على ان خبر الواحد العدل شهادة مقبولة فانه تعالى لما علق الامر بالتوقف على كون المخبر فاسقا علم ان لا توقف فى خبر العدل لان خبر العدل لو لم يكن مقبولا لما بقى لترتيب الحكم على فسق المخبر فائدة وهذا من باب التمسك بمفهوم المخالفة واستدل به ايضا على ان شهادة الفاسق لا تقبل بناء على انه تعالى اوجب التبين والتوقف فيما اخبره الى ان يتبين حقيقة الحال والحكم كذلك قبل اخباره فلم يفد اخباره شيأ ونحن نستدل به على قبول شهادته فانه تعالى امر بالتأنى فى قبول شهادته لا بردها وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو التأنى والثبات وترك التسارع الى ان يتبين الحال (قوله كراهة اصابتكم) فان مثله مفعول له بتقدير المضاف عند البصريين وتقديره عند الكوفيين لئلا تصيبوا (قوله بجهالة) حال من الضمير فى ان تصيبوا وقوله فتصبحوا عطف على قوله ان تصيبوا ومعناه فتصيروا فان اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها انه بمعنى دخول الانسان فى الصباح والثانى بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يراد به كونه فى وقت الصباح على حالة هى خير مما كان قبله والثالث انه بمعنى صار تقول اصبح زيد غنيا اى صار غنيا من غير ارادة وقت دون وقت وهذا المعنى هو المراد منه فى هذه الاية وكذلك امسى واضحى وفى هذه الاية دلالة على ان الجاهل لا بد ان يصير نادما على ما فعله بعد زمان فعله وهو دوام الندم على ما وقع منه مع تمنى انه لم يقع وتركيب حروفه لا يعرى عن افادة معنى الدوام يقال ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اى اقام به ومنه المدينة ولزومه قد يكون ٦ لعدم غيبته غيبة موجبة لبعده عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الاسباب (قوله من احد ضميرى فيكم) الاول مرفوع مستتر فيه او مستقر والثانى مجرور بارز وتقدير الكلام على ان يكون حالا من الضمير المرفوع انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم على حالة يجب تغييرها وهى انكم تريدون منه ان يطيعكم ويتبع رأيكم ويفعل ما تستصوبونه وتقديره على ان يكون حالا من الضمير المجرور انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم وانتم على حالة يجب عليكم ان تغيروها وهى ما ذكر ويجب تغيير تلك الحال التى انتم عليها او هو عليه الصلاة والسلام عليها لانه عليه الصلاة والسلام لو فعل ما اردتم منه لعنتم اى لوقعتم فى شدة وهلاك او اثم (قوله ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة) اى لو لم يعتبر تقييد قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله بما بعده لم يكن لذكره معطوفا على قوله فتبينوا فائدة فان الجملة الشرطية التى عطف عليها قوله واعلموا مسوقة لتقريع من تسارع الى قبول قول الوليد حيث اشار عليه عليه الصلاة والسلام بان يوقع ببنى المصطلق

(والله غفور رحيم) حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال (ان تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع اللزوم (واعلموا ان فيكم رسول الله) ان بما فى حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار عليه بالايقاع ببنى المصطلق

٦ لقوته من اول الامر وقد يكون صح

فلا بد ان يكون للجملة التى عطف عليها مدخل فى التقريع وذلك انما يكون بان يكون مابعدها حالا من احد الضميرين فانه لو كانت جملة مستأنفة ولم تكن قيدا لماقبلها لم يكن لماقبلها فائدة فلا يكون لها حينئذ مدخل فى افادة التقريع لانا لانسلم انه على تقدير ان يكون قوله لو يطيعكم الخ كلاما مستأنفا لايكون للامر فائدة لجواز ان يكون توبيخا لهم بتنزيلهم منزلة من لايعلم انه عليه الصلاة والسلام بين اظهرهم اومنزلة من لايعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قصر فى تعظيمه واراد ان يتبع رأيه الصائب لارآئه الفاسدة وطاعته عليه الصلاة والسلام له فيما استصوبه من تصديق الوليد والايقاع ببنى المصطلق ويكون قوله تعالى لو يطيعكم استئنافا لبيان فساد ماارادوه من طاعته عليه الصلاة والسلام (قوله استدراك ببيان عذرهم) اى عذر من اعتمد على كلام الفاسق واشار الى الايقاع ببنى المصطلق وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان هم المخاطبون بقوله لو يطيعكم ومعنى الاستدراك دفع توهم ان يكون الحامل على تصديقهم الوليد والاقدام على الايقاع ببنى المصطلق هو محبة الظلم والفساد فى الارض بغير حق ببيان انه انما نشأ من محبة الايمان وكراهة الكفر (قوله او بصفة من لم يفعل ذلك منهم) عطف على عذرهم اى او هو استدراك ببيان صفته وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله لو يطيعكم من اعتمد على نبأ الفاسق ومال الى العمل بمقتضاه ويكون المخاطبون بقوله حبب اليكم الايمان الكاملين الذين لم يعتمدوا على كل ماسمعوه من الاخبار فسيق الكلام الثانى مدحا لهم فى مقابلة من ذمهم باضطرابهم بكل ماسمعوه فكما ان الاولين مدحوا بمافعلوه مدح المتبصرون بمافعلوا ايضا وتحبيب الايمان فعل الله تعالى والشخص لايحمد بمالايفعله من فعل غيره فينبغى ان يراد به ماهو فعلهم وهو ايثارهم الايمان والطاعة على الكفر والعصيان ليصلح باعثا لان يثنى عليهم بذلك كأنه قيل ولكن حالكم يخالف حالهم فلذلك وقاكم الله تعالى من الوقوع فى العنت وعلى التقديرين صح الاستدراك بلكن فان احدى الجملتين اذا عطف احداهما على الاخرى بلكن يجب ان يكون بينهما مغايرة بالنفى والاثبات وههنا وان لم يتغايرا لفظا فقد تغايرتا معنى يقال بغض الرجل بضم الغين اى صار بغيضا وبغضه الله الى الناس تبغيضا فابغضوه اى مقتوه فهو مبغض وبغيض فان قيل لم اختير لفظ المضارع على الماضى فى قوله تعالى لو يطيعكم مع ان لو للماضى سوآء دخلت على الماضى او المستقبل كما ان ان للمستقبل على ايهما دخلت اجيب بانه لم يقل لو اطاعكم للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله عليه الصلاة والسلام على مايستصوبونه وانه كلما عن لهم رأى فى امر كان معمولا عليه كما يقال فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ويراد انه ديدن له ومستمر عليه فكلمة لو هنا تفيد امتناع الاستمرار لان وقوعهم فى الهلاك والاثم انما يلزم من استمراره عليه الصلاة والسلام على اطاعتهم فيما يعن لهم ويستصوبونه لان فيه انقلاب الرئيس مرؤسا لاسيما اذا كان الرئيس فى منصب لايليق به ان يقطع الامر ويحكم فيه الا اتباعا لما نزل من الوحى النازل واستمراره على اتباع رأى اهل الضلالة وايثار طريق الضلال على طريق الهدى فلاجرم انه يكون مؤداه الهلاك واما طاعته اياهم فى بعض مايرونه فقد رخص الله تعالى فى ذلك بل امره به استمالة لقلوبهم وتعليما لهم طريق الاجتهاد فلذلك قال فى كثير من الامر وجعل الممتنع طاعته لهم فى الكثير اوفى الكل (قوله والكفر تغطية نعمة الله بالجحود) وهو الانكار مع العلم واجل نعمة تعالى مايتوصل به الى الايمان والطاعة والثواب المؤبد كدلائل الوحدانية والعقل والتمييز والقوى والاعضاء السليمة وسائر الاسباب المعينة للطاعة والكافر على الاطلاق من اهمل مايتوصل به الى الايمان بالوحدانية والنبوة والكافر لسائر النعم من ترك شكرها ولم يصرفها الى ما خلق له والقصد العدل وهو ضد الجور واصل الجور ان يظلم المرء نفسه بان يتعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فلذلك فسر الفسوق بالخروج عن القصد اى عن العدل والعصيان بمعنى الامتناع عن الانقياد شامل لجميع الذنوب والفسوق مختص بالكبائر (قوله لاللراشدين) لانعدام شرط انتصاب المفعول له وهو ان يتحد الفاعل للعلة والمعلول لان الرشد فعل القوم والفضل والانعام فعل الله تعالى ولما ورد ان يقال الرشد وان كان صفة قائمة بالقوم الا انه مسبب عن فعله تعالى وهو التحبيب والتكريه فانه تعالى لولم يحبب اليهم الايمان ويكره اليهم الكفر والعصيان لما رشدوا فصار الرشد بهذا الاعتبار كأنه فعل الله تعالى كالفضل والانعام فجاز كونه تعليلا للراشدين لتحقق شرط انتصاب المفعول له فيه اشار الى جوابه بقوله والرشد وان كان مسببا عن فعله تعالى الخ وتقريره ان المراد بالفاعل من قام به الفعل واسند هو اليه لا من اوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل والانعام قائمان به تعالى فلا اتحاد (قوله او مصدر) عطف على قوله

وقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم وهو أنهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا لذم من فعل ويؤيده قوله (اولئك هم الراشدون) اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره متعد بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله ونعمة) تعليل لكره اوحبب ومابينهما اعتراض لاللراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام (والله عليم) باحوال المؤمنين ومابينهم من التفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله (فان بغت احداهما على الاخرى) تعدت عليها (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) ترجع الى حكمه اوما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة

تعليل وشرط المفعول المطلق ان يتحد مع ناصبه في المعنى والفضل متحد من حيث المعنى مع التحبيب والتكريه فجاز كونه مفعولا مطلقا لكل واحد منهما من حيث ان كل واحد منهما فضل وانعام (قوله والجمع باعتبار المعنى) جواب عما يقال الظاهر ان يقال اقتتلتا على لفظ تثنية الغائبة لكون الفعل مسندا الى ضمير الطائفتين فلم قيل اقتتلوا على لفظ جمع المذكر الغائب وتقرير الجواب ان كل طائفة جمع فيكون الطائفتان جماعتين الا انهما يكونان حال الاقتتال في حكم جماعة واحدة لان نسبة التقاتل تجمعهما وتمنع امتياز كل واحدة منهما عن الاخرى فصارتا في معنى القوم والناس فناسب بذلك ان يجمع الفعل المسند اليهما فلذلك قيل اقتتلوا وثنى ضمير بينهما مع كونه عبارة عما عبر عنه بضمير اقتتلوا الا ان كل واحدة من الطائفتين منفردة عن الاخرى حال الصلح ويظهر تثنيتهما فلذلك ثنى ضميرهما عند تعلق الصلح بهما ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما حذر المؤمنين عن اتباع النبأ الصادر من الفاسق من الحكم على تقدير ان يتحقق ذلك ويلزم منه اقتتال طائفتين من المؤمنين كأنه قيل اذا وقع بينكم تنازع بناء على قول الفاسق وادى الى التقاتل فعلى الامام ومن يقوم مقامه من الحكام ان يصلح بينهما بالصلح والدعاء الى حكم الشرع والعمل بمقتضى اخوة الاسلام وبان يذكرهما قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فان قبلا نصحه ورجعا عن الخلاف الى الوفاق فبها والا فعليه ان يمنع الباغي منهما عن ذلك باي طريق امكن فان لم يمتنع واصر على بغيه واقدم على القتال فعلى الامام ان يقاتله الى ان يرجع الى حكم الشرع واتباع الحق فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ تقبيحا لفعلهم لان الايمان من حقه ان يمنع مثل هذا العدوان ويقضي بالعدل والاحسان وطائفتان مرفوع على انه فاعل فعل محذوف وجوبا لكونه مفسرا بفعل مذكور بعده وهو قوله اقتتلوا فلو ذكر الفعل الرافع للزم اجتماع المفسر والمفسر وهو غير جائز ونظيره قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وانما قلنا انه فاعل فعل محذوف ولم نقل انه مبتدأ وما بعده خبره لان كلمة ان حرف شرط فيجب ان تدخل على الفعل لفظا او تقديرا (قوله الى حكمه اوما امر به) يعني ان الامر مصدر امر اي حكم فاما ان يكون على اصل معناه او يكون بمعنى المأمور به وهو الاطاعة المداول عليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة وامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يتوبوا عن بغيهم ويجيبوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يقسم فيئهم واجهاز الجريح اتمام القتل عليه والمسارعة الى قتله قبل ان يموت بسبب ما فيه من الجراحة ويعدى بعلى وما اتلفته احدى الطائفتين على الاخرى قبل ان تجمعوا وتجندوا او حين تفرقوا وفرغوا من المقاتلة فهو مضمون على من اتلفه بالاتفاق وما اتلف حال القتال اي بعد التجند وقبل التفرق فان كانت الطائفة الباغية قليلة العدد بحيث لا منعة لها ولا قوة ضمنوا ما اتلفوه بعد ان فاؤا بالاتفاق ايضا وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة ثم سكنت الحرب بينهم فلا يجب عليهم ضمان ما اتلفوه حال القتال الا عند الامام محمد بن الحسن فانه يوجب الضمان مطلقا وتفسير الآية بظاهره يؤيد مذهبه فان قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل يدل على لزوم الضمان مطلقا اذا فاءت الطائفة الباغية عن البغي قليلة كانت او كثيرة فان المراد بالاصلاح الواقع بعد فيء اهل البغي وارتفاع المقاتلة ان يحكم الحاكم حكما ملتبسا بالعدل فيما وجب على كل واحدة من الطائفتين من ضمان ما اتلفوه حال المقاتلة حتى لا يؤدي ذلك الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى ومن لا يوجب عليهم الضمان يحمل الآية على كون الفائية قليلة العدد والاصلاح المذكور في الآية على معنى اصلاح ذات البين اي الحالة الواقعة بينهما من العداوة وما تؤدي هي اليه من المحاربة الى ان يتصالحا ويتوافقا ويرجعا الى ما تقتضيه الاخوة الاسلامية (قوله بعد نسخ الشمس) اي ازالتها اياه يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازدادت نسخا وزوالا وذلك الى ان توازي الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه واخذت في الانحطاط اخذ الظل في الرجوع والظهور فلما كان الزوال سببا لرجوع ما نسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيء الزوال (قوله والغنيمة) عطف على الظل واطلاق الفيء على كل واحد منهما من قبيل التوصيف بالمصدر كما في رجل عدل (قوله لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة) اي من حيث ان الشرطية

القسائلة فان فاءت فاصلحوا معطوفة على الشرطية القائلة فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا بفاء التعقيب كما ان هذه الشرطية معطوفة على الشرطية الاولى وهى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فيكون مضمون الشرطية الاخيرة واقعا بعد مقاتلة الحكام معهم كما ان مضمون الثانية واقع بعد اقتتال الطائفتين فالحكام مأمورون اولا باصلاح مابين الطائفتين معا وقتالهم من بغت على الاخرى على تقدير عدم الفيئ ومأمورون ثانيا باصلاح مابينهما على تقدير ان تفيئ من بغت على الاخرى الى امر الله تعالى وترك المقاتلة مع خصمها فلذلك قيل بالعدل وهو دون الاول (قوله واعدلوا فى كل الامور) اشارة الى فائدة قوله واقسطوا بعد قوله فاصلحوا بينهما بالعدل والحال ان القسط بالكسر العدل وهمزة اقسط للصيرورة والقسط بالفتح الجور وهمزته للسلب يقال اذا كان القسط زال القسط فقوله تعالى واقسطوا على كل واحد من التقديرين امر بالعدل وقد امر به بقوله فاصلحوا بينهما فيكون تكرارا وتقرير الجواب ان المأمور به اولا هو العدل فى الاصلاح الواقع بعد المقاتلة والمأمور به ثانيا هو العدل فى الامور كلها والثانى ارفع درجة من الاول بكثير والسعف جمع سعفة وهى اغصان النخل اذا يبست روى انه عليه الصلاة والسلام مر يوما على ملأ من الانصار فيهم عبدالله بن ابى المنافق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال حماره اوراث فامسك عبدالله بن ابى انفه وقال نح عنا نتن حمارك فقد اذيتنا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبدالله بن رواحة فقال الحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا والله ان بول حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطيب رائحة منك فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الكلام بين عبدالله بن ابى المنافق الخزرجى و بين عبدالله بن رواحة الاوسى حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصى وقيل بالنعال والايدى وقيل بالسعف ايضا فنزل قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم واصلح بينهم فان قيل عبدالله بن ابى كان منافقا والآية فى طائفتين من المؤمنين قلنا احدى الطائفتين هما اصحاب عبدالله بن ابى وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين والآية تتناول المؤمنين منهم او المراد بالمؤمنين من اظهر الايمان سواء كان مؤمنا حقيقة او ادعاء وروى فى سبب نزول هذه الآية روايات اخر ويحتمل ان تكون كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها (قوله كما جاء فى الحديث) وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى حق اهل البغى ولا يطلب هاربها فانه قد روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن ام عبدالله هل تدرى ما حكم الله تعالى فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها (قوله من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية) كما ان الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية وقوله الموجب للحياة الابدية اشارة الى ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بحيث لا يعتبر اخوة النسب اذا خلت عن اخوة الاسلام الا ترى انه اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات الاخ الكافر وذلك لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة وانما المعتبر الاصل الشرعى الا ترى ان ولدى الزنى من رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الايمان وانما للحصر فكانه لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بالمؤمن والكافر (قوله وقرئ بين اخوتكم) فان اخوة جمع اخ وكذلك الاخوان قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة ويقع احدهما موقع الآخر (قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) وجه اتصاله بما قبله ان هذه السورة الكريمة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهى اما مع الله تعالى او مع رسوله او مع غيرهما من ابناء جنسهم وهم على صنفين اما من اهل الايمان والطاعة او من اهل الفسق والمعصية والمؤمن المطيع اما حاضر عندهم او غائب عنهم فهذه خمسة اقسام احدها متعلق بجانب الله تعالى وثانيها بجانب رسوله وثالثها بجانب الفساق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب فذكر الله تعالى فى هذه السورة خمس مراتب بقوله يا أيها الذين آمنوا وارشدهم فى كل مرة الى مكرمة هى قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وذكر الرسول لبيان ان طاعته طاعة الله تعالى لانها لا تعلم الا بقول الرسول وقال ثانيا يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى لبيان احترامه عليه الصلاة والسلام وقال ثالثا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على قول الفاسق بناء على انهم يريدون القاء الفتنة

(وأقسطوا) واعدلوا فى كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان الباغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال (فاصلحوا بين اخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) اى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر

بينكم وقال رابعا ياايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم وقال ولاتنابزوا بالالقاب لبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضورهم بالتحقير والتنقيص وقال خامسا ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولا تجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المؤمن في حال غيبته بذكر مالوذكر في حضوره لتأذى به وهو ترتيب حسن حيث قدم الاهم على ماهو دونه فذكر جانب الله تعالى ثم جانب رسوله ثم ذكر مايفضي الى اقتتال طوائف المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه واما المؤمن الحاضر اوالغائب فانه لايؤذى المؤمن الى حديفضي الى حد التقاتل وهيجان الفتنة وذكر في هذه الآية امورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية ان يحقر الانسان اخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته ويعده ممن لايلتفت اليه واللمز ان يذكره في غيبته بما فيه من العيب وهذا دون الاول لان الساخر لايلتفت الى المسخور منه ولايعده شيئا ولايرضى ان يجريه على لسانه فضلا عن ان ينسب اليه شيئا من المعايب بل ينزله منزلة المسخرة الساقطة عن درجة الاعتبار بالكلية بخلاف اللامز فانه يلتفت الى من يلمزه ويجعل فيه شيئا فيعيبه به والنبز أن يدعو انسان احدا بالقلب السوء وهو دون الثاني لان النبز بمجرد التسمية لايقتضي وجود معناه اللغوي في المسمى كالاسماء الحسنة مثل سعيد ومحمود والقاب المادحة مثل محي الدين وشمس الدين بخلاف اللمز فان اللامز يضيف الى من يلمزه وصفا ثابتا فيه يوجب نقصه وحط منزلته وليس نسبة مجردة كانه قيل لا تكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لاتلتفتون اليهم اصلا وان عن هذا فلا تعيبوهم طالبين درجتهم واذا لم تعيبوهم ولم تضيفوا اليهم مايسوءهم فلا تسموهم بما يكرهونه (**قوله** لانه اما مصدر نعت به) المشهور في مصدر قام لفظ القيام يقال قام الرجل قياما وان القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط ونفر الا انه يحتمل ان يكون ايضا مصدرا في الاصل بدليل قولهم قومة للمرة من القيام وبدليل قول من قال اذا اكلت طعاما احييت نوما وكرهت قوما اى قياما فينبغي ان يجوز رجل قوم ورجلان قوم الا انه غلب في ان يوصف به الجمع وحينئذ يكون اطلاقه على جماعة الرجال من قبيل توصيفهم بالمصدر مبالغة مثل رجال عدل فان المصدر لكونه اسم جنس يصح اطلاقه على الكثير من آحاده ثم توصف الجماعة الموصوفة بذلك الجنس بالمصدر الذى اطلق على الكثير من احاده ويحتمل ان يكون جمع القائم مثل ركب وصحب وزور في مثل راكب وصاحب وزائر واختار الجوهري كونه اسم جمع حيث قال الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه لان اهل العربية لم يجعلوا فعلا من ابنية التكسير الا الاخفش فالقوم سواء كان مصدرا نعت به الجمع اوكان جمع قائم يكون معناه في الاية لايسخر جمع قائمون ويكون الجمع القائمون مختصا بالرجال لان القيام بالامور وظيفة الرجال (**قوله** وحيث فسر بالقبيلين) جواب عمايقال كيف يختص القوم بالرجال مع انه مفسر بما يعم الرجال والنساء في نحو قوم نوح وقوم عاد وقوم فرعون لان قوم كل واحد من الانبياء والملوك يعم الرجال والنساء والاية صريح في اختصاصه بالرجال حيث عطف عليه قوله ولا نساء وكذا قول زهير

وماادرى وسوف اخال ادرى ✻ اقوم آل حصن ام نساء

حيث قابل القوم بالنساء وتقرير الجواب انا لانسلم ان القوم في مثله يعم القبيلين بل لايتناول الى الرجال واكتفى بذكرهم عن ذكر النساء ولوسلم انه يعم القبيلين فتناوله اليهما على سبيل التغليب لابحسب المفهوم (**قوله** واختيار الجمع) جواب عمايقال المنهي عنه في الآية هو ان يسخر جماعة من احد القبيلين من جماعة اخرى من ذلك القبيل لان القوم اسم جمع لرجل والنساء اسم جمع لامرأة فيلزم ان لايحرم سخرية واحد والا لم يكن لاختيار اسم الجمع في كل واحد من القبيلين فائدة وتقرير الجواب ان اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد بل لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب ان تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ماوجب عليهم من النهي والانكار فيكونون شركاء الساخر في تحمل الوزر ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه في المجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه الصلاة والسلام ليسمع مايقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي عليه الصلاة والسلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم وضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لايجد مجلسا ويقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا

والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع اوجمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع

فجعلوا يتفسحون له حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينه و بينه رجل فقال له تفسح فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة تريد اما كان يعيرهم بها فى الجاهلية فخجل الرسول صلى الله عليه وسلم ونكس رأسه فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى استهزاء المشركين بفقراء المسلمين وسخريتهم منهم فنهى الله المؤمنين ان يتخلقوا به تأديبا لهم روى ان قوله تعالى ولا نساء من نساء نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وقيل انها نزلت فى صفية بنت حيى بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين (قوله وقرئ عسوا) اسنده الواو وان مع الفعل خبره فان المتأخرين على ان عسى يرفع الاسم و ينصب الخبر مثل كان وان مع الفعل المضارع بعد اسمه فى مثل عسى زيد ان يخرج فى محل النصب على انه خبر عسى استدلالا بقوله عسى الغوير أبؤسا* وقوله لا تلحنى انى عسيت صائما * اى لا تلمنى يقال لحيت الرجل الحاه لحيا اى لمته ونقل عن سيبويه منع كون ان يفعل خبره بناء على ان الحدث لا يكون خبرا عن الجثة وان قوله ابؤسا وصائما مبنى على اجراء عسى مجرى كان لتضمنه معنى كان واعتذر من جعله خبرا عن لزوم كون الحدث خبرا عن الجثة بتقدير المضاف اما فى الاسم نحو عسى حال زيد ان يخرج اوفى الخبر نحو عسى زيد صاحب ان يخرج وقال الكوفيون ان مع الفعل فى مثله فى محل الرفع على انه بدل مما قبله بدل الاشتمال لان عسى بمعنى ترجى وتوقع فمعنى عسى زيد ان يقوم ترجى زيد قيامه وانما غلب فيه بدل الاشتمال لان فيه اجمالا وتفصيلا كما تقرر ذلك فى بحث البدل وفى ابهام الشئ ثم تفسيره وقع عظيم لذلك الشئ فى النفس واذا قلت عسى ان يخرج زيد يكون ان يخرج فاعل عسى وزيد فاعل يخرج فاكتفى باسمه عن خبره لاغناء الاسم عنه ومنه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهى لغة اهل الحجاز وعسى زيدان يخرج لغة تميم وقراءة العامة على لغة اهل الحجاز وقراءة عسوا وعسين على لغة تميم (قوله فان المؤمنين كنفس واحدة) علة لجعل الملموز نفس اللامز فان المؤمنين اذا كانوا كنفس واحدة وكانت الافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس يكون ما يصيب واحدا منهم كانه يصيب الجميع كما اذا اشتكى عضو واحد من شخص اعترى سائر الاعضاء الحمى والسهر فاذا عاب مؤمن مؤمنا فكانما عاب نفسه كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم (قوله فمن فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه) باعتبار كونه سببا للمز غيره اياه فقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم من قبيل الاسناد المجازى لان الاسناد بمعنى التعلق مطلقا وقرأ يعقوب ولا تلمزوا بضم الميم والنبز بفتح الباء اللقب مطلقا اى حسنا كان او قبيحا وخص فى العرف بالقبيح وبسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه ويقال تنابزوا بالالقاب اذا لقب بعضهم بعضا والتلقيب اى يدعى الانسان بغير ما سمى به مما يكره المدعو ان يدعى به وهذا التخصيص عرفى (قوله اى بئس الذكر المرتفع) اى ليس المراد بالاسم ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به ما يذكر به الشخص ويسمى مطلقا والمخصوص بالذم الفسوق وهو التنابز المنهى عنه ولما كان لفظ الاسم مأخوذا من سما يسمو سموا بمعنى ارتفع ارتفاعا كان متضمنا لمعنى الارتقاء والاشتهار فان كان المراد تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين وتلقيبهم بهما يكون المعنى ما اقبح ذكركم اخوانكم من المؤمنين بفسق كان فيهم بعد ما تابوا عنه وآمنوا بان تقولوا لهم يا يهودى يا نصرانى اذ هم كانوا يتنابزون بنحو ذلك كما قيل لام المؤمنين صفية فعلى هذا تكون جملة فعل الذم متعلقة بقوله ولا تنابزوا علة للنهى عنه و يؤيد هذا المعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وان كان المراد به الدلالة على ان ارتكاب ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فسق وان الجمع بين ارتكاب ذلك و بين الايمان قبيح يكون المعنى بئس الذكر المرتفع ان يرتفع ذكركم بالفسق بسبب ارتكابكم لشئ مما نهيتم عنه من السخرية واللمز والنبز بعد ان ذكرتم بالايمان واشتهرتم به وتكون الجملة حينئذ متعلقة بجميع ما تقدم من قوله لا يسخر قوم من قوم ولا تلمزوا ولا تنابزوا علة للنهى عن جميع ذلك ويكون تخصيص التنابز بالذكر فى قوله اوالدلالة على ان التنابز فسق لقربه ولقصد الاختصار مع عدم الالتباس فى المراد من حيث ان التنابز انما يكون فسقا من حيث ارتكابه لما نهى عنه وهذه العلة متحققة فى السخرية واللمز ايضا فيكون الجميع فسقا (قوله وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن) وتوضيح المقام ان كثيرا المبين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا ليبان انه كثير فى نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى ما يعرفه المخاطب بانه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور

وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر (ولا تلمزوا انفسكم) اى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة اولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولا تنابزوا بالالقاب) ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد اوالدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه و بين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن و يتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع و ظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن فى الامور المعاشية

باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثير من غير تعيينه اى بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهو ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه او يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس او الاستغراق لا يؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء او ظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما اذا نكر الظن الموصوف بالكثرة فانه حرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان ما يخطر بباله من الظن من اى نوع من انواعه (قوله تعليل مستأنف للامر) فان تنوين كثيرا لما كان بمنزلة تنوين ظنا لكونه بيانا للظن وعبارة عنه كانت آية الامر بمنزلة ان يقال اجتنبوا بعض الظن وهو كثير فعلل الامر بالاجتناب عنه بقوله ان بعض الظن اثم وهو ان يظن السوء بمن لا يعلم منه فسق قيل نزلت الآية فى رجلين اغتابا سلمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويقدم لهما المنزل ويهيئ لهما طعامهما وشرابهما وضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم سلمان الفارسى الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له عليه الصلاة والسلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان لديه فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال عليه الصلاة والسلام ظللتم تأكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قال سفيان الثورى ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به والمراد بقوله تعالى ان بعض الظن اثم ما اعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا فى زمان الظن حرام فيه وانت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت (قوله والهمزة فيه بدل من الواو) قيل عليه كيف يكون الاثم من الوثم مع ان كل واحد منهما من باب على حدة فان وثم يثم من باب ضرب واثم يأثم من باب علم الجوهرى الاثم الذنب والوثم الدق والكسر قال وثم يثم وثما مثل ضرب يضرب ضربا (قوله تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب) فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى باب التفعل يحدث فيه معنى التكلف منضما الى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسسها يراد معنى التكلف فان تفعل من الجس وهو المس باليد ليعرف حال الشئ كالتلمس فى انه يحدث فيه معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيى منه من العثرات والعيوب والجمع عورات بالتسكين (قوله ولذلك) اى ولكون الحس غاية الجس يقال للحس جس تسمية للشئ باسم مبداه فيقال للحواس جواس (قوله تتبع الله عورته) من باب المشاكلة اى جازاه على عثراته كقوله كما تدين تدان فان الدين الجزاء والمعنى تجازى كما تفعل (قوله تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب) المغتاب الاول اسم فاعل والثانى اسم مفعول والتقدير مختلف كلفظ المختار فاعلا ومفعولا شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم الاخ ميتا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك ان الهيئة المشبه بها افحش جنس التناول واقبحه فيكون التمثيل لتصوير الاغتياب باقبح الصور مع مبالغات فى تقبيحه احداها الاستفهام المقرر اى الحامل للمخاطبين على ان يقروا بان احدا منا لا يحب ذلك الاكل الذى هو عبارة عن تناول عرض المغتاب فان الاستفهام التقريرى انما يحسن اذا كان الحكم مسلما عند كل احد فيكون مبالغة فى تقبيح الاكل وكذا اسناد الفعل الى احد المتناول لكل احد يحملهم على ان يقروا بان احدا من الآحاد لا يحب اكله ففيه ايضا مبالغة فى تقبيح تناول العرض وكذا تعدية فعل المحبة الى ما هو فى غاية الكراهة وكذا ما ذكر بعده (قوله تعالى ميتا) منصوب على الحال من المفعول وهو اللحم واللحم المنفصل عن الحى يوصف بانه ميت لقوله عليه الصلاة والسلام ما ابين من حى فهو ميت ويحتمل ان يكون

(ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضا) ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل منه عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته (أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك

حالا من الاخ على رأى من يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم فى الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فدفعه بان اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا يؤلم ومع هذا هو فى غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الاخوة (**قوله** والمعنى ان صح ذلك اوعرض عليكم هذا) يعنى ان قوله فكرهتموه اما جواب شرط محذوف والمعنى انه ان صح وتقرر انه يتعين لكم الاقرار بان احدا منكم لا يحب اكل جيفة اخيه فقد تحققت كراهتكم له وتقذركم منه والمقصود من تحقق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما شبه وهو الغيبة كانه قيل اذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذى هو الاغتياب اوهو معطوف على محذوف قبله تقديره عرض عليكم هذا فكرهتموه اى يعرض عليكم هذا فكرهونه فاستكرهوا ايضا نظيره (**قوله** وشدده نافع) ضميرو شدده للميت فان صاحب التيسير ذكر فى سورة الانعام انه قرأ نافع اومن كان ميتا وفى يس الارض الميتة وفى الحجرات لحم اخيه ميتا بتشديد الياء فى المواضع الثلاثة والباقون باسكانها ولم يذكر خلافا وقوله تعالى واتقوا الله عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهى اى واجتنبوا ولا تجسسوا ولا يغتب واتقوا الله ان الله تواب رحيم ختم كل واحدة من الآيتين بذكر التوبة فقال فى الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم اى يقبل توبة من تاب ويرحم من اليه اناب ثم انه تعالى لما بين مكارم الاخلاق بالنسبة الى المؤمن الحاضر اولا وبالنسبة الى الغائب ثانيا نهى عامة المكلفين عن التفاخر بالانساب فناداهم نداء عاما فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية يعنى انكم متساوون فى النسب من حيث انكم من ابناء رجل واحد وامرأة واحدة وهما آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام اومن حيث انكم جانس واحد بحسب تولدكم من الاب والام وافراد جانس واحد لا يتفاوت بعضها على بعض كثير تفاوت بسببه فلا تفاخروا بالاباء والاجداد ثم بين ان مدار الفضل والشرف ما هو فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم اى ليس لاحد فضل الا بالتقوى والشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب فان طبقات النسب التى عليها العرب نسب الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة وكل واحدة مما ذكر من هذه الطبقات داخلة فيما قبلها كما ذكره المصنف (**قوله تعالى** لتعارفوا) اصله لتتعارفوا فالجمهور على تخفيف احدى التاءين بحذفها وقرئ بادغام احدى التاءين فى الاخرى واظهارهما والمعنى ان الحكمة التى من اجلها جعلكم على شعوب وقبائل هى ان يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه الى غير آبائه ولا تعارفوا بنسب غير ذلك لا ان تتفاخروا بالاباء والاجداد والنسب وان كان يعتبر عرفا وشرعا حتى لا تزوج الشريفة بالنبطى الا انه لا عبرة به عند ظهور ما هو اعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما انه لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان قرشى النسب وقارونى النشب لا قدر له عند المؤمن التقى وان كان عبدا حبشيا والامور التى يفتخر بها فى الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها حيث انه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله تعالى النسب بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الاولى ثم انه تعالى لما بين ان مناط الفضيلة والشرف هو التقوى وكان اصل التقوى هو الايمان والاتقاء من الشرك بين ان الايمان لا يكون باللسان وحده بل اصل الايمان هو العقد بالجنان فقال قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا فان الايمان هو التصديق بالجنان مع الثقة بحقيقة الصدق به وبصدق من اخبر ولم يحصل ذلك لكم ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا وانقدنا واخذنا اجازهم ان يقولوا ذلك لقيام ما يدل عليه ويشعر به وهو اظهار الشهادتين وترك المحاربة (**قوله** وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا الخ) وذلك لان لكن للاستدراك وهو يقتضى كلامين متغايرين بالنفى والاثبات اوبان يكون احدهما لطلب الفعل والآخر لطلب تركه وذلك لا يتحقق بان تكون احدى الجملتين خبرية والاخرى امرية كما فى هذه وانما يتحقق بان يكونا انشائيتين احداهما ناهية والاخرى آمرة بان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا اوبان يكونا خبريتين اولاهما نافية للايمان وثانيتهما مثبتة للاسلام بان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم الا انه عدل فى الآية الكريمة عن ايراد هما انشائيتين بان تكون الاولى ناهية احترازا عن هجنة ان يقول النبى المبعوث للدعوة الى الايمان لا تقولوا آمنا وينهى عن القول بالايمان وهو لا يليق باحد فكيف بالنبى وعدل عن ان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم احترازا عن الجزم باسلامهم والاعتداد بقولهم الخالى عن مواطأة القلب وهو غير مقبول

والمعنى ان صح ذلك اوعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم اوالاخ وشدده نافع (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بالغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب اولكثرة المتوب عليهم اولكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) من آدم وحواء عليهما السلام اوخلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله (ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون (قل لم تؤمنوا) اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا اسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا اولم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا

(ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى لكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من اعمالكم) لا ينقصكم من اجورها (شيئا) من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها (اولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه (يمنون عليك ان اسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن

فى الشرح فان صاحبه ليس بمسلم بل هو منافق ولا يخفى عليك ان هذا الكلام ليس فيه بيان وجه الاستدراك بل هو بيان له فى التعبير على مقتضى الظاهر من التعدد وان ما عدل اليه من النظم خال عن ذلك المحذور فالاولى ان يتعرض لتوجيه الاستدراك بان يقال قوله تعالى قل لم تؤمنوا فى قوة ان يقال قل لا تقولوا آمنا لان نفى الايمان عنهم فى مقام ادعائهم الايمان تضمن النهى عن ادعائه فصح الاستدراك عنه بقوله ولكن قولوا اسلمنا لا على المعنى كأنه قيل لم تؤمنوا فتكذبوا ولكن قولوا اسلمنا لتكونوا صادقين (قوله توقيت لقولوا) اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم معناه نفى الايمان عنكم فيه وبهذا الاعتبار تكرير لقوله لم تؤمنوا فما الفائدة فى هذا التكرير وتقرير الجواب انه وان كان باعتبار اشتماله على نفى الايمان عنهم تكريرا للاول الا انه قد انضم اليه باعتبار كونه حالا من ضمير قولوا معنى آخر خرج به عن كونه تكرارا فان الاول تكذيب لهم فى دعواهم والثانى توقيت لما امروا به من القول اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة وهى ان لم يدخل الايمان فى قلوبكم بعد فان الواو فى ولما واو الحال وذو الحال الضمير فى قولوا فيدكونهم مأمورين بان يقولوا اسلمنا دون آمنا بحال عدم دخول الايمان فى قلوبهم اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة فظهر بهذا التقرير انه توقيت لقولوا ومعنى التوقع فى لما يدل على ان حصول الايمان فى قلوبهم متوقع سيحصل عند اطلاعهم على محاسن الاسلام فانهم قد آمنوا فيما بعد فان لما فى النفى قد يتوقع (قوله وقرأ البصريان لا يألتكم) بهمزة ساكنة بين الياء واللام من ألته حقه يألته من باب ضرب ونصر والسوسى يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم بغير همز من لاته يليته مثل باعه يبيعه وهما لغتان معناهما لا ينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز وقيل من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف من يلتكم على هذا فاء الكلمة وعلى كونها من لات عينها وهما بمعنى نقصه حقه قال الامام معنى قوله لا يلتكم انكم اذا اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة المعروفة بالاخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتيكم بما يليق بفضله من الجزاء لا ينقص منه نظرا الى ما فى حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها فى السوق درهما مثلا فاعطاه الملك درهما او دينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الآية انه يعطى من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطى ما تتوقعونه باعمالكم من غير نقص ويؤيده ما قاله قوله تعالى عقيبه ان الله غفور رحيم ثم انه تعالى لما نفى الايمان عن الاعراب اشار الى ما يوجب نفيه عنهم وبين لهم ان حقيقة الايمان ما هو وان ادعاءه ممن يصح فقال انما المؤمنون الآية (قوله اذا اوقعه فى الشك مع التهمة) اى اذا اوقعه فى الشك فيما صدقه وآمن به وفى الاتهام لمن صدقه على ان الشك بالنسبة الى المخبر به والتهمة بالنسبة الى من اخبر بذلك بان ينسب تهمة الكذب اليه بعدما صدقه واعترف بان ما قاله حق يعنى ان المؤمن انما يكون مؤمنا بالتصديق بان يبلغ ذلك التصديق درجة اليقين بحيث لا يطرأ عليه الشك والاتهام بتشكيك المشكك فيما يستقبل من الزمان (قوله وثم للاشعار الخ) جواب عما يقال من ان عدم الارتياب لا ينفك عن الايمان لكونه داخلا فى مفهوم الايمان لما مر من ان الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب فكيف جعل متراخيا عن الايمان فان ثم للتراخى وتقرير الجواب ان قوله آمنوا افاد انهم صدقوا تصديقا خاليا عن الارتياب حال الايمان من حيث ان الخلو عنه يعتبر فى مفهوم الايمان وقوله ثم لم يرتابوا افاد انهم لم يحدث لهم الارتياب فى كل زمان وان طال كما يحدث ذلك لمن ضعف يقينه فللاشعار بهذا المعنى عطف عدم الارتياب على الايمان بكلمة ثم فالتراخى زمانى (قوله فى طاعته) فانها هى السبيل المؤدى الى مرضاة الله تعالى وثوابه (قوله والمجاهدة بالاموال والانفس) يعنى ان المجاهدة بالاموال لا تختص بتقوية الغزاة بما عنده من المال بل تعم جميع العبادات المالية وكذا المجاهدة بالانفس لا تختص بالغزو بل تعم جميع العبادات البدنية (قوله تعالى هم الصادقون) قصر افراد وتكذيب لاعراب بنى اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا انهم صادقون ايضا فى دعوى الايمان (قوله لما نزلت الآية المتقدمة) وهى قوله تعالى قالت الاعراب الى قوله اولئك هم الصادقون والمراد بهذه قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والاستفهام للتوبيخ والانكار اى لا تعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شئ (قوله وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها) اى لا يطلب الثواب وهو العوض وموليها اى معطيها يقال ازللت اليه نعمة اى اعطيتها وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها وازللت اليه شيأ اى اعطيت (قوله من المن) المن فى الاصل القطع قال تعالى فلهم اجر غير ممنون اى مقطوع ثم نقل منه الى معنى الانعام والافضال على المحتاج لمجرد قطع حاجته اى مع قطع النظر عن ان يثيبه المحتاج

اى بعوضه شيئا لاشتماله على معنى القطع يقال من عليه منا اى انعم عليه وافضل من غير استثابة وطلب عوض ثم انه قد يطلق و يراد به عد المصنوع منة وانعاما واعتبارا بشانه فيقال من عليه صنيعه اذا اعتده عليه واعتبره منة وانعاما وقيل النعمة الثقيلة من المن وهو رطلان يقال من عليه منة اذا اثقله بالنعمة (**قوله** على مازعمتم) دفع لما يقال من ان قوله بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ظاهره تسليم لايمانهم وهو ينافى قوله قل لم تؤمنوا ولما كان معناه حقيقة ومعنى قوله ان هداكم للايمان اى هداكم له على زعمكم اندفعت المنافاة مع ان المنافاة انما تتحقق ان لو كانت الهداية مستلزمة للاهتداء وليست كذلك لقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (**قوله** وفى سياق الآية لطف) جواب عما يقال قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا يقتضى بظاهره انهم سموا ما احدثوه اسلاما وهم ما كانوا يسمونه اسلاما بل يسمونه ايمانا لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا ففى الكلام نوع من المنافاة فاجاب عنه بان فيه نوعا من اللطافة ومحصوله انه تعالى سمى ماصدر عنهم اسلاما لكونه اسلاما فى الحقيقة وان زعموا انه ايمان وسموه به وادرج فى تقرير اللطافة جواب ما دفعه بقوله آنفا على مازعمتم حيث قال بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (**قوله** لما فى الآية من الغيبة) وهى فى قوله يمنون عليك ان اسلموا وقرأ الباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل لاتمنوا على اسلامكم الخ هذا آخر ما تيسر لى بفضل الله وسعة رحمته واحسانه من ايضاح خفاء ما يتعلق بسورة الحجرات والحمد لله اولا وآخرا والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين والحمد لله على الاتمام والصلاة والسلام على خير الانام

سورة ق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة والتوفيق

الحمد لله المنعم المنان والصلاة والسلام على سيد من ارسل بهداية نوع الانسان وعلى آله واصحابه الذين هم قادة اهل الايمان الى سبيل السعادة والرضوان (**قوله** الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر) اما من حيث القراءة فالجمهور على اسكان الفاء بناء على ان حروف التهجى اسماء لمسمياتها والاصل فى الاسماء العارية عن العوامل الوقف على السكون وقرئ قاف بفتح الفاء وقاف بكسرها وكلاهما لالتقاء الساكنين وجه الفتح الاتباع لصورة الالف لانها منها ووجه الكسر كونه اصلا فى تحريك الساكن ولك ان تجعل المفتوح منصوبا باضمار الفعل ان جعلت قاف اسما للسورة كانه قيل الزم قاف وعدم تنوينه لعدم صرفه باجتماع التأنيث والعلمية وان جعلته مقسما به بناء على انه من اسماء الله تعالى او من اسماء القرآن او السورة او على انه تعالى لما اقسم بنحو التين والزيتون اظهارا لشرفه كان اقسامه بالحروف التى هى سنام الكلام الشريف الذى هو منبع كل خير وسعادة اولى فوجه نصبه اما حذف حرف القسم نسيا منسيا وايصال فعله المحذوف اليه كما فى قولك الله لافعلن او اضمار حرف القسم وعدم جعله كالمنسى وفتح المقسم به فى موضع الجر لعدم انصرافه كقولك الله لافعلن بالجر واما من حيث الاعراب فان كان قاف مذكورا على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز كما ذكر ان حروف التهجى فى اوائل السور تنبيهات قدمت امام المقروء ايقاظا للسامع حتى يقبل على استماع ما يرد عليه من الكلام الرائق والمعنى الفائق فحينئذ لا يكون له محل من الاعراب بل يكون موقوفا على السكون وان كان اسما للسورة ولم يجعل مقسما به فحينئذ يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه قاف او فى محل النصب بتقدير اقرأ ونحوه وان جعل مقسما به فهو حينئذ اما مجرور على طريق الحذف والايصال او مفتوح فى موضع الجر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قاف جبل من زمردة خضراء وروى من زبرجدة خضراء محيط بالعالم وعليه اطراف السماء ومنه خضرة السماء لانها مقببة عليه اى كالقبة عليه اقسم الله تعالى بذلك الجبل قال الامام وهذا ضعيف لانه لو كان كذلك لذكر حرف جواب القسم ليعلم كونه مستحقا لان يقسم به كقوله الله لافعلن كذا او يكون استحقاقه له مغنيا عن ذكر حرف القسم ولا يحسن ان يقال زيدا فعلن كذا لانه لا يعلم كونه مقسما به الا بذكر حرف القسم ولانه لو كان كذلك لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وقد كتب فى جميع المصاحف حرفا واحدا ثم قال فان قيل انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما قلنا المنقول عنه ان قاف اسم جبل ولا يلزم منه ان يكون المراد ههنا ذلك وقيل معنى ق قضى ما هو كائن كما قالوا فى حم الامر اى قدر وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفو ومعناه هذا قافى جميع الاشياء بالكشف وهذه السورة تقرأ فى صلاة العيد

(قل لاتمنوا على اسلامكم) اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) على مازعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهى خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ق والقرآن المجيد) الكلام فيه كما مر فى ص والقرآن ذى الذكر

والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم اومن ابناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم

لاشتمالها على قوله تعالى ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج وقوله حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغي ان لاينسى الانسان فيه خروجه لعرصات الحساب ولايكون فى ذلك اليوم فرحا ولا يرتكب فسقا ولا فجورا وقد كان الشيخ الناسك البارع ابن الوفاء نور الله مرقده يقرأ هذه السورة الكريمة فى جميع خطبه واعلم ان هذه السورة وسورة ص يشتركان فى افتتاح الكلام فى اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقرآن بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا فى ان اول السورتين وآخرهما متناسبان لانه تعالى قال فى اول ص والقرآن ذى الذكر وقال فى آخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال فى اول ق والقرآن المجيد وقال فى آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فختمهما بما فتحتا به وايضا صدرت العناية فى اول السورة من ص الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا وصرفت العناية فى هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر والنبوة لقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم واختلف فى جواب القسم ماهو فقيل محذوف يدل عليه أئذا متنا والتقدير والقرآن المجيد لتبعثن حذف الجواب اعتمادا على قرينة مقالية متأخرة عن المقسم به وقيل التقدير ان محمدا رسول الله فحذف اعتمادا على دلالة قوله بعده بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وقيل التقدير ما آمنوا به بل عجبوا دل عليه معنى قوله بل عجبوا وقيل التقدير والقرآن المجيد انه كلام معجز دل عليه التحدى بقوله ق والمضروب عنه ببل محذوف ايضا مثل ان يقال ما عجبوا مما هو عجب فى نفس الامر بل عجبوا مما ليس بعجب ونقل عن الراغب ان بل ههنا لتصحيح الاول وابطال الثانى اى ليس امتناعكم عن الايمان بالقرآن لانه لامحدله ولكن لجهلكم ونبه بقوله بل عجبوا على جهلهم لان التعجب من الشئ يقتضى الجهل بسببه ويستلزمه (**قوله** والمجيد ذو المجد) يعنى ان المجد الشرف وتوصيف القرآن بالمجيد اما على انه من باب النسب كتامر ولابن بمعنى ذى تمر ولبن والقرآن ذو شرف على سائر الكتب باعتبار ما فيه من العلوم والاعجاز اومن قبيل وصف الكلام بوصف قائله او بوصف من علمه وعمل به وقيل المجد السعة فى الكرم والقرآن كثير الكرم لان من طلب منه مقصودا فيه وجده واستغنى ببيانه وارشاده (**قوله** انكار لتعجبهم مما ليس بعجب) يعنى ان بل للاضراب وهو الاعراض عن الكلام الاول والعدول الى ماهو اهم فلما كان ما بعد بل اهم كان منكرا بشهادة مقام التوبيخ فمعنى الانكار مستفاد من بل بمعونة المقام كانه قيل انظر الى انهم يتعجبون وانهم يتعجبون مما ليس بعجب وقوله ان جاءهم اى من ان جاءهم ووجه الانكار ان حق من كان منهم ان يكون ناصحا لهم مشفقا عليهم يحذرهم والمحذر منه غاية المخاوف ونهاية المحاذير وبقى الكلام فى ان المضرب عنه بكلمة بل ماهو والظاهر انه مضمون الجملة القسمية فانه تعالى لما اقسم بالقرآن المجيد على حقية البعث اوعلى انه عليه الصلاة والسلام رسول مبعوث للانذار وانه يجب الايمان بكل واحد منهما اضرب عن الحكم المقسم به عليه الى توبيخ الكفار بالبعث والتعجب مما ليس بعجب فقال بل عجبوا (**قوله** اومن ابناء جلدتهم) اى من القوم المختص بهم فانه ولد فيهم ونشأ بينهم وتربى بين اظهرهم وفى الصحاح الجلدة اخص من الجلد انتهى فيكون عبارة عن مزيد التعلق وكمال الاتصال (**قوله** او عطف لتعجبهم من البعث) اى عطف على قوله حكاية لتعجبهم وقوله تعالى فقال الكافرون على التقديرين معطوف على قوله عجبوا الا انه على الاول من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال فلا يكون الفاء العاطفة للتعقيب الزمانى بل للدلالة على ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها فى الذكر لان تفصيل الشئ انما يصح بعد جرى ذكره وتكون كلمة هذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام متعينا للرسالة والاختيار لها وعلى الثانى يكون من قبيل عطف احد المتغايرين على الآخر فيكون هذا اشارة الى المبهم الذى يفسره قوله أئذا متنا فعلى هذا يجوز ان تكون الفاء للتعقيب الزمانى لجواز ان يكون تعجبهم من البعث عقيب تعجبهم من البعثة (**قوله** واضمار ذكرهم ثم اظهاره) جواب عما يقال كان الظاهر ان يقال بل عجب الكافرون فقالوا فلم عكس (**قوله** والمبالغة فيه) مبتدأ وقوله لانه ادخل خبره وضمير فيه للتعجب من البعث فرق بين التعجبين بكون الثانى ادخل فى الانكار واوفق به على ان ادخل لتفضيل المفعول مثل اشغل من ذات النحيين ثم بين كونه ادخل فيه بقوله اذ الاول وهو تعجبهم من البعثة فلما كان الثانى ادخل فى الانكار بولغ فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مجملا ومبهما وابهام التعجب واجماله مبنيان على ابهام المتعجب منه واجماله فان كانت الاشارة الى ما لم يذكر صريحا ولا دلالة وهو الرجع البعيد وهما او عادة او امكانا يكون المتعجب

(منه)

منه مبهما فيكون التعجب ايضا مبهما وان كانت الاشارة الى المجمل المذكور دلالة وهو البعث المعبر عنه بعنوان مجمل وهو المنذر به المدلول عليه بقوله منذر يكون التعجب ايضا مجملا (قوله ثم تفسيره او تفصيله) مجرور بالعطف على حكاية تعجبهم مبهما او مجملا على طريق اللف والنشر (قوله اى أرجع) يريد ان ناصب الظرف محذوف لدلالة قوله ذلك رجع بعيد عليه اى أرجع احياء أاذا متنا وصرنا ترابا والاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله وقيل الرجع بمعنى المرجوع) وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث الجوهرى تقول ارسلت فما جاءنى رجع رسالتى اى مرجوعها ويقال ما كان من مرجوع فلان عليك اى من مردوده وجوابه ويقال هل جاء رجعة كتابك اى جوابه فعلى هذا يحسن الوقف على قوله وكنا ترابا و يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله لا من تتمة كلام الكفرة فلا يصلح دليلا ويكون ذلك اشارة الى قولهم أئذا متنا اى قولهم هذا فى جواب من انذرهم بالبعث والجزآء جواب بعيد عن الصواب فان قيل اذا كان الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب يكون من كلام الله تعالى لا من كلام القوم فالدال على عامل الظرف الواقع فى كلامهم وما العامل فى الظرف حينئذ اجيب بان ناصب الظرف حينئذ ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث كانه قيل انبعث اذا متنا بخلاف ما اذا كان مصدا بمعنى البعث فانه حينئذ يصلح ان يكون دالا على عامل الظرف اذ كلاهما من كلام القوم ثم انه تعالى اخبر بعلمه ليستدل به على قدرته على ما يشاء من خلقه ابداء واعادة فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم فان استبعاد البعث انما نشأ من استبعاد احاطة العلم بتفاصيل اجزآء كل واحد من الموتى وتميز اجزآء كل واحد منهم عن اجزآء الآخرين فازال هذا المنشأ ببيان انه تعالى عالم بتفاصيل ذلك قادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد (قوله واللام محذوف لطول الكلام) كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه قد تقرر فى النحو أن جواب القسم اذا كان جملة فعلية مثبتة فان كان فعلها ماضيا لزمها اللام ٤ فالاول لانكار تعجبهم من امر البعثة والبعث والثانى لانكار تكذيبهم بالحق فى اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فان تكذيب مثل هذا الامر العظيم ومن جاء به من غير تفكر فى غاية القباحة ولما ظرف زمان منصوب بكذبوا وقرئ لما جاءهم بكسر اللام الجارة الداخلة على ما المصدرية وهى لام التوقيت اى وقت مجيئه اياهم كما فى قولك كتبته لعشر مضين اى عندها (قوله اذا خرج) براء مهملة بين الجيمين من باب علم والجرج التقلق وجرج الخاتم فى اصبعى اى اضطرب من سعته والفاء فى قوله تعالى فهم فى امر مريج جزآئية للدلالة على انهم لما عدلوا عن الحق كان كل ما يقولونه ويميلون اليه باطلا لا دليل عليه فلا يمكنهم الاقامة عليه قال قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ثم ان القوم لما استبعدوا امر البعث والرجع ذكر الله تعالى ما يدلهم على قدرته على البعث من عظيم خلقه فقال أفلم ينظروا انكارا على تركهم النظر والاستدلال بما يدل على صحته دلالة ظاهرة واستبعادا لاستبعادهم اياه كانه قيل اينكرون البعث فلا ينظرون الى آثار قدرته الباهرة ليحملهم ذلك على الاعتراف بصحته وقوله فوقهم حال من السماء وقيل الى السماء باعتبار تضمين النظر معنى الانتهاء ولم يقل فى السماء للدلالة على انه بمجرد انتهاء النظر اليها كاف فى ازالة استبعادهم فان النظر فى الشئ ينبئ عن التأمل واستقصاء النظر فيه بخلاف النظر اليه فانه لا ينبئ عنه وانما يدل على مجرد انتهاء النظر اليه (قوله وهما علتان للافعال المذكورة معنى) يعنى ان قوله تعالى تبصرة وذكرى تنازع فيهما الافعال المذكورة من بناء السماء وما يتفرع على بنائها ومد الارض وما يتفرع على مدها لكنهما انتصبتا عن الفعل الاخير على رأى البصريين فى باب التنازع كانه قيل ابتنا فيها ليتبصر ويتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى آثار قدرته الباهرة فيستدل به على ان البعث اهون شئ عليه وهما من حيث المعنى علتان لجميع ما تقدم اى فعلنا ذلك كله تبصيرا منا وتذكيرا لهم والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فى اولى آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وفى الثانية آيات متجددة مذكرة عند الثانى (قوله وحب الزرع) اشارة الى انه من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بناء على ان الحب لا يحصد وانما يحصد النبت الذى فيه الحب (قوله تعالى والنخل) منصوب بالعطف على مفعول انبتنا وباسقات حال مقدرة من النخل لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ويحتمل ان يكون باسقات بمعنى حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت الجوهرى ابسقت الشاة اذا حملت وابسقت الناقة اذا وقع فى ضرعها اللبأ قبل اللبن فهى مبسق ونوق مباسيق (قوله فيكون من أفعل فهو فاعل) كانه

---

٤ مع قد نحو والله لقد قام او بدونها نحو والله لقام (قوله يعنى النبوة الثابتة الخ) وهو اضراب بعد اضراب صح

وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا متنا وكنا ترابا) اى أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله (ذلك رجع بعيد) اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ما تأكل من اجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها على ثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القرآن (لما جاءهم) وقرئ لما بالكسر (فهم فى امر مريج) مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا جرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) فتوق بان خلقناها ملساء متلاصقة الطباق (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فانبتنا به جنات) اشجارا وثمارا (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه ان يحصد كالبر والشعير (والنخل باسقات) طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها

اشارة الى مرجوحية الاحتمال الثاني لان الظاهر ان يقال مبسقات (قوله وقرئ باصقات لاجل القاف) وهي لغة بني اسلم يبدلون السين صادا قبل القاف والغين والخاء والطاء اذا وليتها اوفصل بينهما بحرف اوحرفين (قوله تعالى لها طلع نضيد) يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل وان تكون حالا من الضمير المنوي في باسقات ونضيد اي منضود بعضه فوق بعض يقال نضد متاعه اذا وضع بعضه على بعض والمراد به اما كثرة الطلع وتراكمه وكثرة مافيه من الثمر (قوله علة لانبتنا) اى انبتناها رزقهم اومصدر لانبتنا لان فيه معنى رزقنا قال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا وجعل خلقها تبصرة لعباده المخلصين لان الاستبصار بخلقها يختص بهم وقال رزقا للعباد مطلقا لان الخلائق كلهم مرزقون بما يترتب على انزال الماء المبارك ولا يختص الرزق بعبد دون عبد غير ان المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للنعماء وغير المنيب يأكل كما تأكل الانعام (قوله تعالى واحيينا به) عطف على قوله فانبتنا حمل منكرى البعث ومستبعديه بقولهم ذلك رجع بعيد على النظر الى آثار قدرة الله تعالى في هذا العالم وساق الكلام الى ان قال واحيينا به بلدة ميتا ورتب عليه قوله كذلك الخروج والكاف في كذلك في محل الرفع على الابتداء والخروج خبره او بالعكس (قوله لانهم كانوا اصهاره) من حيث ان لوطا تزوج منهم والاصهار اهل بيت المرأة وقيل ان لوطا عليه الصلاة والسلام كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم معارف لوط والتنوين في قوله تعالى كل عوض عن المضاف وهو اما اسم ظاهر مثل واحد اوقوم اوضمير المذكورين اولا اى جميعهم كذب الرسل فاكان تقدير اللام كل واحد منهم اوكل قوم كذبوا الرسل فالظاهر ان اللام في الرسل لتعريف الجنس اى كل واحد منهم كذب جميع الرسل بناء على ان من كذب رسولا لكونه منكرا للرسالة والحشر رأسا يكون مكذبا لجميع الرسل وان كان تقدير الكلام كلهم كذبوا الرسل يجوز ان تكون اللام في الرسل لتعريف العهد والمعنى كل واحد منهم كذب رسوله وجميعهم كذبوا الرسل وان يكون لتعريف الجنس والمعنى كل واحد منهم كذب جميع الرسل قيل ان الرس بئر عند اليمامة كان عليها قوم كذبوا رسولهم حنظلة بن صفوان فاهلكهم الله تعالى وقيل ان الرس بئر التي فيها حبيب النجار صاحب يس لما جاء من اقصى المدينة يسعى ونصح قومه فكذبوه وقتلوه فاهلكهم الله تعالى بصيحة واحدة وثمود كذبت صالحا وعاد هودا واصحاب الايكة وهي الغيضة كذبوا شعيبا وقوم تبع قيل انهم قوم من حمير من اهل اليمن وتبع لقب ملكهم وكانوا يعبدون النار وكان تبع اعجبه غلمان من فدك وكان يقربهم اليه ويكرمهم فاراد الغلمان ارشاده الى التوحيد وانقياد الى حكم كتابهم وكانوا من اهل التوراة من قوم موسى عليه الصلاة والسلام فاحتالوا لذلك حتى وصلوا الى مقصودهم فدعوه الى دينهم وكتابهم فقبله وتابعه ثم دعوا من على حاشيته وخاصته فقبلوه وشاق الناس ذلك وقالوا ان الملك ترك دينه فاجتمعوا اليه وقالوا انا لا نرضى بكون ملكنا على خلاف ديننا فارل عن سريرك او اترك الملك وان لم تفعل ذلك فادفع الينا هؤلاء الغلمان وكانت لهم نار في اسفل الجبل يتحاكمون اليها فتحرق الظالم فتحاكموا اليها فجاء الفدكيون بالتوراة وجاء الحميريون باصنامهم نار فخرجت نار فاحرقت الحميريين ولم تحرق احدا من اصحاب التوراة ولما بين الله تعالى ان الرسل المتقدمين كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم عليهم كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد المكذبيه ثم انه تعالى لما ارشدهم الى الاستدلال بما شاهدوا من عجائب ابداء صنيعه على قدرته على البعث والاعادة اكد وجه الاستدلال بقوله افعيينا بالخلق الاول بالهمزة الانكارية الداخلة على الفاء العاطفة لتفيد نفي العجز عن الخلق الاول بسبب اعترافهم المستلزم للقدرة على الاعادة كانه قيل بعد ما شاهدوا وما ذكرنا من الخلق الاول وعلموا انا ما عجزنا عنه ولما لم نعجز عنه كما علموا كيف نعجز من الخلق الثاني ثم اضرب عن انكار عجزه عن الخلق الاول بناء على اعترافهم بذلك كما تقرر بذكر دلائل الآفاق على منكرى البعث بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الى قوله كذلك الخروج شرع في تقرير دلائل الانفس فقال افعيينا بالخلق الاول كانه قال لا حاجة الى ذلك اذ في انفسهم دليل على جواز ذلك ودخوله تحت قدرتنا ولما كان معنى الاستفهام النفي والانكار كان المعنى ما عجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة فنحن قادرون عليها ايضا ثم اضرب عن اقامة الدليل وحملهم على النظر والاستدلال الى بيان انهم ساقطون عن درجة الاستدلال ومتوغلون في الاصرار على انكار الاعادة وتلك الحالة ليست من حيث انهم ينكرون الخلق الاول اذ هو بعيد عن العقل فان من لا ينكر الخلق الاول يلزمه الاعتراف بالثاني بطريق الاولى فاذا انكر الثاني مع الاعتراف بالاول كان

وقرئ باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق (واحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) ارضا جدبة لا نماء فيها (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ماقبله و ما بعده (واخوان لوط) سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره (واصحاب الايكة وقوم تبع) سبق في الحجر والدخان (كل كذب الرسل) اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (افعيينا بالخلق الاول) أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم في لبس من خلق جديد) اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد

ذلك من اللبس والحيرة وعدم اتدبر فلهذا قال بل هم فى لبس من خلق جديد من حيث ان الشيطان لبس عليهم واوقعهم فى حيرة واشتباه بان وسوس اليهم ان احياء الاجساد البالية والعظام النخرة خارج عن الوهم والعادة والامكان فان من انكر الاعادة مع اعترافه بالابدآء لايكون انكاره لها الا لاجل اللبس والحيرة وعدم الاهتدآء الى النظر و لعبرة وعرف الخلق الاول لانه يعرف به كل احد ونكر الثانى لتعظيم شأنه وللاشعار بانه من الامور العظائم اى مما لاسبيل الى تعريفه والتعبير عنه بما يشير اليه بخصوصه وتنكير لبس ايضا للتعظيم كانه قيل فى لبس اى لبس (قوله تعالى ونعلم) فى محل النصب على انه حال من فاعل خلقنا على تقدير و نحن نعلم و لايجوز ان يكون نعلم بنفسه اى من غير تقدير المبتدأ حالا لا نه مضارع مثبت و هو لايقع موقع الحال الا بالضمير وحده نحو جاءنى زيد يركب لابالواو وكذلك قوله ونحن اقرب اليه حال من فاعل نعلم فالآية بيان لكمال علمه (قوله ماتحدثه به نفسه) اى بطريق الوسوسة والالقاء الخفى مبنى على ان تجعل ما موصولة وضمير تحدثه للانسان وضمير به لما الموصولة التى هى عبارة عما يخطر بالبال ولما عدى تحدثه الى ضمير الانسان بنفسه عدى الى ضمير المحدث به بباء التعدية وان جاز ان يعدى اليه بنفسه كما فى نطق به اى نطق اياه فحين مايعدى اليه بالباء تكون صلة كما فى صوت بكذا ونطق به و يجوز ان يجعل الانسان مع نفسه اى قلبه شخصين يجرى بينهما مكالمة ومحادثة تارة يكلمها هو كما يقال حدث نفسه بكذا واخرى تحدثه هى كما يقال حدثته به نفسه فلو جعلت كلمة ما فى الآية موصولة لكان ضمير به عبارة عن الصوت الخفى الذى تصوته نفس الانسان وقد تقرر ان فعل الوسوسة يعدى بنفسه فتكون الباء صلة وان جعلت كلمة ما مصدرية يكون الضمير للانسان وتكون الباء للتعدية ووسوسة النفس اليه لان الانسان ليس نفس الصوت الموسوس بل هو الموسوس اليه فان فعل الوسوسة يتعدى الى الصوت الملقى بنفسه والى من يلقى اليه الحديث بواسطة الى والباء (قوله تجوز بقرب الذات لقرب العلم) لما تعذر ان يحمل قرب الذات ومعيته على اصل معناهما لاستحالتهما فى حقه تعالى تعين الذهاب الى المجاز فان قرب الذات ومعيته لما كانا سببين موجبين للعلم مستلزمين له صح ان يطلقا و يراد بهما العلم المسبب اللازم لهما فكان المعنى نحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من هذا العرق (قوله والحبل العرق) يعنى انه مستعار للعرق فان الحبل هو الرسن شبه العرق به فاطلق عليه اسم الحبل المشبه به والحبل بمعنى العرق لما كان اسم جنس يتناول العروق كلها اضيف الى الوريد الذى هو نوع من انواعه اضافة بيانية على طريق اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة ويحتمل ان يكون حبل الوريد من قبيل لجين الماء فى كونه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى وريد كالحبل والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه (قوله اى يتلقن) بمعنى يأخذ يقال لقنت الكلام بالكسر اى فهمته وتلقنته اى اخذته والتلقين كالتفهيم (قوله وفيه ايذان الخ) وجه الايذان انه تعالى لما كان اقرب اليه من حبل الوريد المخالط لاجزآئه الداخل فى اعضائه لزم ان يكون اعلم بحاله بالنسبة الى الملك المتنحى عنه القعيد عن يمينه وشماله ومن كان علمه بهذه المثابة كيف لايستغنى عن استحفاظ الملكين (قوله ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية) اى تقوية اشتغاله عنها يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اى شغله عنه (قوله اى عن اليمين قعيد) يعنى ان قوله قعيد مبتدأ وعن الشمال خبره وحذف المبتدأ من الاول لدلالة الثانى عليه كما حذف خبران فى الجملة المعطوف عليها لدلالة ماذكر فى الجملة المعطوفة فى قوله

ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

اى فانى بها لغريب و قيار كذلك ومنه قوله

رمانى بامر كنت منه و والدى * بريئا ومن اجل الطوى رمانى

اى كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا وقيل لاحذف فى الكلام لان فعيلا يصلح للواحد والاثنين والجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير قال مجاهد عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات (قوله ولعله يكتب) اختلف فيما يكتبان قيل يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل لايكتبان الا مايؤجر عليه او يأثم به وروى عنه عليه الصلاة والسلام ان صاحب الشمال يرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فان ندم واستغفر الله منها ألقاها والا كتب واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال صاحب اليمين أمير

(ولقد خلقنا الانسان و نعلم ماتوسوس به نفسه) ماتحدثه به نفسه وهو مايخطر بالبال و الوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى و الضمير لما ان جعلت موصولة و الباء مثلها فى صوت بكذا اوللانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت ادنى لى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريد ان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح يرده (اذ يتلقى المتلقيان) مقدر باذكر اومتعلق بأقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان مايتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على مايخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى مافيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية و تأكيد فى اعتبار الاعمال و ضبطها للجزآء و الزام للحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كجليس فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقوله * وانى وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (مايلفظ من قول) مايرمى به من فيه (الالديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معد حاضر ولعله يكتب عليه مافيه ثواب اوعقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر

(وجاءت سكرة الموت بالحق) لماذكر استبعادهم البعث للجزآء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت و قيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر اوالموعود الحق او الحق الذى ينبغى ان يكون من الموت اوالجزآء فان الانسان خلق له اومثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق اولاستعقابها له كانها جاءت به اوعلى ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) اى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتفر عنه والخطاب للانسان (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه و الاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله اوملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه اوقرينه والشهيد جوارحه اواعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة (لقد كنت فى غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذما من احد الاوله اشتغال ما عن الآخرة اوللكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى و تعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى مالا يرون و تعلم مالا يعلمون ويؤيد الاول قرآءة من كسر التاء و الكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا مالدى عتيد) هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى اوالشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها اوخبر بعد خبر اوخبر محذوف

على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عليه سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وان لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة وعن ثابت البنانى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلانا قال تعالى سمائى مملوءة من ملائكتى يعبدوننى وارضى مملوءة من خلقى يطيعوننى اذهبا الى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى واكتبا ذلك فى حسنات عبدى الى يوم القيامة (قوله الذاهبة بالعقل) اشارة الى وجه استعارة السكرة لشدة الموت وهو مشابهتها لسكرة الشراب فى كونها سبب الذهاب العقل والمراد بالحق الذى احضرته سكرة الموت اما حقيقة الامر الذى نطق به كتاب الله تعالى واخبر به رسله انه كائن وهو سعادة الميت اوشقاوته اوالموعد الحق من البعث ومايترتب عليه فالحق على هذا ما قابل الباطل وعلى الاول مصدر بمعنى التحقق اوالحق الذى ينبغى ان يكون من الموت والجزآء فان كلا منهما حق ثابت وهذه الوجوه على تقدير ان تكون الباء فى بالحق للتعدية وان كانت للملابسة يكون الحق ايضا اما بمعنى حقيقة الامر وجلية الحال او بمعنى الحكمة والغرض الصحيح اى جاءت ملابسة باحدهما على انه صفة مشبهة ثابتة وعبر عما خلق له الانسان من الموت والجزآء بالحق لكونه مما ينبغى له (قوله اومثل الباء فى تنبت بالدهن) فانها للمصاحبة اى تنبت ومعها الدهن اوملتبسة بالدهن فالحق على هذا يجوز ان يكون بمعنى حقيقة الامر اوبمعنى الموعود الحق اوبمعنى ماينبغى ان يكون اى جاءت ملتبسة بالحق باحد هذه المعانى (قوله وقرئ سكرة الحق بالموت) باضافة السكرة الى الحق للبيان لانها كائنة لامحالة كتبها الله تعالى على الانسان واوجبها له والباء فى هذه القرآءة للتعدية لانها لشدتها سبب زهوق الروح و بطلان القوى والبنية فتكون كانها جاءت به اولان الموت يعقبها فشبهت بالجائى به ويجوز ان تكون بمعنى جاءت ومعها الموت اى جاءت ملتبسة به (قوله و الخطاب للانسان) اى المذكور فى قوله ولقد خلقنا الانسان فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ويجوز ان يكون الكلام محكيا بالقول المضمر اى يقال له ذلك الموت ما كنت منه تحيد (قوله اى وقت ذلك النفخ) قدر الوقت المضاف لان ذلك اشارة الى مصدر نفخ وقد اخبر عن النفخ بانه يوم الوعيد فلولم يقدر الوقت كان المعنى ذلك النفخ يوم الوعيد والنفخ ليس بزمان فلا يحكم عليه بالزمان فلذلك قدر المضاف (قوله ملكان احدهما يسوقه) اى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده من الجنة اوالنار والشهيد هو الكاتب الذى يشهد عليها بعملها والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيسوقه الى الجنة واما الفاجر فيسوقه الى النار (قوله اوملك جامع للوصفين) فيكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة وعلى الاول من عطف الذات على الذات (قوله وقيل السائق نفسه) تشبيها لها بالسائق له من حيث جده فى المجئ اى جاءت مجدة ساعية فكانه قيل انها تسوق نفسها وسمى قرينه من الشيطان سائقا لانه يتبعه الى المحشر كالسائق الذى يتبع من يسوقه (قوله لاضافته الى ماهو فى حكم المعرفة) فان الحال من النكرة المحضة يجب تقدمها على ذى الحال وبين صاحب الكشف كون نفس فى حكم المعرفة بقوله لان كل نفس فى معنى كل النفوس انتهى كلامه فلوقيل جاءت النفوس كلها لأخرت الحال عنها لكون ذى الحال معرفة فجاز تأخرها وكذلك اذا كان ذو الحال فى حكم المعرفة ويجوز ان يقال كل نفس تخصص بالعموم تخصص الأحد فى مثل ما احد خير منك لانه بالعموم يكون المعنى كل فرد فرد اى كل واحد غير معين الذى هو مدلول النكرة وهو الوجه فى تخصيص النكرة بالعموم ويحتمل ان يكون جملة معها سائق وشهيد فى محل الجر على انها صفة للنفس اوفى محل الرفع على انها صفة لكل (قوله على اضمار القول) اى يقال له لقد كنت فى غفلة والقول المقدر اما صفة لكل نفس اوحال والمعنى لقد كنت فى غفلة من هذا اليوم وما فيه وانت فى الدنيا فكشفنا عنك غطاءك الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر به ما كنت تنكره فى الدنيا (قوله والكافات) بكسر التاء منصوب بالعطف على التاء للخطاب للمذكر (قوله قال الملك الموكل عليه) جواب لما عسى ان يقال الظاهر ان الخطابات السابقة لكل نفس من النفوس المؤمنة والكافرة وقد تقرر ان النفوس المؤمنة لها قرينان احدهما يكتب حسناتها و الآخر يكتب سيئاتها فلم افرد القرين فى قوله وقال قرينه وتقرير الجواب ان افراد القرين بناء على ان المراد به الجنس واوجعل الخطابات السابقة

ثكا فرلكان وجه افراد القرين ظاهرا لان قرين الكافر كاتب سيئاته وليس له كاتب حسنات فالقرين سوآء اريد به الجنس او كاتب السيئات يكون قوله هذا اشارة الى ديوان عمله ويكون المعنى هذا ماهو مكتوب عندي حاضر لدي ولفظ هذا في هذا التركيب مبتدأ وما اما موصولة بمعنى الذي وقوله هو مكتوب عندي صلتها والموصول مع صلته خبر هذا وقوله حاضر لدي خبر بعد خبر او موصوفة بمعنى شيء وقوله هو مكتوب عندي صفتها والموصوف مع صفته خبر المبتدأ وحاضر لدي خبر آخر وان كان المراد بقرينه الشيطان المقيض له لاغوآئه كما يدل عليه قوله فيما بعد قال قرينه ربنا ما اطغيته يكون هذا اشارة الى العاصي ويكون عتيد بمعنى مهيئ لجهنم ويكون المعنى ان الشيطان يقول هذا العاصي الذي هو عندي او شيء هو عندي عتيد لجهنم مهيئ لها اعتدته لها بالاغوآء والاضلال (قوله اولوا حد) وهو مالك خازن النار ولما كان تثنية ضمير الثنيا منافيا لكون الخطاب لواحد ذكر للتثنية وجهين احدهما الدلالة على ان تكرير الفعل للتأكيد كانه قيل الق الق ولما لم يكن سبيل الى تثنية الفعل نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره والوجه في كون تثنية الفاعل دليلا على تكرير الفعل انه لما ثنى الفاعل مع كونه واحدا في نفس الامر علم ان اصله الق الق ثم حذف الفعل الثاني واتى بفاعله وفاعل الفعل الاول على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاول كما في قوله

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ❊ وان تدعاني احم عرضا ممنعا

وثانيهما ان الف القيا ليس ضمير التثنية بل هي الف مبدلة من النون الخفيفة اصله القين فابدلت الالف من النون في حال الوقف ثم اجرى الوصل مجرى الوقف فقيل القيا في حالتي الوصل والوقف (قوله كثير المنع للمال) ان كان الكفار من الكفر المقابل للايمان يكون وجه بناء المبالغة فيه كما ستر دلائل وحدانية الله تعالى ودلائل حقية مدعى ارسل الرسل ابدنما ستر دلائل ما يجب الايمان به مع ظهورها وقوتها ووجه المبالغة في قوله مناع للخير انه مع كونه كفارا عنيدا لا يقنع بهما بل يتخطى الى ان يمنع ماله عن كل مستحق يطلب شيئا من ماله حبا للمال وبخلا به على من يستحقه ومع كونه معتديا انه كالم يؤدا حق المال الى مستحقه يتعدى الى ان يأخذ المال الحرام بطريق الربا ونحوه فان الكفار مخاطبون بفروع الشرع بمعنى من حيث انهم يعذبون بتركها وان لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم اهليتهم لنوالها ويحتمل ان يكون المراد بالخير الاسلام ويكون المعنى انه لا يقنع بكفران النعمة بل يكون مناعا لغيره عن الايمان (قوله وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل) جواب عما يقال لم قيل ههنا قال قرينه بدون الواو وقيل فيما سبق وقال قرينه بالواو وتقرير الجواب ان الجملة الاولى واردة بما يلائم كونه عن قريب من نفخة البعث وما يترتب عليها من الاحوال الواقعة بعد البعث الى ان يلقى كل كفار عنيد في جهنم ومنها قول القرين هذا ما لدي عتيد فحقه ان يعطف على الجمل المذكورة قبله بخلاف الجملة الثانية فانها جملة مستأنفة فحقها ان تكون خالية عن العاطف كما في الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما وقع في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الآيات فان قيل فاين التقاول ههنا قلنا لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه قوله تعالى لا تختصموا والذي علم ان ثمة مقاولة بين الكافر وقرينه لكن طرح قول الكافر في الذكر لدلالة قوله ربنا ما اطغيته عليه وقال الكافر اعتذارا عن كفره وعصيانه يا رب ما عصيتك باختياري بل لان الشيطان الذي قيضته لي اطغاني وحملني على معصيتك فقال قرينه ربنا ما اطغيته فمقالة الكافر وان لم يصرح بها اعتمادا على ذكر ما يدل عليها وهو قول قرينه ربنا ما اطغيته الا انها لما كانت مقدرة ملحوظة في النظم كانت موردا لان يسأل ويقال فماذا يقول قرينه حين ما قال الكافر ذلك في حقه فاجيب عنه بان قيل قال قرينه فانه اذا حكى قول احد الخصمين اتجه ان يقال فماذا قال خصمه فيستأنف بان يقال قال خصمه كذا وهذه الآية تؤيد كون المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الموكل عليه فان قيل لما قال القرين اولا في حق الكافر هذا عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوآئي اياه كيف يصح منه ان يقول ربنا ما اطغيته اي ما جعلته طاغيا مجاوزا حده في العصيان قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله اولا باغوائي له وآخرا بقوله فأعنته عليه لكونه في نفسه مائلا الى الفجور والحاصل ان الاغوآء بمعنى تزيين المعصية غير الاطغاء قال صاحب الكشف وهذه الآية لا تنافي

(ألقيا في جهنم كل كفار) خطاب من الله للسائق والشهيد او لملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر

وان تدعاني احم عرضا ممنعا

او الالف بدل من نون التأكيد على اجرآء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه (معتد) متعد (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه في العذاب الشديد) او بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتأكيد او مفعول لمضمر يفسره فألقياه. (قال قرينه) اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما اطغيته) كان الكافر قال هو اطغاني فقال ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مفهوم مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان في ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي

قوله هذا ما لدى عتيد على معنى اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى على ما توهم لان الاول نظير قول الشيطان ولاضلنهم ولاغوينهم اجمعين وقوله ربنا ما اطغيته نظير قوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى انتهى كلامه وقيل فى رفع المنافاة صدر القولان من القرين فى حالين قال اولا حين ما يسوقه انا فعلت ذلك اظهار اللانتقام من بنى آدم لكونه سبب لعنة الشيطان ثم اذا رأى العذاب وقال الكافر انه الذى اطغانى رجع عن قوله الاول وقال ما اطغيته (قوله وهو استئناف مثل الاول) كان قائلا قال فماذا قال الله تعالى للقرين وخصمه حين تقاولا فاجيب بانه قيل لا تختصموا لدى وقوله لدى يدل بمفهومه على ان الاختصام المنهى عنه هو الاختصام فى الموقف واما الاختصام فى الدنيا فغير منهى عنه بل هو واجب (قوله عالمين بانى اوعدتكم) توجيه لكون جملة وقد قدمت اليكم حالا من فاعل لا تختصموا مع عدم مقارنة مضمونها لمضمون عاملها لان التقديم كان فى الدنيا والخصومة فى الآخرة وقد تقرر ان اجتماع مضمون الحال مع مضمون العامل شرط والمعنى لا تختصموا وقد صح عندكم الآن انى قدمت اليكم بالوعيد وزمان الصحة متحد مع زمان النهى (قوله ويجوز ان يكون بالوعيد حالا) اى ويجوز ان لا تكون الباء زائدة ولا معدية بان تكون للملابسة ويكون المعنى بان قدمت اليكم ملتبسا بالوعيد ما يبدل القول لدى والمراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر فى النار وبمجازاة العصاة على حسب استحقاقهم جزاء وفاقا وقوله تعالى لدى متعلق بالقول اى لا قول لى بوقوع الخلف فيه وكلمة ما فى قوله تعالى ما يبدل القول لدى نافية يعنى لا يقع الخلف فى القول لدى الآن بل ينجز ويحقق مضمونه فاذا اريد نفى الفعل يقال زيد ما يفعل شيأ ولو اريد نفيه فى المستقبل يقال لا يفعل ولن يفعل (قوله وعفو بعض المذنبين) جواب عما يقال ما وجه التوفيق بين قوله تعالى ما يبدل القول لدى وبين آيات العفو والغفران فان الاول يدل على انه لا يقع الخلف فى مضمون الآيات الواردة فى حق وعيد العصاة والعفو عن بعضهم ينافى مضمونها وتقرير الجواب ان العفو انما ينافيه ان لو كانت الآيات الواردة فى حق الوعيد عامة فى حق جميع العصاة وليست كذلك بل هى واردة فى حق من تعلقت المشيئة بتعذيبهم بقرينة آيات العفو الواردة فى حق من تعلقت المشيئة بالعفو عنه فانه تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فلا تبديل فى القول بالعفو عن البعض (قوله فاعذب من ليس لى تعذيبه) اشارة الى جواب ما يقال من انه تعالى دفع عنه كونه ظلاما للعبيد وهو يشعر بثبوت اصل الظلم له وهو تعالى لا يظلم الناس شيئا من الظلم وما الله يريد ظلما للعباد فضلا عن ان يظلمهم وتقرير الجواب ان نفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وذلك لانه لما جرت مقاولة التخاصم بين الكافر وقرينه ونهاهم الله عن التخاصم لديه اى فى دار الجزاء وموقف الحساب فقال لا تختصموا لدى عالمين بانه لا فائدة فيه حيث تعلمون انى اوعدتكم على الكفر والطغيان فى دار العمل والتكليف ولم تلقوا اليه سمعا ولا رفعتم اليه رأسا علل عدم كون التخاصم مفيدا بان قال على طريق الاستئناف ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد اى ما يبدل ما قدمته من الوعيد فى حق كل كفار عنيد بالعفو عنهم بل انتقم منهم باخلادهم فى النار وعطف عليه قوله وما انا بظلام بصيغة المبالغة والمعنى لو عذبت عبدا ضعيفا منقاد الامر غير مستحق للتعذيب من قبلى لكان ذلك غاية الظلم ولست بظلام فاعذب من ليس لى تعذيبه فظهر بهذا ان نفى كونه ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وايضا تخصص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه فنفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وقيل الظلام لكونه بناء النسبة بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فالمعنى وما انا بظالم (قوله تعالى يوم نقول لجهنم) يجوز ان يكون ظرفا لظلام واذا لم يظلم فى هذا اليوم فعدم كونه ظالما فى غيره اولى اوظرف لقوله ما يبدل اولمحذوف دل عليه ما قبله اى ذلك يكون يوم نقول ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر اى اذكر او أنذر يوم فيكون مفعولا به وجوز كونه معمولا لقوله ونفخ فى الصور وهو بعيد (قوله جئ بهما للتخييل والتصوير) اى لتصوير امتلائها بالطلب حيث اجابت بقولها هل من مزيد وهو استفهام انكار كانها قالت امتلأت بحيث لا مزيد على ذلك الامتلاء تكثيرا لمن ادخل فيها من الجنة والناس والا فليس ثمة سؤال وجواب حقيقة وطريق التخييل ان جهنم شبهت بمن له عقل وتمييز يسأل ويجيب وجعل اثبات لوازم المشبه به لها دليلا على التشبيه المضمر فى النفس والمعنى انا نملأها من الجنة والناس كما كنا وعدناها ذلك بحيث لو قيل لها ذلك وهى عاقلة ناطقة لقالت ذلك على سبيل الانكار والتعجب من كثرة العصاة (قوله اوانها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ) فتطلب الزيادة

(قال) اى الله تعالى (لا تختصموا لدى) اى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم تبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (ما يبدل القول لدى) اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما انا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس لى تعذيبه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن اوانها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ

ليتلئ بهاذلك الفراغ فالاستفهام فى قوله تعالى هل امتلأت لبيان اتساعها وانكار امتلائها وفى قولهاهل من مزيد لطلب الزيادة فيكون هذا السؤال والجواب قبل دخول جميع اهلها فيهابان يدخل الكفار باسرهم ويبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين فتطلب جهنم ٧ فيرد ايمانهم حرهـا ويسكن ايقانهم غيظها فتسكت وعلى هذا الحمل ماورد فى بعض الاخبار من ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه والمراد بالجبار المؤمن فانه جبار متكبر على ماسوى الله تعالى ذليل متواضع لله عزوجل ويروى انه لايلقى فوج ممن استحق لدخول جهنم الاذهب فيهاولايملأها شئ لكونهاصورة قهر الله تعالى الذى لانهاية له فتقول جهنم ألس قداقسمت لتملأنى فيضع الله تعالى فيها قدمه اى ماتقدم من قوله سبقت رحمتى غضبى اى بان يضع فيها رحمته وينظر اليهانظر الرحمة فيقول هل امتلأت فتقول قط قط اى حسبى حسبى وليس بى مزيد فيزوى بعضهاالى بعض ضرورة انهااذاجاءت الرحمة تنزوى صورة القهر (قوله اوانها من شدة زفيرها وحدتها) فالاستفهام الاول للتقرير والثانى اقرار بالامتلاء فى الحقيقة الاانها نزلت نفسها منزلة طالب الزيادة والكثرة لشدة تغيظها على العصاة واهتمامها بالانتقام منهم فتمنى زيادة الداخلين وكثرتهم (قوله وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء) اى بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره فى قوله الذى جعل مع الله والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره فى قوله لدى وقد قدمت وماانابظلام (قوله فيكون ذلك) اى اذا انتصب يوم تقول بقوله نفخ يكون ذلك فى قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى يوم نقول لان الاشارة الى المتأخر جائزة لاسيما اذا كانت رتبته التقديم فكأنه قيل ذلك اليوم اى يوم نقول لجهنم هل من مزيد يوم الوعيد فلايحتاج الى ان يجعل تقدير الكلام وقت ذلك النفخ يوم تحقق الوعيد لان الاحتياج اليه انما هو لكون ذلك اشارة الى النفخ وعدم صحة حمل يوم الوعيد على المصدر واذاجعل ذلك اشارة الى اليوم صح الحمل من غير تقدير المضاف (قوله قربت لهم) فان قيل الجنة مكان والامكنة لاتقرب بل يقرب اليها فاوجه تقريبها اجيب بان الجنة لاتزال ولايؤمر المؤمن فى ذلك اليوم بالانتقال اليهامع بعدها لكنه تعالى يطوى المسافة التى بين المؤمن والجنة وهذا هو المراد بتقريبها فان قيل اسناد الازلاف بمعنى طى المسافة بينها وبينهم الى الجنة ليس اولى من اسناده الى المؤمن فكيف قيل وازلفت الجنة للمتقين ولم يقل وازلفت المتقون للجنة اجيب بانه اختير ذلك لمافيه من اكرام المؤمن وبيان شرفه وانه ممايمشى اليه والظاهر ان قوله تعالى وازلفت معطوف على قوله نقول لجهنم اى يوم ازلفت (قوله مكانا غير بعيـد) اشارة الى ان انتصاب غير بعيد على انه ظرف مكان لازلفت كقولك اجلس غير بعيد منى اى مكانا غير بعيد والاصل ازلفت مكانا غير بعيد ثم حذف المكان للعلم به واقيمت صفته مقامه وان كان غير بعيد حالا من الجنة كان الظاهر ان يقول غير بعيدة الاانه ذكر امالكونه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بهاالمذكر والمؤنث والزئير صوت الاسد فى صدره يقال زأر يزأر ويزئر زأرا وزئيرا ويقال صل السلاح ونحوه يصل صليلااى صوت واماغير ذلك (قوله على اضمار القول) مبنى على القرآءة بتاء الخطاب ولاحاجة اليه على قرآءة ابن كثير وذلك القول امامنصوب على انه حال من المتقين اى مقولالهم هذا الثواب اوهذا الازلاف ماتوعدون اوهو مع مقوله جملة معترضة بين البدل والمبدل منه ٤ (قوله بدل بعد بدل) يشعر بكونه بدلا ثانيا من المتقين الا ان صاحب الكشاف صرح بانه بدل من كل اواب حيث قال بدل بعد بدل تابع لكل ومعنى التبعية وروده عقيب البدل من غير اتحاد المتبوع ولم يجعله بدلا ثانيا من المتقين لان تعدد البدل مع اتحاد المبدل منه لا يجوز (قوله ولا يجوزان يكون فى حكمه) اى فى حكم اواب فان اواب صفة لمحذوف والتقدير لكل عبد اواب ولايجوز ان يكون من خشى صفة لكل اواب لان من لاتكون صفة له فلايقال الرجل من جاءنى جالس كما يقال الرجل الذى جاءنى جالس والخشية وان كانت بفسر بالخوف الاان بينهمافرقا وهو ان الخشية خوف من عظمة المخشى وهيبته بخلاف الخوف فانه خشية من ضعف الخاشى ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشى استعمل فيه الخشية وان كان الخاشى قويافى نفسه قال تعالى انمايخشى الله من عباده العلماء وقال لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال وهم من خشيته مشفقون مع ان الملائكة والجبل اقوياء فى انفسهم وحيث كان الخوف من ضعف الخاشى استعمل فيه الخوف قال لاتخافوا ولاتحزنوا ونحو ذلك (قوله وبالغيب حال من الفاعل) اى خشى حال كونه غائبا عن الاعين لايراه احدا ومن المفعول اى خشى عقاب الرحمن حال كون كل منهما غائبا

---

٧ امتلائها تحقيقا لقوله تعالى لاملأن جهنم فيطرح فى ذلك الموضع عصاة المؤمنين صح

اوانها من شدة زفيرها وحدتها وتشوقها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابوبكر يقول بالياء والمزيد امامصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر اوظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف (وازلفت الجنة للمتقين) قربت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيأ غير بعيد اوعلى زنة المصدر اولان الجنة بمعنى البستان (هذا ما توعدون) على اضمار القول والاشارة الى الثواب اومصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل اواب) رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل اوبدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لايوصف به اومبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوا فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل اوالمفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهوغائب اوالعقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لايراه احد

٤ على معنى يقال لهم والاعتراض متعين فى قرآءة ابن كثير بالياء لاسناد الفعل الى المتقين صح

وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم ذو و اخشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذالاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله و ملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهو مالايخطر ببالهم ممالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (وكم اهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم اشد منهم بطشا) قوة كعاد و فرعون (فنقبوا فى البلاد) فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها اوجالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه (هل من محيص) اى لهم من الله اومن الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من انقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم (ان فى ذلك) فيما ذكر فى هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) اى قلب واع يتفكر فى حقائقه (اوألقى السمع) اى اصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه اوشاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لايتفكر ولايتدبر كلا قلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) مر تفسيره مرارا (ومامسنا من لغوب) من تعب واعياء وهو رد لمازعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش

لايعرفه المكلف الابطريق الاستدلال (قوله وتخصيص الرحمن) جواب عما يقال كيف قرن الخشية بالاسم الدال على سعة الرحمة مع ان الظاهر قرنها بمايدل على العظمة والمهابة (قوله ووصف القلب بالانابة) مع ان الموصوف بالانابة التى هى الرجوع عن المعصية الى طاعة الله تعالى هو المكلف للاشعار بان الاعتبار فى الرجوع الى الله تعالى انما هو الرجوع بالقلب (قوله سالمين اومسلما عليكم) يعنى ان قوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها امامن السلامة اومن التسليم وعلى التقديرين هى حال مقارنة لحصول كل واحد منهما حال الدخول وان كان التسليم بعد الدخول تكون حالا مقدرة (قوله تعالى ذلك يوم الخلود) وقال ابو البقاء اى زمان ذلك يوم الخلود كأنه جعل اشارة الى ماتقدم من انعام الله تعالى عليهم بذلك اخبرالله تعالى اهل الدنيا ان ذلك الزمان زمان الاقامة الدائمة وان اهل الجنة لايرتحلون عنها فيبقى فى قلوبهم حسرتها وليس لقول الله تعالى ذلك فائدة بعد قوله ادخلوها لان المؤمنين يعلمون ان من دخل الجنة يبقى فيها ابدا فلافائدة لهم بالاخبار بذلك الا ان يقال ان استماع ذلك يزيد تطرية النشاط وطمأنينة القلب (قوله تعالى ولدينا مزيد) اى زيادة على مايشاؤن اومايؤملون اومزيد عليه على ان يكون المزيد اسم مفعول كالمبيع قال انس وجابر رضى الله عنهما هو النظر الى وجه الله الكريم والظاهر ان مرادهما ان النظر المذكور افضل مالديه من المزيد والافنى الجنة مزيد على كل مايؤملونه غير ذلك ثم انه تعالى لما علم منكرى البعث بمايلاقونه عن قريب من الموت والبعث واللقاء المشركين فى العذاب الشديد خوفهم بعذاب الدنيا ايضا فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا وكم منصوب بمابعده وقدم على عامله اما لانها استفهامية واما لانها خبرية وهى تجرى مجرى الاستفهامية فى اقتضاء الصدارة ومن قرن تمييز وهم اشد صفة كم او صفة قرن وبطشا تمييز اشد والبطش الاخذ بشدة والجمهور على فتح القاف مع التشديد فى قوله فنقبوا والفاء فيه عاطفة على المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا فان كان التنقيب بمعنى الطواف وقطع المفاوز لاجل تفرج البلاد والتصرف فيها بقهرها والاستيلاء على اهلها كما فى قوله

اقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

تكون الفاء سببية للدلالة على ان شدة بطشهم وقوتهم عليه ابطرتهم وحملتهم على التنقيب وان كان بمعنى الجولان والدوران فيها حذرا من الموت كما فى قوله

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

تكون الفاء لمجرد التعقيب حيث كان سبب التنقيب مجرد الاحتراز عن الموت لاشدة البطش وقرئ فنقبوا بفتح القاف مخففا والتشديد للكثرة والمبالغة وقرئ فنقبوا بكسر القاف مشددا على امر المخاطبين كقوله تعالى فسيحوا فى الارض اى فسيروا فيها هل تجدون محيصا من قهر الله تعالى اومن الموت وقرئ ايضا فنقبوا بكسر القاف مخففا اى اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم من النقب يقال نقب البعير ينقب نقبا من باب علم اذا رقت اخفافه من كثرة السير ومنه قوله * اقسم بالله ابو حفص عمر * مامسها من نقب ولادبر * اغفر له اللهم ان كان فجر (قوله اى لهم من الله) اشارة الى ان من محيص مبتدأ محذوف خبره اى ملجأ ومفر من عذاب الله او من الموت (قوله اى قلب واع) حمل القلب المذكور فى الآية وهو مطلق على القلب الواعى لتظهر فائدة التقييد بقوله لمن كان له قلب فان كل انسان له قلب لامحالة وايضا لوابقى القلب على عمومه لزم ان يكون ماذكر فى هذه السورة تذكرة لكل انسان وليس كذلك لانه مايتذكر الا اولوا الالباب والقلوب الواعية ولكنه اطلق القلب فى الآية للاشعار بان من ليس له قلب واع فكأنه لاقلب له لان المقصود من القلب الحفظ وهو فقد من القلب الذى ليس له حفظ لانه المقصود منه وكل فاقد ماهو المقصود منه كالمعدوم وكذا حمل قوله شهيد على تقدير كونه من الشهود بمعنى الحضور على الحضور بالذهن لتظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية لان من ألقى السمع الى ماتلى عليه يكون حاضرا بشخصه لامحالة لاستحالة الاصغاء من القلب الغائب فلولم يحمل الحضور على الحضور بذهنه لماظهر فائدة التقييد ايضا واطلاقه فى الآية للاشعار بان من لايحضر بذهنه فكأنه غائب وكلمة او فى قوله تعالى اوألقى السمع لتقسيم حال المتذكر الى كونه تاليا بنفسه وكونه سامعا من غيره ثم انه تعالى لما احتج على منكرى البعث بمايدل على كمال قدرته وهددهم بمايلاقونه عن قريب من عذاب الآخرة ثم خوفهم بعذاب الدنيا عاد الى دليل آخر فقال ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام اى فى ستة

اوقات واحيان لان اليوم فى اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولاقمر ومن قدر على ابدآء العالم باسره فى مدة يسيرة كيف لايقدر على البعث والاعادة وقوله تعالى ومامسنا من لغوب رد لما زعمت اليهود فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال عليه الصلاة والسلام خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال ومافيهامن المنافع يوم الثلثاء وخلق الشجر والماء والمدآئن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالت اليهود ثم ماذا قال استوى على العرش قالوا قداصبت لواتممت قال وماهو قالوا ثم استراح يوم السبت فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية ثم قال فاصبر على مايقولون من الشرك والتشبيه قال الامام وماقاله اليهود ونقلوه عن التوراة اماتحريف منهم اولم يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض واوكان خلق السموات ابتدئ يوم الاحد ونحوه لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام اخر فيلزم القول بقدم العالم وهومذهب الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلسفى لايثبت لله تعالى صفة اصلا ويقول انه تعالى لايقبل صفة بل هوواحد من جميع الوجوه وفعله وقدرته وحياته هوحقيقته وعينه وذاته والمشبهة يثبتون لله تعالى صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستوآء والجلوس والصعود والنزول فيتهمامنافاة ثم ان اليهود فى كلامهم هذا جمعوا بين المتنافيين واخذوا بمذهب الفلاسفة فى المسألة التى هى اخص المسائل بهم ٨ الاستوآء على العرش فاخطأوا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا انتهى والفاء فى قوله تعالى فاصبر للسبب اى اذا لم يسمعوا قولك ولم يهتدوا بارشادك فاصبر على مايقولون من اباطيلهم واشتغل بعبادة ربك فانه عليه الصلاة والسلام له شغلان احدهما عبادة الله تعالى وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الآخر وهوعبادة الحق وهذا قبل الامر بقتالهم امره الله تعالى بان ينزهه فى بعض الاوقات من النهار والليل وخص ماقبل الطلوع والغروب من النهار لكونهما وقتى اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ولم يعين البعض الكائن من الليل اى بعض هوللاشارة الى ان الليل كله زمان الانقطاع عن الشواغل فلاوجه لترجيح بعض اجزآئه على بعض بخلاف النهار فانه محل الاشتغال بالمصالح فينبغى ان يعين وقت العبادة منه ليبقى سائر اوقاته لسائر المصالح وهذا على ان تكون كلمة من فى قوله ومن الليل للتبعيض ويحتمل ان تكون لابتدآء الغاية فيكون المعنى ومن اول الليل فسبحه الى ان يغلب عليكم النوم ونحوه ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وسبح بحمد ربك نزهه عما يقولون ولاتسأم من اباطيلهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى ونزهه عن الشرك والعجز عن الممكن الذى هوامر الحشر والبعث قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقت اجتماع نومك لغلبة الحرارة فى بلدتهم ومن اوآئل الليل ايضا لانها ايضا وقت اجتماعهم والفاء فى قوله فسبحه لتأكيد الامر بالتسبيح من الليل وذلك لانها تتضمن معنى الشرط كانه قيل واما من الليل فسبحه والتعليق بالشرط يفيد انه عند وجوده يجب وجود الجزآء (قوله تعالى وادبار السجود) قرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر ادبر الشئ انتهى وانقضى وانتصابه على الظرفية لان المصدر اقيم مقام الوقت اونحوه كما فى نحو آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه ومعنى وقت ادبار السجود وقت انقضاء الصلاة وتمامها وقرأ الباقون بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى آخر ودبر الصلاة آخرها وعقبها وانتصابه ايضا على الظرفية والركوع والسجود والتسبيح قديعبر بها عن الصلاة لاشتمال الصلاة عليها فلذلك فسر ادبار السجود بقوله واعقاب الصلاة واختار المصنف ان يكون التسبيح على اصل معناه وهوالتنزيه ثم نقل كونه بمعنى الصلاة فمعنى قوله وادبار السجود قيل اعقاب الصلاة روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله تعالى فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لااله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهوعلى كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (قوله واستمع لما اخبرك به) يعنى ان مفعول استمع محذوف اى استمع مااقول لك من احوال يوم القيامة فى وصفه فقال يوم ينادى المنادى ويوم منصوب بفعل مضمر والتقدير يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى وهواسرافيل عليه السلام فانه ينفخ وينادى بماذكره وقيل ان اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى ويحتمل ان ينزل

(فاصبر على مايقولون) مايقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم اومايقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بمايوجب التشبيه حامدا له على ماانعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعنى الفجر والعصر وقدعرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وادبار السجود) واعقاب الصلاة جمع دبر وقرأ الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وانقطعت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادى المناد) اسرافيل اوجبرآئيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على السوآء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابدآء ويوم نصب بمادل عليه يوم الخروج

٨ وهى القدم حيث اثبتوا قبل خلق الاجسام ايما معدودة وازمنة محدودة واخذوا بمذهب المشبهة فى المسألة التى هى اخص المسائل بهم وهى صح

(يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزآء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد (انا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا (والينا المصير) للجزآء فى الآخرة (يوم تشقق) تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف (الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لايتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لايشغله شان عن شان كما قال ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة (نحن اعلم بمايقولون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وماانت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان اوتفعل بهم ماتريد وانما انت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لاينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

(سورة والذاريات مكية وآيها ستون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح تذروالتراب وغيره اوالنساء الولد فانهن يذرين الاولاد اوالاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابوعمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار اوالرياح الحاملة للسحاب اوالنساء الحوامل اواسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا اوالرياح الجارية فى مهابها اوالكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر

اسمع منزلة اللازم ولايقصد تعلقه بمفعول معين ويكون المعنى كن مستمعا ولاتكن كهؤلاء الغافلين المعرضين (قوله بالحق متعلق بالصيحة) اى حال منها اى يسمعونها ملتبسة بالحق الذى هو البعث وذلك اشارة الى وقت النداء اوالى وقت السماع اى ذلك الوقت يوم الخروج من القبور (قوله من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل يعنى ان المراد بقرب المكان قربه بالنسبة الى اهل القبور كلهم ولما كان قرب المكان بالنسبة الى بعض الموت يستلزم البعد بالنسبة الى من بعد من ذلك البعض فاستحال لذلك ان يكون مكان النداء قريبا حقيقيا بالنسبة الى الكل على السوآء والمعنى يخرجون من قبورهم يوم ينادى المنادى بحيث يصل نداؤه الى الكل على السوآء كانه يناديهم من مكان قريب بالنسبة الى كل واحد منهم عن الضحاك انه قال يسمع البعيد كمايسمع القريب واكثر المفسرين على ان المراد قرب مكان النداء الى السماء وان ذلك المكان هو صخرة بيت المقدس فانها اقرب الى السماء بالنسبة الى اجزآء الارض ثم اختلفوا فى مقدار قربها اليها فمنهم من قال انها اقرب اليها من جميع الارض باثنى عشر ميلا ومنهم من قال بثمانية عشر ميلا وقيل يسمعون النداء من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم (قوله بالتخفيف) اى تخفيف الشين يعنى ان الكوفيين واباعمرو قرأوا ههنا وفى الفرقان تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصله عند الكل تتشقق بتاءين والاولون حذفوا احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا التاء الثانية فى الشين ويوم تشقق يجوز ان يكون بدلا من يوم يسمعون وقيل انه بدل من يوم ينادى وفيه نظر لانه يستلزم تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدم ان الزمخشرى منعه ويجوز ان يكون ظرفا للمصير اى يصيرون الينا يوم تشقق الارض وسراعا حال من الضمير المجرور فى عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل فى يوم تشقق المقدر اى يخرجون سراعا يوم تشقق فيكون سراعا مبينا لهيئة الفاعل وعلى الاول يكون مبينا لهيئة المفعول معه لان انشقق عدى اليه بحرف الجر كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم وان يكون اشارة الى الاخراج المدلول عليه بفحوى الكلام اوالى الحشر المذكور بعده اى ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع (قوله الا كنفس واحدة) اى كخلق نفس واحدة وبعثها وهذا صريح فى ان الله تعالى لايشغله شأن عن شان (قوله تعالى نحن اعلم بمايقولون) اى بمايقوله كفار مكة من تكذيبك وانكار البعث والفاء فى قوله فذكر فاء جواب شرط مقدر اى اذا لم تكن جبارا لهم تجبرهم على الاسلام بل بعثت مبلغا فذكر اى فأقبل على عملك ودم عليه وذكر بالقرآن من يخاف مااوعدت به من عصانى من العذاب وتارات الموت ماتكرر من سكرات الموت وشدآئده فانها تأخذ المحتضر مرة بعد اخرى * تم هنا مايتعلق بسورة ق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(سورة الذاريات)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

اول هذه السورة مناسب لآخر ماقبلها وذلك لانه تعالى لمابين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وما انت عليهم بجبار تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشار الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم ولم يبق الا اليمين فقال والذاريات ان ماتوعدون من البعث والثواب والعقاب لصادق وكذا اول هذه السورة وآخرها متناسبان ايضا حيث قال فى اولها انما توعدون لصادق وقال فى آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون والذاريات جمع ذارية من ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرواوذريا اى طيرته واذهبته والواو فيه للقسم والفاآت التى بعدها عاطفة وهذه المذكورات صفات حذفت موصوفاتها واقيمت هى مقامها والتقدير والرياح الذاريات او والنساء الذاريات للاولاد اوالاسباب الذاريات للخلائق من عالم العدم الى فضاء الوجود اوبالعكس فالسحب الحاملة للامطار فالسفن الجارية فى البحر جريا ذايسر اى ذاسهولة فالملائكة المقسمات للامور من خير وشر بين الخلائق على ما امروا به ثم اشار الى جواز كون موصوف الحاملات الرياح فانها تحمل السحاب كماتذر والتراب ونحوه اوالنساء فانهن يحملن الاولاد كما يذرين الاولاد اوالاسباب التى تؤدى ماذكر من الحاملات الى الحمل على الاسناد المجازى (قوله وقرئ وقرا) بفتح الواو وهو مصدر بمعنى الثقل على تسمية المحمول الثقيل بالثقل والجمهور على كسر الواو وهو اسم لمايوقر اى يحمل فان المطر محمول للسحاب وكذا السحاب

يجول للريح وموصوف الجاريات اما السفن او الرياح او الكواكب وموصوف المقسمات اما الملائكة خاصة او ما يعمهم وغيرهم او الرياح (قوله فان حملت على ذوات مختلفة) قد اشار فى تفسير الامور الاربعة المذكورة بقوله تعالى والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات فالمقسمات الى جواز كونها امورا مختلفة متباينة بذواتها والى جواز كونها امرا واحدا بالذات له اربعة اعتبارات والاول قول على وابن عباس رضى الله عنهم قال على وهو على المنبر سلونى قبل ان لا تسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات ذروا قال هى الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وان كانت هؤلاء الاربع صفات متغايرة لامر واحد هو الرياح يكون الموصوف فى الكل واحدا ويكون العاطف لعطف الصفات كما فى قوله

الصفات كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

ويكون تقدير الكلام والرياح الذاريات الى الجو حتى تنعقد سحابا فالرياح الحاملات للسحب التى هى اثقل من الجبال فالرياح التى تجرى بالسحب بعد حملها فالرياح التى تقسم اى تفرق الامطار فى الاقطار فالفاء على الاحتمال الاول لترتب الاقسام اقسم اولا بالرياح الذاريات فبالسحب الحاملات للامطار فبالسفن الجاريات فى البحر فبالملائكة المقسمات للامور ولما كانت هذه الامور الاربعة متفاوتة فى الدلالة على كمال القدرة قدم فى الاقسام بها ما هو ادل عليه واتم وتوضيح المقام ان الايمان الواقعة فى القرآن وان وردت فى صورة تأكيد المحلوف عليه الا ان المقصود الاصلى منها تعظيم المقسم به لما فيه من الدلالة على كمال القدرة فيكون المقصود بالحلف به الاستدلال به على الحكم المحلوف عليه وهو ههنا صدق الوعد بالبعث والجزاء فكأنه قيل من قدر على هذه الامور العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة يقدر على اعادة من انشأه اولا كقول القائل لمن انعم عليه وحق نعمك الكثيرة انى لا ازال اشكرك اتى بصورة القسم استدلالا على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان كذلك فالمناسب فى ترتيب الاقسام بالامور المتباينة ان يقدم ما هو ادل على كمال القدرة والرياح ادل عليه بالنسبة الى السحب لكون الرياح اسبابا لحدوثها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذى هو الريح ادل عليه بالنسبة الى السفن وهذه الثلاثة لكونها من قبيل المحسوسات ادل عليه بالنسبة الى الملائكة الغائبين عن الحس اذ الخصم ربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال (قوله والا فالفاء لترتب الافعال) اى وان لم تحمل الامور الاربعة على موصوفات متباينة بالذات بل على موصوف واحد له اربعة اعتبارات تكون الفاء لترتيب الاوصاف فى الوجود كما فى قولك جاءنى الآكل فالشارب فالصائم فقدم من الصفات المذكورة ما هو متقدم فى الوجود فان الرياح تذر والابخرة اولا فتحمل السحاب ثانيا فتجرى بالسحاب جريا ذا يسر ثالثا فتقسم المطر رابعا وقوله تعالى ذروا مصدر مؤكد لقوله والذاريات وقيل ذروا مفعول بمعنى مذروا وتسمية المفعول بالمصدر كخلق الله وضرب الامير والمعنى والذاريات ترابا مذروا والاول اشهر وقوله وقرا مفعول به للحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا والمصنف بين اعراب يسرا وقوله امرا مفعول به وهو عبارة عن المقسوم اياكان قال الامام الحكمة فى الايمان الواقعة فى القرآن وجوه الاول ان الكفار كانوا فى بعض الاوقات ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى المجادلة ويقولون انه عارف فى نفسه بفساد ما يقوله وانه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال كما ان بعض الناس اذا اقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبنى لعلمه بطريق الجدل وعجزى عنه وهو فى نفسه يعلم ان الحق بيدى فلا يبقى للمتكلم المبرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو استدل بطريق آخر لقال خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى له الا السكوت او التمسك بالايمان وترك اقامة البرهان والثانى ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل وتدع الديار بلاقع ثم انه عليه السلام كان يكثر الايمان ولم يزده ذلك الا رفعة وبيانا فعلمت العرب بذلك انه لا يحلف كاذبا والا لاصابته بشؤم الايمان نكبات المكروه فى بعض الازمان والثالث ان الايمان التى اقسم الله تعالى بها كلها دلائل خرجت فى صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة على الحكم المحلوف عليه فالمقصود منها الاستدلال على المحلوف عليه ولم تخرج فى صورة الدليل واخرجت مخرج الايمان لان المتكلم اذا شرع فى اول كلامه باليمين يعلم السامع انه يريد ان يتكلم بكلام عظيم فيصغى اليه تمام الاصغاء فبدأ بالحلف وادرج الدليل فى صورة اليمين حتى يقبل القوم

(فالمقسمات امرا) الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر

على سماعه فظهرلهم البرهان المبين فى صورة اليمين (قوله وما موصولة) محذوفة العائد اى ان ما توعدون به من البعث لصادق اى لذوصدق على ان بناء فاعل للنسب كتامر لان الوعد لايكون صادقا بل الصادق الواعد اومصدرية على معنى ان وعدكم لصادق اى لذوصادق كما اذا كانت موصولة والمصدرية لاتحتاج الى العائد (قوله ذات الطرائق) على ان الحبك بضمتين جمع حباك كمثال ومثل اوجمع حبيكة كطريقة وطرق والحباك والحبيكة الطريقة فى الرمل ونحوه (قوله اوالنجوم فانها تزينها كما تزين الموشى طرآئق وشيه بعدقوله ويتوصل بها الى المعارف فان لها طرآئق) هكذا فى بعض النسخ بين كون السماء ذات طرآئق معقولة مؤدية الى المعارف بقوله فان لها طرآئق فان المعارف لها طرق تؤدى كل واحدة من تلك الطرق اليها والسماء ذات تلك الطرق ثم قال اوالنجوم بالجر عطفا على الطرآئق بناء على ما قاله الحسن البصرى من ان حبكها نجومها فتكون الحباك بمعنى الزينة والحسن قال الامام محيى السنة فى تفسيره ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال الحسن حبكت بالنجوم وقال الامام ابو الليث ثم اقسم الله عز وجل بالسماء ذات الحسن والجمال وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ذات الخلق الحسن انتهى وفى الصحاح حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اى اجاد نسجه قال ابن الاعرابى كل شئ احكمته واحسنت عمله فقد حبكته فقوله تعالى ذات الحبك بمعنى ذات الزينة التى هى النجوم فانها مزينة للسماء من حيث كونها على طرآئق الوشى والوشى والشية كل لون يخالف معظم لون الحيوان والهاء فى شية عوض عن الواو الذاهبة من اوله كما فى عدة وقوله تعالى لاشية فيها اى ليس فيها لون يخالف سائر لونها يقال وشيت الثوب اشيه وشيا وشية فهو موشى وفى اكثر النسخ بعد قوله ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرآئق اوانها تزينها كما تزين الموشى طرآئق الوشى فيكون ايضا اشارة الى ما قاله الحسن من ان حبكها نجومها وبيانا لوجه كون النجوم حبكا للسماء وهو ان الحبك ان كان بمعنى الطرآئق فالنجوم لما وقعت فى مواقعها على طرآئق كانت السماء المشتملة عليها ذات الطرآئق وان كان بمعنى الزين فوجه كون السماء ذات النجوم ذات الحبك اى ذات الزين ظاهر لان النجوم زينة لها فالسماء المشتملة على النجوم تكون مشتملة على الحبك لامحالة الا ان كون قوله اوالنجوم مجرورا بالعطف على الطرآئق فى قوله ذات الطرآئق يستلزم كونه قسيما للطرآئق وهو ينافى قوله فان لها طرآئق وكونه مرفوعا بالعطف على الطرآئق فى قوله والمراد بالطرآئق يستلزم ان لاتكون الحبك بمعنى الزينة وهو ينافى قوله وانها تزينها ويمكن ان يختار كونه مجرورا ويجعل عطف النجوم من قبيل عطف العام على الخاص فان النجوم يجوز ان تعتبر من حيث كونها طرآئق ومن حيث كونها زينة فيصح ان تجعل النجوم حبكا للسماء بمعنى انها طرآئق فيها وبمعنى انها زينة لها (قوله وقرئ الحبك) بضم الحاء وسكون الباء وهو مخفف من الحبك بضمتين كرسل فى رسل والحبك بكسر الحاء والباء كالابل والحبك بكسر الحاء وسكون الباء كالسلك والحبك بفتحتين كالجبل جمع حبكة كعقبة فى عقب والحبك بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم جمع نعمة والحبك بضم الحاء وفتح الباء كالبرق جمع حبكة بضمتين كبرقة وبرق اوحبكة بضم الحاء وسكون الباء كظلمة وظلم فهذه ست قرآآت غير قرآءة الجمهور وهى بضم الحاء والباء فالمجموع سبع قرآآت (قوله ولعل النكتة فى هذا القسم) مع ان عدم ثباتهم على قول واحد امر مقرر لاينكره احد حتى يؤكد بالقسم الا انه اقسم عليه تعظيما للمقسم به من حيث كونه صالحا لبيان حال اقوالهم من اختلافها وتنافى اغراضها للاشتراك بينها وبين الحبك والطرآئق فى التباعد ذاتا ومؤدى كما ان القسم الاول لتعظيم المقسم به من حيث كونه صالحا لان يستدل به على المقسم عليه (قوله اذلاصرف اشد منه) تعليل لقوله يصرف عنه من صرف باعتبار ان الصرف المدلول عليه بقوله من افك مطلق والمطلق يصرف الى الكمال كأنه قيل يصرف عنه من صرف الصرف الذى لاصرف اشد منه واعظم فعلل هذا المعنى بقوله اذلاصرف اشد من الصرف عن الرسول اوالقرآن اوالايمان وايضا الابهام المدلول عليه باسم الموصول يفيد المبالغة فى الاتصاف بمضمون الصلة كما فى قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وايضا لما قيل من افك ولم يذكر المأفوك عنه دل ذلك على ان المراد من المأفوك عنه ما يعم كل خير وسعادة فكأنه قيل يؤفك عنه من افك عن كل خير وسعادة وعلى هذا التقدير يكون الصرف المدلول عليه بقوله من افك عبارة عن الصرف الذى لاصرف اشد منه ولو لم يعتبر هذا المعنى لكان قوله تعالى يؤفك عنه من افك خاليا عن الفائدة مثل ان يقال يقتل المقتول ويضرب المضروب وقيل المعنى يصرف عنه الان من حكم عليه

(ان ما توعدون لصادق) جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة اومصدرية (وان الدين) الجزآء (لواقع) لحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرآئق والمراد اما الطرآئق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى تسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف اوالنجوم فان لها طرآئق اوانها تزينها كما تزين الموشى طرآئق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون اوفى القرآن اوالقيامة اوامر الدين ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بالطرآئق للسموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من افك) يصرف عنه الضمير للرسول اوالقرآن اوالايمان من صرف اذلاصرف اشد منه فكأنه لاصرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف فى علم الله وقضائه

فى الازل بانه مأفوك عن الحق بعدم طاعته لرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن وعدم الايمان بهما فى جميع احكامهما الى القول المختلف والوجه الاول اولى لان كون احوال الكائنات سابقا للقضاء السابق معلوم ليس فى بيانه كثير فائدة وعلى الوجهين يكون المقصود ذم اصحاب القول المختلف بكونهم مصروفين عن الحق وقيل انه مدح للمؤمنين والمعنى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول (قوله على معنى يصدر افك من افك عن القول الخ) اى على ان تكون كلمة عن للسببية بمعنى من اجل اى يصرف من صرف عن الايمان من اجل هذا القول المختلف وسببه فانهم كانوا اذا رأوا احدا يريد ان يدخل فى الايمان يقولون انه ساحر وكاهن ومجنون ويجادل بعلم طرق الجدال فيغلب من جادله ويكلم معه لالاجل انه محق وان من نازعه مبطل جاحد للحق فيصرفونه بمثل هذه الاقوال المختلفة المتباينة عن الايمان (قوله ينهون عن اكل وعن شرب) يقال نهى الجمل ينهى اذا كان عريقا فى السمن بالغا نهايته وجمل نهى وناقة نهية اى ضخمة سمينة بالغة نهاية الجسامة والسمن والانهاء الابلاغ والنهاية الغاية وقرآءة الجمهور يؤفك عنه من افك على بناء كل واحد من الفعلين للمفعول وقرئ يوفك عنه من افك على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل اى يصرف من صرف الناس عنه وقرئ يأفك عنه من افك على بناء الاول للفاعل والثانى للمفعول عكس ما تقدم اى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه (قوله اجرى مجرى اللعن) اى استعمل بمعنى لعن الكذابون تشبيها للملعون الذى يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذى تفوته الحياة وكل نعمة (قوله فى جهل يغمرهم) يقال غمره الماء يغمره اى علاه والغمرة الشدة حمله على شدة الجهل بشهادة المقام والخراص فى الاصل الذى لا يجزم بامر ولا يثبت عليه بل هو شاك متحير لا يقول ما قاله الا جزافا وخرصا اى ظنا وتخمينا من غير يقين ولما كانت اللام فيه للعهد والمعهودون اصحاب القول المختلف وكانوا كذابين فيما يقولونه كان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه ثم وصفهم بانهم فى جهالة تغمرهم ساهون لاهون وكان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه والسهو ذهاب القلب عن الشئ (قوله ساهون) يحتمل ان يكون ساهون هو الخبر وفى غمرة ظرف له كقولك زيد فى بيته قاعد (قوله اى فيقولون متى يوم الجزآء) قدر القول المعطوف على يسألون لان قوله ايان يوم الدين جملة اسمية منقطعة التعلق عما قبلها الا بتقدير القول وايان ظرف زمان بمعنى متى يوم الجزآء كما ان اين ظرف مكان وايان مركب من اى التى للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى فلما ركبا وجعلا اسما واحدا بنى على الفتح كبعلبك لما سمع المشركون قوله تعالى وان الدين لواقع سألوا فقالوا يا محمد ايان يوم الجزآء اى يوم القيامة قالوا ذلك تكذيبا منهم واستهزاء فلذلك لم يذكر جواب هذا الاستفهام لانه ليس لطلب الجواب وقوله تعالى يوم هم على النار يفتنون ليس جوابا له حقيقة حيث لم يتعين به ان المسئول عنه متى يقع لان جهلهم باليوم الثانى اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بما هو اخفى من السؤال بل جيئ به على صورة الجواب تهديدا لهم وتحقيرا (قوله اى وقوعه) لما كان ايان يوم الدين جملة ظرفية وكان يوم الدين مبتدأ وايان خبره وورد ان يقال ان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الزمان كما لا يقع خبرا عن الجثة فلا يقال زيد يوم الجمعة فكيف وقع ايان ظرفا لليوم والحين لا يقع ظرفا للزمان وانما يقع ظرفا للحدث فلا يقال يوم كذا فى زمان كذا أشار المصنف الى جوابه بقوله اى وقوعه وتقريره انهم لم يسألوا بايان عن نفس زمان الجزآء فى اى زمان هو بل مرادهم زمان وقوع الجزآء متى هو فجعلوا الزمان ظرفا للحدث الذى هو الوقوع لا لنفس الزمان حتى يقال كيف يقع الزمان ظرفا للزمان فان عاد السائل وقال كما لا يجوز ان يكون الزمان ظرفا لنفس الزمان فكذا لا يجوز ان يكون ظرفا لوقوعه ايضا فلا يقال زمان جلوس زيد واقع فى يوم كذا او فى وقت كذا كما لا يقال يوم كذا فى وقت كذا يجاب عنه بان الزمان لما كان ظرفا للزمانيات المتجددة وكانت الحقيقة المتعينة من مطلق الزمان باضافتها الى الحدث المتجدد منزلة منزلة ما اضيفت هى اليه من الحدث فى تجدده جاز ان يجعل الزمان ظرفا لتلك الحقيقة فيقال وقوع يوم الجزاء فى اى زمان هو وكما يقال جلوس زيد اى وقت هو ومن هذا القبيل قولهم يوم العيد او النيروز واقع فى فصل كذا فى سنة كذا كما يقال الجزء فى الكل وهذا جواب تحقيقى فلو اجيب به من اول الامر لصح وكان اقصر للكلام عن اعادة السؤال (قوله اى يقع يوم هم) اشارة الى ان يوم منصوب على انه ظرف لعامل مضمر دل عليه كون السؤال عن زمان وقوعه وان حركته حركة اعراب (قوله اوهو يوم هم) اشارة الى انه فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وان حركته حركة بناء وانما بنى لاضافته الى الجملة التى لا يظهر فيها

ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اى يصدر تناهيهم عنهما و بسببهما وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس عنه وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما امروا به (يسألون ايان يوم الدين) اى فيقولون متى يوم الجزآء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون اوهو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع

الاعراب فان الكوفيين يجوزون بناء الظرف وان اضيف الى الفعل المضارع او الجملة الاسمية وعند البصريين لايبنى الا ما اضيف الى فعل ماض كقوله على حين عاتبت وفسر يفتنون بقوله يحرقون لانه يقال فتنه بالنار اذا احرقه الجوهرى الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون ويقال فتنت الذهب والفضة بالنار اذا اذبتهما بالنار وعدى بعلى لتضمنه معنى يعرضون وقوله تعالى ذوقوا فتنتكم فى موضع النصب على انه حال من ضمير يفتنون وقوله جواب للسؤال اى جواب على منوال سؤالهم فكما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجابوا جواب معلم مبين لان جهلهم باليوم الذى يحرقون فيه بالنار اقوى من جهلهم بيوم الدين وما هو اخفى من المسؤل عنه كيف يصح ان يكون جوابا عنه فانهم لما قصد وانما ذكروه فى صورة الاستفهام الاستهزآء بما اوعدوا به قوبلوا بما هو فى صورة الجزآء اهانة لهم وتحقيرا (قوله هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون) يعنى ان قوله فتنتكم بمعنى عذابكم وان قوله هذا اشارة الى الفتنة لكونها بمعنى العذاب وان قوله هذا الذى كنتم به جملة اسمية ثم جوزان يكون هذا فى محل النصب على انه بدل من فتنتكم لكونه بمعنى عذابكم والمعنى ذوقوا هذا العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم فأتنا بما تعدنا ونظائره وقوله ايان يوم الدين من قبيل الاستعجال بصريح القول ويحتمل ان يكون المراد بالاستعجال الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة ثم انه تعالى لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال ان المتقين فى جنات وعيون وقدم ان المتقى فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك والثانية التجنب عن كل ما يؤثم والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وما من متق الا ويدخل الجنة وينعم بنعيمها (قوله تعالى آخذين) حال من المنوى فى جنات ولما كان الاخذ عبارة عن القبول عن قصد ورغبة فسره بالقبول مع الرضى (قوله اى يهجعون فى طائفة من الليل) ولم يصرح بقيد القلة اكتفاء عنه بتنوين طائفة فانه للتقليل فعلى تقدير كون ما مزيدة يكون قوله يهجعون خبر كانوا ويكون قليلا منصوبا على الظرفية كما فى قولك قام كل الليل او بعضه او قليله ويكون من الليل صفة قليلا اى يهجعون فى طائفة قليلة كائنة من الليل وان جعلت ما مصدرية يكون المصدر الذى اول به الفعل مرفوعا على انه بدل من اسم كان وهو الواو بدل الاشتمال ويكون قليلا منصوبا على الظرفية اى كانوا فى قليل من الليل هجوعهم وان كانت موصولة يكون بدلا ايضا من ضمير كانوا ويكون من الليل حالا من الموصول مقدما عليه ويكون قليلا خبر كان اى كان المقدار الذى يهجعون فيه قليلا حال كون ذلك المقدار من الليل ويجوز ان تكون ما الموصولة فاعل قليلا كأنه قيل قد قل المقدار الذى يهجعون فيه كائنا ذلك المقدار من الليل (قوله ولا يجوز ان تكون نافية) رد لمن جعل قليلا خبر كان واتم الكلام به على معنى كانوا من الناس قليلا كقوله وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور ثم ابتدأ بقوله ما يهجعون اى ما يهجعون من الليل ولا ينامون فى الليل اصلا ووجه الرد ان ما النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يبقى لقوله من الليل ما يتعلق به (قوله والليل الذى هو وقت السبات) وصف الليل به للاشارة الى وجه المبالغة فى ذكر الليل فانه اذا قلت استراحتهم فى وقت الاستراحة تكون استراحتهم فى غاية القلة لا النهار لبس وقتالها وفى الصحاح الغرار النوم القليل والهجعة النومة القليلة وكلمة ما زائدة لتأكيد مضمون الجملة التى زيدت هى فيها وهى هنا زيدت فى الجملة اخبر بها عن قلة هجوعهم فهى تؤكد تلك القلة وتحققها فى مادتها فتكون من طرق المبالغة فى تقليل نومهم (قوله وفى بناء الفعل على الضمير اشعار) وجه الاشعار ان تقديم الضمير وجعل الفعل خبرا عنه يفيد حصر الكلام اى هم الكاملون فى الاستغفار دون غيرهم وذلك انما يكون لوفور علمهم بالله وكمال خشيتهم منه واستغفارهم اما قولى او فعلى بان يأتوا بعبادة تؤدى الى المغفرة (قوله يستوجبونه على انفسهم) اى يعدونه حقا واجبا عليهم ويشبهونه به فى صدق عزمتهم على ايصاله لهم كما يقال يستكثرونه لما يعدونه كثيرا والمقصود من توصيف الحق بذلك دفع ما يقال كيف يمدح المرء بان يثبت فى ماله حق للفقرآء اى نصيب اوجبه الله عليه فى ماله فان اغنياء المسلمين كلهم كذلك حيث اوجب الله تعالى عليهم الزكاة والعشر ونحوهما بل وعلى الكافر ايضا ان قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام اذ فى ماله حق معلوم للفقرآء غير انه اذا اسلم سقط عنه فان مات عوقب على تركه الاداء فكيف يكون ذلك صفة مدح لهم ووجه الدفع ان ليس المراد بالحق ما اوجبه الله تعالى عليهم فى اموالهم بل المراد ما يؤثرون به

(ذوقوا فتنتكم) اى مقولا لهم هذا القول (هذا الذى كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته (ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم ربهم حسن مرضى متلقى بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما (وبالاسحار هم يستغفرون) اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا أسحروا اخذوا فى الاستغفار كأنهم اسلفوا فى ليلهم الجرآئم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه (وفى اموالهم حق) نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس

الفقرآء على انفسهم مع احتياجهم اليه شفقة على خلق الله تعالى ورغبة فيما عند الله من الاجر الباقى كانهم يوجبون ذلك على انفسهم ويجعلونه حقا ثابتا فى مالهم (قوله للمستجدى) اى الطالب الجدوى وهو العطاء والمتعفف الفقير الذى يكف نفسه عن المسئلة ويتكلفه يقال عف عن الحرام يعف اى كف نفسه عنه (قوله اى فيها دلائل اووجوه دلالات) يعنى ان الآية يجوز ان تكون بمعنى الدليل وان تكون بمعنى الدلالة فعلى الاول يكون المعنى ان الارض فيها دلائل دالة على قدرة الله تعالى وحكمته وتدبيره ووحدانيته وهى المعادن والحيوانات والجبال والانهار والبحار وانواع النبات وغير ذلك وعلى الثانى ان الارض دليل واحد فيها وجوه دلالات على ما ذكر وقوله تعالى آيات مبتدأ وفى الارض خبره قدم عليه وقوله وفى انفسكم عطف على فى الارض والمبتدأ محذوف اى وفى انفسكم آيات فالضمير المنوى فى انفسكم كالمنوى فى خبر المبتدأ وان رفعت آيات على انها فاعل قوله فى الارض على ما ذهب اليه الاخفش فانه يجوز اعمال الظرف وان لم يعتمد كان الضمير فى قوله وفى انفسكم كالضمير فى الفعل فى نحو قولك قام زيد وقعد اوقائم زيد وقعد والآيات الثابتة فى الانفس ايضا اما بمعنى الدليل اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته او بمعنى وجوه الدلالات من الهيئات النافعة والمناظر البهية (قوله اسباب رزقكم) من الشمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب الذى يترتب عليه اختلاف الفصول التى هى مبادى حصول الارزاق فعلى هذا تكون السماء بمعنى القبة الخضرآء (قوله اوتقديره) فان الارزاق كلها مقدرة من السماء ولولا السماء لما حصل فى الارض حبة قوت بين الله تعالى قدرته التامة ليستدل بها على قدرته على البعث ورتب الآيات الثلاث ترتيبا حسنا فان الانسان لابد له من امور تسبقه فى الوجود ومن امور تقارنه فى الوجود ومن امور تلحقه بعد وجوده فالارض التى هى المكان لابد من سبقها ليوجد الانسان فيها فبدأ بذكرها فقال وفى الارض آيات ثم ذكر من الآيات ما يقارنه فى الوجود من الاجزآء والاعراض فقال وفى انفسكم ثم ذكر ما يلحقه بعد وجوده ويحتاج اليه فى بقائه فقال وفى السماء رزقكم وما توعدون من الخير والشر فان الثواب والعقاب والخير والشر كل ذلك مكتوب فى اللوح وهو فى السماء وكتب فيه من للجنة ومن للنار فالمعنى ان ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كل ذلك مقدر مكتوب فى اللوح وهو فى السماء (قوله اى مثل نطقكم) وهم ان ما فى مثل ما انكم مصدرية وليست كذلك لانها انما تكون مصدرية اذا وقع بعدها فعل ليكون معها فى تأويل المصدر ولا فعل معها ههنا بل هى مزيدة للتأكيد وانكم تنطقون بعدها فى محل الجر لاضافة مثل اليها وان مع ما فى حيزها فى تأويل المفرد لوقوعها موقع المفرد والمصنف اشار اليه بقوله اى مثل نطقكم شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه فى صدقه وتحققه كالشئ الذى تعرفه فان قيل الفاء تستدعى كون ما بعدها واقعا عقب امر متقدم عليها كالامر المتقدم فى قوله تعالى فورب السماء اجيب عنه اولا بان الامر المتقدم ههنا هى الآيات المذكورة كأنه قيل ان ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين وثانيا بان الامر المتقدم هو القسم المذكور بقوله والذاريات فالفاء ههنا هى الفاء العاطفة لوقوع الفصل بين القسمين اقسم اولا بالمخلوقات وههنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلى (قوله ونصبه على الحال) يعنى ان نصبه اما على انه حال من الضمير فى لحق واما على انه صفة مصدر محذوف وقيل ان حركته حركة بناء فى محل الرفع على انه صفة لحق وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما بنيت غير لذلك فى قوله

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت * حمامة فى غصون ذات اوقال

فان غير ههنا فى محل الرفع على انه فاعل لم يمنع مبنية على الفتح لاضافتها الى ان نطقت ونحو لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بالفتح وقيل سبب بنائه مثل تركبه مع ما وما حرف فخرج عن كونه محل الاعراب بالتركيب فبنى لذلك (قوله وهو ما ان كانت بمعنى شئ) يجوز فى ما امرين كونها زآئدة للتأكيد وكونها نكرة موصوفة وفى الثانى نظر لعدم كون الوصف المذكور ههنا فان قال هو محذوف والتقدير مثل شئ حق اعنى انكم تنطقون اوهو انكم تنطقون على ان يكون انكم تنطقون فى موضع النصب باعنى اوفى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قلنا الاصل عدم الحذف فلا يصار اليه من غير ضرورة وايضا قد نصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها فالوجه ان تكون ما زائدة للتأكيد ويكون انكم تنطقون فى موضع الجر بالاضافة (قوله على انه صفة لحق) فان قيل كيف يصح ان يجعل مثل صفة للنكرة مع انه معرفة بالاضافة الى المعرفة تقديرا لانه فى تقدير مثل نطقكم قلنا كلمة مثل اتوغلها

(السائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى انفسكم) اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (افلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) اسباب رزقكم اوتقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة اولان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق) وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد (مثل ما انكم تنطقون) اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى الحق اوالوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع

في الابهام لاتتعرف بالاضافة الى المعرفة فصح وقوعها صفة للنكرة مع كونها مضافة الى المعرفة كما هو كذلك في قراءة من قرأ مثل ما انكم برفع مثل فانه صفة لحق وما مزيدة ويجوز ان يكون ارتفاعه على انه خبر ثان مستقل كالاول او على انه مع ما قبله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض نقلهما ابو البقاء وعن الاصمعي انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات ذروا فلما بلغت قوله تعالى وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف الي بصوت ضعيف رقيق فالتفت فاذا انا باعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأني السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال فهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف ولم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه كذا في الكشاف (قوله فيه تفخيم لشأن الحديث) حيث قرر اتيانه بالاجمال ثم فصله بقوله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما الى آخر القصة فان هل اتاك استفهام معناه التقريب والتعجب والتشويق الى سماعه كما ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى في ص هل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وهذا الاسلوب انما يختار اذا كان الحديث الآتي مما له فخامة وشأن عجيب (قوله وتنبيه على انه اوحي اليه) اي على انه ليس مما علمه بنفسه بل انما عرفه بان اوحي اليه فهو صادق في دعوى الرسالة حيث يخبر عن الامور الماضية كما وقعت من غير مطالعة كتب التواريخ ولا مصاحبة اصحابها فلا سبيل للاخبار عنها الا انه اوحي اليه ذلك فيكون كل ما اخبر به من امر البعث وغيره حقا مطابقا للواقع لان صاحب الوحي لا ينطق عن الهوى فيكون اتيان ذلك الحديث اليه عليه الصلاة والسلام واخباره به من جملة الآيات الدالة على حقية البعث فعلم من هذا التقرير وجه ارتباط الآية بما قبلها كأنه قيل أفلا ينظر اصحاب القول المختلف الى ما يدل على صدقه عليه السلام في دعوى الرسالة فيؤمنوا به وبحقية جميع ما جاء به عن ربه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايعاد لمكذبيه حيث بين فيه انه عليه الصلاة والسلام ليس اول من خانه قومه من الانبياء وبين فيه ايضا هلاك قوم لوط بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام وقال الامام النسفي وجه انتظام هذه الآية بما قبلها ان ايراد قصة الخليل ولوط عليهما السلام لكونها توطئة لما ذكر في آخر القصة من قوله وتركنا فيها آية كأنه قيل من الآيات الواقعة في الارض ما بقي من آثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم ومخالفة نبيهم (قوله ظرف للحديث) كما ذكره بعض الادباء من ان نحو القصة والنبأ والحديث والخبر يجوز اعمالها في الظرف خاصة وان لم ترد بمعنى المصدر كما في هذه الآية وفي قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب والسر في جواز اعمالها مع انها ليست بمعنى المصدر تضمن معانيها الحصول والكون وقوله او للضيف لانه في الاصل مصدر ضافه اي نزل به ضيفا ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد او للمكرمين اذا فسر بانهم مكرمون عند ابراهيم كأنه قيل اكرموا اذ دخلوا عليه ولا يجوز انتصابه باتاك لاختلاف الزمانين (قوله اي نسلم عليكم سلاما) يعني ان مبنى النصب كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف ومبنى الرفع كونه مبتدأ حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالتقدم والسلم بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام (قوله وقرئ منصوبا) اي وقرئ فقالوا سلاما قال سلما كما قرئ قال سلاما (قوله اي انتم قوم منكرون) اي قوم لانعرفكم يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واحد وانما قال لهم ذلك لانه رأى لهم حالا وشكلا على خلاف حال الناس وشكلهم فدل ذلك على انهم ليسوا من قومه فقال لهم ذلك اولانه عليه السلام كان بين اظهر قوم كافرين لا يحيي بعضهم بعضا بما هو علم الاسلام فلما سمع منهم مالم يسمعه من اهل زمانه نكرهم فقال لهم ذلك ويجوز ان يكون هذا منه تعرفا عن حالهم كأنه قال انتم قوم لانعرفكم من انتم وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال في نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم فان قيل قال تعالى في سورة هود فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل ذلك على ان انكاره عليه السلام حصل بعد تقريب العجل اليهم وقال ههنا فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام اليهم كان بعد حصول انكاره فاوجه التوفيق فالجواب ان الانكار الذي كان قبل تقريب العجل غير الانكار الحاصل بعده فان الانكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بانهم من اي بلدة ومن اي قوم والانكار الحاصل بعده

(هل اتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف (المكرمين) اي مكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث او الضيف او المكرمين (فقالوا سلاما) اي نسلم عليكم سلاما (قال سلام) اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنوا آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم (فراغ الى اهله) فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا (فجاء بعجل سمين) لانه كان عامة ماله البقر (فقربه اليهم) بان وضعه بين ايديهم

بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه بقصد الخير اوالشر فان من امتنع من تناول طعام اهل البيت يخاف من شره ولم يؤمن من ضرره فان عادة من يجيئ للشر والضرران لايتناول من طعام من يريد اضراره (قوله اى منه) لان المقصود ليس عرض جنس الاكل والحث عليه بل المقصود عرض الاكل مما قربه اليهم فلما كان منه مقدرا كان فيه اشعار بكون العجل حنيذا اى مشويا كما صرح به فى موضع آخر فقال بعجل حنيذ (قوله فقام يدرج) اى يمشى ويمضى لسبيله يقال درج دروجا اى مشى ودرج اى مضى لسبيله (قوله الى بيتها) لما تكلموا فى زوجها بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال الى البيت ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة (قوله تعالى فى صرة) حال من فاعل اى اقبلت كائنة فى صرة وقيل لم يكن هناك اقبال من مكان الى مكان بل اقبلت ههنا بمعنى اخذت وجلست يقال اقبل يفعل كذا بمعنى اخذ يفعل كذا فعلى هذا يكون فى صرة فى محل النصب على انه خبر فعل المقاربة وسماه المصنف مفعولا تشبيها بالمفعول وقدمر فى سورة الحجرات ان افعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل كان والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صرا اذا صوت ومنه صرير الباب والقلم والصرة ايضا الجماعة وبها فسرها بعضهم اى فاقبلت فى جماعة من النساء كن عندها وهى واقفة متهيئة للخدمة واختلف فى حقيقة الصك فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهى عادة النساء اذا انكرن شيأ والصك فى الاصل ضرب الشئ بالشئ العريض والعاقر المرأة التى لاتحبل ويوصف به الرجل ايضا اذا لم يولد له والعقيم بمعناه وكانت سارة عقيما لم تلد قط فلما لم تلد فى صغرها وعنفوان شبابها ثم كبر سنها وبلغت سن اليأس استبعدت ذلك وتعجبت فقالت عجوز عقيم اى انا عجوز ومع ذلك كنت فى الشباب عقيما فكيف ألد وكانت يومئذ بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يومئذ ابن تسع وتسعين سنة وقيل لما تعجبت قال لها جبريل عليه السلام انظرى الى سقف بيتك فنظرت وكانت جذوعه من النخل اليابسة فاذا هى مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من امر الله ومثل هذا يكون بامر الله تعالى (قوله مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك) يعنى ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انه صفة لمصدر قال ربك اى لاتستبعدى مابشرنا به فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به وهو العليم القدير (قوله سال عنه) اى عن الامر العظيم الذى كان سببا لنزولهم مجتمعين فان الخطب انما يستعمل فى الامر العظيم والفاء فيه للتعقيب اى بعد ما علمت انكم ملائكة وان الملائكة لاينزلون الا لامر عظيم لانهم عباد مكرمون عند الله تعالى فلا يرسلهم الا لامر عظيم فاذلك الامر وقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة استدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط وقوله مسومة منصوب على انه صفة حجارة اوعلى انه حال من المنوى فى قوله من طين اومن حجارة وحسن ذلك لكون النكرة موصوفة بالجار والمجرور بعدها اى حال كونها مرسلة من خزانة الله تعالى اومعلمة قيل مكتوب على كل حجر منها اسم صاحبه وقوله عند ربك ظرف لمسومة واللام فى المسرفين لتعريف العهد اى مسومة لهؤلاء المسرفين لا لكل مسرف فيكون من وضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علة اعدادها لهم واسرافهم فاحشتهم التى قال تعالى فى حقها ما سبقكم بها من احد من العالمين (قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها) اى بان كنا سببا لخروجهم حيث قلنا له عليه الصلاة والسلام فأسر باهلك بقطع من الليل وفيه دليل على انه ببركة المحسن ينجو المسيئ فان القرية مادام فيها المؤمنون لم تهلك (قوله غير اهل بيت) يعنى لوطا وبنيه ولما وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا استدل به على اتحادهما وهو ضعيف لان صدق الناطق والضاحك مثلا على الانسان لايدل على اتحاد مفهومهما لكن يدل على انهما صفتا مدح والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق مطلقا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين اى بمصدق فيما حدثنا وفى الشرع عبارة عن التصديق الخاص وهو تصديق الرسول فى جميع ما علم مجيئه به ضرورة اى فى جميع ما علم كونه من الدين ضرورة وهو فعل القلب واما افعال الجوارح فهى فروع الايمان وثمراته اللازمة له المتفرعة عليه فالايمان يستتبع الاسلام الذى هو فعل الجوارح فكل مؤمن مسلم من غير عكس فان المنافق مسلم وليس بمؤمن قال تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فظهر ان المسلم اعم من المؤمن واطلاق العام على الخاص لايدل على اتحاد مفهومهما (قوله وتركنا فيها) اى فى قرى قوم لوط معطوف على قوله فاخرجنا من كان فيها اى فاخرجناهم منها ثم اهلكناها وما ابقينا منها الا آية اى علامة تدل على انا اهلكناها واختلف فى ان الآية ماهى فقيل هى ماء اسود منتن انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل هى

(قال ألا تأكلون) اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ماوضعه وللانكار ان قاله حيثما رأى اعراضهم (فاوجس منهم خيفة) فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا لاتخف) انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق صلى الله عليه وسلم (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فاقبلت امرأته) سارة رضى الله عنها الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال اوالمفعول ان اول اقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) اى انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى بشرنا به (قال ربك) وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم ايها المرسلون) لما علم انهم ملائكة عليه وعليهم السلام وانهم لاينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين متحجر (مسومة) مرسلة من اسمت الماشية اومعلمة من السومة وهى العلامة (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور (فاخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لايقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لايقتضى اتحاد مفهومهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة

مافيها من الحجارة الملقاة المنضودة التى رجموا بها وقيل الآية نفس القرية وجعل اعلاها اسفلها قال السدى ومقاتل كانوا اربعمائة الف فادخل جبريل عليه الصلاة والسلام جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها حتى سمع اهل السماء صوتهم ثم قلبها ثم ارسل عليها الحجارة ثم تبعت الحجارة شرادهم ومسافريهم واصبح ابراهيم عليه الصلاة والسلام جالسا فى مسجده فرأى الدخان ساطعا وبين ابراهيم وبينهم اربعة فراسخ فلما رأى الدخان علم ان العذاب نزل بهم (قوله فانهم المعتبرون بها) علة لتخصيص الخائفين بكون تلك الآية عبرة لهم فان تلك الاية تدل على انه تعالى اهلك اهلها بشؤم كفرهم ومعصيتهم فيخافون مثل عذابهم فيجتنبون عما هو سبب لهلاكهم (قوله اووتركنا فيها) الظاهر ان يقال اوعلى قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور وقد تقرر فى النحو انه اذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت بك وبزيد الا ان عطفه على ضمير فيها لما استلزم كون الجار الثانى متعلقا بتركنا به عليه زيادة تركنا فقال اووتركنا فيها الا ان المتعلق فى الحقيقة هو الجعل المحذوف المدلول عليه بقوله وتركنا لان الترك بمعنى الجعل (قوله كقوله علفتها تبنا وماء باردا) اوله * لما حططت الرحل عنها واردا قوله واردا حال من فاعل حططت والمعنى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا حذف المعطوف وابقى العاطف اعتمادا على دلالة مايدل عليه لان الماء لايكون معلوفا بل هو مشروب وكذا قوله فى موسى لايصح ان يتعلق بتركنا اذ لايستقيم ان يقال تركنا فى موسى كما يصح ان يقال تركنا فى قرى قوم لوط آية لان ترك الشئ فى الشئ ينبئ عن ابقائه فيه وهو يستلزم بقاء الشئ الثانى فاذا لم يبق موسى فكيف يبقى ماترك فيه فيجب ان يكون المعنى وجعلنا فى موسى اى فى قصته وارساله الى فرعون وانجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية وهذه الآية تدل على ان من خالف الرسول لايفلح ابدا فكيف تجترئون على مخالفة نبيكم وتدل ايضا على كمال علمه تعالى وقدرته وتدبيره فى خلقه على ماتقتضيه الحكمة فكيف لاتنظرون نظر من يعتبر فتعرفون قدرته على البعث ومافيه من الحكمة واذ ظرف لجعلنا المقدر على الوجه الثانى اوللآيات المقدرة على الوجه الاول اى وفى موسى آيات كافية للاعتبار فى وقت ارسالنا اياه (قوله فاعرض عن الايمان به) بيان لحاصل المعنى لان التولى بمعنى الاعراض والركن بمعنى الطرف والجانب والمراد به نفسه فانه كثيرا مايعبر بطرف الشئ وجانبه عن نفسه والباء فى بركنه للتعدية كما فى قوله تعالى ونأى بجانبه فانها معدية لنأى بمعنى بعد وفى الوجه الثانى يكون الركن مستعارا لجنوده تشبيها لهم بركن البناء من حيث ان كل واحد منهما يعتمد عليه ويتقوى به فعلى هذا تكون الباء للسببية او للمصاحبة اى فاعرض بسبب من كان يتقوى بهم من جنوده فى ملكه اوفاعرض ومعه اركان ملكه (قوله كانه جعل ماظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن) مبنى على ان يكون ماظهر من يد الساحر ايضا من آثار الجن وافعالهم كما ان ماظهر من يد المجنون كذلك والفرق بينهما ان الساحر يقصد الجن ويأتيهم باختياره بخلاف المجنون فان الجن يأتونه من غير مشيئته واختياره وقيل كلمة او ههنا بمعنى الواو لانه قالهما جميعا قال تعالى حكاية عنه ان هذا لساحر عليم وقال فى موضع آخر ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (قوله تعالى وفى عاد) اى وفى قوم هود آيات ان كان معطوفا على قوله وفى الارض اووجعلنا هم آية ان كان معطوفا على قوله وتركنا فيها وكذا قوله وفى ثمود قوم صالح فانه ايضا على احد هذين الوجهين (قوله سماها عقيما) يعنى ان العقيم هى المرأة التى لاتلد وسمى الريح التى لاتنشئ سحابا ممطرا ولاتنبت نباتا ولاتلقح شجرا عقيما اما لكونها سببا فى هلاك من ارسلت هى عليهم فيكون تسميتها به من قبيل توصيف السبب بوصف المسبب اولتشبيهها بالمرأة العقيمة من حيث انها لاتنتج فائدة (قوله وهى الدبور) يعنى اختلف فى الريح العقيم التى ارسلت عليهم فقال ابن عباس رضى الله عنهما هى الدبور وقال على رضى الله عنه هى النكباء وقال سعيد بن المسيب هى الجنوب والاول اصح لقوله عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والرياح اربع الدبور والصبا والجنوب والشمال فالدبور ماتهب من جانب المغرب والصبا ماتهب من جانب المشرق والجنوب ماتهب عن يمين من يتوجه الى المشرق والشمال ماتهب من جانب يساره والنكباء اسم مشترك يطلق على كل ريح تهب مما بين هذه الرياح الاربع سميت نكباء لكونها ناكبة اى عادلة مائلة عن مهاب اصول الرياح والنكباء ايضا اربع فنكباء الصبا والجنوب تسمى الازيب ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية وتسمى النكيباء ايضا وهو من قبيل التصغير على قصد التكثير لانهم يستبردونها جدا ونكباء الشمال والدبور قرة اى باردة وتسمى الجربياء ونكباء الجنوب والدبور حارة تسمى الهيف قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت الريح

(للذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار اوصخر منضود فيها اوماء اسود منتن (وفى موسى) عطف على وفى الارض اووتركنا فيها على معنى وجعلنا وفى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا (اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو معجزاته كاليد والعصا (فتولى بركنه) فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه اوفتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لمايركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف (وقال ساحر) اى هو ساحر (اومجنون) كأنه جعل ماظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه اوبغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) فاغرقناهم فى البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فاخذناه (وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم) سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم اولانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور اوالجنوب اوالنكباء (ما تذر من شئ اتت عليه) مرت عليه (الا جعلته كالرميم) كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت

تحمل العير والشاة والعبد والامة فتلقيه بالوادي ولم تضر غريبا ليس منهم وكانت العمالقة تجيء الوادي تنظر اليهم فلم تضرهم شيئا (**قوله** تفسيره قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام) يعني ان المراد من الحين المذكور في هذه الآية هذه المدة التي امهلهم الله تعالى فيها بعد ما عقروا الناقة وهي ثلاثة ايام وقد تغيرت ألوانهم في تلك المدة فاصفرت في اليوم الاول واحمرت في الثاني واسودت في الثالث وقيل هذا ضعيف لان قوله فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعد ماقيل لهم تمتعوا حتى حين فلو كان معنى هذا القول تمتعوا الى انقضاء ثلاثة ايام وعند انقضائها تأخذكم الصاعقة التي هي الهلاك بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام بسبب استكباركم عن امتثال امر ربكم وهو قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فان سنة الله تعالى قد جرت على ان لا يمهل قوما اصروا على الكفر بعد ظهور مااقترحوه من المعجزة وقد خرجت الناقة من الصخرة الصماء بسبب اقتراحهم اياها فلما لم يؤمنوا بعد ما عاينوا خروجها منها وجبت عليهم العقوبة العاجلة فقيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فكيف يصح ان يحكى عنهم انهم عتوا عن امر ربهم بعد ماقيل لهم ذلك بل الظاهر ان يفسر الحين بمنتهى الاجل المقدر للناس وان يكون المعنى تمتعوا حتى حين بشرط امتثالكم ماامركم الله تعالى به وهو ان لا تمسوها بسوء وان تتركوها على حالها ولا تزاحموها في شربها ومرعاها فانكم ان امتثلتم هذا الامر تمتعتم وعشتم زمانا مديدا على حسب ماقدر الله تعالى من الآجال والا يأخذكم عذاب اليم وعقاب عاجل فعقروها وعتوا عن امر ربهم فعجلت عقوبتهم قال الامام ابو الليث في تفسير قوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني قال نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام عيشوا الى منتهى آجالكم ولا تعصوا امر الله تعالى فعتوا عن امر ربهم يعني تركوا طاعة ربهم فاخذتهم صيحة العذاب وهذا التضعيف والاشكال انما يرد ان لو جعل قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم معطوفا على مجرد قوله قيل لهم تمتعوا واما اذا جعل تفسيرا وتفصيلا لما اجمل في قوله وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين من قصة اهلاكهم فلا ضعف ولا اشكال فان تقدير قوله تعالى وفي ثمود وفي اهلاك ثمود ايضا آية وقوله فعتوا عن امر ربهم تفسير لقصة اهلاكهم وتفصيل لها كالفاء التي في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي فانه قدمر مرارا ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها في الذكر لا ان مضمون مابعدها مرتب على مضمون ماقبلها في الزمان فان ذكر تفصيل المجمل انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي (**قوله** فاستكبروا عن امتثاله) اشارة الى وجه تعديته فعل العتو بكلمة عن مع انه قد عدي بكلمة على في قوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وحاصله ان فيه معنى الاستكبار فعدي تعديته قال تعالى لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبر علينا (**قوله** اي العذاب) الصاعقة في اللغة نار تسقط من السماء في رعد شديد استعيرت هنا لصيحة العذاب اي للعذاب المهلك من اي نوع كان والصعقة الغشية والموت يقال صعق الرجل صعقة اي غشي عليه وقال تعالى فصعق من في السموات اي مات قيل المراد بها ههنا الموت بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام (**قوله** وهم ينظرون) حال من مفعول اخذتهم وفائدة التقييد بها بيان عدم قدرتهم على دفعها ويجوز ان يكون النظر بمعنى الانتظار فالمعنى ان العذاب اتاهم لا على غفلة بل انذروا من قبل ثلاثة ايام وانتظروه ولم يؤخذوا على غفلة اخذ العاجز المحتال (**قوله** كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين) اي لاصقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب من العذاب وهذه الآية نزلت في قصة ثمود ايضا فلذلك استدل بها على ان المراد بالقيام ضد الجثوم وهو التلبد بالمكان واللصوق به يقال جثم الطائر بالارض اذا تلبد بها ولصق وعلى الثاني يكون القيام من قولهم قام بالامر اذا قوي عليه واقامه ولم يعجز عنه قال قتادة وجماعة في تفسيره ماقدروا ان يقوموا بعذاب الله فيدفعوه عن انفسهم (**قوله** اي واهلكنا قوم نوح) يعني ان قوم منصوب بعامل مضمر يدل عليه ماقبله لان ماقبله يدل على الاهلاك (**قوله** ويؤيده) اي ويؤيد كون وجه انتصاب قوم معطوفا على محل في عاد قراءة من قرأ وقوم بالجر عطفا على المجرور قبله من قوله وفي عاد وفي ثمود ذكر الله تعالى ست حكايات كل واحدة منها مشتملة على آية دالة على وجود الصانع وكمال قدرته ثلاث منها تدل عليه من حيث دلالتها على سعة رحمته واحسانه لاوليائه وهي حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته بان

(وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام (فعتوا عن امر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) اي واهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان

(والسماء بنيناها بايد) بقوة (واناالموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق اولموسعون السماء او ماينها وبين الارض اوالرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة (انى لكم منه) اى من عذابه المعد لمن اشرك اوعصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات اومبين مايجب ان يحذر عنه (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) افراد لاعظم مايجب ان يفر منه (انى لكم منه نذير مبين) تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان و الطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا اومجنونا وقوله (ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر اومجنون) كالتفسيرله ولايجوز نصبه بأتى او بما يفسره لان مابعد ما النافية لايعمل فيما قبلها (أتوا صوابه) اى كأن الاولين و الاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد (فما انت بملوم) على الاعراض بعد مابذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولاتدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه اومن آمن فانها تزداده بصيرة (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيابها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس

يولدله ولد من عجوز عقيم وحكاية قرى قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى عليه السلام فان المذكور من حكايته ههنا وان كان اهلاك المعاندين لكن المقصود منها انجاء المؤمنين كما قال تعالى ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين من فرعون والثلاث الاخيرة تدل عليه من حيث كونها مسوقة لاهلاك المعاندين وهم عاد وثمود وقوم نوح فلذلك لم يقل وفى هود وفى صالح وفى نوح بل اقتصر على ذكر المهلكين ولما فرغ من ذكر الحكايات الست شرع فى بيان سائر مايدل على كمال قدرته من الآيات فقال والسماء بنيناها بأيد والعامة على نصب السماء على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها والتقدير بنينا السماء بنيناها والايد والآد القوة يقال آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد وقوى فهو ايد اى قوى وقوله وانا الموسعون معناه وانا القادرون على خلقها وخلق ماهو ارفع منها واعظم وخصت السماء بالذكر لانه لاشئ اعظم منها مما نشاهده وقيل معناه وانا الموسعون ما اردنا اتساعه كما جعلنا السماء واسعة ولما استدل على وجوده وكمال قدرته ببناء السماء وفرش الارض استدل عليها بما بينهما فقال ومن كل شئ خلقنا زوجين اى من كل جنس خلقنا نوعين كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت والحياة والذكر والانثى والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الى غير ذلك من انواع الجواهر والاعراض وكل نوعين منها زوج لايستغنى احدهما عن الآخر ولا تتم المصلحة الا بالمجموع ثم قال فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان يتذكروا فيعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وانه تعالى فرد واحد بالذات لايقبل التعدد والانقسام فتعرفوه بالوحدانية وتخصصوه بالعبادة والفاء فى قوله تعالى ففروا الى الله للدلالة على سببية ماذكر فى الآية السابقة لما ذكر بعدها اى فاذا علمتم ان الله تعالى فرد لانظير له ففروا اليه ووحدوه ولاتشركوا به شيئا فى طاعته وعبادته وهو قوله ولاتجعلوا مع الله الها آخر اى لاتجعلوا مع المعبود بالحق معبودا آخر (**قوله اوالاول مرتب**) يعنى انه لاتكرير فيه بناء على ان الاول تعليل للامر والثانى تعليل للنهى فانه تعالى امر اولا بالفرار اليه بالايمان والطاعة وعقبه بقوله انى لكم منه نذير مبين تأكيدا للائتمار بالامر المذكور ثم نهى عن الشرك وعقبه ايضا كذلك تأكيدا للانتهاء عما نهى عنه (**قوله اى الامر مثل ذلك**) يعنى ان محل الكاف الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والمعنى امر كل قوم بالنسبة الى رسولهم مثل امر كفار مكة معك من حيث ان الرسل قبلك كذبوا كما كذبت وقيل فيهم اقوال مختلفة كما قيل فيك فلا تأس على تكذيب قومك اياك ثم فسر ما اجمله بقوله كذلك فقال ما اتى الذين من قبلهم (**قوله ولايجوز نصبه بأتى**) بأن يكون صفة لمصدره المحذوف اى ما اتاهم من رسول اتيانا مثل اتيانك قريشا الا قالوا او بما يفسره وهو قوله الا قالوا ساحر بأن يكون التقدير الا قالوا قولا مثل قولك لان هناك مانعا لفظيا وهو ان مابعد ما النافية لايعمل فيما قبلها والاستفهام فى قوله تعالى أتواصوا به للتعجيب والتوبيخ والضمير فى به يرجع الى القول المدلول عليه بقالوا قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بناء على ظن ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تنفع من علم الله انه يؤمن وقال الكلبي معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم من حيث يزدادون به بصيرة (**قوله لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة**) جواب عما يقال حق اللام ان تدخل على الغرض المطلوب من الفعل وهو العلة الغائية الحاملة للفاعل على الفعل كما يقال اكلت لدفع الجوع ولبست لدفع الم البرد ولم تدخل ههنا على الغرض لما ثبت من انه تعالى لايفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو كامل فى نفسه يستحيل ان يكون مستكملا بغيره اوان تدخل على غايته المترتبة على الفعل من الحكم والمصالح تشبيها لها بالغرض الحامل للفاعل على الفعل من حيث كونها منفعة مترتبة على الفعل ومن حيث ان ذلك الفعل لوصدر من غيره تعالى لكانت تلك الغاية غرضا مطلوبا للفاعل كما فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا فان انتفاع الناس بما خلق فى الارض لما كان غاية مرتبة على خلقه وكان حاملا للخلق فى الجملة اذا كان الخلق صادرا ممن يفعل لغرض شبه بالغاية المطلوبة من الفعل فادخل عليها لام الغرض لذلك المعنى فمعنى اللام فى هذه الآية وتقرير الجواب نعم ان العبادة ليست غرضا مطلوبا من الخلق ولا غاية مرتبة على خلق كثير من الجن والانس الا انها شبهت بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة وقابلة

لهافانهمامن حيث تأتى منهما العبادة وانهما هديا اليها بخلق اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنقلية فيهما صارا بذلك كانهما خلقا للعبادة وانها مترتبة على خلقهما فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة فى خلقهما على تلك الصورة ووصف الصورة بكونها مغلبة للعبادة لكونها بحيث تصدر عنها العبادة بسهولة لتحقق اسبابها وكثرة دواعيها فصارت بذلك كانها جعلت غالبة عليها متمكنة فيها ولما وجه الكلام باخراج اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة فى خلقهما بحيث تأتى منهما العبادة بسهولة اشار الى وجه العدول عن الظاهر فقال ولو حمل على ظاهره يعنى ان المانع من حمل الكلام على ظاهره امران احدهما ان الدليل يمنع حمل الكلام على ظاهره وثانيهما ان حمله على ظاهره يستلزم تعارض الآيتين لان من خلق لجهنم لايكون مخلوقا للعبادة ولما صرف الكلام عن ظاهره بأن جعلت العبادة شبيهة بالغاية ارتفع التعارض (**قوله** وقيل معناه) يعنى قيل ان لام الغاية وان دخلت على العبادة ظاهرا الا انها فى الحقيقة داخلة على ما هو سبب للعبادة وهو الامر بها فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال فى تفسير الآية الا لآمرهم بالعبادة وادعوهم الى عبادتى ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقوله الا ليعبدوا الله (**قوله** اوليكونوا عبادالى) فيه ان عبد بمعنى صار عبدا غير مستعمل ولا موجود فى كتب اللغة (**قوله** انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم) اذ منهم من يحتاج الى كسب عبده فى نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر ورزق واسع يستغنى به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يستعين به فى قضاء حوائجه بان يستخدمه فى طبخ الطعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه وثياب نفسه وكنس بيته والقيام على مصالح دوابه ونحو ذلك وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك فلم يخلق عباده لينتفع بهم وانما خلقهم وكلفهم بالاوامر والنواهى ليستعدوا لفضله ورحمته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه بالتذلل والانقياد وايثار طاعته على متابعة النفس والهوى وظهر بهذا التقرير فائدة تكرير وما اريد فان الارادة الاولى متعلقة باكتساب الرزق والثانية متعلقة باصلاحه وخص الاطعام بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالارزاق ونفى الاهم يستلزم نفى مادونه بطريق الاولى كانه قيل ما اريد منهم من عين ولا عمل (**قوله** تعالى ان الله هو الرزاق) تعليل لعدم ارادته الرزق منهم بالايماء الى استغنائه عنه وقوله ذو القوة تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم فى مهامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك لان من يستعين بغيره فى اموره يكون عاجزا لاقوة له وقوله المتين مرفوع فى قرآءة الجمهور على انه خبر بعد خبر لان او خبر مبتدأ محذوف اى هو المتين اوعلى انه صفة لذو القوة او الرزاق وقرئ بالجر على انه صفة للقوة وتذكير وصفها لكون تأنيثها غير حقيقى اولكونها فى تأويل الابداع والاقتدار وقيل هو مخفوض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب والمتانة شدة القوة ثم انه تعالى لما بين ان كفار قريش كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كذب كفار الامم الماضية رسلهم بين جزاء تكذيبهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا والفاء فيه فاء فصيحة اى اذا عرفت حال اولئك الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان هؤلاء المكذبين نصيبا مثل نصيبهم عبر عن النصيب بالذنوب تشبيها لقسط كل واحد من العذاب بذنوب السقاة فانهم يقتسمون الماء من الآبار على النوبة ذنوبا ذنوبا قال الشاعر

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

اى البئر وفيه اشارة الى ان العذاب يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم ثم نهاهم عن استعجال العذاب فقال فلا يستعجلون والنون المكسورة نون الوقاية وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فيقول متى يكون هذا الوعد فنهى عنه فقيل ان لكل واحد من المكذبين ذنوبا لكن أخر ذلك الى يوم القيامة ثم قال فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون اى من عذاب يوم القيامة والويل الشدة من العذاب وقيل اسم واد فى جهنم تم بعون الله تعالى ما يتعلق بالذاريات

(سورة الطور مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(**قوله** وهو جبل بمدين) من الارض المقدسة اسمه زبير قال مقاتل هما طوران احدهما طور تينا والآخر طور زيتا احدهما ينبت التين والآخر ينبت الزيتون (**قوله** اوما طار) فيكون الطور صفة بمعنى الطائر كالقل

وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة اوليكونوا عبادا لى (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا (ان الله هو الرزاق) الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق (ذو القوة المتين) شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة (فان للذين ظلموا ذنوبا) اى للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل نصيب نظائرهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة او يوم بدر * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

(سورة والطور مكية وهى اربعون وتسع او ثمانى آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله والطور بالسريانية الجبل او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد ومن عالم الغيب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ او فى الواح موسى او فى قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة

والكثر بمعنى القليل والكثير يقال ماله قل ولاكثر (**قوله** اوفى الواح موسى) لمناسبة الطور (**قوله** ارق الجلد) يعنى ان الرق فى الاصل مدرق من الجلد ليكتب فيه ثم اطلق على سائر مارق لاجل الكتابة تشبيها له بالرق والمنشور منه مايبسط وينشر للقرآءة (**قوله** اوالضراح) بضم الضاد المعجمة وبالحاء المهملة من الضرح وهو التنحية والابعاد والضريح البعيد وقيل هو من المضارحة وهى المقابلة لانه مقابل للكعبة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه بيت فى السماء الرابعة بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوه قط قبله ولا يدخلونه بعد ذلك حتى تقوم الساعة فهو معمور بكثرة زواره من الملائكة فحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو البيت الذى بناه آدم فى الارض فرفع ايام الطوفان الى السماء ووضع بحيال الكعبة وقيل انزل الله بيتا من ياقوتة فى الارض فى زمان آدم عليه السلام ووضعه بمكة فكان آدم يطوف به وذريته من بعده الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وهو البيت المعمور طوله كما بين السماء والارض قال صاحب الكشف وما جاء فى الحديث انه فى السماء السابعة لاينا فيه فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا واما الذى كان فى زمان آدم فرفع بعد موته فهو فى السماء الرابعة على ما نقله الازرقى فى تاريخ مكة وسمى ضراحا لانه ضرح ورفع الى السماء على مامر ان الضرح هو الابعاد (**قوله** يعنى السماء) لقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فانها بمنزلة السقف للارض ومرفوعة فوق كل شئ وقيل المراد به العرش (**قوله** اى المملوء) من قولك سجرت الاناء اى ملأته والموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور يقال سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته لما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا وزاد بها فى نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن كعب انه قال هو البحر يسجر فيكون جهنم وقيل يحمى البحر فيكون شراب اهل النار (**قوله** اوالمختلط) فان المسجور فى اللغة اللبن الذى ماؤه اكثر منه ويقال عين سجرآء اذا خالطت بياضها حمرة قال الربيع بن انس البحر المسجور اى المختلط العذب بالملح فان البحار كلها تجمع يوم القيامة وتجعل بحرا واحدا اوالمختلط بما فيه من الحيوانات المائية وهذه الاقاويل كلها مبنية على ان يكون المراد بالبحر بحر الدنيا وقال عكرمة هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم (**قوله** ووجه دلالة هذه الامور الخ) يعنى ان الايمان انما تذكر فى القرآن من حيث كون الامور المقسم بها دليلا على تحقق المقسم عليه فهو تعالى خص هذه الامور بجعلها مقسما بها لاختصاصها بمزيد الدلالة على تحقق المقسم عليه فى الاقسام بها تعظيم لشأنها من حيث دلالتها على ثبوت المدعى ولاخفاء فى دلالتها باسرها على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ومايدل عليهما يدل على صدق اخباره جميعا فيكون صادقا فى الاخبار بضبط اعمال العباد ومجازاتهم على حسب اعمالهم (**قوله** ويوم ظرف) لم يبين ان عامله ماهو اشارة الى جواز انه واقع اودافع والظاهر ان العامل فيه واقع وان الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله تأكيدا لما سبقه لان جعله ظرفا لقوله واقع يوهم ان احدا دفع عذابه فى غير ذلك اليوم وهو باطل لان عذاب الله تعالى ماله من دافع فى كل وقت فلا وجه لتقييده فى ذلك اليوم (**قوله** اى اذا وقع ذلك فويل لهم) اشارة الى ان فى الكلام معنى الشرط وان الفاء فى قوله فويل جزآئية جيئ بها لربط مدخولها بالشرط المحذوف والجملة الشرطية لبيان العذاب الواقع لمن هو والمعنى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل يومئذ للمكذبين وهو لا ينافى تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل وهو العذاب الشديد انما هو للمكذبين لا للعصاة المؤمنين وقوله تعالى الذين هم فى خوض يلعبون حال من المنوى فيه ويجوز ان يكون لغوا متعلقا بيلعبون مقدما عليه ويكون يلعبون هو الخبر والموصول مع صلته صفة للمكذبين لم يقصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم والخوض فى الاصل عام يطلق على الخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل والاندفاع فيه (**قوله** يدفعون اليها بعنف) يعنى ان الدع هو الدفع بعنف وشدة يقال دععته ادعه دعا اى دفعته بجفوة قال تعالى يدع اليتيم اى يدفعه قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم حتى اذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم فى النار وهم بعدآء عنها وقوله تعالى يسحبون فى النار على وجوههم يدل على انهم فيها والجواب من وجوه الاول ان الملائكة

(فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة اوقلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) اى المملوء وهو المحيط اوالموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم اوالمختلط من السجير وهو الخليط (ان عذاب ربك لواقع) لنازل (ماله من دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة (يوم تمور السماء مورا) تضطرب والمور تردد فى المجيئ والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) اى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم فى خوض يلعبون) اى فى الخوض فى الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار

(يسحبون)

يسحبونهم فى النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهى نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب فى نار والدفع فى نار اشد واقوى بدليل قوله تعالى يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون اى يكون لهم سحب فى حوزة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال والثانى يجوز ان يكون فى كل زمان يتولى امرهم ملك فالى النار يدفعهم ملك وفى النار يسحبهم آخر والثالث يحتمل ان يكون الملائكة يدفعون اهل النار اهانة لهم واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها (قوله فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين) اى يكون حالا مقدرة من مرفوع يدعون والمعنى يوم يدعون اليها فيقال لهم هلموا اليها فادخلوها مقدرا فى حقهم ان يدعوا اليها فيجيبون فيدفعون اليها (قوله اوظرف لقول مقدر محكيه هذه النار) يعنى ان قوله تعالى هذه النار مقول قول مقدر ويوم يدعون ظرف لذلك القول اى فيقال لهم تلك المقالة يوم يدعون ثم يوبخون لما عاينوا ما كانوا يكذبون بها فيقال لهم أفسحر هذا وقوله هذا مبتدأ وقوله أفسحر خبره قدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام ولان شان البلغاء تقديم ما لهم به مزيد العناية والاهتمام وهو فى هذا المقام توبيخ المشركين بنسبته عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الآيات الى السحر والتغطية على الابصار ولما كانت الفاء العاطفة تقتضى معطوفا عليه حتى يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدره فقال اى كنتم تقولون الوحى هذا سحر فالاحوال التى شاهدتموها اليوم مما يصدق ذلك الوحى أسحر هو ايضا ومصداق الشئ ما يصدقه واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها وأشار بقوله فهذا المصداق الى وجه تذكير اسم الاشارة مع كونه اشارة الى النار وهو ان تكون النار فى تأويل المصداق ونظير هذا الاسلوب ان يستدل المدعى على مذهبه بحجة فيقول الخصم له ما ذكرته تمويه باطل لا يثبت به المدعى فيأتى المستدل بحجة اوضح من الاولى مسكتة للخصم ويقول أفتمويه هذا ايضا تعييرا له بالالزام وطعنا فيه بنسبته الى المكابرة والعناد فيما قال له اولا كأنه قيل انكم كنتم فى الدنيا منكرين البعث وما يتفرع عليه من الثواب والعقاب فان كنتم صادقين فى ذلك الانكار لزم ان لا يكون ما اصابكم اليوم من عذاب النار عذابا ولا ما شاهدتموه فى صورة النار نارا ومن المعلوم ان من رأى شيئا ولم يكن المرئى فى نفس الامر ذلك الذى رآه فخطأه يكون لاجل احد امرين اما لامر عائد الى المرئى واما لامر عائد الى الرائى فاى هذين الامرين كان سبب خطاكم فقوله أفسحر هذا اى هل فى المرئى تلبيس وتمويه حتى خيل لكم انه نار مع كونه ليس بنار فى نفس الامر ام هل فى بصركم خلل فكلمة ام متصلة والاستفهام للانكار اى ليس شئ منهما بثابت فثبت انكم قد بعثتم وحوسبتم وجوزيتم باعمالكم وان الذى ترونه حق وعذاب فهو تقريع شديد وتهكم فظيع وبعد هذا التقريع يقال لهم اصلوها اى قاسوا حرها وما فيها من العذاب الشديد اى اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق عندكم انه ليس بسحر وانه لا خلل فى ابصاركم فاصلوها (قوله اى الامران) اشارة الى ان قوله سواء خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا او لا تصبروا اى الامران سواء عليكم اى صبركم وتركه مستويان فى عدم النفع فان الصبر انما ينفع اذا تعلق بالشدة الواقعة ابتداء لا جزاء فان الصابر عليها يثاب على صبره فينفعه الصبر لا محالة بخلاف الصبر الذى تعلق بالشدة الواقعة جزاء فانه لا ينفع الصابر البتة لان الجزاء المؤبد واجب الوقوع بمقتضى الوعيد فيقع مؤبدا وقوله تعالى ان المتقين فى جنات يجوز ان يكون كلاما مستأنفا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة وان يكون من جملة ما يقال للكفار زيادة فى غمهم وتحسرهم (قوله فى اية جنات واى نعيم) يعنى ان تنكير جنات ونعيم اما للتعظيم او للنوعية والخصوص وفاكهين منصوب على انه حال من المنوى فى الظرف قيد كونهم فى جنات ونعيم بحال كونهم ناعمين متلذذين للدلالة على كمال حبورهم وسرورهم فان الجنة مع كونها دار اهل السعادة قد يتوهم ان من يدخلها ربما يدخلها للعمل فيها او يصلحها كما هو شان ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه فلما قيل ونعيم افاد انهم فيها متنعمون كما هو شان المتفرج بالبستان لا كالنا طور والعمال ثم زاد فى بيان نزهة خاطرهم وكمال حبورهم وسرورهم بقوله فاكهين فان المتنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان استقرارهم فى النعيم ليس الا فى حال كونهم متلذذين لا يشوب سرورهم وحبورهم شئ من الكدر وقرئ فكهين بالقصر وفاكهون بالرفع على انه خبر ان وحينئذ يجوز ان يكون فى جنات ظرفا لغوا متعلقا بالخبر وان يكون خبرا آخر عند من يجوز تعدد الخبر وقوله بما آتاهم متعلق بفاكهين وما موصولة حذف عائدها وهو المفعول الثانى لآتاهم اى متلذذين بسبب ما آتاهم اى اعطاهم ربهم اياه او مصدرية اى متلذذين بايتائهم ربهم ما خصهم به من الكرامة

وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور اوظرف لقول مقدر محكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فيقال لهم ذلك (أفسحر هذا) اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه مقصود بالانكار والتوبيخ (ام انتم لا تبصرون) هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سد ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا (اصلوها فاصبروا او لا تصبروا) اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها (سواء عليكم) اى الامران الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى اية جنات واى نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو

(قوله عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية) والتقدير متلذذين بايتائهم ووقايتهم عذاب الجحيم ولا يجوز عطفه على آتاهم ان جعلت ما موصولة لان المعطوف على الصلة يكون فى حكم الصلة فيجب اشتماله على العائد ولا عائد لها فى الجملة المعطوفة لان التقدير حينئذ فاكهين بالذى آتاهم ربهم اياه وبالذى وقاهم ربهم عذاب الجحيم وليس فى الجملة الثانية مايعود على الموصول لان وقاهم قد اخذ كلا مفعوليه ولو قدر العائد لبقى بلا عامل بخلاف آتاهم فان مفعوله الثانى محذوف هو العائد الى الموصول (قوله اوفى جنات) اى اوهو عطف على قوله فى جنات لان التقدير ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم (قوله اوحال) معطوف على قوله عطف اى ويجوز ان تكون الواو حالية لاعاطفة فتكون كلمة قد مقدرة لماتقرر من ان الماضى المثبت اذا وقع حالا لابد من اقتران الجملة بكلمة قد ظاهرة اومقدرة وذوالحال اما المستكن فى الظرف اوفى الحال اوهو اما فاعل آتى اومفعوله اوكلاهما وقوله تعالى كلوا واشربوا محكى بقول مقدر اى يقال لهم ذلك وهنيئا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى اكلا اوشربا هنيئا وعلى انه صفة للمفعول به المحذوف اى طعاما وشرابا هنيئا فانه ترك ذكر المأكول والمشروب للدلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنئ والمرئ صفتان من هنئ الطعام ومرئ اذا كان سائغا لاتنغيص به اى اذا كان بحيث لايورث الكدر من نحو التخم والسقم يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا اى كدره وتنغصت عيشته اى تكدرت (قوله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا) فلا يكون هنيئا صفة لمحذوف بل تكون من المصادر التى حذفت عواملها وجوبا لكثرة الاستعمال واقيمت هى مقامها والتقدير هنيئا ما كنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملون هنيئا والمصدر على وزن فعيل كثير كالنسيب والنكير والزئير والصليل ونظيره قوله

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

فان هنيئا مصدر حذف عامله واقيم مقام فعله وما استحلت فاعل الفعل المحذوف اى هنئ لعزة ما استحلت من اعراضنا هنيئا قيل عليه وزيادة الباء فى الفاعل لم تسمع الا فاعل كفى ولاهى قياسية فلا وجه لتجويزها ههنا (قوله متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا وعلى سرر متعلق بمتكئين ومصفوفة اى منتظمة بعضها الى جنب بعض وتقييد الاكل والشرب بحال الاتكاء على السرر للايماء الى ان اهل الجنة فارغون من الكلفة بالكلية لان الاتكاء هيئة مخصوصة بالمتنعم الفارغ من الكلفة والتعب (قوله الباء لما فى التزويج) جواب عما يقال من ان فعل التزويج يتعدى الى مفعوليه بلا واسطة حرف الجر يقال زوجته امرأة ولا يقال زوجته بامرأة قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فما وجه تعديته بالباء ههنا اجاب عنه اولا بانه انما عدى بالباء باعتبار ما فى ضمنه من معنى الايصال والالصاق وثانيا بانها ليست للتعدية بل للسببية ثم استدل على اعتبار معنى الالصاق والقرن فى التزويج بعطف قوله تعالى والذين آمنوا على حور عين ولولم يعتبر فيه معنى الوصل والقرن بل كان بمعنى عقد النكاح لما جاز العطف المذكور لاستحالة تحقق عقد النكاح بين المتقين واخوانهم المؤمنين واذا كان تزوجهم بالمؤمنين بطريق وصل بعضهم بعضا والصاقه به يكون تزويجهم بالحور العين ايضا بذلك الطريق لابان يعقد بينهم عقد النكاح لان الجنة ليست بدار تكليف وهذا معنى قوله ولما فى التزويج من معنى الالصاق عطف والذين آمنوا على حور هكذا فى بعض النسخ ولعلها هى النسخة الصحيحة وفى اكثر النسخ اولما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور ولا وجه له بعد قوله لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق وهو ظاهر واختار المصنف ان يكون قوله تعالى والذين آمنوا معطوفا على قوله بحور عين والمعنى قرناهم بحور وبالذين آمنوا وانهم يتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين كما قال اخوانا على سرر متقابلين فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذريتهم معطوفا على قوله وزوجناهم اى ومن كرامة المتقين ان الله يجمع بينهم وبين ذريتهم فى الكرامة ويلحقها بهم لتقربها اعينهم ثم بين ان ايمان الذرية يكفى فى الحاقها بهم فقال بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم اى اولادهم الصغار فان الكبار يلحقون بآبائهم بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لخير الابوين اى لمن آمن منهما فبسبب ايمانه تبعا يلحق بابيه كما ان الكبير يلحق به بايمانه بنفسه ثم ذكر قول من قال قوله تعالى والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا بهم فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان جملة معترضة بين المبتدأ والخبر لتعليل الحاق الذرية بالآباء فان تعلق الحاق الذرية بما تبعتهم الآباء فى الايمان يشعر بعلية المتابعة للالحاق فان الباء فى قوله بايمان يجوز ان تكون بمعنى فى فتتعلق

(ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية اوفى جنات اوحال باضمار قد من المستكن فى الظرف اوالحال اومن فاعل آتى اومفعوله اومنهما (كلوا واشربوا هنيئا) اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لاتنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق اوللسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن اولما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل

بايع وان تكون على اصل معناها فتتعلق بمحذوف اى ملتبسين بايمان (**قوله** للمبالغة فى كثرتهم) يعنى وللتصريح بماذكره فان الذرية لولم تقع على الواحد لما جمع لان لفظ الجمع موضوع لان يطلق على آحاد مفرده (**قوله** وقيل بايمان حال) عطف على قوله اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان يعنى ان الباء للظرفية وقيل للملابسة فتكون حالا من المفعول الاول وهو الضمير او الثانى وهو الذرية اومنهما اى اتبعناهم ملتبسين بايمان ولم يرض به لان قوله تعالى واتبعناهم يكون معطوفا على زوجناهم ويكون اتبعناهم بهم عبارة عن ضمهم اليهم والحاقهم فيكون قوله بعد ذلك ألحقنا بهم ذرياتهم تكرارا (**قوله** وما نقصناهم) اى مانقصنا الآباء المتقين من ثواب عملهم من شئ من النقص لما كان الحاق الذرية بالآباء يوهم ان يوزع ثواب عمل الاب بينه وبين ولده فينتقص به حظه من اجر عمله ازيل ذلك الوهم بقوله تعالى وما ألتناهم (**قوله** يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم) اى على الاولاد بتبليغهم درجة الآباء بمحض التفضل الالهى من غير عمل يؤدى اليها وعلى الاباء بان يقرن بهم اولادهم وتقربهم اعينهم من غير ان ينقص من اعمالهم شئ وذلك تفضيل عظيم فى حق الكل وقوله تعالى من شئ مفعول ثان لألتناهم ومن مزيدة فيه ومن عملهم فى محل النصب على انه حال من شئ لانها فى الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا (**قوله** بعمله مرهون عندالله) تمثيل كان نفس العبد مرهون عندالله بعمله الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا كما امر به فكها اى خلصها والا اوبقها فان العمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس المرء بمنزلة الرهن المرهون عند المرتهن فكما ان المرتهن مالم يصل اليه الدين لاينفك من الرهن شئ كذلك العمل الصالح مالم يصل اليه تعالى لاتخلص نفس المرء منه قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ حق الله تعالى على العباد ان يعبدوه ولايشركوا به شيئا وحق العباد عليه تعالى ان لايعذب من لايشرك به شيئا فانه صريح فى ان التوحيد والطاعة بمنزلة الدين الثابت لله تعالى على العبد ووجه مناسبة الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر حال المتقين وانه وفر عليهم ما اعده اليهم من الثواب والتفضل انزل هذه الآية لتدل على انهم فكوا رقابهم وكان موضعه بحسب الظاهر آخر ما ورد فى تفضيل اجر المتقين وهو قوله هو البر الرحيم ليكون كلاما راجعا الى بيان حال الفريقين وهما المدفوعون الى نار جهنم والمتقون الا انه انزلها فى خلال بيان اجزية المتقين ليدل على ان خلاص رقابهم من بعض اجزيتهم ايضا ثم ذكر ما يزيدهم على ماذكر قبله من الكرامة فقال وامددناهم بفاكهة اى واتبعنا ما اعطيناهم من ثواب اعمالهم فانه تعالى لما قال ما ألتناهم واوهم ذلك انهم يجازون بما يساوى عملهم دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم الانتقاص بالاقتصار على التساوى بل بالزيادة والامداد وقتا بعد وقت ما يشتهونه وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لا تنقطع كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما فى قوله مايشتهون للعموم لانواع اللحمان وقوله تعالى يتنازعون وقوله لالغو فيها ولاتأثيم فى محل النصب على انه صفة كأسا وفيها اى فى شربها اوقيل فى الجنة وفسر التنازع بالتعاطى على طريق التجاذب الذى يقصد به الملاعبة وفيه نوع لذة اذلا يتصور فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والكاس قدح فيه خمر ولايسمى كأسا مالم يكن فيه شراب كما لاتسمى مائدة مالم يكن عليها طعام (**قوله** اى لايتكلمون بلغوا الحديث) لان شربها لايذهب بعقولهم حتى يتكلموا باللغو وهو الباطل من الكلام وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام الذى يجرى بين العلماء والحكماء متلذذين بذلك يقال أثمه اذا جعله ذا اثم واشار بهذا التفسير الى ان اللغو فى الكلام والتأثيم فى الفعل (**قوله** وذلك مثل قوله لافيها غول اى فى عدم اعمال لا فانه اذا وقع بينها و بين اسمها فاصل وجب الرفع والتكرير نحو لا فى الدار رجل ولا امرأة لانها يضعف عملها بالفصل فرجل مرفوع بالابتداء وامرأة عطف عليه وفى الدار خبره فكذا غول مبتدأ وفيها خبره وقد تقرر فى النحو انه يجوز فى نحو لاحول ولاقوة رفع الاسمين على ان الاول منهما مبتدأ والثانى عطف عليه وبالله خبره ويجوز الغاء لا لضعف عملها ومن هذا القبيل قوله تعالى لالغو فيها ولاتأثيم على قرآءة الجمهور فانهم قرأوا برفع الاسمين وتنوينهما وقرأ ابن كثير والبصريان بفتحهما من غير تنوين لان كل واحد منهما اسم ليس بمضاف ولامشابه للمضاف فبنى على ماينصب به (**قوله** تعالى كانهم لؤلؤ) صفة ثانية لغلمان اوحال منهم لانهم قد وصفوا اومن المنوى فى لهم وقوله يتساءلون حال من فاعل اقبل اى أقبلوا متحادثين قال ابن عباس رضى الله عنه يتذاكرون ما كانوا فيه من الدنيا من التعب والخوف وقيل يتساءلون عن اعمالهم فى الدنيا التى بها وصلوا الى دار النعيم بوعد الله تعالى و يدل عليه قول المسئولين فى جوابهم انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا

وقرأ ابن عامر و يعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير اوالذرية اومنهما وتنكيره للتعظيم اوالاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى اصل الايمان (ألحقنا بهم ذريتهم) فى دخول الجنة اوالدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم (وما ألتناهم) ومانقصناهم بهذا الالحاق (من عملهم من شئ) فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤالت ولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد (كل امرئ بما كسب رهين) بعمله مرهون عندالله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها (وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) اى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من انواع النعم (يتنازعون فيها) يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا) خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير فى قوله (لالغو فيها ولا تأثيم) اى لايتكلمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولايفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله لافيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح (ويطوف عليهم) اى بالكأس (غلمان لهم) اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله

مشفقين والخوف من العذاب اصل التقوى كلها لانه يدخل فيه خوف التقصير فى الطاعة وخوف ملابسة المعصية فيجتنب عند ذلك عن كل واحد منهما باقصى ما يمكن لما وصف الله تعالى اهل الجنة بانه يزوجهم بحور عين وباخوانهم المؤمنين وانه يلحق بهم ذريتهم المشاركين لهم فى اصل الايمان وانه يمدهم فى كل وقت بما يشتهون وانهم يتناولون فيها كأسا يطوف عليهم بها الغلمان الموصوفون قال بعده واقبل بعضهم على بعض على ما هو عادة اهل المجلس يشرعون فى الحدث ليتم به استئناسهم كما قيل

وما بقيت من اللذات الا * احاديث الكرام على المدام

اى الخمر (**قوله** عذاب السموم) السموم فى الاصل الريح الحارة التى تدخل المسام اطلق على نار جهنم على سبيل الاستعارة تشبيها لها به فى نفوذ حرها ولما قرر فوز المتقين بالسعادة لاجل التذكير والانتفاع بالموعظة قال فذكر اى فذكر ولا تبال بما قالوا فى حقك انه كاهن او مجنون فانك بحمد الله برئ مما يقولون فان من كان ارجح عقلا وصدقا وامانة ووقارا ابعد حالا من الجنون والكهانة مع ان الجنون والكهانة متناقضان لا يجتمعان فى شخص لان الكهانة تقتضى التدبر والفراسة فاين هى من الجنون والكاهن من يخبر عن المغيبات الآتية من غير وحى وقوله تعالى بنعمة ربك حال من المنوى فى كاهن وقوله بكاهن منصوب المحل على انه خبر ما وقوله ولا مجنون عطف عليه والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك اى بانعامه عليك بجميع الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة التى افضلها النبوة والوحى وبحمده فهى حال لازمة لانه عليه الصلاة والسلام لم يفارق هذه الحال ويجوز ان تكون الباء فى قوله بنعمة ربك للقسم المتوسط بين اسم ما وخبرها ويكون جواب القسم حينئذ محذوفا لدلالة ما المذكور عليه والتقدير بنعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون (**قوله** تعالى ام يقولون) قال المصنف فى آخر الآيات ام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار رد الله تعالى اولا قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام انه كاهن ومجنون فقال ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم اضرب عن انكار قولهم هذا الى انكار قولهم فيه انه شاعر فقال ام يقولون شاعر وقوله نتربص به فى موضع الرفع على انه صفة شاعر وصفوا الشاعر به لانهم كانوا يحترزون عن ايذاء الشعراء ويقولون الشعر يحفظ ويدون فلا نعارضه مخافة ان يغلبنا بقوة شعره بل نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ يتفرق اصحابه فان اباه قد مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه (**قوله** تعالى قل تربصوا) ليس امر ايجاب اوندب او اباحة لان تربصهم هلاكه عليه الصلاة والسلام حرام لا محالة فهو امر تهديد كما يقول السيد لعبده استمر وافعل ما شئت فانى غافل عنك (**قوله** ما يقلق النفوس من حوادث الدهر) يريد ان الريب بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وان المنون هو الدهر وهو قول الكسائى والاخفش والفراء سمى به الدهر لانه يقطع قوة الانسان فان المنون من المن وهو القطع يقال منه اذا قطعه فريب المنون عبارة عن حوادث الدهر وتقلبات الزمان التى تورث قلقا واضطرابا للنفوس وقيل سميت ريبا تشبيها لها بالريب الذى هو الشك فى التزلزل وعدم الثبات وقال الخليل المنون الموت سمى منونا لانه يقطع العمر ويريد او جاعه ثم اضرب عن توبيخهم والانكار عليهم بنسبة المقالات المتناقضة اليهم فى حقه عليه الصلاة والسلام الى نسبتهم الى السفه والجهل الذى حملهم عليها فقال ام تأمرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول كانه قيل دع تفوههم بهذه المقالات المتناقضة وانظر الى ما فيهم مما اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز ثم اضرب عن انكار كونهم من العقلاء المتبصرين الى ما هو ادخل فى الذم بالنسبة الى نقصان العقل فقال ام هم قوم طاغون كانه قيل دع كونهم سفهاء عديمى العقل والقول بان المؤدى الى تلك الاقوال المتناقضة سفههم وجهلهم وانظر الى طغيانهم ومجاوزتهم الحد فى العناد فانه هو الحامل لهم على تلك المقالات ثم اضرب عن الانكار عليهم بمجاوزتهم الحد فى العناد الى توصيفهم بما هو ابلغ فى الذم وهو ان ينسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ان يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه وهو اقبح من الطغيان الذى هو مجاوزة الحد فى العناد لان الافتراء ابعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق لاسيما ان يفترى على الله تعالى مع ان كونه مفتريا مع كونهم عاجزين عن اتيان باقصر سورة منه متنافيان * والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب ثم كذبهم ونسبتهم التقول اليه عليه الصلاة والسلام فقال بل لا يؤمنون اى ليس الامر كما زعموا من احتمال تحقق شئ من المطاعن فيه بل انهم لا يؤمنون بنبوته وبالقرآن عنادا واستكبارا مع وضوح دلائل حقيتهما ثم الزمهم الحجة وبين انهم طاغون معاندون

(قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة او التوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (انا كنا من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما انت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (ام تأمرهم احلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم (ام يقولون تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام من الاقوال ظاهر الفساد

فى جميع ما ذكروه من المطاعن فقال فليأتوا بحديث مثله والفاء فيه للسببية اى ان كان الامر كما زعموا انه كاهن اومجنون اوشاعر ادعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بحديث مثله فانه عليه الصلاة والسلام فى حد نفسه واحد منهم فيجب ان يقدروا على ماقدر هو عليه بنفسه فاذا لم يقدروا على اتيان مثال ما اتى به تعين ان ما اتى به كلام الهى واجب القبول وانه عليه الصلاة والسلام رسول مؤيد من عند الله (قوله ام أحدثوا وقدروا من غير محدث) على ان كلمة من لابتداء الغاية اى بل أيقولون انهم خلقوا من غير خالق خلقهم وموجد اوجدهم وعلى الثانى تكون من للسببية بمعنى خلقوا لغير شئ اى عبثا ام يدعون انهم خلقوا انفسهم فلما لم يمكنهم ان يدعوا واحدا من هذين الامرين ضرورة استحالة الحدق بل كانوا مضطرين الى الاقرار بان لهم صانعا غيرهم فـ الذى يمنعهم عن افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة له على الاعادة ووجه تعلق الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر استبعادا لما يدعوهم اليه من الاعتقاد بوحدانية الصانع وحقية امر البعث والجزاء ذكر ما يزيل استبعادهم ويدل على وحدانية المبدئ وحقية امر المعاد ويستلزم ذلك صدق من يدعو الى التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى فكانه قيل كيف يكذبونه وفى خلق انفسهم ما يدل على صدقه فى دعوى الرسالة وذلك لانهم مخلوقون لامحالة والمخلوق لا بد له من خالق غير نفسه والوحدة من لوازم الخالق كما قيل وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

والخلق الاول دليل على جواز الخلق الثانى وامكانه فلا وجه لاستبعاده واذا ثبت حقية المبدأ والمعاد ثبت حقية امر الرسالة بناء على ان خالقه يصدقه فى دعوى الرسالة بما اظهره على يده من المعجزات التى لا يقدر عليها احد الا الواحد القهار ثم اضرب عن انكار كونهم مخلوقين من غير خالق خلقهم وانكار انهم خلقوا انفسهم الى انكار انهم خلقوا السموات والارض فقال ام خلقوا السموات والارض اى ليس الامر كذلك ولما لم يمكنهم ان يدعوا خلق شئ من ذلك واعترفوا بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وجب عليهم توحيده ونفى الشركاء عنه وان يصدقوا من صدقه وان يؤمنوا بجميع ما جاء به من عند ربه ولما كان انكار كونهم خالقين لانفسهم وللسموات والارض متضمنا لاقرارهم بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وكانا خلاء من الاقرار ان يكون عن ايقان اضرب عنه بقوله بل لا يوقنون والمعنى انهم وان اعترفوا بان الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين فى ذلك الاعتراف اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته وتصديق رسوله والطاعة فيما كلفهم به فظهر بهذا التقرير ان يقدر لقوله بل لا يوقنون مفعول اى لا يوقنون بان الخالق الرازق المحيى المميت القادر على كل شئ هو الله تعالى ومن شك فى مثل هذا المطلب الجلى لا يبعد منه ان يصف سيد المرسلين بالجنون والكهانة وفى بعض النسخ لم توجد كلمة الواو فى قوله اذا سئلوا وقالوا الله ولا وجه له (قوله على الاشياء) اشارة الى ان عدم ذكر مفعول مسيطرون لقصد العموم والمسيطر المسلط القاهر الذى لا يكون تحت امر احد ونهيه ويفعل ما يشاء ويدبر امر الربوبية ويختار ما يشاء ثم انه تعالى لما ابطل من الاحتمالات العقلية ما يصلح ان يكون مبنى تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام وطعنهم فيه بانه كاهن اومجنون اوشاعر شرع فى ابطال قولهم نتربص به ريب المنون فقال ام لهم سلم يستمعون فيه يصعدون فيه فيستمعون كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم عليه كما يزعمون (قوله تعالى يستمعون فيه) صفة سلم وفيه متعلق بحال محذوفة تقديره يستمعون صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف اشار اليه بقوله الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم (قوله فيه تسفيه لهم) بيان لمناسبة تلك المقالات لهذا المقام فان مدلول الآية الانكار عليهم حين جعلوا لله تعالى ما يكرهون من الاناث ولانفسهم البنين كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون والمقام مقام توبيخهم على اقوالهم المتناقضة ومقالاتهم الزائغة المتعلقة بتكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ومن بلغ فى السفاهة الى ان جعل رب العالمين ادون حالا منه بان جعل له ما لا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمق ويستحيل ان يترقى روحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل مقتضى طباعهم الفاسدة التشبث بالكلمات الخرافات فانهم كما طعنوا فيك طعنوا فى خالقهم (قوله الغيب اللوح المحفوظ) على ان يكون الغيب بمعنى الغائب اويكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبا قال قتادة قوله تعالى ام عندهم الغيب جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله تعالى أعندهم

(ام خلقوا من غير شئ) ام أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه اومن اجل لاشئ من عبادة ومجازاة (ام هم الخالقون) يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله (ام خلقوا السموات والارض) وام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لا يوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض وقالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته (ام عندهم خزائن ربك) خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا اوخزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته (ام هم المسيطرون) الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا قرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة (ام لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (ام له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب (ام تسألهم اجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك (ام عندهم الغيب) اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات (فهم يكتبون) يحكمون منه (ام يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله (فالذين كفروا) يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور (هم المكيدون) هم الذين يحيق بهم الكيد اويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر اوالمغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (ام لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) عن اشراكهم اوشركة ما يشركون به

(وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) اى شيئا من الاغناء فى رد العذاب (ولاهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله تعالى (وان للذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك باعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من اى مكان قمت او من منامك او الى الصلاة

الغيب الذى كتب فى اللوح المحفوظ حتى علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك بعدما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب كما قال تعالى خبرا عن قول البعض ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب فان كان قوله تعالى ام عندهم الغيب جوابا لقولهم نتربص به ريب المنون يكون وجه اتصال قوله ام يريدون كيدا بما قبله انه يكون جوابا آخر له كأنهم لما قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم أتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون به كيدا فتقولون نقتله فيموت فان كنتم تدعون علم الغيب فانكم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانكم جاهلون مجزيون بكيدكم من غير ان يتم لكم مرادكم ولا يعود ضرر مكركم الا عليكم وان كان جوابا لانكارهم باحوال الآخرة يكون المعنى بل انهم لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا لك كيدا واساءة فهم المكيدون لا انت فانك انت المنصور المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا فان القصر المدلول عليه بقوله هم المكيدون اضافى فان زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم من ان يعود عليهم ضرر كيدهم فتعالى الله عن ان يكون له شريك يقاومه ويدفع ما اراده وفى الصحاح الكسفة القطعة من الشئ والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا انتهى وعلى القولين الكسف بفتح السين جمع والخلاف انما هو فى الكسف بالسكون واختار المصنف قول الاخفش وقرئ فى جميع القرآن كسفا وكسفا بالافراد والجمع الا فى هذه الآية فانه على الافراد لا غير اى بسكون السين والمعنى ان عذبناهم بسقوط كسف من السماء عليهم كما زعموا فى قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب اجتمع بعضه مع بعض فتثاقل فسقط علينا وليس بسماء وقوله فذرهم جواب شرط محذوف اى اذا بلغوا فى المكابرة والعناد الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فدعهم حتى يموتوا على الكفر (قوله وقرئ يلقوا) ثلاثيا من لقى مبنيا للفاعل ووجهه ظاهر ويلقوا على بناء المفعول من باب التفعيل ويومهم مفعول به لا ظرف وقوله من صعقه اى الثلاثى او من اصعقه اى الرباعى وكلاهما بمعنى اماته فيصعقون على الاول مثل يضربون وعلى الثانى مثل يكرمون وقرأ باقى السبعة يصعقون بفتح الياء على بناء الفاعل اى يموتون يعنى ان صعق يتعدى ولا يتعدى كسعد وسعدته انا فهو مسعود قال تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة يقال صعق زيد اى مات وصعقه غيره اى اماته ويصعقون على قراءة باقى السبعة من صعق اللازم ويصعقون بضم الياء يحتمل ان يكون من صعق المتعدى او من اصعقه وقوله يوم لا يغنى بدل من يومهم الذى اى حتى يلاقوا يوم موتهم الذى لا ينفعهم كيدهم فيه ولاهم ينصرون اى لا يمنعهم من العذاب مانع (قوله يحتمل العموم) بان يراد بهم كل من ظلم بعبادة غير الله ويحتمل الخصوص بان يراد بهم كفار مكة ويراد بظلمهم كيدهم نبيهم عليه الصلاة والسلام وتكذيبهم اياه فيكون قوله للذين ظلموا من ايقاع الظاهر موقع المضمر للتسجيل على ظلمهم (قوله دون عذاب الآخرة) يعنى ان ذلك اشارة الى اليوم الذى فيه يصعقون والمعنى لهم عذاب قبل ذلك اليوم وهو يوم النفخة الاولى وذلك العذاب هو عذاب القبر ان حمل الذين ظلموا على العموم والمؤاخذة فى الدنيا والقحط سبع سنين ان حمل على الخصوص (قوله فى حفظنا) يعنى ان قوله باعيننا مثل فى الحفظ والكلاءة يعبر به عنه تشبيها لحفظ الله تعالى وكلاءته بمراقبة الحافظ ما يحفظه (قوله وجمع الاعين لجمع الضمير) فانه تعالى لما عبر عن ذاته المقدسة بضمير المتكلم مع غيره تعظيما لنفسه جمع ما اضيف اليه ليطابق المضاف بالمضاف اليه الا ترى انه يجوز افراد المضاف حيث افرد المضاف اليه فى قوله ولتصنع على عينى (قوله من اى مكان قمت) متعلق بقوله تعالى تقوم اى اذا قمت من مجلس اى مجلس كان قل سبحان الله وبحمده اى سبح الله ملتبسا بحمده عن سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وعن ابى هريرة رضى الله عنه من جلس مجلسا يكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما ويحتمل ان يكون المعنى وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك لما قيل ان المراد به ان تقول عند القيام من النوم الحمد لله الذى احيانى بعد ما اماتنى واليه البعث والنشور فانه روى انه كان عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند الانتباه وقال الكلبى هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة ويحتمل ان يكون المعنى حين تقوم الى الصلاة

لماروى عن الضحاك والربيع انهما قالامعناه اذاقمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولااله غيرك بعد تكبيرة الافتتاح وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت مثل ذلك (قوله واذا ادبرت النجوم من آخر الليل) يعنى ان الجمهور على كسر الهمزة من ادبار النجوم على انه مصدر ادبر اذا ذهب وانصرف اقيم مقام الظرف وانتصب على الظرفية اى فسبحه وقت ادبار النجوم بظهور ضوء الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى الآخر واعقاب النجوم غيبتها بضوء الصبح وغروبها * هذا آخر مايتعلق بسورة الطور والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده

(سورة النجم)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

(قوله اقسم بجنس النجوم) سمى نجوم السماء اى نجم كان نجما لطلوعه فان كل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع ويحتمل ان يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لان النجم صار علما لها بالغلبة قال قائلهم

ان بدا النجم عشيا * ابتغى الراعى كسيا

وقال ايضا

طلع النجم عشيه * وابتغى الراعى كسيه

فانها انما تطلع عشيا فى قلب الشتاء اوان شدة البرد يقال ان الثريا سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفى يمتحن الناس به ابصارهم وروى القاضى عياض فى الشفاء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى الثريا احد عشر نجما عن ابى هريرة مرفوعا ماطلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع واراد بالنجم الثريا وهوى النجم سواء اريد به نجوم السماء كلها اوالثريا وحدها اما غروبه واما انتثاره يوم القيامة كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واما انقضاضه لرمى الشياطين عند استراقهم السمع واما طلوعه وعلل الاحتمالات الثلاثة الاول بقوله فانه يقال هوى يهوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وعلل الاحتمال الرابع بقوله هويا بالضم اذا صعد فان الهوى بفتح الهاء هو السقوط من علو الى سفل والهوى بضم الهاء الطلوع وفعلهما واحد والاختلاف انما هو فى المصدر وكل واحد من غروب النجوم وانتثارها وانقضاضها للرمى الشياطين لكونه سقوطا من علو الى سفل يصح ان يطلق عليه الهوى بفتح الهاء كما يصح ان يطلق على طلوعها الهوى بضم الهاء وفائدة تقييد المقسم به بوقت هويه بفتح الهاء اوضمها انه اذا كان النجم فى وسط السماء يقل نفعه حيث لايهتدى به السارى حينئذ لانه لايعلم المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال بخلاف ما اذا لم يكن فى وسط السماء بان يكون فى جانب المشرق اوالمغرب فانه حينئذ يتميز به جانب المشرق عن المغرب والجنوب عن الشمال (قوله او بالنجم) عطف على قوله بجنس النجوم اى اواقسم بالنجم من نجوم القرآن فان النجم فى الاصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت المضروب لكون امتيازه منوطا بتعيين طلوع الكوكب وغروبه ويسمى تفريق الفعل الى الاوقات تنجيما والفعل المفرق منجما ثم يطلق النجم على الفعل الواقع فى وقت معين بطريق اطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القرآن القطع النازلة فى اوقات متفرقة قال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم بالقرآن اذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة فالمراد بهويه نزوله (قوله اوالنبات) عطف ايضا على قوله بجنس النجوم فان النجم قد يطلق على النبت الذى لاساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض اوطلوعه منها وارتفاعه (قوله على قوله) متعلق بقوله اقسم بجنس النجوم يعنى ان قوله تعالى ماضل صاحبكم هو المقسم عليه وذلك ان قريشا قالوا ضل محمد عن دين آبائه وغوى فانزل الله تعالى ماضل صاحبكم وماغوى بل اهتدى ورشد فان الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد اى هو مهتد راشد وليس كما يزعمون من انه قد ضل وغوى وذهب اكثر المفسرين الى ان الغى والضلال واحد والمصنف اشار الى الفرق بينهما بقوله فى تفسير ماضل ماعدل عن الطريق المستقيم وفى تفسير وماغوى وما اعتقد باطلا وحاصل ماذكره من الفرق ان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الافعال والاقوال والعقائد فلذلك يقال ضل بعيرى ولا يقال غوى فالضلال هو العدول عن الطريق المستقيم الذى بينه الله تعالى لعباده سواء كان متعلقا بالافعال اوالاقوال اوالعقائد اوالاخلاق والغواية هو العدول عن الطريق المستقيم فى باب العقائد فيكون قوله تعالى وماغوى من قبيل التخصيص بعد التعميم لمزيد العناية بنفى الخاص فالمراد نفى

(ومن الليل فسبحه) فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل (وادبار النجوم) واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت اوخفيت وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته سورة والنجم مكية وآيها احدى اوثنتان وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنجم اذا هوى) اقسم بجنس النجوم اوالثريا فانه غلب فيه اذا غرب اوانتثر يوم القيامة اوانقض اوطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد اوبالنجم من نجوم القرآن اذا نزل اوالنبات اذا سقط على الارض اواذا نما وارتفع على قوله (ماضل صاحبكم) ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم

مانسبوه اليه من العدول عن سنن الصواب فى كل واحد من باب الاعتقاد والعمل فالله تعالى تولى جواب ماقالوا له عليه الصلاة والسلام فقال ماضل صاحبكم وماغوى وماصاحبكم بمجنون وماهو بقول شاعر ولا بقول كاهن وما ينطق عن الهوى وسائر الانبياء كانوا يجيبون بانفسهم فان قوم نوح لما قالوا له عليه الصلاة والسلام انا لنراك فى ضلالة اجابهم بقوله ياقوم ليس بى ضلالة ولما قال عاد لهود انا لنراك فى سفاهة قال ياقوم ليس بى سفاهة ولما قال فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام انى لاظنك ياموسى مسحورا قال له وانى لاظنك يافرعون مثبورا ونحو ذلك (قوله وما يصدر نطقه بالقرءآن عن الهوى) اى عن ميل نفسه وشهوته من غيران يوحى اليه شئ وهو اشارة الى ان تعدية النطق بمن مبنى على تضمنه معنى الصدور وقيل عن بمعنى الباء فان العرب تجعل عن مكان الباء تقول رميت عن القوس اى بالقوس قال اولا ماضل وماغوى بصيغة الماضى ثم قال وماينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة وبعدها اى ماضل وماغوى ابدا حيث اعتزلكم وماتعبدون قبل ان بعث رسولا وماينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه والوحى فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الكتاب الالهى الموحى وقوله يوحى صفة لوحى وفائدة المجئ بهذا الوصف دفع توهم المجاز اى هو وحى حقيقة لا بمجرد تسميته وحيا والوحى بالمعنى المصدرى له معان وهى الارسال والالهام والكتابة والاشارة والكلام والافهام (قوله واحتج به من لم ير الاجتهاد له) قال صاحب الكشف وجه الاحتجاج ان الله تعالى اخبر بان جميع ماينطق به وحى وماكان عن اجتهاد فليس بوحى فليس مماينطق به ثم نقل جواب صاحب الكشاف بقوله واجاب بان الله تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان له الاجتهاد ومايستند اليه كله وحيا لانطقا عن الهوى ثم قال واعترض عليه بانه يستلزم ان تكون الاحكام التى يستنبطها المجتهدون بالقياس وحيا والجواب انه عليه الصلاة والسلام اوحى اليه ان يجتهد بخلاف سائر المجتهدين ثم اورد اعتراض المصنف فقال وماقيل من انه حينئذ بالوحى لاوحى فغير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام حيثما ظننت كذا فهو حكمى انتهى كلامه (قوله ملك شديد قواه) اشار الى ان شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها مثل حسن الوجه وان موصوفها محذوف هو الملك وقيل هو البارى تعالى كقوله الرحمن علم القرءآن وضمير علمه يجوز ان يكون للرسول اى لقوله صاحبكم اى علم محمدا صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بوحى الله تعالى وهو الظاهر فيكون المفعول الثانى محذوفا اى علمه الرسول بان نزل به عليه وبينه له ولعل مراد المصنف بقوله فانه الواسطة فى ابدآء الخوارق الاشارة الى ان ضمير علمه للرسول وان ثانى مفعولى علم محذوف ليذهب ذهن السامع الى كل ماظهر على يده من الخوارق قرءآنا كان اوغيره وان طريق تعليم ذلك اياه عليه الصلاة والسلام كونه واسطة فى ابدآء تلك الخوارق وقوله تعالى ذومرة نعت بعد نعت للموصوف المحذوف والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اى قوى ذو مرة كذا فى الصحاح والحصافة استحكام العقل وصحة الرأى وفى الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل يقال حصف بضم العين حصافة واحصف الامر احكامه حمل قوله تعالى شديد القوى على قوته فى جسمه واستدل عليها بماروى من قلعه قرى قوم لوط وصيحته بثمود وحمل قوله ذومرة على قوته فى عقله وعلمه دفعا للتكرار وتساعده اللغة ايضا (قوله تعالى فاستوى) معطوف على قوله علمه اى علمه وهو على غير صورته الحقيقية ثم استوى على صورته التى جبل عليها وكان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحى ليتمكن النبى صلى الله عليه وسلم من ضبطه الوحى وتلقيه فلما احب النبى عليه السلام ان يراه فى صورته التى جبل عليها استوى له بتلك الصورة قيل مارآه احد من الانبياء على حقيقته الاصلية غير محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين فانه عليه الصلاة والسلام رآه على صورته مرتين رآه مرة فى الارض اى فى جبل حرا وقيل بأجياد وهو جبل بمكة طلع جبريل عليه السلام عليه من جانب المشرق وهو الافق الاعلى فملأ الافق وسد الارض وملاءها فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدمى فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه ورآه اخرى بتلك الصورة وهو فى السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة اسمية فى موضع الحال من المنوى فى استوى (قوله فتعلق به) دفع لمايقال الظاهر ان يقال ثم تدلى اليه فدنا منه لان التدلى سبب للدنو فلا يتفرع على الدنو بل الدنو يتفرع عليه ووجه الدفع ان التدلى هو الاسترسال مع التعلق وجرد ههنا لمعنى التعلق الذى هو متفرع على الدنو وروى عن الامام الواحدى انه قال تقديره ثم تدلى

(وماغوى) وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ماينسبون اليه (وماينطق عن الهوى) ومايصدر نطقه بالقرءآن عن الهوى (ان هو) ماالقرآن اوالذى ينطق به (الاوحى يوحى) الاوحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبرآئيل فانه الواسطة فى ابدآء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (ذومرة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل مارآه احد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استولى بقوته على ماجعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) افق السماء والضمير لجبرائيل (ثم دنا) من النبى (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقرير الشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة يقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق

فدنى من محمد صلى الله عليه وسلم حتى صار بعد ما بينهما قدر قوسين على التقديم والتأخير وقيل دنى بمعنى قصد القرب منه عليه السلام وتحول عن المكان الذى كان فيه فتدلى اى فنزل اليه لان التدلى وان كان بمعنى الامتداد من علو الى سفل يستعمل ايضا فى النزول من العلو بالانتقال عنه (قوله كقولك هو منى معقد الازار) اى فى كونه عبارة عن غاية القرب فان قاب قوسين خبر كان فلو جعل اسم كان ضمير جبريل عليه السلام لزم منه ان يحكم عليه بانه قاب قوسين اى قدرهما والشخص لا يكون مقدارا فاوله بانه من قبيل قولك هو منى معقد الازار فى كونه عبارة عن غاية القرب فان اصل الكلام ان يقال فكان قرب جبريل من محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قرب احدى القوسين من الاخرى فحذف المضاف وأداة التشبيه للمبالغة فى بيان قربه منه كما يقال هو منى معقد الازار والاصل ان يقال قربه منى وانضمامه بى كاتصال معقد الازار بى فعدل عنه الى هذه العبارة لقصد المبالغة (قوله اوالمسافة بينهما) عطف على قوله جبريل والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب وفى التيسير كانت عظماء العرب اذا أرادوا تأكيد عهد وتوثيق عقد لا ينقض ولا يرفض احضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما ونزعاهما جميعا ورميا عنهما سهما واحدا يشيران بذلك الى الاتحاد الكلى والاجتماع الاصلى فكان بعد ذلك رضى احدهما رضى الاخر وسخط احدهما سخط الاخر فكأنهما قالا اكدنا المحبة بيننا والزمنا القرب فقبولك مقبولى ومردودك مردودى وفى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبريل ومحمد صلوات الله عليهما مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب (قوله اوادنى على تقديركم) يعنى ان كلمة او فيه للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القرآن اى لو رآهما راء منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب او أدنى اذ لا يلتبس عليه مقدار القرب وكما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فانه تعالى عالم بمقادير الاشياء فخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة بيننا (قوله وفيه تفخيم للموحى به) اى فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى على تقدير ان يكون المنوى فى كل واحد من الفعلين ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام تفخيم لما تقرر من ان التعريف بالموصول قد يكون للتفخيم كما فى قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم اى الذى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره (قوله اوالله اليه) على ان يكون المنوى فى الفعل الاول ضمير جبريل وفى الثانى ضمير البارى اى فاوحى جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله تعالى اليه (قوله وقيل الضمائر كلها لله) اى ثم دنا الله تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الآية وكذا موصوف شديد القوى هو الله تعالى كقوله الرحمن علم القرآن والقوى جمع القوة فقوله فاستوى الظاهر ان معناه حينئذ فاستوى القرآن فى صدره اى فى صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين علمه به اوفى صدر جبريل وقيل المعنى ثم دنا محمد عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل دنو الرتبة والمنزلة واعطاء المنية واجابة الدعوة لا المكان والمسافة كقوله تعالى فانى قريب اجيب فتدلى اى هوى للسجود فكان قاب قوسين وهو تمثيل لكمال دنوه من ربه على اصطلاح العرب فان الحبيبين والمحبين فى الجاهلية كانا اذا ارادا عقدا لصفاء فى الود والمحبة ألصقا قوسيهما يريدان بذلك ان كل واحد منهما يحامى عن صاحبه فاوحى الله عز وجل الى عبده محمد ما كذب فؤاد محمد فيما رأى وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى (قوله من صورة جبريل اوالله تعالى) اشارة الى الاختلاف الواقع بين فضلاء الامة فى انه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه ليلة الاسراء اولا فانكرته عائشة رضى الله عنها وقالت من حدث ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وقالت ان المرئى فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو صورة جبريل حيث قالت ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين ووافقها ابن مسعود رضى الله عنه فى ان المرئى هو جبريل وذهب جماعة كثيرة الى ان المرئى هو الله تعالى وانه عليه الصلاة والسلام رأى ربه ثم انهم اختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين وقال انس والحسن وعكرمة رأى محمد ربه بعين رأسه وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين بالرؤية واعلم ان رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص برؤيته فى الاخرة ولان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارآءة لا بقدرة العبد

(فكان) جبريل كقولك هو منى معقد الازار اوالمسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (اوادنى) على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس (ما اوحى) جبريل (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (ما اوحى) جبريل وفيه تفخيم للموحى به اوالله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبرآئيل اوالله تعالى

فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالاراءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على ان يحصل مدرك المعلوم فى البصر كما قدر على ان يحصل مدرك المعلوم فى القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف فى الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز وقوله تعالى ما كذب الفؤاد قرأه هشام وابو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها وما الاولى نافية والثانية موصولة وعائدها محذوف ومحلها النصب على انها مفعول كذب المشددة وعلى نزع الخافض فى قراءة التخفيف اى ما كذب الفؤاد فى الذى رآه ببصره فلو قال الفؤاد الذى يراه ببصرك ليس بصحيح وان الصورة المرتسمة باعمال حاسة البصر ليست مطابقة لما نشأ فى الارتسام فى الحس المشترك كما اذا ارتسمت صورة الانسان من شبح الانسان المرئى من بعيد وقال الفؤاد فى حق الصورة المرتسمة فى الحس المشترك لا اعرفك حقا مطابقا للشبح المرئى لكان كاذبا لانه قد عرفها حقا واعتقد كونها مطابقة للشبح قال المكى من خفف كذب جعل ما فى موضع النصب على نزع الخافض واسقاطه اى ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول الكذب فيه ان لو قال له لا اعرفك ولا اعتقدك لانه قد عرفه بقلبه واعتقده حقا كما رآه ببصره وجعله مرئيا فيكون قوله لا اعرفك كذبا فاذا لم يقل فؤاده ذلك القول صح ان يقال له انه ما كذب فيما رآه ببصره من صورة المرئى (**قوله اى ما كذب بصره**) بنصب البصر على نزع الخافض ايضا اى وما كذب الفؤاد فى حق بصره بان يقول له حكايتك لا تطابق المحكى بان قال انه لم يحك صورة المرئى على الوجه المطابق له (**قوله فان الامور القدسية**) جواب عما يرد على قوله اى ما كذب بصره بما حكاه له من ان ادراك القلب لما يحس بالبصر ومعرفته المتعلقة بالمحسوسات بالبصر متفرع على استعمال حاسة البصر وارتسام الصورة فى الحس المشترك فكيف يمكن للفؤاد ان يكذب فى حق البصر بان قال انه لم يحك صورة المحسوس على الوجه المطابق له وهو يستلزم ان يدرك المحسوس من غير استعانته بالبصر وتقرير الجواب ان الامور القدسية بمنزلة المعقولات الصرفة فى ان الفؤاد يدركها بنفسه ولا يستعين فى ادراكها بالقوى الحاسة من حيث انه تعالى لم يخلق فى الحواس قوة الاحساس بها ثم انه تعالى لما خلق فى حاسته عليه الصلاة والسلام قوة الاحساس بالصورة التى جبل عليها جبريل وقد عرفها قبل ذلك بفؤاده فقد عرفها من طريق البصر ايضا فيمكن له ان يصدق ويكذب فى حق البصر اى يصدق ويكذب فيما حكاه له (**قوله اوما رآه بقلبه**) عطف على قوله ما رآه ببصره وهذا على قول من يقول انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده لا بعين رأسه فالمعنى حينئذ ما كذب الفؤاد فيما رآه الفؤاد بان قال فى حقه انه هاجس شيطانى وتخييل كاذب اذ ليس فى وسع الانسان معرفة الرب تعالى (**قوله واشتقاقه من مرى الناقة**) الجوهرى مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى بسوط اوغيره والمراد به الجدال بالباطل وكان حقه ان يتعدى بفى لانه يقال جادلته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها انكر الله تعالى عليهم فى جدالهم معه عليه السلام حين اسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به فان قيل الظاهر ان يقال افتماروه على ما رأى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه بعد ما اسرى به فما الحكمة فى ايراده بصيغة المضارع فالجواب انه على حكاية الحال الماضية احضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين وتعجيبا لهم (**قوله وقرأ حمزة الخ افتمرونه**) اى بفتح التاء من غير الف بعد الميم على انه من فعله المسند الى الغالب فى باب المغالبة اومن مريته حقه اذا علته وجحدته اياه (**قوله مرة اخرى**) يعنى ان نزلة لما كان اسما للمرة من النعل اقيمت مقامها فكانت فى حكمها فى كونها منصوبة على الظرفية وقيل انها منصوبة على انها مفعول مطلق واقع موقع عامله المحذوف المنصوب على انه حال من مفعول رآه اى رآه نازلا نزلة اخرى والواو فى ولقد رآه يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون حالية اى كيف تجادلونه فيما رآه وتقولون انه لم ير جبريل وانما رأى شيطانا كما يرى الكهنة الشياطين وهو قد رآه على وجه لا شك فيه رآه مرتين مرة بالافق الاعلى اى بناحية من السماء التى هى اعلى اطراف الكون ومرة عند سدرة المنتهى ليلة المعراج فرآه على صورته التى خلق عليها قال رأيته عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ينتثر منها الدر والياقوت وهى مقام جبريل عليه السلام ام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء كلها فكان امام الانبياء فى بيت المقدس وامام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على اهل السماء والارض قال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى ولو ان رجلا ركب نجيبه وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لم يصل الى المكان الذى ركب منه تحمل

اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر اوما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره اوما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته اوافتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصد ان فعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة اخرى) مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو

لاهل الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمر وقيل هي شجرة غير طوبى ثابتة في يمين العرش فوق السماء السابعة تخرج انهار الجنة من اصل تلك الشجرة واضافة السدرة الى المنتهى يحتمل ان تكون من قبيل اضافة الشئ الى مكانه كقولك شجرة بلدة كذا ومكان كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك (قوله والكلام في المرئى والدنو ماسبق) من ان المرئى هل هو جبريل او الله عزوجل فانه روى عن كعب الاحبار انه قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين وادنى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين مرتين وذهب اكثر المفسرين الى ان الضمير البارز في رآه لجبريل والمعنى انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من عند ربه ليلة الاسراء رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى وقوله عند سدرة المنتهى يجوز ان يكون حالا من مفعول رآه على تقدير ان يكون المرئى جبريل واما اذا كان المرئى هو الله تعالى فلا يجوز ذلك لانه تعالى منزه عن ان يحل في زمان او مكان ويجوز ان يكون ظرفا لرأى على التقديرين على ان يكون الظرف ظرفا للرائى ورؤيته لا للمرئى كما اذا قلت رأيت الهلال في بيتي وقوله تعالى اذ يغشى السدرة في محل النصب على انه بدل من قوله نزلة اخرى وقدمر انه منصوب اى رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام اذ يغشى السدرة ما يغشى قيل يغشاها الملائكة حتى تغطى السدرة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وفي ابهام ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ويكون بمعنى الاتيان ايضا وهو المناسب ههنا (قوله وقيل يغشاها الجم) عطف على معنى قوله ما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل هو فراش من ذهب او جراد من ذهب او هو الملائكة الذين يعبدون الله عندها وقيل بل يغشاها انوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار الالهية عليها لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ولعلها شبهت بالسدرة) كأنه جواب عما يقال العالم العلوى ليس فيه شئ مما هو في هذا العالم فلا يكون فيه شجرة النبق وهي شجرة الصنوبر فاوجه قوله عند سدرة المنتهى فاجاب بان شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية شبهت بها شجرة المنتهى فاطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة (قوله تعالى مازاغ البصر) اى اى شئ رآه في تلك الليلة لم يمل بصره عنه قبل ان يستيقنه ويطلع على حقيقته او قصر نظره على ما امر برؤيته ولم يلتفت يمينا ولا شمالا على انه وصف له بالتأدب (قوله لقد رأى الكبرى) على ان الكبرى مفعول رأى ومن آيات ربه حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف الكبرى والتقدير ولقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه اى رأى من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات (قوله وقد قيل انها المعنية بما رأى) اى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير الله عزوجل ليلة المعراج وانما رأى آيات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبريل على صورته وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان عليه الصلاة والسلام رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج ثم انه تعالى لما قرر امر الرسالة ذكر بعده ما ينبغي ان يبتدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال افرأيتم اللات والعزى ومناة كما هي عليه من العجز والهوان فكيف تشركونها بالله العزيز العليم فلو رأيتم ايها الحمقى الرؤية علمتم انها لا تصلح شريكا لله تعالى في استحقاق التعظيم (قوله وهي فعلة من لوى) اى من لوى على الشئ يلوى اذا عكف عليه او من لوى الرجل رأسه اذا اماله فانهم كانوا يعكفون عليها ويلوون اعناقهم اليها اصله لوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لات والعامة على تخفيف تائها وقرئ بتشديد التاء ايضا على انه في الاصل اسم فاعل من لت السويق اذا لته بالماء قيل كان رجل يلت السويق الحاج فلما مات نحتوا على صورته حجرا وسموه باسمه وعبدوه فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فكسرها واحرقها بالنار (قوله سمرة) هي نوع من الشجر روى ان خالدا كان يقول حين يقطعها اليوم كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد اهانك فلما قطعها رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيئا فقال عليه الصلاة والسلام ما بلغت فعاودها

والكلام في المرئى والدنو ماسبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفى الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التي ينتهى اليها علم الخلائق او اعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التي يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (ما زاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه او من مزيدة (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف

ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد رضي الله عنه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا (قوله من مناه اذا قطعه) وقيل من منى يمنى اى صب سميت الصخرة مناة لان دماء النساء ايكر كانت تصب عندها وألفها منقلبة عن ياء والتاء زائدة لتأنيث الصخرة فوزنها فعلة وميمها اصلية وقرأ ابن كثير مناءة بالمد والهمز من النوء اصله منوأة فنقلت حركة الواو الى النون قبلها فقلبت الفا ومعناه موضع الاستمطار من الانوآء والنوء سقوط نجم من المنازل الثماني والعشرين فى المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلته ما سقط من ساعة سقوطه وذلك فى ثلاثة عشر يوما ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعى الى الطالع منها تقول مطرنا بنوء كذا والجمع انوآء فوزن الكلمة حينئذ مفعلة وألفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زآئدة فانهم كانوا يستمطرون عندها الانوآء تبركا بها (قوله صفتان للتأكيد) اما كون الثالثة للتأكيد فظاهر واما الاخرى فانها وان افادت معنى زآئدا على ما افاده الموصوف لانها تأنيث الآخر بفتح الخاء بمعنى المغاير مع الاشتراك مع الموصوف فيما ثبت له فالاخرى تصلح مخصصة للمناة الا انه لا يصح ان تحمل الاخرى فى الاية على هذا المعنى اذ لا مشارك للمناة فى كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فوجب ان تكون بمعنى المغاير مطلقا فتكون صفة مؤكدة ضرورة ان مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى فهى مغايرة لهما (قوله اوالاخرى من التأخر فى الرتبة) اى ويجوز ان تكون الاخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتأخرة فى الرتبة الوضيعة الذليلة فى القدر كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم لاشرافهم ووجه كون مناة وضيعة ذليلة بالنسبة الى اللات والعزى ان اللات وان كانت صخرة الا انها على صورة الادمى والعزى شجرة وهى لكونها من اقسام النبات اشرف من المناة التى هى صخرة فظهر ان مناة متأخرة عنهما رتبة (قوله وهو المفعول الثانى لقوله افرأيتم) اى ساد مسده فان رأيتم تستدعى مفعولين اما لكونها بمعنى افعلمتم واللات وما عطف عليه مفعوله الاول والجملة الاستفهامية سادة مسد مفعوله الثانى كانه قيل افعلمتم هذه الاصنام حاكمة بان يكون لكم الذكر وله الانثى واما لكونها بمعنى اخبرونى والمعنى افتمارونه بعدما تبين لكم رفعة شأنه وحقية رسالته فاخبرونى ان هذه الاصنام هل هى بنات الله مع وأدكم البنات وكراهتكم اياهن فانه قيل كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لافرأيتم ولم يعد منها ضمير على المفعول الاول قلنا استغنى عن الضمير بتعريف الانثى فانه فى قوة ان يقال وله هذه الاصنام وكان الظاهر ان يقال وله هن اى تلك الاصنام الا انه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لرعاية الفواصل والاشارة الى علة الانكار والتوبيخ والفاء فى قوله افرأيتم للتعقيب كالتى فى قوله افتمارونه فانه تعالى صور امر الوحى اولا تصويرا تاما وحقق ان ما ينطق به وحى اوحى اليه بواسطة ملك شديد قواه لانه رأى ذلك الملك بصورته الملكية وعرفه حق المعرفة ثم قال افتمارونه على ما يرى اى افتجادلونه بعد هذه البينات على ما يرى من الآيات المحققة لكونه على بينة من ربه بحيث لا يتصور معه ان يكون له شائبة ارتياب فى ان ما اوحى اليه كلام الهى يلقيه اليه ملك مقرب عنده كيف وقد رآه نزلة اخرى وعرفه حق المعرفة ثم قال لقد رأى من آيات ربه تنبيها على ان ما ذكر الى هنا من الآيات الكبرى فهو ايضا نفى للضلالة والغواية وتحقيق للدراية والهداية ثم عطف قوله افرأيتم على افتمارونه وادخل عليه الهمزة لزيادة الانكار فانه اذا تبين عظمة الله فى ملكوته وان رسوله اى المرسل يسد الافق ببعض اجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة فى مقام جلال الله تعالى وعزته فقد تحقق واتضح ان ما ذهبوا اليه من ان هؤلاء الاصنام شركاء له تعالى وبناته مع خستها وحقارة شأنها منكر غاية الانكار اى انكم مع ممارتكم فيما ليس بمظنة للمرآء اخبرونى هل هؤلاء الاخساء بنات الله تعالى والمقصود التهكم بهم والتنبيه على انه نتيجة مرآئهم وان من بلغ فى الضلال الى ان كان معتقده مثل هذا لا يبعد منه ان ينسب من هو فى اعلى درجات الرشاد والسداد الى الضلالة والغواية وان يمارى معه فيما اتضح كنار على علم (قوله فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا) فان الصفات فى المؤنث لا تأتى الا على فعلى بضم الفاء كحبلى وفعلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى ولا تأتى على فعلى بالكسر الا فى بناء الاسماء كالشعرى والدفلى وفى المصدر كالذكرى فظهر ان اصل ضيزى بضم الضاد من ضازه فى الحكم يضيزه ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه اى بخسه ونقصه ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض اصله بيض

وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانوآء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه اوالاخرى من التأخر فى الرتبة (ألكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته اوهيا كل الملائكة وهو المفعول الثانى لقوله افرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا

جمع ابيض مثل سود جمع اسود ولوابقيت الضمة على حالها وابدلت الياء واوازم النقل لان الكسرة والياء اخف عندهم من الضمة والواو مع عدم اللبس اذليس فى الصفات فعلى بالكسر (**قوله على انه مصدر نعت به**) كالذكرى ولايجوز كونه نعتا اصليا لما مر من انه ليس فى الصفات فعلى (**قوله اى ماهى باعتبار الالوهية**) اى ماهى باعتبار ان يعبر عنها باسم الآلهة الا اسماء عارية عن مدلولاتها كما اذا اردت ان تحقر من هو ملقب بما يشعر مدحا تقول ماهو الاسم وكذا اذا كان ضمير هى للصفة اوللاسماء يكون المعنى ماذكر فان قيل الاسماء لاتسمى وانما يسمى بها فكيف قيل سميتموها قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله الاسماء تطلقونها عليها جعل سميتموها بمعنى ذكرتموها واطلقتموها عليها يقال سميت زيدا بمعنى ذكرته بهذا الاسم وان كان للاصنام يكون سميت متعديا الى مفعولين بنفسه فان الاصنام باعتبار الآلهة وكذلك الصفات التى يصفون الاصنام بها والاسماء التى يسمونها بها اسماء يطلقونها على الاصنام اطلاقا عاريا عن مدلولاتها كانه قيل وما هذه الالفاظ الاسماء اطلقتموها عليها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة اطلاقها عليها برهان تتعلقون به فسر قوله تعالى سميتموها انتم بقوله سميتم بها اشارة الى ان انتم تأكيد للضمير المرفوع المتصل وان قوله وآباؤكم معطوف على ذلك الضمير (**قوله وقرئ بالتاء**) كما يقتضيه الظاهر لان المقام مقام الخطاب الا ان العامة قرأوا بياء الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كانه قطع الكلام معهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم انهم لايتبعون الا الظن فلاتلتفت الى قولهم فان من اتبع ظنه وماتشتهيه نفسه بعد ماجاءه الهدى والبيان الشافى لايعد انسانا ولايعتد به وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى الظاهر انه حال من فاعل يتبعون اى هم يتبعون الظن وهوى النفس فى حال تنافى ذلك وهى مجئ الهدى من عند ربهم من الكتاب والرسول والبرهان الدال على بطلان مااعتقدوه (**قوله ام منقطعة**) ومعناها الاضراب من اتباعهم التوهم الباطل والهوى الى انكار ما هو اخش منه وهو ان يكون لهم مايتمنونه من شفاعة آلهتهم وسائر تمنياتهم اى للانسان كل مايتمناه والدليل عليه قوله وكم من ملك الخ (**قوله وكثير من الملائكة**) اشارة الى ان كم خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتداء وخبره لاتغنى وجمع ضمير شفاعتهم مع انه راجع الى الملك حملا على معنى كم دون لفظها وليس المعنى انهم يشفعون فلاتنفع شفاعتهم بل معناه انهم لايشفعون لانه لايؤذن لهم فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم واللام فى قوله تعالى لمن يشاء متعلقة بالاذن وقوله من يشاء يجوز ان يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع له من الناس والثانى هو الظاهر لان الملائكة باجمعهم مأذونون فى الشفاعة للمؤمنين لان الكل يستغفرون للمؤمنين فلاوجه للتخصيص ثم انه تعالى لما استدل على بطلان شفاعة الاصنام لعبدتهم بان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن فكيف يشفع اخس الموجودات من غير ان يؤذن لهم فانهم كانوا يقولون نحن لانعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها صور الملائكة فنضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملائكة للقرب رد الله تعالى عليهم بقوله ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع انكم تحقرون الاناث وتكرهونهن وقد علم الجواب عن اصل اعتذارهم بقوله وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يؤذن لهم فى ان يشفعوا لمن يشاء ان يشفع لهم من المؤمنين ويراهم اهلا لان يشفع لهم (**قوله تعالى تسمية الانثى**) منصوب بنزع الخافض اى كتسمية الانثى والجار والمجرور فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى اى ليذكرون الملائكة ذكرا كذكر الاناث حيث يذكرونهم بنات الله تعالى (**قوله اى كل واحد منهم**) لما كان الظاهر ان يقال تسمية الاناث بدل الانثى لان المسمى الملائكة دون الملك اول الملائكة بكل واحد منهم فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لايؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركب الميت على قبره زعما منهم انه يحشر عليه اجيب عنه بانهم ماكانوا يجزمون بل ينكرون ويقولون لاحشر ثم يقولون فان كان فلناهم شفعاء بدليل انه تعالى حكى عنهم قولهم وماأظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وايضا انهم لايؤمنون بالآخرة على الوجه الذى بينه الرسل فهم لايؤمنون بحقيقة الآخرة بل بما يزعمونه آخرة (**قوله وقرئ بها**) اى وقرئ مالهم بها من علم بدل به فيكون ضمير بها اما للملائكة او للتسمية على حذف المضاف اى مالهم بانوثة الملائكة او بمطابقة التسمية لهم من علم فانهم جاهلون بكل واحد من الامرين معتقدون اعتقاد الايطابق الواقع (**قوله فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم**) فسر العلم بحقيقة الشئ وهى ما عليه الشئ فى نفس الامر وحكم عليها

وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به (ان هى الاسماء) الضمير للاصنام اى ماهى باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية اوللصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء اوللاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها انتم) سميتم بها (وآباؤكم) بهواكم (ما انزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم ان ماهم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا (وما تهوى الانفس) وماتشتهيه انفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه (ام للانسان ماتمنى) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل مايتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده الحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها (فلله الآخرة والاولى) يعطى منهما مايشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه فى شئ منهما (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا) وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم شيئا ولاتنفع (الا من بعد ان يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له (ويرضى) ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) اى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان سموه بنتا (ومالهم به من علم) اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظن لااعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات ومايكون وصلة اليها

(فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الاعنادا واصرارا على الباطل (ذلك) اى امر الدنيا اوكونها شهيته (مبلغهم من العلم) لايجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلاتتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله اوبسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال من المهتدى وحفظ احوالهم لذلك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) مايكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا

بانها لاتدرك الا باليقين واشار الى ان المعارف قسمان حقيقية واعتبارية والحقيقية هى الاحوال الثابتة للاشياء فى انفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهى التى تبحث عنها اهل الحكمة والاعتبارية هى المباحث المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية فالاولى لايتوصل اليها الا بالعلم واليقين بخلاف الثانية فان الظن يعتبر فيها عند عدم الوصول الى اليقين فان قيل كيف يصح ان يقال الظن لايغنى شيأ من المعارف الحقيقية مع انه قد يصيب ويتعلق بحقيقة الشئ وما هو عليه فى نفس الامر فالجواب نعم ان الظن قد يتعلق بالحق الا ان الواجب على المكلف فى المطالب الاعتقادية التيقن بما هو الحق ولا يكفيه الظن به فالظن بالوحدانية مثلا لايغنى من الحق ولاينوب منابه ولاينفع صاحبه ولاينزله منزلة المحق لان المحق من تيقن بالحق وجزم به والظن بالوحدانية لايغنى موحدا ثم انه تعالى لما ذكر انهم تركوا الهدى الذى جاءهم من ربهم واتبعوا الظن وما تهوى الانفس فرع عليه قوله فأعرض عن من تولى عن ذكرنا اى عن كتابنا ووعظنا فلم يصدقه ولم يقبله وقيل عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء ثم جهلهم وصغر رأيهم فقال ذلك مبلغهم من العلم فان امر الدنيا وما يتمتع به فيها اخس الحظوظ واوضعها لايقتصر احد من العقلاء عليه اذ هو من اخلاق البهائم التى لاترغب الا فى الحاضر التافه الفانى قيل كل ما فى القرآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ بآية القتال ورد بان الامر بالقتال لاينافى الامر بالاعراض عن الدعوة وانما ينافيان ان لو كان المراد بالاعراض الاعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الاعراض عن دعوتهم الى الايمان باقامة الدليل والبرهان فانه تعالى امر رسوله عليه الصلاة والسلام اولا بدعائهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امره بازالة شبهتهم والجواب عن اباطيلهم بان قال له وجادلهم بالتى هى احسن ثم لما لم ينفع ذلك قال له ربه اعرض عنهم ولاتشتغل باقامة الدليل والبرهان اذ لم يبق سبيل الى معالجتهم بالغذاء الصالح ولا بالدواء النافع فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدى داؤهم الى الصالحين ويشيع الفساد فى الامة فلما كان الاعراض عن دعوتهم الى الايمان شرطا لجواز المقاتلة معهم لم يكن احدهما منافيا للآخر (قوله والجملة اعتراض) حيث تخللت بين الامر بالاعراض وتعليله (قوله وهو علة لما دل عليه ما قبله) يعنى ان قوله تعالى ليجزى متعلق بمحذوف هو قوله خلق العالم دل عليه قوله لله ما فى السموات والارض فان اللام فيه للملك والملك انما يكون بالخلق ويجوز ان يكون المحذوف قوله ميز الضال من المهتدى الذى هو مدلول قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فجملة قوله لله ما فى السموات معترضة جيئ بها لتأكيد الجزاء وتقريره اى ميز احد الفريقين عن الآخر ليجازى كل واحد من آحاد الفريقين بما يليق به من الجزاء (قوله او باحسن من اعمالهم) مقابل لقوله او بمثله فان من جاء بالسيئة لايجزى الا مثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحسنى على الاولين صفة المثوبة الا ان الحسنى على الاول منهما من قبيل زيد الافضل وعلى الثانى من قبيل زيد افضل من عمرو والحسنى على الثانى صفة اعمالهم (قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر) يجوز ان يكون منصوب المحل على انه بدل او بيان او نعت الذين احسنوا او بتقدير اعنى ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين فان قيل اذا كان بدلا من الذين احسنوا فلم تخالفا فى الصلة حيث كانت صلة الاول ماضيا وصلة الثانى مستقبلا قلنا للاشعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات او بترك الواجبات ينبغى ان يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبه وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب مرة عنها وانهمك عليها فى باقى زمانه لايستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فان من اتى بها ولو مرة يؤجر عليها فقوله الذين يجتنبون على جميع التقادير يدل على ان المحسن هو الذى لايسيئ ولايرتكب القبيح الذى فحش قبحه واتضح فالذين احسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى وبهذا تبين المسيئ والمحسن لان من لايجتنب الكبائر يكون مسيئا والذى يجتنبها يكون محسنا فان قيل الكبائر جمع كبيرة وهى صفة فاموصوفها قلنا انها صفة الفعلة كانه قيل الفعلات الكبائر من الاثم فان قيل لم اختصت الكبائر بالذنوب فى الاستعمال وما المانع من ان يقال فعلات كبائر للحسنات قلنا الحسنة لاتكون كبيرة لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد فى مقابلة نعم الله تعالى تكون فى غاية الصغر ولولا ان الله عزوجل يقبلها لكانت هباء ضائعا بخلاف السيئة فانها من العبد الذى انعم الله عليه بانواع النعم تكون كبيرة (قوله كبائر الاثم) معناه الكبائر من الاثم فان الاثم جنس يدخل تحته الكبائر والصغائر وقد تقرر ان المضاف اليه اذا كان جنس المضاف

تكون الاضافة بمعنى من كخاتم فضة وفسر الكبائر بمايكبر عقابه من الذنوب وجعل الفواحش اخص منها وفسرها بما فحش قبحه من الكبائر فيكون عطف الفواحش على الكبائر للتغليظ والمبالغة فى الذم كعطف جبرآئيل وميكائيل على الملائكة فى المدح كأنه قيل والفواحش منها خاصة (قوله الاماقل وصغر) يعنى ان اللمم الصغير من الذنب من ألم بالمكان اذا نزل نزولا من غير لبث طويل و يقال ألم بالطعام اذا اقل اكله منه وكان عليه الصلاة والسلام يقول ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبدلك ما ألما فيكون الاستثناء منقطعا لان اللمم وهو الصغير من الذنب لايدخل تحت الكبائر والفواحش والمعنى لكن اللمم قد غفره الله تعالى فان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات مابينهن اذا اجتنبت الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قوله تعالى هو اعلم بكم) يحتمل ان يكون متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وبمن اهتدى تقريرا للاحاطة علمه باحوال الفريقين فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم عليه ظاهرا فانه تعالى لما قال نحن اعلم بحال الفريقين ونجازيهما على حسب استحقاقهما كان ذلك مظنة ان يقول بعض الكفرة نحن نعمل امورا فى جوف الليل المظلم فى البيت الخالى فكيف يعلمها الله فرد الله تعالى عليهم وقرر احاطة علمه بها بقوله هو اعلم باحوالكم منكم حيث يعلم احوالكم حين ابتدأ خلقكم وحين صوركم فى الارحام فكيف لايعلم من احسن منكم ممن اساء ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله ليجزى الذين اساؤا او احسنوا وتأكيدا لامر الجزآء فانه تعالى لما قال ليجزى كل واحد من الفريقين كان ذلك مظنة لان يقول من انكر الحشر والجزآء هذا يقتضى ان يحشر من فى القبور ويجمع اجزآءهم المتفرقة بحيث لايختلط شئ من اجزآء البعض باجزآء الباقين وذلك غير ممكن فرد الله عليهم وقرر احاطة علمه بجميع احوالهم فيعلم تفاصيل اجزآء كل شخص فيعيدها الى بدنه فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم على ماقبله كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الاجزآء والمعنى فلا تزكوا انفسكم من العذاب ولاتقولوا تفرقت الاجزآء بحيث امتنع جمعها فلا حشر ولاجزآء فان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد مادام فى بطن امه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لايسمى الا ولدا او سقطا فان قيل اذا كان الجنين اسما للولد مادام فى بطن امه فما فائدة قوله فى بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لايخفى عليه شئ من احواله واختار الحسن البصرى كونه متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل حيث قال علم الله من كل نفس ماهى صانعة وما هى اليه صائرة فلا تزكوا انفسكم ولاتطهروها عن الآثام ولاتمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التحلية والتخلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فاى حاجة الى التزكية (قوله ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم) اى منه او بخلق كل واحد منكم من التراب فانه اصل كل واحد من بنى آدم من حيث ان النبات المتولد منه يصير غذآء ويصير الغذاء دما ويصير الدم نطفة والنطفة انسانا ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام بالاعراض عمن تولى وعلل الامر المذكور باحاطة علمه بمن ضل واهتدى وانه يجازى كل واحد على حسب حاله فرع قوله افرأيت الذى تولى تعجيبا من حاله وانكارا عليه جهله وبخله باعطاء ماالتزمه (قوله من قولهم اكدى الحافر) يعنى ان اصل الاكدآء ان يحفر الحافر فيبلغ الكدية فيمسك عن الحفر لتعذره عليه ثم استعير لكل ماتعذر عن الانسان وقيل ارأيت بمعنى اخبرنى وأعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرنى ان هذا المعطى المكدى هل عنده علم ماغاب عنه من احواله واحوال الآخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما (قوله تعالى ام لم ينبأ) اى لم يخبر بما فى صحف موسى يعنى اسفار التوراة وفى الكواشى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه انزل على ابراهيم عليه السلام عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة وام منقطعة اى بل لم ينبأ أضرب عن انكار ان يكون عنده علم الغيب الى تقرير انه نبئ واخبر بما فى الصحف (قوله وابراهيم) عطف على موسى اى وبما فى صحف ابراهيم والجمهور على تشديد قوله وفى للتكثير والمبالغة فى الوفاء بما التزمه وبما عاهد الله تعالى عليه وبالعمل بما امره الله على التمام او هو بمعنى اوفى الجوهرى اوفاه حقه ووفاه بمعنى اى اعطاه اياه تاما وافيا ومن جملة وفائه بما عاهد الله تعالى عليه انه عهد ان لا يسأل مخلوقا فاتاه جبريل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا (قوله يرتاد ضيفا) اى يطلبه يقال ارتاده ارتيادا اى طلبه (قوله وتقديم موسى) أى مع ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام متقدم عليه فى البعث

(الا اللمم) الا ماقل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح اوالرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر مايشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى (هو اعلم بكم) اعلم باحوالكم منكم (اذ أنشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم) علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام (فلا تزكوا انفسكم) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة من المعاصى والرذائل (هو اعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام (افرأيت الذى تولى) عن اتباع الحق والثبات عليه (واعطى قليلا واكدى) وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم ان صاحبه يتحمل عنه (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) وفر واتم ماالتزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرآئيل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والانوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهى التوراة كانت اكثر واشهر عندهم

فلذلك قدم فى قوله تعالى صحف ابراهيم وموسى ثم انه تعالى بين ما فى صحفهما فقال ان لاتزر وازرة وزر اخرى اى لاتحمل نفس حاملة حمل اخرى ومعناه لاتؤاخذ نفس باثم غيرها وفيه ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم روى عن ابن عباس انه قال كانوا قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى جاءهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ان لاتزر وازرة وزر اخرى وان فى ان لاتزر هى المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشان والتقدير انه الشان لاتحمل نفس حاملة حمل اخرى فان قيل الآية مسوقة لبيان ان وزر الرجل لايحمل عنه ونظم الآية لايدل عليه لان النفس الوازرة مثقلة بوزرها فكل واحد يعلم انها لاتحمل شيئا غير ذلك الذى عليها فلو قال لاتحمل فارغة وزر اخرى لكان اولى واظهر فالجواب ان المراد من الوازرة هى التى يتوقع منها الحمل والوزر لا التى وزرت وحملت ثقلا وقوله وان ليس للانسان معطوف على قوله ان لاتزر وان فيه ايضا هى المخففة من الثقيلة وللانسان خبر ليس والا ماسعى اسمها اى الاسعيه ويجوز ان تكون ما موصولة وقوله وان سعيه سوف يرى معطوف على ان لاتزر ايضا والمعنى ان المذكورات كلها فى الصحف وقوله يرى خبر ان وهو من رؤية العين وفيه ضمير يعود على اسمها وهو السعى والمراد بالسعى العمل كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وعن ابن عباس عدم اثابة الانسان بسعى غيره وفعله منسوخ الحكم فى هذه الشريعة فالحصر المستفاد من قوله تعالى ليس للانسان الاماسعى منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فانه يدل على ان الذريات يدخلون الجنة بعمل آبائهم وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ماسعوا اى ماعملوا وسعى لهم غيرهم لماروى ان امرأة رفعت صبيالها عليه الصلاة والسلام من المحفة فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل يارسول الله ان امى افتلتت نفسها اى ماتت فجأة واظنها انها لو تكلمت لتصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان لاينتفع الابعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل فان الامة قد اجمعوا على ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير وايضا انه عليه الصلاة والسلام يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ثم لاهل الكبائر فى الاخراج من النار وهذا انتفاع بسعى الغير وكذا كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير وايضا الملائكة يدعون و يستغفرون لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير وايضا انه تعالى يخرج طائفة من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع من غير سعيهم وايضا اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق عنه بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وانه يسقط الحج المفروض عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا الصلاة والدعاء له فيها ينتفع بها الميت وهى من عمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لاتحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب ايضا كثيرة فلابد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى فانه لاشتماله على النفى والاستثناء يدل على ان الانسان لاينتفع الابعمل نفسه ولايجزى الاعلى قدر سعيه ولايزاد عليه وذلك يخالف الاقوال الواردة فى انتفاعه بعمل غيره وفى مضاعفة ثواب اعماله ولايصح ان يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فقول المصنف وماجاء فى الاخبار الى آخره جواب عن هذا الاشكال وتقرير الجواب ان معنى الآية ان الانسان لاينتفع بسعى غيره وعمله اذا عمل الغير لنفسه ولم ينو ان يكون ثواب عمله لغيره واما اذا عمل العامل ناويا ان يكون ثواب عمله لغيره فحينئذ ينتفع غيره بثواب ذلك العمل لان العامل اذا نوى ان يعمل لغيره صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فلما كان العامل بمنزلة الوكيل عن الغير صار سعيه وعمله بمنزلة عمل الغير بنفسه وصار الغير منتفعا بعمل غيره اذ عمله كعمل نفسه بهذا الاعتبار فكأنه قيل وان ليس للانسان الاماسعى بنفسه حقيقة او حكما فان عمل الوكيل عمل للموكل حكما وايضا ان سعى الغير انما لاينفعه اذا لم يوجد له سعى قط فاذا وجد له سعى بان يكون مؤمنا صالحا كان سعى الغير تابعا لسعيه فكأنه سعى بنفسه فان علقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه الصلاة والسلام مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد لاخيه فى الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى فى شد عضد اخيه فكان سعيه سعيه (قوله اى يجزى العبد سعيه)

(ان لاتزر وازرة وزر اخرى) ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى اوالرفع على هو ان لاتزر كأنه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لايؤاخذ احد بذنب غيره ولايخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره (وان ليس للانسان الاماسعى) الاسعيه اى كما لايؤاخذ احد بذنب الغير لايثاب بفعله وماجاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه (وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا والهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله

يعني ان فعل الجزاء يتعدى الى مفعولين كما في قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقولهم جزاك الله خيرا فاحد المفعولين في الآية هو المرفوع المستتر في يجزي وثانيهما المنصوب البارز والتقدير ثم يجزى الانسان سعيه اى جزاء سعيه فحذف المضاف والجزاء الاوفى مفعول به بواسطة حرف الجر عدى اليه الفعل بنزع الخافض ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا مبينا للنوع ويجوز ان تكون الهاء في يجزاه ضمير الجزاء المدلول عليه بيجزى فيكون منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليجزى فلا يكون الجزاء الاوفى مفعولا مطلقا ايضا لان الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلا منه او عطف بيان له او منصوبا بتقدير اعني (قوله وقرئ بالكسر) العامة على فتح الهمزة من ان وما عطف عليها بمعنى ان الجميع في صحف موسى وابراهيم وقرئ بكسر الهمزة في الجميع على انها ابتداء كلام لبيان ان انتهاء رجوعهم الى موقف حساب الله تعالى فيجزيهم باعمالهم والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء (قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى) قيل معناه ان ما يعمله الانسان فبقضائه وحكمه وخلقه حتى الضحك والبكاء وقال الكلبي اضحك اهل الجنة بفضله ورحمته وابكى اهل النار بعدله وسخطه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك قوما عند الموت باسماع وابشروا وابكى قوما عنده باسماع لا بشرى لكم (قوله تدفق في الرحم) يقال منى المنى وامناه اى انزله واراقه وصبه وفسره الاخفش بقوله تخلق على انه من منى الماني اى قدر المقدر ويدل على كمال قدرة الله تعالى ان النطفة مع كونها جسما متناسب الاجزاء يخلق الله تعالى منها الذكر والانثى والاعضاء المختلفة والطبائع المتباينة ثم انه تعالى بعدما خلقهم اولا من نطفة كذا يخلقهم ثانيا من تراب كما قال وان عليه النشأة الاخرى وانما قال عليه لانه فاعل لا محالة على ما تقتضيه الحكمة ثم قال وانه هو اغنى اى اعطى ما يغني عن الغير واقنى اى اعطى القنية وهي اسم لما يقتنى اى يدخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية والتأثيل التأصيل ومال مؤثل اى متخذ اصل مال يحفظ ويدخر لقصد الاستثمار والاستغناء وفي الصحاح اقتناء المال وغيره اتخاذه وفي المثل لا تقتن من كلب سوء جروا واقناه الله اعطاه ما يقتنى من القنية والنشب قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة واقناه الله ايضا اى ارضاه والقنى الرضى تقول العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الضأن فقد اعطى القنى ومن اعطى مائة الابل فقد اعطى المنى (قوله يعني العبور) اشارة الى ان الشعرى شعريان احداهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الغميصاء فصلت المجرة بينهما لزعم العرب ان الشعريين اختا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصا فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص في العين ما سال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا (قوله ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلاة والسلام ابن ابي كبشة) لا يريدون بذلك اتصال نسبته عليه الصلاة والسلام اليه وان كان الامر كذلك بل يريدون به موافقته عليه الصلاة والسلام اياه في ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد وكان ابو كبشة الخزاعي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه عبدها وقال لا ارى شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها وليس شيء مثلها نعبدها وعبدتها خزاعة والمعنى ان الشعرى مربوب فاعبدوا ربه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خالف العرب واظهر بينهم دينا جديدا شبهوه في خلافه اياهم بابي كبشة وسموه بذلك لخلافه اياهم كخلاف ابي كبشة العرب في عبادة الشعرى (قوله لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح) اشارة الى انه ليس هناك عادان احدهما اقدم زمانا من الاخرى حتى يكون وصف احدهما بالاولى للاحتراز عن عادة الاخيرة بل ليس هناك الا عاد واحدة هم اصحاب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وهم قوم هود عليه السلام اهلكهم الله بريح صرصر عاتية والمراد باوليتهم تقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح وقيل كان بعدهم عاد اخرى سواهم فلذا سماهم الله تعالى عادا الاولى وهو قول المصنف وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم قال الكشاف في تفسير سورة الفجر قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرى فارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة انتهى كلامه وهو وان كان موافقا لما نقله المصنف من ان عادا عادان عاد اولى وعاد اخرى الا انه مخالف له من حيث ان ارم هي الاولى على هذا القول وهي اخرى

(وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر (وان عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ (وانه هو اغنى واقنى) واعطى القنية وهي ما تأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية (وانه هو رب الشعرى) يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها (وانه اهلك عادا الاولى) القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم

وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعادا الولى بادغام التنوين فى اللام (وثمودا) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف (فما أبقى) الفريقين (وقوم نوح) ايضا معطوف عليه (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم اظلم واطغى) من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت باهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط (أهوى) بعد ان رفعها فقلبها (فغشاها ما غشى) فيه تهويل وتعميم لما اصابهم (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها آلاء من قبل ما فى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا نذير من النذر الاولى) اى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين (أزفت الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية (افمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) تحزنا على ما فرطتم (وانتم سامدون) لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا) اى واعبدوه دون الآلهة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

على مانقله المصنف (قوله وقرئ عادا الاولى) اعلم انه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها على الاصل فان التنوين اذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله وقد يحذف التنوين تشبيها له بحرف العلة كما فى قرآءة من قرأ احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا هذا فى الوصل فاذا وقفوا على عادا وابتدؤا بالاولى فقياسهم ان يقولوا الاولى بفتح همزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة وهم صرفوا عادا اما لانه اسم للحى او الاب فليس فيه مانع واما لانه وان كان مؤنثا اسم للقبيلة الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه وقرأ قالون عادا الؤلى بادغام التنوين فى لام التعريف بعد نقل حركة همزة اولى الى لام التعريف وحذف الهمزة للتخفيف وابدال واو اولى همزة فانه لما قصد التخفيف بالادغام نقل حركة الهمزة الى اللام وان لم يكن النقل من اصله ولما نقل الحركة الى اللام اعتد بتلك الحركة اذ لا يمكن الادغام فى ساكن ولا فيما هو فى حكم الساكن وقرأ ورش وابو عمرو عادا الولى بادغام التنوين فى اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف كقالون الا انهما ابقيا الواو على حالها غير مبدلة همزة وروى المصنف قرآءة اخرى وهى ان تحذف همزة اولى بعد نقل حركتها الى اللام وتحذف همزة الوصل استغناء عنها بحركة اللام وان لا يدغم التنوين فى لام التعريف لعدم الاعتداد بحركتها فان العرب اذا نقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها كلام التعريف مثلا تجعله فى حكم الساكن ولا تعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين وان كان قبلها همزة وصل لا يستغنى عنها فتقول لم يذهب الجمر ورأيت رداالعجم من غير ادغام التنوين فى الام والجمر والعجم بهمزة الوصل لكون اللام فى حكم الساكن فقرآءة عادا الاولى مبنية على هذا الاصل (قوله عطف على عادا) فيكون منصوبا باهلك ولا يجوز كونه منصوبا بقوله فما ابقى لما تقرر من ان ما بعد النفى لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى والمؤتفكة اهوى ايضا معطوف على عاد اى واهلك المؤتفكة وهى قرى قوم لوط عليه السلام ومفعول اهوى محذوف وهو ضمير المؤتفكة اى اسقطها من السماء بعد ما رفعها اليها على جناح جبريل عليه السلام يقال افكه فائتفك اى قلبه فانقلب ويجوز ان تكون المؤتفكة منصوبة باهوى والمنوى فيه وفى قوله تعالى فغشاها ضمير البارى عز وجل اى ألبس الله المؤتفكة ما ألبسها من العذاب الذى من جملته ما امطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة فمفعولاه مذكوران احدهما ضمير المؤتفكة والثانى قوله ماغشى والمنوى فى قوله ماغشى ايضا ضمير البارى ومفعولاه محذوفان احدهما ضمير ما والثانى ضمير المؤتفكة اى فغشاها الله ماغشاه اياها (قوله انذار من جنس الانذارات) جعل النذير مصدرا بمعنى الانذار على تقدير كون هذا اشارة الى القرآن لان القرآن انما تعلق به الانذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذبين ولا شك ان اقتصاصها ليس بمنذر بل هو انذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام فانه منذر ليس الا وتأنيث الاولى على تقدير كونه صفة للنذر بمعنى المنذرين لكون النذر بمعنى الجماعة اذ لا وجه ان يقال من جنس المرسلين الاولى الا بذلك التأويل (قوله دنت الساعة الموصوفة بالدنو) يعنى الآزفة صفة لمحذوف هو الساعة او القيامة وان اللام فيها للعهد ولذلك صح الاخبار عنها بالدنو اذ لو كانت للجنس لما صح اذ لا فائدة فى ان يقال قرب جنس القريب فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه ايضا قلت لا نسلم ذلك لانه انما لا يفيد اذا كان الكلام مخرجا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو مبنى على تنزيل العالم بالشئ منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم (قوله او الآن) عطف على قوله اذا وقعت اى اذا وقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله قال محى السنة وقيل معناه ليس لها راد يعنى اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد الا الله وبهذا قال قتادة والضحاك ويجوز ان يكون المعنى القيامة التى وصفت لك بالازوف هى آزفة فى نفس الامر فكيف لا تستعد لها (قوله ليس لها نفس قادرة على كشفها) الكشف على الاول بمعنى الازالة بالكلية وعلى الثانى يكون بمعنى الازالة ايضا الا انه لا يكون بمعنى الازالة بالكلية بل يكون بمعنى التأخير الى امد بعيد وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والاعلام اى ليس لها نفس مبينة تبين انها متى تقوم (قوله وانتم سامدون) يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالا اى انتفى عنكم البكاء فى حال كونكم سامدين والسمود قيل الاعراض والغفلة عن الشئ فسر السمود بثلاثة اوجه الاول كون الانسان لاهيا غافلا قال الشاعر

الا ايها الانسان انك سامد * كانك لا تفنى ولا انت هالك

والثانى الاستكبار والثالث الغناء قال عكرمة السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكان الكفار اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا ليشغلوا الناس عن استماعه * تم هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة القمر)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت نبيا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا وحديث انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقول من قال انه سينشق يوم القيامة الا انه قيل انشق بلفظ الماضى لتحقق وقوعه قول مخالف للاجماع روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال ما وعد الله رسوله من اشراط الساعة كلها قد مضى الا اربعة طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقى القمر وهذا صريح فى ان كل واحد من النصفين ذهب من موضع القمر وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ذهب احد النصفين عن موضع الاخر وبقى النصف الاخر فى موضعه واول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى أزفت الآزفة فكأنه تعالى اعاد ذلك مع الدليل فان انشقاق القمر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام ونبوته وزمانه من أشراط الساعة وايضا ان من ينكر خراب العالم يقول ان الافلاك وما فيها من الكواكب لا يقبل الخرق والالتئام فاذا انشق بعضها ثبت بطلان ما قالوه فعلى هذا يجوز ان يراد باقتراب الساعة استبعاد الاذهان والعقول لوقوعها لا اقتراب زمان وقوعها (قوله وقوله وان يروا) مرفوع بالعطف على فاعل قوله ويؤيد الاول اى ويؤيد وقوع الانشقاق فى عهده عليه السلام قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ووجه كونه مؤيدا لذلك انه مسوق لذمهم بان حالهم فيما يستقبل كحالهم فيما مضى وهى الاعراض عن تأمل الايات والاهتداء بها الى الحق الصريح والذم بهذا الطريق انما يحسن اذا رأوا قبله آية عظيمة واعرضوا عنها ولم يرفعوا اليها رأسا والتنكير فى قوله آية للتعظيم اى وان يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا الخ (قوله مطرد) اى دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد اخرى يريدون به ترادف المعجزات التى نسبوها الى السحر فانه عليه الصلاة والسلام كان يأتى فى كل زمان بمعجزة قولية اوفعلية ارضية اوسماوية فقالوا هذا سحر مستمر اى دائم لا يختص تعلقه بشئ دون شئ ولا بزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الامور فى جميع الازمان قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فنستخبر السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم فاخبروهم انهم رأوا ذلك فتعجبوا منه (قوله اومحكم) معطوف على مطرد والمرة القوة والشدة فالسحر الذى يؤثر فى الاجرام العلوية كما يؤثر فى الاجرام السفلية يكون قويا مستحكما يقال حبل مرير الفتل اذا اشتد فتله ويحتمل ان يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر مر مستبشع وان يكون من المرور يقال مر يمر مرا ومرورا اى ذهب واستمر مثله ويقال امر الشئ اذا صار مرا وكذلك مر الشئ يمر بالفتح مرارة فهو مر واستمر مثله على ان استفعل بمعنى فعل كطاب واستطاب وقر واستقر فقولهم انه سحر مستمر اى مار يذهب ويفنى تمنية منهم لانفسهم وتعليلا لها واطماعا فى غير مطمع (قوله وذكرهما بلفظ المضى) مع ان الظاهر ان يقال ويكذبوا ويتبعوا لكونهما معطوفين على قوله يعرضوا ويقولوا (قوله تعالى وكل امر مستقر) الجمهور على كسر قاف مستقر ورفعه على انه خبر كل الواقع مبتدأ وفسره المصنف بقوله منته الى غاية اشارة الى ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شئ من الخير والشر والحق والباطل وتنكشف جلية الحال وتتضح الشبهة والالتباس فالحقائق انما تظهر عند العواقب فان لكل امر غاية فى الدنيا وكذا فى الاخرة ينتهى اليها لا محالة فاذا انتهى اليها يستقر ويتم امره ويتبين حاله فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته وكذلك امر تكذيبه فالآية وعيد للمشركين ووعد للرسول وللمؤمنين ونظيره قوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اى كل نبأ وان طالت مدته

(سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك اومحكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم اومستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا اهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ المضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة (وكل امر مستقر) منته الى غاية من خذلان اونصر فى الدنيا وشقاوة اوسعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة

فلابدان ينتهى الى غايته وتنكشف حقيقته من الحقية والبطلان (قوله وقرئ بالفتح) اى بفتح القاف على انه مصدر
ميمى بمعنى الاستقرار فلابد من تقدير مضاف اى وكل امر ذو استقرار وقرئ بكسر القاف وجر الكلمة ايضا
فيكون كل امر مرفوعا بالعطف على فاعل اقتربت وهو الساعة ثم انه تعالى بعد ماوعد كفار مكة بخذلانهم
فى الدنيا وشقاوتهم فى العقبى ووعد الرسول والمؤمنين بالنصرة فى الدنيا والسعادة فى الاخرة امر رسوله عليه السلام
بان يتولى عن دعوتهم ومناظرتهم بالحجة والبرهان وفرع الامر بالاعراض على قوله جاءهم من الانباء مافيه مزدجر
فما تغن النذر تعليلا للامر المذكور والانباء هى الاخبار العظام فان النبأ والانباء لم يرد فى القرآن الالماله وقع وشان
عظيم والزجر المنع والنهى وازدجر افتعل منه اصله ازتجر وقد تقرر ان تاء الافتعال اذا وقعت بعد الزاى والدال
والذال تقلب دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فتقلب حرفا يناسب الزاى فى الجهر ويناسب التاء
فى المخرج وهو الدال فيصير ازدجر والمزدجر فى الآية مصدر ميمى بمعنى الازدجار اى الزجر فان بناء افتعل وان
شاع كونه لمطاوعة فعل نحو جمعته فاجتمع الا انه قد يكون بمعنى فعل نحو مدحته وامتدحته وهذا هو المناسب
فى هذا المقام فقولنا زجره وازدجره بمعنى واحد اى نهاه ومنعه عن السوء وارتفاع مزدجر يجوز ان يكون
على الابتداء وفيه خبره وان يكون على انه فاعل لقوله فيه لاعتماده على الموصول او الموصوف فان ما يجوز كونها
موصولة وموصوفة فالجملة بعدها صلتها او صفتها (قوله نفى او استفهام انكار) اى يجوز ان تكون ما نافية فيكون
مفعول تغنى محذوفا اى فما تغنى النذر شيئا وان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب على انها
مفعول مقدم لتغنى اى اى شئ تغنى النذر اذا خالفهم اهل مكة وكذبوهم (قوله ويجوز ان يكون الدعاء فيه)
اى فى البعث والاعادة مثل كن فى التكوين ابتداء بان لايكون ثم داع من اسرافيل وغيره بل يكون الكلام
من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه نفاذ مشيئته تعالى وعدم تخلف مراده عن ارادته بترتب اجابة المدعو
المطيع لدعاء الداعى المطاع من غير توقف وتردد كما قيل ان امر كن فى الابداء والتكوين كذلك ومن قال ان الدعاء
والنداء على حقيقته منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس ويدعو وينادى قائلا ايتها العظام
البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعوا لفصل القضاء ومنهم من يقول ان
اسرافيل ينفخ وجبريل عليه السلام يدعو وينادى بذلك ولما حذفت الواو من يدعو فى التلفظ لاجتماع الساكنين
حذفت فى الخط ايضا تبعا للفظ وحذفت ياء الداعى اكتفاء بالكسرة والنكر بضمتين صفة على فعل وقرئ بسكون
الكاف كما فى قوله تعالى لقد جئت شيئا نكرا وكلاهما بمعنى المنكر والشئ الشديد الفظيع يسمى نكرا لان
النفوس تنكره وقرئ نكر بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء على انه فعل ماض مبنى للمفعول فى موضع الجر
على انه صفة لشئ وخاشعا حال من فاعل يخرجون قدمت على عاملها لكونه فعلا اصليا فى العمل قرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائى خاشعا ابصارهم وباقى السبعة خشعا والقرآءة الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وما
جرى مجراه اذا قدم على فاعله الظاهر يفرد ويذكر فيقال تخشع ابصارهم ولا يقال تخشعن ابصارهم فان
تأنيث الجمع غير حقيقى لكونه بمعنى الجماعة والفعل اذا اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقى جاز الحاق علامة
التأنيث بالفعل وتركها نحو طلع الشمس وقوله تعالى فمن جاءه موعظة فكذا اذا اسند الى ظاهر الجمع مطلقا
اى سواء كان جمع سلامة او جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقى التذكير او التأنيث كرجال ونسوة او مجازى
التأنيث كايام ودور وكذا واحد المجموع بالالف والتاء ينقسم الى هذه الاقسام الاربعة نحو الطلحات والزينبات
والجبليات والغرفات فحكم المسند الى ظاهر هذه الجموع حكم المسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى فى جواز
الحاق علامة التأنيث وتركه واما الحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا الى الظاهر فغير فصيح الا على لغة طى يقولون
اكلونى البراغيث فقرآءة خشعا ابصارهم جاءت على تلك اللغة فكذا اسماء الفاعلين اذا اسندت الى الجماعة جاز فيها
التوحيد مع التذكير نحو خاشعا ابصارهم وجاز ايضا التوحيد مع التأنيث نحو خاشعة ابصارهم وجاز الجمع ايضا على
لغة طى نحو خشعا ابصارهم فقوله وقرئ خاشعة على الاصل وهو ان لا يجمع اذا اسند الى ظاهر الجمع وان اؤنث
لكونه مسندا الى المؤنث وان كان تأنيثه غير حقيقى ولم يجعل المصنف قرآءة خشعا ابصارهم مبنية على لغة اكلونى
البراغيث لعدم الاحتياج الى حملها على تلك اللغة لانه انما يحتاج الى الحمل عليها فيما اذا كان المسند فعلا او مايشبه
الفعل ويجرى مجراه وهو جمع السلامة مثل قائمين غلمانهم وكريمين آباؤهم واما اذا كان المسند مما لا يشبه الفعل كجمع

(ولقد جاءهم) فى القرءان (من الانباء) انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة (مافيه مزدجر) ازدجار من
تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال
والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها
(حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما او خبر
لمحذوف وقرئ بالنصب حالا مما فانها موصولة
او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغنى
النذر) نفى او استفهام انكار اى فاى غناء يغنى النذر
وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى
الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم
(يوم يدع الداع) اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء
فيه كالامر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء
اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون
او باضمار اذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها
لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر
بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر (خاشعا ابصارهم
يخرجون من الاجداث) اى يخرجون من قبورهم
خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره
لان فاعله غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما
حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم
لانه ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم
على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا (كانهم جراد
منتشر) فى الكثرة والتموج والانتشار فى الامكنة
(مهطعين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه
او ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب

(كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا
عبدنا) نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه
تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب بعد
آخرون مكذبون او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل
(وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر على
التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى
هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه انى)
اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى
قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم
فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر
مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم
لا يعلمون (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر) منصب
وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها
وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب
(وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها
عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير
للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ
الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
(على امر قد قدر) على حال قدرها الله فى الازل من
غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر
ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو
هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح)
ذات اخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع
دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة
للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها
يؤدى مؤداها (تجرى باعيننا) بمرأى منا اى
محفوظة بحفظنا

التكسير فجمع مثل هذا المسند اولى من افراده ليطابق فاعله ولا محذور فى كونه مخالفا للفعل فى الحكم لانه لا يشبه
الفعل فكذلك خشعا ابصارهم وقبح قاعدين غلمانهم ولم يصح قعود اغلامهم والظاهر ان قوله تعالى يخرجون من
الاجداث استئناف لبيان عاقبة التولى عنهم ان كان يوم منصوبا بيخرجون ولبيان ما يكون فى ذلك اليوم ان كان
منصوبا باذكر وقوله تعالى كأنهم جراد فى موضع الحال من فاعل يخرجون اى يخرجون مشبهين بالجراد وكذا
مهطعين والاهطاع الاسراع اى مسرعين الى جهة الداعى منقادين اذلاء وقيل هو الاسراع مع مد العنق وقيل هو
النظر الجوهرى هطع الرجل اذا أقبل ببصره على الشئ لا يقلع عنه وهطع هطوعا وأهطع اذا مد عنقه وصوب
رأسه وأهطع فى عدوه اى أسرع ثم انه تعالى شرع فى ذكر بعض الانبياء فقال كذبت قبلهم قوم نوح (**قوله**
وهو تفصيل بعد اجمال) يعنى ان قوله تعالى كذبت قبلهم لا يقدر له مفعول بل ينزل منزلة اللازم اى فعلوا فعل
التكذيب والتكذيب لابدله من متعلق الا انه اجمل ثم فصل بقوله فكذبوا عبدنا فتكون الفاء فيه للتعقيب فى الذكر
كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال (**قوله** وقيل معناه) اى قيل ان الفاء ليست لعطف تفصيل المجمل على
المجمل بل هى لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها فى التحقق والوجود وذلك بان يقصد تعلق قوله كذبت قبلهم
بالمفعول الا ان ذلك المفعول لم يذكر اما لقصد التعميم واما لكونه متعينا لدلالة القرينة عليه والمعنى كذبوا نوحا
تكذيبا عقيب تكذيب او كذبوه بعدما كذبوا جميع الرسل فان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن
يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة رأسا ويقول لا تعلق للبارى تعالى بالعالم السفلى وانما امره الى
الكواكب والاوضاع الفلكية فكان مذهبه تكذيب الرسل جميعا فلما بعث اليهم نوح عليه الصلاة والسلام كذبوه
ايضا على مقتضى ما ذهبوا اليه فتكذيبهم اياه تكذيب له عقيب تكذيب الرسل عليهم السلام وقولهم فى حقه عليه
السلام هو مجنون مبالغة فى تكذيبهم اياه حيث شبهوه بالمجنون زاعمين انه يقول ما لا يقبله العقل ويأباه وليس
مرادهم انه عليه السلام مجنون حقيقة لانه مكابرة محضة (**قوله** وزجر) يعنى ان قوله تعالى وازدجر افتعل بمعنى
فعل كقوله ما فيه مزدجر فيكون قوله وازدجر من كلام الله تعالى اخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانه انتهر وزجر
بالسب وانواع الاذية حيث قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله فدعا ربه
عليه بالفاء اى لما زجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته اليهم دعا ربه بانى غلبنى قومى بالتكذيب وانواع الاذية
على طول الزمان فانتقم لى ممن كذبنى (**قوله** وهو مبالغة وتمثيل) يعنى جعل الماء آلة لفتح ابواب السماء مبالغة
فى كثرة الماء هذا على ان تكون الباء فى قوله تعالى بماء منهمر للاستعانة كما تقول فتحت بالمفتاح ويحتمل ان تكون
للحال اى فتحناها ملتبسة بهذا الماء المنهمر الكثير النازل بقوة وتتابع حيث قيل انه لم ينقطع اربعين يوما وجعل
الكلام استعارة تمثيلية لان الظاهر ان السماء ليست لها ابواب تفتح وتغلق حتى تنزل الامطار من تلك الابواب
بل هى انما تنزل من السحاب الا انه شبه نزولها من السحاب بكثرة وشدة بنزولها من السماء بان غلبت على ابوابها
وانصبت منها ولم يتأت للابواب ان تسدها وقيل كل واحد من السماء والابواب وفتحها حقيقة اذ لا بعد فى ان يكون
للسماء ابواب تفتح وتغلق حتى روى عن على رضى الله عنه ان ابواب السماء هى المجرة ولا بعد ايضا ان ينزل المطر من
تلك الابواب (**قوله** فغير للمبالغة) اى غير العيون من المفعولية الى التمييز للمبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض
معناه فجرنا وسيلنا ما فيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف قولنا فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزاء
الارض كلها بجعلها عيون ماء ولاشك فى انه ابلغ ولما كان الماء اسم جنس صح ان يقال فالتقى الماء بدل فالتقى
ماء السماء وماء الارض والظاهر ان قوله تعالى على امر حال من الماء اى فالتقى مياه السماء والارض كائنة على
المقدار الذى قدره الله تعالى فى الازل ان تكون عليه او التقيا كائنا كل واحد منهما على مقدار الآخر مساويا له كما
قال مقاتل قدر الله ان يكون الماآن سواء وكانا على ما قدرا او فالتقى الماء مستوليا على ما قدره الله تعالى من هلاك
قوم نوح انتهى (**قوله** جمع دسار) مثل كتاب وكتب وكان الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فان
المسمار يدفع دفعا شديدا (**قوله** اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها) اى كالشرح يعنى ان قوله تعالى ذات الواح
ودسر لما كانت صفة كاشفة للسفينة مبينة لماهيتها لكونها مركبة من الواح ودسر حسن اقامتها مقام السفينة
فان تقدير الكلام وحملناه على سفينة ذات الواح ودسر فحذف الموصوف وقوله تجرى فى محل الجر على انه
صفة ذات الواح وباعيننا فى موضع النصب على انه حال من المنوى فى تجرى اى تجرى بمرأى منا محفوظة بحفظنا (**قوله**

اى فعلنا ذلك) الاشارة الى الافعال المذكورة بقوله ففتحنا وفجرنا وحملنا اى فعلنا كله جزآء للمكفور وهو نوح عليه الصلاة والسلام فان انجاءه واهلاك مكذبيه جزآءله على ما تحمله من اذيتهم على ان يكون المراد بالكفر هو ضد الشكر وهو جحود النعمة فان الكفر بهذا المعنى يتعدى بنفسه يقال كفره كفورا وكفرانا ويجوز ان يراد به ما هو ضد الايمان ويكون التقدير لمن كان كفر به فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير فان الكفر الذى هو ضد الايمان يعدى بالباء قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله والجمهور على ان كفر بضم الكاف وكسر الفاء على بناء المفعول وقرئ كفر على بناء الفاعل والمراد بمن كفر قوم نوح (قوله اى السفينة) يعنى الموصوفة بقوله ذات الواح ودسر ثم قيل المراد ترك عينها على الجودى من ارض الجزيرة وقيل بارض الهند وقيل المراد ترك مثلها فى الناس فانهم لم يعرفوا قبل ذلك اتخاذ السفن فلما رأوا تلك السفينة صنعوا مثلها فكانت آية باقية وعبرة باهرة تدل على قدرة الله تعالى وحكمته وعظم فضله لعباده عن قتادة انه قال ابقى الله سفينة نوح على الجودى حتى ادركها اوآئل هذه الامة وكذا عن ابن عباس قال الامام ابو الليث قوله تعالى تركناها آية يعنى سفينة نوح ابقيناها عبرة للخلق قال بعضهم يعنى تلك السفينة كانت باقية بعينها على الجبل الى قريب من خروج النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت آية للناس الى هنا كلامه (قوله اوالفعلة) وهى انجاء نوح ومن آمن به من اصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب اليم (قوله معتبر) يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والانابة ثم انه تعالى لما بين انه اجاب دعوة نوح ان فتح ابواب السماء بالماء المنهمر وفجر الارض عيونا وانه حمل من آمن من عباده على السفينة علم منه انه تعالى عذب قومه باسرهم بان اغرقهم اجمعين فقال استعظاما لذلك العذاب وايعادا لمشركى مكة فكيف كان عذابى الذى عذبتهم به كيف كان عاقبة انذارى وعنادهم والنذر يحتمل ان يكون مصدرا كالانذار كما حكى عن الفرآء انه قال تقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا ويحتمل ان يكون جمع نذير الذى بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فالمعنى فكيف كان عاقبة انذار اتى لهم بالعذاب ألم اعذبهم بمرة واحدة بعد ما تتابعت وتواترت عليهم انذاراتى التى هى آثار رحمتى (قوله باردة) على ان يكون الصرصر مأخوذا من الصر بكسر الصاد وهو برد يضر بالنبات والحرث وفى الصحاح ريح صرصر اى باردة وقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف وعن المبرد ان الصرصر الريح الشديد الصوت من صر الباب او القلم اذا صوت وقيل الصرصر الدائمة الهبوب من اصر على الشئ اذا دام وثبت (قوله تعالى فى يوم نحس) العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وهو عند الكوفيين من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانهم يجوزون ذلك خلافا للبصريين فانهم لا يجوزونها الا بتأويل حذف الموصوف من المضاف اليه فيقولون فى مسجد الجامع مثلا تأويله مسجد الوقت الجامع وتأويل الآية فى يوم عذاب نحس ويجعلون المضاف اليه صفة لموصوف محذوف وقرئ بتنوين يوم ووصفه بنحس كقوله تعالى فى ايام نحسات جعل الاستمرار اولا بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة لنحس اذ لا معنى لاستمرار اليوم بخلاف نحوسة ايام فانه يجوز استمرارها ثم اشار الى جواز كون الدوام صفة لليوم بان يكون اليوم بمعنى الوقت مطلقا كما فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام على يوم ولدت ويوم اموت حيث قال او استمر عليهم حتى اهلكهم ويجوز ان يكون المراد به ان ذلك اليوم استحكم عليهم واشتد حتى اهلكهم على ان يكون الاستمرار من المرة وقوله اوعلى جميعهم على ان يكون من المرور قال تعالى فى سورة الحاقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعة وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى وقت غروب الشمس فى الاربعاء الآخر وتشاءم بعض الناس بالاربعاء الذى يكون فى آخر الشهر بناء على انه تعالى قال فى حقه يوم نحس مستمر ولا وجه له لان المراد انه نحس على المفسدين بمشيئة الله تعالى اذ لم يظهر نحسه فى حق هود ومن آمن به ولا فى حق سائر المفسدين والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين وقوله تعالى تنزع الناس صفة لقوله ريحا صرصرا ويجوز كونه حالا منها لكونها موصوفة وقوله تعالى كأنهم حال من الناس اى نازعة الناس مشبهين باعجاز نخل وهى اصولها التى قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم عن اجسادهم فتبقى اجسادهم

(جزاء لمن كان كفر) اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين (ولقد تركناها) اى السفينة اوالفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر (فهل من مدكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر اوللحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله اولمن بعدهم فى تعذيبهم (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة اوشديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) استمر شؤمه اواستمر عليهم حتى اهلكهم اوعلى جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى

بلارؤس والمنقعر المنقلع عن اصله وقعرا شئ اصله يقال قعرت النخلة اى قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت والنخل جمع نخلة وتذكيره حيث قيل فى صفته منقعر باعتبار لفظه وتأنيثه فى قوله تعالى اعجاز نخل خاوية باعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل والمعنى تنزعهم الريح نزعا بعنف كأنهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعرون وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض لجسامتهم فكأنهم لعظم اجسامهم وكمال قوتهم يتصدون لمقاومة الريح ثم ان الريح لما صرعتهم وألقتهم على الارض كانت كأنها قلعت اعجاز نخل منقعر (قوله بالانذارات او المواعظ) الاول على ان يكون النذر مصدرا كالانذار والثانى على ان يكون جمع نذير بمعنى الانذار والموعظة كالنكير بمعنى الانكار والثالث على ان يكون جمع نذير بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين للرسل مع انهم كذبوا رسولهم صالحا عليه الصلاة والسلام لان تكذيبه فيما جاء به تكذيب للرسل جميعا فى الحقيقة لانهم متفقون فى اصول الدين (قوله والاول اوجه للاستفهام) اى كونه منصوبا على الاشتغال بمعنى أنتبع بشرا منا نتبعه اوجه لانه حينئذ تكون اداة الاستفهام داخلة على الفعل على الاصل (قوله كأنهم عكسوا الخ) يعنى كان صالحا عليه الصلاة والسلام يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران هائلة فى العقبى وهى المراد بالسعر الذى هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول (قوله تعالى من بيننا) حال من هاء عليه اى أخصص بالرسالة والوحى منفردا من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا والاستفهام للانكار والاشر صفة مشبهة مثل فرح وفعله أشر يأشر أشرا فهو أشر من باب علم (قوله وقرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون) اى بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح لقومه والثانى انه خطاب الله تعالى وكلام له لهم على سبيل الالتفات من الغيبة فى قوله فقالوا وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله فقالوا والجمهور على كسر الشين وتخفيف الراء فى قوله من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان بمعنى مثل يقظ ويقظ وحذر وحذر وقرئ ايضا الاشر بفتح الشين وتشديد الراء وهو افعل تفضيل من الشر اصله اشر كان خيرا اصله اخير حذفت همزة افعل منهما لكثرة دورانهما فى الكلام ثم ان ثمود لما كذبوه وتعنتوا عليه سألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وهى الناقة التى اتت عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال كذلك اسمها حتى تضع فدعا صالح ربه فاوحى الله تعالى اليه فقال تعالى انا مرسلوا الناقة اى باعثوها ومخرجوها من الصخرة كما اقترحوا وقوله فتنة لهم مفعول له فان تحقق ما اقترحه القوم يشبه الامتحان اى محنة لهم واختبارا فان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب حيث يظهر بها الحق ويتميز من يتبع الهدى والبينة ممن يتبع الهوى فمن اصر على الضلال بعدما شاهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فان سنة الله جرت كذلك كما قال فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين (قوله قسمة بينهم) اى مقسوم او ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم فى القسمة (قوله لها يوم ولهم يوم) اشارة الى ان كون الماء الذى يشربونه مقسوما بين القوم والناقة ليس معناه ان الماء قسمان قسم لها وقسم لهم بل المراد ان يجعل الشرب بينهم على طريق المناوبة بان يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما (قوله يحضره صاحبه) اشارة الى ان حضره واحتضره بمعنى والظاهر ان قوله او يحضر عنه بمعنى او يمنع عنه الا ان استعمال الحضر بالضاد فى معنى المنع ليس بمعهود والذى بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والفاء فى قوله تعالى فنادوا صاحبهم فصيحة تفصح ان فى الكلام محذوفا تقديره فبقوا على ذلك زمانا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فان الناقة مع فصيلها كانت تمشى فى الصيف فى مصيف مواشيهم فتهرب المواشى منهما فتبقى فى موضعها الذى تمشى فيه وكانا يمشيان وقت الشتاء فى مشتى المواشى فتهرب المواشى منهما فيبقين فى الضيق فغلب عليهم الشقاوة فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمر اذا صدرت عن الماء فتحاماها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها وصاح به قيد الرهط اى نبهوه على صدورها ومجيئها وقدومها من مكمنه ودعوه الى قتلها وشجعوه عليه فتعاطى اى فاجترأ على تعاطى قتلها والاقدام عليه فان التعاطى عبارة عن الاقدام على الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتبرأ منه كل احد ويعطيه صاحبه اى فعاطى صاحبهم آلة العقر فعقرها بها قيل كمن لها فى اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها والعرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف مشئوم آل ثمود والعقر الجرح

(ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات او المواعظ او الرسل (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام (واحدا) منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم (نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر) جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (ءالقى الذكر) الكتاب والوحى (عليه من بيننا) وفينا من هو احق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) حمله بطره على الترفع علينا بادعائه (ستعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة (من الكذاب الاشر) الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كحذر فى حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) امتحانا لهم (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على اذاهم (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف (فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبرآئيل (فكانوا كهشيم المحتظر) كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا)

ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم (الا آل لوط
نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل اوسحرين
(نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك
نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد انذرهم)
لوط (بطشتنا) اخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر)
فكذبوه بالعذاب متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه)
قصدوا الفجوربهم (فطمسنا اعينهم) فمحناها
وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره
عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فاعماهم (فذوقوا
عذابى ونذر) فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة
اوظاهر الحال (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة
غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين
(عذاب مستقر) يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار
(فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر) كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان
تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع
كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا
للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا
تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ
للمكذبين ونحوهما (ولقد جاء آل فرعون النذر)
اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك (كذبوا
بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فاخذناهم اخذ عزيز)
لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم)
يامعشر العرب (خير من اولئكم) الكفار المعدودين
قوة وعدة اومكانة ودينا عند الله تعالى (ام لكم براءة
فى الزبر) ام انزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر
منكم فهو فى امان من العذاب (ام يقولون نحن جميع)
جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام اومنتصر
من الاعداء لا نغلب اومتناصر ينصر بعضنا بعضا
والتوحيد على لفظ الجمع (سيهزم الجمع ويولون الدبر)
اى الادبار وافراده لارادة الجنس اولان كل احد يولى
دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة
وعن عمر رضى الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ماهو
فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته (بل الساعة
موعدهم) موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم
فى الدنيا فمن طلائعه (والساعة ادهى) اشد والداهية
امر فظيع لا يهتدى لدوائه (وامر) مذاقا
من عذاب الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق
فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون
فى النار على وجوههم) يجرون عليها (ذوقوا
مس سقر) اى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها
فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ،

ثم استعير للقتل واحيمر تصغير احمر صغر تحقير اله وكان قدار احمر اشقر ولما استعظم الله تعالى عذابهم بين ذلك العذاب بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح فيهم جبريل عليه الصلاة والسلام والعامة على كسر الظاء من المحتظر على انه اسم فاعل وهو الذى يتخذ حظيرة من الحطب وغيره والهشيم حطام الشجر والنبت اليابس ومن اتخذ لغنمه حظيرة يقيها من البرد والريح يتخذها من دقاق الشجر وضعيف النبات فاذا طال عليها الزمان تبت وتكسرت وصارت هشيما وقرئ كهشيم المحتظر بفتح الظاء اما على انه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة وهو نفس الحظيرة فالمعنى كهشيم الحظيرة التى تمنع بها المواشى عن البرد والريح اوعلى انه مصدر ميمى بمعنى الاحتظار سمى الشجر المتخذ للحظيرة محتظرا لكونه مادة للاحتظار اواسم مكان اطلق على مادة المحتظر باعتبار توهم المكانية فيها (قوله ريحا تحصبهم) اشارة الى ان الحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وهى الحجارة حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لكونها فى تأويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قول الملائكة لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذى ارسل عليهم نفس الحجارة لا التى تحصبها الا انه قيل ههنا ارسلنا عليهم ريحا حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح الحاصبة بالحجارة والاستثناء فى قوله تعالى الا آل لوط منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو ضمير القوم المذكور بقوله كذبت قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه ونون سحر لان المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الاسحار ولو اريد سحر يوم بعينه لقيل نجيناهم بالسحر واسناد التنجية اليه تعالى باعتبار كونه سببا آمره بان يخرج بهم بقطع من الليل اى يخرج فيدخل العذاب قومه وقت السحر والسحر سحران الاول قبيل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه والباء فى قوله بسحر يجوز ان تكون بمعنى فى وان تكون للحال اى ملتبسين بسحر او مسحرين اى داخلين فى وقت السحر (قوله تعالى فتماروا) تفاعلوا من المرية اى تشاركوا فى الشك فيما انذرهم به وكذبوه وقالوا كيف يقدر على اهلاكنا وحده وعدى فتماروا بالباء واصله ان يتعدى بفى لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل فكذبوا بالنذر متشاركين * والمراودة الطلب والارادة اى طلبوا منه وارادوا ان يسلم اليهم اضيافه ويخلى بينهم وبينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه باذن الله تعالى فتركهم عميا بحيث صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقيل طمس الاعين عبارة عن مجرد انهم لم يروا الرسل وقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا (قوله تعالى بكرة) قرأ العامة بكرة بالتنوين لكونها نكرة فلا وجه لمنع الصرف وقرئ غير منون على ان يراد بها بكرة نهار معين لا بكرة من البكر فامتنع صرفه للتأنيث والتعريف (قوله قوة وعدة) يعنى ان الخيرية مع انه لا خير فى كل واحد من الفريقين اما باعتبار القوة وكثرة اسباب المقاومة واما باعتبار الدنيا وكثرة اسباب ريبهم (قوله ام يقولون) قرأ العامة ام يقولون بياء الغيبة على الالتفات (قوله ممتنع لا نرام) اى لا نزال عن موضعنا يقال رامه يريمه ريما اى برحه وزال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر روى ان ابا جهل كان يعلف كل يوم فرسه فرقا من ذرة وكان يحلف باللات والعزى ليقتلن عليه محمدا فركبه يوم بدر وجعل يطارد مطاردة الاقران فى الحرب وانحاز بعضهم على بعض حملوا يقولون نحن جميع منتصر ممن عاد الا انه قتل على يد ابن مسعود رضى الله عنه (قوله وهو من دلائل النبوة) لان الآية نزلت بمكة واخبر بها انهم سيهزمون فى الحرب وكان كما قال ولا طريق الى علم الغيب الا الوحى فعلم ان الآية وحى الهى (قوله لم اعلم ما هو) اى لم اعلم اى جمع يهزم أجمعنا ام جمع الكفار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين (قوله تعالى بل الساعة) اضراب عن ذكر هزيمتهم فى الدنيا (قوله تعالى يوم يسحبون) يجوز ان يكون ظرفا لقوله فى ضلال وسعر وان يكون ظرفا للقول المقدر بعده اى يقال لهم فى ذلك اليوم ذوقوا مس سقر (قوله فان مسها سبب للتألم بها) علة لتفسير مس سقر بحر النار وألمها يعنى ان مس النار لما كان سببا للتألم بها صح ان يعبر عن المس بالتألم والاحتراق مجازا مرسلا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال الى قوله مس سقر نزل فى حق القدرية وعنه ايضا انه قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم

(القدرية)

القدرية فيؤمر بهم الى النار و يقول الله تعالى ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وكثرت الاحاديث فى حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر و ينسبون الحوادث كلها الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب ويدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر رواه مسلم فى صحيحه فان مذهبهم ذلك واعلم ان المسلمين فى مسألة القدر طوآئف فطائفة تقول كل ما يجرى فى العالم من الخير والشر والافعال والاقوال بقضاء الله تعالى وقدره لا اختيار للعبد فيه وتسمى هذه الطائفة جبرية بسكون الباء وفتحها ومعنى الجبر القهر والاكراه و يقولون اجبر الله تعالى عباده على افعالهم واقوالهم فلا اختيار لهم فيها واضافة الفعل اليهم كما يقال جرى النهر ودارت الرحى ومن ذهب الى هذا القول لاسقاط التكليف عن نفسه فقد كفر بهذا القول لانه يفضى الى ابطال الكتب والرسل لانه اذا لم يكن للعباد اختيار لم يكونوا مكلفين فلم يبق لانزال الكتب و بعثة الرسل حينئذ فائدة وان قالوا هذا القول لا عن اعتقاد بل قالوه لتعظيم الله تعالى وتحقير انفسهم واظهار عجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لا يكفرون به بل يصيرون مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع فى الاعتقاد والطائفة الثانية القدرية بفتح الدال وسكونها وهم يقولون كل ما يصدر من العباد عقيب قصدهم على وفق ارادتهم يكون واقعا بقدرتهم ودواعيهم ولا يتعلق به خصوصه قدرة الله تعالى وارادته وانما نسبوا الى القدر لان بدعتهم نشأت من قولهم فى القدر لنفيه لا لاثباته وهذه الطائفة قد نفوا هذه التسمية عنهم وقالوا ان مذهب القدر هو مذهب الجبر لانهم قالوا افعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه لانهم اسندوا الفعل الى التقدير وقيل ان هذا المذهب باطل ايضا لانهم ان قالوا هذا القول عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين وان قالوه لا عن اعتقاد ذلك بل عن خطأ ظنونهم واجتهادهم ولتنزيه الله تعالى عن افعالهم القبيحة فليسوا بكافرين بهذا القول ولكن كانوا مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع وفيه مذهب آخر وهو ان المؤثر مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر وقيل هو اقرب الى الحق منهما لكونه مطابقا للعقل وموافقا لكتاب الله وكلام رسوله ولما نقل عن الراسخين فى العلم انه لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين وهذا القول منقول عن جعفر الصادق كذا فى شرح المصابيح للامام الخلخالى قال الامام كل فرقة فى خلق الاعمال تذهب الى ان القدرى خصمها فالجبرى يقول القدرى من يقول الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله تعالى وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين يزنى العبد و يسرق الله تعالى قدر ذلك فهو قدرى لاثباته القدر حيث قال كل واحد من الخير والشر بقدر الله تعالى لا اختيار للعبد فيه والفريقان متفقان على ان القائل بان الافعال بخلق الله وكسب من العبد ليس بقدرى والحق ان القدرى هو الذى ينكر القدر رأسا و ينسب الحوادث الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب اليه كفار قريش فانهم ما كانوا يقولون مثل ما يقوله المعتزلة من ان الله تعالى خلق لى سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكننى من الطاعة والمعصية وهو قادر على ان يخلق فى الطاعة الجاء والمعصية الجاء وعلى ان يطعم الفقير الذى اطعمه انا بفضل الله تعالى واقداره اياى عليه بل كانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام انتهى (**قوله** اى انا خلقنا كل شئ مقدرا) اشارة الى ان قوله تعالى بقدر حال من كل شئ وانه بمعنى التقدير ثم ان التقدير اما ان يحمل على تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه كما فى قوله تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا بان جعل جميع ما فيه من الاوضاع والاشكال موافقا لمقتضى الحكمة واما ان يحمل على تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر الذى يذكر فى جنب القضاء قال المصنف فى شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها انتهى كلامه فقوله تعالى بقدر اى بتقدير وقضاء سبق من الله تعالى (**قوله** وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا) يعنى ان الجمهور على نصب كل على الاشتغال وحينئذ يتعين ان يكون خلقناه تأكيدا وتفسيرا لخلقنا المضمر

ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته (اناكل شئ خلقناه بقدر) اى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة اومقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر

الناصب لكل والتقدير انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر ولا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشيء لان الصفة كما لا تعمل فيما قبل الموصوف لا يكون تفسيرا لما يعمل فيما قبلها ايضا واذا لم يجز كون خلقناه صفة تعين كونه تأكيدا اوتفسير المضمر الناصب بخلاف ما اذا رفع كل شيء على الابتداء لانه حينئذ يجوز ان يكون خلقناه صفة لكل شيء وبقدر خبرا فيكون المعنى كل شيء موصوف بكونه مخلوقا لنا فهو بقدر وقضاء سابق من الله تعالى والمفهوم ان من الموجودات ماهو مخلوق لغير الله تعالى وانه ليس بقدر كما تقوله المعتزلة ويجوز ان يكون خلقناه خبر الابتداء وحينئذ تكون قرآءة الرفع موافقة لقرآءة النصب في الدلالة على ان الاشياء كلها مخلوقة لله تعالى بقدر كما هو مذهب اهل السنة (قوله ولعل اختيار النصب ههنا) جواب عن ما يقال كيف اختار الجمهور قرآءة النصب مع ان التركيب من قبيل قولك زيد ضربته والمختار فيه الرفع لان النصب يحتاج الى حذف العامل واضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه عامل معنوي لا يلفظ به حتى يقال حذف اواضمر وتقرير الجواب انه على قرآءة النصب يكون كل شيء باقيا على عمومه حيث لم يوصف ولم يخصص بالصفة فيكون الكلام نصا في الدلالة على المقصود وهو كون الاشياء باسرها مخلوقة لله تعالى بقدر بخلاف قرآءة الرفع فان قوله خلقناه حينئذ وان جاز كونه خبرا فيكون الكلام دليلا على ماهو المقصود الا انه يجوز كونه نعتا لا خبرا فلا يفيد الكلام ماهو المقصود فاختير قرآءة النصب لما فيها من النصوصية على المقصود والمشهور ان قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر متعلق بما قبله كأنه قيل ذوقوا مس سقر فان كل شيء خلقناه بقدر ويجوز ان يكون متعلقا بجميع ما ذكر في السورة من اهلاك الاشرار وانجاء الاخيار ووعيد اهل مكة من المشركين ووعد المؤمنين ثم بين ان خلق الكائنات اهون شيء عليه وايسره فقال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واللمح النظر بسرعة واختلاس يعني ان قضائي وخلقي ايسر واسرع من لمح البصر والمقصود تهديد المشركين بالاهلاك فلذلك عقبه بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم ثم بين ان عقوبة الاشياع المهلكين لم تتم بهلاك الدنيا بل ينضم اليها عقاب الآخرة فقال وكل شيء فعلوه يعني الاشياع قبلكم في الزبر اي مكتوب في دواوين الحفظة على الزبر جمع زبور وهو فعول بمعنى مفعول من زبره اذا كتبه وتنكير جنات للتعظيم اي في جنات لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها وقرأ الجمهور ونهر بفتحتين على الاصل وقرئ بسكون الهاء للتخفيف وكلاهما واحد الانهار اكتفى بواحد لكونه اسم جنس يتناول الانهار وهو المراد ههنا بدليل ذكره بقرب جنات كأنه قيل في جنات وانهار من الماء والخمر واللبن والعسل والظاهر ان يقال في جنات عندها انهار لان الانسان انما يلتذ بالانهار بان يكون عندها لا بان يكون فيها فالمعنى في خلال الانهار وما بينها من الامكنة وكذا قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون معناه في خلال العيون (قوله اوسعة) عطف على قوله انهار يعني ان النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل ايضا بمعنى السعة قال انهرت الطعنة اي وسعتها واستنهر الشيء اذا اتسع ويسمى النهار نهارا لسعة ضوئه وقال الضحاك ليس المراد بالنهر ههنا نهر الماء وانما المراد سعة الارزاق لان المادة تساعد هذا المعنى ويجوز ان يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على انه من النهار ومن قرأ نهر بضمتين جعله جمع نهر بفتحتين كاسد واسد او جمع نهر بالفتح والسكون كرهن ورهن وسقف وسقف (قوله في مكان مرضي) اشارة الى ان مقعد صدق من باب رجل صدق في انه من اضافة الموصوف الى الصفة وان الصدق بمعنى الجودة والخيرية وقوله تعالى في مقعد صدق يجوز ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من الضمير في قوله في جنات لوقوعه خبرا وجوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات بدل بعض لان المقعد بعضها او بدل اشتمال لانها مشتملة عليه والاول اظهر والمراد بالعندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمليك من الملك والتنكير فيه وفي قوله مقتدر للتعظيم اشار اليه المصنف بقوله عند من تعالى امره انتهى (قوله في كل غب) اي من اعتاد ان يقرأها يوما ويتركها يوما * تم هنا بحمد الله ورحمته ما يتعلق بسورة القمر وابدأ بكشف اسرار سورة الرحمن مستعينا به ومتوكلا عليه سبحانه وتعالى

(سورة الرحمن مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قوله مكية) اي عند ابن عباس والضحاك ومدنية عند مقاتل وابن حبان والواقدي وقيل مكية الا آية وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض الآية فانها مدنية (قوله تعالى الرحمن) مبتدأ والجمل الثلاث بعده اخبار مترادفة وعلم يتعدى الى مفعولين

ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود (وما امرنا الا واحدة) الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة اوالاكلمة واحدة وهوقوله كن (كلمح بالبصر) في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر (ولقد اهلكنا اشياعكم) اشباهكم في الكفر ممن قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شيء فعلوه في الزبر) مكتوب في كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور في اللوح (ان المتقين في جنات ونهر) انهار واكتفى باسم الجنس اوسعة اوضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهم ذووا الافهام * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

(سورة الرحمن مكية اومدنية اومتبعضة وآيها ست وسبعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب

حذف مفعوله الاول فى الآية والتقدير علم جبريل القرآن وقيل علم محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان القرآن وهذا اولى لان المقصود تعداد ما انعم به على نوع الانسان مطلقا حثا على شكره وتنبيها على تقصيرهم فيه ولان قوله عقيبه خلق الانسان علمه البيان يدل عليه (قوله صدرها بالرحمن) جواب لما فوجب ان يكون مسببا عما قبله فان الرحمن لما كان ابلغ من الرحيم باعتبار الكيفية اى باعتبار ان الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحمن هى جلائل النعم فلذلك يقال يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام فلا يقال له تعالى باعتبار تلك النعم رحيم بخلاف النعم الدنيوية فان منها ما هى جليلة ومنها ما دون ذلك فيوصف تعالى باعتبار تلك النعم بالرحمن كما يوصف به باعتبار النعم الاخروية فصح ان يجعل قوله صدرها بالرحمن مرتبا على كون السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية (قوله وقدم ما هو اصل النعم) ليس معطوفا على قوله صدرها بل هو جواب عما يقال كيف قدم تعليم القرآن للانسان على خلقه مع انه متأخر عن خلقه بحسب الوجود فاجاب عنه بانه قدم تعليم القرآن ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر الخ يعنى ان تعليم القرآن وان كان متأخرا عن خلق الانسان الا انه قدم عليه ايماء الى ان خلق الانسان ليس مقصودا لذاته بل المقصود الاصلى من خلقه والحكمة الداعية اليه هو استكماله بحسب قوته النظرية العملية بمعرفة مبدئه ومعاده وان يتحلى بعبادة ربه وذلك انما يكون بتلقى الوحى وتعرف ما يستنبط من علومه فلما كان تعليم القرآن وتعرف احكامه هو المقصود الاصلى والحكمة الداعية الى خلق الانسان استحق ان قدم عليه لان الاهم اقدم فلذلك قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وقدم خلقه على تعليم البيان لكون التعليم متفرعا على الخلق ضرورة ان الكمالات كلها من توابع اصل الوجود ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون تعليمه فى حكم اصل الخلق من حيث ان المقصود منه ايضا تعليم القرآن واحكام الشرع لانه لولا البيان لما تمكن من تعلم القرآن وتعليمه وقوله مصدق لنفسه اى باعجازه وقوله ومصداق لها اى لسائر الكتب السماوية لاشتماله على خلاصتها (قوله لمجيئها على نهج التعداد) اذ مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه على تقصير الانسان فيه يقتضى ايرادها على نهج التعداد اذ به يظهر ان كل واحدة منها مستقلة فى الاعتداد والاعتناء بشأنها منفردة عن النعم الباقية ولو جيئ بالعاطف صارت الكل كالنعمة الواحدة وفاتت هذه الفائدة (قوله يجريان بحسبان) اشارة الى ان قوله الشمس مبتدأ والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله بحسبان وان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالشكران والغفران والرجحان وقيل الحسبان جمع حساب كشهاب وشهبان وكل واحد منهما يجرى بحساب فى منازل لا يعدوها فالشمس تقطع بروج السماء فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها فى ثمانية وعشرين يوما ثم انه تعالى لما ذكر نعمة ايجاد نفس الانسان الذى هو اصل جميع النعم وانعامه عليه بتعليم البيان ذكر نعمتين عظيمتين سماويتين يترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقرر فوائد لا تحصى ثم ذكر فى مقابلتهما نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو اصل الرزق من الحبوب والثمار وحشيش الدواب والنجم كل نبات ينجم من الارض ولا يبقى له ساق فى الشتاء والشجر نبات يبقى ساقه (قوله تعالى يسجدان) من قبيل الاستعارة التبعية شبه انقيادهما طبعا بانقياد المكلفين طوعا اى قصدا واختيارا وهو المسمى بالسجود عند اهل اللغة فسمى المشبه باسم المشبه به (قوله وكان حق النظم فى الجملتين) يعنى ان هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة فى انهما اخبار مترادفة للرحمن مثل تلك الجمل ومن حق الخبر اذا كان جملة اشتماله على الضمير الراجع الى المبتدأ كما فى تلك الجمل الا انهما جردتا عن الضمير الرابط اعتمادا على وضوح المراد فانه من المعلوم ان الحسبان حسبانه الذى قدره لهما وان المسجود له هو الرحمن ولا يذهب الوهم الى احتمال آخر (قوله وادخال العاطف بينهما) لما بين ان الجمل الثلاث الاول اخليت عن العاطف لكون المقصود منها تبكيت من انكر الرحمن وآلاءه بتعديد نعمه عليه واحدة بعد واحدة وذلك يقتضى الاخلاء عن العاطف حتى يعلم ان كل واحدة نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية بين انه ادخل العاطف بين الجملة الرابعة والخامسة جريا على ما تقتضيه ظاهر الحال فانه قد تقرر فى علم المعانى انه اذا اتت جملة بعد جملة اخرى وكان الاولى محل من الاعراب فان قصد تشريك الثانية للاولى فى حكم اعراب الاولى عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك المذكور ثم ان كان العطف بالواو وجب ان يكون بين الجملتين جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر او يعطى ويمنع

اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله (خلق الانسان علمه البيان) ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعداد (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولا ساق له (والشجر) الذى له ساق (يسجدان) ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره

لما بين المنع والاعطاء من التضاد والجهة الجامعة بين الجملتين فى الآيتان جرى الشمس والقمر بحسبان من حس
الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود الشمس والقمر وانقياد هما طوعا فى كون الجميع من قبيل الانقياد لامر
الله تعالى وحاصلا بتقديره وتدبيره فى ملكه (قوله خلقها مرفوعة محلا) يعنى ان المراد برفع السماء خلقها
رفيعة القدر والمرتبة وقيل رفعها على الارض وعطف المرتبة على المحل بالواو دليل على انه لم يرد بالمحل مكان
الحلول بل اراد به القدر والمنزلة المعنوية والاولى ان يعطف المرتبة عليها بكلمة او احترازا عن الجمع بين الحقيقة
والمجاز فان لفظ الرفع حقيقة فى رفع الشئ مكانا عليا ومجاز فى رفع مرتبته وقدره الا ان يقال الجمع بين الحقيقة
والمجاز جائز عند الائمة الشافعية فالمصنف بنى العطف بالواو على مذهبه (قوله العدل اوما يعرف به مقادير
الاشياء) اى يجوز ان يراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة امور العباد فانه اذا وفى كل ذى حق حقه ووفر
على كل مستعد ما استحقه استراح الخلق وانتظم امر العالم فيكون وضع الميزان عبارة عن الامر بالعدل والجملة
الخبرية موضوعة موضع الطلبية وكذا ان اريد بالميزان آلة الوزن اى وامرنا باستعمال ما يعرف به مقادير الاشياء
عند الاخذ والاعطاء لئلا يبخسوا الناس اشياءهم (قوله كانه لما وصف السماء الخ) اشارة الى بيان التناسب
بين قوله والسماء رفعها وبين قوله ووضع الميزان والمصنف جعل الخبرية باقية على حالها حيث فسر وضع الميزان
بمعنى العدل بقوله بان وفر على كل مستعد الخ اى كان عادلا مجانبا عن الجور والظلم فى جميع ما ابدعه من اجزاء
العالم ولم يفعل شيئا من المصنوعات الاعلى حسب ما تقتضيه الحكمة فانظر الى اجزاء وجودك كيف عدل سبحانه
وتعالى ترتيبها فانه تعالى ركبك من العظم واللحم والجلد وجعل العظم عمادا مستبطنا وجعل اللحم مكتنفا اياه
وجعل الجلد حافظا له محيطا به ولو عكس هذا الترتيب واظهر ما ابطن لبطل انتظام ووضع كل واحد من اعضائك
فى موضعه الخاص عدلا وحكمة حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما وذلك ان السماء والارض متناسبتان
من جهة التقابل وكذا وضع الميزان فى الارض باى معنى كان مناسب لخلق السماء الرفيعة القدر واربابه من حيث
ان كل واحد من الوضعين يوجب شرفا لمحله ولما وصف السماء بما هو صفة مدح لها وصف الارض وما فيها
بما ينوط به مصالح اهلها (قوله لان لا تطغوا) يعنى ان كلمة ان هى الناصبة ولا بعد هانافية وتطغوا منصوب
بان ولام العلة مقدرة قبلها متعلقة بقوله ووضع الميزان والطغيان مجاوزة الحد والتقدير وضع الميزان لئلا تجاوزوا
فى الميزان اى فى العدل اوفى آلة التسوية وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على اضمار القول اى قال لكم لا تطغوا فمن
قال الميزان هو العدل قال الطغيان الجور ومن قال انه آلة التسوية قال طغيانه البخس عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال معناه لا تخونوا من وزنتم له ثم قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط اى قوموا وزنكم واجعلوه مستقيما
ملتبسين بالعدل فان القسط العدل وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو امر بالمعاملة بالوزن ملابسا
بالعدل وعدم تركه فى المعاوضات وقوله تعالى ولا تخسروا الجمهور على رفع التاء وكسر السين من اخسرت
بمعنى نقص كقوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى لا تنقصوا ما توفون به من الحق وقرئ ولا تخسروا
بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب يضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسر
الشئ واخسرته اى نقصته على انهما لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى ايضا وقرئ بفتح التاء
والسين ايضا من باب علم وهذا البناء لازم لا يتعدى بنفسه فيكون اصله لا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل
الفعل قيل لا حاجة الى ذلك لان خسر بكسر السين قد جاء متعديا قال تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة
واجيب عنه بان خسر الذى فى الآية ليس من ذلك الا ترى ان خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة معناه ان
الخسران واقع لهما وانهما يعدمان وهذا المعنى ليس بمراد فى الآية قطعا وانما المراد لا تخسروا الموزون فى الميزان
(قوله وتكريره مبالغة) جملة اسمية يعنى ان قوله ولا تخسروا الميزان تكرير لقوله لا تطغوا فى الميزان من حيث
المعنى فان من فسر الميزان بآلة التسوية يقول الطغيان فى الوزن نقص الموزون فيكون قوله ولا تخسروا الميزان
تكريرا له قيل ذكر الميزان فى هذا الموضع ثلاث مرت فالاولى بمعنى الالة وهو قوله ووضع الميزان والثانية بمعنى
المصدر اى لا تطغوا فى الوزن والثالثة بمعنى المفعول اى لا تخسروا الموزون (قوله خفضها مدحوة) يعنى ان
المراد بالوضع ههنا ما هو ضد الرفع اى والارض دحاها فوق الماء مخفوضة او خفضها مدحوة وقوله للانام علة
للوضع والانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقيل هم الجن والانس وقيل هم بنو آدم خاصة اى وضعها

(والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ
بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) العدل بان وفر على
كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم
امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت
السموات والارض اوما يعرف به مقادير الاشياء من
ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء
بالرفعة التى هى من حيث انها مصدر القضايا
والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به
التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب
(ان لا تطغوا فى الميزان) لان لا تطغوا فيه اى لا تطغوا
فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ
لا تطغوا على ارادة القول (واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه فان من حقه
ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة
فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ
ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها
على ان الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار
واوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوة
(للانام) للخلق وقيل الانام كل ذى روح

لاجل ما خلق فيها من الخلق اومن الحيوان ثم فصل ما ينتفع به الخلق مما فيها من النعم فقال فيها فاكهة ثم خص من بينها النخل بالذكر للاشارة الى فضل ثمرها على سائر الفواكه لانه مما يقتات ويتفكه به (قوله جمع كم) اى بكسر الكاف وتشديد الميم والكفرى بضم الكاف والفاء وتشديد الراء وعاء طلع النخلة والطلع ما يطلع من النخل قبل ان ينشق والسعف جمع سعفة وهى غصن النخلة مادام عليه الخوص وهو ورق النخل واذا جرد عنه الخوص يسمى جريدا والجمار شحمة النخل وبالفارسى پيه درخت خرما جعل الكم اولا مرادفا للكفرى ثم جعله عاما لكل ما يغطى من الليف الذى يغطى الجذع والسعف الذى يغطى الجمار والكفرى الذى يغطى الثمر فكلامه من قبيل اللف والنشر المرتب لان الليف يغطى الجذع والسعف يغطى الجمار والكفرى يغطى الثمر (قوله والعصف ورق النبات اليابس) وهو تبن الزرع وورقه الذى تعصفه الرياح اى تقطعه وتذهب به اوهو بقل الزرع وهو اول ما ينبت منه وكل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح بها رائحة طيبة اى يشم وهو الرزق بلغة حمير والعرب تقول خرجت اطلب ريحان الله اى رزقه وفى الحديث الولد ريحان الله والريحان فى الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق وهو على وزن فيعلان فى الاصل وعينه محذوفة اوعلى وزن فعلان وهو واوى واصله روحان قلبت واوه ياء لخفة الياء (قوله وقرأ ابن عامر والحب) اى قرأ كل واحد من لفظ الحب وذو العصف والريحان بالنصب عطفا على قوله والارض وضعها على تقدير وخلق الحب ذا العصف والريحان اوعلى الاختصاص اى اخص الحب وفيه بحث لانه لم يدخل فى معنى الفاكهة والنخل حتى يخصصه من بينهما (قوله فانه ينتفع به) تعليل لقوله اوكل ما يكم ووجه التعليل ان توصيف النخل المعدودة من جملة ما فى الارض من النعم بقوله ذات الاكمام انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع بها فان المقام مقام تعداد النعم الجلية فكما ان المكموم وهو الجذع والجمار والثمر نعم جليلة فكذا ما يكمها فلا وجه لتخصيص الاكمام بالكفرى وعصف الحب ايضا من النعم الجليلة لكونه علف الدواب كما ان الحب مطعم الانسان ومن قرأ الاسماء الثلاثة منصوبة قدر فعلا ينصبها اوحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وهو يصلح ان يكون وجها لمن قرأ برفع الريحان ومن قرأ والريحان بالجر عطفه على العصف اى وفيها الحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو رزق الانسان ومن قرأ برفع الثلاثة فوجه الرفع فيها انها معطوفات على المرفوع قبلها وهو فيها فاكهة اى وفيها ايضا هذه الاشياء ذكر اولا ما يتناول للرفاهية ومحض التلذذ وهو الفاكهة وثانيا ما يصلح التلذذ والتغذى ايضا وهو ثمر النخل وثالثا ما يصلح للتغذى فقط وهو الحب (قوله ويجوز ان يراد وذا الريحان) اى يجوز ان يكون انتصاب الريحان بناء على انه فى الاصل مجرور باضافة ذا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يكون ارتفاع الريحان عند من قرأ بالرفع بهذا بان يكون اصله وذو الريحان وفعل به ما تقدم وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالجر عطفا على العصف وماعدا ذلك بالرفع عطفا على الفاكهة ووجهه ظاهر (قوله وهو فيعلان) اصله ريوحان فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق احداهما بالسكون ثم ادغمت الياء ثم خفف فصار ريحان على وزن فيلان (قوله وقوله ايها الثقلان) مجرور بالعطف على القول المذكور قبله وكون الخطاب فيه للثقلين لا يستلزم كونه لهما فى قوله ربكما تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب اليهما فى بعض آياتها يدل على توجهه اليهما فى البواقى فلما كان الجن مكلفين كالانس خوطب الجن بهذه الايات حثا لهما على شكر النعم بالايمان والطاعة وتجديد النشاط من اطاعه ولازم شكر آلائه وتقريعا للمشركين الذين اتخذوا مع الله تعالى آلهة اخرى والآلاء جمع الى كمعى وامعاء روى عن جابر رضى الله عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم مرة فباى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وتكذيب آلاء الرب تعالى عبارة عن الجحود بكونها من آلائه واسنادها اليه تعالى خاصة ومن اشرك بربه الذى رباه بهذه النعم الجليلة من لا يقدر على شئ منها فكانه يزعم ان من اتخذه شريكا له تعالى له مدخل فى هذه النعم وهو جحود لاسنادها اليه تعالى خاصة وترك شكرها وكذا التقصير فيه فى قوة الجحود لانعامه تعالى بها (قوله له صلصلة) اى صوت يسمع اذا مسه ادنى شئ لغاية يبسه والصلصال اسم لهذا الطين مالم يطبخ فاذا طبخ بالنار يسمى فخارا اوخزفا فشبه الصلصال الذى خلق منه الانسان بالفخار فى غاية يبسه حتى اذا اصابه ادنى شئ صوت وقيل لانه مجوف (قوله وقد خلق الله تعالى آدم الخ) بيان اوجه التوفيق

(فيهما فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) اوعية الثمر جمع كم اوكل ما يكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والجمار والثمرة (والحب ذو العصف) كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعنى المشموم اوالرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان اواخص ويجوز ان يراد وذا الريحان بحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالخفض وماعدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف (فباى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان (خلق الانسان من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحو

بين هذه الاية وبين قوله تعالى فى مواضع اخر خلقه من تراب ومن طين لازب ومن حمأ مسنون فانه تعالى اخذه
من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل وتغير فصار حمأ مسنونا اى منتنا ثم يبس فصار صلصالا كالفخار وقال
الجوهرى الحمأ المسنون المتغير المنتن وقال فى موضع اخر الحمأ الطين الاسود (قوله الجن اوابا الجن) يعنى ان الجان
يحتمل ان يكون اسم جنس كالانسان وان يكون اسما لابى الجن وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به اباهم كما ان المراد
من الانسان ابونا ادم عليه السلام فهو تعالى خلقه من صلصال وخلق من بعده من صلبه وكذلك الجان الاول
خلقه من نار وخلق ذريته من صلبه ومن فى قوله من مارج لابتدآء الغاية وفى قوله من نار للبيان كما اختاره المصنف
ويجوز ان تكون للتبعيض والمارج اللهب الخالص الذى لايشوبه شئ من الدخان وقيل اللهب المضطرب من مرج
اذا اضطرب واختلط بعضه ببعض من بين احمر واصفر واخضر فان النار المستعلة تنشأ فيها الالوان الثلاثة مختلطا
بعضها ببعض من قولهم مرج امر القوم اذا اختلط (قوله مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما) وقيل مشرق
الشمس والقمر ومغربيهما والاول اشهر وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان
مابينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فانه يفهم منه ان له ما بينهما ايضا وقوله تعالى
رب المشرقين ورب المغربين خبر مبتدأ محذوف اى هو سبحانه رب المشرقين وقيل هو مبتدأ خبره مرج البحرين
واختلاف المشارق والمغارب يترتب عليه منافع لاتحصى كما اشار اليه المصنف بقوله مما فى ذلك من الفوائد التى
لاتحصى (قوله تعالى يلتقيان) فى موضع الحال من البحرين اى متلاقيين لاحائل بينهما فى رأى العين وكذا قوله
لايبغيان فى موضع الحال من مفعول مرج او من فاعل يلتقيان اى غير باغيين وقوله بينهما برزخ يجوز ان يكون جملة
مستانفة وان يكون حالا من البحرين او من فاعل يلتقيان والخليج من البحر ما انشق وانفصل منه والخليج النهر ايضا
ثم ان كان المراد بالبحرين الملح والعذب يكون التقاؤهما عبارة عن اتصال احدهما بالاخر وتماس سطوحهما بانتهاء
العذب الى الملح بجريانه اليه فانه حينئذ يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلا يبغى احدهما على الاخر بالممازجة
وابطال الخاصية مع ان شأنهما الممزجة واتصال كل واحد منهما بالاخر وان كان المراد بهما بحرى فارس
والروم يكون المراد بالتقائهما التقاءهما فى البحر المحيط وبالحاجز بينهما الارض وبالبغى مجاوزة الحد فان كل واحد
منهما لايجاوز ماحد له ولا ينبسط على وجه الارض الحاجزة بينهما ولايغرقها لكون الارض بارزة يتخذها اهلها
مسكنا ومهادا (قوله وان صح ان الدر يخرج من الملح) جواب عما يقال اللؤلؤ لايخرج الا من المالح فكيف قيل
منهما وقوله وان صح اشارة الى ان خروج الدر من الملح فقط ليس بقطعى وظاهر كلام الله تعالى اولى بالاعتبار مما يزعم
بعض الناس فانه من المعلوم ان فى البر اشياء تخفى على التجار المترددين فيه فكيف بما فى قعر البحر وعلى تقدير تسليم
أنه يخرج من الملح فقوله فعلى الاول اى على ان يراد بالبحرين الملح والبحر العذب واما اذا اريد بهما بحرا فارس
والروم فلا سؤال ولا توجيه لان كلا منهما ملح ومعنى قوله تعالى يخرج منهما انه يحصل ويتكون بسبب اجتماع الملح
والعذب والتقائهما بان يكون احدهما بمنزلة اللقاح للآخر فيصدق ان يقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان مع
خروجهما من الملح دون العذب كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى فقوله لانه يخرج من
مجتمعهما اى من اجتماعهما على ان يكون المجتمع مصدرا ميميا فان الغواصين يقولون انهما انما يخرجان من الملح
فى الموضع الذى يقع فيه العذب وقيل منهما على حذف المضاف اى من احدهما كقوله تعالى نسيا حوتهما اى
نسى احدهما وقوله على رجل من القريتين اى احدى القريتين (قوله وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج)
بضم الياء وفتح الراء والباقون بفتح الياء وضم الراء وقرئ نخرج بضم النون ويخرج بضم الياء اى يخرج الله
تعالى واعلم ان اصول المركبات واركانها اربعة التراب والماء والهوآء والنار فبين الله تعالى بقوله خلق الانسان من
صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر
عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل آخر لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهوآء
له تأثير عظيم فى جرى السفن المشابهة للاعلام فقال وله الجوار المنشآت فى البحر وخصها بالذكر لان جريها فى البحر
لاصنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك حيث يقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله تعالى خاصة قال
تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وسميت السفينة جارية
لان شأنها ذلك وان كانت واقفة فى السواحل والمراسى كما تسمى المرأة المملوكة ايضا جارية لكون شأنها الجرى

(وخلق الجان) الجن اوأبا الجن (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما فى اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب المشرقين ورب المغربين) مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من الفوائد التى لاتحصى كاعتدال الهوآء واختلاف الفصول وحدوث مايناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله او من الارض (لايبغيان) لايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اولايتجاوزان حديهما باغراق مابينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب اولانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن جمع جارية

والسعي في مصالحها سيدها والجمهور على كسر الراء في قوله تعالى وله الجوار لما تقرر في النحو ان كل جمع من المنقوص على وزن فواعل بائيا كان كجوار او واويا كدواع فهو في حالتي الرفع والجر كقاض في اسكان لا الفعل لثقل الضمة والكسر على حرف العلة وحذفه لالتقاء الساكنين وهما التنوين وحرف العلة ونقل التنوين الى عين الكلمة واما في حالة النصب فهو كضوارب لخفة الفتحة عليها ثم اذا اتصلت الكلمة بالساكن بعدها كما في هذه الآية يحذف التنوين ايضا وتبقى عين الكلمة مكسورة على حالها وقرئ برفع الراء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة اسما برأسه وجعل المحذوف في حكم المنسي كثمان في قوله

لها ثنايا اربع حسان * واربع فكلها ثمان

وقد تقدم هذا البحث في قوله تعالى ومن فوقهم غواش في سورة الاعراف (قوله المرفوعات الشرع) وهو بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها فسر المنشآت اولا بالمرفوعات الشرع على انها اسم مفعول من انشأه الله تعالى اذا رفعه يقال نشأت السحابة اذا ارتفعت وثانيا بقوله او المصنوعات اي المخلوقات على ان الكلمة من انشأه الله تعالى اي خلقه ويؤيد الاول ما روي عن مجاهد انه قال المنشآت هي السفن التي رفع قلعها فاما التي لم يرفع قلعها فليست من المنشآت (قوله اي الرافعات الشرع) اسند رفع الشرع الى السفن اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى مكانه وفي البحر متعلق بالمنشآت وكالاعلام حال امامن المستكن في المنشآت واما من الجواري (قوله ذاته) والتعبير عن الذات الموجودة بالوجه شائع خصوصا اذا كان المعبر عنه معروفا مشهورا والعرب يخاطبون الكرام والرؤساء بقولهم يا وجه العرب تشبيها لهم بالوجه الظاهر الذي هو اشرف الاجزاء والاعضاء التي يتوجه اليها في الشرف والظهور وكونهم متوجها اليهم فانه تعالى ظاهر باولية ظهور الانسان بوجهه ثم اشار الى انه لا حاجة الى جعل الوجه مستعارا من العضو المخصوص بل هو في الاصل بمعنى الجهة واصل لها كالوعد والعدة فمعنى الآية كل من عليها من الثقلين وغيرهما فان ويبقى وجه الله تعالى (قوله ولو استقربت الخ) اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لا تخلو عن وجه يتوجه اليه كما ذكر في قوله في جنب الله اي كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك فان الا ما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته فانه باق قال الامام النسفي قيل ويبقى وجه ربك اي كل عمل يتقرب به اليه ويبتغى به وجهه اي رضاه اي يهلك الجن والانس ولا يبقى لهم الا ما توجهوا به اليه (قوله ذو الاستغناء المطلق) تفسير لكونه تعالى ذا الجلال فان الجلال عبارة عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والافعال نهاية العظمة وكونه تعالى ذا الاكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام وقيل في تفسيره الذي يجل ويكرم على كل ما يتصور او الذي يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم ما اجلك وما اكرمك او الذي يجل عن احاطة العقول والافهام به في العزة والعلو ويكرم عباده المؤمنين بالتقرب والدنو وهذه الصفة من عظائم صفات الله تعالى روي عنه عليه افضل الصلاة والسلام انه قال ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك واشار المصنف الى النعمة المدلول عليها بهذه الآية بقوله اي مما ذكرنا او ابقاء ما لا يحصى فان الآية تدل على الامتنان بابقاء ما هو بصدد الفناء وفيها ايضا حث على العمل المنجي وتحذير عن المهالك وايضا يترتب على انشاء الكل الاعادة والحياة الدائمة (قوله والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء) اي لا يستغني عنه احد من اهلها وان لم ينطق البعض منهم بحاجته (قوله تعالى يسأله من في السموات والارض) يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون حالا من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسئولا من اهل السموات والارض وفيه اشكال وهو ان قوله ويبقى وجه ربك اشارة الى بقائه تعالى بعد فناء من في الارض فكيف يكون في ذلك الوقت مسئولا لمن في الارض فقول المصنف والمراد بالسؤال جواب عن هذا الاشكال مبني على كونه حالا من فاعل يبقى واجيب عنه بوجوه الاول انهم فانون في حد انفسهم وانما يبقون بابقاء الله تعالى اياهم فيصح كونه تعالى مسئولا من قبلهم وان كانوا في معرض الفناء بافناء الله تعالى اياهم والثاني انه تعالى يكون مسئولا لهم معنى لا حقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسألونه بلسان الحال وان تعذر عليهم ان يسألوه نطقا والثالث ان قوله تعالى ويبقى يدل على الاستمرار فيبقى ويعيد من كان على الارض فيكون مسئولا والرابع ان السائلين هم الملائكة الذين يكونون في الارض فانهم فيها وان لم يكونوا عليها ولا يضرهم زلزالها فعندما

وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقول الشاعر

لها ثنايا اربع حسان * واربع فكلها ثمان

(المنشآت) المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر رحمهما الله تعالى بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير (في البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين (فان ويبقى وجه ربك) ذاته ولو استقربت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله تعالى اي الوجه الذي يلي جهته (ذو الجلال والاكرام) ذو الاستغناء المطلق والفضل العام (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم (يسأله من في السموات والارض) فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره

يغني من عليها يبقى الله تعالى ولا تفنى الملائكة في تلك الحال فيسألونه ماذا يفعل فيأمرهم بما يريد (قوله كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه) اشارة الى جواب ما يقال كيف قال كل يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وتقريره انه لا منافاة بينهما لانه تعالى قضى وقدر في الازل وجف القلم بما يكون في كل يوم فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بتكوينه فيه فوجد اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه فهي شؤون يبديها لا شؤون يبتديها ذكر ان الحجاج بن يوسف ارسل الى محمد بن الحنفية يتوعده وقال لافعلن لك كذا وكذا فارسل اليه محمد بن الحنفية يقول ان الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة الى اللوح المحفوظ وهو في كل ذلك يعز ويذل ويعطي ويمنع فارجو ان يرزقني الله تعالى ببعض نظراته ان لا يجعل لك علي سلطانا فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك هذه الكلمات ووضعها في خزانته وكتب اليه ملك الروم يتوعده في شئ فكتب عبد الملك تلك الكلمات الى صاحب الروم فكتب اليه صاحب الروم انه والله ما هذا من كنزك ولا من كنز اهل بيتك لكنه من كنز اهل بيت النبوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان مما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم الخ (قوله اي سنتجرد لحسابكم) لما ورد ان يقال ما وجه قوله تعالى سنفرغ لكم مع ان عدم الفراغ عبارة عن ان يكون الفاعل في شغل لا يمكن معه فعل آخر وهذا انما يكون في حق من يشغله شان عن شان والله تعالى منزه عن ذلك اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك وبقاء شأن واحد وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن شان من اشغاله وتجرده لهم واحد فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهي الفراغ في الهيئة الاولى وهي انتهاء الشؤون الى شأن واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص بمجرد على فراغه من سائر اشغاله وامكان بين الترتبين فرق فاحش من حيث ان الترتب في الثاني مبني على ارتفاع المانع حيث كان سائر اشغاله مانعا عن تعلقه بذلك المهم ولا مانع في حقه تعالى ومع ذلك أخر امر الجزاء الى قيام الساعة لحكمة اقتضته قال ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه تعالى فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الحساب والجزاء والوجه الثاني من الجواب انه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والانس بالمحاسبة والجزاء على الاعمال من غير ان يشغله شأن عن شان مستعار من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك عن كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه يريد به التوفر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء في مجازاته فهذه العبارة اذا صدرت عمن يشغله شان عن شان تكون كناية عن التوفر في النكاية فان من فرغ من كل شئ يعوقه عن النقمة والتعذيب تكون نكايته اشد واقوى واذا صدرت عمن لا يشغله شان عن شان تعذر حملها على اصل معناها لان المفروغ منه يجب ان يكون مانعا عن الملابسة للمفروغ له ولا يتصور المانع في حقه تعالى فتعين كونها مستعملة في التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ مما يمنع عنه تشبيها للتجرد المذكور بالفراغ مما يشغل عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر في النكاية والانتقام فاستعير اسم الفراغ لتجرد التجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله سنفرغ لكم فهو استعارة تصريحية تبعية (قوله لثقلهما على الارض) الثقل ضد الخفة يقال ثقل ثقلا مثل صغر صغرا والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه شبه الارض بالحمولة التي تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا محمولة عليها ثقلا حسيا وجعل ما سواهما كالعلاوة ويجوز ان يكون اطلاق الثقلين عليهما من قبيل اطلاق القمرين على الشمس والقمر (قوله اولرزانة رأيهما) اي لما لهما من الثقل المعنوي فان ما اشتمل ماله وزن وقدر ولهما زيادة قدر على غيرهم لما خصوا بالعقل والتمييز وتحمل الامانة والتكليف ويجوز ان يكون الثقل بمعنى المثقل فانهما مثقلان بالتكليف (قوله الا بقوة) يعني ان السلطان القوة التي يتسلط بها على الامر لما بين الله تعالى انه سيجئ وقت تجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بهم كان مظنة ان يقال فلم اخر ذلك مع ما له من كمال الاهتمام به اشار تعالى الى جوابه بما محصوله انهم جميعا في قبضة قدرته وتصرفه فلا يفوته منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان ما يبعث المستعجل على الاستعجال انما هو

(كل يوم هو في شان) كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا (سنفرغ لكم ايها الثقلان) اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وفيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض اولرزانة رأيهما وقدرهما اولانهما مثقلان بالتكليف (فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) اي فاخرجوا (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) الا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بهما الى ما فوق السموات العلى

خوف الموت وهو لم يخفف ذلك قسم الدهر كله قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والآخر مدة يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزآء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوآئب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب عما قضاه فيهما فقوله فانفذوا امر تعجيز والمراد بيان انهم لا مهرب لهم من قضا الله ولا خروج لهم عن ملكه وانهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم فظهر بهذا التقرير ان قوله تعالى يا معشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء في قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بعد قوله الا بسلطان بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم وبالمساهلة والعفو المستفاد من قوله فبأى آلاء ربكما بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان له في موقف الحساب آلاء متعلقة بالمساهلة في الحساب والعفو عن جرآئم كثيرة ونحوها وقوله مع كمال القدرة مستفاد من قوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فيكون المذكور ثانيا من قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بمنزلة التأكيد للاول والآلاء المذكورة في الموضعين هي ما بينه بقوله من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا بمعنى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها فارين من قضائه واما ان كان معناه ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها لتعلموا ما فيها من عجائب صنع الله فحينئذ يكون المراد بالسلطان البينة المؤدية الى العلم وبالآلاء ما نصبه الله من المصاعد العقلية والنقلية ويكون قوله يا معشر الجن والانس مسوقا لبيان علو شانه وسعة ملكه والامتنان بما نصبه من المصاعد الفكرية والنقلية تقريرا لكون وجهه ذا الجلال والاكرام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكثير الكامل الذى لا عدد بعده الا بتركيبه بما فيه من الآحاد تقول احد عشر واثناعشر وعشرون وثلاثون اى اثناعشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة (قوله تضئ كضوء سراج السليط الخ) استشهاد لكون النحاس بمعنى الدخان والسليط هو الزيت عند عامة العرب وعند اهل اليمن هو دهن السمسم كذا في الصحاح وفيه ايضا النحاس دخان لا لهب فيه وانشد البيت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويصبه على رؤسهم قرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى (قوله ونحاس بالجر عطفا على نار) اى وقرأ ابن كثير ونحاس بالجر عطفا على نار وهو ضعيف لانه لا يكون شواظ من نحاس سوآء كان النحاس بمعنى الدخان او الصفر المذاب وقيل هو توجيه لقرآءة الجر وتقدير الكلام شواظ من نار وشئ من نحاس فيكون شئ مرفوعا بالعطف على شواظ ويكون من نحاس صفة لشئ كما ان من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهو شئ لدلالة ما قبله عليه ثم حذف كلمة من لتقدم ذكرها في قوله من نار فبقى النحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرأ الباقون برفع نحاس عطفا على شواظ اى يرسل هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر وقرئ ونحاس بكسر النون وهو لغة بمعنى نحاس بضم النون واما جمع نحس بمعنى العذاب كلحاف ولحف وصحاف وصحف وقرئ ونحس بضم النون والحاء ورفع السين مع التنوين عطفا على شواظ وهو اما جمع نحاس او جمع نحس جاء في الخبر انه يحاط على الخلق بالملائكة وبلهاب من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال في تفسيره ان الخلائق اذا خرجوا من القبور ساقهم شواظ من نار الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا في موضع واحد فيكون قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس متعلقا بقوله سنفرغ لكم وتفصيلا لما يكون يوم القيامة بعض التفصيل تحذيرا من هوله والتحذير نوع من الآلاء ثم زاد نوعا آخر من التفصيل فقال فاذا انشقت السماء اى بنزول الملائكة اى اذا انفرجت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة او للسقوط والانتقاض والظاهر ان كلمة اذا فيه شرطية محذوفة الجزآء ليفرض السامع بعد تحقق انشقاق السماء وخرابها كل هائل اى رأيت هولا عظيما او كان ما كان مما لا يخطر بالبال من الثواب والعقاب ويحتمل ان تكون للظرفية المجردة فان جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهنى يكون المعنى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فتصير السماء بسبب ذلك حمرآء مثل الورد الاحمر ورقيقة مذابة مثل الدهن بان تصل حرارة الشواظ الى السماء فتجعلها كالاسرب الاحمر المذاب ويحتمل ان يكون الفاء للتعقيب الزمانى بين الله تعالى اولا انه اذا بعثر ما في القبور

(يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال

تضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزآء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء

وحشر الموتى من الجن والانس يرسل عليهم شواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا فى موقف الحساب ثم بين ان هذه الحالة الثابتة فى الارض تؤدى الى انشقاق السماء ونزول من عليها من الملائكة الى الارض فقد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الانس والجن هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به (قوله تعالى فكانت وردة) من باب التشبيه البليغ وقوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من اسم كانت اى كانت مثل الورد الاحمر من حرارة النار ومثل الدهن فى رقة القوام والميعان واشار المصنف بقوله مذابة كالدهن الى انه صفة لوردة وان الدهان اما اسم لما يدهن به كالحزام فانه اسم لما يحزم به اى يشد او جمع دهن كرمح ورماح (قوله من باب التجريد) وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله فيها لكمالها فيه جرد من السماء سماء اخرى مسماة بالوردة كما جرد الشاعر من نفسه كريما آخر لكمال صفة الكرم فيه واللام فى قوله فلئن بقيت موطئة للقسم ولأرحلن جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف لقوله لارحلن وروى تحوى الغنائم صفة لغزوة وقوله او يموت بمعنى الا ان يموت ويموت منصوب بان مضمرة ويعنى بالكريم نفسه لان فحوى الكلام تدل على انه لا يريد كريما آخر والظاهر ان يقال الا ان اموت كريما لانه بصدد الاخبار عن حاله وبيان انه الموصوف بالكرم الا انه بنى الكلام على التجريد لكونه ابلغ فى وصف نفسه بالكرم والتنوين فى قوله تعالى فيومئذ عوض عن الجملة اى فيوم اذا انشقت السماء لا يسأل عن ذنبه هل هو مذنب اولا ان اراد احد ان يطلع على حال اهل المحشر لان كل احد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة الاخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا يحتاج حينئذ فى تمييز المذنب من غيره والاطلاع على حاله لمن اراد ذلك الى ان يسأل عن ذنبه ويعلم حاله من جهته وهو لا ينافى ان يسأل سؤال التوبيخ كما قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وايضا يوم القيامة طويلة فيه مواطن كثيرة فيجوز ان يسأل فى بعض المواطن ولا يسأل فى آخر والجان ان كان اسما للجن فالامر ظاهر وان كان اسما لابى الجن فالمراد به ههنا فروعه كما يطلق اسم الجد القبيلة على القبيلة (قوله تعالى بالنواصى) قائم مقام الفاعل لقوله فيؤخذ والتقدير النواصى منهم او بنواصيهم واليس فى قوله فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لان العرب تقول اخذت الناصية واخذت بالناصية ولا يكاد تقول اخذت الدابة بالناصية بان تعدى اخذ الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة الباء ولانه لو كان فيه ضمير لوجب ان يقال فيؤخذون لاجل تقدم ذكرهم والنواصى جمع ناصية وهى شعر مقدم الرأس اى تأخذ الملائكة بنواصيهم اى بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم فى النار قال الضحاك يجعل ان الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ويلقون فى النار وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام عن انس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفسى بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصى والاقدام اجارنا الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه ثم يقال لهم على وجه التقريع هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون اى التى كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون على ان قوله المجرمون ظاهر وضع موضع الضمير ويجوز ان يكون هذا الكلام خطابا من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا اى قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم انه تعالى اخبر عن حالهم فيها فقال يطوفون بينها وبين حميم آن وهو الذى انتهى حره من أنى الحميم يأنى انيا فهو آن اى يعاقبون بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ومن قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الى هنا مواعظ ومزاجر وقد ذكرنا ان كل ذلك نعمة من الله تعالى للانزجار عن المعاصى وقد اكتفى المصنف بقوله آنفا فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء عن بيان كون كل ما ذكر من عقوبات الكفار من قبيل الآلاء ثم شرع فى بيان ثواب المتقين الخائفين فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر المصنف اولا ان المقام اسم لمكان يقوم فيه العباد للحساب واضافة المقام اليه تعالى مع ان القيام فعل العباد لاجل الملابسة فانه تعالى مالك يوم الدين وانه الذى يبعث من فى القبور وجمعهم فى هذا المقام لاجل الحساب والجزاء ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مصدرا مضافا الى فاعله بمعنى

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة) اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * نحو الغنائم او يموت كريم

(كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) اى فيوم تنشق السماء (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهى ما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضيف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله .

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

المراقبة والحفظة اى ولمن يعلم ان الله تعالى قائم عليه مراقب لاعماله فحفا فدلذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته جنتان قيل جنة لخوفه من الله وجنة لتركه شهوته فالمقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لابالخائف وعلى الوجهين اى على تقدير كونه اسم مكان اومصدرا كان مضافا الى الرب لفظا فهو مضاف اليه تعالى من حيث المعنى ايضا والمعنى موقوف الرب اوقيام الرب ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مضافا الى الخائف من حيث المعنى ويكون المعنى خاف موقف نفسه عند ربه اووقوف نفسه عنده لاجل الحساب الا انه اضيف الى الرب تهويلا وتفخيما كان الاجل فى الحقيقة للعبيد الا انه قد اضيف اليه تعالى فى قوله ان اجل الله اذا جاء لايؤخر فان الاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة ثم ذكر احتمال ان يكون لفظ مقام مقحما ويكون تقدير الكلام ولمن خاف ربه كما فى قول الشاعر

ومء قدوردت لوصل اروى * عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

اللجين الخبط وهو ماسقط من الورق عند الخبط والخبط ضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها واروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه اى طردت وابعدت عن ذلك الماء وخص القطا والذئب بالذكر لان القطا اهدى الطير الى الماء والذئب اهدى السباع اليه فهما السابقان الى الماء والرجل اللعين شئ ينصب فى وسط الزرع يستطرد به الوحوش ومعنى البيت ورب ماء قدوردته لاجل محبوبتى اروى وقدجاءت اليه لتغسل رأسها اوثيابها وروى ان رجلا استفتى سفيان الثورى فى رجل قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق فافتى بانه لايحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه استنباطا من هذه الاية (قوله وكذلك ماجاء مثنى بعد) كقوله تعالى فيهما عينان تجريان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان فان تثنية النعم المذكورة مبنية على ماذكر من الاحتمالات وهى ان الخطاب لما كان للثقلين صارت النعم المذكورة بلفظ المثنى لانهما على سبيل التوزيع كانه قيل لكل خائفين منكما عينان وزوجان عين وزوج للخائف الانسى وعين وزوج للخائف الجنى اوتقول عين وزوج بفعل الطاعات وعين وزوج بترك المعاصى لان مدار التكليف عليهما اوتقول عين وزوج يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة اواحدا هما روحانية والاخرى جسمانية ثم انه تعالى وصف الجنتين بقوله ذواتا افنان فقوله تعالى ذواتا تثنية ذات تأنيث ذو والافنان جمع فن وهو النوع اوجمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولا وقال المصنف الافنان التى هى جمع فنن هى الغصنة والغصنة بكسر الغين وفتح الصاد جمع غصن كقرطة فى جمع قرط ولما كانت الغصنة هى التى تورق وتثمر وتمد الظل وصف الجنتين فى مقام المدح بقوله ذواتا افنان تذكيرا لهذه النعم كانه قيل ذواتا اوراق وثمار وظلال (قوله حيث شاؤا) التعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول تجريان وقيل معناه تجريان دائما لاتنقطعان ابدا والسلسبيل اسم عين فى الجنة قال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وكذا التسنيم سمى بذلك لانه يجرى فوق الغرف والقصور من تسنمه اذا علاه قيل فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من خافة الله (قوله تعالى متكئين) حال من قوله من خاف جمع حملا على معنى من فى قوله ولمن خاف بعد الافراد حملا على لفظها والعامل فيها الاستقرار اى استقر بهم جنتان فى هذه الحالة وقيل حال عاملها محذوف اى يتنعمون فيهما متكئين والبطائن جمع بطانة الثوب وهو خلاف ظهارته (قوله تعالى بطائنها من استبرق) جملة اسمية فى موضع الجر على انها صفة الفرش والاستبرق ماغلظ من الديباج اى الثخين منه قيل هو معرب استورد وا لسندس هو الديباج الرقيق الناعم والجنى مايجتنى من الشجر سواء كان مجتنيا بالفعل اوكان بصدد الاجتناء ودان من الدنو اصله دانى مثل غاز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وعن قتادة لايرد يده بعد ولا شوك (قوله لم يمس الانسيات انس) يعنى ان الطمث انس فى كل شئ يمس يقال للمرابع ماطمث ذا المربع قبلنا احد وماطمث هذه الناقة حبل قط اى مامسها عقل وقيل اصل الطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر بازالة عذرتها ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى قول المصنف اشارة الى ان مؤمنى الجن يدخلون الجنة و يثابون فيها بنعيمها التى من جملتها الجنيات كما يثاب مؤمنوا الانس بالحور العين التى من جملتها الانسيات وتوقف ابو حنيفة رحمه الله تعالى فى هذه المسئلة بناء على ان الاثابة لاتجب عليه تعالى وانما هى تفضل الهى يتبع فيها النص ولم يرد فى حق من آمن من الجن الاسقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم فى جهنم و يجعل من آمن منهم ترابا

(جنتان) جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما اولكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله اوجنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى اوجنة يثاب بها والاخرى يتفضل بها عليه اوروحانية وجسمانية وكذا ماجاء مثنى بعد. (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان) انواع من الاشجار والثمار جمع فن اواغصان جمع فنن وهو الغصنة التى تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف اورطب ويابس (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذاكانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين اوحال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان فان جنتان يدل على جنان هى للخائفين اوفيما فيهما من الاماكن والقصور اوفى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان

قال تعالى حكاية عنهم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن قال بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فانه قطع بان مؤمنى الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها ومن لا يقول بهما وذهب الى انهم يثابون بالجنة والحور العين من الجنيات انما ذهب اليها استدلالا بهذه الاية فانه تعالى لما خاطب مؤمنى الجن والانس بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات فى الخيام وبكونهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما اعدلهم من الحور العين ثم قيل المراد بقاصرات الحور العين المخلوقات فى الجنة ولم يطمثهن اصلا وقيل هن المؤمنات من نساء الدنيا والمعنى على هذا انهن لم يطمثهن بعد النشأة الثانية احد وقيل هن نساء الثقلين اى لم يطمث الجنية ولا الانسية بعد النشأة احد وقاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف اى قاصرات طرفهن على ازواجهن وقيل قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا رآهن لم يجاوز طرفه الى غيرهن والاصل نساء ازواج قاصرات حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وقوله لم يطمثهن صفة لقاصرات لان اضافتها لفظية لا تفيد تعريفا او حال لتخصيص النكرة بالاضافة وقوله كأنهن الياقوت صفة اخرى لقاصرات او حال منهن لكونهن خصصن بالوصف اى مشبهات الياقوت فى حمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان الذى هو صغار اللؤلؤ فى بياض البشرة وصفائها لونها وصفاء اللؤلؤ انصع بياضا (**قوله** ومن دون تينك الجنتين) اى دون الاولين فى الفضل واقدر على ان يكون دون بمعنى الادنى رتبة ومنزلة لا بمعنى غير قال ابن جريج هى اربع جنتان منهما للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل قوله تعالى ومن دونهما معناه وسواهما وغيرهما فعلى هذا تكون الجنان الاربع لكل اهل الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هاتين الجنتين للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين ويدل على ان الاخريين ادنى من الاوليين فى الفضل والشرف انه تعالى وصف الاوليين بكثرة الاشجار وانواعها حيث قال ذواتا افنان ووصف الاخريين بكثرة النبات والرياحين المنبسطة على الارض حيث قال مدهامتان اى مائلتان الى السواد من الدهمة وهى السواد قال ادهام الزرع اذا علاه السواد ريا وقال فى حق الاوليين فيهما عينان تجريان وفى الآخريين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران بحيث كلما اخذ منه شئ فار آخر مكانه ولا يبلغ هذا القدر فى الجريان وقال فى الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان وفى الآخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان بان فاكهة اقل من كل فاكهة زوجان وقال فى الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهائر لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وقال فى الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان وتفاوت ما بينهما يعلم مما ذكره المصنف فى تفسير الرفرف والعبقرى وفى هذا كله بيان التفاوت وما بينهما وان الاوليين افضل من الاخريين (**قوله** عطفهما على الفاكهة) جواب عما يقال لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام بيانا لفضله وتنبيها على شرفه فكأنهما لمزيتهما جنسان آخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة وجبريل وميكال وايضا النخل ثمره فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه بهما فصارا باعتبار ما فيهما من القيد الزائد كأنهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة ثم انه تعالى لما ذكر جنتى السابقين المقربين وجنتى اصحاب اليمين قال فيهن خيرات حسان اى فى الجنان الاربع نساء ذوات خير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسر بان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل فى باطنهن الخير وفى ظاهرهن الحسن وقوله حور بدل من خيرات وهو جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات فى الخيام لسن بالطوافات فى الطرق هذا هو المفهوم من المعالم والتيسير الا ان الظاهر ان ضمير فيهن راجع الى الجنان المدلول عليها بقوله ومن دونهما جنتان ويدل عليه قول المصنف كحور الاوليين اى حاجة الى وصف الجنان الاربع بان فيهن الحور بعد قوله فى حق الاوليين فيهن قاصرات الطرف (**قوله** اى مخدرة) اى مستورة من الخدر وهو الستر (**قوله** او مقصورات الطرف على ازواجهن) لا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم قيل تقول لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك والخيام جمع خيمة وهى اعواد تنصب وتظلل بالثياب وهى تكون لاهل البوادى ابرد من الاخبية واما خيام الجنة فروى قتادة

كأنهن الياقوت والمرجان) فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وهو الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا اورمانا لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام)قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كحور الاوليين

عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وعن عبد الله بن قيس الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا وفى كل زاوية منها اهل للمؤمن لايراهم الاخرون (قوله وهم لاصحاب الجنتين) اى الضمير فى قوله قبلهم لاصحاب الجنتين المدلول عليهم بقوله ومن دونهما جنتان اى لمن دونهم وقوله تعالى متكئين على رفرف حال منهم كأنه قيل ولمن دون الخائفين المقربين وهم اصحاب اليمين جنتان متكئين فيهما على رفرف والنمارق جمع نمرقة وهى وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التى فوق الرحل نمرقة قيل الرفرف الخضر فراش اذا استقر عليه الولى طار به من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا حيثما يريده الولى روى فى حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى رب العرش فقال عليه الصلاة والسلام انه طار بى يخفضنى ويرفعنى حتى وقف بى على ربى ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم بين يدى الله تعالى من جملة الخدم مختص بخواص الامور فى محل الدنو والقربة كما ان البراق تركبها الانبياء عليهم السلام وهى مخصوصة لركوبهم فهذا الرفرف الذى سخره لاهل الجنتين هو متكأهم وفراشهم يرفرف بالولى و يطير به على حافات تلك الانهار حيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره وقوله تعالى خضر نعت لرفرف وعبقرى عطف على رفرف وحسان نعت لعبقرى (قوله تعالى تبارك) تفاعل من البركة وقيل اصل التبارك من البرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت اودام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل فى الخير او يكون معناه علا اسم ربك اى ارتفع شأنه عن القرطبى انه قال لعل المراد بالاسم الاسم الذى افتتح به السورة فانه تعالى افتتح السورة باسم الرحمن ثم ذكر خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وذكر انه كل يوم هو فى شان ثم وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال فى آخر السورة تبارك اسم ربك اى هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة كأنه تعالى يشير به الى ان هذا كله خرج لكم من رحمتى فمن رحمتى خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض فلذلك اثنى على صفة الرحمة تمت سورة الرحمن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة الواقعة

هى مكية غير قوله ثلة من الاولين وقوله أفبهذا الحديث الى آخر الآيتين فانهما نزلتا فى سفره عليه السلام الى المدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله سماها واقعة) مع انها امر سيقع ولم تقع بعد لانها لتحقق وقوعها كانت كانها واقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد (قوله وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر) فيكون اذا بمعنى الوقت المجرد منصوبا على انه مفعول به (قوله اوكان كيت وكيت) فيكون اذا ظرفا وحينئذ تكون شرطية وجوابها مقدر وهو العامل فيها ولم يجعله منصوبا بليس اوقعتها كاذبة لان ليس مثل ما النافية فى انه لا حدث فيها وما ليس فيه معنى الحدث لايكون عاملا فى الظرف وتسميتها فعلا مجاز لعدم صدق حد الفعل عليها (قوله اى لايكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى) اى تفترى عليه بان تسند اليه ما لايصح اسناده اليه كنسبة الشريك والصاحبة والولد وان تقول انه تعالى لايبعث الموتى ولا يجازيهم ونحو ذلك من الاباطيل وفيه اشارة الى ان كاذبة اسم فاعل وانه صفة حذف موصوفها المرفوع على انه اسم ليس واللام فى قوله اوقعتها لام التاريخ كما فى قوله تعالى قدمت لحياتى يعنى انها بمعنى الوقت وهى مع عاملها المحذوف فى محل نصب على انها خبر ليس اى ليس نفس كاذبة حاصلة حين تقع بانكار شئ مما اخبر به الله تعالى مطلقا اوانكار خصوص القيامة ونفيها لان كل نفس فيها حينئذ مؤمنة صادقة قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وقال ولايزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة (قوله اوليس لاجل وقعتها كاذبة) عطف على قوله واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى كانه قيل واللام بمعنى الوقت اوعلى اصل معناها فالمعنى اذا قامت القيامة بان نفخت النفخة الثانية يعترف بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها لاجل وقوعها ومشاهدتهم اياها واقعة فكل من اخبر عنها حينئذ يتعين له ان يصدق ولا يمكن له ان يكذب بانكار وقوعها كما انكره فى الدنيا اما بلسان المقال او الحال فان من انهمك

وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض (وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى العبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فاظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما (ذى الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

(سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر اوكان كيت وكيت (ليس لوقعتها كاذبة) اى لايكون حين تقع نفس تكذب على الله اوتكذب فى نفسها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى اوليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق

فی اتباع الشهوات فقد كذب بالساعة وانكر وقوعها ابلسان الحال (قوله اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها) عطف على قوله اى لا يكون حين تقع نفس تكذب فان الكذب فيه بمعنى الاخبار بما لا يطابق الواقع وهو فی هذا الوجه بمعنى التشجيع على مباشرة ما لا يطاق تحمله فقوله لوقعتها حينئذ يجوز ان يكون متعلقا بقوله كاذبة كانه قيل اذا قامت القيامة لا تكون نفس تشجع صاحبها فی حق وقعتها بان تقول له انك تطيقها وما هو اشد منها فلا تبال بها اى ولا تكون نفس تطيق زلزلة الساعة فاطنك بنفس القيامة (قوله فی الخطب العظيم) متعلق بقوله من قولهم فقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة فی محل النصب على انه حال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة مصدقة فی وقوعها ومؤمنة جميع النفوس بالله وبجميع ما اخبر به (قوله تخفض قوما) الخافض والرافع فی الحقيقة هو الله تعالى واسنادهما الى الواقعة من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والجمهور على رفع خافضة رافعة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هی خافضة قوما الى النار ورافعة آخرين الى مقر الكرامة وحذف المفعول للعلم به ويجوز ان ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى انها ذات وضع ورفع وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة فهذه ثلاث احوال متعاقبة الاولى قوله ليس لوقعتها كاذبة والثانية قوله خافضة والثالثة رافعة وجاز كثرة الاحوال لان الحال من الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدأ واحد فكذا جاز تعدد الاحوال (قوله او بيان لما يكون حينئذ) الفرق بين الوجهين ان الكلام على الوجه الاول يكون كناية عن العظمة المروعة لصريح مضمون الكلام وعلى الثانی يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير ان يقصد الانتقال الى الملزوم (قوله اوازالة الاجرام) بالجر عطف على قوله خفض اعدآء الله (قوله والظرف متعلق بخافضة رافعة) يشعر بانه منصوب بهما معا وذلك لا يجوز لانه لا يتوارد عاملان على معمول واحد الا ان يقال المراد ان كل واحد منهما متسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع اى ترفع وتخفض وقت رج الارض وبس الجبال او حال وقدمقدرة وعاملها الفعل السابق والرج التحريك الشديد ورجت اى زلزلت وحملت على ان تضطرب بحيث لم يبق عليها بناء (قوله تعالى فكانت) بمعنى فصارت وقوله تعالى وكنتم عطف على رجت والخطاب للخلائق باسرهم قسمهم ثلاثة اصناف اثنان منها فی الجنة وواحد فی النار ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون (قوله من تيمنهم بالميامن) خبر مبتدأ محذوف يعنی ان اطلاق اصحاب الميمنة على اصحاب الرفعة والمنزلة السنية وكذا اطلاق اصحاب المشأمة على اصحاب الهوان والدناءة ناشئان من تيمنهم بجانب اليمين وتشأمهم بجانب الشمال حتى انهم يتفاءلون بالسانح من الصيد لاعطائه جهة يمينه اياهم بان يطير ويمر من جانب يسارهم الى جانب يمينهم ويتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون فلان منی باليمين وفلان منی بالشمال اذا ارادوا ان يصفوا احدا بكونه ذا الرفعة او الدناءة عندهم وفی الصحاح المشأمة الميسرة وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة واخذ بهم شأمة اى ذات الشمال ونظرت يمنة وشأمة والشؤم نقيض اليمن واليمنة خلاف اليسرة والايمن والميمنة خلاف الايسر والميسرة الى هنا كلامه وقيل وصف السعدآء باصحاب الميمنة والاشقياء باصحاب المشأمة لانه يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين ويؤخذ باهل النار ذات الشمال (قوله والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما) يعنی ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وقوله اصحاب الميمنة خبره والجملة خبر الاول وكذا قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة واكتفی عن الراجع الى المبتدأ فيهما بصريح اسمه والمعنى اصحاب الميمنة اى شیء هم فوضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة فی وصفهم بما دل على المدح كانه قيل ما تدری ما لهم من الخير والكرامة وما لاصحاب المشأمة من الشر والعذاب ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا فی موضع التعظيم والتعجب نحو زيد ما زيد وكذا قوله تعالى والسابقون السابقون فانه جملة اسمية اخبر عن السابقين بانهم السابقون مبالغة فی مدحهم اى والسابقون من عرف حالهم من البسط والشرح كقول ابی النجم انا ابو النجم وشعری شعری * كانه قال وشعری ما انتهى اليك وعرفت فصاحته وبراعته (قوله من غير تلعثم) اى تردد يقال تلعثم الرجل فی الامر اذا نكث فيه وتأنی والتوانی من الونی وهو الضعف يقال ونی فی الامر ينی ونيا ونيا اى ضعف فهو وان وتوانی فی حاجته اى قصر وفتر فسر المصنف قوله تعالى والسابقون بثلاثة اوجه فسره اولا بقوله والذين سبقوا الى الايمان والطاعة وثانيا بقوله او سبقوا فی حيازة الفضائل وثالثا بقوله او الانبياء وفسر قوله والسابقون الذی هو الخبر بقوله هم الذين عرفت حالهم ولم يعتبر التغاير بين المبتدأ والخبر بقيد من القيود حيث

اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فی الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعدآء الله ورفع اوليائه اوازالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فی الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة او بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم ازواجا) اصنافا (ثلاثة) وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعدآء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (والسابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا فی حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابی النجم انا ابو النجم وشعری شعری * او الذين سبقوا الى الجنة (اولئك المقربون فی جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فی الجنة واعليت مراتبهم

جعل متعلق السبقين واحدا ثم اشار الى جواز ان يعتبر التغاير بينهما بان يجعل متعلق السبق الاول ماذكر من الاحتمالات ومتعلق السبق الثانى الجنة حيث قال اوالذين سبقوا الى الجنة وهو معطوف على قوله هم الذين عرفت حالهم قيل السابقون اربعة منهم سابق امة موسى عليه الصلاة والسلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ويحتمل ان يكون السابقون الثانى تأكيدا للاول تأكيدا لفظيا واولئك المقربون جملة اسمية مرفوعة المحل على انها خبر الاول والرابط اسم الاشارة والاقرب ان يوقف على السابقون الثانى لانه تمام الجملة ويجعل قوله اولئك المقربون جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ويجعل قوله فى جنات النعيم خبرا ثانيا او حالا من المنوى فى المقربون اى اولئك الموصوفون بالسبق هم المقربون عند الله تعالى فى جنات النعيم او كائنين فيها (قوله اى هم كثير من الاولين) اشارة الى ان قوله ثلة خبر مبتدأ محذوف وان الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله من الاولين فى موضع الصفة لثلة اى السابقون المقربون جماعة كثيرة من الامم السالفة ويجوز ان تكون خبر اولئك وقوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم وقوله عليه السلام اهل الجنة مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا لاينافى كون سابقى الامم السالفة اكثر من سابقى هذه الامة لان الانبياء المتقدمين كثيرة جدا ومن ضرورته ان يكثر السابقون الى الايمان والطاعة من اممهم بالنسبة الى سابقى هذه الامة ومن المعلوم ان تابعى هذه الامة اكثر من تابعى الامم السالفة بحيث يكون مجموع هذه الامة اكثر من مجموع الامم السالفة مثل ان يكون سابقوهم الفين وتابعوهم الفا فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاول مع ان السابقين من المجموع الاول اكثر من سابقى هذه الامة وزادوا على عدد من سبق من الآخرين قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وسبقوا الى الايمان بهم اكثر ممن عاين نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وسبقوا الى الايمان به ولما ورد ان يقال كيف يكون تابعوا هذه الامة اكثر من تابعى الامم السالفة وقد قال تعالى فى حق اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وكثرة اصحاب اليمين من الاولين يستلزم كثرة تابعيهم اجاب عنه بقوله ولا يرده الخ يعنى ان اللازم كثرة تابعيهم فى انفسهم وذلك لا يرد قلتهم بالنسبة الى تابعى هذه الامة (قوله وروى مرفوعا) اى انه عليه الصلاة والسلام قال الثلتان جميعا من امتى فالمعنى ثلة من الاولين من سابقى هذه الامة وقليل من الآخرين من آخر هذه الامة فى آخر الزمان (قوله واشتقاقها من الثل وهو القطع) وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة من جملة بنى آدم (قوله والموضونة المنسوجة بالذهب) قاله ابن عباس وقال عكرمة الموضونة المشبكة بالدر والياقوت وقال الراغب الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم وقيل اصله وضنت الشئ اى ركبت بعضه مع بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها (قوله حالان من الضمير فى على) اى من الضمير المنوى فى الفعل الذى تعلق به الجار فى على سرر كأنه قيل استقروا على سرر متكئين (قوله تعالى ولدان) اى غلمان وهو جمع وليد وهو الذى لم يبلغ بعد روى عنه عليه السلام ان اطفال الدنيا خدم اهل الجنة وقال سلمان هم اطفال المشركين وقال الحسن لانه لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها وابو حنيفة رحمه الله تعالى توقف فيهم لان الثواب بفضل الله تعالى ووعده لا بالعمل ولا نص فيهم وقيل هم خدم خلقوا فى الجنة على صورة الغلمان (قوله من خمر) يعنى ان المعين فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى فالمعين بمعنى الجارى من الماء والخمر وقدر موصوفه الخمر بشهادة الكاس وهو القدح الذى فيه خمر وقوله تعالى لا يصدعون عنها من التصديع وبناء فعل هنا ليس للتعدية لان الثلاثى منه متعد يقال صدعه فهو مصدوع اذا اصيب رأسه بالوجع بل هو لكثرة الصداع او المصدعين ومعنى عنها بسببها (قوله تعالى لا يصدعون عنها) يجوز ان يكون مستأنفا اخبر تعالى عنهم بانهم لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك بسبب شرب خمر الدنيا فانها لذة بلا اذى وان يكون حالا من ضمير عليهم وعن سببية بمعنى الباء (قوله ولا ينزف عقولهم) اشارة الى ماذكره فى سورة الصافات من ان اصله النفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزفت الركوة حين نزفتها اذا لم تترك فيها ماء والنفاد فى الآية اما للعقل او للشراب فان نفاد الشراب مخل بنشاط اهل المجالس (قوله وقرئ لا يصدعون) اى بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون اى يتفرقون فالمعنى حينئذ لا يتفرقون كما يتفرق اهل الشرب من مجلس الشراب لهم من مهمات الدنيا وذلك التفرق يمنعهم

(ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعنى امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع (على سرر موضونة) خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى على (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم (باكواب واباريق) حال الشرب وغيره والكوب آناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر (لا يصدعون عنها) بخمار (ولا ينزفون) ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون

من الاستمرار على صفاء الاجتماع في المجلس (قوله تعالى وفاكهة) مجرور بالعطف على أكواب اى وبفاكهة وتخير التي واختياره عده خيرا ومن في قوله مما يتخيرون اما لتبيين الجنس لان كل جنس من اجناسها في الفضل سواء او للتبعيض اى من اى جنس يتخيرونه من اجناس الفاكهة او من اجناس ما يستلذونه من نعيم الجنة وكذا قوله تعالى مما يشتهون عن ابن عباس قال يخطر ببالهم لحم الطير فيصير ممثلا بين ايديهم على ما يشتهونه فاذا اخذوا منه حظهم يطير فيذهب وخص لحم الطير من بين اللحوم لان توسع العرب كان بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا يشتهونه عند الملوك واحتيج في توجيه عطف قوله حور على أكواب الى اعتبار المعنى لانه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى يطوف عليهم الولدان باكواب وبحور عين وهو غير صحيح لان الولدان لا يطوفون عليهم بالحور (قوله باطلا) الباطل من الكلام ما يلغى ولا يلتفت اليه لعدم الفائدة في سماعه وخلوه عن معنى يعتد به وان لم يكن كذبا ولا فحشا والتأثيم مصدر أثمته اى قلت له اثمت اى لا يؤثم بعضهم بعضا وقوله الا قيلا مستثنى منقطع لانه لا يندرج تحت اللغو والتأثيم وسلاما سلاما اما بدل من قيلا اى لا يسمعون فيها الا سلاما سلاما او صفة لقيلا اى ولكن يسمعون قولا ذا سلامة مما يكره اى قولا سالما وكلاما حسنا او مفعول لقوله قيلا والمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما او مصدر مؤكد لفعله المحذوف المحكى بقوله قيلا اى الا ان يقول بعضهم لبعض اسلم سلاما او اسلم مما يكره سلاما او سلم الله عليك سلاما ومعنى التكرير في سلاما انهم يفشون السلام بينهم او يسلمون سلاما بعد سلام (قوله تعالى في سدر مخضود) اى هم في خلال سدر مخضود شوكه اى قطع والخضد وان كان قطع الشوك من الشجر ونزعه منه الا ان المصنف فسر المخضود بقوله لا شوك له على معنى انهم في سدر خلق بلا شوك كأنه نزع منه شوكه بعد ان كان فيه وعن مجاهد من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (قوله وشجر موز) واليه ذهب اكثر المفسرين وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد عن السدى انه يشبه طلح الدنيا ولكن ثمرته احلى من العسل كان اوراق السدر صغار و بينهما من الاشجار ما هو متوسط الاوراق وذكر الطرفين يدل على اندراج ما بينهما وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان لها نور طيب وان كان لا يؤكل منه شئ فيقصد منه النزهة والزينة دون الاكل قال مجاهد ولكن ثمرتها احلى من العسل قيل كان لاهل الطائف وادى معجب ذو الطلح والسدر فنظر المسلمون اليه فقالوا ياليت لنا في الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وقال تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم و يحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقرئ وطلع منضود بالعين استدلالا بقوله تعالى لها طلع نضيد قيل اشجار الجنة ليس لها ساق بادية بل ثمارها منضودة اى مقطوعة من عروقها الى افنانها كلما اخذت منها ثمرة عاد مكانها امثالها واحسن منها انتهى (قوله لا يتقلص) اى لا ينقص يقال ظل قالص اذا انقص طرف منه وهو شان ظل الدنيا (قوله يسكب لهم) اى يصب لهم من مكان وله خرير وصفاء وهو انجب المياه في مرأى العين وقيل ينصب من ساق العرش وقال سفيان يجرى من غير اخدود وقيل دائم الجرى لا ينقطع وما اشار اليه من التعميم بقوله اين شاؤا وكيف شاؤا هو مستفاد من عدم ذكر متعلق مسكوب (قوله او مصبوب سائل) اى جار لا ينقطع يعنى كون الماء مسكوبا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا كثيرا او عن كونه جاريا غير منقطع ابدا وروى عن الامام انه قال معناه مسكوب من فوق لان اكثر ماء العرب من الابار والبرك ولا يسكب وقيل جار في غير اخدود بل يجرى في الهواء وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك (قوله لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن) اى من الاستقرار على السرر شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى من خلال السدر والظل والماء الموصوف بالاوصاف المذكورة (قوله لا تنقطع في وقت) اى من الاوقات حتى وقت الاخذ بل ينبت مكانها مثلها (قوله ولا تمتنع عن متناولها بوجه) كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك في الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط يمنع التوصل الى شجرها بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا تعب قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا (قوله او منضدة) اى مبسوطة بعضها فوق بعض يقال نضد متاعه ينضده من باب ضرب اذا وضع بعضه على بعض قيل لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الا بعد سبعين خريفا (قوله ويدل عليه) اى على ان المراد بالفرش النساء وجه الدلالة

(وفاكهة مما يتخيرون) يختارون (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور عين) عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها حور او لهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا (كامثال اللؤلؤ المكنون) المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء (جزاء بما كانوا يعملون) اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم (لا يسمعون فيها لغوا باطلا (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال أثمتم (الا قيلا) الا قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود) لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين (منضود) نضد حمله من اسفله الى اعلاه (وظل ممدود) منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة الاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع في وقت (ولا ممنوعة) ولا تمتنع عن متناولها بوجه (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله (انا انشأناهن انشاء)

ظاهرومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضميرانشأناهن راجعا الى قوله وحورعين اوالى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لانها تبسط لان يضطجع الرجل عليها مع اهله بناء على ان العرب تسمى المرأة فراشا ولباسا وازارا (**قوله** ابتدآء اواعادة) الاول على ان يكون المراد بالمنشآت الحور اللاتى انشأهن الله تعالى فى الجنة انشاء اى انشاء عجيبا من غير ولادة والاعادة على ان يكون المراد بهن نساء الدنيا ومما يدل على ان المراد بهن نساء الدنيا قوله تعالى فجعلناهن ابكارا لان المنشآت فى الجنة لاشك فى كونهن ابكار اوالجعل بمعنى التصيير يستدعى ان يكن قبل ذلك ثيبات و يدل عليه ايضا ان ام سلمة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها قال ياام سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا وفى رواية عمشا مكان شمطا جعلهن بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد فى الاستوآء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى ان يدخلنى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام ان الجنة لايدخلها العجائز فولت تبكى فقال عليه الصلاة والسلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية عربا اترابا والشمط جمع شمطاء يقال رجل اشمط وامرأة شمطاء وجمعهما شمط اذا خالط البياض شعر راسه سواده والعمش فى العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها فى اكثر الاوقات والرجل اعمش والمرأة عمشاء والرمص وسخ يجتمع فى الموق والرجل ارمص والمرأة رمصاء (**قوله** جمع عروب) كرسل ورسول من اعرب اذا بين والعروب تبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن الشمائل وطيب النفس والملاعبة بما ينشطه فى قربانها (**قوله** اوصفة لابكارا اولاترابا) اى مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين مثل ازواجهن وقد اشار اليه المصنف بقوله وكذا ازواجهن (**قوله** اولقوله ثلة من الاولين) فاللام سوآء جعل لاصحاب اليمين صفة اوخبرا متعلقة بمحذوف هو الصفة اوالخبر (**قوله** فى سموم) السموم فى الاصل ريح حارة تدخل فى مسام البدن والمراد بها فى الآية حر النار تشبيها له بالسم فى نفوذه فى المسام ومسام البدن منافذه وثقبه والحممة الفحم وفى الحديث لايستنجى احدكم بالحممة اى بالفحم والمعنى ان الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم اصحاب الشمال فى مقاساة حر نار جهنم فتحترق بها اكبادهم واجسادهم فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيزدادون عذابا فوق عذابهم بحر النار فيستغيثون بالظل فيغاثون بظل من يحموم فاذا اتوه لم يجدوه باردا ولا كريما بل يكون مالقوا فيه من العذاب اشد مما كانوا فيه قبل ذلك (**قوله** ولانافع) فان الكرم صفة لكل مايرضى و يحمد فى بابه قال الراغب وكل شئ اشرف فى بابه فانه يوصف بالكرم وعن الفرآء ان العرب تنفى كل شئ غير مستحسن بنفى الكرم فيقولون الدار لاواسعة ولاكريمة وقيل الكريم ماكرم على غيره لانتفاعه به ومالا ينتفع به غيره لايكون كريما والظل يقصد لفائدتين احداهما برودته التى يستروح بها من يأوى اليه من غير ان يقصد به دفع اذى الحر عنه وثانيتهما مجرد دفع اذى الحر عمن يأوى اليه مع قطع النظر عن ان يفيده روح البرد اومن غير ان يفيده البرد اصلا كالبيوت المسدودة الاطراف بحيث لايتحرك فيها الهوآء فان من يأوى اليها يتخلص بها من اذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وظل اليحموم ليس فيه شئ من هاتين الفائدتين ونظير هذه الآية قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب (**قوله** نفى بذلك) اى بقوله لابارد ولاكريم ماوهم الظل من الاستروح يعنى مقتضى الظاهر ان يقال و يحموم حار ضار الا انه عدل عن ذلك الى قوله وظل للتهكم بهم من حيث ان الظل يوهم الروح والبرد ثم لما نفى عنه ماهو المطلوب من الظل وهو البرد والكرم تعين ان ذكر الظل انما هو للسخرية والتهكم بهم والتعريض بان الذين يستأهلون الظل البارد الكريم غيرهم اى غير هؤلاء لازدياد تحسرهم وتأسفهم ثم انه تعالى ذكر اعمالهم التى اوجبت لهم هذا العذاب فقال انهم كانوا قبل ذلك اى قبل ان يصيروا الى هذا العذاب فى الدنيا مترفين يقال اترفته النعمة اذا اطغته ومن لم يتوسل بما انعم الله تعالى عليه من النعم الى رعاية مقتضى العبودية بل صرفه الى مايشتهيه فقد اترف وطغى فعل هذا المترف صفة ذم كالاصرار على الحنث وقيل الترفه التنعم والمترف المنعم فهو فى حد نفسه ليس للذم وانما حصل الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث فان صدور المعاصى ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح فكانه قيل انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا فى الدنيا منعمين ولم يشكروا نعم الله تعالى عليهم بل اصروا على الذنب العظيم والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مطيعين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لايستحقه المطيع بطاعته بخلاف

اى ابتدأناهن ابتداء جديد من غير ولادة ابداء اواعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا (فجعلناهن ابكارا عربا) متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن رآءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله (اترابا) فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن (لاصحاب اليمين) متعلق بانشأنا اوجعلنا اوصفة لابكارا اولاترابا اوخبر لمحذوف مثل هن اولقوله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهو على الوجوه الاول خبر محذوف (واصحاب الشمال مااصحاب الشمال فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود يفعول من الحممة (لابارد) كسائر الظل (ولا كريم) ولانافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاستروح (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى الشهوات (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم وووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برفيها وتحنث اذاتأثم

(وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطف فى قوله (أوآباؤنا الاولون) للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لاهو للفصل بان والهمزة (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجمعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ماوقت به الدنيا وحد من يوم معين عندالله معلوم له (ثم انكم ايها الضالون المكذبون) اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم (لآكلون من شجر من زقوم) من الاولى للابتداء والثانية للبيان (فمالئون منها البطون) من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها (فشاربون شرب الهيم) الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذوالرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولايقضى عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على هيم كسحب ثم خففت وفعل به مافعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين

العذاب فانه منه تعالى عدل بسبب المذنب جزاء المعصية فبين سبب عقابهم لئلا يتوهم ان هناك ظلما (قوله كررت الهمزة) يعنى ان الهمزة الاولى دخلت لانكار البعث مطلقا والثانية لانكاره وقت كون لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا والتى دخلت العاطف لانكار بعث آبائهم الذين هم اقدم موتا واتم انحلالا وكل واحد من هذه الامور اشد انكارا مما قبله فانهم اشاروا فى استبعادهم للبعث وتكذيبهم اياه الى امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم له الاول الموت اشاروا اليه بقولهم أئذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اى طال عهد موتنا بعد كوننا حيوانا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا والثانى طول مدة موتهم حيث صارت لحومهم ترابا ولم يبق منهم الا العظام البالية ثم زادوا وقالوا فى هذه الحال يقال لنا انكم لمبعوثون بتأكيد الكلام بطرق ثلاثة احدها تصدير الكلام بان وثانيها زيادة اللام فى خبرها وثالثها ترك صيغة الاستقبال والعدول عن صيغة المستقبل الى صيغة اسم المفعول لان البعث امر كائن فى الحال ثم زادوا وقالوا أوآباؤنا الاولون بادخال همزة الانكار على الواو العاطفة للدلالة على ان ذلك اشد انكارا من حيث ان الآباء اقدم موتا واشد تلاشيا واضمحلالا وقولهم اوآباؤنا معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى لمبعوثون وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التأكيد كما قامت كلمة لا المؤكدة للنفى مقامه فى قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وقرئ باسكان الواو على انها او العاطفة التى هى لاحد الشيئين او الاشياء اى انبعث نحن او آباؤنا مبالغة فى الانكار وزيادة فى الاستبعاد لانهم اقدم موتا فبعثهم ابعد انكارا الان نبعث كل واحد منهم ومن آبائهم وقوله مادل عليه مبعوثون اى انبعث اذا متنا الاهولما تقرر ان مابعد كلمة ان ومابعد همزة الاستفهام لايعمل فيما قبلهما (قوله وقرئ لمجمعون) بتكثير المفعول كما فى قوله تعالى وغلقت الابواب قال الحسن لمجموعون فى القبور الى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة فتكون كلمة الى لبيان غاية اجتماعهم فيها وميقات الشئ ماوقت به ذلك الشئ اى حد وعين (قوله من يوم معين) بيان مافى قوله ماوقت به اشار به الى ان اضافة الميقات الى اليوم بيانية بمعنى من كما فى خاتم فضة اى الى الميقات الذى هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة وهو ميقات منتهى الدنيا عند اول جزء منه فان بقاء الدنيا موقوت محدد بتحقق اول جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف اذا بين له وقتا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت قال تعالى ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا اى مكتوبا مبين الوقت وقيل قوله تعالى لمجموعون معناه لمحشورون فكلمة الى على هذا بمعنى فى (قوله من الاولى للابتداء) اى لابتداء الغاية اى مبتدئون الاكل من شجر والمراد ثمره والثانية لبيان جنس ذلك الشجر قيل اختلف الناس فى الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى ان ذلك فى الفم مر وفى اللمس حار وفى الرائحة منتن وفى النظر اسود لايكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصة كريه من جميع الوجوه اعاذنا الله منه برحمته والفاء فى قوله فمالئون المتوسطة بين الصيغتين المختلفتين لبيان ترتيبهما فى الوجود والتعجب من جمعهم اياهما وكذا الفاء فى فشاربون الاول وكذا فى قوله فشاربون شرب الهيم فان مجرد اكلهم من ذلك الشجر امر عجيب واعجب منه ان يغلب عليهم الجوع بحيث يفضى الى ان يأكل كل واحد منهم الى ان يملأ منه بطنه مع مافيه من وجوه العذاب (قوله لغلبة العطش) اى لاجل حرارة مااكلوه ومرارته وقوله وهو داء يشبه الاستسقاء اى داء معطش تشرب منه الابل الى ان تموت او تسقم سقما شديدا وعطف قوله فشاربون شرب الهيم على ماسبق بيان لزيادة العذاب اى لايكون شربكم ايها الضالون عن الهنيئ كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده منتنا معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون ان تشربوا منه مثل مايشرب الجمل الأهيم فانه يشرب ولايروى هذا على ان يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد ويحتمل ان يكون المراد من البطون مافى بطن الانسان من الامعاء السبعة ويكون المعنى فمالئون بطون الامعاء والاول اظهر والثانى ادخل فى التعذيب واعجب منه ان يحملهم العطش على ان يشربوا عليه الحميم المتناهى فى الحرارة المقطع للامعاء واعجب من ذلك كله كونهم شاربين اياه بالحرص كما تشرب الابل الهيم الماء الطيب (قوله جمع أهيم وهيماء) فاصله هيم بضم الهاء كحمر فى جمع احمر وحمراء فابدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك فى بيض جمع ابيض وبيضاء والصدى العطش وقوله ولايقضى عليها هيامها اى لايميتها (قوله وقيل الهيم الرمال) عطف على قوله الابل التى بها الهيام والرمل اذا لم يتماسك لايروى من الماء اصلا وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن سحب فى جمع سحاب فاسكنت الياء للتخفيف وقلبت ضمة الهاء كسرة لاجل الياء كما فى بيض (قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص

من الاخر) جواب عما يقال كيف يصح عطف الشار بين على الشار بين مع انه ليس من عطف الذوات على الذوات لاتحاد الذوات فى الطرفين ولا من قبيل عطف الصفات لانهما صفتان متفقتان فكانا من عطف الشئ على نفسه وهو لا يجوز وتقرير الجواب منع اتحاد الصفتين بناء على ان بينهما عموما من وجه لان الشرب من الحميم اعم من ان يكون كشرب الهيم اوغيره وكذا الشرب كشرب الهيم اعم من شرب الحميم ومادة الاجتماع ظاهرة (قوله وفيه تهكم) اى قوله تعالى هذا نزلهم من قبيل الاستعارة التهكمية وهى عبارة عن تشبيه احد الضدين بالآخر من حيث التضاد ثم اطلاق اسم المشبه به على المشبه بان شبه فى الآية ماقدم للتعذيب بما اعد للتكرمة وهو النزل ثم اطلق اسم النزل على المشبه (قوله بالخلق او بالبعث) يعنى لما كان قوله تعالى فلو لا تصدقون تحضيضا على التصديق بمعنى فهلا تصدقون وكان التصديق مطلقا بحسب التعلق حيث لم يبين متعلقه ذكر انه يحتمل ان يكون المراد فهلا تصدقون بانا خلقناكم ولما ورد عليه انه مامعنى التحضيض على التصديق بالخلق وهم مصدقون بانه تعالى خلقهم وانشأهم اول مرة والتحضيض انما يتصور على مالم يحصل بعد اشار الى جوابه بقوله متيقنين محققين للتصديق بذلك بان تعملوا على مقتضى ذلك فانهم لما انكروا البعث والنشاة الثانية وعملوا على حسب مايقتضيه هذا الانكار من الاصرار على الكفر والانهماك فى الشهوات كأنهم كانوا مكذبين بالنشأة الاولى فان المصدق اذا لم يجر على موجب تصديقه يكون بمنزلة المكذب فالتحضيض فى الحقيقة تحضيض على الاعمال التى هى نتيجة التصديق بالخلق وثمرته فقول المصنف بالاعمال الدالة عليه متعلق بقوله محققين بالخلق او بالبعث يعنى ان قوله تعالى فلو لا تصدقون تحضيض على التصديق بمعنى فهلا تصدقون والتصديق لابد له من مصدق ولم يذكر ذلك فيحتمل ان يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الاول فانهم وان كانوا مصدقين به كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الا انهم منزلون منزلة المكذب من حيث انهم لايجرون على مايقتضيه ذلك التصديق وهو الايمان والطاعة وقد تقرر ان العالم بالشئ ينزل منزلة الجاهل به اذا لم يجر على مقتضى علمه فهم لما اصروا على الكفر واتباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الاول فصح تحضيضهم على التصديق به ويحتمل ان يكون المراد تحضيضهم على التصديق بالبعث استدلالا بقوله افرأيتم ماتمنون بالخلق الاول ثم انه تعالى لما قال نحن خلقناكم استدل بقوله افرأيتم ماتمنون ءأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون فانه الزام لهم على الاعتراف بان الخالق فى الابتداء هو الله تعالى فان المنى امر ممكن والممكن لابد له من موجد غيره وان موجده لايكون مخلوقا آخر والا لدار او تسلسل فتعين ان خالقه هو الله الواحد القهار كأنه لما قال نحن خلقناكم قال المشركون خلقنا من النطف فرد عليهم بقوله افرأيتم ماتمنون اى ازعمتم ذلك فأخبرونى ومفعولها الاول ماتمنون والثانى الجملة الاستفهامية يقال منى الرجل النطفة وأمناها بمعنى اى صبها فقوله تعالى ماتمنون سواء قرئ بفتح التاء او بضمها معناه ماتصبونه فى ارحام النساء قال القرطبى يحتمل عندى ان يختلف معناهما فيكون امنى بمعنى انزل عن جماع ومنى بمعنى انزل احتلاما وهذه الآية احتجاج عليهم وبيان للآية الاولى واذا ثبت عندكم انا خلقنا صورة الانسان من النطفة المقذوفة فى الارحام فلتكن اعمالكم موافقة لهذا العلم اوفاعترفوا بالبعث ايضا فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة وقوله تعالى ألم يك نطفة من منى تمنى يحتمل ان يكون من الثانى (قوله قسمناه عليكم وأقتنا موت كل) يعنى ان تقدير الموت بين القوم يتضمن معنيين الاول جعله مقسوما عليهم والثانى جعل مااصاب كل واحد منهم مخالفا لما اصاب الباقين منه فاختلفت اعمارهم بذلك كما اختلفت الارزاق المقسومة بينهم فمنهم من يعيش الى ان يبلغ الهرم ومنهم من يموت شابا اوصبيا صغيرا ولما كان تقدير الموت متضمنا لهما كان قوله تعالى ومانحن بمسبوقين نفيا لان يعجزه احد عن كل واحد منهما ويفوت عن تنفيذ مشيئته فى حقه بان يتخلص من الموت او يغير وقته المقدر ويجوز ان لايكون السبق بمعنى الفوات بل يكون بمعنى الغلبة كما يقال سبقته على الشئ اذا اعجزته عنه وغلبته ولم تمكنه منه (قوله على الاول حال) يعنى على تقدير ان يفسر قوله تعالى ومانحن بمسبوقين بقوله لايفوتنا احد يهرب به من الموت اوبتغيير وقته يكون قوله تعالى على ان نبدل متصلا بقوله نحن قدرنا بينكم الموت اما ان يكون حالا من فاعل قدرنا اى قدرنا بينكم الموت عازمين على ان نبدل منكم اشباهكم بان نهلككم ونأتى باشباهكم مكانكم قرنا بعد قرن الى وقت انقضاء الدنيا وعلى ان ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لاتعلمون من الصور والصفات فالسعداء يبعثون على احسن الصور

(هذا نزلهم يوم الدين) يوم الجزاء فاظنك بمايكون لهم بعد ما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه اوبالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (أفرأيتم ماتمنون) اى ماتقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها (ءأنتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا (ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (ومانحن بمسبوقين) لايسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته اولا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على ان نبدل امثالكم) على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض

والاشقياء على اقبحها وهم لايعلمون ماننشئ بذلك اليوم منها واما بان يكون علة لقدرنا بان تكون على بمعنى
اللام وعلى هذا اى على تقدير كونه متصلا به بكونه حالا او علة يكون قوله تعالى ومانحن بمسبوقين اعتراضا حسنا
لتقرير قدرته على مايشاء (**قوله** وعلى الثاني صلة) اى ان فسر قوله تعالى ومانحن بمسبوقين بلا يغلبنا احد يكون
قوله على ان نبدل صلته اى متعلقا بمسبوقين فان السبق بمعنى الغلبة يتعدى بعلى كما اشار اليه بقوله من سبقته
على كذا اذا غلبته عليه ولان نفي المغلوبية في اثبات القدرة وهي تتعدى بعلى فكذا ما بمعناها (**قوله** والمعنى
على ان نبدل منكم اشباهكم) اشارة الى ان احد المفعولين وهو المتعدى اليه بحرف الجر محذوف فان الامثال جمع
مثل بكسر الميم وسكون الثاء ثم اشار الى جواز ان يكون الامثال جمع مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة الشان اطلق
عليها لفظ المثل تشبيها لها بالمثل السائر الممثل مضربه بمورده الذي هو المعنى العرفي للفظ المثل والمعنى على ان نبدل
صفاتكم ونغيرها وننشئكم في صفات وخلق وهيئات لاتعلمونها وما عهدتم نظائرها (**قوله** تعالى وننشئكم) عطف
على نبدل اى وعلى ان ننشئكم ثم انه تعالى قرر امكان النشأة الثانية وحرض على التذكر والاستدلال من العلم
بالنشأة الاولى على النشأة الثانية اى هلا تذكرون ان من قدر على النشأة الاولى بلا سبق مثال ومواد اخر فهو
على الثانية اقدر فقال ولقد علمتم النشأة الاولى اى الخلقة الاولى (**قوله** وفيه دليل على صحة القياس) حيث
جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى بقوله فلولا تذكرون فان معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية
قياسا على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح وفي الخبر عجبا
كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار
الغرور واعلم انه تعالى احتج على المشركين الذين انكروا البعث بقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون ثم حملهم على
ان يعترفوا بتفرده في خلق النطفة التي هي مادة تكونهم فقال افرأيتم ماتمنون الخ ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده
في خلق مابه يعيشون ويكون سببا لبقائهم في المأكول والمشروب وما هو سبب لاصلاح المأكول غالبا وهو النار
فذكر من كل نوع ماهو الاصل فيه فذكر من المأكول الحب لانه الاصل فيه ومن المشروب الماء كذلك ومن
المصلحات النار لكونها سببا لاصلاح اكثر الاغذية وأدخل في كل واحد منها ماهو دونه فقال افرأيتم ماتحرثون
اى اخبروني ماتحرثونه اضيف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث الذي هو القاء البذر في الارض فعلهم
من حيث ان اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع فانه خالص فعل الله تعالى فان انبات الحب واخراج الاوراق
والساق والسنبل منه لامدخل لاختيار العبد فيه اصلا روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لايقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالى وحده ثم قال ابو هريرة
اما سمعتم قوله تعالى أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي المستحب لكل من حرث شيأ ان يستعيذ بالله من
الشيطان الرجيم ثم يقرأ أفرأيتم ماتحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد
وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين يقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من
جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك ثم قال سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك والهشم كسر الشئ اليابس
من النبات والهشيم من النبات اليابس المنكسر قيل هذه الآية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان
انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على ما انعم الله عليهم والثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه تعالى لما انبت
زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله الى اسوء حالة تحت التراب حتى صار زرعا اخضر ثم قوى واشتد وانبت سنابل
ذوات حبوب كثيرة فمن قدر عليه فهو باعادة الموتى احق واقدر وفي هذا البرهان قناعة للناظرين والجمهور
على فتح الظاء وسكون اللام في قوله فظلتم اصله ظللتم بكسر اللام الاولى فحذفت اللام الاولى هربا من ثقل التكرار
وقرئ فظلتم بكسر الظاء بان نقلت حركة اللام الاولى اليها بعد سلب حركتها وتفكهون اصله تتفكهون اى فظلتم
النهار كله تتعجبون من يبسه بعد خضرته يقال ظلت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل وتفكه بمعنى
تعجب ويقال بمعنى ندم اى تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم بالحرمان
من اجلها (**قوله** لملزمون غرامة ماانفقنا) اى من البذر والمؤنة على ان المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل
المغرم المهلك من قوله تعالى ان عذابها كان غراما اى هلاكا والجملة محكية بقول مقدر في موضع الحال اى قائلين
بهذا القول (**قوله** او محدودون) من الحد بمعنى المنع اى ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع

وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم اونبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل
(وننشئكم فيما لاتعلمون) في خلق او صفات لاتعلمونها
(ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) ان من قدر
عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس (أفرأيتم ماتحرثون)
تذرون حبه (ءأنتم تزرعونه) تنبتونه (ام نحن
الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما
(فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه
اوعلى ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه
التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث
وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل
(انا لمغرمون) لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على
الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا
رزقنا او محدودون لامجدودون

(قوله فعلقة بالاستفهام) اى الداخل على المفعول الثانى عن العمل فيه ولا تمنع عن العمل فى المفعول الاول ذكر فى شرح الرضى انه اذا صدر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وجوز بعضهم تعلقه عن المفعولين لان معنى الاستفهام يعم الجملة التى بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وليس بقوى (قوله ملحا) اى شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه اذ الملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال مالح الا فى لغة رديئة والاجيج مصدر بمعنى تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا (قوله وحذف اللام الفاصلة) جواب عما يقال قد التزمت البلغاء ادخال اللام فى جواب لو للفصل بين ما تمحض للشرط وهو كلمة ان وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنا لمعنى الشرط وشبيها باداة الشرط وهى كلمة لو فلذلك دخلت اللام فى جواب لو فى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فلم لم تدخل فى قوله لو نشاء جعلناه اجاجا وانما قلنا ان لو ليست متمحضة للشرط لان الشرط عبارة عن تعليق حصول شئ على حصول غيره وذلك يستدعى ان يكون المعلق امرا استقباليا ولو للمضى فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين تعلقت احداهما بالاخرى بان يكون امتناع مضمون الثانية منهما منوطا بامتناع مضمون الاولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة باداة الشرط وليس لها عمل فى شئ منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج الى ان ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام فى جوابها لتكون علامة ودليلا على التعليق المذكور وتقرير الجواب انها حذفت فى جواب لو الثانية اعتمادا على علم السامع بمكانها فان السامع لما علم انها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالاولى وانها لا بد منها فى جواب لو مطلقا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها لان الشئ اذا علم موضعه واشتهر انه لا بد منه لا يبالى باسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهو سبق ذكرها فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما فقوله او الاكتفاء اشارة الى تحقق القرينة اللفظية وقوله لعلم السامع اشارة الى تحقق القرينة المعنوية وقوله وتخصيص ما يقصد لذاته جواب عما يقال القرينة الحالية قائمة فى كل واحد من آيتى المطعوم والمشروب فلم اختصت آية المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادا على القرينة الحالية ولم يعكس الامر وتقرير الجواب ان المطعوم مقصود لذاته والمشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم فكان الاول اهم وفقده اصعب واشد فكان هذا امرا مرجحا لاختصاصه بمزيد التأكيد للارتباط وعدم الاكتفاء بالقرينة (قوله تقدحون) اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد وهو جمع زند يقال ورى الزند يرى اى خرجت ناره واورى يده اناوالزند العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهى الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان والجمع زناد والقداح الحجر الذى يورى النار والعرب تقدح بعودين يحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى منهما الزند والاسفل الزندة تشبيها لهما بالفحل والطروقة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما من شجر ولا عود الا فيه النار سوى العناب فان عوده لا نار فيه ولهذا تدق اهل القصارة بخشبه ويدق عليه (قوله كما مر فى سورة يس) وهو قوله فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى والتبصير والتبصرة التعريف والايضاح كما ان التبصر التأمل والتعرف فهو تعالى جعل النار تبصرة لامر البعث او تبصرة فى ظلمة الليالى وتذكرة وانموذجا لنار جهنم حيث علق بها معظم معاش الانسان لتكون حاضرة عندهم فى اكثر الاوقات ليذكروا بها نار جهنم وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى توقدونها يا بنى آدم جزؤ من سبعين جزأ من حر جهنم (قوله للذين ينزلون القوآء) اى من المسافرين واهل البادية فانهم اشد احتياجا الى النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويصطلون من البرد ويجففون ثيابهم ويصلحون طعامهم اذ لا يوجد الطعام الحاضر فى البوادى الخالية من السكان فلذلك خص المقوين بالذكر مع ان المقيمين واهل المدن يتمتعون بها ايضا يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القوآء كما يقال أصحر اذا نزل فى الصحرآء ويقال ايضا اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها قال النابغة

يا دار مية بالعلياء فالسند * اقوت وطال عليها سالف الابد

قدم كونها تذكرة على كونها متاعا لانها امر دينى قد غفل الناس عنها فكانت اهم واولى بالتقديم (قوله فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره) كأن قائلا قال الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم اى فنزهه عما لا يليق بشانه

(افرأيتم الماء الذى تشربون) اى العذب الصالح للشرب (ءأنتم انزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فعلقة بالاستفهام (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التأكيد (فلولا تشكرون) امثال هذه النعم الضرورية (افرأيتم النار التى تورون) تقدحون (ءأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون) يعنى الشجرة التى منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة فى امر البعث كما مر فى سورة يس او فى الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القوآء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها (فسبح باسم ربك العظيم) فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدآئع صنعه وانعامه اما التنزيه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمه او للتعجيب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم (فلا اقسم) اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله لئلا يعلم او فلا انا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء

ويدل عليه قرآءة فلأقسم اوفلارد لكلام يخالف المقسم عليه (بمواقع النجوم) بمساقطها وتخصيص المغارب لمافى غروبهامن زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائى بموقع (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لمافى المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لايترك عباده سدى وهواعتراض فى اعتراض فانه اعتراض

بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد اوحسن مرضى فى جنسه (فى كتاب مكنون) مصون وهو اللوح (لايمسه الاالمطهرون) لايطلع على اللوح الاالمطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة اولايمس القرءآن الاالمطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم اوغيرهم بالاستغفار لهم والالهام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة اورابعة للقرءآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرءآن (انتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولايتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) اى شكر رزقكم (انكم تكذبون) اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانوآء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القرءآن انكم تكذبون به اوتكذبون اى بقولكم فى صفة القرءآن انه سحر وشعر اوفى المطرانه من الانوآء (فلولا اذا بلغت الحلقوم) اى النفس (وانتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن اقرب اليه) بقدرتنا وعلمنا اوملائكة الموت اى ونحن اعلم بحال المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذى هواقوى سبب الاطلاع (ولكن لاتبصرون) لاتدركون كنه مايجرى عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) اى مجزيين يوم القيامة اومملوكين مقهورين من دانه اذا أذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتأكيد وهى بمافى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته (ان كنتم صادقين) فى اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فاما ان كان من المقربين) اى ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله استراحة وقرى فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) ذات تنعم (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك) ياصاحب اليمين (من اصحاب اليمين) اى من اخوانك يسلمون عليك (واما ان كان من المكذبين الضالين) اى من اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به (فنزل من حميم وتصلية جحيم) وذلك مايجد فى القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) ان الذى ذكر فى السورة اوفى شأن الفرق (لهو حق اليقين) اى حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه عما لايليق بعظمة شانه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من

الاعلى من النقائص فانه تعالى لما رد على من انكر البعث بان قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون بان ذكر مايدل على صحة البعث وقدرته عليه وبدأ بذكر خلق الانسان لكونه اصل النعم كلها ثم ذكر تفرده بخلق مابه بقاء الانسان فبدأ بذكر ماهو اصل المطعوم وهو الحب ثم ذكر ماهو اصل المشروب وهو الماء الذى يعجن به الخمير ويشرب ثم ذكر النار التى يطبخ بها معظم المطعومات وبين بهذا كله ان من انعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتدآء يقدر على ان يعيدكم للحساب والجزآء فرع عليه الامر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكروا البعث فى حقه تعالى فانهم منكرون لقدرته الكاملة وعلمه الشامل لتفاصيل اجزآء الموتى فثبت بهذا ان الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم عما يقول الجاهلون فلم قال فسبح اسم ربك العظيم وتقرير الجواب ان كون الامر بالتسبيح متفرعا على ذكر دلائل صحة البعث لايستدعى ان يكون تعلق التسبيح بمفعوله مرادا لان المقصود حاصل بتنزيله منزلة اللازم وجعل الباء فى قوله باسم ربك للآلة اما بتقدير الذكر المضاف الى الاسم وجعل الاسم بمعنى الذكر مجازا فيكون المعنى فأحدث التسبيح بواسطة ذكر اسمه تعالى او بواسطة ذكره تعالى وجاز كون الاسم مجازا عن الذكر لما اشار اليه المصنف بقوله فان اطلاق اسم الشئ ذكره فانه اراد به بيان العلاقة بين الاسم والذكر يعنى ان اطلاق اسم الشئ لما كان سببا لذكره صح اطلاق الاسم وارادة الذكر مجازا قيل ويجوز ان يجرى النظم على ظاهره من غير تقدير المضاف ولا ارتكاب المجاز بكون المعنى فسبح اسم ربك فانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة للدلالة على ذاته عن سوء الادب وهذا ابلغ فى الدلالة على تسبيح ذاته تعالى لانه يلزم منه ذلك بالطريق الاولى غاية مافى الباب ان يعدى فعل التسبيح الى مفعوله بواسطة الباء مع انه يتعدى اليه بنفسه كما فى قوله سبح اسم ربك الاعلى ولامحذور فيه لانه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول ظاهرا لا يعدى اليه بحرف (قوله ويدل عليه قرآءة فلأقسم) اى يدل على ان لام الابتدآء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى ان لأفعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال (قوله تعالى بمواقع النجوم) قرأ حمزة والكسائى بموقع على التوحيد قال الحسن اراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها عند الرجم (قوله لما فى غروبها من زوال اثرها) اولعل لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة وللملائكة عبادات معروفة اولانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم (قوله تعالى فى كتاب مكنون) صفة اخرى لقرءآن اوحال من الضمير فى كريم اوخبر مبتدأ محذوف وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون اى محفوظ من التبديل والتحريف وقوله تنزيل على قرآءة الرفع اى هو تنزيل بمعنى منزل وعلى قرآءة النصب اى نزل تنزيلا لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه (قوله اولايمس القرءآن الاالمطهرون من الاحداث) وهو قول عطاء وطاووس واكثر اهل العلم وبه قال الشافعى ومالك وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه (قوله صفة ثالثة اورابعة) اى ان كان لايمسه خبرا اى غير نهى فتنزيل صفة رابعة وان كان نفيا بمعنى نهى فتنزيل صفة ثالثة للقرءآن اوان كان لايمسه صفة كتاب فتنزيل صفة ثالثة وان كان صفة لقرءآن فتنزيل صفة رابعة (قوله تعالى فروح) جواب اما واما ان فاستغنى بجواب اما عن جوابها لان ان قد يحذف جوابها فى مواضع ويقرأ بفتح الرآء وضمها فالفتح مصدر والضم اسم له وقيل هو المروح به (قوله فسلام لك) اى سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ماتحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويتقبل حسناتهم وقال الفرآء وغيره فسلام لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من اصحاب اليمين كالرجل يقول انى مسافر عن قليل فتقول له انت مصدق مسافر عن قليل وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين (قوله فنزل) فله نزل وقوله وتصلية قرئ بالرفع عطفا على نزل وبالجر عطفا على حميم (قوله اى حق الخبر اليقين) وقيل المعنى حقيقة اليقين والعظيم صفة لربك وقيل للاسم وقوله فسبح قيل معناه فصل بذكر ربك وامره وقيل الباء زائدة * تم مايتعلق بسورة الواقعة والحمد لله رب العالمين

(سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بدأ الله تعالى سورة بنى اسرآئيل بلفظ المصدر والحديد والحشر والصف بلفظ الماضى والجمعة والتغابن بلفظ المضارع وسورة الاعلى بلفظ الامر استيعابا لجميع ضروب صيغ التسبيح فى كلامه المجيد واشارة الى ان المكونات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات لا يختص بتسبيحها وقت دون وقت بل هى مسبحة ابدا فى الماضى والمستقبل ووجه الاشارة انه تعالى لما اخبر عن تسبيح جميع المكونات السماوية والارضية من العقلاء وغيرهم تارة بصيغة الماضى واخرى بصيغة المضارع دل ذلك على ان كل واحدة من الصيغتين جردت عن الدلالة على الزمان الذى هو مدلول الهيئة فاذا لم تكن خصوصية الزمان مقصودة فى كل واحدة من الصيغتين بقيت دلالتهما على مطلق الزمان ولا اولوية لبعض اجزآئه على بعض فكأن كل واحدة منهما لاستمرار الازمنة مع ان التسبيح لما اسند الى جميع المكونات كان المراد به ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال لانه الذى يمكن تحققه من الجميع وهو الدلالة الجبلية على تنزه الخالق عن جميع النقائص فان كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الامكان وقبول العدم بحسب وجوده الجبلى المستفاد من المؤثر وعن العجز بحدوثه وتغير احواله وعن سائر النقائص بتنزيهه وتبليغه الى كمالاته الممكنة بالاسباب السماوية والارضية وبالجملة كل موجود ممكن مفتقر بامكانه الذاتى الجبلى الى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كانه معدن كل كمال مبعد عن كل نقصان فثبت ان كل موجود ممكن يسبح ويبعد مؤثره عن كل نقصان بحسب ذاته وجبلته فان الامكان الذاتى لما كان محوجا الى مؤثر واجب الوجود لذاته وكان وجوب وجوده مستلزما لتنزهه عن كل نقصان كان كل ممكن مسبحا ومنزها لخالقه عن جميع النقائص لاجل امكانه الذاتى اللازم له فى جميع الازمنة فكان التسبيح المسبب عنه ايضا مستمرا فى جميع الازمنة فوجب ان تجرد كل واحدة من الصيغتين عن الدلالة على الزمان الذى هو مدلول الهيئة وتحمل كل واحدة منهما على استمرار الازمنة (**قوله** ومجيئ المصدر مطلقا) اى عن الدلالة على الزمان والفاعل (**قوله** وهو معدى بنفسه) كما فى قوله وسبحوه بكرة واصيلا وسبح اسم ربك ويسبحونه وله يسجدون وذلك لان سبح بالتشديد منقول من سبح الثلاثى وهو لازم بمعنى ذهب وبعد فعدى بتضعيف العين فالتشديد فيه للتعدية فمعنى سبحته بعدته عن السوء ولما كان متعديا بنفسه كانت اللام فيه لام الاجل والاختصاص وبكون الفعل منزلا منزلة اللازم ويكون معنى سبح لله احدث التسبيح واوقعه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه من غير توقع ثواب وعوض كما يقال نصحت لك للدلالة على امحاض النصح للمنصوح من غير غرض للناصح فيه (**قوله** حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح) فان العزيز هو الغالب على كل شئ بحيث لا يتصور منازعته فيكون اشارة الى كمال القدرة كما ان الحكيم اشارة الى كمال العلم لانه الذى افعاله على وفق الحكمة والصواب فيعتبر فى مفهوم الحكمة كل واحد من اتقان العلم والعمل ولا شك ان من جمع بين كمال القدرة وكمال العلم يكون مسبحا منزها عن جميع النقائص (**قوله** تعالى له ملك السموات) جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والملك عبارة عن استغناء الذات فى ذاته وفى جميع صفاته عن كل ما عداه واحتياج كل ما عداه اليه فى ذواتهم وصفاتهم فالملك والخلق ليس الا لله الواحد القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله يحيى ويميت جواب عن سؤال كأنه قيل كيف يتصرف فينا فاجيب بانه يحيى الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا وهو على كل شئ قدير (**قوله** ولو بالنظر الى ذواتها) يعنى ان المراد باوليته تعالى كونه سابقا على كل ما سواه من الموجودات بالذات من حيث انه موجدها ومحدثها وبآخريته بقاؤه بعد فناء الموجودات ولو بالنظر الى ذواتها ولا يلزم ان يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة من مؤثرها بل يكفى فى فنائها كونها بحيث اذا نظر اليها فى حد ذاتها وقطع النظر عما سواها ما وجدها العقل فانية عارية عن صفة الوجود بخلاف البارى تعالى فانه اذا نظر اليه فى حد ذاته وقطع النظر عن جميع ما عداه يجده العقل موجودا باقيا ويحكم بان وجوده وجميع صفاته كماله مقتضى ذاته فهو تعالى باق فى ذاته بعد فناء سائر الموجودات مطلقا سوآء كان فناؤها بطريان العدم عليها او بكونها فى حد ذاتها عارية عن الوجود وكون وجوداتها مستفادة من الغير (**قوله** او هو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب) اى ويجوز ان تكون اوليته تعالى عبارة عن كونه بحيث اذا نظر الى سلسلة الموجودات المترتبة فى الوجود كان تعالى مبدأ سلسلة الاسباب وتكون آخريته عبارة عن كونه بحيث تنتهى اليه سلسلة المسببات فان

قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض ﴾ ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيئ المصدر مطلقا فى بنى اسرآئيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهو العزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (له ملك السموات والارض) فانه الموجد لهما والمتصرف فيهما (يحيى ويميت) استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقى بعد فنائها ولو بالنظر عن غيرها او هو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات

الوجود يتبدأ منه تعالى ولا يزال ينزل فينزل حتى ينتهي الى الوجود الاخير الذي يكون سببا لكل ماعداه ولا يكون مسببا لشيء آخر فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه اولا ثم اذا اخذت تترقى من هذا الوجود الاخير درجة درجة حتى تنتهي فى آخر الترقي اليه تعالى فهو تعالى اول فى نزول الوجود منه تعالى الى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات اليه تعالى قال القرطبي اختلف فى معانى هذه الاسماء وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قائل فانه روى مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم ببواطن الاشياء قيل القول بان الباطن العالم ضعيف لانه يلزم التكرار فى قوله والله بكل شيء عليم (قوله اوالاول خارجا والآخر ذهنا) فانك اذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو تعالى آخر مايرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله تعالى فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجي فمنه المبدأ اولا واليه المرجع آخرا (قوله والباطن حقيقة ذاته) لان حقيقة ذاته غير مدركة لاعقلا ولا حسا باتفاق المحققين من اهل السنة والمعتزلة ولما تعاضدت الادلة على انه تعالى يدرك بالحاسة فى الاخرة لم يفسر المصنف كونه تعالى باطنا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده لان الموجودات باسرها ظاهرة بظهوره والباطن بكنه حقيقته وبطونه بهذا المعنى لاينافى كونه مرئيا فى الآخرة وفسره صاحب الكشاف بانه غير مدرك بالحواس وهو تفسير بحسب التشهى تأييد المذاهب اليه من استحالة الرؤية والحق انه تعالى ظاهر بوجوده باطن بكنهه وانه تعالى جامع بين الوصفين ازلا وابدا والبطون بهذا المعنى لاينافى الرؤية فى الآخرة لان الرؤية بالحاسة لاتقتضى معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله وهو بكل شيء عليم لئلا يتوهم ان بطونه تعالى عن الاشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما فى الشاهد (قوله اوالغالب على كل شيء) على ان يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه اذا علاه وغلب عليه فالمعنى هو الغالب الذى يغلب كل شيء ولا يغلب عليه فيتصرف فى الكائنات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذ ليس فوقه احد يمنعه وانه الباطن الذى يعلم بواطن الاشياء وليس تحته شيء حتى لايصل اليه علمه (قوله والواو الاولى والاخيرة) يعنى ان الواو المتوسطة بين الاول والاخر لعطف المفرد على المفرد وكذا المتوسطة بين الظاهر والباطن واما الواو الثانية المتوسطة بين الظاهر والباطن فهى لعطف المجموع الثانى على المجموع الاول ولو جعلت لعطف الظاهر على احد الوصفين الاولين لفات التناسب بخلاف ما اذا عطف احد الوصفين المتقابلين المذكورين اولا على الآخر ثم احد المتقابلين المذكور ثانيا على الآخر ثم جمعت بين المجموع الاول والمجموع الثانى بالواو المتوسطة فان الكلام حينئذ يفيد انه تعالى كما انه متصف بكل واحد من الوصفين الاخيرين ازلا وابدا فهو ايضا متصف بكل واحد من المجموعين ازلا وابدا فامن وقت يصح اتصافه تعالى بالاولية والآخرية الا ويصح فيه اتصافه بالظاهرية والباطنية معا فمن فسر باطنيته تعالى بكونه غير مدرك بالحواس يجعل الآية دليلا على انتفاء رؤيته فى الآخرة فلذلك جعل هذه الآية حجة على من جوز ادراكه تعالى بالحاسة فى الاخرة وقوله تعالى هو الذى خلق السموات تحقيق لعزته وكمال قدرته كما ان قوله يعلم مايلج تحقيق لحكمته وكمال علمه (قوله لاينفك علمه وقدرته عنكم) اشارة الى انه تعالى ليس معنا بالمكان والحيز والجهة بل المعية مجاز عن العلم والقدرة على طريق ذكر السبب وارادة المسبب (قوله ولعل تقديم الخلق) اى على قوله يعلم مايلج معانه متأخر عن العلم تابع له تأخرا ذاتيا لان خلق العالم على هذا النظام الأنيق ممايستدل به على علمه وقدرته تعالى (قوله تعالى آمنوا بالله) خطاب لكفار قريش اى قد اوضحت لكم الدلائل الدالة على انه لاتحق العبادة الالى فاعبدونى وآمنوابى وبرسولى وصدقوه فيما يخبر به عنى (قوله وفيه حث على الانفاق وتهوين له) اما اذا كان معنى كونهم مستخلفين ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله تعالى حقيقة بخلقه اياها وانشائه لها وليس للعبد الا ان يتصرف فيها بسبب استخلافه تعالى اياه وجعله بمنزلة الوكيل فى التصرف فيها تصرفا يرضى به مالكها فيثيبه على ذلك بالجنة فلان الانفاق من مال الغير سهل هين اذا اذن فيه مالكه ولاسيما اذا أثاب عليه بالجنة واما ان كان معناه ان مافى ايديكم من الاموال كان لمن قبلكم ثم انه تعالى نقل اموالهم اليكم على سبيل الارث ومن المعلوم ان ما انتقل عمن قبلهم اليهم لابد ان ينتقل

اوالاول خارجا والاخر ذهنا (والظاهر والباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول اوالغالب على كل شيء والعالم باطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين (وهو بكل شيء عليم) يستوى عنده الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض) كالبذور (ومايخرج منها) كالزروع (وماينزل من السماء) كالامطار (ومايعرج فيها) كالابخرة (وهو معكم اينما كنتم) لاينفك علمه وقدرته عنكم بحال (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات والارض) ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما (والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لالكم اوالتى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس

منهم الى غيرهم ايضا فلان انفاق ماهو بصدد التحول والانتقال سهل هين على النفس تغتنم النفس فيه الفرصة فتنفقه اكتسابا لمرضاة الرحمن وثواب الآخرة قبل ان يخرج من يدها ثم انه تعالى ذكر ثواب من انفق في سبيل الله وضمن لمن فعل ذلك اجرا كبيرا فقال فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير فهو في موضع جواب الامر والفاء للدلالة على سببية الايمان والانفاق لما ذكر من الاجر الكبير واعيد ذكرهما صريحا للمبالغة في الدلالة على سببيتهما (قوله وبناء الحكم على الضمير) اى لا على الاسم الظاهر بان يقول فللذين آمنوا وانفقوا اجر كبير بل جعل الموصول مبتدأ وجعل الاجر الكبير مبتدأ ثانيا ولهم خبر الثاني وجعل الجملة خبر المبتدأ الاول للمبالغة المذكورة (قوله اى وما تصنعون غير مؤمنين به) يعني ان قوله تعالى لا تؤمنون بالله في موضع النصب على انه حال من الفاعل المعنوي للفعل المستنبط من ما الاستفهامية وقد تقرر في النحو ان عامل الحال قد يكون معنى الفعل والمراد به ما يستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه واسماء الاشارة وحروف النداء والتمني والترجي والتشبيه وحرف الاستفهام فان فيها معنى الفعل نحو ذا زيد قائما ويا زيد قائما وليتك عندنا قائما ولعله في الدار قائما وكأنه اسد صائلا ومالك قائما فان كلمة ما فيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ولك خبرها والاستفهام يطلب الفعل فيستنبط معنى الفعل من اداة الاستفهام وحرف الجر في لكم وان كان يتعلق بالفعل او شبهه فلذلك يعمل في الحال في نحو زيد في الدار قائما الا ان المصنف اختار ان الحال في الآية معمول لما الاستفهامية لا لحرف الجر حيث قال اى وما تصنعون غير مؤمنين ولم يقل ما حصل لكم غير مؤمنين ولعله مجرد اعتبار (قوله حال من ضمير تؤمنون) اى ما لكم غير مؤمنين بالله مدعوين الى الايمان بالحجج والآيات فهما حالان متداخلان حيث كانت الحال الاولى عاملة في الثانية واختلف ذو الحال فيهما وفي الاحوال المترادفة يتحد العامل وذو الحال (قوله قبل ذلك) اى قبل دعوة الرسول اياكم الى الايمان وكون القبلية بالنسبة الى الدعوة مستفاد من كون الماضي المصدر بقد حالا من مفعول يدعوكم (قوله بنصب الادلة والتمكين من النظر) لم يحمل الميثاق على الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام وقال لهم ألست بربكم لان الكلام مسوق لبيان انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ان دعاهم الرسول اليه بالدلائل الواضحة واخذ الله الميثاق وما اخذ منهم وقت اخراجهم من ظهر آدم غير معلوم لهم الا بقول الرسول وما لم يعرفوا صدق الرسول لا يكون ذلك سببا لوجوب اجابتهم الرسول فيما دعاهم اليه فذكر اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهره لا مدخل له في توبيخهم وتبكيتهم بترك الايمان بخلاف الميثاق المأخوذ بنصب الادلة والتمكين من النظر فقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون الى آخر الآية كلام خرج مخرج الاستبطاء واخبار بارتفاع موانع الايمان وتحقيق ما يوجبه على اكمل وجه واتمه اى اى عذر لكم في ترك الايمان بالله وآياته وقد اقيمت البراهين على حقية ما تؤمرون به سمعا وعقلا فان قوله والرسول يدعوكم في قوة ان يقال وقد قامت البراهين السمعية وقوله وقد اخذ ميثاقكم بمنزلة ان يقال وقد نصبت الادلة العقلية المؤدية الى تصديق الرسول في جميع ما جاء به حتى كنتم بسببها كانكم اعترفتم بمؤدى تلك الادلة من اجل قوة دلالتها عليه وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين شرط حذف جوابه وهو ما اشار اليه المصنف بقوله فان هذا موجب لا مزيد عليه لانه لا موجب يزيد على تظاهر الادلة السمعية والعقلية وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين بعد قوله وما لكم لا تؤمنون واندفع ما يتوهم بينهما من المنافاة كانه قيل ان كنتم مؤمنين بشئ لاجل دليل فما لكم لا تؤمنون الآن وقد تطابقت الادلة النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها ثم انه تعالى ذكر بعض تلك الادلة الدالة على وجوب الايمان فقال هو الذي ينزل على عبده آيات وهي المعجزات التي اعظمها القرآن ثم حرض على الانفاق في سبيله من وجه آخر فقال وما لكم ان لا تنفقوا اى في ان لا تنفقوا فحذف الجار (قوله تعالى ولله ميراث السموات) جملة حالية من فاعل الاستقرار الذي تعلق به قوله لكم والمعنى كيف تبخلون بانفاق اموالكم والحال انكم تعلمون انه تعالى مهلككم ووارث اموالكم وهذه حال منافية للبخل بها لان انفاقها بحيث يستخلف عوضا يبقى خير من هلاكها بغير شئ ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقسيم من انفق من قبل محذوف اى ومن انفق من بعد الفتح حذف للعلم به ولدلالة قوله اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد عليه قال عليه الصلاة والسلام فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وذلك لان ما قبل الفتح كان حال مساس الحاجة الى الجهاد والنفقة ثم اعز الله الاسلام

(فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (وما لكم لا تؤمنون بالله) اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد اخذ ميثاقكم) اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعو وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم) اى الله او العبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية (وما لكم ان لا تنفقوا) واى شئ لكم في ان لا تنفقوا (في سبيل الله) فيما يكون قربة اليه (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق

بعد الفتح وكثر ناصريه ودخل الناس في دين الله افواجا (قوله تعالى وكلا) منصوب على انه مفعول مقدم ومن قرأ بالرفع فوجهه جعله مبتدأ وجعل الجملة التي بعده خبره بحذف العائد اى وعده الله ومثله قول الشاعر

قد اصبحت ام الخيار تدعى - على ذنبا كله لم اصنع

برفع كله اى لم اصنعه الا ان حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى ان البصريين لا يجوزونه الا في ضرورة الشعر بخلاف حذفه في الصلات والصفات نحو قوله أهذا الذى بعث الله رسولا اى بعثه وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ اى تجزى فيه نفس (قوله ليطابق ما عطف عليه) وهو قوله تعالى اولئك اعظم درجة من الذين فانه جملة اسمية واذا قرئ كل بالرفع يكون المعطوف ايضا اسمية فيحصل التطابق بينهما (قوله فانه اول من آمن وانفق) روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالى ارى ابابكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال قال ياجبريل انفق ماله قبل الفتح على قال فاقرئه من الله عزوجل السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عنى في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر فقال يا ابابكر هذا جبريل يقرئك من الله عزوجل السلام ويقول لك ربك اراض انت عنى في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال أعلى ربى اغضب انى عن ربى لراض ونزول الاية في شأن ابى بكر لا ينافى دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين والانصار الذين انفقوا وقاتلوا من قبل الفتح على الذين انفقوا من بعد وقاتلوا معه عليه السلام وقيل هذا تفضيل لجميع الصحابة ويؤيده ماروى سفيان عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى قوم بعدكم يحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يارسول الله نحن افضل ام هم قال لو ان احدهم انفق مثل احد ذهبا ماادرك فضل احدكم ولا نصيفه ففرقت هذه الاية بيننكم وبين الناس وتلا لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة كذا في تفسير الفقيه ابى الليث ثم انه تعالى حرض على الانفاق في سبيله بطريق آخر فقال من ذا الذى يقرض الله (قوله تعالى يقرض) استعارة تبعية حيث شبه الانفاق في سبيل الله باقراضه فاطلق عليه اسم الاقراض والجامع اعطاء شئ بعوض واليه اشار المصنف بقوله فانه كمن يقرضه (قوله وحسن الانفاق) مبتدأ وقوله بالاخلاص خبره ولا يكون الانفاق حسنا الا بان يبتغى به وجه الله تعالى خاصة لقوله تعالى الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ومالاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وبان يكون ما انفقه احب الاموال اليه واكرم عنده لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ولقوله عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة ان تعطيها وانت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا وبان يتحرى افضل الجهات وبصرفه صدقة الى الاحوج فالاحوج وان جمع بين جهتى سد حاجة الفقير وصلة الرحم فهو افضل (قوله وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه) اى حسن يرضى في بابه وهو اشارة الى ان قوله تعالى وله اجر كريم جملة حالية من مفعول يضاعفه واطلاق التضعيف يدل على ان الاضعاف المنضمة الى الاجر زائدة على ما انفقه من المال كمية وكيفية (قوله وقرأ عاصم) قال صاحب التيسير في قرض سورة البقرة قرأ عاصم وابن عامر فيضاعفه هنا وفي الحديد بنصب الفاء والباقون برفعها ووجه النصب اضمار ان بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام كما في قولك هل تزورنا فنحسن اليك وقوله باعتبار المعنى جواب عما يقال النصب بان المضمرة لا بدان يكون مترتبا على الفعل المستفهم عنه كما في المثال المذكور فان احسان المتكلم مترتب على زيارة المخاطب اياه وههنا لم يوقع الاستفهام عن اصل القرض وانما وقع عن فاعله حيث قيل من ذا الذى يقرض فكيف ينصب الفعل بعده بان مضمرة وتقرير الجواب ظاهر قيل هذا السؤال ممنوع الا ترى انه ينصب الفعل بعد الفاء في جواب الاستفهام بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فازورك ومن داع فاستجيب له ومتى سيرك فارافقك ومن ابوك فنكرمه ومن قرأ فيضاعفه مرفوعا جعله معطوفا على يقرض (قوله ظرف لقوله وله) اى ظرف للاستقرار الذى تعلق به قوله وله اى استقر له اجر في ذلك اليوم وان كان معمولا لاذكر يكون مفعولا به لا ظرفا وقوله يسعى حال من المؤمنين لان قوله ترى من رؤية العين وبين ايديهم ظرف ليسعى ويجوز ان يكون حالا من نورهم وكذا بايمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين (قوله ما يوجب نجاتهم وهدايتهم

(اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) اى من بعد الفتح (وكلا وعد الله الحسنى) اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه (والله بما تعملون خبير) عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابى بكر فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من ذا الذى ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات (فيضاعفه له) اى يعطى اجره اضعافا (وله اجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله اوفيضاعف اومقدر باذكر (يسعى نورهم) ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين ايديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

يعنى ان النور مستعار لصحائف الاعمال تشبيها لها بالنور فى كونها سبب النجاة من النار والاهتداء الى طريق الجنة فان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من قدامهم ومن جهة أيمانهم فتكون دليلا لهم الى الجنة ويستضيئون بنورها على الصراط المستقيم وهم يسعون لانهم لو مشوا الهوينا لما سعى النور بين ايديهم وبايمانهم لانه لو سعى وهم يمشون الهوينا لزم ان يفارقهم ولا يكون بين ايديهم ولا بايمانهم ثم اختلف فى النور المذكور فى هذه الآية فقال قوم المراد نفس النور على ماروى عنه عليه الصلاة والسلام قال كل شاب يحصل له النور على قدر عمله وثوابه فى العظم والصغر فنهم من يضيئ له نور كما بين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره كالجبل ومنهم من لا يضيئ له نور الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفئ مرة ويتقد اخرى والمنافقون ايضا يؤتون نورا خديعة لقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ثم يسلب نورهم لنفاقهم فذلك قول المؤمنين ربنا اتمم لنا نورنا اى خشية ان يسلب نورهم كما يسلب نور المنافقين فاذا بقى المنافقون فى الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم استضاؤا فى الدنيا بما حصل لهم من النور فكيف يستبعد ان يستضيئ اهل السعادة بما ظهر لهم من النور فى العقبى فقد ذكر فى المصابيح برواية انس رضى الله عنه ان اسيد ابن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبى صلى الله عليه وسلم ولما ارادا انهما ينقلبان اى يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية أضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها حتى اذا افترقت لهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ اهله ذكر الامام ان النور الحقيق هو معرفة الله تعالى وان العلم الذى هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هى النور فى القيامة فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا وقال آخرون المراد من النور ما يكون سببا للنجاة وهو ما اختاره المصنف (قوله تعالى بشراكم) مبتدأ واليوم ظرف وجنات خبره ولما كان البشرى مصدرا بمعنى البشارة والجنة عينا ومن المعلوم ان العين لا تكون خبرا عن الحدث والمعنى ذكر المصنف لصحة الاخبار وجهين الاول ان تكون البشرى بمعنى المبشر به والثانى تقدير المضاف فى الخبر وعلى التقديرين تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر والقول المقدر مع مقوله حال اخرى من المؤمنين اى يوم تراهم ساعيا نورهم مقولا لهم بشراكم اليوم دخول جنات وقوله تعالى خالدين نصب على الحال وذو الحال محذوف يدل عليه المصدر المقدر اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر الى مفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يجعل تقدير الكلام بشراكم اليوم دخول جنات تدخلونها خالدين وان اول المبتدأ بالمبشر به يكون عامل الحال مادل عليه بشراكم اى تبشرون بها خالدين فيها ولا يجوز ان يكون العامل فيها بشراكم لانه مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله باجنبى (قوله انتظرونا او انظروا الينا) معنى انظرونا فى قراءة العامة امر من النظر ثم ان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار وبمعنى التوجه وتقلب الحدقة الى جانب المرئى والنظر بالمعنى الثانى لا يتعدى بنفسه فى غير الشعر وانما يتعدى بالى فلهذا اخره المصنف عن الاحتمال الاول عن ابى امامة رضى الله عنه قال يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمنون نورا ويترك الكافر والمنافق ولا يعطيان شيأ فيضئ المؤمنون ويقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم اى انظرونا نصب منه حظا لانهم يسرع بهم الى الجنة ركبانا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم (قوله وقرأ حمزة انظرونا) اى بقطع الهمزة وكسر الظاء من الانظار بمعنى الامهال ضد التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم انظرونا كناية عن طلب التؤدة فى مشيهم يقال اتأد فى مشيه اذا مشى مشيا هوينا على التؤدة والوقار والاتئاد افتعال من التؤدة ولما ورد ان يقال الذى يطلبه المنافقون من المؤمنين ان يتأدوا فى مشيهم ولا يسرعوا فيه لا ان يمهلوا المنافقين فما معنى قولهم انظرونا بفتح الهمزة اجاب عنه بان امهلونا كناية عما يستلزمه وهو اتئاد المؤمنين فى مشيهم والظاهر ان قوله تعالى فضرب بينهم بسور معطوف على قوله قيل ارجعوا وراءكم ومتفرع عليه فان المؤمنين او الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بانوار معارفهم واعمالهم بقى المنافقون فى ظلمة نفاقهم وحرموا من اللحوق باصحاب الانوار والاستضاءة بانوارهم كما يحرم الاعمى من الانتفاع بنور البصر فصاروا بذلك كأنه ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور حائل باطن ذلك السور وهو الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة التى هى

(بشراكم اليوم جنات) اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا)انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف اوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان أتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم (نقتبس من نوركم)نصب منه (قيل ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها اوالى الموقف فانه من ثم يقتبس اوالى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين اوالملائكة (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط (له باب) يدخل فيه المؤمنون (باطنه)باطن السور اوالباب (فيه الرحمة)لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) من جهته لانه يلى النار (ينادونهم ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) بالنفاق (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى الدين (وغرتكم الامانى) كامتداد العمر (حتى جاء امر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) الشيطان اوالدنيا

النور الذى يؤديهم الى الجنة وظاهره اى الذى يلى المنافقين من قبله العذاب اى عذاب الظلمة التى تؤدى
الى السقوط فى حفر النيران فعلى هذا يكون قوله تعالى فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية وقيل
يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بما ذكرا وهو حجاب الاعراف وقرئ فضرب على بناء الفاعل وهو
البارئ تعالى اوالملك الا ان الجمهور على بنائه للمفعول والقائم مقام الفاعل هوقوله بسور والباء صلة والتقدير
ضرب بينهم سور وقوله له باب جملة اسمية مجرورة المحل على انها صفة سور وقوله باطنه مبتدأ وقوله الرحمة مبتدأ
ثان وفيه خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمبتدأ الاول مع خبره مرفوع المحل على انه صفة لباب وقوله ينادونهم
مستأنف اى ينادى المنافقون المؤمنين قائلين ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى مثل ماتصلون ونقرأ مثل ماتقرأون
ونفعل مثل ماتفعلون من الافعال الظاهرة فاجابهم المؤمنون بقولهم بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها بالنفاق
واصل الفتن الاحراق وغركم بالله اى بحلم الله تعالى وتأخير العذاب عنكم والغرور بفتح الغين صفة مشبهة على
وزن فعول كصبور وقرئ بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار والفعل مسند الى مصدره مثل جد جده والفدية
مايفتدى به مطلقا فيتناول الايمان والتوبة والمال فبسبب ماانتم عليه فى الدنيا ايها المنافقون لايقبل منكم يوم
القيامة فداء لارتفاع وقت التكليف ومجيئ يوم الجزاء وعطف الكافر على المنافق لما اوهم ان لايكون المنافق
كافرا لوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اشار الى دفعه بان الكافر مطلقا وان كان اعم من المنافق الا ان
المراد بالذين كفروا فى هذه الآية الكافر المجاهر اى المظهر لكفره وهو مباين للمنافق الذى يبطن الكفر (**قوله**
كقول لبيد   فغدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وامامها   يصف بقرة وحشية
اكل السبع ولدها فصارت متبوعة وقيل بل نفرت من صوت الصائد وكلامه ولم تقف لتنظر أقاصدها خلفها ام
امامها فغدت فزعة مذعورة لاتعرف منجاها من مهلكها والفرجان الجانبان وهما الخلف والقدام سميا فرجين
لكون كل واحد منهما مفروجا مكشوفا على ان الفرج فعل بمعنى مفعول اى غدت من غلبة الخوف عليها بحيث
تحسب ان كلا جانبيها وهما خلفها وقدامها مولى المخافة اى اولى موضع لان يكون فيه الخوف وقوله
فغدت يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة وقوله كلا الفرجين مبتدأ وتحسب مع مافى حيزه خبره والضمير
فى تحسب عائد الى اسم غدت والجملة خبر غدت والضمير فى انه للمبتدأ وهو كلا لانه مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى
ومولى المخافة خبران وقوله خلفها وامامها امابدل من كلا واماخبر مبتدأ محذوف اى هما خلفها وامامها
فالمولى ههنا اسم لمكان يقال فيه هو اولى لكم وكذا المحرى اسم لمكان يقال فيه انه احرى بكم واجدر فهو مفعل
من اولى كان مئنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لايشتق منها بل ربما
تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان طول الصلاة وقصر
الخطبة مئنة الرجل المسلم اى ان هذا ممايعرف به فقه الرجل ومكان يقول القائل فيه انه عالم وانه فقيه ويجوز
ان يكون مفعلا من الولى اى هى مكانكم عن قريب ويجوز ان يكون المعنى ناصركم لاناصر لكم غيرها والمراد نفى
الناصر على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمراد نفى التحية فيما بينهم قطعا ضرورة ان الضرب الوجيع
ليس بتحية فيلزم ان لاتحية بينهم البتة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الولاية بتقدير المضاف اى هى ذات ولايتكم
بمعنى توليكم من قولهم ولى الوالى البلد وولى الرجل البيع ولاية فيهما (**قوله والمايأن**) اصلها الم يأن زيدت
عليها ما وادغم فصار ألما وكلمة لم نفى لقوله فعل وألما نفى لقوله قد فعل يقال انى يأنى انيا مثل رمى يرمى رميا وآن يئين
اينا مثل باع يبيع بيعا وكلاهما بمعنى حان وجاء اناه اى وقته وحينه قال الشاعر

ألما يئن لى ان تجلى غوايتى * واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا

فجمع بين اللغتين واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى المنافقين الذين اظهروا الايمان وفى قلوبهم
النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزلت فى الذين آمنوا على الحقيقة فان المؤمن قد يكون له خشوع وخشية
وقد لايكون له ذلك فلعل طائفة من المؤمنين ماكان فيهم مزيد خشوع ولا رقة قلب فحثوا عليه بهذه الاية ويحتمل
ان يكون قوم من المؤمنين كان فيهم مزيد خشوع ثم زال عنهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة اليها روى
عن الاعمش انه قال ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا لينا فى العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ماكانوا عليه
فعوتبوا بهذه الاية وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء

(فاليوم لايؤخذ منكم فدية) فداء وقرأ ابن عامر
ويعقوب بالتاء (ولامن الذين كفروا) ظاهرا وباطنا
(مأواكم النار هى مولاكم) هى اولى بكم كقول لبيد
فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى
بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه
لكريم اومكانكم عما قريب من الولى وهو القرب
اوناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع اومتوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا
(وبئس المصير) النار (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله) الم يأت وقته يقال انى الامر
يأنى انيا وأناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة
وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأنى وألما يأن
روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا
اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

شديد افتطر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (قوله عطف احد الوصفين على الآخر) فان القرآن
كما انه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو ايضا حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما في قوله تعالى ولقد آتينا
موسى الكتاب والفرقان اى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ويجوز ان يراد بالاول ذكر
الله مطلقا وبالثاني القرآن كما في قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
(قوله وقرأ نافع و يعقوب وحفص نزل بالتخفيف) على بناء الفاعل وباقي السبعة كذلك الا انهم شددوا الزاي
وقرئ نزل مشددا مبنيا للمفعول ونزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ الجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة جريا على
نسق ما قبله وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات على ان تكون كلمة لا ناهية ويكون الفعل مجزوما بها او ان تكون نافية
ويكون الفعل منصوبا عطفا على تخشع كما في قراءة الغيبة (قوله او ما بينهم وبين انبيائهم) عطف على اعمارهم
وقسوة القلب غلظته ويبسه وفي الآية اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى قسوة القلب المؤدية
الى الكفر نعوذ بالله من ذلك (قوله تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر) يعني ان قوله تعالى يحيي الارض
بعد موتها استعارة تمثيلية والمعنى تلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه احياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر
وتلاوة القرآن باحياء الارض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشيء الى كماله المتوقع
بعد خلوه عنه ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه ترغيبا في الخشوع المذكور فان التمثيل المذكور لتضمنه تشبيه
قساوة القلب بموت الارض وتشبيه ما رتب على خشوعها المتفرع على الذكر والتلاوة بحياة الارض الميتة ترغيب
لا محالة في تحصيل الخشوع وترك القسوة فالآية تمثيل لاثر الذكر في القلوب بعد قسوتها او بيان انه يحييها كما يحيي
الغيث الارض و يحتمل ان يكون تمثيلا لاحياء الاموات بان شبه احياؤها باحياء الارض الميتة فمن قدر على الثاني
فهو قادر على الاول فحقه ان تخشع القلوب لذكره وما نزل من آياته وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية
بما قبلها فان قوله ترغيبا يحمل الآية على التمثيل دون الحقيقة (قوله عطف على معنى الفعل في المحلى باللام)
لا على لفظ المحلى لان عطف الفعل على الاسم قبيح (قوله وهو على الاول) اى على القراءة بتشديد الصاد والدال
وهو جواب عما يقال عطف قوله واقرضوا على المصدقين بتشديد الصاد عطف الشيء على نفسه بحسب الظاهر لان
المراد بالاقراض هو التصدق والانفاق لا غير اجاب عنه بان المعطوف تصدق خاص مقيد بكونه حسنا مقرونا
بالاخلاص فتغايرا وحسن العطف وعلى قراءة تسديد الدال فقط وجه العطف ظاهر لانه في معنى الذين آمنوا
وانفقوا (قوله معناه والقراءة في يضاعف مامر) اى في سورة الفرقان في تفسير قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق
اثاما يضاعف له العذاب قال فيه يضاعف بدل من يلق لانه في معناه وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او على
الحال وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضاعف وقرئ
يضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر (قوله وهو مسند الى لهم) يعني ان القائم مقام
فاعل يضاعف اما الجار والمجرور بعده او ضمير التصدق او التصديق على حذف المضاف اى يضاعف لهم ثواب
التصديق (قوله اى اولئك عند الله بمنزلة التصديقين) جواب عما يقال كيف حكم على كل من آمن بالله ورسله بانه
هو الصديق والشهيد مع ان الظاهر ان كل واحد منهما اخص من المؤمن لان الصديق هو السابق الى التصديق
والشهيد من استشهد في سبيل الله اجاب عنه اولا بان قوله اولئك هم الصديقون والشهداء اى على سبيل
التشبيه ثم بين تعالى وجه التشبيه بقوله لهم اجرهم ونورهم اى لهم اجر مثل اجر الصديقين والشهداء ولهم نور
مثل نورهم ولما ورد ان يقال كيف يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت اجاب عنه بقوله لكنه من غير تضعيف
يعني انه تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك واجاب عنه ثانيا
بان المراد بالصديق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذي ذكر بل الصديق صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق
والشهيد من يشهد لله تعالى بالوحدانية وباتصافه بجميع صفات العظمة والكبرياء وللرسل بقيامهم بمقتضى
الرسالة من الدعوة والتبليغ او من يشهد على الامم كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس والمراد انهم عدول يوم
القيامة تقبل شهادتهم للعباد وعليهم فيما عملوه وكل مؤمن كذلك ثم نقل جوابا آخر وهو ان قوله تعالى والشهداء عند
ربهم جملة اسمية والمراد بهم الانبياء او الذين استشهدوا في سبيل الله فلا يلزم ان يكون كل مؤمن شهيدا (قوله او الاجر
والنور الخ) اى و يجوز ان تكون الضمير في قوله لهم اجرهم ونورهم راجعة الى قوله الذين آمنوا بالله ورسله

(وما نزل من الحق) اى القرآن وهو عطف على الذكر
عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد
بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل
بالتخفيف وقرئ انزل (ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرأ رويس
بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى
عنهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) اى
فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم
او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد
وهو الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون)
خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط
القسوة (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها)
تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا
عن القساوة (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) كي
تكمل عقولكم (ان المصدقين والمصدقات)
ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن
كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا
الله ورسوله (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطف
على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا
او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر
هو التصدق المقرون بالاخلاص (يضاعف لهم
ولهم اجر كريم) معناه والقراءة في يضاعف مامر
غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى
ضمير المصدر (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم) اى اولئك عند الله
بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون
في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله
ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم
يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر
والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله
(لهم اجرهم ونورهم) لهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف
ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم
(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)
فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار
من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة
تدل على الملازمة عرفا

(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر امور الدنيا اعنى ما يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) اى لمن اقبل عليها و لم يطلب الآخرة بها (سابقوا) سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار (الى مغفرة من ربكم) الى موجباتها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فاظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك الموعود يتفضل به الله على من يشاء من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره (ما اصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل ان نبرأها) نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس (ان ذلك) ان ثبته فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة

ويكون المعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم فلا حاجة حينئذ الى تقدير المثل ولا يرد ايضا ان يقال كيف يسوى بينهم فى الاجر ولا بد من التفاوت حتى يحتاج الى دفعه (قوله ثم قرر ذلك) فان محل الكاف فى قوله كمثل اما النصب على انه حال من الضمير فى لعب لانه بمعنى الوصف او من معنى ما ذكر اى انها لعب تتبه غيثا او تثبت بهذه الصفات مشبهة غيثا واما الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة او خبر لمبتدأ محذوف اى مثلها او صفتها العجيبة مثل صفة غيث ونبات الغيث ما ينبت بسببه والمراد بالكفار ههنا اما الحراث لانهم يكفرون البذر اى يغطونه و يسترونه بتراب الارض واما الكفار بالله تعالى (قوله ثم يهيج) اى ييبس بعد زمان قريب يقال هاج النبت هياجا اى يبس (قوله ثم عظم امور الآخرة) معطوف على قوله حقر امور الدنيا (قوله تعالى فى الآخرة) خبر مقدم وما بعده مبتدأ والجملة معطوفة على جملة قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو داخلة فى حيز قوله اعلموا أخبر الله تعالى بعد بيان ان الحياة العاجلة لا يتوصل بها الى الفوز ان فى الآخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وفيه اشارة الى سبق رحمة الله تعالى غضبه من حيث انه قابل العذاب بسبق المغفرة والرضوان الذى هو اعظم السعادات ولن يغلب عسر يسرين ثم اكد ما ذكره من تحقير امور الدنيا بقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وهو المتاع الذى يميل اليه الطبع اول ما رآه اغترارا بما لاح فى ظاهره من جهة الحسن كالاوانى المتخذة من الزجاج والحلى المموه بماء الذهب فان اخذه احد اغترارا بما ظهر على ظاهره واراد ان ينتفع به يتسارع اليه الهلاك ويتبين انه زخرف لا قيمة له ولا رواج فكذلك الدنيا فى حق من آثرها لنفس ذاتها واراد ان يتمتع بها فان أفضل ما فيها من النعيم هى الحياة فمن صرفها الى متابعة الهوى والحظوظ العاجلة صارت بمنزلة اللعب الذى يفعله الصبيان فانهم يتعبون انفسهم فى ذلك غاية التعب ثم تنقضى تلك المتاعب عن قريب من غير فائدة وبمنزلة اللهو الذى يفعله الشبان فان من اشتغل به لا يبقى له بعد انقضائه الا الحسرة والندامة حيث يرى المال ذاهبا والعمر خائبا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وتعطشا اليها مع فقدانها فيتوالى عليه حسرات متضاعفة ومضار مجتمعة عن سعيد بن جبير قال الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة واما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وسعادة الآخرة فنعم المتاع ونعمة الوسيلة ثم انه تعالى لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الآخرة وفخم شأنها حث على المسارعة الى نيل ما وعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال سابقوا والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لان موجبات المغفرة لا يسابق اليها حقيقة والمضمار ما يضمر فيه الخيل وتضمير الفرس بان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك يكون فى اربعين يوما وهذه المدة تسمى مضمارا و يسمى به الموضع الذى يضمر فيه الخيل ايضا (قوله وقيل المراد به البسطة) اى لا العرض الذى هو فى مقابلة الطول فيتناول الطول والعرض جميعا (قوله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة) لان ما لم يخلق بعد لا يوصف بانه اعد وهيئ (قوله وان الايمان وحده كاف فى استحقاقه) اذ ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن ولم يذكر مع الايمان شئ آخر وقالت المعتزلة هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والثانى انها لو كانت موجودة الآن لكانت فى احدى السموات السبع وما كان فى واحدة منها كيف يجوز ان يكون عرضه كعرض السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التأويل وذلك بان يقال انه تعالى لما كان قادرا لا يعجز عن شئ وحكيما لا يصح الخلف فى وعده وقد وعد بالجنة لكل من آمن واطاع كانت الجنة كالمعدة المهيأة لهم بناء على ان كل ما سيقع قطعا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه اعددت لك كذا اذا عزم عليه وان لم يحضره بعد والجواب ان قوله كل شئ هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دائم خاص واذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالخاص يخصص العام مطلقا اى سواء علم تاريخ نزولهما وايهما نزل اولا او لم يعلم هذا عند الشافعية وذهبت الحنفية الى ان المتأخر فى النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولا يحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية واما قولهم ان الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت فى احدى السموات وما يكون فى واحدة منها لا يكون عرضه كعرض كل السموات والارض فالجواب عنه انها مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال عليه الصلاة والسلام سقف الجنة عرش الرحمن ولا بعد فى كون المخلوق فوق الشئ اعظم منه الا ترى ان العرش اعظم المخلوقات مع انه فوق السماء السابعة (قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الآية) وان كان حثا على مكارم الاخلاق

من الصبر على الضرآء والشكر على السرآء وتمهيد الرذيلتين اللتين هما الفرح بالنعمة بحيث يؤدى الى الأشر والبطر والخروج عن حد الشكر والتحزن على مافات منها حزنا مطغيا مخرجا عن حد الصبر والرضى بالقضاء الا ان المقصود الاهم منه الحث على الجهاد كما هو المقصود بما سبق من قوله تعالى ومالكم ان لا تنفقوا فى سبيل الله وقوله لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الى آخر الآيات ونقل عن الزجاج انه قال انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المؤدى الى الجنة او النار مما صدر من بنى آدم لا يكون الا بقضاء الله وقدره فان جميع الموجودات مثبتة فى اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل قضاءه السابق بايجادها الى المواد الخارجية واحدا بعد واحد فالاول هو المسمى بالقضاء والثانى هو المسمى بالقدر قال الامام انه تعالى لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة فى الكتاب لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية واثباتها فى الكتاب محال وخص من الحوادث ما يتعلق بالارض وبالانس ولم يدخل فيها احوال السموات وما يتعلق بها مما يكون من قبيل المصائب ولم يذكر السعادات الارضية والانسية وفى كل ذلك اشارات واسرار وهذه الآية دالة على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود مكتوبة فى اللوح المحفوظ قال المتكلمون انما كتب كل ذلك لتستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وقوعها لان اثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك انه حكيم فانه تعالى لما خلقهم ورزقهم مع علمه بما يقدمون عليه من المعاصى علم منه انه لم يفعل ذلك الا لحكمة (قوله اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا) يعنى ان اللام فى قوله لكيلا متعلقة بما يدل عليه قوله الا فى كتاب (قوله ليعادل مافاتكم) فان أتاكم ذكر فى مقابلة فاتكم والفعل فى قوله فاتكم للفائت فينبغى ان يكون فى مقابله ايضا للآتى لا للمؤتى ووجه من قرأ آتاكم بالمد ماذكره المصنف من الاشعار بان حصول نعم الدنيا وبقاءها لا بدله من سبب بخلاف فواتها وقوله وقرأ ابو عمرو بما اتاكم اى مقصورا من الاتيان اى بما جاءكم قال ابو على الفارسى لان اتاكم معادل لقوله فاتكم للفائت فكذا ينبغى ان يكون فى مقابله الآتى فى قوله بما اتاكم وقرأ باقى السبعة آتاكم ممدودا من الايتاء اى بما اعطاكم اياه ووجه هذه القراءة اى القرآءة الممدودة التى بمعنى الاعطاء من الايتاء ما فيها من الاشعار الذى ذكره المصنف حيث قال وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها الخ (قوله والمراد به) اى بقوله لكى لا تأسوا ولا تفرحوا اى ليس المراد به نفى الاسى والفرح على الاطلاق فانه ما من احد الا وهو يفرح بنعمة الله تعالى ويحزن على فواتها وليس مجرد الفرح والحزن بمذموم وانما المذموم منهما ما يؤدى الى ما لا يجوز من البطر والاختيال والافتخار بالزخارف الفانية على الناس والنظر اليهم بعين الاحتقار ومن عدم الرضى بالقضاء والتسليم لامر الله واستشهد على ان المراد ذلك بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال اى فرح يخرجه فرحه عن حد الشكر الى الخيلاء والبطر فخور بما اوتى من النعم على الناس قيل لبرزجمهر ايها الحكيم مالك لا تحزن على مافات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتى لا يستدام بالحبرة ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وكيف لا يهون عليه ذلك وقد علم ان وقوع كل ما وقع واجب وعدم كل ما لم يقع واجب ايضا من حيث انه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذى يكون عليه من الوقوع وعدم الوقوع واثبته كذلك فى اللوح المحفوظ فلو لم يكن على الوجه الذى تعلق به العلم والقضاء الازلى لانقلب العلم جهلا فمن علم ان الامر كذلك هانت عليه المحن والمصائب ولا يشتد فرحه بحدوث المآرب حيث علم ان الامر منوط بمجرد المشيئة الالهية فان شاء ابقاها وان شاء سلبها (قوله فان المختال بالمال يضن به غالبا) علة لكونه بدلا من كل مختال على معنى لا يحب الذين يبخلون فان من فرح بالمال فرحا مطغيا واختال وافتخر به على الناس فانما يفعله لحبه اياه وعزته عنده فالغالب عليه ان يبخل به عن الصرف الى حقوق الله تعالى (قوله خبره محذوف) وتقدير الكلام الذين يبخلون فالله غنى عنهم (قوله وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى) اى باسقاط لفظ هو لسقوطه فى مصاحف المدينة والشام وقرأ الباقون باثباته لثبوته فى مصاحفهم فاتبع كل فريق امامه من المصاحف ثم انه تعالى لما حث على المسارعة الى ما يوجب المغفرة والجنة ولم يفصل ان موجباتهما ماهى قال ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان اى ليتم بهما مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله فى باب العقائد والاخلاق واعمال الجوارح واستعمل الميزان فى معاملة الخلق فقد سارع الى ما يوجب المغفرة والجنة (قوله اى الملائكة) قدم هذا الاحتمال لان قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان يدل على ان الرسل منزلون وانهم يصحبون الكتاب حال النزول والانبياء ليسوا بمنزلين فضلا عن ان ينزل معهم الكتاب وان اريد بالرسل الانبياء

(لكيلا تأسوا) اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا (على مافاتكم) من نعيم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما أتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله (والله لا يحب كل مختال فخور) اذ قل من يثبت نفسه حالى السرآء والضرآء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم (بالبينات) بالحجج والمعجزات

يكون معهم حالامقدرة من الكتاب اى انزلناه صائرا معهم (قوله تعالى ليقوم) متعلق بانزلنا والقسط العدل اى انزلناهما ليحقق الناس ما امروا به من العدل باتباع الكتاب واستعمال الميزان فينتظم به امر دينهم ودنياهم بسلوك الصراط المستقيم الموصل الى المغفرة والرضوان ودرجات الجنات (قوله وانزاله انزال اسبابه) يعنى ان الميزان بمعنى مايوزن به ليس بمنزل من السماء بل هو من مصنوعات البشر فالمراد بانزاله انزال اسبابه وقيل الانزال ههنا بمعنى الانشاء والهيئة كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل هو من باب علفتها تبنا وماء باردا وتقدير الكلام انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان والمراد بوضعه الامر باستعماله وروى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل المراد بالميزان العدل وبانزاله انزال الامر به (قوله تعالى فيه بأس شديد) جملة حالية من الحديد قيل معناه فيه من خشية القتل خوف شديد وقال محيى السنة فيه قوة شديدة فى الحرب وفى الصحاح البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح والمعنى انه يتخذ منه آلات للحرب آلة الدفع وآلة الضرب قال اهل المعانى معنى انزلنا الحديد احدثناه وانشأناه كما فى قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا عليكم لباسا وذلك ان اوامر الله تعالى واحكامه تنزل من السماء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل النار والحديد والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله عنه قال نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة السندان يروى بفتح السين وكسرها يقال له بالتركى اورس والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد وهو ما يحد به الحديد والمطرقة آلة يضرب بها الحداد الحديد المحمى يقال له بالتركى چكوج فعلى هذا الانزال على حقيقته وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد بعد قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اشارة الى ان تمشية قوانين الكتاب واستعمال مايوزن به يتوقفان على وال صاحب سيف يقيم به امر السياسة ويقهر به من تجاوز القسط وتعدى وظلم فان الظلم من شيم النفوس الامارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم ثم قال ومنافع للناس اشارة الى ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع وآلات المحترفة (قوله والعطف على محذوف) يعنى ان قوله تعالى وليعلم الله معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى فيه بأس شديد ومنافع للناس فانه حال فيه معنى التعليل اى ليقاتلوا وينتفعوا به وليعلم الله حذف ما حذف اعتمادا على قيام مايدل عليه وللدلالة على ان المقصود الاصلى من انزال الحديد هو المذكور فعلى هذا تكون اللام متعلقة بقوله وانزلنا الحديد ويحتمل ان تكون متعلقة بمحذوف معطوف على انزلنا (قوله بالغيب حال من المستكن فى ينصره) اى ينصر دين الله ورسله وهو لم ير الله تعالى ولا احكام الآخرة ولا احدا من رسله فان المعتبر فى الطاعة ما وقعت حال الغيبة عن المطاع على ان يكون المراد بالغيب الغيبة عن التصور ويجوز ان يكون المراد بها الغيبة عن الناس اى ينصر دين الله وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح مجاهدة لاعلاء الدين بالغيب اى ملتبسا بالغيبة عمن يراه من الناس اى يفعل ما فعله عن اخلاص لا كالمنافق الذى يفعل اذا رآه الناس ولا يفعل اذا غاب عنهم واحتج من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله وليعلم الله ونحن نقول المعنى ليعلم الله من ينصر دينه ورسله موجودا فيستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم فى الازل بانه سيوجد ثم انه تعالى لما اجمل ذكر الرسل الملتبسين بالبينات وبين انه انزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالعدل وانزل الحديد ذا البأس الشديد يستعين به الخلق فى نصرة الدين وتقوية المرسلين فصل ههنا ما اجمله من ارسال الرسل بالكتب فقال ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وقدم قوله فى ذريتهما وهو ثانى مفعولى جعلنا بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص فانه ما جاء بعدهما احد بالنبوة الا كان من اولادهما (قوله بان استنبأنا هم) اى استنبأنا بعضا من ذريتهما لان جعل الذرية ظرفا للنبوة يدل على كونها فى بعض منهم والكتاب هو الوحى المتلو الذى من شأنه ان يكتب وقيل هو مصدر بمعنى الكتابة يقال كتبت كتابا وكتابة وهو الخط بالقلم والفاء فى قوله فمنهم للتعقيب فى الذكر لان تفصيل المجمل حقه ان يذكر بعد ذكر الاجمال وعدل عن سنن المقابلة حيث لم يقل ومنهم فاسق لما ذكره من الامرين (قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا) اى اتبعنا على آثار الذرية وقيل على آثار نوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم المدلول عليه بقوله ارسلنا (قوله او من عاصرهما) معطوف على قوله من ارسلا اليهم احتاج الى ان يعتبر معهما

(وانزلنا معهم الكتاب) ليتبين الحق ويتميز صواب العمل (والميزان) ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال (ليقوم الناس بالقسط) وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله (بالغيب) حال من المستكن فى ينصره (ان الله قوى) على اهلاك من اراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصره وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط (فمنهم مهتد) فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم) اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية

من ارسلا اليهم اومن عاصرهما لاقتضاء ضميرالجمع فى قوله على آثارهم ذلك برسلنا موسى والياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم وعيسى من ذرية ابراهيم من جهة الام كما انه من ذرية نوح ايضا يقال قفوت اثره واقفوقفوا اى اتبعته وقفيت على اثره بفلان اى اتبعته اياه (قوله وامره اهون) اى امر فتح همزة أنجيل اهون من فتح باء برطيل لان انجيل لفظ اعجمى فلامحذور فى كونه مخالفا لاوزان العرب بخلاف برطيل فانه لفظ عربى فبفتح الباء فيه صار بحيث لم يوجد له نظير فى الاوزان العربية فكان شاذا بخلاف مالوكسر الباء فيه فان له نظائر كثيرة فى الالفاظ العربية كالقنديل والاحليل والابريق والاكسير والبرطيل حجر مستطيل يدخل فى الحلق لاجل التداوى به شبهت الرشوة به فسميت برطيلا على طريق الاستعارة واللغة الشائعة برطيل بكسر الباء ويستعمل بفتح الباء ايضا بطريق الشذوذ والمراد بمن اتبع عيسى على دينه الحواريون واتباعهم قيل الرأفة اللين والرحمة الشفقة والمراد بهما فى الاية المودة فكان بعضهم يود بعضا كما وصف الله تعالى هذه الامة بقوله رحماء بينهم (قوله اى وابتدعوا رهبانية) على ان يكون انتصاب رهبانية على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير (قوله اورهبانية مبتدعة) على ان تكون معطوفة على قوله رأفة ورحمة مجعولة له تعالى ويكون ابتدعوها صفة رهبانية وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير ويرد على هذا ان يقال كيف تكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله تعالى ومبتدعة لهم حاصلة من جهتهم وهما متنافيان بحسب الظاهر والجواب عنه منع التنافى بناء على ان الرهبانية وهى الفعلات المنسوبة الى الرهبان كتكثير العبادات وترك العادات ولزوم الخلوات من الافعال التى يكون لقدرة الانسان واكتسابه مدخل فيها بخلاف الرأفة والرحمة فانهما من الامور الغريزية فلا مدخل لكسب الانسان فيهما فصح توصيف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى وتوصيف ما يكون بكسب الانسان واختياره بانه مبتدع له فان جميع الافعال الاختيارية منسوبة اليه تعالى بالخلق والايجاد والى العبد بالكسب والاختيار ويرد على الاعراب الاول ان يقال كيف يجوز ان تكون رهبانية منصوبة بابتدعوا المقدر المفسر بالظاهر مع ان جعل الرهبانية مبتدعة منهم فى مقابلة كون الرأفة والرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على ان الرهبانية فعل العبد بحيث يستقل العبد بفعلها وهو مذهب اهل الاعتزال والجواب عنه ما مر من ان اسناد ابتداعها اليهم لايستلزم استقلال قدرتهم بها كما هو مذهب المعتزلة فلا محذور والرهبان بفتح الراء صفة مشبهة كالعطشان ابلغ من الراهب بمعنى الخائف يقال رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة ورهبا بالضم ورهبانا بالفتحات الثلاث اى خاف فهو راهب ورهبان والرهبانية الفعلة المنسوبة الى الرهبان للمبالغة فى العبادة (قوله كانها منسوبة الى الرهبان) بضم الراء لم يجعلها منسوبة حقيقة بل جعلها مصدرا كالرهبانية لانه لاينسب الى الجمع وهو باق على صيغته بل يرد الجمع الى واحده فينسب اليه فيقال فى النسبة الى المساجد مثلا مسجدى ولايقال مساجدى نعم قد يكون لفظ الجمع لكونه اسما لطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها وان كان جمعا فى نفسه فينسب اليه وهو باق على صيغته فيقال فى النسبة الى الانصار والاعراب والفرائض انصارى واعرابى وفرائضى قيل فى وجه ابتداع النصارى الرهبانية واخذها من عند انفسهم ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فقالوا ان قاتلناهم مرة اخرى والا افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا حتى نتفرق فى الارض ونتجرد فيها للعبادة فاختاروا الرهبانية فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة وحملوا المشاق على انفسهم بالامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعبد فى الجبال والغيران والكهوف والديارات والصوامع عن ابن عباس رضى الله عنه قال ان فى ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام غير الملوك التوراة والانجيل وساح قوم فى الارض متعبدين (قوله وقيل متصل) اى قيل انه استثناء متصل مما هو مفعول لاجله والمعنى ما كلفناهم بها وما طلبنا منهم ان يفعلوها بشئ ما من الاشياء من دفع العقاب عنهم وحصول الثواب والرضوان لهم الا ابتغاء رضوان الله فصار المعنى كتبناها عليهم وامرناهم بها ابتغاء مرضاة الله وهذا قول مجاهد وقوله وهو اى كونها مكتوبة عليهم ندبا وابتغاء لمرضاة الله يخالف قوله تعالى ابتدعوها لانه يفهم منه انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم وانها لم تكتب الا ان يقال لاتنافى بين كونها مكتوبة عليهم وبين اختراعهم اياها من تلقاء انفسهم لان التنافى انما يكون ان لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع وليس بلازم وقوله اوابتدعوها واتوا بها اولا اى قبل سائر الناس والحديث ضد القديم واستحدثوها اى فعلوها حديثا جديدا لم يسبقهم سائر الناس

(وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرئ رآفة على فعالة (ورحمة ورهبانية ابتدعوها) اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اورهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع الراهب كراكب وركبان (ماكتبناها عليهم) مافرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ماكتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما يخفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها اوابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم

فيها والابتداع بهذا المعنى لا ينافى كونها مكتوبة عليهم واتيانهم بها بعد الكتبة والابتداع بناء عليها (قوله استثناء منقطع) لان المستثنى هو الابتداع المقارن بالابتغاء ووجد الاتصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد والتذليل المتناول للايجاب والندب او كون الابتغاء مستثنى من اعم العلل كأنه قيل ما تعبدناهم بالرهبانية لشئ من الاشياء واعتبر معه كون الكتبة متناولا الايجاب والندب ليصح حصر العلة فى الابتغاء فان كتبنا لو كان بمعنى فرضنا ما صح الحصر لان من فعل الواجب لا يفعله لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعله لدفع العقاب المترتب على تركه ايضا وبهذا التوجيه وان صح الاتصال والحصر الا انه بقى ان يقال كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافى ابتداعهم اياها فاجاب عنه اولا بجواز ان يكون الندب بعد الابتداع وثانيا بجواز ان يكونوا ندبوا اليها من اول الامر وان يكون معنى الابتداع الانتداب اليها اولا (قوله فارعوها جميعا) جعل الضمير المرفوع فى قوله فارعوها للذين اتبعوه مقيدين بقيد الجميع لان بعضهم قد رعاها بدليل قوله فآتينا الذين آمنوا فان معناه آتينا الذين رعوها حق رعايتها وثبتوا على ما التزموه ولم يضيعوا شيأ من حقوقها التى من جملتها الايمان بنبى آخر الزمان صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون وحق رعايتها منصوب على انه مفعول مطلق لقوله فارعوها كقولك ما عرفناك حق معرفتك اى كمال معرفتك وفى الآية دليل على ان من شرع فى فعل لم يكتب عليه من وجوه العبادات لزم عليه اتمامه ورعايته وان شرع فيما ليس عليه حتى لزمه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد روى عن ابى امامة الباهلى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم قيامه وانما كتب عليكم صيامه فدوموا على القيام اذا فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بنى اسرآئيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الآية ثم انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهو وعد لمن آمن من قوم عيسى عليه الصلاة والسلام ايمانا صحيحا باعطاء الاجر اللائق الا انه عبر عنه بلفظ آتينا بناء على تحقق وقوعه ولم يبين مقدار ذلك الاجر خاطب عقيبها جميع من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود والنصارى فامرهم بتقوى الله والايمان بسيد المرسلين وعليهم عليه الصلاة والسلام ووعدهم ايتاء كفلين من رحمته بمقابلة ايمانهم به و بمن قبله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية بين به ان الاجر الموعود لمن آمن به من قوم عيسى غير مختص بهم بل يعم جميع اقوام الرسل المتقدمة بشرط ان آمنوا بسيد المرسلين عليهم وعليه الصلاة والسلام وبين ايضا ان الاجر الموعود كفلان ولما ورد ان يقال هذا معقول فى حق من آمن بعيسى وراعى دينه الى ان بعث نبينا عليهما الصلاة والسلام لانه قد استمر على الدين الحق الى ان نسخ وتبين عنده حقية الدين الناسخ وحين تبين له ذلك اتبع الحق الثانى فاستحق بذلك لان يعطى كفلين من الرحمة بخلاف اليهود فان اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام فليست اليهود على الدين الحق حتى آمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم فكيف يثابون على دينهم السابق اجاب عنه بقوله ولا يبعد الخ ولم يرض المصنف بقول من قال الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره عليه الصلاة والسلام لما ثبت ان قوله تعالى أولئك يؤتون اجرهم مرتين نزل فيمن آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه فانهم لم يؤمنوا بعيسى الى ان جاء الاسلام وقد ضوعف اجرهم (قوله يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم) وهو النور الذى يمشون به فى الآخرة على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيامة يبرزلهم من صحائف اعمالهم وقيل المراد به الهدى والبيان الذى يتبعه المؤمن ويسلك به سلوكا معنويا الى جناب القدس وهو سبيل واضح يؤدى سالكه الى مرضاة الرحمن (قوله ولا مزيدة) فانها تزاد كثيرا كما فى قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد واللام فى قوله تعالى لئلا يعلم متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليعلم اهل الكتاب الذين ادركوا عصره عليه الصلاة والسلام ولم يؤمنوا به ان الشان لا يقدرون اى ليعلموا عدم قدرتهم على شئ مما ذكر من فضله وهما الكفلان من رحمته والنور والمغفرة ويعلموا ان الفضل بيد الله يتفضل به على من يشاء من عباده فيؤتى المؤمنين منهم اجرين ونورا ومغفرة (قوله وهو مشروط بالايمان به) لان قوله تعالى يؤتكم كفلين مجزوم على انه جواب الامر وقد تقرر ان المضارع انما يجزم بعد الامر لتضمن الامر معنى الشرط وكون المضارع المجزوم فى موضع الجزاء له ومتوقفا على حصوله وذلك لان الفعل المطلوب بصيغة الامر

(فارعوها) فارعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليه (فآتينا الذين آمنوا) اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقه ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام (منهم) من المتسمين باتباعه (اجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حال الاتباع (يا ايها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره (ويجعل لكم نورا تمشون به) يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس (ويغفر لكم) الكفر والمعاصى (والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب) اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء (ان لا يقدرون على شئ من فضل الله) ان هى المخففة والمعنى انه لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به

قديكون مطلوبا بالنفس فلا ينجزم بعده الفعل وقديكون مطلوبا بالغير فيذكر ذلك الغير بعده مجزوما لكونه فى معنى الجزاء لما قبله ومعنى كون الفعل المطلوب بصيغة الامر مطلوبا بالغير كون ذلك الغير متوقفا على حصوله وتوقف غيره عليه هو معنى كونه شرطا له روى ان اهل الكتاب وهم بنو اسرآئيل كانوا يفضلون انفسهم على سائر اهل الاديان بسبب كونهم اهل الكتاب ويقولون الوحى والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا وانه تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين فانزل الله تعالى هذه الآية فخاطب فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال انهم انكم ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم الله تعالى فى الآخرة كفلين من رحمته ثم قال فعلنا ذلك و بيناه لكم ليعلم اهل الكتاب ان الشأن لا اجر لهم ولا نصيب من فضل الله وان كانوا مجتهدين فى الدين بدين من بعث قبله لانه كفر بما فرض الله عليهم فى ذلك الوقت فاحبط اعمالهم والمقصود من انزالها ان يزول عن قلوب من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام من اهل الكتاب اعتقادانهم مفضلون على سائر اهل الاديان من حيث كونهم اصحاب كتاب الهى فان مجرد كون الكتاب منزلا من عنده تعالى لا يوجب بقاء حكمه ابدا وكون من تمسك به مفضلا على غيره لان الحكمة الالهية قد تقتضى كون بعض احكامه موقتا بوقت متعين فينتهى ذلك الحكم بمجيىء ذلك الوقت ويكون منسوخا فيه ويظهر بعد ذلك حكم جديد ولا فضل للمرء فى اتباع الحكم المنسوخ وانما الفضل بتقوى الله تعالى وطاعته فيما كلف به فى كل وقت فلذلك كان اجر من اتبع الدين القويم ودام على اتباعه الى زمان بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم ثم اذا علم بعثته آمن به واتبع دينه ضعف اجر من مات قبله واما من ادرك عصره ولم يؤمن به فليس له شئ من الاجر لكون اعماله محبطة بالكفر به (**قوله** اولا يقدرون على شئ من فضله الخ) فانهم كانوا لا يعدونه عليه الصلاة والسلام اهلا لان يبعث رسولا وينزل عليه الكتاب ويقولون لولا نزل هذا القرءآن على رجل من القريتين عظيم فبين تعالى بهذه الآية ان من آمن به عليه الصلاة والسلام هو الذى يضاعف اجره ويجعل له النور والمغفرة ثم قال فعلنا ذلك ليعلموا ان ليس لهم التصرف فى امر النبوة وقيل كلمة لا ليست بمزيدة وان الضمير فى لا يقدرون ليس لاهل الكتاب بل هو للنبى والمؤمنين والمعنى فعلنا ذلك وبيناه لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشأن لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الوجه مع انه يستلزم ان يكون المعنى ولئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله ومن المعلوم ان انتفاء علمهم به ليس مما يصح ان يقصد فضلا عما ذكر ووجه الملازمة ان قوله وان الفضل بيد الله معطوف على مفعول العلم المنفى البتة فيلزم ان يكون المعنى ما ذكر اشار الى دفعه بقوله فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم اى لا نسلم كونه معطوفا على مفعول العلم المنفى بل هو علة معطوفة على العلة السابقة اى فعلنا ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان المؤمنين لا يقدرون على شئ و يعتقدوا ويعلموا ان الفضل بيد الله وليس فى هذا القول الا زيادة اضمار فى قوله وان الفضل بيد الله بان يكون تقدير الكلام ويعتقدوا ان الفضل بيد الله واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى جعل اللفظ الموجود صلة والاضمار اولى من الحذف (**قوله** فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم) اى بتقدير فعل وتقدير الكلام لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشان لا يقدر النبى ومن آمن به على شئ من فضل الله وليعتقدوا ان الفضل بيد الله قيل وليس فى هذا القول الا زيادة اضمار وهى قوله وليعتقدوا ان الفضل واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شئ موجود ملحوظ ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا واما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره موهما للباطل فعلمنا ان هذا القول اولى (**قوله** وقرئ ليلا) بكسر اللام الاولى واسكان الياء بعدها والاصل لأن لا يعلم حذفت همزة ان فبقيت لن لا فادغمت النون فى اللام فبقى للا فاجتمع ثلاث لامات فثقل النطق بها فابدلت الوسطى منهن ياء تخفيفا كما قالوا دينار فى دنار وديوان فى دوان (**قوله** وقرئ ليلا) بفتح اللام الاولى واسكان الياء بعدها اصله لان لا يعلم على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر كما يفتحها مع المضمر بناء على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح فحذفت همزة ان فصار لن لا فادغمت النون فى اللام فصار للا ثم ابدلت اللام الوسطى ياء فصار ليلا وقرأ العامة لئلا بكسر لام كى وبعدها همزة مفتوحة مخففة وورش يبدلها ياء محضة وهو تخفيف قياسى نحو مية وفية فى مئة وفئة * تم هنا ما يتعلق بسورة الحديد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

سورة المجادلة مدنية فى قول الجميع الا فى رواية عن عطاء انه قال العشر الاول مدنى وباقيها مكى وقال الكلبى نزل

اولا يقدرون على شئ من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا و يؤيده قوله (وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وآيها ثنتان وعشرون

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله) روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ماطلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام اوالمجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابوعمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال

جميعها بالمدينة غير قوله تعالى مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم (قوله ظاهر منها) اى قال لها زوجها اوس انت على كظهر امى وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فقال ذلك ثم ندم وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فقال لها ما اراك الا وقد حرمت على فقالت والله ماذكرت طلاقا وكان ذلك اول ظهار وقع في الاسلام ولم يتبين بعد حكمه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه عليه الصلاة والسلام فقالت يارسول الله ان زوجي اوس بن الصامت ابو ولدي وابن عمي واحب الناس الى ظاهر مني وماذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعني واياه فقال عليه الصلاة والسلام ما اراك الا وقد حرمت عليه فهتفت وشكت وذكرت فاقتها ووحدتها حيث كان اهلها منقرضين ولم يبق منهم احد وقالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا فاعاد النبي صلى الله عليه وسلم قوله الاول فقال ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اؤمر في شانك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك ماصنع بى زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي ونفضت له بطني يعني اني بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما الا ألد بعد وكانت في كل ذلك ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة رضى الله عنها تغسل الشق الآخر من رأسه صلى الله عليه وسلم وهى في مراجعة الكلام معه عليه السلام وبث الشكوى الى الله تعالى فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اى في قول زوجها اوفي شأنه ومجادلتها هى انه عليه الصلاة والسلام كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ماذكر طلاقا قالت عائشة رضى الله عنها تبارك الذى وسع علمه كل شئ انى لا أسمع كلام خولة ويخفى على بعضه وهى تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اى تخاطبه فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات الاربع وفي الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى ربه كفاه الله ذلك المهم روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت ياعمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله ياعمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو رضى الله عنه واقف يسمع كلامها فقيل له ياامير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الموقف الطويل فقال والله لو حبستني من اول النهار الى آخره لمازلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولايسمعه عمر (قوله وقد تشعر بان الرسول اوالمجادلة يتوقع) كلمة قد لابد ان تفيد معنى التحقيق ثم انه قد يضاف اليه في بعض المواضع اذا دخلت على الماضي التقريب من الحال مع التوقع فتدل على ان الكلام المصدر بها المتوقع للمخاطب واقع عن قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اى حصل عن قريب ماكنت تتوقعه وكلمة قد تدل على ثلاثة معان التحقيق والتوقع والتقريب وفي الصحاح قد حرف لاتدخل الا على الافعال وهى جواب لقولك لمايفعل وزعم الخليل ان هذا لمن ينتظر الخبر تقول قد مات فلان لمن يتوقع موته ولواخبرت به وهو لاينتظره لم تقل قد مات فلان ولكن تقول مات وقد تكون قد بمعنى ربما انتهى وآثر المصنف اوفي قوله اوالمجادلة ايذانا بان التوقع من احد هما يكفي لمجيئ قد فحينئذ تكون اولمنع الخلو دون الجمع (قوله تعالى والله يسمع تحاوركما) اى تخاطبكما ومراجعتكما الكلام والخطاب فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك المرأة التي ذكرت بلفظ الغيبة تغليب الخطاب على الغيبة روى انه لما نزلت هذه الآيات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقرأ عليه الاربع آيات فقال هل تستطيع العتق قال لا والله قال هل تستطيع الصوم قال لا والله انى لولم آكل في اليوم مرة اومرتين لكل بصرى وظننت انى اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثلها فتصدق به على ستين مسكينا قيل الظهار ليس بمشتق من الظهر الذى هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الاعضاء التي هى مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر ههنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه وكل من علا شيأ فقد ظهره وسمى المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امرأة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن علوه عليها

من ناحية الظهر فكأن امرأة الرجل مركب للرجل وظهر له ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق
نزلت عن امرأتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تأويله ظهرك علي حرام اي
ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما ان علوي على امي وملكي عليها حرام على فذكر الظهر كناية عن معنى الركوب
والآدمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الآدميات انما يركب ظهره فكنى بالظهر
عن الركوب والاستعلاء (قوله وفي منكم تهجين لعادتهم فيه) جواب عما يقال قوله تعالى منكم لا يخلو اما ان
يكون خطابا للعرب مطلقا او للمسلمين منهم وعلى كل واحد من التقديرين يلزم ان يكون حكم الظهار مختصا بالعرب
او بالمسلمين منهم كما هو مقتضى مفهوم منكم ولا اختصاص له بالعرب وهو ظاهر ولا بالمسلم عند الامام الشافعي فانه
يصح ظهار الذمي عنده كما يصح طلاقه وتقدير الجواب ان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتخصيص فائدة اخرى وقوله
تعالى منكم له فائدة اخرى في هذا الموضع وهو تهجين عادتهم وتوبيخهم بها فليس في الاية دليل على عدم صحة ظهار
الذمي ونحن نقول انه تعالى خص المظاهر بكونه من المؤمنين وخص المظاهر منهن بكونهن من نساء المؤمنين
فلا يصح ظهار الذمي ولا ظهار المؤمن من امته فانه قد صرح في كتب الأئمة الحنفية بان شرط الظهار ان تكون
المرأة منكوحة ويكون الرجل من اهل الكفارة حتى لا يصح ظهار الذمي وحكمه حرمة الوطئ والدواعي الى وجود
الكفارة وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فقرر الشرع اصله ونقل حكمه الى تحريم موقت بالكفارة قال صاحب
الكشاف في سورة الاحزاب كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وقال في هذه السورة انه من ايمان اهل جاهليتهم
ووجه التوفيق انهم كانوا يعدونه طلاقا مؤكدا باليمين على الاجتناب (قوله واصل يظهرون يتظهرون) من اظهر
بمعنى تظهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظهر وادغمت التاء الثانية من يتظهرون
في الظاء فصار يظهرون فهو من باب التفعل واصل اظاهر تظاهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل الابتداء
فصار اظاهر واصل تظاهرون تتظاهرون ادغمت التاء الثانية في الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل (قوله
وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم) فانهم لا يعملون ما بمعنى ليس بناء على ان اصل العوامل ان تختص
بالقبيل الذي تعمل فيه من الاسم او الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها وكلمة ما تدخل على القبيلين غير
مختصة باحدهما فلا تعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها لقوة مشابهتها بليس وهي اللغة
الفصيحة التي ورد عليها القرآن الكريم قال تعالى ما هذا بشرا وعليها قرآءة الجمهور ههنا حيث قرأوا امهاتهم
بالنصب اي بكسر التاء (قوله بامهاتهم بزيادة الباء) في خبر ما وهذه ايضا كقرآءة امهاتهم بكسر التاء مبنية
على لغة اهل الحجاز فان الباء لا تزاد في خبر ما الا اذا كانت عاملة فلا تزاد على لغة بني تميم (قوله اذ الشرع انكره) اي
انكر قوله وهو تشبيه زوجته بامه فان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن ألحقه الله تعالى بامه فكان تشبيهها بها
الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا شرعا والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب والبهتان
فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي انشاء لتحريم الاستمتاع بها فان حكم الظهار في الشرع ان يحرم
على الزوج وطأها بعد الظهار ما لم يكفر والكلام الانشائي لا يوصف بالكذب قلنا ان قوله ان كان خبرا فهو كذب
لا محالة وان كان انشاء فهو متضمن لكلام كاذب وهو ان الزوجة المحللة ملحقة بالام المحرمة ابدا ولا شك انه كلام كاذب
(قوله مطلقا او اذا تيب عنه) فان مغفرة ما دون الشرك من الكبائر مشروطة بالتوبة عند المعتزلة خلافا لاهل
السنة فانهم يقولون انها غير مشروطة بالتوبة بل هي موكولة الى مشيئة الله تعالى ان شاء يغفر له ابتداء وان شاء
يعذبه على حسب ذنبه ثم يدخل الجنة برحمته (قوله اي الى قولهم) يعني ان اللام في قوله تعالى لما قالوا بمعنى الى
لانهما يتعاقبان كثيرا نحو يهدي للحق والى الحق واوحى لها واوحى اليها وان كلمة ما فيه مصدرية فكأنه قيل ثم
يعودون الى قولهم اي يتداركونه بمعنى يدركونه ويصلون الى ما افسده ذلك القول والى ما فات عنهم بسببه من
وجوه الانتفاع بالزوجات بالمنافع المتوقفة على قيام الزوجية يقال تدارك القوم اي تلاحقوا بان لحق آخرهم اولهم
والذي يلوح من كلام المصنف انه فسر العود الى القول والى ما فات بسببه بالتدارك والوصول اليه على طريق
اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشيء من اسباب الوصول اليه فاذا عاد الغيث على ما افسده بهدم شيء من
البنيان واغراق بعض البساتين يراد به انه تدارك ووصل الى ما افسده بان جبره جبرا يعادله بل هو افضل منه وانفع
من صلاح الزرع والثمار وسمن المواشي وحصول الخصب والرخاء ونحو ذلك فلفظ العود فيه ايضا مجاز مرسل بمعنى

(الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم انثى وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ما هن امهاتهم) اي على الحقيقة (ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم) فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهذه ايضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع انكره (وزورا) محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر منها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها منه وهو اقل ما ينتقض به

التدارك والوصول والعود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى مافارق عنه والآخر ان يصير ويتحول الى شئ وان لم يكن على تلك قبل العود والعود بهذا المعنى لايلزم ان يكون رجوعا الى مافارق عنه والعود الذى قلنا انه سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو التحول الى الشئ مطلقا والمثل المذكور يضرب لمن شره قليل ونفعه للناس اكثر من ضرره ومعنى الآية على هذا والله اعلم والذين يقولون قولا يقتضى بطلان وجوه انتفاعهم بمنكوحاتهم بالمنافع المتعلقة بالزوجية كالوطئ ودواعيه والامساك على سبيل الزوجية وذلك القول هو التشبيه المعهود فانه يحرم عليهم جميع ذلك ويبطله ثم ينقضون مقتضى ذلك التشبيه بان يفعلوا شيأ مما حرموه به وفوتوه على انفسهم فعليهم تحرير رقبة لاجل فعل ذلك المحرم عليهم بسبب ذلك القول تداركا له اى لحوق لما فات منهم بسببه ونقض لما يقتضيه وهو الامتناع عنه ومعنى العود الى القول تدارك مافات عنهم بسببه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليهم جميع ما يتوقف على قيام النكاح من وجوه الاستمتاع بهن ونفس هذا التشبيه منكر من القول وزور وكبيرة محضة فلا يصلح سببا لوجوب الكفارة التى هى دائرة بين العبادة والعقوبة فتعلق وجوبها بالظهار والعود جميعا فان العود لما فيد من معنى الامساك بالمعروف وتدارك ما افسده عليه بالقول المنكر يصلح سببا لوجوب الكفارة والتدارك والادراك معناه اللحوق والوصول يقال استدرك مافات وتداركه اذا لحقه ووصل اليه والمصنف فسر تدارك المظاهر مافات منه بسبب الظهار بقوله وهو بنقض ما يقتضيه قوله المنكر فان حكمه ومقتضاه هو التحريم وفوات حل الاستمتاع فمتى عاد المظاهر الى قوله وادرك مافات عنه بسببه تجب عليه الكفارة ونظير عود المظاهر الى القول الذى فات عنه بسببه حل الاستمتاع بالمنكوحة بنقض حكم ذلك القول وابطاله عود المغيث على ما افسده بابطال اثره وتدارك مافات بسببه ثم العود بالمعنى المذكور الموجب للكفارة عند الامام الشافعى هو امساكها عقيب الظهار وعدم تطليقها بطلاق بأن متصل بالظهار فان امساكها على وجه الزوجية زمانا يمكن تطليقها فيه عود الى القول ونقض لما يقتضيه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليه جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع بها والامساك على وجه الزوجية فى ذلك القدر من الزمان اقل ما يستمتع به اذ به يحصل دفع الوحشة والاستئناس بها فى تلك المدة فيكون الامساك المذكور نقضا لما يقتضيه قوله المنكر وتداركا لما فات بسببه وهو المراد بالعود فتجب الكفارة به وكون التدارك المذكور متراخيا عن التشبيه كما هو مقتضى كلمة ثم من حيث الامساك المذكور لايكون عودا ونقضا لمقتضى التشبيه الا بعد مضى زمان يمكن ان يطلقها فيه فلما توقف كونه عودا على مضى ذلك الزمان كان متراخيا عن التشبيه بذلك القدر من الزمان وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى العود المذكور عبارة عن استباحة شئ مما حرم عليه بالظهار من نفس الجماع ودواعيه والعزم عليه وعند الامام مالك هو عبارة عن استباحة نفس الجماع والعزم عليه وعند الحسن بنفس الجماع لانه الاصل المقصود من عقد الزوجية وما عداه من التوابع والمقدمات فيكون حكم الظهار ومقتضاه بالذات هو تحريم هذه المنفعة والامتناع عنها ونقض هذا الحكم انما يكون باتيان ضده الذى هو مباشرة نفس الجماع (قوله او الظهار فى الاسلام) عطف على قوله بالتدارك يعنى انه قيل العود الى القول هو التكلم بالتشبيه المنكر فى الاسلام بعد ما تكلم به فى الجاهلية والتعبير عما سبق فى الجاهلية بلفظ المضارع للدلالة على اعتيادهم له واستمرارهم عليه فيما مضى وقتا فوقتا فانهم كانوا يعتادونه فى الجاهلية وكلمة ثم لاستبعاده فى حالة الاسلام وهذا القول يستلزم ان تجب الكفارة بمجرد التكلم بالظهار فى الاسلام حتى لو طلقها عقيب الظهار او مات المظاهر منها لزمته الكفارة بتحقق موجبها وهو مجموع الظهار والعود بالمعنى المذكور وهو تكلم لفظ الظهار فى الاسلام عودا وهو خلاف ما عليه علماء الامصار (قوله او بتكراره) وهو ايضا معطوف على قوله بالتدارك يعنى ان الظاهرية قالوا العود اعادة لفظ الظهار وتكراره حتى لو لم يكرر لا كفارة عليه ثم ان التكرار لا يلزم ان يكون باعادة لفظ الظهار بل يكفى فيه اعادته معنى بان يحلف على ما قال حتى لو لم يحلف عليه لم يلزمه الكفارة لفقدان شرط وجوبها وهو العود الى الظهار لفظا ومعنى ولو قال امرأتى على كظهر امى ان فعلت كذا ففعل ذلك حنث فتكون مباشرته لذلك الفعل تكرارا للظهار معنى حيث صار مظاهرا بمباشرته بالسبب الذى صدر منه سابقا فيجب عليه الكفارة حين حنث لان شرط وجوبها وهو مجموع الظهار والعود تحقق حينئذ وانما قلنا مجموع الظهار والعود شرط لوجوب الكفارة لما تقرر فى الحيوان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل

وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاع بها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار او كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او تكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم

اوظرف يتضمن معنى الشرط وقد وقع المبتدأ في الآية اسما موصولا صلته فعل وعطف عليه فعل آخر بكلمة ثم فلزم ان يكون مجموع الفعلين شرطا لوجوب الكفارة (قوله اوالى المقول فيها) عطف على قوله اى الى قولهم في الوجوه السابقة اول الفعل المصدر بما المصدر به بالمصدر ثم ابقى المصدر على اصل معناه فكان المراد بما قالوا القول حقيقة وفي هذا الوجه جعل المصدر المأول بمعنى المفعول اى المقول فيها وهي النساء المذكورة في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وحذف لفظ فيها كما قالوا مشترك بمعنى مشترك فيه ثم العود الى النساء بتدارك مافات عنه في حقهن ونقض حكم قوله المنكر يكون على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب فعلى قول الامام الشافعي يكون بامساكهن مدة يمكن للمظاهر ان يطلقهن فيها وعلى قول ابى حنيفة والامام مالك بالعزم على الاستمتاع بهن وعلى قول الحسن بوطئهن وعن الفرآء ان اللام في قوله تعالى لما قالوا بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوه و يريدون الوطئ (قوله فعليهم اوفالواجب اعتاق رقبة) فعلى الاول يكون قوله فتحرير رقبة مبتدأ وخبره محذوف اى فعليهم تحرير رقبة ويكون المبتدأ مع خبره في محل رفع على ان الجملة خبر المبتدأ الاول وهو قوله والذين يظاهرون ودخلت الفاء على خبره لتضمنه معنى الشرط وعلى الثاني يكون قوله فتحرير رقبة خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الرقيق حرا (قوله ومن فوآئدها الدلالة) وجه الدلالة ان الفاء لما دلت على سببية مجموع الظهار والعود لوجوب الكفارة دلت على وجوب تكرار الكفارة بتكرر المجموع ضرورة ان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب الا عند اتحاد المجلس كقرآءة آية السجدة في موضعين (قوله قياسا على كفارة القتل) فان الرقبة مقيدة بالايمان في كفارة القتل قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة فتكون مقيدة به في كفارة الظهار ايضا وان ذكرت فيها من غير تقييد فان الامام الشافعي رحمه الله تعالى يحمل المطلق على المقيد وان ورد كل واحد منهما في حادثة على حدة غير الاخرى وابو حنيفة لا يحمله عليه الا عند اتحاد الحكم والحادثة (قوله لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه) فان الآية قد اوجبت الكفارة قبل التماس فلزم ان يحرم التماس قبلها ولفظ التماس عام يتناول مس كل واحد منهما الآخر وكذا مقتضى التشبيه وحكمه ان يحرم استمتاع كل واحد منهما بالآخر فتكون الآية دليلا على حرمة التماس مطلقا وكذا المس كما يتناول المس بالوطئ يتناول سائر ضروب المساس فيحرم جميع وجوه الاستمتاع انتهى (قوله اوان يجامعها) اشارة الى ان الامام الشافعي له قولان في ان المحرم بالظهار ماهو قال الامام اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللامام الشافعي فيه قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة (قوله تعالى توعظون به) الوعظ النصح والتذكير بالعواقب ولما كان ايجاب الكفارة التي هي عقوبة السيئة دالا على ان المظاهر قد ارتكب سيئة موجبة للعقوبة كان موعظة رادعة عن ارتكابها (قوله والذي غاب ماله واجد) اى والعاجز هو الذي لا يملك الرقبة ولا قيمتها (قوله وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع) اى لا يلزمه استئناف الشهرين عند الامام الشافعي لان التكفير بالصوم مشروط بالتتابع وقد وجد لان الليل ليس محلا للامساك عن المفطرات خلافا لابي حنيفة والامام مالك فانه يجب استئناف الشهرين عندهما لانه وان لم ينقطع التتابع بالمس ليلا الا انه قد فقد كون الكفارة قبل المسيس وقد شرط ذلك في الكفارة بالصوم ايضا ومن لم يوجب الاستئناف يقول نعم ان تقديم صوم شهرين على التماس شرط الا انه على تقدير عدم الاستئناف يتحقق تقديم البعض عليه وعلى تقدير الاستئناف يتأخر الكل فالاولى (قوله ستين مدا) المد ربع الصاع بالاتفاق بين اهل الحجاز واهل العراق الا ان اهل الحجاز فسروا المد بانه مكيال يسع رطلا وثلث رطل وفسره اهل العراق بما يسع رطلين فالصاع الحجازي خمسة ارطال وثلث رطل والعراقي ثمانية ارطال والرطل مائة وثلاثون درهما عن انس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يتوضأ بالمد رطلين ويغتسل بالصاع ثمانية ارطال (قوله اومرض مزمن) اى ممتد لا يرجى برؤه فانه بمنزلة العاجز بسبب كبر السن ويجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام والشبق شدة اشتهاء الضراب فانه عليه الصلاة والسلام امر سلمة بن صخر بان يعدل عن الصيام الى الاطعام بسبب عجزه عن التحرير والصيام لاجل شبقه ويحتمل ان يكون الشبق متناولا لشدة اشتهاء الطعام وقلة الصبر عنه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لاوس بن الصامت زوج خويلة هل تستطيع الصوم قال لا والله اني اذا اخطأني ان آكل في اليوم مرة اومرتين لكل بصري ولظننت اني اموت فامره بان يطعم ستين مسكينا (قوله وهو نظير قوله) اى في كونه من باب التغليظ

اوالى المقول فيها بامساكها اواستباحة استمتاعها اووطئها (فتحرير رقبة) اى فعليهم اوفالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوآئدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل ان يتماسا) ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه اوان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) اى ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة فيردع عنه (والله بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية (فمن لم يجد) اى الرقبة والذي غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا) فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر بعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك (فمن لم يستطع) اى الصوم لهرم اومرض مزمن اوشبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفرط ان يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابوحنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر اوصاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين اولجوازه في خلال الطعام كما قال ابوحنيفة (ذلك) اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) لا يجوز تعديها (وللكافرين) اى الذين لا يقبلونها (عذاب اليم) وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين

(قوله تعالى وتلك حدود الله) اى الاحكام التى بيناها معالم فاصلة بين الحق والباطل من تخطاها فقد تعدى وظلم نفسه والحد النهاية الحاجزة بين الشيئين وتحديد الدار تعيين نهاياتها يقال فلان حديد فلان اذا كان ارضه الى جنب ارضه شبه ما شرعه الله تعالى من الاحكام بالحدود الحاجزة بين الشيئين فاطلق عليه اسم الحد والحد ايضا المنع ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع عن الدخول من غير اذن ويقال للسجان ايضا حداد لانه يمنع عن الخروج فالمحادة مفاعلة من الحد بمعنى النهاية الحاجزة كما نقل عن الزجاج انه قال المحادة ان تكون فى حد يخالف حد صاحبك فتكون المحادة كناية عن المعاداة لكونها لازمة للمعاداة وقوله كبتوا اى خذلوا من قولهم كبت الله فلانا اى اذله وخذله وقيل اهلكوا وقيل اخزوا كما اخزى الله الذين من قبلهم من اعداء الرسل والكب القاء الشخص على الارض على وجهه يقال كبه لوجهه اى صرعه فاكب هو على وجهه ومن النوادر ان يقال افعلت انا وفعلت غيرى وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم بذلك وان يكون اخبارا عما سيكون بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فيكون وعيدا لكفار مكة وقد انجز الله تعالى ذلك يوم بدر وقيل يوم الخندق والظاهر ان قوله تعالى وللكافرين عذاب مهين صفة ثانية لآيات فانها كما اسماؤها واضحات الدلالة فانها ايضا عذاب الكافرين تهينهم وتذهب عزهم (قوله كلهم او مجتمعين) يعنى ان قوله جميعا منصوب اما على انه تأكيد للضمير المنصوب فى يبعثهم او على انه حال منه بمعنى مجتمعين فى حال واحدة وقوله تعالى ألم تر ان الله يعلم الآية استفهام تقرير والمعنى انك قد علمت انه لا يغيب عن علمه شئ مما فيهما فلا يخفى عليه ايضا نجوى المتناجين وهو تأكيد لكونه تعالى شهيدا عليهم وعلى كل شئ مطلعا عالما بكل المعلومات بحيث لا يخفى عليه سر ولا علانية (قوله ما يقع من تناجى ثلاثة) اشارة الى ان كان تامة وان نجوى مصدر بمعنى التناجى وهو المكالمة سرا وان ثلاثة مجرور باضافة نجوى اليه من قبيل اضافة المصدر الى فاعله يقال نجوته نجوى اذا ساررته والقوم تناجوا اى تساروا ومن نجوى فاعل كان ومن زائدة اى ما يحدث وما يقع نجوى ثلاثة نفر الا وهو تعالى رابعهم ويجوز ان يقدر مضاف ويكون التقدير ما يقع من ذوى نجوى ثلاثة او اهل نجوى ثلاثة وان يأول المصدر وهو النجوى بالمتناجين على طريق التوصيف بالمصدر مبالغة وعلى التقديرين يكون ثلاثة مجرورا اما على الاول فعلى انه صفة للمضاف المقدر واما على الثانى فعلى انه صفة لنجوى بمعنى متناجين والنجوة والنجا ما ارتفع من المكان الذى تظن انه نجا لك من حيث انه لا يعلوه السيل اشتق منه النجوى لما ذكر من ان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه (قوله الا الله يجعلهم اربعة) اعلم ان الواحد من المتعدد يعتبر على وجهين الاول ان يصير ذلك الواحد العدد الناقص عن عدد مأخذ ذلك الواحد باعتبار حاله ومرتبته فى التعدد الى العدد الذى اشتق هو منه والثانى ان يصير واحدا من هذا العدد تقول فيه الثانى والثالث بمعنى واحد من الاثنين وواحد من الثلاثة اى ان اضفته الى عدد هو مأخذ هذا الواحد لا الى عدد ناقص منه بواحد فتقول ثانى اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وان اضفته الى العدد الذى هو انقص من العدد الذى اشتق منه هذا المصير بدرجة تضيف الواحد باعتبار التصيير الى العدد الناقص من مأخذه فتقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة وتريد مصير اثنين ثلاثة ومصير ثلاثة اربعة فالمصنف جعل قوله تعالى الا هو رابعهم والا هو سادسهم من قبيل الواحد من المتعدد باعتبار تصييره لاضافته الى العدد الذى هو انقص من العدد الذى اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو الثلاثة والخمسة فمعنى رابع ثلاثة مصير ثلاثة اربعة ومعنى سادس خمسة مصير خمسة ستة والمفرد من المتعدد باعتبار حاله ومرتبته فى التعدد لا يضاف الا الى عدد يساوى العدد الذى اشتق منه ما يدل على هذا المفرد فيقال رابع اربعة وثالث ثلاثة وثانى اثنين اى احدها (قوله والاستثناء من اعم الاحوال) يعنى ان قوله الا هو رابعهم والا هو سادسهم والا هو معهم كل واحد من هذه الجمل بعد الا فى موضع النصب على الحال لما تقرر ان المستثنى المفرغ يعرب على حسب العوامل فالمستثنى منه المقدر هو الاحوال العامة اى ما يوجد شئ من هذه الاشياء فى حال من الاحوال الا فى حال من هذه الاحوال (قوله وتخصيص العددين) جواب عما يقال انه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة واهمل امر الاربعة فى البين فما الحكمة فاجاب عنه اولا بان الاية نزلت فى قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجى مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين ثلاثة وخمسة فلما كان اصحاب التناجى معدودين بهذين العددين المخصوصين قال تعالى ما يتناجى ثلاثة ولا خمسة كما يرونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من ذينك العددين ولا اكثر الا والله معهم يسمع ويعلم ما يقولون وثانيا بانه تعالى لم يذكر الاثنين والاربعة لانه تعالى وتر يحب

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) اخزوا واهلكوا واصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية (وقد انزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وما جاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين او باضمار اذكر (جميعا) كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا للعذاب بهم (احصاه الله) احاط به عددا لم يغب عنه شئ (ونسوه) لكثرته او تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (الم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) كليا وجزئيا (ما يكون من نجوى ثلاثة) ما يقع من تناجى ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من أعم الاحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (الا هو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما

وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون اوتأويل نجوى بمتناجين (ولا ادنى من ذلك) ولااقل مما ذكر كالواحد والاثنين (ولااكثر) كالستة ومافوقها (الاهو معهم) يعلم مايجرى بينهم وقرأ يعقوب ولااكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى اومحل لاادنى ان جعلت لا لنفى الجنس (ايماكانوا) فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزآء (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سوآء (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) اى بماهو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك اوانعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون فى انفسهم) فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابها (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) جهنم (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا (وتناجوا بالبر والتقوى) بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه (انما النجوى) اى النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان) فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين آمنوا) بتوهمهم لانها فى نكبة اصابتهم (وليس) الشيطان اوالتناجى (بضارهم) بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى اى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قرآءة عاصم بالجمع اومجلس رسول الله عليه السلام فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه (فافسحوا يفسح الله لكم) فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة اولما امرتم به كصلاة اوجهاد اوارتفعوا فى المجلس (فانشزوا) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما

الوتر فخص بالذكر اول الاعداد المفردة وثانيها واكتفى بذكرهما عن ذكر الباقى تنبيها على فردانيته تعالى وايثارا لما هو احب الاعداد عنده وثالثا بان اقل مالابد منه فى المشاورة التى يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان منهم كالمتنازعين فى النفى والاثبات ويكون الثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم المقصود منها وهكذا فى كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلابد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول فلهذا السبب لابد ان يكون عدد ارباب المشاورة فردا فذكر تعالى الفردين الاولين واكتفى بذكرهما عن الباقى (قوله وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال) وذو الحال مع رافعه محذوفان والتقدير مايكون من اهل نجوى يتناجون ثلاثة وحذف لدلالة نجوى عليه وان اول نجوى بمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه وقرئ ماتكون بتاء التأنيث لتأنيث النجوى والعامة على التذكير لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تأنيث النجوى غير حقيقى (قوله ولااقل مما ذكر) اى من العددين كالواحد ادخل الواحد فى الادنى لان الواحد قد يحدث نفسه بشئ فهو يناجيه نفسه وتساره قرآءة الجمهور فى قوله تعالى والادنى فى موضع الجر بالعطف على ثلاثة على طريق الجوار لخمسة وكذا قوله ولااكثر اى ومايكون من متناجين ادنى ولااكثر الاهو معهم فتكون كلمة لا فى الموضعين زائدة لتأكيد النفى المعتبر فى المعطوف عليه وقرئ ولااكثر بالرفع اما على كونه معطوفا على محل من نجوى فانه فاعل كان التامة ومن زائدة كانه قيل ومايكون ادنى ولااكثر فكلمة ما فيهما ايضا للتأكيد واما على كونه معطوفا على محل لاادنى ان جعلت كلمة لا فيه لنفى الجنس وقد تقرر ان اسم لا اذا كان نكرة مفردة يبنى على مايرفع به وتقرر ايضا انه يجوز فى المعطوف على المنفى بلا الرفع عطفا على محل المنفى والنصب عطفا على لفظه فيقال لااب وابن وابنا برفع الابن ونصبه فبهذا جاز فى لاحول ولاقوة رفع قوة ونصبها مع التنوين فيهما وبناء حول على الفتح اما الرفع فعلى ان تكون لا الثانية زائدة لتأكيد نفى الاولى ويعطف قوة على محل لاحول واما النصب فبالعطف على لفظه وتكون لا زائدة ايضا (قوله ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين) ويوهمونهم بذلك انهم يتناجون فيما يسوؤهم فيحزنون لذلك فلما كثر ذلك شكا المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بان لايتناجوا عند المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية (قوله فيقولون السام عليك) السام الموت وهم يوهمونه عليه السلام انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم بقوله عليكم بدون الواو وروى ان عائشة رضى الله عنها لما سمعت قولهم السام عليك قالت لهم عليكم السام واللعنة والغضب اى لعنة الله وغضبه فقال عليه الصلاة والسلام مه ياعائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ماقالوا قال اولم تسمعى مارددت عليهم يستجاب لى فيهم ولايستجاب لهم فى فقالت اليهود فيما بينهم اذا كان رسولا كما يقول فلم لايستجاب دعاؤه علينا فنزل قوله تعالى واذا جاؤك الاية وقولهم انعم صباحا من النعومة اى ليصر صباحك ناعما لينا لابؤس فيه ولاشدة (قوله وعن يعقوب فلا تنتجوا) بمعنى فلا تتناجوا فى الصحاح النجو السر بين اثنين يقال نجوته نجوا اى ساررته وكذلك ناجيته وانتجى القوم وتناجوا اى تساروا والنجى على فعيل هو الذى تساره (قوله اى النجوى بالاثم) يعنى ان تعريف النجوى للعهد الخارجى من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك (قوله توسعوا فيه) الفسحة الوسعة والفسيح الواسع وفسح له فى المجلس يفسح اى وسع له وهو من باب منع يمنع وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اى صار واسعا قال القرطبى لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب فى مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لايضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتألف بان يفسح بعضهم لبعض وتطيب نفسه بذلك ولايحرج المزاحمة حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال والصحيح فى الاية انها عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سوآء كان مجلس حرب اوذكر اومجلس يوم الجمعة ولايختص بمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كل احد احق بمكانه الذى سبق اليه لقوله عليه الصلاة والسلام من سبق الى من لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه مالم يتأذ بذلك فيحرج لضيق موضعه وعنه عليه الصلاة والسلام لايقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخلفه فى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا (قوله تعالى انشزوا) اى ارتفعوا وقوموا قال مجاهد والضحاك اذا نودى للصلاة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخرهم عهدا بالنبى صلى الله عليه

وسلم فقال تعالى واذا قيل انشزوا عن مجلسه عليه السلام فانشزوا فان له حوائج ولا تمكثوا وقال مجاهد واكثر المفسرين معناه اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا لها ولا تقصروا وقول المصنف انهضوا للتوسعة اى لمن جاء بعدكم يحتمل ان يكون المراد انه اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحى احد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل لكم قوموا جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تتثاقلوا عن القيام ويحتمل ان يراد انه اذا قيل لكم قوموا من مواضعكم وانتقلوا عنها الى موضع آخر اطيعوا من امركم به وقوموا من مجالسكم ووسعوا لاخوانكم بذلك ويؤيده ماروى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا فى الصفة وكان فى المجلس ضيق وكان عليه الصلاة والسلام يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان قم يا فلان فأقام من المجلس بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله تعالى قوله ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا الآية (قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا) مجزوم على انه جواب الامر وقوله والذين اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين آمنوا على طريق عطف الخاص على العام وقد اختاره المصنف وقيل يجوز ان يكون من قبيل عطف الصفات بان تكون الصفات لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله الذين آمنوا العلماء وعن ابن عباس انه قال تم الكلام عند قوله منكم وينتصب قوله والذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او يرفع درجات وانتصاب درجات على انه مفعول ثان ليرفع ويحتمل ان يكون حالا بمعنى ذوى درجات او ظرفا او منصوبا على اسقاط الخافض اى الى درجات بين الله تعالى فى هذه الآية انه يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن وانه يرفع علماء المؤمنين على غير العلماء منهم فثبت ان الرفعة عند الله انما تكون بالعلم والعمل لا بالسبق الى صدور المجالس (قوله مستعار ممن له يدان) يعنى ان النجوى ليس لها يدان حتى يضاف اليهما لفظ بين ويجعل مدلوله ظرفا لتقديم الصدقة فلما تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وقد تقرر ان لفظ يدين فى نحو قولك جلست بين يدى فلان مجازا اريد به الجهتان الواقعتان فى سمت يديه وما بينهما هو جهة الامام اطلق لفظ اليدين عليهما على طريق اطلاق اسم الشئ على ما يدانيه ويتصل به وانما حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان ما بين اليدين حقيقة هو نفس جثة الشخص وهى ليست ظرفا للجلوس بل ظرفه هو جهة الامام الواقعة بين الجهتين المسامتتين لليدين وهما جهتا اليمين والشمال فثبت ان بين اليدين بمعنى بين الجهتين المسامتتين لليدين فاذا اضيف لفظ بين يدى الى من ليس له يدان فضلا عن ان يكون ليديه جهتان كما فى نحو بين يدى الله وبين يدى نجواكم يكون لفظ بين يدى مستعارا من بين جهتى يدى من له يدان بان ينزل ما بين تينك الجهتين منزلة المعنى الاصلى للفظين اليدين ثم يطلق لفظ بين اليدين على ما يشبه ما بين تينك الجهتين فلفظ بين يدى فى قوله تعالى فقدموا بين يدى نجواكم صدقة مستعار من بين جهتى يدى من له يدان وهو جهة الامام شبه بها ما قبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم فى كل واحد منهما فهى استعارة متفرعة على المجاز المرسل فقول المصنف تصدقوا قدامها فيه مسامحة والظاهر ان يقال تصدقوا قبلها لان القدام من ظروف المكان والنجوى لا قدام لها لان الجهة انما تكون للمتمكن الا انها تقع فى زمان فيكون لها قبل وبعد وان لم يكن لها قدام وخلف قال صاحب الكشاف مستعار ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضى الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (قوله وفى هذا الامر) يعنى ان هذا التكليف يشتمل على فوائد اولاها تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم مناجاته فان الانسان اذا وجد الشئ مع المشقة استعظمه وان وجده مع السهولة استحقره وثانيتها ان تقديم الصدقة قبل المناجاة يستلزم انتفاع كثير من الفقراء وثالثتها ما يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف عن نبيه فانزل الله هذه الآية فلما نزلت شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة فصار انزال هذه الآية بمنزلة النهى عن الافراط فى السؤال ومن فوائد انزالها الميز المذكور (قوله وهو وان اتصل به تلاوة) جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى أأشفقتم ناسخا لوجوبه وهو متصل به والحكم لا ينسخ بكلام متصل

(يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك تقتدى بالعالم فى افعاله ولا تقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه (ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا

واختلف القائلون بوجوبها فى مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقال الكلبى ما بقى ذلك التكليف الا ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بقى ذلك التكليف عشرة ايام (قوله وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره) اى ما روى عن على رضى الله عنه من قوله ما عمل بها احد غيرى لا يوجب القدح فى غيره بنسبة ترك الواجب اليهم على القول بوجوبها لان ترك الواجب انما يلزم ان لو تحقق منهم المناجاة فى مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه عن القرطبى انه قال ما روى عن على رضى الله عنه ضعيف لانه تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشئ (قوله وهو يشعر بالندبية) لان نحو قوله تعالى ذلكم خير لكم انما يستعمل فى التطوع لا فى الواجب الا ان قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ادل على الوجوب لان ما كان مغفورا بناء على تعذره يكون واجبا عند فقدان العذر (قوله أخفتم الفقر من تقديم الصدقة) على ان يكون مفعول ءأشفقتم محذوفا ويكون قوله ان تقدموا فى محل النصب على انه مفعول ءأشفقتم وعلة الخوف محذوفة اشار اليها بقوله لما يعدكم الشيطان (قوله بان رخص لكم ان لا تفعلوه) فان التوبة اذا اسندت اليه تعالى تكون بمعنى الرجوع عن عقوبة المذنب بناء على رجوعه عن الذنب فان اشفاقهم لكونه بمنزلة الاعتذار والاسترحام قام مقام توبتهم اليه تعالى فقام ترخيصه تعالى لهم فى عدم التقديم مقام توبته عليهم فلذلك قال وتاب الله عليكم (قوله واذ على بابها) يعنى انها للماضى والمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة وقيل بمعنى اذا فى كونها للاستقبال كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم وقيل انها بمعنى أن الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان اذا من الظروف وفيها معنى الشرط وان من حروف الشرط ومعنى الآية فاذ لم تفعلوا ما امرتم به عجزا وشحا وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان نسخ ذلك الحكم ورخص لكم فى ان لا تفعلوه فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات فان قيل قوله تعالى ءأشفقتم وقوله فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم يدل على تقصير المؤمنين فى ذلك التكليف فما شأن من الصحابة ذلك اجيب بمنع دلالته عليه وذلك لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم ان ارادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة وما تتوقف هى عليه من تقديم الصدقة لعدم عروض مهم يقتضيها فى مدة بقاء التكليف لا يكون مقصرا الا ان هذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة لذاتها بل شأنها ان تقع عند اقتضاء الحاجة اياها ولاسيما قد ذكر انهم انما كلفوا بتقديم الصدقة ليتركوا الافراط فى السؤال ويقتصروا على السؤال عند طريان الحاجة اليه فلا يكون ترك المناجاة مطلقا تقصيرا فى التكليف وانما يكونون مقصرين فيه لو ناجوا فى مدة بقاء التكليف به من غير تقديم الصدقة ولا يمكنهم ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لا يمكنهم من ذلك فليس فى الآية ما يدل على صدور التقصير منهم والاستفهام التقريرى فى قوله تعالى ءأشفقتم يجوز ان يكون مبنيا على انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من بقاء هذا التكليف ابدا الكثرة ما يقتضى المناجاة وعدم تيسر تقديم الصدقة فى كل مرة فقال هذا القول واما قوله تعالى وتاب الله عليكم فليس معه ما يدل على انه تاب عليهم من هذا التقصير بخصوصه بل يحتمل ان يكون المراد انكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف هذا كلام الامام ولا حاجة الى هذا التكلف بما اشار اليه المصنف بقوله بان رخص لكم ان لا تفعلوه فتأمل ثم انه تعالى لما وبخ اليهود والمنافقين وهددهم بقوله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى الى قوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم ساق الكلام الى هنا عاد الى ذم المنافقين بموالاتهم اليهود فقال الم تر الى الذين تولوا قوما الآية التولى مرافقة العدو يقال منه تولاه (قوله كمن يحلف بالغموس) فان المحلوف عليه فيه كذب والغموس ان يحلف على امر قد مضى بانه قد وقع اولم يقع وهو يعلم انه كاذب وان حلف على امر قد مضى وهو يظن ان الامر كما قال وهو ليس كذلك فى نفس الامر فهو لغو وروى عن عائشة رضى الله عنها ان اللغو ما يجرى على اللسان من غير قصد اليمين سواء كان فى امر قد مضى او فى امر سيكون مثل ان يقول لا والله او بلى والله ويروى عن ابى حنيفة مثله وسميت الاولى غموسا لانها تغمس صاحبها فى الذنب ثم فى النار قال عليه الصلاة والسلام الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق واليمين الغموس ولم يجعل حلف المنافقين على الكذب غموسا بل شبهه به فى كون الحالف متعمد الكذب لان الغموس هو الحلف على الماضى متعمدا للكذب وحلفهم ليس كذلك بل هو حلف على الحال (قوله وفى هذا التقييد دليل الخ) اعلم انه لا واسطة بين الصدق والكذب عند الجمهور فان صدق الخبر عندهم عبارة عن مطابقة

وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) اى ذلك التصدق (خير لكم واطهر) اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب (ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أو ان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فلا تفرطوا فى ادائهما (واطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (الم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود (ما هم منكم ولا منهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله ابن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت

(اعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه (اتخذوا ايمانهم) اى التى حلفوابها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم واموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قد سبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله على انهم مسلمون ويقولون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا انهم لمنكم (ويحسبون انهم على شئ) فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى من حذت الابل وحزتها اذا استوليت وهو مما جاء على الاصل (فأنساهم ذكر الله) لايذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم (اولئك حزب الشيطان) جنوده واتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين) فى جلة من هو اذل خلق الله (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن انا ورسلى) اى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء (ان الله قوى) على نصر اوليائه (عزيز) لايغلب عليه فى مراده

حكمه للواقع وكذبه عبارة عن عدم مطابقته له وقال النظام صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ غير مطابق للواقع وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ فقول من يقول السماء تحتنا معتقدا ذلك صدق وقوله السماء فوقنا غير معتقد كذب عنده وعند الجمهور بالعكس وقال الجاحظ صدقه مطابقته للواقع مع الاعتقاد بانه مطابق وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد انه غير مطابق له فالخبر انما يكون كاذبا بالمجموع الامرين عنده وهما عدم مطابقة حكمه للواقع وعلم المخبر بعدم مطابقته له فاستدل المصنف على فساد قول الجاحظ بهذه الآية فقال لو اعتبر فى كذب الخبر علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لكان تقييد قوله ويحلفون على الكذب بالجملة الحالية وهى قوله وهم يعلمون خاليا عن الفائدة لان كذب المحلوف عليه اذا استلزم علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لزم ان يكون قوله وهم يعلمون ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا كان كذب المخبر عبارة عن مطابقة حكمه للواقع فقط كقول الدهرى انبت الربيع البقل معتقدا ذلك فانه خبر كاذب مع ان المخبر لايعلم مطابقته للواقع (قوله وروى) عطف على قوله وهو ادعاء الاسلام فان الكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو قولهم ماشتمنا وما فعلنا شيأ يوجب هتك حرمتك فانهم قد فعلوا ذلك الا انهم لما خافوا من القتل حلفوا انهم ما فعلوه وهم يعلمون انهم كاذبون فى هذا الانكار (قوله متفاقما) اى عظيما يقال تفاقم الامر اى عظم والنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظم من توصيفه بالشدة فقوله فتمرنوا اى تعودوا من قولهم مرن على الشئ يمرن مرونا ومرانة اى تعوده واستمر عليه وتمرنهم على سوء العمل مستفاد من كان الدال على الزمان الماضى اى هذا العمل السيئ دأبهم القديم والتحريش الاغراء بين القوم وهو من لوازم النفاق وكانوا يثبطون عن الدخول فى الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم (قوله وعيد ثان) اى لئلا يلزم التكرار وقيل المراد بالكل عذاب الآخرة كما فى قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ثم انه تعالى لما بين انهم انما يحلفون على الكذب لتكون ايمانهم الكاذبة جنة لهم يدفعون بها القتل عن انفسهم واولادهم والاستيلاء على اموالهم بين انه لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم التى كانوا يحمونها بالنفاق والايمان الكاذبة من عذاب الله تعالى فى الآخرة شيأ قليلا وقوله يوم يبعثهم الله منصوب بقوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم او باصحاب النار او بالاستقرار المدلول عليه بقوله فلهم عذاب مهين او باضمار اذكر (قوله ويقولون كما يحلفون لكم) الظاهر ان يقال كما يحلفون لكم فى الدنيا ويقولون انهم لمنكم بين ان المحلوف عليه فى الدنيا قولهم للمؤمنين انهم لمنكم وان المحلوف عليه فى الآخرة قولهم ما كنا مشركين والمعنى انهم لشدة توغلهم فى الكذب والنفاق فى الدنيا يقولون فى الآخرة على هذا الخلق الردئ مع معاينة ما اوعدوا من الاهوال وانكشاف الاحوال وانقلاب خفايا الامور اهم ظنوا انه يمكنهم ترويج كذبهم على علام الغيوب بالايمان الكاذبة كما تستروا بها واتخذوها جنة فى الدنيا (قوله من حذت الابل وحزتها) يقال حاذ الابل يحوذها ويحوزها اى يسوقها كذا فى الصحاح وليس المراد ان استحوذ بالذال مشتق من الحوز بالزاى الا ان يراد بالاشتقاق الاشتقاق الاكبر وهو ان يكون بين اللفظين تناسب فى المخرج لا فى جوهر الحروف (قوله وهو مما جاء على الاصل) يعنى استحوذ بالذال فصيح لموافقة استعمال الفصحاء كاستصوب واستنوق وان شذ قياسا اذ القياس ان يقال استحاذ بقلب الواو الفا بعد نقل حركتها الى الحاء وكان استيلاء الشيطان وغلبته عليهم وسوقه حتما ارادسببا لارتكابهم المعاصى غير ذاكرين الله تعالى ومقامهم بين يديه ومجازاتهم بما صنعوا (قوله فى جلة من هو اذل خلق الله تعالى) لان ذل احد الخصمين على حسب عز الآخر فلهذا كانت عزة الله تعالى غير متناهية (قوله اى بالحجة) لم يذكر الغلبة بالسيف مع ان من بعث بالحرب من الرسل غالبون بالسيف كما انهم غالبون بالحجة والبرهان لان الغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل بخلاف الغلبة بالسيف فانها انما تثبت لمن امر منهم بالحرب عن الزجاج انه قال غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة قيل فى سبب نزول هذه الاية ان المؤمنين لما قالوا لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله ابن سلول أتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم اكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلى ثم انه تعالى لما ذم المنافقين وعجب من موالاتهم قوما غضب الله عليهم بين انه لايجتمع الايمان بالله واليوم الآخر مع توادا اعداء الله وموالاتهم لان شرط الايمان بالله محبته وطاعته وهما

يقتضيان معاداة اعدآئه قال بعض العارفين

تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس القول عنك بعازب

فقال لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون فقوله يوادون صفة لقوم بعد صفة اوحال منه (قوله اى لاينبغى ان تجدهم الخ) اشارة الى ان المؤمن لايصير منافقا خارجا عن الايمان بان حصل فى قلبه وداد أعدآء الله تعالى لكنه يكون عاصيا صاحب كبيرة وان دل ظاهر النظم على انه لايجتمع فى القلب وداد أعدآء الله تعالى والايمان وان اى قلب حصل فيه مودة عدو الله تعالى يصير صاحبه منافقا خارجا عن الايمان ولايخفى انه نهى وزجر عن موالاتهم بابلغ الوجوه وحمل على التصلب ومجانبتهم والمباعدة عنهم ثم زاده توكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم الى قوله او عشيرتهم ثم بقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان ثم بمقابلة قوله اولئك حزب الله بقوله فى حق اضدادهم اولئك حزب الشيطان وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لاتجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحيت الى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله اى خالفهما وعاداهما واستدل الامام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم (قوله اى من عند الله) يعنى ان ضمير منه لله تعالى ومن لابتدآء الغاية والروح مستعار اما لنور القلب فانه تعالى لما نور قلوبهم بحيث ميزوا بها ما يجيبهم عما يرديهم ورغبوا بذلك فى الارتقاء الى المدارج الروحانية والتخلص عن دركات عالم الطبيعة الدنية صار نور القلب لهم سببا للحياة الابدية كالروح للحياة البدنية فاطلق عليه اسم الروح على سبيل الاستعارة واما للقرآن او النصر على العدو فان كل واحد منهما سبب للحياة المعنوية فكان كالروح الذى هو سبب للحياة الحسية (قوله وقيل الضمير فى منه للايمان) اى روح من الايمان فانه فى نفسه روح للقلوب من حيث كونه سببا للحياة كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فيكون كلمة من للبيان وقيل الروح مستعار لجبريل عليه الصلاة والسلام فانه تعالى ايدهم وقواهم به على كثير ممن كان يحاربهم * تمت سورة المجادلة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده والآن اشرع بتوضيح ما يتعلق بسورة الحشر مستعينا بالله سبحانه وتعالى

سورة الحشر اربع وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

(قوله صالح بنى النضير) بنوا النضير رهط من اليهود من ذرية هرون عليه الصلاة والسلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرآئيل انتظارا لبعثة رسول صلى الله عليه وسلم وكان كعب بن الاشرف سيدهم (قوله فلما ظهر) اى لما غلب عليه السلام على المشركين يوم بدر استحكم ظنهم فى حقية امره فلما كانت وقعة احد ارتابوا واظهروا العداوة له عليه الصلاة والسلام ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب مع اصحابه الى مكة وتوافر بشا وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فامر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة فقتل كعبا غيلة والقتل بطريق الاغتيال ان يخدع المقتول فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله قيل خرج محمد بن مسلمة وابو نائلة ورجلان آخران فاتوه بالليل وقالوا أتيناك نستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليهم فقتلوه وقيل كان جلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكانت وقعة الاحزاب فى شوال سنة خمس فاجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحمل كل ثلاثة من اهل الابيات على بعير واحد ماشاؤا من غير السلاح وما تركوه فلرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فجلا اكثرهم الى الشام الى اريحا واذرعات الااهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة وهى مدينة بقرب الكوفة والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا يتعدى ولا يتعدى ويقال ايضا اجلوا عن البلد واجليتهم انا كلاهما بالالف كذا فى الصحاح ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لايجوز الآن وانما كان كذلك فى اول الاسلام ثم نسخ والآن لا بد من قتلهم وسبيهم اوضرب الجزية عليهم (قوله فى اول حشرهم من جزيرة العرب) اشارة الى ان اللام فى قوله تعالى لاول الحشر

(لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) اى لاينبغى ان تجدهم وادين اعدآء الله والمراد انه لاينبغى ان يوادوهم (ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم (اولئك) اى الذين لم يوادوهم (كتب فى قلوبهم الايمان) اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لاتثبت فيه (وايدهم بروح منه) اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير فى منه للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه او بما وعدهم من الثواب (اولئك حزب الله) جنده وانصار دينه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لايكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب ابن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك

متعلقة باخرج وانها اللام المفيدة لمعنى الظرفية كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس و يا ليتنى قدمت لحياتى سميت جزيرة العرب بها تشبيها لها بالجزيرة الواقعة فى خلال البحر فان بحر الحبشة وبحر فارس والفرات ودجلة قد احاطت بها وقوله اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك اشارة الى ان اولية الاخراج لا تستدعى اخراجا ثانيا يكون هذا الاخراج اولا بالاضافة اليه بل اوليته عبارة عن كون الشئ غير مسبوق بآخر مثله واخراج بنى النضير اول اخراج اصابهم من حيث انه غير مسبوق بحشر واخراج آخر فهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب بمعنى ان اخراجهم فى هذه المرة اول اخراج اصابهم فان اهل الكتاب لكونهم اهل عز ومنعة لم يصبهم الاخراج قبل هذه المرة ثم اشار الى جواب ان يكون اولية هذا الاخراج بالنسبة الى الاخراج الثانى الذى اصاب اهل الكتاب وهو اخراج عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام فقال اوفى اول حشرهم للقتال (قوله او ان نارا تخرج من المشرق) عطف على قوله انهم يحشرون اليه اى آخر حشرهم اما حشر الناس الى الشام باى حاشر كان او الى المغرب بان تحشرهم النار اليه قال قتادة تأتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم وذكر ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار (قوله تعالى ماظننتم وظنوا) الظن الاول فيه على بابه والثانى بمعنى العلم واليقين بشهادة وقوع ان المشددة بعده فانه قد تقرر فى النحو انه لا يعمل فى ان المشددة ولا فى المخففة الا فعل العلم واليقين الا ان يقال سلط فعل الظن على ان المشددة هنا اجراء له مجرى اليقين لشدته وقوته حتى صار بمنزلة العلم (قوله وتغيير النظم) يعنى ان الظاهر ان يقال وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله لان متعلق ظنهم انما هو ان تمنعهم وثاقة الحصن من ان يظفر عليهم احد والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ماذكر من العبارة والذى عليه النظم مخالف للظاهر من وجهين الاول تقديم الخبر على المبتدأ والثانى ايراد ما لا حاجة اليه وهو الضمير الذى جعل اسم ان الا انه غيرت العبارة الظاهرة الى ما عليه نظم التنزيل لما ذكره المصنف من الدلالة وتوضيح المقام ان البلاغة وان كانت كناية عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال الا ان مقتضى الحال ليس منحصرا فيما يقتضيه الحال بحسب الظاهر فان البلغاء كثيرا ما يخرجون الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال لاقتضاء الحال بحسب غير الظاهر ذلك الاخراج فان شأنهم النظر الى جانب المعنى ووضوح الكلام على وجه يؤدى الى ما قصدوه من الاغراض وان أدى ذلك الى ما بعده النحوى خلاف الظاهر كما فى هذه الآية فانه قدم فيها الخبر على المبتدأ ليفيد قصر الموصوف على الصفة على معنى ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية فتقديم الخبر مع كونه خلاف الظاهر دل على فرط وثوقهم بكونها حصينة بحيث ظنوا انه لا يخرجهم منها احد وكذا اسناد الجملة الى ضميرهم فان اصل المعنى وان أدى الى ان يجعل حصونهم اسم ان ومانعتهم خبرها الا انه لما جعل اسم ان ضميرا وجعلت الجملة خبرها حصل تقوى الحكم بتكرار الاسناد كما حصل بكلمة ان المشددة فدل الكلام على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم لان اسم الفاعل يعمل عمل فعله بشرط الاعتماد وقد اعتمد ههنا على اسم ان الا ان الكلام حينئذ يخلو عن الفائدتين المذكورتين (قوله وهو الرعب) فانه عليه الصلاة والسلام لما سار اليهم بالكتائب قال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك فنادوا بالحرب والقتال فارسل اليهم المنافقون عبد الله واصحابه ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فغلقوا الابواب على ازقة حصونهم وحصنوها مترصدين فرصة القتال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب وفل شوكتهم بقتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة و يأسهم من نصر المنافقين اياهم فاضطروا الى ان تطلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يصالح معهم فلم يرض الا بان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك اضطرارا وكانوا اهل سلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شئ منها (قوله وقرئ فآتاهم) اى بالمد وحذف المفعول وهو العذاب ان كان الضمير لبنى النضير والنصر ان كان الضمير للمؤمنين (قوله الذى يرعبها) اشارة الى ان الرعب عند اهل اللغة هو الخوف الذى يرعب الصدور اى يملأها الجوهرى رعبت الحوض ملأته وسيل راعب يملأ الوادى وسنام رعيب اى سمين ممتلئ والاية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الآية دلت على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متولدة فى القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى ولا شك ان نفس الخلق ليس الا منه تعالى فكانت الافعال باسرها مسندة اليه

اوفى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر اليه اوفى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر (ماظننتم ان يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم (فأتاهم الله) اى عذابه وهو الرعب و الاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) وأثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها

تعالى بهذه الطريق وقداشار الشريف الجرجانى المحقق نورالله مرقده الى هذا ببيت مفرد وهو قوله

ظفره نظام وحال بهشمى * نسبتهم للنحو كسب اشعرى*

ومن المعلوم ان القول بالجبر المحض لاوجه له الاان مناط الامر هو الطهارة والنجاسة الفطريتين وان الخاتمة مبنية على الفاتحة ولايكتسب الاماساعد عليه استعداده الفطرى آه منه م آه (قوله نكاية) اى غيظا وقهرا الجوهرى نكيت فى العدو نكاية اذا فتكت فيه وجرحت عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المجال ويسعوا كيف شاؤا وجعل اعدآء الله ينقبون دورهم من ادبارهم فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها فبين بهذا وجه اخرابها بايدى الفريقين وذكر المصنف فى وجه اخرابها بايديهم انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل لئلا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين ونقلوا ما امكنهم نقله من الخشب الجيدة والساج النفيس (قوله وعطفها) يعنى ان اسناد الاخراب بايدى المؤمنين الى انفسهم اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل (قوله وقيل الاخراب التعطيل) عطف على مايفهم من قوله وهوابلغ لما فيه من التكثير اى وقيل فى الفرق بين الاخراب والتخريب واو فى قوله اوترك الشئ خرابا مبنى على اختلاف العبارة لان تركه خرابا بمعنى تركه بلاساكن وهو معنى التعطيل وبنى ابوعمرو قرآءة التشديد على هذا الفرق لان بنى النضير لم يتركوا منازلهم بغير ساكن مع بقائها على حالها بل خربوها بالهدم والنقض كما يدل عليه قوله تعالى بايديهم وايدى المؤمنين (قوله فاتعظوا بحالهم فلاتغدروا) الغدر ترك الوفاء بالعهد كما غدر كعب بن الاشرف واصحابه بمعاداتهم الرسول والمؤمنين بعد المصالحة وحالفوا اباسفيان على المسلمين واعتمدوا على وثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ومعناه النظر الى امور ليعرف بها شيأ آخر من جنسها كأنه قيل تدبروا وانظروا فيما نزل بهم بشؤم غدرهم واعتمادهم على غيرالله تعالى وقيسوا عليه جميع ما فيه غدر واعتماد على غيره تعالى واتقوا بسوء عاقبته (قوله تعالى ولولا ان كتب الله) اى لولا ان قضى عليهم الخروج وان فيه مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان وان مع ما فى حيزها فى محل الرفع على الابتدآء لان لولا اذا كانت بمعنى الامتناع لايليها الا المبتدأ ولهذا فتحت ان بعدها لكون ما بعدها فى موقع المفرد لوجوب كون المبتدأ مفردا وخبره محذوف فقولك لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت (قوله استئناف) اذ لو كان معطوفا على قوله لعذبهم فى الدنيا للزم ان ينجو من عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزآء لحصول الشرط (قوله اوالى الاخير) فالمعنى على الاول ذلك الاخراج والخزى واخراب بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين وما اعدلهم فى الآخرة وعلى الثانى ذلك العذاب المعدلهم فى الآخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله اى عادوه وخالفوا امره ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر اى فعلنا بهم ذلك بسبب كذا وكذا (قوله اى شئ قطعتم) اشارة الى ان ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول قطعتم ومن لينة بيان لها وقوله فبأذن الله خبر مبتدأ محذوف اى قطعها وتركها باذن الله والجملة جواب الشرط والمصنف فسر اللينة بالنخلة مطلقا من اى نوع كانت كما ذهب اليه مجاهد وعطية قال الامام محيى السنة فى تفسيره اختلفوا فى اللينة فقال قوم هى النخلة كلها ما خلا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من الثمر الالوان واحدها لون ولينة اصلها لونة قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وقال الازهرى اللينة هى انواع النخل كلها الا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هى النخل كلها من غير استثناء وقال مقاتل هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهى شديدة الصفرة يرى نواها من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود ثمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها احب عندهم من وصيف قال الامام فان قيل لم خصت اللينة بالقطع قلنا ان كانت من اللون فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد (قوله وقرئ على اصلها) فيه وجهان الاول انه جمع اصل كرهن ورهن وسقف وسقف والثانى انه تخفيف اصولها حذفت الواو منه اكتفاء بالضمة كما فى قول الشاعر * فلوان الاطبا كان حولى * اصله كانوا فحذف الواو لما ذكر (قوله علة لمحذوف) وقيل انه معطوف على قوله باذن الله لان التعليل والسببية من واد واحد (قوله فنزلت) اى استصوبوا بالرأى كل واحد ممن قطعها اخزآء للكافرين وتحسيرا لهم وممن امسك عن قطعها وندم على ما فعله من القطع لتبقى غنيمة للمسلمين لحسن نية كل واحد منهم أما من قطعها فلزيادة غيظ على

(يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وايدى المؤمنين) فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال اوتفسير للرعب وقرأ ابوعمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل اوترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا يااولى الابصار) فاتعظوا بحالهم فلاتغدروا فلاتعتمدوا على غيرالله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه فى الكتب الاصولية (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من اوطانهم (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم اوالى الاخير (ما قطعتم من لينة) اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان (اوتركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على اصولها) وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو اوعلى انه كرهن (فبأذن الله) فبأمره (وليخزى الفاسقين) علة لمحذوف اى وفعلتم اواذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم

الكافرين بسبب كفرهم ونقضهم العهد وتحالفهم مع مشركى مكة على معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته واما من تركها فلتبقى غنيمة للمسلمين وقدندم بعض من قطعها قبل نزول الاية على مافعل خشية ان يكون ذلك منه افسادا فى الارض وقد قال تعالى واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ولم يندم آخرون وقالوا انغيظهم بقطعها قال تعالى ولاينالون من عدو نيلا الاكتب لهم به عمل صالح واستدل بعضهم بفعل الفريقين على جواز الاجتهاد بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ان كل مجتهد مصيب لان كل فريق اتبع اجتهاده وانه تعالى استصوب رأى كل واحد منهما وقيل لايجوز الاجتهاد مع وجود النبى صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم وانما فعلوا ذلك بامره عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك وانما يدل على اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان فى موضع القتال (قوله وما اعاده عليه) يعنى ان أفاء أفعل من الفيئ بمعنى الرجوع يقال فاء يفيئ فيأ اى رجع وافاءه غيره اى رجعه ويقال للخراج والاموال المغنومة من الكفار فيئ لرجوعها الى المسلمين من الكفرة واشار بقوله بمعنى صيره له اورده عليه الى ان العود له معنيان احدهما ان يتحول الشئ الى مافارق عنه وثانيهما مجرد ان يتحول اليه من آخر وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بان يحصل له قبل ذلك فقوله بمعنى صيره له اشارة الى هذا المعنى وقوله اورده عليه اشارة الى المعنى الاول ثم بين وجه كون المال المغنوم معادا اليه عليه الصلاة والسلام بعد ما فارق عنه مع انه لم يحصل له قبل ذلك بقوله فانه كان حقيقا بان يكون له فهو بهذا الاعتبار صار كانه كان فى يده ثم فارق عنه ووقع فى ايدى الكفرة غصبا منه فاعاده الله عز وجل عليه بعد ماذهب منه وكلمة ما فى قوله تعالى وما أفاء الله شرطية فى محل النصب على انها مفعول افاء وقوله فما اوجفتم جواب الشرط او موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وما بعدها خبرها والايجاف من الوجف وهو السير السريع يقال وجف الفرس يجف وجفا ووجيفا اذا اسرع وكذا البعير واوجفته انا اذا احركته وحملته على الاسراع ومن فى قوله من خيل صلة اى خيلا ولا ركابا والركاب الابل خاصة غلب على الابل كما ان الراكب غلب على راكب الابل فانه يقال لراكب الفرس فارس وواحد الركاب راحلة ولا واحد لها من لفظها قال المفسرون ان بنى النضير لما جلوا عن اوطانهم وتركوا رباعهم وضياعهم وطلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخمسها كما فعل بغنائم بدر انزل الله تعالى هذه الاية وبين انها فيئ لم يوجف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليه مسافة لان ديار بنى النضير كانت من المدينة على ميلين فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ركابا الا النبى صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل ركب حمارا مخطوما بليف ثم قال ولكن الله سلط رسله عليهم وعلى ما فى ايديهم بان القى رهبة فى قلوبهم فهابوا ورضوا بالجلاء وترك الاموال فجرى سلطان الرسول عليهم بتسليط الله عز وجل وذلك سنته فى رسله الماضين وهو قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء عما يشاء ولما نزلت هذه الآية لم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بنى النضير كما قسم غنائم بدر وانما قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة وعن عمر انه عليه السلام كان ينفق مما يحصل من غلة اراضى بنى النضير على اهله نفقة سنة ويجعل ما بقى منها فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله قال الامام ومعنى الآية ان الصحابة رضى الله عنهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفيئ بينهم كما قسم الغنيمة فقال تعالى الغنيمة ما اتعبتم انفسكم فى تحصيلها واوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيئ فانكم ما تحملتم فى تحصيله تعبا فكان الامر فيه مفوضا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يصرفه كيف شاء ثم قال وههنا سؤال وهو ان اموال بنى النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيئ ولاجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الآية ما نزلت فى قرى بنى النضير لانهم اوجفوا عليهم بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هو فى فدك وذلك لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك الاموال والقرى فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقى فى السلاح والكراع فلما مات عليه الصلاة والسلام ادعت فاطمة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان ملكها فدك فقال ابو بكر رضى الله عنه انت اعز الناس على فقرا واحبهم الى غنى لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لى ان احكم بذلك فشهد لها ام ايمن ومولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذى

(وما أفاء الله على رسوله) وما اعاده عليه بمعنى صيره له اورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) من بنى النضير او من الكفرة (فما اوجفتم عليه) فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيئ بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب فى قلوبهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها

يجوز قبول شهادته فى الشرع فلم تلق فأجرى ابو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول وجعل ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقى فى السلاح والكراع وكذلك عمر جعله فى يد على ليجريه على هذا المجرى ورد ذلك فى آخر عهد عمر الى عمر وقال ان بنا غنى وبالمسلمين اليه حاجة وكان عثمان يجريه كذلك ثم صار الى على فكان يجريه هذا المجرى فالائمة الاربعة اتفقوا على ذلك والقول الثانى ان هذه الآية نزلت فى بنى النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة وايجاف الخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الاموال فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر وكذلك الحكم فى كل ما فتح على الائمة مما لم يوجف عليه المسلمون خيلا ولا ركابا سوآء حصل فى ايدى المسلمين بان يجلوا اصحابه عن اوطانهم ويخلوه للمسلمين او يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤسهم او مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم كما فعله بنوا النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤا سوى السلاح وتركوا الباقى فهذا المال هو الفيئ ويصرف الى ما يصرف اليه الجزية والخراج بخلاف ما فتح عنوة وقهرا فانه غنيمة يقسم بين الفقرآء بعد التخميس والمصنف اشار الى القولين اللذين نقلهما الامام عن المفسرين بقوله من بنى النضير او من الكفرة وبقوله وذلك ان كان المراد فيئ بنى النضير اى عدم الايجاف على هذا التقدير مبنى على قرب منازلهم من المدينة بحيث مشوا اليها رجالا واما ان كان المراد ما خوله الله تعالى رسوله من الكفرة من غير معاونة المسلمين وقهرهم كاموال فدك فالامر ظاهر قال الامام ابو الليث روى عن الزهرى انه قال كانت اموال بنى النضير للنبى صلى الله عليه وسلم خالصة لانهم لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها صلحا فقسمها بين المهاجرين (**قوله بيان للاول**) اى غير اجنبى عنه بل هو متصل به فلذلك كان تخلل العاطف بينهما كتخلل شيئ اجنبى بين الشيئ وبيانه بين الله تعالى اولا ان ما خوله الله رسوله ليس من قبيل الغنائم المأخوذة قهرا فلا يقسم قسمها ثم بين له عليه الصلاة والسلام ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة فان الاموال المقسومة تقسم على خمسة اسهم اربعة اخماسها للغانمين ويجعل خمسها خمسة اسهم سهم منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى القربى والمراد بهم بنوا هاشم وبنوا المطلب فانهم لما منعوا من الزكاة لكونها غسالة اموال المسلمين جعل لهم حق فى الفيئ وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فكذا الفيئ فانه ايضا يخمس ويصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة بناء على ان ذكر الله تعالى فى قوله فلله انما هو للتبرك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله وقيل انه يسدس ويصرف سهم الله تعالى فى عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقى وهو خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التى يصرف اليها خمس الغنيمة والقول الثالث فى قسمة الفيئ انه يخمس ويجعل اربعة اخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يصرفها كما يشاء ثم يقسم الخمس الباقى ايضا على خمسة اسهم سهم منها له عليه الصلاة والسلام وسهم لذوى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فعلى هذا القول يكون جميع مال الفيئ مقسوما على خمسة وعشرين سهما بان يخمس كل خمس منها روما للتصحيح احد وعشرون سهما منها للنبى صلى الله عليه وسلم واربعة اسهم لذوى القربى واليتامى والمساكين وابناء السبيل وبعد انتقاله عليه الصلاة والسلام الى دار الكرامة والبقاء يصرف ما كان له من الفيئ الى الامام فى قول والى المهاجرين المجاهدين والمترصدين للقتال فى الثغور لانهم القائمون مقامه عليه الصلاة والسلام فى قول آخر والى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم فى قول ثالث وهذا فى اربعة اخماس الفيئ واما القسم الذى كان له عليه الصلاة والسلام من خمس الفيئ والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته عليه الصلاة والسلام بلا خلاف لقوله عليه الصلاة والسلام ليس لى من غنائمكم الا الخمس مردود فيكم وكانت الغنائم فى شرع من قبلنا لله تعالى خاصة لا يحل شيئ منها لاحد واذا غنمت الانبياء اشياء جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا صلى الله عليه وسلم من بينهم بان احلت له الغنائم ثم قال عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى (**قوله تعالى كيلا يكون دولة**) علة لقوله فلله اى تولى الله تعالى قسمة الفيئ وبين كيفية قسمته لئلا يغلب الاغنياء الفقرآء على الفيئ على حسب قوتهم دون الفقرآء والضعفاء كما كان فى الجاهلية فان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصفى منها بعد

(ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسم الفيئ فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس اربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) اى الفيئ الذى حقه ان يكون للفقرآء وقرأ هشام فى رواية بالتاء

المرباع ماشاء كما قال شاعرهم لك المرباع فيها والصفايا * فبين الله تعالى مصارفه وكيفية قسمته ثم قال وما آتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفيئ والغنيمة فخذوه او جميع ما آتاكم به من الشرائع والاحكام فاقبلوه فان الآية وان نزلت فى اموال الفيئ فهى عامة فى جميع ما امر به النبى ونهى عنه والدولة بالضم اسم لما يتداوله القوم بينهم والمعنى كيلا يكون الفيئ متداولا بين الاغنياء يكون مرة لهذا ومرة لذاك وبالفتح مصدر بمعنى التداول والمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم كالفرقة والغرفة فانه بالضم اسم لما يوخذ بالاغتراف وبالفتح مصدر بمعنى الاغتراف مرة وقيل الدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم ويستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان (قوله او اخذه غلبة تكون بينهم) عطف على الفيئ فى قوله بمعنى كيلا يكون الفيئ ذا تداول بينهم فيكون توجيها ثانيا لقراءة دولة بالفتح وقد وجهها اولا بان جعل اسم كان ضمير الفيئ وجعل دولة بمعنى التداول وقدر قبلها ما يضاف اليها وجعل بينهم ظرفا للتداول وجعل اسم كان فى هذا الوجه الاخذ المضاف الى الفيئ وجعل الدولة بمعنى الاستيلاء والغلبة الجاهلية منصوبا على انه خبرها وجعل بين الاغنياء ظرفا لكان التامة فى قوله كيلا يكون والدولة مرفوع على انها فاعل لكان التامة وذكره متأخرا تصريحا بكون بين ظرفا له فالمعنى على هذا الوجه كيلا يقع بين الاغنياء منكم اخذه دولة اى اخذه بجهة الاستيلاء والغلبة كما كان فى الجاهلية فان اهلها كانوا يقولون من عز بزاى من غلب سلب ويجعلون استحقاق مال الغنيمة منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شيئ كان يستقل به كما فى زماننا هذا وفى كثير من النسخ اى اخذه غلبة تكون بينهم اى بين اهل الجاهلية فلا يكون متعلقا بخصوص احدى القراءتين بل يكون بيانا لوجه التعليل بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء على القراءتين كأنه قيل منع كون الفيئ متداولا بين الاغنياء مأخوذا بطريق الغلبة والاستيلاء لان اخذه بهذا الطريق يكون بين اهل الجاهلية فلا ينبغى لاهل الاسلام ان يستنوا بسنتهم ويسلكوا سبيلهم (قوله لانه حلال لكم او فتمسكوا به) من قبيل اللف والنشر المرتب على قوله من الفيئ او من الامر وكذا قوله عن اخذه او عن اتيانه (قوله فان الرسول لا يسمى فقيرا) جواب عما يقال لم لا تجعل قوله تعالى للفقراء بدلا من مجموع المصارف المذكورة بقوله تعالى فلله وللرسول الى قوله وابن السبيل بل جعلته بدلا من قوله لذى القربى وما عطف عليه خاصة مع ان الجمل المتعددة اذا اعقبها قيد لا يكون ذلك القيد مختصا ببعضها بل تكون كلها سواء فى ذلك القيد الا ان يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها فالدليل عليه فيما نحن بصدده وتقرير الجواب انه تعالى ليس من المصارف وانما ذكر اسمه للتبرك به وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصح ادخاله فى جملة من ابدل منهم المصارف المذكورة من فقراء المهاجرين والانصار والتابعين لهم الى يوم القيامة والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان من المصارف الا انه لا يصح ادخاله فى جملة المبدل منهم لان ادخاله فيهم يستلزم تسميته فقيرا ضرورة انه يجب ان يتحد مفهوم البدل والمبدل منه صدقا فى بدل الكل من الكل ولا تجوز تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان من حيث ان اصله كسر فقار الظهر يقال فقرته اذا كسرت فقار ظهره كما يقال كبدته اذا ضربت كبده وسميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما يغلبان الانسان ويكسران فقار ظهره واذا لم تصح تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرا فعدم صحة تسميته تعالى فقيرا اولى ولانه تعالى اخرج رسوله من الفقراء حيث وصفهم بقوله وينصرون الله ورسوله فانه ينافى دخوله عليه الصلاة والسلام فى جملة المبدل منهم والا لكان المعنى اعنى باولئك الخمسة المذكورين الذين هم الرسول وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هؤلاء الفقراء المهاجرين الذين من جملة صفاتهم انهم ينصرون الله ورسوله ووصف المهاجرين بالفقراء دليل على ان الكفار يملكون اموال المسلمين بالاستيلاء عليها فانه كانت لهم ديار واموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليها فلو لم يملكها الكفار بالاستيلاء عليها لما سموا فقراء (قوله ومن اعطى اغنياء ذوى القربى) بناء على ان ذكرهم بهذا اللفظ يشعر ان علة استحقاقهم للفيئ انما هى القرابة نفسها من غير اعتبار شيئ آخر معها فيكون اشتراط الفقر فيهم زيادة على الكتاب فهم لا يجعلون قوله للفقراء المهاجرين بدلا من قوله لذى القربى بل مما بعده من الاصناف الثلاثة وان جعلوه بدلا من الاصناف الاربعة يجعلون اعتبار الفقر فى ذى القربى مختصا باستحقاقهم فيئ بنى النضير فانه عليه الصلاة والسلام لم يعتبر فى قسمته غير الفقر والاحتياج حتى لم يعط الانصار شيأ منه الا ثلاثة نفر بهم حاجة ومن جعل استحقاق ذى القربى مشروطا بالفقر نظر الى انهم استحقوه عوضا عن الصدقة التى هى غسالة

(دولة بين الاغنياء منكم) الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيئ ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما اعطاكم من الفيئ او من الامر (فخذوه) لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) عن اخذه او عن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفيئ بفيئ بنى النضير

اموال المسلمين فوجب ان يكون استحقاقهم له مشروطا بما هو شرط فى استحقاق الصدقة فله ان يجعل قوله للفقراء بدلا من ذى القربى وماعطف عليه بدل الكل (قوله حال مقيدة لاخراجهم) يعنى انه حال من واو اخرجوا توصيفا لهم بما يفيدهم فخامة الشان (قوله فانهم لزموا المدينة والايمان) يعنى ان المراد بالدار المدينة التى هى دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين اى نزلوا فيها واتخذوها مباءة اى منزلا واستقروا فيها يقال تبوأت منزلا اى نزلته وبوأته منزلا اى هيأت له منزلا وانزلته فيه واشار ايضا الى جواب مايقال كيف عطف الايمان على الدار مع ان الايمان ليس من قبيل المنازل التى تبوأوا فيها وتقرير الجواب ان المعنى لزموا الايمان لزوم الانسان منزله ومستقره وشبه الايمان فى النفس بمنزل الانسان ومستقره وجعل نسبة التبوء اليه تخييلا للتشبيه المضمر واجاب عنه ثانيا بان المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان لان اهلها نصروا الايمان واهله فحذف المضاف من دار الايمان واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه كما حذف المضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام وثالثا بان انتصاب الايمان ليس بالعطف على الدار حتى يقال الايمان ليس من قبيل المنازل حتى يتبوأ فيه بل هو منصوب بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق حذف المعطوف وابقى العاطف كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا * اى وحاملا رمحا وقوله علفتها تبنا وماء باردا * اى وسقيتها ماء ورابعا بان المراد بالدار والايمان شئ واحد وهو المدينة وسميت بالايمان على طريق تسمية المحل باسم ماحل فيه او تسمية المظهر والمصير باسم ماظهر فيه وصار اليه (قوله من قبل هجرة المهاجرين) فانه قدروى انه قلت دار كانت بالمدينة الا كان الاسلام قد دخلها قبل هجرة النبى اليها صلى الله عليه وسلم حتى روى انهم قد صلوا صلاة الجمعة قبل الهجرة واشار بهذا التفسير الى جواب مايقال كيف يصح ان يقال ان الانصار لزموا الايمان قبل المهاجرين وليس الامر كذلك وتقرير الجواب انه ليس المعنى انهم لزموا الايمان قبل المهاجرين ليرد ماذكر بل المعنى انهم لزموه قبل هجرتهم فلا محذور وقيل فى جوابه ان الكلام محمول على التقديم والتأخير والتقدير والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان فلا محذور حيث جعلت القبلية قيدا لتبوأهم الدار فقط وهذا السؤال والجواب انما يتجهان على ان يوجه قوله والايمان بالوجه الاول والثالث ولا يتجه شئ على الوجه الثانى والرابع لان المراد بالايمان فيهما هى المدينة اما بتقدير المضاف او بتسمية المدينة ايمانا مجازا فكان المعنى على الوجهين والذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين والامر كذلك فلا حاجة الى تقدير المضاف (قوله كالطلب) اى طلب مااوتى المهاجرون مما يحتاج اليه الانصار قال الجوهرى الحزاز ايضا وجع فى القلب من غيظ ونحوه اطلق اسم الحاجة على الحزازة والحسد ونحوهما على طريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم لان جميع ذلك ينشأ عن الحاجة روى انه عليه الصلاة والسلام لما غنم غنيمة بنى النضير دعا ثابت بن قيس فقال له ادع لى قومك قال الخزرج يارسول الله قال الانصار كلها فدعاله الاوس والخزرج فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الانصار وماصنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم فى منازلهم واموالهم ثم قال ان رضيتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ماأفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم واموالكم وان ابيتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يارسول الله بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا فنادت الانصار رضينا وسلمنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ابا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم اجمعين (قوله حتى ان من كان الخ) اشارة الى ان قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم وان نزل بسبب ايثارهم المهاجرين على انفسهم بالفيئ الا انه عام يتناول سائر ايثاراتهم منها ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد اى شدة الجوع فقال يارسول الله انى جائع فاطعمنى فبعث عليه السلام الى ازواجه هل عندكن طعام فاجبنه والذى بعثك بالحق ماعندنا الا الماء فقال عليه الصلاة والسلام ماعند رسول الله مايطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل فقال انا يارسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله فاكرميه ولا تدخرى عنه شيأ فقالت ماعندى الا قوت الصبيان فقال قومى فعلليهم عن قوتهم ونوميهم حتى يناموا ولا يطعموا شيأ ثم أسرجى واردى فاذا اخذ الضيف ليأكل قومى كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالى

(الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (وينصرون الله ورسوله) بانفسهم واموالهم (اولئك هم الصادقون) الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم والذين تبوأوا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوأوا الدار واخلصوا الايمان كقوله

علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) فى انفسهم (حاجة) ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما اوتوا) مما اعطى المهاجرون من الفيئ وغيره (ويؤثرون على انفسهم) ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم

تمضغ ألسنتنا ليظن الضيف انا نأكل معه فيأكل حتى يشبع ففعلت فباتا تلك الليلة طاويين فلما اصبحا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن انس رضى الله عنه اهدى الى رجل من الانصار رأس شاة مشوى وكان مجهودا فقال لعل جارى احوج اليه منى فبعثه الى جاره فتداوله تسعة فرثم عاد الى الاول فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم الاية فان قيل كيف استحقوا المدح بايثار الغير على انفسهم عند حاجتهم وقد نطقت الاخبار بان افضل دينار ما ينفقه الرجل على نفسه وعياله وبه امر عليه السلام من سأله عن التصدق قلنا الاحاديث فيمن لم يثق بالصبر على الفقر لانه يخشى عليه التعرض للمسألة والاية وردت فى الانصار فانهم لم يكونوا بهذه الصفة بل كما وصفهم الله تعالى فى قوله والصابرين فى البأساء والضراء وايثار مثلهم افضل والايثار تقديم الغير على النفس فى حظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الاخروية حكى عن ابى الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الرى ومعهم ارغفة معدودة لا تكفى الاقليلا فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل احد منهم شيأ منه ايثارا لصاحبه على نفسه (**قوله** وهى فرجة) شبه حالة الفقر والحاجة بفرج البناء فى اشتمال كل واحد منهما على معنى النقصان والاحتياج الى المصلح (**قوله** حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق) اشارة الى ان الشح اشد من البخل كما اشار اليه الجوهرى بقوله الشح البخل مع حرص فان البخيل يبغض الانفاق والحريص يحب المال فمن جمعهما صار شحيحا قيل ليس الشح ان يمنع الرجل ماله عن مستحقه انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال كسرى لاصحابه اى شئ أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لا يشبع ابدا وكل ذلك يدل على ان الحرص معتبر فى مفهوم الشح وانما اضيف الى النفس لانه غريزة فيها (**قوله** تعالى والذين جاؤا من بعدهم) عطف ايضا على المهاجرين ولم يصرح بذلك فيه اكتفاء بذكره فيما سبق فيكون يحبون حالا من فاعل تبوأوا ويقولون حالا من فاعل جاؤا فلما كانت الآيات معطوفا بعضها على بعض وكان المراد بقوله والذين جاؤا من بعدهم التابعين لهم باحسان استوعبت الاية جميع المؤمنين الذين كانوا شركاء فى الفيء كأنه قيل هذا المال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللاصناف الاربعة الفقراء من المهاجرين والانصار والتابعين لهم قيل ويجوز ان يكون قوله تعالى والذين تبوأوا الدار فى محل الرفع على الابتداء والخبر يحبون او محذوف اى افلحوا وفازوا وكذا قوله والذين جاؤا يجوز ان يكون مرفوع المحل على الابتداء ويقولون خبره عن مالك بن اوس قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الاية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوأوا الدار والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسير وحمير نصيبه لم يعرق فيها جبينه وهذا يدل على انه جعل هذه الآيات متعاطفة وعن عمر رضى الله عنه ما يدل على ان المراد بهذه الاية الاراضى التى افتتحت عنوة دون اموال اهلها فانه روى انه لما فتح سواد العراق سأله قوم من الصحابة قسمة الاراضى بين الغانمين منهم الزبير وبلال وغيرهما فاحتج عليهم بهذه الاية الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم شاور فيه عليا وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فاشاروا بترك القسمة وان يقر اهلها عليها ويضع على رؤسهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج ففعل فجعل اراضيهم خراجية ليصل نفعها الى جميع المسلمين قرنا بعد قرن وهو مذهبنا فى الاراضى المأخوذة من الكفار عنوة اذ للامام ان يقسمها بين الغانمين ان رأى ذلك اصلح والا اقر اهلها عليها ويضع عليهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج وحملوا قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه على غير الاراضى والرقاب من الاموال ولو كانت هذه الآية وهو قوله تعالى ما افاء الله على رسوله منسوخة لذكرت الصحابة ذلك لعمر واخبروه بنسخها فظهر بذلك انها محكمة فان قيل لم قالوا ربنا اغفر لنا ولاخواننا بتقديم الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لاخوانهم فى الدين قلنا رجوا بذلك ان يغفر لهم فيكونوا بذلك اقرب الى الاجابة فى حق غيرهم (**قوله** ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين) لانهم المهاجرون والانصار والذين جاؤا من بعدهم وقد بين الله تعالى ان من شأن

(ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهى فرجه (ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد حين قوى الاسلام والتابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة فلذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين

من جاء من بعد المهاجرين والانصار ان يذكر السابقين وهم المهاجرون والانصار بالرحمة والدعاء فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجا عن جملة اقسام المؤمنين بمقتضى هذه الآيات روى ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن على بن الحسين فسبوا ابابكر وعمر رضى الله عنهما ثم سبوا عثمان رضى الله عنه فاكثروا فقال لهم أمن المهاجرين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال فقد تبرأتم من هذين الفريقين وانا اشهد انكم لستم من الذين قال الله عزوجل فيهم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية لانه تعالى امر من تبعهم ان يستغفر لهم لا بان يسبهم فمن كان يسب هؤلاء كيف يدخل فيمن تبعهم قوموا عنى ففعل الله بكم وفعل قال الشعبى تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة قال المفسرون فى معنى الآية علم الله تعالى انه سيقع من الصحابة اشياء ثم يذكر ذلك لمن بعدهم فربما يقع فى قلوب بعضهم كراهية بعض ذلك فتغير قلوبهم فامروا بالاستغفار لهم وان لا يجعل الله فى قلوبهم غلا لمؤمن تنبيها على ان ذلك مما يرجى عفو الله عنه وانه يجب على من جاء بعدهم محبتهم وحسن الاعتقاد فيهم والدعاء والاستغفار لهم ثم انه تعالى عجب السامعين من شأن المنافقين مع يهود بنى النضير وذلك ان عبد الله بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن زيد وغيرهم قالوا اليهود الذين بينهم وبينهم اخوة واشتراك فى الكفر بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم او اخوة الصداقة والموالاة وكانوا يدا واحدة على المؤمنين فى السر لئن اخرجتم الخ واللام فى لئن اخرجتم لام توطئة القسم وفى لنخرجن لام جواب القسم فان القسم مقدر قبل حرف الشرط حذف للعلم بوجودها واجيب القسم دون الشرط لسبق المقسم عليه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وكذا الكلام فى قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم فان قوله لا يخرجون جواب القسم فلذلك رفع ولم يجزم اخبر الله تعالى انهم قالوا لليهود هذه المقالات ثم شهد على انهم كاذبون فيها فقال والله يشهد انهم لكاذبون ولما شهد على كذبهم على سبيل الاجمال اتبعه بالتفصيل فقال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الآية اى لئن اخرج اليهود من المدينة لا يخرج المنافقون معهم ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون كما وعدوهم وكان الامر كما ذكره الله تعالى لان اليهود اخرجوا من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم فبان بهذا كذبهم فيما قالوه وفيه دليل على صحة النبوة لانه عليه الصلاة والسلام اخبر بالغيب وكان كما اخبر وقيل وجه دلالته عليها ان المنافقين انما راسلوا اليهود خفية بحيث لم يطلع عليهم احد غير اليهود وظاهر انهم لم يخبروا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون الآية علم انه تعالى اطلع رسوله على ما اخفوه عنه (**قوله على الفرض والتقدير**) جواب عما يقال انه تعالى نفى ان يتحقق نصرة المنافقين لليهود وما نفى الله تعالى وجوده لا يجوز وجوده فما وجه قوله ولئن نصروهم بكلمة ان التى من حقها ان تستعمل فيما يحتمل وجوده وتقرير الجواب ان ما نفى الله تعالى وجوده لا يمتنع فرضه وتقديره فكلمة ان ههنا لم تدخل على نصرتهم بل دخلت على فرض نصرتهم وهو مما يحتمل وجوده (**قوله اذ ضميرا الفعلين**) وهما قوله تعالى ليولن وقوله ثم لا ينصرون فان كان كلا الضميرين لليهود يكون المعنى لئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن اليهود ثم لا ينصرون ابدا بل يخذلهم الله وان كان الضميران للمنافقين يكون المعنى لينهزمن المنافقون بهلاكهم ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بمعاداتهم المؤمنين ونصرتهم اليهود ثم انه تعالى بين ان خوف المنافقين من المؤمنين اشد من خوفهم من الله تعالى فقال لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبا جعله مصدرا من المبنى للمفعول لان انتم خطاب للمؤمنين والخوف ليس من حالهم بل هو حال المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين فالرهبة امر نسبى قائم بالفاعل متعلق بالمفعول فباعتبار تعلقه بالفاعل يكون سببا لان يحدث فيه هيئة الراهبية وباعتبار تعلقه بالمفعول يكون سببا لان يحدث فيه هيئة المرهوبية فلفظ المصدر قد يستعمل فى اصل معناه وهو الامر النسبى وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للفاعل بسبب تعلق المعنى المصدرى به فيقال له حينئذ انه مصدر من المبنى للفاعل وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للمفعول بسبب تعلقه به فيقال انه مصدر من المبنى للمفعول كما فى هذه الاية والمعنى انهم يظهرون لكم انهم يخافون الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله لانهم لا يخافون الله

(يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى لاخواننا فى الدين (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) فحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يريد الذين بينهم وبين اخوة الكفر او الصداقة والموالاة (لئن اخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) فى قتالكم او خذلانكم (احدا ابدا) اى من الرسول والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاوننكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان كذلك فان ابن ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) انهزاما (ثم لا ينصرون) بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وان يكون للمنافقين (لانتم اشد رهبة) اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله

(ذلك بانهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته و يعلمون انه الحقيق بان يخشى (لا يقاتلونكم) اليهود المنافقون (جميعا) مجتمعين (الا فى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (او من ورآء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار واماال ابو عمرو وفتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله رسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير اوالمهلكين من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) اى مثل المنافقين فى اغرآء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) اغراه على الكفر اغرآء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برئ منك) تبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزآء الظالمين) والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكن وخالدان على انه خبر لان وفى النار لغو (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه اولان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد اوالاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم انفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها اوأراهم يوم القيامة من الهول ما انساهم انفسهم (اولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق

البتة ولا يظهر فيهم شئ من آثار خوف الله بخلاف ما اضمروه فى صدورهم من خوف المؤمنين فانه اشد واقوى مما يظهرونه من خوف الله تعالى بقلوبهم ان قلوبهم خلو من خوفه تعالى (قوله تعالى ذلك) اى شدة خوفهم منكم بأنهم قوم لا يفقهون عظمة الله وشدة نقمته حتى يخشوه حق خشيته ثم اخبر عن جبنهم ورخاوة قلوبهم فقال لا يقاتلونكم الا فى قرى محصنة بالخنادق والدروب وهذا تشجيع من الله للمؤمنين وربط على قلوبهم حيث بين ان بأسهم بينهم شديد بالادعاء والقول حيث يعدونكم بانهم يفعلون بكم كذا وكذا لو قاتلوكم ولم يبق لكم ذلك البأس (قوله تعالى ذلك) اى تشتت قلوبهم بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولا يعقلون ايضا ان تشتت القلوب يوهن القوى الجسدية فان صلاح القلب يوجب صلاح الجسد وفساد القلب يؤدى الى فساد الجسد (قوله اى مثل اليهود) على ان قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف اى ما اصابهم من الحال العجيبة الشأن كما اصاب من قبلهم من زمان قريب وقريبا نعت الظرف محذوف اى وقتا وزمانا قريبا والمصنف جعله تمثيلا باعتبار قيامه مقام المضاف المحذوف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال المراد بالذين من قبلهم بنوا قينقاع امكن الله منهم قبل بنى النضير وقيل هو عام فى كل من انتقم الله منهم على كفرهم قبل بنى النضير من نوح الى سيد المرسلين عليهما الصلاة والسلام مثل حال اليهود بحال اصابت من قبلهم قريبا فى ان كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال امرهم ثم مثل حال المنافقين فى اغرآء اليهود على القتال بان قالوا لهم انا معكم ولا نخذلكم فاغتر اليهود بقولهم فدربوا الازقة وتهيئوا الحرب فخذلهم المنافقون وتبرأوا منهم بحال الشيطان حين اغرى الانسان على الكفر فاغتر الانسان باغرآئه فكفر والعياذ بالله فلما كفر تبرأ منه وليس المراد ان الشيطان آمر للانسان بل هو مسلط عليه بحيث يلجئه الى المعصية لان شأنه ليس الا الاغرآء على المعصية بالوسوسة وتزيين المعصية اليه فقوله اكفر استعارة تبعية شبه اغرآءه على الكفر بالوسوسة باغرآء الآمر المأمور فاطلق اغرآء الآمر على اغرآئه وقد اغرى ابليس كفار قريش يوم بدر وقد تمثل لهم بصورة سراقة ابن مالك الكنانى وشجعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لا غالب لكم اليوم وانى جار لكم اى مجيركم من بنى كنانة وكانت قريش تخاف من بنى كنانة لما بينهم من الاحنة فلما ترآءت الفئتان ورأى الشيطان جبريل ومن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا انه الشيطان تمثل بصورة سراقة (قوله وقيل راهب) اسمه برصيصا روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان فى بنى اسرآئيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر حتى كان مشهورا بكونه مستجاب الدعوة فيؤتى بالمجانين فيعوذهم ويداويهم فيبرأون على يده وأتى بامرأة قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان له حملها لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها ثم ذهب الشيطان فى صورة رجل الى اخوتها واخبر بالذى فعله الراهب وانه دفنها فى مكان كذا فبلغ ذلك ملكهم فسار الملك فى الناس فاتوه فاستنزلوه من صومعته وهددوه ليصدقهم فاقر لهم بالذى فعله بها فامر الملك بصلبه فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا الذى زينت هذا كله والقيتك فيه فهل لك ان تطيعنى فيما اقول لك فاخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة فسجد له فقتل كافرا والعياذ بالله تعالى فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اسجد لغير الله فلما كفر اى سجد قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين (قوله وقرئ عاقبتهما) بالرفع على انها اسم كان وخبرها انهما فى النار وقرأ العامة بنصب عاقبتهما على انها خبر كان واسمها قوله انهما فى النار لان ان مع ما فى حيزها اعرف من عاقبتهما فهو اولى بالاسمية وايضا قرأ العامة خالدين على انها حال من المنوى فى قوله فى النار اى فكان عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما ثابتان فى النار خالدين فيها وقرئ خالدان بالرفع على انه خبر ان وفى النار لغو متعلق بالخبر مقدما عليه فيكون قوله فيها تأكيدا لقوله فى النار عن المبرد انه قال نصب خالدين على الحال اولى لئلا يلغى الظرف مرتين اى فى النار وفيها ثم انه تعالى لما ذم اليهود والمنافقين بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله تعالى حتى يخشوه حق خشيته ولا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ويتمسكوا به مجتمعين عاد الى موعظة المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية (قوله نسوا حقه) وهو طاعته فى جميع ما كلفوا به بامتثال اوامره والاجتناب عن

(نواهيه)

نواهيه والمراد بنسيان حق الله مايلزم النسيان من الترك فالمعنى تركوا ماكلفوا به ترك الناسين له عن ابن عباس رضى الله عنه قال يريد بالناسين قريظة والنضير وبنى قينقاع والفاء فى قوله تعالى فانساهم انفسهم للسببية وذكر للانساء وجهين فالمعنى على الاول بسبب انهم نسوا حق الله خذلهم فى الدنيا وجعلهم ناسين انفسهم بحيث لم يسعوا فى عمل صالح ينجيها ولم يجتنبوا عن عمل سيئ يرديها ولم يخلق فيها داعية الاهتمام لاستكمالها وعلى الثانى بسبب انهم نسوا حق الله اراهم يوم القيامة من الاهوال مانسوا فيه انفسهم كما قال تعالى لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هوآء وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ثم انه تعالى لما حرض المؤمنين على تقديم ماينفعهم فى الآخرة وشنع على الذين نسوا حق الله وطاعته بين تباعد مابين الفريقين فقال لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة واشار المصنف الى ان المراد باصحاب الجنة من استأهل للجنة بملازمة طاعة الله تعالى والاجتناب عن معصيته وباصحاب النار من استحق النار بان نسى تقوى الله تعالى وطاعته فانساهم انفسهم بان خذلهم ومنع عنهم توفيقه وعونه وعبر عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار زيادة فى تصوير عدم استوآئهما بحسب الفضائل الاخروية فان تباعد مابين الجنة والنار وعدم استوآئهما مما لايخفى على احد فالتعبير عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار يكون زيادة توضيح لعدم استوآئهما يوم الدين وعدم استوأئهما وان كان امرا معلوما بالضرورة الا انه تعالى تعرض لبيان التفاوت بينهما تنبيها على عظم ذلك الفرق وترغيبا للمؤمنين فى استكمال نفوسهم بملازمة التقوى والطاعة بتنزيلهم منزلة من لايعرف الفرق بين الجنة والنار والبون البعيد بين اصحابهما لعدم جريهم على ما يوجب العلم بايثار العاجلة واتباع الشهوات فان العالم بالشئ اذا لم يعمل على مقتضى علمه ينزل منزلة الجاهل فيلقى اليه الكلام الخبرى كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تنزيلا له منزلة من لايعرف انه ابوه وترغيبا فى رعاية حقه (قوله واحتج به اصحابنا) اى احتجت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لايقتل بالذمى اذ لو قتل المسلم به والحال ان الذمى يقتل بالمسلم لزم ان يستوى اصحاب الجنة واصحاب النار فى ان كل واحد منهما يقتل بالاخر وهو خلاف مادل عليه ظاهر العموم المستفاد من قوله تعالى لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة فانه يدل دلالة ظاهرة على انهما لايستويان فى شئ من الاحكام والحنفية يقولون انه وان كان عاما بحسب الظاهر الا ان سياق الكلام يخصصه بالاستوآء فى منازل الاخرة ويجوز استوآؤهما فى الاحكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر وكذا يملك الكفار اموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون اموال الكفار بالقهر والاستيلاء حتى اذا غلب المسلمون عليهم وقد اخذوا اموال المسلمين قهرا ووجد اصحاب تلك الاموال اموالهم باعيانها فى جملة مال الغنيمة فعند الامام الشافعى يرد مال المسلم الى المسلم لعدم خروجه عن ملك المسلم وعند الحنفية لايرد بل يقسم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار اياه بالاستيلاء على مذهبه ثم انه تعالى لما بين بانزال القرءآن هذه المواعظ المرغبة فى اكتساب اسباب الفوز والفلاح والمنفرة عن الانهماك فى اتباع الحظوظ العاجلة عظم شأن القرءآن فقال لو انزلنا هذا القرءآن على جبل وكلفناه بما فيه لتشقق من خشية الله مع كمال قساوته وصلابته حذرا من ان لايؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرءآن فياعجبا من قساوة الكافر حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرءآن وقوة تأثيره واعرض عما فيه من العبر واستخف بحقها كأن لم يسمعها وانه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته للان (قوله تمثيل وتخييل) الظاهر انه اراد بالتمثيل التصوير والتبيين وقوله وتخييل عطف تفسيرله والمعنى ان هذه الآية تصوير لعظمة قدر القرءآن وقوة تأثيره وانه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته وصلابته لرأيته ذليلا متصدعا من خشية الله خوفا من ان لايؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرءآن واقامة مافيه من التكاليف والاحكام والمراد منه توبيخ الانسان بانه مع ضعف بنيته ووهن قواه لايتخشع عند تلاوة القرءآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد وعظائم الوعيد وماجرى على الامم الماضية بمقابلة معاصيهم كأن لم يسمع شيأ منها فهذه الآية مثل اى قول غريب فى بيان عظمة القرءآن ودناءة حال الانسان وبيان لصفتها العجيبة فهى من جملة الامثال الواقعة فى مواضع من التنزيل فقوله تعالى وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى غيره من الامثال الواقعة فى التنزيل وقد مر مرارا ان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار منه لكل امر غريب وصفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لايخلو عن غرابة (قوله تعالى خاشعا متصدعا) حالان من الضمير المنصوب فى قوله لرأيته لانه من رؤية البصر والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق اى ذليلا بما كلفه من طاعته متشققا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه ثم انه تعالى لما وصف

(لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة) الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لايقتل بالكافر (اصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم (لو انزلنا هذا القرءآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرءآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام

القرآن بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم قدر الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذى لا اله الا هو (قوله وتعلق العلم) مجرور معطوف على الوجود وقوله اوالمعدوم والموجود مرفوع معطوف على قوله ماغاب وماحضر وكذا قوله اوالسر والعلانية (قوله وهو لغة فيه) يعنى ان القدوس بفتح القاف وضمها كلاهما من القدس بمعنى الطهارة ومعناهما البليغ فى النزاهة عن سمات المحدثات وعوارض الممكنات ونظيرهما السبوح بالضم والفتح فى البناء والمعنى وفعول بالفتح قليل فى الصفات واكثر ما يأتى منه فى الاسماء نحو تنور وسمور وهبود لجبل فى اليمامة (قوله ذو السلامة) يعنى ان السلام فى الاصل مصدر بمعنى السلامة ونحو انت السلام من قبيل رجل عدل و يدل على كونه مصدرا فى الاصل قولهم دار السلام وسلام عليكم ومنك السلام اى انت الذى تعطى السلامة وقيل انت الذى يسلم على عباده فى الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقولهم واليك يرجع السلام اشارة الى معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقولهم وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه تعالى ماداموا احياء (قوله واهب الامن) على ان المؤمن بكسر الميم الثانية اسم فاعل من آمنه بمعنى اعطاه الامن من كل خوف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف ويجوز ان يكون من آمن بمعنى صدق فانه تعالى كا يؤمن الناس من ان يظلمهم و يعاقبهم من غير ذنب فهو ايضا يصدق عباده المؤمنين فى توحيدهم وطاعتهم له ومن قرأ بفتح الميم الثانية اراد انه تعالى يؤمن و يصدق به المؤمنون فهو مؤمن به فلابد من تقدير الحال والالامتنع اطلاقه وهو معنى باطل تعالى الله عن ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله عز وجل لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين كذا فى اللباب (قوله مفيعل من الامن) فيكون بمعنى المؤمن اصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء كما يقال فى ارقت هرقت ولما قلبت هاء ابقيت ولم تحذف مع ان همزة الافعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو يكرم ومكرم لان حذفها انما كان لاجتماع الهمزتين فى المضارع المتكلم وحمل الباقى عليه و بقلبها هاء انتفت علة حذفها فلم تحذف فبقيت وهذا مثل قولهم يهريق بفتح الهاء فى مضارع هراق اصلها اراق يريق فلما قلبت همزة الافعال هاء فى المضارع ابقيت على حالها (قوله الذى جبر خلقه على ما اراده) اى اكرههم عليه وقهرهم قيل اللغة الشائعة فى هذا المعنى اجبره بهمزة الافعال وجبره على كذا لغة تميم وكثير من الحجازيين ومن عدا هذين الفريقين جعلوا الجبار فعالا من اجبره على كذا اى قهره واستدلوا به على مجيئ صيغة المبالغة من المزيد على الثلاثى قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا فى جبار ودراك فانهما من اجبر وادرك (قوله اوجبر حالهم بمعنى اصلحه) فان جبر بمعنى اصلح فهو تعالى يغنى الفقير ويجبر الكسير وعن ابن عباس قال الجبار بمعنى الملك العظيم وجبروت الله عظمته ومنه نخل جبار والعرب تسمى الملك بالجبار لكونه عظيم الشان (قوله الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة) يعنى ان صيغة التفعل للتكلف باظهار ما يحصل باصله او باظهار الزيادة على ما كان منه ولما كان التكلف مستحيلا فى حقه تعالى جعل صيغة التكلف فى حقه للدلالة على ان ما قام به من الفعل على اتم ما يكون واكمله من غير ان يكون هناك تكلف واعمال حقيقة ومنه ما يقال ترحمت على ابراهيم بمعنى زدت الرحمة فى حقه ورحمته باحق ما يتصور من الرحمة فهو تعالى متكبر بمعنى انه البالغ فى الكبرياء اقصى المراتب (قوله اذ لا يشاركه فى شئ من ذلك) علة لتنزهه عن الشريك والمنوى فى يشركه راجع الى ما الموصولة فى قوله مايشركون اى كيف يكون له شريك فى الالوهية والاله يجب ان يكون موصوفا بما ذكر من الصفات وشئ مما سواه لايشاركه فى شئ منها ويجوز ان تكون ما مصدرية (قوله الموجد لها بريئا من التفاوت) اى من العيب والخلل وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه ومفهوم البارئ الجاعل لما يوجده بريئا من التفاوت فكان الايجاد معتبرا فى مفهومه فلذلك فسره كثير من المفسرين بالموجد قال الامام الخلق هو التقدير وهو تعالى خالق بمعنى انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فالخالقية راجعة الى صفة الارادة والبارئ بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه يستعمل فى اختراع الاجسام دون الاعراض واما المصور فمعناه انه يخلق صورة الخلق على ما يريده وقدم ذكر الخالق لان ترجيح الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارى على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد الصفات وقال الامام

(هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وماحضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به اوالمعدوم والموجود اوالسر والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس) البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز الجبار) الذى جبر خلقه على ما اراده اوجبر حالهم بمعنى اصلحه (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة اونقصانا (سبحان الله عما يشركون) اذ لا يشاركه فى شئ من ذلك (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها بريئا من التفاوت (المصور) الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى (له الاسماء الحسنى) لانها دالة على محاسن المعانى (يسبح له ما فى السموات والارض) لتنزهه عن النقائص كلها (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

فى المقصد الاقصى قد يظن ان هذه الاسماء يعنى الخالق البارئ المصور مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى ان تكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا فالله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب * تم هنا ما يتعلق بسورة الحشر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

(سورة الممتحنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله الممتحنة) بكسر الحاء المختبرة اضيفت السورة الى الجماعة الممتحنة حيث انه ذكر فيها امر جماعة المؤمنين بالامتحان وان فتحت الحاء يكون المعنى سورة المهاجرة التى نزلت فيها آية الامتحان (قوله فان بها ظعينة) الظعينة المرأة ما دامت فى الهودج واذا لم تكن فيه فهى المرأة والهودج شئ تحمل فيه النساء على ظهر البعير والعقيصة الضفيرة وقيل هى التى تتخذ من شعر المرأة مثل الرمانة واصل العقص اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله وسارة اسم تلك المرأة التى هى معتقة بنى المطلب (قوله ولا غششتك منذ نصحتك) النصح الخلوص وصفاء القلب والغش ضده يقال غشه يغشه اذا اظهر له خلاف ما اضمره فى قلبه ونصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة عن التصديق والاذعان لنبوته والانقياد لاوامره ونواهيه ولما اعتذر حاطب بما ذكره من العذر عذره النبى صلى الله عليه وسلم اى قبل عذره فقال اما انه قد صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال له انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت اى لعل الله تعالى رضى عنهم بما فعلوا مع قلة عددهم وعددهم فغفر لهم جميع ما وجد منهم وما سيوجد من الذنوب لان ذلك قطب امر الدين واول نصرة المؤمنين روى ان حاطبا لما سمع نداء يا ايها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان (قوله او اخبار) عطف على قوله المودة فيكون مفعول تلقون محذوفا وتكون الباء سببية لا مزيدة اما اذا كانت المودة مفعولا به فانها قد تزاد فى المفعول به لتقوية التعدية (قوله والجملة حال) اى لا تتخذوا ملقين اليهم المودة او ملقين اليهم اسراره صلى الله عليه وسلم بسبب ما بينكم من المودة او صفة لاولياء اى اولياء تلقون اليهم انتم بالمودة اعترض على كونها حالا او صفة بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم والتقييد بالحال او بالوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف بل الظاهر انها استئناف فلا محل لها من الاعراب كانه لما قيل لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء اتجه ان يقال كيف نتخذهم اولياء فقيل تلقون اليهم بالمودة واجيب بان قولك التقييد بالحال او الوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف غير لازم لان عدم جوازه مطلقا المعلوم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال ولا للصفة هنا البتة (قوله جرت على غير من هى له) فان القاء المودة وان كان صفة لاولياء لفظا الا انه جار على المخاطبين قائم بهم من حيث المعنى ومثل هذه الصفة اذا عبر عنها بلفظ الفعل لا يجب ابراز ضمير الغير الذى جرت هى عليه من حيث المعنى بان يقال مثلا تلقون اليهم انتم بالمودة وانما يجب ابرازه فى الاسماء فانه اذا وقع بدل تلقون ملقين وجب ان يقال اولياء ملقين اليهم انتم بالمودة فان قيل كيف قيل لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء والعداوة والصداقة لكونهما متنافيين لا يجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجمع بينهما فرع عن امكان اجتماعهما قلنا انما يتنافيان عند اتحاد النسبة ولا اتحاد لها هنا لان الكفار اعداء المؤمنين من حيث انهم حاربوا الله ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما وقد احبهما المؤمنون واطاعوهما وكون الكفار اعداء المؤمنين من هذه الحيثية لا ينافى كونهم اولياء المؤمنين من حيثية اخرى كتظاهرهم فى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله تعالى عن ذلك (قوله حال من فاعل احد الفعلين) اى من ضمير لا تتخذوا او من ضمير تلقون اى لا تتخذوهم اولياء وهذه حالهم او تلقون اليهم مودتكم وهذه حالهم وقوله تعالى يخرجون حال من فاعل كفروا اى كفروا مخرجين الرسول واياكم من مكة عن ابن عباس قال كان حاطب ممن خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم او استئناف لبيان كفرهم وعتوهم

(سورة الممتحنة وهى ثلاث عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه السلام يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبرائيل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد واباس مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم فجحدت فسل على رضى الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله وعذره (تلقون اليهم بالمودة) تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هى له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق)حال من فاعل احد الفعلين (يخرجون الرسول واياكم) اى من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه

كان قائلا يقول كيف كفروا فقيل يخرجون الرسول والمؤمنين من ديارهم فان قيل لم لم يذكر ما اخرجوا منه قلنا لتناول الاخراج اخراجهم من ديارهم واموالهم وعشائرهم وما احبوه مما يتمتعون به (قوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم) فى محل النصب على انه مفعول له لقوله يخرجون اى يخرجونكم لاجل ايمانكم او كراهة ايمانكم وقوله ان تؤمنوا خطاب للرسول والمؤمنين بطريق تغليبهم عليه وقوله بالله ربكم التفات من التكلم فى قوله عدوى الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان وهو الالوهية والربوبية (قوله علة للخروج) يعنى ان انتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم لاجلى وطلب مرضاتى لاتتولوا اعدائى فقد علق النهى عن موالاة الكفار على خروجهم المقيد بكونه للجهاد وابتغاء المرضاة فيكون هذان الامران عمدتين للتعليق لما تقرر من ان القيد هو مدار الفائدة ويعتمد عليه الحكم المقيد كانه قيل لاتتولوا اعدائى ان كنتم مجاهدين فى سبيلى وطالبين مرضاتى وان كان المعلق عليه صورة هو الخروج (قوله وجواب الشرط محذوف) لان نفس لاتتخذوا لايصلح جوابا لان جواب الشرط لايتقدم عليه عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف ويحذف الجواب اعتمادا عليه والكوفيون يجيزون تقدمه عليه (قوله بدل من تلقون) فيكون معربا باعرابه ويشبه ان يكون من قبيل بدل الاشتمال لان القاء المودة والقاء اسراره عليه الصلاة والسلام اليهم بسبب المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه تسرون لبيان انه باى نوع وقع الالقاء ويجوز ابدال الفعل من الفعل كما فى قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وقول الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تضرما

(قوله اواستئناف) اى انتم تسرون ولم يرد بالاستئناف كونه جوابا لسؤال مقدر بل اراد به كونه منقطع التعلق عما قبله لفظا وفسره بقوله اى طائل لكم فى اسرار المودة بناء على ان قوله تسرون اليهم بالمودة مسوق للانكار بمعنى انه كلام منقطع التعلق عما قبله لفظا يتضمن الاستفهام الانكارى كانه قيل اى نفع لكم فى الاسرار والحال انه لافرق بين الاسرار والاعلان بالنسبة الى وهما سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ما تسرون (قوله اى منكم) على ان اعلم افعل تفضيل اى انا اعلم منكم بما تخفون وما تعلنون قيل هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصاحته للرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه فى ايمانه لان المعاتبة لاتكون الا من المحب لحبيبه كما قيل

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ثم انه تعالى اخبر المؤمنين بعداوة اهل مكة لهم وشدة شكيمتهم فيها وانه لاينفعهم القاء المودة اليهم فقال ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم (قوله ومحبته) اى مجيئ ودوا وحده يعنى انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا وهو مضارع وكذا الشرط وهو يثقفوكم ولما كانت هذه الافعال الثلاثة مضارعة كان الظاهر ان يكون ودوا مضارعا ايضا ليكون الشرط والجزاء وما عطف عليه على سنن واحد الا انه جاء وحده بلفظ الماضى للاشعار بان ارتداد المؤمنين اهم الاشياء عندهم حتى كانوا يتمنونه قبل اظهار العداوة وبسط الايدى والالسن وقبل ان يثقفوكم ايضا وذلك لان العدو أهم شئ عنده ان يضيع اعز شئ عند من يعاديه وهم يعلمون ان الذين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون انفسكم واموالكم دونه فهو اعز عليكم من الدنيا وما يتعلق بها فلما كان ارتداد المؤمنين اعز المطالب عندهم وكانوا يتمنونه قبل كل شئ جاء ودوا بلفظ الماضى للاشعار بذلك وبان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوهم ويجوز ان لايكون ودوا معطوفا على جواب الشرط بل يكون معطوفا على قوله وقد كفروا اى وقد كفروا وأحبوا كفركم ثم انه تعالى اخبر ان القرابات والاولاد التى يوالون الكفار من اجلها ويحامون عنها لاتنفعهم فقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة على ان يكون الظرف متعلقا بقوله لن تنفعكم ثم يستأنف بقوله يفصل بينكم اى يقضى الله بينكم بالحق الا ان المفهوم من تحرير المصنف ان يكون الظرف متعلقا بقوله يفصل ويكون الفصل بمعنى التفريق بين الارحام بادخال المؤمن منهم الجنة والكافر النار وبان تفريقهم من بعض بسبب ما عراهم من الهول اى غشيهم ولما اعتذر حاطب فى افشائه سر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهاره موالاة الكفار بان له ارحاما واولادا فيما بينهم وليس لهم من يحميهن من قبلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا الخ بين الله تعالى خطأه فى رأيه بان اخبره اولا ان من والاهم وتوقع حماية ارحامه واولاده منهم اعداء

(ان تؤمنوا بالله ربكم) لان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على مايوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن اوطانكم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون اواستئناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة اوالاخبار بسبب المودة (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة اومصدرية (ومن يفعله منكم) اى يفعل الاتخاذ (فقد ضل سوآء السبيل) اخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم اعدآء) ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوءكم كالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم

فقال ان يثقفوكم الآية ثم اخبره ثانيا ان ارحامك واولادك الذين توالى الكفار لاجلهم سيفرون منك عن قريب فقال لن تنفعكم ارحامكم الآية (قوله وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد) اى يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة على بناء الفاعل من التفصيل وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة على بناء المفعول من التفصيل وقرأ عاصم يفصل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد على بناء الفاعل من الثلاثى وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو يفصل بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو التفريق وكذا التفصيل الا ان بناء التفعيل فيه التكثير والتكرير والفاعل فيما بنى له هو الله تعالى والقائم مقامه فيما بنى للمفعول الظرف بعده وهو بينكم وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فى احد الاوجه وهذه اربع قرآآت للقرآء السبعة وهناك قرآآت اخر من الشواذ ثم قال تعالى والله بما تعملون من افشاء سره عليه السلام الى اهل مكة واتخاذهم اولياء ونحو ذلك بصير اى عالم ولم يقل خبير مع انه ابلغ من العليم بناء على ان الخبر بالضم هو العلم بالشئ مع طمأنينة القلب لان الخبير وان كان ابلغ من ذلك الوجه الا ان البصير فيه مبالغة من وجه آخر لدلالته على كون المعلوم فى انكشافه للعالم به بمنزلة المشاهد بحس البصر ثم انه تعالى لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وضرب به مثلا لهم حين تبرأ من قومه ليتأسوا به فقال قد كانت لكم اسوة حسنة قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة فى الموضعين من هذه السورة وفى سورة الاحزاب ايضا والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى القدوة نقل عن صاحب الكشاف انه قال القدوة والاسوة لكل واحد منهما معنيان احدهما الاقتداء والاتباع وهو الاصل والثانى المقتدى به والمؤتسى به الجوهرى ائتسى به اى اقتدى به واختار المصنف أن تكون الاسوة اسما لما يؤتسى به من الخصلة الحميدة والمراد به ههنا تبرؤه من اهل الشرك ومايعبدونه من الاصنام (قوله صفة ثانية) اى لاسوة فان اسوة اسم كان ولكم خبرها وفى ابراهيم صفة ثانية لاسوة اوخبر كان ولكم لغو متعلق بعامل مقدر من الافعال الخاصة بناء على ان اللام فيه للبيان فلما قيل قد كانت اسوة حسنة فى ابراهيم كأنه قيل لمن تقول هذا الكلام فاجيب لكم اى اقول لكم (قوله اوحال) عطف على قوله صفة ثانية وكذا قوله اوصلة لها اى ويجوز ان يكون فى ابراهيم متعلقا بحسنة تعلق الظرف بعامله ولايجوز ان يكون متعلقا باسوة لانها مصدر موصوف بحسنة ووصف المصدر اجنبى عنه ولايجوز الفصل بينه وبين معموله باجنبى الا ان يقال انه ظرف وقد تقرر انه يغتفر فى الظرف مالا يغتفر فى غيره فلا يبالى بالفصل بين المصدر ومعموله اذا كان ظرفا (قوله ظرف لخبر كان) وهو ما تعلق به لكم او فى ابراهيم ولايجوز كونه ظرفا لاسوة لما ذكر آنفا (قوله تعالى وحده) مصدر فى موضع الحال اى واحدا منزها عن الشريك (قوله استثناء من قوله اسوة حسنة) فانه تعالى لما قال قد كانت فى اقوالهم وافعالهم اسوة تتأسون بهم فيها استثنى قوله لابيه لاستغفرن لك منها وبين انه لا اسوة لكم فيه كما قال تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وكان استغفار ابراهيم قبل النهى او كان لموعدة وعدها اياه فظن ابراهيم عليه السلام انه قد انجزها فلما تبين انه مصر على الشرك تبرأ منه فلا يحل لكم ان تستغفروا للمشركين من بعد ما تبين لكم انهم اصحاب النار فلا يغفر لهم ابدا وقوله تعالى وما املك لك من الله من شئ من جملة قول ابراهيم لابيه الذى استثناه الله تعالى مما يؤتسى به من اقواله وافعاله فلما ورد ان يقال كيف يصح كونه من تمام قوله المستثنى وهو فى نفسه كلام حسن يحسن ان يؤتسى به غير حقيق بالاستثناء اشار الى دفعه بقوله ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزآئه يعنى ان ما ذكر انما يدل على عدم صحة كونه مقصودا بالاستثناء ومستثنى بانفراده واما اذا استثنى مجموع مقالته وكان المقصود بالاستثناء من ذلك المجموع استثناء جميع اجزآئه وقرن به مابعده من كلام ابراهيم تحقيقا لوعده فكأنه قال لأستغفرن لك وما فى طاقتى الا هذا فهو مبذول لا محالة فلما كان هذا تابعا لما قبله ومتفرعا عليه وهو من كلام ابراهيم ادخل فى المستثنى ولا يلزم من عدم صحته عدم صحة كون مجموع مقالته مستثنى لانه فى قوة ان يقال لاستغفرن لك وليس فى وسعى وطاقتى الا الاستغفار فهو مبذول لك فحكى الله تعالى هذا المجموع عنه عليه الصلاة والسلام واستثناه مما اثبت فيه من الاسوة والمقصود من الاستثناء من هذا المجموع هو وعد الاستغفار لابيه الكافر بقوله لاستغفرن لك ولما كان ما بعده مذكورا لتحقيق الوعد المذكور وبيانا لوجهه ادخل فى المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزآئه

(يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فالكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قد كانت لكم اسوة حسنة) قدوة اسم لما يؤتسى به (فى ابراهيم والذين معه) صفة ثانية اوخبر كان ولكم لغو او حال من المستكن فى حسنة اوصلة لها لا لأسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اى بدينكم او بمعبودكم اوبكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة (الاقول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك) استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان تأسوا به فانه كان قبل النهى اولموعدة وعدها اياه (وما املك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزآئه

(ربنا عليك توكلنا واليك انبنا و اليك المصير)
متصل بماقبل الاستثناء اوامر من الله للمؤمنين
بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم
و بين الكفار (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)
بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله
(واغفر لنا) مافرط (ربنا انك انت العزيز الحكيم)
ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل و يجيب
الداعى (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) تكرير
لمزيد الحث على التأسى بابراهيم ولذلك صدر
بالقسم وابدل قوله (لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر) من لكم فانه يدل على انه لا ينبغى لمؤمن
ان يترك التأسى بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة
ولذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)
فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله ان يجعل
بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة) لما نزل
لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين
وتبرؤا منهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم
وصار والهم اولياء (والله قدير) على ذلك (والله
غفور رحيم) لما فرط منكم فى موالاتكم من قبل
ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم
من دياركم) اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله
(ان تبروهم) بدل من الذين (وتقسطوا اليهم)
تقضوا اليهم بالقسط اى العدل (ان الله يحب المقسطين)
اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت
مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه
بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فى الدخول فنزلت
(انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم)
كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين
و بعضهم اعانوا المخرجين (ان تولوهم) بدل
من الذين بدل الاشتمال (ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون)لوضعهم الولاية فى غير موضعها (يا ايها
الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
قلوبهن السنتهن فى الايمان (الله اعلم بايمانهن) فانه
المطلع على مافى قلوبهن

مع ان قوله وما املك لك من الله من شئ يدل على انه لو ملك له ماهو اكثر من الاستغفار لفعل فكان ملحقا
بماقبله وفى معناه فكان حقيقا بالاستثناء (قوله متصل بماقبل الاستثناء) اى هو داخل فى جملة ماأثنى الله
تعالى فى ابراهيم ومن معه مما يؤتسى به من الاقوال والافعال الدالة على تخلقه بالاخلاق الحميدة المرضية كقوله
وما املك لك وفصل بينه و بين ماقبل الاستثناء بالاستثناء (قوله اوامر من الله) اى ويجوز ان لا يكون من جملة
مقالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل يكون امرا من الله سبحانه للمؤمنين باضمار قولوا اى اظهروا لهم
العداوة ولا يهولنكم كثرة عددهم وعددهم وقولوا ربنا عليك توكلنا الآية اى قولوا عليك اعتمدنا واليك رجعنا
بالاعتراف من ذنوبنا واليك المرجع فى الآخرة (قوله بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله) فعلى
هذا تكون الفتنة مصدرا بمعنى الفتون وعن الزجاج انه قال لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك
وعن مجاهد قال لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم هذا (قوله
وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم) ليس من قبيل بدل الكل من الكل لما تقرر فى النحو
انه لا يبدل ظاهر من ضمير المتكلم او المخاطب بدل الكل من الكل فلا يقال فى المسكين كان الامر ولا عليك
الكريم المعول لئلا ينقص المقصود بالنسبة عن غيره فى الدلالة على الذات المرادة مع اتحاد الذات والظاهر ان
مافى الآية من قبيل بدل الاشتمال لان التابع لكونه اعم من المتبوع يشمله وغيره (قوله تعالى لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر) اى يخافه ويخاف عقابه فى الآخرة او يرجو ثواب الله تعالى بالائتساء بهم فان الرجاء
كما يكون بمعنى التوقع والامل يكون بمعنى الخوف ايضا قال تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون
عظمة الله تعالى وقال الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * اى لم يخف ولم يبال (قوله فانه يدل على انه
لا ينبغى لمؤمن ان يترك التأسى بهم) تعليل انفهام مزيد الحث على التأسى بابراهيم من البدل (قوله تعالى ومن
يتول) اى ومن يعرض عن الائتساء بالانبياء وسنة المؤمنين ويوال الكفار فان الله هو الغنى عن خلقه وعن
موالاتهم ونصرهم لاهل دينه اذ لم يخلقهم لحاجة اليهم بل هو ولى دينه وناصر حزبه والحميد المستحق للحمد فى ذاته
وفى جميع افعاله وهو وعيد بليغ لمن يتولى عن التأسى بهم اشار اليه المصنف بقوله فانه جدير بان يوعد به الكفرة
(قوله فوعدهم الله تعالى بذلك) فان عسى من الله تعالى وعد ولا يخلف الله وعده وهو معنى قولهم عسى من الله
واجبة (قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) اختلفوا فى المراد من الذين لم يقاتلوكم فالاكثرون
على انهم اهل العهد الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك القتال والمظاهرة فى العداوة وهم خزاعة
كانوا عاهدوا الرسول على ان لا يقاتلوه ولا يخرجوه فامر الرسول عليه الصلاة والسلام بالبر والوفاء الى مدة
اجلهم وقال مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وعن عبد الله بن الزبير انها نزلت فى
اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه وكان ابو بكر تزوج امها قتيلة ثم طلقها فى الجاهلية ثم قدمت مشركة على بنتها اسماء
فى المدة التى كانت فيها المصالحة بينه عليه الصلاة والسلام وبين كفار قريش الخ (قوله بدل من الذين) اى
بدل اشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فالمنهى عنه قصدا هو برهم بالقول وحسن المعاشرة
والصلة بالمال لا انفسهم اذ انفسهم انما ذكرت توطئة للمقصود والقسط العدل اى المعاملة بما يعادل معاملتهم
معكم فانهم اذا لم يخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا برمنهم فالعدل معهم ان تبروهم ايضا وبهذا استدل ابو حنيفة
ومحمد رحمهما الله فى دفع ماسوى الزكاة من الصدقات الى اهل الذمة واستثنى الزكاة من جملتها لحديث معاذ رضى
الله عنه خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم (قوله فاختبروهن بما يغلب على ظنكم) قيل انه كان من ارادت منهن
اضرار زوجها قالت ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر عليه السلام بامتحان من هاجرت اليه
مظهرة للايمان واختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام باى شئ يمتحنهن فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان
يمتحنهن بان يستحلفهن بالله ماخرجت بغضا لزوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماسا للدنيا ولا عشقا
لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وماخرجت الا رغبة فى الاسلام وحبا لله ورسوله فاذا حلفت بالله الذى لا اله
الا هو على ذلك اعطى النبى صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردها لقوله تعالى فان
علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان امتحانهن ان
يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا شهدن به مع طيب النفس لا يرجعن الى الكفار وعن عائشة رضى

الله عنها انها قالت ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيأ الآية اى بقبول هذه الشروط سماهن مؤمنات قبل الامتحان لمشارفتهن الايمان بالامتحان وقبول الشروط المذكورة وكانت المهاجرات اذا قدمن قعدن عنده عليه السلام فيقول عليه الصلاة والسلام لهن ابايعكن على ان لاتشركن بالله شيأ ويتلو عليهن الآية الخ فاذا اقررن بذلك قال قد بايعتكن فارتفعن قالت عائشة رضى الله عنها والله مامست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة فى المبايعة الا بقوله والآية التى فى هذه السورة نزلت عام الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام صالح اهل مكة بالحديبية على ان من لحق بالكفار من المسلمين لم يردوه ومن لحق بالمسلمين مسلما منهم رد عليهم وكانت المصلحة فيه فى ذلك الوقت فلما ختم كتاب الصلح جاءت سبيعة مسلمة فاقبل زوجها مسافر فقال اردد على امرأتى كما هو الشرط وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت فنسخ ذلك الحكم فى حق النساء حث الله تعالى فيهن ان لا يرددن اليهم وفى الرجال ان يردوا اليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن والعجز عن الصبر على الفتنة ثم انه تعالى نفى حل كل واحد من الزوجين للآخر اذا اسلمت المرأة والزوج كافر ثم الايمان قد ذكر فى هذه الآية على ثلاثة اوجه الاول الايمان المدلول عليه بمجرد الاقرار باللسان والهجرة الينا وهو قوله اذا جاءكم المؤمنات وصفهن بالايمان بناء على انهن اظهرن ذلك والثانى الايمان المدلول عليه بالامارات التى تفيد غلبة الظن بموافقة قلوبهن ألسنتهن وهو قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات اى فان غلب على ظنكم اخلاصهن فى الايمان فان غلبة الظن حجة فى الشرع قائمة مقام العلم والثالث الايمان الحقيقى الذى هو طمأنينة القلب على الاعتقاد الحق وهو قوله الله اعلم بايمانهن وفائدة ايراد هذه الجملة مع ان مضمونها معلوم لاشبهة فيه بيان انه لاسبيل لنا الى الاحاطة بحقيقة الحال وليس فى وسعنا الا الاكتفاء بالظن الغالب الذى يحصل بالامتحان (قوله والتكرير للمطابقة) اى بين الزوجين فى ان كل واحد منهما لايحل للآخر ونفى الحل من جانب وان كان مستلزما لنفيه من الجانبين لكن لم يكتف بالدلالة التزاما بل صرح بنفى الحل من الجانبين للمبالغة فى ثبوت الحرمة اذا اسلمت المرأة والزوج كافر (قوله لزمه رد مهورهن) لئلا يلحق الخسران بازواجهن من وجهين الزوجة وما دفع اليها من المال والحكم برد الصداق انما هو فى نساء اهل العهد واما من لاعهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم شئ من المهر قال الامام ابو الليث فى تفسير قوله تعالى وآتوهم ما انفقوا يعنى واعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر ثم نقل عن مقاتل انه قال يعنى ان تزوجها احد من المسلمين يدفع المهر الى الزوج فان لم يتزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شئ واعلم انه تعالى علق رفع الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات بايتاء اجورهن فيجب ان يتقدم ايتاء الاجور على عقد النكاح حتى يحل النكاح ويرتفع الجناح ثم ان فسرت الاجور بالمهور التى تكون من جانب المسلمين يجب على المسلمين ان يسوقوا لهن مهورهن قبل العقد ليدفعنه الى ازواجهن من الكفار وان فسرت بالمهور التى انفقها ازواجهن الكفار فلابد ان يدفعها المسلمون اليهن على سبيل القرض ليدفعنه الى ازواجهن الاول ثم يتزوجهن المسلمون على ما أدوا اليهن من الدين ليكون ما وجب عليهم بالعقد والدخول قصاصا عما وجب عليهن بالقرض وان دفع المسلمون اليهن مهور ازواجهن الاول بطريق الهبة وجب عليهن بعد العقد مهورهن هذا هو المفهوم من الكشاف والظاهر ان قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار نهى للامة عن ردهن الى الكفار بعد ان علموهن مؤمنات ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وكذا قوله وآتوهم ما انفقوا امر لهم بان يعطوا ازواجهن الكفرة ما دفعوا اليهن من المهور من بيت المال الذى لايتعين له مصرف اذا طالب الزوج الكافر ردها فانه لما امتنع من ردها الى زوجها الكافر لحرمة الاسلام امر الامام برد المال وفاء العهد بقدر الامكان واذا لم يطالبها زوجها الكافر اوماتت الزوجة المهاجرة قبل حضور الزوج لايغرم الامام شيأ لعدم تحقق المنع من قبله وقوله تعالى ولاجناح عليكم ان تنكحوهن اى فى ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن المراد بالاجور فيه مهورهن الواجبة لهن على من يتزوجهن من المسلمين والمراد بايتائها الذى هو شرط انتفاء الجناح هو التزام الايتاء كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية فان استحلال البضع بعقد النكاح لاينفك عن لزوم ايتاء المال وان ما اعطى ازواجهن لايقوم مقام المهر فى نكاحهن واحتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بقوله ولاجناح عليكم ان تنكحوهن على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة بمجرد تباين الدارين ولايرى

(فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) اى الى ازواجهن الكفرة لقوله (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) والتكرير للمطابقة والمبالغة اوالاول لحصول الفرقة والثانى للمنع عن الاستئناف (وآتوهم ما انفقوا) ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى الله عنه (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار (اذا آتيتموهن اجورهن) شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لايقوم مقام المهر

(ولا تمسكوا بعصم الكوافر) بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد (واسألوا ما انفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسألوا ما انفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات (ذلكم حكم الله) يعنى جميع ما ذكر فى الآية (يحكم بينكم) استئناف اوحال من الحكم على حذف الضمير اوجعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ما تقتضيه حكمته (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ من ازواجكم الى الكفار) احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم اوشئ من مهورهن (فعاقبتم) فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا) من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت

العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها بدون العدة الا ان تكون حاملا وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تجب عليها العدة ووجه احتجاج ابى حنيفة انه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضى العدة فلولا ان الفرقة تقع بمجرد الوصول الى دار الاسلام لكان الجناح ثابتا فى نكاحهن وعند الامام الشافعى رحمه الله لا تقع الفرقة بمجرد تباين الدارين وانما تقع باسلامها او بالسبى وان سبيا معا اما الاول فلانه تعالى حرم المسلمة على الكافر واما الثانى فلان السبى يقتضى صفاء الملك للسابى ولا يتحقق صفاؤه مع بقاء النكاح بينها وبين زوجها فقول المصنف فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار يشعر بان الحائل هو الاسلام دون الهجرة وتباين الدارين وذلك مبنى على مذهبه (قوله بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب) يعنى ان العصمة فى الاصل وان كانت مصدرا بمعنى الحفظ والمنع الا ان المراد بها فى هذه الآية ما يكون سببا لاعتصامهن كان الفتنة فى قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بمعنى سبب الافتتان والامساك والتمسك والتمسيك كلها بمعنى واحد وهو التعلق والمعنى ولا تتعلقوا بعقد الكوافر ونكاحهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية بعدما اسلمتم وهاجرتم من دار الكفر وبقيت ازواجكن فيها كافرات وهذا معنى قول المصنف والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدى بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه وقيل المراد بالكوافر المرتدات اى اذا ارتدت فلا تتعلقوا بما كان بينكما من العقد فانه قد زال بارتدادها وانقطعت عصمتها عنكم ولا وجه للتخصيص فان الكوافر تعم المشركات والمرتدات بين الله تعالى بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله اذا آتيتموهن اجورهن حكم النساء اللاتى اسلمن وخرجن من دار الكفر وبين بقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما اسلمن ولا هاجرن بعد اسلام ازواجهن وهجرتهم اوحكم اللاتى ارتددن على ما قيل (قوله تعالى واسألوا ما انفقتم) اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها منهم وكذا يسأل كل حربى اسلمت امرأته وهاجرت الينا مهرها ممن تزوجها منا وظاهر قوله تعالى وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام الا ان المراد امر المؤمنين بالاداء بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة (قوله تعالى يحكم بينكم) يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا لا محل له كانه قيل بين من يحكم الله تعالى فاجيب بان قيل يحكم بينكم وان يكون حالا من حكم الله والجملة اذا وقعت موقع الحال لا بد ان تكون مشتملة على ضمير ترتبط به الجملة بذى الحال وذلك الضمير اما مستتر فى يحكم عائد الى الحكم على جعل الحكم حاكما على المبالغة كما فى جد جده اوضمير بارز محذوف للعلم به منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليحكم والمستتر فيه عائد الى الحكم على جعل الحاكم الله بينكم روى انه لما نزل قوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ادى المؤمنين مهور المهاجرات المؤمنات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين اى قال المسلمون رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين قد حكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءتكم امرأة منا توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به وابوا الانقياد لحكم الله تعالى من اداء ما انفق المسلمون على زوجاتهم من المهر فانزل الله تعالى وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار وقال ابن زيد خرجت امرأة من المسلمين الى المشركين واتت امرأة من المشركين الى المسلمين فقال القوم هذه عقبتكم اى نوبتكم قد اتتكم فنزلت اى ان تفر واحدة من ازواجكم الى الكفار مرتدة وسألتم منهم ان يؤدوا المهر اليكم فابوا فان هاجرت امرأة منهم اليكم مسلمة فآتوا من فرت امرأته الى الكفار مرتدة مثل مهرها من مهر مهاجرة جاءتكم ولا تؤتوه زوجها الكافر ليكون قصاصا جعل قوله تعالى فعاقبتم من العقبة بمعنى النوبة فان المعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا اذا جاء فعل كل واحد منهما عقيب فعل الآخر واداء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم ان يعقب اداء الاخر لجواز ان يتوجه الاداء الى احد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون اى لا يتناوبون فى الاداء الا انه شبه ما حكم به على الفريقين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه فاطلق على الاداء المذكور اسم العقبة بمعنى المتعاقب فيه ثم اشتق منه فعاقبتم على طريق الاستعارة التبعية (قوله وقيل معناه) اى معنى قوله تعالى وان فاتكم شئ الآية

انه ان انفلتت واحدة من ازواجكم الى الكفار وامتنعوا ان يغرموا مهرها فانبذوا اليهم عهدهم وقاتلوهم حتى اذا ظفرتم وغلبتم عليهم وغنمتم شيأ فاعطوا من انفلتت زوجته اليهم من تلك الغنيمة مثل ما انفق عليها ولعل وجه تفسير قوله تعالى فعاقبتم بان قال واصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة اى فغنمتم معاقبة الكفار اى عقاب المسلمين اياهم بانواع العقوبات من الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمى بالسهم ونحو ذلك اذ المعاقبة سبب للاغتنام فاطلق اسم المعاقبة واريد المسبب مجازا مرسلا (قوله نزلت يوم الفتح) اى لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وجاءته النساء يبايعنه نزلت وشرط الله تعالى فى مبايعتهن ان يأخذ عليهن هذه الشروط حتى تقبل بيعتهن ولما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسفل منه وهند بنت عتبة منتقبة متنكرة مع النساء خوفا من ان يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ابايعهن على ان لا يشركن بالله شيأ فقالت هند انك لتأخذ علينا عهدا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان عليه الصلاة والسلام قد بايع الرجال على الجهاد وعلى الاسلام فقط ثم قالت عبدنا الاصنام فما اغنت عنا ثم قال عليه الصلاة والسلام ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل ممسك وانى اصبت من ماله هنات فلا ادرى أتحل لى ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال ولا يزنين فقالت هند أو تزنى الحرة فقال عمر لو كان قلب نساء العرب مثل هند ما زنت امرأة منهن فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن اولادهن اى بالوأد فقالت ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا يوم بدر وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال عليه الصلاة والسلام ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فالمراد بالبهتان الولد المبهوت به وليس المعنى على نهيهن عن ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى ازواجهن لان ذلك قد نهى عنه بقوله ولا يزنين وصف الولد الملتقط الذى تلحقه المرأة بزوجها بكونه مفترى بين يديها ورجليها لانها تقول هذا ولدى منك حملته فى بطنى الذى هو بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى والبهتان فى الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا وبهتانا اى قال عليه ما لم يفعله وزيد باهت وعمرو مبهوت والذى بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها هذا ولدى منك فقد بهتته به حيث قالت عليه ما لم يفعله وجعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة فى وصفهن بالكذب فلما سمعت هند هذا قالت والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال عليه الصلاة والسلام ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ فبايعهن عليه الصلاة والسلام بهذه الخصال الست فقبلها وما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة قط الا امرأة تملكها غير انه بايعهن بالكلام عن اميمة بنت رقيقة انها بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقالت يا رسول الله صافحنا فقال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة وما بايعهن الا بالكلام بهذه الاية وقيل بايعهن وعلى يده ثوب قطرى اى ثخين غليظ وقيل امر عمر رضى الله عنه ان يبايعهن عنه ففعل وعلى يده ثوب ذكر الله تعالى فى صفة بيعتهن خصالا ستا هن اركان ما نهى عنه فى الدين وكان يكثر تركها فى النساء وكانت حرمتها دائمة فى كل زمان وفى كل حال بخلاف اركان ما امر به من الصلاة والزكاة فانها منوطة باوقات مخصوصة وشرائط معينة فكان التنبيه على اشتراط ما دام واستمر فى كل وقت اهم وآكد ثم انه قدم من هذه المنهيات ما هو الاقبح على ما هو ادنى منه فى القبح ثم الى آخرها وكذا قدم ما هو اكثر وقوعا فيما بينهم وقوله تعالى يبايعنك فى موضع الحال من المؤمنات اى مبايعات وقوله يفترينه اما فى موضع الجر على انه صفة بهتان او فى موضع النصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهن على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين (قوله فى حسنة تأمرهن بها) وهى تعم كل امر فيه رشدهن كالنهى عن النياحة والدعاء بالويل والثبور وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الا ذا رحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الا مع ذى محرم (قوله تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق) ووجه التنبيه انه لم ينبه على معصيته عليه الصلاة والسلام مطلقا بل قيد النهى عنها بكونها فى المعروف فقيد كونها فى المعروف اشعر بان معصيته عليه الصلاة

وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى اى غنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضى التقوى منه (يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ) نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف) فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق (فبايعهن) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم

يا ايها الذين امنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني عامة الكفار او اليهود اذروى انها نزلت في بعض فقرآء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها اولعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر أيأسهم * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

(سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله مافي السموات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لوعلمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه (كبر مقتا عندالله ان تقولوا مالا تفعلون) المقت اشد البغض ونصبه على التميز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه

والسلام في المنكر غير منهي عنها مع العلم بانه عليه الصلاة والسلام لايأمر بالمنكر ولما لم تجز طاعته في المنكر مع انه سيد الكائنات علم انه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق سميت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها فان الامة اذا التزموا قبول ماشرط عليهم من تكاليف الشارع طمعا في ثواب الرحمن وهربا من أليم عذابه وضمن عليه السلام ذلك بمقابلة وفائهم بالعهد المذكور صار كل واحد منهم كأنه باع ماعنده بما عند الآخر (**قوله** يعني عامة الكفار او اليهود) نهى الله المؤمنين في اول السورة عن موالاة المشركين الذين اخرجوا الرسول واياهم بسبب ايمانهم بالله ثم نهاهم في آخرها عن موالاة الكفرة مطلقا وعن موالاة اليهود خاصة وقوله تعالى غضب الله عليهم صفة لقوما وكذا قوله قد يئسوا وقوله من الآخرة متعلق بيئسوا اي يئسوا من البعث والحساب والجزآء لان المشركين لايؤمنون بالآخرة واليهود وان كانوا يؤمنون بها الا انهم لما كذبوا خاتم النبيين حسدا وعنادا مع علمهم بانه رسول صادق يئسوا من ان يكون لهم في الاخرة ثواب الجنة ونعيمها وقوله من اصحاب القبور يحتمل ان يكون متعلقا بيئس الثاني فيكون الكفار من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية يأسهم فيكون المعنى لاتتولوا عامة الكفار الذين يئسوا من الآخرة يأسا مثل يأسهم من اصحاب القبور اي من ان يبعثوا ويحتمل ان يكون من البيان الجنس لا لابتداء الغاية فيكون المعنى لاتتولوا اليهود الذين يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الآخرة وثوابها وذلك ان الكافر اذا وضع في قبره اتاه ملك مهيب يسأله من ربك ومادينك ومن رسولك فيقول لا ادري فيقول الملك ابعدك الله انظر الى منزلك من النار فينظر اليه فيدعو بالويل والثبور فيقول هذا لك ياعدو الله فيفتح له باب من الجنة فينظر اليه فيقول هذا لمن آمن بالله فلوكنت آمنت بربك لنزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه من خير الآخرة فذلك قوله تعالى للاحياء من الكفار يئسوا من الآخرة اي من خيرها كما يئس الاموات من الكفار من خيرها حين عاينوا منازلهم من النار * تمت سورة الممتحنة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

(سورة الصف مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(**قوله** والاكثر حذف ألفها مع حرف الجر) اي حرف كان نحو لم وبم وفيم وعم فلما اعتنقا وصارا كلفظ واحد وضع للدلالة على المستفهم عنه وكثر استعمالهما معا اقتضى ذلك تخفيف اللفظ فحذفت لذلك الف ما الاستفهامية وليس المراد منه حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله تعالى محال لانه تعالى عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه مالا يفعله لانه ان اخبر انه فعل في الماضي اوفي الحال ولم يفعله كان كذبا وان وعد ان يفعل في المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم منه وفيه دلالة على ان كل من ألزم نفسه عملا فيه قربة وطاعة لله تعالى يجب عليه الوفاء به نحو ان ينذر نذرا مطلقا كقوله لله على صوم اوصلاة اوصدقة اومقيدا بشرط كقوله ان قدم غائبي اوان كفاني الله تعالى شر كذا فعلي صدقة (**قوله** المقت اشد البغض) اشارة الى ان هذا النظم فيه مبالغة من وجوه ايثار طريق التميز وعدم الاقتصار على ان يجعل قولهم هذا بغضا كبيرا بل جعل اشد البغض وافحشه ولم يقتصر ايضا على جعله اشد البغض مطلقا بل جعله اشد البغض عندالله تعالى فان ماكبر عنده مع انه يصغر عنده كل كبير يكون اكبر الكبائر (**قوله** ونصبه على التميز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عنده تعالى) يعني ان الكلام من قبيل طاب زيد نفسا من حيث ان كبر مسند الى قوله ان تقولوا مالا تفعلون ومقتا تميز لرفع الابهام المستقر في نسبة المقت الى قولهم هذا محول من الفاعلية والاصل كبر مقت قولكم هذا حول الكلام عن هذا الاصل واسند الكبر الى ان تقولوا وجعل مقتا تميزا رافعا للابهام عن الذات المقدرة في نسبة الكبر الى قولهم هذا فانه لا ابهام في مفهوم الكبر ولا في قولهم هذا بل الابهام في الذات التي اسند اليها الكبر حقيقة فان التقدير كبر شيء شيأ من نسبة الكبر الى قولهم هذا وقوله مقتا فسر ذلك الشيء ورفع الابهام عنه والحكمة في اختيار هذا الاسلوب الدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير ووجه الدلالة انه لوقيل كبر مقت ان تقولوا لم يفهم منه كون قولهم مقتا محضا وانما يفهم كونه ذا مقت يمقته الله تعالى لان الاضافة انما تدل على نوع من الملابسة بين المضاف والمضاف اليه لا على اتحادهما بالذات بخلاف ما اذا جعل المقت تميزا عن ذات نشأت عن النسبة الى الفاعل فانه يدل على ان المنسوب اليه في الاصل

هو المقت الذى عبر عنه بقوله ان تقولوا ثم فسر ذلك القول بالمقت بناء على ادعاء ان ذلك القول هو نفس المقت للمبالغة فى تعلق المقت به وفى المنع عنه كما فى قولك رجل عدل وقوله مبالغة فى المنع عنه مفعول له لقوله ونصبه على التمييز لكن بعد تقييده بقوله للدلالة ثم انه تعالى لما انكر على عدم ثبات المجاهدين فى موضع القتال يوم احد بعد ما بين لهم انه احب الاعمال عند الله تعالى بين لهم ان ما يحبه الله تعالى و يرضاه هو ثبات المجاهدين كثبوت البناء المرصوص فقال ان الله يحب الذين يقاتلون الآية والمحبة لكونها كيفية انفعالية لا تسند اليه تعالى الا بتأويل وهو ان يراد بها الرضى عن الخلق اوالثناء عليهم والمعنى انه تعالى يرضى عمن ثبت فى مكانه عند مجاهدة الكفار كثبوت البناء والتراص التضام والتلاصق عن سعيد بن جبير قال هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم فلا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان اولرسالة يرسله الامام اومنفعة تظهر فى الانتقال عن المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه لا بأس فيه ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا يبرز احد طلبا لذلك لان فيه رياء الا ان يطلب الكافر من يبارزه كما كان يوم بدر وفى غزوة خيبر (قوله حال من المستكن فى الحال الاولى) لان صفا بمعنى مصطفين ففيه ضمير وقوله كأنهم بنيان حال منه على التداخل وهو ان تعمل الحال الاولى فى الثانية ويكون الحالان لشيئين مختلفين وترادف الحالين ان يكونا لشئ واحد والبنيان واحد كالبناء ولذلك وصف بقوله مرصوص ولم يقل مرصوصة ثم انه تعالى لما عير من لم يثبت فى موضع القتال بعدم الوفاء وحث المؤمنين على الثبات فيه وعلمهم بلسان الرسول كيف ينبغى ان يكونوا حال القتال ذكر بعده قصة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وانهما امرا قومهما باتباع دين الله تعالى وطاعة رسوله فيما دعاهم اليه وانهم زاغوا عن الحق واتبعوا اهواءهم فخذلهم الله تعالى ولم يوفقهم للاهتداء وقبول الحق جزاء على اختيارهم الباطل وعدم سعيهم فى اصابة الحق بالنظر فى الدلائل المنصوبة فقال واذ قال موسى لقومه الاية اى واذكر اذ قال اوحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا فيكون منصوبا بما دل عليه ما بعده كأنه قيل حين قال لهم زاغوا (قوله وقد تحقيق العلم) كأنه قيل تؤذونني عالمين انى رسول الله اليكم علما يقينا لا شبهة فيه وطريق ايذائهم انهم نسبوا اليه الادرة وان قارون حمل امرأة على ان تدعى على موسى انه زنى بها وقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقولهم انت قتلت هرون عليه الصلاة والسلام وغير ذلك والزيغ الميل يقال ازاغه عن الطريق اى اماله عنه والمعنى فلما عدلوا عن الحق امال الله قلوبهم عن قبوله جزاء على ما ارتكبوا من ايذائهم نبيهم ودل ذلك على انه تعالى خالق لافعال عباده كلها حسنها وقبيحها وانه تعالى يضل من علم منه اختيار الضلال و يهدى من علم منه اختيار الاهتداء (قوله لانه لا نسب له فيهم) لان النسب المعتبر ما يكون من قبل الاب (قوله لانه لغو) يعنى ان قوله اليكم متعلق برسول لانه بمعنى مرسل اوارسلت والظرف اللغو لا يعمل لان حروف الجر لا تنصب بنفسها بل بما فيها من معنى الفعل فاذا كانت متعلقة بالمذكور قبلها لا تتضمن معنى الفعل فلا تعمل واحمد من جملة اسماء نبينا صلى الله عليه وسلم والظاهر انه منقول من الوصفية بناء على انه فى الاصل اسم تفضيل بمعنى احمد الحامدين لربه فان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم حمادون لربهم ونبينا احمد اى اكثرهم حمدا وكذا محمد فانه منقول من الوصفية لكونه فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والكثرة فانه محمود فى الدنيا بكونه سيد المرسلين وجامع فضائل الانبياء اجمعين كما قال

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف * وانسب الى قدره ماشئت من عظم

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

ومحمود فى الآخرة بما اختص به فيها من الشفاعة الكبرى والحوض المورود والمقام المحمود كما قال

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته * لكل هول من الاهوال مقتحم

روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان لى اسماء انا احمد وانا محمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى رواه البخارى (قوله تعالى فلما جاءهم) اى لما جاءهم عيسى بالمعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار اتقياء

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به (كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) مقدر باذكر اوكان كذا (ياقوم لم تؤذونني) بالعصيان والرمى بالأدرة (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لا يهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق اوالى الجنة (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل) ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا نسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى) فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل (اسمه احمد) يعنى محمدا عليه السلام والمعنى دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ما جاء به اواليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام

(ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) اى لااحد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الا فترآء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه (والله لايهدى القوم الظالمين) لايرشدهم الى ما فيه فلا حهم (يريدون ليطفئوا) اى يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها كما فى لاابالك او يريدون الافترآء ليطفئوا (نور الله بافواههم) يعنى دينه او كتابه اوحجته بطعنهم فيه (والله متم نوره) مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة (ولوكره الكافرون) ارغاما لهم (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) بالقرآن اوالمعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جميع الاديان (ولوكره المشركون) لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك

كانهم من الفقد انبياء يرضون من الله باليسير والقليل من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل (قوله ممن يدعى الى الاسلام) اى ممن يدعوه ربه الى الاسلام على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بتسمية نبيه ساحرا فان السحر كذب وتمويه فمن قال فى حقه انه ساحر فقد كذب ووصفه بانه كذاب وتكذيب من صدقه الله تعالى فى دعوى الرسالة باظهار المعجزات الباهرة على يده وتكذيب حقية رسالته نفى للثابت فيكون افترآء للكذب على الله وكذا تسمية المعجزات سحرا اثبات لما نفى عنه فقوله فانه يعم الخ تعليل لتناول الافترآء للتكذيب والتسمية فان تكذيبه عليه الصلاة والسلام نفى للثابت وتسمية ماظهر على يديه من الآيات والمعجزات سحرا اثبات للمنفى وكلاهما افترآء عليه تعالى (قوله وقرئ يدعى) اى بفتح الياء والدال المشددة وكسر العين على بناء الفاعل بمعنى يدعو فان فعل وافتعل قديكون بمعنى واحد نحو لامسه والتمسه فالضمير ان وهما قوله وهو والمستتر فى قوله يدعى يرجعان الى الجلالة فهذه القرآءة من حيث المعنى كالقرآءة المشهورة وهى قرآءة يدعى بضم الياء وسكون الدال الخفيفة وفتح العين على بناء المفعول والضمير ان فى هذه القراءة يرجعان الى من (قوله واللام مزيدة) اى فى مفعول الارادة فان اصله ان يطفئوا زيدت اللام مع فعل الارادة تأكيدا له فان اللام لمافيها من معنى الارادة تصلح مؤكدا لمضمون فعل الارادة فانك اذاقلت جئتك لاكرامك يفهم منه معنى الارادة كما ان اللام لمافيها من الدلالة على الاختصاص زيدت لتأكيد معنى الاضافة المقتضية للاختصاص فى نحو لاابالك فان اصله لاابالك (قوله اويريدون الافترآء ليطفئوا) على ان اللام للعلة والمفعول محذوف وهو افترآء الكذب على الله تعالى والاطفاء الاخماد شبهت حالهم فى اطفاء نور الاسلام بمجرد القول بالفم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (قوله مبلغ غايته بنشره) اشارة الى جواب ما عسى ان يقال الاتمام لايكون الاعند النقصان فما معنى نقصان نور الله الذى هو دينه او كتابه او حجته وتقريره حاشى نور الله تعالى عن النقصان فى ذاته بل المراد نقصان أثره الذى هو ظهوره فى الآفاق وعلوه على ظلمة الجهل الشائعة فى البلاد وكذا المراد بالاكمال فى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يريد به اظهاره ونشره بتكثير اهله بحيث يتمكنون من قهر اعداء الدين وعن ابى هريرة ان ذلك يكون عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء قيل سبب نزول هذه الاية انه عليه الصلاة والسلام ابطأ عليه الوحى اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يامعشر اليهود أبشروا فقد اطفأ الله تعالى نور محمد فما كان لينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن عليه الصلاة والسلام لذلك فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية واتصل الوحى بعده (قوله وقرأ ابن كثير الخ) علم منه ان الباقين قرأوا بتنوين متم ونصب نوره فالاضافة تخفيف والتنوين هو الاصل والجملة فى محل النصب على الحالية من فاعل يريدون والو فى قوله تعالى ولوكره الكافرون شرطية بمعنى ان وجوابها محذوف مدلول عليه بماقبلها اى وان كرهوا ذلك فان الله تعالى يفعله لامحالة وهذه الجملة حال من الحال المتقدمة وهى قوله تعالى والله متم نوره على طريق التداخل ولعل الحكمة فى ذكر لفظ الكافرين ههنا وذكر لفظ المشركين فيما بعده ان هذا المقام مقام ارغام الكافرين بنعمة الله تعالى فان اتمام النور ونشره فى الآفاق من النعم فلاجرم تكون كراهة ذلك غاية فى كفران النعمة مقتضية لتجهيلهم وارغامهم فاوثر لفظ الكافرين لكونه أليق بهذا المقام واما قوله ولوكره المشركون فانه قدورد فى مقابلة اظهار الدين الحق الذى اول اركانه التوحيد والتبرئ من الشرك وكان كفار مكة انما يكرهون هذا الدين الحق من اجل توغلهم فى الشرك واصرارهم عليه فكان المناسب لهذا المقام اذلالهم وارغامهم باظهار مايكرهونه من الحق وليس المراد من اظهاره ان لايبقى فى العالم من يكفر به بل المراد أن يكون اهله عالين غالبين على اهل سائر الاديان بالحجة والبرهان والسيف واللسان الى ان لايبقى دين آخر فى آخر الزمان لما روى انه اذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لم يبق فى الارض دين سوى دين الاسلام ثم انه تعالى لما عير الصحابة الذين حضروا حرب احد بعدم الوفاء بعهدهم ثم علمهم ان العمل المرضى عند الله تعالى ان يقاتلوا فى سبيل الله تعالى مصطفين متشبهين بالبنيان المرصوص بين ان العمل المذكور هو التجارة والرابحة بين العدو ومولاه فقال يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة الآية جعل الايمان والجهاد المذكورين تجارة تشبيها لهما بها فانها عبارة عن مبادلة المال طمعا للربح ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ماعنده وفى وسعه لنيل ماعند ربه من جزيل ثوابه والنجاة من أليم عقابه مع طمع الزيادة عليه بحكم

قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة (قوله استئناف مبين للتجارة) فان الاستفهام فى قوله تعالى هل ادلكم عرض للدلالة على التجارة حثالهم وتشويقا الى طلبها واستعلام انها ماهى فكأنهم قالوا يا ربنا دلنا عليها حتى نفعلها ونجو بسببها من العذاب الاليم فاجيبوا بان قيل تؤمنون بالله وفى التيسير لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم لم ينزل معه ما بعده وكانوا فى شوق الى معرفته ليعملوا به فبقوا على ذلك سنة عشر شهرا ثم نزل قوله تؤمنون بالله ورسوله فهو تفسير للتجارة فلا محل له ويجوز ان يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى تلك التجارة تؤمنون والخبر لما كان نفس المبتدأ لم يحتج الى الرابط كخبر ضمير الشان وان يكون فى محل النصب بتقدير اعنى اى اعنى تؤمنون وعن الاخفش ان قوله تؤمنون عطف بيان للتجارة على ان اصل الكلام ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما فى قوله*
الا ايها ذا الزاجرى احضر الوغى * اصله ان احضر فلما حذفت ان بطل عملها فارتفع الفعل لتجرده عن العوامل اللفظية وكذا فى الآية فكأنه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا احتياجه الى التأويل (قوله والمراد به الامر) يعنى ان قوله تعالى تؤمنون فى معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وقيل انه مجزوم على انه جواب الاستفهام وهو هل ادلكم على تجارة على طريق قولك هل تأتينى اكرمك ويرد عليه انه لو كان جواب الاستفهام لكان المعنى ان دللتكم على التجارة يغفر لكم ومن المعلوم ان مجرد دلالتهم لا يوجب مغفرتهم فانها انما تترتب على الاجابة والامتثال والوجه فى انفهام معنى الامر من لفظ الخبر ان الاستفهام عن الدلالة المتعلقة بالتجارة انما هو التشويق والاغراء على طلبها والاغراء على الشئ يستلزم ان يكون ذلك الشئ مطلوبا للمغرى فيفهم من الاستفهام كون التجارة مطلوبة للمستفهم ولما فسرت التجارة بالايمان والجهاد لزم ان يكونا مطلوبين للمستفهم مأمورا بهما من قبله فهذا وجه قوله والمراد به الامر الا انه عبر عن الامر بلفظ الخبر ايذانا بان المأمور به مما لا يترك بل حقه ان يسارع اليه المكلف مع قطع النظر عن الايجاب والتكليف كما فى نحو غفر الله له (قوله ان كنتم من اهل العلم) نزله منزلة اللازم وجعل كونهم من اهل العلم شرطا لكون الايمان والجهاد خيرا لهم لان عمل الجاهل لا يعتد به ولا يثاب هو عليه لان الاعمال بالنيات (قوله او لشرط او استفهام دل عليه الكلام) اى على كل واحد منهما فان ما قبله يدل على ان تقدير الكلام ان تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم ويدل ايضا على ان تقدير الكلام هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم على معنى ان تقبلوا وتفعلوا ما دللتكم عليه يغفر لكم (قوله ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى) اشارة الى ان اخرى صفة لمحذوف وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو لكم والموصوف المحذوف نحو قولك المثوبة او العدة او الخصلة او النعمة اى ولكم الى هذه المثوبة او الى هذه العدة مثوبة اخرى او عدة اخرى وقوله تحبونها صفة ثانية لذلك المحذوف ايضا (قوله او تحبون) اى او منصوبة باضمار تحبون الذى يفسره قوله تحبونها على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فلا يكون تحبونها حينئذ نعتا لاخرى لانه مفسر للعامل المضمر قبله (قوله وهو على الاول) اى قوله نصر على ان يكون قوله واخرى فى موضع الرفع على الابتدآء مرفوع على انه بدل من اخرى او عطف بيان له ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو نصر وتكون الجملة تفسيرا للنعمة الاخرى ولم يلتفت اليه المصنف لان التقدير لا يصار اليه من غير ضرورة بخلاف ما اذا كانت اخرى منصوبة فانه لا يحتاج الى تقدير المبتدأ (قوله وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب) اى وقد قرئ نصرا من الله وفتحا قريبا بالنصب على البدل من اخرى المنصوبة بفعل مضمر كامر اى يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم نعمة اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا او على الاختصاص اى بتقدير اعنى او على انه مصدر فعل محذوف اى تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا قريبا (قوله عطف على محذوف) هو قل مقدر قبل يا ايها الذين آمنوا كما ذهب اليه صاحب المفتاح (قوله او على تؤمنون) فيه بحث وهو ان المصنف صرح بان تؤمنون استئناف مبين للتجارة التى امر بها المؤمنون معنى وهو صحيح لان ايمان المؤمنين وجهادهم يصلح بيانا وتفسيرا لتجارتهم فلو جعل قوله وبشر المؤمنين معطوفا على تؤمنون لكونه فى معنى الامر للزم ان يكون بيانا لتجارة الذين آمنوا وهو بعيد لان المخاطب بقوله وبشر هو النبى صلى الله عليه وسلم وتبشيره عليه الصلاة والسلام كيف يصلح بيانا لتجارة المؤمنين الا ان يقال قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا يتناول النبى صلى الله عليه وسلم واشد لانه عليه الصلاة والسلام اول المؤمنين ايمانا واكملهم

(يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك (ذلكم خير لكم) يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة (واخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر (وفتح قريب) عاجل (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه فى معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا

(يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله) اى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله (قال الحواريون نحن انصار الله) والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثنى عشر رجلا

فلما خوطب الجمع بقوله يا ايها الذين آمنوا وقيل لهم هل ادلكم على تجارة الآية بين تجارة الامة بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله وبين تجارته عليه الصلاة والسلام بتبشير المؤمنين بما وعدهم الله بمقابلة تجارتهم المبينة بما ذكر ولا شك ان تبليغ الرسالة اربح التجارات وانفعها لان ما يترتب عليه من الثواب اجل واعظم مما يترتب على تجارة الامة فلما كان قوله وبشر صالحا لان يفسر به التجارة صح عطفه على قوله تؤمنون فان قيل كيف يكون قوله تؤمنون بالله فى معنى الامر بالايمان وهو فى معنى الامر بتحصيل الحاصل لان المخاطبين بهذا الامر هم المخاطبون بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجيب عنه بانه يمكن ان يكون المراد بالذين آمنوا المنافقين من حيث انهم آمنوا فى الظاهر ويمكن ايضا ان يكون المراد بهم اليهود والنصارى لانهم آمنوا بكتبهم ورسلهم كانه قيل يا ايها الذين آمنوا بالانبياء السابقة والكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد عليه الصلاة والسلام والظاهر ان يكون المراد من آمن من هذه الامة ويكون المأمور به فى حقهم الثبات على الايمان كما ان المأمور به فى قوله كونوا انصار الله الثبات على نصرة دين الله تعالى والمداومة عليها (قوله لان المعنى كونوا بعض انصار الله) وهذا المعنى يستفاد من تنكير انصارا اذ القصد الافراد والبعضية ولذلك قرأ نافع وابن كثير انصار الله بتنوين انصارا وباللام الجارة داخلة على لفظة الله وقرأ الباقون باضافته الى لفظة الجلالة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان تكون مزيدة فى المفعول لتقوية العامل لكون العامل فرعا فى العمل اذ الاصل كونوا انصار الله وان تكون غير مزيدة فى المفعول ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر والقراءة بالاضافة فرع للقراءة بالتنوين مخففة منها ويؤيد القراءة بالاضافة الاجماع على الاضافة فى نحن انصار الله فانه لا يتصور جريان الخلاف هنا لكونه مرسوما بالالف وقيل فى الكلام اضمار اى قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى اى كونوا انصارا مثل كون الحواريين لدين الله انصارا (قوله ليطابق الخ) علة لتفسير الانصار بالجند وتضمين الكلام معنى التوجه فانه لو ابقى الانصار على اصل معناه وكان المعنى من ينصر دينى لما طابق جواب الحواريين سؤال عيسى عليه الصلاة والسلام لانه عليه الصلاة والسلام سأل عمن ينصره وهم اجابوا بانهم ينصرون الله ولو لم يعتبر معنى التوجه فى الكلام للزم ان يعدى فعل النصرة بالى وليس كذلك فلما جعل الانصار بمعنى الجند واعتبر معنى التوجه فى الكلام حصلت المطابقة بين السؤال والجواب لان الجند يتبع امير العسكر فى تحصيل مقصود السلطان وظهر وجه تعدية النصرة بالى وهو كونها متضمنة لمعنى التوجه فكان المنصور فى كل واحد من السؤال والجواب هو الله تعالى فكانه قيل من جندى متوجها الى الله تعالى واظهار دينه فاجاب الحواريون بقولهم نحن انصار الله متبعين اياك فتكون اضافة انصارى على خلاف اضافة انصار الله لان الاضافة فى انصارى معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل الى معموله لان فاعل انصارى ضمير يرجع الى من ومفعوله دين الله والمعنى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله تعالى واظهار دينه فالاضافة لمجرد الدلالة على اختصاص المضاف اليه بخلاف الاضافة فى انصار الله فانها لفظية من قبيل اضافة الناصر الى المنصور فتحصل المطابقة بين القولين لان محصول قول عيسى عليه الصلاة والسلام من ينصر دين الله مختصا بى وكائنا معى فاجابوه بانا نلتزم ذلك وننصر دينه ونعين رسوله (قوله والتشبيه باعتبار المعنى) فان ظاهر اللفظ يدل على تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله لان اداة التشبيه دخلت على ما هو بمعنى المصدر وهو القول لان كلمة ما فى قوله كما قال مصدرية فلما لم يصح التشبيه باعتبار ظاهر اللفظ وجب المصير الى جانب المعنى وذلك اما بان يجعل الكلام خطابا من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بان يقدر قل قبل قوله يا ايها الذين آمنوا وتقدير الكلام قل لهم كما قال عيسى فالكاف منصوبة المحل على انها صفة مصدر محذوف اى قل لهم قولا مثل قول عيسى للحواريين واما بان يجعل الكلام ابتداء خطابا من الله تعالى للمؤمنين فان المعنى حينئذ انصروا دين الله تعالى نصرا مثل نصر الحواريين عيسى بن مريم او كونوا انصار الله كونا مثل كون الحواريين انصار عيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم من انصارى الى الله اى وقت قوله لهم من انصارى الى الله لان كما قال فى تأويل القول اقيم المصدر مقام الوقت كما فى آتيك خفوق النجم وصياح الديك (قوله والحواريون اصفياؤه) وخواصه وحوارى الرجل صفيه من الحور وهو البياض الخالص سموا حواريين لخلوصهم عن كل ما ينافى صفاء المحبة والاخلاص من العيوب روى انه تعالى قال لعيسى عليه الصلاة والسلام اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون

(فاسألهم)

فاسألهم النصر فاتاهم عيسى عليه الصلاة والسلام وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه (قوله وذلك) اى تأييد مؤمنيهم على كفارهم كان بعد مارفع عيسى عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام لما رفع الى السماء تفرق قومه اربع فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان ثالث ثلاثة وفرقة قالوا كان عبدالله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الكافرون على المؤمنين حتى بعث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء فحينئذ ظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة وذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اى عالين غالبين من قولك ظهرت على الحائط اذا علوت عليه وظاهرين خبر أصبح بمعنى صار وقال زيد بن على فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روى ألستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وانه كان يأكل و يشرب والله تعالى منزه عن ذلك * تمت سورة الصف والحمد لله رب العالمين

(سورة الجمعة مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

(قوله تعالى الملك) صفة مشبهة دالة على الثبات اى الذى يملك كل شئ ولا يزول عنه ملكه (قوله لان اكثرهم لا يكتبون) تعليل لتسمية العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب بالاميين يعنى لما كان اكثرهم اميا لا يكتب ولا يقرأ سمى الجميع اميا على التغليب لان الامى عبارة عمن لا يقرأ وهم ليسوا باهل كتاب وقيل الاميون هم الذين لا يكتبون وقريش كانت كذلك قيل بدت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار والحيرة مدينة من بغداد والامى منسوب الى امة العرب وقيل الى الام لان من بقى على ما خلق عليه لم يكتب ولم يقرأ كان منسوبا الى امه لبقائه كما ولدته امه واحتج اهل الكتاب بقوله تعالى بعث فى الاميين رسولا منهم على انه صلى الله عليه وسلم كان رسولا الى العرب خاصة لان الاميين هم العرب من بين الامم وهو ضعيف لان تخصيص الشئ بالذكر لا يستلزم نفى ما عداه الا ترى الى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك لانه لا يلزم منه ان يخطه بشماله ولان تصديقه فى دعوى الرسالة يستلزم تصديقه فى جميع ما جاء به ومن جملته قوله وما ارسلناك الا كافة للناس (قوله تعالى يتلو عليهم) هو وما بعده صفات لقوله رسولا ووجه الاستدلال والامتنان بان بعث فيهم رسولا اميا موصوفا بما ذكر من الصفات كونه دليلا على كمال قدرته وحكمته وكونه لطفا عظيما للمكلفين من حيث كون ذلك برهانا قاطعا على صحة نبوته بحيث لو لم يكن له سواه عليه السلام معجزة لكفاه وفسر الحكمة بالشريعة وهى ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام سواء ذكرت فى القرآن او لم تذكر والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق والمراد بها ههنا الدلائل التى يستدل بها على القواعد الدينية الاعتقادية والعملية و يحكم بها اى بتلك القواعد (قوله وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم) فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال مبين قبل البعثة اضمحل توهم ان يتعلم الرسول ما جاء به من الحكمة النظرية والعملية من احد منهم (قوله وان هى المخففة) اى من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر واللام فى قوله لفى ضلال هى الفارقة بين النافية والمخففة (قوله عطف على الاميين) والمعنى بعثه فى الاميين الذين كانوا فى زمان بعثه عليه الصلاة والسلام وفى آخرين منهم اى من الاميين وهم العرب وما فى قوله لما يلحقوا زائدة للتأكيد اى لم يلحقوا بهم بعد ان لم يكونوا فى زمانهم وهو صفة لآخرين من بعد وصفه بقوله منهم وقوله وسيلحقون مبنى على ان فى لما توقعا وانتظار الانه نفى لقولك قد لحق قال الامام وصفت العرب بانه عليه الصلاة السلام مبعوث فيهم وفى آخرين منهم مع انه عليه الصلاة والسلام مبعوث الى الناس كافة عربهم وعجمهم للاشارة الى شرف العرب كلهم الى قيام الساعة ومن فى منهم للتبيين اذ لا وجه لجعلها للتبعيض وهو ظاهر انتهى (قوله او المنصوب فى يعلمهم) اى و يعلم آخرين منهم وعلى التقديرين المراد بالآخرين العرب لانهم وصفوا بقوله منهم اى من الاميين وعن ابن عباس وجماعة ان المراد بالآخرين غير العرب من الطوائف اى طائفة كانت ووصفهم بكونهم من الاميين مبنى على انهم ان اسلموا صاروا منهم لان المسلمين كلهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم واما من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام ولم يدخل فى دينه فانه بمعزل عن الدخول فى قوله آخرين وان كان عليه الصلاة والسلام مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله تعالى فى الاية الاولى يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وغير المؤمنين ليسوا من جملة من يزكيهم و يعلمهم روى انه عليه الصلاة والسلام قرأ قوله تعالى وآخرين منهم وعنده

(فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) اى بعيسى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى (فاصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

(سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) اى فى العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون (رسولا منهم) اى من جملتهم اميا مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها (وآخرين منهم) عطف على الاميين او المنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه تعم الجميع (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون

(وهو العزيز) فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة (الحكيم) فى اختياره وتعليمه (ذلك فضل الله) ذلك الفضل الذى امتاز به عن اقرانه فضله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الاخرة او نعيمهما (مثل الذين حملوا التوراة) علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل اوصفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا) تهودوا (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على اعمالهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم (فانه ملاقيكم) لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها

سلمان الفارسى فقيل يا رسول الله من هؤلاء فوضع يده عليه الصلاة والسلام على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء (قوله ذلك الفضل الذى امتاز به) اى امتاز به سيد البشر وهو كونه مبعوثا لاهل عصره ومن جاء بعدهم الى يوم القيامة حال كونه تاليا عليهم كتاب الله ومزكيا ومعلما لهم الكتاب والحكمة وهو امى ثم انه تعالى بعد ما بين انه الذى بعث سيد المرسلين فى عصره من الاميين وفيمن سيلحق بهم الى يوم القيامة شرع فى ذم اليهود بانهم قرآء التوراة عالمون بما فيها وفيها آيات دالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب الايمان به ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها بما ينجيهم من شقاوة الدارين وشبههم بالحمار الذى يحمل اسفار العلم والحكمة ولا ينتفع بها ووجه التشبيه حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شئ فى الانتفاع به مع الكد والتعب فى استصحابه ومن اوله فقال مثل الذين حملوا التوراة الآية والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كثير واشبار قال الفرآء الاسفار الكتب العظام سميت اسفارا لانها تكشف ما فيها من المعانى اذا قرئت من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها والحمار لا يدرى أسفر على ظهره ام زبل فكذلك اليهود وفى هذا التشبيه تنبيه على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود (قوله ويحمل حال) اى من الحمار اى كمثله حاملا اسفارا والعامل فيها ما فى المثل من معنى الفعل وجاز ان يكون فى محل الجر على انه صفة للحمار لان المعرف تعريف العهد الذهنى يعامل معاملة المنكر فيوصف بالجملة كما فى قوله
ولقد امر على اللئيم يسبنى (قوله اى مثل الذين كذبوا) يعنى ان قوله تعالى مثل القوم فاعل بئس لكونه مضافا الى المعرف بلام الجنس وقوله الذين كذبوا هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا واحتيج الى تقدير المضاف لما تقرر من انه يجب فى باب نعم وبئس اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح او الذم صدقا وذاتا ولا اتحاد ههنا بين مثل القوم وبين من عبر عنهم بالذين كذبوا الا بتقدير المضاف (قوله ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم) عطف على قوله الذين كذبوا من حيث المعنى فحينئذ يكون المخصوص بالذم محذوفا والتقدير بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بذم مثلهم ذم انفسهم لانك اذا ذممت الصفة فقد ذممت الموصوف بها (قوله اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه) ذكر ان اليهود كانوا يفتخرون على العرب بقولهم نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم ونحن ابناء الله واحباؤه وانتم رعاة البهم ولنا السبت ولا سبت لكم فرد الله عليهم طعنهم وافتخارهم على العرب بهذه الاشياء الثلاثة بعد ما نزه نفسه عما لا يليق بشأنه الاعلى مثل ان يكون له الشركاء والابناء كما قالوا عزير ابن الله ونحن ابناؤه فقال يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض وذب عن العرب ما قالوا لهم بقوله هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن افترائهم وافتخارهم بادعائهم اولياء الله واحباؤه من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرائيل بان يقول لهم ان كنتم تزعمون ذلك فادعوا الله ان يميتكم بان تقولوا اللهم امتنا وخلصنا من دار البلايا والآفات واوصلنا الى ما عندك من الكرامات فان المراد بتمنى الموت طلبه وسؤاله من الله تعالى بناء على ان اولياء الله تعالى لهم عنده كرامة ومنزلة رفيعة لا يصلون اليها الا بالموت فينبغى لهم ان يتمنوا ذلك ليصلوا اليها ثم انه تعالى بكتهم بقوله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم مع انهم وجدوا نعته وصحة نبوته فى التوراة فلو تمنوه لماتوا من ساعتهم خالدين فى النار ابدا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال والذى نفسى بيده لو تمنوا الموت ما بقى على ظهرها يهودى الا مات (قوله والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف) اى باعتبار تضمن صفته التى هى الاسم الموصول معنى الشرط فان الموصوف بالموصول فى حكم الموصول فكما ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل او ظرف جاز دخول الفاء فى خبره فكذا اذا كان موصوفا بالموصول المذكور جاز ذلك ايضا لتضمنه معنى الشرط بواسطة تضمن صفته اياه كأنه قيل ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم وللمورد ان يقال ان صح ما ذكرتم من ان الموصوف بالموصول متضمن لمعنى الشرط لزم ان يكون الفرار من الموت شرط الملاقاته اياهم وان يتوقف عليه الملاقاة وليس كذلك فان الموت ملاقيهم فروا منه او لم يفروا اشار الى جوابه بقوله وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وتقريره انه علق لحوق الموت بهم على فرارهم منه للمبالغة فى الدلالة على انه لا ينفعهم الفرار البتة ووجه المبالغة فيها ان الفرار عن الشئ سبب الفوات عنه عادة فلما جعل الفرار من الموت سببا لملاقاته كان ذلك ابلغ دليل على انه لا ينفع الفرار منه ولا يتصور الفوات عنه (قوله وقد قرئ

بغيرها) اى قرئ انه ملاقيكم بغيرفاء اما على انه كلام مستأنف وخبران هو الموصول كأنه قيل ان الموت هو الشئ الذى تفرون منه ثم استؤنف وقيل انه ملاقيكم واما على انه هو الخبر وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت ثم انه تعالى ردطعنهم الثالث وهو قولهم لنا السبت ولا سبت لكم بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الآية فانه تعالى هدى المسلمين بهذه الآية الى ما هو سيد الايام وعيد المؤمنين والجمهور على ضم ميم الجمعة وقرئ باسكانها والضم هو الاصل والاسكان تخفيف وكلاهما مصدر بمعنى الاجتماع (قوله اى اذن لها) قالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن الاذان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولما كثر المسلمون على خلافة عثمان رضى الله عنه احتيج الى زيادة الاعلام فامر ان يزاد نداء على سطح الزوراء وهى داره واستحسنه الصحابة رضى الله عنهم اجمعين (قوله بيان لاذا) يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى من يوم الجمعة بيانية جيئ بها تفسيرا لاذا و بيانا لها قيل عليه انه يقتضى ان يكون اذا عبارة عن مجموع يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن وقت الاذان منه وجوابه ان ما لزم من تفسير وقت الاذان بيوم الجمعة ان يكون يوم الجمعة ظرفا للاذان وهو لا يستلزم الا وقوع الاذان فى جزء منه لا محذور فيه روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سميت الجمعة جمعة لان الله تعالى جمع فيها خلق آدم وقال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وقيل سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس للصلاة فيه وقيل اول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لوى سماها بها لاجتماع قريش فيها اليه وكان يقال له قبل ذلك يوم العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار وذلك انهم قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه فى كل اسبوع وللنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فيه فاختاروا يوم العروبة لذلك واجتمعوا فيه الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل آية الجمعة ثم انزل الله تعالى آية الجمعة فهى اول جمعة كانت فى الاسلام واما اول جمعة جمعها النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحاء ومن تلك السنة يعد التاريخ الاسلامى فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهى اول خطبة جعلها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله فمن يعمل به على وجل ومخافة من ربه كان عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من امره كان ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله تعالى يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تمت الخطبة الكريمة والموعظة البليغة هنا اللهم ارزقنا بركتها والا تعاظ بها فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى الخطبة وفيه تعريض

ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) اى اذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها

(وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم خير لكم) اى السعى الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين اوان كنتم من اهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) اديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واذكروه فى مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها) روى انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لا نها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير

لليهود بانهم ما وفقوا لما سعد به المؤمنون من اصابة ما هو سيد الايام وخير ما طلعت عليه الشمس من الايام ويوم المزيد الذى يزيد خيره وبركته للعالمين فيه وقد روى فى الحديث هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى ولما اطلق الذكر على الخطبة ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه الى ان الخطيب لو اقتصر على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضى الله الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه احد واما عند الامام الشافعى وسائر الائمة رحمهم الله فلا بد من خطبتين مشتملتين على خمسة اركان لفظة الحمد لله ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم للمواظبة عليهما ثم الوصية بتقوى الله ثم القراءة بشئ من القرآن آية او بعضها فى احداهما ثم الدعاء للمؤمنين فى الثانية واما الزوائد التى احدثوها فبدعة وقوله فقصدا انصب على المصدر اى مسرعين اسراعا وسطا دون العدو والاسراع المفرط منهى عنه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا خرجت الى الجمعة فامش على هينتك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ فامضوا الى ذكر الله كيلا يظن ان المراد من السعى الاسراع فى المشى وقرأ ابن مسعود كذلك ثم قال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى وليست هذه القراءة منهم قراءة القرآن المنزل بل هى تفسير منهم لمعناه وجاز قراءة القرآن بالتفسير فى موضع التعسير كما قال الفراء وغيره معنى السعى فى الآية المضى ثم قال السعى والمضى والذهاب واحد وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فلذلك قال الحسن اما والله ما هى بالسعى على الاقدام ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار فانه سعى ومسارعة الى المغفرة وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة اى مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة (قوله واتركوا المعاملة) يعنى ان المراد الامر بترك كل ما يشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يحضر الناس فيه من قراهم وبواديهم فاذا حان وقت الصلاة اغتصت الاسواق بهم وتميل طباعهم الى التجارات فامروا بالاقبال على الجمعة وترك ما سواها وعامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع بل كراهته لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فاشبه الصلاة فى الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وقال الامام مالك هو فاسد (قوله اطلاق لما حظر عليهم) اى اباحة لما حرم عليهم من المعاملة والاشتغال بامور الدنيا فان كل واحد من الانتشار فى الارض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليس بواجب بل هو امر مباح قال ابن عباس رضى الله عنه ان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر وان شئت فاقعد ونظير هذه الآية قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا فانه اباحة لما حرم بقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم (قوله واذكروه فى مجامع احوالكم) قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله تعالى فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال الله تعالى لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والذكر الذى امر بالسعى اليه اولا هو ذكر خاص لا يجامع التجارة اذ المراد منه الخطبة والصلاة امر الله تعالى به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعة الله تعالى فى جميع ما تأتونه وتذرونه والذكر بهذا المعنى من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان ذكر الله تعالى سبب لطاعته (قوله فخرج الناس اليهم) ذكر ابو داود ان السبب الذى ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وقد كان خليقا بفضلهم ان لا يفعلوا ما روى عن مقاتل بن حيان انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الجمعة قبل الخطبة مثل ما فى العيدين الى ان اتفق له عليه الصلاة والسلام انه صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع فى الخطبة وهو قائم اذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبى قدم بتجارته من الشام وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه من بر ودقيق وغيرهما وكان دحية اذا قدم من السفر تلقاه اهله بالطبل والدفوف فلما علم الناس قدومه خرجوا اليه ولم يظنوا ان فى ترك سماع الخطبة شيأ فانزل الله تعالى واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها اى تفرقوا عنك خارجين اليها فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة على صلاة الجمعة بعد ذلك قيل كانت هذه الواقعة قبل ان يسلم دحية (قوله وافراد التجارة برد الكناية) يعنى انه اعيد الضمير على التجارة دون اللهو مع

تقدم ذكرهما معا لكونها اصلا مقصودا فى نفسها واللهو كان متفرعا عليها وليس اللهو مقصودا كالتجارة فظاهر قوله وافراد التجارة يشعر كونه جوابا لما يقال كيف قال اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولا اتجاه لهذا السؤال لان العطف بأو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين فلذلك اول قوله تعالى ان يكن غنيا اوفقيرا فالله اولى بهما ومن اورده مع عدم اتجاهه فحقه ان يجاب بان العطف باو لا يثنى معه الضمير وان عاد السائل وقال لم عينت التجارة بارجاع الضمير اليها وقد ذكر احد شيئين من غير تعيين فالمناسب ان يذكر ما يرجع الى احدهما من غير تعيين كذلك يجاب بان تعيين التجارة برد الكناية لانها المقصودة (قوله اوللدلالة) عطف على قوله لانها المقصودة وقيل الكلام مبنى على الحذف والتقدير والمراد اذا رأوا تجارة انفضوا اليها اولهوا انفضوا اليه فحذف الثانى اختصار الدلالة الاول عليه (قوله فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه) روى عن بعض السلف انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم انى اجبت دعوتك فصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاخبار فحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له انه عليه الصلاة والسلام قال فى يوم الجمعة ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيأ الا اعطاه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اى ساعة هى آخر ساعة فى يوم الجمعة فقلت كيف تكون هى آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذلك تمت سورة الجمعة والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة المنافقين مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

(قوله الشهادة اخبار عن علم) اى عن علم يقينى لكون سندها علما شهوديا ضروريا من جملة المشاهدات فقول من قال اشهد ان زيدا قائم فى قوة قوله اعلم علما يقينيا انه قائم واخبر بذلك عن علم يقينى فلما كان صدق الخبر عند الجمهور عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم مطابقته له كان المشهود به وهو مضمون قولهم انك رسول الله صادقا لمطابقة حكمه للواقع فلذلك صدقه الله تعالى حيث قال والله يعلم انك لرسوله وكذبهم فى تسميتهم ذلك الاخبار شهادة لان قولهم نشهد انك لرسول الله معناه نخبر به عن العلم بمضمونه وهو مواطأة القلب اللسان فى الاخبار وليس بما شهدوا به اعتقاد بل يعتقدون خلاف ما اخبروا عنه فكانوا كاذبين فى قولهم نشهد وفى تسميتهم هذا الاخبار شهادة مجاز لان الشهادة كما تطلق على الحق تطلق على الزور مجازا كاطلاق البيع على الفاسد ولما كان ظاهر الآية دليلا على ما ذهب اليه النظام من ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر من حيث انه تعالى حكم بان المنافقين كاذبون فى قولهم انك لرسول الله مع ان حكمه مطابق للواقع لانه تعالى انما كذبهم لاخبارهم بما يخالف اعتقادهم فقد ثبت ان الكذب باعتبار عدم مطابقة الحكم للاعتقاد كما ان الصدق باعتبار مطابقة الحكم للاعتقاد اشار المصنف الى الجواب عن استدلاله ببيان ان التكذيب راجع الى قولهم نشهد باعتبار تضمنه خبرا كاذبا وهو ان اخبارهم بانك رسول الله شهادة بمعنى كونه اخبارا عن علم يقينى ومن المعلوم ان هذا الخبر الضمنى كاذب لعدم مطابقة حكمه للواقع لكونه اخبارا بما ليس فى قلوبهم لان فى قلوبهم الخبيثة اعتقاد انك رسول الله غير مطابق للواقع والله يعلم انك لرسوله فان قلت اى فائدة فى انه جيئ بقوله والله يعلم انك لرسوله جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول الله و بين قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قلنا جيئ بها لفائدة وهى انه لو قيل قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله ليزول هذا الوهم (قوله اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب) مثل حلفهم بالله انهم لمنكم والحال انهم ماهم من المسلمين فانهم كلما اطلع منهم على شئ من النفاق كانوا يحلفون انهم برآء منه كما قال تعالى خبرا عنهم يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفون بالله

والترديد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته اوللدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه (وتركوك قائما) اى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما (والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من يأتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا ايمانهم) حلفهم الكاذب اوشهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل والسبى

(فصدوا عن سبيل الله) صدا اوصدودا (انهم ساء ماكانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم اوالى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب انهم آمنوا ظاهرا (ثم كفروا) سرا اوآمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه (فهم لايفقهون) حقيقة الايمان ولايعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لضخامتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فى جمع مثله فتعجبه هياكلهم ويصغى الى كلامهم (كانهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لمايقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف اوعلى انه كبدن فى جمع بدنة (يحسبون كل صيحة عليهم) اى واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول (هم العدو) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على ان الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم اوتعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذاك (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق

ماقالوا يحلفون بالله انهم لمنكم روى البخارى عن زيد بن ارقم انه قال كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن ابى بن سلول يقول لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا و يقول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل عليه الصلاة والسلام الى عبد الله بن ابى واصحابه فحلفوا ماقالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم و كذبنى فاصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فانزل الله عزوجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله صدقك يازيد فالمراد بالايمان التى اتخذوها جنة هى حلفهم بانهم ماقالوا ذلك فانهم اتخذوها جنة يستترون بها من اراقة الدماء وسبى الذرارى والنساء واستغنام الاموال كما يتوقى بالجنة فى الحرب من مضرة الاعداء ويحتمل ان يكون المراد بايمانهم قولهم نشهد انك لرسول الله قال القرطبى من قال اقسم بالله اواشهد بالله اواعزم بالله اواحلف بالله اواقسمت اوشهدت اوعزمت اوحلفت وقال فى ذلك كله بالله فلا خلاف فى انها يمين و كذلك عند الامام مالك واصحابه وان قال اقسم اواشهد اواعزم اواحلف ولم يقل بالله يكون يمينا اذا اراد ان يقول بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لوقال اشهد بالله لقد كان كذا يمين ولوقال اشهد لقد كان كذا بدون النية كان يمينا ايضا احتجاجا بهذه الآية فانه تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الامام الشافعى لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما اخبر الله تعالى عنهم فى سورة براءة بقوله يحلفون بالله ماقالوا انتهى كلامه فقول المصنف حلفهم الكاذب مبنى على قول الامام الشافعى وما بعده مبنى على قول ابى حنيفة رضى الله عنه (قوله صدا اوصدودا) الاول مصدر صد المتعدى والثانى مصدر اللازم يقال صده عن الامر اى صرفه عن الامر وصد عنه اى اعرض فانهم كما صدوا بانفسهم عن سبيل الله صرفوا الناس عنه ايضا (قوله اشارة الى الكلام المتقدم) كانه قيل قلت فى حقهم انهم ساء ماكانوا يعملون بسبب انهم آمنوا الخ (قوله تعالى فطبع على قلوبهم) قرآءة العامة على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار بعده وقرئ على بناء الفاعل واسناده الى ضمير البارئ تعالى فان قيل اذا كان الطبع مسندا اليه تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى بان يقولوا اعرضنا عن الحق لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا اجاب عنه الامام بان هذا الطبع من الله بسوء افعالهم وانهماكهم فى اتباع الشهوات فعاقبهم الله تعالى بان خذلهم وتركهم وانفسهم الامارة بالسوء (قوله فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر) هذا هو الوصف الجامع بينهم وبين ذوات الخشب من حيث انها خشب مع قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة الى الحائط ونحوه والجامع بينهم وبين الخشب المسندة هو انهم مع كونهم اشباحا خالية عن العلم والعقل لاينتفع بهم بشئ من منافع الاجسام كالخشب المسندة فان الخشب المنتفع بها ماكانت فى سقف اوجدار ونحوهما من مواضع الانتفاع بها وما كان متروكا فارغا غير منتفع به مسندا الى الحائط هو المعطل الخالى عن المنفعة فشبهوا بها من حيث عدم الانتفاع بهم وقيل شبهوا بالمسندة منها لان الخشب المسندة الى الحائط يكون احد طرفيها الى جهة والآخر الى جهة اخرى فكذا المنافق فان باطنه الى جهة الكفرة وظاهره الى جهة المسلمين وبناء التفعيل فى قوله مسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كانها اسندت الى مواضع (قوله وقيل الخشب) اى بضمتين جمع خشباء لم يرض به لان فعلاء الصفة لايجمع على فعل بضمتين بل على فعل بضمة وسكون كحمراء وحمر قرأ قنبل وابو عمرو والكسائى خشب باسكان الشين والباقون بضمها وقرئ بفتحتين على انه جمع خشبة مثل مدرة ومدر ومن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة ايضا نحو ثمرة وثمر ومن قرأه بضمة وسكون جعله جمع خشب كاسد واسد اوجمع خشبة كبدنة وبدن اوخشباء كحمراء وحمر وجعله تخفيف خشب بضمتين (قوله دعر جوفها) اى فسد وفى بعض النسخ نخراى بلى والمخبر خلاف المنظر والمرئى وقوله تعالى يحسبون كل صيحة فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى كانهم والعامل فيها معنى التشبيه ويجوز ان يكون مستأنفا وكل صيحة مفعول اول ليحسبون وعليهم المفعول الثانى اى يحسبون كل ماسمعوه من الصيحة واقعة عليهم ضارة لهم بناء على قولهم انها صيحة عدو يريدهم بسوء لفرط جبنهم وغلبة الرعب والوهم على قلوبهم اولما فى قلوبهم من الرعب يكشف الله اسرارهم بان ينزل فيهم مايهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم فعلى هذا يكون قوله تعالى هم العدو اى الكاملوا العداوة جملة مستأنفة اخبر

الله تعالى عنهم بذلك فان اعدى العدو هو من يداريك ويتبسم فى وجهك وصدره مملوء حقدا وعداوة (قوله ويجوز ان يكون صلته) اى ويجوز ان يكون عليهم متعلقا بيحسبون اى باعتبار كونه متعلقا بمفعوله الاول صفة لصيحة وتكون جملة هم العدو مفعولا ثانيا كما اذا طرح لفظة هم وقيل يحسبون كل صيحة واقعة عليهم العدو والظاهر ان يقال هى العدو لان الضمير للصيحة اوهو العدو على ان يكون الضمير لكل الا انه قيل هم العدو نظرا الى الخبر كما فى قوله تعالى هذا ربى فان هذا اشارة الى الشمس فينبغى ان يقال هذه الا انه ذكر المبتدأ نظرا الى الخبر او على تقدير مضاف اى اهل كل صيحة (قوله تعالوا يستغفر لكم رسول الله) من باب تنازع الفعلين واعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله ان يتعدى اليه بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلا فاعمل الثانى فرفع وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه ويجوز ان لا يكون من باب التنازع لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو مع قطع النظر عن تعلقه بالمقبل اليه فانه روى عن الكلبى لما نزل من القرآن ما بين نفاقهم مشى اليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فأبوا ذلك وزهدوا فى الاستغفار فنزلت لووا رؤسهم اى اما لوها واعرضوا يقال لوى الرجل رأسه اى امال واعرض قرأ نافع لووا بالتخفيف والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة الرؤس قرأ الجمهور أستغفرت بفتح الهمزة من غير مد وهى همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة وقرئ آستغفرت لهم بالمد على انه اشبع همزة الاستفهام للاظهار والبيان لا على ان همزة الوصل قلبت ألفا كما يفعل بالتى مع لام التعريف فى نحو آلسحر وآلله اذن لكم لان اثبات همزة الوصل غير التى تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل عند اهل العربية وذلك لان حق همزة الوصل ان تسقط فى الدرج ولم تسقط ما تصحب منها لام التعريف بل قلبت ألفا (قوله روى ان اعرابيا نازع انصاريا) وكان الاعرابى اجير عمر بن الخطاب يقود فرسه وكانت منازعتهما على ماء يقال له المريسيع من مياه بنى المصطلق وهو حى من خزاعة بين مكة والمدينة ويقال لتلك الغزوة غزوة بنى المصطلق وغزوة المريسيع ايضا وكانت قبل غزوة الخندق (قوله حتى ينفضوا) اى يتفرقوا قرأ العامة ليخرجن بضم الياء وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل مفعول به وقرئ ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا للفعل اللازم ونصب الاذل على المصدرية بناء على ان الاصل خروج الاذل فلما حذف المصدر اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه او على انه حال من الاعز بتقدير المضاف اى مثل الاذل وقرئ ايضا ليخرجن الاعز بضم الياء وفتح الراء على بناء المفعول ورفع الاعز قائما مقام الفاعل ونصب الاذل مصدرا اى اخراج الاذل او حالا اى مثل الاذل ولنخرجن بضم نون العظمة وكسر الراء ونصب الاعز على انه مفعول به ونصب الاذل على المصدرية اى اخراج الاذل او الحال اى مثل الاذل واللام فى لئن رجعنا موطئة للقسم المحذوف قبلها وليخرجن جواب القسم المحذوف واغنى جواب القسم عن جواب الشرط روى ان عبد الله بن ابى لما انصرف عن غزوة بنى المصطلق مع الغزاة واراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لكم فلوى رأسه ثم قال امرتمونى ان اومن فآمنت فامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فنزل قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الاية ولم يلبث بعده الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات بعد العود من غزوة تبوك كما ذكره صاحب الكشاف فى سورة براءة وروى انه لما مات استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله تعالى لن يغفر الله لهم ثم انه تعالى لما ذكر شح المنافقين باموالهم ومنعهم عن صرفها الى انصار دين الله من فقراء المهاجرين بان حكى عنهم قولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وذكر ايضا تعززهم باولادهم وعشائرهم حيث حكى عنهم قولهم ليخرجن الاعز منها الاذل نهى المؤمنين وحذرهم عن اخلاق المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا يشغلنكم التصرف فى الاموال والسعى فى تدبير امرها والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها والسرور بالاولاد والشفقة عليهم والقيام بمؤنتهم عن طاعة الله تعالى واداء فرائضه ومن يشتغل بما يلهيه عما يعنيه من امر

(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار (سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهما كهم فى الكفر والنفاق (هم الذين يقولون) اى للانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين (ولله خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذ رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه و بالاذل رسول الله عليه السلام وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم

(يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال (ومن يفعل ذلك) اي اللهو بها وهو الشغل (فاولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني (وانفقوا مما رزقناكم) بعض اموالكم ادخارا للآخرة (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اي يرى دلائله (فيقول رب لولا اخرتني) امهلتني (الى اجل قريب) امد غير بعيد (فاصدق) فاتصدق (واكن من الصالحين) بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو وأكون منصوبا عطفا على أصدق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولم يمهلها (اذا جاء اجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعلمون) فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ماقبله في الغيبة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين بريء من النفاق

سورة التغابن مدنية اومكية الاقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم وهي ثماني عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) بدلالتهما على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شيء قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب اعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوركم فاحسن صوركم) فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء

الآخرة فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم بايثار ما يفنى على ما يبقى (قوله والمراد نهيهم عن اللهو بها) اي عن الاشتغال بها على سبيل اللعب يقال لهوت بالشيء ألهو لهوا اذا لعبت به من باب غزوت اغزو غزوا الا انه وجه النهي عن الالهاء الى الاموال والاولاد للمبالغة في نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله تعالى وطاعته فان كونهما ملهيين شاغلين اياهم عن طاعة الله لازم لكونهم لاهين مشتغلين بهما عن الطاعة والنهي عن اللازم ابلغ في الدلالة على النهي عن الملزوم من النهي عن اللازم فيكون كناية كما في قولك لا اربنك ههنا ابلغ في الدلالة على نهي المخاطب عن الحضور عندك من ان تقول لا تحضر عندي فكذا قوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم ابلغ في الدلالة على نهي المؤمنين عن الاشتغال بهما من ان يقال لا تكونوا لاهين مشتغلين بهما وهذا وجه قوله وتوجيه النهي اليها للمبالغة (قوله ولذلك) اي ولكون المراد نهيهم عن اللهو لا نهي الاموال والاولاد عن الالهاء توجهت مضرة ارتكاب المنهي عنه اليهم لا اليهما (قوله يرى دلائله) يعني ان المراد بالموت دلائله ومقدماته لان طلب الامهال وتأخير الموت ممن مات غير معقول بخلاف المحتضر المقصر فيما وجب عليه من الحقوق المالية والبدنية فانه يتأسف على تقصيره ويسترئد مدة يتدارك فيها تقصيره فاخبر الله تعالى انه لا يؤخر من انقضت مدته وحضر اجله فقال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ولا ينفعه التحسر بعد فوات الوقت (قوله تعالى فاصدق) مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله لولا اخرتني (قوله وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده) فانه لولا الفاء في فاصدق لكان مجزوما بان مقدرة كما في قولك ليت لي مالا انفقه لان المعنى ان يكن لي مال انفقه ومثله قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم يذرهم ونقل سيبويه عن الخليل انه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع ههنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كما في قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له فمن جزم عطفه على موضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل انجزم لوجود اداة الشرط (قوله وقرئ بالرفع على انا اكون) لم يرد ان في الكلام مبتدأ محذوفا لعدم الباعث على ارتكاب الحذف بل اراد بيان ان الواو في واكون للاستئناف وانه كلام مبتدأ فتصور الكلام بصورة الاسمية لكونها اظهر في الاستئناف (قوله ليوافق ماقبله) وهو الاخبار عمن اتاه الموت فيتمنى الامهال ويقول لولا اخرتني ومن قرأ بتاء الخطاب نظر الى قوله لا تلهكم وانفقوا مما رزقناكم

تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

سورة التغابن مدنية وقيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(قوله للدلالة على اختصاص الامرين) اي على تأكيد الاختصاص المدلول عليه باللام في قوله له الملك فان اللام تشعر باصل الاختصاص سواء قدمت او اخرت واختصاص الملك به تعالى حقيقة ظاهر لانه مبدئ كل شيء ومبدعه ونافذ فيه مشيئته وارادته يتصرف فيه كيف يشاء وكذا اختصاص الحمد به تعالى لان اصول النعم وفروعها انما هي بخلقه وايجاده ورشحة من بحر جوده واحسانه ولولا انه تعالى انعم بها على عباده لما قدر احد على ان يبذل مقدار جناح بعوضة ولا ما هو احقر منه افتتح السورة الكريمة ببيان عظمة الله تعالى في ملكه وملكوته حيث حكم بان كل شيء ينزهه ويقدسه عما لا يليق بعلو شأنه ثم خص له صفة المالكية على الاطلاق ثم خص له كل كمال وجلال وكل نعمة وافضال ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شيء ثم قرر ما ادعاه بما يدل عليه من دلائل الانفس فقال هو الذي خلقكم والفاء في قوله فمنكم كافر تفصيلية فان ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله خلقكم فكأنه قيل هو الذي تفضل عليكم باصل النعم كلها وهو نعمة الخلق والايجاد على حسب اختلاف استعداداتكم فبسبب ذلك حصل اختلافكم بالكفر والايمان فمنكم كافر ومنكم مؤمن في علم الله تعالى في الازل فمن تعلق العلم الازلي بكفره او ايمانه فخرج الى عالم الاعيان فانما يخرج اليه على حسب ما علمه الله تعالى وقدره وعلم في الازل به ثم ذيل الاستدلال المذكور ببيان انه بصير بالعباد ومجازيهم على حسب ما عملوا كأنه جعل اثبات القدرة دليلا على صحة البعث والجزاء ثم ذكر ما يدل على ما ادعاه من دلائل الآفاق فقال خلق السموات والارض والمسخ بالخاء المعجمة تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها ولما كان الجزاء متوقفا على شمول علمه وكونه بحيث لا يعزب عن علمه شيء من احوال الخلائق وصف نفسه بالعلم المحيط ثم شرع في تهديد كفار قريش بقوله

الم يأتكم نبأ الذين كفروا حيث خوفهم بما نزل بمن قبلهم من الكفار وجعل ما اصابهم من العقوبة فى الدنيا بالاضافة الى ما أعد لهم فى الآخرة ذوقا من معظم طعام اوشراب (قوله اذ البشر يطلق للواحد والجمع) لانه اسم جنس والجنس يتحقق فى ضمن كل فرد من جميع الافراد وهو فى الآية بمعنى الجمع ولذلك جمع ضمير يهدوننا وقوله أبشر مرفوع على انه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده كما فى قوله وان احد من المشركين استجارك وهو اولى من جعله مبتدأ وما بعده خبره لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا والفاء فى قوله فكفروا سببية لا للتعقيب اى فكفروا بسبب هذا القول لانهم قالوا استصغارا للرسل ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا وقوله واستغنى الله تقرير لما سبق من التهديد والوعيد اى وكان الله غنيا عن ايمانهم وطاعتهم فلم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم شيأ من ملك الله وانما ضرر ذلك على انفسهم ثم انه تعالى لما بين ان سبب الوبال والعذاب المذكورين هو تكذيبهم الرسل وكفرهم بهم بين ان لهم معصية اخرى وهو انكارهم البعث فقال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم بالشئ ولا علم وأن مع ما فى حيزها قائم مقام المفعولين كأنه قيل زعموا كونهم غير مبعوثين وهى مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر اى زعموا ان الشأن لم يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وبلى ايجاب للنفى المذكور قبله اى بلى يبعثون ثم ابتدأ فقال وربى لتبعثن وليس الامر مقتصرا على البعث بل يعقبه الحساب والجزآء فان قيل كيف يفيد القسم فى اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون انه عليه الصلاة والسلام يعتقد عظمة ربه اعتقادا جازما لا مزيد عليه فيعلمون بذلك انه لا يقدم على ان يقسم بربه الا ان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس فى اعتقاده ولما ذكر ان ما نزل بالامم الماضية من العقوبة كان بسبب كفرهم بالله ورسله امرهم بالايمان بالله ورسوله والنور الذى انزل عليه كيلا يذوقوا وبال امرهم فى الدنيا والعذاب الاليم فى العقبى (قوله وقرأ يعقوب نجمعكم) بنون العظمة ليوافق قوله والنور الذى انزلنا والمراد بيوم الجمع يوم القيامة وهو يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين والجن والانس واهل السماء واهل الارض وقيل يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبى وامته (قوله يغبن فيه بعضهم بعضا) اى يخدع والتغابن تفاعل من الغبن وهو اخذ الشئ من صاحبه بأقل من قيمته وهو لا يكون الا فى عقد المعاوضة ولا معاوضة فى الاخرة فاطلاق التغابن على ما يكون فيها انما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه وهو مستعار من تغابن التجار فان حقيقة التغابن متفرعة على تحقيق حقيقة التجارة ومعاملة المبادلة ليغبن احد التاجرين الآخر بان يوقعه فى الخسران ولم يتحقق بين اهل الجنة واهل النار فى الدنيا معاملة يتفرع عليها تغابنهما فى الآخرة حقيقة فحمل الكلام على الاستعارة فشبه ما عليه كل واحد من الفريقين بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوءها بالتغابن وذلك لان كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين على اختيار ما يؤدى الى سعادة الآخرة فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادرا عليه بدل ما اختاره الآخر وارتضاه فهذا الاختيار منهما شبه بالمبادلة والتجارة وشبه ما يتفرع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن قيل أشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله المخالف لعلمه وعبد اطاع الله تعالى بعدم خيانته فى مال سيده وعصى سيده الله فدخل العبد الجنة بعدم خيانة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله تعالى وولد ورث مالا من ابيه وابوه كان بخيلا وعصى الله فيه بعدم انفاقه فى سبيله فدخل ابوه بخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة قال عليه الصلاة والسلام لا يلقى الله احد الا ناد ما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزد اما مشابهة نزول السعدآء منازل الاشقياء من الجنة لو كانوا سعدآء بالغبن فظاهرة لان السعدآء اخذوا منازل الاشقياء من الجنة من غير رضى الاشقياء ولا شعور لهم به واما مشابهة نزول الاشقياء منازل السعدآء من النار لو كانوا اشقياء بالغبن فانها ليست بظاهرة لان منازل السعداء من النار لا رغبة لهم فيها حتى يكون نزول الاشقياء فيها شبيها بغبن السعداء اياهم الا انه شبه ذلك بالغبن ايضا تهكما بالاشقياء واستهزاء بهم (قوله واللام فيه) يعنى ان اللام فى التغابن لتعريف الجنس فمثل هذا التركيب يفيد حصر جنس التغابن فى ذلك اليوم كما فى قوله تعالى ذلك الكتاب وزيد الشجاع ووجه ايثار ما يفيد الحصر مع ان التغابن يكون فى دار الدنيا أشار

(ألم يأتكم) ايها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام (فذاقوا وبال امرهم) ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بانه) بسبب ان الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا اذ البشر يطلق للواحد والجمع (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن التدبر فى البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنى) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على حمده كل مخلوق (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما فى حيزه (قل بلى) اى بلى تبعثون (وربى) قسم اكد به الجواب (لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى انزلنا) يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فمجاز عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن اومقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزآء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعدآء منازل الاشقياء لو كانوا سعدآء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها

(ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا) اى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (ما اصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب واحوالها (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم) اى فان توليتم فلا بأس عليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين اوالدنيا (فاحذروهم) ولا تأمنوا غوائلهم

الى جوابه بان سعادة الآخرة لكونها أجل كل سعادة وافضلها كان فقدها نهاية الغبن بحيث لا يعد ما دونه غبنا بالنسبة اليه وفقدها انما يتحقق فى ذلك اليوم فصح بهذا الوجه حصر الغبن فى ذلك اليوم ففيه تنبيه على هذا المعنى اوزماد على الحصر (قوله تعالى خالدين فيها ابدا) خالدين حال من الهاء فى يدخله ووحد اولا وجمع على معناه وابدا نصب على الظرف وكذا خالدين الثانى نصب على الحال من اصحاب النار والعامل فيهما ما فى اولئك من معنى الفعل ثم انه تعالى لما حكم بان يوم القيامة هو يوم التغابن الواقع بين المؤمنين والكافرين بان يأخذ كل واحد منهما منزل صاحبه فصل ذلك بالآيتين اللتين بعده وهما قوله تعالى ومن يؤمن الى قوله وبئس المصير حيث بين فيهما ان السعداء اختاروا ما هو داخل تحت وسعهم ومقدرتهم ما اداهم فى الآخرة الى الفوز بدفع المضار وجلب المنافع والاشقياء اختاروا منه ما اداهم الى اشد العذاب والحرمان من وجوه المنافع باسرها فغبن المؤمن الكافر باختيار ما تمكن عليه الكافر من الايمان والطاعة وغبن الكافر المؤمن بان اخذ منه ما يقدر عليه من الكفر والمعصية فصار كل واحد منهما مغبونا والكافر وان لم يأخذ ما تمكن عليه المؤمن مما رغب فيه المؤمن حتى يكون مغبونا بفواته منه الا انه جعل مغبونا تهكما بالكافر كما مر فظهر بهذا ان الدنيا لكونها زمان التجارة ومزرعة الآخرة هى موضع التغابن وانه تعالى انما جعل يوم القيامة يوم التغابن لكونه وقت ظهور الربح والخسران ووقت ظهور تغابن الفريقين فى الدنيا وبهذا الاعتبار جعلت الآيتان تفصيلا للتغابن ثم انه تعالى لما بين ان الايمان والطاعة مناط كل خير وسعادة وان الكفر والمعصية مناط كل شر وبلاء وكان هذا مظنة ان يتوهم انه لو كان الامر كذلك لسلم المؤمنون من المصائب فى اموالهم وابدانهم فقال تعالى ما اصاب من مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله اى الا بتقديره وارادته وقضائه ومشيئته على ان الاذن مستعار للتقدير والارادة تشبيها لهما بالاذن من حيث ان كل واحد منهما مفض الى الفعل سبب له فانه تعالى اذا قدر المصيبة واراد اصابتها لاحد فكأنه اذن للمصيبة ان تصيبه بين الله تعالى بهذه الآية ان المصيبة انما تصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكم لا يعرفها الا هو منها حصول اليقين بان ليس شئ من الامر فى يدهم فيتبرأون بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله تعالى الى غير ذلك (قوله تعالى ومن يؤمن بالله) اى ومن يصدق بالله ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للثبات اى لعدم الاضطراب بما اصابه بان يقول قولا ويظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله تعالى وعدم الرضى به بل يسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن ايقن بانه مملوك لله تعالى مسخر فى قبضة قدرته وبان مرجعه الى موقف حسابه كيف لا يرضى بقضائه ولا يصبر على بلائه وقد اعتقد انه رب العالمين والتربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون ايضا بما ينفر عنه الطبع (قوله وبالنصب) عطف على قوله بالرفع يعنى من قرأ يهد مبنيا للمفعول كما قرأ قلبه مرفوعا قرأ ايضا منصوبا بنزع الخافض اى يهد فى قلبه كما فى قوله تعالى الا من سفه نفسه اى فى نفسه وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلما اسقط حرف الجر نصب ما بعده اى عدى الفعل بنفسه فنصب ما بعده (قوله حتى القلوب واحوالها) يعنى ان قوله تعالى والله بكل شئ عليم تذييل لتقرير قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه وانما يقرره اذا دخلت احوال القلوب من الايمان والكفر فى كل شئ دخولا اوليا وقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول اى فى جميع الاوقات ولا تشغلكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته ولكن جل همتكم فى السراء والضراء العمل بما شرع لكم ولما ورد ان يقال كيف يستمر المرء على الطاعة حالة الضراء وهى تغلب على المرء فعلمه ان الايمان بالوحدانية وبان الكل من عند الله يقتضى التوكل عليه فى دفع المضار وجلب المنافع والتبرى من الحول والقوة والاعتماد على حول الله تعالى وقوته والاستمرار على طاعته وطاعة رسوله فقال الله لا اله الا هو الآية روى عن عطاء انه قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فانها نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة وقيل كان رجال يسلمون من اهل مكة ويريدون ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فيتعلق بهم ابناؤهم وزوجاتهم فيقولون انت تذهب وتذرنا ضائعين فمنهم من يطيع ويقيم فحذرهم الله تعالى طاعة نسائهم واولادهم ومنهم من لا يطيع ويهاجر اليه عليه الصلاة والسلام فيرى الذين

سبقوه فى الهجرة قد تفقهوا فى الدين فيعزم فى نفسه على انه ان جمعه الله تعالى واياهم فى دار الهجرة يعاقبهم ويمنع عنهم بره وان لا يتفضل عليهم بوجه ما ثم لما جمع الله تعالى بينه وبين اهله واولاده ومنعهم ما ينتفعون به وعظ الله من فعل ذلك بقوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فامرهم بالعفو عنهم وقد علم من الآية ان العدو لا يكون عدوا بسيفه وسنانه وانما يكون عدوا بسوء افعاله فكل من شغل المرء عن طاعة الله من الازواج والاولاد والاموال وغيرها فهو عدو له ولا ينبغى له ان يأمن غوائلهم وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته (قوله اى افعلوا ما هو خير لها) يعنى ان خيرا منصوب بمضمر يدل عليه الاوامر السابقة فالامر بالافعال الخاصة يدل على الامر بفعل الخير مطلقا فلذلك كان هذا الكلام تأكيدا للحث على الاوامر المذكورة سابقا وبيانا لكون كل واحد من الامور المذكورة قبله خيرا وبين وجه الحث عليها بانها خير لانفسكم وهذا الوجه هو المنقول عن صاحب الكشاف ولم يجعل خيرا منصوبا بقوله انفقوا لان الانفاق لا يتعدى الا الى ما هو من جنس الاموال الا ان يفسر الخير بالمال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وانه لحب الخير فحينئذ يكون منصوبا على انه مفعول لانفقوا وهو عند الكسائى والفراء صفة مصدر محذوف اى انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وعند ابى عبيدة خبر لكان المقدر المجزوم على انه جواب الامر اى انفقوا يكن خيرا لانفسكم ثم قال ومن يوق شح نفسه اى يقه الله عن الشح الذى هو الحرص على المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون ثم بين ما يفوز به المنفق فقال ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم سمى صرف المال فى وجوه الخير اقراضا لله تعالى تشبيها له به فى عوده مثل المصروف اليه * والشكور هو الذى يقبل اليسير من العمل ويجازى به الثواب الجزيل فالشكور المطلق ليس الا الله لان زيادته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة * تمت سورة التغابن والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على خير انبيائه

(سورة الطلاق مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

(قوله لانه امام امته) يعنى ان النداء عام كالحكم الا انه عليه الصلاة والسلام خص بالنداء صورة اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه (قوله اولان الكلام معه) يعنى لا نسلم ان المقام مقام تعميم النداء بل المقام يقتضى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالنداء لان الكلام معه وليس المراد الا تعميم الحكم (قوله والمعنى اذا اردتم تطليقهن) ولو كان المعنى اذا اوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله فطلقوهن لعدتهن عليه وجه والتعبير عمن هو بصدد التطليق مطلقا مجاز باعتبار ما يؤول اليه كقوله تعالى حكاية انى ارانى اعصر خمرا وقوله عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس المراد به المقتول حقيقة لان قتله محال سمى من يريد التطليق ويقبل عليه مطلقا لكونه مشارفا له وجعل المشارف للشئ بمنزلة من شرع فى ذلك الشئ فان تنزيل المشارف للشئ منزلة من شرع فيه كثير الا ترى الى انه عليه الصلاة والسلام جعل الماشى الى الصلاة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها حيث قال اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى صلاة وقال عليه الصلاة والسلام لا يزال احدكم فى الصلاة ما انتظر الصلاة (قوله اى وقتها) على ان اللام للتأقيت بمعنى فى كما فى قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر فمعنى الآية فطلقوهن فى عدتهن اى فى الزمان الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر فان المطلقة اذا كانت ممن تحيض فان عدتها لا تنقضى الا بانقضاء ثلاثة قروء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء والتربص الانتظار والقرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض ويجمع على اقراء وقروء والائمة الحنفية حملوا القرء على الحيض بناء على ان الغرض من ايجاب العدة العلم ببراءة الرحم وذلك يحصل بالحيض لا بالاطهار ولان قوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة ايام اقرائك صريح فى ان المراد به الحيض والامام الشافعى حمله على الاطهار ودلائل الفريقين مذكورة فى موضعها وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا طلق الرجل حال طهرها فانه لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة عند الحنفية وعند الشافعية لما شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدتها واتفق الفريقان على ان زمان الطلاق المشروع هو زمان الطهر الخالى عن الجماع لما روى نافع ان ابن عمر طلق امرأته وهى حائض طلقة واحدة فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضتها ثم

(وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (انما اموالكم واولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) فى وجوه الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) اى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدر جوابا للاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) بصرف المال فيما امره (قرضا حسنا) مقرونا باخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) يجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه شئ (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم اولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت

ارادان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى والطلاق البدعى ان يطلقها فى حالة الحيض او فى طهر قد جومعت فيه او يوقع ثلاثا بكلمة واحدة فى اى حال كان وهو واقع وصاحبه آثم فلما كانت العدة عند الشافعية هى الاطهار الثلاثة كان المناسب ان تكون اللام فى قوله تعالى لعدتهن للتأقيت بمعنى فى عدتهن اى فى الوقت الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر فعلى هذا تتعلق اللام بقوله طلقوهن واما من حمل القروء على الحيض وعد العدة بها فانه لا يمكنه جعل اللام للتأقيت للاجماع على ان الطلاق فى حالة الحيض منهى عنه بل يجعلها متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام فيجعل تقدير الكلام فطلقوهن مستقبلات لعدتهن اى متوجهات اليها واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم على القرء الاول من اقرآئها فقد طلقت مستقبلة لعدتها كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اى مستقبلا لها وفى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل عدتهن والمراد ان يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يتركن حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق واجمله فى السنة وهو ابعد عن الندم من تفرقة الثلاثة فى ثلاثة اطهار والامام مالك رحمه الله لا يرى السنى الا واحدة فى طهر خلا عن الجماع ويكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة وعند الامام الشافعى لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف فى الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح كله فى وقت السنة وعندنا يراعى التفريق والوقت ليكون سنيا والآية تدل على ايقاع الطلاق فى الطهر ودلت السنة على ان ذلك الطهر يجب ان يكون خاليا عن الجماع حتى يكون الطلاق سنيا وهى ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال فى حق ابن عمر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها (**قوله وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار**) كما ذهب اليه الامام الشافعى لانه تعالى لما قال فطلقوهن لعدتهن اى فى زمان عدتهن وهو الزمان الذى يصح ان تعتد فيه وهو زمان الطهر لان زمان العدة لو كان زمان الحيض لكان معنى الآية فطلقوهن فى زمان الحيض والتطليق فيه بدعى حرام بالاجماع فعلم منه ان طلاق من تحيض ينبغى ان يكون فى الطهر وان عدتها تكون بالاطهار لا بالحيض (**قوله واضبطوها وأكملوها**) امر الله تعالى الذين طلقوا النساء بان يضبطوا فصول عدتهن او اكمالها سوآء كانت عدتها بالاقرآء او بالاشهر ليتمكنوا من تفريق الطلاق على الاقراء اذا ارادوا تطليقها ثلاثا وليعلموا بقاء زمان الرجعة ويتمكنوا من الرجعة ان حدثت لهم داعية الرجعة وليعلموا بقاء زمان وجوب الانفاق عليهم وانقضائه ثم امرهم بان يتقوا الله ولا يعصوه فيما امرهم به ونهاهم عنه بقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ومن الضرار بها ان يراجعها فى عدتها لا لقصد الامساك بالمعروف والاحسان بل ليطلقها ثانيا لتطويل العدة عليها (**قوله من مساكنهن**) اى التى يسكنها قبل الطلاق اشارة الى ان اضافة البيوت اليهن مع انها بيوت الازواج لملابستها بهن من حيث السكنى (**قوله وفى الجمع بين النهيين**) اى بين النهى عن الاخراج والخروج دلالة على انها تستحق على الزوج ان يسكنها فيما تسكن فيه قبل الطلاق كما تستحق عليه النفقة وعلى انه يلزمها ان تلازم مسكن الفراق فان النص بعبارته لما اثبت حرمة الاخراج عليه اثبت بدلالته انها تستحق على الزوج السكنى وكذا لما اثبت حرمة الخروج عليها اثبت بدلالته ان يجب عليها ملازمة مسكن الفراق وقوله ملازمة مسكن الفراق مرفوع على انه فاعل لزومها (**قوله اما لو اتفقا على الانتقال جاز**) هذا عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى واما عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فلا اثر لاذن الازواج فى اباحة خروجهن لان وجوب ملازمة مسكن الفرقة عليها حق الشرع بناء على ان خروجها منه حرام بصريح نهى الشارع عنه وحق الشرع لا يسقط باسقاط العبد وقال الامام الشافعى هو حق العبد فان المعتدة تستحق على الزوج النفقة والسكنى لكونها محتبسة فى منزل الزوج لمنفعة تعود اليه فان العدة انما وجبت عليها صيانة للمياه عن الاشتباه وللانساب عن الالتباس فانه لو لم تجب العدة عليها لربما تزوجت بآخر واتت بولد لستة اشهر فلا يعلم ان الولد لايهما فلما كانت محبوسة لمنفعة ترجع على الزوج وجبت مؤنتها عليه فاستحقت السكنى والنفقة عليه وكذا الزوج يستحق عليها ان تلازم مسكنه ما دامت فى العدة لان العدة من توابع النكاح ومقتضياته ففى حال بقاء العدة صار النكاح كأنه قائم فيستحق عليها ان تكون فى مسكنه حال العدة كما تكون فيه حال قيام النكاح فلما كان الحق لا يعدوهما جاز لهما الانتقال اذا اتفقا عليه (**قوله مستثنى من الاول**) وهو النهى عن الاخراج وحينئذ يحتمل ان يراد بالفاحشة بذآؤها على زوجها واحمائها والبذآء بالمد الفحش بالقول واطالة اللسان واحماء المرأة ام زوجها وكل شئ من قبل الزوج مثل الاب والاخ فهم احماء واحدهم حم ويحتمل ان يراد بها الزنى فتخرج لقيام عليها

ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقرآء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضى الله عنه لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة اقرآء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة والاضرار بهن (لا تخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولا يخرجن) باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها .

الحسد فجعل للازواج اخراجهن من بيوتهن لبذائهن وسوء خلقهن روى ان فاطمة بنت قيس كانت في نساء فاستطالت على احمائها في عدتها فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعتد في بيت ابن ام مكتوم واذا زنت تخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها (قوله اومن الثانى) وهو النهى عن الخروج فحينئذ يكون المراد بالفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة ويكون المعنى ولا يخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج وهذا ابلغ في المنع عن الخروج من حيث دلالته على علة المنع عنه وهى كونه فاحشة وقوله تعالى الا ان يأتين حال من فاعل لايخرجن او من مفعول لاتخرجوهن اى لايخرجن اولا تخرجوهن في حال من الحالات الا في حال كونهن آتيات بفاحشة وان مع الفعل في تأويل المصدر اى الا اتيانا بمعنى آتيات بفاحشة او الا ذوات اتيان بفاحشة (قوله الاشارة الى الاحكام المذكورة) وهى أن يطلق الرجل امرأته اذا شاء تطليقها وقت عدتهن اى في الزمان الذى يصلح لعدتهن وهو زمان طهر لم يجامعها فيه وماسواه من الاحكام والحدود وهى الامور المانعة من المجاوزة شبهت احكام الله تعالى بها فاطلق عليها اسم الحدود (قوله وهو الرغبة في المطلقة) اى بعد الرغبة عنها وتطليقها على الوجه المذكور فان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالامر ههنا الرغبة في الرجعة والندامة على عزيمة الطلاق والميل الى امساكها بالمعروف والآية تعليل للمحافظة على الاحكام المذكورة من تطليقهن لعدتهن واحصاء العدة والتجانب عن الاخراج والخروج فان التطليق على الوجه المذكور لما لم يقطع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فان العدة اذا لم تكن مضبوطة او انتقلت المرأة من منزل زوجها اشكل امر الرجعة وهذا يدل على أن الاحسن ان يطلقها الرجل واحدة ثم يتركها حتى تنقضى العدة او يفرق تطليقها ويطلقها ثلاثا في ثلاثة اطهار لانه حينئذ يمكن للزوج رجعتها ان ندم على مافعل بخلاف ما اذا اوقع الثلاث دفعة واحدة لانه حينئذ لايمكن له ان يراجعها ولا ان يستأنف نكاحها الا بعد ان تحل بزوج آخر فانه اذا جمع الثلاث في وقت واحد لم يبق معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا (قوله شارفن آخر عدتهن) فسر بلوغ الاجل الذى هو آخر العدة بمقاربة انقضائه كما فسر قوله طلقتم النساء بقوله اردتم طلاقهن لانه لايمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة حتى يقال اذا بلغن آخر عدتهن فانتم بالخيار ان شئتم الرجعة والامساك بالمعروف وان شئتم ترك الرجعة وابقاء الفراق (قوله على الرجعة اوالفرقة) لما كان الامر بالاشهاد للندب عند ابى حنيفة وعند الامام الشافعى في احد قوليه كان معنى الآية واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا اذ لانزاع في كونه مندوبا عند كل واحد منهما فايراد كلمة او في قوله اوالفرقة بناء على ان الواقع احدهما والمعنى ان اختار الرجعة اشهد عليها وان اختار الفرقة وتركها حتى انقضت عدتها اشهد عليها (قوله تبريا من الريبة) علة الاشهاد على الرجعة فانه اذا راجعها ولم يشهد عليها يتهم في امساكها بانه امساك المطلقة وقوله وقطعا للتنازع يصح كونه علة لكل واحد من الاشهاد على الرجعة وعلى الفرقة فانه ان لم يشهد على الرجعة لربما انكرت المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وان لم يشهد على الفرقة لربما يموت احدهما فيدعى الباقى منهما ثبوت الزوجية (قوله وعن الشافعى وجوبه في الرجعة) اشارة الى ان الامام الشافعى له قولان في قول يجب الاشهاد على الرجعة وفي قول آخر لايجب بل هو مندوب في كل واحد من الرجعة والفرقة وهو قول ابى حنيفة رحمهما الله (قوله يريد الحث على الاشهاد والاقامة) يعنى ان قوله ذلكم يجوز ان يكون اشارة الى ماذكر عن قريب وهو الاشهاد والاقامة وان يكون اشارة الى جميع مافى الاية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والامتناع عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بادائها على وجهها من غير تبديل وتغيير خالصا لوجهه من غير توقع جعل ويرجح الاول افراد المشار اليه والثانى كونه اشد ملاءمة لقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا لاسيما على تقدير كونه معترضا اى جملة اعتراضية بين قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء الى قوله واليوم الآخر وبين قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الاية فان القولين مرتبطان فانه على تقدير كونه معترضا يكون المقصود منه تأكيد ماذكر من أول السورة الى ههنا مما يتعلق بطلاق النساء وامساكهن واذا كانت الاشارة الى ذلك المجموع ايضا يتلاءم الكلامان (قوله من الطلاق في الحيض) فانه منهى عنه في ضمن قوله تعالى واتقوا الله ربكم ويكون المعنى ومن يتق الله وطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من

اومن الثانى للمبالغة في النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة (وتلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرضها للعقاب (لاتدرى) اى لاتدرى النفس او انت ايها النبى او المطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استئناف (فاذا بلغن اجلهن) شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب (او فارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها (واشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة او الفرقة تبريا من الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعى وجوبه في الرجعة (واقيموا الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة (لله) خالصا لوجهه (ذلكم) يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع مافى الاية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به والمقصود تذكيره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا اوضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او الوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون

اوكلام جيئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين
وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاعلم آية لواخذ
الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرأها
ويعيدها روى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى
اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اتق الله وأكثر قول لاحول ولاقوة الا بالله
ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه
مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت
(ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله
بالغ امره) يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على
انه حال والخبر (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا
اومقدارا اواجلا لايتأتى تغييره وهو بيان لوجوب
التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان
العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها
(واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن
(ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن اى جهلتم (فعدتهن
ثلاثة اشهر) روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لم يحضن
فنزلت (واللائى لم يحضن) اى واللائى لم يحضن
بعد كذلك (واولات الاحمال اجلهن) منتهى
عدتهن (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات
والمتوفى عنهن ازواجهن

مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويرزقه
من وجه لايخطر بباله ان اعطاها مهرها وافيا وأدى الحقوق قل ماله او كثر وقوله بان يجعل الله له مخرجا متعلق
بقوله بالوعد على الاتقاء وقوله او بالوعد لعامة المتقين معطوف على قوله بالوعد فان وعد عامة المتقين يؤكد ما سبق
من قوله واتقوا الله ربكم كان الوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا وضمنا مما ذكر من اول السورة الى هنا يؤكد
ذلك (قوله او كلام جيئ به) عطف على قوله جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه بما سبق عليه لكونه
تأكيدا له او بيانا او نحو ذلك وانما ذكر فى هذا الموضع من حيث انه تعالى امر المؤمنين بامساكهن او تطليقهن
بالمعروف وذكر اوامر شتى ثم اشار الى جميع ذلك بطريق المذاكرة وحكم عليه بانه موعظة وتذكير للمتقين
الذين يذكرون الله تعالى واليوم الآخر فى جميع شؤنهم فلما انجر الكلام الى ذكرهم اردف الكلام بذكر الوعد
على اتيانهم واتقائهم بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لايحتسبون استطرادا اى من غير
ان يقصد به تعلقه بما كلف به المؤمنون فى حق امساك النساء وتطليقهن وان دخل فيهم الذين يتقون عما نهى عنه
بالاية المقدمة صريحا وضمنا مما سبق من الآيات (قوله وعنه عليه الصلاة والسلام الخ) تأييد لكونه
استطرادا (قوله تغفل عنها العدو) اى اغتنم غفلتهم عنها واخذها منهم على غفلة وفى الصحاح تغفلته
اذا اهتبلت غفلته والاهتبال الاغتنام ووجدان الفرصة (قوله وقرأ حفص بالاضافة) اى بالغ من غير
تنوين وجر امره على اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف وقرأ الباقون بالتنوين والنصب على الاصل
لان بالغ اسم فاعل بمعنى الاستمرار المتناول للحال والاستقبال فيعمل عمل الفعل فينصب مفعوله كما ينصب
بلغ فى قوله فاذا بلغن اجلهن وقرئ بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره اى على انه فاعل بالغ بمعنى نافذ والمعنى
ان الله امره نافذ ويحتمل ان يكون ارتفاع امره على الابتداء وبالغ خبره والجملة خبر ان وبالغا حال من
فاعل قد جعل فيكون لفظ الجلالة فى قوله قد جعل الله من وضع الظاهر موضع الضمير (قوله وهو بيان
لوجوب التوكل) فلذلك لم يعطف على قوله ومن يتوكل على الله ووجه كونه بيانا له ان من كان بالغا امره
ولا يعجزه شيء من المطالب وجعل لكل شيء من الشدة والرخاء وغيرهما من الحوادث المتجددة تقديرا ومقدارا
حدا معينا اواجلا ونهاية ينتهى اليه البتة ولايتأتى تغييره لاجرم يجب على كل عاقل ان يتوكل عليه ولا يبقى له
سوى التسليم والاعتماد على تقديره والرضى بقضائه ووجه كونه تقريرا لما تقدم وتمهيدا لما سيأتى ظاهر
(قوله تعالى واللائى) مبتدأ ويئسن من المحيض صلته ومن الاولى لابتداء الغاية متعلقة بيئسن والثانية
للتبيين متعلقة بمحذوف وقوله ان ارتبتم شرط وقوله فعدتهن مبتدأ وثلاثة اشهر خبره والجملة الاسمية جواب
الشرط والفاء فيها فاء الجواب والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر اللائى ومتعلق الارتياب محذوف
والتقدير ان ارتبتم فى عدتهن فعدتهن كذا وواحد اللائى التى وقوله واللائى لم يحضن مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر
المبتدأ الاول فقدره الزمخشرى جملة حيث قال والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان يقدر مفردا كما فعله
المصنف حيث قال واللائى لم يحضن بعد كذلك اومثلهن وقوله واولات الاحمال مبتدأ واجلهن مبتدأ ثان
وان يضعن حملهن خبر الثانى والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اجلهن بدل اشتمال من اولات وان يضعن
خبره واولات واحدتها ذات ولا واحد لها من لفظها روى انه لما نزلت عدة ذوات الاقرآء والمتوفى عنها زوجها فى
سورة البقرة قال بعضهم يارسول الله ان ناسا يقولون قد بقى من النساء ما لم يذكر فيه شيء قال ما هو قال الصغار
والكبار وذوات الاحمال فنزلت الآيات الثلاث لبيان عدتهن (قوله وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن
ازواجهن) يعنى ان الحكم بانقضاء العدة بوضع الحمل حكم كل من كانت ذات حمل سوآء كانت مطلقة اومتوفى عنها
زوجها المروى عن عمر رضى الله عنه انه قال لو وضعت ما فى بطنها وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد لانقضت
عدتها وحلت للازواج وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين
اما بوضع الحمل او بانقضاء اربعة اشهر وعشر فايهما ابعد من الآخر تعتد به لانه لما وقع التعارض بين قوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وبين قوله تعالى فى سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا واقتضت الاية الاولى ان تنقضى عدتها بوضع الحمل وان وضعت عقيب موت
زوجها بيوم اوساعة واقتضت الاية الثانية ان لاتنقضى عدتها الا بمضى اربعة اشهر وعشر فجمع بينهما احتياطا

وعامة الصحابة على ان عدتها انما تنقضي بوضع الحمل واختاره المصنف حيث قال والمحافظة على عمومه اولى من
محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم وتفصيل المقام ان كل واحدة من اولات الاحمال والمتوفى عنها زوجها
عام من الآخر من وجه وخاص منه من وجه آخر لتصادقهما في الحامل المتوفى عنها زوجها وصدق الاولى بدون
الثانية في الحامل المطلقة وصدق الثانية بدون الاولى في المتوفى عنها زوجها وقد حكم على كل واحدة منهما بحكم
يخالف حكم الاخرى فتعارضت الآيتان بحسب الظاهر اذ المراد بالتعارض ان يكون اقتضاء احد الدليلين
من الحكم في مادة معينة خلاف ما يقتضيه الدليل الآخر والآيتان كذلك في مادة تناولهما وهي الحامل المتوفى
عنها زوجها وانما قلنا انهما متعارضتان بحسب الظاهر بناء على ما تقرر من امتناع التعارض الحقيقي بين الادلة
الشرعية لان التعارض الحقيقي بينهما ان يكون بان ينزل الشارع دليلين متناقضين في زمان واحد وهو تكليف
بما لا يطاق وهو وان كان جائزا عند الاشاعرة الا انه غير واقع بالاتفاق فلا بد ان يكون نزول احد المتعارضين
سابقا على نزول الآخر فيكون المتأخر نزوله ناسخا للمتقدم ان علم تاريخ نزولهما وان جهل توهم تعارضهما
بالنسبة الينا وان لم يتعارضا في الواقع وما نحن فيه من الآيتين من هذا القبيل فانهما متعارضتان بحسب الظاهر
في مادة تناولهما (قوله والحكم معلل هنا) وذلك ان الحكم بان اجلهن وضع حملهن رتب على الموصوفات بكونهن
اولات احمال وتعليق الحكم بالوصف الصالح للعلية مشعر بالعلية لذلك الحكم كما اذا قلت المسكر حرام بخلاف
حكم يتربصن اذ لا تعرض فيه لعلية الحكم فاختار المصنف ان يحافظ على عموم آية سورة الطلاق ويعمل
بحكمها في جميع من يصدق عليها انها ذات حمل حرة كانت او امة مطلقة او متوفى عنها زوجها ويلزم من ذلك
ان يخصص عموم قوله ازواجا في قوله ويذرون ازواجا بحملها على غير الحامل المتوفى عنها زوجها واستدل عليه
بوجوه الاول ان اولات الاحمال عام بذاته اي بالنظر الى نفس لفظ اولات الاحمال مع قطع النظر عن امر خارج عن
نفس مفهوم اللفظ بخلاف عموم ازواجا فانه نكرة في سياق الاثبات ولا عموم لها بذاتها عند الجمهور بل هو عام
بالعرض فان عموم ازواجا انما يستفاد من وقوعه في حيز صلة الموصول اي بالنظر الى نفس لفظ ازواجا وقولهم
ان ازواجا في آية المتوفى عنها تعم لاولات الاحمال وغيرها لم يريدوا به نفس لفظها بل المراد عمومها بواسطة كونها
في حيز صلة الموصول العام بذاته ولما كان عموم ازواجا بالعرض لم يصلح معارضا لعموم العام بذاته فلذلك
حملت الازواج في آية المتوفى عنها زوجها على غير الحوامل والثاني ان الحكم في آية سورة الطلاق معلل بكون
المعتدة ذات حمل لما اشتهر من ان تعليق الحكم على الوصف الصالح للعلية تعليل لذلك الحكم به ولا شك ان كون
الرحم مشغولا بحق الغير يصلح لان يكون علة لكون المرأة ممنوعة عن التزوج الى فراغ رحمها منه وهذه العلة
متحققة في كل واحدة من الحامل المطلقة والحامل المتوفى عنها زوجها فوضع حملها يكون علة لفراغ رحمها منه
وعدم وضعها يكون علة ممنوعيتها عن التزوج الى فراغ رحمها منه كالحامل المطلقة وان يكون الاعتداد
بالتربص المذكور في سورة البقرة مختصا بمن لم تكن ذات حمل لان الحكم بان عدة المتوفى عنها زوجها التربص
المذكور غير معقول المعنى بل هو امر تعبدي لا تعرض فيه للعلة والحكم المعلل اقوى فهو بالاعتبار اولى وعدم
تخلفه عما تخلفت العلة فيه اجدر واحرى والثالث انه عليه افضل الصلاة والسلام حكم بانقضاء عدة الحامل
المتوفى عنها زوجها بمجرد وضع حملها من غير ان يمضي عليها بعد وفاة زوجها اربعة اشهر وعشر فهذا الحديث
صريح في اعتبار عموم اولات الاحمال للمطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وتخصيص ازواجا بغير الحامل
كما فعله عمر رضي الله عنه فيما رويناه عنه آنفا والرابع يتوقف بيانه على مقدمة وهي ان الائمة الحنفية والشافعية
رحمهم الله اختلفوا فيما اذا تعارض الخاص والعام فذهب الشافعية الى ان الخاص يخصص العام مطلقا اي
سواء علم تاريخ نزولهما او لم يعلم والحنفية ذهبوا الى ان المتأخر في النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم
تاريخ نزولهما ولا يحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية اذا عهدت هذه المقدمة فنقول آية
سورة الطلاق نزلت بعد آية سورة البقرة لقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر
الاسود ان سورة النساء القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة ولما تعارض الدليلان
وكانت آية الطلاق متأخرة في النزول فلا يخلو اما ان تقدم آية الطلاق ويعمل بها في حق المتوفى عنها زوجها ايضا
او بالعكس فاللازم من الاول تخصيص عموم الازواج المذكورة في سورة البقرة بمن لم تكن ذات حمل وهو صحيح

والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم
اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم
معلل هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث
وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي
ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر
بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه
(ومن يتق الله) في احكامه فيراعي حقوقها (يجعل
له من امره يسرا) يسهل عليه امره ويوفقه للخير

(ذلك) اشارة الى ماذكر من الاحكام (امر الله انزله اليكم ومن يتق الله) فى احكامه فيراع حقوقه (يكفر عنه سيئاته) فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له اجرا) بالمضاعفة (اسكنوهن من حيث سكنتم) اى مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجئوهن الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان ارضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن اجورهن) على الارضاع (وأتمروا بينكم بمعروف) وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له اخرى) امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اى عاجلا او آجلا

على كل واحد من المذهبين اما على مذهب الامام الشافعى فلأن الخاص الذى هو اولات الاحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الامام الشافعى واما على مذهب ابى حنيفة فلأن آية سورة الطلاق لتأخر نزولها نسخت عموم الازواج المذكورة فى سورة البقرة وخصصتها بمن لم تكن ذات حمل فثبت ان العمل بآية سورة الطلاق موافق لكل واحد من المذهبين بخلاف العمل بآية سورة البقرة فانه لا يوافق مذهب الحنفية لانهم يجعلون مقدم النزول منسوخا بالمتأخر فلا يعملون به وانما يوافق مذهب الشافعية وقيل هو بناء العام على الخاص وحاصله تخصيص العام بالخاص وهو ان يخصص العام بالخاص لانه ان حكم بالتربص فى حق الحامل المتوفى عنها زوجها فقد لزم ان يخصص عموم اولات الاحمال بحملها على المطلقات مع انها بحسب مفهومها تعم المتوفى عنها زوجها قال المصنف فى اصوله المسمى بالمنهاج الخاص اذا عارض العام يخصصه علم تاريخه ام لا وابو حنيفة يجعل المتقدم منسوخا ويتوقف حيث جهل لنا اعمال الدليلين اولى انتهى كلامه يعنى اذا خصص العام بالخاص يعمل الخاص فى جميع افراده والعام فى بعض افراده ولو جعل العام ناسخا للخاص كان ابطالا للخاص بالكلية مثلا اذا كان المتوفى عنها زوجها خاصا بمن لم تكن ذات حمل وجعل حكم اولات الاحمال ناسخا لحكم المتوفى عنها زوجها وقد فرضنا كونه خاصا بمن لم تكن ذات حمل لزم ابطال حكمها فى حق جميع افرادها واعمال الدليلين بقدر الامكان اولى من ابطال احدهما بالكلية هذا ما تيسر لى فى توضيح المقام بعون الله تعالى ولى الانعام والاطعام فان اصبت الحق فبفضل الله واحسانه وان اخطأت فمن قصور فهمى ونقصانه ثم انه تعالى لما حث على التقوى فى عامة احكامه التى يدخل فيها حكم المعتدات دخولا اوليا بين كيفية التقوى فى حكمين على طريق الاستئناف فكأنه قيل كيف يتقى الله تعالى فى حق المعتدات فاجيب بان قيل اسكنوهن من حيث سكنتم الى آخر الآيات (قوله اى مكانا من مكان سكناكم) اشارة الى ان من فى قوله من حيث سكنتم للتبعيض والمبعض محذوف فكأنه قيل اسكنوهن مكانا هو بعض من مكان سكناكم ثم فسر مكان سكناهم بقوله من وجدكم اى مما تطيقونه والوجد بالحركات الثلاث فى الواو الوسع والطاقة وقرئ بهن جميعا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها فى بعض جوانبه (قوله وهو عطف بيان) نوقش فيه بانه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العوامل وانما عهد هذا فى البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من حيث سكنتم كأنه قيل اسكنوهن من وجدكم اى مكانا مما تطيقونه (قوله تعالى ولا تضاروهن) اى لا تؤذوهن فى شأن السكنى بسبب من الاسباب كانزال من لا يوافقهن فيه او شغل مكانهن باسبابكم ونحو ذلك لتضيقوا امر السكنى عليهن (قوله وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات) وذلك انه تعالى لما ذكر السكنى اطلقها لكل معتدة ولما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان غير الحامل من المعتدات لا نفقة لها وهو مذهب الامام الشافعى فان تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده وعند ابى حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل معتدة سواء كانت مطلقة ثلاثا او واحدة رجعية او بائنة مادامت فى العدة اما المطلقة الرجعية فلانها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى المدة وكونه فى معرض الزوال بانقضاء العدة لا يسقط النفقة كما لو آلى او علق طلاقها بمضى شهر مثلا فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى جميعا وعند الامام الشافعى لها السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا لهذه الآية (قوله بعد انقطاع علقة النكاح) اى بوضع حملهن فان حكمهن بعد انقطاعها حكم الاماء فيجوز استئجارهن لارضاع اولادهن عند الحنفية خلافا للامام الشافعى فانه لا يجوز استئجارها لارضاع ولدها بناء على انه لما لم يجب عليها ارضاع ولدها صارت كالاجنبية فقول المصنف بعد انقطاع علقة النكاح لا يناسب مذهبه فان استئجار الام للارضاع يجوز عنده حال قيام علقة النكاح وبعد انقطاعها لا يجوز الا ان يقال انه ليس للاحتراز بل هو تفسير لمعنى الفاء فى قوله فان ارضعن لكم (قوله وليأمر بعضكم بعضا) يعنى ان الائتمار افتعال من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والخطاب للازواج من الرجال والنساء والمراد نهيهم عن ان يحمل بعضهم بعضا على العسرة والضيق فيما يتعلق بارضاع الولد بان يكلف كل واحد منهما الآخر فوق ما ينبغى رعايته ثم انه لما ذكر فى هذه السورة حدودا ونهى عن تعديها ذكر الذين تعدوا حدوده من الامم الماضية وما حل بهم تأكيد الايجاب المحافظة على ما ذكر من الحدود والاحكام وتحذيرنا من التقصير فى رعايتها فقال وكأين

من قرية اى وكثير من اهل قرية عتت والعتو بمعنى العناد وهو لا يتعدى بمن وعدى بها فى الآية لتضمنه معنى الاعراض كأنه قيل اعرضت عنه بسبب عتوها وكأين بمعنى كم الخبرية فى كونها للتكثير (**قوله** لاربح فيها اصلا) مبنى على ان تنوين خسرا للتعظيم (**قوله** تعالى الذين آمنوا) منصوب باضمار اعنى بيانا للمنادى فى قوله يااولى الالباب اوعطف بيان للمنادى اونعت له (**قوله** يعنى بالذكر جبريل عليه الصلاة والسلام) على ان يكون اطلاق الذكر عليه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة فى كونه ذكرا اوعلى انه مجاز مرسل من قبيل تسمية الملك المنزل باسم القرءآن المنزل والقرءآن يطلق عليه الذكر لاشتماله على ذكر الله تعالى اولكونه آمرا به فيكون اطلاقه على الملك مجازا فى المرتبة الثانية اوعلى ان يكون الذكر بمعنى المذكور كضرب الامير فانه عليه الصلاة والسلام مذكور فى السموات اوعلى ان الذكر بمعنى ذى الذكر الذى هو الشرف (**قوله** لمواظبته على تلاوة القرءآن) يعنى انه عليه الصلاة والسلام شبه بالذكر وهو القرءآن لشدة ملابسته به تلاوة وتبليغا فاستعير له اسم الذكر وقرن به ما يلائم المستعار منه والانزال ترشيحا للاستعارة ويجوز ان يكون الانزال مجازا مرسلا عن الارسال بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه صلى الله عليه وسلم سبب لارساله (**قوله** اراد به) اى بالذكر القرءآن فيكون رسولا منصوبا بفعل محذوف دل عليه انزل اى انزل الله اليكم القرءآن وارسل اليكم رسولا فان انزال الذكر يدل على ارسال الرسول (**قوله** اوذكرا مصدر ورسولا مفعوله) فان المصدر المنون لكونه فى تأويل ان مع الفعل يعمل عمل فعله كما فى قوله تعالى اواطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فكأنه قيل قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ولكن رسول الله ونحوهما (**قوله** او بدله على انه بمعنى الرسالة) والمعنى حينئذ قد انزل اليكم رسالة اى ما يدل على حقية الرسالة فعلى هذا يكون قوله يتلو عليكم حالا من اسم الله (**قوله** تعالى مبينات) قرآءة الجمهور على لفظ اسم المفعول اى بينها الله كما قال قد بينا لكم الآيات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بكسر الياء على لفظ اسم الفاعل اى تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وعلى التقديرين هو حال من الآيات واللام فى ليخرج متعلق بانزل لا بقوله يتلو لانه مذكور على سبيل التبعية بخلاف انزل وفاعل انزل اما ضمير البارى تعالى اوضمير الرسول اوالذكر ولفظ الماضى فى قوله تعالى يااولى الالباب الذين آمنوا مبنى على انهم كانوا مؤمنين قبل نزول هذه الآية وقبل خطابهم بما فيها من النداء (**قوله** والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين آمنوا) يعنى ان المراد بالموصول الذى هو تابع المنادى السابق هو الموصول المذكور فى قوله ليخرج الذين آمنوا فيكون الموصول الثانى من وضع الظاهر موضع الضمير اشعارا بان المراد بالنور الذى اخرجوا اليه هو الايمان والعمل الصالح ولما ورد ان يقال الامتنان على الذين آمنوا قبل نزول الآية بان يقال يا ايها الذين آمنوا الآن قد انزلنا اليكم ذكرا رسولا ليخرجكم من ظلمة الكفر والمعاصى الى نور الايمان والطاعة بلام الغاية ولفظ المضارع المشعرين بانهم غير خارجين عنها حال نزول الآية فاسد لانه يستلزم ان يكونوا حال نزول الآية خارجين عن الكفر وغير خارجين عنه اشار الى جوابه بقوله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن وتقريره ان اللازم من جعل الاخراج غاية للانزال ان لا يكون الاخراج حاصلا زمان الانزال وهو لا ينافى كونه حاصلا زمان الخطاب فالمعنى ايها المؤمنون الآن قد انزلنا اليكم ذكرا قبل هذا الآن ليحصل لكم ما انتم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح (**قوله** اوليخرج من علم الخ) عطف على قوله ليخرج الذين آمنوا اى ويحتمل ان يكون المراد بالموصول الثانى ما هو اعم من الاول لان المراد بالموصول الاول هم الذين اتصفوا بالايمان وقت النداء وهو وقت نزول الآية ولا محذور فى ان يخاطبهم الله على سبيل الامتنان ويقول قد انزل الله اليكم ذكرا ليخرج من علم انه يؤمن اوقدر انه يؤمن ولاشك ان من علم الله انه يؤمن اومن قدر ايمانه اعم من الموجودين المؤمنين وقت النداء **قوله** تعالى خالدين فيها) حال من الضمير المنصوب فى يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع خالدين حملا على معناه ووحد ضميره حملا على اللفظ والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال من ضمير يدخله على الترادف لان ذا الحال واحد وقد انتصب عنه حالان اومن المنوى فى خالدين على التداخل **قوله** فيه تعجب وتعظيم) فان الجملة الخبرية الغير الموضوعة لانشاء التعجب قد يقصد بها التعجب كما فى قول الشاعر

وجارة جساس أباءت بنابها * كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وكأين من قرية) اهل قرية (عتت عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق (فذاقت وبال امرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة امرها خسرا) لاربح فيها اصلا (اعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله (فاتقوا الله يااولى الالباب) ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره اولنزوله بالذكر وهو القرءآن اولانه مذكور فى السموات اوذا ذكر اى شرف اومحمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرءآن اوتبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل منه رسولا للبيان اواراد به القرءآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل اوذكرا مصدر ورسولا مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة (يتلو عليكم آيات الله مبينات) حال من اسم الله اوصفة رسولا والمراد بالذين فى قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذين آمنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح اوليخرج من علم او قدر انه يؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد احسن الله له رزقا) فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب

(الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن)اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتدآء والخبر(يتنزل الامر بينهن) اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن و ينفذ حكمه فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قداحاط بكل شئ علما)علة لخلق اويتنزل اومضمر يعمهما فان كلامنهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهى ثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك)روى انه عليه السلام خلابمارية فى يوم عائشة اوحفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلاعند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك رآئحة المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغى مرضاة ازواجك) تفسير لتحرم اوحال من فاعله اواستئناف ببيان الداعى اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لايجوز تحريم ما احله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك

جملة خبرية قصد بها التعجب وكان كل واحد من جساس وكليب رئيسا لقبيلة على حدة وجارة جساس امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس وكان لها ناقة مسنة فرآها كليب فى حماه فرماها بسهم فقتلها فشكت بسوس صاحبة الناقة الى ابن اختها جساس فغضب فقتل كليبا قصاصا لناقة بسوس فهاجت حرب بين بكر وهى قبيلة جساس ووائل وهى قبيلة كليب اربعين سنة حتى ضرب بها المثل فى الشؤم وقيل اشأم من بسوس و بها سميت حرب بسوس وضرب لكل مايعتنى بشأنه و يبالغ فى حفظه اعز من حمى كليب والاباءة الاقتصاص وأباءت القتيل بالقتيل اذاقتلته من البواء وهو السوآء والناب الناقة المسنة وجعل قوله تعالى قد احسن الله له رزقا من قبيل ماقصد به التعجب لانه لوجعل خبرا محضا لما كان فى ذكره كثير فائدة لان المراد بالرزق مارزقوه فى الجنة ومعلوم انه حسن وان حسنه خارج عما تدركه العقول والاوهام (قوله اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض) اشارة الى ان مثلهن منصوب بفعل مقدر بعد الواو ودل عليه الفعل الناصب للسموات ولم يجعله معطوفا على سبع سموات كما ذهب اليه صاحب الكشاف لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور وهو مكروه فى غير موضع الضرورة وقرئ مثلهن بالرفع على الابتدآء وخبره من الارض قدم عليه ذهب الجمهور الى ان الارض سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء وفى كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ان الارضين ايضا سبع لكنها مطبقة بعضها فوق بعض لافتوق بينها بخلاف السموات قال القرطبى والاول اصح لان الاخبار دالة على ذلك (قوله اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن) وهو مايدبر فيهن من عجائب تدبيره على ايدى الملائكة والثقلين * تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق ومنه وكرمه

سورة التحريم مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

(قوله فواطأت)اى فوافقت روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى ويحب العسل وكان اذاصلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة بنت عمر رضى الله عنهما فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت والله لنحتالن له فاتفقت انا وسودة وصفية على ان نقول اذا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منا يارسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فلنقل عند ذلك فما هذه الرآئحة الكريهة وكان عليه الصلاة والسلام يشتد عليه ان توجد منه الرآئحة الكريهة و يعجبه ان يوجد منه الرآئحة الطيبة لمناجاته الملك فانه سيقول سقتنى حفصة شربة عسل فلنقل جرست نحله العرفط وهو نبت له رآئحة كرآئحة الخمر ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من عند حفصة ودخل علينا قالت كل واحدة منا ما اتفقنا عليه فقال عليه الصلاة والسلام لن اعود الى شرب العسل (قوله تفسير لتحرم) اى عطف بيان له فان حقيقة الاستفهام لما لم تتصور منه تعالى حمل على المعاتبة فى ارتكابه التحريم وعد ذلك منكرا منه عليه الصلاة والسلام ولما خفى وجه كون التحريم منكرا فسره بما ظهر كونه منكرا فان ابتغاء مرضاة الازواج من مثله عليه الصلاة والسلام بعيد لانهن احق بابتغاء مرضاته عليه الصلاة والسلام منه بابتغاء مرضاتهن فانه عليه الصلاة والسلام متفضل بذاته وفضيلتهن انما هى بالانتساب اليه وعلى تقدير كونه حالا من فاعل تحرم يكون الانكار راجعا الى القيد وتقدير كونه استئنافا ببيان الداعى الى الانكار انه تعالى لما انكر عليه التحريم اتجه له ان يسأل و يقول لم تنكر على يارب فيما حرمته على نفسى وقد وجد ذلك من الانبياء قبلى كما قلت فى كلامك المجيد الاماحرم اسرآئيل على نفسه فقيل له لانك تبتغى مرضاة ازواجك ومثلك لاينبغى له ذلك فهو استئناف لبيان الداعى الى الانكار ببيان مادعاه الى التحريم وانه لايصلح داعياء اليه (قوله فانه لايجوز تحريم مااحله الله) فان مااحله الله تعالى لايحرم الابتحريم الله تعالى اياه بوحى منزل متلو اوغير متلو فان من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قداحله الله فقد كفر فان قيل اذالم يجز ذلك فماوجه تحريمه عليه الصلاة والسلام ذلك قلنا المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا له لا اعتقاد كونه حراما بعدمااحله الله تعالى فان ذلك لايتصور من عوام المسلمين فكيف من الانبياء ولكنه يجوز ان يعد ذلك زلة يعاتب عليها

لان الامتناع عن الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه ففيه شائبة سوء الادب فلذلك عاتبه الله على ذلك بالاستفهام الانكارى (قوله قد شرع لكم تحليلها) فسر قوله تعالى فرض بذلك لان الفرض بمعنى الايجاب لا يعدى باللام واشار بقوله تحليلها الى ان تحلة مصدر حلل بتضعيف العين اصله تحللة نحو تكرمة من كرم والتحليل حل ما عقده فان الحالف كأنه عقد على نفسه البر ومحافظة اليمين وتحليل اليمين يكون على وجهين الاول ان يستثنى بان يقول ان شاء الله متصلا بيمينه فان الاستثناء لما كان مانعا عن انعقاد اليمين صار بمنزلة تحليلها فان كلمة ان شاء الله اذا اتصلت بالكلام السابق ترفع حكمه من اى جنس كان فان موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل ان شاء الله بوعده فى قوله ستجدنى ان شاء الله صابرا ثم لم يصبر لم يكن بعدم صبره مخلف وعده فان خلف الوعد من امارة النفاق لقوله عليه الصلاة والسلام آية النفاق ثلاث وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فحاشا من الانبيا ان يكون فيهم آية النفاق فعلم بذلك ان اقتران الاستثناء بالوعد يخرج الوعد عن كونه منعقدا فكذا اقترانه باليمين يخرجها عن الانعقاد فلذلك جعل بمنزلة التحليل فان كان المراد بتحلة الايمان فى الآية الاستثناء يكون المعنى قد شرع الله لكم تعقيب ايمانكم بالاستثناء كيلا تنعقد فيحنث الحالف باتيان المحلوف عليه والوجه الثانى من وجهى تحليل اليمين الحنث فمن حنث فى يمينه باتيان المحلوف عليه فقد انحلت يمينه ويجب عليه الكفارة لازالة عقوبة الحنث فان الحسنات يذهبن السيئات فالكفارة تشعر بان يكون انحلال اليمين بها وليس كذلك بل هى موجب انحلالها بالحنث الا ان التزام الكفارة لما كان طريقا الى تحليلها بالحنث صار بمنزلة السبب للتحليل فقال ذلك (قوله واحتج به من رأى التحريم مطلقا) اى سوآء حرم نحو الثوب والدابة اوحرم امرأته فمن حرم على نفسه شيأ منها لا يصير محرما عليه لانه قلب المشروع والعبد لا يقدر عليه الا ان الحنفية اعتبروه يمينا فى كل شئ واعتبروا الامتناع عن المنفعة المقصودة بما حرمه على نفسه فمن حرم على نفسه الطعام او الشراب ثم اكل او شرب لزمه كفارة يمين ومن حرم امته اوامرأته ثم وطئها او اقدم على شئ من دواعى الوطئ لزمته الكفارة وعند الامام الشافعى تحريم الحلال ليس بيمين مطلقا ولا يجب عليه الكفارة بذلك اصلا الا فى النساء والجوارى فان حرم عليه زوجته اوامته لا يكون ذلك يمينا عنده الا انه يجعله سببا لوجوب الكفارة عليه بمجرد تحريمه اياها سوآء قربها اولم يقربها لما ذكره المصنف من انه تعالى انكر نفس التحريم واوجب نقضه وتحليله بالكفارة وهو لا يستلزم كونه يمينا وان توقف وجوب الكفارة على الحنث بالقربان كما ذهب اليه الحنفية فانه عليه الصلاة والسلام كفر عن تحريمه بان اعتق رقبة الا انه لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام اعتق بعد استباحة ما حرمه عليه اوقبل الاستباحة (قوله مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل) ذكر الامام محيى السنة نقلا عن المفسرين انه عليه الصلاة والسلام كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ام ولده مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فرجعت فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك فقالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى ما رأيت لى حرمة وحقا وما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال عليه الصلاة والسلام اليس هى جاريتى احلها الله لى اسكتى فهى حرام على التمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج عليه الصلاة والسلام قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة رضى الله عنها فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله حتى حلف ان لا يقربها فنزلت فهذه الرواية صريحة فى انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين بعد التحريم فوجوب الكفارة مبنى عليه ولفظ التحريم لا اثر له فيها وذكر الامام محيى السنة ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما رأى الكراهية فى وجه حفصة اراد ان يرضيها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده فى ابى بكر وبعده فى ابيها عمر رضى الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة فاطلع الله تعالى نبيه على افشاء حفصة اياه وعرف النبى حفصة بعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) لقد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة اوالاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا اوتحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولى اموركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) المتقن فى افعاله واحكامه (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) تحريم مارية اوالعسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله عنهما (فلما نبأت به) اى فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث (واظهره الله عليه) واطلع النبى عليه السلام على الحديث اى على افشائه (عرف بعضه) عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت

يعنى ذكر الخلافة كره عليه الصلاة والسلام ان ينتشر ذلك فى الناس تكرما منه عليه الصلاة والسلام وحلما فانه قيل ما استقصى كريم قط وكلمة اذ فى قوله تعالى واذ أسر النبى الى بعض ازواجه مفعول به لاذكر المقدر فهو مفعول به لاظرف والمعنى اذكر اذ أسر النبى وفاعل نبأت مستتر فيه يرجع الى بعض ازواجه والاصل فى نحو نبأ وأنبأ ان يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثانى بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاول اعتمادا على مايدل عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة فى هذه الآيات فان قوله تعالى فلما نبأت به تعدى الى اثنين وحذف اولهما والثانى مجرور بالباء وهو ضمير الحديث اى نبأت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى أسره اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير المنصوب فى اظهره للنبى صلى الله عليه وسلم وضمير عليه راجع الى الحديث بتقدير المضاف اى على افشائه فعلى هذا يكون اظهر متضمنا معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه واظهره السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ اى اطلع الله النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام والمرفوع المستتر فى عرف النبى ومفعوله الاول محذوف اى عرف النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما افشته الى صاحبتها بان قال لها على طريق العتاب ألم آمرك ان تكتمى سرى ولاتبديه لاحد وذكر لها بعض الذى افشته وقال لها انك قد ذكرت كذا وسكت عن بعض ولم يذكره لها تكرما عن الاستقصاء وقد قيل ان الكريم لايبالغ فى العتاب وهذا المعنى على قرآءة التشديد فى عرف وهى قرآءة الجمهور وقرأ الكسائى بتخفيف الراء قال الفراء معناه غضب فيه وجازى عليه وهو من قول العرب انا اعرف الاحسان اى اجازى عليه وفى التنزيل وماتفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازى عليه وانما احتيج الى هذا التأويل على قرآءة التخفيف لان تلك القرآءة لاتحتمل غيره لانه تعالى اعلمه بجميع ما انبأت به حفصة صاحبتها لقوله تعالى واظهره الله عليه قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر رضى الله عنه قال لو كان فى آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لاتطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة فلم يطلقها (قوله لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب) يعنى ان كل واحدة من قرآءتى التشديد والتخفيف تدل على معنى المجازاة الا انه فى قرآءة التشديد ذكر المسبب وهو التعريف واريد السبب الذى هو المجازاة فان عتاب المسيئ ومجازاته سبب لتعريف اساءته كان معرفة اساءة المسيئ سبب لمجازاته فان مجازاة المسيئ بها تعرف اساءته كان معرفة اساءته سبب لمجازاته روى انه عليه الصلاة والسلام اعتزل نساءه وحلف ان لايدخل عليهن شهرا من شدة غضبه عليهن حين عاتبه الله تعالى بسببهن وقعد فى مشربة مارية ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت الناس يقولون انه عليه الصلاة والسلام طلق نساءه فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت لها أطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا ادرى هو معتزل فى هذه المشربة فأتيته فدخلت فسلمت عليه فقلت أطلقت نساءك يارسول الله فقال لا فقلت الله اكبر وفيه تفصيل كثير ذكره فى المعالم فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت مارية حتى نزلت آية التخيير قالت عائشة فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انك كنت اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك قد دخلت مع تسع وعشرين اعدهن فقال عليه الصلاة والسلام ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال لى ياعائشة انى ذاكر لك امرا فعليك ان لاتعجلى فيه حتى تستأمرى ابويك ثم قال ان الله عزوجل قال ياايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما فخيرنى بمقتضى هذه الآية الكريمة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائر نسائه فقلن كلهن مثل ماقلت رضى الله عنهن اجمعين وكانت تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيى ابن اخطب المخزومية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضى الله عنهن وعن سائر الصحابة اجمعين والمستتر فى قوله تعالى فلما نبأها به ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والبارز فى نبأها به ضمير حفصة والمجرور فى به ضمير الحديث الذى افشته حفصة اى فلما اخبر النبى حفصة بما اظهره الله عليه من انها افشت سره عليه الصلاة والسلام

(واعرض عن بعض) عن اعلام بعض تكرما اوجاراها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قرآءة الكسائى بالتخفيف فانه لايحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) فانه اوفق للاعلام

(ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عليه السلام بحب ما يحبه وكراهية ما يكرهه (وان تظاهرا عليه) وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف (وان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن) على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يوجب وقوعه

قالت حفصة له عليه الصلاة والسلام من اخبرك هذا بناء على انها ظنت ان عائشة اخبرته بذلك ثم انه تعالى لما ذكر ان بعض ازواج رسول الله افشت سره صلى الله عليه وسلم ونبأت به صاحبتها خاطبهما على سبيل الالتفات وعاتبهما بان اخبرهما ان قلوبكما زاغت عن الحق واوجب عليهما التوبة فقال ان تتوبا الى الله اى من التعاون وايذائه عليه الصلاة والسلام روى عن ابن عباس انه قال لم ازل حريصا على أن اسأل عمر عن الخاطب بقوله تعالى ان تتوبا من هما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يديه فتوضأ فقلت له من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سألته عنه قال هما حفصة وعائشة (قوله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة) اشارة الى ان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس جزاء الشرط من حيث ان صغو قلوبهما كان سابقا على الشرط فلا يصح كونه جزاء له لان الجزاء يجب ان يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه بل جزاء الشرط محذوف والمذكور يدل عليه من حيث انه علته اى ان تتوبا فقد اتيتما بما وجب عليكما اذ وجد منكما ما وجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب حيث احببتما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه افضل الصلاة واشرف التسليم يحب العسل والنساء اى ان صغو القلب الى اجتناب جاريته عليه الصلاة والسلام ذنب موجب للتوبة وجمع القلوب مع ان الشخصين لا يكون لهما اكثر من قلبين لبعد الالتباس وللاحتراز عن الجمع بين تثنيتين فى لفظ واحد (قوله وقرأ الكوفيون بالتخفيف) اصله تتظاهرا فخذفوا احدى التاءين وقرأ الباقون بتشديد الظاء بادغام التاء فيها والمعنى وان تتعاونا على ما يسوءه من الافراط فى التعبير وافشاء سره عليه الصلاة والسلام وجوابه ايضا محذوف وقد اشار اليه بقوله فلن يعدم من يظاهره وكيف يعدم المظاهرة والله مولاه اى وليه وناصره ولفظ هو فى قوله تعالى هو مولاه يجوز ان يكون فصلا لا محل له ومولاه خبران ويجوز ان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبران وهذا الوجه هو الاولى لان المقام مقام الدلالة على تقوى الحكم والايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه تعالى وانه يتولى ذلك بذاته وفى جعله فصلا بحث لانه قد تقرر ان توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرفتين يفيد الحصر واذا انحصرت الولاية له عليه الصلاة والسلام فى الله تعالى كيف يصح عطف جبريل وما بعده عليه فانه لا يقال زيد هو المنطلق وعمرو بل يقال لا غير (قوله رئيس الكروبيين) اشارة الى وجه تعظيم جبريل بتخصيصه بالذكر وعدم الاكتفاء عن ذكره بذكر الملائكة والكروبيون بتخفيف الراء بمعنى المقربين من كرب الشئ اذا دنا وقرب قيل فى هذا اللفظ ثلاث مبالغات احداها ان كرب ابلغ من قرب والثانية انه على وزن فعول وهو من اوزان المبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهى تزاد للمبالغة كاحمرى (قوله متظاهرون) يعنى ان الظهير بمعنى الجمع ليطابق الملائكة وافراد لفظه بناء على ان فعيلا يطلق على الواحد والكثير كفعول وفى التنزيل خلصوا نجيا وحسن اولئك رفيقا (قوله ولذلك عم بالاضافة) اى ولكون المراد بالصالح جنس من آمن وعمل صالحا عم باضافته لكل فرد من افراد الجنس المذكور فان اضافة اسم الجنس تفيد العموم (قوله وبقوله بعد ذلك) اى والمراد بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة (قوله من جملة من ينصره الله به) يعنى ان المراد بالبعدية البعدية بحسب الرتبة والاشارة الى نصرة الله تعالى بتوسط صلحاء المؤمنين ولا شك ان مظاهرة الملائكة اعظم من نصرة سائر ما يكون واسطة فى نصرة الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام لانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الانسان عليه وليس المراد البعدية الزمانية لان تظاهر الملائكة على موالاته عليه الصلاة والسلام ليس بعد موالاة صلحاء المؤمنين زمانا ثم انه تعالى لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وانه يجب عليكما ان تتوبا شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه الصلاة والسلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه عليه الصلاة والسلام ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك الا عليكما فانه تعالى يبدله حينئذ ازواجا خيرا منكما الا انه تعالى خاطب جميعهن مع ان الخطاب السابق ليس الا مع اثنتين منهن على تغليب المخاطب على غيره حيث عبر عن الجميع بما يعبر به عن الحاضرين فان الخطاب السابق انما كان مع حفصة وعائشة فكذا هذا الخطاب الا انه ادخل الغائبات فى الخطاب وخوطبن جميعا بطريق تغليب الحاضر على الغائب ويحتمل ان يكون التعبير عن الجميع بقوله طلقكن بناء على قصد تعميم الخطاب للجميع قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين الا انه عليه الصلاة والسلام اذا طلقهن لعصيانهن له وايذائهن اياه كان غيرهن من

وقرأ نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات اومنقادات مصدقات (قانتات) مصليات اومواظبات على الطاعة (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات اومتذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد اومهاجرات (ثيبات وابكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذالمعنى مشتملات على الثيبات والابكار (ياأيها الذين امنوا قوا انفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (واهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلي امرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال اوغلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما امرهم) فيما مضى (ويفعلون مايؤمرون) فيما يستقبل اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون مايؤمرون به (ياايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون) اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لاعذر لهم اوالعذر لاينفعهم (ياايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) اى بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة

الموصوفين بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيرامنهن وخيرية المبدلات لما علقت بامر لم تكن واقعة في نفسها وكان الله تعالى عالما بانه عليه الصلاة والسلام لايطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرامنهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم وقوله وقرأ نافع وابو عمرو بالتخفيف هذا مخالف لما ذكر في التيسير في فرش سورة الكهف من انه قرأ نافع وابو عمرو ان يبدلهما وفي التحريم ان يبدله وفي نون والقلم ان يبدلنا في الثلاثة بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف فينبغي ان يكون مافي الكتاب سهوا من الناسخين وقوله تعالى ان طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف اومتقدم اى ان طلقكن فعسى ربه ان يبدله وازواجا مفعول ثان لقوله ان يبدله وخيرا صفة الازواج وكذا مابعده من قوله مسلمات الى قوله ثيبات واخليت هذه الصفات كلها من العاطف وجيء به بين الثيبات والابكار وهما صفتان ايضا لانهما صفتان متنافيتان لايجتمعان في واحد بخلاف سائر الصفات (قوله مقرات مخلصات) فرق بين الاسلام والايمان اولا بان الاسلام هو الاقرار باللسان والايمان هو الاخلاص وثانيا بان الاسلام هو الانقياد الظاهر بالجوارح والايمان هو التصديق القلبي والاسلام بهذا المعنى لايستلزم الايمان بالمعنى المذكور فلذلك ذكر كل واحد منهما على حدة (قوله مصليات) هكذا فسره الحسن وفي الصحاح القنوت في الاصل هو الطاعة ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات ثم سمي القيام في الصلاة قنوتا وفي الحديث افضل الصلاة طول القنوت ومنه قنوت الوتر وفيه ايضا اصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد اى مذلل والعبادة الطاعة والتعبد التنسك ثم انه تعالى لما عاتب نساء النبي صلى الله عليه وسلم ودلهن على رشدهن امر الناس جميعا بطاعة الله تعالى والانتهاء عما نهاهم عنه وبان يأمروا ازواجهم واولادهم بذلك ويعلموهم الخير فقال ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم قوله قوا امر لجماعة الحاضرين من وقاه يقيه اى حفظه قال عمر رضي الله عنه يارسول الله نقي انفسنا فكيف لنا باهلينا قال عليه الصلاة والسلام تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتأمرونهم بما امركم الله به وقوله تعالى نارا مفعول ثان لقوله قوا لان وقى يتعدى الى مفعولين كما في قوله تعالى فوقاه الله سيئات مامكروا وقوله تعالى وقودها الناس صفة نارا والوقود بفتح الواو الحطب وبالضم مصدر بمعنى التوقد وقرئ به فلابد من تقدير مضاف اى ذووقودها (قوله تلي امرها) اى ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسي الحقيقي بل المراد الاستعلاء المعنوي وهو الاستيلاء والغلبة على مافيها من الامور (قوله اوغلاظ الخلق شداد الخلق) لايرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب مقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب مابين منكبي احدهم مسيرة سنة لوضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين الفا لهووا في النار وقال عليه الصلاة والسلام في حق خزنة جهنم مابين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب (قوله فيما مضى وفيما يستقبل) لما توهم اتحاد الجملتين من حيث المعنى لان العصيان عبارة عن مخالفة الامر وترك المأمور به فيكون انتفاء العصيان باتيان المأمور به فيكون عطف قوله ويفعلون مايؤمرون على ماقبله كعطف الشيء على نفسه اشار بما ذكره الى الفرق بين الجملتين بان اتيان المأمور به علق اولا بقوله ماامرهم وثانيا بقوله مايؤمرون فاختلفت الجملتان باختلاف المتعلق وتقرير الوجه الثاني ان المراد بعدم العصيان تقبل ماامروا به والالتزام باتيانه من غير استثقال وتردد وفعل ماامروا به اتيانه حسبما التزموه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بترك المعاصي وفعل الطاعات بين لهم ان العذر لايقبل يوم القيامة فقال ياايها الذين كفروا الآية ثم نبه المؤمنين على ان طريق وقاية الانفس من النار هو التوبة النصوح فقال ياايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا (قوله اى بالغة في النصح) اشارة الى ان نصوحا من ابنية المبالغة مثل صبور وشكور والنصح والنصاحة خلوص الود وصفاء المحبة قال الاصمعي الناصح الخالص من العسل وغيره وكل شيء خلص فقد نصح وقيل النصح الصدق من قولهم نصحت الابل الشرب تنصح نصوحا اى صدقته وانصحتها انا اى اورويتها ومنه التوبة النصوح وهي الصادقة التي يقلع بها صاحبها عن المعصية قلبا وقالبا ويندم على ماصدر منه كمال الندامة ونصح التوبة بمعنى صدقها يستلزم كون صاحبها ناصحا نفسه خالصا في ارادة الخير لها فان التائب اذا صدق الله تعالى في توبته بان توجه اليه بكليته راجعا عن المعصية باتم وجوهه فقد نصح وخلص نفسه بتوبته على الوجه المذكور فلذلك لم يتعرض المصنف لتفسير النصح بالصدق وقال وهو صفة التائب وجعل اسناد النصح

الى التوبة اسنادا مجازيا كما فى جد جده (قوله اوفى النصاحة) عطف على قوله فى النصح اى وقيل كون التوبة نصوحا عبارة عن كونها بالغة فى خياطة ما خرق الذنب واصلاح ه الجوهرى النصح بالفتح مصدر قولك نصحت الثوب خطته ومنه رقأت الثوب ارفؤه رفئا اذا اصلحت ماوهى منه ورممه بالمهمز (قوله تقديره ذات نصوح) ذكر لانتصاب نصوحا على تقدير كونه مصدرا ثلاثة اوجه الاول انه صفة توبة بتقدير المضاف ويجوز ان يكون من باب التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل والثانى انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة توبة اى تنصحهم نصوحا والثالث انه مفعول له اى لاجل النصوح لانفسكم (قوله يجمعها ستة اشياء) زاد الكشاف سابعا وهو قوله وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصى فالمذكور على نقله سبعة اشياء لكن رد المظالم واستحلال الخصوم فى حكم شئ واحد من حيث اشتراكهما فى كون الذنب الذى تاب عنه من حقوق العباد كما ان قوله وللفرائض الاعادة على تقدير ان يكون الذنب حقا لله تعالى كترك صلاة وصوم اوتفريط فى زكاة فان التوبة عن امثالها لا تصح حتى ينضم الى الندم قضاء مافات منها كانه قيل ان كان الذنب من حقوق الله تعالى فالتوبة عنه تكون بالاعادة والقضاء وان كان من حقوق العباد فلا يخلو اما ان يكون ماليا او متعلقا بالعرض فاذا كان ماليا فالواجب رده ان كان باقيا ورد عوضه ان كان تالفا وان كان متعلقا بالعرض كالسفاهة والغيبة فالواجب استحلال الخصم (قوله عطف على النبى) اى ولا يخزى الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستأنفا اوحالا وان جعل الموصول مبتدأ ونورهم يسعى خبره يكون قوله يقولون خبرا بعد خبر ثم انه تعالى لما عاتب ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهن الى ماهو اصلح لهن ثم خوف المؤمنين بعذاب الآخرة ودعاهم الى التوبة النصوح دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى الجهاد ودعا كل طائفة الى ماهو الاصلح لها فقال يا ايها النبى جاهد الكفار ثم انه تعالى لما حكم بان مأوى الكفار والمنافقين جهنم زعم الذين بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم او بينهم وبين المؤمنين نسبة اووصلة بنسب ان ينتفعوا بها فابطل الله تعالى زعمهم بان مثل حالهم بحال امرأتين كافرتين كانتا تحت نبيين فانهما لم ينتفعا بالانتساب الى ذينك العبدين المكرمين عند الله تعالى لتحقق المخالفة بينهما وبين زوجيهما فى الطريقة والسيرة فكذلك الكفار والمنافقون لا ينتفعون بالانتساب الى المقربين عند الله تعالى وفى ضرب هذا المثل نوع تعريض بأمى المؤمنين حفصة وعائشة رضى الله عنهما بان وصلتهما بالنبى صلى الله عليه وسلم لا تغنى عنهما من الله شيأ اذا عصتا وتظاهرتا على مايسوءه ولذلك ذكر امرأتين تحت نبيين (قوله تعالى كانتا تحت عبدين) جملة مستأنفة لبيان حال الامرأتين حتى يتضح التمثيل (قوله يريد به) اى بنظم الكلام على هذا الاسلوب حيث وضع الظاهر موضع الضمير فان الظاهر ان يقال كانتا تحتهما لتقدم ذكر نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام (قوله بالنفاق) وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان خيانتهما لم تكن بالبغى لانه مابغت امرأة نبى قط وانما خانتا بسبب انهما على غير دين زوجيهما بالشرك والنفاق قطع الله بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية ثم طمع ان ينفعه صلاح غيره ثم انه تعالى لما مثل حال الكفار بحال امرأة نوح وامرأة لوط فى انهما لم ينتفعا بصلاح زوجيهما مثل ايضا حال المؤمنين بحال امرأة فرعون فى انها لم تضرها وصلة الكافر وجوزيت على حسب اخلاصها وصبرها على اذية الكفار لثباتها على دينها وبحال مريم ام عيسى عليه الصلاة والسلام فى انه تعالى اكرمها بمجرد صلاحها فى نفسها مع كونها ارملة لا زوج لها صالح ولا طالح فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا الاية وضرب بمعنى جعل وصير ومثلا مفعوله الاول وامرأة فرعون مفعوله الثانى بتقدير المضاف اى جعل الله مثلا للذين آمنوا مثل امرأة فرعون والمثل المقدر بمعنى الحال او القصة الغريبة وهذا التصريح بان المثل اريد به معناه المجازى وهو الحال او القصة الغريبة فلذلك تعلق به الظرف وهو قوله اذ قالت اى شبه ومثل حالهم بحالها وقت قولها رب ابن لى عندك بيتا وليس المراد بالعندية فيه عندية المكان وهو ظاهر بل انها طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب فقالت فى الجنة ويحتمل ان يكون قولها عندك كناية عن ارتفاع درجتها فى الجنة كانها قالت رب ابن لى عندك بيتا رفيعا فى جنة المأوى التى هى اقرب الجنان الى العرش روى انه لما غلب موسى عليه الصلاة والسلام السحرة آمنت آسية امرأة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها وتدا يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس قبل امر فرعون بان يلقى عليها صخرة وهى فى الاوتاد فدعت الله تعالى بقولها رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فرفع

اوفى النصاحة وهى الخياطة كانها تنصح ماخرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور اوالنصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح اوتنصح نصوحا اوتوبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء (يوم لا يخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبى عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره (نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم) اى على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير) وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (يا ايها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم اومأواهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما (وقيل) اى لهما عند موتهما او يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قريبا من رحمتك اوفى اعلى درجات المقربين (ونجنى من فرعون وعمله) من نفسه الخبيثة وعمله السيئ (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط التابعين له فى الظلم

روحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لاروح فيه وقيل استانفت وملت صحبة فرعون فسألت ذلك فكشف الله تعالى عن بيتها فى الجنة حتى رأته قبل موتها (قوله فى فرجها) قال المفسرون المراد بالفرج ههنا الجيب فان جبريل عليه الصلاة والسلام قدجيب درعها باصبعيه ثم نفخ فى جيبها فحبلت بعيسى فعلى هذا يكون قوله تعالى فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج فى قوله تعالى احصنت فرجها هو العضو واريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فان كل خرق فى الثوب يطلق عليه لفظ الفرج ومنه قوله تعالى ومالها من فروج قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هوجيب الدرع واختار ان يحمل على اصل معناه العرفى ووصفها الله تعالى بقوله احصنت فرجها ابطالا لقول من قذفها بالزنى والعياذ بالله تعالى وقوله فنفخنا من باب اسناد الفعل الى السبب الآمر والاصل نفخ جبريل بامرنا من روحنا اى روحا من ارواحنا وهو روح عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله اى فى مريم) قيل فعلى هذا يدل الكلام على احياء مريم لان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه وليس المراد احياء مريم بل المراد احياء عيسى عليه الصلاة والسلام فى بطن مريم فينبغى ان يكون تقدير الكلام حينئذ نفخنا الروح فى عيسى فيها بمعنى احييناه فيها (قوله كفضل الثريد على سائر الطعام) فان العرب لايؤثرون على الثريد شيأ من الطعام وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول ونحو ذلك * تمت سورة التحريم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين آمين آمين

(سورة الملك مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى تبارك) قال ابن عباس رضى الله عنهما اى تعالى وتعاظم عن صفة المخلوقين الذى بيده الملك اى على كل موجود لامتصرف فى العالم غيره لان تقديم الظرف يفيد الاختصاص وقيل انه تفاعل من البركة وهى النماء والزيادة اى كثرت بركات اسمائه وصفاته ووصلت صنوف احسانه الى جميع خلقه وقيل من البروك وهو الثبات والقرار يقال برك البعير يبرك بروكا اى استناخ وكل شئ ثبت واقام فقد برك اى دام بره ودام خيرت (قوله بقبضة قدرته التصرف) يعنى ان اليد مجاز بمعنى القدرة وهى الصفة المؤثرة على وفق الارادة شبهت هذه الصفة فى الغالب بالجارحة التى هى معظم مبادى التأثير فى الشاهد فعبر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلاء على التصرف فى الموجودات كلها ويدل عليه اطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق ولان الكلام مسوق لمدح ذاته وتعظيم شأنه ومقام المدح والتعظيم يستدعى الحمل على العموم (قوله على كل مايشاء) اشارة الى ان الشئ مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الامير ومعنى مشئ الوجود مايشاء الله وجوده وان كان موجودا فى الجملة الا ان مشيئة الوجود تستدعى سبق العدم فيكون معدوما ممكنا ولايتناول الواجب والممتنع بين الله تعالى بقوله بيده الملك انه مستولى على التصرف فى الموجودات كلها وبقوله وهو على كل شئ قدير قدرته على المعدومات الممكنة باسرها وانه لايخرج شئ من المعدومات والموجودات عن ملكه وقدرته فيكون قوله وهو على كل شئ قدير تكميلا لقوله بيده فان قلت ماذكرته يدل على ان الشئ اعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لانقول به بل هو مذهب المعتزلة وايضا قولك الشئ لايتناول الواجب والممتنع ينافى قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله فانا نسمى الله شيأ لا كالاشياء قلنا كون المعدوم الممكن شيأ بمعنى مشئ الوجود لاينافى كون الشئ مختصا بالموجود لان ماشاء الله وجوده موجود فى الجملة لان مراد الله تعالى لايتخلف عن ارادته وقولنا الشئ لايتناول الواجب هو الشئ بمعنى مشئ الوجود لا الشئ بمعنى الشائى فان الشئ اذا اطلق على البارى تعالى يكون بمعنى الشائى واما فى قوله تعالى خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل فان الشئ فيهما بمعنى مشئ الوجود فلاحاجة الى ان يقال انه من قبيل المخصص بدليل العقل واحتج بعضهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشئ فقال لو كان شيئا لكان قادرا على نفسه وخالقا لنفسه وهو محال ونحن نقول انه تعالى ليس بشئ بمعنى مشئ الوجود ولايلزم منه ان لايكون شيئا اصلا لانه تعالى شئ بمعنى انه شائى (قوله اواوجد الحياة وازالها) جواب عما يقال الحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وبالاحساس والحركة الارادية فكونها متعلقا للخلق ظاهر واما الموت فهو صفة عدمية لكونه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل يقبلها فكيف

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التى احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم اوالحمل (من روحنا) من روح خلقناه بلاتوسط اصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة اوبما اوحى الى انبيائه (وكتبه) وما كتب فى اللوح اوجنس الكتب المنزلة ويدل عليه قرآءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل (وكانت من القانتين) من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم اومن نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

(سورة الملك مكية ثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذى بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل مايشاء قدير (الذى خلق الموت والحياة) قدرهما اواوجد الحياة وازالها حسبما قدره

وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون (ايكم احسن عملا) اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم

يكون متعلقا للخلق وهو عبارة عن الايجاد والتكوين فلا يتعلق الا بما يقبل الايجاد فاجاب عنه اولا بان الخلق وان كان يستعمل فى الايجاد الا انه فى الاصل بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع قال الحجاج ماخلقت الافريت ولا وعدت الاوفيت والخلق ههنا بمعنى التقدير وثانيا بان لا نسلم ان الموت صفة عدمية بل هو صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة يقبل كل منهما الايجاد والتكوين الا ان ايجاد احد الضدين لما كان مستلزما لازالة الآخر عن محله عبر عن ايجاد الموت بازالة الحياة واحتج اهل السنة بهذه الاية على ان الموت صفة وجودية وقالوا انه لو كان امرا عدميا لما تعلق به الخلق والتكوين **(قوله وقدم الموت)** مع ان الحياة متقدمة على الموت اما لان المراد بالموت الحالة القائمة بالنطفة والعلقة والمضغة وبالحياة الحالة المرتبة على نفخ الروح فى الجنين واما لان المقصود من سوق الاية تحريض المكلفين على حسن العمل والموت ادعى الى هذا المقصود بالنسبة الى الحياة فان نصب الموت بين العينين اقوى الزواجر عن المعاصى واقوى الدواعى الى حسن العمل ولا شك ان ماهو ابلغ فى التأدية الى الغرض المسوق اليه الكلام اهم فقدم على الثانى **(قوله ليعاملكم معاملة المختبر)** يعنى ان البلوى وهو الاختبار والامتحان ليس على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عاقبة الامر بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان يشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى مثلها ويدعى دخول الاولى فى جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز فى مجموع ذلك اللفظ المركب لا فى مفرداته بل هى باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا كما فى قولك انى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فكذا فى هذه الآية الكريمة شبهت حاله تعالى مع المخاطبين الذين كلفهم بالاوامر والنواهى بعدما مكنهم من فعل الطاعة والمعصية وبين لهم عاقبة كل واحدة منهما حتى يظهر منهم ما ثبت فى علمه الازلى من طاعة المطيع ومعصية العاصى ليجازيهم على حسب علمهم لا على حسب علمه بما يصدر عنهم فانهم لا يستحقون الثواب والعقاب بما فى علمه تعالى بل بما كسبوه باختيارهم بحال المختبر مع المختبر فاستعيرت العبارة الموضوعة للدلالة على حال المختبر مع المختبر لحاله تعالى مع المخاطبين ومايظهر من خلق المكلفين وتكليفهم من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غير ما تعلق به العلم الازلى منهما فان العلم الازلى يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان او لا يقعان لان ذلك لا يكون علما ومايظهر من خلقهم وتكليفهم هو تحققهما ووقوعهما بالفعل فمعنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم هذا المعنى واقعا بعدما علم انه سيحصل ولا يلزم منه تجدد علمه تعالى وحدوثه بل التجدد انما هو فى جانب المعلوم وزعمت الفلاسفة انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلى هربا من تجدد علمه تعالى وذهب المسلمون الى انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئى فيعلم عند وجودها انها وجدت وعند عدمها انها عدمت كما انه تعالى يعلم فى الازل انها ستوجد فى وقت وتعدم فى آخر فلا يعتبر علمه الازلى بل المعتبر تعلقاته على حسب تغير المعلوم واللام فى قوله تعالى ليبلوكم تدل على ان افعاله تعالى معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة وعند اهل السنة ليس الكلام محمولا على ظاهره لقيام الدليل على انه تعالى لا يفعل لغرض بل المقصود بيان الحكمة المرتبة على فعله تشبيها لها بالعلة الغائية فى ان كل واحدة منهما مترتبة على وجود الفعل فان قيل الابتلاء انما يكون بالاحياء والتكليف فما معنى خلق الموت للابتلاء والجواب عنه يعلم من قوله آنفا ولانه ادعى الى حسن العمل فان معنى الاية انه تعالى اعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وتتمكنون بها منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح من حيث ان وراءه البعث والجزاء الذى لابد منه لبقاء حكمه وملكه ليعاملكم معاملة المختبر ويظهر مافى علمه الازلى ويميز المطيع من العاصى فيجازى كل احد بما يستحقه **(قوله اصوبه واخلصه)** فان احسن الاعمال ماكان اصوب بان يكون موافقا للسنة واخلص بان لا يشوبه شئ سوى ابتغاء وجه الله والعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لوجه الله تعالى لم يقبل ايضا وفسر حسن العمل بحسن العقل لان حسن العمل يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا فان من تم عقله يكون اشد خوفا من الله تعالى واكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا **(قوله جملة واقعة)** يعنى ان قوله تعالى ايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثانى لفعل البلوى وقوله المتضمن الخ دفع لما يقال من ان فعل البلوى يتعدى الى مفعول واحد بنفسه وانما يتعدى الى الثانى بواسطة الباء وقد اخذ ههنا مفعوله وهو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعى مفعولا ثانيا يتعدى

(الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا اوذات طباق جمع طبق كجبل وجبال اوطبقة كرحبة ورحاب (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض مافى الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول اولكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ماأخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ماينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه (ثم ارجع البصر كرتين) اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل

الية بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعه وتقريرا لدفع نعم ان الامر كذلك الاانه متضمن لمعنى العلم فكأنه قيل ليعلم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا سدت الجملة الاسمية التى بعده مسده ثم ان فعل البلوى لما كان فى قوة افعال القلوب التى من خصائصها ان تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت أزيد افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى لنعلم اى الحزبين احصى احتمل ان يكون معلقا عن مفعوله الثانى باى لكونه متضمنا لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت انى اعلم ايكم افضل كان المعنى اعلم أزيد افضل ام عمرو واعلم لايعمل فيما بعد الف الاستفهام فكذا لايعمل فى اى لاتحاد المعنى فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله وليس هذا من باب التعليق وتقرير دليله انه اذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة مصدرة بكلمة الاستفهام لايكون الفعل معلقا عن الجملة الاستفهامية اذيلزم منه وقوعها خبرا والانشاء لايقع خبرا كما هو المشهور عند النحويين وبيان الملازمة انه على تقدير التعليق يكون اعراب الجملة المعلق عنها كاعرابها اذا لم يتقدم عليها فعل القلب فيلزم ما ذكر من كون الانشاء خبرا بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان التعليق حينئذ لايستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشرى على ان الفعل لايعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثانى بان الفعل لااثر له فى لفظ الجملة بل فى محلها فاذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة وجب ان لايفرق بين كونها مصدرة باداة التعليق وغير مصدرة بها صورة اولفظا كما فى قولك علمت زيدا ابوه قائم وعلمت زيدا لابوه قائم فان عمل علمت ليس الافى محل ابوه قائم سواء صدرت الجملة باداة التعليق ام لا فلا وجه لجعل الاول من باب الاعمال والثانى من باب التعليق بل يجب ان يكون كلاهما من باب الاعمال نقل عن الزمخشرى انه قال اذا قلت علمت لزيد منطلق فهذا تعليق الفعل عن العمل فى اللفظ والصورة فكذا يمنع الفعل عن العمل فى الصورة اذا وقع بعده ما يستوجب صدر الكلام فلا يعمل الفعل المعلق فيما بعده لفظا محافظة على صدارته ويعمل تقديرا لان معنى قولك علمت لزيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزأين ومن شرط التعليق عند النحويين ان لايذكر شئ من المفعولين كما فى قولك علمت ايهم اخوك وعلمت لزيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام صحيح فى نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم واذا كان كذلك فليس مما نحن فيه وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس من باب التعليق فى شئ لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب وذكر فى شرح الرضى انه اذا صدر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لايعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وعلمت بكرا ابو من هو وجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعا لان معنى الاستفهام يعم جميع ماوقع بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وعلمت ابو من بكر وليس بقوى لاتفاقهم على النصب فى علمت زيدا ماهو قائما مع ان المعنى علمت مازيد قائما (قوله اذا خصفتها طبقا على طبق) اى اذا خرزتها واضعا طاقاتها بعضا على بعض قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلصقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما وقوله تعالى طباقا اما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع سموات للمبالغة فى مطابقة بعضها بعضا اومصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة سبع (قوله اوذات طباق) عطف على قوله مطابقة اى يجوز ان يكون طباقا جمع طبق كجبل وجبال اوجمع طبقة كرحبة ورحاب فلا بد من تقدير المضاف اى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ورحبة المسجد بالتحريك ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات (قوله صفة ثانية) اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قررناه ولما جعله صفة ثانية وقد تقرر ان الجملة الواقعة صفة لابد من كونها مشتملة على مايعود الى الموصوف بها جعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لان موضوع العظيم عظيم والاصل ماترى فيهن وقوله من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه (قوله والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك) وجه الاشعار ان اضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمن يعم كل مخلوق فيشعر ذلك بعمومه (قوله وان فى ابداعها نعما) ووجه الاشعار به ان اضافة خلقها الى الرحمن يدل على ان خلقها رحمة بالغة ونعمة جليلة (قوله متعلق به) اى بقوله ماترى على وجه التسبب اخبر انه لاتفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر اى ارفع نظرك الى السماء مرة بعد اخرى حتى يصح عندك ما اخبرت به بطريق المعاينة اذ ليس الخبر كالمعاينة فالفاء السببية تدل على ان الاخبار بعدم التفاوت سبب لان يؤمر المخاطب برجع البصر ليتحقق عنده حقيقة الحال ورجع يجيء لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره (قوله فى ارتياد الخلل)

اى فى طلبه يقال راده يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى طلبه (قوله كما فى لبيك وسعديك) فان اصلهما ألب لك ألبابين اى اقيم بخدمتك اقامة بعد اقامة ولا ابرح عن مكان الخدمة ابدا واسعدك اى اعنيك اسعادين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف ألب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيهما للتكثير كما فى نحو كرتين ومرتين وقوله كرتين منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فان المعنى ثم ارجع البصر رجعتين آخرتين وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد ان نكرر النظر اليها مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو حسير فان فعيلا بمعنى الفاعل من الحسور وهو الاعياء فقوله وهو حسير معناه انه بالغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم ان البصر لا يبلغ غاية الكلال برجعه كرتين اثنتين فقط (قوله طردا بالصغار) تنبيه على ان قوله خاسئا اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب بنفسه فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كانه زجر وطرد عن مكانه بالذلة وخسأ يستعمل لازما ومتعديا يقال خسأت الكلب اى طردته وخسأ الكلب بنفسه ولا يجوز ان يكون خاسئا فى الآية مشتقا من المتعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا مطرودا روى عن ابن عباس انه قال الخاسئ الذى لم ير ما يهواه وقوله تعالى ينقلب جواب الامر وخاسئا حال من البصر وقوله وهو حسير جملة حالية من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فتكون حالا متداخلة واعلم انه تعالى لما قال وهو العزيز الغفور ومن المعلوم ان كونه عزيزا غفورا لا يتم الا بعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات استدل اولا على كمال قدرته بقوله الذى خلق سبع سموات طباقا ثم استدل على شمول علمه بقوله ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر ما يدل على كونه قادرا عالما فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى تدل على كون صاحبها عالما حكيما (قوله اقرب السموات الى الارض) اشارة الى ان الدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء قربى انما هو بالنسبة الى ما تحتها من الارض لان القربى بالنسبة الى العرش هى السماء السابعة والمصابيح السرج استعير منها للكواكب تشبيها لها بها فى الاضاءة والتنوير (قوله ولا يمنع ذلك) جواب عما يقال قد اتفق اهل الهيئة على ان الكواكب الثابتة مركوزة فى الفلك الثامن فعلى تقدير صحة ما ذهبوا اليه كيف يوجه قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا وتقرير الجواب ان كون الثوابت زينة السماء الدنيا لا يقتضى كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السموات وتكون ظاهرة فيها وزينة لكون السموات شفافة لا يحجب بعضها ما كان مركوزا فيما فوقها (قوله رجما لاعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها) اى بسقوطها يقال انقض الحائط اذا سقط وكذا انقض الطائر والشهب جمع شهاب وهى شعلة نار ساقطة تنفصل من نار الكواكب وليس ما يرجم به الشياطين نفس الكواكب بل هى قارة ثابتة فى مواضعها لم ينقص شئ منها بالرجم مع ان هذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وهذا معنى قوله بانقضاض الشهب المسببة عنها فان الشهب التى تنقض لرمى المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب التى هى قارة فى الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار والنار ثابتة بكمالها فى موضعها روى ان السبب فى جعلها رجوما ان الجن كانت تستمع خبر السماء فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حرست السماء ومنعت من تقرب الشياطين اليها فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمى بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيلتبس على الناس امر النبوة بامر الكهانة وهذا لا يستلزم ان لا تكون هذه الشهب موجودة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم البتة بل يجوز ان توجد قبلها لاسباب أخر حتى ان قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها واسبابه فى كتبهم وانما يدل على ان الذى جعل بعد البعثة ما رجم به الشياطين عن ابن عباس قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الصحابة اذ رموا بنجم فانار الجو منه فقال ما كنتم تقولون اذا حدث فى الجاهلية مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر فى السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهى ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهى الى هذه السماء وتخطفه الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه (قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا) اى قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمى بل هو من الرجم الذى هو ان يتكلم الرجل بالظن كما فى قوله تعالى رجما بالغيب عن قتادة قال خلق الله تعالى النجوم لثلاث كونها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر

والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) اقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا فى السموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه

(تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية (كلما القى فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير) اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (او نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا فى اصحاب السعير) فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فأسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته

والبحر ومعرفة الاوقات فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به وتعدى وظلم ولما ذكر ان الكواكب من جملة منافعها ان يرجم بها الشياطين فى الدنيا بين ان لهم فى العقبى عذابا فوق ذلك وهو ما اعد الله لهم من عذاب السعير قال المبرد سعرت النار فهى مسعورة وسعير كقولك مقتولة وقتيل واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان النار مخلوقة الآن لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضى ثم ان الله تبارك وتعالى لما اثبت كمال قدرته وعلمه بما ذكره من الدلائل وبين بذلك صحة اثابة من احسن عملا وعقاب من اساء ساق الكلام الى ان ذكر انه اعد لهم اى للمرجومين بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها ان عذابها لا يختص بهم بل يعم الكفرة فقال وللذين كفروا بربهم الخ وعذاب جهنم فى قراءة الجمهور مرفوع على الابتداء وقوله وللذين كفروا خبره قدم عليه وقرئ بنصب عذاب على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور وشبه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فاطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير اوله وقيل الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق قال مقاتل اذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب فى النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا وقال عطاء سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقا فهو على حذف المضاف (قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم) جواب عما يقال ليست النار من الاحياء التى من شأنها الغيظ فكيف وصفت به فاجاب عنه اولا بحمل الكلام على التمثيل حيث شبه اشتعالها بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باهتياج المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال والتمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل ان يكون بمعنى التخييل بان شبهت جهنم فى النفس لشدة غليانها باهلها وقوة صوت اهلها بالانسان المغتاظ على غيره واثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلا على التشبيه المضمر فى النفس والغيظ اشد الغضب والغضب فوران دم القلب ارادة الانتقام والتغيظ اظهار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فقد ورد فى بعض الاخبار اتقوا الغضب فانه جمرة فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه (قوله قالوا بلى قد جاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مع انهم لو اقتصروا على قولهم بلى لفهم مرادهم لزيادة التحسر والاغتمام على تفريطهم فى قبول قول النذير (قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال) اشارة الى ان قوله ان انتم الا فى ضلال كبير من مقالة الكفار اى وقلنا لهم ما انزل الله من شئ على ألسنتكم ان انتم يامعشر الرسل الا فى ضلال كبير اعترفوا بعدل الله تعالى واقروا بانه تعالى ازاح عذرهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه بتكذيبهم الرسل ثم اعترفوا بجهلهم حيث قالوا وهم فى النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا اليوم فى اصحاب السعير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة الا على قدر عقله وقال عليه الصلاة والسلام الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم (قوله والنذير اما بمعنى الجمع) اى على تقدير ان يكون قوله تعالى ان انتم الا فى ضلال كبير من جملة كلام الكفار وخطابهم للمنذرين لابد ان يكون النذير بمعنى الجمع ليصح خطاب النذير بقوله ان انتم او يكون مصدرا بمعنى الانذار كالرجيف والانين على حذف المضاف او على انه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كانهم لكثرة انذارهم وغلوهم فى ذلك واتفاقهم فيه كانوا انذارا واحدا (قوله او الواحد) عطف على قوله الرسل فى قوله اى فكذبنا الرسل اى ويجوز ان يكون نذير بمعنى منذر واحد ويكون قوله ان انتم خطابا له ولامثاله (قوله او اقامة تكذيب الواحد) عطف على التغليب (قوله ويجوز ان يكون الخطاب) عطف على ما يفهم من قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فانه يدل على ان قوله ان انتم من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل وان كان الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ما كانوا عليه فى الدنيا من ضلالهم فى باب الاعتقاد والعمل او ما كانوا عليه فى جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالا او على ان يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال ضل الشئ اذا ضاع وهلك (قوله فأسحقهم الله سحقا) يعنى ان سحقا منصوب على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف ناب المصدر مناب عامله فى موضع الدعاء كما فى رعيا وسقيا وجدعا وهذا من المواضع التى يجب فيها حذف المفعول المطلق سماعا واختلف النحاة فى انه مصدر لفعل ثلاثى او لفعل رباعى جاء على حذف الزوائد فذهب اكثر النحاة الى انه مصدر اسحقه الله اى ابعده

والسحق البعد وكان القياس ان يقال اسحاقا الا انه جاء المصدر على الحذف كما فى قوله فان اهلاك فذلك كان قدرى
اى تقديرى ومن جعله مصدرا لفعل ثلاثى بنى كلامه على انه سمع سحقه الله ثلاثيا ولم يلتفت المصنف اليه لان
استعمال الثلاثى متعديا فى غاية الندرة وانما يستعمل لازما فيقال سحق الشئ بضم العين فهو سحيق اى بعيد
واسحقه الله اى ابعده وقرأ العامة سحقا بسكون الحاء وقرئ بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون المثقل
اصلا للمخفف واللام فى قوله لاصحاب السعير للبيان كما فى رعيالك وسقيالك (قوله والتغليب للايجاز
والمبالغة) هكذا فى اكثر النسخ ووجد فى بعضها والتغير بدل التغليب وليس فى نظم الآية تغليب بالمعنى
المتعارف لان جميع ابواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجمع فى كون اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له وليس
فى قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير لفظ مستعمل فى غير ما وضع له غاية ما فى الباب ان يطلق اصحاب السعير
على الكفرة الذين كذبوا الرسل واستعمال العام فى الخاص وان سلم كونه مجازا فليس من باب التغليب مع
انه ليس بمستعمل فى الخاص بل هو مستعمل فى اصل معناه وهو من يلابس السعير ويدخلها سواء كان
خالدا فيها اولا كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام يا صاحبى السجن فاطلاق اصحاب السعير
واهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالا للفظ فيما وضع له فلا يكون من
باب التغليب العرفى فاذا كانت عبارة التغليب بعيدة كل البعد وبعض السلف من المحققين اعتمد على النسخة التى
وقع فيها عبارة التغيير بدل التغليب حيث قال قوله فى سورة الملك والتغيير للايجاز والمبالغة والتعليل يريد ان
الاصل ذكر الفعل والاتيان بالضمير لكن غير الاسلوب لحذف الفعل للايجاز وهو ظاهر وللمبالغة بان ذكر
السحق اولا مبهما من غير بيان من يستحقه وانه لمن هو ثم جاء بقوله لاصحاب السعير بيانا للمعنى بالدعاء
ولو ذكر الفعل لفات هذا المعنى وكثيرا ما يترك البيان للعلم كما يقال حمدا وشكرا وعدل عن ذكر الضمير للتعليل
فان علة اللعن ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من اصحاب السعير باختيار الكفر والتكذيب ووقع
فى بعض النسخ والتغليب بدل قوله والتغيير وهو سهو من قلم الناسخ اذ لا وجه له اصلا هذا كلامه بعبارته وذكر
قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين الشيخ عبد الرحيم المعروف بحاجى چلبى سلمه الله انه سمع من لفظ المولى
خواجه زاده رحمه الله انه استصوب عبارة التغيير وقطع بان عبارة التغليب خطأ والله اعلم (قوله غائبا عنهم)
على ان يكون بالغيب حالا من المضاف المقدر وعلى الثانى يكون حالا من فاعل يخشون وعلى قوله او بالمخفى عنهم
تكون الباء للآلة وتكون متعلقة بيخشون وتكون الالف واللام فى قوله بالغيب بمعنى الذى وقوله تعالى ان الذين
يخشون ربهم اما جملة استئنافية اوردت جوابا للسؤال الناشئ عن بيان حال الكفرة فكانه قيل فما حال من
احسن عملا فاجيب به ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك الى خطاب
الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به قيل انهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل
صلى الله عليه وسلم فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع آله محمد فنزلت آية وأسروا قولكم او اجهروا به
وظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والجهر ومعناه الاخبار بانه لا فرق بين اسرار ما تخوضون فيه من الاقوال
والافعال واعلانه فى علم الله بذلك واحذروا من ارتكاب ما يكون معصية سرا كما تحذرون منه جهرا ثم علل
استواء الامرين فى علمه تعالى بذلك فقال انه عليم بذات الصدور وقبل ان يعبر بها اصلا لا سرا ولا جهرا فعلمه
تعالى بها بعد التعبير عنها اولى ثم انكر ان يعزب عن علمه شئ من مضمرات الصدور ومما عبر عنه سرا وجهرا فقال
ألا يعلم من خرق والحال انه هو اللطيف الخبير وقوله من خلق يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه فاعل يعلم
ومفعوله محذوف وان يكون منصوب المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه اشار الى الاول بقوله الا يعلم
السر والجهر من اوجد الاشياء والى الثانى بقوله او ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة (قوله المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن) الظاهر أن ليس مراده ان كونه تعالى عالما بما ظهر من خلقه منفهم من عبارة
اللطيف بل المراد انه منفهم منه بطريق الدلالة لان مدلوله هو العالم بالخفيات كما صرح به فى شرح المواقف ومن
يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا بطريق الاولوية فلذلك اعتبر فى مفهوم اللطيف وصول علمه الى ما ظهر ايضا
قال الامام حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده المنير انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها
وما دق منها او لطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف

والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى
بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون
عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه
او عن اعين الناس او بالمخفى عنهم وهو قلوبهم
(لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) يصغر دونه
لذائذ الدنيا (وأسروا قولكم او اجهروا به انه عليم
بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا
او جهرا (ألا يعلم من خلق) ألا يعلم السر والجهر
من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته (وهو اللطيف
الخبير) المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن
او ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة

والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) فى جوانبها اوجبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم (ءامنتم من فى السماء) يعنى الملائكة المتوكلين على تدبير هذا العالم اوالله تعالى على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه اوعلى زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وبرواية البزى وامنتم بتسهيل الثانية بلا فصل وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها ألفا او بتسهيلها بلا فصل والباقون بتحقيق الهمزتين (ان يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال

فى الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا انتهى فاللطيف اخص من الخبير الذى هو اخص من العليم وقال الامام الرازى واعلم انهم اختلفوا فى اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال آخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة التى تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد به خلق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا انتهى واذا فسر اللطيف بما ذكره الغزالى اندفع التكرار (قوله والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد) جواب عما يقال من انه لم يذكر فى نظام الآية لفظان يكون احدهما فاعلا ليعلم والآخر مفعوله فما الذى دعاك الى اعتبار تعلقه بالمفعول ولم لا تجعله من باب يعطى ويمنع بان ينزل منزلة اللازم ويعرب النظم بوجه ثالث وهو ان تجعل من خلق فاعل يعلم ولا يقدر له مفعول ويكون المعنى ألا يكون عالما من هو خالق والخلق انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يعتد بها لانه فى قوة تقييد الشئ بنفسه وذلك لان قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون فى معنى دعوى العلم فعلى تقدير ان لا يقدر ليعلم مفعول معان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم يكون حاصل المعنى يعلم وهو عالم اى يعلم فى حال علمه ولا فائدة فى هذا التقييد لانه تقييد لمطلق العلم بنفسه فان قيل لا نسلم ذلك بل هو فى معنى الا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه وما بطن وقد فسره المصنف بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل هو مطلق العلم والمدلول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد لانه ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل من قبيل الا يعلم وهو عالم بكل شئ قلنا اذا نزل قوله الا يعلم منزلة اللازم بان يجعل من قبيل فلان يعطى ويمنع يكون الحدث الذى هو مدلول الفعل عاما شاملا لجميع افراده بحسب تفاهم العرف فى المقام الخطابى كما صرح به صاحب المفتاح كما ان العلم المدلول عليه بقوله اللطيف الخبير كذلك على تفسير المصنف فهما متساويان فى العموم فيلزم تقييد الشئ بنفسه بمنزلة ان يقال الا يعلم كل شئ من هو عالم بكل شئ ثم انه تعالى لما بين استواء الاسرار والاعلان بالنسبة اليه واستدل عليه ببيان تفرده فى خلق الكائنات كلها من الجواهر والاعراض وان الخلق متفرع على العلم فكيف يتصور ان لا يعلم ما خلقه قال بعده هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فلا تغتروا بذلها وانقيادها لكم ولا تجترأوا على معصيته سرا بناء على زعم انه تعالى لا يعلم ما يسرون ولا تأمنوا ان يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون فان الارض التى هى مأمنكم وموضع استقراركم انا الذى ذللتها لكم وجعلتها مسكنا لكم وسببا لمعاشكم اذ لو شئت لحولت ذلها صعوبة وما فيها من الامن خوفا بان نخسف بكم الارض كما خسف بقارون وبداره الارض او نرسل عليها من السماء انواع المحن والآفات كما نزل على اصحاب الفيل وقوم لوط واطيعوا الله سرا وعلانية لعلكم تفلحون * والذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل اى ينقاد ومصدره الذل وهو الانقياد واللين ومنه دابة ذلول اذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها ووجه كونها ذلولا انه يمكن المشى عليها والحفر للآبار وشق العيون والانهار فيها وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار فيها ولو كانت صخرة صلبة لم يتيسر شئ منها ولو كانت مثل الذهب او الحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد فى الشتاء وايضا ثبتها الله تعالى بالجبال الراسيات كيلا تمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لتعذر الاستقرار عليها ولكانت صعبة غير ذلول ومنقادة لنا (قوله فى جوانبها اوجبالها) شبهت جوانب الارض اوجبالها بمناكب الانسان من حيث ان مناكب الانسان اطرافه وجوانبه ومن حيث انها ارفع المواضع منه فاطلق عليها اسم المناكب على طريق الاستعارة وعلى التقديرين يكون قوله تعالى فامشوا فى مناكبها مثلا لفرط التذليل اى بيانا عجيبا وتصويرا غريبا لفرط التذليل على ان المثل مستعار من معناه العرفى الذى هو القول السائر للبيان العجيب تشبيها له به فى الغرابة والوجه فى كونه بيانا غريبا لفرط التذليل ما ذكره من انه اذا امكن المشى فى جوانب الارض اوجبالها التى بمنزلة المناكب من البعير كان امكانه فى اواسطها وسهولها اتم واولى (قوله وهو بدل من من) يعنى ان قوله تعالى من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول ءأمنتم وان يخسف بدل اشتمال منه اى ءأمنتم من فى السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من اى ءأمنتم من فى السماء ارساله (قوله اوعلى زعم العرب) عطف على قوله على تأويل من فى السماء امره يعنى ان قوله من فى السما لا يجوز ان يكون المراد به البارى عز شأنه

لاستحالة كونه تعالى فى مكان وجهة فلا يجوز ان يراد به البارى تعالى الاعلى تأويل من فى السماء سلطانه وامره اوعلى ان يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه فخوطبوا على حسب اعتقادهم كقوله لامثالهم اين شركائى كانه تعالى قال لهم أتأمنون من اعتقدتم انه اله متمكن فى السماء وانه قادر على ما يشاء ان يخسف بكم الارض الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا غاب وذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا اى غيبه فيها (قوله والمور التردد فى المجيئ والذهاب) وقد قالوا ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين (قوله ان يمطر عليكم حصباء) اى حصى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وفى الصحاح يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء وحصب فى الارض ذهب فيها والحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى ومعنى الآية هل حصل لكم امان من هذين واذ لا امان لكم منهما فما معنى تماديكم فى الشرك والتكذيب وهذا عناد شديد والعياذ بالله (قوله وتهديد لقومه) اى تأكيد للتهديد السابق بايراد مثال ومصداق له كأنه قيل اولم تروا انى كيف انكرت على المكذبين قبلكم بتغير حالهم بالتدمير والاستئصال فكيف تأمنون مما اصابهم بسبب اصرارهم على الكفر والتكذيب ثم اورد برهانا يدل على قدرته على ايقاع ما هددهم وخوفهم به فقال اولا اولم يروا الى الطير فوقهم صافات وثانيا قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار وثالثا قل هو الذى ذرأكم فى الارض ومتى ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرا على الانتقام منهم بما يشاء والطير جمع طائر وقوله فوقهم ظرف ليروا اوحال من الطير اى كائنات فوقهم وصافات حال اما من الطير اومن المنوى فى الظرف ان جعلته حالا (قوله تعالى ويقبضن) عطف على صافات عطف الفعل على الاسم لكونه بمعنى قابضات الا انه عدل به الى صيغة الفعل للدلالة على ان الهواء للطائر بمنزلة الماء للسابح فكما ان الاصل فى السباحة هو مد الاطراف وبسطها وقبضها وقتا بعد وقت لا يقصد لذاته وانما يفعل ليتوصل به الى ما هو الاصل فى السباحة وهو البسط فكذا الطيران فان الاصل فيه هو صف الاجنحة والقبض يطرأ على الاصل للاستظهار به على التحرك فجيئ بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل لان الفعل يدل على التجدد وقتا بعد وقت والمعنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة ومفعول كل واحد من قوله صافات ويقبضن محذوف اى صافات وقابضات اجنحتهن كما اشار اليه بقوله اى باسطات اجنحتهن ثم اشار الى ان الصف الواقع حال البسط انما هو للقوادم حيث قال فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح والحصر المدلول عليه بقوله ما يمسكهن الا الرحمن لا ينافى توصيفهن بقوله صافات وقابضات لان امساكهن مع ثقلهن وضخامة اجسامهن مسند اليه تعالى بلا واسطة وكذا جريهن فى الهواء مسند اليه تعالى الا انه بواسطة خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن له والهامهن كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة فان رحمة الرحمن وسعت كل شئ ويصل بعضها الى المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة (قوله يعلم كيف يخلق الغرائب) اشارة الى ان البصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة عن حذاقة واتقان كأنه يبصرها ويشاهدها (قوله عديل لقوله اولم يروا) يعنى ان كلمة ام الداخلة على من الاستفهامية متصلة معادلة لهمزة أولم يروا والمعنى اولم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم ام نظروا وعلموا الكنهم اعتمدوا على ما لهم من الجند الذى يمنعهم من عذاب الله تعالى الا انه اخرج الكلام مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم كانوا يعتقدون انهم يحفظون من النوائب بتركة آلهتهم فكأنهم الجند لهم قيل كان الكفار الممتنعون عن الايمان معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم على ما لهم من الانصار والاعوان والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى ما زعموه اولا بقوله ام من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وابطل الثانى بقوله ام من هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه فاستبان الحق وحصل الالزام فقال اولا ان الكافرون الا فى غرور وقال ثانيا بل لجوا فى عتو ونفور واللجاج التمادى فى العناد ولما وصفهم بالعتو والنفور نبه على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشى مكبا على وجهه الآية فقوله تعالى مكبا حال من فاعل يمشى وكذا سويا حال منه ايضا وعلى وجهه تأكيد لان الكب لا يكون الا على الوجه والمشى مكبا يكون بصعوبة المسلك وعدم استوائه بأن له على ارتفاع

(فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردد فى المجيئ والذهاب (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه الصلاة السلام وتهديد لقومه المشركين (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه (ما يمسكهن) فى الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب (أم من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا فى امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا فى غرور) لا معتمد لهم (ام من هذا الذى يرزقكم) ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم (ان امسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) فى عناد (ونفور) وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه

(افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى) يقال كبته فاكب وهو من الغرآئب كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق انهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا بمطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزآئه ولذلك قابله بقوله (ام يمشى سويا) قائما سالما من العثور (على صراط مستقيم) مستوى الاجزآء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ماعليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا هو الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ما تشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجله (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون) للجزآء (ويقولون متى هذا الوعد) اى الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) اى علم وقته (عند الله) لا يطلع عليه غيره (وانما انا نذير مبين) والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) اى الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) اى ذا زلفة اى قرب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او بسببه تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى

والخفاض ومزالق فيعثر سالكه فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة بخلاف عكس حال من يمشى على صراط مستقيم فانه يمشى سويا اى مستويا سالما من العثور والخرور (قوله يقال كبته فاكب) اى يقال اكب مطاوع كبه على وجهه كما ان اقشع مطاوع قشع يقال قشعت الريح السحاب فاقشع اى كشفته فانكشف ولم يرض المصنف بكون بناء افعل مطاوعا لفعل حيث قال والتحقيق ان اكب واقشع من باب انفض فى ان الهمزة فيه للصيرورة وليس من هذه الابنية المطاوعة فان مطاوع اكب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيهما للصيرورة كما فى قولهم اجرب الرجل اى صار ذا جرب واراب اى صار ذا ريبة والام اى فعل ما يلام عليه كأنه صار ذا ملامة وكذا اكب معناه وقع فى الكب اى صار ذا كب الجوهرى يقال أنفض القوم اى هلكت اموالهم وفنى زادهم (قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد) اى تشبيههما بالسالكين اى تمثيل المشرك فيه بمن سلك طريقا يعثر سالكه فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقا مستوى الاجزآء مستقيما عديم الانحراف سالما من المزالق والمهالك يمشى سالكه سويا قائما سالما من العثور والخرور وتشبيه دينه بالطريق المذكور فكل واحد من قوله افمن يمشى مكبا او من يمشى سويا استعارة تبعية شبه كل واحد من التدين بدين الشرك والتوحيد بالمشى على الصراط المعوج المنحرف والمشى على الصراط السهل المستقيم واطلق اسم المشى على التدين المذكور واشتق منه يمشى فصار استعارة تبعية وقوله على صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك المشرك واحواله واكتفى بدلالة الكب على احواله لما ذكره من الاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا (قوله فى مكان متعاد) اى غير مستوى الاجزآء كان بعضه يعادى بعضا الجوهرى تمت على مكان متعاد اذا كان متفاوتا ليس بمستو وهذه ارض متعادية ذات حجر وهى المكان ذوات الاخاقيق وهى شقوق فى الارض واحدها اخقوق وهو الشق فيها (قوله وقيل المراد بالمكب الاعمى) عطف على قوله ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزآئه اى وقيل انه يكب على وجهه لا لوعورة طريقه بل لخلل فى بصره فيكون المكب كناية عن الاعمى والماشى سويا كناية عن البصير المهتدى والمراد من جعلهما كنايتين عن الاعمى والبصير تمثيل الكافر بالاعمى وتمثيل المؤمن بالبصير تقبيحا لحال الاول وتحسينا لحال الثانى وكذا اذا كان المراد بالمكب من يحشر على وجهه الى النار وبالماشى سويا من يحشر على قدميه الى الجنة فان الاول انما يحشر مكبا على وجهه لانكبابه فى الدنيا على المعاصى والثانى يحشر على قدميه لكونه على الصراط السوى فى الدنيا ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشى مكبا او بالاعمى او بمن يحشر على وجهه الى النار امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقبح حالهم ويعيبهم بكفران نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله بان اعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا وامنحها ولم يستعملوها فيما خلقت لاجله ولم يقبلوا ما سمعوه ولم يعتبروا بما ابصروه ولم يتفكروا فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمه فان القلة قد تستعمل بمعنى العدم فيقال قلما افعل هذا اى لا افعله ولما كان المقصود من ذكر ما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه اثبات صحة البعث والجزآء ختم الآية بقوله واليه تحشرون اشار به الى ان جميع ما تقدم ذكره من الدلائل لاثبات هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد استهزآء وسخرية وايهاما للضعفة انه لا اصل له كيلا يستعجلوا فى القبول ولعل قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من قبيل يستهزئ بهم فى ان لفظ المضارع للاستمرار التجددى فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بان العلم بالوقوع امر مغاير للعلم بوقت الوقوع فالعلم الاول حاصل عندى وهو كاف فى الانذار به واما العلم الثانى فهو مختص بالله تعالى لم يعلمنى به لاخبركم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول العذاب الموعود لهم ان لم يؤمنوا فقال فلما رأوه زلفة والزلفة مصدر بمعنى القربة منصوب على الحالية من مفعول رأوه فانه من رؤية العين اى ذا زلفة اى قريبا منهم او جعل نفس الزلفة للمبالغة واصل سيئت وجوه الذين كفروا ساء الموعود برؤيته وجوههم ثم بنى للمفعول عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال سيئت اى اسودت وعلتها الكآبة والغبرة يقال ساء الشئ اى قبح وسيئ يساء اى قبح فهو يستعمل لازما ومتعديا خص الوجوه بالحزن لان اثر السرور والكآبة يظهر فيها (قوله تطلبون) اى تتمنون وتسألون مستعجلين وقوعه بكم قال الفرآء تدعون وتدعون

بمعنى واحد فكذا تطلبون وتطلبون (قوله وقرأ الكسائى بالياء) اى فسيعلمون بياء الغيبة على وفق قوله تعالى فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى يعطيهم الجوار وهو الامان من العذاب والباقون بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة (قوله غائرا فى الارض) اى ذاهبا ناضبا فيها بحيث لا يرى ولا يستنبط يقال غار الماء يغور غورا اى نضب وغورا خبر اصبح وكان لاهل مكة بئران بئر زمزم وبئر ميمون (قوله جار او ظاهر) فالمعين على الاول فعيل بمعنى فاعل من معن الماء معونا اذا جرى والميم اصلية وعلى الثانى اسم مفعول من العين كمبيع من البيع يقال عنت الشئ اعينه اى اصبته بعينى فانا عائن وهو معين والميم على هذا مزيدة * تمت سورة الملك والحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه

(سورة القلم مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله وقيل اسم الحوت) قال يحيى بمعنى السمكة كما فى قوله تعالى فى حق يونس عليه الصلاة والسلام وذا النون فالمراد بالحوت الذى يسمى بالنون اما جنس الحوت او فرد معين منه وهو اليهموت الذى بسطت الارض على ظهره فتحرك فمادت الارض فاثبتت بالجبال او الدواة فانه يطلق عليها اسم النون على سبيل الاستعارة تشبيها لها بالحوت فى انها يستخرج منها ما يكتب به كما يستخرج ذلك من جنس الحوت فقوله او الدواة مرفوع بالعطف على الجنس اى او المراد بالحوت ما يشبه الحوت وهو الدواة وقوله فان بعض الحيتان بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو انه من قبيل اطلاق اسم المشبه به على المشبه وكأنه جواب عن قول الزمخشرى واما قولهم هو الدواة فما ادرى اهو وضع لغوى ام شرعى اى لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا فتصدى لتوجيه اطلاق النون على الدواة لان تفسيره بها مروى عن الاكابر وقال الامام روى عن ابن عباس وهو اختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة ومن فضل القلم وجلالته انه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ولذلك اقسم الله تعالى به قيل البيان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولولا القلم والدواة ما قام دين ولما صلح عيش (قوله ويؤيد الاول) وهو كون ن من اسماء الحروف انه جيء به على سبيل التعداد للتحدى فانه لو كان اسما لغير حرف التهجى لكان حقه ان يلى العامل ويعرب على حسب ما اقتضاه العامل كما اعرب القلم وان يكون مكتوبا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الامرين يدل على انه من اسماء حروف التهجى ووقف عليه لان الاصل فيما سبق على سبيل التعداد ان يوقف عليه (قوله هو الذى خط اللوح) اى يحتمل ان يكون المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ما جاء فى الخبر خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة من الآجال والاعمال والارزاق ثم جف القلم فلم ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويحتمل ان يراد به جنس القلم المقول على كل قلم يكتب به فى السماء والارض من القلم الاعلى وقلم الملائكة من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الانسان (قوله واخفى ابن عامر) فانه ادغم النون فى الواو فى يس والقرآن وفى ن والقلم وقرئ باظهارها على الاصل فان الاصل فى اسماء حروف التهجى ان يوقف على كل واحد منها وينفصل عما بعده فاذ وقف عليه حقيقة فقد انفصل عما بعده فيقدر الادغام فانه لا يتصور مع الانفصال وانما يتصور مع الاتصال وان لم يوقف عليه فهو فى حكم الموقوف عليه نظرا الى الاصل فوجب التبين والاظهار على التقديرين ومن ادغم نظر الى ان هذه الحروف متصلة بما بعدها صورة وحكما اما صورة فظاهر لانه لم يوقف عليها حقيقة واما حكما فلان همزة الوصل لا تقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم فى العدد واحد اثنان ولما لم تقطع همزة الوصل معها علم انها فى تقدير الوصل ولما اتصلت صورة وحكما ادغمت فى الواو وقال الفراء واظهارها اعجب الى لانها حروف هجاء وهى كالموقوف عليها وان اتصلت صورة لان الاصل فى المسوق على سبيل التعداد ان يوقف على كل واحد منه (قوله وقرئت بالفتح) وهى اما فتحة بناء كما فى اين وكيف واما حركة اعراب بان تكون منصوبة بفعل محذوف مثل اقرأ ن ثم يبتدأ بالقسم قوله والقلم او تكون منصوبة بنزع الخافض وهو حرف القسم وايصال فعل القسم اليه ومنع الصرف للعلمية والتأنيث لانها علم للسورة وقرئ بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين او لانها مقسم بها اضمر قبلها حرف القسم نحو الله

(قل ارأيتم ان اهلكنى الله) اماتنى (ومن معى) من المؤمنين (او رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون (قل هو الرحمن) الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها (آمنا به) للعلم بذلك (وعليه توكلنا) للوثوق عليه وللعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء (قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) غائرا فى الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار او ظاهر سهل المأخذ * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

سورة القلم وهى ثنتان وخمسون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الحوت الذى عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النفس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف (والقلم) هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد

لا تعمل وهذا الوجه ضعيف لان حذف حرف الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة ونادر فيما عداها (قوله على التعظيم) لان القلم الذى خط اللوح قلم واحد شخص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه الا بذلك التأويل وان اريد به جنس القلم يكون فى معنى الجمع فيجمع الضمير العائد اليه لذلك الا انه بقى الكلام فى وجه اسناد الفعل الى الآلة وفى التعبير عنها بلفظ العقلاء واجاب عنه بان ذلك مبنى على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين من حيث انها تظهر المراد وتبين المقصود مثلهم (قوله اولاصحابه اوللحفظة) الظاهر ان الاول مبنى على ان يراد بالقلم الجنس واشار على ان يراد به قلم الحفظة وعلى التقدير ين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه (قوله وما مصدرية) فيكون المقسم به نفس الكتابة وان كانت موصولة يكون المقسم به المسطور والمكتوب (قوله والمعنى ماانت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى) اشارة الى ان قوله انت اسم ما وبمجنون خبره والباء مزيدة لتأكيد النفى والباء فى قوله بنعمة متعلقة بمحذوف هو فى موضع النصب على انه حال من المنوى فى مجنون اى ماانت بمجنون ملتبسا بنعمة ربك والحصافة بالمهملتين صحة الرأى واستقامته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه (قوله والباء لاتمنع عمله فيما قبله) جواب عما يقال كيف يعمل مجنون منفيا فيما قبل الجار مع ان المعمول لا يقع الا حيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار وان يجاز ان يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة الا ان فيه خللا معنويا وهو ان المنفى حينئذ هو الجنون المقيد بتلك الحال ونفى المقيد من حيث انه مقيد لا يلزم ان يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء القيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع القيد والمقيد او بانتفاء نفس القيد فقط كما قيل من ان نفى المقيد يرجع الى نفى قيده فكون الحال قيد المجنون يستلزم ثبوت اصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير ان يكون العامل معنى النفى للفرق بين قولنا الجنة المقيدة بكونها فى حال كذا منفية وبين قولنا الجنة منتفية فى حال كذا فان القيد فيه للنفى لا للمنفى روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خديجة رضى الله عنها الى حراء فلم تجده فاذا به ووجهه متغير فقالت له مالك فذكر نزول جبريل عليه صلى الله عليه وسلم وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل فى النصرانية فسألته فقال لها ارسلى الى محمد فارسلته فاتاه فقال هل امرك جبريل ان تدعوا احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا فمات قبل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعت تلك الواقعة فى ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون فى خمس آيات منها اول هذه السورة ثم قال ابن عباس ان اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية رواه الامام فى الكبير (قوله على الاحتمال اوالابلاغ) اى على احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر اقوالهم القبيحة اوعلى تبليغ احكام رسالتك اليهم ودعائهم الى التوحيد والطاعة والممنون اما من من الشئ اذا قطعه فتكون الآية نظير قوله تعالى عطاء غير مجذوذ او من من عليه منة اى امتن عليه اى وان لك لأجرا غير مكدر عليك بسبب المنة عليك من الناس وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسر بقوله غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال ووجه الرد انه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين اما على مذهب اهل السنة فلأن الثواب عندهم محض تفضل وانما سمى اجرا لتشبيهه بالاجر من حيث كونه موعودا بمقابلة العمل واما عند المعتزلة فلان الثواب وان كان اجرا عندهم الا ان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فيصح ان يمن به على العبد فاذا صح ان يمن على العبد بنفس العمل يصح ان يمن عليه بالاجر المترتب عليه وكلمة على فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم للاستعلاء المجازى فدلت على انه عليه الصلاة والسلام مشتمل على الاخلاق الجميلة المرضية ومجبول عليها حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة فنفس الاتيان شئ وسهولة اتيانها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة هى الخلق وسمى خلقا لرسوخه وثباته وصيرورته بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان توقف حصولها على اعتمال وطول رياضة ومجاهدة (قوله فقالت كان خلقه القرآن) يعنى انه عليه الصلاة والسلام كان متحليا بما فى القرآن من مكارم الاخلاق ومتخليا

(ومايسطرون) ومايكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه اولاصحابه اوللحفظة وما مصدرية اوموصولة (ماانت بنعمة ربك بمجنون) جواب للقسم والمعنى ماانت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون والباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى (وان لك لأجرا) على الاحتمال اوالابلاغ (غير ممنون) مقطوع اوممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تحتمل من قومك مالا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون

عما يزجر عنه القرآن من سيئاتها (قوله ايكم الذى فتن بالجنون) اشارة الى ان ايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره وسمى المجنون مفتونا لانه فتن اى محن بالجنون وان الباء مزيدة فى المبتدأ كما فى قولك بحسبك زيد قيل هذا الوجه ضعيف لان الباء لاتزاد فى المبتدأ الا فى لفظ حسب فقط (قوله او بايكم الجنون) على ان تكون الباء للالصاق كما فى قولك به داء و يكون المفتون مصدرا بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجئ المصدر على وزن المفعول نحو معقول وميسور ومجلود يقال مالفلان معقول ولامجلود اى ماله عقل ولاجلادة وعلى قوله اوباى الفريقين منكم الجنون تكون الباء بمعنى فى وفسر ضمير الخطاب فى قوله بايكم بالفريقين مع ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجماعة قريش والاالمعبر عن الفرد بالفريق و يدل على كون الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولفريق قريش ماسبق من قوله تعالى فستبصر و يبصرون فان خطاب تبصر له عليه الصلاة والسلام خاصة ولاتدخل فيه الامة فينبغى ان لاتدخل الامة فى خطاب ايكم ايضا الا انه ادخلت الامة فيه وجعل عليه الصلاة والسلام مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا آخر لئلا يرد ان يقال كيف يصح ان يقال لجماعة وفرد آخر يقابلهم فى ايكم زيد وهذا الوجه اوجه من الوجهين الاولين لافادته التعريض وسلامته من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة الباء فى المبتدأ وجعل صيغة المفعول بمعنى المصدر (قوله وهم المجانين على الحقيقة) يعنى ان الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء لانه هو المناسب لقوله فستبصر و يبصرون الا انه وضع الضال والمهتدى موضع المجانين والعقلاء اشعارا بان المجنون فى الحقيقة هو من عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من اطاع ربه واتبع سبيله (قوله تهييج للتصميم على معاصاتهم) اى على عصيان رؤسائهم فان عاصاه بمعنى عصاه فانهم كانوا يدعونه عليه الصلاة والسلام الى ان يكف عنهم و يكفوا عنه فنهاه الله تعالى عن ذلك وامره بالتشديد مع قومه وقوى قلبه عليهم مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل (قوله تلاينهم)لان الادهان عبارة عن اللين والمصانعة وهى المداراة (قوله والفاء للعطف)جواب عما يقال لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان لانه جواب التمنى كما فى قوله تعالى فلو ان لى كرة فاكون وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن فيكون داخلا فى التمنى وليس جوابا للتمنى حتى ينصب وتسقط نونه اى تمنوا لوفعلت فيفعلون عقيبه فعلى هذا الظاهر ان تكون كلمة لومصدرية فان بعض النحاة نصوا على جواز كونها مصدرية (قوله اوللسببية) اى لسببية ادهانه عليه الصلاة والسلام لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب التمنى باضمار أن يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون بسبب ادهانه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يتعين الرفع واذا كان لمعنى واحد طريقان فالابلغ ان يختار ايهما شاء ونظيره قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلايخاف اى فهو لايخاف لاسيما ان الاسمية تدل على العدة بثباتهم على الملاينة والموافقة وقوله اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون يحتمل ان يكون للاستقبال بمعنى فيدهنون حينئذ وان يكون بمعنى الحال بمعنى فهم يدهنون الآن طمعا فى ادهانك معهم (قوله حقير الرأى)وكفى دليلا على حقارة رأيه كونه حلافا فانه يدل على انه لايعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى فى ادنى شئ وكفى بهذه الآية زاجرا عن الاعتياد بالحلف (قوله عياب) اى على سبيل الاغتياب فان الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو فى اللغة الضرب طعنا باليد اوالعصا اونحوهما واستعير للمبالغ الذى يذكر الناس بالمكروه و يظهر عيوبهم تشبيها الطعن باللسان بالطعن بنحو اليد اوالعصا وقيل الهماز هو الذى يضرب الناس و يطعنهم بيده واللماز الذى يطعنهم بلسانه وقيل الهماز من يسب الناس فى وجوههم واللماز الذى يسبهم فى غيبتهم وقيل بالعكس (قوله يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح)بعض المفسرين فسروا الخير بالمال وقالوا اى مناع للمال اى ان ينفق لاجل دفع حاجة الفقراء وفسر بالايمان ايضا وقيل كان للوليد بن المغيرة عشرة ابناء واهل وعشيرة وابناء عم وكان يمنعهم عن الاسلام و يقول لهم من اتبع منكم دين محمد صلى الله عليه وسلم لاانفق عليه شيأ ابدا والمصنف عمم الخير اذ لادليل يخصه ببعض وجوه الخير (قوله جاف غليظ)وقيل العتل الشديد الخصومة وقيل الفاحش اللئيم وقيل هو الاكول الشروب القوى الذى يوضع فى الميزان فلا يزن شعرة يدفع الملك من اولئك فى جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا (قوله من مثالبه)اى معايبه جمع مثلبة وهى العيب وقوله بعدما عد من مثالبه يدل على ان كونه عتلا زنيما اقبح معايبه لانه اذا كان عتلا اى جافيا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل

(فستبصر و يبصرون بايكم المفتون) ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة اوبايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اوباى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو اعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلاتطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لوتدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك اوتوافقهم فيه احيانا (فيدهنون)فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن اوللسببية اى ودوا لوتدهن فهم يدهنون حينئذ اوودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى (ولاتطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (اثيم) كثير الاثم (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعدما عد من مثالبه

معصية والزنيم يتولد من النطفة الخبيثة والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وفى الحديث حرام على النطفة الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسيئ اى من احسن اليها وقال عليه الصلاة والسلام ان اولاد الزنى يحشرون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال امتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب وقال عكرمة اذا كثر اولاد الزنى قل المطر وقوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى الرتبى والدعى من كان ملصقا بالقوم وليس منهم قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

واتت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقيل الزنيم من لا يعرف من ابوه كما قيل

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغى الام ذو حسب لئيم

وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم اى اصلهم ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية روى انه دخل على امه شاهرا لسيفه وقال ان محمدا ذمنى بعشر صفات وجدت منها تسعة فى نفسى فاما الزنيم فلا علم لى به فان اخبرتنى بحقيقة الحال والا ضربت عنقك فقالت اسكت وانا اصدقك وتأمل ان نفعتك بما فعلت والا فاقتنى اعلم ان اباك كان غنيا وخفت ان يموت فينقطع ذكره ويتفرق فى غير ولده ماله فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى والزنمة من كل شئ الزيادة وزنمة الشاة شئ يقطع من اذنها فيسترخى ويصير بذلك كالشئ المعلق من خارج وهى فى الاصل الهنة النابتة فى عنق الماعز (قوله قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا) اشارة الى ان قوله ان كان مفعول له وان المصدرية مع ما فى حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنها غير متعلقة بقوله قال اساطير الاولين لما ذكره بل هى متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها والتقدير يكفر ويكذب لان كان ذا مال ووجه دلالتها على هذا المحذوف ان قوله فى حق الآيات انها اساطير الاولين كفر وتجحيد وتكذيب (قوله ويجوز أن يكون علة للاتطع) اى للاطاعة المنهى عنها اى لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وكثرة ابنائه (قوله ءان كان) اى بهمزتين مفتوحتين وعدم ادخال الف بينهما (قوله على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل) لما ورد على قرآءة ان الشرطية انه كيف يصح منه تعالى ان يعلق النهى عن الاطاعة على كونه ذا مال واعوان مع انه يدل على جواز الاطاعة عند انتفاء الامرين اشار الى دفعه اولا بانه ليس المراد تعليق النهى عن الاطاعة على يسار المطاع حقيقة الا انه اورد صورة التعليق بكون شرط اليسار قريبا من التعليل به فكما جاز التعليل فى النهى عن الشئ جاز فيه التعليق ايضا فقوله لا تطعه ان كان ذا مال وبنين فى قوة ان يقال لا تطعه لان كان ذا مال وبنين من حيث ان الشرط مسبب للحكم فكأنه قيل لا تجعل يساره سببا لاطاعته وثانيا بان الشرط ليس من قبل الناهى بل من قبل المخاطب كأنه قيل لا تجعل الغنى شرطا للاطاعة مع ما فيه من المثالب التى تقتضى هجره بالكلية ونظير صرف الشرط الى المخاطب هنا صرف الترجى اليه فى نحو قوله تعالى لعلكم تتقون لعلكم تذكرون لعله يتذكر او يخشى (قوله سبحانه وتعالى سنسمه) اى سنجعل له سمة اى علامة يعرف بها وعبر عن انفه بالخرطوم استهانة له وتحقيرا لان الخرطوم لا يستعمل الا فى الفيل والخنزير (قوله وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر) قال صاحب الكشف هذا ضعيف لان ابا جهل قتل يوم بدر والثلاثة الاخر وهم الوليد والاسود والاخنس ما تواقبله فلم يسم احد بذلك الوسم الذى بقى اثره مدة حياته (قوله وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال) وذلك لان الوجه اكرم موضع فى الجسد والانف ابين عضو منه والوسم على الانف فيه غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف اذا كانت على اظهر موضع منه (قوله او نسود وجهه يوم القيامة) فعلى هذا يكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل اى سنجعل له فى الآخرة علامة يعرف بها اهل القيامة انه كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام اقبح العداوة (قوله بلونا اهل مكة) لما وصفهم الله تعالى بالجنون والضلال حيث قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون وهو اعلم بمن ضل عن سبيله بين انه اذاقهم بعض وبال امرهم فى الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة لتمردهم وكفرهم نعم الله تعالى فقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة الى قوله

(زنيم) دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة (ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين) اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للاتطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألان كان ذا مال كذب اوأتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالكى (على الخرطوم) على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى أثرها وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا اهل مكة بالقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقرآء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او ألقته الريح او بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين الصباح

ولعذاب الاخرة اكبر لوكانوا يعلمون والكاف فى كما فى موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذ ظرف لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف قولهم ومنطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها والصرم والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولا يستثنون جملة مستأنفة او حال ثانية من ضمير ليصرمنها او من المنوى فى مصبحين قيل كونه حالا من احدهما ضعيف لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدأ قبله كما فى قولهم قمت واصك وجهه ولا حاجة اليه وسمى قوله ان شاء الله استثناء وهو شرط ليس فيه اداة الاستثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج بان شاء الله خلاف المذكور بان شاء الله بخلاف المخرج بالاستثناء فانه عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاءنى القوم الا زيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد واما اذا قيل يجيئ زيد ان شاء الله تعالى فالمراد به اخراج ما لا تتعلق به المشيئة من المجيئ وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور ما يتعلق به مشيئة الله تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه او لان قول ان شاء الله يؤدى معنى الاستثناء فسمى ما يؤدى معناه باسمه والفرق بين الوجهين ما اشار اليه بقوله غير ان المخرج به خلاف المذكور ومحصول الوجه الاول سمى استثناء تشبيها له بالاستثناء من حيث كونه مؤديا لمعنى الاخراج وان كان هذا الاخراج مغايرا للاخراج المعتبر فى الاستثناء ومحصول الثانى سمى استثناء على طريق تسمية ما يؤدى معنى الشئ باسم ذلك الشئ فان قولك لا اخرج ان شاء الله يؤدى معنى قولك لا اخرج فى حال ما الا حال ان شاء الله خروجى فانه استثناء متعارف اخرج فيه عين المذكور على اعم الاحوال (**قوله** او لا يستثنون حصة المساكين) عطف على قوله ولا يقولون ان شاء الله فالاستثناء على هذا المعنى الاخراج مطلقا (**قوله** كالبستان الذى صرم ثماره) شبهت به من حيث هلاك ثماره وعدم بقاء شئ منها فيه كما روى عن مقاتل انه قال بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سوداء الا ان تشبيهها بالجنة المصرومة تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه ان يشبه الناقص ويكون وجه الشبه فى المشبه به بالنسبة الى المشبه كما قيل

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار ايضا لانصرام كل واحد منهما عن الآخر فهما من الاضداد ويقال لهما الصريمان فيحتمل ان يكون المراد بالصريم فى الآية الليل المظلم لان الجنة لما احترقت واسودت صارت كالليل ويحتمل ان يراد به النهار لانها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق فيها شئ من قولهم ابيض الاناء اذا فرغ اوكالرمال فان الصريم يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيأ وعلى التقديرين شبهت الجنة وهى محرقة بالرملة التى لا تنبت شيأ ولا يتوقع منها نفع ولا دلاح نقل عن القرطبى انه قال فى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل اخيه وعن الراغب قال اول ما يعرض من حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة ثم الهم ثم العزم والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وانه متى صارا هما اوارادة اوعزما فذلك عمل مأخوذ به وعلى هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينها و بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به نفسها وقوله عليه الصلاة والسلام من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه هكذا وجدت والاشكال بعد باق لانه لم يظهر التوفيق بين الآيات و بين قوله عليه الصلاة والسلام ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه والله اعلم (**قوله** اى اخرجوا) على ان تكون أن مفسرة حيث تقدمها ما هو بمعنى القول وقوله او بان اخرجوا اليه غدوة على أن تكون ان مصدرية اى تنادوا بهذا الكلام (**قوله** وتعدية الفعل بعلى) مع ان اصل غدا ان يتعدى بالى اما لتضمنه معنى الاقبال او معنى الاستيلاء حيث انهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه وتمنوا واعمار اراد الله تعالى بهم

(ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فاصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه اوكالرمال (فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم) اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له

فانطلقوا وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (ان يدخلنها اليوم عليكم مسكين) ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد اوو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة * قال الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله - يحرد حرد الجنة المغله اى غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل الحرد علم للجنة (فلما رأوها) اول ما رأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وما هي بها (بل) اى بعد ما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل (نحن محرومون) حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) رأيا اوسنا (الم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) اولولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف

وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف لدلالة ما قبله عليه (قوله وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم) يقال اخفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد ويقال خفت الصوت خفوتا اى سكن والخفت والمخافتة والتخافت اسرار النطق واخفدت الناقة فهي مخفد اذا اظهرت انها حملت ولم يكن بها حمل (قوله ان مفسرة) لان التخافت في معنى القول ويحتمل ان تكون مصدرية اى يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء والمسارة لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهو في صورة نهي المسكين عن الدخول والمراد نهي انفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقولك لا ارينك ههنا فان دخول المساكين عليهم لازم لتمكينهم اياهم من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه الى الملزوم على سبيل الكناية التي هي ابلغ من التصريح لان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ولا يخفى ان ذكر الشئ بدليله ابلغ من مجرد ذكره وقرر ابن مسعود وجها آخر في كلمة ان على اضمار القول اى وهم يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم (قوله وغدوا قادرين على نكد لا غير) على ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا او يكون خبر غدوا على تضمنه معنى اصبحوا وعلى حرد متعلق بقادرين قدم عليه للحصر والتخصيص والحرد مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد واتقى خيره (قوله اوو غدوا حاصلين على النكد والحرمان) فعلى هذا لا يكون قوله على حرد متعلقا بقادرين بل بمحذوف هو حال من فاعل غدوا او خبره لكونه بمعنى اصبحوا وقوله قادرين حال ثانية او حال من المنوى في قوله على حرد اى وغدوا واقعين في النكد وقد كانوا عند انفسهم في ظنهم انهم قادرون على غلة جنتهم والانتفاع بها فالمقدور عليه في الوجه الاول هو الحرد والنكد (قوله وقيل الحرد بمعنى الحرد) بفتحتين وهو الغيظ والحنق عطف على ما يفهم مما قبله وهو كون الحرد بمعنى النكد والحرمان فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدما عليه للحصر او بمحذوف كما في الوجه الاول (قوله وقيل الحرد القصد والسرعة) يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد واقبل فيكون على حرد في محل النصب على انه حال من فاعل غدوا اى غدوا كائنين على قصد وقادرين حال ثانية او حال من المنوى في قوله على حرد (قوله وقيل الحرد علم للجنة) اى لجنتهم اى اقبلوا على جنتهم وقت الغداة قادرين عند انفسهم على صرامها (قوله بجنايتنا على انفسنا) بسوء نيتنا وظلمنا على انفسنا بمنع حق المساكين (قوله ويدل على هذا المعنى) اى على ان المراد بتسبيح الله ان يذكروه ويتوبوا اليه ما حكى عنهم من قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فانهم نزهوا الله تعالى وقدسوه عن كل سوء ونقصان لا سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بهم واعترفوا على انفسهم بكونهم ظالمين في قصدهم حرمان المساكين اتباعا لشح انفسهم فكأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا واعترفوا بذنبهم حيث قالوا انا كنا ظالمين وان كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الاوسط هلا تنزهون الله عن ان يجري في ملكه ما لا يريده بان تقولوا لنصرمنها مصبحين ان شاء الله ومعنى قولهم سبحان ربنا تنزه ربنا عن ان يجري في ملكه شئ الا بارادته ومشيئته وهو في معنى الاستثناء واختلف اهل التفسير في ان ما قاله اهل تلك الجنة الى قوله انا الى ربنا راغبون هل هو توبة منهم فمنهم من توقف في ذلك وقال يحتمل ان يكون هذا الكلام منهم من قبيل ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة وذهب الاكثرون الى انهم قالوا ذلك بطريق التوبة والاخلاص روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البعير منه عنقودا كذا في معالم التنزيل وفي التيسير والكشاف وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل القائم (قوله اولولا تستثنون) عطف على قوله لولا تذكرونه اى بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان يعني ان المفسرين قد اختلفوا في ان المراد بالتسبيح ما هو فقال بعضهم المراد به الاستثناء فان لفظ القرآن يدل على ان القوم حين اقسموا ليصرمنها مصبحين وتركوا الاستثناء بان يقولوا ان شاء الله انكر عليهم اوسطهم في تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى على تركهم اياه ثم لما عاينوا وقوع ما حذرهم الاوسط به قال لهم الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون اى هلا تستثنون فتقولون ان شاء الله وقال آخرون ان القوم حين عزموا على منع زكاة ما خرج من جنتهم قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب واعزموا على استثناء حصة المساكين كما كان يخرجها ابوكم فلم يغيروا عزمهم فلما رأوا العذاب

ذكرهم ماقال لهم سابقا فقال لهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله وتتوبون اليه فلاجرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح فقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين قيل انهم لو تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة (قوله والى لانتهاء الرغبة) لما كان المشهور ان تعدى الرغبة بكلمة فى او بكلمة عن ولم يشتهر تعديها بالى ذكر المصنف لها وجهين احدهما ان تضمن الرغبة معنى الرجوع والآخر ان معنى الرغبة الرجاء والطلب وان كلمة الى لبيان انه تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم (قوله مثل ذلك العذاب) يعنى ان قوله تعالى كذلك العذاب جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا وبما هو اكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده احوال اهل السعادة فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وعنده يجوز ان يكون ظرفا معمولا للاستقرار الذى تعلق به للمتقين وان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل (قوله اى فى الآخرة) لما امتنع كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية جعل المصنف عنديتها عبارة عن عندية الدار الآخرة بمعنى انها لا ملك ولا حاكم فيها الا الله عز وجل او عندية قدسه تعالى وطهارته فان الجنة يقال لها دار القدس وحضرة القدس لكونها مظهر قدس الله تعالى ودليلا عليه فالمجاورة بمعنى الملابسة المثبتة له قال النحويون الفرق بين عند ولدى انه اذا قيل المال عند زيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرا عنده او غائبا كانتا فى شئ يلابسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك بخلاف ما اذا قيل المال لدى زيد فانه لا يصدق الا اذا كان المال حاضرا عنده (قوله ليس فيها الا التنعم الخالص) اى لا يشوبها شئ مما يكدر ما فيها من وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من اضافة جنات الى النعيم فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه وذلك لا يكون الا بان لا يكون فيها الا النعيم الخالص ففيه تعريض بان جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش وينغص التنعم والاستراحة عن مقاتل قال لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم فى الآخرة فان لم يكن التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله تعالى فيه على وجه الانكار بقوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم بقوله مالكم كيف تحكمون وكيف فى موضع الحال من المنوى فى لكم الراجع الى ما (قوله واصله أن لكم بالفتح) جواب عما يقال ان الجمهور قرأوا بكسر همزة ان والحال ان كلمة ان مع ما فى حيزها واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل يكون ارفع حالا منه فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وتقرير الجواب نعم ان الاصل الفتح الا انها كسرت لدخول لام الابتداء فى اسمها فان لام الابتداء لا تدخل على ما فى حيز أن المفتوحة تقول علمت انك عاقل بالفتح وتقول علمت انك لعاقل بالكسر وكسر ان بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم (قوله ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا) وجهان آخران للكسر ان تقرير الاول ان جملة ان لكم فيه لما تخيرون يجوز ان يكون كسر ان فيها العدم وقوعها موقع المفرد فحكاها الله تعالى فى القرآن بصورتها وان كانت فى تأويل المفرد فى هذا النظم لكونها مفعول تدرسون وهذا الوجه لا يخلو عن بعد لان كلمة فيه فى قوله تعالى ان لكم فيه لما تخيرون تأبى ان يكون هذا النظم بصورة هذا المدروس الواقع فى الكتاب المفروض الآن يقال انها مقحمة فيه تأكيد لما ذكر اولا وليست واقعة فى النظم المحكى وتقرير الثانى انه يجوز ان يتم الكلام عند قوله فيه تدرسون بان ينزل تدرسون منزلة اللازم ويكون المعنى توقعون القراءة فيه كما فى قوله * يجرح فى عراقيبها نصلى ثم يبتدأ ويقال ان لكم فيه لما تخيرون اى ليس لكم ذلك (قوله عهود مؤكدة بالايمان) يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكلفت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل ضمنا لكم واقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (قوله متناهية فى التوكيد) يعنى كون الايمان بالغة عبارة عن كونها فى غاية القوة والصحة وكل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ (قوله حتى تحكمهم فى ذلك اليوم) اى حتى نجعلكم حكاما فى ذلك اليوم ونطيعكم فيما تحكمون او هو متعلق ببالغة اى تبلغ الى يوم القيامة بمعنى انها فى لزومها وتأكدها بحيث تنتهى الى ذلك اليوم تامة ولا يبطل منها شئ الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم واتباعنا لحكمهم (قوله بذلك الحكم قائم) اشارة الى ان قوله بذلك متعلق بزعيم وان الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها اى سل الذين يدعون ان لهم علينا عهودا مؤكدة بالايمان على ان نحكمهم

(انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) اى فى الآخرة او فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (مالكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (ام لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره (ام لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم (سلهم ايهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم يدعيه و يصححه

يوم القيامة ونطيعهم فيما يحكمون به من ان نجعلهم كالمسلمين او نفضلهم عليهم ايهم قائم بهذه الدعوى وبالاحتجاج على صحتها كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم وايهم معلق بسلهم لان السؤال فى معنى العلم بكونه سبباله ثم انه تعالى لما انكر عليهم ان يكون حكمهم بالتسوية بين المسلمين والمجرمين مستندا الى دليل عقلى حيث قال مالكم كيف تحكمون او الى دليل نقلى حيث قال ام لكم كتاب انكر عليهم ايضا ان يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا اليه من التسوية بين المحسن والمسيئ حتى يقلدوهم لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال ام لهم شركاء فثبت ان مازعموه باطل من كل الوجوه (قوله وقيل المعنى) قال الامام قوله تعالى ام لهم شركاء فى تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشياء يعتقدون انها شركاء الله تعالى و يعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم فى الآخرة مثل المؤمنين فى الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى وهذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيئ الوجه الثانى ان المعنى ام لهم ناس يشاركونهم فى هذا المذهب وهو التسوية بين المسلم والمجرم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين فى دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم وبين انه لا وجه لصحته اصلا شرع بعد ذلك فى بيان عظمة يوم القيامة فقال يوم يكشف عن ساق ويوم ظرف منصوب بقوله فليأتوا فكانه تعالى قال ان كانوا صادقين فى انها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الامر ويصعب الخطب لتنفعهم او تشفع لهم او منصوب باذكر المقدر ويجوز ان يكون العامل المحذوف غير اذكر ويكون تقدير الكلام يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ واشعارا بان ثم من الكوائن ما لا يوصف عظمته (قوله وكشف الساق مثل فى ذلك) يعنى انه استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته فمعنى الآية يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخل بان شبهت حال الشدة عليهم من الامر فى الموقف بحال المخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشميرسوقهن فى الهرب فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء ما يستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية روى انه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شيئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال هو يوم كرب وشدة (قوله او يوم يكشف عن اصل الامر) معطوف على قوله يشتد الامر اى ويجوز ان يكون من باب التمثيل بان يشبه اصل الامر وحقيقته بساق الشجر ويطلق عليه اسم المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية وتنكير ساق للتهويل والدلالة على انها شدة خارجة عما يتخيله الانسان كانه قيل يوم يكشف عن شدة واى شدة لا يمكن وصفها (قوله او للتعظيم) على ان يكون الساق مستعارا لاصل الامر وحقيقته وقرأ الجمهور يكشف بياء تحتية على بناء المفعول وعن ساق قائم مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقية على بناء الفاعل واسناد الفعل الى ضمير الساعة وعلى بناء المفعول ايضا واسناده الى ضمير الحال (قوله ان كان اليوم يوم القيامة) شرط لقوله توبيخا يعنى انهم اختلفوا فى هذا اليوم الذى يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيامة او آخر ايام الرجل فى دنياه او يوم مرضه او هرمه وعجزه عن اداء الصلاة فذهب الجمهور الى انه يوم القيامة فان الكفار والمنافقين يدعون الى السجود فيه لكن لا على سبيل التكليف لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف بل على سبيل التوبيخ والتخجيل على تركهم السجود فى الدنيا ثم انه تعالى حال ما يدعوهم الى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة ويجعل ظهورهم مثل صياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون كأن ظهورهم ادخلت فيها السفافيد فلا تنحنى فيبقون قياما كما كانوا على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاعضاء والمفاصل وذهب آخرون الى انه ليس المراد منه يوم القيامة لانه تعالى وصف ذلك اليوم بانهم يدعون فيه الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف بل المراد به يوم الذى يعجز فيه عن اداء الصلاة من ايام الدنيا اما من التسوية نازلة بهم من هول ما عاينوه عند النزع واما بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض او الهرم وقد كانوا يدعون الى السجود

(ام لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لا ستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كأنه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة او الحال (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته او زوال القدرة عليه (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) يلحقهم ذل (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا او زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون فيه مزاحوا العلل فيه

زمان الصحة بقول المؤذن حي على الصلاة فلا يجيبون وهم اصحاء معافون قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقوله تعالى خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون وابصارهم مرفوع على انه فاعل خاشعة ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضاء خاشعة ذليلة متواضعة لظهور أمر خشوع الجميع فيها وقوله وهو سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في تخويفهم بذكر وعيده وما في قدرته من القهر فقال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وهو القرآن وقيل القيامة والمعنى كل امره الى فاني اكفيكه اى اذا علمت يوم القيامة واشتداد الاهوال الاتية فيه فكل امر المكذبين الى وهذه تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديد لمن كذبه (قوله ومن) منصوب بالعطف على ضمير المتكلم اوانه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف (قوله سندنيهم من العذاب درجة درجة) اى حتى نوقعهم فيه (قوله وهو الانعام عليهم) اى ادناؤهم من العذاب من حيث لا يعلمون انه استدراج هو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لاهلاكهم فان العبد اذا كان بحيث كلما ازداد ذنبا جدد الله له نعمة وانساه التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجا بحيث لا يشعر العبد انه استدراج روى ان رجلا من بني اسرائيل قال يارب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الآية (قوله لانه في صورته) أى في صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لان ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولا خفاء ان الاهلاك بما في صورة الاحسان في صورة الكيد والاحتيال (قوله تعالى ام تسألهم اجرا) معطوف على قوله ام لهم شركاء اى لا تلتمس منهم اجرا على ما تدعوهم اليه من الايمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والطاعة والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل هي سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة والمغرم الغرامة ثم انه تعالى لما بالغ في تزييف طريق الكفار وفي زجرهم عما هم عليه قال له عليه الصلاة والسلام فاصبر لحكم ربك اى لقضائه اولما حكم به من امهالهم وتأخر نصرتك عليهم (قوله تعالى اذ نادى) منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله اوقصتك كقصته في وقت ندائه ربه وتوبته وهو في بطن الحوت وهو في ذلك الوقت كان مكظوما اى مملوأ غما وغيظا وحزنا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما يوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه فان يونس عليه الصلاة والسلام لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فضيق الله تعالى عليه فالتقمه الحوت ونداؤه ما اخبر الله تعالى به عنه وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته تصريحا بل ذكرها تعريضا حيث ذكر نداءه وتوبته فلا يرد ان يقال كيف يصح ان ينهى احد عن ان يكون حاله كحال يونس اذ نادى في بطن الحوت مع ان حاله وقت ندائه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف بالذنب والتوبة عنه وكل ذلك طاعة والطاعة لا ينهى عنها وذلك لان المراد بحاله وقت ندائه الحالة التي اقتضت الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضا بذكر هذه الطاعة تصريحا وقد ذكرت تلك الحال صريحا في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل انه قال اذ نادى لا يتعلق بلا تكن اذ النداء طاعة فلا ينهى عنها فالاوجه ان يكون مفعولا به لاذكر مقدرا (قوله وحسن تذكير الفعل) مع كونه مسندا الى النعمة للفصل بينه وبين فاعله بالضمير المنصوب مع ان تأنيث النعمة غير حقيقي وفيما اسند الى ظاهر غير حقيقي يجوز الامران ولان النعمة والانعام بمعنى واحد وتدارك فعل ماض بمعنى ادركه ويدل عليه قراءة من قرأ تداركته بزيادة تاء التأنيث في آخره وقرئ ايضا لولا ان تداركه بتشديد الدال وهو مضارع اصله تتداركه ادغمت التاء الثانية في الدال بعد قلبها دالا وجعل هذه القراءة مبنية على حكاية الحال الماضية ومعنى حكاية الحال الماضية ان تقدر ان تلك الحال واقعة في حال التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على وقوعها في حال التكلم ولا يفعل هذا فيما وقع سابقا الا اذا كان امرا غريبا فتقصد بسلوك هذه الطريق ان تحضره للمخاطب وتصوره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابته مثل ان يقول رأيت الاسد فآخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان ما يكون على حكاية الحال الماضية لا يدخله علم الاستقبال لان دخوله عليه ينافي الغرض

(فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) كله الى فاني اكفيكه (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (واملي لهم) وامهلهم (ان كيدي متين) لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته (ام تسألهم اجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) بحملها فيعرضون عنك (ام عندهم الغيب) اللوح او المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا ان تداركه نعمة من ربه) يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه

(لنبذ بالعراء) بالارض الخالية من الشجر (وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة في امره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي يعرف حقيقتها

المذكور فكان دخول ان الاستقبالية على قوله تداركه مانعا من حمله على حكاية الحال الماضية فلذلك فسر المصنف في تصوير المعنى حيث قال لولا ان كان يقال فيه تداركه فادخل علامة الاستقبال على القول المقدر فدفع بذلك ان يحمل قوله تداركه على حكاية الحال وليس مراده بتقدير القول بيان ان حكاية الحال تقتضي تقديره لما عرفت من ان حكايتها لا تقتضي تقدير القول بل يكفي فيها ان يقدر وقوعها في حال التكلم ويعبر عنها بما يدل على وقوعها فيه (قوله مليم) اسم فاعل من الام الرجل بمعنى اتى بما يلام عليه (قوله وهو حال) اي من مرفوع قوله لنبذ يعتمد عليها الجواب يعني ان جواب لولا في الحقيقة مفهوم قوله وهو مذموم وان كان في الظاهر هو قوله لنبذ وذلك لان لولا الامتناعية تقتضي ان يكون جوابها منتفيا والمنتفي ههنا ليس نفس النبذ بالعراء لانه قد وقع بقوله تعالى في الآية الاخرى فنبذناه بالعراء بان سخرنا الحوت لان يلقيه فيه بل المنتفي هو نبذه فيها مذموما فانه تعالى نبذه بالعراء محمودا وارسله الى مائة الف او يزيدون من حيث انه ادركته نعمة التوفيق للتوبة عن زلته وقبول تلك التوبة ولولا ان ادركته تلك النعمة لنبذ مذموما مليما وقيل معنى الآية لولا ان ادركته النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء عرصة القيامة مذموما حين يحشر الناس ولكن من الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذ بعراء الدنيا ويدل على هذا القول قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون (قوله بان رد الوحي اليه او استنبأه) يؤيد الاول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال رد الله تعالى اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه اي قبل شفاعته في نفسه وقومه وقبل توبته ومن انكر الكرامات والارهاص لا بد له ان يختار هذا القول لان احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هنالك لم يكن ارهاصا ولا كرامة لا بد ان يكون معجزة وذلك يقتضي ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة وقال قوم لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولا بعد هذه الواقعة وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه ربه (قوله وفيه دليل على خلق الافعال) فان افعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل فجعله من الصالحين فانه صريح في ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه (قوله ينظرون اليك شزرا) الشزر نظر الغضبان بمؤخر عينه او على وجه يؤذن بالغضب والعداوة (قوله اذ روي انه كان في بني اسد عيانون) وكان الرجل منهم يجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء من الابل او الغنم او غيرهما فيقول لم ار كاليوم ابلا وغنما احسن من هذا ومثلها الا عانه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط طائفة منها هالكة فسأل الكفار بعض من كان له هذه الصفة ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى من شرهم ومن الناس من انكر اصابة العين وقال انها لا حقيقة لها لان تأثير الجسم في الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير والمصنف اشار الى جوابه بقوله يكون من خصائص بعض النفوس فان النفوس مختلفة في جواهرها وهيئاتها واذا كان كذلك لا يمتنع ايضا اختلافها في لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور (قوله وقرأ نافع ليزلقونك) بفتح الياء على ان زلق بفتح اللام متعد وبالكسر لازم يقال زلقته فزلق اي اسقطته فسقط مثل حزنته فحزن والباقون بضم الياء من ازلقه اي ازل رجله (قوله وقرئ ليزهقونك) من زهقت نفسه اي هلكت وازهقها غيره اي اهلكها (قوله ينبعث عند سماعه بغضهم) يعني ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك (قوله بين انه ذكر عام) اي للجن والانس يتعظون به ويستنبطون منه صلاح احوالهم المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الآداب والحكم ومن سائر العلوم ما لا حد له ولا حصر فمن يظهر مثل هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس الى العمل به فيه كيف يقال في حقه انه مجنون والحال انه من ادل الامور على كمال عقله وعلو شانه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وخبثه فان ذا الفضل لا يعرفه الا ذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر

تمت سورة نون والحمد لله رب العالمين

(سورة الحاقة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها) اي يجب والحاقة اسم فاعل من حق الشيء يحق بكسر الحاء اي وجب حذف موصوفها وهو الساعة او الحالة وكذا على قوله او التي تحق فيها الامور الا انه من حققته احقه بالضم

اذاعرفت حقيقته رصرت منه على يقين فعلى هذا الحاقة بمعنى الفارقة للامور بحقيقتها سمت الساعة بها مع ان الفعل لاهلها على الاسناد المجازى على طريق ليله قائم ونهاره صائم فان الخلائق هم الذين يعرفون الامور على حقيقتها يوم القيامة فاسند العرفان الى الوقت مجازا (قوله او تقع فيها حواق الامور) اى ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشئ يحق بالكسر اى ثبت والثبوت وصف لما يقع فى الساعة من الحساب والجزاء وصف به نفس الساعة على الاسناد المجازى ايضا فقوله على الاسناد المجازى متعلق بكل واحد من الوجهين الاخيرين (قوله خبرها ما الحاقة) يعنى ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول ولما ورد ان يقال الجملة الواقعة خبر المبتدأ لابد فيها من العائد ولا عائد فى هذه الجملة اجيب بانه صح ذلك لاشتمالها على الظاهر الذى اقيم مقام الضمير العائد فان اصلها الحاقة ما هى اى اى شئ هى وضع الظاهر موضع الضمير تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فان معنى التفخيم وان كان مستفادا من الجملة الاستفهامية الا انه اذا وضع الظاهر موضع الضمير يكون ذلك ادل عليه وآكد فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير فى نظمهم ونثرهم لقصد التعظيم والتفخيم فيقولون زيد ما زيد بدل ان يقال ما هو لتعظيم شأنه وتفخيم امره فان دلالة الظاهر على ما هو منشأ التعظيم والتهويل اكثر من دلالة الضمير عليه فقول المصنف على التعظيم لشأنها بيان لمعنى الاستفهام وقوله لانه اهول لها اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير (قوله واى شئ اعلمك ما هى) اشارة الى ان ما الاولى استفهامية ومعناها التفخيم والتعظيم وكذا ما الثانية وكل واحدة منهما مبتدأ وما بعدها خبر والجملة الثانية فى محل النصب على انها مفعول ثان لادرى بل هى سادة مسد المفعول الثانى والثالث له لانه بمعنى اعلم وهو يتعدى الى ثلاثة وادراك غير عامل فيه لما فيهما من معنى الاستفهام (قوله تقرع الناس بالافزاع) اى تصيبهم بها كانما تقرعهم بها شبهت الاصابة بالقرع فسميت باسمه ثم اشتق منه فهى استعارة تبعية وكان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود وعاد بها اى بالحاقة من حيث انه تعالى لما ذكر الحاقة وفخم شأنها شرع فى ذكر من كذب بها وما حاق بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الا انه وضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما فى القارعة من الدلالة على الشدة والهول ما ليس فى ضمير الحاقة وثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز وعاد قوم هود عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف رمل بين عمان الى حضر موت واليمن كله (قوله بالواقعة المجاوزة للحد) يعنى ان الطاغية صفة لمحذوف هى الواقعة وان الطغيان مجاوزة الحد فى اى شئ كان وان الباء فيها للاستعانة كما فى كتبت بالقلم وتلك الواقعة هى الصيحة المجاوزة فى قوتها وشدتها عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب احد منهم كما قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة اى الزلزلة العظيمة لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة انتهى (قوله او بسبب طغيانهم) على ان تكون الطاغية مصدرا بمعنى الطغيان كالكاذبة والعافية وتكون الباء سببية فان طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فاهلكوا بسببه كما قال تعالى كذبت ثمود بطغواها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها (قوله وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا) اى جعل الطاغية بمعنى الطغيان وجعل الباء سببية لا يلائم قوله فاهلكوا بريح لان الباء فيه للاستعانة لا للسببية فجعلها فى الجملة الاولى للسببية لا يلائم ما بعدها (قوله من الصر او الصر) الاول بفتح الصاد وهو الصوت يقال صر الجندب صريرا وصر القلم والصر بكسر الصاد برد يضر بالنبات والحرث (قوله كانها عتت) اى عصت وتمردت وغلبت على خزانها فجعل قوله تعالى عاتية استعارة تبعية بان شبهت شدة عصف الريح بعتوها على خزانها فسميت باسمه ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء وقال الكلبى عتت الريح على خزانها فلم تطعهم ولم يستطيعوا ضبطها من شدة هبوبها غضب الله تعالى ولم يخرج قبل ذلك ولا بعد شئ منها الا بقدر معلوم وقال عليه الصلاة والسلام طغى الماء على خزانه يوم نوح وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال المراد بعتوها غلبتها عليهم فانهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار ببناء او الاستناد الى جبل لانها كانت تنزعهم عن اماكنهم وتهلكهم (قوله اذ لو كانت) علة لوجه كون قوله تعالى سخرها عليهم نافيا للوهم المذكور وتقريرها ان تلك الريح الصرصر العاتية لو كانت مقتضى الاتصال النجومى الفلكى لكان اقتضاؤه اياها بتقدير الفاعل المختار وجعله سببا لها لا ان الاتصال المذكور يقتضى اياها لذاته اذ لو كان كذلك لما حصل منه تخويف قريش وتحذيرهم عن التكذيب بسبب

اوتقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدأ خبرها (ما الحاقة) واصله ما هى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها (وما ادراك ما الحاقة) واى شئ اعلمك ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اى شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر (عاتية) شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيئ به لنفى ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب

كونه موديا الى عداوته تعالى (قوله متتابعات) بين الله تعالى اولا زمان تعذيبهم بتسخير الريح عليهم فقال سبع ليال وثمانية ايام ثم بين ان ذلك التعذيب لم يكن متفرقا فى تلك المدة بل كان على التتابع والتوالى بحيث لم يخل يوما من تلك الايام ولا ليلة من لياليها عن ذلك فقال حسوما اى متتابعة من غير فتور ولا انقطاع فى تلك المدة وقوله تعالى سبع ليال منصوب على الظرفية وحسوما حال من مفعول سخرها اى ارسلها عليهم بقدرته فى حال كونها متتابعة الهبوب فى تلك المدة من غير فتور ولا انقطاع الى ان تستأصل القوم وتقطع دابرهم وهو جمع حاسم كشهود وقعود جمع شاهد وقاعد فقوله حسوما بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام ومعنى الحسم فى اللغة القطع بالاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وسمى كى الدابة ذات الداء الى ان يزول عنها الداء باصله وتنقطع مادة الداء بالكلية حسما لان الفاعل يعيد الكى على الدابة كرة بعد اخرى الى ان يستأصل المادة ويقطعها بالكلية ولما كانت الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى اهلكتهم جميعا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم فى اعادته الكى على الدابة مرة بعد اخرى حتى يحسم ما بها فسمى ذلك التتابع حسما وسميت الرياح من حيث تتابع هبوبها الى ان تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما لتشبيهها بمن يحسم داء الدابة فى تتابع الفعل واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال (قوله ويجوز ان يكون مصدرا) عطف على قوله جمع حاسم اى ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوبا على انه مفعول له اى سخرها عليهم لاجل حسمهم واستئصالهم او على انه مصدر مؤكد لفعله المقدر اى تحسمهم حسما وتستأصلهم استئصالا وتكون الجملة فى محل النصب على انها حال من الضمير المنصوب فى سخرها ويؤيده القراءة بفتح الحاء فان حسوما فى هذه القراءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعا مستأصلا (قوله وهى كانت ايام العجوز) وهى ايام فى آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة تسميها العرب ايام العجوز اما لانها فى عجز الشتاء او لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا وهو بفتحتين بيت فى الارض فانتزعتها الريح فاهلكتها (قوله تعالى صرعى) حال من القوم لان الرؤية بصرية اى لو كنت عندهم فى ذلك الوقت لرأيتهم فى مهابها مصروعين والكاف فى كانهم فى موضع الحال ايضا اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد او من المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باعجاز نخل خاوية الاجواف لا شئ فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت اى خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وفيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسامهم والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل البالية قيل كانت الريح تدخل فى افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية (قوله من بقية الخ) يعنى يجوز ان تكون الباقية اسما بمعنى البقية وان تكون صفة فيقدر لها موصوف وان تكون مصدرا بمعنى البقاء كالعافية وعلى التقادير كلها قوله من باقية مفعول ترى ومن زائدة ثم انه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفا لاهل مكة شرع فى ذكر قصص سائر المكذبين فقال وجاء فرعون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء بمعنى ومن تقدمه وكان قبله من الكفرة وقرئ بكسر القاف وفتح الباء بمعنى عنده من اتباعه (قوله قرى قوم لوط) سميت مؤتفكات لانه تعالى قلبها على قوم لوط عليه الصلاة والسلام من أفكه على الشئ اذا قلبه وأتفكت البلدة باهلها اى انقلبت (قوله بالخطأ) على ان تكون الخاطئة مصدرا كالعافية وما بعده على ان تكون صفة لمحذوف هو الفعلة او الافعال والبناء للنسب كلابن وتامر اى بالفعلة ذات الخطأ او الافعال ذات الخطأ (قوله زائدة فى الشدة) اى على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم القبيحة كانت زائدة فى القبح على افعال سائر الكفرة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأكله آكل الربا زائدا على ما اعطاه (قوله جاوز حده المعتاد) يعنى ان الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل انه ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع ويجوز ان يكون المراد مجاوزة حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل ان الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه (قوله وهو يؤيد من قبله) بفتح القاف وسكون الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اخذ به الجائين بالخاطئة من اغراقهم بالطوفان (قوله تشبيها بكتف) يعنى ان تعى تشبه كتف وفخذ والعرب تخفف مثلهما باسكان الوسط فلذلك اسكن فى تعيها

(سبع ليال وثمانية ايام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القرآءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) فى مهابها او فى الليالى والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كانهم اعجاز نخل) اصول نخل (خاوية) متآكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) من بقية او نفس باقية او بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها (بالخاطئة) بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولها (فاخذهم اخذة رابية) زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) اى آباءكم وانتم فى اصلابهم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة) عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف

(قوله والوعى ان تحفظ الشئ) فيقال وعيت العلم ووعيت ماقلته ويقال اوعيت المتاع فى الوعاء (قوله وان من هذا شأنه) اى ان معنى التنكير فيد للتقليل مع التعظيم وان من وعى هذه القلة انما يعيها ويحفظها لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم عن الاعمال الباطلة بما ينجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا لنجاة جم غفير ودوام نسلهم فتكون الاذن التى هذا شأنها اذنا معظمة (قوله وقرأ نافع اذن بالتخفيف) اى بسكون الذال والباقون بضمتين وهى مؤنثة وتصغيرها اذينة (قوله وتنبيها على امكانها) فان ماذكره فى شرح حال المكذبين بعد مابالغ فى تهويل الحاقة يدل على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فكان ذلك تنبيها على امكان القيامة لان القدرة على هذه الامور العظام تدل على القدرة على البعث والنشور كما ان حكمة القادر تدل على وقوعها وشرع بعد ذلك فى تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ فى الصور الاية (قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر الخ) يعنى ان المصدر المبهم وهو الذى يكون لمجرد التأكيد نحو ضربت ضربا لايجوز اقامته مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضرب زيد او الضرب الفلانى لان مايقوم مقام الفاعل يجب ان يكون مثله فى افادة مايفيده والمصدر المبهم لايفيد امرا زائدا على مدلول الفعل فلا يقام مقام الفاعل ونفخة فى هذه الاية ليست من قبيل المصادر المبهمة لانها لاتطلق على مجرد النفخ بل تدل على النفخ المقيد بقيد المرة وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة للفصل بينهما اوجواز التذكير مبنى على كون تأنيث النفخة غير حقيقى (قوله وقرئ نفخة بالنصب) اى على المصدرية واسناد الفعل الى الجار والمجرور لانه اذا لم يوجد المفعول به فجميع المفاعيل سوآء فى جواز اقامتها مقام الفاعل وحمل المصنف النفخة على النفخة الاولى وهى التى لايبقى عندها حيوان الامات ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله عقيبه وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وهذه الحالة تكون عند النفخة الاولى وقوله بعد ذلك فيومئذ وقعت الواقعة هى صيحة القيامة قال الامام المراد من هذه النفخة الواحدة هى النفخة الاولى لان عندها خراب العالم ثم قال فان قيل اما قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية فاجاب عنه بقوله جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون كما تقول جئته يوم كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته (قوله فضربت الجملتان) اشارة الى وجه تثنية ضمير دكتا والظاهر ان يقال دككن لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة الا انه جعل الجبال كلها جملة واحدة والارض جملة اخرى فعبر عنهما بضمير التثنية ونظيره قوله تعالى فى خلق السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن (قوله فيومئذ وقعت الواقعة) جواب لقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل من اذا وتكريرها لمعناه كرر لما طال الكلام والبدل مع متبوعه منصوبان بوقعت ويومئذ فى قوله فهى يومئذ واهية ظرف لواهية اى فالسماء يوم اذا نفخ فى الصور وقامت القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد ان كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا (قوله تعالى والملك على ارجائها) قال الضحاك اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على ارجائها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن عليها وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم يفزعون فيندون كما تند الابل فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا رأوا الملائكة فيرجعون الى حيث جاؤا (قوله ولعله تمثيل لخراب الدنيا) الظاهر انه اشارة الى ما اورده الامام الرازى بقوله فان قيل الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فكيف يقال انهم يقفون للحفظ على ارجاء السماء يومئذ واجاب عنه بقوله قلنا الجواب من وجهين الاول انهم يقفون على ارجاء السماء ثم يموتون والثانى ان المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله تعالى الا من شاء الله واشار المصنف الى جوابه الاول بقوله وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك بعد ما اجاب عنه من قبل نفسه بان الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ما ذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه خراب السماء بتشققها واسترخائها والتجاء اهلها الى اطرافها الباقية على حالها بخراب البنيان فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن الهيئة المشبه بها من غير ان يكون فى جانب الهيئة المشبهة اهل واطراف والتجاء الاهل اليها حتى يرد ان يقال ان اهل السماء يموتون عند النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجائها (قوله او فوق الثمانية) يعنى

والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك (اذن واعية) من شأنها ان تحفظ مايجب حفظه لتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته سبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لاعوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لاسنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية (والملك) والجنس المتعارف بالملك (على ارجائها) جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى

ان ضمير فوقهم راجع الى الجملة الثمانية والمعنى انهم يحملون العرش فوق انفسهم يومئذ فكل واحد من فوقه فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحملون حينئذ واما على تقدير ان يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء فالظاهر حينئذ ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة (قوله وامله ايضا تمثيل) جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاضر فى العرش متمكن فيه وجه الاستدلال انه تعالى لو لم يكن متمكنا مستقرا فى العرش لكان حمله عبثا عديم الفائدة لاسيما وقد أكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون ان لو كان الاله حاضرا فى العرش قال الامام اجاب اهل التوحيد عن هذا الاستدلال بانه لا يمكن ان يكون المراد منه انه تعالى جالس فى العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان فى العرش فلو كان الاله فى العرش للزم ان تكون الملائكة حاملين له تعالى وذلك محال لانه يقتضى احتياج الله تعالى اليهم وان يكونوا اعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه لابد فيه من التأويل فذكر فى تأويله ما ذكره المصنف من انه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فكما ان الملك اذا اراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير ووقف الاعوان حوله كذلك اخبر الله تعالى انه يحضر يوم القيامة عرشه محفوفا بالملائكة تصويرا لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه فى التعبير عن عظيم العظماء لان له عرشا يقعد عليه ويخرج الى حوله فى وقت محاسبة الخلق والله اعلم (قوله تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر) اى بامر اراءتهم عليه ليعرف حالهم يعنى قوله تعرضون استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيها للمحاسبة بالعرض المذكور قال الجوهرى عرضت الخيل على عينى اذا امررتهم عليك ونظرت حالهم (قوله هذا وان كان بعد النفخة الثانية) جواب عما يقال كيف قلت ان المراد بهذه النفخة هى النفخة الاولى التى عندها خراب العالم مع ان قوله تعالى يومئذ تعرضون يفهم منه ان المراد بالنفخة النفخة الثانية لان العرض والحساب انما يكون عندها ومحصول جوابه ان تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم لما دل على ان المراد بها النفخة الاولى قلنا بذلك وقوله تعالى بعد ذلك يومئذ تعرضون لا ينافى ذلك لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد (قوله سريرة) والمعنى لا يخفى عليه تعالى فعلة خفية حال كونها واقعة منكم وتسرونها من اعمالكم فان السر والسريرة الذى يكتم ويخفى والجملة مستأنفة لبيان ان العرض المذكور ليس لخفاء شئ من اعمالكم عليه كما قال لا يخفى على الله منهم شئ بل المراد به افشاء الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد (قوله او على الناس) عطف على قوله على الله فعلى هذا يتعلق قوله منكم بقوله لا يخفى اى لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان يخفيه الانسان من الطاعة والمعصية فى الدنيا فانه يظهر فيه احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال اهل العذاب فيتمم بذلك حزنهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر فقوله تعالى لا تخفى منكم خافية زجر عظيم عن المعصية لتأديتها الى الافتضاح على رؤس الاشهاد (قوله تبجحا) بالجيم ثم الحاء ومعناه الفرح يقال تبجح به اى فرح به فرحة تفرح فانه لما اوتى كتابه بيمينه علم انه من الناجين والفائزين بالنعيم المؤبد فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله وقيل ذلك لاهل بيته وقرابته (قوله وفيه لغات اجودها هاء يا رجل) بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسر الهمزة وتصريفها هاء هاؤما هاؤم وهاء هاؤما هاؤن (قوله ومفعوله محذوف) يعنى ان قوله تعالى هاؤم لكونه بمعنى خذوا وتناولوا يقتضى مفعولا يتعدى اليه بنفسه وكذا قوله اقرأوا يقتضى ذلك فتنازعا فى قوله كتابيه واعمل الثانى لكونه اقرب العاملين واعمال الاقرب فى مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما فى الوجود على العامل الثانى والبصريون لا يجوزون اعمال الابعد لان بعده عن الاسم الظاهر الذى بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر للضعيف عند وجود ما هو اقوى منه وايضا لو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابى فكان يجب ان يقول اقرأوه لما قرر فى النحو انه ان اعمل الفعل الاول والحال ان الثانى يطلب مفعولا فالمختار ان لا يحذف مفعول الثانى بل يجعل ضميرا بارزا وذلك لان الثانى مع كونه اقرب الطالبين اذا لم يحظ بمطلوبه مع الامكان فقد ان يتمتع بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول اقرأوا علمنا انه هو العامل فى كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابى اقرأوا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه (قوله تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل) بيان لما هو الاصل فى هاء السكت لان هاء السكت انما جيء بها تحصينا لحركة الحرف الموقوف عليها

وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال (يومئذ تعرضون) تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان ذلك اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لا تخفى منكم خافية) سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل (فاما من اوتى كتابه بيمينه) تفصيل للعرض (فيقول) تبجحا (هاؤم اقرأوا كتابيه) هاء اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرأوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرأوه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل

وبيانا لها فانه لولم يجأ بها ووقف على الياء لسكنت فجيء بالهاء حفظا لحركتها فثبت انه لاحاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل الا ان القرآء السبعة اتفقوا فى كتابيه وحسابيه على اثبات هاء السكت فيهما فى الوصل ايضا اجرآء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى هذه المواضع وماكان ثابتا فيه لابد ان يكون ثابتا فى اللفظ الا ان اثباته فى اللفظ انما يحسن عند الوقف فعلم منه ان المستحب ان يوقف عليها وان من وصلها يثبتها حال الوصل ايضا اتباعا للرسم لان ما ثبت فى الرسم لابد ان يثبت فى اللفظ ولذلك اتفقوا فى ماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة على اثباتها فى الحالتين الا حمزة فانه اسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه واثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين والهاء التى فى قاضية وفى هاوية وفى خاوية وثمانية وعالية ودانية والخالية فانها فيهن للتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء وقيل لابأس باسقاط هاء السكت حال الوصل فى جميع هذه المواضع مع اجماع السبعة على خلافه بناء على ان الوقف والابتداء وماهو من قبيل الارآء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر (قوله اى علمت) فسر الظن بالعلم لانه لو ابقى على اصله لكان بمعنى انى ظننت انى احاسب فى الآخرة والاعتقاد بالبعث والحساب من جملة العقائد الدينية التى يجب الايمان بها والايمان لايحصل بالشك والظن بل لابد للمؤمن ان يتيقن بحقية البعث والحساب ومايتفرع عليهما فلذلك فسره به فالمعنى انى علمت وتيقنت فى الدنيا ان الله تعالى يبعثنى ويحاسبنى فاجتهدت فى الطاعات وجانبت السيئات مااستطعت فنجانى الله تعالى برحمته وفضله من اهوال هذا اليوم وجعلنى من الآمنين فيه كما وفقنى فى الدنيا للايمان به والخوف من اهواله والعمل له عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر رضى الله عنه فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة (قوله ذات رضى) اى رضى بها صاحبها والنسبة قد تكون بالحرف نحو رومى و بصرى وقد تكون بصيغة نحو تامر ولابن وراضية من هذا القبيل ويجوز ان تكون من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند الرضى الى ضمير العيشة وهو لصاحبها (قوله وذلك) اى كون العيشة راضية باحد الوجهين لاشتمالها على ثلاثة امور فان مآل الوجهين كون العيشة مرضية والشيء انما يكون مرضيا من جميع الوجوه اذا اجتمع فيه ثلاثة امور الاول كونه منفعة صافية من الشوآئب والثانى كونه دائما لايرقب زواله وانقطاعه والثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم من رضى به واكرامه والا كان استهزآء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضية بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا (قوله فى جنة عالية) بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية والعلو ان اريد به العلو فى المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات وان اريد به العلو فى الدرجة والشرف فالامر كذلك وان اريد علو أبنيتها وما فيها من الاشجار فالامر كذلك فهى عالية من جميع الجهات (قوله جمع قطف) بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود والقطف بالفتح مصدر يقال قطفت العنب قطفا والقطاف وقت القطف والمصنف غلب القطف فى جميع مايجتنى من الثمر عنبا كان او غيره ومعنى السرعة انه اذا اراد ان يأخذها بيده قائما او جالسا او مضطجعا انقادت له وكذا ان اراد ان تدنو الى فيه دنت (قوله باضمار القول) اى يقال لهم كلوا وهذا امر امتنان واباحة لا امر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف (قوله وجمع الضمير) اى بعد قوله فهو فى عيشة راضية للمعنى فانه راجع الى من فى قوله فاما من اوتى كتابه وهو فى معنى الجمع (قوله اكلا وشربا هنيئا) على ان يكون قوله هنيئا صفة مصدر محذوف وقوله او هنئتم هنيئا على ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف وكل شيء يأتيك من غير تعب فهو هنيء اى لاتكدير فيه ولا تنغيص ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم ماترجو ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله والمعنى بما قدمتم فى الدنيا والباء اما سببية او للمقابلة اى بدل ما اسلفتم (قوله ياليت الموتة التى متها) الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام والقاضية القاطعة للحياة اى ياليت الموتة التى متها لم احى بعدها تمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وان لايبعث للحساب ولايلقى ما اصابه من الخجالة وسوء العاقبة (قوله اوياليت هذه الحالة) اى او يكون ضمير ليتها للحالة التى شاهدها عند مطالعة الكتاب اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على تمنى

(انى ظننت انى ملاق حسابيه) اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو فى عيشة راضية) ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوآئب دائمة مقرونة بالتعظيم (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء اوالدرجات اوالابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول وجمع الضمير للمعنى (هنيئا) اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا (بما اسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا (واما من اوتى كتابه بشماله فيقول) لمايرى من قبح العمل وسوء العاقبة (ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها اوياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها اوياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا

مبني على تقدير المضاف اي لا يحث على بذل طعامه او على ان الطعام فيه اسم اقيم مقام الاطعام واستعمل بعنده كما يقام العطاء مقام الاعطاء في كلامهم (قوله ويجوز ان يكون ذكر الحض) كانه جواب عما يقال الظاهر ان يقال ولا يبذل طعام المسكين اي ولا يطعم المسكين فلم عدل عنه الى قوله ولا يحض على بذل طعامه او اطعامه وانما قلنا الظاهر ان يقال ذلك لان الكلام مسوق لبيان عظم جريمته ولا شك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث عليه (قوله وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع) على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقام الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لا على معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء ولا ثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا تستلزم اهلية الاداء كما تقرر في الاصول (قوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام) حميم اسم ليس وقوله ولا طعام عطف عليه وله خبره وقوله اليوم وههنا ظرفان لما تعلق به له والمعنى فليس له يوم يقال في حقه خذوه فغلوه ههنا اي في الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله ويدفعه عنه او يخفف عليه لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وليس له طعام يأكله لنجاته عن الاطعام الا من غسلين وهو ما ينفصل من ابدانهم من القيح والدم روي انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايشهم فالياء والنون زائدتان في غسلين (قوله من خطئ الرجل الخ) يقال خطئ الرجل يخطأ خطأ فهو خاطئ على وزن علم يعلم علما فهو عالم اذا تعمد الخطء بمعنى الذنب فان الخطأ المضاد للصواب لا يقال في الفعل منه خطئ فهو خاطئ بل يقال اخطأ فهو مخطئ وتخطأ فهو متخطئ اي اراد الصواب فصار الى غيره من غير ان يتعمده ويقصده ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال فلا اقسم بما تبصرون وكلمة لا فيه يجوز ان تكون نافية للقسم على ان هذا القول قول رسول كريم اي لا اقسم عليه لانه لوضوحه يستغني عن تأكيده بالقسم ويجوز ان تكون صلة ويكون المعنى فاقسم بالاشياء كلها مما في الدنيا والآخرة فان منها ما يبصر ومنها ما لا يبصر وان يكون لرد انكارهم البعث واستئناف قسم على حقية القرآن (قوله وهو محمد او جبريل عليهما الصلاة والسلام) فان قيل لا شك ان القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام اجيب بان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة اظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه وهو ايضا كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وهو ايضا كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة النبوة (قوله لما ظهر لكم صدقه) مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعدم الايمان وقوله تصديقا قليلا اشارة الى انتصاب قليلا ههنا وفيما بعده على انه صفة مصدر محذوف للفعل الذي بعده وان ما مزيدة للتأكيد (قوله المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم) من قبيل اللف والنشر المرتب فان الكاهن من تأييد الشياطين ويلقون اليه ما سمعوه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وطريقه عليه الصلاة والسلام منافية لطريق الكاهن من حيث ان ما يلقيه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين اليه فانهم لا يلقون فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني ما يلقيه عليه الصلاة والسلام منافية لمعاني اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني اقواله عليه الصلاة والسلام فلو تذكر اهل مكة معاني القرآن ومعاني اقوال الكهنة لما قالوا انه قول كاهن (قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء) اي بياء الغيبة فيهما اي في قوله يؤمنون ويذكرون على الالتفات وقرأ الجمهور بتاء الخطاب على وفق قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله كانها جمع افعولة) اشارة الى وجه كون هذه التسمية تحقيرا للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور غير انها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه واقوولة ليس بمستعمل فلذلك لم يقطع بكون الاقاويل جمعا له بل قال كانها جمع افعولة للاشعار بان كونه على صورة جمع افعولة كاف في التحقير والظاهر ان الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول كاناعيم جمع انعام وانعام جمع نعم (قوله نياط قلبه) الجوهري النياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وقال ايضا الوتين عرق في القلب متصل بالرأس اذا انقطع مات صاحبه

ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولا طعام الا من غسلين) غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من اخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلا اقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستأنف (بما تبصرون وما لا تبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها (انه) ان القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله وهو محمد او جبرائيل عليهما السلام (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ما تؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولا بقول كاهن) كما تزعمون تارة اخرى (قليلا ما تذكرون) تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك (لاخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) اي نياط قلبه بضرب عنقه

وطلبه قال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون في الجنة كل فاكهة وسأل يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى
الدعاء والطلب يقال سألته الشئ ونقل الطيبي عن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله
تعالى وهزى اليك بجذع النخلة والمعنى سال سائل عذابا واقعا وفى الصحاح سألته الشئ وسألته عن الشئ سؤالا
ومسألة وقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع اى عن عذاب قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان
وقد تخفف همزته فيقال سأل سائل والامر منه سل ومن الاول اسأل (قوله وقرأ نافع وابن عامر سال) اى بغير
همز والباقون بالهمز وذكر المصنف لقرآءة الالف الساكنة وجهين الاول ان يكون من السؤال الا انه قلبت همزته
فقلبت ألفا للتخفيف على غير القياس كما قالوا فى هنأ هناه ولا هناك المرتع والقياس فى مثله ان تسهل الهمزة بجعلها
بين بين اى بين الهمزة والالف وهى لغة قريش قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

فعلى هذا يكون سال الملينة من سأل مهموز العين وتكون همزة سائل اصلية وقيل قوله وهو اما من السؤال
معناه انه منه من جهة المعنى لا من جهة اللفظ والبناء فان السؤال مهموز العين وسال اجوف وان تراد فامن
حيث المعنى لما روى ان لغة قريش ان يقولوا سال يسال كخاف يخاف وان الف سال منقلبة عن الواو وانهم
يقولون هما يتساولان فهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف والوجه الثانى ماذكره بقوله اومن
السيلان فعلى هذا تكون الف سال وهمزة سائل منقلبة عن الياء كما فى باع فهو بائع والمعنى جرى واد فى جهنم
بعذاب يقع بالكافرين يوم القيامة اويوم بدر فقد روى ان نضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط قتلا يوم بدر صبرا
ولم يقتل صبرا غيرهما (قوله للكافرين صفة اخرى لعذاب) وصف العذاب اولا بانه واقع اى نازل لا محالة
سوآء طلبه اولم يطلبه وثانيا بانه معد للكافرين لا يتخطاهم وان كان متعلقا بقوله واقع تكون اللام فيه بمعنى على
اوعلى بابها اى بعذاب نازل عليهم اولاجلهم (قوله وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا)
روى انه تعالى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الناس الى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال
المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فاخبر الله تعالى عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع
فالسؤال على هذا لا يكون من سألته الشئ وطلبته منه حتى يعدى بالباء لتضمنه معنى الدعاء بل يكون من سألته
عن الشئ ما هو وبمن يقع فحقه ان يعدى بعن الا انه عدى بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدى تعديته فعلى هذه
الرواية يكون قوله تعالى للكافرين جوابا عنه يقال لمن سأل ان ذلك العذاب لمن هو وعلى من يقع اى هو
للكافرين على انه خبر مبتدأ محذوف (قوله ذى المصاعد) اشارة الى ان العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع
معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج
اما معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت على حسب تفاوت انفس الاعمال فى استجماع الآداب والسنن
وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما معارج المؤمنين فى سلوكهم فى مراتب المعارف الالهية
والمكاشفات والتجليات ولا شك فى تفاوت طبقات اولياء الله تعالى فى ذلك او معارجهم فى دار ثوابهم وهى الجنة
ولا شك ايضا فى تفاوتها واما معارج الملائكة ومنازل ارتقائهم بحسب الامكنة وهى السموات فانهم يعرجون فيها
ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها او بحسب الفضائل الروحانية والمعارف الالهية وبحسب تفاوت قربهم فى تدبير
هذا العالم فان الظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة فى جميع ذلك فتلك المعارج سوآء كانت للاعمال او للمؤمنين
او للملائكة بيد الله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك وصف نفسه بقوله ذى المعارج (قوله استئناف لبيان
ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها) فيه اشارة الى ان ضمير اليه للمعارج بتأويل المكان او المصدر بناء على ان الجمع
المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس وقوله اليه وفى يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف
سنة تمييز لخمسين وكان مع مافى حيزها فى موضع الجر على انه صفة ليوم (قوله على التمثيل والتخييل) متعلق
بقوله لبيان يعنى ان القول بان عروج الملائكة والروح الى تلك المعارج فى مبدأ الصعود يكون فى المدة المذكورة
ليس على التحقيق بل هو جملة مستأنفة جيء بها تمثيلا وتصويرا لارتفاع تلك المعارج والمعنى انها فى ارتفاعها
وبعد مداها بحيث لو كان حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها فى خمسين الف سنة وان كانوا
يعرجون اليها فى اثناء يوم واحد من ايام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران فى ملك الله تعالى (قوله وقيل

وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على
لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

اومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على
ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال
واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه امافى الدنيا
وهو قتل بدر اوفى الاخرة وهو عذاب النار (للكافرين)
صفة اخرى لعذاب اوصلة لواقع وان صح
ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا
والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم (ليس له
دافع) يرده (من الله) من جهته لتعلق ارادته به
(ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى
يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها
المؤمنون فى سلوكهم اوفى دار ثوابهم او مراتب
الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها
(تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره
خمسين الف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك
المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى
انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر
بخمسين الف سنة من سنى الدنيا

تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة) اى على ان يكون ضمير اليه راجعا اليه تعالى فمعنى الآية تعرج الملائكة والروح الى موضع لا يجرى لاحد سواه تعالى فيه حكم وتدبير فجعل عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه تعالى كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى بالذهاب اليه وقوله فى يوم كان مقداره كذا من باب التشبيه البليغ اى كان مقداره بالنسبة الى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة الى الانسان ووجه الشبه ما ذكر بقوله من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض وقوله لا ان عطف على قوله والمعنى اى ان المعنى على تشبيه مقدار اليوم بمقدار خمسين الف سنة والظاهر ان المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق فى موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فان مقداره كمقداره خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة فى مقدار نصف يوم من ايام الدنيا فالمعنى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة لو ولى الحساب غير الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا واتفقوا على ان ذلك هو الجنة والقيلولة هى النوم فى الظهيرة وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قيل يا رسول الله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا ولا يلزم من وجود هذا اليوم ومن عروج الملائكة فى اثنائه الى العرش ان يكون ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة (قوله وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة) بيان لوجه التوفيق بين الآيتين وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال فى آية هذه السورة وفى قوله تعالى فى سورة السجدة ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة وقوله وان يوما عند ربك كالف سنة يومان ذكرهما الله تعالى فى كتابه أكره ان اقول فى كتاب الله تعالى بما لا اعلم اى لا اعلم وجه التوفيق بينهما وتوضيح ما ذكره المصنف فى وجه التوفيق ان المراد بالف سنة هو زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء خمسمائة سنة منها زمان عروجهم من الارض الى مقعر السماء وخمسمائة اخرى زمان عروجهم من مقعرها الى محدبها والاظهر ان يقال المراد بالف سنة زمان نزولهم من السماء الى الارض وعروجهم منها الى السماء خمسمائة للنزول وخمسمائة اخرى للصعود لانه تعالى قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة قدر بها مدة الصعود والنزول جميعا (قوله وقيل فى يوم متعلق بواقع) عطف على ما يفهم مما تقدم من كونه متعلقا بقوله تعرج وهو الاظهر وعلى تقدير كونه متعلقا بواقع يكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف وعامله اى سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة (قوله لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت) الاول مبنى على ان يكون السؤال بمعنى الطلب والدعاء فان النضر وابا جهل انما سألا ما سألا عن استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب بالوحى والثانى على ان يكون السؤال بمعنى السؤال عن الشئ ما هو وبمن يقع ومتى يقع فان كفار مكة انما سألوه عن العذاب على طريق التعنت وطلب الزلة وكل ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه (قوله عن تضجر) مبنى على ان يكون السائل هو النبى صلى الله عليه وسلم (قوله او سال) عطف على قوله بسأل يعنى ان قرئ سأل سائل او سال سائل بالالف الساكنة يكون قوله فاصبر متفرعا عليه والضمير فى قوله تعالى انهم لاهل مكة فانهم كانوا يستبعدون العذاب او البعث والقيامة عن الامكان فرد الله تعالى عليهم بانا نراه قريبا من الامكان او من الوقوع لان كل ما هو آت قريب (قوله اى يمكن يوم تكون) فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين لا وجه له لان الممكن ممكن فى جميع الازمنة الا ان يقال الظرف ليس لتقييد الامكان بل لمجرد بيان الامور الواقعة قبل وقوع هذا الممكن كأنه قيل ونراه قريبا من الامكان يوم يكون كذا وكذا انتهى (قوله او لمضمر دل عليه واقع) اى يقع فى ذلك اليوم ويحتمل ان يكون ظرفا لمحذوف اى يوم تكون السماء كالمهل كان ما لا يدخل تحت الوصف وان علق فى يوم بقوله واقع يكون هذا اليوم بدلا منه بخلاف ما اذا كان متعلقا بقوله تعرج فانه حينئذ لا يكون بدلا منه لان يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيامة بخلاف يوم عروج الملائكة لما مر ان قوله تعرج الملائكة والروح الآية استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها الا فى مدة خمسين الف سنة وذلك لا يتوقف على كون المراد به يوم القيامة واذا لم يكن المراد به يوم القيامة لا يصح ابدال هذا اليوم منه الا بان يكون بدل غلط وهو لا يقع فى القرآن

وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها او فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرائيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او سال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب او يوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه او من الوقوع (يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون السماء او لمضمر دل عليه واقع او بدل من فى يوم ان علق به

(قوله كالفلزات) جمع فلز بالكسر وتشديد الزاى وهو ماينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض قيل هذا يدل على صحة مايروى من ان السماء الدنيا من حديد (قوله ولا يسأل قريب قريبا عن حاله) اى لا يكلمه لان لكل احد ما يشغله عن السؤال فالسؤال من سألته عن الشئ ومفعوله بالواسطة محذوف اى لا يسأله عن حاله (قوله او لا يسأل منه حاله) اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط عن اى لا يسأل حميم عن حميم ليعرف حاله من جهته كما يعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل احد يسأل عن عمل نفسه (قوله استئناف) فى جواب من قال لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقال يبصرونهم اى يعرفونهم اى يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه ولا يمنعه عن المسألة خفاء مكانه ومع ذلك لا يسأل عن حاله لشغله بنفسه اولاستغنائه عن السؤال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة من اهل النار و بالعكس بالعلامات الدالة على حاله من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السؤال وفى الصحاح البصر العلم و بصرت بالشئ اى علمته وعرفته قال تعالى يبصرونهم عدى بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر فيقال بصرته به وقد يحذف الجار فيقال بصرته اياه ومافى الآية من هذا القبيل ويجوز ان يكون يبصرونهم حالا من حميم الاول اى لايسأل حميم عن حال حميمه فى حال كونه معرفا اياه وان يكون صفة حميما اى حميما مبصرين لان معناه العموم لا التثنية لان كل واحد من الحميمين نكرة فى سياق النفى (قوله اواستئناف) كان السائل عاد فقال كيف لايسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود المجرم (قوله لانه بمعنى تعذيب) والمصدر المنون ينصب المفعول وكلمة لو قد تكون مصدرية ومنه مافى الآية (قوله وعشيرته) وهى القبيلة وهم بنوا اب واحد والفصيلة فى الاصل القطعة المفصولة و يطلق على الاباء الاقربين وعلى الام لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الآباء الاقربون لتقدم قوله و بنيه (قوله الضمير للنار) ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب يدل عليها ولظى يجوز ان يكون خبران اى ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدأ مضمر اى هى نزاعة و يجوز ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبران وان كان ضمير انها للقصة يكون قوله لظى نزاعة جملة اسمية خبر ان (قوله او الحال المؤكدة) اى من لظى لان لظى بمعنى جهنم لا تكون الا نزاعة فلا معنى للحال الا على وجه التأكيد كقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما (قوله او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية) اى متلهبة وهو معناه فى اصل اللغة والنار المتلهبة لا يلزمها ان تكون نزاعة فيجوز ان تكون حالا منتقلة (قوله والشوى الاطراف) اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ومنه يقال للرامى اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فأشواه اى اصاب الشوى فقوله نزاعة للشوى اى قلاعة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا (قوله كقول ذى الرمة) استشهاد لكون الدعوة مجازا عن الجذب والاحضار وصف الثور الوحشى بقوله

امسى بوهبين مجتاز المرتقة ۞ من ذى الفوارس تدعو انفه الربب

وهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتازا عدى باللام لتضمنه معنى الطلب اى طالبا المرتقة ويروى مجتزا بالحاء المهملة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهى اول ماينبت من الارض وفى مجمل اللغة الربة نبات يبقى فى آخر الصيف وتدعو انفه اى تجذبه ليأكل وكذا دعوة لظى من فرعنها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وقيل انها تدعوهم بلسان الحال وقيل انه تعالى يخلق النطق فى جرم النار فتدعو كل كافر ومنافق باسمائهم بلسان فصيح فتقول الى يا كافر الى يا منافق فان مستقرك فى ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى وقيل تدعو زبانية النار على حذف المضاف او على اسناد المجازى حيث اسند فعل الداعى الى المدعو اليه وقوله تدعو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من المنوى فيها او ان يكون خبرا بعد خبر لان او خبر المبتدأ المحذوف (قوله حرصا وتأميلا) الاول علة لجمع المال والثانى لابقائه على طريق اللف والنشر المرتب فان جمع المال مبنى على الحرص وحب الدنيا وابقاءه مبنى على طول الامل فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى ولاشك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقد مر ان الوعى ان تحفظ الشئ

والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولايسأل حميم حميما) ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولايسأل على بناء المفعول اى لايطلب من حميم حميم اولا يسأل منه حاله (يبصرونهم) استئناف اوحال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء اومايغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه) حال من احد الضميرين اواستئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى بأقرب الناس و اعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله و يسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) وعشيرته الذين فصل عنهم (التى تؤويه) تضمه فى النسب وعند الشدائد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين اوالخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدى اى ثم ان ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه (انها) الضمير للنار اومبهم يفسره (لظى) وهو خبر اوبدل اوالشأن اوللقصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة اوالمنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف اوجمع شواة وهى جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذى الرمة تدعو أنفه الربب ۞ مجازعن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه (من ادبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا

فى نفسك والايماء ان تحفظه فى غيرك ثم انه تعالى لما ذكر ان من الناس من ادبر عن طاعة الحق والاشفاق على الخلق بين ان الغالب على احوال نوع الانسان الهلع وانه مجبول عليه بحيث صارت هذه الرذيلة كأنها غرزت فيه كسائر الغرائز الطبيعية التى خلق الانسان عليها فقال ان الانسان خلق هلوعا والهلع صفة مركبة من صفتين ذميمتين وهما الجزع البالغ عند اصابة المكروه والبخل والامساك البالغ عند اصابة الخير قيل اصل الهلع فى اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع وفعله هلع يهلع مثل علم يعلم هلعا فهو هالع وهلوع والجزع ضد الصبر وانتصاب هلوعا على انه حال من المنوى فى خلق وهى حال مقدرة فان الهلع ليس خصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى الانسان عليها اولما قدر الانسان على ازالتها بالرياضة والمجاهدة غاية ما فى الباب ان الانسان اذا خلى وطبعه لا يظهر عليه الا مقتضى نفسه الامارة بالسوء من ايثار العاجل على الآجل لكونها فى عالم الظلمات فلا يميل الانسان الا الى ما يلائمها من لذات عالم الطبيعة والاجسام الظلمانية ولا يلزم من ذلك ان تكون تلك الرذائل مما خلق الانسان عليها وان لا تكون من العوارض المكتسبة بالقصد والاختيار فظهر بهذا انه يجوز ان يكون قوله تعالى هلوعا وجزوعا ومنوعا من الاحوال المقدرة الا ان المصنف جوز كونها من الاحوال المحققة فقال اومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها اورد به على صاحب الكشاف فانه زعم ان خلق الانسان هلوعا قبيح لا يصح اسناده اليه تعالى فليس الكلام على حقيقته بل المعنى ان الانسان لايثار الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما وكأنه امر خلقى ضرورى غير اختيارى كقوله تعالى خلق الانسان من عجل اى عجولا فى اكثر اموره واغلب احواله ولو كان المعنى انه تعالى خلقه كذلك لكانت الاوصاف المذكورة لازمة له غير منفكة عنه لكنها تنفك عنه فانه حين كان جنينا فى البطن وصبيا فى المهد لم يكن به هلع ولأن قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ذم والله تعالى لا يذم فعله ويدل على كونه ذما استثناء المؤمنين الموصوفين بثمانية اوصاف وهو ما ذكره الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون واشار المصنف الى جواز ان تكون الاوصاف المذكورة صفات غريزية جبل عليها الانسان وانه اذا خلى وطبعه لا يظهر منه الا آثار تلك الصفات ومقتضياتها من الافعال والاقوال الا انه لما أعطى العقل وميزان الشرع وبين له غوائل الاخلاق الذميمة ومحاسن الاخلاق الحميدة تخلق بمخالفة طبعه وموافقته لشرعه ومجاهدة نفسه الامارة حتى تحلى بالصفات المضادة لتلك الاحوال والامور الجبلية يجوز تبديلها بالرياضة والمجاهدة فان لكل داء دواء متى اصاب الدواء ازاله وارتكاب القبيح انما يتصور ممن يكلف باتباع المأمور به واجتناب المنهى عنه لا ممن يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته ولا يسأل عما يفعل فلا يكون شئ من افعاله تعالى قبيحا فلا يصح ان يقال خلق الانسان هلوعا قبيح فان قيل حاصل معنى الهلع ان يكون الشخص نفورا عن المضار طالبا للراحة وهذا وصف ملائم لمقتضى العقل فلم ذمه الله تعالى فالجواب ان المذموم هو كون الشخص بحيث يقصر نظره على الاحوال الجسمانية منهمكا فى حب الحظوظ العاجلة راغبا فيها نافرا عما يكون شرفا بالنسبة اليها وكان الواجب عليه ما ذكره المصنف من الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والرضى بجميع ما اصابه من الفقر والمرض ونحوهما وصرف ما رزقه الله تعالى من النعم كالمال والصحة ونحوهما الى ما يؤدى الى سعادة الآخرة ولا يطلب شيأ منها لكونها منفعة عاجلة (قوله لمضادة تلك الصفات لها) علة لاستثناء هؤلاء الموصوفين من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا فان الصفات المذكورة بعدها لما كانت مضادة لاحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها فى موضع واحد وجب ان يكون الموصوفون بتلك الصفات مستثنيات من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا والا لزم اجتماع الامور المتضادة (قوله لا يشغلهم عنها شاغل) اى عن ادائها فى اوقاتها قال الامام فان قيل كيف قال على صلواتهم دائمون ثم قال على صلواتهم يحافظون واجاب عنه بقوله معنى دوامهم عليها ان لا ينسوها فى وقت من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه وهذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلاة وتارة بامور لاحقة لها وتارة بامور متراخية عنها اما الامور السابقة فهى ان يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول اوقاتها وبالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان بالصلاة فى الجماعة وفى المساجد المباركة وان يجتهد قبل الدخول فى الصلاة فى تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ما سوى الله تعالى وان يبالغ فى الاحتراز عن الرياء والسمعة واما الامور المقارنة فهى ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا

(ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) يبالغ فى الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة اومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه (الذين هم على صلواتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل

وان يكون حاضر القلب عند القرآءة فاممـا الاذكار مطلقا على حكم الصلاة واما الامور المتراخية فهى ان لا يشتغل بعد اقامة الصلاة باللهو واللعب وان يحترز كل الاحتراز عن الاتيان بشئ من المعاصى والمنكرات (قوله تصديقا باعمالهم) فان مجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لا يؤدى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين على الاحوال المذكورة (قوله خائفون على انفسهم) فلا يتركون واجبا ولا يرتكبون محظورا وتكون جميع شؤنهم طاعة ربهم ومع ذلك لا يأمنون عذابه (قوله تعالى فمن ابتغى ورآء ذلك) وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين فاولئك هم العادون اى المتعدون عما حدلهم ودخل فى هذا حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمنا. ايضا روى ان العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الاية (قوله وقرأ ابن كثير لامانتهم) اى بالافراد لان الامانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الانسان سوآء كان من جهة البارى تعالى او من جهة الخلق فيتناول ما ائتمن الله تعالى عليه عبارة من الشرآئع وامانات الدين كما يتناول ما حملوه من امانات الناس فلا حاجة الى لفظ الجمع ومن قرأه بلفظ الجمع نظر الى اختلاف الانواع وكذا الكلام فى افراد الشهادة وجمعها واكثر المفسرين على ان القيام بالشهادة ادآؤها عند الحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد شريف او وضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام وان كان من جملة الامانات الا انه تعالى عطفها على ما قبلها عطف الخاص على العام اظهارا لفضلها اوان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها ابطالها وتضييعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المراد بالشهادة شهادة ان الله واحد لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله (قوله لا يخونون) اى لا يضيعون الامانة فان عدم رعايتها يكون بالاهلاك وبالانكار يقال اخنى عليه الدهر اى اتى عليه واهلكه (قوله وانافتها) اى اعلاء قدرها يقال اناف على كذا اذا اشرف عليه (قوله وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى) مثلا فى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون مبالغات من حيث تعريف المسند اليه بالموصول فانه يقتضى ان يكون ذات المسند اليه معلوما للمخاطب حاضرا فى ذهنه بكونه متصفا بما نسب اليه من مضمون الصلة ولا يخفى ان اشتهار المصلين بالمحافظة على صلاتهم مبالغة فى المحافظة عليها ومن تكرير المسند اليه لتقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك زيد هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل ومن تقديم قوله على صلواتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى الثلاثى تكون للمبالغة فى ملابسة اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو ابلغ من مجرد حفظ الصلاة ورعاية ما يناسبها واذا تقرر ان الموصول مع صلته افاد هذه المبالغات تقرر أن توصيف المصلين به يفيد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتأمل وقس عليه البواقى والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفى جنات متعلق به قدم عليه للحصر ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك ولما ذكر ان المستغرقين فى طاعة الحق والمشفقين على الخلق مكرمون فى جنات بثواب الله تعالى ذكر بعده قبائح الكفار فقال فما للذين كفروا قبلك مهطعين روى ان المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون كلامه ويستهزؤن به عليه الصلاة والسلام وبالقرآن ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الاية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وكلمة ما فى قوله تعالى فما للذين كفروا استفهامية بمعنى الانكار فى موضع الرفع على الابتدآء وللذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان الاستقرار الذى تعلق به للذين او ظرف لمهطعين وهو حال من المنوى فى الذين اى اى شئ ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين او اى شئ ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك وقوله عن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وان يتعلق بمهطعين اى مسرعين عن هاتين الجهتين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين او حال من المنوى فى مهطعين فتكون حالا متداخلة والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الواو او الياء الساقطة قال الاصمعى يقال فى الدار عزون من الناس اى اصناف منهم سميت كل فرقة عزة لاعتزآئها الى غير من تعزى اليه الاخرى من قولهم عزوته الى ابيه وعزيته لغة فيه اذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى اى انتمى وانتسب (قوله اوانكم مخلوقون من اجل ما تعلمون) اى ويحتمل ان يكون المعنى على تقدير كونه تعليلا للردع هكذا ان تكون كلمة من بمعنى الاجل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا (قوله اواستدلال) عطف على قوله تعليل وقوله بعد ردعهم ظرف لقوله استدلال

(والذين فى اموالهم حق معلوم) كالزكوات والصدقات الموظفة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه و يصرف ماله طمعا فى المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض يدل على انه لا ينبغى لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ فى طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى ازواجهم اوما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فاولئك هم العادون) سبق تفسيره فى سورة المؤمنين. (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم (والذين هم بشهاداتهم قائمون) لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلواتهم يحافظون) فيراعون شرآئطها و يكملون فرآئضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى (اولئك فى جنات مكرمون) بثواب الله (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها اوانكم مخلوقون من اجل ما [illegible] بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ فى منازل الكاملين اواستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه

لما كان قولهم لو صح ما يقول لنكون فيها افضل حظا مشتملا على امرين دعوى استحالة النشأة الثانية والطمع الفاسد المبنى على فرض وقوعها منعهم الله تعالى عن ذلك الطمع اولا بقوله كلا ثم استدل على امكانها بقوله خلقناهم مما يعلمون كأنه قال من قدر على خلق البشر السوى من النطفة المستقذرة ألا يكون قادرا على بعثه ثم انه تعالى هددهم بقوله فلا اقسم وكلمة لا صلة اورد لقولهم المذكور وما بعدها قسم مستأنف ويحتمل ان يكون اصله فلأقسم فاشبعت الفتحة فحصل الف وقوله على ان نبدل خيرا منهم اصله على ان نبدلهم بدلا خيرا منهم فحذف المفعول الاول وموصوف خيرا وجمع المشارق والمغارب اما لان المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او المراد بالمشرق ظهور حياة كل شئ وبالمغرب موته (قوله تعالى فذرهم) متفرع على قوله وما نحن بمسبوقين اى اذا تبين انه لا يفوتنا ما نريد منهم ولهم من خير وشر وانه ليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية اليه فدعهم فيما هم فيه من الاباطيل واشتغل انت بما امرت به فانهم ملاقون عن قريب اليوم الذى وعدوا به وهو يوم يكون الناس كالمهل وكذا وكذا وقوله تعالى يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم وان يكون منصوبا باضمار اعنى والاجداث جمع جدث وهو القبر وسراعا حال من الضمير فى يخرجون وكأنهم حال ثانية منه او من المنوى فى سراعا فتكون حالا متداخلة (قوله منصوب للعبادة اوعلم) يعنى ان نصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قرآءة غير ابن عامر وحفص من السبعة بمعنى المنصوب سوآء نصب لان يعبد من دون الله اونصب علامة لموضع الملك فى نزوله وسيره وهو المراد بالعلم والمعنى انهم يسرعون الى الموقف كاسراعهم الى صنمهم الذى يعبدونه و يسرعون اليه ايهم يستلمه اولا وقيل كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى اولهم على آخرهم او كأنهم قد نصب لهم علم فهم يسعون اليه ليبلغوه فهم يتبادرون فى السبق اليه والنصب بضمتين واحد الانصاب وقيل هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب وقيل جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف والنصب بالضم والسكون اما تخفيف نصب بضمتين مثل عسر وعسر أو جمع نصب بالفتح والسكون (قوله تعالى خاشعة) حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب وكذا قوله ترهقهم ذلة فى موضع الحال منه ايضا اى يغشاهم هوان المذنبين ويجوز ان يكون استئنافا يقال رهقه اى غشيه وهو من باب علم (قوله تعالى كانوا يوعدون) اى يوعدونه فى الدنيا وان لهم فيه العذاب فحذف العائد من الصلة الى الموصول تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله بان انذر اى بالانذار) يجعل ان مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الارسال لا يتعدى الى مفعول ثان بدون توسط حرف الجر قدر الباء الجارة فحذف الجار واوصل الفعل فجعل ان انذر انتصب على نزع الخافض او الجر على ارادته وقوله او بان قلنا له انذر اشارة الى ان النحاة اختلفوا فى ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان يكون شيأ مما فيه معنى الطلب كالامر والنهى ونحوهما اولا فجوزه سيبويه وابو على ومنعه غيرهما قال ابو على فى قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله كلمة ان فيه يجوز ان تكون مصدرية فتكون بدلا من ما او من الهاء فى به او خبر مبتدأ محذوف اى هو أن اعبدوا الله وان تكون مفسرة كذا فى شرح الرضى وفيه ايضا ان صلة ان المخففة لا تكون امرا ولا نهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا فكذا صلة ان المصدرية على الاصح فقول المصنف بان انذر اى بالانذار مبنى على مذهب سيبويه وابى على وقوله او بان قلنا له انذر مبنى على مذهب غيرهما فان غيرهما يقولون ان ان المصدرية مع صلتها تكون فى تأويل المصدر فيكون قوله تعالى ان انذر فى تأويل ارسلناه بالانذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب فيكون تصدير صيغة الامر بأن المصدرية مستلزما لابطال معنى الصيغة واخلائها عن مدلولها الوضعى فحيثما صدرت صيغة الطلب بأن المصدرية فلا بد ان يقدر بعدها القول ليبقى معنى الصيغة على حال فيكون تقدير الآية ارسلناه بأن قلنا له انذر اى ارسلناه ارسالا ملتبسا بهذا القول الموضوع لطلب الانذار (قوله وقرئ بغيرها) اى بغير ان فلا بد من اضمار القول اى قائلا أنذر وان فى قوله ان اعبدوا الله كالتى فى قوله ان أنذر قومك فى جواز كونها مصدرية ومفسرة ثم عليه الصلاة والسلام امر

(فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) مر فى آخر الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم الى نصب) منصوب للعبادة او علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) مر تفسيره (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

(سورة نوح مكية وآيها تسع وثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر) بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان

قومه بثلاثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر بالعبادة يتناول الامر بجميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول الامر بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر بعد ذكر الامر بهما تأكيدا لذلك الامر ومبالغة فى تقريره وايجابا عليهم ان يؤمنوا به ويصدقوه فى دعواه الرسالة (قوله بعض ذنوبكم وهو ما سبق) اى على الايمان اشارة الى ان فائدة ذكر من التبعيض فانه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعد قومه بمقابلة امتثالهم لما امرهم به من الاشياء الثلاثة مغفرة جميع ذنوبهم تقدمت على الايمان او تأخرت عنه لان اضافة الجمع تفيد الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتأخرة عن الايمان لا تكون مغفورة بمجرد الايمان فلذلك اورد حرف التبعيض وقيل المراد بعض الذنوب بعض ما سبق على الايمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد (قوله وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام وعدهم بمقابلة امتثالهم لما امر وابه ان يؤخرهم الله تعالى الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهما متناقضان بحسب الظاهر وتقرير الجواب ان الله تعالى جعل فى الاجل حكمين محتوما ومعلقا كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالمحتوم هو المسمى وهو الذى لا يمكن تأخيره والمعلق هو الحكم بان قوم نوح مثلا ان لم يؤمنوا اهلكهم الله تعالى قبل ذلك بما شاء من اسباب الاهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام ان استقامت امتى فلهم يوم وان لم يستقيموا فلهم نصف يوم فاليوم هو الذى لا يمكن التجاوز عنه بوجه والنصف وهو الموقوف على عدم الاستقامة وأى الاجلين قضى به وحكم فلا يمكن تأخيره وذلك هو الذى عبر عنه بالمجيء فى قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر اى لا يؤخر اذا حكم به وتعلقت به الارادة فبادروا المجيئه بالايمان واشار المصنف اليه بقوله اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا واضيف هذا الاجل اليه تعالى لكونه تعالى هو الذى قدره وتعلقت با رادته وان صح اضافته الى العبد لكونه نهاية عمره فالاجل المعلق اذا تحقق شرط كونه اجلا وتعلقت به ارادته تعالى لا يؤخر الا انه يؤخر اذا فقد شرط كونه اجلا بخلاف الاجل المقطوع به فانه لا يؤخر بوجه (قوله وقيل اذا جاء الاجل الاطول) عطف على قوله ان الاجل الذى قدره اى وقيل المراد باجل الله هو المسمى الذى لا يمكن تأخيره بوجه من الوجوه اى الوقت الذى سماه الله تعالى اجلا اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير فان المسمى ضرورى الوقوع لا يمكن تأخيره (قوله لعلمتم ذلك الخ) اشارة الى ان جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم لا يعلمون ذلك مع انه تعالى خلقهم مشتملين على اسباب العلم وآلات تحصيله الا انهم ضيعوها بتوغلهم فى حب الدنيا وانهماكهم فى الالتذاذ بها (قوله واسناد الزيادة الى الدعاء) من قبيل اسناد الفعل الى السبب والمعنى دعوتهم دائما من غير فتور فازدادوا فرارا عند دعوتى ويجوز اسناد الزيادة الى السورة فى قوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فان ضمير زادتهم يعود الى السورة والمعنى ان الله تعالى يزيدهم ذلك عند نزول السورة (قوله والتعبير بصيغة الطلب) مع ان معنى الطلب ليس بمقصود ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطى والستر كما فسر به للمبالغة فى الاشتمال بالتغطى كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم لئلا يروا الداعى بفضاله ولما جاء به (قوله مستعار من أصر الحمار على العانة) وهى القطيع من حمر الوحش يقال صر الفرس اذنيه اذا سواهما وضمهما واذا نقل الى باب الافعال وقيل أصر الفرس يكون لازما وهو من النوادر شبه الاقبال على الكفر والمعاصى باصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها فسمى الاقبال عليه اصرارا واشتق منه اصروا ولم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوأ الاحوال وهو حال الكدم والطرد للسفاد (قوله اى دعوتهم مرة بعد اخرى) يعنى انه عليه الصلاة والسلام عطف بكلمة ثم اولا دعوته اياهم مجاهرة وهى الدعوة على رؤس الاشهاد فى المحافل ثم عطف بها دعوته اياهم على وجه الاعلان والاسرار بان يخلو بالواحد فالواحد منهم فيعلن ويسر اليه فى الدعوة وما عطف عليه هذان المعطوفان ليس الا قوله كلما دعوتهم من غير تقييد تلك الدعوة بشيء فهذا الاسلوب يدل على ان مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدأ اولا بالمناصحة فى السر فعاملوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان

(قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مر نظيره فى الشعراء وفى أن يحتمل الوجهان (يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة (ويؤخركم الى اجل مسمى) هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان اجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذا جاء) على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لا يؤخر) فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب العاجل كانهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت) الى الايمان (قومى ليلا ونهارا) اى دائما (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والطاعة (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهية دعوتى اولئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصروا) واكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد اولتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء اوصفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به اوالحال فيكون بمعنى مجاهرا

(فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعد لهم عليه ما هو أوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة (وقد خلقكم اطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعطيهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله

والاسرار فكان حاصل الكلام ماذكره المصنف بقوله اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكنني وثم اما للدلالة على تراخى بعض هذه المراتب عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان (قوله وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا) اشارة الى وجه قوله عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم وبيان فائدته بعد ما امرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما بلغ من قبله اليهم (قوله ولذلك) اى ولكون الاستغفار من الذنوب والمعاصى كما يمحو الذنوب والمعاصى يجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنى وعد عليه الصلاة والسلام لهم على ما هو اوقع فى قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال يرسل السماء عليكم مدرارا فانه مجزوم على انه جواب الامر فانهم لما قالوا ان كنا على باطل فكيف يقبلنا من عصيناه قال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصى فان شأنه تعالى الغفارية وبين لهم ان الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصى يجمع لهم مع الحظ الوافر فى الآخرة منافع الدنيا وخيراتها (قوله وقيل لما طالت الخ) عطف على قوله كأنهم لما امرهم الخ فيكون وجها آخر لارتباط هذه الآية بما قبلها (قوله فوعدهم بذلك) اى بما هو اوقع فى قلوبهم * والمدرار من اوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب ومدرارا حال من السماء (قوله والسماء يحتمل المظلة) على ما قيل من ان المطر ينزل منها الى السحاب ويطلق السماء ايضا على كل ما علاك كالسحاب وسقف البيت فعلى التقديرين يكون المعنى يرسل ماء السماء فحذف المضاف ويطلق على نفس المطر ايضا كما فى قوله

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فحينئذ لا حاجة الى تقدير المضاف (قوله لا تأملون له توقيرا) على ان الرجاء على اصله وهو الامل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم (قوله ولله بيان للموقر) اى للذى يفعل التوقير والتعظيم فكأنهم لما سمعوا قوله مالكم لا ترجون ان توقروا وتعظموا على بناء المفعول قالوا لمن التوقير والتعظيم اى من الذى يعظمنا ويوقرنا فقيل لله اى التوقير لله واصل لله ان يكون مؤخرا عن وقارا على انه صفة له فلما قدم امتنع ان يكون صفة له ولا متعلقا به لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فتعين كونه للبيان (قوله مبالغة) اى فى عدم اعتقادهم له عظمة فان من لا يكون له الرجاء التابع لادنى ظن كيف يكون له الاعتقاد الجازم والمعنى على هذا مالكم لا تعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم فى نفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة البالغة والعلم والحكمة وهو انه خلقكم اطوارا وخلق السموات طباقا وغير ذلك فعلى هذا قوله تعالى لله بيان للموقر كما انه على الاول بيان للموقر (قوله تعالى طباقا) اما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب او مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى التقادير فهو صفة سبع سموات اما على كونه جمعا فظاهر واما على تقدير كونه مصدرا فعلى طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة او على حذف المضاف اى ذات طباق ويجوز ان ينتصب على انه مصدر لفعل مقدر اى طوبقت طباقا بمعنى انها جعلت طبقة فوق اخرى قال الامام قوله تعالى خلق سبع سموات طباقا يقتضى كون بعضها مطبقا على الآخر وهذا يقتضى ان لا يكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها فاجاب بان الملائكة ارواح ثم قال وايضا فلعل المراد من كونها طباقا كونها متوازية لا مماسة وهو المروى عن المبرد ثم قال كيف قال وجعل القمر فيهن نورا والقمر ليس فيها باسرها بل فى السماء الدنيا فأجاب بان هذا كما يقال السلطان فى العراق ولا يراد ان ذاته حاصلة فى جميع احياز العراق بل يراد ان ذاته حاصلة فى حيز من جملة احياز العراق فكذا ههنا وهذا هو المراد بقول المصنف لما بينهن من الملابسة كالبلدان المتباينة حيث جاز ان يقال فى حق ما فى واحدة منها انه فيهن واشار صاحب الكشاف الى الجواب بوجه آخر حيث قال وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس وجهها مما يلى السماء وظهرها مما يلى الارض فاذا كان وجه كل واحد منهما متوجها الى جهة السموات وقفاه الى جهة الارض ظهر وجه قوله فيهن من حيث ان كل واحدة منها منورة بنور القمر ونوره ثابت فيها باسرها فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا لاهل السموات والارض وقيل انه نور لاهل الارض (قوله مثلها به) يعنى ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث ان كل واحد منهما يزيل ظلمة الليل عن وجه الارض فان الليل عبارة عن ظل الارض الحاصل فى الجو بسبب حيلولة الارض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس تزول الحيلولة وما يستند اليها

من الظل كما يزول ذلك بضوء السراج والتشبيه لايقتضى المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال ضوء السراج عرضى كضوء القمر بخلاف ضوء الشمس فانه ذاتى فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به (قوله فاستعير الانبات للانشاء) استعارة اصلية ثم اشتق من الانبات المستعار لفظ انبتكم فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لان الانبات اخراج فروع مارسخ عروقه فى الارض ولاشك ان ايجاد الانسان ليس على هذا الوجه وانشاء بنى آدم من الارض اما بواسطة انشاء ابيهم آدم عليه السلام منها او من حيث انه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذآء المتولد من النبات المتولد من الارض والنكتة فى العدول الى المجاز كون الانبات ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا انباتا كانوا محدثين لامحالة حدوث النبات (قوله واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا) يعنى ان نباتا منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة انبتكم عليه التزاما فان النبات لازم للانبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه وقد شكا نوح عليه السلام الى ربه سبب عصيان قومه اياه فقوله بعد ذلك رب انهم عصونى تمهيد لما ذكره بعد بيان سبب عصيانهم اياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالاموال والاولاد (قوله بحيث صار ذلك سببا) اشارة الى ان اسناد الزيادة الى المال والولد من قبيل اسناد الفعل الى سببه فان الاموال والاولاد وان كانت من الاسباب التى يكتسب بها سعادة الآخرة بصرفها فيما خلقت لاجله الا انها اذا جعلت ذريعة لقضاء الشهوات النفسانية واستيفاء اللذات العاجلة صارت اسبابا لزيادة خسارة الآخرة (قوله وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم الخ) وذلك يستفاد من توصيف مفعول اتبعوا بقوله لم يزده ماله وولده الاخسارا فان توصيف متعلق اتباعهم بكونهم اصحاب اموال واولاد أدت بهم الى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور للاتباع (قوله ابلغ من كبارا) يعنى ان كبارا بالضم والتشديد من اوزان المبالغة ابلغ من كبارا بالضم والتخفيف كما ان المخفف ابلغ من كبير ونظيره الطويل ثم الطوال والمكر الكبار هو احتيالهم بصد السفلة عن قبول دعوة نوح والايمان به وتحريش الناس على اذاه وعلى الثبات على دين اسلافهم الاقدمين ويجوز ان يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لاتباعهم لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا عبادتها لاسيما هذه الآلهة الخمسة التى هى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فان اضافة الآلهة اليهم من جملة الحيلة الموجبة لاستمرارهم على عبادتها كانهم قالوا هذه الاجسام آلهة لكم وكانت آلهة لابائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم وعلى آبائكم بانكم كنتم جاهلين ضالين واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالجهل والضلال سفاهة شديدة لايجترئ عليها عاقل فلما كان فى لفظ آلهتكم اشارة الى هذه المعانى كان صارفا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم هذا مكرا او حيلة خفية (قوله خصوصا) اشارة الى ان قوله تعالى ولاتذرن ودا ولاسواعا من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخاصة بناء على انها اكبر اصنامهم (قوله فلما ماتوا صوروا) قيل لما مات هؤلاء الصلحاء اختار خلص اصحابهم ان يسلكوا سبيلهم فى باب العبادة فقال لهم ابليس لو صورتموهم ونظرتم اليهم احيانا كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم قد كانوا يعبدونها فعبدوها فابتدآء عبادة الاوثان من ذلك الوقت فلما كانت ايام الطوفان والغرق دفنت تلك الاوثان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم معجمة على وزن مسجد وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن ونسر لحمير وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن قال الامام قولهم انتقلت هذه الاصنام الخمسة الى العرب فيه اشكال لان الدنيا قد تخربت فى زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولايمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام وضعها فى السفينة وامسكها لانه عليه السلام انما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها فى السفينة سعيا وغيرة فى حفظها هذا كلامه ويزول اشكاله بما ذكر فى التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من ان تكون تلك الاصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب والماء ايام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكان للعرب اصنام اخر اللات لثقيف وهو ابو قبيلة من هو اذن مضر ويقال له مضر الحمر ولاخيه ربيعة الفرس لانهما اقتسما الميراث اعطى مضر الذهب واعطى ربيعة الخيل والعزى لسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر ومنات لهذيل واساف ونائلة وهبل

(والله انبتكم من الارض نباتا) انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصونى) فيما امرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد أدت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا فى الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم) اى عبادتها (ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) ولاتذرن هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم

لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة (قوله للتناسب) لان ماقبلها اسمان منصرفان منونان وهما ودا وسواعا وكذا مابعدهما وهو نسرا فنونا ايضا للتناسب كما نون سلاسلا كذلك (قوله عطف على رب انهم عصونى) يعنى ان قوله لاتزد الظالمين الاضلالا مقول ثان لنوح عطف الله تعالى احد مقوليه على الآخر وان الواو فيه من كلامه تعالى لامن كلام نوح لاستكراهة عطف الانشاء على الاخبار فهو عليه السلام قال كل واحد من القولين من غير عطف احدهما على الآخر فاحدهما قوله رب انهم عصونى وثانيهما قوله لاتزد الظالمين الاضلالا فحكى الله تعالى احد قوليه بتصديره بلفظة قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بكلمة الواو النائبة عن لفظ قال (قوله ولعل المطلوب) جواب عما يقال لايليق بالنبى المبعوث للهداية ان يدعو على امته بالضلال فى امر دينهم وزيادتهم فيه مع انه عليه السلام قد بعث اليهم ليصرفهم عنه (قوله وما مزيدة) يعنى انها زيدت بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الاية ولزيادتها فائدة اخرى وهى تفخيم قبح خطاياهم لانها اسم مبهم وابهام الشئ يدل على انه مما لايمكن وصفه ولايقادر قدره (قوله وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم) كل واحد من لفظى الخطايا والخطيئات جمع خطيئة الا ان الاول جمع تكسير والثانى جمع سلامة وقد تقرر ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التى هى افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة لايطلق على مادون العشرة الا بالقرينة والمقام مقام تكثير خطاياهم فلعل ابا عمرو انما قرأ خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر الى ان جمع السلامة سواء كان بالواو والنون او بالالف والتاء لمطلق الجمع كما ذكر فى شرح الرضى وهو قوله والظاهر ان كل واحد من جمعى السلامة لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما فلذلك قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى مانفدت كلمات الله (قوله المراد عذاب القبر) تمسك اصحابنا فى اثبات عذاب القبر بقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاول ان الفاء فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا تدل على ان الادخال حصل عقيب الاغراق فلا يمكن حمل الادخال على عذاب الآخرة لئلا يلزم اخلاء اللفظ عن مدلوله الوضعى من غير دليل والوجه الثانى ان قوله تعالى فادخلوا اخبار عن الماضى وهو انما يصدق بوقوع المخبر به قبل نزول الاية وقال مقاتل والكلبى معنى الاية انهم سيدخلون فى الآخرة نارا وعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لانه كائن لامحالة فكانه قد كان كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة ولانه لما تحقق سبب الادخال ومن حق المسبب ان يتحقق عقيب السبب جعل كالمتحقق وعبر عنه بلفظ الماضى ولايخفى ان ماذكر انما يصحح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى ولايكون دليلا على ترك الظاهر ومن المعلوم ان العدول عن الظاهر من غير دليل لاوجه له فالوجه ان يراد به عذاب القبر ومن مات فى ماء او نار واكلته السباع والطير اصابه مايصيب المقبور من العذاب كقوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وعن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر (قوله فيعال من الدار او الدور) يعنى ان ديارا على الاول احد ينزل الدار ويسكنها وعلى الثانى احد يدور فى الارض بان يذهب ويجيء وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لو كان من الدوران لم يبق على الارض حى ولاشيطان وليس كذلك فينبغى ان يكون من الدار ويكون المعنى اهلك كل نازل دار او ساكنها من الكفار اى كل اسمى منهم (قوله لافعال والا لكان دوارا) اى لكان ينبغى ان تصحح واوه ولاتقلب ياء لان اصل دار ودور قلبت واوه الفا لما اضعفت عينه كان دوارا بواو صحيحة مشددة اذ لاوجه لقلبها ياء وكذا الحال اذا كان فعالا من الدور (قوله قال ذلك لما جربهم) جواب عما يقال كيف عرف انهم لايلدون الا فاجرا كفارا حتى دعا فى حقهم بان يهلكهم الله تعالى جميعا واخبر عنهم بانهم لايلدون الا فاجرا كفارا اى الا ماسيكون فاجرا كفارا اذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشئ بما سيؤول اليه وتقرير الجواب انه عليه السلام عرف ذلك بالتجربة والاستقراء فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم واستقرى احوالهم واخلاقهم حتى قيل كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى اوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير فى العتو والعناد وكانه عليه السلام عرف ذلك بالاستقراء عرفه بالنص ايضا الا

وقرأ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد اضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا (ولاتزد الظالمين الاضلالا) عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لافى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر (مما خطيئاتهم) من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران اعد لهم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لافعال والا لكان دوارا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم

قتادة انه عليه السلام دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فحينئذ دعا
عليهم بذلك لما أيس من ايمانهم وتيقن باطراد النجاسة فى جميعهم وانه يجب تطهير وجه الارض منهم فاجاب الله
تعالى دعاءه واهلكهم جميعا فان قيل مابال صبيانهم اغرقوا قلنا اغرقوا لاعلى وجه التعذيب كما يموتون بسائر
الاسباب فكم من صبى يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة فى تعذيب الآباء والامهات
اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام فى مثله يهلكون مهلكا واحدا او يصدرون مصادر شتى
وقيل لم يكن فيهم صبى وقت العذاب لانه تعالى اخرج كل من يؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم ثم اعقم ارحام
نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا
و يؤيده قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال (قوله لمك بن متوشلخ)
فانه عليه السلام هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ابن يرد بن مهلائيل بن يونس بن
قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل عليه السلام الى قومه وهو ابن
خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة روى عنه عليه السلام انه
قال اول نبى ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا ثم انه
عليه السلام لما دعا باهلاك من علم انه لايرجى منه الايمان على وجه العموم والاستغراق دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين
والمؤمنات الا انه خص نفسه اولا بالدعاء ثم ذكر من هو اشد اتصالا به ثم ذكر من هو دونه فى الاتصال به لكونهم
اولى واحق بدعائه لهم ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرة
اخرى فقال ولاتزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه
من المؤمنين بسبب السفينة قال مقاتل حمل نوح فى السفينة ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امرأة وفيهم اولاده
الثلاثة وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يغفر له بعدد كل
مؤمن فى الارض حى او ميت و يرد عليه مثل الذى دعا لهم من كل مؤمن فى الارض وعن انس انه عليه الصلاة
والسلام قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يقام يوم القيامة فيثنى الله تعالى عليه فى الاولين والآخرين خيرا
بدعائه لهم فيؤجره مثل اجورهم اجمعين ولاينقص من اجورهم شئ كذا فى التيسير * تمت سورة نوح عليه
افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

(سورة الجن مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله وقرئ احى) يعنى ان القراءة المشهورة اوحى على لفظ الماضى المبنى للمفعول من باب الافعال وقرئ وحى
بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى يقال وحى اليه واوحى اليه اذا كلمه كلاما بخفية والايحاء القاء
المعنى الى النفس فى خفاء كالالهام وانزال الملك وقرئ احى بضم الهمزة من غير واو واصله وحى قلبت الواو
همزة كما فى اقتت واخرت وهذا القلب جائز فى كل واو مضمومة وجوزه المازنى فى المكسورة ايضا كاشاح
واعاء اخيه (قوله تعالى انه استمع) لاخلاف فى فتح همزة انه فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث انه
قائم مقام الفاعل لاوحى وضميرانه للشأن اى اوحى الى ان الشأن استمع القرءآن نفر من الجن حذف مفعول
استمع لدلالة مابعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرءآنا (قوله والجن اجسام عاقلة خفية) كثير من الفلاسفة
ينكرون وجود الجن فى الخارج روى ان اباعلى بن سينا حد الجن بانه حيوان هوآئى يتشكل باشكال مختلفة
ثم قال وهذا شرح للاسم اى بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سوآء كان
معدوما فى الخارج اوموجودا ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمى لايكون الا كذلك بخلاف التعريف
الحقيقى فانه عبارة عن تصوير ماله حقيقة خارجة فى الذهن وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا
بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضا واختلف المثبتون على قولين الاول ان الجن اجسام
عاقلة خفية والقول الثانى انهم ليسوا اجساما واللاجسمانية لايقتضى مشاركتها لذاته تعالى فى ذاتى مشترك
ليلزم امتيازها عنه بفصل مميز و يلزم ترك الواجب ثم ان تلك الجواهر المجردة مختلفة بالماهية وان كانت
متشاركة فى بعض الاوصاف العرضية فبعضها خيرة كريمة مائلة الى الخيرات وبعضها دنيئة خسيسة مائلة الى

(رب اغفرلى ولوالدى) لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت
انوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى)
منزلى او مسجدى اوسفينتى (مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولاتزد الظالمين
الا تبارا) هلاكا * عن النبى عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين
الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

(سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اوحى الى) وقرئ أحى واصله وحى من وحى
اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل
وفاعله (انه استمع نفر من الجن) والنفر ما بين الثلاثة
الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب
عليهم النارية والهوآئية وقيل نوع من الارواح
المجردة

وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فاخبرالله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرءآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرءآن (ولن نشرك بربنا احدا) على مانطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبدالله فانه من جملة الموحى به

الشرور والآفات والخبرة قد تكون منزهة عالية عن تدبر الأجسام بالكلية وهى الملائكة المقربون وقد تكون متعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون حول العرش ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم صلحاء الجن فانها حسنة مشرقة خيرة والكدرة الشريرة السيئة هى المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الانواع المختلفة بالمساعيد يقدر على افعال شاقة عظيمة تعجز عنها قوة البشر وقيل الجن نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب ما فى ذلك العالم الروحانى من انكشاف الاسرار الروحانية وان تخلت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت فى قضاء الشهوات النفسانية وسلكت سبيل الغواية فى كل باب من بابى الاعمال والعقائد تكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذى فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن فى افعالها وتدبيرها فى ذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة فى النفوس الخيرة سمى ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت فى النفوس الشريرة سمى ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة (قوله وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم) كما ذهب اليه ابن عباس حيث قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرءآن استمعوا له ثم رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرءآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن اى استمع القرءآن نفر منهم ووجه دلالة الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم يرهم انه عليه السلام لو رآهم لما استندت معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحى وذهب ابن مسعود رضى الله عنه الى انه عليه الصلاة والسلام امر بالمسير الى الجن ليقرأ القرءآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام حيث قال عليه السلام امرت ان اتلو القرءآن على الجن فمن يذهب معى فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابى دب خط على خطا فقال لا تجاوزه فانك ان فعلت لم ترنى ولم اركِ ابدا ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كأنهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصرى فقمت فاومى الى بيده ان اجلس ثم تلا القرءآن فلم يزل صوته يرتفع واصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم قال الامام واعلم انه لا سبيل الى تكذيب الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضى الله عنهم من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امره بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود وثانيها بتقدير ان تكون واقعة الجن مرة واحدة ويجوز ان يؤمر عليه السلام بالذهاب اليهم ويقرأ القرءآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام الا انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم وما عرف انهم ماذا قالوا واى شئ فعلوا فالله سبحانه وتعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا وثالثها ان تكون الواقعة مرة واحدة وهو عليه الصلاة والسلام رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرءآنا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى رسوله ما قالوه لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهى التى ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهى التى ذكرها ابن عباس ثم قيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين وهى قرية باليمن غير التى بالعراق والذين اتوه بنخلة جن غيرهم (قوله بديعا مباينا) اشارة الى ان العجب وان كان مصدرا فى الاصل الا انه ههنا بمعنى العجيب للمبالغة وهو الذى يتعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث انه يدعو الى الرشد وهو التوحيد والطاعة وانه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره (قوله وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر) لكونه معطوفا على قوله انا سمعنا وهى مكسورة اتفاقا لكونها محكية بعد القول وقد اتفق القرآء على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول او بعد فاء الجزاء وقد اتفقوا على فتح الهمزة فى قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع وعلى كسرها فى قوله تعالى انا سمعنا والبواقى محمول عليهما فما كان من الموحى مفتوح

وماكان من قول الجن مكسورا فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول الجن فكسروا الهمزة فيها الا اربعة مواضع وهى قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع وان لواستقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبدالله فانهم فتحوا الهمزة فيها بناء على انها من جملة الموحى به وان فى قوله وان لواستقاموا مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول اوحى كأنه قيل اوحى اليه انه استمع وان لواستقاموا والضمير للشأن فيها وكذا قوله وان المساجد لله معطوفة عليه ففتحت الهمزة لذلك وقيل لان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار فى مثله شائع كثير (قوله ووافقهم نافع) اى فى القرآءة بالكسر فى غير المواضع المستثناة من تلك المواضع وكذا فى قوله وانه لما قام اما على الاستئناف او على كونها من قول الجن (قوله وفتح الباقون الكل) لفظ الكل على ظاهره لانه لاخلاف فى كسر ماكان محكيا بعد القول فينبغى ان يكون مراده بالكل كل ماكان مقترنا بالواو العاطفة وقرينة التخصيص قوله على ان ماكان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار فى المعطوف ولا على لفظ المجرور لان البصريين لايجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار فى المعطوف وان اجازه الكوفيون ولما كان محل الجار والمجرور النصب على انه مفعول به غير صريح لآمنا كان ما عطف عليه ايضا كذلك فكان فى موضع المفرد ففتح فكأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا (قوله مستعار من الجد الذى هو البخت الخ) يعنى ان الجد فى اللغة يكون بمعنى العظمة ومنه حديث عمر رضى الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وفى رواية جد فى اعيننا اى جل قدره وعظم ويكون بمعنى الدولة والغنى والبخت ايضا ومنه حديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اى لاينفع ذا الغنى غناه وانما تنفعه الطاعة منك وكذلك الحديث الآخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقرآء واذا اصحاب الجد محبوسون يعنى اصحاب الغنى فى الدنيا فالجد فى الآية يجوز ان يراد به العظمة وهو ظاهر وان يراد به ملك الله تعالى وسلطانه او استغناؤه المطلق الذاتى تشبيها الكل واحد منهما ببخت الملوك والاغنياء وغناهم لان الملوك والاغنياء هم المجدودون فسمى المشبه باسم الجد والبخت على سبيل الاستعارة (قوله والمعنى) اى المراد الاخبار بتعالى جده سوآء كان الجد بمعنى العظمة او السلطان او استغنائه تعالى عن الصاحبة والولد اكتفى بذكر الملزوم عن ذكر اللازم ثم بين كون المراد ذلك بقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فهو استئناف لبيان ان المعنى ذلك كأنه قيل وما امارة فردانيته بتعالى الجد فقيل ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقرئ تعالى جدا ربنا بنصب جدا على التمييز من النسبة ورفع ربنا على الفاعلية والمعنى تعالى ربنا جدا ثم قدم المميز كما فى قولك حسن وجها زيد وقرئ جد ربنا ايضا بكسر الجيم وهو ضد الهزل وضد التوانى فى الامور ايضا فالمعنى تعالى صدق ربوبيته وحق الوهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد والالهية لايشوبها شئ من سمات الاحتياج والحدوث فان الصاحبة والولد انما يتخذان للحاجة اليهما فى الاستئناس والذكر وبقاء النسل بعد فوت الوالد وكل ذلك من توابع الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا تبرأ اولا من الشرك وثانيا من دين النصارى واليهود (قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا) ضمير انه للشان واسم كان مضمر فيها وهو ضمير الشان ايضا والجملة التى بعد كان مفسرة لاسم كان لانه مضمر لم يتقدمه ظاهر يعود هو اليه فلابد من جملة تفسره فهى فى موضع خبر كان (قوله قولا ذا شطط) يعنى ان الشطط فى نظم الآية صفة مصدر محذوف ولما كان الشطط عبارة عن مجاوزة الحد والقدر فى اى شئ كان احتيج الى تقدير المضاف لان القول لايوصف بانه فى نفسه بعد عن الحق ومجاوزة الحد الا على طريق المبالغة كما فى رجل عدل وانما يقال قول شاط او ذو شطط فقدر المضاف لذلك ثم اشار الى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة لفرط ما اشط اى ابعد ذلك السفيه فى ذلك القول الدال على نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى (قوله اعتذار) كأنهم قالوا ظننا ان الشان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقنا سفهاءنا فى ان لله شريكا وصاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا انه الحق علمنا انهم قد كذبوا عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا فى تلك الجهالة بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا من تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر فى آيات الله تعالى (قوله جعله مصدرا) اى مصدرا مؤكدا لفعله لان كذبا بمعنى تقولا كأنه قيل لن تقول تقولا ولا يجوز ان يكون صفة لتقولا المحذوف المؤكد لفعله لان التقول لايكون الا كذبا فلا فائدة فى توصيفه بالكذب وان فيه مخففة من الثقيلة اى ظننا انه والضمير للشأن وكذا ضمير انه فى قوله وانه كان رجال اى وان الشأن كان رجال من الانس ورجال

ووافقهم نافع وابو بكر الا فى قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان فى عينى اى عظم ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (وانه كان يقول سفيهنا) ابليس او مردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم للسفيه فى ذلك بظنهم ان احدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لايكون الا كذبا (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه

اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجن ويعوذون خبر كان ورهقا مفعول ثان لزادوا واختلفوا في فاعله فقيل الانس اى فزاد الانس الجن باستعاذتهم بهم كفرا وعتوا حتى قالوا سدنا الجن والانس وقطعوا بذلك من كفرهم وقيل بل فاعله هو الجن اى فزاد الجن الانس بذلك طغيانا فى الكفر فان الانس اذا عاذوا بهم وأمنوا فى منازلهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والمصنف اشار الى جواز الوجهين وتقديم الوجه الاول قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم قوم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم روى عن رجل انه قال خرجت مع ابى الى المدينة اول ما ذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآوانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى يا عامر الوادى جارك فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اى زاد الانس الجن خطيئة والرهق الاثم فى كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا اسبابها او زاد الانس الجن كفرا وغيا فان الانس باستعاذتهم بالجن كانوا اسبابا لزيادة غيهم (قوله والرهق فى الاصل غشيان الشئ) اى اتيانه على وجه استيلاء والاحاطة بالمأتى قال تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة استعمل فيما يأتى من نحو الاثم والشر والكبر والغى نقل عن الامام الواحدى انه قال الرهق غشيان الشئ ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ورجل مرهق اى يغشاه السائلون والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجن خوفا من ان يغشاهم الجن ثم انهم زادوا فى ذلك الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله تعالى استذلوهم واجترأوا عليهم فزادوهم ظلما وعلى هذا القول زادوا من فعل الانس والقول الاول هو اللائق بسياق الاية والموافق لنظمها (قوله والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله) الاية الاولى هى قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم فمعناها على ان تكون من كلام الجن ما قال مقاتل ان مؤمنى الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنوا الجن لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا ظنا مثل ظنكم يا معشر الجن ان الشأن لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى او لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء ثم انهم لما بعث الله اليهم سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز آمنوا به وصدقوه فى جميع ما اخبر به فافعلوا انتم يا معشر الجن مثل ما فعله الانس ومعناها على ان تكون من جملة الوحى اى وان الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم او لن يبعث الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تأكيد الحجة على قريش بانه اذا آمن هؤلاء الجن بمحمد النبى الامى وبما اخبر به فانتم احق بذلك وكونهما من كلام الجن اظهر واولى لان ما قبلهما وما بعدهما من كلام الجن وادخال كلام اجنبى بين كلامهم غير مناسب واشار بقوله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به الى ان جريان الاحتمالين انما هو على تقدير القرآءة بكسر ان فيهما واما على تقدير القرآءة بالفتح فالاحتمال الثانى هو المتعين (قوله ساد مسد مفعولى ظنوا) اعمل الفعل الاول وهو ظنوا مع ان ظننتم ايضا يقتضى مفعولين والمختار فى مثله عند البصريين اعمال الثانى ولعل الوجه فى اختياره اعمال الاول ان ما فى قوله كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل فلا ينازعه المصدر فيه فتعين اعمال الفعل الاول (قوله طلبنا بلوغ السماء) بان يكون اللمس مستعارا للطلب بتقدير المضاف اى بلوغ السماء وخبرها شبه الطلب باللمس من حيث ان كل واحد منهما يؤدى الى غاية مطلوبة فان اللمس يؤدى الى ادراك ما يدرك باللمس كما ان الطلب يؤدى الى ادراك المطلوب فسمى الطلب باسم اللمس ثم اشتق منه لمسنا بمعنى طلبنا فهو استعارة تبعية (قوله اسم جمع) يعنى ان الحرس بفتحتين اسم مفرد فى معنى الجمع وهو الحراس فانه جمع حارس وهو الحافظ كما ان الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديد وقوله فوجدناها بمعنى اصبناها وصادفناها فيتعدى الى مفعول واحد وهو ها وجملة ملئت حال ولا بد فى مثلها من كلمة قد ظاهرة او مقدرة وان لم تكن ظاهرة ههنا فهى مقدرة ويحتمل ان تكون من افعال القلوب المتعدية الى اثنين فيكون جملة ملئت فى موضع المفعول الثانى اى فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز نحو امتلأ الاناء ماء وشهبا عطف على حرسا وهو فى الاعراب حكمه وهى جمع شهاب وهو الشئ المضئ الذى يتولد من نار الكواكب التى هى زينة للسماء يرى كأن كوكبا انقض وترجم به الشياطين لا بانفس الكواكب ومردة الجن كانوا يقعدون فى مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء

(فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوا او وزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (ان لن يبعث الله احدا) ساد مسد مفعولى ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار

والثانيها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة فلذلك قالوا فمن يستمع الآن يجد لها شهابا رصدا اى كنا قبل هذا الوقت نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب (قوله مقاعد خالية عن الحرس) على ان يكون للسمع صلة لنقعد وقوله اوصالحة للترصد على ان يكون صفة لمقاعد (قوله اى شهابا راصدا له) على ان يكون الشهاب بمعنى المضيئ المتولد من نار الكواكب ويكون رصدا مصدرا بمعنى فاعل ومنصوبا على انه صفة شهابا اى شهابا راصدا له ولاجله فان الشهاب لما كان معدا له صار كأنه راصد له مراقب اياه ليهلكه (قوله اوذوى شهاب راصدين) على ان يكون رصدا اسم جمع لراصد كالحرس ويكون شهابا بمعنى ملائكة ذوى شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوى شهاب راصدين اياه ليرجموه باسماعهم من الشهب فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا اجيب عنه بان ذكر تينك الفائدتين لا يقتضى اقترانهما بحسب الزمان ويجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان يرجم بها فان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ما روى عن جماعة من المفسرين ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى وبين خاتم النبيين عليهما الصلاة السلام خمسمائة عام فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قال ابى بن كعب كان ذلك موجودا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام وبعده الى ان رفع الى السماء ولم يرم بنجم بعد ما رفع حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث رمى بها فرأت قريش امرا ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اولى رأيهم فقال لم فعلتم ما ارى قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن نجوما معروفة فهو وقت فناء العالم وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هى نجوم لا تعرف فاخبروه فقال فى الامر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبى فما مكثوا الا يسيرا حتى ظهر وانتشر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعثة الا انها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة ومنعت الجن عن استراق خبر السماء رأسا لئلا تلتبس على الناس احوال الرسول المستندة الى الوحى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده نظم القرآن وهو قوله فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث الآن هو الملئ والكثرة وقوله تعالى نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم ولكنه عليه الصلاة السلام انطلق فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسل علينا الشهب قالوا ماذاك الا من شئ حدث فاضربوا فى مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخل يصلى باصحابه صلاة الصبح فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية فأوحى الله تعالى الى نبيه عليه الصلاة والسلام قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن رواه الشيخان فى صحيحيهما (قوله تعالى أشر) يجوز ان يكون مبتدأ واريد بمن فى الارض خبره وان يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه ما بعده اى اريد بشر وهذا احسن لتقدم طلب الفعل وهو اداة الاستفهام (قوله المؤمنون الابرار) فسر الصالحين بهم اى بالابرار الكاملين فى الصلاح لانه جعل دون ذلك مرفوع المحل على انه صفة مبتدأ محذوف اى ومنا قوم دون ذلك فى الصلاح وهم المقتصدون وما يكون ارفع من المقتصدين الابرار ويجوز ان لا يكون ظرفا بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن اى ومنا غير الصالحين وهذا قول الجن اى قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بسيد المرسلين انا كنا قبل استماع القرآن دون الصالحين اى مؤمنين دون الطبقة الاولى فى اعمال الخير اذ المؤمنون بالانبياء المتقدمين متقدمون فى اعمال الخير وما احدثنا بايماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام ما لم يكن فى جنسنا ويدل عليه انه كان فى زمن موسى وعيسى

(وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب اوصالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد اوصفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم اوذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات (وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون

عليهما الصلاة والسلام منهم المؤمنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فهذا ترغيب منهم فى الايمان لمن رجعوا اليهم منذرين (قوله ذوى طرآئق) لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون انفس الذوات طرآئق ومذاهب اوله بثلاثة اوجه الاول تقدير ما اضيف الى طرآئق والثانى حمل الكلام على التشبيه البليغ والثالث تقدير ما اضيف الى اسم كان وتقدير موصوف قددا اى كانت طرآئقنا طرآئق قددا وقيل تقدير الكلام كنا فى طرآئق مختلفة كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * فحذف الجار واوصل الفعل قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة (قوله علمنا) يعنى ان الظن هنا بمعنى اليقين لان الاعتقاد بان العبد لا يفوت الله تعالى ولن يسبقه سوآء كان مستقرا فى الارض او هاربا منها الى السماء من العقائد الدينية التى يجب الايمان بها والايمان لا يحصل بالظن فلذلك فسره باليقين وقوله فى الارض وهربا حالان من فاعل نعجز اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها او هاربين منها الى السماء ولن نعجزه عن امضاء ما اراد بنا سوآء كنا ماكثين مستقرين فى الارض او هاربين فيها من موضع الى آخر ومحصول المعنى على الوجه الثانى ان القرار وعدمه سيان فى ان شيأ منهما لا يفيد فواتنا عن نفاذ ارادته فينا وفائدة ذكر الارض حينئذ الاشارة الى ان الارض مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا ويحتمل ان تكون اللام على الوجه الثانى للعهد اى لن نعجزه سوآء ثبتنا فى ارضنا التى نسكن فيها ام هربنا منها الى موضع آخر واللام على الاول لاستغراق اجزآء الارض والهروب اليه العالم العلوى المباين للارض (قوله فهو لا يخاف) قدر المبتدأ وجعل قوله لا يخاف خبرا عنه وجعل الجملة الاسمية المصدرة بالفاء جزآء الشرط والجزآء اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حرف الشرط لما لم يؤثر فى الجزآء من حيث الاعراب لكون الجملة لا يظهر فيها الاعراب وجب دخول الفاء تدل على انها جزآء الشرط (قوله وقرئ فلا يخف على ان لا ناهية وصحبت الفاء الدالة على الجزائية لما تقدر ان الجزآء اذا كان جملة طلبية كالامر والنهى يجب مقارنتها لعلامة الجزآء ولا يجوز كونها نافية والا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزآء ودلالته على الجزآئية (قوله والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به) جواب عن قول صاحب الكشاف فان قلت اى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراله ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف كما فى قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم وتقرير الجواب نعم انه كذلك الا انه التزم ذلك لانه يفيد تقوى الحكم وتقريره فى ذهن السامع بسبب تكرار الاسناد الحاصل بسبب تقديم المسند اليه وتخصيص الخبر الفعلى بالمسند اليه المتقدم بحيث لا يشاركه فيه غيره وليس المراد بقوله واختصاصها به ان تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوى والتخصيص لان اجتماعهما فى مثل هو عرف وانت أنت عرفت خلاف ماذهب اليه الشيخ عبد القاهر والسكاكى وانما يفيد التخصيص اذا اعتبر ان المقدم كان مؤخرا على انه فاعل معنى ثم قدم ليفيد التخصيص وانما لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضا فلا يفيد الا التقوى (قوله او جزآء بخس) بتقدير المضاف اى لا يخاف جزآء بخس ولا جزآء رهق على ان البخس والرهق من افعال المكلف لا من افعال البارى تعالى كما فى الاول (قوله وانا منا المسلمون الآية) من كلام الجن لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام بيانا لاحوال الفريقين اى منا بعد استماع القرآن من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل عن الجور يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل روى ان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلنى جائرا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وههنا تم اقوال الجن وقوله تعالى وان لواستقاموا على الطريقة من جملة الموحى به اى اوحى الى ان الشأن استمع نفر من الجن وان الشأن لو استقاموا على طريقة الاسلام لوسعنا عليهم فى الدنيا وبسطنا لهم فى الرزق وكلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون والغدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا غزر وصف به الماء للمبالغة فى غزارته كرجل عدل (قوله تعالى يسلكه عذابا) اصله يسلكه فى عذاب لقوله تعالى ما سلككم فى سقر وقولهم سلكت الخيط فى الابرة فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه والصعد مصدر صعد يصعد صعدا وصعودا وصف به العذاب لانه يصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه

(كنا طرآئق)ذوى طرآئق اى مذاهب او مثل طرآئق فى اختلاف الاحوال او كانت طرآئقنا طرآئق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع (وانا ظننا)علمنا (ان لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء اولن نعجزه فى الارض ان ارادبنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى)اى القرءان (آمنا به فمن يؤمن بربه ولا يخاف) فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (بخسا ولا رهقا) نقصا فى الجزآء ولا ان ترهقه ذلة او جزآء بخس ولا رهق لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرءآن ان تجتنب ذلك (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وان لواستقاموا) اى ان الشأن لو استقام الجن او الانس او كلاهما (على الطريقة) المثلى (لأسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه)لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرءآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانه (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته او موعظته او وحيه (يسلكه)يدخله (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به

فقوله عذابا صعدا بمعنى ذا صعد ومتقدا وعذابا صاعدا شاقا قدمر ان القرآء السبعة اتفقوا على فتح ان فى قوله تعالى وان المساجد لله على انه من جملة الموحى به والفاء فى قوله فلا تدعوا سببية اى اذا كان الامر كذلك فلا تعبدوا فيها غيره وذهب الخليل الى ان تقدير الآية ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لانها لله خاصة ولعبادته فالمصنف اشار الى ضعفه بانه حينئذ يلزم الغاء فائدة الفاء السببية لان معنى السببية يستفاد حينئذ من لام التعليل عن قتادة قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا فامر الله تعالى ان يخلص المسلمون له الدعوة اذا دخلوا مساجدهم (**قوله** لانه قبلة المساجد) تعليل لاطلاق لفظ المساجد وهو جمع على المسجد الحرام والمساجد فى قوله قبلة المساجد جمع مسجد بفتح الجيم وهو مصدر ميمى بمعنى السجود او اسم مكان بمعنى موضع السجود يعنى ان المسجد الحرام وان كان مكانا معينا الا ان له تعددا اعتباريا من حيث ان كل جزء منه قبلة لسجدة الساجدين يتوجه كل ساجد فى سجدته الى جزء من اجزآئه فكأن المسجد الحرام مساجد باعتبار كون اجزآئه جهات للسجود (**قوله** ومواضع السجود) على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى مرفوع بالعطف على قوله المسجد الحرام وكذا قوله وآرابه السبعة وقوله والسجدات ووجد فى بعض النسخ بدل هذا النظم بعد قوله لانه قبلة المساجد هكذا وفسرت بمواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى وبآرابه السبعة وبالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اى بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الاربعة المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الى آخره فان المسجد بالفتح يصح ان يكون مصدرا بمعنى السجود واسما للمكان السجود اى ما يسجد عليه من الآراب السبعة فانها مواضع السجود من الجسد قال عطاء مساجد اعضاؤك التى امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة والسلام امرت ان اسجد على سبعة آراب وهى الوجه واليدان والركبتان والقدمان والاراب الاعضاء جمع ارب وهو العضو واصله ءاراب بهمزتين كجمل واجمال والمساجد على تقدير كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع ان الاصل فى المصدر ان لا يثنى ولا يجمع لقصد الانواع فان انواع السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوات الخمس وتلاوة آيات السجود (**قوله** وانما ذكر لفظ العبد) يعنى ان الظاهر ان يقال وان الشأن لما قمت ادعوه اى اعبده كادوا يكونون على لبدا لان هذا الكلام من جملة الوحى به الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لفائدتين التواضع والاشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبدا له (**قوله** او كاد الجن والانس) عطف على قوله كاد الجن الاول على ان يقرأ وانه بفتح الهمزة ويكون الكلام من جملة الموحى به والثانى على ان يقرأ بكسر الهمزة وهى قرآءة نافع وابى بكر على انه ابتدآء كلام من الله تعالى او على انه من قول الجن لقومهم بان قالوا حين رجعوا اليهم لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى كاد كفار الانس والجن يتلبدون و يتظاهرون عليه ليبطلوا الحق الذى جاء به و يطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من عاداه يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم فى اجتماعهم على الناصح الامين وطلب منعه عن اظهار ما جاء به من الحق المبين مع كونه موافقا لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد والمعجزات الباهرة واصل المقصود ترغيب قومهم فى قوله والانقياد له (**قوله** وهو جمع لبدة) يعنى ان الجمهور قرأوا لبدا بكسر اللام وفتح الباء المخففة وهو جمع لبدة كقربة وقرب واللبدة الشئ المتلبد اى المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض والمعنى كادوا يكونون عليه جماعة متراكبة من دحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء مشددة وهو جمع لابد كسجدا فى جمع ساجد وقرئ لبدا بضم اللام والباء خفيفة وهو جمع لبود كصبر فى جمع صبور (**قوله** يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى) لف ونشر مرتب فاذا كان معنى الاية المتقدمة واوحى الى لما قمت اعبد الله كاد الجن تتلبد على وتتعجب مما رأوا من عبادتى لله تعالى وحده متبرئا من الشرك والاوثان كما عودتهم لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره فلا جرم ازدحموا عليه متعجبين يكون معنى قوله قال انما ادعو ربى انه عليه السلام قال للجن عند ازدحامهم عليه متعجبين مما رأوا وسمعوا ليس ما ترون من عبادتى لله تعالى ورفضى الاشراك به يتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا وان كانت الاية المتقدمة ابتدآء كلام من الله تعالى او من قول الجن وكان معناها كاد الانس والجن يزدحمون عليه و يتظاهرون لابطال امره يكون معنى الثانية انه عليه السلام قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربى اى ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربى وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتى وعداوتى

(وان المساجد لله (مختصة به (فلا تدعوا مع الله احدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد (وانه لما قام عبد الله)اى النبى وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قرآءته او كاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود (قال انما ادعو ربى ولا اشرك به احدا) فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى

وقيل سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقدعاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعو ربي على قرآءة حمزة وعاصم ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك اجابهم بقوله ادعو ربي فحكى الله تعالى عنه بقوله قال (قوله ولانفعا) اى يجوز ان يفسر الرشد بالنفع على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ويجوز ان يكون الرشد بمعناه ويكون الضر بمعنى الكفر والغي على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان الرشد سبب النفع والضر مسبب عن الغي وعبر به حتى يكون في تقرير الكلام اشعار بالمعنيين الاول لااملك لكم ضرا ولانفعا والثاني لااملك لكم غيا ولارشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام فان النافع والضار والمرشد والمغوى هو الله تعالى وان احدا من الخلق لاقدرة له عليه فاني وان اردت منكم الاهتداء والرشد بالايمان والطاعة ونهيتكم عن الغي بالكفر والعصيان فانكم قابلتموني بالمخالفة والتظاهر على عداوتي وبغضي فليس في يدي ادخالكم في الرشد ولاابقاؤكم في الكفر والغي وليس في يدي ايضا اضراركم بالعقوبة على الكفر والغي ولانفعكم بالاثابة على الرشد والايمان (قوله منحرفا وملتجا) يقال ألحد في دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل ويقال للملجأ ملتحد لان اللاجئ يميل اليه اى لن ينقذني مما قدر الله تعالى على من السوء احد ان استحفظته ولن اجد من دونه ملتحدا لاعدل اليه الاهو (قوله فان التبليغ ارشاد وانفاع) يعني انه استثناء متصل من قوله لا املك لكم ضرا ولارشدا بناء على ان تبليغ الرسالة من جنس الرشد وفائدة الاعتراض تأكيد نفي الاستطاعة المدلول عليه بقوله لااملك (قوله اومن ملتحدا) اى لن اجد موضعا اميل اليه في الالتجاء الابلاغا اى لاينجيني ولايجيرني الا ان ابلغ عن الله ماارسلت به (قوله اومعناه ان لاابلغ بلاغا) على ان لايكون الكلام استثناء بل شرطا والاصل ان لا فادغم فان شرطية فعلها محذوف وهو ابلغ حذف لدلالة مصدره عليه ولانافية والمعنى ان لاابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وهذا الوجه ضعيف لان حذف فعل الشرط وابقاء اداته قليل جدا وقد انضم اليه في الآية حذف الجزآئية لان نفس الجزآء لايتقدم على الاداة عند البصريين (قوله عطف على بلاغا) كأنه قيل لااملك الاالتبليغ والرسالة ومن الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا من الله تعالى وليست كلمة من متعلقة بقوله بلاغا لان صلة التبليغ في المشهور انما هي كلمة عن دون من (قوله في الامر بالتوحيد) اشارة الى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على ان عصاة المؤمنين مخلدون في النار ووجه الاستدلال ان العصيان المذكور فيها عام يتناول كل مايصدق عليه انه عصيان ومخالفة للامر سوآء كان عصيان الكفر اوعصيان الفسق وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام بانه مخلد في النار ابدا فثبت مدعى جمهور المعتزلة وتقرير الجواب عن استدلالهم ان العصيان وان كان يتناول كل مايصدق عليه انه عصيان الاانه قد تقرر ان العام يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرآئن المتعاقبة والعصيان المذكور في الاية من هذا القبيل فان المقصود من امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لمشركي قريش ايها المصرون على الشرك قد اوحي الي ان الشأن استمع هذا القرآن نفر من الجن فامنوا به وبوحدانيته تعالى وتنزهه عن الشريك والصاحبة والولد ثم دعوا قومهم الى ان يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك كانه قيل مالكم تصرون على الشرك والعناد مع طول مادعوتكم الى التوحيد وتلوت عليكم من القرآن مايدل على بطلان الشرك والجن قد آمنوا بالقرآن وتبرأوا من الشرك اول استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين عن الشرك وسوء عاقبته فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به والنهي عن الشرك والاصرار عليه فهذا قرينة واضحة على ان المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الامر بالتوحيد فكانه قيل ومن يعص الله ورسوله فيما امر به من التوحيد واصر على الشرك والضلال فانه مخلد في النار ابدا فليس في الآية دليل على ماادعاه جمهور المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين (قوله والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني) اى المشار اليه بقوله اوكاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره والمعنى كاد المشركون من الجن والانس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا مايوعدون في الدنيا من وقعة بدر واظهار دين الله تعالى عليهم اومن يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وان فسر قوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الاول وقيل اى يزدحمون عليه تعجبا مما رأوا وسمعوا تعين ان يكون مابعد حتى غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم

وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه السلام ليوافق مابعده (قل اني لااملك لكم ضرا ولارشدا) ولانفعا اوغيا ولارشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه اومسببه اشعارا بالمعنيين (قل اني لن يجيرني من الله احد) ان ارادني بسوء (ولن اجد من دونه ملتحدا) منحرفا وملتجأ (الابلاغا من الله) استثناء من قوله لااملك فان التبليغ ارشاد وانفاع ومابينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة اومن ملتحدا اومعناه ان لاابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية (ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد اذالكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فأن على فجزاؤه أن (خالدين فيها ابدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا مايوعدون) في الدنيا كوقعة بدر اوفي الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني اولمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا) هو أم هم

بعددهم والمعنى لايزالون على هذه الحال حتى اذا رأوا مايوعدون يتبين حينئذ ان المستضعف من هو ومن
فى قوله تعالى من اضعف يجوز ان تكون موصولة فى موضع النصب بقوله فستعلمون و يكون اضعف خبر مبتدأ
محذوف اى فستعلمون الذى هو اضعف وان تكون استفهامية مرفوعة المحل على الابتدآء واضعف خبرها
والجملة فى موضع النصب سادة مسد مفعولى العلم لانها معلقة للعلم قبلها وناصرا وعددا منصوبان على التميز
قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن
الحارث متى يكون هذا الذى توعدنا به فانزل الله تعالى قل ان ادرى أقريب ماتوعدون الآية والمعنى ان
وقوعه متعين متيقن به واما وقت وقوعه فغير معلوم لنا (قوله تعالى أقريب) خبر مقدم وماتوعدون مبتدأ
ويجوز ان يكون أقريب مبتدأ وان لم يكن مسندا اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وماتوعدون فاعل له سد
مسد الخبر وما موصولة والعائد محذوف اى أقريب الذى توعدونه نحو أقائم الزيدان فان قيل أليس قال عليه
السلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادرى أقريب هو ام بعيد
والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان مابقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى
كونه بحيث يتوقع وقوعه فى اى ساعة فغير معلوم (قوله على الغيب المخصوص به علمه) اخذه من اضافة
الغيب الى ذاته المقدس فان الاضافة تفيد اختصاص المضاف اليه بين اولا انه تعالى عالم بجميع ماغاب عن حس
الخلق بناء على ان اللام فى الغيب للاستغراق ثم بين انه لا يطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى
يكون رسولا للاشارة الى ان مالا يختص به علمه تعالى يطلع عليه غير الرسول اما بواسطة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله تعالى بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات
فى المستقبل بواسطة الملك والحمل على هذا المعنى متعين للقطع بان ليس مراد الله تعالى بهذه الآية انه تعالى
لا يطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان
كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه الصلاة والسلام و بزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبر
بظهور نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ظهور زمانه و بنحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين وارباب الملل والاديان
مطبقون على علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل و يكون صادقا به (قوله ويستدل
به على ابطال الكرامات) وجه الاستدلال انه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالاطلاع على الغيب واصحاب
الكرامات من الاولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم بالاطلاع على ماسيقع فى المستقبل
من المغيبات وتقرير الجواب ان المراد بالرسول الملك وبالاظهار مايكون بغير واسطة فاللازم من الاستثناء ان
يختص الاظهار بغير واسطة بالملك وذلك لا ينافى اطلاع الاولياء على بعض من الغيوب تلقيا من الملائكة
الهاماتهم الصادقة وفيه بحث لان تخصيص الرسول بالملك يستلزم ان يكون اطلاع كل واحد من الاولياء والرسل
على الغيب بواسطة الملك فلا يكون اخبار الانبياء عن المغيبات معجزة لهم وقد اشتهر بين العلماء انه تعالى يطلع رسله
على مايشاء من الغيب ليستدل على نبوتهم بالآية المعجزة وهى الاخبار عن الغيب على ماهو به والاظهر فى الجواب
ان يقال الرسول من البشر يتلقى من الملك بالذات والولى لا يتلقى بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبى فلا حاجة الى
تخصيص الرسول بالملك لان معنى الآية لا يطلع على الغيب المخصوص به علمه الا الرسول من البشر فانه تعالى يطلعه
عليه بواسطة ان يتلقاه من الملك وبالذات ولا يطلع الولى عليه بان يتلقاه من الملك بالذات وذلك لا ينافى ان يتلقاه
من الملك بواسطة تصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم مع انه يجوز ان يتلقى النبى الغيب من غير واسطة الملك كما صرح
به المصنف فى قوله تعالى آخر حمعسق وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا حيث قال ان المراد بالوحى ما يعم
المشافه به كما روى فى حديث المعراج والاسرآء فانه يدل على انه تعالى قد اظهر النبى على بعض المغيبات بلا
واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك وقوله على الغيب المخصوص به علمه قسيم مانصب عليه دليل
كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد بقوله يؤمنون بالغيب ثم انه تعالى ذكر انه يحفظ ذلك الذى
يطلع عليه الرسول وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فقال فانه يسلك اى يدخل من بين يديه اى يدى الرسول
ومن خلفه رصدا اى حرسا من الملائكة يحفظون الوحى من ان يسترقه الشيطان فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به
قبل اخبار الرسول (قوله اى ليعلم النبى الموحى اليه) فقوله ليعلم متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل

(قل ان ادرى) ماادرى (اقريب ماتوعدون ام
يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدتها كانه لما سمع
المشركون حتى اذا رأوا مايوعدون قالوا متى يكون
انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى
وقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا
يطلع (على غيبه أحدا) اى على الغيب المخصوص
به علمه (الا من ارتضى) بعلم بعضه حتى يكون له
معجزة (من رسول) بيان لمن ويستدل به على ابطال
الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار
بمايكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات
انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال
الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه)
من بين يدى المرتضى (ومن خلفه رصدا) حراسا
من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين
وتخاليطهم (ليعلم أن قد أبلغوا) اى ليعلم النبى الموحى
اليه ان قد ابلغ جبرآئيل والملائكة النازلون بالوحى

اخبرناه بحفظ الوحى عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشران رسل الملائكة ابلغوا رسالات ربهم كما هى (قوله اوليعلم الله) اى ليعلم ان الانبياء قد ابلغوا رسالات ربهم كما هى اى يعلم تبليغهم الرسالات كما هى موجودة، واصل المعنى ليبلغ الانبياء رسالات ربهم كما هى محروسة عن الزيادة والنقصان وعبر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم اياها كما هى لكونه ابلغ فى الدلالة على تحقق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازماله ومتفرعا عليه وقد تقرر ان ذكر الشئ كناية ابلغ من التصريح به وقوله ليتعلق علمه به موجودا مبنى على ان نفس علم الله تعالى ليس مما يتفرع على وجود شئ من الحوادث بل المتفرع عليه هو تعلقه بالاحوال الحادثة على حسب ماهى عليه والتبدل والتغير انما هو فى المعلوم لا فى العلم فانه تعالى يعلم جميع الجزئيات على وجه جزئى فعند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد وتعدم ولما كان المراد من العلم بالتبليغ العلم الذى يتعلق به الجزآء وذلك هو العلم بكونه موجودا قيد التبليغ بقوله موجودا فقال ليتعلق علمه به موجودا والعلم انما يتعلق بالتبليغ موجودا حال وجود التبليغ واما قبل وجوده فانما يعلم بانه سيوجد لا بانه موجود فان ذلك لا يكون علما بل هو جهل والعلم بانه سيقع لا يتعلق به الجزآء * تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة المزمل مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله و بالمزمل) اى بتخفيف الزاى وفتح الميم على لفظ اسم المفعول وهو الذى زمله غيره وبكسر الميم وتخفيف الزاى ايضا اى المزمل نفسه فحذف المفعول من زمله فى ثوبه اى لفه فيه وتزمل فى ثيابه اى تدثر وتلفف فيها وازدمله اى احتمله والزمل الحمل (قوله لانه كان نائما اومرتعدا) قيل كان عليه الصلاة والسلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه تلك الحالة التى كان عليها من التزمل للنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن وقيل يا أيها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية امره عليه الصلاة والسلام ان يختار التهجد على التزمل ويؤيد هذا المعنى امره عليه الصلاة والسلام بالقيام الى الصلاة بعده وهو قوله تعالى قم الليل اى قم للصلاة وقيل كان فى اول ما اوحى اليه كلما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة والحمى فأتى اهله وقال زملونى دثرونى فبينما هو كذلك اذ جاء جبريل عليه السلام وناداه وقال يا أيها المزمل تهجينا لما كان عليه وقيل ليس بتهجين لحاله بل كان تهوينا عليه وتحسينا لحاله اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان متزملا فى مرط عائشة رضى الله عنها وهو يصلى قيل عليه ان هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل على انها مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يبن بها الا بالمدينة واجيب بانه يجوز ان يكون عليه الصلاة والسلام قد بات فى بيت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهى طفلة والباقى على النبى صلى الله عليه وسلم وليس فى هذه الرواية ما يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد البناء بها روى انه تزوجها فى شوال سنة عشرين من النبوة قبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين فنداؤه صلى الله عليه وسلم بالمزمل تحسين لحاله التى كان عليها وجعل هذا النداء ذريعة الى الامر بالمداومة على تلك الحال الحسنة (قوله اى قم الى الصلاة اوداوم عليها) الاول على ان يكون اشارة على ان تسميته بالمزمل للتهجين والثانى على ان يكون للتحسين (قوله وقرئ بضم الميم) يعنى قرأ العامة قم الليل بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف وبفتحها لخفة الفتحة والليل ظرف للقيام ان استغرقه الحدث الواقع فيه وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان الى النصف والمعنى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل لا فى الجزء القليل منه وهو نصفه اوانقص القيام من نصفه اوزد عليه كأنه قيل قم نصف الليل اوانقص من النصف اوزد عليه وهو تخيير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص منه (قوله وقلته بالنسبة الى الكل) اى لا بالنسبة الى النصف الآخر لان كل واحد من النصفين يجب ان يكون مساويا للنصف الآخر ولا يتصور ان يكون اقل منه (قوله او نصفه بدل من الليل) بدل البعض من الكل وقوله الا قليلا مستثنى من قوله نصفه مقدم عليه كأنه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان ضمير منه وعليه لما هو اقل من النصف يكون المعنى حينئذ النقص من ذلك الاقل والزيادة عليه ويكون التخيير بين ان يقوم فيما هو اقل من

اوليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هى محروسة من التغير (واحاط بما لديهم) بما عند الرسل (واحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

(سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة ايةاوعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها المزمل) اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره اوزمل نفسه سمى به النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما اومرتعدا مما دهشه بدأ الوحى متزملا فى قطيفة اوتحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة فنزل اوتشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل اومن تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة (قم الليل) اى قم الى الصلاة اوداوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع اوالتخفيف (الا قليلا نصفه اوانقص منه قليلا اوزد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث اونصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف

النصف كالثلث وبين ان يقوم فيما هوانقص من ذلك الاقل كالربع وبين ان يقوم فيما هوازيد منه كالنصف (قوله اوللنصف) عطف على قوله للاقل من النصف اى على تقدير ان يكون نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا مستثنى من نصفه يجوز ان يكون ضمير منه وعليه للنصف ويكون المعنى حينئذ قم اقل من نصف الليل كالثلث اوانقص من النصف قليلا بان تقوم الثلث مثلا اوزد على النصف ويفهم من ظاهر النظم ان يكون التخيير بين ثلاثة امور لان فيه حرفى عطف وليس كذلك اذليس ههنا الاامران فقط وهما القيام فى اقل من النصف اوفى ازيد منه لان مداول قولنا قم نصف الليل الاقليلا وقولنا اوانقص من نصفه واحد فلم يبق الاالامران فقط فلذلك جعل احد شقى التخيير ان يقوم فيما هو اقل من نصف الليل على البت وجعل شقه الاخر ان يختار احد الامرين وهما القيام فيما هواقل من النصف والقيام فيما هوا كثرمنه (قوله اوالاستثناء من اعداد الليل) عطف على قوله والاستثناء من الليل جوز اولا ان يكون الاستثناء من ساعات الليل واجزآئه بان يكون تعريف الليل لاستغراق اجزآئه ثم جوز ان يكون من افراده واعداده كانه قيل قم فى جميع الليالى الاقليلا من افرادها يقع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها ثم بين ما يقوم به من اجزآء الليل بان خيره بين قيام النصف والناقص منه والزآئد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذاقصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى قم الليل فظاهر الامر انه للوجوب ثم نسخ واختلفوا فى سبب النسخ فقيل انه كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وقيل ان قيام الليل كان فريضة عليه وعلى المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة فكان الرجل لايدرى فى اى مقدار من الليل صلى وكم بقى منه فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم فنسخ فرضيته بقوله فى آخر هذه السورة فاقرأوا ماتيسر من القرءآن وكان بين ايجاب قيام الليل وبين نسخه سنة كاملة وقيل ستة اشهر (قوله ثغر رتل ورتل) هو بفتح التاء وكسرها وثنايا مفلجة متباعد ما بينها يقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل وترتيلا مصدر مؤكد لفعله الدال على ايجاب الترتيل اكد ايجابه بالمصدر ليعلم انه لابد للقارئ منه ليتمكن هو ومن حضره من التأمل فى حقائق الآيات ويستشعر عظمة الله تعالى وجلاله عند الوصول الى ذكر الله ويقع فى الخوف والرجاء عند الوصول الى آية الوعد والوعيد فحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله تعالى وينفتح عليه اسرار الكلام الالهى (قوله والجملة اعتراض) اى بين قوله يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا وبين قوله ان ناشئة الليل فانه متعلق بالاول مناسب له فوسطت هذه الجملة بينهما ليسهل عليه تكليفه بالتهجد فكانه تعالى قال امرتك بقيام الليل لانا سنلقى عليك قولا ثقيلا فلابد لك ان تسعى فى صيرورة نفسك مستعدة لتلقى ذلك القول العظيم وذلك الاستعداد لا يحصل الا بصلاة الليل فان النفس تستعد بها القبول الفيض الالهى من حيث ان الشواغل الحسية والعوآئق الجسمانية تكون ساكنة فى الليلة الظلماء فاذا اشتغل الانسان فيها بعبادة ربه وترتيل كلامه يتنور قلبه ويتقوى روحه فيزداد مناسبة واتصالا بعالم الغيب فيستعد لتلقى المعارف الالهية والالهامات الربانية (قوله ويدل على انه) اى التهجد عطف على قوله يسهل يعنى ان الفائدة الثانية لاعتراض الدلالة على ان التكليف بقيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة التى يشتمل عليها القرءآن فعليك بملازمة هذا التكليف والاستئناس به لئلا يثقل عليك امثاله (قوله مشق) بالميم الظاهر انه تحريف من الناسخين والاصل شق بكسر الشين وهى المشقة قال تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقال شق على الشئ يشق شقا ومشقة والاسم الشق بالكسر ولم يسمع اشق على فهو مشق (قوله اورصين) اى محكم ثابت وهو عطف على قوله ثقيل على المكلفين والرزانة الوقار والثقل يعنى اوأن ثقله عبارة عن بلاغته واعجازه بحسب النظم ودقة المعانى فالثقل على الاول راجع الى ثقل العمل به وعلى هذا الى انه جهات حسنة وكماله ثابتة مستقرة لاتزول ابدا كثبوت الشئ الثقيل فى محله (قوله فيفصم) اى يقلع يقال افصم المطر اى اقلع وانجلى (قوله ليرفض) اى يرشح عرقا (قوله وعلى هذا) اى على ان يكون قولا ثقيلا صفة للمصدر لا للمفعول به اى سنلقى القاء ثقيلا وقول الشاعر

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

نشأنا اى قمنا والخوصاء الناقة الغائرة العينين والذكر اخوص وجمعهما خوص والنى بفتح النون الشحم واللحم

اوللنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر اوالاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزآئد عليه (ورتل القرءآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) يعنى القرءآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس اورصين لرزانة لفظه ومتانة معناه اوثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السر وتجريد النظر اوثقيل فى الميزان اوعلى الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله عنها رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى
وألصق منها مشرفات القماحد

يقال ناقة ناوية اى سمينة ونوى اى سمين وبرى اى اذهب واذاب من برى القلم بريا و بريت البعير اذا حسرته واذهبت لحمه والسرى سير الليل وألصق اى طاطأ ونكس وفاعله ضمير السرى والقماحد جمع قمحدوة وهى القفا الذى هومؤخر الرأس ومعقد الازار والمعنى فنا الى نوق شارات الاعين اذاب لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة وجعل السرى قماحدها المشرفة المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة من الهزال اى قمنا اليها ورحلنا ها والناشئة على هذا صفة لمحذوف اى النفس القائمة من مضجعها بالليل للعبادة (قوله اوقيام الليل) على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ اذاقام (قوله اوساعات الليل) على ان تكون الناشئة صفة ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيئا بعد شئ الجوهرى ناشئة الليل اول ساعاته يقال نشأ يفعل كذا اذا ابتدأ واقبل شيئا بعد شئ فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ قال زين العابدين ناشئة الليل ما بين المغرب الى العشاء لان ناشئة الليل هى الساعة التى منها يبتدأ انشاء الليل وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وقيل الليل كله ناشئة (قوله اى كلفة اوثبات قدم) تفسيران او طئا بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الالف وهو مصدر قولك وطئ الشئ اذا داسه برجله اوجعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطئا من التى تقوم بالنهار على ان يكون الوطئ عبارة عن الكلفة والثقل كما يقال اشتدت على القوم وطأة سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملته معهم وفى الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر والمقصود من الحكم بان النفس التى تنشأ بالليل من مضجعها اشد كلفة بيان انها اكثر ثوابا لان ثواب العبادة على قدر شدة الوطأة وثقلها كما قال عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها اى اشقها او على ان تكون عبارة عن ثبات القدم فان النهار زمان التقلب للمعاش وتكثر فيه الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القائم بالعبادة فيه ثابت القدم عليها فيكون المقصود حينئذ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام به فانه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم من الاضطراب والانقلاب الى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلا تثبت فيه اقدامهم للعبادة (قوله اى مواطأة القلب) تفسير لقرآءة ابى عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ومد الالف لان المواطأة هى الموافقة يقال واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته فان فسرت ناشئة الليل بالنفس الناشئة بالليل من مضجعها يكون المعنى انها اشد من جهة مواطأة القلب اللسان لها وان فسرت بقيام الليل او بالعبادة الناشئة بالليل او بالساعات الناشئة بالليل بمعنى الحادثة او المبتدأة يكون المعنى ان الناشئة باحد المعانى اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فى تلك الناشئة (قوله واسد مقالا او اثبت قرآءة) يعنى انه يجوز ان يكون اقوم اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وان يكون من القيام بمعنى الثبات والاستمرار وهدوء الاصوات سكونها يقال هدأ يهدأ هدأ وهدوءا سكن واهدأه غيره اسكنه والسبح التصرف فى المعاش والتقلب فى الامور ومنه السباحة فى الماء وسبخ الصوف والقطن جعله منفوشا لتفنت اجزآئه وتيسير غزله (قوله وجرد نفسك عما سواه) اشارة الى ان تبتيلا مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالالتزام لان التبتل لا يكون الا بالتبتيل وتقدير الكلام تبتل اليه وبتل نفسك عما سواه تبتيلا (قوله ولهذه الرمزة) يعنى ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتلا او يقال بتل نفسك عما سواه تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا لرمزة خفية وهى ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع اليه تعالى وذلك لا يحصل الا بتبتيل النفس وقطعها عن التعلق بما سواه فذكر اولا التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه وان كان مقصودا بالعرض لا بالذات لانه نوع تعلق بغير الله فلا يكون مقصودا لذاته وفى وضع التبتيل مقام التبتل رعاية الفواصل ايضا (قوله فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور) لان جميع ما سواه يكون ممكنا محدثا محتاجا الى غيره فكيف يصلح ان يكون موكولا اليه الامور ومن عرف انه لا اله الا هو لا جرم يفوض جميع الامور اليه ومن لا يفوض ذلك اليه فهو لا يعلم بحقيقة لا اله الا هو ومن اتخذه وكيلا يستريح من معارضة زيد وعمرو والاغتمام على ما فاته من المقاصد لانه يتحقق عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع فى دآئرة التسليم والرضى فيستريح ثم انه تعالى لما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملته مع ربه من اول السورة الى هنا اتبعه ببيان كيفية معاملته مع الخلق فقال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا لان من يخالط الناس كثيرا ما يجد منهم الايذآء والمنافرة فيعتريه بسبب ذلك الغموم

اوقيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث به اوساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى اوساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت (هى اشد وطئا) اى كلفة اوثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى مواطأة القلب اللسان لها اوفيها اوموافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص (واقوم قيلا) واسد مقالا او اثبت قرآءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تقلبا فى مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزآئه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقرآءة قرءآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور (واصبر على ما يقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله

لايبق لاحد شبهة تفيد من الكفر كيف وهو النور المبين فكيف يتأ وهم على الكفر بعد ارسال الرسول الذى حقه ان يقرر الامور المشكوك فى وجودها (قوله تتقون انفسكم) فسر تتقون بتقون انفسكم فعداه بذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر وثانيهما يوما فانه مفعول به لتتقون كما اشار اليه المصنف بقوله عذاب يوم اى بتقدير المضاف فان وقى يتعدى الى مفعولين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى وهو ليس بمعنى وقى فكيف يصح تفسيره به وتعديته مثله بل هو متعد الى واحد فتقدير قوله انفسكم لايظهر له وجه صحة الا ان يقال ذكره بيانا لحاصل المعنى فان اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس منه (قوله تعالى يجعل الولدان شيبا) صفة ليوما والعائد الى الموصول ضمير يجعل واسناد الجعل الى اليوم من قبيل اسناد الفعل الى زمانه للمبالغة والشيب جمع أشيب بمعنى ذى الشيب وهو بياض الشعر (قوله وهذا على الفرض) اى لاعلى الحقيقة لان يوم القيامة ليس فيه ولدان حتى يصيروا شيبا حقيقة بل الكلام مبنى على الفرض والمعنى ان هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبى لكان اشيب ويرى انه شيخ والحال انه طفل صغير والاصل فيه ان الهموم اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب روى ان رجلا نام وهو حالك الشعر ثم اصبح ورأسه كالثغامة فقيل له فى ذلك فقال رأيت القيامة فى المنام والجنة والنار ورأيت الناس يتقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون (قوله اوعلى التمثيل) بان شبه يوم القيامة من شدة هوله بزمان يجعل الولدان شيبا موصف بوصف ذلك الزمان وان لم يكن فيه ولدان (قوله ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول) لا لكثرة اهواله فيكون المعنى انه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والمشيب وهو لاينقضى بعد وهذا الوجه وان كان يشارك الوجه الاول فى ان الكلام مبنى على الفرض الا ان المراد من الوجه الاول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله والمراد من الوجه الاخير وصفه بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم واعترض على الوجه الاخير بان ذلك اليوم اطول من مدة بلوغ الطفل اوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة ويمكن ان يجاب عنه بانه مبنى على عادة العرب فانهم يعبرون بمثل هذه العبارة عن غاية الطول مع قطع النظر عن ملاحظة خصوص المدة المدلول عليها بالعبارة كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ماناحت حمامة ومالاح كوكب وما تعاقبت الايام والشهور وقال تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به فان السماء على عظمها وشدتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق (قوله الضمير لله تعالى) وان لم يجرله ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اى وان وعده تعالى بكون يوم القيامة على ماوصف به من الشدائد كائن لامحالة لانه تعالى لايخلف الميعاد وان كان من اضافة المصدر الى مفعوله فى المعنى كان وعده تعالى اياه مفعولا (قوله هذه الآيات الموعدة) بكسر العين اى الناطقة بالوعيد وهى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الى هنا وفسر اتخاذ السبيل اليه بالتقرب اليه والتوسل بالطاعة والاتقاء عما يؤثم لكونه طريقا الى رضاء ورحمته (قوله استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه) الظاهر انه اراد من الاستعارة المجاز المرسل لانه جعل العلاقة بين الاقرب والاقل كون القرب الى الشئ مستلزما لقلة مابينهما من البعد فيكون اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما يفهم من قول عائشة رضى الله عنها ان الله تعالى فرض القيام فى اول هذه السورة فقام نبى الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى آخر هذه السورة اثنى عشر شهرا فى السماء ثم انزل الله التخفيف فى آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد كونه فرضا (قوله عطفا على ادنى) والمعنى يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما فرض اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه زيادة مطلقة كالثلثين على ان يكون الا قليلا استثناء من الليل ويكون نصفه بدلا من قليلا وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر بجرهما عطفا على المجرور قبلهما وهو قوله ثلثى الليل والمعنى يعلم انك تقوم اى تصلى اقل من ثلثى الليل واقل من نصف الليل واقل من ثلث الليل والاقل من الثلثين هو النصف والاقل من النصف هو الثلث والاقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لان يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف بان يكون قوله نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا استثناء من النصف ويكون ضمير منه وعليه للاقل على معنى قم اقل من نصف الليل

تقون انفسكم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض اوعلى التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة (كان وعده مفعولا) الضمير لله عزوعلا او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء ان يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) اى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى

وهو الثلث وانقص مما هو اقل من النصف بقيام الربع اوزد على ذلك الاقل من النصف بقيام النصف (قوله ويقوم ذلك جماعة) يعنى ان قوله وطائفة مرفوع بالعطف على المرفوع المتصل فى يقوم وجاز ذلك للفصل بالظرف وما عطف عليه (قوله فان تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص) علة لقوله لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر عند صاحب الكشاف مطلقا اى سواء كان المبتدأ معرفا اونكرا مظهرا اومضمرا مقدما او على نية التأخير على انه فاعل معنى فانه تعالى لما كان هو الذى يزيد فى ساعاتهما وينقص من غير ان يكون لنا مدخل فى شئ من ذلك فبالضرورة صار هو العالم بمقاديرهما على الحقيقة واما نحن فانا نعلم ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يؤدى الى الخطأ احيانا (قوله ولن تستطيعوا ضبط الساعات) فان الاحصاء قد يكون بمعنى العد وقد يكون بمعنى الاستطاعة قال عليه الصلاة والسلام استقيموا ولن تحصوا اى ولن تطيقوا ذلك على الوجه الذى امرتم به قال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة القدر الذى يجب قيامه وقال مقاتل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تقدروا ولن تطيقوا تعيين القدر الذى فرض عليكم القيام به ثم انه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام فى المقدار الذى فرض عليهم القيام فيه حيث قال قم الليل الا قليلا نصفه الخ ويمكن ان يجاب عنه بأن المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتهما وضبطهما كون ذلك شق عليهم بعض المشقة لا انهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اقدر ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وصعب عليه ذلك (قوله ورفع التبعة فيه) رفعها عن التائب اشارة الى ان قوله تعالى فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص فى ترك ما قدر من قيام الليل بقبول التوبة من المذنب التائب فى رفع التبعة فى تركه كما رفعت عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة فى المشبه الذى هو الترخيص ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله فتاب بمعنى فرخص (قوله قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور) وهو التخيير بين القيام فى احد المقادير المعينة فلما عسر عليهم اصابة تلك المقادير المعينة نسخت فرضيته رعاية للمقدار المنصوص عليه وبقى اصل الوجوب فان الامر فى قوله تعالى فاقرأوا ما تيسر من القرآن يدل على ان ما تيسر من وجوب صلاة الليل غير مقدر بكونه فى ثلث الليل او بعد او نحوهما ثم نسخ اصل وجوبها ايضا بالصلوات الخمس والتطوع (قوله اوفاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر) عطف على قوله فصلوا ما تيسر بمعنى ان قوله فاقرأوا اما مجاز بمعنى فصلوا على اطلاق اسم الجزء على الكل واما حقيقة على ان المعنى ايجاب تلاوة القرآن فى غير الصلاة كيفما تيسر ليحصل الامن من النسيان والفوز برضى الرحمن والوقوف على اعجازه بتلاوته وما فيه من دلائل التوحيد والبعث والجزاء ونحوها من العقائد الدينية ثم قيل الامر بتلاوته خارج الصلاة للوجوب وقيل الندب والاستحباب روى عن انس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية فى كل يوم اوفى كل ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وعن عبدالله بن عمر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن فى كل شهر مرة قال قلت انى اجد قوة على ان اقرأه فى اقل من ذلك قال فاقرأه فى عشرين ليلة قال قلت انى اجد قوة على انى اقرأه فى اقل من عشرين قال فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك وقيل قوله تعالى فاقرأوا ما تيسر ايجاب للقرآءة فى صلاة الليل لا ايجاب نفس الصلاة فى الليل وقيل انه لايجاب القرآءة فى كل صلاة واختلف العلماء فى قدر ما لزمه فى الصلاة فقال الامام مالك والامام الشافعى هو فاتحة الكتاب بخصوصها لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة بآية واحدة من اى آيات القرآن كانت وعند ثلاث آيات لانها اقل سورة (قوله المسافرة للتجارة) سوى الله تعالى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى الحاجات حيث جمعهما فى قرن واحد فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد قال عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله (قوله وآتوا الزكاة الواجبة) قال الامام وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة

(وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم ان لن تحصوه) اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس اوفاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم (علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (فاقرأوا ما تيسر منه) والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (واقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة

سترها واما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ماروى انه تعالى افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة القدر المفروض وامسك الله تعالى خاتمة السورة اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله تعالى فى آخر السورة التخفيف بنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ودام الامر على ذلك مادام عليه الصلاة والسلام بمكة حتى نسخت فرضية أصله فى المدينة بالصلوات الخمس (**قوله او باداء الزكاة على احسن وجه**) وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقرآء ومراعاة النية وهى ان يقصد باخراجها مجرد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى والصرف الى احوج الفقرآء الصالحين ووجه هذا التفسيران قوله تعالى وآتوا الزكاة امر بمجرد اداءها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق على الوجه المذكور قرضا حسنا من قبيل الاستعارة حيث شبه بالاقراض من جهة ان ماانفقه يعود اليه على احسن الوجوه (**قوله والترغيب**) منصوب بالعطف على الامر والمعنى يريد به الامر بسائر الانفاقات اوالامر باداء الزكاة على احسن وجه اوالترغيب فيه اى فى سائر الانفاقات اوفى اداء الزكاة على احسن وجه والتعبير عن كل واحد منها بالاقراض يتضمن وعد العوض وقد صرح به عقيبه وقوله تعالى تجدوه مجزوم على انه جواب الشرط ولفظ هو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه اوفصل بينه وبين المفعول الثانى فان ضمير الفصل كما توسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل يتوسط بينهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة اوافعل من كذا لان افعل من كذا يشبه المعرفة فى امتناعه من حرف التعريف وليس معنى كون تعريف الخبر شرطا لتوسط ضمير الفصل ان الفصل انما يحتاج اليه عند كون الخبر معرفة فانه انما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف والالتباس انما يقع اذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة وبتوسطه يندفع الالتباس لان الخبر اذا كان صفة كان الموصوف هو الضمير والضمير لايوصف ولايوصف به وجاز توسطه فيما لالبس فيه وذلك عند اختلاف الاعراب وعند كون المبتدأ ضميرا وكون الخبر أفعل من كذا اتساعا وحملا لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع ان الفصل له فائدة اخرى وهى انه يفيد ضربا من التأكيد لانه عبارة عن المبتدأ وتكرير له والتكرير يفيد التأكيد ومعنى الآية وماتقدموا لانفسكم من المال تجدوه اى تجدوا ثوابه عند الله اى فى الآخرة خيرا من ثواب مااخرتموه الى حضور الموت واسبابه وماتقدموا لانفسكم من طاعة من الطاعات كلها تجدوا ثوابه خيرا مما اخرتم من الطاعة (**قوله وقرئ هو خير**) على ان هو مبتدأ وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل لضمير الفصل موضعا من الاعراب كما اشار اليه صاحب الكافية بقوله وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبرا ولاموضع له عند الخليل

(سورة المدثر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(**قوله وهو لابس الدثار**) الدثار الثوب الذى يلبس فوق الشعار والشعار مايلبس مما يلى الجلد سمى به لانه يلى الجسد وشعر البدن والمدثر المتغشى بالدثار لينام فيستدفئ (**قوله ولذلك**) اى ولاجل ماذكر من الرواية قال صاحب الكشف وهذه الرواية لاتدل على انها اول سورة نزلت والظاهر انها اقرأ الى قوله مالم يعلم للاحاديث الصحاح فى ذلك ولانها كانت فى حرآء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام لست بقارئ فانه لايتصور الا اذا نزل ذلك اولا والالكان الامتناع عنه معصية والوجه ان يراد بالسورة فى قول من قال انها اول سورة نزلت السورة الكاملة انتهى * اعلم انهم اختلفوا فى ان المراد بالدثار المدلول عليه بالمدثر ماهو فقال اكثر المفسرين المراد به الدثار الحقيقى ثم اختلفوا فى سبب تدثره عليه الصلاة والسلام بذلك فمنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر به بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك الذى رآه على سرير بين السماء والارض كالنور المتلألئ من حيث انه رأى مالم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن انه من مساس الجن فخاف على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر اغتماما لما سمع ان قريشا قد اجتمعوا فقالوا قد اختلفت كلمتنا فى الاخبار عن حال محمد فمن قائل انه مجنون ومن قائل هو كاهن ومن قائل هو شاعر اوساحر ووفود

(واقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت اومن متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد وفصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع احوالكم فان الانسان لايخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

(سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المدثر) اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحرآء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ارشيئا فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا اوكان نائما متدثرا فنزلت

العرب يجتمعون فى ايام الحج ويسألون عن امره واذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لايصدقونكم لعلمهم بان هذا كله لايجتمع فى رجل واحد فيحملون تكذيبكم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد تجتمعون عليه يكون اشبه بحاله فقال الوليد بن المغيرة انى فكرت فيه واخترت ان اسميه ساحرا لان الساحر من شأنه ان يفرق بين الاب وابنه وبين اخ واخيه وبين المرأة وزوجها وشأنه ذلك فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه مفكرا كما يفعله المغموم وقال بعضهم انه عليه الصلاة والسلام انما تدثر لانه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع نائما فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وايقظه وقال ان الدنيا اليوم مملوءة من الكفار وانت وحدك بانفرادك قد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هذا شأنه كيف يليق به التفرغ للاستراحة والتلفف بالدثار فأزل عنك الغفلة وكن على جد وصدق عزيمة فى القيام على مقتضى منصبك وانذر قومك وقال آخرون ليس المراد بالدثار ماهو دثار حقيقة بل المراد به خلعة النبوة والكمالات النفسانية تشبيها لهما بما هو دثار حقيقة من حيث ان كل واحد منهما زينة وشرف لصاحبه كما يقال ألبسه الله تعالى لباس التقوى وزينه برداء العلم فكأنه قيل ياأيها المبعوث للانذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثت له وقيل المراد بالدثار جبل حراء ومعنى تدثره عليه الصلاة والسلام اختفاؤه فيه اعتزالا عن الخلق شبه اختفاؤه فيه بالدثار فكأنه قيل ياأيها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل فى هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهى ان المنذر اذا انذر عن شدة الامر وهجوم العدو عن قريب يرتفع لأعلى المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادى قومه باصحابه النجاة النجاة ولما كان عليه الصلاة والسلام متدثرا خاطبه الله تعالى بياأيها المدثر فكأنه تعالى يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لاينبغى لشأنك وانما اللائق بك ان تكون عريانا كما قال عليه الصلاة والسلام انا النذير العريان (**قوله** وقرئ المدثر) اى بفتح الدال الخفيفة وفتح الثاء المشددة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره اى غطاه به فهو مدثر اى مغطى والامر فى قوله دثر هذا الامر منصوب بنزع الخافض اى دثر بهذا الامر وعصب به اى احيط به يقال عصب القوم بفلان اى احاطوا به (**قوله** قم من مضجعك) هذا على تقدير ان يكون المراد تدثره عليه الصلاة والسلام بالدثار الحقيقى واضطجاعه فى مضجعه باحد الاسباب المذكورة وقوله اوقم قيام عزم وجد على ان يراد تدثره عليه الصلاة والسلام بدثار النبوة والاصطفاء او بدثار الاختفاء بجبل حراء (**قوله** فانذر مطلق) يعنى انه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر لفظا ولا تقديرا للتعميم والاختصار كما فى قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وان امكن ان يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار (**قوله** اومقدر بمفعول) اى عام اوخاص حسبما تعين القرينة عمومه اوخصوصه فان وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدر خاصا فيقال تقديره قم فأنذر عشيرتك الاقربين العذاب ان لم يوحدوا ربك وان وجد مايدل على عمومه قدر عاما فيقال تقديره قم فانذر البشر كافة والمقدر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذى قيد به الفعل صريحا فانه لما اعتبر تعلقه بمن وقع عليه سوآء كان عاما اوخاصا على حسب تعيين القرينة فقد قيد بتعلقه به وانما يصير مطلقا اذا لم يعتبر تعلقه به اصلا وكان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد فكون الانذار حينئذ مطلقا ظاهر وكذا كونه مفيدا للتعميم فى المفعول (**قوله** وخصص ربك) مستفاد من تقديم المفعول (**قوله** عقدا) بان تعتقد انه تعالى منزه عن الشركاء والاضداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات (**قوله** وقولا) بان تقول الله اكبر (**قوله** والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط) فان حق الفاء السببية ان يكون مابعدها مسببا لازما لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شئ يترتب عليه مابعدها علم ان مابعدها جواب شرط محذوف وان المعنى ومايكن فكبر ربك اى اى شئ يكن فلاتدع تكبيره اى وصفه بالكبرياء وهذا آكد فى افادة الاختصاص بالنسبة الى مجرد تقديم المفعول فى نحو زيدا ضربت من جهة التعلق بالشرط العام الذى هو وقوع شئ ما فان قلت كيف يكون ربك مفعول كبر مع الفاء القاطعة عن العمل فيما قبلها قلنا الفاء فى الحقيقة داخلة على الاسم اى مايكن فربك كبر (**قوله** اوللدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه) عطف على قوله لافادة معنى الشرط اى اوهى فاء جواب الامر بالقيام المتعقب للانذار فان الامر بالقيام لما صح ان يكون سببا لتكبيره تعالى عن ان يكون له شريك وصاحبة وولد ونحو ذلك مما زعم المشركون فى حقه تعالى تحقق معنى الفاء من غير

وقيل المراد بالمدثر المدثر بالنبوة والكمالات النفسانية اوالمختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك اوقم قيام عزم وجد (فانذر) مطلق للتعميم اومقدر بمفعول دل عليه قوله وأنذر عشيرتك الاقربين اوقوله وماارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لايأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال ومايكن فكبر ربك اوللدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول مايجب معرفة الصانع واول مايجب بعد العلم وجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به

(وثيابك فطهر) من النجاسات فان التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة اوطهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الذميمة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه اوفطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) واهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولاتمنن تستكثر) ولاتعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه اونهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة اولاتمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها اوعلى الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم اومستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع في قول الشاعر

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى

وان اشهد الذات هل انت مخلدي

(ولربك) ولوجهه اوامره (فاصبر) فاستعمل الصبر اوفاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (في الناقور) في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على أذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم

تقدير شرط آخر فكانه قيل قم للانذار والتحذير من عذاب الله فكبر ربك عما يقول الظالمون في حقه (قوله وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها) فيكون لفظ الثياب على حقيقتها و يحمل لفظ التطهير على المجاز اوالكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم فان التقصير مستلزم للطهارة قال عليه الصلاة والسلام ازار المؤمن الى انصاف ساقيه لاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من ذلك ففي النار (قوله اوطهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الذميمة) اي القبيحة شبه النفس بالثوب لكونه يلابس نفس الانسان ويشتمل عليه فعبر به عن النفس مجازا (قوله اوفطهر دثار النبوة) على ان الثياب مجاز مستعار لحلة النبوة والكمالات النفسانية كالدثار امر عليه السلام بتطهيره دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر فان الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدا حتى رجع الى بيته وتدثر بثيابه فكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام اظهار جزع وقلة صبر فقيل له عليه الصلاة والسلام قم فانذر ولاتحملنك سفاهتهم على ترك انذارهم بل حسن خلقك ووسع صدرك (قوله تعالى والرجز) قرآءة جمهور القرآء بكسر الراء وهو العذاب كما في قوله تعالى حكاية عن قوم موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك اي لئن كشفت عنا العذاب (قوله ولاتعط مستكثرا) اي لاتعط شيئا من مالك لتأخذ اكثر منه فالمن بمعنى الاعطاء (قوله نهى عن الاستغزار) اي نهي تنزيه في حق جميع المكلفين فان الاستغزار ليس بحرام في حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته اي يعوض منها والغزارة الكثرة يقال غزر الشيء يغزر بالضم فيهما غزارة فهو غزير اي كثر يكثر فهو كثير (قوله اونهيا خاصا به عليه الصلاة والسلام) اي نهي تحريم فان حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل فان اصل البخل الالتذاذ بامساك المال وجمعه (قوله اولاتمنن على الله بعبادتك) على انه من باب من عليه منة اذا امتن عليه واعتد بما فعله وعلى الاول كان من من عليه اذا انعم واعطى وقوله تستكثر على الوجهين مرفوع لفظا لتجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا على انه حال من فاعل لاتمنن كقوله تعالى فذرهم في خوضهم يلعبون اي لاعبين والسين فيه على الاول للطلب وعلى الثاني للوجدان وان قرئ تستكثر بالسكون ففيه ثلاثة اوجه الاول انه مرفوع لكنه سكن اعتبارا بحال الوقف واجراء للوصل مجرى الوقف والثاني انه بدل من تمنن بدل اشتمال كانه قيل ولاتمنن ولاتستكثر فان شأن اهل الامتنان ان يستكثر ما يعطيه وان يعتد به فصح ابداله منه بدل اشتمال والثالث ما ذكره بقوله وتستكثر بمعنى تجده كثيرا مع انه يجوز ان يكون تستكثر مجزوما على انه جواب النهي على ان يكون المن بمعنى المنة والمعنى لاتمنن بعطيتك تستكثر وتتزود من الثواب الجزيل بسلامة عطيتك من الابطال بالمن قال الله تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وذكر صاحب الكشاف وجها آخر لقرآءة السكون وهو قوله وان تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا (قوله وبالنصب على اضمار ان) ويؤيده قرآءة ابن مسعود رضي الله عنه ولاتمنن ان تستكثر اي لان تستكثر فيكون المن بمعنى الاعطاء اي لاتعط للاستكثار ونظير النصب باضمار ان قول الشاعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغى بروايته على النصب (قوله وعلى هذا) اي وعلى تقدير ان يكون اصل الآية ولاتمنن ان تستكثر جاز ان يكون ارتفاع تستكثر لخلوه عن العوامل اللفظية بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لاتعمل مضمرة الا في مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية رفع احضر في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى (قوله فاستعمل الصبر اوفاصبر على مشاق التكاليف) الاول على ان يجعل فاصبر منزلا منزلة اللازم بان لايعتبر تعلقه بما يصبر عليه من الطاعات ومايصبر عنه من المعاصي والثاني ان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول لكل مصبور عليه وكل مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار كانه قيل اذا سمعت هذه التكاليف من الافعال والتروك فاصبر عليها لاجل امر ربك اولوجهه الكريم ثم انه تعالى بعد ما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى ماهو اللائق بشأنه ومنصبه شرع في شرح وعيد الاشقياء وبيان ماهو المنذر منه في حقهم فقال فاذا نقر في الناقور والنقر في الاصل بمعنى القرع والنكت الذي هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ماهو سبب لحدوث الصوت راجع الى معنى التصويت وجعل الشيء بحيث يظهر منه الصوت فلذلك فسر المصنف النقر بالتصويت واتفق المفسرون على ان الناقور الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام مرة للاصعاق ومرة للاحياء وسماه الله تعالى باسمين احدهما الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ماينقر فيه (قوله والفاء السببية) يعني

انها فاء جواب الامر كما فى قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وقولك اكرم زيدا فانه فاضل فان الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها كما فى الامثلة المذكورة وقد يكون ما قبلها سببا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فانها دخلت على ما هو جزاء فى المعنى لان المعنى اذا كان كذا فاكرمه كما ان الاولى داخلة على ما هو شرط فى المعنى وما بعد الفاء فى الآية شرط فى المعنى اى اذا كان بين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى انت ثواب صبرك عليه فاصبر والفاء فى قوله فذلك فاء الجزاء فان اذا شرطية وجواب الشرط قوله فذلك يومئذ يوم عسير وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل فى اذا والمعنى اذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين وذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ مرفوع المحل على انه بدل من ذلك وبنى على الفتح لاضافته الى اذ وهو غير متمكن كانه قيل فيوم اذا نقر فى الناقور يوم عسير (قوله اذا التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير) جواب عما يرد على قوله ويومئذ ظرف لخبر المبتدأ وهو يوم عسير من ان يومئذ كيف يكون ظرفا ليوم عسير والزمان لا يكون ظرفا الزمان وانما يكون ظرفا للحدث فاجاب بان المراد من اليوم العسير وقوعه وان يومئذ ظرف لوقوعه لا لنفس اليوم ويرد على هذا الجواب ان يومئذ كيف يكون ظرفا للوقوع ومعمول المصدر لا يتقدم عليه فينبغى ان يكون مراده بكون يومئذ ظرفا لوقوع يوم عسير كونه حالا من يوم عسير مقدما عليه والمعنى وقت النقر يوم عسير واقعا ذلك اليوم العسير يوم النقر فاليوم الذى عبر عنه بيومئذ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذى حكم عليه بانه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد واقع فى ذلك الزمان الممتد ولما كان يومئذ ظرفا واقعا موقع الحال من يوم عسير بمعنى واقعا فيه عبر عن هذا المعنى بقوله اذا التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير (قوله تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه) جواب عما يقال ما فائدة قوله غير يسير مع ان قوله عسير مغن عنه ووجه كونه تأكيدا ظاهر ووجه كونه نافيا لليسر بالكلية ان قوله يسير نكرة فى سياق النفى فيعم جميع افراده ووجه كونه مشعرا بيسره على المؤمنين انه لما أكد كونه عسيرا على الكافرين كان المعنى انه غير يسير بالنسبة الى الكافرين فكان تعريضا بانه يسير على المؤمنين كما ان قوله تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم تعريض بظل الجنة وهذا اغيظ للكافرين بجمعه بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم وقوله تعالى على الكافرين متعلق بعسير لا بيسير لانه لما لم يجز تقديم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز تقديم معمول المضاف اليه عليه اولى ثم انه تعالى لما بين ان اليوم الذى ينفخ فيه فى الناقور يوم عسير على الكافرين قال له عليه الصلاة والسلام خل بينى وبين الوليد بن المغيرة الذى نعت فى قومه بالوحيد زعما منهم انه لا نظير له فى وجاهته ولا فى ماله وكان ينعت نفسه ويقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولا لأبى نظير ايضا فسماه الله تعالى بذلك تهكما واستهزاء كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم هذا على تقدير كون قوله وحيدا منصوبا على الذم بتقدير اعنى (قوله او ارادة انه وحيد) عطف على قوله تهكما اى سماه به على ارادة انه وحيد فى الكفر والخبث وانواع الشرارة او على ارادة انه وحيد عن ابيه اى لا اب له والزنيم من ألحق بالقوم وليس منهم (قوله مبسوطا كثيرا) وصف بان ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره ايضا فان المال الكثير اذا عد يمتد عدده والمال الذى يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عباس كان له مال ممدود ما بين مكة الى الطائف الابل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفا ولا شتاء فالممدود هنا كما فى قوله وظل ممدود اى لا ينقطع او ممدود بالنماء بان يكون نماء ماله ممد الاصله يقال مددنا القوم اى صرنا مددهم وامددناهم بغيرنا او مددناهم بفاكهة ولما ذكر الله تعالى كثرة امواله وبنيه بين انبساط جاهه ورياسته فان الاولين لا يستلزمان الثالث فقال ومهدت له تمهيدا حذف مفعول مهدت للتفخيم مع الاختصار فاتم الله تعالى فيه نعمة المال والجاه والبنين واجتماع هذه الثلاث هو الكمال عند اهل الدنيا وكان الوليد من اكابر قريش ولذلك لقب بالوحيد وريحانة قريش والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة والراحة وعلى الرزق ايضا قال عليه الصلاة والسلام الولد ريحان الله تعالى اى رزقه (قوله ان ازيد على ما اوتيه) اى ان ازيد عليه فى الدنيا لانه مشرك والمشرك لا يؤمن بالبعث والجزاء حتى يطمع ان يثاب فى الآخرة زيادة على ما اوتى فى الدنيا فيكون قوله تعالى كلا ردعا له عن طمعه وطلب الزيادة فى الدنيا ويؤيده

واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير (غير يسير) تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) نزل فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا ومن العائد المحذوف اى ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولدا او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم (ثم يطمع ان ازيد) على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اولانه لا مزيد على ما أوتى او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا انه كان لآياتنا عنيدا)

انه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا فى القرءآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزاء به اولانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فأتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها (ثم نظر) اى فى امر القرءآن مرة بعد اخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم ادبر) عن الحق او الرسول (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها

ماروى انه بعد ما نزل قوله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا مازال فى نقصان من ماله وولده ومات فقيرا وعن الحسن انه قال ثم يطمع ان ازيد فاعطيه مالا وولدا كما قال تعالى افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (قوله ردع له عن الطمع وتعليل) يعنى ان قوله كلا ردع وقوله انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على سبيل الاستئناف كأنه قيل لم حرم مما طمع فيه وانعكس حاله فاجيب بان شأنه ان يعاند آيات الله فكيف يبقى ما انعم به عليه فضلا عن ان يزيد عليه (قوله سأغشيه عقبة) فسر الارهاق بالاغشاء والتكليف كما فى قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعد والمعنى سأكلفه مشقة العذاب روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الصعود جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع عليه يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع عليه رجله ذابت فاذا رفعها عادت (قوله او بيان للعناد) اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انه فكر وقدر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا لبيان كنه عناده فيكون قوله سأرهقه صعودا جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان انه مع كونه محروما مما طمع فيه من ان يزاد على ما عنده من الاموال والابناء فهو من اشد اهل النار عذابا يوم القيامة (قوله استهزاء به اولانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه) اى على القرءآن يعنى ان لفظ قتل كيف قدر انما يذكر عند التعجب والاستفهام وما تخيله طعنا فى القرءآن فى غاية الركاكة والسقوط ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة خاطره فى نفس الامر اى اصاب ما لم يبلغ اليه ذهن امثاله من المعاندين (قوله روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم) اشارة الى كونه معاندا فى انكار آيات الله تعالى حيث اعترف بانه يعلو ولا يعلى وبيان لما حمله على التفكير والتقدير وهو انه لما رأى ان القرءآن لا يشبه كلام الشعراء ولا كلام الكهنة ولا كلام المجانين ولا شيئا من كلام الانس والجن قال ان له لحلاوة لاشتماله على المعانى اللطيفة والاحكام الموافقة لمقتضى الحكمة وان عليه لطلاوة وهى بفتح الطاء وضمها بمعنى الحسن والقبول والماء المغدق اى الكثير ومكان غدق اى كثير مخصب وقوله ان اعلاه لمثمر واسفله لمغدق استعارة بالكناية شبه القرءآن العظيم فى نفسه بشجرة غضة طرية استحكم اصلها بكثرة الماء فى اسفلها وعلا فرعها فى السماء واثبت له الاعلى والاسفل واثبت لاعلاه ثمارا ولاسفله غدقا على طريق التخييل ولما رآه كما وصفه وكان مجبولا على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لا جرم حمله خبث طبعه على ان يتفكر فيما تخيل طعنا فى القرءآن وان يقدر فى نفسه ما يقول فى حقه (قوله فقام فأتاهم) اى فقام الوليد واتى قريشا فقال لهم ما تقولون فى هذا الرجل فقالوا نقول انه شاعر فعبس عندها فقال قد سمعنا يقول الشعر فما يشبه قوله الشاعر فقالوا نحن نقول انه كاهن فقال كيف تقولون ذلك وانكم لما تجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة فقالوا نحن نقول انه مجنون فقال كيف تنسبون السيد الجنون وما رأيتموه يخنق قال ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين تخنق المجنون فقالوا له فما تقول فى حقه فأخبرهم بما قدر فى نفسه ان يقول فى حقه عليه الصلاة والسلام فقال ما هو الا ساحر وما كلامه الا سحر يفرق بين الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به فخرجوا من عنده فجعل ما يلقى احد منهم النبى صلى الله عليه وسلم الا قال يا ساحر يا ساحر واشتد على النبى صلى الله عليه وسلم فرجع الى منزله فتدثر فاضطجع حزينا متفكرا فى امره فانزل الله يا أيها المدثر الى قوله ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر يعنى انه كلام الانس وليس من عند الله (قوله تكرير للمبالغة) اى للمبالغة فى المعنى الذى قصد بايراده اولا وهو استعظام حسن تقديره استهزاء واستعظاما لقوة تخيله فى نفس الامر بعد الدعاء عليه باللعن حتى جيء بكلمة ثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ فى الاستعظام واللعن من الكرة الاولى يعنى ان كلمة ثم فى قوله ثم قتل للتراخى بحسب الرتبة وفيما بعده على اصلها اى للتراخى بحسب الزمان اى ثم اعاد النظر والتأمل فى طلب ما يدفع به القرءآن ويرد ما رجا ان يتضح له ما لم يطلع عليه فى المرة الاولى فلم يتهيأ له ذلك فلذلك عبس اى كلح وقطب ما بين عينيه وقبضه تغيظا من عدم وجدانه ما يدفع به القرءآن فاضطر الى ان قال ان هذا الا سحر يؤثر اى يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه من قولك أثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعدما ماتوا هذا هو الاصل فى اطلاقه ثم صار بمعنى الرواية عن الغير مطلقا (قوله والفاء للدلالة) بمعنى انه تعالى لم يقل ثم قال ان هذا للدلالة على ان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد طلب ما يطعن به فى القرءآن ولم يتمالك ان يتفوه بها من غير تلبث حيث لم يجد غير ذلك قالها عتوا وعنادا لا عن اعتقاد لما روى انه قال حين سمع حم السجدة لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن فكيف يقول

بعد ذلك ان هذا الاقول البشر عن اعتقاد انتهى (قوله بيان لذلك) اى لما اجل من فخامة شأنها اى لاتبقى لهم لحما الا اكلته ولاتذرهم اذا اعيدوا اخلقا جديدا الا اكلتهم مرة اخرى وهكذا ابدا (قوله والعامل فيها معنى التعظيم) اى المستفاد من ما الاستفهامية فى قوله ماسقر فانه يستنبط منها معنى التعظيم والمعنى استعظم امرها فى كونها لاتبقى ولاتذر (قوله لاتبقى على شئ يلقى فيها) اى لاتترحم عليه وفى الصحاح ابقيت عليه اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لاابقى الله عليك ان ابقيت على وفيه ايضا يقال ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته (قوله ولاتدعه حتى تهلكه) يعنى انها لاتقنع بمجرد التعذيب بنوع من انواع العذاب بل تبالغ فى تعذيبه الى ان تهلكه وقيل قوله لاتبقى ولاتذر لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتأكيد كقولك صدعنى واعرض (قوله مسودة لاعالى الجلد) فسر قوله لواحة بمسودة ومغيرة للبشرة واعالى الجلد اى ظواهره اشارة الى ان لواحة اسم فاعل مبنى للمبالغة من لاحه السفر والعطش اى غيره وسوده وهى لواحة اى مغيرة ومسودة قيل تلفح وجوههم النار لفحة تدعها اشد سوادا من الليل والبشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد البشرة لاينافى قوله تعالى لاتبقى ولاتذر لان ذلك بعد الالقاء فيها والتسويد قبله (قوله اولائحة للناس) على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر وقيل لواحة للتهويل والبشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للناس من مسيرة خمسمائة عام قال الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وقال لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين (قوله وقرئت بالنصب) اى بتقدير اعنى وقيل منصوبة على انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم اومن المنوى فى لاتبقى ولاتذر وقرأ الجمهور لواحة بالرفع بتقدير هى لواحة (قوله ملكا اوصنفا) يعنى ان تمييز تسعة عشر يحتمل ان يكون الاشخاص الذين يلون امر سقر ويسلطون على اهلها من الملائكة وان يكون اصنافا منهم ولايعلم عدد كل صنف منهم الا الله وقيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال الله تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو روى ان خزنة النار تسعة عشر ملكا مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم مابين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة والرأفة يرفع الواحد منهم سبعين الفا فى كفه فيرميهم حيث اراد فى جهنم (قوله والمخصص لهذا العدد) قال ارباب الحكمة فى وجه اختصاص خزنة النار بهذا العدد ان سبب فساد النفوس الانسانية فى قواها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية اما القوى الحيوانية فهى الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب بمجموعها اثنا عشرة واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسع عشرة فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة لاجرم كان عدد الزبانية هكذا فاستولى على الانسان ملك اوصنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه القوى التى كل واحدة منها نعمة آلهية يتوسل بها الى الاستكمال بحسب القوى النظرية والعملية وقد توسل بها الى معصية من انعم بها عليه والمراد بالقوى الحيوانية القوى التى تخص الحيوان من بين المولدات الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهى قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة عشر وهى التى لها مدخل فى الادراك بالمشاهدة اوالحفظ وهى الحواس الظاهرة والباطنة والفاعلة اثنان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية وهى التى لاتختص بالحيوان بل توجد فى النبات ايضا سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة (قوله ست منها لاصناف الكفار) وهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس واهل كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها الامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون فى كل دركة ثلاثة انواع من العذاب كل نوع يناسب امرا من تلك الامور الثلاثة التى هى اسباب تعذيبهم فيها فيكون فى ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعا من العذاب يلى امر كل نوع من هذه الانواع شخص من الزبانية اوصنف منهم فيكون مجموع اشخاص الزبانية اواصنافها ثمانية عشر واما دركة الفساق فانهم لايعذبون فيها الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة يستولى على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك اوصنف واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر (قوله اوان الساعات اربع وعشرون) يعنى خصت اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على ان الساعات التى خصت لتصرف فى المعصية كذلك فكان اعداد من يتولى تعذيب العصاة ايضا تسعة عشر على عدد ساعات المعصية فيتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة

(سأصليه سقر) بدل من سارهقه صعودا (وما ادراك ما سقر) تفخيم لشأنها وقوله (لاتبقى ولاتذر) بيان لذلك اوحال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لاتبقى على شئ يلقى فيها ولاتدعه حتى تهلكه (لواحة للبشر) مسودة لأعالى الجلد اولائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا اوصنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع اوان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك اوصنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك اوصنف اوان الساعات اربع وعشرون خمس منها مصروفة فى الصلاة فتبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية

الواقعة فى ساعة واحدة من تلك الساعات (قوله فيما هو كاسم واحد) فان تسعة عشر ليس اسما واحدا فى الاصل وانما جعل اسما واحدا بالتركيب فان اصله تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ولذلك بنى الاسم الاول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبنى الاسم الثانى ايضا لتضمنه معنى حرف العطف وهذا الاسم المركب فى الآية فى محل الرفع على الابتداء وعليها خبره وكثرة الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة يوجب الثقل فلذلك اسكن اول الاسم الثانى للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين بالآخر انتهى (قوله وتسعة أعشر جمع الخ) يعنى ان تسعة اسم عدد اضيف الى مميزه وهو أعشر جمع عشير بمعنى معاشر ومصاحب كانه قيل عليها تسعة ملائكة كل واحد منهم معاشر جماعة ومدبر امرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم (قوله ولا يستروحون) اى لايميلون ولايلاينون مع المعذبين وفى الصحاح استروح اليه اى استنام وفيه ايضا استنام اليه اى سكن اليه واطمأن روى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابى كبشة ان خزنة النار تسعة عشر يخوفكم بهم وانتم الجمع العظيم وروى وانتم ابهم اى الشجعان الاقوياء أيعجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار فقام ابو الاسود بن اسيد بن كلدة وهو رجل من بنى جمح وكان من شجعان العرب واقويائهم وكان يقوم على اديم ويجتمع جماعة على ان ينزعوه من تحت رجليه ويزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا وينقطع الاديم قطعا قطعا ورجله ثابتة على حالها فقال يامعشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشى بين ايديكم على الصراط فارفع عشرة بمنكبى الايمن وعشرة بمنكبى الايسر عن النار ونمضى حتى ندخل الجنة وروى انه قال انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين منهم فلما قال ابو جهل وابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لاتقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا مثلا فى كل شيئين لاتساوى بينهما والمعنى لاتقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذى يحبس الناس ويمنعهم من الخروج من السجن فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اى لم نجعلهم من جنسكم فتساووهم فان قوة واحد منهم اعظم من قوة الانس والجن جميعا فلا يطيقهم البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفين للمعذبين فيها بحسب الجنس لئلا يرقوا لهم (قوله وما جعلنا عدتهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم) جواب عما يقال ان جعل من نواسخ الابتداء فوجب ان يكون مفعوله الثانى مما يصح ان يحمل على مفعوله الاول ولا يصح ان يحمل فتنة الكفار على عدد الزبانية وتقرير الجواب ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر الا انه وضع قوله فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لكون افتتان الكفار اثر العدد المذكور فعبر عن المؤثر بلفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك المؤثر بين ان الكفار افتتنوا بالعدد المذكور من جهة استقلالهم اياه واستبعادهم ان يكون هذا العدد وافيا بتعذيب اكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم به قائلين لم يكونوا عشرين وكانوا اقل منه بواحد (قوله ولعل المراد الجعل بالقول) جواب عما يقال كيف يصح جعلهم فى نفس الامر على هذا القدر معللا وسببا لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق وليس ايجادهم واحدا انهم تسعة عشر سببا لشئ من ذلك وانما السبب ما ذكر من الامور هو الاخبار عن عددهم بانه تسعة عشر وتقرير الجواب ان الجعل يطلق على معنيين احدهما جعل الشئ متصفا بصفة فى نفس الامر وثانيهما الاخبار باتصافه بها ويقال له الجعل بالقول كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ولعل المراد بالجعل المذكور فى الآية الجعل بالمعنى الثانى والمعنى وما جعلنا عدتهم بالاخبار عنها الا عددا يلزم افتتان الكفار به لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق اياه فحينئذ يظهر وجه السببية وعبر عن الاخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة كقوله قلت اطبخوا لى جبة وقميصا (قوله لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم) فان العدد المذكور لما كان موجودا فى كتابهم وانه عليه الصلاة والسلام اخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم انه عليه الصلاة والسلام انما علم ذلك بسبب الوحى الالهى فيستيقنون بنبوته عليه الصلاة والسلام وبكون القرآن كلاما الهيا (قوله بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له) فعلى الاول يكون المراد بالازدياد الازدياد بحسب الكمية لازدياد متعلقه فان الايمان قد كان يزداد به يوما فيوما فى زمان الوحى بحسب ازدياد ما يجب الايمان به فان من آمن بجميع ما جاء من عند الله

وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لاينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له

قبل نزول مايدل على عدد الزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة عشر آمنوا به ايضا فلاشك انه يزداد ايمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه وعلى الثانى يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم قوة بتصديق اهل الكتاب به وبموافقة كتابهم لكتاب اولئك كما استيقن اولئك لموافقة كتابهم لكتابنا (قوله وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان) جواب عما يقال لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة فى قوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وتقرير الجواب الاول كونه تأكيدا وتقرير الجواب الثانى ان المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن مقدمة من مقدمات دليله اوطريان ما يتوهم كونه واقعا اومعارضا لتلك المقدمة فثبوت اليقين فى بعض الاحوال لا ينافى طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان ان المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل ان يكونا بحيث لا يطرأ عليهما شك وارتياب اصلا (قوله فتكون الآية اخبارا بمكة) جواب عما يقال كيف يصح ان يفسر المرض بالنفاق والحال ان السورة مكية من اوآئل ما نزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها اما مكذب قاطع بالتكذيب اوشاك غير مصدق ولا مكذب واما مؤمن حقا والنفاق انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها وتقرير الجواب ان قوله تعالى وليقول المنافقون والكافرون لا يقتضى تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على انه قد تقرر فى علم الله تعالى انه سيحدث قوم منافقون يقولون ذلك فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق اخباره فان قيل كيف يصح ان يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا اراد الله بهذا مثلا مقصودا من الاخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور كفر وضلال فكيف يصح ان يريده الله تعالى فالجواب انه لا اشكال فيه على اصلنا لانه تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء (قوله المستغرب استغراب المثل) اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهه بالمثل المضروب الذى هو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين اوثلاثين وكان ناقصا عنه بواحد والاستفهام فيه للانكار والمراد بانكاره انكاره من عند الله وقوله مثلا تمييز لهذا اوحال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (قوله وقيل لما استبعدوه) اى لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم ان ليس مراد الله تعالى منه ما اشتهر به ظاهره بل جعله مثلا لشئ آخر وتنبيها على مقصود آخر كسائر الامثال السائرة فسموه مثلا بالمعنى العرفى فان قيل القوم كانوا منكرين كون القرآن من عند الله تعالى فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اجيب بان الذين فى قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافقين فهم كانوا مقرين فى الظاهر بان القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فيجوز ان يقولوا ذلك على سبيل التهكم اوعلى سبيل الفرض والاستدلال بان القرآن لوكان من عند الله لما كان فيه مثل هذا الكلام (قوله مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى) اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى يضل اضلالا مثل ذلك وان ذكره اشارة الى ما تقدم ذكره من الاضلال والهدى فى قوله وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون وفى قوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا اى كاضلال الله اباجهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وتعددهم يضل ويخزى من يشاء ويهدى ويرشد من يشاء كارشاد الصحابة ثم ان اباجهل لما استقل خزنة جهنم وقال ليس لتعذيب العصاة من الجنود الا تسعة عشر قال تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو والمراد من بيان كثرتها التنبيه على انه تعالى لا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له تعالى فى اختيار هذا العدد حكمة لا يعلمها الا هو ويحتمل ان يكون المعنى ومايعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله تعالى لتعذيب اهل النار الا هو وكون خزنة النار تسعة عشر لا ينافى ان يكون لهم من الاعوان مالا يعلم عددهم الا الله (قوله وماسقر اوعدة الخزنة اوالسورة الاذكرى) فان سقر بما ذكر من صفاتها من كونها لا تبقى ولا تذر الخ تذكرة للبشر اى انذار لهم بسوء عاقبة الكفر والعناد وكذا ذكر عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وان لا يحتاج فى تعذيب الكفار والعصاة الى اعوان وانصار وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره (قوله وحفص اذ أدبر) اى بسكون الذال وأدبر على وزن افعل والباقون اذا دبر بفتح الذال والف بعدها ودبر على وزن فعل ودبر وادبر بمعنى ذهب ومضى كاقبل وقبل من اختار اذا قال لان مابعده اذا اسفر وايضا هى فى مصحف عبد الله مكتوبة بألفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر وايضا ليس فى القرآن قسم يعقبه اذ بسكون وانما يعقبه اذا

(ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان اونفى لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك اونفاق فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون فى التكذيب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين (ومايعلم جنود ربك) جموع خلقه على ماهم عليه (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة (وماهى) وماسقر اوعدة الخزنة اوالسورة (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن انكرها اوانكار لأن يتذكروا بها (والقمر والليل اذ أدبر) اى ادبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ أدبر على المضى

(و الصبح اذا أسفر) أضاء (انها لاحدى الكبر) اى لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبرا لحاقالها بفعله تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف (لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) بدل من للبشر اى نذيرا للممكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه اولمن شاء خبر لأن يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين

واختار ابن عباس اذ بالسكون ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلف اهل اللغة فى ان دبر وادبر هل هما بمعنى واحد اولا فقال الفرآء والزجاج انهما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال وكذا الدبور والقبور يقال مضى امس الدابر وامس المدبر وقيل قول العرب دبر فلان معناه جاء من خلف وقولهم ادبر الليل النهار بمعنى خلفه وجاء بعده فعلى هذا معنى اذا ادبر اذا اقبل بعد مضى النهار (**قوله** اى البلايا الكبر كثيرة) تعريف البلايا الكبر للعهد والمعهود دركات جهنم ويجوز ان يكون للجنس ويكون المعنى ان جنس البلايا الكبيرة كثيرة وسقر واحدة منها ومعنى كونها واحدة منها انها من بينهن واحدة فى العظم لانظيرلها كما تقول هو احد الرجال وهى احدى النساء ويؤيد الاول ماروى عن مقاتل والكلبى انهما قالا اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهن (**قوله** وانما جمع كبرى على كبر) يعنى ان فعلى يجمع على فعالى كحبلى وحبالى ولايجمع على فعل بل هو جمع فعلة كحورة كبة وركب فينبغى ان لايجمع كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلا الكبرى منزلة كبرة بتنزيل الف فعلى منزلة تاء فعلة كما جمع قاصعاء على قواصع تنزيلا لها منزلة قاصعة مع ان فاعلاء لايجمع على فواعل اذ هو جمع فاعلة لاجمع فاعلاء وفى الصحاح شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا ألف التأنيث بمنزلة الهاء (**قوله** والجملة) اى جملة قوله انها لاحدى الكبر جواب القسم فان القسم فى قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه كانه قيل بحق هذه الامور سقر لاحدى الكبر فيكون القسم مع جوابه جوابا لمن انكر سقر وكونها احدى الكبر بعد ردعه عن انكاره بقوله كلا فان القسم وان واللام انما يصدر بها الكلام مع المنكر (**قوله** او تعليل لكلا) اى للامر بالارتداع كانه قيل ارتدع عن انكار سقر لانها احدى الكبر وتأكيد الجملة بان واللام لوقوعها جوابا للمنكر لالوقوعها جوابا للقسم وجواب القسم محذوف كانه قيل والقمران الامر كذلك والقسم وجوابه جملة وقعت معترضة بين الامر بالارتداع وعلته وهذا على تقدير كون قوله تعالى كلا ردعا لمن انكر سقر وكونها من احدى الكبر فانه حينئذ يجوز ان يكون قوله انها لاحدى الكبر جوابا او تعليلا كما قررنا واما ان كان قوله كلا انكارا من الله تعالى لان يتذكروا بها فلا وجه حينئذ لان يكون قوله انها لاحدى الكبر تعليلا لكلا بالمعنى المذكور ويتعين كونه جوابا للقسم ويكون تصدير الجملة بالمؤكدات مبنيا على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر (**قوله** تمييز) اى من نسبة احدى الكبر الى اسم ان فيصح ان ينتصب على التمييز كانه قال انها من معظمات الدواهى من جهة كونها نذيرا كما تقول هى احدى النساء زمانا على قوله من يقول النار هى المنذرة وحذفت التاء من نذيرا كما فى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اى شئ قريب اوذات قرب منهم على معنى النسب كقولهم امرأة طالق وطاهر اولتأويل النار بالعذاب (**قوله** او حال مما دلت عليه الجملة) لم يجعله حالا من ضمير انها لان الحروف المشبهة لاتنصب الحال (**قوله** بدل من للبشر) باعادة الجار كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن وقوله تعالى ان يتقدم مفعول شاء والمعنى ان العبد متمكن من السبق الى الخيرات بالايمان والطاعات ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان اى نذيرا لمن شاء التقدم الى الخير والجنة بالطاعة او التأخر عنه بالمعصية فمن اراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن اراد الشر فهو متمكن منه ايضا فليفعل وفيه نوع تهديد كما فى الوجه الثانى فان قلت قد تقرر ان مفعول شاء واراد لايذكر فى الكلام الفصيح الا ان يكون فيه غرابة فاى غرابة فيه حتى ذكره فى هذا الوجه دون الوجه الثانى والجواب ان اختيار التأخر والحرمان عن الخير مع التمكن من التقدم والفوز بالخير امر غريب وان المعنى انها لاحدى الكبر نذيرا للكافرين المتمكنين من فعل الخير مع التمكن من فعل الطاعة والمعصية فعبر عنه بقوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر (**قوله** اولمن شاء خبر لان يتقدم) فلا يكون ان يتقدم مفعول شاء بل يكون فى محل الرفع على الابتداء ولمن شاء خبر قدم عليه ومحصول المعنى انه لاقسر ولا الجاء بل المكلف مختار فى كل ما اتاه او تركه فليفعل ما اراده وفيه نوع تهديد كما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (**قوله** ولو كانت صفة لقيل رهين) لان فعيلا اذا كان بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث فعلم ان التاء فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول اى اسم لما يرهن والتاء التى فيه للدلالة على كونه منقولا من الوصفية الى الاسمية فان الصفة اذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لاتحتاج الى الموصوف ولايذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصح ان يقال كل امرئ رهينة كما يقال

كل نفس رهينة اى محبوسة من قولهم رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته كذا اى تركته ثابتا مقيما عنده والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما اوجبه عليه من التكاليف التى هى خالص حقه فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والا بقى نفسه محبوسة عنده تعالى (قوله وقيل هم الملائكة او الاطفال) فانهم ليسوا بمكلفين بالاعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق الله تعالى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لان النفوس المرهونة هى نفوس المكلفين والملائكة واطفال المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يدخلون فى المستثنى منه الا ان تعم النفس الكل (قوله اومن ضميرهم) عطف على اصحاب اليمين (قوله تعالى يتساءلون) يجوز ان يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون بمعنى يسألون اى يسألون غيرهم عن احوال المجرمين فان تفاعل قد يجئ بمعنى فعل كما يقال تداعينا اى دعونا وعلى التقديرين ليس المجرمون مسئولا عنهم بل هم المسئول منهم فلابد من توجيه مجئ عن فان قوله ماسلككم فى سقر سؤال للمجرمين وقوله يتساءلون عن المجرمين سؤال عنهم فلا يتطابقان وانما يتطابقان لو قيل يسألون المجرمين ماسلككم فى سقر وتوجيه الكلام ان قوله ماسلككم فى سقر مع جوابه حكاية من قبل المسئولين لما جرى بينهم و بين المجرمين من السؤال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما تساءلوا بان سأل بعضهم بعضا او بان سألوا غيرهم عن المجرمين قال المسئولون فى جواب من سألهم قلنا لهم ماسلككم فى سقر فاجابوا بان قالوا لم نك من المصلين الخ الا ان الكلام جئ على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه (قوله تعالى فما تنفعهم) الفاء فيه سببية دخلت على المسبب اى اذا ثبت انهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت انه لو فرض اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لما نفعتهم شفاعتهم ثم انه تعالى لما بين ان من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لا محالة بحيث لا ينفعه شفاعة الشافعين باسرهم تعجب من اصرار كفار مكة على الكفر والعناد واعراضهم عن التذكير بالقرءآن فقال فما لهم عن التذكرة معرضين وكلمة ما فى محل الرفع بالابتدآء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير المجرور فى لهم وعن التذكرة متعلق بمعرضين والعامل فى الحال معنى الاستقرار المدلول عليه باللام الجارة فى لهم وكانهم حمر حال بعد حال والاستفهام فى مالهم للانكار اى اى شئ ثبت لهم معرضين عن وعظه متشابهين حمرا ومستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة فان استنفر ونفر بمعنى كعجب واستعجب وسخر واستسخر واستنفر ابلغ من نفر كأنه يطلب من نفسه النفار وقرئ بفتح الفاء ايضا اى مذعورة منفرة نفرها الصائد كأنه طلب منها النفار (قوله اى اسد) عن ابن عباس رضى الله عنه ان القسورة هو الاسد بلسان الحبشة سمى بالقسورة لانه يغلب السباع ويقهرها والحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب فكذا المشركون اذا سمعوا القرءآن ورأوا من يذكرهم به وقوله تعالى بل يريد اضراب عن اعراضهم الى ما هو اقبح من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزآء (قوله فيه من الله تعالى الى فلان) اى لن نتبعك حتى يصبح عند رأس كل واحد منا كتاب عنوانه هذا كتاب من عند الله رب العالمين الى فلان ابن فلان ان اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليكم ثم اضرب وابطل ان يكون اتباعهم اياه عليه الصلاة والسلام لعدم ايتاء الصحف وبين ان ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال بل لا يخافون الآخرة ثم قال كلا ردعا لهم عن الاعراض عن التذكرة ثم أثبت كونه تذكرة بليغة فقال انه تذكرة (قوله فمن شاء ان يذكره) اى ان يجعله على ذكر منه و يتعظ به ذكره اى جعله نصب عينه لان نفع ذلك راجع اليه وانه ممكن من ذلك قرأ الجمهور وما يذكرون بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ما تقدم فى قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقرأ نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بتشديد الذال والكاف بالتاء والياء ايضا بمعنى تتذكرون وتتذكرون (قوله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى) كما هو مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة المعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه ونحن نقول تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر بلا دليل + تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين

(سورة القيامة اربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد) اى لتأكيد القسم شائع اراد بلا النافية ما هو فى صورة النافية

(الا اصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال (فى جنات) لا يكتنه وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او من ضميرهم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله (ما سلككم فى سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى اتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (فما لهم عن التذكرة معرضين) اى معرضين عن التذكير يعنى القرءآن او ما يعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع لهم عن اعراضهم (انه تذكرة) واى تذكرة (فمن شاء) ان يذكره (ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله) ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو اهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (واهل المغفرة) حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

(سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا اقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم

قال امرؤ القيس

لاوابيك ابنة العامرى * لايدعى القوم انى افر

وقد مر الكلام فيه فى قوله فلااقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولااقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها اوالتى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة اوالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة اوبالجنس لماروى عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولافاجرة الاوتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى ما كنت قصرت اونفس آدم فانها لم تزل تلوم على ماخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب اوالذى نزل فيه وهو عدى بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لوعاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام (ان لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ ان لن تجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على ان نسوى بنانه) نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام اوعلى ان نسوى بنانه التى هى اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اوعن الاستفهام

بشهادة قوله للتأكيد فان ما يكون للتأكيد لا تكون نافية كما ان النافية لا تكون مؤكدة وكلمة ماولا كثيرا ما يكون صلة زائدة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله مامنعك ان لا تسجد وقوله فبما رحمة من الله وقول امرئ القيس

لاوابيك ابنة العامرى * لايدعى القوم انى افر

والمعنى وابيك لايدعى القوم فكذا معنى الآية اقسم بيوم القيامة (قوله ابنة العامرى) منادى حذف منه حرف النداء اى يا ابنة العامرى انا لا افر من الحرب وانا مشهور متميز بذلك حتى لا يدعى ذلك احد ويجوز ان يكون مراده ان كلمة لا فى الآية لنفى ماينافى المقسم عليه ورد من قال بذلك فكأنه قيل ليس الامر كما زعم منكروا البعث ثم استأنف القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ومعنى قوله للتأكيد اى نفى ماينافى المقسم عليه تأكيدا القسم وجواب القسم فى الآية محذوف يدل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اذ هو لا يصلح جوابا لكونه جملة انشائية كانه قيل اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ثم اكد هذا المعنى بالانكار على حسبان انه تعالى لا يقدر على احياء من فى القبور بجمع عظامهم النخرة واجسادهم البالية المتلاشية ويحتمل ان يكون مراده ان كلمة لا ههنا لنفى القسم والمعنى لا اقسم بيوم القيامة على حقية البعث والقيامة لان هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه ويكون المقصود تأكيد المقسم عليه وتفخيم شأنه وبيان استغنائه عن الاقسام عليه (قوله اوبالجنس) يعنى ان قوله تعالى اللوامة اما صفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتى تلوم المقصرين فى التقوى واما مؤكدة بناء على تعريف الجنس وان كان للعهد والمعهود النفس المتقية الا انها تلوم نفسها ابدا ثم ذكر احتمال ان يكون المعهود النفس المطمئنة اى المستقرة الثابتة على الحق المتقية بحيث لا تلتفت عنه الى ماسواه فان القوة العاقلة اذا اخذت فى سلسلة الاسباب والمسببات وانتهت فى مدارج الارتقاء الى واجب الوجود لذاته الذى هو مستغن عن جميع ماسواه فى ذاته وصفاته وافعاله وان جميع ماسواه يحتاج اليه فى جميع شؤونه فلا جرم تقف عنده وتطمئن اليه ولا تنتقل عنه الى غيره فتثبت فى مقام العبودية فلا يزعجها عنه شئ من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية فهذه النفس المعهودة لوامة للنفس الامارة والمطمئنة الى الحق المستغرقة فى بحار معرفته وملاحظة جلاله وجماله اخص من المتقية عما يؤثم ثم ذكر احتمال ان يكون تعريف النفس للاستغراق وتكون اللوامة صفة مؤكدة (قوله وضمها الى يوم القيامة) جواب عما يقال ما المناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما فى القسم وتقرير الجواب انه تعالى اقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين اى لامره وحكمه بذلك اظهارا لعظمته فانه امر عظيم الشان تظهر فيه الاشياء بحقائقها فصح لذلك ان يجعل مقسما به وجعلت النفس اللوامة ايضا مقسما بها لما بينهما من المناسبة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيامة مجازاة النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منها وهو من بدائع القسم من حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض كما مر فى سورة الزخرف (قوله او يجمع الله) بفتح الواو العاطفة بعد همزة الاستفهام اى أيبعث ويجمع وان فى قوله تعالى ان لن نجمع عظامه مخففة من الثقيلة اى ايحسب الانسان انه لن نجمع عظامه وبلى ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو الجمع كانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر بعد بلى اى بلى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول والسلاميات عظام الاصابع واحدتها سلامى والبنانة واحدة البنان وهى اطراف الاصابع ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار اقدر او ومن قدر على جمع الحواشى والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر (قوله فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا) يعنى على تقدير ان يكون قوله بل يريد معطوفا على ايحسب يجوز امران الاول ان يكون المعطوف استفهاما انكاريا كالمعطوف عليه وتقدير الكلام بل ايريد استفهم عن شئ اولا ثم اضرب عن الاستفهام عنه الى الاستفهام عن امر آخر كانه قيل منشأ انكار البعث هل هو حسبان عجزنا عن البعث وجمع الاجزاء اوارادة ان يدوم على ما اعتاده من المعاصى وانواع الفجور امامه اى فيما يستقبله من الزمان وهو قول المصنف لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اى مع بقاء اصل الاستفهام على حاله

والامر الثانى ان يكون المعطوف ايجابا استفهم اولا على سبيل الانكار على حسبانه ثم اضرب عن اصل الاستفهام الى الاخبار عن حاله بما هو ادخل فى اللوم عليه من الاول كانه قيل دع الانكار على حسبانه امر اباطلا فى حقنا فان فيه ما هو اقبح من ذلك وهو انه يحب اللذات العاجلة والحياة الفانية وانهماكه فى قضاء شهواته النفسانية يصرفه عن النظر فى الدلائل المؤدية الى تعيين الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ فان انكار البعث قد ينشأ من الشبهة وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الهوى فالله تعالى اشار الى الاول بقوله أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اى ان لن نقدر على جمع ما تفرق من اجزائه غربا وشرقا بتفريق الرياح واكل السباع اياها وما اختلط من اجزاء كل شخص باجزاء غيره حتى يبعث كل احد بعينه بجميع اجزائه ويحاسب ويجازى بما عمل فى الدنيا ثم انه تعالى رد هذه الشبهة بقوله بلى قادرين اى نجمع عظامه ونركبها كما كانت بناء على انه تعالى عالم بالجزئيات باسرها فيكون عالما باجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وقادر على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ثانيا واشار الى المنشأ الثانى لانكار البعث بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه يعنى ان الانسان الذى هو عبد بطنه وفرجه واسير ماله وجاهه فان فكرة البعث تكدر عليه انهماكه فى استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضى حبس نفسه الامارة بالسوء عن اطلاقها فى قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد امر البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى طبعه فينكره لذلك فلا ينتهى عن المعاصى ولا يخطر بباله ان يتوب عنها وان خطر يقول سوف اتوب حتى يأتيه الموت وهو على شر احواله واسوأ افعاله وقوله تعالى امامه ظرف ليفجر والفجور التكذيب وما يتفرع عليه ومفعول يريد محذوف والمعنى بل يريد الانسان الثبات على ما هو عليه من عدم التقييد بقيود الايمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقى من عمره وفسر قوله تعالى ليفجر بقوله ليدوم على فجوره لانه فى هذه الحالة ملتبس بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز فى حقه تعالى وارادة الفجور كانه قيل ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا على طريق الاستهزاء والسخرية ايان يوم القيامة فيوم القيامة مبتدأ وايان خبره ثم انه تعالى ذكر من علامات القيامة ههنا امورا ثلاثة اولها قوله فاذا برق البصر وثانيها قوله وخسف القمر وثالثها قوله وجمع الشمس والقمر وقرأ نافع برق بفتح الراء من باب نصر والباقون بكسرها فقيل هما لغتان فى التحير والدهشة وقيل برق بالكسر بمعنى تحير فزعا فتراه لا يطرف وبرق بالفتح من البرق اى لمع وتلألأ من شدة شخوصه اى ارتفاعه يقال شخص شخوصا اى ارتفع (قوله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره) يعنى ان الاصل فيه ان الرجل اذا اكثر من النظر الى لمعان البرق فدهش بصره لذلك وتحير يقال برق الرجل ثم يستعمل ذلك فى كل حيرة سواء نشأت من النظر الى البرق ام لا كما يقال قمر الرجل يقمر قمرا اذا تحير بصره من كثرة النظر الى القمر ثم استعير فى كل حيرة عرضت له من كثرة النظر من كل ما يفرق البصر كالثلج ونحوه ثم اختلفوا فى ان هذه الحالة التى هى برق البصر متى تكون وتحصل فقيل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم والقولان الاخيران ظاهر ان لارتباط السؤال عن يوم القيامة بقولهم ايان اى متى يوم القيامة كانه قيل يوم القيامة اذا تحير البصر واما اذا اريد به الحالة الحادثة عند الموت فحينئذ لا بد من بيان وجه ارتباط الآية بالسؤال عن يوم القيامة لانه لما سئل بان يقال ايان يوم القيامة كان المناسب ان يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لا يطابقه ظاهرا ولعل وجه الارتباط حينئذ ان من قال ايان يوم القيامة انما يقوله على سبيل الاستهزاء والسخرية فقيل فى جوابه ان من استهزأ اذا قرب موته وبرق بصره يتيقن حينئذ ان ما كان عليه من الانكار والاستهزاء خطأ عظيم مستوجب للعذاب الاليم الدائم فيقول حينئذ اين المفر (قوله ولا ينافيه الخسوف) ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما فى الطلوع من المغرب ان يقال الجمع بينهما بهذا الطريق ينافى خسوف القمر لان خسوفه يقتضى المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الارض بينهما فلا يتأتى للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود عديم النور الذى هو معنى خسوف القمر ولما كان اجتماعهما فى الطلوع من المغرب منافيا للمقابلة بينهما كان منافيا لخسوفه ايضا لان ما ينافى الملزوم ينافى اللازم ايضا * اجاب عنه بانه ليس المراد بالخسوف الا المحاق وذهاب النور مطلقا سواء كان ذهابه بحيلولة الارض بينهما او بغير ذلك فان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر باى طريق شاء وقرأ العامة وخسف القمر على بناء الفاعل وقرئ وخسف على بناء المفعول لان خسف

(ليفجر امامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل ايان يوم القيامة) متى يكون استبعادا واستهزاء (فاذا برق البصر) تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح (وخسف القمر) وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق

يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف يكون بمعنى غيبة الشئ وذهابه بنفسه ومنه
قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض (قوله ولمن حمل ذلك على امارات الموت) الاشارة بذلك الى برق البصر
فمن حمله على ما يلحق البصر عند البعث اوعند رؤية جهنم تيسر له ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله ووجه عطف
قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر بالواو الجامعة على قوله فاذا برق البصر كون كل واحد منهما مما يتحقق يوم
البعث والجزاء واما من حمل برق البصر على ما هو من امارات الموت فيعسر عليه ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله
وملاحظة وجه العطف بالواو الجامعة لان ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس في ذلك لا يكون في زمان البروق
الذي هو من امارات الموت فلا يصح عطفهما عليه بالواو الجامعة وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك ولا بد
ان يفسر خسف القمر والجمع بينهما بما يكون من امارات الموت ايضا بان يجعل القمر استعارة لحاسة البصر تشبيها لها
بالقمر في ان نورها مستفاد من الروح بواسطة تصرفه واستخدامه قواه الطبيعية السبع التي هي الجاذبة والماسكة
والهاضمة ونحوها فيما هيئت كل واحدة منها له وبان تجعل الشمس استعارة للروح تشبيها الروح بالشمس في ان كمالات
عالم الارض تحتاج الى تأثير الشمس وحركاتها ويفسر قوله خسف القمر بان يقال ذهب ضوء البصر عند الموت وقوله
وجمع الشمس والقمر بان يقال اجتمعا في حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين وان ذهاب ضوء القمر بمعنى
بطلانه واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم المجردات (قوله او بوصوله)
اشارة الى تفسير آخر للجمع بان تجعل الشمس مستعارة للارواح العالية والعقول المجردة التي يستفاد منها انوار
العقول الانسانية وادراكاتها وان يجعل القمر مستعار الروح الانساني فحينئذ يكون جمعهما عبارة عن وصول
الروح الانساني الى الارواح العالية (قوله وتذكير الفعل) حيث لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اى لكونه
مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وهي الشمس وفي مثله يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع ان فعل الجمع لم يسند
الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة الواو العاطفة والقمر مذكر فغلب جانب التذكير على التأنيث
وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلا على التذكير فانك اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا انه يصلح مؤيدا
للوجه الاول فكأنه قيل ذكر الفعل لاسناده الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي مع انه قد عطف عليه مذكر فغلب على
المؤنث الغير الحقيقي (قوله تعالى يقول الانسان) جواب اذا في قوله فاذا برق واذا ظرف معمول له واين المفر
منصوب المحل بالقول اى يقول هذا الانسان المنكر للقيامة اذا عاين هذه الاحوال وايقن سوء عاقبة انكاره اين
الفرار من حيث انه لا يرى شيئا من امارات تمكنه من الفرار والمفر بفتح الميم وكسر الفاء اسم للمكان المفر اليه
(قوله مستعار من الجبل) فان الوزر في الاصل الجبل المنيع ثم اطلق لكل ما يلجأ اليه ويتحصن به تشبيها له
بالجبل المنيع والمعنى لا شئ يعتصم به من امر الله وخبر لا محذوف اى لا ملجأ ثمة اوفي الوجود (قوله اليه وحده
استقرار العباد) على ان تقديم قوله الى ربك يفيد الاختصاص واللام في المستقر عوض عن المضاف اليه وانه بمعنى
الاستقرار والمراد اما استقرار نفس العباد اى لا يقدرون ان يستقروا الى غيره تعالى ولا يتوجهون الا اليه واما
استقرار امورهم على معنى لا ترجع امور العباد الا الى حكمه لا يحكم فيها غيره ويجوز ان يكون المستقر بمعنى
مكان الاستقرار فيكون المعنى موضع قرار العباد من الجنة والنار يومئذ مفوض الى مشيئة ربك وحده من
شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقر مرفوع على الابتداء والى ربك خبره ويومئذ ظرف معمول
لما تعلق به الى ربك ولا يجوز ان يكون معمولا للمستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم عليه معموله
وان كان اسم مكان فلا يعمل اصلا وكذا الكلام في نحو قوله الى ربك يومئذ المساق (قوله اى بما قدم من عمل
عمله او بما اخر من سنة حسنة اوسيئة عمل بها بعده) فما قدمه هو ما عمله بنفسه من الاعمال خيرا كان اوشرا ولم
تتعد نسبته الى من بعده وما اخره سواء عمله هو بنفسه من ذلك اوابقاه سنة حسنة اوسيئة لمن بعده وعلى الاول
ماقدمه وآخره ماعمله من عمل طاعة كان اومعصية ومالم يعمله من طاعة وعلى الثالث ما قدم وأنفق من امواله
ايام حياته وما خلفه للورثة وعلى الرابع ما عمله في حياته مقدما ومؤخرا اى اول عمله وآخره ثم انه تعالى لما قال
ينبأ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج الى ان يخبر بذلك بناء على ان نفسه شاهدة عليه تخبر بجميع ما فعله من
الافعال وتشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قيل
هذا في حق الكفار فانهم ينكرون ما عملوه فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم (قوله حجة بينة على اعمالها)

ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف
بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في
الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل
من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب
المعطوف (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اى الفرار
يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر
وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر)
لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل
(الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد
اوالى حكمه استقرار امرهم اوالى مشيئته موضع
قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار (ينبأ الانسان
يومئذ بما قدم واخر) بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه
لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة
او سيئة عمل بها بعده او بما قدمه من مال تصدق به
وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره (بل الانسان
على نفسه بصيرة) حجة بينة على اعمالها

اشارة الى ان الانسان مبتدأ و بصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة اى على اعمال نفسه وان تأنيث البصيرة مع كونها خبرا عن الانسان وهومذكر مبنى على انهاصفة موصوف محذوف اى الانسان حجة بصيرة اومثل بصيرة على التشبيه البليغ شبه الانسان بالحجة من حيث كونه شاهدا بالاعمال على نفسه لان جوارحه تنطق بها فيكون شاهدا على نفسه بشهادة جوارحه كما ان الحجة شاهدة للدعوى فالانسان لماشابه الحجة من حيث كون كل واحد منهما شاهدا قيل انه حجة بينة على اعماله على التشبيه البليغ فقوله لانه شاهد بها اى شاهد بالاعمال على نفسه علة لحمل المشبه به على المشبه واشارة الى وجه الشبه (قوله وصفها بالبصارة على المجاز) اراد بالمجاز المجاز العقلى كانه قيل سلمنا ان تقدير الكلام بل الانسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ فامعنى توصيف الحجة بكونها بصيرة والبصير انماهو صاحبها اجاب عنه بانه من قبيل الاسناد المجازى وصف الحجة بوصف صاحبها للدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتدآء بها فان الهادى الى الطريق اذا كان بصيرا غير اعمى سهل عليه امر الدلالة وسهل على غيره الاهتدآء به فوصف الحجة بكونها بصيرة للاشارة الى كونها سهلة الدلالة وسهلة الاهتدآء بها فالمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة يدل حجة بصيرة وان جعل تقدير الكلام بل الانسان على نفسه عين بصيرة بها يكون الانسان مبتدأ و بصيرة مبتدأ ثانيا وعلى نفسه خبر الثانى والجملة خبر الاول كقولك زيد على رأسه عمامة والعائد من الجملة الى المبتدأ الاول ضمير نفسه والمراد بالبصيرة على هذا هو الملك الموكل او الجوارح فان الحافظ و الرقيب يطلق عليه العين البصيرة وجواب لو فى قوله تعالى ولو ألقى معاذيره محذوف اى لم يقبل منه المعذرة ولوجاء بكل مايعتذر به فان العذر لارواج له يومئذ لانه يوم تبلى السرآئر وتظهر حقائق الاشياء كما هى (قوله وذلك اولى) اى كون المعاذير جمع معذار اولى من كونه جمع معذرة لان بناء الجمع حينئذ يكون على وفق القياس كمفتاح ومفاتيح ومثقال ومثاقيل بخلاف مااذا كان جمع معذرة فانه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد ولايجمع على معاذير الا على وجه الشذوذ كمنكر ومناكير (قوله وفيه نظر) اى فى كون هذا الوجه اولى لعل وجه النظر ان كون البناء على وفق القياس انمايكون وجها لاولوية كون معاذير جمع معذار ان لوكان معذار بمعنى العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس كذلك وكونه جمع معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء مغيرا عن مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان متعارضان متساويان لااولوية لاحدهما على الآخر والى كل واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فان منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف القياس وقالوا المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع لغير الملفوظ به بل لمقدر فقال ان نحو مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع (قوله قبل ان يتم وحيه) اخذه من قوله تعالى فى سورة اخرى ولاتعجل بالقرءآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما روى انه عليه الصلاة والسلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان عليه السلام اذا نزل عليه الوحى يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لاتحرك به لسانك اى بالقرآن وجاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر (قوله تعالى لتعجل به) اى باخذه دلت الآية على انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ مع قرآءة جبريل عليه السلام وكان يسأله فى اثناء قرآءته عن مشكلات معانيه لغاية حرصه على العلم فنهى عن الاول بقوله لاتحرك به لسانك الى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرءآنه وعن الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه كما ضمن له الحفظ واثبات قرآءته فى لسانه عليه الصلاة والسلام بحيث يقرأه متى شاء على ان القرءآن مصدر بمعنى القرآءة مضاف الى مفعوله وان ثمة مضافا مقدرا (قوله بلسان جبريل) اشارة الى ان قوله قرأناه من قبيل اسناد فعل المأمور الى الآمر والمعنى اذا قرأه جبريل عليك بامرنا و فرغ من قرآءته فاقرأه حينئذ و كرر كيلا يتفلت منك وكن تابعا له فى القرآءة ولاتقرأ معه (قوله وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب) وجه الدلالة انه تعالى ذكر البيان بكلمة ثم وهى للتراخى وانما قال عن وقت الخطاب لانه لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق والاعتراض عليه بماروى من ان قوله تعالى فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزل ولم ينزل معه قوله من الفجر فكان بعض الصحابة اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض

لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز اوعلى عين بصيرة بها فلايحتاج الى الانباء (ولو ألقى معاذيره) ولوجاء بكل مايمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر اوجمع معذرة على غير القياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر (لاتحرك) يامحمد (به) بالقرءآن (لسانك) قبل ان يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجل مخافة ان يتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرءآنه) واثبات قرآءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرءآنه) قرآءته وكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان مااشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب

واسود وكان يأكل و يشرب حتى يتبين له احدهما من الآخر فقد تأخر البيان عن وقت حاجتهم الى الصوم مدفوع
بان مافعله الصحابة كان فى صوم التطوع ووقت الحاجة انماهو وقت الفرض من الصوم كذا فى التلويح ويجوز
تأخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سوآء كان البيان تفصيليا اواجماليا بان يقترن باللفظ مايشعر بانه ليس المراد
من اللفظ مايقتضيه ظاهره بل ان يقترن بما يشعر ان المراد بهذه النكرة فرد متعين وبهذا العام خاص
و بهذا المطلق مقيد و بهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك (قوله وهواعتراض بمايؤكد التوبيخ على حب
العجلة) يعنى ان قوله تعالى لاتحرك به لسانك اعتراض وقع بين قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه و بين قوله
تعالى بل تحبون العاجلة قال الامام زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القرآن قد غير و بدل وزيد فيه ونقص
واحتجوا عليه بانه لامناسبة بين هذه الآية وما قبلها والجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان الاستعجال
المنهى عنه انما اتفق للرسول صلى الله عليه وسلم عند انزال هذه الآيات عليه فلاجرم نهى عن ذلك الاستعجال
فى هذا الوقت فقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقى على تلميذه شيئا فاخذ التلميذ
يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس فى اثناء ذلك الدرس لاتلتفت يمينا ولاشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل
ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام فى اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة فى اثناء ذلك الدرس
غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب وثانيهما انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون العاجلة
حيث قال بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل فى امور الدين فقال لاتحرك به
لسانك لتعجل به وقال فى آخر الآية كلا بل تحبون العاجلة فان كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب
العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما و بين به ان العجلة مذمومة حتى فى امر الدين تأكيدا لما تضمناه من التوبيخ
على حب العاجلة وتضمن الكلام الاخير اياه ظاهر واما تضمن الاول له فلما مر من ان المعنى ان انكار الكفرة
للبعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لان شدة حرصهم على قضاء
الشهوات العاجلة صرفتهم عن النظر فى ذلك الدليل فانكروا البعث لذلك فظهر به ان مؤداه التوبيخ على الاهتمام
بعاجل الامر مع فنائه و تأديته الى خسران الابد كانه قيل لاتقتف آثارهم بان تهتم بعاجل الحال وتستعجل
فى اخذ القرآن خوفا من فوات حفظه وقرآءته متى شئت (قوله وقيل الخطاب الخ) اى وقيل فى وجه
ارتباطه بماقبله ان الخطاب فى قوله تعالى لاتحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوهم عدم
مناسبته بموقعه بل هو خطاب مع الانسان المذكور فى قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بماقدم وأخر كانه اذا
عرض عليه كتابه وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ فى القرآءة يتلجلج لسانه من شدة
الخوف ومن سرعة القرآءة فيقال له فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار بانك قد فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيان
مراده وشرح مراتب خيراته فالله تعالى يقدر على بيان جميع اعمال الكافر على سبيل التفصيل وهذا الوجه ذكره
القفال ثم قال فهذا وجه حسن ليس فى العقل مايدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وقوله تعالى بل تحبون
العاجلة اضراب عن الردع المدلول عليه بكلا للدلالة على ان الاستعجال لكونه بمنزلة الامر الطبيعى الذى جبل
عليه الانسان ليس ممايستحق الانسان بسببه كثرة لوم وتوبيخ الا ان اللائق للانسان ان يجاهد نفسه ولايخلى بينهما
و بين ماجبلت هى عليه ولذلك عمم الخطاب لكل من يصلح ان يخاطب بعد تخصيص المخاطب دون غيره (قوله
وان كان الخطاب للانسان) اى بطريق الالتفات عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب فعلى هذا
لايكون الكلام محمولا على تعميم الخطاب فانه اذا حمل على تعميم الخطاب لايكون فيه التفات بل يكون من قبيل
تغليب المخاطب على غيره (قوله ويؤيده القرآءة بالياء فيهما) وجه التأييد ان الفعل فى هذه القرآءة يتعين كونه
مسندا الى ضمير الانسان المذكور قبل ذلك فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا
بطريق الالتفات ثم انه تعالى لما وبخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر
العامل للعاجلة يوم القيامة فقال وجوه يومئذ ذكر الوجوه واراد بها اربابها فان الوجه ممايعبر به عن الكل كذا قيل
الا انه لامانع من ان يراد بالوجه معناه الحقيقى فلاوجه للعدول عنه مع انعدام ما يصرفه عن ارادته ثم قيل قوله
وجوه مبتدأ وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهية
اى الحسنة المتلألئة من كثرة النعم بنعيم الجنة يومئذ اى يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة

وهواعتراض بمايؤكد التوبيخ على حب العجلة لان
العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور واصل
الدين فكيف بها فى غيره او بذكر مااتفق فى اثناء نزول
هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور
والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرآءته
خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا
بمقتضى الوعد جمع مافيه من اعمالك وقرآءته
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار اوالتأمل فيه ثم ان
علينا بيان امره بالجزاء عليه (كلا) ردع للرسول
صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة اوللانسان عن
الاغترار بالعاجل وقوله (بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة) تعميم للخطاب اشعار بان بنى ادم مطبوعون
على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به
الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قرآءة ابن كثير
وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ
ناضرة) بهية متهللة

وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الناعم والنضرة الحسن من كل شئ والبهاء الحسن يقال بهى الرجل و بهو ايضا فهو بهى وقيل وجوه مبتدأ وناضرة خبره و يومئذ منصوب بالخبر وسوغ الابتداء بالنكرة لكون تنكير النوعية نازلا منزلة الوصف فى نحو ولعبد مؤمن وقوله الى ربها ناظرة خبر بعد خبر (قوله تراه مستغرقة فى مطالعة جماله) مستفاد من تقديم قوله الى ربها (قوله وليس هذا فى كل الاحوال) جواب عما يقال كيف تكون مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع ان اهل السعادة ينظرون فى الموقف وفى الجنة الى امور لاتحصى وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال والاولى ان يقال التقديم لايتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام ورعاية الفاصلة ولوسلم فالمعنى ان النظر الى غيره من حيث النظر اليه لايعد نظرا كما فى قوله زيد الجواد (قوله وقيل منتظرة) اذ من المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما فى قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون اى فمنتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله ماينظرون الاصيحة واحدة وقوله انعامه اشارة الى ان من فسره بالانتظار جعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى المنعم مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة (قوله ورد) اى ورد هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لايسند الى الوجه فان قيل نعم انه لايسند الى الوجه بمعنى العضو لا ان القائل به يجوز ان يفسره بالذات وجملة الشخص ولايخفى انه يصح اسناد الانتظار الى الكل اجاب عنه المصنف بقوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والوجه الثانى من وجهى الرد ان النظر بمعنى الانتظار لايعدى بالى بل يعدى بنفسه فيقال نظرته ولايخفى ان هذا الوجه من الرد انما يتوجه على تقدير ان تكون كلمة الى حرف جر واما اذا كانت اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه بقوله منتظرة انعامه فلا يتوجه (قوله وقول الشاعر) جواب عما يقال لانسلم ان النظر بمعنى الانتظار وقد عدى بالى وتقرير الجواب ان النظر فيه ليس بمعنى الانتظار لانه لايستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع ومن فى قوله من ملك تجريدية كما فى قولك رأيت من زيد اسدا بمعنى انه اسد (قوله والبحر دونك) اى اقل منك فى الجود والمعنى ان رجوت عطاءك وتوقعت معروفك وانت ملك والحال ان البحر دونك فى الجود زدتنى نعما اى تعطينى فوق ما ارجوه والظاهر ان كون النظر بمعنى السؤال مبنى على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لايوجب الانعام ظاهرا الا انه مقدمة طلب المعروف وهو الذى يوجب ملوكيته من مقدماته و يعضد ذلك انه ينزل منزلته و يعبر به عنه كما تنزل زيارة الاغنياء من الفقراء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فسر النظر بنظر العين والرؤية فمن فسره بالانتظار فقد اتبع هواه و روى عنه عليه الصلاة والسلام ايضا انه نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لاتضامون فى رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لاتشبيه المرئى بالمرئى والاحاديث فى هذا الباب كثيرة (قوله شديدة العبوس) كون البسر ابلغ من العبوس لاينافى ماسبق ان بسر اتباع لعبس والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سودها الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار فأيست من رحمة الله تعالى وايقنت ان العذاب نازل بها وهى تظن ان يفعل بها فاقرة وهى الداهية العظيمة سميت فاقرة لانها تكسر عظام الظهر اى فقاره يقال فقرت الرجل اذا ضربت فقار ظهره كما يقال رأسته و بطنته اذا ضربت رأسه و بطنه والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمى الفقير لانه فعيل بمعنى مفعول فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله مفقورا وتظن مرفوع المحل على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر وباسرة على الاول صفة وجوه و يومئذ منصوب بها ذهب جمهور المفسرين الى ان الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على ان اليوم الذى تفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذى الجلال والاكرام تتيقن فيه الاشقياء مايفعل بهم من الدواهى الفاقرة اذ يتبدل فيه المظنون بالعيان وتنكشف فيه الامور بحقائقها الا ان القياس النحوى يقتضى ان يكون الظن هنا على معناه لابمعنى العلم واليقين لانه قد وقع بعده ان الناصبة وهى لاتقع بعد العلم وانما تقع بعده ان المشددة وذلك ان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد وان المشددة تفيد التأكيد وان الناصبة لاتفيده فلذلك

(الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لايعدى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما
بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء (ووجوه يومئذ باسرة) شديد العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه

وجب ان تقترن المشددة بما يفيد التحقيق والمخففة الناصبة بما يدل على الشك والتردد فيقال علمت انك قائم وظننت ان تخرج واطمع ان يغفر لى ربى ولوقلت علمت ان يخرج زيد واظن ان زيدا يخرج كان قلبا للعادة المتعارفة من حيث انه اقترن ماهو علم التأكيد بما لاتقرير فيه وماهو عار من التأكيد بما فيه تقرير فاذا قيل ارجو انك تعطينى فذ لك لاجل الدلالة على قوة الرجاء واذاقلت اخشى انه يفعل فهو لقوة الخشية وتقررها فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال تتوقع اربابها اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم واليقين كما ذهب اليه الجمهور والمعنى ان ارباب الوجوه الباسرة مع ماهم فيه وهم يقاسون شدة اشد الدواهى وافظعها يظنون ويتوقعون بعده ماهو اشد منه واهول لانهم حينئذ تيقنوا بعظم جرمهم وبكمال سخط الملك الجبار عليهم وتيقنوا ايضا بانه كما لانهاية للطفه ورحمته لانهاية ايضا لقهره وأليم عذابه فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهى ظنوا ان يفعل بهم ماهو اشد منها وهكذا ابدا فكما ان ارباب الوجوه الناضرة فى غاية الرحمة والنعمة وهو الاستغراق فى مشاهدة جمال ربهم الكريم فكذلك ارباب الوجوه الباسرة فى غاية النقمة والعناء وهو ان يتوقعوا فى كل لحظة ان يفعل بهم ماهو اشد مماهم فيه وافظع (قوله ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة) كانه قيل لما عرفتكم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء فى الآخرة وعلمتم انه لا نسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتهيؤا لما بين ايديكم من الموت الذى تنقطعون به عن العاجلة وتنتقلون به الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين والتراقى جمع ترقوة وهى عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق والعاتق موضع الرداء من المنكب وبلوغ النفس التراقى كناية عن الاشراف على الموت والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذابلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله تعالى اى الى موضع امر الله تعالى ان ترفع اليه فترفع اليه كما فى قوله تعالى انى ذاهب الى ربى معناه انى ذاهب الى حيث امرنى ربى (قوله تعالى وقيل من راق) معطوف على بلغت اى وقال من حضر المحتضر عند موته من الاحبة والاقارب هل من طبيب يرقى ويشفى برقيته فلا يلقون له اطباء يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيئا والرقية هى التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعلها من باب ضرب والاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كان الذين كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار بان يغلب عليهم اليأس من صحته فيقولون من الذين يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت (قوله ايكم يرقى بروحه) اى يصعد على انه من الرقى وفعله من باب علم يقال رقيت السلم ارقاه رقيا ورقيا اذا صعدت واسترقيته فرقانى يرقينى رقية اى داوانى بها عن ابن عباس قال ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر وقيل يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء أمن ملائكة الرحمة ام من ملائكة العذاب (قوله وظن المحتضر) وذلك حين عاين ملائكة الموت قال المفسرون المراد ان المحتضر ايقن انه فارق الدنيا وعبر عن المعرفة التى حصلت له حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه ببدنه متعلقة فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه التى ابى الله ان تسوى جناح بعوضة وهى الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة ويحتمل ان يكون وجه التعبير به التهكم (قوله اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة) على ان يكون التفاف الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة والصعوبة فان الساق كثيرا ما يكنى به عن الشدة ويجعل مثلا فيه كما فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وقولهم كشفت الحرب عن ساقها اى اشتدت ووجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر (قوله سوقه الى الله وحكمه) يعنى ان المساق مصدر ميمى بمعنى السوق وان الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه وان قوله الى ربك تقديره الى حكم ربك والمعنى ان هؤلاء فى ذلك اليوم مفوض امرهم الى حكمه يساقون الى حيث امر الله ان يساقوا فالسائق هو الله تعالى يسوق كل احد الى حيث شاء ويجوز ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب تعالى (قوله والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان) اى فى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ويدل عليه قوله فيما بعد أيحسب الانسان ان يترك سدى فكأنه قيل لم يؤمن بالبعث ولاصدق بالرسول والقرآن ولاصلى وقيل فلاصدق ماله اى فلازكاه على ان فعل بمعنى تفعل ويأباه قوله ولكن كذب وتولى وجعله

(تنس) تتوقع اربابها (ان يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضر واصاحبها من يرقيه مما به من الرقية اوقال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة اوملائكة العذاب من الرقى (وظن انه الفراق) وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلاصدق) ما يجب تصديقه اوفلاصدق ماله اى فلازكاه (ولاصلى) مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة

(صاحب)

صا حب الكشاف معطوفا على قوله يسأل ايان يوم القيامة وهو حال من الانسان اى ايحسب كذا بل أيريد كذا فى حال كونه منكرا للبعث فلا صدق ولا صلى شرح الله تعالى كيفية اعماله المتفرعة على انكار البعث مما يتعلق باصول الدين و بفروعه أما ما يتعلق بفروع الدين فهو ما صلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنياه فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر ويختال فى نفسه فدلت الآية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان (قوله من المط) وهو المد يقال مطه يمطه اى مده وتمطط اى تمدد وابدلت الطاء الاخيرة من يتمطط الفا لكراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى وان كان من المطا مقصورا وهو الظهر كانت الفه مبدلة من الواو يقال للمتبختر يتمطى لانه يلوى مطاه ويحركه فى تبختره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب (قوله ويل لك) يريد ان اولى لك كلمة مستعملة فى موضع ويل لك اقرب معناه من معناه وانه مشتق من الولى بمعنى القرب واصله اولاك الله ما تكرهه على ان اولى فعل مثل اكرم من وليه يليه اى قربه نقل الى باب افعل فعدى به الى مفعولين الاول الكاف والثانى محذوف وهو ما تكرهه واللام زآئدة فى المفعول كما فى ردف لكم وهو تهديد من الله تعالى لابى جهل قال له النبى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ان لم تؤمن فقال ابو جهل باى شئ تهددنى لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وانى لأعز اهل هذا الوادى فانزل الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد به الدعاء بالشدة اربع مرات بل مرة بعد مرة كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين (قوله او اولى لك الهلاك) اى ويجوز ان يكون اولى اسم تفضيل بمعنى احق واحرى ويكون خبر مبتدأ محذوف اى الهلاك اولى لك من كل شئ وقيل انه افعل من الويل بعد القلب اصله اويل فقدم اللام على الياء فصار اولى كما فى شاكى وهارى اصلهما شائك وهائر والمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤول لانه بعد القلب صار علما للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن ومعناه المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولاك اى مرجعك وعقباك الهلاك والنار وكرر اولى للتأكيد وحذف لك من الثانى لدلالة الاول عليه ثم انه تعالى بعد ما انكر على عدى بن ربيعة واضرابه من منكرى البعث بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه كرر الانكار عليه فقال أيحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة ولا يثاب ولا يعاقب عليه وتكرير الانكار بحسبانه يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن ايضا الاستدلال على صحة البعث وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الافعال وذلك لا يليق بحكمته فاذا لابد من التكليف فى الدنيا ولا يليق بالحكيم الكريم الرحيم ان يكلف ثم يسوى بين المطيع والعاصى ولا يميز بينهما بالثواب والعقاب والمجازاة لا تتأتى فى الدنيا فلابد من البعث والقيامة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابدآء على الاعادة فقال ألم يك نطفة اى ألم يكن هذا الانسان نطفة فى صلب ابيه يمنى بمعنى انه يصب فى الرحم ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة وهى الماء القليل يقال نطف الماء اى قطر نبه الله تعالى بهذا على خسة قدر الانسان اولا وعلى كمال قدرة نفسه حيث صير مثل هذا الشئ الدنئ بشرا سويا (قوله فعدله) اى جعل كل عضو من اعضاء الزوج معادلا لزوجه وجعل كل واحد من ذوات اعضائه واوضاعها وهيئاتها معادلا لما تقتضيه الحكمة

(سورة الانسان مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله استفهام تقرير وتقريب) يعنى ان هل لا تستعمل الا فى الاستفهام لا بمعنى انها بنفسها علم الاستفهام بل لابد من ملاحظة اداة الاستفهام قبلها اما ملفوظة كما فى البيت او مقدرة كما فى الآية قال صاحب الكشاف فى المفصل ناقلا عن سيبويه ان هل فى قولهم أهل بمعنى قد الا انهم تركوا الالف قبلها لانها لا تقع الا فى الاستفهام يعنى انها مختصة بالاستفهام ولا تستعمل الا فى موضع الاستفهام فكأنها بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام (قوله ولذلك) اى ولكون هل موضوعة لتقريب ما مضى وقوعه من الحال فسرت بقد كما ذكر فى المفصل ولما كانت كلمة هل مختصة بالاستفهام التقريرى وتقريب الماضى من الحال كان اصل هل اتى أهل اتى وكان معناه قد اتى على الانسان قبل زمان قريب من خلقه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا بالانسانية

(ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه (اولى لك فاولى) ويل لك من الولى واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم اولى لك فاولى) اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (ألم يك نطفة من منى تمنى) وقرأ حفص بالياء (ثم كان علقة فخلق فسوى) فقدره فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابدآء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت انا له وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

(سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل

كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيئا مذكورا) بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه (امشاج) اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منه مادة عضو وقيل مفرد كاعشار وأكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر

على معنى انه وان كان شيئا الا انه كان شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح ونظيره قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اى فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ الانسان بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته (قوله كقوله) اى الشاعر واصل البيت

سائل فوارس يربوع بشدتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

ويربوع ابو حى من تميم وقوله بشدتنا بفتح الشين وهى الحملة ويروى بكسرها وهى القوة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل اى الحضيض والقاع المستوى من الارض اى الصحراء والاكم جمع اكمة وهى التل اى الجبل الصغير يقول سائل هذه القبيلة عن حال شدتنا اكانت قوية جلبت لنا العز والغلبة ام كانت دونها فجلبت الذل والمغلوبية (قوله طائفة محدودة من الزمان) فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين حدها تنبيها على انها محدودة فى نفسها ومبهمة الحد فى علمنا وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الزمن الممتد الوهمى كما هو المشهور واختلفوا فى الانسان المذكور ههنا فقال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه السلام فمن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم فى هذه الآية ثم عقب بذكر خلق جنس الانسان من ذريته فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال آخرون المراد بالانسان بنو آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون المراد بالانسان فى الموضعين واحدا وعلى هذا القول يكون المراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل لانه ما دام فى بطن امه لم يكن شيئا مذكورا لانه نطفة او علقة او مضغة ولا قدر لشئ منها حتى يذكر ويعتنى بشأنه واذا كان المراد به نفس آدم عليه السلام فقد اختلف فى تعيين المراد بالحين حينئذ فقيل انه اربعون سنة لما روى انه اتى عليه اربعون سنة وهو جسد ملقى من طين قبل ان نفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين وان كان شيئا موجودا لكن لم يكن شيئا مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم تم خلقه بتمام اربع اربعينات اعنى مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح فلأجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها (قوله بل كان شيئا منسيا) اشارة الى ان المنفى ليس اصل كونه شيئا بل المنفى هو كونه شيئا شريفا مذكورا بالانسانية فانه فى ذلك الحين كان شيئا خاملا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكذا جنس الانسان من ذرية آدم كان فى الرحم شيئا تافها حقيرا كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضى ان يمضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه فى ذلك الوقت ما كان شيئا مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين او الصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته انسانا باعتبار ما يؤول اليه وان كان غير مذكور بالانسانية ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال (قوله والجملة حال من الانسان) تقديره اتى عليه حين من الدهر حالة كونه لم يكن شيئا مذكورا او وصف لحين بحذف الراجع مع الجار وهو فيه تقديره حين لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا (قوله اخلاط) جمع خلط وهو المادة التى يركب منها الشئ يقال اخلاط الطيب اى اجزاؤه ومواده والامشاج واحدها امشج بفتحتين كمثل وامثال او مشيج بكسر الميم وسكون الشين كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت الشيئين مشجا اذا خلطتهما (قوله ووصف النطفة به) اى جعله وصفا لها مع كونها مفردا والامشاج جمعا ولا مطابقة بينهما وتقرير الجواب ان لفظ النطفة وان كان مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من منى الرجل والمرأة وكل واحد منهما منى مغاير للآخر بالذات وايضا لما كانت اجزاء كل واحد منهما مختلفة كأنها نطف منفردة عن بعضها صار المجموع المؤلف منهما كأنه نطف شتى فجمع وصفه لذلك (قوله وقيل مفرد) عطف على قوله جمع مشج اى وقيل ان قوله تعالى من نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار وبردة اكياش فى ان صيغة افعال فيها لفظ مفرد ولذلك وقعت صفة لمفرد دليل على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل اشراف وايتام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وبرد اكياش وهو ما يغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن (قوله وقيل الوان) عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج ألوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وقيل الامشاج

هى الا طوار المختلفة التى ينتقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف (قوله بمعنى مريدين اختباره) اى بالامر والنهى والمحنة بالرخاء والشدة يعنى انه حال مقدرة لامقارنة اذلا اختبار وقت خلقه اومقارنة ان كان الابتلاء مستعارا للنقل بان شبه النقل من حال الى حال بفعل من يفعل افعالا مختلفة للامتحان من حيث انه يظهر بعد النقل امر آخر كما يظهر بعد الافعال الكائنة للامتحان العلم المتفرع عليها فهو كالمسبب من الابتلاء فانه لما خلق الانسان للابتلاء والتكليف اعطاه مايصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر مايتوقف عليه الفهم والتميز فلذلك دخلت الفاء على اعطائه الذى هو سبب له والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقنا وقوله نبتليه قيد له لما تقرر من ان الحال قيد لعاملها والمراد بترتيب الهداية على اعطاء الحواس ماذكره بعد ذكر جعله سميعا بصيرا لكون الهداية وبيان سبيل الهدى وتعريفه بنصب الادلة وبعث الرسل متأخرة عن خلق الحواس واسباب الفهم والتعقل فان المراد بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ومعنى هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منها وذلك انما يكون بعد اعطاء العقل واعطاء الحواس متقدم على اعطاء العقل لان الانسان فى مبدأ الفطرة خال عن جميع العلوم والمعارف الا ان الحواس الظاهرة والباطنة آلات تعينه على تحصيل العلوم الاولية من المبادى التصورية والتصديقية فانه اذا احس بها المحسوسات وتنبه لمابينها من المشاركات والمباينات حصل له المبادى التصورية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها على طريق الحركة فى الكيف الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه ويرتبها على الوجه المخصوص يحصل له المطالب التصورية المكتسبة واذا تصور بها نسبا حكمية وحكم عليها بالايقاع والانتزاع يحصل له مبادى تصديقية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه التصديقية تحصل بالاكتساب الفكرى مثل الحكم بان هذا الاعتقاد وهذا العمل سبيل السعادة والنجاة وذلك سبيل الشقاوة والهلاك فثبت ان مرتبة التحلى بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق الاشياء والتصديق باحوالها وتعيين سبيل الخير وتميزه عن سبيل الشر ولهذا السر رتب قوله اناهديناه السبيل على اعطاء الحواس (قوله تعالى اماشاكرا واماكفورا) حالان من الضمير المنصوب فى هديناه اى بينا له سبيل الهدى شاكرا او كفورا اى فى حاليه جميعا على ان تكون كلمة اما للتفصيل اى لتفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال اذلا يعلم ان المراد هدايته فى حال كفره اوفى حال ايمانه وطاعته لله تعالى فلما دخلت كلمة اما على كل واحد من الحالين فصل وذكر فى شرح الرضى ان كلمتى او واما لهما ثلاثة معان فى الخبر الشك والابهام والتفصيل وفى الامر لهما معنيان التخيير والاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولاتعرفه بعينه والابهام اذاعرفته بعينه وقصدت ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءنى زيدا وعمرو اوجاءنى اما زيد واما عمرو ولم تعرف الجائى منهما بعينه فاو واما للشك واذاعرفته وقصدت الابهام على السامع فهما للابهام واذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل هذا محصل مافيه (قوله اوللتقسيم) بان يفرد ذوالحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخول كلمة اما قيدا له فيحصل بتقييده لكل واحد منهما قسم منه والمعنى هدينا مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر وهو الموحد المطيع والى الانسان الكفور المشرك فالمعنى على التفصيل هديناه فى حاليه جميعا وعلى التقسيم هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شكورا وتارة كفورا كما هو مذهب اهل السنة (قوله اومن السبيل) عطف على قوله من الهاء اى انهما حالان من الهاء اوانهما حالان من السبيل على معنى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا اوسبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز من حيث ان السبيل وصف بوصف من سلكه (قوله وقرئ أما بالفتح) اى بفتح الهمزة على اما التفصيلية وجوابها محذوف والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبخذلان منا بسوء اختياره ثم انه تعالى لما ذكر فريقى الشاكر والكفور اتبعه الوعد والوعيد لهما فقال انا اعتدنا للكافرين قدم وعيد الكافرين ثم ذكر مااعد للشاكرين لماذكره المصنف والاعتاد الاعداد والتهيئة وهى جعل الشئ عتيدا حاضر الزمان الاحتياج اليه (قوله هو جمع بر) وهو من اطاع الله تعالى وامتثل امره وقيل البر الموحد وقيل البر الذى لايؤذى الذر ولايضمر الشر وقيل الابرار هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصى

فان اختلاط اخضرا واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) اى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا اومقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه اومن السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لايخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا اعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (واغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار أهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع وهشام والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع بر كارباب او بار كاشهاد

(قوله من خمر) فسر الكأس بالخمر على طريق ذكر المحل وارادة الحال المروى عن قتادة والضحاك وابن عباس انهم فسروا بذلك ولعل الباعث عليه قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لا يمزج بالكاس بل يمزج بما فيها من الخمر فالظاهر على هذا ان تكون كلمة من صلة والكاس عند اهل اللغة الاناء الذى فيه الخمر وان لم يكن فيه خمر فهو قدح ومزاج الشئ اسم لما يمزج به اى يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشئ ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرآء والسودآء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها والكافور طيب معروف واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته ولانه ماء مكفور فى جوف ضيق من الشجرة فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوآء فيجمد وينعقد كالصمغ المتجمد على الاشجار قيل فى الآية سؤال هو ان مزج الكافور بالمشروب لا يجعله لذيذا فما السبب فى ذكره ههنا والجواب عنه من وجوه احدها ان الكافور اسم عين فى الجنة ماؤها ابيض مثل الكافور فى لونه ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رآئحة الكافور عرض لا يكون الا فى جسم فاذا خلق الله تعالى تلك الرآئحة فى جرم ذلك الشراب سمى ذلك الجسم كافورا تشبيها له بالكافور فى رآئحته وان كان طعمه طيبا وثالثها لا بأس فى ان يخلق الله الكافور فى الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب فالمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله لبرده وعذوبته وطيب عرفه يعنى ان كافورها وان شارك كافور الدنيا فى البياض والبرودة وطيب الرآئحة لكنه يخالفه فى طعمه فانه حلو لذيذ والى الجواب الاول بقوله وقيل الكافور اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى بعض اوصافه فسمى باسمه على سبيل الاستعارة والى الثانى بان المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورا بطريق تسمية الحال باسم المحل (قوله ان جعل اسم ماء) واما ان كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيته فلا يصح حينئذ ابدال عينا منه الا غلطا وبدل الغلط لا يقع فى القرآن فعينا حينئذ بدل من محل من كاس على تقدير المضاف والتقدير يشربون خمرا خمر عين اومنصوب بتقدير اعنى او باضمار يشربون يفسره ما بعده ولم يجعل عينا مفعول يشربون ومن صلة فلا تنصب مفعولا آخر (قوله على تقدير مضاف) لا بد من تقديره على كل حال من التقديرين اما على تقدير كونه بدلا من كافورا فلان كونه بدلا منه مبنى على ان يجعل الكافور اسم ماء والعين التى هى منبع الماء لا تبدل من نفس الماء الا بتقدير مضاف اى ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كاس فلانه فسر الكاس بالخمر والعين لا تبدل من الخمر الا بان يكون التقدير خمر عين فقول المصنف اى ماء عين او خمرها لف ونشر مرتب (قوله ملتذا او ممزوجا بها) على ان تكون الباء فى بها متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول يشرب وهو ايضا محذوف وهو ضمير العين ثم ان كان العين بدلا من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله فى حال كونها ملتذا بها وان كان بدلا من محل من كاس كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله فى حال كونها ممزوجا بها (قوله وقيل الباء مزيدة) فيكون الضمير المجرور مفعولا به ليشرب اى عينا يشرب بها والجملة على جميع التقادير صفة لقوله عينا وقوله يفجرونها صفة ثانية لها او حال من عباد الله بمعنى مفجرين والتفجير الاجرآء يقال فجرت الماء أفجره بالضم فجرا فانفجر اى سقته واجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة وقوله حيث شاؤا مستفاد من عدم ذكر المفعول وقوله اجرآء سهلا مستفاد من المصدر المؤكد فانه يدل على انه لا يمتنع عليهم كاجرآء انهار الدنيا وعيونها واعلم ان الله تعالى لما وصف ثواب الابرار فى الآخرة شرح اعمالهم التى استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستئناف يوفون بالنذر الاية كانه قيل ما لهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل فاجيب بانهم كانوا يوفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما اوجب الله على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا (قوله وفيه اشعار بحسن عقيدتهم) حيث يؤمنون بالبعث والجزآء فان الاعتقاد به اصل يدور عليه مراعاة جميع الوظائف الاعتقادية والعملية عن مقاتل قال فشاشره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفى الارض فنسفت الجبال واندكت الارض وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء اطلق الشر على اهوال القيامة مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة وشدة بالنسبة الى من تنزل عليه فلذلك فسره المصنف بقوله شدآئده ومن خاف من مثل ذلك اليوم فلا جرم يجتنب المعاصى (قوله حب الله) يحتمل

(يشربون من كأس) من خمر وهى فى الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده (يشرب بها عباد الله) ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجرآء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على ادآء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه (ويخافون يوما كان شره) شدآئده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (ويطعمون الطعام على حبه) حب الله او الطعام او الاطعام (مسكينا ويتيما واسيرا) يعنى اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين

وجهين الاول ان يكون المصدر مضافا الى المفعول والفاعل متروك اى على حبهم الله تعالى والثانى ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اى على حب الله تعالى الاطعام وعلى تقدير ان يكون ضمير حبه للطعام المذكور اوللاطعام المدلول عليه بقوله ويطعمون يكون المصدر مضافا الى مفعوله والفاعل متروك اى على حبهم الطعام اوالاطعام اى وهم يحبونه على ان يكون الجار والمجرور فى موضع الحال من فاعل يحبون وقوله مسكينا وما عطف عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون فان مجامع الطاعات محصورة فى امرين التعظيم لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله تعالى واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الاطعام الذى هو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باى وجه امكن وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع (قوله فيقول أحسن اليه) وذلك لانه يجب الاطعام الى ان يرى الامام رأيه فيهم من قتل او من اوفدية اواسترقاق فان قيل اذا كان الاسير الكافر ممن يكون عاقبة امره القتل كيف يجب اطعامه قلنا القتل فى حال لاينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذلك لايحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل ثم هذا الاطعام يجب على الامام فان لم يطعمه الامام وجب على المسلمين ثم انه تعالى لما ذكر اصناف من تجب مواساتهم وهم ثلاثة احدهم المسكين وهو العاجز عن الكسب بنفسه والثانى اليتيم وهو الذى مات كاسبه وهو صغير والثالث الاسير وهو الذى اخذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرا ولاحيلة بين ان لهم فيه غرضين احدهما تحصيل رضى الله تعالى وهو المراد بقوله انما نطعمكم لوجه الله والثانى الاحتراز عن خوف يوم القيامة وهو المراد من قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا والعبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة ووصف اليوم به مجازا كما يقال صام نهاره (قوله فلذلك نحسن اليكم اولانطلب المكافأة منكم) يعنى ان قوله تعالى انانخاف من ربنا يوما عبوسا جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل ان يكون علة لقوله لانريد منكم جزآء ولاشكورا اى لانريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة (قوله او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته) عطف على تعبس يعنى ان اسناد العبوس الى اليوم اما من قبيل اسناد فعل اهل ذلك اليوم الى زمان فعلهم مثل صام نهاره اومن قبيل اثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون دليلا على التشبيه المضمر فى النفس بان شبه اليوم بالاسد العبوس الكريه المنظر فى شدة عبوسه لمن يراه تشبيها مضمرا فى النفس وجعل اثبات لازم المشبه به له وهو العبوسة دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية والضراوة هى السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من وراءه والقمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع مابين عينيه وهو ايضا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدة العبوس (قوله وجمعت قطريها) يقال جمع فلان بين قطريه اذا تغير غضبا كانه جمع جوانبه لان يصول على من يغضبه والقطر هوالجانب والناحية يقال طعنه فقطره تقطيرا اى القاه على احد قطريه اى على احد جانبيه فتقطر اى سقط ويقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها على ان القمطر فى اللغة بمعنى جمع فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سببا لعبوس اهله وجمعهم مابين اعينهم وعلى ماذكره المصنف يكون تشبيهه بالعبوس الذى يجمع مابين عينيه استعارة بالكناية (قوله والميم زائدة) لم يتعرض لزيادة الرآء مع ان قاعدة الصرف تقتضى زيادتها ايضا بناء على ان الرآء ليست من حروف الزيادة وهى حروف هويت السمان بخلاف الميم قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله فى البلاء (قوله وايثار الاموال) اشارة الى المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام والكسوة ويدل عليه عطف قوله وحريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع والمجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العرى (قوله بستانا يأكلون منه) اشارة الى انه ليس المراد بالجنة مايقابل النار وهى دار الكرامة المشتملة على جميع آثار رحمة الله تعالى وفضله حتى يقال اى حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه فى جملة مااعد فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات فذكرها لايغنى عن ذكر الملبس (قوله واختبزت) فلما وضعوها بين ايديهم وقف عليهم مسكين من المسلمين وقال اطعمونى يطعمكم الله من موآئد الجنة فآثروه على انفسهم وآثروا اليتيم فى الليلة الثانية والاسير فى الليلة الثالثة فلما آثروه اصبحوا فاخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله

فيقول احسن اليه اوالاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال اوالمقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ماقالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عندالله (لانريد منكم جزآء ولاشكورا) اى شكرا (انانخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم اولانطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته (قمطريرا) شديد العبوس كالذى يجمع مابين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اناس معه فقالوا يا ابا الحسن لونذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا ومامعهم شئ فاستقرض على كرم الله وجهه من شمعون الخيبرى ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنأك الله فى اهل بيتك

(متكئين فيها على الارائك) حال من هم في جزاهم اوصفة لجنة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هوآء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال الشاعر

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اما حال اوصفة اخرى معطوفة على ما قبلها اوعطف على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعد واجنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال اوصفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ما قبله اوحال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا

عنهم ودخلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضى الله عنها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة الى آخرها ولا يلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين غاية ما في الباب انها نزلت عند صدور هذه القربة منهم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانه تعالى ذكر في اول السورة انه انما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح عللهم ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كفور ثم ذكر وعيد الكفور ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والابرار وهذا الاسلوب يأبى ان يخص الابرار باهل بيت معين وان كانوا لا يخلون فيهم دخولا اوليا كما يدخلون في جميع الآيات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيرهم من اتقياء الصحابة والتابعين فلا وجه لان يقال انها نزلت في حق على ابن ابى طالب خاصة رضى الله عنه وكرم وجهه (قوله اوصفة لجنة) اى لقاهم واعطاهم جنة متكئين هم فيها وفيه بحث لان متكئين حينئذ تكون جارية على غير من هى له فيجب ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذا جرى صفة اوخبرا اوحالا اوصلة على غير من هوله لا يستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير فيه حينئذ فقوله تعالى لا يرون فيها شمسا يجوز ان يكون صفة لجنة مع استتار الضمير فيه بخلاف متكئين ودانية فانهما لا يكونان صفة لعدم الابراز ومنهم من لا يفرق بين الفعل واسم الفاعل في جواز الابراز حينئذ ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان صبرهم كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة الا ان يجعل حالا مقدرة والارائك جمع اريكة وهى السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهى بيت يزين بالثياب والاسرة والستور والسرير لا يسمى اريكة الا اذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء واذا كان فارغا لا يسمى سجلا وكذا الكأس لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير (قوله يمر عليهم فيها هوآء معتدل) يعنى ان ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وارادة اللازم لان المقصود توصيف الجنة باعتدال الهوآء وخلوها عن الهوآء الحار المؤذى بحره وعن الهوآء البارد المؤذى ببرده فذكر الشمس والزمهرير واريد ما يلزمهما من خروج الهوآء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لا يفيد هذا المعنى فقوله تعالى لا يرون بمعنى لا يجدون لان الهوآء ليس مما يرى وفي الحديث هوآء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهوآء المعتدل والقر بالفتح بمعنى البارد وبالضم بمعنى البرد (قوله قد اعتكر) يقال اعتكر الظلام اى اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض من بطء انجلائه وزهرت النار زهورا اضاءت ويروى والزمهرير ما ظهر بدل ما زهر اى وقمرها ما طلع (قوله والمعنى) يعنى ان المعنى على تقدير ان يكون المراد بالزمهرير القمر ان الجنة يكون هوآؤها مضيئا بذاته لا يحتاج الى شمس ولا الى قمر وان اهلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار لانهما انما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما (قوله اى وجنة اخرى) على ان دانية صفة موصوف محذوف والمعنى وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرا وجنة اخرى دانية فالابرار المذكورون لما كانوا خائفين بدليل قولهم انا نخاف من ربنا وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (قوله والجملة حال اوصفة) اى على تقدير ان يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبره مقدما عليه تكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لا يرون فتكون الواو فيها حالية لا عاطفة والمعنى لا يرون فيها حرا ولا قرا والحال ان ظلالها دانية عليهم واما صفة لجنة فتكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم فان قيل كيف توصف الجنة بان ظلال ما فيها من الاشجار دانية اى قريبة من الابرار والحال ان الظل انما يوجد حيث توجد تلك الشمس ولا شمس في الجنة حتى يظل اهلها ما فيها من الاشجار فالجواب ان المراد بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها والقطوف جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمراد به في الآية الثمر مطلقا والقطف بالفتح مصدر قولك قطفت العنب اى قطعته وسمى الثمر قطفا لانه يقطف كما سمى جنى لانه يجنى (قوله معطوف على ما قبله) فيكون تابعا له في حكم اعرابه فان نصبت دانية على الحالية تكون جملة ذللت ايضا حالا اى ودانية ومذللة قطوفها لهم وان نصبتها على الوصف يكون ذللت ايضا صفة اخرى اى جزاهم جنة ذللت (قوله اوحال من دانية) بتقديرقد وهذا الوجه مبنى على ان يكون دانية منصوبا

بالعطف على جنة بتقدير الموصوف حتى يكون حالا من المفعول به اى وجزاهم جنة اخرى دانية وقد ذللت قطوفها لهم الان يكون المراد اوحال من فاعل دانية كانه قيل تدنوا ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم ثم انه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشربون بها فقال ويطاف عليهم اى ويدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها أأنية بهمزتين الاولى همزة افعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية الفا لسكونها وانفتاح ماقبلها وقوله من فضة نعت لآنية والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ولا خرطوم وافرادها بالذكر بعد ذكر الانية لشرفها بالنسبة الى غيرها كقوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون المراد بالآنية مايشرب فيه كالقدح وبالكوب مايصب منه فى الاناء كالابريق كما اشار اليه بقوله واباريق (**قوله** اى تكونت) اشارة الى ان كان تامة بمعنى حدثت فيكون قوارير الاول حالا من فاعل كان ولعل الوجه فى اختيار كونها تامة مع جواز كونها ناقصة وقوارير الاول خبرها انها اذا جعلت بمعنى تكونت وحدثت ينتقل الذهن الى المكون المحدث وحيث لايكون الا الله كان المعنى تكونت حال كونها قوارير بتكوين الله تعالى فتكون اشارة الى تفخيم الآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى ولما ورد ان يقال كيف تكون الاكواب المذكورة من فضة ومن قوارير زجاجية اشار الى جوابه بانه ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها قوارير وانها من فضة من باب التمثيل للتفهيم فانها فى نفسها ليست فضة ولا زجاجية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت به ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها الا انها لما كانت جامعة بين صفاء الزجاجة ولطفها وبين بياض الفضة ولينها وصفت بانها من فضة تكونت حال كونها قوارير والاصل فى مثل سلاسل وقوارير ان لاينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع الا ان من صرفه ونونه شبهه بالمفرد من حيث انه جمع جمع السلامة كما يجمع الآحاد المنصرفة حيث يقال صواحبات يوسف فى جمع صواحب فلما جمع كما يجمع الالفاظ المفردة جعل فى حكمها وصرف مع ان اباالحسن حكى عن بعض القوم انهم صرفوا جميع مالاينصرف الا افعل من بناء على ان الاصل فى الاسماء ان تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء فى الشعر واعلم ان القرآن فى كلمتى قوارير على خمس مراتب الاولى تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف بدل التنوين كنافع والكسائى وابى بكر والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف كحمزة وحده والثالثة تنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها وهو لابى عمرو وابن ذكوان وحفص ووجه القول الاخير ان الاول رأس آية فناسب ان يوقف عليه بالالف والثانى ليس برأس آية فلم يوقف عليه بالالف ومن لم ينونهما وقف عليهما بالالف نظرا الى ان الاول رأس آية وحمل الثانى على الاول للمناسبة بينهما ونصب قوارير الاول على انه خبر كان ان جعلت ناقصة وعلى الحال ان جعلت تامة والجملة صفة لاكواب واما نصب قوارير الثانى وهو قرآءة الجمهور فعلى انه بدل من الاول للايضاح والبيان حيث بين انه من الفضة (**قوله** اى قدروها فى انفسهم) على ان يكون فاعل قدروها ضمير اهل الجنة لاضمير الطائفين وقدروها فى محل النصب على انه صفة قوارير والمعنى قدر الشاربون فى انفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير واشكال على حسب مايريدون وينتهون فجاء كما قدروها فان منتهى مايريده الرجل فى الانية التى يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قواريرا واما النقاء فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله قدروها تقديرا (**قوله** اوقدر الطائفون بها) على ان ضمير قدروها للخدام الطائفين ولابد من تقدير المضاف حينئذ اى قدر الخدام شراب القوارير على قدر رى الشارب من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان كل واحد من طرفى الاعتدال مذموم وقرئ قدروها بضم القاف وكسر الدال المشددة على بناء المفعول منقولا الى بناء التفعيل من قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادراله والمعنى جعلوا قادرين لها كما شاؤا (**قوله** مايشبه الزنجبيل) كلمة ما فى قوله مايشبه الزنجبيل يحتمل ان تكون بألف ممدودة ويشبه صفتها او بألف مقصورة ويشبه صلتها وعلى التقديرين لايكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ماء فى الجنة يشبه الزنجبيل فى بعض اوصافه يمزج به شراب الابرار كما قيل ان الكافور اسم ماء فيها يشبه الكافور فيكون عينا بدلا من زنجبيلا بتقدير المضاف اى ماء عين وان كان الزنجبيل على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا اى

(ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب) واباريق لاعروة لها (كانت قوارير قوارير من فضة) اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية والباقون لم ينونوا اصلا وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير (قدروها تقديرا) اى قدروها فى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه اوقدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها اوقدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) ماء يشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به

و يسقون فيها خمرا خمرعين فيها لما وصف الله تعالى اوانى مشروبهم فقال و يسقون فيها الآية وصف مشروبهم
بانه ممزوج بالزنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى المشروب ولما توهم من تسمية تلك العين بالزنجبيل
ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع ازال ذلك الوهم بانها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها اى نزولها فى الحلق وانتفاء لذع الزنجبيل عنها فان السلاسة هى ضد اللذع وهو الاحراق يقال
لذعته النار اى احرقته (**قوله ولذلك**) اى ولكون السلسبيل بمعنى السلسال والسلسل اللذين هما من صفات
الماء بمعنى سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه قيل زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية السلاسة
والحلاوة (**قوله وقيل اصله سل سبيلا**) على انه كلام مركب من فعل امر من سألته الشئ وفاعل مستتر فيه
ومفعول بارز والتقدير سل انت سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما لعين فى الجنة ولمائها كما سمى الرجل
تابط شرا واعلم انه تعالى مزج شراب الابرار اولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول
البرودة لهجوم العطش عليهم من حر عرصات القيامة وعبور الصراط وبقدر استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها
ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تشهيد ثانيا الوان المطعومات ويلتذ الطبع
بتسربها فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك والله اعلم ثم انه تعالى شرع فى ذكر
اوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب فى تلك الاوانى فقال و يطوف عليهم ولدان فانهم اخف
فى الخدمة مخلدون دائمون على ماهم عليه من الشباب والغضاضة فى الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون
على سن واحد على ممر الازمنة (**قوله وانبثاثهم**) اى تفرقهم فى محل الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة
وطوافهم على الابرار المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لتشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ
اذا كان متفرقا كان احسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا لما يجتمع منه فى اللمعان
والبريق وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المحفوظ المخزون لانهن لا يمهن فى الخدمة فلا ينتثرن انتثار الولدان
ثم انه تعالى لما فصل بعض ما فى الجنة من وجوه النعم وصنوف العزة والاكرام اتبعه بما يدل على ان ما فيها من آثار
الله تعالى ورحمته ليس مما يحصيه العدو التفصيل فقال واذا رأيت ثم اى فى الجنة فان ثم منصوب على الظرفية
ورأيت من رؤية البصر فتعدى الى مفعول واحد الا انه فى الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر
ولا مقدر ليشيع فى جميع ماوقعت الرؤية عليه كانه قيل اذا وجدت الرؤية منك ثم اى فى الجنة لا يحصل لك بتلك
الرؤية الا ادراك النعيم كثيرا لا توصف عظمته وملك كبيرا لا يعرف كنهه وقيل مفعوله ثم وهو اسم لا ظرف والمعنى اذا
رأيت ذلك الموضع وقيل تقديره واذا رأيت ما ثم على ان ما موصولة فى موضع النصب على انه مفعول رأيت
وثم صلته ثم حذف ما واقيم ثم مقامه وهذا خطأ عند البصريين فانه لا يجوز عندهم حذف الموصول واقامة الصلة
مقامه ثم قيل الخطاب فى رأيت للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل من يصح ان يخاطب والنعيم ما يتنعم به والملك
الكبير ما ذكر فى الحديث الذى اورده المصنف وزاد المصنف ان العارف له اكبر من ذلك وهو ان تنكشف له صور
عالم الغيب والشهادة بحقائقها فتستضئ مرآة قلبه بانوار العلوم المدنية والمعارف الالهية بسبب ارتفاع
الحجب النفسانية والطبيعية وحصول قوة الاتصال بقدس الجبروت كما قيل تجوع ترانى تجرد تصل انتهى
(**قوله ونصبه على الحال**) اختار قرآءة الجمهور وهم غير نافع وحمزة فانهم قرأوا عاليهم بفتح الياء وضم الهاء على
الاصل فان الاصل فى هاء الضمير هو الضم مطلقا اى سوآء كان ضمير المفرد او المثنى او المجموع نحو منه وعنه ومنهما
وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن وفتحت فى منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقع قبلها كسرة او ياء ساكنة
نحو بهم اوفيهم للمجانسة الا ان حمزة قرأ الالفاظ الثلاث وهى عليهم واليهم ولديهم بضم الهاء فى جميع القرآن
حيثما وقعت فيه نظرا الى ان الياء فيها بدل من الالف ولو نطق بالالف لم يكن فى الهاء الا الضم فكذا الحال اذا
نطق ببدلها فمن قرأ عاليهم بالنصب جعله حالا من الضمير المجرور فى قوله يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا
المطوف عليهم ثياب سندس وقوله ثياب سندس مرفوع على انه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية فان
عاليهم نكرة تكون اضافته لفظية لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال اضيف الى معموله فلاجل كونه نكرة جاز نصبه
على الحال فان حق الحال ان يكون نكرة ويجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا من الولدان ويكون ضمير
الجمع فيه للولدان لا الابرار الا ان المصنف لم يلتفت اليه من حيث ان المقام مقام تعداد نعيم الابرار وكرامتهم

(عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها
فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد
ان ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل
اصله سل سبيلا فسميت به كتابط شرا لانه لا يشرب
منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف
عليهم ولدان مخلدون) دائمون (اذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم
وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت)
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان
بصرك اينما وقع (ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا
وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه
مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف
اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا
الملكوت فيستضئ بانوار قدس الجبروت (عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير
الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من
هم فى عليهم

فالمناسب له ان تكون الثياب المذكورة لهم لاللولدان الطائفين (قوله اوحسبتهم) اى ويجوزان يكون انتصاب عاليهم مبنيا على كونه بدلا من الضمير المنصوب فى حسبتهم اى حسبت الولدان لؤلؤا منثورا فى حال كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لا للمطوف عليهم اومن الاهل المقدر بعد رأيت اى رأيت اهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس (قوله وقرأ نافع وحمزة بالرفع) اى بسكون الياء من عاليهم لثقل الضمة عليها وجعل المصنف قرآءة الرفع مبنية على ان يكون ثياب سندس مبتدأ وعاليهم خبره على خلاف مااختاره الزمخشرى من ان يكون عاليهم مبتدأ وثياب سندس خبره بمعنى ما يعلوهم من اللباس ثياب سندس لانه يرد على مااختاره الزمخشرى ان اضافة عاليهم لفظية فيكون نكرة ولايجوز الابتدآء بالنكرة وان امكن ان يجاب عنه بانها مخصصة باضافتها الى المعرفة فجاز الابتدآء بها (قوله حملا على سندس بالمعنى) اى قرئ خضر بالجر على انه صفة سندس وقوله بالمعنى جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون خضر وهو جمع اخضر صفة لمفرد وتقرير الجواب ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان فى معنى الجمع فيصح ان يوصف بالجمع كما فى قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال واعلم ان القرآء السبعة فى خضر واستبرق على اربع مراتب الاولى رفعهما لنافع وحفص صفة للثياب كما فى قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا واستبرق بالرفع معطوف على ثياب لكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق كما فى قولك على زيد ثوب خز وكتان اى وثوب كتان والثانية خفضهما لحمزة والكسائى خضر صفة لسندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق والثالثة رفع الاول وخفض الثانى لابى عمرو وابن عامر رفع خضر على انه نعت لثياب وجر استبرق عطف على سندس والرابعة عكس الثالثة اى خفض الاول ورفع الثانى جر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق عطف على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية ثم منهم من قدر مضافا اى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد من الاستبرق والسندس داخل فى اسم الحرير فى قوله ولباسهم فيها حرير (قوله عطف على ويطوف عليهم) على طريق عطف فعلية على فعلية وحلوا وان كان ماضيا لفظا فانه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون (قوله ولايخالفه) جواب عما يقال انه تعالى قال فى سورة الكهف يحلون فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ فكيف قيل ههنا من فضة واجيب عنه بثلاثة اوجه الاول انه يجوز ان يجمع فى ايديهم سواران سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ اويجوز ان يجمع لايديهم محاسن الجنة كما روى عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه انه قال ليس من اهل الجنة احد الاوفى يده ثلاثة اسورة واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ واحتج عليه بهذه الآيات والثانى يجوز ان يكون ذلك بحسب التعاقب فى الاوقات اى يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة والثالث يجوز ان يكون ذلك بحسب اختلاف اعمالهم (قوله اوحال من الضمير فى عاليهم) عطف على قوله عطف على ويطوف عليهم اى يعلوهم ذلك وقد حلوا وعلى هذا الوجه يمكن ان تدفع المخالفة بين الآيتين بوجه آخر وهو ان يكون اسورة الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم وانما قال وعلى هذا المامر ان ضمير عاليهم ويجوز ان يكون مسندا الى ضمير الولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا من ضمير عاليهم يكون مسندا الى ضمير الولدان ايضا بخلاف مااذا كان حالا من ضمير عليهم اومن ملكا كبيرا على تقدير المضاف فان قوله حلوا على التقديرين يكون مسندا الى ضمير الابرار فيكون اسورة الفضة لهم لا للولدان (قوله فانه يطهر شاربه) يعنى ان الطهور بمعنى المطهر كما روى عن مقاتل انه قال هو عين ماء اى على باب الجنة تنبع من ساق شجرة منها من شرب منه نزع الله تعالى ما كان فى بطنه من غش وغل وحسد وماكان فى جوفه من قدر واذى واشير الى هذا المعنى بقوله تعالى طبتم فادخلوها خالدين فانه صريح فى ان الطهور بمعنى المطهر حيث قال ان الاشربة تطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة والاخلاط المؤذية وعن على رضى الله عنه انه قال فى هذه الآية اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فترى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج مافى بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة

اوحسبتهم اوملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائى بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا اساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم ولايخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزآء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة اوحال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار

الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل الطهور مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا ثبت شرعا لاعقلا وليست الدار دار تكليف ثم انه تعالى لما أتم شرح ثواب الابرار قال ان هذا اى يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لمافيها من انواع البهجة والنعيم ان هذا كان لكم جزاء لاعمالكم التى قدمتموها فى الدنيا لله تعالى يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى لعباده فى الدنيا بعد شرح ثواب اهل الجنة لهم بان يقول هذا الذى شرحته لكم كان فى علمى وحكمى جزاءكم يامعشر عبيدى لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها والشكر اذا اسند الى العبد يكون عبارة عن قبول طاعة العبد وتوفير ثوابه يقال شكر الله سعيك اى جزاك الله خيرا على ماسعيت واطلاق الشكر عليه مجاز تشبيها له بالشكر من حيث كونه فعلا واقعا بمقابلة العمل كالشكر الواقع بمقابلة الانعام ثم انه تعالى لما ذكر فى القرآن العظيم اصناف الوعد والوعيد فى حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفا على صدق المبلغ وحقية رسالته بين ان مابلغه اليهم ليس بسحر ولاشعر ولا كهانة بل هو وحى الهى تفرد الله تعالى بتنزيله مفرقا منجما آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال انا نحن نزلنا ولم يقل انزلنا للمبالغة فى تأكيد كونه وحيا الهيا بتصدير الكلام بان وتكرير الضمير الذى هو اسم ان وتأكيده بالضمير المنفصل تأكيدا على تأكيد فكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون انه سحر او كهانة او نحو ذلك وانا الله رب العالمين اقول على سبيل التأكيد والتحقيق ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من قبلى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فلاتكترث بما قالوا فى حقه وفى شأنك فان ماقالوه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية الاربعة وكون الواحد نصف الاثنين فأنت لامحالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق وان المقصود من بعثك ان تظهر الدين الحق على الاديان كلها فاصبر بتأخير نصرك على اعداء الدين فانه كائن لامحالة **(قوله واوللدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان)** يعنى ان كلمة اوسواء وقعت فى سياق الاثبات اوالنفى فمعناها احد الامرين اوالامور الاان ثبوت الشئ لاحدالامرين اوالامور لايستلزم ثبوته للجميع فهى اذاوقعت فى سياق الاثبات تكون للاباحة اوالتخيير فان كان الجمع بين الامرين ممافيه فضيلة وشرف غالبا كما فى قولك جالس الحسن اوابن سيرين تكون للاباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على احدهما والافهى للتخيير نحو واضرب زيدا اوعمرا ولايجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على احدهما بخلاف نفى احد الامرين اوالامور والنهى عن احدهما فانه يستلزم نفى الجمع والنهى عنه لان كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم احدهما ونفى مايصدق عليه هذا المفهوم يستلزم نفى الجمع فاذا قلت لاتضرب زيدا اوعمرا فالتقدير لاتضرب احدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيا عنه لكونه ضرب احدهما وقد نهى عنه وكذا الوقيل لاتطع احدهما كان المعنى لاتطع كل واحد منهما فيكون كلمة اوللدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان فان قيل فعلى ماذكرت يكون معنى اوفى الآية النهى عن طاعة احدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا فالجواب انه لوقيل ولا تطعهما اوولاتطع آثما وكفورا لاحتمل جواز ان تطيع احدهما بخلاف ما اذا قيل لاتطع احدهما فانه حينئذ يعلم ان النهى عن طاعة احدهما هو نهى عن طاعتهما **(قوله والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه)** اى من الاثم والكفر لاباعتبار انقسامهم فى انفسهم الى الآثم والكفور لان القوم كلهم كفرة ومن كان كافرا يكون آثما لامحالة لان الكفر اخبث انواع الاثم فكلهم كفرة وأثمة فلامعنى لتقسيمهم فى انفسهم الى القسمين وانما التقسيم باعتبار مايدعونه اليه من الكفر والاثم فالمعنى لاتطع من يدعوك من الكفرة الى الاثم ولامن يدعوك منهم الى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار افاد تعليل النهى بوصفى الكفر والاثم القائمين بهم فدل على ان مطاوعتهما فيماليس باثم ولاكفر غير محظور وفى نهيه عليه الصلاة والسلام عن اطاعة من يدعوه الى الاثم والكفر مع انه عليه الصلاة والسلام لايتصور فى حقه ان يطيع احدا منهم اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة ولوان احدا استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم فظهر منه انه لابد لكل مسلم ان يرغب اليه تعالى ويتضرع اليه فى ان يحفظه عن الفتن والآفات فى جميع الامور والحالات ثم قيل المراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسق

(ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما اوكفورا) اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان يكون المطاوعة فى الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيماليس باثم ولا كفر غير محظور

والوليد كان متوغلا فى الكفر * روى ان عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام ارجع عن هذا الامر حتى
ازوجك ولدى فانى من اجل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فانى من اكثرهم مالا فقرأ
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفوا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع على وقيل المراد بهما شخص واحد
هو ابو جهل وقيل المراد بهما الآثم والكفور مطلقا اى شخص كان وهو الاقرب الى اطلاق اللفظ ثم انه تعالى لما ذكر
هذا النهى عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك ثم قيل ليس المراد من الذكر الصلاة بل المراد به التسبيح الذى هو القول
والاعتقاد اى وكن ذاكرا لله تعالى دائما ليلا ونهارا بقلبك ولسانك كما هو المراد من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقيل المراد به الصلاة الخمس لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على
ان المراد به ذلك فالبكرة هى صلاة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر لان الاصيل اسم للوقت الذى يكون بعد
الزوال الى الغروب وقيل لما بعد العصر الى الغروب ثم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهى والامر عدل الى
شرح احوال الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء اى الكفرة يحبون العاجلة اى يؤثرونها على الآخرة يعنى ان الذى
حمل هؤلاء الكفار على الكفر والاعراض عن اتباع ما تدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما نزلنا
عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقيقة امر النبوة فان فيما بلغته اليهم كفاية فى بيان الحق والارشاد
اليه وانما الذى حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة (قوله امامهم او خلف ظهورهم) فان
الوراء يستعمل فى كل واحد من المعنيين وفى الصحاح وراء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدام فهى من الاضداد
فهو ان كان بمعنى القدام يكون حالا من قوله يوما ثقيلا وهو مفعول يذرون لا ظرف له وان كان بمعنى خلف يكون
ظرفا ليذرون كأنه قيل ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذ يكون قوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعارة تمثيلية
بان شبهت حالهم فى عدم اهتمامهم بيوم القيامة واعراضهم عنه بجعلهم اياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على
الحال المشبه بها فى الحال المشبهة (قوله مستعار من الثقل) الثقيل من صفات الاجسام الكثيفة ولا يوصف به
الزمان حقيقة الا انه شبه يوم القيامة لشدته وهوله بالشئ الثقيل الذى يتعب حامله (قوله وهو كالتعليل لما امر به
ونهى عنه) يعنى ان توصيف اليوم بالثقل والشدة وان وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم الا انه يصلح ان يكون تعليلا
لما جرى بينه تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم من ثقل ذلك اليوم وشدته والظفر فيه بجميع السعادات
والكرامات (قوله واحكمنا ربط مفاصلهم) فسر الاسر بالربط كما ثبت ذلك عند اهل اللغة وقدر بعده مضافا وهو
المفاصل فكان المعنى احكمنا ربط اوصالهم بعضها ببعض كالعروق والاعصاب لما ذكر الله تعالى ان الذى دعاهم
الى الاستمرار على ما هم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكأنه قيل لهم هبوا ان حبكم لهذه
اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك الحب يوجب عليكم الايمان والطاعة ايضا من حيث ان جميع ما انتم
عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فانما هو بخلق الله تعالى وحده لا شريك له فى خلق شئ منها كما يدل
عليه تقديم المسند اليه فى قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وحق هذا المنعم ان يطاع فى جميع ما كلف به ولا يعصى
بوجه ما وانتم اسأتم بكمال العصيان مع كمال رغبتكم فى احسانه وفى ان يزيد عليكم ما تؤملونه ومثل هذه الرغبة
تنافى العصيان ثم اشار بقوله واذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلكهم ويسلب عنهم
جميع ما انعم به عليهم وان يلقيهم فى كل محنة وبلية فانكم لم تطيعوا هذا المنعم القادر على كل شئ شكرا لانعامه ورغبة
فى مزيد احسانه فلم لا تطيعوه خوفا من نقمته وقهره ففيه توبيخ عظيم على كفرهم (قوله ولذلك جيئ باذا) فان
حقها ان تستعمل فيما هو محقق الوقوع استدل به على ان المراد بالتبديل الاعادة والبعث فان المعاد مثل المبدأ
من حيث اشتماله على الاجزاء الاصلية المبتدأة وان خالفه باختلاف العوارض وان التبديل بمعنى الاعادة محقق
الوقوع لا ريب فيه فكلمة اذا حينئذ تكون فى موقعها ويحتمل ان يكون المراد بتبديل امثالهم انشاء امثالهم
فى الدنيا لا بالبعث بل باتيان اشباههم بدلا منهم ممن يطيع كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فحينئذ
لا يكون اذا مناسبا للمقام لان اهلاكهم وايجاد امثالهم فى الدنيا ليس معلوم الوقوع فالمناسب للمقام ايراد كلمة ان
والجواب ان ايجاد امثالهم فى الدنيا بمنزلة متحقق الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة الله تعالى وقوة
ما يدعو اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب (قوله تقرب اليه بالطاعة) فسر

(واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) وداوم على ذكره
اودم على صلاتى الفجر والظهر او العصر فان
الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له)
وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب
والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد
الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له
طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة
ويذرون وراءهم) امامهم او خلف ظهورهم (يوما
ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو
كالتعليل لما امر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم) واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا
شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا
امثالهم فى الخلقة وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية
ولذلك جيئ باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا
لتحقيق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة)
الاشارة الى السورة او الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة

(وما تشاؤن الا ان يشاء الله) وماتشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل احد (حكيما) لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته (يدخل من يشاء فى رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين اعدلهم عذابا اليما) نصب الظالمين بفعل يفسره اعدلهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتدآء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزآؤه على الله جنة وحريرا

(سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) اقسم بطوآئف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن الشرآئع فى الارض اونشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين الى الانبياء ذكرا (عذرا) للمحقين (اونذرا) للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فألقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والألسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلهن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فألقين ذكرا اى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته

السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب بها اليه اى اذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (قوله الا وقت ان يشاء الله) اشارة الى ان ان مع الفعل فى حكم المصدر الصريح فى قيامه مقام ظرف الزمان وانتصابه بالظرفية فى نحو قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرغ اى ما تشاؤن الطاعة والتقرب بها وقتا من الاوقات الا وقت ان يشاء الله تعالى مشيئتكم فان جميع ما يجرى على الانسان من الطاعة والمعصية والكفر والايمان انما يجرى عليه بخلق الله تعالى وما يخلقه الا بمشيئته فلا يشاء ان يخلق فيكم مشيئة الطاعة الا اذا علم منكم اختيار ذلك قرأ نافع والكوفيون تشاؤن على الخطاب العام اوعلى الالتفات من الغيبة فى قوله نحن خلقناهم الى الخطاب والباقون بياء الغيبة على وفق قوله خلقناهم (قوله ليطابق الجملة المعطوف عليها) فانها معطوفة على جملة يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين وقع منصوبا على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فتطابقت الجملتان فى الفعلتين بخلاف ما اذا رفع والظالمون على الابتدآء فانه حينئذ تفوت المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يضمر ناصب الظالمين بما يوافق لفظ المفسر وهو اعدلهم بل اضمر ما يناسبه فى المعنى مثل اوعد وكافأ لان لفظ اعد لا يتعدى بنفسه * تمت سورة الانسان والحمد لله رب العالمين

(سورة والمرسلات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى والمرسلات) جمع مرسلة بمعنى الطوآئف المرسلات بالالف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة المصلحة ومن حق جمع المؤنث من العقلاء ان يجمع بالالف والتاء ولا يكفى فى صحة جمع المرسلات بالالف والتاء ان يقدر كونها صفة الملائكة لانه يستلزم ان يكون مفردها مرسلا بمعنى ملك مرسل وليس كذلك بل هى جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة فتكون المرسلات بمعنى الطوآئف المرسلات من الملائكة (قوله متتابعة) اشارة الى ان عرفا حال من المنوى فى المرسلات وانه من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلة فى تتابعهم وتلو بعضهم بعضا بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤا كعرف الفرس اى متتابعين وفى الصحاح العرف عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس اى يتتابعون كعرف الفرس انتهى (قوله باوامره) اى بتنفيذ ما حكم به وامرهم بامضائه كتعذيب قوم وانجاء آخرين وليس المراد من ارسالهن بالاوامر ايصال اوامر الله الى الانبياء لانه لا يبقى حينئذ للتخصيص بالاوامر فائدة ويكون قوله والناشرات تكرارا وعصفا مصدر مؤكد وكذلك نشرا وفرقا وعصوف الريح شدة هبوبها شبهت الطوآئف المرسلات من الملائكة فى سرعة جريهن فى نزولهن وهبوطهن بالرياح الشديدة الهبوب والفاء للدلالة على اتصال جريهن فى نزولهن بالارسال من غير مهلة وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات وعطف قوله والناشرات على المرسلات بالواو لعدم كون نشر الشرآئع متفرعا على الارسال ومتعقبا له فان الملائكة اول ما يبلغون الوحى الى الرسل لا يصير ذلك الدين فى الحال مشهورا منتشرا بل اكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادا فلم يعطف النشر على ما قبله بفاء التعقيب بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع فى الوجود مع قطع النظر عن افادة معنى التعقيب والتراخى ثم اذا حصل النشر رتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل والقاء الذكر الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى ان يتم مراسم الدين وما يتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الى ان ينزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فلذلك عطف هذين الامرين بفاء التعقيب وهذا وجه الترتيب على تقدير ان تكون الصفات الخمس لطوآئف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب على ان تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة (قوله او بآيات القرآن) عطف على قوله بطوآئف من الملائكة فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرآن الموصوفة بتلك الصفات الخمس (قوله بكل عرف) اشارة الى ان انتصاب عرفا حينئذ بنزع الخافض (قوله فعصفن سائر الكتب والاديان) اى غلبتها وقهرتها يقال عصف الشئ اى اباده واهلكه وعصفت الحرب بالقوم اى ذهبت بهم (قوله او برياح عذاب ورياح رحمة) فعلى هذا يكون قوله والناشرات قسما مستأنفا برياح الرحمة بعد ان اقسم برياح العذاب التى ارسلت عرفا اى متتابعة كشعر العرف فعصفن وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بقرينة توصيفها بالعصف الذى هو شدة الهبوب وهى امارة كونها مرسلة للعذاب وحمل ما بعدها على رياح الرحمة اخذا

من توصيفها بنشر السحاب اى بسطه فى الجو وتفريق اجزآئه بعضها عن بعض غب نشره قال الله تعالى الله يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فقوله تعالى والناشرات نشرا فالفارقات فرقا على هذا التفسير فى معنى قوله فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اى قطعا فان الكسف جمع كسفة وهى القطعة من الشئ والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء الى عفوه ورحمته وبذل الجهد فى شكر نعمه صارت تلك الرياح كأنها القت الذكر فكان الاسناد اليها مجازيا (قوله وعرفا اما نقيض النكر) يعنى ان عرفا اما بمعنى المعروف والاحسان والخير كما فى قوله تعالى وأمر بالمعروف وهو نقيض المنكر واما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا ألبوا عليه اى اجتمعوا (قوله مصدر ان لعذر وانذر) كون عذرا مصدر عذر ظاهر لان فعلا نحو شكرا وكفرا من مصادر الثلاثى واما كون نذرا مصدر انذر فليس بظاهر فلعل المراد انه اسم مصدر له وفى الصحاح الانذار الابلاغ ولا يكون الا فى نحو التخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذرى اى انذارى فانه صريح فى ان النذر اسم لمصدر انذر (قوله اوجمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار) فان لفظ فعيل كثيرا ما يستعمل بمعنى المصدر كالنكير بمعنى الانكار قال ابو على العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ويجوز ان يجمع المصدر لاختلاف اجناسه فان المعذرة تختلف بحسب اختلاف الاساءة ووجوه محوها وكذا الانذار ويجوز تثنية المصدر وجمعه عند اختلاف اجناسه وانواعه ثم ذكر احتمال ان يكون العذر والنذر جمعى العذير والنذير بمعنى العاذر والمنذر كما فى قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى اى منذر من قبيل المنذرين الاولين (قوله ونصبهما على الاولين) اى على ان يكونا مصدرين او جمعى ماهو بمعنى المصدرين بالعلية اى بان يكونا مفعولا لهما اى فالملقيات ذكرا للاعذار والانذار اى لمحو ذنوب المحقين المعتذرين الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين (قوله اوالبدلية) اى ويجوز ان يكون انتصاب عذرا اونذرا على البدل بان يكونا منعولين على البدلية من قوله ذكرا اى فالملقيات عذرا اونذرا ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا اونذرا بدل البعض من الكل فان مايتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه مايتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحى يكون بدل الكل من الكل فان ماالقى الى الانبياء من الآيات المتعلقة بمحوالاساءة وتخويف المصر عليها متحد بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك فقوله اومايعم الموحد والمشرك معناه اومايتناول احوال اهل التوحيد والشرك خاصة (قوله وعلى الثالث) وهو ان يكونا جمعى عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوى فى الملقيات اى فالملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين اومنذرين (قوله بالتخفيف) اى باسكان الذال فيهما وقرأ الباقون بتحريكها بالضم (قوله تعالى انما توعدون لواقع) اى ان الذى توعدونه من امر القيامة على أن ما موصولة فى محل النصب على انها اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف ولواقع خبرها وكان من حقها ان تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وخص الموعود بمجئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيامة فقط وقال الكلبى المراد ان كل ماتوعدونه من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول (قوله محقت) فى الصحاح الطموس الدروس والانمحاء يقال طمس الطريق وانطمس اى انمحى ودرس والطمس محو الاثر الدال على الشئ فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى طمست محقت ومحيت ذواتها لقوله واذا النجوم انكدرت وان يكون المراد محقت انوارها والاول اولى لعدم احتياجه الى الاضمار وقوله النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره مابعده عند البصريين من غير الاخفش وبالابتدآء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ماتوعدون او بعثتم اوجوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل يومئذ للمكذبين وقيل تقدير الكلام وذكر اذا النجوم طمست (قوله صدعت) اى انشقت والفرج الشق يقال فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته فانصدع اى انشق (قوله كالحب ينسف) اى يطير فى الهوآء

وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال وعذرا اونذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف اوجمعان بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين اوالبدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى اومايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محقت اواذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف

ليتخلص من تبنه قال تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقال حرقت الشئ حرقا اى بردته بالمبرد وشدد للكثرة والمبالغة (قوله عين لها وقتها) فسر توقيت الرسل بان يعين لهم وقتهم الذى يحضرون فيه للشهادة على امهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم (قوله بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله) جواب عما يقال كيف يكون تعين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيامة واماراتها كالثلاثة المتقدمة وهى الطمس والفرج والنسف مع ان الرسل قد عين لهم ذلك الوقت و بين ايام حياتهم فى الدنيا فكيف يكون ذلك من مقدمات القيامة وعلاماتها وتقرير الجواب ان ما بين لهم فى الدنيا ليس الا انهم يجمعون يوم القيامة و يسألون ماذا اجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه ولا يتعين لهم ذلك الا بحصوله ومجيئه وفسر توقيت الرسل بتعين وقت حضورهم للشهادة لا تعين وقت انفسهم وذواتهم لان توقيت الشئ بمعنى تعين وقته انما يعتبر بالنسبة الى الزمانيات المتجددة لا بالنسبة الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات القارة فلا بد من اضمار الحدث فذلك الحدث هو الذى عد من علامات القيامة وفسر التوقيت ثانيا بقوله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره فان التوقيت قد يستعمل بمعنى جعل الشئ بالغا الى وقته المحدود بمجيئ ذلك الوقت وحصوله فكما ان تسويد الشئ وتحريقه عبارتان عن تحصيل حقيقة السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشئ وتبليغه اليه والتوقيت بهذا المعنى ايضا فى الحقيقة مضاف الى حضور الرسل للشهادة على امهم وسؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين (قوله اى يقال لاى يوم اخرت) يعنى أن الجملة الاستفهامية فى محل النصب بالقول المضمر وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا اى اذا كان كذا وكذا يقال لاى يوم اخرت هذه الامور التى هى طمس النجوم ونسف الجبال وتأقيت الرسل وان يكون حالا من مرفوع اقتت اى اقتت مقولا فيها لاى يوم اجلت اى اخرت الرسل والامور المتعلقة بجمعهم واحضارهم وهى تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدقهم ونحو ذلك ومعنى الاستفهام تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله (قوله ويجوز) عطف على قوله اى يقال وتقدير الكلام حينئذ واذا الرسل اعلمت وقت تأجيلها (قوله وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لا من لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا وهلك هو هلاكا والويل موضوع موضع الاهلاك او الهلاك اشار به الى وجه وقوع ويل مبتدأ مع انه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء لذلك كما قالوا فى سلام عليكم والمصنف قدر مفعول المكذبين المذكورين اولا فقال للمكذبين بذلك اى بيوم الفصل و بكل ما اخبر به الانبياء عنه وثانيا قدره بان قال للمكذبين بآيات الله وانبيائه ليكون كل واحد من التكذيبين مغايرا للآخر بتغاير متعلقهما هربا من التكرار واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر فخوفهم اولا بان اقسم على ان اليوم الذى يوعدون به وهو يوم القيامة لواقع ثم هول فقال وما ادراك ما يوم الفصل ثم زاد فى التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهذا نوع من التخويف ثم ذكر نوعا آخر منه فقال الم نهلك الاولين وهو الكفار الذين هلكوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف اهل عصره من الكفار بان اخبرهم بانه اهلك الكفار المتقدمين بسبب كفرهم فلما كان سبب اهلاك الاولين حاصلا فيهم لزمهم ان يخافوا منه (قوله ثم نحن نتبعهم) اختار قرآءة الجمهور وهى القرآءة برفع قوله نتبعهم على القطع عما قبله واستئناف الاخبار بما يفعله فى المستقبل باضمار المبتدأ اى نحن نتبعهم و يعضده قرآءة ابن مسعود رضى الله عنه ثم سنتبعهم بزيادة سين التسويف وقرآءة الرفع متعينة على ان يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لو قرئ بالجزم لكان المعنى حينئذ اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين فى الاهلاك لكون الاتباع واقعا فى حيز لم التى تقلب معنى المضارع الى الماضى وتنفيه فيه والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب ان يكون المراد بالآخرين على قرآءة الجزم الذين تأخر هلاكهم عن اهلاك المتقدمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام ثم انه تعالى خوفهم بنوع ثالث فقال ألم نخلقكم من ماء مهين الآية وهو استفهام تقرير فمن اقر بقدرته تعالى على الابدآء لزمه ان يقر بقدرته على الاعادة ثم انه لما انكر الاعادة ناقض نفسه مكابرة وعنادا فاستحق ان يقال له ويل يومئذ للمكذبين (قوله فقدرنا على ذلك اوفقدرناه) يعنى ان قدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة و يعضده قوله فنعم القادرون اى قدرنا على

(واذا الرسل اقتت) عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل (لأى يوم اجلت) اى يقال لأى يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله و يجوز ان يكون ثانى مفعولى اقتت على انه بمعنى اعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما ادراك ما يوم الفصل) ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله (ويل يومئذ للمكذبين) اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) اى ثم نحن نتبعهم نظرآءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق فى الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب (الم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قرآءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك او على الاعادة

(الم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت اى يضم و يجمع كالضمام والجماع لما يضم و يجمع اومصدر نعت به اوجمع كافت كصائم وصيام اوكفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها (احياء واموانا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم اولان احياء الانس واموانهم بعض الاحياء والاموات اوالحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال اوالحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالا ينبت

خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن الصور والهيئات ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخفف لغة فى قدر المشدد فان قوله تعالى قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد مع انه بمعنى التقدير ويدل على كون مافى الاية من التقدير قرآءة نافع والكسائى بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدرون والمراد تقدير خلقه وجوارحه وألوانه واشكاله ومدة حمله وحياته والقرار المكين الموضع المستقر الحصين وهوارحم فان الماء الذى يخلق منه الولد لابد وان يثبت فى الرحم ويتمكن فيه الى قدر معلوم اى مقدار من الوقت معلوم لله تعالى لايعلمه غيره وذلك المقدار تسعة اشهر اواقل اواكثر ومالا يخلق منه الولد لا يستقر فى الرحم ثم انه تعالى لماشرع فى النوع الرابع من تخويفهم بان ذكر ماانعم به عليهم من نعم الافاق فقال الم نجعل الارض كفاتا الآية وقد ذكر قبل هذه الاية ماانعم به عليهم من نعم الانفس وهوان اوجدهم من المادة الخسيسة بعدما انبتها فى الزاوية الخسيسة الى وقت الولادة وصورهم باحسن الصور واحكم الخلقة وقدم ما ذكر فيه نعم الانفس على ماذكر فيه نعم الآفاق لكون مافى الانفس اصلا بالنسبة الى مافى الآفاق فانه اولا الوجود ومايتفرع عليه من القوى والآلات لماتيسر الانتفاع بشئ من النعم التى فى الآفاق حملهم على ان يقروا بانه الذى خصهم بهذه النعم التى كل واحدة منها اعجب من البعث وأدل على كمال قدرته وبديع حكمته ليستدلوا به على الاعادة ويستعدوا لذلك اليوم فهذا هو وجه التخويف بهذه الاية وقوله كفاتا مفعول ثان لقوله نجعل لان المعنى ألم نصيرها كافتة تضم الاحياء الى ظهرها والاموات الى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما للناس تشبيها لها بالام فى ضمها الناس الى نفسها احياء واموانا كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم الى نفسها وكان الارض كفات لهم بمعنى انهم ينضمون اليها ويسكنون فيها فهم ينضمون اليها ايضا من حيث انها تجمع لهم جميع مايحتاجون اليه فى معاشهم من المأكل والمشرب والملبس والمركب والآنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغير ذلك وايضا انها تكفت ماينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة ومعنى الكفت فى اللغة الضم والجمع يقال كفت الشئ يكفته كفتا اذا ضمه وجمعه وفى الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة ويقال جراب كفيت وكفت اذا كان لا يضيع شيئا مما يجعل فيه وذكر المصنف فى كفاتا اربعة اوجه الاول انه اسم لمايكفت كالضمام والجماع اسمان لمايضم ويجمع يقال هذا الكتاب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب كمايقال للخيط الذى يشد به الشئ شداد والثانى انه مصدر كالكتاب والحساب وصفت الارض به للمبالغة نحو رجل عدل والثالث انه جمع كافت كصيام جمع صائم والرابع انه جمع اسم غير مشتق وهو كفت بمعنى الوعاء فيكون الكفات بمعنى الاوعية ويكون على الوجه الثالث بمعنى الاشياء الكافتة ولماورد على الوجهين الاخيرين ان الارض شئ واحد فكيف يطلق عليها لفظ الجمع اجاب عنه بقوله اجرى اى لفظ الجمع عليها باعتبار اقطارها (**قوله** منتصبان على المفعولية) فان كفاتا سوآء جعل مصدرا منونا اوجمع اسم فاعل ينصب المفعول به والمعنى على التقديرين الم نجعلها كافتة احياء واموانا (**قوله** وتنكيرهما للتفخيم) جواب عما يقال ان النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى ان الارض تكفت بعض الاحياء والاموات وليس كذلك بل هى كفات لجميع الاحياء والاموات وتقرير الجواب ان التنكير فيهما للتفخيم لا للافراد ولا للنوعية حتى يرد ماذكر وتنكير اسم الجنس القصد التفخيم لاينا فى كونه عاما مستغرقا لجميع الافراد لانه فى معنى تكفت احياء لا يعدون واموانا لا يحصرون واجاب ثانيا بانا لا نسلم كون الارض كفاتا لجميع الاحياء والاموات بل هى كفات للبعض الذى هو احياء الانس واموانهم فان الاحياء والاموات مطلقا غير منحصرة فى احياء الانس واموانهم لان بعض الحيوان يكفته الهوآء والبعض الآخر يكفته الماء فجاز ان يكون التنكير فيهما للافراد اوالنوعية (**قوله** اوالحالية من مفعوله) اى ويجوز ان يكون انتصاب احياء واموانا على انهما حالان من المفعول المحذوف اى الم نجعلها كافتة الانس والجن فى حال كونهم احياء واموانا وعلى التقديرين فهما منصوبان بكفاتا على ان يكون مصدرا وصف به اوجمع كافتة واماعلى تقدير كونه اسما لما يكفت اوجمعا للكفت بمعنى الوعاء فلايكون عاملا لما تقرر فى النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة مع كونها مشتقة لاتعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر واسم الفاعل مفردا كان اوجمعا فهما من الاسماء العاملة انتهى (**قوله** اوبنجعل) اى ويحتمل ان يكونا منصوبين بنجعل اماعلى انهما مفعولان له وكفاتا حال من الارض بمعنى كافتة واما على انهما حالان من الارض وكفاتا

مفعوله وعلى التقديرين يكون المراد بحياة الارض كونها منبتة وبموتها كونها مواتا لاتنبت (قوله جبالا ثوابت) على ان رواسي بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فانها ثوابت على الارض لاتزول وشامخات صفة ثانية لذلك المحذوف والشامخ العالي المرتفع (قوله والتنكير) اى وتنكير رواسي شامخات للتفخيم اذ من جملتها مالم يعرف ولم يرفان ماترى على ظهر الارض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها وكذا في قوله ماء فراتا للتبعيض فان السماء فيها جبال ايضا لقوله تعالى من جبال فيها من برد وفي السماء ايضا ماء فرات بل هي معدنه ومصبه والفرات الماء العذب لماعدالله تعالى انواع ماانعم به عليهم واستفهم عن انعامه عليهم بها استفهام تقرير كانه قال قد انعمنا بها عليهم ثم هدد بالويل على تكذيبهم وكفرانهم بها تعريضا بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وتخويفا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب والجزاء شرع في تخويفهم والوعيد عليهم ببيان مايقال للكفرة المكذبين للبعث والجزاء يوم القيامة فقال انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون والظاهر ان القائل هم خزنة النار اوزبانية جهنم (قوله خصوصا) يعني ان المأمور به اولا هو انطلاقهم الى انواع عذاب الآخرة عموما والمأمور به ثانيا هوانطلاقهم الى نوع مخصوص منه واختلف في انطلقوا الثاني هل هو على لفظ الامر اوالماضي فقرأ الجمهور انطلقوا على لفظ الامر وعن يعقوب انه قرأ انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضي اخبارا عن انقيادهم للامر لاجل انهم مضطرون اليه لايستطيعون الامتناع منه كانه قيل كانوا يؤمرون في الدنيا بالايمان والطاعة فلا يلتفتون اليه ويكذبون من امربه فلما امروا في العقبى بالانطلاق الى ماكذبوا به سمعوا واطاعوا اضطرارا فلو اطاعوا في الدنيا لكان خيرا لهم قيل هو بعيد لانه كان ينبغي ان يقال فانطلقوا ليرتبط الكلام باوله على طريق قولك قلت له قم فقام ويمكن ان يقال تركت الفاء بناء على ان الكلام استئناف لبيان امتثالهم كرها بعدما يقال لهم بلفظ الامر (قوله كقوله وظل من يحموم) وهو الدخان الغليظ الاسود استشهد به المصنف على ان ظل المكذبين هو دخان نارجهنم (قوله يتشعب لعظمه) اشارة الى ان قوله تعالى ذى ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازم عظمته واستشهد قتادة على ذلك اى على ان المراد بظل المكذبين هو دخان نارجهنم بقوله تعالى احاط بهم سرادقها وقال سرادق النار هو الدخان تشبيها له بالسرادق وهو واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار ثم قال ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة اخرى في جوفه قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولاكنان فتلفحهم الشمس وتسفعهم ويأخذ كرب ذلك اليوم انفاسهم وعند ذلك اليوم ينجي الله تعالى برحمته من يشاء الى ظل ظليل من ظله فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وعقابه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق يتشعب منه دخانها ثلاث شعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب والمؤمنون في ظل العرش تحت شجرة طوبى ولماكان عظم دخان جهنم مستلزما لتشعبه تشعب لامحالة وكون تلك الشعب ثلاثا لاازيد منها ولاانقص فلعل الوجه فيه ان حجب النفس عن الاستنارة بانوار القدس ثلاثة الحس والخيال والوهم فان كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة الظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة يخصه فلاجرم تشعبت شعب العذاب على حسب تعددها فان جميع مايصدر من الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لايصدر منه الابواسطة القوة الواهمة والغضبية والشهوية فلذلك تشعب العذاب ثلاث شعب على عدد القوى المؤدية اليه (قوله وغير مغن) اى وغير مبعد عنهم يعني ان قوله ولا يغني في موضع الجر بالعطف على قوله لاظليل فانه مجرور على انه صفة لظل اى ظل غير ظليل وغير مغن وان مفعول يغني من اللهب محذوف وهو شيأ ومن في من اللهب لبيانه وان قوله ولايغني من اللهب من قول العرب أغن عني وجهك اى ابعده لان الغني عن الشئ يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لايظلكم من حر الشمس ولايدفع عنكم لهب النار واللهب مايعلو على النار اذا اضطرمت من احمرار واصفرار واخضرار ثم انه تعالى وصف النار التي كان هذا الظل دخانها بانها ترمي بشرر عظيمة شبيهة بشيئين الاول القصر والثاني الجمالات الصفر والمقصود بيان ان تلك النار عظيمة جدا وقوله كل شررة كالقصر اشارة الى ان شرر اجمع شررة هي ماتطاير من النار في الجهات متفرقا كالنجوم والقصر هو البناء العالي وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده

(وجعلنا فيها رواسي شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير (واسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار والمنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) اى يقال لهم انطلقوا (الى ماكنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم بالامر اضطرارا (الى ظل) يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم وردلما اوهم لفظ الظل (ولا يغني من اللهب) وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا

(قوله ويؤيده) اى و يؤيدان شررا جمع وان وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من آحاده انه قرئ بشرار بفتح الشين والف بين الراءين وهوجمع شرارة كما ان الشرر جمع شررة (قوله وقيل هوجمع قصرة) بالفتحات كشجرة وشجر (قوله وهى) اى القصرة اصل العنق (قوله والهاء للشعب) اى ضمير انها فى قوله انها ترمى بشرر ضمير الشعب وقيل هى ضمير النار المداول عليها باللهب (قوله جمع جمل) اى كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الاول مثل جبال فى جمع جبل والثانى مثل حجارة فى جمع حجر ثم يجمع جمال على جمالات كما يجمع رجال على رجالات و بيوت على بيوتات وكذا يجمع جمالة على جمالات فجمالات على التقريرين جمع الجمع قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة والباقون جمالات (قوله وقيل سود) يعنى قيل ان المشبه به هو الجمالات السود وعبر عنها بالصفر لكون سواد الابل يشوبه شئ من الصفرة ضعفه بناء على ان تسمية الاسود بالاصفر باعتبار مايشوبه شئ قليل من الصفرة لايخلوعن بعد (قوله والاول) اى قوله كالقصر تشبيه للشرر بالقصر فى عظمته وقوله كأنه جمالات تشبيه له بالجمالات فى لونه و كثرته وتتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة حركته (قوله وقدقرئ بها) اى قرئ جمالة بضم الجيم كما قرئ جمالات بالضم وكلاهما من الشواذ (قوله بمايستحق) اى لاينطق به لكونه ممالاينتفع قائله اراد به دفع مايتوهم من كون هذه الآية مخالفة للآيات الدالة على انهم ينطقون يوم القيامة كقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى حكاية عنهم والله ربنا ماكنا مشركين وقوله ولايكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا الاانهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع مانطقوا به حجة عليهم موجبا لخجلهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلانطق لانه لاينفع ولايسمع وهذا كما يقال لمن جاء بمالاينتفع به ماجئت بشئ ثم اشار الى دفع المخالفة بوجه آخر حيث قال او بشئ وحاصله ان يوم القيامة يوم طويل ذو مواقيت ومواقف ينطقون فى بعضها ولاينطقون فى بعض فقوله فى هذه الآية لاينطقون بشئ اصلا حكاية لحالهم فى بعض تلك المواقف ولاينافيه ان يختصموا وينطقوا فى موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم فى قوله هذا يوم لاينطقون على انه خبر هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والاشارة الى غير اليوم اى هذا الذى تقدم من الوعيد واقع يوم لاينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف الى مبنى نحو يومئذ والفعل هذا معرب وعند الكوفيين هومبنى والفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم واجمع القرآء على رفع قوله فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه جواب النفى لانه لوكان جوابا لكان عدم اعتذارهم مسببا عن عدم الاذن لان المضارع انما ينتصب بعد الفاء فى جواب النفى اذا كانت الفاء سببية وذلك يوهم ان لهم عذرا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الاذن وليس كذلك فرفعوه عطفا على يؤذن وجعلوا الفاء لمجرد العطف من غير ملاحظة السببية لئلايتوهم ذلك فيكون النفى متوجها الى اذن يعقبه الاعتذار مطلقا اى مع قطع النظر عن كون عدم الاعتذار مسببا عن عدم الاذن فلايوهم الرفع ماأوهمه النصب فانه ليس لهم عذر فى الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرا فلايؤذن لهم فى ذكر العذر الباطل واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية الى سبيل الرشاد وهذه الآية تخويف للكفار وتشديد للامر عليهم بوجه اخر وذلك لانه تعالى بين فيها انه ليس لهم عذر ولاحجة فيما اتوابه من القبائح ولالهم قدرة على دفع العذاب عنهم فيجتمع عليهم فى هذا الموقف انواع من العذاب منها العذاب الروحانى الذى هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤوس الاشهاد وهو اشد من العذاب الجسمانى (قوله تقرير وبيان للفصل) اشارة الى فائدة قوله جمعناكم والاولين والخطاب فيه لمكذبى خاتم النبيين والمراد بالاولين مكذبوا من قبله من الانبياء المرسلين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ووجه كونه تقريرا للفصل بين المحق والمبطل بالاثابة والعقاب ان الفصل يستلزم الجمع بينهم ليمكن الفصل بينهم فلما قيل جمعناكم والاولين كان ذلك تقريرا لما يفهم من قوله هذا يوم الفصل (قوله تقريع) اى تخجيل لهم بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التخجيل والتقريع وهذا من قبيل العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لايتكلم به الامن تيقن عجز مخاطبه عن الكيد بالكلية تبكيتاله (قوله لانهم فى مقابلة المكذبين) يعنى ان المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الاولى من مراتب التقوى وهو التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وذلك لان السورة من

(انها ترمى بشرر كالقصر) اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هوجمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال اوجمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار لمافيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لاينطقون) اى بمايستحق فان النطق بمالاينفع كلانطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ نصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولايؤذن لهم فيعتذرون) عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن وأوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاولين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذلاحيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه ممايشتهون) مستقرون فى انواع الترفه

اولها الى آخرها نازلة فى تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم من سوء عاقبته فيجب ان تكون هذه الآية ايضا نازلة لهذا المقصود والا لتفككت آيات السورة فى نظمها وترتيبها وهذا المقصود انما يتم بان تكون الآية مذكورة اوعد المؤمنين بسبب ايمانهم وتوقيهم عن الشرك ليكون هذا نوعا آخر من تعذيبهم من حيث انه كان بينهم و بين المؤمنين كمال العداوة والبغضاء فلما بين الله تعالى فى هذه السورة اجتماع انواع العذاب على الكفار بين فى هذه الآية اجتماع انواع السعادة والكرامة فى حق المتقين عن الشرك لتضاعف حسرة الكفار واخزائهم فانهم اذا رأوا ذلك ازدادوا غما الى غمهم وعذابا روحانيا الى ماهم فيه من العذاب الجسمانى والظلال جمع ظل وتنوينه للتعظيم وهو فى مقابلة ما انطلق اليه الكفار من ظل ذى ثلاث شعب (قوله اى مقولا لهم ذلك) اى يعنى ان الجملة الامرية وما فى حيزها فى موضع النصب على انها مقول قول مضمر منصوب على انه حال من المنوى فى قوله فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقول لهم ذلك وكذا قوله كلوا وتمتعوا فى موضع الحال من المنوى فى قوله للمكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (قوله تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا) جواب عما يقال كون قوله كلوا وتمتعوا حالا من المنوى فى المكذبين يقتضى ان يقال لهم هذا القول فى الآخرة لان ثبوت الويل لهم انما هو فى الآخرة فيكون هذا القول مقولا لهم فى الآخرة ايضا وهو بعيد لان الكفار لا نصيب لهم فى نعيم الآخرة وتقرير الجواب ان هذا القول يقال لهم فى الآخرة الا انه ليس المقصود منه اباحة الاكل والتمتع لهم فى الآخرة حقيقة بل انما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم ماهم عليه فى الدنيا من ايثار الفانى على الباقى وانهماكهم فى حب اللذة البشرية والاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر امر توبيخ وتحسير وتحزين ثم علل المأمور به وهو الاكل والتمتع اياما قلائل بقوله انكم مجرمون للدلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم الهلاك والعذاب الابدى و يجوز ان يكون قوله كلوا واشربوا كلاما مستأنفا خطابا للمذكورين فى الدنيا ثم خوفهم بان اخبر ان شأنهم العصيان وترك المأمور به وهو اما الركوع بمعنى الانقياد والخضوع بالايمان والطاعة وترك الاستكبار والعناد واما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء وارادة الكل (قوله لانحنى) التحنية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيحنون تحنية رجل واحد قياما لرب العالمين وقيل التحنية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود كذا فى الصحاح (قوله فانها مسبة) اى ان هيئة التحنية هيئة تظهر وترتفع فيها السه وهى الاست اى الدبر اولها زمان ظهور السه وارتفاعها وفى التيسير فقالوا لانحنى اى لانحنى للركوع والسجود فعلوا أستاهنا فقال عليه الصلاة والسلام لاخير فى دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود (قوله وقيل هو يوم القيامة) فانه يقال لهم اركعوا يوم القيامة كشفا لحال الناس فى الدنيا فمن كان يسجد لله تعالى فى الدنيا ابتغاء لوجهه تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان ينحنى فضلا عن ان يسجد فان يوم القيامة ليس زمان تكليف حتى يكون اركعوا امر تكليف وايجاب بل هو صيغة ايجاب قصد بها كشف حالهم (قوله واستدل به على ان الامر للايجاب) وجه الاستدلال انه تعالى ذمهم على مجرد ترك المأمور به فلو لم يكن تعلق الامر به سببا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على ان مجرد الامر للايجاب فان قيل انما ذمهم على كفرهم فالجواب انه تعالى قد ذمهم على كفرهم سابقا من وجوه كثيرة وانما ذمهم فى هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل ذلك على ان ترك المأمور به لا يجوز (قوله وان الكفار مخاطبون بالفروع) وجه الاستدلال به عليه انه تعالى ذمهم على حال كفرهم بترك الصلاة فانه قد روى عن ابن عباس ان المراد بالركوع فى هذه الآية الصلاة وقد دل عليه سبب نزولها ايضا فدل ذلك على ان الكفار مخاطبون بفروع الايمان بمعنى انهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الايمان فكذلك يستحقونه على ترك الصلاة ثم انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار و وعيدهم وخوفهم بانواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم و بين انهم فى اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن مع اعجازه وحسن نظمه فقال فبأى حديث بعده يؤمنون وهو جواب شرط محذوف يعنى اذا لم يؤمنوا به فبأى كتاب يؤمنون وقرئ بالتاء على خطاب الكفار والله اعلم

سورة النبأ العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) اى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) تمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم اركعوا) اطيعوا واخضعوا اوصلوا او اركعوا فى الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانحنى فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لا يركعون) لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للايجاب والكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

(قوله اصله عن ما) ادغمت النون فى الميم لقرب مخرجهما فان احتماع الحرفين المتجانسين والمتقاربين فى الكلام يوجب ضربا من الثقل فيدفع بطريق من الطرق ومن جملة طرق دفعه الادغام لانه يورث ضربا من الخفة وأحد المتقاربين لا يدغم فى الآخر الابعد قلبه بالآخر تحقيقا للمماثلة الموجبة للادغام (قوله لما مر) اى من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية تحذف ألفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية والاسمية نحو لم وبم والى م وعن م وعلى م ونحوها وقرئ عن ما باثبات الالف على الاصل كما فى قول حسان

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد *

وطرح الالف اكثر استعمالا من اثباتها فان قلت الميم حرف شفوى ومخرج النون ما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا العليا فلا تقارب بينهما فى المخرج فما سبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة قد جعلتهما كالمتقاربين فى المخرج والغنة مرة تخرج من الخيشوم ومرة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت فى الخيشوم والاغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه (قوله كأنه لفخامته خفى جنسه فيسئل عنه) يعنى ان كلمة ما سواء كانت لشرح المفهوم اوكشف الشئ المعلوم الموجود اداة للطلب والسؤال يطلب بها شرح المفهوم اوكشف الحقيقة العينية والمطلوب لابد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشئ العظيم الشان المفخم القدر وان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤل عنه من حيث انه لفخامته وعظم شأنه صار كأنه يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسئل عنه كالاشياء التى جهلت مفهوماتها اوحقائقها فطلبت بما ولاجل هذه المشابهة استعمل فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ما سجين ما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم (قوله او يسألون) يعنى يجوز ان تكون صيغة التفاعل فى الآية على اصلها من الدلالة على ان اصل الفعل بين اثنين فصاعدا بان يكون كل منهما فاعلا له من وجه ومفعولا من وجه كالتخاصم والتقاتل وان يكون بمعنى الفعل الثلاثى بان يكون المرفوع بها فاعلا ليس الا مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم قال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقاتل وقد يستعمل ايضا فى ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفرآء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يتساءلون (قوله اوللناس) عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد بالناس اهل ذلك العصر من الكفار والمؤمنين اما المؤمنون فيتساءلون و يسألون عنه ليزدادوا يقينا فى ايمانهم بالبعث واما الكفار فعلى سبيل السخرية وايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المصنف فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتساؤل اووعيد عليه يستدعى ان يحمل الناس على ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفار فقط فان قلت فما تصنع حينئذ بقوله فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين فى انكار الحشر فان منهم من يقطع بعدم بعثه و يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين ومنهم من يشك فيه و يقول ما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وجمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه المذكور يثبتون المعاد الروحانى والمشركون لا يثبتونه و يختلفون فى المعاد الجسمانى (قوله بيان للشأن المفخم) فتكون عن الاولى متعلقة بيتساءلون المذكورة والثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر فالمعنى على اى شئ يتساءلون على سبيل تفخيم المسؤل عنه وتعظيمه ثم بين ذلك المفخم فقال عن النبأ العظيم اى يتساءلون عن النبأ العظيم حذف متعلق الثانى لدلالة الاول عليه (قوله اوصلة يتساءلون) اى و يجوز ان تكون عن الثانية متعلقة بيتساءلون المذكور فحينئذ تكون عم متعلقة بيتساءلون المضمر الذى يفسره الظاهر فيتم الكلام بقوله عم مع متعلقه المضمر و يكون ما بعده مفسرا له ويكون التعرض لفخامة شأن المسؤل عنه مقصودا بالعرض و يدل على هذا الوجه قرآءة من قرأ عمه بهاء السكت فان هذه القرآءة تدل على انه وقف على عمه وابتدأ يتساءلون عن النبأ فهو يقتضى ان يتم الكلام عند قوله عم بان تكون كلمة عن متعلقة بمضمر يفسره ما بعده فيكون ما بعده كلاما مبتدأ وانما وقف بهاء السكت لان ألف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حال الوقف وهذه هى الفائدة المطردة فى جميع ما يوقف عليه بهاء السكت (قوله بجزم النفى والشك فيه) متعلق بيختلفون وهذا على تقدير ان يكون

(سورة النبأ مكية و ايها اربعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(عم يتساءلون) اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفى جنسه فيسئل عنه و الضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم و يترآونهم اى يدعونهم و يرونهم اوللناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم اوصلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به و يدل عليه قرآءة يعقوب عمه (الذى هم فيه مختلفون) بجزم النفى والشك فيه او بالاقرار والانكار

(كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بأن الوعيد الثانى اشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة اوالاول للبعث والثانى للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء فيهما على تقدير قل لهم ستعلمون (الم نجعل الارض مهادا و الجبال اوتادا) تذكير ببعض ماعاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كامر تقريره مرارا وقرئ مهدا اى انها لهم كالمهد للصبى مصدر سمى به مايمهد للنوم عليه (وخلقناكم ازواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها اوموتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ماتعيشون به اوحياة تنبعثون فيه عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات اقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (وانزلنا من المعصرات) السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض اومن الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب اوالرياح ذوات الاعاصير

ضمير يتساءلون لاهل مكة فانهم كما مر ليسوا بمتفقين على انكار الحشر بل منهم من ينفيه جزما ومنهم من يشك فيه وقوله او بالاقرار والانكار على تقدير ان يكون الضمير للناس كافة فانهم مختلفون فيه يقر به المسلمون وينكره الكافرون (قوله ردع ووعيد) يعنى ان كلا ردع عن التساؤل هزؤا وسيعلمون وعيد للمتسائلين بانهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم (قوله وثم الاشعار بان الوعيد الثانى اشد) يعنى ان لفظة ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل فى التراخى الرتبى اى التباعد مابين المعطوف والمعطوف عليه فى الرتبة تشبيها لتباعد الرتبة بالتباعد زمانا والمعنى المجازى هو المراد ههنا لان المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد انما تكون بالحمل على التراخى الرتبى ثم انه تعالى لما هددهم على استهزائهم بامر البعث والجزاء وبخهم بقلة الدين وسخافة العقل بان ذكرهم بعض ماعاينوا مما يدل على كمال قدرته ووفور علمه وحكمته كأنه قيل من بلغ علمه وحكمته وقدرته الى هذه المثابة كيف يصح ان يفعل فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثا فى كل فعل (قوله مصدر سمى به مايمهد) اى يبسط يقال مهدت الفراش مهدا اذا بسطته ووطأته وسمى به مهد الصبى تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والمراد الفراش وهو فى الاصل مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهدة اى ألم نجعل الارض بساطا ممهودا يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولا تميل باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ (قوله قطعا عن الاحساس والحركة) لما طعن بعض الملاحدة فى هذه الآية بان قالوا السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت فى اللغة يجيئ لمعان منها الراحة ومنها القطع يقال سبت شعره سبتا اى قطعه وحلقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده وسمى النوم سباتا لكونه مقطوعا عن الاحساس والحركة ولان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة لذلك فحسن ذكره فى اثناء تعداد النعم الجليلة والثانى انا لانسلم ان السبات هو النوم بل هو الموت وفى الصحاح والمسبوت الميت والمغشى عليه فالمعنى وجعلنا النوم موتا واستدل على صحة هذا المعنى بقوله لانه احد التوفيين لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها قال الامام وهذا القول عندى ضعيف لان الاشياء المذكورة فى هذه الآيات من جلائل النعم فلا يليق ذكر الموت فى اثنائها ولعل المصنف اشار الى دفعه بقوله لانه احد التوفيين فان الذى لايليق ذكره فى هذا المقام هو التوفى بمعنى الموت حقيقة ولا يمكن ان يكون المراد بالآية على تقدير ان يفسر السبات بالموت مايفهم من ظاهرها بل هى من قبيل التشبيه البليغ وذلك لان الموت انما يكون بانقطاع الروح عن البدن والنوم يكون بانقطاع اثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية مع بقاء الروح فى البدن فهما متباينان فكيف يكون احدهما هو الآخر فلا بد من حملها على التشبيه البليغ والحال ان التشبيه بالموت نعمة جليلة يليق ذكرها فى مقام تعداد النعم وكذا الكلام فى قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فانه ايضا من قبيل التشبيه البليغ (قوله وقت معاش) يعنى ان قوله تعالى معاشا اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش فى عبارة المصنف مصدر ميمى يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل مايعاش به فقولنا النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل اسباب التعيش وهذا التفسير مبنى على ان يفسر السبات بالقطع عن الاحساس والحركة فتحصل المقابلة بين السبات والمعاش فانه لما فسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش بما يتضمن الحركة لتحصل المقابلة (قوله اوحياة تنبعثون فيه عن نومكم) مبنى على ان يفسر السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم ان لو قيل وجعلنا يقظتكم حياة الا انه عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا (قوله السحائب) ان فسرت المعصرات بالسحائب تكون اسم فاعل من اعصرت السحائب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد وهمزة اعصر للحينونة كما فى احصد الزرع اى حان له ان يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والا لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها وان فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب والهمزة للحينونة ايضا لا للتعدية لانه يتعدى بنفسه واما اذا كانت بمعنى الرياح ذوات الاعاصير فهمزة افعل حينئذ تكون للصيرورة فيكون اسم فاعل

من اعصرت الريح اى صارت ذات اعصار وهى الريح التى تستدير فى الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود
وقيل هى ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق (قوله وانما جعلت مبدأ للانزال) اى انزال الماء جواب عما يقال
كيف جاز ان تفسر المعصرات بالرياح وهى ليست مبدأ الانزال الماء بل المبدأ لانزاله هو السحاب وتقرير الجواب
ان الرياح وان لم تكن مبدأ قريبا لانزال الماء الا انها سبب لتكون مبدئه الذى هو السحاب لانه انما يتكون
وينشأ وتمتلئ اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل مبدأ للانزال بهذا الاعتبار (قوله ويؤيده) اى
يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وان كونها مبدأ للانزال باعتبار كونها سببا لتكون مبدئه القريب قرآءة من قرأ
بالمعصرات بدل من المعصرات ووجه التأييد ان الباء للسببية والسببية فى المبدأ الآلى الذى هو الريح اظهر منها
فى المبدأ المادى وهو السحاب (قوله يقال ثجه وثج بنفسه) يعنى ان ثج قد يكون لازما بمعنى انصب بنفسه
وقد يكون متعديا بمعنى صبه غيره كما فى الحديث فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم
الهدى واختار المصنف كون ثجاجا فى الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم حيث قال فى تفسيره منصبا بكثرة
واختار الزجاج كونه من المتعدى حيث قال معناه صبابا كأنه يثج نفسه اى يصبها واياما كان فالمراد تتابع القطر
حتى يكثر الماء فيعظم النفع به (قوله وقرئ ثجاحا) بالجيم ثم بالحاء قرآءة الاعرج ويفهم من قوله ومثاجح الماء
مصابه ان ثجح متعد بمعنى صب لا بمعنى انصب ومضارعه يثجح ويقال انثجح الماء فى الوادى اى سال فقوله
ثجاحا بالحاء مرادف الثجاج المأخوذ من المتعدى كما اختاره الزجاج (قوله ما يقتات به) القوت بالضم ما يقوم
بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى لنخرج به حبا يكون قوتا للانسان كالحنطة والشعير ونحوهما
ونباتا يكون علفا للحيوان كالبقل والحشيش وجنات ألفافا يتفكه بها الانسان والجنات الحدائق الملتفة الاشجار
قدم الحب لانه هو الاصل فى الغذآء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات فى الذكر لانعدام
الحاجة الضرورية الى الفواكه (قوله جمع لف) اختلفوا فى الالفاف فذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له
كالاوزاع والاخياف فان الاوزاع الجماعات المتفرقة وكذا الاخياف الاخوة من آباء شتى وامهم واحدة وكثير
من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا فى واحده قال الاخفش والكسائى واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع
وقيل واحده لف بالضم وهو جمع لفاء كحمر فى جمع حمرآء فيكون ألفافا جمع الجمع كخضرآء وخضر واخضار
واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على ان الجموع التى جاءت على وزن فعل لا تجمع على افعال فلا يقال
فى جمع حمر احمار ولا فى خضر اخضار فالقول بان ألفافا جمع لف مخالف للقياس وفى هذا الاستبعاد نظر لان الجمع
لا يجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكون له نظير فى المفردات فلفظ لف لما كان نظير كقفل وشغل من حيث
الوزن صح ان يجمع على ألفاف ولا يضره عدم استعمال احمار واخضار ثم قال صاحب الكشاف ولو قيل هو
جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وقال صاحب الكشف وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم
ثابت واما جمعه فلا انتهى يعنى ان القول بان ألفافا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا وكأنه قاس
بناء الجمع على تصغير الترخيم وهو ان تحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغره على ما بقى نحو ان يقال حميد فى احمد
ومحمد ومحمود ولا يبالى بالالتباس اعتمادا على دلالة القرينة ويقال سويد فى اسود وخريج فى مخرج ومثل هذا
التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان تحذف
زوائد الاسم ثم يجمع ما بقى منه (قوله كان فى علم الله تعالى اوفى حكمه) لما كان الاصل فى كان الناقصة
الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها فى الزمان الذى يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او استقبالا فان كان
للماضى ويكون للحال او الاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد
بالزمان الماضى لانه امر مقدر قبل حدوث الزمان ايضا ولما لم يصح ان يكون المعنى كان ميقاتا فى زمان كذا فسره
بقوله كان ميقاتا فى علم الله تعالى اوفى حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء الازلى والتقدير الالهى فهو غير العلم عند
الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال (قوله حدا توقت به الدنيا) اى
اى نهاية ينتهى عندها بقاء الدنيا ووقتا يبتدأ فيه احوال الآخرة وتوصيف الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات
اخص من الوقت حيث قيده بكونه حدا ينتهى عنده بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهى اليه الخلائق من الجن والانس
كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقيد الاول بكونه زمان الوعد والثانى بكونه

وانما جعلت مبدأ الانزال لانها تنشئ السحاب
وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء
ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى
الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت
بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح
الماء مصابه (لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به
وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا)
ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف
وعيش مغدق * اولفيف كشريف اولف جمع
لفاء كخضرآء وخضر واخضار اوملتفة بحذف
الزوائد (ان يوم الفصل كان) فى علم الله اوفى
حكمه (ميقاتا) حدا توقت به الدنيا وتنتهى
عنده اوحدا للخلائق ينتهون اليه

زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من الثواب والعقاب او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق في موقف الحساب للفصل مايدل على صحة البعث وامكانه اتبعه بذكر ان يوم الفصل حد ينتهي عنده هذا النظام المحسوس (قوله او بيان ليوم الفصل) يحتمل ان يكون المراد به انه عطف بيان ليوم الفصل وانه منصوب بتقدير اعني وافواجا حال من فاعل تأتون وهذا النفخ هي النفخة الاخيرة التي عندها يكون المحشر والنفخ في الصور اما بمعنى نفخ الارواح في اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر في جمع بسرة واما بمعنى نفخ اسرافيل عليه الصلاة والسلام في القرن والصور حينئذ اسم مفرد بمعنى القرن الذي ينفخ فيه للبعث (قوله تحشر عشرة اصناف من امتي) فان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته عليه الصلاة والسلام حتى يكون الاصناف المحشورون احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لايخفى على احد ان المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل لايتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورتهم الحسنة وتفصيل ما ادى الى ان يحشروا عليها من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة المنظر ومعرفة ما كان سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصي مع بيان الاسباب المؤدية اليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية بقوله من امتي بمن التبعيضية (قوله منكوسون) النكس مقابل هيئة القيام على الرجل بان تجعل الرجل اعلى والرأس اسفل (قوله ثم فسرهم بالقتات) جمع قتات وهو النمام وهو تفسير الذين يحشرون على صورة القردة والثاني والثالث وهكذا على ترتيب اللف والنشر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يفضي الى تطويل الكلام فيطلب بيانها من علم التفسير (قوله وشقت) اي تصدعت بعدما كانت شدادا لافطور فيها فيكون قوله وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى (قوله فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب) لما لم يمكن حمل قوله تعالى فكانت ابوابا على ظاهره لان نفس السماء اذا كانت بكليتها ابوابا لم يبق فيها ما يعتمد تلك الابواب عليها حمله اولا على التشبيه البليغ للمبالغة في كثرة ابوابها فان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كانها ليست الا ابوابا مفتوحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي كثرنا العيون في الارض بحيث صارت كانها بكليتها عيون تتفجر وثانيا حمله على حذف المضاف اي فكانت ذوات ابواب (قوله مثل سراب) ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله اذ ترى على صورة الجبال فان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي رآه فيه لم يجده شيأ فكذلك الجبال تصير في عين الرائي كانها جبال وليست كذلك في نفس الامر لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها وصيرورتها كالعهن المنفوش ثم تتقطع وتتبدد فتصير هباء منبثا مع استقرارها في مواضعها ثم تنسف وتقلع من مواضعها كما قال تعالى فقل ينسفها ربي نسفا ثم ترفعها الرياح عن وجه الارض فتطيرها في الهواء كانها غبار كما قال وهي تمر مر السحاب واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا هي احوال عامة القيامة ومن ههنا شرع في وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا والمرصاد يحتمل ان يكون اسما للمكان الذي يرصد فيه الراصد العدو اي يرقبه كالمضمار فانه اسم للمكان الذي تضمر فيه الخيل ويطلق على المدة التي تضمر فيها الخيل ايضا وهي اربعون يوما والضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان يعلفه حتى يسمن ثم يرده الى القوت وذلك يتم في اربعين يوما وفي الصحاح الراصد للشيء الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والرصد ايضا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمرصاد الطريق انتهى ما فيه ويحتمل ان يكون المرصاد من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان والمعمار فالمعنى ان جهنم تبالغ وتجد في ترصد اعداء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد والمصنف اشار الى هذا الاحتمال بقوله اومجدة في ترصد الكفرة ويجوز ان تكون العبارة او محدة بالحاء المهملة من احددت النظر اذا توجهت ونظرت بالحد والاحكام فيكون المرصاد بمعنى المبالغ في النظر الى الكفار لئلا يشذ منهم احد وقوله كانت معناه انها كانت في حكم الله تعالى مرصادا اي موضع ترصد او مجدة فيه وقيل انها بمعنى صارت مرصدا (قوله على التعليل لقيام الساعة) المدلول عليه بقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا كانه قيل ان يوم الفصل وقت تنتهي عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه اووقت تنتهي اليه الخلائق لان جهنم مرصاد تجزي كل نفس بما كسبت لان الترقب لايكون الا لاقامة الجزاء

(يوم ينفخ في الصور) بدل او بيان ليوم الفصل (فتأتون افواجا) جماعات من القبور الى المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت وأكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت ابوابا) فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب اوفصارت ذات ابواب (وسيرت الجبال) اي في الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها (ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار اوخزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي يضمر فيه الخيل اومجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى

وقوله مرصادا خبر كانت ومآبا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون بدلا من مرصادا اى انها كانت مرصادا لهم وحدا لا يتجاوزونه ثم ان كان مرصادا بمعنى مجدا فى ترصد الكفرة يكون قوله للطاغين متعلقا بمرصادا وان كان اسم مكان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة النار الكفار يجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا وان يكون حالا من مآبا وكان فى الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا وعلى التقديرين يكون متعلقا بمحذوف وان كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها لا يجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا بل يكون حالا من مآبا ليكون قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا كلاما مبتدأ ولعل المصنف اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى للطاغين بقوله مآبا ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كيفية استقرارهم هنالك فقال لابثين فيها احقابا وهو حال من المقدر المنوى فى قوله للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعمول له والاحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر ومنه قوله تعالى او امضى حقبا نقل الامام عن الفرآء انه قال اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحتقد واحتقبه بمعنى اى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كانه جمعه واحتقبه من خلفه فلذلك فسر المصنف قوله احقابا بقوله دهورا متتابعة اى يتبع بعضها بعضا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة قال الحسن لم يجعل الله تعالى لاهل النار مدة بل قال احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الابد وقال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلاثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا (قوله وان كان فن الخ) اى وان كان فيه ما يدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم (قوله واو جعل قوله تعالى لا يذوقون فيها الخ) جواب ثان عما يرد على قوله تعالى لابثين فيها احقابا وهو دلالته على خروج الكفار منها وتقرير الجواب سلمنا ان احقابا المنكر يدل على التناهى وعدم التتابع الى ما لا نهاية له لكن تناهى الاحقاب انما يستلزم تناهى اللبث المقيد بمضمون الحال وتناهى اللبث المقيد لا يستلزم تناهى مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج (قوله او نصب احقابا لا يذوقون) جواب رابع تقريره ما ذكرتم من ان تناهى الاحقاب يدل على تناهى اللبث فيها المستلزم لخروجهم منها موقوف على قول من يرى تقدم معمول ما بعد كلمة لا عليها وحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث (قوله ويجوز ان يكون جمع حقب) اى بكسر القاف وهو جواب خامس عنه تقريره ان ما ذكرتم مبنى على ان يكون احقابا ظرفا لابثين وليس بلازم لجواز ان لا يكون ظرفا اصلا بل يكون حالا من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى مجدبين يقال حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب فعلى هذا يكون قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسيرا لتكذيبهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيما حتى يحتاج الى التوجيه (قوله والمراد بالبرد ما يروحهم) كانه اشار الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا وتقرير الجواب ان بردا وان كان نكرة واقعة فى سياق النفى المقتضى العمومية فى كل برد الا انه خص بالبرد النافع المروح لقيام المخصص وقوله ولا شرابا اى ولا ماء باردا تخصيص بعد التعميم لشمال الماء البارد فى الترويح وقوله الا حميما وغساقا استثناء منقطع لان الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروح فى تسكين العطش فى شئ والحميم الماء الحار الذى انتهى حره والغساق صديد اهل النار (قوله او النوم) سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد اى اصابنى من البرد ما منعنى من النوم (قوله اى جوزوا بذلك جزآء ذا وفاق) على ان جزآء مصدر مؤكد لفعله المحذوف وقوله وفاقا صفة لجزآء بتقدير المضاف اى جزآء ذا وفاق او بان يوصف الجزآء بنفس الوفاق للمبالغة فى وفاقه لاعمالهم (قوله او وافقها وفاقا) على ان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف لجزآء فتكون الجملة صفة جزآء والتقدير جوزوا بذلك جزآء وافق اعمالهم وفاقا وجه الموافقة بينهما انهم أتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار ابدا (قوله بيان لما وافقه هذا الجزآء) اى بيان للاعمال القبيحة الناشئة عن فساد القوة العملية فان من لا يخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه فلا يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب فى التحلى للطاعات ولما كان الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان وكان الشئ الصعب الشاق لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى انهم كانوا

(لابثين فيها) وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ (احقابا) دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة اوسبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكن فى لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذآئقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد (جزآء وفاقا) اى جوزوا بذلك جزآء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لا يرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزآء

(وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة اوكانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ احصيناه) وقرئ بالرفع على الابتدآء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط اولفعله المقدر اوحال بمعنى مكتوبا فى اللوح اوفى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا اوموضع فوز (حدائق واعنابا) بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال اوالبعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (اترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملأى وادهق الحوض ملأه (لايسمعون فيها لغوا ولاكذابا) وقرأ الكسائى بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذلايكذب بعضهم بعضا

لايرجون حسابا معناه لايخافون كذا وقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا معناه مالكم لاتخافون عظمة الله تعالى ثم بين فساد قوتهم النظرية فقال وكذبوا بآياتنا كذابا ولاشك ان من فسدت كل واحدة من قوتيه النظرية والعملية وتباعد عن كل واحد من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح كان فى غاية الردآءة ونهاية الفساد فاستحق ان يعاقب باهول العقاب جزآء وفاقا فان مدة عمره وان كانت متناهية الاان قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار ابدا موافقا لحاله فى عدم التناهى فان ماجوزى به من العذاب وان كان متناهيا من حيث انه تعالى قادر على مافوقه من مراتب العذاب الاانه غير متناه بحسب المدة لانه مؤبد فكل واحد منهما موافق للآخر فى مطلق عدم التناهى (قوله مطرد شائع) مثل كلم كلاما وفسر فسارا قال صاحب الكشاف وكنت افسر به فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ماسمع بمثله (قوله قال فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه) استدل به على ان الكذاب مصدر كذب الثلاثى وان معناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثى فدل ذلك على انه مصدر لذلك الثلاثى (قوله او المكاذبة) عطف على الكذب فى قوله وهو بمعنى الكذب ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين الاول ان يكون بناء المفاعلة للمشاركة كما هى الاصل فيه والثانى ان يكون للمبالغة تنبيها على كونهم مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه فيكون كذابا مصدر كاذب بمعنى بالغ فى الكذب فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان الفعل الصادر عن اثنين على طريق مغالبة كل واحد منهما الآخر لابد ان يكون اتم واقوى مما يصدر عن واحد لامغالب له فيه فاذا خرج الفعل الصادر ممن لامغالب له فيه على زنة المفاعلة كان مبنيا على تشبيه ذلك الفعل بما صدر عن المغالبين فى القوة والكمال (قوله وعلى المعنيين) وهما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون كذابا المخفف حالا من فاعل كذبوا على طريق استعمال المصدر فى معنى اسم الفاعل ويؤيده قرآءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال والجملة معطوفة على قوله وانما اقيم مقام التكذيب يعنى ان كذابا المخفف يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول مطلق لكذبوا المشدد لتضمنه معنى الكذب بناء على ان كل من كذب الحق فهو كاذب ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية (قوله ويجوز ان يكون للمبالغة) عطف على قوله جمع كاذب اى ويجوز ان يكون كذابا بالضم والتشديد صيغة مبالغة بمعنى الواحد البليغ فى الكذب نحو رجل كبار وشاب حسان وذلك الواحد البالغ فى الكذب هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا كذابا اى تكذيبا مفرطا كذبه (قوله وقرئ بالرفع على الابتدآء) وقرآءة الجمهور بالنصب على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير وهو الاولى فى هذا المقام بتقديره جملة فعلية قال ابن الحاجب ويختار النصب بالعطف على جملة فعلية للتناسب نحو جاءنى زيد وعمرا اكرمته ثم انه تعالى لما بين ان مايوجب الجزآء المذكور وهو فسادهم بحسب قوتيهم العملية والنظرية بين ان تفاصيل احوالهم الفاسدة عملا واعتقادا معلومة له فقال وكل شئ احصيناه كتابا وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه فان قوله فذوقوا مسبب عن تكذيبهم والاصل وكذبوا بآياتنا كذابا فذوقوا وفائدة الاعتراض تقرير ماادعاه من قوله جزآء وفاقا كانه قال انا عالم بجميع مافعلوه على وجه جزئى فاجازيهم جزآء وفاقا لاعمالهم وماانا بظلام للعبيد (قوله وفى الحديث هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار) لانها تدل على انهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية فى الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشرنا اليه سابقا ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه ذكر ماوعد الابرار فقال ان للمتقين مفازا وهو يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الفوز بما ينبغى ويطلب فيكون حدآئق بدل اشتمال منه وان يكون اسما لمكان الفوز وهو الجنة فيكون حدآئق بدل البعض والحدآئق جمع حديقة وهى كل بستان محوط عليه من قولهم احدقوا به اى احاطوا به وتنكير اعنابا لتعظيم حالها (قوله فلكت ثديهن) اى استدارت فصارت كالكعب فى النتوء يقال فلكت ثدى الجارية تفليكا اى استدارت كفلكة المغزل (قوله لدات) اى مستويات فى السن واحدتها ترب وواحدة اللدات لدة والهاء فيها عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانها من الولادة (قوله ملأى) فدهاقا مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق اى ممتلئ وصف به الكأس للمبالغة فى امتلائها (قوله تعالى لايسمعون فيها لغوا) اللغو هو مايصدر من الكلام فى اثناء الشرب بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لاتتغير عقولهم فلايتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح والعربدة ولايكذب

بعضهم بعضافان كذابا التشديد بمعنى التكذيب فلا يسمع فيها شئ من ذلك (قوله بمقتضى وعده) جواب عما يقال انه تعالى جعل ما وعده للمتقين جزآء وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم ثبوته وتقرير الجواب ان ذلك تفضل وعطاء فى نفس الامر وجزآء مبنى على الاستحقاق من حيث انه تعالى وعد به لاهل الطاعة وقوله عطاء بدل الكل من الكل من قوله جزآء لاتحادهما بالذات واختلافهما بحسب المفهوم وفى ابداله منه نكتة لطيفة وهى الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود و بيان كونه جزآء وسيلة اليه وقيل انتصاب عطاء على انه مفعول به لجزآء بمعنى جزاهم عطاء على ان العطاء بمعنى المعطى قيل يلزم عليه انتصاب جزآء على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف كما صرح به المصنف فى مثله والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك لان الفعل لا يؤكد بان مع الفعل وانما يؤكد بالمصدر الصريح صرح به سيبويه فى كتابه حيث قال و يعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تأكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا وفيه ان هذا الجواب يدفعه قول سيبويه و يعمل عمل فعله اذا لم يكن مفعولا مطلقا (قوله كافيا) يعنى ان قوله تعالى حسابا صفة لقوله عطاء على انه مصدر اقيم مقام محسبا بمعنى كافيا من قولهم اعطانى ما احسبنى اى ما كفانى واحسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبى ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام حسبى من سؤالى علمه بحالى اى كفانى من سؤالى (قوله اوعلى حسب اعمالهم) فيكون ايضا صفة لعطاء اى عطاء كائنا بحسب اعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم فحسابا على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدرته وفى الصحاح حسبه يحسبه بالضم حسبا وحسبانا اذا عده وقدره والظاهر ان يقال على حسب ما وعد للعاملين من اصل الثواب واضعافه فى مقابلة اعمالهم فان الجزآء وقع فى القرآن على ثلاثة اوجه الاول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والثانى ما دل عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث ما دل عليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقول المصنف اوعلى حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزآء مثل العمل وذلك انما يكون فى السيئة لا فى الحسنة والكلام فى جزآء المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراده بقوله على حسب اعمالهم كون الاضعاف الموعودة التى هى المراد بالعطاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف (قوله وقرئ حسابا) بفتح الحاء وتشديد السين على انه صيغة مبالغة من احسبه كذا اى كفاه وقياسه فعال ان يبنى من الثلاثى كصبار وعلام وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال بنى من افعل فى مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اى مجبر وادرك فهو دراك اى مدرك ثم انه تعالى لما بالغ فى وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام بوصف نفسه بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال رب السموات والارض وما بينهما (قوله بدل من ربك) اختار قرآءة من قرأ بجر لفظى الرب والرحمن على ان الاول بدل من ربك والثانى صفة للاول اوتبع له وهذه القرآءة قرآءة ابن عامر وعاصم ثم ذكر ان اباعمرو وابن كثير المكى ونافعا المدنى قرأوا برفع الاول وان اباعمرو يرفع الثانى ايضا ثم ذكر ان حمزة والكسائى قرءا بجر الاول ورفع الثانى ولم اعلم مراد المصنف ما هو لاختلاف النسخ فى بيان اعراب هذه الآية وقد ذكر شهاب الدين فى معربه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب السموات والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول و رفع الثانى و يوافقه ما فى التفسير الامام النسفى وهو قوله قرأ عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن كذلك وصفا لقوله جزآء من ربك والباقون كلاهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض وما بينهما الرحمن وقرأ حمزة والكسائى رب بالخفض نعتا للاول والرحمن رفعا لانقطاعه عن الاول فرفع على تقدير هو الرحمن وقال الامام الرازى رب السموات والرحمن فيهما ثلاثة اوجه احدها الرفع فيهما وهى قرآءة ابن كثير ونافع وابى عمرو والجر فيهما وهى قرآءة عاصم وابن عامر والجر فى الاول مع الرفع فى الثانى وهو قرآءة حمزة والكسائى وكذا فى شرح الشاطبية (قوله اى لا يملكون خطابه والاعتراض عليه) اى لا يملكون من جهته تعالى ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض عليه فيما حكم به بين العباد من اثابة بعض وعقاب آخرين على ان تنكير خطابا للتنويع ولا يلزم من عدم تمليكه تعالى اياهم ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض ان لا يأذن لهم فى الشفاعة والاعتراض على

(جزاء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزآء وقيل منتصب به نصب المفعول به (حسابا) كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى اوعلى حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض وما بينهما) بالجر بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتدآء (الرحمن) بالجر صفة له فى قرآءة ابن عامر وعاصم و يعقوب و بالرفع فى قرآءة ابى عمرو وفى قرآءة حمزة والكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر محذوف اومبتدأ خبره (لا يملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض اى لا يملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب اوعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافى الشفاعة باذنه

(يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف لايملكون اولايتكلمون والروح ملك موكل على الارواح اوجنسها او جبرآئيل اوخلق اعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن لامحالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا انذرناكم عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهوآت قريب اولان مبدأه الموت (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) يرى ماقدمه من خير اوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وماموصولة منصوبة بينظر اواستفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها - عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

(سورة والنازعات مكية وآيها خمس اوست واربعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقاصى الابدان اونفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لادراك مااعد لها من الآلام واللذات

الحاكم عبارة عن ان يتكلم فضولى فى اثناء حكمه على قصد تغيير ماحكم به والمتكلم بالاذن ليس فضوليا قاصدا لتغيير الحكم (قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق) اشارة الى ان هذه الآية فيها دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود منها ان الملائكة والروح مع انهم افضل المخلوقات لم يقدروا ان يتكلموا فى موقف القيامة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا المقصود يستدعى كونهم افضل الخلائق (قوله تعالى الا من اذن) يجوز ان يكون فى موضع الرفع على البدلية من واو لايتكلمون وهو المختار لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على أصل الاستثناء والمعنى لايشفعون الا من اذن له الرحمن فى الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له فى الشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى اوبان كان من اهل الايمان والاقرار بالشهادتين فان المؤمنين لهم الشفاعة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المعنى لايتكلمون بالشفاعة لاحد الا لمن اذن له اى الا فى حق شخص اذن له الرحمن فى شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا اى حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنه يشفعون لمن قال لااله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن فى موضع الجر باضمار حرف الجر اى الا لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذى اريد به المشفوع له وذلك فى قوله تعالى ذلك اليوم الحق مبتدأ واليوم الحق خبره والاشارة الى اليوم الذى تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال ان ذلك اليوم يوم ثابت وكائن لامحالة والخطاب فى قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا للمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اى انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذى قدمه والمرء عام لكل احد مؤمنا كان اوكافرا لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان اوشرا - تمت سورة النبأ والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة والنازعات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله صفات ملائكة الموت) توصيف الملائكة بالنازعات مثلا يستدعى ان يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لان الملك لايوصف بالذكورة ولابالانوثة وانما يصح توصيف الملائكة بنحو النازعات والناشطات باعتبار كونهم طائفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة اقسم الله تعالى بطوآئف الملائكة فان اعوان ملك الموت طوآئف مختلفة وجماعات متكثرة وصف الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات لان الواو الاولى للقسم ومابعدها للعطف فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوآئف الملائكة الموكلين بقبض الارواح والعطف لتغاير الصفات والنزع جذب الشئ بشدة والنشط جذبه واخراجه برفق ولين والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل والغرق اسم مصدر للاغراق كالسلام للتسليم فلذلك فسره المصنف بقوله اى اغراقا فى النزع وهو منصوب على انه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها لاتفاقهما من حيث المعنى فان النزع نوع من الغرق والمصنف خص طائفة النازعات بالتى تنزع ارواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالابدان وذلك انه ليس من كافر يحضره الموت الاعرضت عليه جهنم فيراها قبل ان يخرج روحه ويرى فيها اقواما مرة ينغمسون ومرة يرتفعون فعند ذلك يغرق روحه فى جسده فينزعه الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من اقاصى بدنه حتى من انامله واظفاره فقوله غرقا على هذا مفعول مطلق للنازعات كما اشار اليه بقوله اونفوسا غرقة فى الاجساد فانه معطوف على قوله ارواح الكفار والمراد بالنفوس الغرقة نفوس الكفار ايضا بقرينة النزع والنشط ولان نفوس المؤمنين ليست غرقة فى اجسادهم بل اجسادهم محض سجن لارواحهم وخص طائفة الناشطات بالتى تنزع ارواح المؤمنين فان تلك الطائفة تخرج ارواح المؤمنين برفق ولين لكون ارواحهم راغبة فى الطيران الى عالم القدس وذلك انه مامن مؤمن يحضره الموت الاويرى منزلته فى الجنة ويرى فيها اقواما من اهل معرفته وهم يدعونه الى انفسهم فعند ذلك ترغب روحه فى الخروج من ظلمة البدن وسجنه فيخرج الملك روحه برفق لسهولة تعلقه ببدنه (قوله يسبحون فى اخراجها سبح الغواص) يعنى ان قوله تعالى والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه اخراجهم لارواح المؤمنين برفق ولطف باخراج الغواص ماالتقطه من قعر البحر فكما ان من سبح فى الماء يتحرك فيه بلطف ورفق بحيث لايتأذى نفسه ولايدرى بالحركة فكذلك الملك

الذى ينشط روح المؤمن يخرجه برفق لئلا يصل اليه ألم وشدة فاطلق اسم المشبه به على المشبه واستعار منه لفظ السابحات (قوله فيسبقون) فان قيل السبق لابد له من المسبوق فما فائدة المسبوق ههنا قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع لكون السبق من لوازم الاسراع والفاء فى قوله فالسابقات فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب يعقب ادخال كل طائفة فى منزلتها والظاهر ان تدبير امور الثواب والعقاب فى الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لا من وظائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة هنا لقول المصنف هذه صفات ملائكة الموت ولعل قول المصنف ان يهيئوها لادراك ما اعدلها من الثواب والعقاب اشارة الى ذلك (قوله اوالاوليان) وهما النازعات والناشطات لهم اى لملائكة الموت والثلاث الباقية لطوائف اخرى فيكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو التى فيهما تكون للقسم لا للعطف وتكون الكلمتان اللتان بعدها عطفا عليها على طريق عطف القصة على القصة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدائى وقوله والناشطات عطف عليه اقسم الله تعالى اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن سبح فى الماء واستعارة السبح للاسراع شائع كما يقال فى الفرس الجواد انه سابح (قوله اوصفات النجوم) عطف على قوله صفات ملائكة الموت وقوله تنزع من المشرق الى المغرب يدل على ان النازعات على هذا بمعنى السائرات كأنه مشتق من نزع الى اهله ينزع نزعا اى اشتاق فكأن النجوم فى مضيها الى جانب المغرب اشتاقت اليه واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى المغرب واسناد النزع بمعنى السير الى النجوم يشعر ان النجوم تتحرك حركة ذاتية من المشرق الى المغرب كما تتحرك كذلك من برج الى برج وكذا اسناد السبح اليها يشعر بذلك والظاهر ان الامر ليس كذلك بل حركتها الى مغاربها عرضية تابعة لحركة الفلك الاعظم فينبغى ان يحمل قوله بان تقطع الفلك مبنيا على انا نراها كذلك وان كانت هى فى انفسها مركوزة فى افلاكها ومتحركة تبعا لافلاكها (قوله وتنشط من برج الى برج) نقل الامام هذا الوجه عن صاحب الكشاف ثم قال واقول مرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية وقوله والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها فى افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة لذواتها فلاجرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثانى بالنشط فتأمل ايها المسكين فى هذه الاسرار (قوله فتدبر امرا نيط بها) اسند التدبير اليها مع ان الامر كله لله من حيث ان الامور المنوطة بها المترتبة عليها مسندة اليها بحسب الظاهر وان كانت فى الحقيقة مسندة اليه تعالى من حيث انه تعالى خلق الاشياء كلها بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها فان قيل لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة قلنا المراد بالامر الجنس فصح ان يعبر به عن الجمع (قوله فانها تنزع عن الابدان) اى تقلع تعلقها عن الابدان قلعا شديدا شبه قلع التعلق بالنزع لانها تعلق من كثرة الاتصال بالشئ فان نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو فى صدد الموت فلان فى النزع اى فى قلع تعلق روحه ببدنه وتلك النفوس الفاضلة كما انها تنزع اى تقلع تعلقها بالابدان عنها تنشط اى تخرج منها الى عالم الملكوت ثم انها لاشتياقها الى الاتصال بالعالم العلوى ترتقى اى عالم الملائكة ومنازل القدس على اسرع الوجوه فى روح وريحان بعد خروجها من ظلمة الاجساد فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس الفاضلة فى النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم فى هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اليه ابطأ ولاشك ان الارواح السابقة اشرف فلاجرم اوقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لعلو همتها فى تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوتها لا يبعد ان يظهر فيها آثار وتدبيرات فى هذا العالم فتكون من المدبرات الا ترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه (قوله اوحال سلوكها) عطف على حال المفارقة عن الابدان اى اوهى صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها (قوله اقسم الله بها على قيام الساعة) يعنى ان جواب القسم محذوف وهو لتبعثن ويدل عليه ما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا أئذا كنا عظاما نخرة اى انبعث اذا صرنا عظاما نخرة والنفخ فى الصور نفختين ويدل عليه ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان واما ان القيامة واقعة لانه تعالى قال والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقال

اوالاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امرا اوصفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا اوصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات اوحال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس وتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات اوصفات انفس الغزاة اوايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها اوصفات خيلهم فانها تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه

والمرسلات عرفا ثم قال انما توعدون لواقع فكذا ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة وقيل الجواب مذكور وهو اما قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفة يحصل قلوب واجفة وابصارها خاشعة واما قوله تعالى هل اتاك حديث موسى فان هل ههنا بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فانه بمعنى قد اتاك واما قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (قوله وهو منصوب به) اى بالجواب المحذوف الذى هو قيام الساعة والتقدير والنازعات لتبعثن يوم ترجف الراجفة فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيامة لاتقع يوم تضطرب الاجرام الساكنة الذى هو يوم النفخة الاولى وانما تقع عند النفخة الثانية ويدل عليه قوله تعالى تتبعها الرادفة وبينهما اربعون سنة اجيب عنه بان المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذى يحصل فيه النفختان ولاشك انها تقع فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل عليه ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا من الرادفة فانه يستلزم كون الرجفان واقعا فى حال كون الرادفة تابعة له وان يكونا فى زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لا يكون الا بان يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجيف الحركة والاضطراب ولفظ ترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى ان يكون قيام مدلوله بفاعله حادثا بعد نزول الآية والرجفة انما تحدث فى الاجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة ليتصور عروض الحركة لها (قوله او الواقعة) عطف على الاجرام الساكنة والمراد بالواقعة النفخة الاولى سميت راجفة لكونها سببا لاضطراب الاجرام الساكنة واسندت الرجفة اليها على طريق اسناد الفعل الى سببه والاصل ان يقال يوم ترجف الارض والجبال بسبب حدوث الواقعة التى هى النفخة الاولى وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد الرجفة اليها حقيقة وحينئذ يكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة التى هى السماء والكواكب سميت رادفة لانها فى تغير احوالها الى الانشقاق والانتثار تتبع الاجرام الساكنة فى الرجفة والاضطراب (قوله او النفخة الثانية) هذا على تقدير ان تفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ما كان بعد شئ آخر يقال ردفه اى جاء بعده والنفخة الثانية تجئ بعد الاولى وكذا تغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانها ايضا تكون بعد رجفة السواكن وزلزالها (قوله وهى صفة للقلوب) اشارة الى وجه الابتدآء بقلوب وهى نكرة يعنى انها وان كانت نكرة لكنها موصوفة بقوله واجفة والنكرة الموصوفة يجوز الابتدآء بها فقلوب مبتدأ و يومئذ ظرف لواجفة وابصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيفت الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف واشار المصنف اليه قوله اى ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب ايضا قوله يقولون قال الامام خصص قوله قلوب بقوله واجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لايخافون بل المراد قلوب الكفرة ومما يؤيد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة وهذا لايقوله الا الكفار (قوله ولذلك) اى ولكون خشوع الابصار وذلتها ناشئا من الخوف بحيث يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب التى هى محل الخوف وهو من احوالها وخواصها واضافة الابصار لما كانت فى معنى توصيفها بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالذلة وبان سبب ذلتها ما فى القلوب من الخوف والوجفة والوجيف خفقان القلب واضطرابه ومنه وجيف الفرس والبعير فى العدو والايجاف هو حمل الدابة على السير السريع وللمفسرين عبارات كثيرة فى تفسير الواجفة ومعناها واحد قالوا فى تفسيرها خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة ونحو ذلك ثم انه تعالى حكى عن منكرى البعث والقيامة اقوالا ثلاثة اولها قولهم ائنا لمردودون فى الحافرة وثانيها قولهم أئذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم فى الدنيا استبعادا للبعث وتجحيدا له والحافرة فى الاصل عبارة عن الطريق التى سلكها المرء اولا واثر فيها اقدامه بمشيه عليها جعل اثر القدم حفرا وسميت الطريق حافرة على النسبة بمعنى انها ذو حفر كالبئر ثم اطلقت الحافرة على الحالة الاولى واول الامر حتى قال الواحدى الحافرة عند العرب اسم لاول الشئ وابتدآء الامر قال الشاعر

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يقول أأرجع الى ما كنت عليه فى شبابى من الغزل والتصابى بعد ان شبت وصلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر

(يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة لقلوب والخبر (ابصارها خاشعة) اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل

وعارشديد فمعنى الآية أنردالى اول احوالنا فنصير احياء كما كنا (قوله وقرئ فى الحفرة) على وزن الكلمة وهوصفة مشبهة من قولهم حفرت اسنانه تحفرت حفرا اى فسدت اصول اسنانه وتقشرت بالاوساخ وركبها الوسخ من ظاهرها و باطنها مرة بعد اخرى والمراد بالحفرة على القرآءة بها الارض الميتة المتغيرة بما فيها من الاخباث واجساد الموتى والمعنى أئنا ونحن فى الارض المتغيرة بما انضم اليها من القاذ ورات لمردودون فقوله فى الحفرة فى موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل يجوزان تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها (قوله وقرأنافع اذا كنا على الخبر) فكلمة اذا حينئذ معمول لقوله لمردودون بخلاف ما اذاقرئ أئذا على الاستفهام فان عاملها حينئذ يكون محذوفا مدلولا عليه بقوله لمردودون والتقدير أنرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا ان العامل حينئذ يكون محذوفا لان حرف الاستفهام يمنع ان يكون ما بعده معمولا لما قبله والنخرة والناخرة تنبئ كل واحدة منهما عن البلى والفساد الا ان النخرة للدلالة على الثبوت والناخرة على الحدث وقيل النخرة هى التى تنبئ عن البلى والتفتت والناخرة هى العظام الفارغة المجوفة التى يحصل فيها صوت عند هبوب الريح كنخير النائم لا من النخر بمعنى البلى (قوله ذات خسران اوخاسرة اصحابها) بمعنى ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم هم الخاسرون والكرة مخسور فيها اما على ان يكون بناء الفاعل للنسبة كتامر ولابن واما على طريق اسناد الفعل الى ظرفه وقوله تلك مبتدأ اشير بها الى الردة والرجعة فى الحافرة وكرة خبرها واذا جواب وجزاء والمعنى ان كان البعث بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجعه ورجع بنفسه والكرة المرة من الرجوع وقوله وهو استهزآء منهم اى بأمر الحشر حيث ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات اجاب بقوله فانما هى زجرة واحدة (قوله متعلق بمحذوف) يعنى ان الفاء تعليلية لجملة محذوفة والتقدير لا تستبعدوا تلك الكرة ولا تستصعبوها فانما هى سهلة هينة فى قدرة الله تعالى فما هى الا صيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهى نفخة اسرافيل عليه الصلاة والسلام قال المفسرون يحييهم الله تعالى فى بطون الارض فيسمعونها فيقومون (قوله لان السراب يجرى فيها) جعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء عليها فقيل لها ساهرة تشبيها بالعين الساهرة اى الجارية الماء واختلفوا فى ان الساهرة هل هى ارض الدنيا ام ارض الآخرة فقال بعضهم هى ارض الدنيا وقال اخرون هى ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى ارض الآخرة فقال ابو سعيد الساهرة هى صحرآء على شفير جهنم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا فى ذلك الانكار الى حد الاستهزآء فقالوا تلك اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وما تحمله من المشاق العظيمة فى دعوة فرعون وبين عاقبة من اطاعه ومن عصاه ليكون ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديدا لمكذبيه كما اشار اليه المصنف بقوله فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه انتهى قوله أليس قد اتاك حديثه) اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة استغناء عنها بلفظة هل لكثرة وقوعها فى الاستفهام بحيث صارت كانها علم الاستفهام بنفسها فاستغنى بها عن الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام وتقريب الحكم المستفهم عنه من الحال فلذلك اتى المصنف فى تفسير هل اتاك بهمزة الاستفهام وكلمة قد اى أقد اتاك وبلغك حديثه عن قريب ومعنى الاستفهام حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه قبل ذلك كما فى ألم نشرح لك صدرك وألم يجدك يتيما وأليس الله بكاف عبده وزاد كلمة ليس فى قوله أليس قد اتاك لكونها اظهر فى الدلالة على ان الاستفهام للتقرير لان انكار النفى اثبات وهذا المعنى مبنى على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام واما ان لم يكن اتاه قبل ذلك فحينئذ يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار اذلا وجه لحمله على الاقرار حينئذ (قوله قدم بيانه) ذكر فيها ان طوى بالضم اسم للوادى المقدس فيكون عطف بيان له لكون الاسم اوضح وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر فى انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء فصورا وهو الشئ المثنى او الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اى مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق بنودى اى نودى نداءين وان يتعلق بالمقدس اى قدس مرتين وثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفرآء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية وهو اسم للمكان وهو

وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران اوخاسرة اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزآء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا و قيل اسم جهنم (هل اتاك حديث موسى) أليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قدم بيانه فى سورة طه

(اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى القول (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) بأداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) اى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل

مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن صيغته كعمر و زفر ثم قال والصرف احب الى اذا لم اجد له فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن فاعل غير طوى وقيل طوى بمعنى يارجل بالعبرانية فكأنه قيل يارجل اذهب الى فرعون وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما انتهى واذ فى قوله اذناداه ظرف منصوب بحديث اى اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لا بقوله اتاك لاختلاف وقتى الاتيان والنداء ضرورة ان الاتيان لم يقع فى وقت النداء وقوله اذهب مقول قول مضمر اى اذناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين فى اى شئ تعدى ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر به وقال آخرون انه طغى على بنى اسرائيل بان استذلهم غاية الاذلال والتحقير والاولى ان يحمل على الاطلاق والتعميم ويكون المعنى انه طغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما (**قوله** هل لك ميل) اشارة الى ان لك خبر مبتدأ محذوف وان كلة الى متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع فى الكلام يقال هل لك فى الخير والتقدير هل لك رغبة فى الخير ومن قرأ تزكى تشديد الزاى اى ادغم احدى التاءين فى الزاى لقرب مخرجهما ومن قرأ بالتخفيف حذف احدى التاءين للتخفيف لان اجتماع المثلين يوجب الثقل والتخفيف كما يحصل بالادغام يحصل بالحذف ايضا والتزكى عن النقائص لما توقف على الهداية والارشاد عطف عليه قوله واهديك الى ربك فتخشى قدم الهداية الى معرفة الله تعالى لكونها اول ما يجب على المكلف فى باب الاعتقاد ثم رتب عليها ما هو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى فان من خشى الله تعالى يسارع الى الخيرات ومن أمن تجرأ على المعاصى والمنكرات قال عليه الصلاة والسلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا سار وامن اول الليل وان سار وامن آخر الليل يقال انهم ادلجوا بتشديد الدال (**قوله** اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة) تعليل لكون المضاف المقدر فى قوله الى ربك هو المعرفة حيث قال وارشدك الى معرفته (**قوله** وهذا كالتفصيل) وذلك لان المأمور به فى قوله تعالى لموسى وهرون اذهبا الى فرعون فقولا له قولا لينا مفهوم مجمل يحتمل صورا شتى والمأمور به فى هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون بمنزلة التفصيل له ووجه كونه لينا انه عليه الصلاة والسلام ابتدأ فى مخاطبة فرعون بالاستفهام عن ميله الى كونه زاكيا عما لا يليق به ومتطهرا عنه ولم يخرج كلامه على صورة الامر والالزام ولم يصرح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران نعمة خالقه ورازقه وكونه متوغلا فى الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظة ووجه كونه كالتفصيل ظاهر وظهر منه انه لابد فى الدعوة الى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (**قوله** فذهب وبلغ فأراه) اشارة الى ان الفاء فى قوله فأراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله تعالى اذهب الى فرعون فقل له كذا وكذا ونظيره قوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز كثير فى القرآن (**قوله** وهى قلب العصا حية) اعلم انهم اختلفوا فى الآية الكبرى على ثلاثة اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله تعالى فى سورة طه وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبى وقال عطاء هى قلب العصا حية وقال مجاهد هى مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اول ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان تكون مجموعهما واختار المصنف القول الثانى ثم استدل على ما اختاره بانها كانت مقدمة فى الارادة حيث ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى عليه الصلاة والسلام فى نفسه خيفة منها وقصد ان يضرب الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك من ذلك الصنيع آية اخرى من حيث انه تعالى لم يرض بان يخاف مما اظهر الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الآية الاولى هى الداعية الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى وذلك لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا فى العصا ثم جعل فيها امورا اخر زائدة من ذلك منها حصول الحياة فى الجرم الجامد ومنها تزايد كميته وكبر جرمه وبطنه ومنها ابتلاعها اشياء كثيرة بحيث تغيب فيها وغير ذلك وكل واحد

من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا فى نفسه فعلمنا ان الاية الكبرى هى العصا (قوله او مجموع معجزاته) وجعلها آية واحدة نظرا الى وحدتها الاعتبارية وهى كون الجميع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يده فصار الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التى اعطيها النبيون قبل موسى عليه الصلاة والسلام (قوله وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر) اى امر رسالة موسى عليه الصلاة والسلام من قبله تعالى من حيث انه قد اعتقد بقلبه ان ما اظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر وانه ليس الا فعل الله تعالى خلقه فى يد موسى تصديقا له فى دعوى الرسالة وما روى من انه جمع السحرة وقال لهم انه ساحر فعارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرا او كاذبا فى دعوى الرسالة انما هو تعلل بالباطل ودفع للمحاسن وتلبيس الامر على الناس لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته واشار المصنف بقوله بعد ظهور الآية الى فائدة عطف العصيان على التكذيب وهى ان مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق صدقه وانما يكون معصية اذا كان ناشئا عن التمرد والعناد لكونه مقرونا باعتقاد كون من كذبه صادقا فى دعواه مصدقا من قبله تعالى فكانه قيل فكذب على وجه يستلزم معصية الله تعالى وقوله تعالى يسعى حال من فاعل ادبر سواء كان السعى بمعنى السعى فى ابطال امره عليه الصلاة والسلام او بمعنى الاسراع فى المشى هاربا من الثعبان وسواء اريد بالادبار الادبار عن الطاعة او الادبار عن الثعبان وكلمة ثم فى قوله تعالى ثم ادبر لاستبعاد الادبار المقيد بحال كونه ساعيا فى ابطال امره بعد ظهور الآية لا لمجرد الادبار عن الطاعة لكونه عبارة عن العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة ثم (قوله اعلى كل من يلى امركم) يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض وما بينهما وما فيهما فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه وجوزه كان مجنونا والمجنون لا يبعث اليه رسول يدعوه الى الحق بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزاء وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم رسولا ولا يحتاج الخلق الا الى من يلى امرهم ويحكم بينهم على امر ينتظم به معاشهم ومعادهم ولا يجرى بينهم البغى والاعتساف وذلك الذى يلى امركم انا لا غيرى (قوله اخذا منكلا) يعنى ان نكالا مصدر بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم وان التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة مصدر محذوف لاخذه الله وان اضافته الى الآخرة والاولى بمعنى فى كضرب اليوم اى فى اليوم والظرف للاخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى المنكل لان معنى الاخذ المنكل ان يفعل بالمسئ فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى مثل ذلك الذنب والفعل المذكور لا ينكل فى الدار الآخرة بخلاف ما فعل به من العقوبة فى الدنيا او فى الآخرة فان ما فعل فى الدنيا ينكل من رآه ومن سمعه عن اتيان مثل تلك الاساءة وما فعل فى الآخرة ينكل من سمعه وصدق به وان لم يكن منكلا لمن يراه فى الآخرة فقوله لمن رآه مخصوص بالذات المنكل الواقع فى الدنيا وقوله او سمعه يتناول للاخذ الواقع فى الدنيا وللواقع فى الآخرة فان من سمع فى الدنيا بما عوقب به المذنب فى الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب ولفظ النكال والتنكيل ينبئ عن الامتناع عن الشئ وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اذا امتنع عن ان يحلف ونكل عن العدو اذا امتنع عن معارضته ومحاربته جبنا ومخافة ونكل به على ذنبه تنكيلا اى عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما أتى به وقيل نكال الآخرة منصوب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور حملا على المعنى لان الاخذ فى قوله تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى عبارة عن العقوبة فكانه قيل نكل الله به نكال الآخرة اى تنكيلها (قوله او على كلمة الآخرة وهى هذه) عطف على قوله فى الآخرة بالاحراق وفى دار الدنيا بالاغراق وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتى فرعون المتين اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى واخراهما قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا ينبئ عن انه تعالى يمهل ولا يهمل واضافة النكال على هذا من قبيل اضافة المسبب الى سببه فان كل واحدة من الكلمتين سبب لما اضيف اليه من النكال (قوله او للتنكيل فيهما او لهما) عطف على قوله اخذا منكلا اى ويجوز ان يكون انتصاب نكال الآخرة على انه مفعول له لقوله فاخذه الله نكال الآخرة سواء كانت الآخرة والاولى صفتين

او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم ادبر) عن الطاعة (يسعى) ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ان رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه (فحشر) فجمع السحرة او جنوده (فنادى) فى المجمع بنفسه او مناد (فقال انا ربكم الاعلى) اعلى كل من يلى امركم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق او على كلمة الآخرة وهى هذه وكلمة الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما او لهما

للدار المحذوفة وكانت اضافة النكال اليهما بمعنى فى او كانتا صفتين للكلمتين وكانت الاضافة من قبيل اضافة المسبب الى سببه (قوله ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله) نحو وعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى وقد مر انه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المذكور لان معنى اخذه الله نكله الله نكال الآخرة فان اخذه ونكله متقاربان معنى كما يقال دعه تركا شديدا ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان فى ذلك لعبرة اى فيما قصصناه عليك من نصرة موسى عليه الصلاة والسلام وخزى فرعون لعبرة لمن يخشى اى شأنه الخشية فانه يدع التمرد على الله تعالى وتكذيب انبيائه خوفا من ان ينزل به مثل ما نزل بمنكرى بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وعلما بانه تعالى ينصر رسله واولياءه وانبياءه كما نصر موسى عليه الصلاة والسلام فاعتبروا معاشر مكذبى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم فيما اوجب عقابهم شاركتموهم ايضا فى حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكرى البعث فقال ءأنتم اشد خلقا اقسم الله تعالى اولا على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وذلة الكفرة فيها ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هى زجرة واحدة اى لا تستصعبوها فانها سهلة هينة فى قدرة الله تعالى والآن شرع فى بيان سهولته فقال ءأنتم اشد خلقا وفسر المصنف الشدة بالصعوبة لا بالصلابة لانه لا يلائم المقام اى اخلقكم بعد الموت مع صغر جثتكم وضعف تأليفكم اصعب ام خلق السماء بلا مادة مع عظم جرمها وقوة تأليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهى ايسر واسهل فاعادتكم اولى بان تكون مقدورة له تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر انما هو بالنسبة الى المخاطبين وقدرتهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لا تفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة (قوله تعالى ءأنتم) مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشد خلقا وبناها مستأنف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها استعمل لفظ البناء فى موضع ذكر السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البيت لا فى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء وان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء فى هذا الموضع (قوله ثم بين البناء) اى لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاول ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها واعلم ان امتداد الشئ اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من جانب اعلاه الى اسفله سمى عمقا والمراد برفع سمكها جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك والثانى من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله فسواها وفسره المصنف بوجوه ثلاثة الاول قوله فعدلها اى جعلها متعادلة الاجزاء فى سلامتها من العيوب وفى مشابهة اللون وفى سائر الاوصاف والثانى قوله اوجعلها مستوية اى متساوية غير مختلفة الاجزاء بالارتفاع والانخفاض بان يكون بعض اجزائها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بل جعل جميع اجزائها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت كونها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فأى ضرر فى الدين ينشأ من كونها كرة ويحتمل ان يكون المراد باستوائها كونها مسطحة ملساء والثالث قوله او فتممها واستعمال التسوية فى معنى الاتمام والاصلاح شائع والثالث من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها وانما اضافه اليها وحق الليل ان يضاف الى الارض لكونه اسما لزمان الظلمة الحاصلة فى الهواء بسبب حيلولة الارض بينها وبين الشمس فهو فى الحقيقة ظل الارض الا انه اضيف الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس اى يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة بين المضاف والمضاف اليه والظلمة الحاصلة فى الليل لما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره لم يرد ان يقال قوله اغطش ليلها بمنزلة ان يقال جعل المظلم مظلما فلا وجه له والرابع من وجوه كيفية بناء السماء ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها فسر المصنف الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف اى واخرج ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحاها وحذف

ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شانه الخشية (ءأنتم اشد خلقا) اصعب خلقا (ام السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا (فسواها) فعدلها اوجعلها مستوية اوفتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه (واغطش ليلها) اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها

لدلالة الضحى عليه (قوله يريد النهار) اى يريد بضحى الشمس وضوئها النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ما حل فيه فان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو اشرف ما فيه فسمى النهار به لذلك ولما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك دحاها والجمهور على نصب الارض والجبال بفعل مضمر مفسر بما بعده اى ودحا الارض رواسى الجبال وقرئ بالرفع والنصب هو المختار هنا لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التى قبلها و بتقدير النصب يحصل التناسب بينهما وكلمة بعد تقتضى ان يكون دحوا الارض بعد خلق السماء ولا يعارضه قوله تعالى فى سورة حم السجدة ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقد ذكر اختلاف الناس فى خلق السماء والارض ايهما كان اولا فى سورة البقرة وسورة فصلت وقيل كلمة بعد ههنا بمعنى مع كأنه تعالى قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك وقيل انها هنا بمعنى قبل كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى من قبل الفرقان (قوله ورعيها) اى كلأها فان الرعى بكسر الراء الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى فى اصل اللغة يطلق على موضع الرعى بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدرى الا انه لم يسمع استعماله فى المعنيين الاخيرين و يطلق ايضا على الرعى بكسر الراء وهو الكلأ وهو مجاز فى هذا المعنى مبنى على تشبيه الكلأ بموضع الرعى بالمعنى المصدرى فى تعلق الرعى بالفتح بكل واحد منهما و يجوز ان يكون المرعى اذا اريد به الكلأ مصدرا ميميا بمعنى المفعول (قوله تمتيعا لكم) على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما على انه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اى متعنا كم بها تمتيعا او على انه مفعول له اى فعلنا ذلك تمتيعا لكم (قوله وتجريد الجملة عن العاطف) جواب عما يقال لم جرد قوله اخرج عن العاطف مع كون الجملة المتقدمة مصدرة به اجاب عنه اولا بان هذه الجملة فى موضع الحال من مفعول دحاها باضمار قد فان الماضى المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة او مقدرة للتنافى فى الظاهر بين لفظ الماضى والحالية وباضمار قد يكون الماضى قريبا من الحال فيرتفع التنافى وفى مثله يجوز ترك الواو كما فى قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها ومرعاها عن العاطف وثانيا بانها جردت عن العاطف لكونها جملة مستأنفة لبيان قوله دحاها فان معناه بسطها ومهدها للسكنى ودحو الارض وتمهيدها لسكنى الحيوان لا يكون الا باشتمالها على ما لا بد منه فى تأتى السكنى فيها من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها فتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المستأنف لا يعطف على ما قبله فلذلك جردت عن العاطف ثم انه تعالى لما بين ان بعث الاموات هين عليه تعالى حيث قال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها اخبر عن وقوعه و بين ما يكون وقت وقوعه من تذكر الانسان ما عمله و براز الجحيم لجميع اهل الساهرة بحيث لا تخفى على احد فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى اى بعد ما تبين لكم امكان البعث وسهولته فاعلموا انه اذا جاءت الطامة اى الحادثة التى تعلو على ما سواها وتقهره يقال جاء السيل فطم الركية اى دفنها وسواها وكل شئ كثر حتى علا وغلب فقد طم (قوله وما موصولة) اى الذى سعاه وعمله فى الدنيا من خير او شر او مصدرية اى يتذكر سعيه (قوله لكل راء) هذا العموم مستفاد من لفظة من لانها من الفاظ العموم و يرى منزل منزلة اللازم وهذا العموم لا ينافيه قوله تعالى فى سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين و برزت الجحيم للغاوين لان اظهارها انما هو لتهديد الغاوين خاصة ولكن المؤمنون يرونها انها مأوى الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط ويؤيده قوله تعالى وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ويحتمل ان يكون اظهارها لكل راء عبارة عن اظهارها اظهارا بينا لانها صور اعمال المبطلين ابرزها تعالى يوم البعث بصور الحقيقة ليجازوا بها جزاء وفاقا ولا يلزم منه ان يراها كل راء بل يجوز ان لا يراها الا اصحاب تلك الاعمال كما لا يرى جنة الاعمال الصالحة الا اهلها (قوله دل عليه يوم يتذكر) اى اذا جاءت يتذكر الانسان سعيه وما عمله و يعرفه كل ما يستحقه ومأواه (قوله او ما بعده) اى يجوز ان يكون جواب اذا محذوفا دل عليه قوله تعالى فاما من طغى الى آخر الآية كأنه قيل فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك اى فان الطاغى للجحيم وهى مأواه وان الخائف للجنة

(واخرج ضحاها) وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها او مهدها للسكنى (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو (والجبال ارساها) اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية (متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى (الكبرى) التى هى اكبر الطامات وهى القيامة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ما سعى) بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل

وهي مأواه فان قيل على ما ذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل
ما اجمل سابقا ولم يسبق في الكلام مجمل حتى تكون كلمة اما تفصيلا له فيكون لغوا خاليا عن الفائدة قلنا انها ليست
لتفصيل هنا بل هي حرف جيئ بها لتوكيد ترتب الجزاء على الشرط و بيان ان الحكم ثابت البتة كما في قولك اما
زيد فمنطلق فان معناه مهما يكن من شيئ فزيد منطلق اي ان يقع في الدنيا شيئ يقع انطلاق زيد مترتبا عليه والمقصود
القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما لوقوع شيئ ما في الدنيا وفي شرح الرضي بجواز السكوت على مثل
قولك ماز يد فقائم يرفع دعوى لزوم التفصيل فيها و يحتمل ان يكون قوله او ما بعده معطوفا على قوله يوم يتذكر
والمعنى او دل على الجواب المحذوف ما بعد قوله يوم يتذكر الانسان من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة
الكبرى يقع ما لا يدخل تحت الوصف والبيان و يكون قوله فاما من طغى تفصيلا لذلك المحذوف (**قوله واللام فيه
سادة مسد الاضافة**) اي الى ما يعود الى المبتدأ يعني انه لابد في الخبر من رابط يربطه بالمبتدأ اذا كان جملة وكلمة من
في قوله من طغى موصولة في موضع الرفع على الابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هي المأوى خبره ولا ضمير
فيه يعود الى المبتدأ فذهب البصريون الى ان تقدير الكلام فان الجحيم هي المأوى له وانما حذف لطول الكلام
وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هي مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعني ان ترك
التعريف بالاضافة لعدم الحاجة الى تعريف المأوى بالاضافة الى صاحبها لان كل احد علم ان صاحب المأوى
هنا هو الطاغي فلم يحتج الى الرابط لعدم الالتباس ترك العائد ولم يضعف الاسم بل عرف تعريف الحقيقة
للدلالة على ان حقيقة المأوى في حقه هو الجحيم ليس الا وليست اللام في المأوى لتعريف العهد اذ لم يسبق حصة
من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب لا صريحا ولا كناية فقوله واللام فيه سادة مسد الاضافة ليس معناه
انه ترك الاضافة الى الضمير العائد واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان حرف تعريف العهد يغني غناء
الاضافة الى الضمير في افادة الربط بل معناه انه ترك الاضافة الى الضمير لعدم الاحتياج الى ما يدل على الربط وعرف
الاسم تعريف الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه و بين اسم ان لافادة الحصر و مثل هذا الضمير لا موضع له عند
الخليل و بعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبره (**قوله مقامه بين يدي ربه**) يعني ان المقام اما هو للعبد
واضيف اليه تعالى للاختصاص له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه والعبد انما يخاف من ذلك
المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به والخشية من مقام الحساب نتيجة العلم
بالمعاد ولما كان الخوف من الله تعالى سببا وعلة لمخالفة الهوى ونهي النفس عن الهوى قدمه عليه ضرورة
تقدم العلة على المعلول وكان الطغيان وايثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة اصلا لجميع القبائح والسيئات
فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى اصل لجميع الطاعات والحسنات ولذلك كان الوصفان الاولان
سببا لكون صاحبهما من اهل الجحيم وكان الوصفان الاخيران سببا للسعادة الابدية (**قوله متى ارساؤها**) على ان
ايان ظرف زمان بمعنى متى مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو
الاثبات فان المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان مما زاد على ثلاثي يكون على لفظ اسم المفعول فيه وقوله تعالى
مرساها مبتدأ وايان خبره (**قوله او منتهاها ومستقرها**) على ان يكون المرسى اسم مكان ينتهي اليه المتحرك
و يستقر فيه كمرسى السفينة كان الساعة شيئ متحرك يجري الى جانب الوقوف مثل جريان السفينة الى مستقرها
وكان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت وقوعها قائلين ايان مرساها استعجالا لها واستهزاء بمن يخبر عنها وايهاما
لاتباعهم انه لا اصل لها كما قال تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها (**قوله من ان تذكر وقتها لهم**)
اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هي لهم والقرينة الدالة عليهما ذكره
في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان مرساها سؤال منهم عن وقت اتيانها وفيم انت في مقابلة
حكاية سؤالهم وهي قرينة دلت على ذينك المحذوفين والمعنى ما انت في شيئ من تبيين وقتها لهم لانك لا تعلم وقتها لان
الاستفهام في قوله فيم انت للانكار اي ان تبيين وقتها لهم لا يزيدهم الا غيا فعلى هذا انت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه
ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر (**قوله وقيل فيم**) عطف على فحوى كلامه السابق اي وقيل قوله فيم ليس
خبرا مقدما لما بعده بل هو خبر مبتدأ محذوف اي فيم هذا السؤال الواقع من الكفرة فتم الكلام عنده ثم استأنف

(**فاما من طغى**) حتى كفر (**وآثر الحياة الدنيا**) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (**فان الجحيم هي المأوى**) هي مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدأ (**واما من خاف مقام ربه**) مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (**ونهى النفس عن الهوى**) لعلمه بانه مرد (**فان الجنة هي المأوى**) ليس له سواها مأوى (**يسألونك عن الساعة ايان مرساها**) متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه (**فيم انت من ذكراها**) في اي شيئ انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيئ فان ذكراها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها

بجملة انت من ذكراها بيانا لسبب الانكار على سؤالهم كأنه قيل انها قريبة غير بعيدة لانك علامة من علاماتها فارسالك يكفيهم دليلا على دنوها والاهتمام بتحصيل الاعتداد لها فلا معنى لسؤالهم عنها (**قوله** وقيل انه متصل بسؤالهم) اى وقيل انه ليس من كلامه تعالى على احد الوجهين بل هو من تتمة قول المشركين ايان مرساها والمعنى يسألونك عن الساعة قائلين متى ارساؤها وفى اى شئ انت تحاشيا من ان تذكر وقتها لنا فقال تعالى فى جوابهم الى ربك منتهى علمها (**قوله** وهو لايناسب تعيين الوقت) اى كون حالك مقصورا على الانذار لايناسب تعيين الوقت اذلا مدخل لتعيين وقتها فى الانذار وان محض الانذار لايتوقف على علم المنذر بوقت قيامها بل المناسب لذلك تعيين مايكون حاملا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد لها بالايمان والطاعة (**قوله** على الاصل) فان الاصل فى اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال الاعمال والاضافة انما هى للتخفيف ثم انه تعالى لما بين كونه عليه الصلاة والسلام مبعوثا لمجرد الانذار من الساعة وشدائدها بين ان شدتها بحيث انهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اوفى قبورهم ويزعمون انهم لم يلبثوا فيها الا آخر يوم اواوله ويوم ظرف لما فى كان من معنى التشبيه ولما ورد ان يقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية لاضحى لها وانما الضحى لليوم اشار الى جوابه بقوله اى عشية يوم اوضحاه يعنى ان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله اوضحاها اوضحى ذلك اليوم الذى اضيف اليه العشية الا ان الضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الاخر فلتلك الملابسة اضيف الضحى الى العشية والمراد اضافته الى يوم تلك العشية ومثله شائع فى كلام العرب يقولون آتيك الغداة اوعشيتها وآتيك العشية اوغداتها يريدون آتيك غداة النهار اوعشية النهار الذى تلك الغداة اوله فحذف ما حذف للاختصار (**قوله** كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة) عبارة عن استقصار مدة لبثه فيها بما يلقى من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف تمت سورة والنازعات بفضل الله تعالى وكرمه واحسانه ومنه ولطفه

(سورة عبس مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(**قوله** تعالى عبس) يقال عبس اى كلح بوجهه يعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم عبس وتولى اى اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع وكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم ورجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه الاصاغر (**قوله** على اختلاف المذهبين) اى فى تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما ان ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول له فأعمل البصريون الفعل الثانى لقربه منه اى تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول اى عبس لان جاءه وام مكتوم كنية ام ابيه وكان ابن ام مكتوم معروفا بجدته لابيه وروى انه لما نزلت الآية خرج عليه الصلاة والسلام فى طلبه وهو يقول من رأى الاعمى فلما لقيه عانقه وقال لن تزال فى عيالى مابقيت عيال محمد صلى الله عليه وسلم وروى انه عليه الصلاة والسلام ما عبس فى وجه فقير بعد نزول هذه الآيات (**قوله** وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما) اى بهمزتين فقط وبهمزتين بينهما الف للفصل بين همزة الاستفهام وهمزة ان ومعنى الاستفهام الانكار وعلى هاتين القراءتين يوقف على تولى ثم يبتدأ قوله أأن جاءه على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله أأن على هاتين القراءتين ليس متعلقا بما قبله (**قوله** وذكر الاعمى للاشعار الخ) جواب عما يقال انه تعالى لما عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم على مجرد انه عبس فى وجه ابن ام مكتوم كان ذلك تعظيما عظيما منه تعالى لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه اجاب عنه اولا بان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شأنه بل للاشعار بعذره فى الاقدام على مافعله والدلالة على انه احق بالكرامة وثانيا بانه كان لزيادة الانكار على ما فعله من العبوس والتولى فان اهل الاعذار وسع الله فى حقهم مالم يوسع فى حق غيرهم كأنه يقول انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة فكيف يليق بك ان تخصه بالغلظة والتولى وانما قال لزيادة الانكار لان اصل الانكار مستفاد من قوله عبس وتولى باسناد الفعلين الى ضميره عليه الصلاة والسلام بصيغة الغيبة فان مقتضى الظاهر ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك بصيغة الخطاب

وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب (الى ربك منتهاها) اى منتهى علمها (انما انت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) اى فى الدنيا اوفى القبور (الا عشية اوضحاها) اى عشية يوم اوضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

سورة عبس مكية وهى احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(عبس وتولى ان جاءه الاعمى) روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى اوعبس على اختلاف المذهبين وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق

فالسلوك الى طريق الغيبة يشعر ان العابس والمتولى غير المخاطب وانه يشكى الى المخاطب من فعله وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه ممن جبل على خلق عظيم و بعث رحمة للعالمين وانما المتصور ان يقع ذلك من غيره وان يشكو المتكلم الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لو وقوعه فيكون ذكر ذلك المستهزأ به بوصف الاعمى مفيد الزيادة الانكار عليه كأنه قيل قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس والاعراض عنه وكان من حقه ان تزيد لعماه التعطف والاهتمام بامره كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى قوله تعالى ومايدريك هو زيادة الانكار على فعله فانه تعالى صور فعله مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة من يشكو الى احد جانيا جنى عليه و يقبل على الجانى حين التهب غضبه وحمى رأسه مواجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة فكان الالتفات الواقع فى الآية لمزيد الانكار فان قيل ان ابن مكتوم كان قد استحق التأديب والزجر لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اولئك الكفار و يعرف بذلك شدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بشأنهم فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له ولاشك ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم على المهم وقد كان ابن ام مكتوم اسلم وتعلم مايحتاج اليه من امر الدين بخلاف الصناديد المذكورة فانهم لم يسلموا بعد وقد كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان الاستمرار على دعوتهم وتقرير الدلائل لهم والزام الحجة عليهم اهم والبق بحاله عليه الصلاة والسلام وكان قطع الكلام معهم والاقبال على ابن ام مكتوم تقديما للنفع القليل على خير العظيم ولا وجه له فثبت بهذين الوجهين ان ابن ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله على اداءبه بترك الاقبال عليه والتولى عنه والحال انه عليه الصلاة والسلام انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب واجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر كما ذكر الا انه عليه الصلاة والسلام عوتب بناء على ان ما فعله يوهم ظاهره تقديم الاغنياء على الفقرآء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقرآء وهو لا يليق بمنصب النبوة وثانيهما ان ابن ام مكتوم وان كان قد استحق التأديب والتولى الا انه تعالى لم يعاتبه عليه الصلاة والسلام على ذلك بل على ماكان فى قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم وان لم ينفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما كان العبوس والتولى لهذه الداعية لا لاجل تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك (**قوله واى شئ يجعلك داريا بحاله**) اى بحال هذا الاعمى قدر لفعل الدارية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم الكلام عند قوله ومايدريك فيوقف عليه و يبتدأ بما بعده على معنى ومايطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفى اى لايدريك شئ ثم ابتدأ فقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى ولعل فى كلامه تعالى مستعمل فى معنى القطع والتحقق مجازا فان لعل ونحوه فى كلام العظماء يراد بها ذلك وتلقف الشئ تناوله بسرعة والمراد به ههنا الاستفادة والتعليم (**قوله وقيل الضمير فى لعله للكافر**) فعلى هذا كلمة لعل على اصل معناها الذى هو الترجى الكائن من قبله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال انك طمعت فى اسلامه الخ (**قوله وقرأ عاصم**) اى قرأ فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية وثانيهما ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى والاستفهام والنفى والتمنى والعرض ولا شبهة فى تحقق الشرط الاول ههنا بخلاف الشرط الثانى فانه غير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجى على التمنى من حيث ان متعلق كل واحد منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد فقدرت ان بعد الترجى كما قدرت بعد التمنى ليكون الفعل معها فى تأويل المصدر فعطف المصدر على المصدر الاول هربا من عطف الاخبار على الانشاء فتقدير الآية فلعله يكون منه تذكر فانتفاع ونظيره قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب ثم قال فأطلع بالنصب على قرآءة حفص والمعنى لعله يكون منى بلوغ الاسباب فالاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان تكون كلمة لعل ههنا للتمنى كما يدل عليه عبارة الكواشى حيث قال ونصب على جواب التمنى قال صاحب المفتاح وسبب مجئ لعل بمعنى التمنى فى قولهم لعلى ساحج فأزورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول (**قوله تعالى اما من استغنى**) اى عن الله تعالى وعن الايمان وعن التزكى بماله من المال كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنه وقول المصنف فيما بعد يسرع طالبا للخير يدل على ان المعنى هنا من استغنى عن طلب الخير مطلقا والتصدى للشئ عبارة عن التعرض له والتقيد به والاهتمام بشأنه بالقلب والقالب بان تقبل عليه بوجهك وتميل اليه بقلبك وضده التشاغل عنه بالميل الى

او لزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله (ومايدريك لعله يزكى) اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (اويذكر فتنفعه الذكرى) او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل (اما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى

غيره ويقال له التلهي والتغافل واصل تصدى تتصدى يقال تصدد للشيء يتصدد اذا كان في صدده وقربه ومواجهته والصدد ما استقبلك وصار في قبالك وفي الصحاح الصدد القرب يقال داره صدد داري اي قبالها نصب على الظرف وحذف تاء التفعل من تتصدد للتخفيف وابدلت الدال الاخيرة ياء كما في تقضي البازي ومن قرأ تصدى بتشديد الصاد ادغم تاء التفعل في الصاد بعد قلبها صادا وقرئ تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد اي تحمل وتدعى الى التعرض والتصدي له اي يدعوك داعي الى التعرض والتصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه (قوله وليس عليك بأس) اشارة الى ان ما في وما عليك نافية بمعنى ليس حذف اسمها وعليك خبرها وقوله ألا يزكى في موضع الجر بكلمة في المقدرة المتعلقة باسم لا وهو بأس المقدر والجملة في موضع النصب على انها حال من فاعل تصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز ان تكون كلمة ما استفهامية على معنى اي شيء عليك ان لا يتزكى بالاسلام من تدعوه اي لا شيء عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها نافية وقوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى على التداخل اي يسعى حال كونه خائفا من الله تعالى ان يقصر في اداء شيء من تكاليفه وما اوجبه عليه (قوله للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير) لان مجرد تعبيس الوجه والتولي عنه وجه الاشعار انه تعالى ذكر المتصدى له بوصف الاستغناء فاشعر ذلك ان سبب العتاب على تصديه عليه الصلاة والسلام هو جعل تصديه متعلقا بالمستغني وكذا وصف المتلهي عنه بالسعي الى الخير والافتقار والخشية يدل على ان سبب العتاب هو التلهي عن من اتصف بالوصف المذكور والظاهر ان المراد بالغني المستغني عما دعي اليه من التزكي بالايمان والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج الى ذلك فانه عليه الصلاة والسلام حاشاه ان يكون تصديه للصناديد لاجل شدتهم وكثرة اموالهم وتلهيه عن الاعمى لعدمه وفقد ماله (قوله ردع عن المعاتب عليه) وهو تلهيه عليه الصلاة والسلام عمن جاءه يسعى وهو يخشى وتصديه لمن استغنى عن الحسن انه قال لما تلا جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سري وانكشف (قوله والضميران) اي ضمير انها وضمير ذكره فان كانا للقرآن يكون وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما دعاهم اليه عظم شأن القرآن ووصفه بانه هدى للناس وتذكرة لهم وليس شرفه وعلو قدره بقبول الصناديد اياه حتى تتهالك على قبولهم اياه بل ان شرف الخلق بقبولهم اياه واتعاظهم به فمن شاء اتعظ به فاقتصر على تبليغه اليهم ودع الحرص على قبولهم وايمانهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب من استغنى عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب النبي صلى الله عليه وسلم على ما وقع منه من الاهتمام باسلام الصناديد المتضمنة قلة المبالاة بشأن ضعفاء المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده تعالى عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اي موعظة للسامعين فاتعظوا بها ايها معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة والآداب المرضية ولازموا اجلال الفقراء الطائعين تزكية نفوسهم عن المعاصي وتحليتها بالطاعات (قوله صفة لتذكرة) فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان في صحف خبرا ثانيا لقوله انها تكون الجملة معترضة بين الخبرين نقل عن صاحب الكشاف انه انكر كونها اعتراضا وقال شرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجردا عنها واما الاعتراض بالفاء فغير مفهوم واجيب بان هذا النقل منه ينافي ما صرح به الزمخشري في قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون في سورة النحل من انه من الاعتراض على بعض الوجوه ويحتمل ان يكون في صحف حالا من ضمير انها وعلى التقديرين لا وقف على قوله فمن شاء ذكره ويوقف عليه ان جعل في صحف خبر مبتدأ محذوف اي هي في صحف وهو جمع صحيفة وهي الصحف التي انتسخها الملائكة من اللوح وهي مكرمة عند الله مرفوعة في السماء ويحتمل ان يكون المراد بالصحف صحف الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وهي صحف الانبياء المتقدمين اشار المصنف الى الاحتمالين بقوله كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح مصدر بمعنى الكتابة (قوله او سفراء) عطف على قوله كتبة اي ويحتمل ان يكون سفرة جمع سافر بمعنى سفير وهو الرسول الذي شأنه السفارة والتبليغ والى المعنيين اشار المصنف بقوله جمع سافر من السفر او السفارة وهي الرسالة اما من الله تعالى الى الرسل فيكون السفرة الملائكة واما من الله تعالى

(وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره (في صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان لان او خبر محذوف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) مرفوعة القدر (مطهرة) منزهة عن ايدي الشياطين (بأيدي سفرة) كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة

الى الامة فالسفرة بهذا المعنى هم الرسل من البشر (قوله والتركيب للكشف) اى تركيب حروف السفرة سوآء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الرسالة والتبليغ ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما على الاول فلأن فى الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب سفر وللكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشئ ويوضحه واما على الثانى فلأن السفير يعبر عن مرسله ويكشف عنه حكمه ولما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اى يكرمون عند الله تعالى والثانى انهم بررة اى اتقياء مطيعون فان كل واحد من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك قال الامام قوله تعالى مطهرة بأيدى سفرة يقتضى ان تكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بأيدى هؤلاء السفرة فقال القفال فى وجهه انها لما كانت لا يمسها الا الملائكة مطهرون قبل ذلك وهو قصر اضافى والمراد تنزهها عن ايدى الشياطين كما اشار اليه المصنف بقوله منزهة عن أيدى الشياطين وما ذكر من قول الامام مبنى على ان تكون الباء فى قوله تعالى بأيدى سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة لصحف اى صحف كائنة بأيدى سفرة ويجوز ايضا تعلقها بما تعلق به كلمة فى فى قوله فى صحف اى انها مثبتة فى صحف كذا بايدى سفرة كذا (قوله دعاء عليه باشنع الدعوات) فان القتل اشد شر وأشنعه فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز والقادر على كل شئ كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب فانهم اذا استنكروا فعل احد يقولون قتله الله والمقصود بيان انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح فانه تعالى لما وصف الصناديد بالاستغناء عن الهدى والتمادى فى الاغترار بما هم من اسباب الردى وهددهم بقوله فمن شاء ذكره تعجب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن التذكر والاتعاظ بهذه التذكرة البليغة والذكر الحكيم كأنه قيل اى سبب فى هذا الاستغناء والترفع مع ان اوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وهو فيما بين الوقتين حامل العذرة فقال قتل الانسان ما اكفره وهو صيغة تعجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفى سببه فهو تعالى منزه عن ذلك فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه اى اعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل الوهيته ووحدانيته وكمال قدرته ونفاذ مشيئته ومن كفر بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه من بدء خلقه الى ان يتوارى فى قبره ويحتمل ان تكون كلمة ما فى ما أكفره استفهامية ويكون معنى الاستفهام فيه التقريع والتوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر قال المفسرون نزلت الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل المراد بالانسان الصناديد الذى اقبل عليه السلام عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقرآء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لعتوهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة (قوله بيان لما انعم عليه) ليتضح كفرانه بنعم الله تعالى وابتدأ باول ما انعم به عليه من مبدأ حدوثه وهو خلق مثل هذه الصورة البهية من مثل تلك المادة الحقيرة لكون هذه النعمة اصلا لجميع النعم المتعلقة به الى آخر عمره والخصوصية وصف للنعمة التى بينها بقوله من مبدأ حدوثه فان حدوث من هو فى احسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جليلة ولا وجه لجعلها وصفا للمنعم عليه لان النعمة المذكورة ليست مخصوصة بالانسان الذى دعى عليه بقوله قتل الانسان ضرورة ان ما فيه من التعريف ليس للاستغراق ولا لنفس الحقيقة فلا بد ان تكون الاشارة الى حصة معينة تعيينا نوعيا او شخصيا (قوله والاستفهام للتحقير) اى لتحقير اصله للاشعار بان كل من كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والكفران بحق من انعم عليه بهذه النعمة الجليلة كما قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين (قوله فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال) لما كان خلق الشئ عبارة عن احداثه على وفق التقدير كان متفرعا على التقدير وقد جعل التقدير فى الآية متفرعا على الخلق حيث قيل خلقه فقدره فلذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالتهيئة فان التقدير قد يستعمل بمعنى التهيئة ايضا فيقال قدره فتقدر بمعنى هيأه فتهيأ فالمعنى احدثه احداثا يراعى فيه التقدير الازلى فى حقه مما يتعلق باعضائه واشكاله وكمياته وكيفياته فهيأه لما يصلح له من الاحوال العارضة له والمصالح المتعلقة به فى بابى الدين والدنيا (قوله او فقدره اطوارا) اى ويجوز ان تكون الفاء للترتيب فى الذكر بان يكون قوله فقدره تفصيلا لما اجمل بقوله من نطفة خلقه فانه وان وقع جوابا لقوله من اى شئ خلقه الا انه اجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل بقوله فقدره اى قدر فى حق ذلك المخلوق اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وانما عطفه بالفاء لان التفصيل يعقب الاجمال (قوله وألهمه ان ينتكس) اى ينقلب عن الهيئة التى كان الجنين عليها فى بطن امه فان رأسه وهو فى بطن امه كان الى جانب

والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) اعزآء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء (قتل الانسان ما اكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أى شئ خلقه) بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم وألهمه ان ينتكس

صدرامه ورجليه الى جانب رجليها وكانت فويهة الرحم غير مفتوحة قبل وقت الولادة فاذا جاء وقت الولادة انفتحت فويهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب وتصير رجلاه الى جانب صدر امه ورأسه الى جانب المخرج فيخرج رأسه اولا ولا يخفى ان ماذكر تسهيل لسبيل الخروج فانه اولا الانفتاح والانتكاس لما تأتى الخروج (قوله اوذال له سبيل الخير والشر) اى ويجوز ان يكون المراد تسهيل الذى يختار سلوكه من طريق الخير والشر وتيسيره الاقدار على سلوكه وتمكنه منه والهداية الى عاقبة كل واحد منهما ببعثة الانبياء وانزال الكتب واعطاء العقل المميز والقوى والاعضاء المستوية (قوله وتعريفه باللام) يعنى ان الكلام فى الانسان المدعو عليه وبيان ماانعم عليه فالمناسب للمقام ان يقال ثم يسر سبيله باضافة السبيل اليه الا انه عرف باللام للاشعار بانه غير مختص به بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الانس والجن على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاول (قوله وفيه على المعنى الاخير ايماء) وجه الايماء انه لما فسر السبيل بسبيل الخير والشر فهم ان المكلف مادام فى هذه الدار فهو ابن السبيل وان سبيله يؤديه اما الى خير واما الى شر اى الى دار الجزاء بالثواب والعقاب والدار الآخرة هى الدار التى يقر بها ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى انه حينئذ يحسن انتظام مابعد هذه الآية بها (قوله وعد الاماتة والاقبار فى النعم) لما جعل قوله تعالى من اى شئ خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ماانعم الله تعالى به على الانسان وكفرانه به وخفى وجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك بان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية وبان الاقبار تكرمة وصيانة للميت عن كونه طعمة للسباع وانما قال وصلة فى الجملة لان كونها وصلة الى ماذكر انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الكافر لا يقال الكلام ههنا فى الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة فى حقه مع ان الموت فى حقه مفتاح لكل بلاء ومحنة لانا نقول الاماتة فى نفسها شأنها ان تكون نعمة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة فى حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده وسيئات اعماله (قوله والامر بالقبر) منصوب بالعطف على الاماتة فان قيل من اى شئ استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس ههنا صيغة الامر قلنا هو مستفاد من قوله تعالى فاقبره فانه يقال قبر الحى الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله فى القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الآمر بأن يدفن اموات بنى آدم فى القبور اكراما لهم وانهم لو ألقوا على وجه الارض كسائر الحيوانات لصاروا جزر الطير والسباع والمراد بالانشار الاحياء والبعث منقول من نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت (قوله غير متعين فى نفسه) اى كانه غير متعين فى علمنا ولعل الوجه فيه ان تعين الوقت فى نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكور الليل والنهار ونشور الاموات انما يكون بعد خراب العالم فلا سبيل لنا ان نقول ان وقت النشور متعين فى نفسه وان لم نعلمه بخصوصه لان تعين الوقت فى نفسه فرع تحققه ومالم يتحقق فى نفسه كيف يحكم عليه بانه متعين فى نفسه بخلاف الامور الواقعة حال بقاء العالم على حاله فان الموت مثلا وان لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة الينا الا انه متعين فى نفسه من حيث انه لا يقع الا فى حد معين من حدود الزمان (قوله لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى هذه الغاية) اشارة الى ان فى لما توقعا وانتظارا ولذلك قال تعالى لما يقض ولم يقل لم يقض لان قضاء المأمور به كان متوقعا فى زمن كل احد لتعاضد دلائل وجوبه عليه وتحقق ماهو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة ومعنى بعد فى مثل هذا الموضع بالفارسية هنوز وكان اصله بعد ما مضى من الزمان الى هذا الوقت ثم حذف المضاف اليه فبنى بعد على الضم وقوله من لدن آدم الخ بدل من قوله بعد جئ به لابراز المعنى التوقع المدلول عليه بلفظ لما * نقل الامام عن مجاهد انه قال فى تفسير الآية لا يقضى احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة ثم قال وهذا التفسير عندى فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عائد الى المذكور السابق وهو الانسان فى قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر المترفع المتكبر فانه لم يقض ما امره الله تعالى به من ترك الكفر والتكبر بان يتأمل فى دلائل الله تعالى ويتدبر فى عجائب خلقه وبينات حكمته فكيف يصح ان يقال فى تفسير الآية لا يقضى احد ما كان مفروضا عليه وكلمة ما فى قوله ما امره موصولة وعائدها يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره هو ثم حذف العائد ثانيا ويجوز ان يكون باقيا ويكون المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرفه

اوذال له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء انشره) وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض ما امره) لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بأسره اذ لا يخلو أحد من تقصير ما

وقس عليه امثاله ثم انه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شئ حقير قليل وهو اول ما انعم به عليه فى مبدأ حدوثه ثم ذكر بعض ما يترتب عليه من النعم الموجبة للشكر ليتضح ان تكذيبهم وكفرانهم فى غاية القباحة والشناعة ذكر بعده ما انعم به عليه من النعم الخارجية وامره بالنظر اليه والتأمل فيه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره ولا شك انه موضع الاعتبار (قوله اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية) فان ما ذكر الى هنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية متحققة فى نفس الانسان وهى خلقه بانزال النطفة من صلب الآباء الى ارحام الامهات وتصويره بأحسن الصور والهيئات وما يتعاقب عليه من الاطوار والحالات الى ان ينتهى الى دار الابد وما ذكره ههنا نعم خارجة عنه يحتاج اليها الانسان فى معاشه وبين انه كيف دبر فى خلق طعامه الذى هو قوام حياته واقوى اسباب معاشه التى يستعد بها لمواده وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وبما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض وبلوغه الى اقصى كماله * قرأ ما عدا الكوفيين انا صببنا بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الكوفيون بفتحها على ان الجملة بدل من الطعام كأنه قيل فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء فان تكون الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر وبقائه معلقا فى جو السماء مع كثرته وغاية ثقله وغير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكه والمعنى فلينظر كيف حولنا احوال طعامه كما حولنا احوال نفسه فى بدء خلقه وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض سبب لحدوث الطعام فيكون بينهما اشتمال السببية فان الواجب فى بدل الاشتمال ان يكون بينهما علاقة بغير الكلية والجزئية وقد حصلت * والكراب قلب الارض للحرث (قوله واسند الشق الى نفسه) اى جعل اسناد الشق بمعنى الكراب اليه تعالى مجازا مع انه تعالى هو الموجد لجميع الاشياء من الجواهر والاعراض لكونه اسنادا الى غير ما هو له لان المراد بما هو له ما يكون معنى الفعل قائما به ووصفا له وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا له او لغيره وسواء كان صادرا عنه باختياره كضرب او لا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة والى موجده الذى هو البارى تعالى مجاز ولا شك ان شق الارض قائم بمن حرثها وقلبها (قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى) فصارت لكثرة قضبها كأنها عين القضب فسميت قضبا للمبالغة (قوله عظاما) الغلب جمع اغلب او غلباء كحمر فى جمع احمر او حمراء واصله فى وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق وامرأة غلباء اى غليظة العنق وجماعة غلب اى غلاظ الاعناق ذكر المصنف فى وجه توصيف الحدائق بالغلب قولين الاول ان الحديقة الواحدة سميت غلباء توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها الملتفة المتكثرة بحيث صارت كأنها شئ واحد ضخم عظيم يشبه الرقبة الغلباء فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول الثانى انه وصفت الحدائق بالغلب لكونها ذوات الاشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف اشجارها (قوله ومرعى) المرعى الذى لم يزرعه الناس سمى أبا اما لانه يؤب اى يؤم ويقصد جزه لاجل الدواب والاب والام اخوان والنجعة بالضم طلب الكلأ فى موضعه واما لانه يؤب ويهيأ للرعى على انه من اب لكذا اذا تهيأ له (قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم) اى تمتيعا منصوب على انه مفعول له لقوله فانبتنا اى انبتنا ذلك كله تمتيعا لكم (قوله وصفت بها مجازا) فان الصاخة اسم فاعل من قولهم صخ لحديثه اى اصغى واستمع فهو صاخ اى مصغى ومستمع والنفخة ليس من شأنها ان تصغى وتسمع بل الناس هم الذين يصخون لها فاسند الاصغاء والاستماع الى النفخة المسموعة مثل عيشة راضية اى مرضية وقيل سميت صيحة القيامة صاخة لانها تصخ الآذان اى تصمها لشدة صوتها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ اذا اصمها فعلى هذا يكون الاسناد حقيقيا ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما بين ما انعم به على الانسان من النعم الذاتية والخارجية توبيخا وتقريعا لمن كفر بها وحثا على شكرها بالايمان والطاعة شرح بعده احوال القيامة للمناسبة بين شرحها وبين تعداد النعم المذكورة فى كونها داعية الى الايمان والطاعة فان الانسان اذا سمع احوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها الى التأمل فى دلائل الحق فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والتقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر المرء بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا فى اذا ولا فى يوم لانه صفة لشأن ومعمول الصفة لا يتقدم على الموصوف (قوله او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم) بان يقول الاخ لم تواسنى بمالك ويقول الابوان قصرت فى برنا

(فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعارا من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم

والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تؤدبنا ولم تعلمنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل من قابيل لانه العاصي ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام (قوله وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة) اي في بيان اشتغال كل احد بنفسه فانه بدأ بالاخ لانه شقيقه ثم بالابوين لانهما اقرب اليه من الاخ ثم بالصاحبة والبنين لانهم ألصق بالصلب واعلق بالنفس كانه قيل يفر من اخيه وكيف لا يفر منه وهو يفر من ابويه وكيف لا يفر منهما وهو يفر ممن هو أحب اليه منهما وهو الصاحبة والبنون (قوله وقرئ يعنيه) بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم عناني الامر اي أهمني وقصدني ثم انه تعالى لما ذكر احوال يوم القيامة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين وميز احدهما عن الآخر بعرض لوجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء والغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجي فكانه تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة يذرى ذلك التراب في وجوه الكفار تمت سورة عبس بحمد الله وعونه

(سورة التكوير مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله من كورت العمامة) التكوير التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة تقول كرت العمامة على رأسي اكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها فالطي واللف والكور والتكوير واحد وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون الرفع من توابع التكوير لان الثوب اذا اريد رفعه لف (قوله اولف ضوؤها) عطف على قوله لفت اي ويجوز ان يكون معنى كورت كور ضوؤها بتقدير المضاف او على اسناد فعل الحال الى المحل لان تكوير الضوء وذهاب انبساطه في الآفاق انما يكون باذهاب نفسها لانها مادامت باقية يكون ضوؤها منبسطا غير ملفوف ثم فسر التكوير بالالقاء والاسقاط ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما قال اني احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن قال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان والقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل ذكر الله تعالى ههنا اثني عشر شيأ وقال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت كل نفس ما احضرت فكلمة اذا في قوله اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى في آخر المعطوفات علمت نفس وارتفاع الاسماء الواقعة بعد اذا على انها مفاعيل مالم يسم فاعله المفسرة بما بعدها عند البصريين فانهم لا يجوزون ان يلي اذا غير الفعل وقال الكوفيون انها مرفوعة بالابتداء والافعال التي بعدها اخبارها بناء على ان التقدير خلاف الاصل والجملة على المذهبين في محل الجر باضافة اذا اليها (قوله انقضت) اي تساقطت وتناثرت الجوهري انكدر اي اسرع وانقض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى في السماء نجم الا وقع على وجه الارض قال عطاء وذلك انها كانت في قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه قد مات من يمسكها (قوله ابصر خربان فضاء فانكدر) الخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحتين وهو ذكر الحبارى والبيت للعجاج عمر بن يعمر التيمي واوله

اذا الكرام ابتدروا الباع بدر * تقضي البازي اذا البازي كسر

داني جناحيه من الطود فمر * ابصر خربان فضاء فانكدر

الباع قدر مد اليدين يعبر به عن الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدر اي اسرع اليه كانقضاض البازي على الحبارى يقال كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما حين ينقض وقوله تقضي البازي مصدر منصوب بنزع الخافض اصله تقضض لما كثرت الضادات ابدلت الاخيرة ياء (قوله من كدرت الماء فانكدر) الكدر خلاف الصفو يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما بمعنى وكدره غيره فانكدر وتكدر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه (قوله سيرت عن وجه الارض)

وتأخيرا لاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفر الصبح اذا أضاء (ضاحكة مستبشرة) بما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (اولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

(سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا الشمس كورت) لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره أو ألقيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل (واذا النجوم انكدرت) انقضت قال * ابصر خربان فضاء فانكدر اواظلمت من كدرت الماء فانكدر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض اوفي الجو

(واذا العشار) النوق اللاتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشرآء (عطلت) تركت مهملة اوالسحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا اواميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت) احميت اوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) قرنت بالابدان اوكل منها بشكلها او بكتابها وعملها اونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن (سئلت باى ذنب قتلت) تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءانت قلت للناس اتخذونى وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية

اى قلعت فصارت هباء منبثا اوسيرت فى الجو كالسحاب لقوله تعالى وهى تمر مر السحاب وقيل سيرها تحويلها من صفة الجرية بجعلها كثيبا مهيلا اى رملا سائلا وكالعهن وهباء منبثا والعشار جمع عشرآء كنفاس جمع نفساء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل ثم هواسمها الى ان تضع لتمام السنة وقيل هواسمها بعدما وضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشئ باسمه المتقدم وان كان قد جاوز حد أن يسمى به وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها تركها واهمالها من غير راع استغناء بانفسهم عند مجيئ امارات قيام الساعة (**قوله اوالسحائب**) اى ويجوز ان يراد بالعشار السحائب تشبيها لها بها والعشار وان كان مجازا فى هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله تعالى فالحاملات وقرا كما مر فى سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلى والوحوش جمع وحش وهو اسم لما لا يستأنس من حيوان البر وفسر حشرها بثلاثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث يختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينها وتفرقها فى الصحارى والقفار والثانى ان تجمع احياء بعد الموت ليقتص لبعضها من بعض فانه قد ثبت انه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت والثالث ماروى عن ابن عباس ان حشر البهائم موتها (**قوله اذا اجحفت السنة**) يقال اجحف به اى اذهبه واستأصله والسنة القحط وبناء التفعيل هنا يحتمل ان يكون لتكثير الفعل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماع الاضداد مع كمال النفرة بينها انما يكون لهول عظيم وبالمعنى الثانى لتأييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فحشر المكلفين من الانس والجن يكون اولى (**قوله احميت اوملئت**) فان السجر فى اللغة يكون بمعنى الملء وبمعنى الاحماء ايضا يقال سجرت الاناء وسجرت التنور قيل فى احماء البحار انه تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم فى البحر يوم القيامة ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتنفخه فيصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت وفى وجه امتلائها انه تعالى خلق الآن بين البحار حاجزا لا يصل بعضها الى بعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان اى لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض فى البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم ارتفاع الحاجز الكائن بينهما يحتمل ان يكون بان اندكت الجبال وتفتت اجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها الرفيعة فى اسافلها فتميل فى المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا باغراقا تحت البحار وتصير الكل بحرا واحدا مستعليا على الارض وهذه الاحوال الست تكون فى مبادى قيام الساعة على ماروى عن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قال ست آيات تكون قبل القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحوش والطير وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج قال فبينماهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة من الارض السابعة السفلى الى السابعة العليا فبينماهم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم والله اعلم كذا فى المعالم ثم اعلم انه تعالى شرع فى ذكر الاحوال التى تكون بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او بان يضم كل احد الى من يشاكله ويماثله فى الخير والشر قيل ذلك حين تكون الناس ازواجا ثلاثة اى اصنافا ثلاثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بالفتح المثل (**قوله تبكيتا لوائدها**) اى لمن دفنها فى القبر وهى حية وهو جواب عما يقال ما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذى قتلت به مع ان الظاهر ان يسأل الوائد عن قتله اياها وتقرير الجواب ان هذه الطريقة افظع فى ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموءودة ان القتل لا يجوز الا بذنب عظيم فما ذنبك وباى ذنب قتلت فلا جرم كان جوابها انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد ويصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فانه عليه الصلاة والسلام لما اجاب بقوله سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد فى تبكيت النصارى وفى توبيخهم (**قوله وقرئ سألت**) اى بفتح السين والهمزة على لفظ

الماضى المبنى للفاعل المسند الى ضمير الواحدة الغائبة على ان الموءودة هى السائلة تسأل الله تعالى اوتسأل قاتلها قائلة باى ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده فانه هو المناسب لكون الموءودة هى السائلة لان الظاهر ان يحكى كلامها بعبارتها وهذه القرآءة ذكرها المصنف بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اى على حكاية قول الموءودة كما هى اى بعبارتها حين سألت وقرئ ايضا سألت باى ذنب قتلت على لفظ الاخبار عن الواحدة الغائبة على بناء المفعول كقرآءة الجمهور والظاهر ان يقرأ قتلت على لفظ حكاية قول الموءودة كما هى لانها هى السائلة كما ان الظاهر على قرآءة الجمهور ان يقال قتلت على لفظ خطاب الواحدة لان السائل حينئذ هو الله تعالى فالظاهر حينئذ ان يحكى قوله تعالى بعبارته ولما ذكرت الموءودة بالاسم الظاهر جاز الامر ان اسناد الفعل الى ضمير الغائب الذى هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بان يقال فى قرآءة سألت قتلت بضم التاء وفى قرآءة سئلت قتلت بكسر التاء (قوله وتنشر وقت الحساب) اى تفتح بعدما كانت مطوية فتعطاها الناس منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف الانسان على ما فيها ويحصى عليه جميع اعماله فيقول ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (قوله للمبالغة فى النشر الخ) يعنى ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره اولتكثير محله اوللمبالغة فى شدة التطاير اى تطاير الصحف وتفرقها بين الاصحاب فالتشديد للمبالغة فى النشر بمعنى التفريق بحسب الكيفية انتهى (قوله قلعت وازيلت) بحيث ظهر ماوراءها وهو الجنة والعرش (قوله وانما صح الخ) اى صح ان تكون اذا المضافة الى الخصال الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله علمت نفس مع ان كونها معمولة له يستلزم ان تكون النفس عالمة بما احضرته من الاعمال فى زمان وقوع الخصال الست المتقدمة وليست كذلك وانما تكون عالمة بها بعد قيام الساعة وتوضيح الجواب ان المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط بتلك الخصال الاثنتى عشرة وابتدآء ذلك الزمان المتسع هو زمان النفخة الاولى الذى هو زمان التكوير ومايتبعه الى ان يتم موقف الحساب وتعلم كل نفس جزآء عملها وفى ذلك الزمان المتسع تعلم كل نفس ما احضرت فى صحيفة عملها وما احضرته فى موقف المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال لان نفس الاعمال اعراض لايمكن احضارها كأنه قيل الزمان الذى يقع فيه هذه الامور الاثنتاعشرة بأسرها علمت فيه كل نفس ما احضرت (قوله ونفس فى معنى العموم) جواب عما يقال من ان النكرة فى سياق الاثبات للافراد اوالنوعية لاللاستغراق والعموم والمقام مقام الاستغراق والعموم لان العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس حينئذ لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا فما معنى قوله علمت نفس بالتنكير فى موضع الاثبات ومحصول الجواب ان ما ذكر اكثرى لاكلى مطرد وان النكرة فى سياق الاثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما فى قولهم تمرة خير من جرادة ونفس فى الآية من هذا القبيل ثم انه تعالى لما فصل مايكون فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا و بعده اقسم على ان القرآن العظيم قول رسول كريم فقال فلا اقسم بالخنس الآية ترهيبا للمشركين المنكرين للبعث والجزآء اى تأملوا ماذكر لتعلموا انه كلام الهى منزل من عند الله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بما ذكر من الاوصاف وكلمة لا فى قوله فلا اقسم يحتمل ان تكون صلة مؤكدة وان تكون ردالكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة ثم ابتدأ جل ذكره فقال اقسم بالخنس وان تكون لنفى القسم بناء على انه لايحتاج اليه لوضوح الحق وهو ان القرآن كلام الهى منزل به الروح الامين و بلغه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين (قوله والليل) عطف على الخنس وكذا قوله والصبح والعامل فى اذا معنى القسم واذا مع ما بعده فى موضع الحال اى اقسم بالليل مدبرا ومقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول وضميرانه للقرآن وان لم يجر له ذكر لحصول العلم به والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء وفى الحديث الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله تعالى خنس اى انقبض ولذلك سمى بالخناس والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس الذى هو مقر الوحش والجوارى جمع جارية اى الكواكب التى تجرى فى افلاكها وما سوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة وهى المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى خنس وكنس وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها من اول البرج الى آخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس والنيران لايكنسان لان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبى المستتر بالكناس

(واذا الصحف نشرت) يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر اولكثرة الصحف اولشدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذا الجنة ازلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما احضرت) جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها ثنتاعشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا اقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر (والليل اذا عسعس) اقبل ظلامه اوادبر

وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر (والصبح اذا تنفس) اى اذا اضاء غبرته عنداقبال روح ونسيم (انه) ان القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى (عند ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم امين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بماقبله و بمابعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفصيلا لها على سائر الصفات (وماصاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهوضعيف اذالمقصود منه نفى قولهم انمايعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما

ولا كنوس لهما بهذا المعنى والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس وهوظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها بيناترى فى آخر البرج اذ كرت راجعة الى اوله فرجوعها من آخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان اختفاءها تحت ضوء الشمس كنوسها (قوله وهو من الاضداد) لان العسعسة دقة الظلام وذلك يكون فى كل واحد من طرفى الليل فلذلك يقال عسعس الليل اذا اقبل و يقال ايضا عسعس اذا ادبر فمنهم من قال المراد به فى الآية اقبال الليل لتناسب قوله تعالى والصبح اذا تنفس لان القسم حينئذ يكون باقبال كل واحد من الليل والنهار وان اريد بعسعسة الليل ادباره يكون القسم بادبار الليل واقبال النهار فتفوت المناسبة و يتضمن الكلام تكرار المقسم به لان ادبار احدهما يستلزم اقبال الآخر (قوله اى اذا اضاء غبرته عنداقبال روح ونسيم) النسيم الريح الطيبة و يقال لها روح لكونها للاستراحة وتنفس الصبح عبارة عن اقبال النسيم المروح المتحرك عند طلوع الصبح فاذاهب ذلك النسيم عند طلوعه قيل تنفس والنفس المروح للقلب انبساطا وانقباضا جعل ذلك نفسا للصبح على المجاز ثم ذكر المشبه به واراد المشبه ثم اشتق منه تنفس بمعنى اقبل النسيم مع طلوعه ثم لما كان التنفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال غبرته كنى بتنفسه عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زالت معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره وهى كناية متفرعة على الاستعارة والغبرة لون الاغبر وهو الشئ الملون بلون يشبه الغبار واضاء يجيئ لازما ومتعديا وكلاهما يصح ههنا وفى بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم والمعنى واحد اى شبه اقبال النسيم وقت طلوع الصبح بتنفسه فعبر عنه بالتنفس ثم اشتق منه تنفس وجعل تنفسه كناية عن اضاءته كما اشار اليه بقوله اى اذا اضاء (قوله فانه قاله عن الله تعالى) يعنى ان كون القرآن قول جبريل عليه السلام لا ينافى كونه كلام الله تعالى حقيقة لانه عليه السلام قاله و بلغه عن الله تعالى واعلم انه تعالى وصف جبريل عليه السلام ههنا بست صفات اولاها انه رسول فانه لاشك انه رسول منه تعالى الى الانبياء عليهم السلام وثانيتها انه كريم على ربه حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه و بين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب ومن كرمه انه وسيلة لنيل افضل العطايا واقصى الكرامات وهو المعرفة والهداية وثالثتها انه ذو قوة اى ذو قدرة على مايكلف به لايعجز ولا يضعف عن شئ مما يكلف به روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ذكر الله تعالى قوتك وامانتك واثنى عليك بهما فما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتى فانى بعثت الى مدائن لوط وهى اربع مدائن وفى كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السماء الدنيا اصوات الدجاج ونبيح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتى فانى لم اومر بشئ فعدوته الى غيره وروى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبى صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة دقيقة رفعه بها من مكة الى اقصى الهند ورابعتها قوله تعالى فى حقه عند ذى العرش مكين اى ذى منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده تعالى انه تعالى جعله ثانى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية كناية عن كونه ذامنزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى وخامستها انه مطاع فى ملائكته تطيعه الملائكة المقربون لعلمهم بمنزلته عند الله وسادستها انه امين على وحى الله تعالى ورسالته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل وقوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذى العرش ثم انه ان اتصل بما قبله بان يكون ظرفا له يكون المعنى انه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره و يرجعون الى رأيه وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء تكون للتراخى الرتبى على طريق الترقى من صفاته الفاضلة الى ماهو افضل واعظم وهو الامانة (قوله تعالى وماصاحبكم بمجنون) عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله على ان القرآن كلامه نزل به جبريل رسوله الكريم الامين وعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون وعلى انه قدرآه اى جبريل بالافق المبين (قوله وهو ضعيف) يعنى ان ماذكره المستدل انما يدل على مقصوده ان لو كان المقصود من سوق الآية تعداد خصالهما التشريفة و بيان ان من ازدادت خصاله التشريفة فهو افضل وليس كذلك بل المقصود اثبات ان القرآن لاسيما هذه السور المصدرة بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحى الهى نزل به الملك المقرب عند ذى العرش نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وانه لمجنون وترغيبا للسامعين فى استماع القرآن وتصديق جميع ماذكر فيه وهذا المقصود يستدعى ان يوصف الملك المتوسط بين يدى الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والقربة وذلك لايستلزم كونه افضل من رسل البشر

بل الظاهر ان وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل مما يدل على شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع اتصافه بهذه المناقب والفضائل الشريفة مبلغ الرسالة اليه فاى مرتبة اعلى من مرتبته بعدما ثبت ان السفير بينه وبين ذى العرش مثل هذا الملك المقرب (قوله بمطلع الشمس الاعلى) افق السماء ناحيتها والآفاق النواحى الا ان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لا مدخل له فى ابانة الاشياء واظهارها وانما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء بضيائه وذلك الكوكب هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار تسببه لها فى الجملة فان الابانة فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع ويكون النهار فى غاية الطول وانما فعل ذلك حملا للمبين على كمال الابانة فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع واعلى وكان النهار اطول كانت الابانة والاظهار اتم واكمل * روى انه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه السلام ان يتراآى له فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الى فاستأذن له فأتاه عليها فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله اى بصدره ورجلاه فى الارض ورأسه فى السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فغشى عليه فتحول جبريل عليه السلام الى صورة بنى آدم الى آخر الكلام فقيل له عليه السلام ما رأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه الصلاة والسلام جاءنى جبريل اليوم فى صورته فاعترانى هذا من حسنه (قوله من الظنة وهى التهمة) اى وليس من الظن الذى يتعدى الى مفعولين اى هو ثقة فى جميع ما يخبر به لا يتوهم فيه انه يخبر بشئ من ذلك عن الهوى وهذه القراءة اعنى القراءة بالظاء هى قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى فالظنين الرجل المتهم وقرأ نافع وحمزة وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد اى بخيل يقال ضننت بالشئ بكسر العين أضن به ضنا وضنانة فأنا ضنين اى بخيل وهو من باب علم فالمعنى يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة القراءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى التهمة اولى من نفى البخل والآخر قوله الغيب فان البخل وما بمعناه لا يتعدى بكلمة على وانما يتعدى بالباء فيقال فلان ضنين بكذا ولا يقال ضنين على كذا (قوله حافة اللسان) اى جانبه والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهى اربع اسنان فى مقدم الفم اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى وو رآء الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعيات اثنتان منها علياً واثنتان منها سفلى وورآءها الانياب الاربع ثنتان من فوق وثنتان من تحت وورآءها الضواحك وهى اربع كذلك وو رآءها الاضراس ثمانية من فوق وثمانية اخرى من تحت (قوله استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرءآن) فان أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون والاستفهام فيه للانكار شبهت حالهم فى تركهم ما هو الصواب والحق فى باب الاعتقاد والعمل وعدولهم الى ما هو الباطل فى ذلك بحال من يترك الجادة وهى معظم الطريق ويتعسف الى ما ليس بسبيل قطعا فانه يقال له الى اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق وعدل عنه الى الباطل على سبيل الاستعارة والمعنى اى طريق تسلكون أبين من هذا الطريق الذى ظهرت حقيته ووضحت استقامته وان فى قوله ان هو نافية بمعنى ما هو والتذكير بمعنى التذكر والعظة والعالمين يعم جميع ما سوى الله تعالى ممن يعلم وممن لا يعلم وخص ههنا بمن يعلم من الانس والجن حيث قيل لمن يعلم والمخصص هو العقل وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله للعالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل وان يستقيم مفعول شاء كانه قيل ما هو الايمان وهداية للخلق اجمعين ما هو الا هداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحرى الحق واتباع البرهان والدليل وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكان بذلك كانه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على ان يعطى الله تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد فى حدوثها من مشيئة اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله تعالى اعطاء تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فافعال العباد ثبوتا وانتفاء موقوفة على مشيئة الله تعالى وهذا قول اصحابنا (قوله يا من يشاءها) اشارة الى ان الخطاب فى قوله وما تشاؤن ليس للمخاطبين بقوله فأين تذهبون بل لبعض منهم وهم الذين

(ولقد رآه) ولقد راى رسول الله جبريل عليه السلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد (على الغيب) على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفى اللسان واصول الثنايا العليا (وما هو بقول شيطان رجيم) بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى قولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرءآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم ان يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) الاستقامة يا من يشاءها (الا ان يشاء الله) الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخالق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته

عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لا يشاءها فالخطاب لمن يشاءها منهم وجعل المصنف قوله تعالى الا ان يشاء الله من اقامة المصدر مقام الزمان كما فى نحو آتيك خفوق النجم روى انه لما نزل قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل وكل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * تمت سورة التكوير والله اعلم بالصواب

(سورة الانفطار مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الله تعالى فى اول هذه السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان منها يتعلقان بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ماقدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء فى هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه اولا يبدأ بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت وانتقض تركيبها وذلك يستلزم انتثار مافيها من الكواكب وتساقطها متفرقة ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها يخرب كل ما على وجه الارض وينفذ بعض البحار الى بعض بارتفاع الحاجز الذى جعله الله تعالى برزخا بينهما فحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها (قوله قلب ترابها واخرج موتاها) يعنى ان بعثرة الشئ عبارة عن تفريق اجزائه وتقليب ظاهر البطن وبطنا ظهرا وفى الصحاح بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرقه وبدده وقلب بعضه على بعض ويقال بعثرت الشئ وبحثرته اذا استخرجته وكشفته وقال ابو عبيدة فى قوله تعالى بعثر مافى القبور ابرز واخرج مافيها انتهى وقيل ان بعثر مركب من بعث وراء مأخوذة من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام مأخوذة من لفظة الله وكذا بحثر فانه بمعنى بعثر وهو مركب من البحث والراء المضمومة اليه والمعنى بحث واخرج موتاها ومنه سميت سورة براءة المبحثرة لانها بحث عن احوال المنافقين (قوله من عمل او صدقة) اى يجوز ان يكون المراد بما قدمته ماعمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما اخرته ماعمله بعد موته بان سنه لمن بعده سنة حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الصادرة بمباشرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت أخرها عن موته اذ كان له مدخل فى مباشرة من بعده بان سنه له واسناد الفعل الى سببه شائع كثير مثل بنى الامير ويجوز ايضا ان يراد بما قدمته الاموال التى تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له فى النشأة الاخرى وبما اخرته الاموال التى خلفها لمن بعده من ورثته (قوله ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع) فيكون المعنى علمت نفس ماعملته من الطاعات وما اضاعت العمل به ولم تعمل وقدمر ان تنكير نفس فى الآيات لا ينافى ارادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام تقرير امر البعث والجزاء والزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة فان قيل فى اى موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالى فيحصل له فى اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر واما العلم التفصيلى فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة (قوله اى شئ خدعك) اشارة الى ان ما فى قوله ماغرك استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وغرك خبره وان غرك بمعنى خدعك وجرأك على عصيانه يقال غره فلان يغره غرورا اذا خدعه وجرأه عليه وآمنه من ان يصل اليه المكروه من قبله مع انه غير مأمون والمعنى ما الذى خدعك وسول لك معصية ربك وآمنك من عقابه والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ (قوله وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار) جواب عما يقال قد سيقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم فكيف يلائم لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم والحال ان الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو الى الاغترار به لان الكرم والجود عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لا للعوض فلما لم يكن الكريم مستعيضا بما عنده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المسئ وهذا يوجب الاغترار به وقد روى ان عليا رضى الله عنه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام وتقرير الجواب انا لا نسلم ان كرم الكريم يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم يابى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصى وبين الموالى والمعادى

(سورة الانفطار مكية وايها تسع عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ماقدمت) من عمل او صدقة (واخرت) من سنة او تركه ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم) اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ماشئت فربك كريم لا يعذب احدا اولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه

فثبت ان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه وصف كونه قهارا منتقما ذا بطش شديد ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكريم فقال والاشعار بما به يغره الشيطان وقال ثانيا والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته فان كل واحد منهما معطوف على قوله للمبالغة فكانه قيل ايها العاصى كيف تجرأ على معصيته مع ان كرمه يستدعى ان لا يسوى بين المطيع والعاصى ولم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعى الجد فى الطاعة قضاء لحق شكره على كرمه وفيه اشارة الى ان سبب اغترار بنى آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ما شئت فان ربك كريم ثم انه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله الذى خلقك فسواك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهرة لان من فعل هذه الامور الثلاثة فى المخلوق لا جرم يكون ربا مالكا له وكذا دلالته على الكرم لانه لا شك ان اصل الخلق والايجاد كرم وجود لان الوجود محض كرم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية فان سلامة الاعضاء كونها مسواة اى تامة الخلق سالمة عن النقصان فى خلقتها بحيث يكون الشخص بها بشرا سويا تام الخلق سليم الاعضاء انتهى (قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء) الظاهر انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة لكون كل واحدة منها منكسرة بحصول الفعل والانفعال بينها وبتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر لئلا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان تكون احدى اليدين اطول من الاخرى وكذا الرجلان والاذنان ومثل ان تكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى لا تفاوت بين نصفيه لا فى العظام ولا فى اشكالها ولا فى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة عنها فكل ما فى احد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر كانه عدله (قوله او معدلة بما يستعدها من القوى) عطف على قوله معتدلة والمنوى فى يستعدها ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء اى والتعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية معادلا مناسبا لما ينبغى له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشى واللسان للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء ومنافعها التى هى القوى المودعة فيها والبارز المنصوب فى يستعدها راجع الى ما وانث العائد اليها لكونها عبارة عن القوى وذكر لقراءة عدلك بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى انه من العدول اى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والفاء فى قوله فسواك فعدلك لافادة ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها فى الذكر لانها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد ذكر المجمل كما فى نحو قولك اجبته فقلت لبيك والتسوية فى الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية (قوله اى ركبك فى اى صورة شاءها) اى الله تعالى على ان قوله فى اى صورة متعلق بركبك وان شاء فى موضع الجر على انه صفة لصورة فلذلك قدرا ضمير الراجع اليها بعد شاء ليربط به جملة الصفة بالموصوف ولم تعطف جملة ركبك على ما قبلها لانها بيان لقوله فعدلك اى فعدلك بان ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة ومن الصور التى تشبه الاب والام او اقارب الاب او اقارب الام او لا تشبه واحدا منهم (قوله وقيل شرطية) اى قيل ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان فى موضع الجزم والمعنى ما شاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية فى موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها فعلى هذا يكون قوله فى اى صورة متعلقا بعدلك ولا يجوز ان يتعلق بركبك لان ما كان فى حيز الشرط لا يتقدم عليه فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف صلة عدلك مع ان ايا اسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قلنا من جعله متعلقا بعدلك جعل قوله فى اى صورة بمعنى التعجب كما فى قولك مررت برجل اى رجل كانه قيل فعدلك فى صورة اى فى صورة عجيبة ثم حذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب (قوله اضراب) اى اعراض عن ايجاب الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى عليهم بجعله كالمسكوت عنه الى بيان ما هو السبب فى اغترارهم بالكرم وهو تكذيبهم يوم الحساب والجزاء على ان يكون المراد بالدين الجزاء يقال دانه دينا اى جازاه وان اريد بالدين الاسلام كما قال ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى كيف ترتدعون عن الاغترار بالكريم وانتم مصرون على تكذيب الاسلام الذى هو السبب الاصلى للاغترار به تعالى والجرأة على عصيانه فان كل واحد من تكذيب الجزاء ومن تكذيب الاسلام والاصرار عليه سبب

(الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات (فى اى صورة ما شاء ركبك) اى ركبك فى اى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم تعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام

(وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به ورد لماتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزآء (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيهاوقيل معناه ومايغيبون عنهاقبل ذلك اذكانوا يجدون سمومها في القبور (وماادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين) تعجيب و تفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لاتدركه دراية دار (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا و رفع ابن كثير والبصري يان يوم على البدل من يوم الدين اوالخبر لمحذوف قال صلى الله عليه وسلم * من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

(سوره التطفيف مختلف فيها وآيها ست وثلاثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل للمطففين) التطفيف البخس في الكيل والوزن لان مايبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوه وفي الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الاسلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماانزل الله الافشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الافشافيهم الموت ولاطففوا الكيل الامنعوا النبات واخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر

اصلي في الاغترار والجرآءة (قوله تعالى وان عليكم لحافظين) يجوز ان يكون حالا من فاعل تكذبون اى تكذبون والحالة هذه و يجوز ان تكون جملة مستأنفة اخبرهم الله تعالى بذلك ليزدجروا عماهم عليه من الاصرار على الكفر والتكذيب فان من وكل به ملائكة كرام على الله يكتبون اعماله ليحاسب يوم البعث والجزآء من عظائم الامور عند الله تعالى فانه لولاذلك لماوكل بضبط الاعمال مثل هذه الملائكة الكرام وصف الملائكة بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال و بكونهم كراما لكرامتهم عند الله تعالى بجدهم في طاعته و بكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بني آدم على علم منهم بجميع اعمالهم فان قيل قوله تعالى ماتفعلون يعم افعال القلوب وهو من المغيبات التي لايعلمها الاالله تعالى فكيف يكتبها الملائكة وقد دلت الآية على انهم يكتبون جميع افعال المكلفين من افعال القلوب ومن افعال الجوارح اجيب بان ماتفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان الثوري كيف تعلم الملائكة ان العبد هم بمعصية او بحسنة قال اذاهم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذاهم بسيئة وجدوا منه ريح النتن ومحصول كلامه انالانسلم ان افعال القلوب بالنسبة الى الملائكة من قبيل المغيبات التي لايعلمها الاالله بل هي بالنسبة اليهم مما نصب عليه دليل ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاحوال العباد ذكر العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم والمراد نعيم الجنة و جحيم النار الموقدة و يصلونها اى يدخلونها صفة لجحيم اوحال من المنوى في الخبر و يوم الدين ظرف ليصلونها ولمابين انهم يقاسون حرها يوم القيامة بين انهم مخلدون فيها ولايخرجون منها فقال وماهم عنها بغائبين و يجوز ان يكون معناه يصلونها يوم الدين ومايغيبون عنها قبل ذلك في قبورهم (قوله تعجيب وتفخيم) يعني ان قوله تعالى وماادراك مايوم الدين تعظيم لذلك اليوم ثم كرر تعجيبا للمخاطب وتفخيما لشأن اليوم وقوله لاتدركه دراية دار اشارة الى ان ماادراك خطاب عام وقيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب للكافر بن زجرا لهم وتهديدا (قوله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا) فان اليوم الذي لاينفع المرء فيه الاالايمان والطاعة ولاتستطيع نفس ان تنفع نفسا ولاان تدفع عنها ضررا كيف يكون فيه حال من خالف الملك الجبار وعصاه قرأ الجمهور يوم لاتملك بفتح الميم ثم اختلفوا في انها فتحة اعراب اوفتحة بناء فمن قال انها حركة اعراب ذكر لنصبه وجوها احدها ان تكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان تكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اى يدانون و يجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باذكر اواعني فيكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بنى لاضافته الى الجملة وما اضيف الى غير المتمكن يبنى على الفتح وقوله اوالخبر اى انه في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو يوم لاتملك فانه لماقيل وماادراك مايوم الدين اخبر عنه بانه يوم لاتملك * تمت سورة الانفطار بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

(سورة المطففين)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مقاتل هي اول سورة نزلت بالمدينة وقيل هي مدنية الاثمان آيات وهي من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخر السورة وقيل مكية وقال الكلبي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم و يستوفون لانفسهم فنزلت الآيات فخرج عليه السلام فقرأها عليهم وقال خمس بخمس الى آخر الحديث فاحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدي قدمها و بها رجل يسمى ابا جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما الغير ويكتال بالآخر لنفسه فنزلت فاحسنوا الكيل انتهى (قوله تعالى ويل) مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتدآء به امالانه اسم لوادي مخصوص في جهنم لوارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى لذابت واما لكونه دعاء فانه في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكهم الله تعالى و يلا اوهلكوا و يلا فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما في سلام عليك فلما كان الويل في الاصل مصدرا سادا مسدا الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتدآء بها لذلك وفي الصحاح الطفيف القليل والتطفيف نقص المكيال وهوان لايملأ الى اصباره اى رأسه وفيه ايضا البخس الناقص قال تعالى وشروه بثمن بخس وقد بخسه حقه يبخسه بخسا اذانقصه وسمي البخس في الكيل والوزن تطفيفا اى تقليلا لكون مايبخس شيأ طفيفا اى قليلا حقيرا فان من لايملأ المكيال الى جوانبه وكذا من لايسوي عمود الميزان

لاينقص الاشيأ قليلا من حق المشترى لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه (قوله اى اذا اكتالوا من الناس) يعنى ان الاكتيال اخذ الحق من الغير بالكيل كما ان الاتزان اخذه منه بالوزن فهما اخذ الحق لنفسه والكيل والوزن اعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحق الاكتيال ان يتعدى بكلمة من حيث يقال كلت من فلان ولا يقال كلت على فلان الا ان كلمة على اقيمت فى الآية مقام من لوجهين الاول الدلالة على ان المأخوذ الحق الثابت له على الناس فانه اذا قيل اكتلت منه لايفهم منه الا انه اخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه اولا والثانى الدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرارلهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اى ظلمه فقولهم اكتال عليه يفهم منه انه اخذ منه اخذا متضمنا للتحامل عليه والوجه الاول اظهر (قوله اى اذا كالوا للناس اووزنوا لهم) يعنى ان الكيل والوزن عبارتان عن الاعطاء للغير بالمكيال والميزان فاللغة الشائعة فيهما ان يقال كالوا لهم اووزنوا لهم ولا يقال كاله اووزنه ونظم الآية امامن قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاصل كالوا مكيلهم اووزنوا موزونهم واما من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والاصل جنيت لك اى لاجلك نوعين من الكمأة من اجودها فان اكمؤا جمع قلة واحدها كمء والكمأة جمع كثرة لكمء ايضا على غير القياس والتنوين فى اكمؤا للتعظيم والعساقل ضرب من الكمأة الواحدة عسقول وهى الكمأة الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وبنات الاوبر كمأة صغار مزغبة على لون التراب وهى ارد أ انواع الكمأة والزغب الشعرات الصغار من ريش الفرخ (قوله ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل) اى لا يحسن ان يكون كلمة هم فى الموضعين ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير المتصل فى كالوا اووزنوا العائدين الى المطففين لوجهين الاول ان المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع وانهم حال الاخذ يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون وعلى تقدير ان يجعل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود ويكون اول الكلام دالا على انهم يستوفون حال الاخذ ويكون مابعده دالا على انهم اذا تولوا الكيل والوزن هم بأنفسهم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل وهو الاكتيال والكيل لا فى المباشر والوجه الثانى ان الضمير لو كان مرفوعا مؤكدا للمنفصل لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع فى امام المصاحف كما هو الاصل فى امثاله مثل قعدوا هم وقاموا هم وهذا الوجه ضعيف لان رسم المصحف كثيرا ما يخالف القياس المقرر فى علم الخط (قوله وفيه انكار وتعجب من حالهم) فى الاجترآء على التطفيف والانكار مستفاد من صورة الاستفهام فان ألا هنا ليست للتنبيه بل هى همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن فى موضع ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن البعث والجزآء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه وان لا يتجاسر على مايوجب الافتضاح والخجالة على رؤس الاشهاد فى يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن تجاسر عليه يرى من ظاهر حاله انه لايظن البعث والحساب ولا يخطر بباله فضلا عن التيقن به فان الظن كاف فى حصول الخوف الموجب للامتناع عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه عنه يدل على انه لايظن ذلك وذلك امر عجيب حيث كان أسوأ حالا من الكفار فانهم يظنون البعث ويقولون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين (قوله او بدل من الجار والمجرور) فانه منصوب المحل (قوله لحكمه) قدر المضاف لان ذاته تعالى لاتكون علة لقيامهم الا باعتبار كونه حاكما وآمرا بذلك (قوله وذكر الظن) فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام من القضايا التى يكفى المؤمن ان يظن بوقوعها لانه مما يجب ان يعتقد به المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة فى المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفى فى الامتناع والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين به وكذا وصف اليوم بالعظم فان ما يستعظمه الله تعالى لاشك انه يكون فى غاية العظمة وقدر ان عظمته لعظم مايكون فيه من الاهوال وكذا ذكر قيام الناس فيه لله الكبير المتعال اى لحكمه يدل على المبالغة فى المنع عن ذلك وكذا ذكر وصف نفسه بالربوبية للعالمين فان من كان مالكا للعالمين وكان العالم باسره مسخرا فى قبضته وقدرته كيف يمتنع عند الظالم القوى وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف فان مقتضى الربوبية ان لا يضيع شيأ من حقوق

(الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم (واذا كالوهم اووزنوهم) اى اذا كالوا للناس اووزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك اوكالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره (الا يظن اولئك انهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم مايكون فيه (يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القرآءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفى هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه

المستوفين واصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله اولا ويل للمطففين فانها كلمة تقال لمن استحق ان ينزل عليه بلية وآفة فيه ل و بل لك زجرا لعما هو فيه فدل بذلك على ان المطففين ينزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فاذكر بعده يكون للمبالغة فى المنع قال اعرابى لبعض الملوك انك قد سمعت ما قال الله عز وجل فى المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بغير كيل ولا وزن (قوله مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم) جواب عما يقال اخبر الله تعالى بان كتاب الفجار فى سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كأنه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه اجاب عنه المصنف اولا بان الكتاب فى قوله كتاب الفجار مصدر كتب يقال كتب كتبا وكتابا وكتابة اطلق فى الآية بمعنى المكتوب كضرب الامير والكتاب الذى فسر به السجين بمعنى السفر الذى كتب فيه الاعمال والمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع لجميع اعمال الفجرة وثانيا بان الكتاب الاول مصدر مستعمل فى اصل معناه وهو فى النظم مصدر مضاف والتقدير ان كتابة اعمال الفجار ثابتة فى السجين الذى هو كتاب جامع لاعمال الفجرة (قوله اى مسطور بين الكتابة) وفى الصحاح الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب للدلالة على انه بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان بوجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام الذم والتهويل (قوله فعيل من السجن) اختلف فى ان السجين علم لشئ معين او اسم مشتق فمن ذهب الى الثانى قال انه فعيل من السجن وهو الحبس كان الفسيق مشتق من الفسق فهو فى الاصل من اسماء الصفة وموضوع للمبالغة ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه سببا لحبس صاحبه ومعنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة فى كونه سبب الحبس والتضييق فانه يؤول الى حبس لا يجد صاحبه فيه شيأ من الروح والسعة (قوله اولانه مطروح) اى ويجوز ان يكون السجين مبالغة المسجون ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه مطروحا فى اسفل المواضع واوحشها وهو اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته لعنه الله فيطرح فيه الكتاب الجامع لاعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارهم وخفة مقدارهم ولا يصعد به الى السماء كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال ان كتاب الابرار لفى عليين (قوله وقيل هو اسم مكان) اى وقيل انه ليس بمشتق بل هو اسم علم لشئ معين هو الارض السابعة السفلى او حية فى جهنم او صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها فعلى تقدير ان يكون السجين اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف فى قوله ما سجين او فى قوله كتاب مرقوم ليصح الحمل واليه اشار المصنف بقوله والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم (قوله المكذبين بالحق) اى بما يجب تصديقه من الحق اى حق كان وقوله او بذلك اى ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ولم يذكر صلة المكذبين اما للتعميم لكل ما يجب ان يصدق به واما لدلالة القرينة عليه وهو يوم يقوم الناس فيه فعلى الاول يكون قوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة لكون مفهومه اخص من مفهوم موصوفه وعلى الثانى صفة موضحة ان كان ذات الموصوف معلوما للمخاطب بوجه ما ومجهولا من حيث انه يصدق عليه مفهوم الصفة وان كان معلوما من هذه الحيثية ايضا تكون الصفة للذم فان الصفة الموضحة لابد ان يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها ولا يكون بينهما فرق الا بالاجمال والتفصيل باشتمال مفهومها على زيادة تفصيل و بيان ليس فى مفهوم الموصوف بحيث يصلح ان يكون معرفا له كما فى قولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله (قوله المخدجة) اى المنتجة نتيجة باطلة لا يعتد بها من اخدجت الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق والاعتداء هو التجاوز للحد عن النهج الحق وحمله المصنف على اهمال القوة النظرية التى كاد أن يعرف الانسان بها الحق لذاته كوجود الصانع ووحدته واستكماله لجميع صفات الجلال والجمال ومن يكذب بالبعث والقيامة انما يكذب لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستقصاره علمه تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات لعلمه انه تعالى عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وانه تعالى قادر على جمعها واعادة الحياة فيها ولا شك ان من وصف الله تعالى بما لا يجوز ان يوصف به فقد اهمل قوته النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة و يعتقد بها والاثيم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم

(كلا) ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (ان كتاب الفجار) ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم (لفى سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال (وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم) اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس اولانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (ويل يومئذ للمكذبين) بالحق او بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة او موضحة اوذامة (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة (اثيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها

والمعصية بسبب الاتباع للشهوة والغضب فانه يستلزم اهمال القوة العملية التي كمالها ان تعرف الحق لاجل العمل به ثم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين بوصف ثالث فقال اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وهذا من الاعتداء عن النظر في شواهد النقل بانكار النبوة والقدح في كون القرءآن من عند الله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا في الاعتداء المذكور اولا الا انه خص بالذكر للمبالغة في ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال اشرف آثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده ومن انكرهما فهو في غاية الطغيان فلا يستبعد منه تكذيبه بيوم الدين وفي الصحاح السطر بسكون الطاء الصنف من الشيء ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس في جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم اواسطارة بالكسر فاساطير الاولين احاديثهم واخبارهم الباطلة (قوله رد لما قالوه) من ان ما يتلى عليهم اساطير يعني ان كلمة بل ههنا للاضراب عن قولهم ذلك بعد ردعهم عنه وان وجه الاضراب عنه ابطاله وقد يكون الاضراب لمجرد الاعراض عما سبق وجعله في حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو أهم وههنا اضرب عنه ابطالا له في نفسه وشرع في بيان ما ادى بهم اليه كأنه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل كان ما كسبوه من الافعال القبيحة سببا لحصول الرين وهو الدنس والصدأ في قلوبهم فلذلك اضرب عن ذلك القول الباطل (قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات) تعليل لكون الانهماك في المعاصي سببا لغلبة حب المعاصي عليهم فان الانسان كلما تكرر عليه مباشرة المعصية حصلت في قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها اتقاؤه عن ارتكابها بل يزداد ميله ورغبته فيها فذلك رين ودنس وظلمة على القلب مانعة من ادراك الحق والباطل كما ان الطاعات لها انوار وضياء معينة لمعرفة الحق والباطل فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة واسودادا وبحسب اسوداده يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله تعالى لم يبق في قلبه شيء من المعرفة والحياء ويرتفع بالكلية ما يمنعه عن ارتفاع الشهوة والغضب فيغلب عليه حب المعاصي بحيث لا يقدر على الامتناع عنها وكلمة ما في قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اى غلب على قلوبهم كسبهم الذي كانوا يكسبونه (قوله فلا يرونه بخلاف المؤمنين) وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية فان المؤمنين لو لم يروه في الآخرة كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بانهم محجوبون عن الله تعالى فائدة وايضا انه ذكر الحجاب هنا في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا لهم لا يجوز حصوله في حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن

يراه المؤمنون بغير كيف * وادراك وضرب من مثال
فينسون النعيم اذا رأوه * فيا خسران اهل الاعتزال

واجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال ان الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الرؤية حتى يقال انه تعالى لما خص الحجاب بالكفار دل ذلك على انه مرفوع عن الابرار بل هو مجاز عن كونهم أذلاء مهانين عند الله تعالى شبهت حالهم تلك بحال من كان محجوبا عن بعض السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه للدخول عليه فاطلق عليهم اسم المشبه به ومنهم من اجاب بان تقدير الكلام انهم عن رحمة ربهم اوعن قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك (قوله تكرير للاول) وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين فيكون ردعا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون (قوله الكلام فيه ما مر) فالمعنى الاعمال المكتوبة للابرار او كتابة اعمالهم لفي عليين اى لفي كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين في الاصل جمع على وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه ثم نقل عن الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا لعلو صاحبه غاية العلو وقيل عليون اسم مكان اعرابه كاعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع ثم اختلفوا في ذلك المكان وقيل هو السماء الرابعة وقيل هو السماء السابعة وقيل هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى فعلى تقدير كونه اسم مكان لا يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على تقدير المضاف في الاول او في الثاني ويكون التقدير وما ادراك ما كتاب عليين اوهو محل كتاب مرقوم (قوله على الاسرة في الحجال) وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس يزين بالاسرة والثياب والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجال عن الحسن قال كنا لا ندري

(اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بل رين بالامالة (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك اوقدر مضافا مثل رحمة ربهم اوقرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) يقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه ما مر في نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة (ان الابرار لفي نعيم على الارائك) على الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع

(يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته اوالذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع (وفى ذلك) يعنى الرحيق اوالنعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح اوالحال من تسنيم والكلام فى الباء كافى يشرب بها عباد الله (ان الذين اجرموا) يعنى رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مروا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين) ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما ارسلوا عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه غلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) هل اثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء * قال النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

(سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له

ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك ولما عظم الله تعالى كتاب الابرار فى الآية المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال ان الابرار لفى نعيم والرحيق من الشراب ما لا غش فيه ولا شئ يفسده (قوله اى مختوم اوانيه) من الاكواب والاباريق اى هو ممنوع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل اليه (قوله اوالذى له ختام) عطف على قوله اى مختوم اوانيه بالمسك اى يجوز ان يكون قوله ختامه مسك بمعنى مقطعه اذا شرب رائحة مسك بان توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشئ وخاتمه آخره (قوله والكلام فى الباء كالخ) اى كما مر فى سورة الانسان من انها اما صلة الالتذاذ اى يشرب المقربون متلذذين بها او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها اومزيدة اى يشرب بها بتقدير يشرب ماءها لان العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان تكون بمعنى فى اى يشربون وهم فيها والجملة فى موضع الصفة لقوله عينا (قوله يعنى رؤساء قريش) اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم كعمار بن صهيب وبلال فنزلت ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما وصف كرامة الابرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم ثم بين ان ذلك سيقلب على الكفار فى الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات مع ان امر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اى معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كان حافظين حال من فاعل ارسلوا قيل فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين متلذذين وقيل فاكهين اى متنعمين مشتغلين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات وفكهين معجبين ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اى هم على ضلال فى تركهم النعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود اولا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعنى ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم تمت سورة المطففين والحمد لله رب العالمين

(سورة الانشقاق مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله انشقت بالغمام) الانشقاق التصدع وذلك من علامات القيامة والغمام السحاب والباء فيه للآلة كما فى قولهم انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تتصدع بغمام يخرج منها قيل يكون فى ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشد واوجل من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل تنشق للسقوط والانتقاض ويؤيد الاول ما روى من انها تنشق من المجرة وهى باب السماء يقال لها بالفارسية راه كهكشان وهى ترى فى الشتاء فى اول الليل فى ناحية السماء وفى الصيف فى اول الليل فى وسط السماء وتنتقل فى آخر الليل الى غير موضعها ويقال ان النجوم تتقارب فى المجرة فطمس بعضها فصارت كالسحاب (قوله واستمعت له) الجوهرى اذن له اذنا استمع وانشد

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * وكل ما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بشر عندهم اذنوا

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن اى ما استمع الى شئ كاستماعه الى صوت نبى يقرأ القرآن المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك والاستحسان له اى لا يعتد بشئ كاعتداده بذلك فان حقيقة الاصغاء والاستماع لما لم تتصور فى حقه تعالى حملت على غايتها التى هى الاعتداد والرضى واذا اسند الى نحو السماء مما ليس من اهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازا عن المطاوعة لتأثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بان شبهت حال السماء فى انقيادها لتأثير قدرته تعالى حين اراد انشقاقها

بانقياد المستمع المطواع الآمر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع المستعمل فى غاية التى هى انقياد المأمور المطيع فهو مجاز فى لمرتبة الثانية قال الامام انه لم يوجد فى جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى فى شقها وتفريق اجزآئها فكانت فى قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذى اذاورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى اتينا طائعين وكذا قوله واذنت لربها وحقت عبارة عن نفوذ القدرة فى الايجاد والاعدام وتفريق الاجزآء من غير ممانعة اصلا (قوله فهو محقوق وحقيق) اى جدير بان يستمع وينقاد لانها ممكنة لذاتها والممكن لذاته يحق له ان ينقاد لقدرة من يؤثر فى وجوده وصفاته وافعاله (قوله وا كامها) جمع أكم بفتحتين مثل جبل وجبال والاكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب وكتاب والاكام جمع أكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض وا كامها وينسفها وينسفها نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا فيستوى ظهر الارض وينبسط والمد بمعنى البسط مأخوذ من مددت الشئ فامتد ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مدت مد الاديم العكاظى فان الاديم اذا مدزال كل انثناء فيه واستوى وقيل انه مأخوذ من مده اذا أمده اى يتزايد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب واعلم انه لابد من الزيادة فى وجه الارض سوآء كان ذلك بتمديدها وامدادها لان الخلائق باسرهم من الاولين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة لابد من الزيادة فى طولها وعرضها عن على بن الحسن انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الاموضع قدميه يعنى لكثرة الخلائق فيها (قوله وتكلفت) اى خلت غاية الخلو حتى لم يبق فى باطنها شئ فصارت بذلك كانها تكلفت فى الخلو اقصى وسعها وطاقتها فان حقيقة التكلف غير متصورة فى الارض والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة وقوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرار لان الاول فى حق السماء وهذا فى الارض ثم انه تعالى لما ذكر من مقدمات القيامة ومباديها امورا وجعلها شروطا ولم يذكر جزآءها ليكون ابهامه ادخل فى التهويل كانه قيل اذا وقعت هذه الامور كان مالايدخل تحت الوصف والبيان خاطب جنس الانسان خطابا منزلا منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين فقال له انك كادح الى ربك كدحا والكدح فى اللغة السعى الشديد فى العمل وذلك العمل اما الذهاب اليه تعالى بان يفارق البدن بالموت ويصل الى عالم الارواح واما اعماله التى عملها فى الدنيا من الخير والشر فانه يسعى بها الى ربه فيحاسبه بها فالمعنى على الاول انك ساع مجتهد تسير مع انفاسك كما قيل انفاسك خطاك سيرا سريعا الى ربك اى الى لقائه بالموت فلاقيه عند مجئ اجلك فانظر بأى عمل تلقاه اى فالقه بعمل ينجيك لابعمل يرديك وعلى الثانى انك كاد بعملك فى دنياك كدا وسعيا تسير الى ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر بأى عمل تسير اليه (قوله اوالاكتفاء) عطف على التهويل يعنى ان المحذوف اما مبهم يذهب ذهن السامع كل مذهب لابهامه لكون ذلك ادخل فى التهويل او متعين وهو قوله علمت نفس ماتسعى فيه من خير وشر ولم يذكر اكتفاء بما مر (قوله او بدلالة قوله) عطف على قوله بما مر وقوله عليه اى على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة (قوله لاقى الانسان كدحه) اى عمله الذى كدح فيه وتعب وفيه اشارة الى ان ضمير ملاقيه راجع الى الكدح الا ان الكدح لكونه عرضا لايبقى يمتنع تلاقيه فلابد من تقدير المضاف اليه اى فلاق حسابه وحكمه لامفر له منه (قوله اى جهدا يؤثر فيه) بفتح الجيم وهو المشقة والتعب وهو تفسير لقوله كدحا لا بضمها ولذلك عطف عليه الكد فى الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدة وجهه اذا خدشها (قوله او فملاقيه) عطف على قوله محذوف واذا كان قوله فملاقيه جواب اذا يكون قوله يا ايها الانسان انك كادح معترضا بين الشرط والجزآء والمعنى اذا كان يوم القيامة لقى الانسان عمله اى جزآء عمله واليه اشار بقوله والكدح اليه السعى الى لقاء جزآئه (قوله لايناقش فيه) يعنى ان الحساب اليسير هو العرض بان تعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدة فيه على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولايطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولاحجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام من نوقش فى الحساب فقد هلك والحساب اليسير هو العرض وسوف من الله تعالى واجب (قوله اى يؤتى كتابه بشماله من ورآء ظهره) يعنى ان قوله تعالى فى هذه السورة واما من اوتى كتابه ورآء ظهره لاينافى قوله فى سورة

(وحقت) اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدت) بسطت بان تزال جبالها واكامها (وألقت ما فيها) ما فى جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت فى الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلية (وحقت) للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر فى سورتى التكوير والانفطار او بدلالة قوله (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزآئه (فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لايناقش فيه (وينقلب الى اهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين او فريق من المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور (واما من اوتى كتابه وراء ظهره) اى يؤتى كتابه بشماله من ورآء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه ورآء ظهره

الحاقة واما من اوتى كتابه بشماله لانه لا يمكن ان يجمع بشماله ان تخلع يده اليسرى من موضعه فتجعل وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله خلف ظهره قبل ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره ولما اوتى كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهى المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول (قوله وقرأ الحجازيان) وهما نافع وابن كثير والشامى وهو ابن عامر يصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ ابو عمرو البصرى وعاصم وحمزة يصلى بفتح الياء واسكان الصاد مخففا وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام اى يدخله غيره لقوله تعالى ونصليه جهنم (قوله فارغا عن الآخرة) وعما فيهما من الحساب والثواب والعقاب فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة فى الطاعات واجتناب المعاصى والمنكرات فابدله الله تعالى من ذلك السرور والامن غما والمخلاف المؤمن فانه لما كان منقبا عن المعاصى مجتهدا فى الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن فى الدنيا مسرورا بالمال والجاه ولم يكن له فيها الا هم الآخرة والخوف من اهوالها ابدله الله تعالى من غمه ذلك سرورا ابديا لا ينقطع (قوله ظن ان لن يحور) ان فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر وان يحور خبرها والجملة سدت مسد مفعولى الظن والمعنى ان هذا الكافر ظن ان الامر والشأن ان يحور الى الله تعالى بان يبعث بعد الموت والحور الرجوع والمحار المرجع وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما فى قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى اى ليتغيرن وعلى الذى ليبدل سروره بغم لا ينقطع وبلاء لا يزول ان ربه كان به بصيرا عالما بما يعمله من الكفر والمعاصى فلم يكن ليجوز فى حكمته ان يهمله ولا يعاقبه على سوء اعماله كنى بعلمه تعالى عن بعثه ومجازاته عليها وكلمة لا فى قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان تكون لرد الكلام السابق وابطاله فانه تعالى حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور اى يبعث فأبطل الله تعالى ذلك الظن بقوله لا ثم قال بعد اقسم بالشفق والفاء للتعقيب فانه تعالى لما اوجب الحور والبعث بقوله بلى فرع عليه رد قوله وابطال ظنه ويجوز ان تكون كلمة لا صلة وقدمر مرارا واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم الاثر الباقى من الشمس فى الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو الحمرة التى ترى فى المغرب بعد غروب الشمس واليه ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وظاهر قول ابى حنيفة رحمه الله ان الشفق البياض الذى يعقب الحمرة الا ان اسد بن عمرو قال ان ابا حنيفة رجع عن هذا القول واختار ان الشفق هو الحمرة كما قال به صاحباه والشفق فى الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا رق اطول اللبس والشفقة على الانسان رقة القلب عليه واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة لان اجزاء الضياء فى البياض ارق وفى الحمرة اكثف فان اثر الشمس اعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وقال عكرمة ومجاهد ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثرها هو النور ويؤيده انه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعى ان يكون المذكور قبله النهار فيكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم (قوله وما جمعه) اى وما كان منتشرا بالنهار فان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى مأواه والوسق ضمك الشئ بعضه الى بعض يقال وسقه فاتسق واستوسق كوسعه فاتسع واستوسع وما فى قوله تعالى وما وسق موصولة او موصوفة بمعنى الذى جمعه او شئ جمعه اشار اليه المصنف بقوله وما جمعه بتقدير العائد فانه لا بد من العائد على التقديرين بخلاف ما اذا كانت مصدرية واشار ايضا الى ان جمع الليل للمخلوقات عبارة عن ستره اياها بظلمته واحاطة الظلمة بها فان ظلمة الليل كأنها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وهذا المعنى لا يحصل على تقدير أن تكون ما مصدرية لان المقسم به حينئذ يكون بوسق الليل وجمعه لا بما يجمعه الليل من المخلوقات وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه العباد المجتهدين بالليل لانه تعالى مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم (قوله مستوسقات لو يجدن سائقا) اوله * ان لنا قلائصا حقائقا والقلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهى الناقة التى استكملت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات اى مجتمعات وتمنى ان يكون لها سائق (قوله اوطرده الى اماكنه) عطف على قوله جمعه وستره يعنى ان الوسق فى اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد

(فسوف يدعو ثبورا) يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم (انه كان فى اهله) فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا اقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة (والليل وما وسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * او طرده الى اماكنه من الوسيقة

ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق طردها من اماكنها وفى الصحاح الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معا (قوله اجتمع وتم بدرا) مبنى على ماقال من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى لما ذكر ما اقسم به ذكر بعده ما اقسم عليه فقال لتركبن طبقا عن طبق واختار المصنف قرآءة من قرأ بضم الباء على خطاب الجنس الذى هو فى معنى الجمع لان ابتدآء فى قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرأ ليركبن بالياء وفتح الباء جعل الكلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر المنزل منزلة الغائب اى ليركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة اهوالا وشدآئد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن لامحالة وان الناس يلقون فيه الشدآئد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعدله من جنة او نار فهى نظير قوله تعالى بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم (قوله وهو لما يطابق غيره) يعنى ان الاصل اسم لما طابق غيره يقال ما هذا بطبق هذا اى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق (قوله اومراتب من الشدة بعد المراتب) عطف على قوله حالا بعد حال لان طبقا على الاول اسم مفرد اطلق على الحال المطابقة لغيرها وعلى هذا جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال طبقات البيت اى مراتبه فالمراد بها فى الآية طبقات الشدة ومراتبها التى بعضها اشد من بعض وهى الموت ومابعده من اهوال القيامة (قوله اوهى وماقبلها) اى اوهى هذه المذكورات وماكان قبلها من الدواهى العارضة للانسان من ابتدآء وجوده الى ان يموت (قوله باعتبار اللفظ) فان لفظ الانسان مفرد فخوطب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه لضم الباء على طريق خطاب جماعة الذكور وعلى تقدير ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوله طبقا اسما مفردا لما طابق غيره وهى اما احواله التى يترقى عليه السلام فيها من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث واظهار دينه على الاديان كلها واما مراتبه عليه الصلاة والسلام فى القرب من الله تعالى والاستحقاق لانواع فضله ورحمته بحيث لا يعلم كنه ذلك غيره تعالى واما مراكبه من طبقات السماء كانه تعالى يقول اقسم يا محمد على انك لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلا يحزنك كفرهم وتماديهم فى الكفر والتكذيب اولتركبن درجة بعد درجة فى القرب من الله تعالى والكرامة عنده اولتركبن السموات طبقا بعد طبق فانها سبع سموات طباقا فهى بشارة له عليه الصلاة والسلام بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسرآء وقوله بعد حال وبعد المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى الشئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظة عن تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظة بعد فصح استعمال احداهما بمعنى الاخرى (قوله وعن طبق صفة لطبقا) اى لتركبن طبقا كائنا بعد طبق او حال من الضمير فى لتركبن وقوله مجاوزا لطبق على قرآءة تركبن بفتح الباء وقوله او مجاوزين له على القرآءة بضم الباء (قوله بيوم القيامة) خص يوم القيامة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لا يؤمنون باكثر ما يجب الايمان به بل بكله من حيث ان الكلام مسوق لتوبيخ منكرى البعث والقيامة وتشنيع حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور البتة ثم اقسم بالحوادث المتغيرة الطارية على الافلاك والعناصر على ان الناس يلقون بعد البعث طبقا بعد طبق الى ان يستقر كل احد فيما اعدله فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا الليل حالة حادثة بعد انبساط ضوء النهار بتغير احوال الحيوانات من التفرق الى الاجتماع ومن اليقظة الى النوم وكذا اتساق القمر وكونه بدرا حالة حادثة بعد كونه ناقصا فهو تعالى اقسم بهذه المذكورات على انهم يبعثون ويركبون طبقا عن طبق فتخصيص هذه المذكورات بجعلها مقسما بها من حيث ان لها دلالة على ثبوت الدعوى فان من قدر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لابد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فيكون قادرا على البعث والقيامة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال فمالهم لا يؤمنون بالبعث والجزآء فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغوا فى امر الفصاحة والبلاغة الى اقصى المراتب الممكنة لنوع البشر فعند

(والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة اومراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيامة واهوالها اوهى وماقبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ اوالرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق اومجاوزين له (فمالهم لا يؤمنون) بيوم القيامة

(وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون او لا يسجدون عند تلاوته لما روى انه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) اى بالقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب اليم) استهزاء بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم اجر غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطى كتابه من وراء ظهره

(سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة فى الكثرة كأنه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبى وامته او امته وسائر الامم او كل نبى وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله

حتى انه لابد ان يخروا سجدا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما الهيا وعلموا بذلك صدق مبلغه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ما كلفهم به * فسر السجود اولا بالخضوع والانقياد ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجود على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روى فى سبب النزول (قوله واحتج به) اى بهذه الآية وتذكير الضمير لكونها فى معنى المنزل ووجه الاحتجاج ان الذم انما يتوجه على من ترك الواجب (قوله استهزاء بهم) لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قوله استثناء منقطع) اى من الضمير المنصوب فى قوله فبشرهم الراجع الى الذين كفروا ولا شك ان الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن الذين آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والمعنى الا من تاب منهم وآمن بعد ما نزلت هذه الآية فانهم وان كانوا فى الحال كفارا الا انهم متى تابوا واستحقوا لان يثابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا من استحقاق العذاب الاليم واستحقوا لان يثابوا بأجر غير منقوص ولا مقطوع لان نعيم الآخرة لا ينقطع * تمت سورة الانشقاق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البروج مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور) اى اطلق اسم القصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف على بروج السماء الاثنى عشر استعارة تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل السيارات او مقر الثوابت وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس واستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة اليه لان البروج تنبئ عن الظهور وقيل المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل المراد بها ابواب السماء وسميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء ولان النوازل تخرج منها كما تخرج من القصور (قوله واصل التركيب للظهور) اى للظهور والامتياز بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها وما فيها من المحاسن ظاهرة للاعين فلذلك سميت بروجا ومنه قيل برجت المرأة اى شبهت بالبرج فى اظهار المحاسن وهو معنى قولهم تبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة (قوله ومن يشهد) اى ومن يحضر فى ذلك اليوم من الخلائق الاولين والآخرين من الجن والانس والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه سبحانه وتعالى لما اقسم باليوم الموعود الذى هو يوم القيامة تنبيها على عظيم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده فيه تعالى بالملك والحكم عطف عليه الشاهد وهو من يحضر فى ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذى هو ما فى ذلك اليوم من العجائب (قوله او النبى وامته) عطف على قوله ومن يشهد فى ذلك اليوم اى ويجوز ان يكون الشاهد من الشهادة لا من الشهود وهو الحضور فعلى هذا يكون المشهود بمعنى المشهود عليه لان الشهادة لا تتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال شهد به وشهد عليه الا انه حذف الصلة كما حذف من المشترك واصله مشترك فيه وعلى تقدير ان يكون الشاهد والمشهود من الشهادة ذكر وجوها فى تعيين المراد بهما الاول ما ذكره بقوله او النبى وامته ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولا شك ان تبشيره وانذاره ودعوته عليه الصلاة والسلام انما هو بالنسبة الى امته فكذا شهادته تكون بالنسبة اليهم كما قال تعالى فى حق امته عليه الصلاة والسلام ويكون الرسول عليكم شهيدا والثانى ما ذكره بقوله او امته وسائر الامم لقوله تعالى فى حق امته عليه الصلاة والسلام وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والثالث ما ذكره بقوله او كل نبى وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبى شاهد على امته والرابع ما ذكره بقوله او الخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا مطلعا على احوال خلقه والخامس ما ذكره بقوله او عكسه فان كل جزئى من جزئيات العالم شاهد على ان له صانعا وعلى التقديرين يكون القسم واقعا بجميع الكائنات وخالقها قال الشاعر

فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

والسادس ماذكره بقوله اوالملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فتكون كل نفس مشهودا عليها من حيث ان حفظة اعمالها تشهد عليها بها والسابع ماذكره بقوله او يوم النحر فقد روى عن ابن عمر وابن الزبير والنخعى والثورى رضى الله عنهم ان الشاهد يوم الاضحى فانه يوم عظيم يشهد لمن حج بالاعمال واستحقاق الرحمة والثامن ماذكره بقوله اوعرفة فانه ايضا يوم عظيم يشهد للحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزى وللعادين على اقدامهم عدى والتاسع ماذكره بقوله او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه من خير وشر والعاشر ماذكره بقوله اوكل يوم واهله روى عن الحسن انه قال مامن يوم الا وينادى انا يوم جديد وانى على ماتعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة (قوله قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل) احتيج الى التقدير لان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء الداخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولايجوز الاقتصار على احدهما الاعند طول الكلام كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه لم يؤت فيه باللام لطول الكلام اوفى ضرورة الشعر كما فى قوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا وما ان من حديث ولاصالى

ويجب فى مثل تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لاتدخل على الماضى المجرد فمن قال ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل اى لقد قتل لعن فحذف كما فى قوله تعالى قد افلح من زكاها ثم حذف كلمة قد وقيل فى توجيه خلو الجملة عنهما ان الكلام محمول على التقديم والتأخير كأنه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج (قوله والاظهر انه دليل جواب محذوف) جعله اظهر بالنسبة الى كونه جواب القسم بناء على ماشار اليه من ان السورة وردت لبيان شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله تعالى وعظيم سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود وفرعون وثمود المقصود منه تسلية النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه على ايذاء الكفار ببيان ان احوال المؤمنين مع الكفار فى جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى ينتقم من الكفار المعاندين لاوليائه المؤمنين فان ذلك يتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على تحقيق لعن اصحاب الاخدود لاوجه له ولاسيما ان ذلك يؤدى الى تقدير قد واللام وتقدير الكلام والسماء ذات البروج ان كفار قريش للملعونون لعنا مثل لعن اصحاب الاخدود والقتل لكونه اغلظ العقوبات لايقع الاعن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل فلذلك عبر به عن اللعن لكونه ابلغ فى التصريح باللعن من حيث انه بمنزلة اثبات اللعن بالبينة والاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم ومبالغتهم فى ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار مكة ايضا ملعونون للاشتراك فى العلة وهى الاصرار على الكفر والعناد والمبالغة فى ايذاء المؤمنين وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل فى افادة التسلية (قوله فمال قلبه اليه) فكان الغلام يطيل عنده القعود بسبب ميله اليه فاذا ابطأ عن الساحر ضربه واذا ابطأ عن اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يابنى اذا استبطأك الساحر فقل حبسنى اهلى واذا استبطأك اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو بالطريق ذات يوم ظهرت حية قد حبست الناس الخ (قوله فاقتلها) اى بان تخلق فى قوة ارمى بها هذا الحجر اليها او اضربها به فرماه فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى فصار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وهو جمع داء الى آخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال كفأت الاناء اى كببته وقلبته وتقاعست اى تأخرت فكأنها ارتدت وكان لهذه المرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا ألقيتك واولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاول فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فأبت فالقى الثانى ثم قال لها ارجعى فأبت فأخذ الصبى منها ليلقيه فى النار فهمت بالرجوع فقال الصبى ياأمهاه لاترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولابأس عليك فألقى الصبى فى النار وألقيت امه على اثره عن عكرمة قال تكلم فى المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الاخدود وقال عطاء خمسة هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون وقال الضحاك ستة هؤلاء وشاهد يوسف عليه الصلاة

(قتل اصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى ياأماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت

وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودى من حمير فاحرق فى الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام فى الوقود للجنس (اذهم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين يشهد عليهم السنتهم وايديهم (وما نقموا) وما انكروا (منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم

والسلام (قوله وعن على رضى الله عنه) عن سعيد بن جبير رضى الله عنه انه قال اختلف فى احكام المجوس فقال عمر رضى الله عنه ماهم بيهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وقال على رضى الله عنه قد كان لهم كتاب وحرم عليهم فى كتابهم الاخوات والبنات وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على ابنته وعلى اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لهما ويحكما ما هذا الذى اتيت وما المخرج قالتا المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقام خطيبا فقال ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقال له الجماعة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ما جاءنا به رسول ولا انزل علينا كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا به فجرد عليهم السيف فابوا ان يقروا فخد لهم اخدودا واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب خلى سبيله (قوله وقيل لما تنصر نجران) اى اهل نجران اليمن روى انه وصل الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم الى التنصر فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنى عشر الفا فى الاخاديد وقيل سبعين الفا فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها اجيب بانه لا تعارض لما روى عن مقاتل انه قال كانت الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام والثالث بالعراق (قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها) حطبا كان او غيره فان الوقود بالفتح وان شاع فى الحطب الا انه يطلق على مطلق ما توقد به النار اى شئ كان قال تعالى وقودها الناس والحجارة فالمقصود من توصيف النار بكونها ذات الوقود تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة ما يكون سببا لاتقادها واشتعالها ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقى للتوصيف فائدة فانه من الظاهر المكشوف ان النار لا تخلو عن الوقود وكلمة اذ فى قوله تعالى اذهم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النار لالقاء المؤمنين فيها وحافة الشئ جانبه والظاهر ان المراد باصحاب الاخدود الجبابرة الذين يقعدون على شفير النار ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع فى النار فمن ترك الاسلام تركوه ومن كان يصبر على الوقوع فى النار وان ضميرهم فى قوله اذهم لهؤلاء الجبابرة وقعود جمع قاعد وعبر عن القعود على حافة النار وشفيرها بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤا ويخلون سبيل من شاؤا (قوله وما انكروا) يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اى وما عابوا منهم وما انكروا الا ايمانهم وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لانهم لو دام منهم عليه فى الآتى حتى لو كفروا فى المستقبل لما عذبوهم على ما مضى فكأنه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم (قوله استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم) فان كل واحد منهما من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم فان كون سيوف الشجعان مشتملة على كسور فى حدها من مصادمة الجيوش من اعز المحامد واجل المفاخر فكذا الايمان بالله تعالى اشرف جميع فضائل المكلفين ولغاية غوايتهم عدوه قبيحا وعاقبوهم به والمقصود من الآية بيان ان اصحاب الاخدود يستحقون لعنة الله تعالى وسخطه وذلك ان من اتصف بكونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه وحميدا اى محمودا لجميع المخلوقات بلسان المقال او بلسان الحال فان كل ذرة من ذرات الكائنات يثنى على صانعه بكمال العلم والقدرة والحكمة ويحمده على ما انعم به عليه من نعمة الايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم وبكونه بحيث ثبت له ملك السموات والارض بحيث لا يشاركه احد فى تصرف شئ منهما يستحق ان يؤمن ويصدق بانه رب العالمين ويخص بالعبادة فالجاهل الذى نقم الايمان به وتخصيصه بالعبادة يكون فى نهاية الغواية ويستحق اللعن والسخط العظيم واخر ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزا حميدا لان الصفة الاولى دالة على كمال القدرة والثانية دالة على كمال العلم ولا شك ان اختصاصه بالملك التام بحيث يكون موجدا لجميع الكائنات ويكون ابقاؤها موجودة وافناؤها مفوضا الى محض مشيئته انما يكون عند حصول الكمال فى القدرة والعلم وقوله تعالى على كل شئ شهيد وعيد لهم لان من لا يخفى عليه شئ يجازى كل احد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود وما فعلوا بالمؤمنين اذهم عليها قعود اتبعها بذكر عقاب من آذى المؤمنين وبذكر ثواب اهل الايمان والطاعة (قوله بلوهم بالاذى) اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك قد يكون بالسراء وقد يكون بالاذى والمراد بها فى الآية الابتلاء بالاذى بقرينة المقام فان اولئك الكفار امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار واحراقهم بها والى ان المراد بالذين فتنوا المؤمنين كل من فعل ذلك من اصحاب

الاخدود وغيرهم لان كل واحد من اللفظ والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هى الاحراق لقوله ثم بالنار يفتنون (قوله العذاب الزائد فى الاحراق) يعنى ان الفاتنين يعذبون فى الآخرة بنوعين من عذاب الاحراق الاول جزآء كفرهم والثانى جزآء فتنهم وايذائهم المؤمنين والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفى الصحاح تحرق الشئ بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والنوع الثانى وان كان من قبيل عذاب الاحراق بالنار الا انه خص باسم الحريق للدلالة على انه عذاب زآئد على النوع الاول من العذاب من حيث ان كل واحد منهما وان كان عذابا عظيما فى نفسه الا ان الثانى لما اجتمع مع الاول قوى واشتد وصار كأنه هو عذاب الحريق وان الاول ليس بالنسبة اليه بعذاب الحريق (قوله وقيل المراد الخ) عطف من حيث المعنى على قوله بلوهم بالاذى فانه قد فهم منه ان قوله الذين فتنوا يتناول اصحاب الاخدود وغيرهم وان المراد بالمؤمنين المؤمنون المفتونون مطلقا وان المراد بفتنة المؤمنين ايذاؤهم مطلقا وان المراد بعذاب الحريق عذاب الآخرة وعطف عليه ماقيل من ان المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود والمعنى فلهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق بنار الاخدود فى الدنيا فانه روى انهم لما القوا المؤمنين فى النار ارتفعت من الاخدود الى الملك واتباعه نارفأحرقتهم فاهلكوا بنفس مافعلوه بايديهم لاجل هلاك غيرهم ونجى الله تعالى المؤمنين الذين ألقوا فى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دالا على انهم كانوا ملعونين فى تلك الحالة وانهم خسروا الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ذكر مااعده للمؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم وقوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيا عنهم والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لاخصوص الجنة ثم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اكد كل واحد منهما فقال لتأكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف عنفه ثم استدل على شدة بطشه بذكر اقتداره على الابدآء والاعادة بحيث لايقدر عليهما غيره فقال انه هو يبدئ ويعيد ويجوز ان يكون المقصود المبالغة فى الوعيد لبيان ان بطشه لايختص بالدنيا ولا بالآخرة بل ان شاء بطش فيهما وان شاء يمهل العاصى ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد بقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ثم قال لتأكيد الوعد وهو الغفور الودود وذكر من صفات جلاله وكبريائه خمس صفات اولها الغفور قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الآية مذكورة فى معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا أتم واكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان تحمل على الاطلاق قال الامام الغزالى الفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولاشك ان الغافرية مطلقا اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليها اولى لاسيما فى مقام التمدح فقول المصنف الغفور لمن تاب ينبغى ان يكون المراد به لمن تاب عن الكفر (قوله المحب لمن اطاع) على ان الودود فعول بمعنى فاعل والمحبة فى حقه تعالى يراد بها ارادة الكرامة والاحسان والانعام لمن اطاعه وهى صفة مدح له تعالى لانه لايجب عليه شئ وانما هو مجرد فضل منه واحسان وقيل يجوز ان يكون الودود فعولا بمعنى مفعول نحو ركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه لما عرفوه من فضله وجلالة ذاته ولما اتسع عليهم من فنون بره واحسانه والودود بهذا المعنى ايضا صفة مدح له تعالى لانهم انما يحبونه لفضله وافضاله (قوله وقيل المراد بالعرش الملك) فانهم يكنون بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال استوى فلان على العرش وان لم يجلس عليه وثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه (قوله لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره) فهذه الآية من جملة ما استدل به الاشاعرة فى مسألة خلق الافعال قالوا للمعتزلة انكم تقولون انه تعالى يريد الايمان والطاعة من كل مكلف فيجب ان يكون فاعلا لهما بمقتضى هذه الآية واذا كان فاعلا لهما وجب ان يكون فاعلا للكفر والمعصية ايضا اذ لاقائل بالفصل روى انه دخل على ابى بكر قوم يعودونه فقالوا ياخليفة رسول الله ألاندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الى قالوا فاى شئ قال لك قال قال انى فعال لما اريد ثم انه تعالى لما ذكر

(ولهم عذاب الحريق) العذاب الزآئد فى الاحراق بفتنهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبعذاب الحريق ماروى النار انقلبت عليهم فأحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا ومافيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده اويبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب (الودود) المحب لمن اطاع (ذوالعرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائى صفة لربك اوللعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لمايريد) لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره

(هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود) ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وماحاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم (والله من ورآئهم محيط) لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرءآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرءآن مجيد بالاضافة اى قرءآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرءآن وقرئ فى لوح وهو الهوآء يعنى مافوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

(سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه (وماادراك ماالطارق النجم الثاقب) المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه اوالافلاك والمراد الجنس اومعهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) اى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم

قصة اصحاب الاخدود واوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تأذى من المؤمنين من قبل المشركين ردف التسلية والايعاد بقوله هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ثم بينهم بقوله فرعون وثمود (قوله ابدلهما من الجنود) جواب عما يقال كيف ابدل فرعون من الجنود والبدل يجب ان يطابق المبدل منه فى الجمعية واجاب عنه بان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكر قومه لكونهم اتباعه فيكون ذكره فى حكم ذكر الجميع (قوله لايرعوون) اى لايمتنعون عن التكذيب يقال ارعوى يرعوى اى كف ومنع وارعوى عن القبيح اى امتنع (قوله وكذبوا اشد من تكذيبهم) على ان تنكير قوله فى تكذيب للتهويل والتعظيم ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بين اقتداره على المكذبين وانهم فى قبضته وحوزته كالشئ الذى احيط به من ورآئه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا فقوله والله من ورآئهم محيط من باب التشبيه البليغ اى كأنه محيط بهم فى انهم لايفوتونه كما لايفوت المحاط المحيط ثم زاد فى التعجب من حالهم فقال بل هو قرءآن مجيد ومعنى الاضراب عنه ان ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود بل هذا الذى كذبوا به قرءآن معجز بنظمه مجيد شريف عالى الطبقة من بين الكتب وحيد فى نظمه واعجازه (قوله وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرءآن) فالتقدير بل هو قرءآن مجيد محفوظ فى لوح واللوح بالفتح الذى يكتب فيه وبالضم الهوآء بين السماء والارض كذا فى الصحاح ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح قال تعالى ههنا فى لوح محفوظ وقال فى آية اخرى انه لقرءآن كريم فى كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو ام الكتاب منه نسخ القرءآن وسائر الكتب ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين روى انه تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمرآء قلمه نور وكتابه نور طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب وفى صدر اللوح لااله الا الله دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عزوجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الله الجنة وقيل اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن وقيل اللوح شئ يلوح للملائكة فيقرأونه ولما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الطارق مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله والسماء والطارق) اعلم انه تعالى اكثر فى كتابه الكريم ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها فى اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشأنه واعلاء لقدره ثم بينه بالنجم المضئ الذى يطرق اى يبدو بالليل ويختفى بالنهار فان ذكر الشئ مجملا ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شأنه واختلفوا فى ان تعريف النجم للاستغراق اوللعهد الخارجى فقال بعضهم انه للاستغراق كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابوزيد انه الثريا وقال الفرآء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك السموات السبع وقال آخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب اى نافذ او مضئ يقال ثقبه يثقبه ثقبا اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال لصاحب النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضئ وثقب النجم اى اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ فلعل المعنى الاصلى للثاقب الذى يفتح المنفذ واطلاقه على المضئ لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث انه يثقب الظلام او الافلاك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب (قوله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما) اى بالتشديد بمعنى الا والباقون بتخفيفها واختار المصنف قرآءة التخفيف فكلمة ان على هذه القرآءة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله وان المخففة مع ما فى حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشأن كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ لما بالتشديد جعل ان نافية وجعل لما فى معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا

استوفت جميع ذلك قبضها الى ربها فعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالانسان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين والظاهر ان المراد بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته فى ترجح وجودها على عدمها تحتاج اليه فى بقائها ايضا فهو تعالى هو القيوم الذى بحفظه وابقائه يبقى الكائنات كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فكانه تعالى اقسم على ان كل ما سواه ممكن محدث يحتاج فى اصل وجوده وبقائه الى حافظ يوجده ويبقيه ويوصله الى الكمال اللائق به وتربيته بان يخلق له ما ينتفع به ويدفع عنه ما يضره وعدى الحفظ بعلى فى قوله تعالى عليها حافظ لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم واستيلائه وقدرته عليها وتصرفه فيها حسبما يشاء (قوله لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ) اشارة الى وجه ترتيب هذه الآية على ما قبلها وذلك لان اجمال ما قبلها متضمن لمعنى قولنا ان الانسان ما ترك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ما قدر له من ذلك يقبضه اليه فى البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال ينبئ عن ذلك ولما كان ما قبلها متضمنا لهذه المعانى وكانت هذه المعانى سببا لتوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء ويجتهد فى ان لا يكتب عليه حافظ اعماله سوى ما يفرح به يوم العرض والجزاء ظهر بهذا التقرير ان ما ذهب اليه شرف الدين الطيبى من ان الفاء فى قوله تعالى فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير غير موجه اذ لا حاجة فى ارتباط الكلام واستقامته الى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله فى كونه سببا للتوصية من غير ارتكاب الحذف (قوله بمعنى ذى دفق) فان الدافق عند البصريين بمعنى ذى دفق كلابن وتامر وعند الكوفيين بمعنى مدفوق كسر كاتم وعيشة راضية بمعنى مكتوم ومرضية (قوله والمراد الممتزج من المائين) يعنى قيل خلق من ماء بتنوين الوحدة مع ان الولد انما يخلق من ماءين ماء الرجل الذى يخرج من صلبه وماء المرأة الذى يخرج من ترائبها وهى عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم منها تريبة بناء على ان الولد انما يتكون بعد اجتماع ذينك المائين فى الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئا واحدا فلذلك قيل من ماء واحد ولم يقل من ماءين وذلك المجموع الممتزج يصدق عليه انه خارج من بينهما (قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ) جواب عما طعن به بعض الملاحدة فى هذه الآية فقال ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب ان المنى انما ينفصل عن ذينك الموضعين فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لان تتولد منه تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط فى الجماع يستولى الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المنى يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى ويتولد فى الدماغ والدليل عليه ان المنى يشبه الدماغ فى صورته ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف اولا فى عينيه وان كان المراد ان مستقر المنى هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المنى وهى عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المنى هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لا شك ان معظم الاعضاء معونة فى توليد المنى هو الدماغ وللدماغ خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهى التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم فى كيفية تولد الاعضاء من المنى كلام بمحض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة خفى عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المنى ينفصل عن جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء فأشار المصنف اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى اصدق القائلين واعلم باحوال ما خلقه على اى وجه يتولد ومن اى موضع يخرج فكلامه المجيد هو المعول عليه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا صحة ما زعموه نقول وجه تخصيص الصلب والترائب اللذين يتصل بهما معظم ما يتولد منه المنى المستقر فى الاوعية كونهما اقرب الى تلك الاوعية ولذا خصا بالذكر وجعلا مخرجا له وان كان معظم

(فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر الى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين فى الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب

المخرج هو الدماغ والنخاع ولا ضرورة الى تخصيص الترآئب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذى يخرج من بين الصلب والترآئب للرجل واحتج على ما ذهب اليه بان الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق وان الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل ثم انه تعالى وصف ذلك الماء الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترآئب فدل ذلك على ان الترآئب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لا ينافى ان يكون لمائها مدخل فى تكون الولد واجاب القائلون بالترآئب ترآئب المرأة عن هذا الاحتجاج بان توصف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزآئه (قوله والضمير) اى ضمير انه للخالق اى ان من خلقه من مثل ذلك الشئ الحقير لقادر على رجعه واعادته حيا بعد موته وقوله على رجعه متعلق بقادر فان قيل ما وجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور الذى هو قوله على رجعه على عامله الذى هو قوله قادر مع انه تعالى قادر على كل شئ قلنا التقديم قد لا يكون للحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك وقدم ههنا للاهتمام بالعلم فان الكلام فيه بخصوصه بناء على الامر بالنظر فى مبدأ خلقه اما هو لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع والاعادة والسرآئر جمع سريرة بمعنى السر وهو ما يكتم ويخفى والمراد بها فى الآية ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وما اخفى من الاعمال * والابلاء والابتلاء الاختبار الجوهرى بلوته بلوا جربته واختبرته وبلاه الله بلاء وابتلاه ابتلاء اى اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهى يكون لكشف ما علم منهم فى الازل (قوله وهو ظرف لرجعه) قيل عليه لا يجوز ان ينتصب به للفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وهو خبر ان اعنى لقادر ولا ينتصب ايضا بقوله لقادر لانه تعالى قادر فى كل الاوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يراد انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اى يبعثه يوم تبلى السرآئر واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفاصلة على ان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره (قوله فى نفسه) مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لما بقى للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الانسان فى ذلك اليوم فحينئذ لا يكون له شئ من القوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره فى دفعه ولا شك انه يرجع معناه الى التحذير عما يؤدى اليه (قوله سمى به كما سمى او بالان الله يرجعه) اى يرجع نوعه بانزال مثل الاول سمى المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذى رجوع وأوب اولانه لكثرة رجوعه وأوبه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة اولان الرجع بمعنى الراجع فان المطر النازل من السماء هو الذى صعد من البحار بان حمله السحاب منها ثم رجع الى جانب الارض ورجع يستعمل لازما ومتعديا يقال رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل تقول ارجعه غيره (قوله من النبات) بيان ما فى قوله ما تتصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمى به لكونه صادعا للارض والارض تصدع به ولما لم يتأت خروجه من الارض الا بصدعه اياها جعل كانه نفس الصدع فسمى به (قوله او الشق) عطف على قوله ما تتصدع فان الصدع فى اللغة الشق والارض ذات الشق بالنبات والعيون فعلى هذا يكون الصدع على اصل معناه الا ان الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة فى نفسه بل وسيلة الى خروج ما هو نعمة فى نفسه وهو النبات والعيون اخره فى الذكر لفوات الملاءمة بين هذه القرينة وبين قوله والسماء ذات الرجع حينئذ لان الرجع باى معنى كان نعمة فى نفسه ثم انه تعالى لما اقسم فى اول هذه السورة الكريمة على ان من آذى المؤمنين ملعونون وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وثبتهم على اذى المشركين وصبرهم عليه وبين عقاب الكافرين وثواب المؤمنين اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على ان القرآن الذى بين هذه الامور لقول فصل يفصل بين الحق والباطل واشار الى كيفية خلقة النبات فى هذا القسم كما اشار فيما قبل الى كيفية خلقة الحيوان فان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام يتولد من اجتماعهما انواع النباتات ثم انه تعالى بعد ما اخبر بحقية القرآن واقسم عليه بين انهم يكيدون كيدا فى ابطاله بالقاء الشبهات لابطال بعض ما اخبر به القرآن كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وقولهم من يحيى العظام وهى رميم وقولهم أجعل الآلهة الها واحدا وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقولهم فهى تملى عليه بكرة واصيلا وبالطعن فى مبلغه بقولهم

(انه على رجعه لقادر) الضمير للخالق وبدل عليه خلق (يوم تبلى السرآئر) تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه (فماله) فما للانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تحرك منه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا اولما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) فانه جد كله

ساحر وشاعر ومجنون و بقصد قتله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتسمية ماكان من قبله تعالى فى حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كيدهم وجزآءله كما اشار اليه المصنف بقوله واقابلهم بكيدى وذلك لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيق وتسمية جزآء ذلك الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة كثير فى القرآن كقوله نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى عنهم قولهم انما نحن مستهزئون (قوله امهالا يسيرا) اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان كذلك لكان المعنى فمهل الكافرين امهلهم ارودهم فيكون الامر بالامهال تكرر ثلاث مرات فان مهل وامهل وارود بمعنى واحد وفائدة التأكيد قد حصلت بالثانى فيبقى الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه حينئذ يكون تصغير رود بضم الراء وهو المهل و يكون التصغير للتقليل (قوله والتكرير) اى تكرير الامر بالامهال حيث قيل امهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتصبير وكذا تغيير البنية حيث بنى احد لفظى الامر من باب التفعيل والآخر من باب الافعال فانه ايضا لزيادة التسكين لان الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كأنهما معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة واعلم ان رويدا فى كلام العرب يستعمل على ثلاثة اوجه احدها ان يكون اسما لفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويدا زيدا اى ارود زيدا وامهله ولا يتصرف فيه على هذا الوجه لانه حينئذ يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثانى ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما تضاف المصادر تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا و يقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت و يقيمون رويدا مقامه وما فى الآية من هذا القبيل والله اعلم * تمت سورة الطارق

(سورة الاعلى مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله نزه اسمه) يعنى ان الامر الالهى وارد بتسبيح اسمه تعالى الذى هو اللفظ الدال على ذاته المقدس عن الالحاد فيه اى عن الميل عن الحق والصواب فى تفسيره بان يفسر الاعلى مثلا بالعلو فى المكان و يفسر الاستواء على العرش بالاستقرار عليه فان الاعلى من العلو بمعنى الاقتدار والقهر والاستوآء بمعنى الاستيلاء والتسلط وقيل الامر الالهى وارد بتنزيه ذاته تعالى لان الاسم لكونه من قبيل الالفاظ المؤلفة من الحروف المقطعة لا يجب تنزيهه لكن المسمى اذا كان فى غاية العظمة والجلالة يعبر عنه بشئ مما يلابسه كما يقال سلام على المجلس السامى والمعروض الى الحضرة السامية فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع الخاتمة مع قطع النظر عن قصد التعظيم فى قول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ولكن الخاتمة لقصد التعظيم يكون اولى ومن الناس من تمسك بهذه الآية مستدلا على ان الاسم والمسمى واحد وقال لان احدا لا يقول سبحان اسم الله سبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمى لكان المأمور به تسبيح غيره تعالى وهو استدلال ضعيف لانه اذا وجب تسبيح اسمه تعالى فوجوب تسبيح ذاته يكون اولى و يجوز ان يكون لفظ الاسم صلة على ما قيل وعلى كل واحد من التقديرين لا دلالة فى الآية على اتحاد الاسم والمسمى قال الامام ههنا دقيقة وهى ان قولنا اسم لفظ وضع لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فههنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتأخرين وظنوا الاسم فى جميع المواضع نفس المسمى انتهى كلامه فقوله فههنا الاسم نفس المسمى محل بحث وتحقيق المقام ان للاشياء وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى اللسان اما وجودها فى الاعيان فهو الوجود الاصلى الحقيقى والوجود فى الاذهان هو الوجود العلمى الصورى والوجود فى اللسان هو الوجود اللفظى الدال على ما فى الذهن من الصورة العلمية وتلك الصورة هى المنطبعة فى النفس من الوجود العينى الخارجى فلو لم يكن وجود فى الاعيان لم تنطبع الصورة فى الاذهان ولو لم تنطبع الصورة فى الاذهان لما عبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة امور متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ما ذكره علماء الكلام فى مباحث الكيف و بحث الوجود الذهنى وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذى هو الموجود فى الاعيان بالوجود

(انهم) يعنى اهل مكة (يكيدون كيدا) فى ابطاله واطفاء نوره (واكيد كيدا) واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) فلا تشتغل بالانتقام منهم اولا تستعجل باهلاكهم (امهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

(سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سوآء وذكره لا على وجه التعظيم

الاصلى كما انه غير الصورة الذهنية التى عبر عنها بالعلم وكذا لفظ الاسم الذى عبر به عن المفهوم الكلى الذى هو نوع من انواع الكلمة مغاير عن الافراد الخارجية لذلك المفهوم وكذا كل لفظ وضع بازآء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم مغاير به نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم او الفعل او الحرف كما تقول فى قولك خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف فتجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه ومحكوما عليه فلفظ زيد فى المثال المذكور وان كان اسما لنفسه بحسب الظاهر الا ان بينهما تغايرا اعتباريا فان الشخص الخارجى مسمى بزيد باعتبار وضعه بازآئه وهذا الاسم الموضوع بازآء الشخص مسمى بلفظ زيد باعتبار دلالته على ذلك الاسم الموضوع فالاسم هنا ايضا غير المسمى (قوله وقرئ سبحان ربى الاعلى) قيل ان على بن ابى طالب وابن عمر رضى الله عنهما قرأاها كذلك والظاهر انهما قرأاها امتثالا للامر لا على انها من القرءآن لما روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأها قال سبحان ربى الاعلى وروى ايضا ان على ابن ابى طالب رضى الله عنه قرأ فى الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربى الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل يا امير المؤمنين اتزيد هذا فى القرءآن قال ما هو قيل سبحان ربى الاعلى قال لا انما امرنا بشئ فقلته امتثالا للامر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال من قرأ سبح اسم ربك الاعلى فليقل سبحان ربى الاعلى وهذه الآثار والاخبار تؤيد قول من يقول المأمور به تنزيه ذاته تعالى وان لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم من لوازمها كما قال سلام على المجلس العالى قيل اول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام يا جبريل اخبرنى عن ثواب من قالها فى صلاته اوفى غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده اوفى غير سجوده الا كانت له فى ميزانه اثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدى انا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقى شئ واشهدوا يا ملائكتى انى قد غفرت لعبدى وادخلته جنتى فاذا مات اتاه ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله عز وجل فيقول يا رب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة (قوله خلق كل شئ فسوى خلقه) اشارة الى ان حذف مفعول كل واحد من خلق فسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الاحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان جامعة لجميع ما يتوقف عليه كمالها فى ذاتها او ينتظم به اسباب معاشها (قوله اى قدر اجناس الاشياء) اى جعل اجناسها بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص فى جثته واشكاله واوصافه من الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم قال صاحب الكشاف قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به ثم قال يحكى ان الافعى اذا اتى عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم فى بعض تلك البساتين على شجرة الرازيانج فتحك بها عينها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وحوائجه فى اغذيته وادويته وفى ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى (قوله انبت ما يرعاه الدواب) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المرعى الكلأ الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى زمان الرعى والموضع والمصدر والظاهر ان المرعى اسم مشتق اطلق على الكلأ تشبيها له بمكان الرعى (قوله يابسا اسود) الاول تفسير قوله تعالى غثاء والثانى تفسير احوى فان الغثاء ما يبس من النبات وصار هشيما يقذفه السيل على جوانب الوادى واحوى افعل من الحوة وهى السواد والاحوى الاسود وهو صفة لغثاء وسبب كونه اسود اما احتراقه لشدة الحر او ان السيل يحمله فتعلق به اجزاء كدرة فيسود لذلك او ان الريح تحمله فيلصق به الغبار فيسود بذلك (قوله وقيل احوى حال من المرعى) وصف المرعى بكونه احوى اى اسود لشدة خضرته كما قيل فى وصف الجنتين مدهامتان اى سوداوان من شدة خضرتهما فعلى هذا يكون فى الآية تقديم وتأخير والتقدير الذى اخرج المرعى احوى فجعله غثاء (قوله سنقرئك على لسان جبريل) اى سنعلمك بان يقرأ عليك جبريل القرءآن مرات الى ان تحفظ حفظا لا تنساه بعد ذلك او سنجعلك قارئا بالهام

وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوى) خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه (والذى قدر) اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذى اخرج المرعى) انبت ما يرعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء احوى) يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته (سنقرئك) على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القرآءة

القرآءة بان نشرح صدرك ونقوى خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لاتنساه فيكون حفظه عليه السلام لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولاتكرار ولاكتبة امرا خارقا للعادة ولاسيما هو امى فيكون معجزا وايضا ان هذه السورة من اوآئل مانزل بمكة وقد اخبرالله انه سيظهر على يده امرا عجيبا غريبا مخالفا للعادة وهو انه تعالى سيقرئه وهو أمى لايكتب ولايقرأ فيحفظه ولاينساه الاماشاءالله ان ينساه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال تعالى ماننسخ من آية اوننسها فان الانساء نوع من النسخ وهذا اخبار عن الغيب وقد وقع كما اخبر فيكون معجزا قيل كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل عليه السلام لايفرغ من آخر الوحى حتى يتكلم عليه السلام باوله مخافة النسيان فأنزل الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلاتنسى فلم ينسى بعد ذلك شيئا لانه لايخلف وعده ولافى قوله تعالى فلاتنسى نافية وعليه الجمهور لاللنهى لان الانسان لاينهى عن النسيان لانه لامدخل فيه للاختيار فلاينهى عنه فلذلك ثبت الالف فى فلاتنسى فى الخط والتلفظ ومن جعله نهيا عن انسيان احتاج الى التكلف فى توجيه ورود النهى عمالس باختيارى فقال ان النهى وان كان عن النسيان صورة لكنه فى الحقيقة نهى عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكأنه قيل لاتغفل عن قرآءته وتكراره فتنساه واحتاج فى توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآى كالتى فى الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى التكلف وقوله فلاتنسى اصلا اى لابطريق النسخ ولابغيره ذكره ليظهر كون الاستثناء متصلا (**قوله** وقيل المراد به القلة) اى قلة المنسى الذى يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله بان تنسخ تلاوته فان المراد بنسيان ماشاء الله نسيانه حينئذ النسيان المستمر بحيث لايعقبه التذكر بعده فان النسيان الذى هو احد طريقى النسخ لابد ان يكون مستمرا واما ان حمل الاستثناء على القلة فحينئذ يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذى يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسى بهذا المعنى فانه عليه الصلاة والسلام قدعرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المصنف ووجه افهام معنى القلة من هذا الاستثناء ان المستثنى هو المنسى الذى تعلقت المشيئة بنسيانه ولاشك ان تعلق المشيئة بنسيان شئ منه غير معلوم اذيجوز ان لاتتعلق بشئ منه اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شئ منه فلاشك ان ماتعلقت المشيئة بنسيانه اقل من الباقى بعد الاستثناء فدار امر المستثنى بين ان ينتفى رأسا وبين القلة والندرة وماكان كذلك يكون فى غاية القلة فهذا وجه من حمل الاستثناء على القلة (**قوله** اونفى النسيان) مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة والنسيان المنفى على القولين الاخيرين هوالنسيان الذى يعقبه التذكر الاانه على القول الاول يقصد استثناء القليل منه كأنه قيل فلاتنسى شيئا مماعلمناه لك وقرأناه عليك نسيانا متعارفا وهوالذى يعقبه التذكر بعد الاقليلا منه وعلى القول الثانى لايقصد استثناء شئ منه ويكون قوله الاماشاءالله لنفى النسيان المتعارف رأسا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله فلاتنسى شيئا مما اقرأناك اصلا الاماشاءالله نسيانه بان تنسخ تلاوته ولماكان قوله الاماشاء الله ممايدل على القلة جاز ان يراد منه نفى النسيان رأسا فان استعمال القلة بمعنى النفى رأسا وارد فى كلامهم كما فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور فان قضاء حق الشكر بكماله غير مقدور للبشر (**قوله** فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء اوانساء) تفريع على التفسيرين واشار الى ان قوله تعالى انه يعلم الجهر ومايخفى تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بماظهر من احوال عباده وبمايخفى منها اوعلمه بجهره عليه الصلاة والسلام بالقرآن مع جبريل وبمايخفى فى نفسه ممايدعوه اليه من مخافة النسيان مجازا عن علمه بمافيه صلاح العباد فلاينسى ماانساه من الوحى ولايبقى ماابقاه الالمصلحة تعود اليهم (**قوله** ونعدك للطريقة اليسرى) ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق بيانا لوجه تعدية قوله نيسرك بدون اللام فان العبارة الشائعة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان ولايقال جعل فلان ميسرا الفعل الفلانى فالظاهر ان يقال نيسر اليسرى لك الاانه جعل الفاعل ميسرا للفعل فى هذا الموضع وكذا فى سورة الليل ايضا وفى قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لماخلق له باعتبار التضمين اى معد وموفق له والمراد بالطريقة اليسرى اعمال الخير سميت يسرى لكونها مؤدية الى اليسرى والراحة وقوله تعالى ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر ومايخفى اعتراض والتقدير سنقرئك فلاتنسى ونوفقك للطريقة التى هى اسهل وايسر فى حفظ

(فلاتنسى) اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ايكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الاماشاءالله) نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لماروى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قرآءته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال نسيتها اونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل فى النفى (انه يعلم الجهر ومايخفى) ماظهر من احوالكم ومابطن اوجهرك بالقرآءة مع جبريل وماادعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء اوانساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى اوالتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لانيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض

القرآن اوفى باب التدين والطاعة ونون العظمة فى قوله تعالى نيسرك ليستدل بعظمة المعطى على عظمة المعطا وكيف لا وقد كان عليه الصلاة والسلام صبيا لا اب له ولا ام نشأ فى قوم جهال ثم انه تعالى جعله فى افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلائق اجمعين الى شريعة لم يهد الى مثلها احد من الاولين فكان بذلك سيد المرسلين وخاتم النبيين واى عطاء اجل واعظم من هذا (قوله بعد ما استتب لك الامر) بيان لمعنى فاء التعقيب فى قوله فذكر يقال استتب له الامر اذا تهيأ واستقام فانه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسر حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله تعالى نسيانه او تيسر سبيل الرشد والتدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبي الهدى والهداية ودولتى الكمال والتكميل (قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الخ) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ثواب الطاعة والايمان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء قبلوا منه التذكير وانتفعوا به ام لا فان نفعتهم الذكرى فبها والا فلا اقل من تزايد مثوباته عليه الصلاة والسلام بتكرار الانذار والتذكير وانقطاع حجة المعاندين حيث لا يمكنهم ان يقولوا بعد الانذار والتذكير انا كنا عن هذا غافلين او لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلم وجب عليه ان يذكر الخلائق اجمعين ان نفعتهم الذكرى والمصنف اجاب عنه بثلاثة اجوبة تقرير الاول ان ما ذكر من كون التذكير واجبا عليه مطلقا انما هو قبل الزام الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتكرير التذكير باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتضح الحق ويتبين الرشد من الغى بحيث يظهر ان من أصر على الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لمحض العناد وايثار الهوى على الهدى واما بعد ذلك فلا يجب اذ لا فائدة له بعد ذلك سوى اتعاب النفس والتلهف على من آثر الشقاوة الابدية على السعادة الدائمة وتقرير الجواب الثانى ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان تقييدا للايجاب بحسب الظاهر الا انه لم يؤت بها فى هذا الموضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكورين وتنبيها له عليه الصلاة والسلام يعنى ان هؤلاء لا تنفعهم الذكرى كما يقال فى حق رجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى ما اراه يجيبك فكأنه قيل ذكرهم وما اظن انعاظهم وقبولهم منك واذا لم يكن التعليق والتقييد مرادا بقى الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه وتقرير الثالث ان التقييد والتعليق بالنسبة الى طائفة معينة علم النبى صلى الله عليه وسلم ان الذكرى لا تنفعهم لشدة اعراضهم عن الهدى ونظيره قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ويلزم من هذا الجواب انه عليه الصلاة والسلام اذا علم بنور النبوة او الوحى الالهى ان الضال لا يؤمن ولا تنفعه الذكرى لا تجب عليه التذكرة (قوله وهو يتناول العارف والمتردد) فان الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكن لم يقطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من قطع بانكاره والقسمان الاولان يتناولهما مفهوم من يخشى الله دون الثالث فمن من كان عارفا بالله تعالى وبكمال قدرته وعلمه وحكمته يقطع لذلك بصحة المعاد ويخشى الله تعالى وينتفع بالذكرى وكذا من تردد وتوقف الى ان يتبين الحق له ولا يكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع آية التخويف مثل ان يقال من كفر وتولى فانه يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى ينكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلبه هواه وحمله ذلك العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلا يصل اليه خوف الله تعالى وخشيته فلا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع بها مبنى على خشية القلب ولم يحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولا يقبلها ولا ينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذى هو القسم الثالث من اقسام الناس (قوله الاشقى الكافر) يعنى ان المراد بالاشقى اما جنس الاشقى وهو الكافر او فرد معين منه كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة والمفضل عليه على الاول جنس الفاسق وعلى الثانى سائر الكفرة وثم فى قوله تعالى ثم لا يموت للتراخى الرتبى لان هذه الحالة افظع واعظم من نفس الصلى فهى متراخية عنه فى مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر فيقتضى مفضلا عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها ما فى اسفل دركات جهنم من النار يكون المفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان فى جهنم نيرانا ودركات متفاوتة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاوتة فالكافر اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثم انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن الذكرى ولم يتأمل فى دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك بان قال لا اله الا الله محمد رسول الله على ان يكون التزكى من الزكاء بمعنى الطهارة وقيل من الزكاء بمعنى النماء اى من صار زاكيا ناميا من جهة الاعمال الصالحة

(فذكر) بعد ما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى (الاشقى) الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزؤ من سبعين جزأ من نار جهنم او ما فى الدرك الاسفل منها (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او أدى الزكاة

يقال زكا الزرع يزكو زكاء اى نما وكثر والزاكى النامى الكثير ويقال ايضا تزكى بمعنى تصدق وادى الزكاة (قوله ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم) عطف على قوله ما يفهم من قوله ذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فدعاه ذلك الى ان يصلى تعظيما له تعالى واجلالا ومن استدلاله على ذلك بقوله أقم الصلاة لذكرى فان من ذكر الله تعالى بكمال عظمته وكبريائه وبانواع فضله واحسانه دعاه ذلك الى الاشتغال بخدمته وطاعته وذهب الامام ابو حنيفة رحمه الله الى ان المراد بذكر اسم ربه تكبيرة الاحرام فيكون المعنى وذكر اسم ربه لافتتاح الصلاة وصلى عقيبه واحتج الآية على وجوب تكبيرة الاحرام حيث عدت فى جملة ما علق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلاة من حيث ان الصلاة عطف عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما تكون بملابسة ركن من اركانها لاعقيبها وعلى ان افتتاح الصلاة والشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكى على التطهر للصلاة لتكون الآية مسوقة لكل من حصل هذين الشرطين الطهارة وتكبيرة احرام وصلى عقيبهما والائمة الشافعية قالوا هذه الآية وان دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى وصلى عقيبه لكن ليس فيها ما يدل على ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون بمعنى ان من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه وعاد بعد ذلك الى فعل الصلاة فحينئذ يأتى بالصلاة التى احد اركانها واجزائها تكبيرة الافتتاح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير هذه الآية ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له قال الامام واقول هذا التفسير متعين وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاث اولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب وثانيتها استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وثالثتها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هى المرادة بقوله قد افلح من تزكى وثانيتها هى المرادة بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب هو المعرفة وثالثتها وهى الخدمة هى المرادة بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لابد وان يظهر فى جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكى على اداء الزكاة المفروضة تكون الآية نظير قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة قيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلاة على الزكاة اينما ذكرا معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها (قوله فلا تفعلون ما يسعدكم) اشارة الى ان المضروب عنه قوله تعالى قد افلح من تزكى اى لا تفعلونه بل تؤثرون فان بل موضوعة لنفى ما تقدم وتحقيق غيره (قوله والخطاب للاشقين) اشارة الى ان المراد بالاشقى جنس الكافر فهو فى معنى الجمع ونكتة الالتفات المبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ فى الذم مما يكون فى الغيبة وفى اضمار قل تحقير لشأنهم بالاشارة الا انهم لا يستحقون لخطابه تعالى (قوله وقرأ ابو عمرو بالياء) على الاخبار عن الاشقين وهم غيب (قوله فان نعيمها ملذ بالذات) اى لا يتناول الا لاجل الالتذاذ والتفكه ولا يقصد به التغذى ودفع ألم الجوع والعطش يقال لذذت الشئ اى وجدته لذيذا ولذت تلذذ به وفى بعض النسخ تلذذ اى كأنه محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فانه يقصد لا لذاته بل لما يترتب عليه من التقوى ونحوه والغوائل جمع الغائلة وهى الشر والمضرة (قوله والاشارة الى ما سبق من قد افلح) والمعنى ما ذكر من قوله قد افلح الى آخر الآيات الاربع مذكور فى صحف الانبياء المتقدمين بمعناه وان لم يكن مذكورا باللفظ المذكور هنا (قوله فانه جامع امر الديانة) فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغى من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى اشارة الى تكميل الله تعالى الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا اشارة الى الزجر عن ايثار الحظوظ العاجلة على السعادة الابدية وقوله والآخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب فى طلب الآخرة وما فيها من التروح والثواب الجزيل وهذه امور لا تختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى تمت سورة الاعلى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الغاشية مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى الغاشية) الغطاء هو الغشاء والغشاء هو الغطاء يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ

(وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) لقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء (والآخرة خير وابقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له (ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى * قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

(سورة الغاشية مكية وآيها ست وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار

(وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ماتعب فيه بجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها اوعملت ونصبت فى اعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها فى الحر (ليس لهم طعام الامن ضريع) يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم اوالمراد طعامهم مما يتحاماه الابل ويتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال (لايسمن ولايغنى من جوع) والمقصود من الطعام احد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة اومتنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) علية المحل اوالقدر (لاتسمع) يامخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع (فيها لاغية) لغوا اوكلمة ذات لغو اونفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) يجرى ماؤها ولاينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك اوالقدر (واكواب) جمع كوب وهو اناء لاعروة له (موضوعة) بين ايديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) وبسط فاخرة جمع زربى (مبثوثة) مبسوطة

من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين اولانها تغشى الناس بالاهوال والشدائد ويجوز ان تكون الغاشية صفة النار بقرينة قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وهل بمعنى قد اى قد اتاك خبر القيامة فتنبه لهولها ومافيها من معنى الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه لانه تعالى عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احوال الغاشية وحال الناس فيها مالم يكن هو ولاقومه عالمين به على التفصيل (قوله تعالى وجوه) مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اى ذليلة يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه صحة الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان اثر الخشوع والمذلة لما كان يظهر فى الوجه اولا حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكون الخشوع انما يظهر فى الوجه فاسند الى ضميره لذلك (قوله تعمل ماتعب فيه) اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من الاسمين على انه خبر بعد خبر لوجوه وان ناصبة وان كان خبر وجوه من حيث الاعراب الا انه من حيث المعنى تقييد للعمل بانه من قبيل ماتعبت فيه الوجوه فان ناصبة بمعنى تعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل واذا كان كل واحد منهما خبر الوجوه يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلاثة وتكون الاخبار باسرها حاصلة فى الآخرة فان الكفار لما تكبروا فى الدنيا عن عبادة الله تعالى وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين اى ذليلين وعاملين فى النار اعمالا يتعبون فيها * والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئن والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة (قوله اوعملت ونصبت) اشار بلفظ الماضى الى ان المراد بالعمل والنصب ماصدر عنها فى الدنيا والمعنى انها خاشعة فى الآخرة وقد كانت فى الدنيا عاملة ناصبة ولم تنتفع بشئ من عملها ونصبها الصادرين عنها فى الدنيا لكونهما فى غير طاعة الله تعالى فالظاهر على هذا الاحتمال ان يكون قوله عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهى عاملة تعبة فى الدنيا فيما لم ينتفع به يوم اذ غشيت الداهية الكبرى (قوله وقرأ ابو عمرو تصلى) بضم التاء وسكون الصاد على بناء مالم يسم فاعله والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل والمنوى فيه على تينك القراءتين للوجوه وقرئ بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام (قوله بلغت اناها) اى بالغة غايتها فى الحر يقال آن الحميم يأنى انا اى انتهى حره والانا نهاية الحر (قوله ولعله طعام هؤلاء) جواب عما يقال قوله تعالى فى هذه السورة ليس لهم طعام الا من ضريع لاينافى قوله تعالى فى سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين فان احد الحصرين ينافى الآخر لان الضريع غير الغسلين وايضا كل واحد منهما ينافى قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وتقرير الجواب ان الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصى واهلها من اهل النار فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم شرابه من الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم ثم اشار الى جواب آخر بقوله اوالمراد بهذه الآية حصر طعامهم المقيد بكونه مما يتحاماه الابل وتكرهه ولاتتناوله لمرارته فى الضريع وذلك لاينافى ان يكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين (قوله ذات بهجة) اى حسن على ان ناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا وتكون نعومة الوجوه اى غضاضتها ونضارتها كناية عن التنعم وطيب الحال اوعلى ان بناء ناعمة للنسبة بمعنى ذات نعمة والنعمة فى حق الوجه هو الحسن والبهجة (قوله رضيت بعملها) اشارة الى ان السعى بمعنى العمل يقال سعى يسعى سعيا اذا عدا وكذا اذا عمل وكسب والى ان اللام فى قوله لسعيها راضية متعلقة براضية والتقدير راضية لسعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل فجئ باللام فى قوله لسعيها ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه (قوله والتاء نافع) لتأنيث لفظ لاغية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء لان التأنيث غير حقيقى ولان اللاغية بمعنى اللغو على انها مصدر كالعاقبة (قوله اوكلمة ذات لغو) على ان تكون لاغية بمعنى النسبة مثل تامر صفة لمؤنث هى الكلمة اوالنفس واللاغية حينئذ للحدث لا للنسبة (قوله والتنكير للتعظيم) اى رفعة شأنها من حيث انها تجرى على وجه الارض من غير اخدود وجريا لاينقطع وتجرى لهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (قوله رفيعة السمك) اى عالية الى جهة الفوق فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشئ الى اعلاه اذا جلس المؤمن عليها يرى جميع مااعطى له فى الجنة من الملك والنعيم اورفعة قدرها من حيث

انتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها واوصافها المقرر الله تعالى امر الغاشية وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون اشد العذاب وبعضهم سعداء منعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على مايشاء اتبع ذلك ذكر مايدل على ثبوته وكمال قدرته فقال أفلا ينظرون الى الابل انكارا على تركهم النظر الى عجائب المخلوقات وحثالهم على النظر والاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه وحكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث والفاء فى قوله تعالى أفلا ينظرون للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام اى أيعرضون عن النظر الى مايدل على صحة البعث وقدرته تعالى عليه اوالى ماأتاك من حديث الغاشية افلا ينظرون الى الابل الخ (قوله باركة للحمل) اى باركة لان يحمل عليها ناهضة بالحمل وهو بالكسر ما كان على الظهر والباء فيه للتعدية اى رافعة اياه ونهض بمعنى قام وناء ينوء نوءا اى نهض بجهد ومشقة وناء بالحمل اذا نهض به والوقر بالكسر الحمل ويجمع على اوقار كحمل واحمال يعنى ان الحكمة فى طول اعناقها امران احدهما اقتدارها على القيام باحمال الثقيلة فانها اذا مالت عنقها الى جانب خلفها يسهل عليها رفع مقدمها (قوله الى عشر) وهو بكسر العين وسكون الشين مابين الوردين وهو ثمانية ايام ترد اليوم العاشر كذا فى الصحاح (قوله وقيل المراد بها السحاب) تشبيها بالابل فى كثرة ماينط بها من حاجة الناس كالابل واطلق الاسم المشبه به عليه للمجاز اوقرينة المجاز ذكره فى جنب ذكر السماء والجبال وقوله كيف منصوب بخلقت على حد نصبها فى قوله تعالى كيف تكفرون والجملة بدل من الابل بدل اشتمال لتكون فى محل الجر وقد دخلت الى على كيف فى قولهم انظر الى كيف تصنع فيجوز ابدالها مما دخلت عليه كلمة الى قرأ العامة خلقت ورفعت ونصبت وسطحت بضم فاء الفعل وكسر عين الفعل وتاء التأنيث الساكنة مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل فى كل واحد منها منوى فيه عائد الى ماقبله وقرئ كل واحد منها بفتح الفاء والعين على بناء الفاعل وهو ضمير المتكلم وحده وحذف ضمير المفعول الراجع الى ماقبلها للعلم به والتقدير خلقتها ورفعتها ونصبتها وسطحتها (قوله ولذلك) اى ولكون المقصود من حثهم على النظر الى انواع المخلوقات ان يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث اورده عقيب ذكر امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فانه عليه الصلاة والسلام انما يذكرهم بحثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ثم انه تعالى حصر امره عليه السلام فى التذكير لانه عليه السلام لم يؤمر حينئذ الا بالتذكير ويؤيده قوله لست عليهم بمصيطر فتقتلهم وتكرههم على الايمان ثم نسختها آية القتال ويحتمل ان يكون المراد بالتسلط المنفى التسلط على قلوبهم بان تدخل الايمان فى قلوبهم كرها فلا نسخ (قوله وعن الكسائى بالسين) هكذا فى بعض النسخ وهو خطأ لان الكسائى ممن قرأ بالصاد الخالصة والصواب وعن هشام وهو ممن يروى عن ابن عامر الشامى فانه قرأ بمسيطر بالسين على الاصل لانه من السطر قال الجوهرى سطر يسطر سطرا اى كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتبها عليه واصله من السطر لان الكتاب مسطر والذى يفعله مسطر ومسيطر انتهى وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد والزاى اى يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاى والخلط المذكور اى خلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القراء والباقون بالصاد خالصة (قوله لكن) اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان المقصود منه اثبات ولاية الله عزوجل واقتداره على تعذيب من تولى واعرض عن اجابة دعوته عليه الصلاة والسلام بعد مانفى تسلطه عليه السلام وليس فيه اخراج بعض من دخل فى المستثنى منه عن حكمه فعلى هذا تكون كلمة من شرطية جزاؤها قوله فيعذبه اى فهو يعذبه الله اذ لو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزوما (قوله وقيل متصل) على انه استثناء من الضمير فى عليهم اى لست عليهم بمسيطر الا على من تولى عن الايمان وكفر فانك مسلط عليه بما يؤذن لك من قبله ولما استشعر ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فتسلطه عليه السلام عليهم باكراههم على الايمان تسلط على القلب بان يقبل الايمان وذلك ليس فى وسع البشر اذ لا يستولى على القلب احد غير الله اجاب عنه بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم بمنزلة الاستيلاء عليهم لقبول الايمان لكونه من الاسباب المؤدية الى الايمان (قوله وكأنه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا) جواب عما يقال من ان السورة مكية وانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت مسلط على من تولى عن الايمان منهم ومحصل الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاة والسلام

(افلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ماعند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (والى السماء كيف رفعت) بلا عمد (والى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لاتميل (والى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما انت مذكر) فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا انما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام (الا من تولى وكفر) لكن من تولى وكفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة

باذنه للقتال والوعيد للكفار المعاندين لا على طريق الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام مسلط عليهم في الحال
(قوله اى فذكر الا من تولى وأسر فاستحق العذاب الاكبر) الظاهر ان من هذه موصولة وتولى صلتها وكفر
عطف عليه والفاء في فيعذبه سببية دالة على ان التعذيب مرتب على التولى والكفر فسر قوله تعالى فيعذبه
بقوله فاستحق العذاب الاكبر وهذا المتولى عن الاجابة لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلاة
والسلام فلذلك استثنى من جملة من امر عليه الصلاة والسلام بتذكيره (قوله ويؤيد الاول) وهو ان يكون
الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر عليهم فيعذبهم ووجه التأييد ظاهر وهو يوافق المعنيين حينئذ
بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا (قوله وقرئ بالتشديد) والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر
آب يؤوب اذا رجع وقرئ بتشديد الياء وذكروا لوجهين الاول كونه مصدرا على وزن فيعال من أيب على وزن
فيعل نحو حوقل حيقالا وبيطر بيطارا اصله ايواب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت
الواو ياء وادغمت الياء فصار ايابا والثانى كونه مصدرا على وزن فعال نحو كلم كلاما اصله اوواب قلبت
الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله دووان فصار ايوابا ثم فعل ما مر فصار ايابا وهو تارة
من الاياب وتارة من الاوب لمجرد التفنن لان كل واحد من الاوب والاياب مصدر آب بمعنى رجع يقال آب يؤوب
اوبا واوبة وايابا * تمت سورة الغاشية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله
وصحبه وسلم

(سورة الفجر مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اقسم بالصبح اوفلقه) الاول على ان يكون الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس
في جانب المشرق ويطلق الفجر ايضا على نفس ذلك الضوء وهو قول الجوهرى الفجر في آخر الليل كالشفق في اوله
والثانى على ان يكون الفجر مصدرا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار وانشقاقها عنه بان يشقها الضوء المذكور يقال
فلقت الشئ فلقا اى شققته اقسم الله تعالى بما يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر
الحيوانات في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل فيه فان الشئ انما يقسم به
اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء او نحوهما او فائدة دنيوية
تحمل المكلف على شكر نعمة الله تعالى او مجموعهما كالفجر فانه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين شبه قوله
تعالى والفجر بقوله والصبح اذا تنفس من حيث ان الصبح جعل مقسما به في كل واحد منهما واشار به الى ان المختار
عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق (قوله او بصلاته) اما بتقدير المضاف او بان يراد بالفجر ما وقع
فيه على طريق اطلاق اسم المحل وارادة الحال اقسم بصلاة الفجر لكونها مما وقع في اول اليوم من اعمال المكلفين
وبادروا اليها والى مقدماتها اول يومهم ولان ملائكة الليل والنهار يجتمعون لاستماع ما فيها من القرآءة كما قال تعالى
ان قرآن الفجر كان مشهودا اى تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القرآءة فيه واقسم بعشر ذى الحجة لانها
ايام الاشتغال بمناسك الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفي الخبر ما يوم من ايام
العمل الصالح افضل من ايام التشريق (قوله ولذلك) اى ولاجل ان فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة لم يفسر
الفجر بفجر كل يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر لان الحجاج يقفون بعرفات يوم عرفة
متوجهين الى الرب الكريم راجين عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بأنواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب
فيه الآملون وفي الحديث الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحجاج فيه الدماء فداء لانفسهم ويطوفون
فيه طواف الزيارة الذى هو باقى اركان الحج بعد الحلق ورمى الجمار وروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق
كل واحد من اليومين لان يقسم به وكان ذكر الفجر بجنب الليالى العشر قرينة لتخصيصه بأحد اليومين (قوله
او عشر رمضان) عطف على ذى الحجة فانها ايضا ليالى شريفة لما فيها من ليلة القدر التى هى خير من ألف
شهر فانه قد ورد في الخبر اطلبوها في العشر الاخير من رمضان وكان عليه الصلاة والسلام اذا دخل العشر الاخير
من رمضان شد المئزر وايقظ اهله وكف عن قربانهن وامرهن بالتهجد (قوله وتنكيرها للتعظيم) جواب
عما يقال ما بال الليالى العشر جاءت منكرة من بين ما اقسم به ومحصول الجواب انها لو وقعت بلام العهد لكونها

وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من
تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما
اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ ألا على التنبيه
(ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه
فيعال مصدر أيب فيعل من الاياب او فعال من الاوب
قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام
(ثم ان علينا حسابهم) في المحشر وتقديم الخبر
للتخصيص والمبالغة في الوعيد * عن النبي عليه
الصلاة والسلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله
حسابا يسيرا

(سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والفجر) اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح
اذا تنفس او بصلاته (وليال عشر) عشر
ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر
او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم

معلومة معهودة فى نفسها لما انفهمت الفضيلة التى تستفاد من التنكير (قوله على ان المراد بالعشر الايام) الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة ايام لان الايام مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام (قوله والاشياء كلها) عبر عنها بالشفع والوتر لان اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها اما شفع او وتر ولا يتصور خلوها عنهما معا فصح ان يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الاشياء كلها وكذا صح ان يعبر به عن المخلوقات بأسرها وعمن خلقها لانه تعالى خلقها زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا قادرا وعاجزا باردا وحارا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وخالقها فرد واحد لا تعدد فيه بوجه ما (قوله ومن فسرهما الى قوله او اكثر منفعة موجبة للشكر) لما فسر مجموع الاشياء بالشفع والوتر اولا ثم فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ماذكره المفسرون فى تفسير الشفع والوتر تخصيصا بلا مخصص اشار الى انهم لا يدعون بما ذكروه انحصار مدلولهما فى ذلك وانما خصوا بالذكر من انواع مدلولهما ما رأوه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اذ لا مدخل فيها لغيرها او مدخلا فى الدين كالصلوات شفعها ووترها او مناسبة لما قبلها كيومى النحر وعرفة او اكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالعناصر والافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى الا ترى ان انتظام احوال الحيوانات بأسرها منوط بالفصول الاربعة وان ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ماذكره المفسرون فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما رأى فى تخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها فلنذكر بعض ماذكره المفسرون فى تفسيرهما فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربعة والوتر بالافلاك التسع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثنى عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعا من الصلوات وهو ما عدا صلاة المغرب والوتر بما كان وترا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالى العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسرهما بذلك حيث قال العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال عليه الصلاة والسلام بعضها شفع وبعضها وتر ومنهم من فسرهما بغير ماذكر ثم اختلفوا فى ذلك الغير فقال بعضهم الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث بعدهما ثم قال حمل الشفع والوتر على ماقلنا اولى من حملهما على يومى النحر وعرفة لان يومى النحر وعرفة قد اقسم بهما فى قوله وليال عشر اذا فسرت بعشر ذى الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار فى القسم بهما ولان بعض اعمال الحج انما تحصل فى هذه الايام التى بعد يوم النحر وقال البعض الآخر الشفع آدم وحواء والوتر مريم وقال آخرون الشفع العيون الاثنتا عشرة التى فجرها الله تعالى من حجر موسى عليه الصلاة والسلام للاسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقيل الشفع ايام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقيل الشفع الاعضاء والوتر القلب قال الله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان قال ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل فى تفسيرهما غير ذلك ولا وجه لتطويل الكلام بذكره وقرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل فتحها لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم (قوله والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة) فان اصل الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرض لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعرض لانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والاحسان الشامل لجميع الحيوانات لانهم يصيرون بذلك كانهم اعيد لهم الحياة بعد الموت وينبثون بذلك لطلب الارزاق الممدة للحياة الفانية التى يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار مسيره ومضيه وفى قوله وليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغنى احدهما عن الآخر (قوله او يسرى فيه) فيكون الكلام من قبيل ما اسند فيه الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اى صام هو فيه وقام ليله اى قام فيه وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لان السير

وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها او والخالق لقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا فى الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا

وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم او المقسم به (قسم) حلف او محلوف به (لذى حجر) بعتره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو لنعذبن يدل عليه قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنوا هاشم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوآئلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها سوآء جعلت اسم القبيلة او البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد

فيه حافظا لساير من حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر الشمس اشد على النفس ومن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة المزدلفة فان الحجاج تسرى فيها الى المزدلفة بعد افاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها والعامل فى اذا معنى القسم اى اقسم بالليل اذا مضى او يسرى فيه (قوله وقد خصه نافع الخ) ههنا ثلاث قرآءات الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهى قرآءة الكوفيين وابن عامر الشامى والثانية حذفها وقفا لا وصلا وهى قرآءة نافع وابى عمرو والثالثة عدم حذفها فى الحالين وهى قرآءة ابن كثير ويعقوب ووجه الحذف مطلق التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الرآء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل لا تحذف فى الفعل حال الوقف فضلا عن حال الوصل فى نحو هو يقضى ويغزو والارضى ووجه الحذف فى الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة دون الوصل لانها لام الفعل والاصل فيها ان لا تحذف (قوله وقرئ يسر بالتنوين المبدل الخ) فان تنوين الترنم يلحق القوافى فى الاسم والحرف والفعل بدلا من حرف الاطلاق اى من حرفى المد واللين لترك الترنم فان الالف والواو والياء الواقعة فى القوافى يترنم بها لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قطع الترنم فالتنوين من المد فاضافة هذا التنوين الى الترنم لادنى الملابسة لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه قال قيل فما فائدة قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا هى زيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة (قوله يدل عليه قوله الم تر كيف فعل) فانه لما اقسم الله تعالى باشياء عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريرى ما يدل على تعذيب المعاندين المغرورين بما اوتوا من الحظوظ العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قوله لنعذبن الكافرين وقيل جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد (قوله تعالى الم تر) ليس من رؤية البصر لانه عليه الصلاة والسلام لم ير ببصره ما فعل بهم بل هو بمعنى الم تعلم وعبر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذى يفيد العلم الضرورى بالمخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة (قوله على تقدير مضاف) لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم كان ارم اسم جدها فلا بد من كون التقدير سبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة واحدة هى قوم هود عليه السلام غاية ما فى الباب انهم سموا تارة باسم ابيهم وتارة باسم جدهم وعطف عليه قوله وقيل سمى اوائلهم يعنى قيل للاولين من اولاد عاد بن عوص عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل لمن بعدهم عاد الاخيرة وارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديمة كقوله وانه اهلك عادا الاولى (قوله ذات البناء الرفيع) وهو ما بناه شداد بن عاد زاعما انه على مثال الجنة بناه فى ثلثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة وهى مدينة عظيمة رفيعة لم يخلق مثلها فى البلاد قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار وجاز وصف ارم بذات القدود الطوال ايضا لما روى ان قد احدهم اثنا عشر ذراعا واكثر من ذلك وفى تفسير الكواشى قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيلقيها على الحى فيهلكهم وجاز وصفها ايضا بذات الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عماد قومهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اى سيدهم ولثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم (قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا) ولم يدخل ارم احد منهم ولا من غيرهم حتى الساعة غير عبد الله بن قلابة فانه خرج فى طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فدخلها فحمل ما قدر على حمله مما هناك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ما رأه فبعث معاوية الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (قوله والضمير لها سوآء جعلت اسم القبيلة او البلدة) فالمعنى على الاول لم يخلق مثل تلك القبيلة فى القوة وطول العمر وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وعلى الثانى لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (قوله ومضاربهم) جمع مضروبة خيمة مضروبة كما مر فى جمع مقصورة ومن كثرت خيامه كثرت اوتاده (قوله او لتعذيبه بالاوتاد) روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان خازن فرعون كان رجلا مؤمنا يكتم ايمانه وكذا امرأته فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى

فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت البنت فدخلت على ابيها وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واحد لا شريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال ويحك اكفرى بالهك وأقرى بأنى الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالهك والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت برب العالمين وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على صدرها وقال لها اكفرى بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت جميع من على الارض على فى ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وقالت يا اماه لا تجزعى فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبرى فانك تفضى الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرآئيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت فى نفسها كيف يسعنى ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هى تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت ما بى من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شئ قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهون لها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة (قوله صفة للمذكورين) فيكون مجرورا المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثانى يحتاج الى حذف العامل وهو اعنى والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره المصنف احسن بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم فهو احسن من حيث المعنى (قوله ما خلط لهم من انواع العذاب) فسر سوط العذاب بأنواع العذاب الملتف بعضها ببعض التفات طاقات السوط الذى يضرب به فسوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى ما يعذب به والاضافة بمعنى من اى فصب عليهم ما هو كالسوط من العذاب (قوله وقيل شبه بالسوط ما حل بهم) فاضافة السوط الى العذاب من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم عذابا فى الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة الى السيف (قوله يترقب فيه الرصد) وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد الراقب والمرتصد المرتقب وصيغة مفعال قد تكون اسم مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه وقد تكون للمبالغة كالمعطار والمطعان لمن يكثر من هذه الافعال والمرصاد ههنا يتعين ان يكون اسما للمكان الذى يترقب فيه الرصد للباء الدالة على الظرفية قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد (قوله وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب) اى لاعداده للعصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر باللام يقال اعد العقاب للعصاة وههنا لما عدى الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة عدى الى العقاب بالباء الجوهرى رصدته ارصده اى رقبته ارقبه وارصدت له اى اعددت له والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيد للعباد عن موقف حسابه الا اليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى اولاخذ المكس اونحو ذلك ولا مخلص لهم عن المرور عليه فاطلق على الحالة المشبهة ما يعبر به عن الحالة المشبه بها (قوله كأنه قيل انه بالمرصاد من الآخرة) اى من اجل الآخرة وجزآئها فيجب ان يهتم الانسان بامر الآخرة ويسعى لها لكنه لا يهتم الا بامر الدنيا ولا يخطر بباله امر الآخرة بالكلية مع انه تعالى تكفل برزقه واعد للعصاة عذابا اليما وكل واحد من الغنى والفقر ابتلى منه تعالى اما الاول فبأنه أيشكر ام يكفر واما الثانى فبأنه أيصبر ام يجزع ويقول الانسان اذا اغناه ربه اكرمنى ربى بما اعطانى يظن ان ما اعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه ويقول اذا افقره اهاننى ربى وهذا من صفة الكافر فانه يظن ان الكرامة والهوان بكثرة الحظ من الدنيا وقلته بخلاف المؤمن فان الاكرام عنده هو توفيق الله تعالى

الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب اومرفوع (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما حل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فأما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربى اكرمنى) فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله

(واما اذاما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذالتقدير واما الانسان اذاما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربى اهانن) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قديؤدى الى كرامة الدارين اذالتوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به لايكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغيرياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لايكرمون اليتيم ولايحضون على طعام المسكين) اى بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهواسهم لايكرمون اليتيم بالتفقد والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولاتحاضون (ويأكلون التراث) الميراث واصله وراث (اكلا لما) ذالم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم اويأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (ويحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ومابعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال اوهباء منبثا (وجاء ربك) اى ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجئ يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما (يتذكر الانسان) اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وانى له الذكرى) اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) اى لحياتى هذه اووقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان متمكنا منه (فيومئذ لايعذب عذابه احد ولايوثق وثاقه احد) الهاء لله تعالى اى لايتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذالأمر كله له اوللانسان اى لايعذب احد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول

لطاعته والهوان حرمانه منها واعداء الله تعالى والانسان مبتدأ وقوله فيقول خبره واذا لمجرد الظرف فيه معمول للخبر لكونه مؤخرا عنه تقديرا (**قوله** والانهماك فى حب الدنيا) فان كثرة الممارسة بالشئ تورث تأكد المحبة به فان من احب شيأ اشتغل به واعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة تؤدى الى الاعراض عن اكتساب مايؤدى الى سعادة الآخرة فكان كل واحد من قوليه وهما قوله التقتير اهانة وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق فى نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال فأكرمه (**قوله** ولم يقل فأهانه) عطف على قوله ذمه على قوليه يعنى انه تعالى لما قال فى الجملة الاولى فأكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول فى قسيمه فأهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من ان التقتير والتضييق ليس باهانة بل قد يؤدى الى كرامة الدارين بخلاف التوسعة والتفضيل بالمال والجاه فانه اكرام فى نفسه وهو صادق فى قوله ربى اكرمن ولكنه ذمه على قول ذلك لالكونه كاذبا فيه بل لسوء فكرته حيث ظن انه تعالى انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة لانه يفعل مايشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا الهيا فى حقهم (**قوله** ولان التوسعة تفضل) عطف على قوله ولذلك ذمه على قوليه وحاصله ان الانكار والذم لايتوجه الى قوله ربى اكرمن وانما يتوجه الى قوله ربى اهانن كأنه قيل الانسان اذا اكرمه ربه وتفضل عليه اعترف بالاكرام واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان (**قوله** وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد) تقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلغة (**قوله** اى بل فعلهم اسوأ من قولهم) يعنى ان بل هنا للاضراب عن ذمهم على قولهم الى ماهو ادخل فى الذم كأنه قيل دع ذكر قولهم فان عندهم ماهو شر منه وهو انه تعالى يكرمهم بتكثير المال وهم لايتفقدون احوال الايتام وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوء تغليبا للافعال على التروك (**قوله** وقرأ الكوفيون ولاتحاضون) اصله تتحاضون فحذفت احدى التائين اى لايحض ولايحث بعضكم بعضا على اطعام جنس المسكين ومن لايحض غيره على اطعام المسكين فأن لايطعمه بنفسه اولى (**قوله** اى جمع بين الحلال والحرام) فان من جمع فى الاكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام فى الاكل (**قوله** قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب الخ) اى قرأوا الافعال الاربعة بياء الغيبة على اسنادها الى ضمير الانسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد فى قوله اذاما ابتلاه ربه من حيث انه مفرد لفظا وهو ظاهر وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الثانى جمع وقرأ الباقون بتاء الخطاب الانسان على طريق الالتفات للمبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ من الذم فى الغيبة ويحتمل ان يكون مبنى القراءة بتاء الخطاب على تقدير قل اى قل لهم يامحمد كذا وكذا تحقيرا لهم وتنزيلا عن مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها بقوله اذا دكت الارض الى قوله يأيتها النفس فانه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاث فانه يحصل له حينئذ الندامة على ماصدر منه ويتمنى ان لوكان افنى عمره فى التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال الجوهرى الدك الدق ويقال دككت الشئ ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض واندك سنام البعير اذا انفرش فى ظهره فمعنى الآية اذا كسر ما على الارض من جبل وبناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها وماكان مرفوعا عليها دكا بعد دك (**قوله** مثل ذلك) لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله تعالى فى ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه حينئذ يظهر من آثار هيبته وسياسته مالم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه فاستعمل فى الحال الاولى مااستعمل فى الثانية (**قوله** يجرونها) الظاهر انها لاتنفك عن مكانها فالمراد بقوله وبرزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها (**قوله** وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله) كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لولم تكن بقصده واختياره بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمنى وجه (**قوله** الهاء لله) لما ورد ان يقال كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه اليه تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله تعالى لكنه لايعذب ذلك المعذب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح اشار المصنف الى دفعه بان المعنى حينئذ انه لايتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر فى يد غيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق كما وضع العطاء موضع الاعطاء والمعنى لايتولى احد التعذيب والايثاق فى ذلك اليوم الا الله تعالى وحده (**قوله** اوللانسان) اى الكافر المتوغل فى عناده

(المنهمك)

المنهمك فى شهواته فتكون اضافة عذابه ووثاقه من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لايعذب احد من الزبانية احدا من العصاة مثل مايعذب ذلك الانسان ولايوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن الى الحق بحيث سكن الى اليقين فلا يخالطه الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية فقال ياأيتها النفس على اضمار القول اى يقال لها عند الموت اوعند البعث اوعند دخول الجنة فاما ان يكلمه الله بنفسه اكراما للمؤمن المطمئن كما كلم موسى عليه السلام فى الدنيا اوعلى لسان ملك والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار وذكر المصنف فى بيان كيفيته ثلاثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفته والاستغناء بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وذلك ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصلت الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى علة توجده وتبعثه طلب العقل له سببا آخر ثم اذا ترقى الى ممكن آخر أعلى منه لايقف عنده ايضا بل لايزال ينتقل من علة الى ماهو اعلى الى ان ينتهى الى واجب الوجود لذاته المستغنى عن جميع ماسواه فحينئذ يقف العقل ويطمئن اليه ولاينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامر كله يرجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين (قوله فتستقر دون معرفته) اى عندها وتستغنى به عن غيره اى لاتطلب له سببا آخر والوجه الثانى ماشار اليه بقوله اوالى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله اى اوهى التى اطمأنت الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ماذكره بقوله اوالآمنة اى هى النفس الآمنة التى لايستفزها اى لايحركها خوف وهذا الوجه يؤيده قرآءة ابى بن كعب رضى الله عنه ياأيتها النفس الآمنة فعلى هذا يكون الاطمئنان عبارة عن سكون الامن فى مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى الثانى يكون عبارة عن سكون اليقين فى مقابلة قلق الشك والريبة (قوله الى امره اوموعده) لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى الى ربك على مازعموا فى حقه تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآينية هو المكان ومن تمكن فيه رد المصنف تمسكهم بان معنى الآية ارجعى الى حكم ربك اوثوابه بالموت او بالبعث وهذا الخطاب تخاطب به النفس عند الموت اوعند البعث فان خوطبت به عند الموت يكون المعنى ارجعى الى امر ربك وحكمه بالموت وان خوطبت به عند البعث يكون المعنى ارجعى الى ثوابه بالبعث (قوله ويشعر ذلك) اى قوله تعالى ارجعى الى ربك يشعر بكون النفوس موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن ووجودها قبل الابدان لايستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء وقوله راضية مرضية حالان من فاعل ارجعى اى راضية من الله تعالى بما اعطيت مرضية عنده بما عملت (قوله فى جملة عبادى الصالحين) يعنى يجوز ان يكون المراد بالمشرفين باضافة التشريف الى ياء المتكلم عباده الصلحاء المتحلين بحلية الايمان والطاعة اوالذين هم اخص واشرف منهم وهم المقربون والفريقان هما اللذان ذكرا فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على التقديرين للنفس المختص لا لمجرد روحه ولما عبر عنه بالنفس قيل ارجعى وادخلى وقوله فتستضئ بنورهم متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب الامر فان الميت سوآء انضم الى اصحاب اليمين اوالى المقربين يكون فى حالة شريفة وهى انعكاس انوار علومهم وكمالاتهم اليه فان الارواح الشريفة كالمرايا المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس الى كل واحدة ما فى مقابلتها من الفضائل والكمالات فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلى جنتى اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت فى حق السعدآء قال فادخلى فى عبادى بالفاء الدالة على التعقيب ولما كان الجنة الجسمانية لايحصل الفوز بها الا بعد القيامة الكبرى قال وادخلى جنتى بالواو لا بالفاء كذا فى التفسير الكبير وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فينجر اليه معنى الفاء (قوله اوادخلى فى اجساد عبادى) على ان يكون الخطاب للروح تمت سورة الفجر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البلد مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اقسم سبحانه بالبلد الحرام) قد اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها

(ياأيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره اوالى الحق بحيث لايريبها شك اوالآمنة التى لايستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها. (ارجعى الى ربك) الى امره اوموعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث (راضية) بما اوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين (وادخلى جنتى) معهم اوفى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة اوادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك *عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

(سورة البلد مكية وآيها عشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) اقسم سبحانه بالبلد الحرام

لشرفها بانه تعالى جعلها حرما آمنا وفيها البيت العظيم الذى هو قبلة اهل الشرق والغرب ونزل فى حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته ومقام ابراهيم الذى نزل فى حقه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عليه الصلاة والسلام فى حق مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار الحديث وفضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلوا عن كبد ومقاساة مشقة والظاهر ان كلمة لا فى لا اقسم صلة كما فى قوله ما منعك الا تسجد اى ما منعك ان تسجد وقول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد صميم القلب لا يتقطع

اى يتقطع ولا صلة وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اى حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك (قوله وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه) على ان تكون الواو حالية لا اعتراضية وتكون الجملة الاسمية حالا من المقسم به فالحال قيد لعاملها اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه عليه الصلاة والسلام حال فيه اظهارا لمزيد فضله فعلى هذا قوله تعالى حل نعت بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط والحرم بمعنى الحرام وقد قرئ وحرم على قرية اهلكناها اى وحرام يقال حل بالمكان يحل من باب نصر حلا وحلولا اى نزل (قوله وقيل حل مستحل تعرضك فيه) فعلى هذا يكون الحل بمعنى الحلال من قولهم حل الشئ يحل حلا وحلالا وهو حل بل اى حلال مطلق والجملة على هذا معترضة بين القسم والمقسم عليه اقسم الله تعالى على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدآئد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد اى حلال يستحلون ايذآءك ولو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك بل قتلوك مع انهم لا ينتهكون فيه الحرمات فلا يقتلون فيه صيدا ولا يعضدون به شجرا واى مكابدة لمثلك مع عظم حرمته من ان تستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غيره وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصبير على ما كان يكابده من اهل مكة وتعجب من جرآءتهم وشدة عداوتهم له عليه الصلاة والسلام (قوله او حلال لك) على ان الحل بمعنى المحال له اى ذو حل وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وتقاتل من قاتلك والجملة على هذا ايضا اعتراض اقسم ببلده عليه الصلاة والسلام على ان الانسان لا يخلوا من مقاساة شدة واعترض بينهما بأن وعده فتح مكة باى طريق امكنه فتحها تتميما للتسلية وتنفيسا له عما لحقه من أذاهم فانه تعالى فتح على يده مكة واحلها له وجعله فى حل مما يصنع فيها من القتل والاسر فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وخرب دار ابى سفيان فقوله تعالى وانت حل بهذا البلد معناه وانت حل به فيما يستقبل ونظيره فى كونه بمعنى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وذلك لان السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع فى سنة ثمان بعد الهجرة فأين فتحها من الهجرة فضلا عن وقت نزول الآية (قوله وما ولد ذريته) اى ذرية آدم عليه السلام ان كان هو المراد بالوالد وذريته ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم اشرف ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من النطق والبيان وحسن الصورة والتدابير الغريبة واستخراج العلوم البديعة وفيهم الانبياء والصلحاء الداعون الى الله تعالى والناصرون لدينه وكل ما فى الارض خلق لاجلهم وقد قال تعالى فى حقهم ولقد كرمنا بنى آدم وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون من اولاد آدم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من اولاده بل هم بهائم فى صورة البشر وعلى الثانى يكون القسم بابراهيم وبجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل ان يكون المراد بابراهيم واولاده المؤمنين ويؤيد الثانى انه شرع ان يقال فى التشهد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ومعلوم ان المراد بآله المؤمنون لا مطلق اولاده (قوله او محمد صلى الله عليه وسلم) عطف على قوله ذريته اى سوآء اريد بالوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام يجوز ان يراد بما ولد محمد صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام آخر اولاد كل واحد منهما من الانبياء اقسم ببلده وباول آبائه وبنفسه او اقسم بمكة وابراهيم بانى البيت الذى فيها وبولده الذى هو خاتم النبيين والمرسلين ومطهر ذلك البيت من الاصنام والمشركين (قوله وايثار ما على من) جواب عما يقال لو كان المراد بما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال ومن ولد فكيف اوثر ما على من وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو ان من لا تستعمل الا فى ذات من يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل فى صفة من يعقل للاشارة الى انهما لا يكتنه كنهها والبلوغ الى اقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشان

وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم (وما ولد) ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت

بحسب اتصافه به كما فى قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت اى يعلم انها وضعت موضوعا عجيب الشأن بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى وما ولد اى ومولود اى مولود عجيب الشأن وفى شرح الرضى وتستعمل ما فى الغالب فى صفات العالم نحو زيد ما هو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او زاهد ونحوهما وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات الآية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه الصلاة والسلام ببيان الاوصاف تنبيها لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالاوصاف وان ماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقال المفسرون قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة فى صفة من يعقل ومن لا تستعمل هكذا ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذى دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال فتفيد فى مقام المدح تفخيم شأن الموصوف بانه مما لا يكتنه كنهه فى اتصافه بذلك (قوله تعالى فى كبد) منصوب المحل على انه حال من الانسان اى مكابدا مهيئا لان تعتريه انواع الشدآئد والمصائب وهو جواب القسم قال الامام حرفا فى واللام متقارب بان تقول انما انت فى العناء وانما انت للعناء والنصب وفيه وجه آخر وهو ان قوله فى كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد فى الاصل مصدر بمعنى توجع الكبد وتألمه يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو كبد اذا وجعته كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه المكابدة والآية تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش فالمراد من الكبد اما شدآئد الدنيا فقط اوشدآئد التكاليف فقط اوشدآئد الآخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله على القبر ثم البعث والعرض على رب العالمين مالك يوم الدين الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما فى الجنة واما فى النار ولا شك ان ما بينهما كما يتناول شدآئد الدنيا يتناول شدآئد التكاليف ايضا وهو الشكر على السرآء بقضاء حقها والصبر على الضرآء بالانقياد لمن ساقها ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان فى كبد اخذ فى وعيد من كان عليه الصلاة والسلام يكابد منه اكثر المكابدة او يغتر هو بقوته اشد الاغترار وفى وعيد كل واحد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد لما كان تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عليه الصلاة والسلام من جملة افراد الجنس المذكور كان هؤلاء الاشقياء فى حكم المذكور فصح ان يرجع اليهم ضمير قوله أيحسب ويحتمل ان يرجع الى جنس الانسان المذكور سابقا اى أيظن ان لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على سوء اعماله مع علمه بانه خلق فى كبد ولا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن والآفات عن نفسه وذلك ظن فاسد وخيال باطل والمقصود من وعيد الجنس تهديد الاشقياء المغترين بكثرة اعوانهم وشدة قوتهم وأن فى قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر اى ان الشأن لن يقدر ولم يره وهى بجملتها تسد مسد مفعولى الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا بقوله يقول اهلكت مالا لبدا فان الظاهر انه مستأنف لبيان ما قوله فى موقف الحساب والانتقام فانه يقول فيه انفقت مالا كثيرا فى وجوه المكارم والمبرات او فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعنى شئ من ذلك سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه هالكا ضائعا ثم قال أيحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة ومفاخرة او معاداة له صلى الله عليه وسلم بلى انه تعالى قد رآه وعلمه وكان رقيبا عليه يعلم قصده ونيته فى الانفاق (قوله او بعد ذلك فيسأل عنه) من اين كسبه واين انفقه اشار به الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بقرينة لن يقدر عليه (قوله يعنى ان الله تعالى يراه) بيان لمعنى انكار حسبانه انه لم يره بمعنى لم يره احد حين كان ينفق ولم يقل ان الله رآه فيجازيه على انه هو الظاهر للدلالة على الدوام والاستمرار وقوله او يجده فيحاسبه بيان لمعنى انكار حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولم يوجد ذلك فى كتابه الذى كتبه حفظة اعماله اى بل يرى ذلك منه ويجده فى كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه ويحاسبه عليه (قوله ثم قرر ذلك) اى بين انه يبعثهم ويجازيهم بما عملوا ببيان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم (قوله واصله المكان المرتفع) وسمى طريق الخير والشر بنجدين لانه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريقى الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للابصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل

(لقد خلقنا الانسان فى كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدآئد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى (أيحسب) لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولا يزل قدماه اولكل احد منهم او الانسان (ان لن يقدر عليه احد) فينتقم منه (يقول) اى فى ذلك الوقت (اهلكت مالا لبدا) كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول (أيحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) طريق الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام (وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة)

(قوله لما فيهما من مجاهدة النفس) بيان لوجه مشابهتهما بالعقبة فان مخالفة النفس وترك مقتضاها يشبه العقبة في صعوبة اقتحامها والدخول فيها وفك الرقبة عبارة عن تخليصها من اسر الرق (قوله ولتعدد المراد بها) لما تقرر في النحوان كلمة لا اذا دخلت على الماضي لابد من التكرير كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وفي الآية لم تتكرر حيث قيل فلا اقتحم العقبة اجاب عنه بانها وان لم تتكرر لفظا فهي متكررة معنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا لانه فسر اقتحام العقبة بهما (قوله مفعلات) اى كل واحدة منها مصدر ميمي على وزن مفعلة سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة فقوله تعالى ذي مسغبة بمعنى ذي مجاعة وقرب في النسب قرابة ومقربة وترب الرجل اى افتقر بحيث كانه اصق بالتراب ومتربة اى مسكنة وفاقة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على النفس و اوجب للاجر وقيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه يجتمع في الاطعام حينئذ جهتا الصلة والصدقة وقرئ فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما ونصب رقبة على انها مفعول فك والفعل في هذه القرآءة بدل من قوله اقتحم على سبيل البيان والتفسير كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها وفي قرآءة فك رقبة برفع الاسم المضاف الى رقبة يكون الاسم خبر مبتدأ محذوف اى هو فك اى اقتحام العقبة فك رقبة لان قوله وما ادراك ما العقبة تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فيكون المبتدأ راجعا الى المضاف المقدر وانما احتيج الى تقدير مضاف لانه لولم يقدر وجعل فك رقبة تفسيرا لنفس العقبة لزم تفسير احد المتباينين بالآخر لان الفك مصدر والعقبة ليست كذلك وبتقدير المضاف يندفع المحذور وقال الامام نقلا عن الفراء اذا قرئ فك واطعم على لفظ الفعل الماضي كان من عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هي فك رقبة او اطعام كان من عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث لان القرآءة على لفظ المصدر لا تستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون قوله ثم كان في تلك القراءة معطوفا على اقتحم لا على الفك كما اشار اليه المصنف بقوله عطفه على اقتحم او على فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة اى لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها ومستقلا في الانتفاع به لكونه معتبرا في نفسه غير متوقف على شيء من الطاعات وقيل هي للتراخي في الزمان بناء على ان المعنى ثم كان في غاية امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط للانتفاع بالطاعات وفي عدعدم التواسي بالصبر والمرحمة من وجوه كفرانه وسيئات خصاله دليل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر على الانتهاء عن المعاصي والمنكرات وعلى الامتثال بالاوامر وملازمة الطاعات فقوله تعالى وتواصوا بالصبر اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وهو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وصداقة مع الخلق. (قوله او بموجبات رحمة الله تعالى) يعني ان المرحمة مصدر بمعنى الرحمة والشفقة الا انه يجوز ان يكون المراد بالمرحمة نفس الرحمة على عباد الله تعالى باى طريق امكن وان يراد بها ما يوجب رحمته تعالى بمقتضى وعده على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب تنبيها على كماله في السببية والمرحمة بهذا المعنى اعم من المرحمة بالمعنى الاول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد وهو ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله وتواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى لان الطاعة لكونها منبئة عن الانقياد لتكليف الشارع انما تتنا ول فعل الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة الله كما يتنا ولهما يتناول السنن والمستحبات والآداب ايضا فلذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله تعالى ايضا تكميلا للترغيب في جميع ما هو من معالم الدين ثم انه تعالى بين ان اصحاب هذه الاوصاف المذكورة هم اصحاب الميمنة في القيامة وقد بين الله تعالى ثوابهم في سورة الواقعة بقوله في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة والميمنة اما بمعنى اليمين واصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ويسلك بهم على طريق اليمين الى الجنة واما بمعنى اليمين والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمالهم ويسلك بهم على جانب الشمال الى النار او بمعنى اصحاب الشؤم والشر الذين هم

لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع في الماضي الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطفه على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا بالصبر) واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله (اولئك اصحاب الميمنة) اليمين او اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم اصحاب المشأمة) الشمال او الشؤم

مشائيم على انفسهم بمعصيتهم (قوله ولكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة) اى الموضوع للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بالضمير اى ضمير الغائب شأن لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عنده تعالى فى مقام كرامته وذكرهم بما يشار به الى البعيد تعظيم لهم بالاشارة الى علو درجاتهم وارتفاعها على درجة اضدادهم فان درجة من حضر عنده تعالى كيف لا تعلو على درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب اشارة الى انهم غيب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده (قوله من اوصدت الباب اذا اطبقته) اوصد أفعل من المعتل الفاء الواوى مثل اوعد يوعد وآصد ايضا افعل الا انه من المهموز الفاء مثل امن يؤمن وهما لغتان بمعنى اطبق واغلق يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضم ما قبلها على لغة من يقول مؤسى ويقرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر يكره الهمز فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فأشتهى ان أسد اذنى اذا سمعته فكانه لم يحفظ من شيخه وهو عاصم الا ترك الهمزة وقد حفظه حفص عنه بالهمزة وهو اضبط لذلك من ابى بكر على ما قاله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت قيل فى قوله تعالى نار مؤصدة نار مبتدأ ومؤصدة خبره وعليهم متعلق بالخبر والوجه ان يكون مؤصدة صفة لها والخبر عليهم والجملة اما مستأنفة لا محل لها او خبر ثان والمعنى عليهم نار أبوابها مؤصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها برحمته وفضله * تمت سورة البلد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة والشمس مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى والشمس الخ) اقسم الله تعالى بما ذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه اى اصلحها واتمها بالعلم والعمل وجنبها من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا فى الطاعات وتحذيرا عن المعاصى (قوله وضوئها اذا اشرقت) اى ارتفعت وانبسط نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذى هو الطلوع يقال شرقت الشمس تشرق شروقا اى طلعت واشرقت اشراقا اى اضاءت بان ارتفعت وانبسط نورها والضحوة بعد الاشراق قال مجاهد والكلبى ضحى الشمس ضوءها اى نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الليل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد النهار وقرب ان ينتصف واختار المبرد الاول حيث قال الضحاء والضحوة مشتقان من الضحى وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد لليل وفى الحديث لا يقعدن احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت ويدل عليه اضافة الوقت اليه حيث قال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء (قوله تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر) الظاهر ان يقال بدل هذه العبارة تلا غروبه غروب الشمس وذلك فى ليلة الهلال فان تبعية القمر للشمس فى الطلوع لا تظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها فى الغروب فانها ظاهرة محسوسة (قوله اوغروبها) منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يبقى طالعا عند غروب الشمس ليلة البدر (قوله اوفى الاستدارة) عطف على ماقبله فى المعنى فكانه قيل اذا تلاها فى الطلوع اوفى الغروب اوفى الاستدارة (قوله فانها تتجلى اذا انبسط النهار) اشارة الى ان اسناد جلى الى ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما فى نحو صام نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار وليس انبساطه مجليا لها (قوله او الظلمة) منصوب بالعطف على الشمس فى قوله جلى الشمس اى ويجوز ان يكون ضمير جلاها راجعا الى الظلمة واخويها للعلم كما جاز رجوعه الى الشمس لذكرها آنفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل الاسناد فى صام نهاره لان الذى يغطى ضوء الشمس فى الليل هو حيلولة الارض بين الشمس وبين ما وقع عليه ضوءها لا نفس الليل الذى هو زمان تلك الحيلولة (قوله ولما كانت واوات العطف) جواب عما يقال من ان الواوات الواقعة بعد قوله تعالى والشمس وضحاها الظاهر انها عاطفة لان كونها قسمية يستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الاسفرايني استقرينا ما استقرينا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان كل واحد من القسم

ولكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

(سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر اذا تلاها) تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر اوغروبها ليلة البدر اوفى الاستدارة وكمال النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها (والليل اذا يغشاها) يغشى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو بما بعدها فى قوله ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين

واقعافيه على مقسم عليه على حدة فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم ان يعطف معمولان على معمولى عاملين مختلفين وهو لايجوز لان الحرف الواحد لاينوب عن عاملين مختلفين وبيان الملازمة ان النهار المجرور فى قوله تعالى والنهار اذا جلاها معطوف على معمول واو القسم الجارة وهو الشمس وقوله اذا جلاها معطوف على قوله اذا تلاها وهو معمول فعل القسم و عما اجاب به ظهر انه من قبيل العطف على معمولى عامل واحد كما فى قولك ضرب زيد عمرا و بكر خالدا فان الواو فيه لعطف بكر وخالدا على معمولى ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان الواو الاولى القسمية كما تعمل الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب فى الظرف الذى بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر وانيبت الواو منابهما فسد مسدهما معا فهى عامل واحد عمل عملين مختلفين الجر والنصب فكان المجرور والظرف اللذان بعدها معمولى عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين الواو لم يلزم العطف على معمولى عاملين وهذا الجواب لايجرى فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما فى قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو هنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل اقسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج فيه الى جواب آخر نحو ان يقال لانسلم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم اوللواو النائبة منابه لان تقييد القسم بازمان غيرمناسب سوآء كان الزمان حالا اومستقبلا بل هو معمول لمضاف مقدر مداول عليه بالقسم نحو العظمة فان الاقسام بالشئ تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس معطوفين على معمول عامل واحد فان قيل ماذكرته فى تقرير جواب المصنف من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم فى الحال ولايعمل فى اذا لانه ظرف لمايستقبل والفعل الحالى لايعمل فى الظرف المستقبل لان الفعل الحالى لايصير استقباليا واذالم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا الظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصبا له قلنا لافرق بين اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرقت غدا فالذى لايجوز هو الاول لا الثانى فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس وسائر مايترقب وجوده بعد زمان القسم (قوله وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية) لم يرد ان كلمة مايوصف بها نعتا نحو يا كما يوصف بالذى فان ماومن الموصولين لايوصف بهما بخلاف الذى بل المراد ان ماقد تستعمل فى الصفات فيقال اذا اريد ان يسأل عن صفة زيد مازيد فيجاب عنه بانه فقيه اوطبيب واما اذا اريد ان يسأل عن ذاته فقل من هذا والجواب عنه ان يقال هذا زيد (قوله ولذلك افرد ذكره) اى ولكون المقصود من ايثار ما على من الدلالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة افرد ذكر البناء الدال على القادرية وجعل صلة مالبدل عليها لان شان الصلة ان تميز الموصول وتعينه (قوله تعالى وماطحاها) الطحو الدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطاء والكلبى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة والنفس ان حملت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض كما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى ما يتم به جميع احوالها و بعض تلك القوى محركة وهى اثنان شهوية وغضبية و بعضها مدركة وهى عشر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة و بعضها لامحركة ولامدركة وهى سبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة (قوله وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل) اى يجرد المنوى فى الهمها عمايرجع هواليه فان الماآت التى فى قوله ومابناها وماطحاها وماسواها ان كانت مصدرية لايكون مذكورا الا السماء والارض والنفس ومايتعلق بها من المعانى المصدرية وهى البناء والطحو والتسوية وشئ منها لايصلح لان يرجع اليه المنوى فى الهمها وقوله الاان يضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من قوله يجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس شرطا فى ارجاع الضمير اذا كان المرجوع اليه لنباهة شأنه مما لايغيب عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها (قوله ويخل بنظم قوله فألهمها بقوله وماسواها) وذلك انه على تقدير ان تكون مامصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لانه يكون تقدير الكلام حينئذ ونفس وتسويتها فألهمها ولا خفاء فى ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لابعد فى ان تجعل مامصدرية ويكون فألهمها عطفا على سواها بان يكون هو ايضا فى تأويل المصدر

(والسماء ومابناها) ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله (والارض وماطحاها ونفس وماسواها) وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله (فألهمها فجورها وتقواها) بقوله وماسواها الاان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس اوللتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما

على معنى وتسويتها فالهامها فجورها غاية ما فى الباب ان يكون فألهمها كالافعال السابقة وهى بناها وطحاها وسواها فى تجردها عن الفاعل ويلتزم ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فيختل انتظام الالهام المصدر بالفاء بما قبله على تقدير ان تكون ما مصدرية قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ ويدل عليه كون الصبى محجورا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلف بالاحكام الشرعية والهام الفجور والتقوى عبارة عن افهامهما واعقالهما وتعريف حالهما من حيث ان احدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهلة (قوله وحذف اللام للطول) اى لطول الكلام بين القسم وجوابه قيل لما طال الكلام صار طوله عوضا عن اللام وقيل لما كانت اللام للتأكيد وقد ايضا تفيد التأكيد استغنى بها عن اللام (قوله وكأنه لما اراد به) اى بقوله قد افلح من زكاها وهو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها بأوصافها الاربعة التى هى ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم منها ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوضعية والاينية وتغيرا حوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع واجب الوجود لذاته دفعا للدور او التسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال (قوله ويذكرهم) عطف على قوله يدلهم ولا شك ان هذه الامور المقسم بها من عظائم الآلاء (قوله وقيل استطراد) عطف على قوله جواب القسم والدمدمة اهلاك باستئصال وقيل هو التعذيب على اتم الوجود ولم يجعل قوله تعالى كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بل ذكر استشهادا لقوله قد خاب من دساها بخلاف قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثانى وعيد لاضدادهم بالخيبة والخسران (قوله بسبب طغيانها) يعنى ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما كانت اشبه برؤس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وان كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وقوله اوبما اوعدت به اى ويجوز ان يكون الطغوى اسما للعذاب الذى اهلكوا به فتكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما فى قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالعذاب الذى حصل بهاثم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فجاز أن يراد بالطغوى فى هذه ما اوعدوا به من العذاب لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان فى اللغة عبارة عن مجاوزة الحد (قوله تفرقة بين الاسم والصفة) وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤها واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول فى الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى مستحيية من خزى الرجل اذا استحيى وريا من روى وصديا من صدى اى عطش فهو صديان وهى صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقول فى الاسم تقوى وبقوى فى اسمى الاتقاء والانتظار من تقى الله تقيا اى خافه وبقيته اى انتظرته وابقاء الياء على حالها فى الصفة اولى من ابقائها فى الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلب يائه واوا حينئذ يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا (قوله حين قام ظرف لكذبت) اى كذبوا نبيهم حين نهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل وان كان اذ ظرفا لطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم حين انبعث او كذبوا بعذابهم ذى الطغوى حين انبعث واختلفوا فى الاشقى الذى هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف وهو اشقى الاولين ويؤيده قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثانى قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها (قوله ومن مالأه) اى صاحبه وعاش معه ملاوة من الدهر اى حينا وسهله وفى بعض النسخ ومن والاه اى صادقه وهو من الولى بمعنى الصديق (قوله فقال لهم) عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذى وصفوها عليه الصلاة والسلام جعل لهم شرب يوم من شربهم

(قد افلح من زكاها) انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا (وقد خاب من دساها) نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها اوبما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام ظرف لكذبت اوطغوى (اشقاها) اشقى ثمود وهو قدار بن سالف اوهو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله)

اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) فلا تذودوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسواها) فسوى الدمدمة بينهم اوعليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير اوثمود بالاهلاك (ولا يخاف عقباها) اى عاقبة الدمدمة اوعاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

(سورة الليل مكية وايها احدى وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) اى يغشى الشمس اوالنهار اوكل مايواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل اوتبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد اوآدم وحواء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاسباب مختلفة لشتى جمع شتيت (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعى

ولها شرب يوم معلوم فقال لهم ذروها وشربها اى نصيبها من الماء فاستمروا على ما امرهم به صالح عليه الصلاة والسلام الى ان استضروا بذلك فى امر مواشيهم فهموا بعقرها فلما علم صالح ما عزموا عليه اعاد لهم الوصية فقال هذه ناقة الله لكم آية دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوتى فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها اى شربها اونصيبها من الماء فانكم ان تفعلوا ذلك تعذبوا فكذبوه فى انهم يعذبون ان فعلوا ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم احد الا اهلكه (قوله اى ذروا ناقة الله) اشارة الى ان ناقة الله منصوب بعامل مضمر على التحذير واضمار الناصب هنا واجب لوجود العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثانى ان يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد والطريق الطريق (قوله ومن هو تكرير قولهم ناقة مدمومة) يقال دممت الناقة بالشحم اى طليت به بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ثم كرر الدال بين عين الفعل ولام الفعل للمبالغة فى الاحاطة وهذه قاعدة مطردة فى كل مضاعف من الثلاثى كرر فاؤه بين العين واللام نحو زلزل فى زل (قوله اوثمود بالاهلاك) على ان يكون ضمير سواها راجعا الى ثمود باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار وعلى الاول يكون راجعا الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب فانهم قد هلكوا بصيحة واحدة من جبريل عليه الصلاة والسلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لا صغير ولا كبير (قوله اى عاقبة الدمدمة اوعاقبة هلاك ثمود) يعنى ان ضمير سواها ان رجع الى الدمدمة يرجع اليها ضمير عقباها الا انه حينئذ لابد من تقدير مايضاف اليه العقبى (قوله فيبقى بعض الابقاء) اى فيترحم بعض الترحم وفى الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه البقوى بفتح الباء وكذلك التقوى بفتح التاء (قوله والواو للحال) فقوله ولا يخاف عقباها فى محل النصب على انه حال من المنوى فى سواها الراجع الى الله جل ذكره اى سواها غير خائف عقبى ماصنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم مافعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه لا يخاف عاقبة فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسواها ومتفرعا عليها تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الليل مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله اى يغشى الشمس اوالنهار) يدل على الاول قوله تعالى فى السورة السابقة والليل اذا يغشاها وعلى الثانى قوله تعالى يغشى الليل النهار فالمفعول المقدر على التقديرين ليس بعام الا انه حذف اعتمادا على مايدل عليه وان كان تقدير الكلام اذا يغشى كل مايواريه ويستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم (قوله ظهر بزوال ظلمة الليل) هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار وقوله اوتبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما فى تعاقبهما من مصالح لا تحصى فانه لو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما فلذلك امتن سبحانه وتعالى بذلك وقال هو الذى جعل الليل والنهار خلفة (قوله صنفى الذكر والانثى) على ان تعريف الذكر والانثى للجنس وعلى الثانى للعهد (قوله ان مساعيكم الخ) اشارة الى وجه الاخبار عن السعى وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وجريح وجرحى وبيانه ان السعى مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب والمصدر جنس يشتمل جميع افراده لاسيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع فى المعنى الا ان المقصود بالاخبار عنه ليس هو السعى والعمل بالمعنى المصدرى بل المقصود الاخبار عن الاعمال الصالحة بالسعى فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعى والاعمال المكتسبة والشتيت المتباعد المتفرق يقال تشتت الامر تشتتا وشتاتا اى تفرق وامر شت وشتيت اى متفرق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى وبعضها ضلالا بانها شتى لتباعد مابين بعضها وبعض فان بعضها يؤدى الى الجنان وبعضها الى عذاب النيران وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير الآية ان اعمالكم مختلفة عمل للجنة وعمل للنار (قوله تفصيل مبين لتشتت المساعى) اى مبين لاختلاف الاعمال من حيث اختلاف اجزيتها فان اختلاف انفس المساعى والاعمال فى انفسها معلوم لا فائدة

في الاخبار عنه (قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية) اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات هذه
الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق الاعطاء جميع مايتقرب بفعله
واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها صرف القوى والآلات في تحصيلها وكذا متعلق الاتقاء
جميع ماكان ملابسته معصية وكل واحد منهما مالم ينفع صاحبه بدون التصديق والايمان عقبه بقوله وصدق
بالحسنى اى بالكلمة الحسنى ونظيره قوله تعالى او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما الى قوله ثم كان من الذين
آمنوا والخلة بالفتح الخصلة واليسرى اعمال الخير بناء على ان الاعمال بالعواقب فكل ماادى الى يسر وراحة فهو
خصلة يسرى ومعنى تيسير المكلف لها ان يوفقه لاتيانها ويسهلها له من غير ان يعتريه من التغافل والكسل مايعترى
المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسرى اعمال الشر المؤدية الى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها ان يخذله ويخليه
وشأنه ليعمله باختيار المكلف ذلك (قوله نفي او استفهام انكار) اذا كانت كلمة ما نافية يكون مفعول يغنى
محذوفا اى ليس يغنى عنه ماله شيئا وان كانت استفهامية تكون في محل النصب على انها مفعول يغنى اى اى شئ
يغنى عنه ماله اى لايغنى شيئا (قوله تعالى تردى) يحتمل ان يكون من التردى بمعنى الهلاك والموت يقال ردى
يردى من باب علم اى هلك وارداه غيره وهو ردى اى هالك وتردى تفعل منه للمبالغة ويجوز ان يكون من ردى
في البئر وتردى فيه اى سقط فيه او تهور من جبل ومنه المتردية والمعنى اذا يسرناه للعسرى المؤدية الى دخوله
النار وتردى فيها فاى شئ يغنى عنه ماله الذى بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ منه الى آخرته التى هى موضع مفره وحاجته
يعنى ان الذى ينتفع به الانسان هو ماقدمه من اعمال البر واعطاء الاموال في حقوقها دون المال الذى يخلفه على
ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى بحسب الجزاء وبين ان من آثار الهدى يهون عليه طريق الهدى ومن
آثار الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهون عليه مايؤدى الى العسر والعناء اخبر انه قد قضى ماعليه من الهدى
والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرهم فقال ان علينا للهدى اى للارشاد الى الحق بنصب
الدلائل وبيان الشرائع بمقتضى حكمتنا او بموجب قضائنا ويجوز ان تكون الآية من قبيل قوله تعالى وعلى الله
قصد السبيل ومنها جائر اى علينا طريقة الهدى التى تؤدى سالكها الينا والهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد
وعلى الثانى بمعنى الطريقة المبينة لهداية الله تعالى وارشاده سميت باسم ماهو سبب لتبينها مجازا (قوله فنعطى
في الدارين ماشاء لمن نشاء) فيكون قوله ان لنا للآخرة والاولى في معرض التأكيد والتحقيق لقوله ان علينا
للهدى ولما يلزمه من الضمان لثواب الاهتداء في الآخرة فان من تفرد بمالكية الدارين يملك ارشاد الانام الى
الحق في الدنيا ويملك اثابتهم على الاهتداء في العقبى (قوله او ثواب الهداية للمهتدين) فيكون ذلك تتميما لقوله ان
علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه في الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدائه في الآخرة (قوله او فلا يضرنا
تركم الاهتداء) فيكون استئنافا لبيان انه تعالى انما يهديهم ويرشدهم الى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود اليه كأنه
قيل علينا ان نهديكم الى صراط مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن اساء فعليها لا تعود منفعة اهتدائه
ولامضرة عدم اهتدائه الينا وان اهتداءكم لايزيد في ملكنا شيئا لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان
وجه ارتباط الآية بماقبلها لالبيان معناه لانه معلوم (قوله لايلزمها مقاسيا شدتها) لما دل ظاهر قوله تعالى
لايصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى على انه لايدخل النار الا الكافر وهذا الحصر ترده النصوص الدالة على
وعيد العصاة والفساق حمل صلى النار على لزومها والخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها لكون الصلى بهذا الوجه كمال
الصلى فيحمل عليه عند الاطلاق ولاشك ان الصلى بهذا المعنى منحصر في الكافر وامر الفاسق مفوض الى مشيئة
الله تعالى فاما ان لايدخلها رأسا او يدخلها ولكن لايلزمها وجعل حمله صلى النار على لزومها وسيلة الى دفع مايتوهم
من ان منطوق قوله لايصلاها الا الاشقى الذى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان
غير الاتقى لايجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما جعل صلى النار
بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثانى دخول العصاة وهو لايخالف انحصار الخلود
في الكافر لان دخول العصاة لايستلزم خلودهم (قوله لقوله يتزكى) استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف
المال مطلقا بل المراد به صرف المال في مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتى لايكون له محل من الاعراب لانه
لما كان بدلا من صلة الذى كان داخلا في حكم الصلة والصلات لامحل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم

والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق
بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد
(فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى
الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس
اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (واما من بخل)
بما امر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى
(وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره
للعسرى) للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول
النار (ومايغنى عنه ماله) نفي او استفهام انكار
(اذا تردى) هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة
القبر او قعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى
الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا
طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل
(وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى في الدارين
ماشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا
يضرنا تركم الاهتداء (فانذرتكم نارا تلظى) تتلهب
(لايصلاها) لايلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى)
الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك
سماه اشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) اى
كذب الحق واعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى)
الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لايدخلها فضلا
ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى
الشرك دون المعصية لايجنبها ولا يلزم ذلك صليها
فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله)
يصرفه في مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل
من يؤتى او حال من فاعله (ومالاحد عنده من نعمة
تجزى) فيقصد باتيانه مجازاتها

(الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابوجهل وأمية بن خلف قال عليه السلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

(سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه اولان فيه كلم موسى ربه اوالقى السحرة سجدا اوالنهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن اهله اوركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهارههنا باعتبار الشرف (ماودعك ربك) ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهوجواب القسم (وماقلى) وماابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كامر فى سورة الكهف

وبعض الاسم لامحل له وان كان حالا من المنوى فى يؤتى كان المعنى يؤتيه متزكيا اى متطهرا من الذنوب اومتزايدا فى الخيرزاكيا رفيع القدر عند الله تعالى لا للرياء والسمعة (قوله استثناء منقطع) لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التى يجازى عليها فيكون منصوبا على الاستثناء المنقطع وتكون الا بمعنى لكن اى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اى لابتغاء التوجه الى ربه (قوله اومتصل من محذوف) يدل عليه قوله ومالاحد عنده من نعمة تجزى فانه يدل على ان المراد لايؤتى ماله لامر من الامور الا الابتغاء وجه ربه الاعلى فعلى هذا يكون المستثنى داخلا فى المستثنى منه ويكون الاستثناء متصلا (قوله والآيات نزلت فى ابو بكر رضى الله عنه) هذا ماذهب اليه جمهور المفسرين والشيعة ينكرون ذلك ويقولون انها نزلت فى حق على بن ابى طالب ويستدلون عليه بان قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت فى حقه فقوله الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى اشارة الى ما فى تلك الآية ونحن نقول لايمكن حمل الاتقى المذكور فى هذه الآية على على رضى الله عنه لانه تعالى قال فى صفة هذا الاتقى ومالاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لايصدق على على رضى الله عنه لانه كان فى تربية النبى صلى الله عليه وسلم اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه فكان عليه السلام منعما عليه بنعمة تجزى عليها بخلاف ابى بكر فانه لم يكن لاحد عنده من نعمة دنيوية نعم كان للرسول صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الهداية والارشاد الاالدين الا ان هذه النعمة لاتجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام ما أسألكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فظهر ان هذه الآية لاتصلح ان تكون نازلة فى حق على رضى الله عنه فتعين انها نزلت فى ابى بكر لان الامة اجمعوا على ان افضل الخلق واكرمهم واتقاهم ابو بكر رضى الله عنه روى ان بلالا كان مولى عبد الله بن جدعان فسلح اى تغوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فشكوا الى عبد الله فوهبه لهم ومائة من الابل ينحرونها لآلهتهم فأخذوا يعذبونه فى الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ينجيك احد احد ثم اخبر عليه السلام ان بلالا يعذب لاجل دينه فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فأعتقه فقال المشركون مافعل ذلك ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل قوله تعالى ومالاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشترى الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال ابوه يابنى لوكنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال يمنع ظهرى ربه فنزلت هذه الآية ثم وعده الله بان يرضيه فى الآخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى تمت سورة الليل والحمد لله رب العالمين حمدا دائما ابدا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الضحى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فسر الضحى اولا بصدر النهار حين ترتفع الشمس بقرينة العطف عليه بقوله والليل وفسر قوله تعالى والشمس وضحاها بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة صدر النهار اليها لامعنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسره ثانيا بالنهار كله وقد اريد بالضحى النهار كله فى قوله تعالى أأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه فى مقابلة قوله بياتا اى بآتين داخلين المساء (قوله سكن اهله) يعنى ان الاسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال اذا فسر بقوله ركد ظلامه اى ثبت وكان بحيث لايزداد بعد ذلك وكل ماثبت فى مكان فهو راكد فيه (قوله وتقديم الليل فى السورة المتقدمة) يعنى ان كل واحد منهما له تأثير عظيم فى صلاح العالم فلذلك اقسم به الا ان الليل له فضيلة السبق والاصالة بالنسبة الى النهار فانه يحدث بطلوع الفجر وبالغروب يعود الهواء الى الحالة الاصلية ولذلك قدم الظلمة فى قوله وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة الى الليل فلذلك قدم هذا تارة وذاك اخرى فان قيل ماالسبب فى انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بانه وان كان ساعة منه الا انه لكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل (قوله لتركه الاستثناء) روى ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اليهود اسألوه عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاء المشركون

وسألوه عنها فقال عليه الصلاة والسلام لهم ارجعوا اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه اثنى عشر يوما وقيل عشرين يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل اربعين يوما حتى نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله ما ودعك ربك وما قلى فان قيل ما ذكر من كون سبب احتباس الوحى ترك الاستثناء لا يدل على انه كان عن قلى فما وجه قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما فى الباب انه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو ترك الافضل والاولى فظن انه صار ممقوتا روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ما جئتنى حتى اشتقت اليك فقال جبريل بل كنت اليك اشوق ولكنى عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك والتوديع اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك عند الرحيل مفارقا فقد بالغ فى تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضى يدع ويذر فلا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو فى اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم الثقل (**قوله** اولزجره سائلا ملحا) روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه اياه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ذلك فاشتراه عثمان ايضا وقدمه له فعاد السائل ثالثا فقال عليه الصلاة والسلام ملاطفا له لا غضبان عليه أسائل أنت يا فلان ام تاجر فتأخر عنه الوحى اياما لذلك فنزلت واما السائل فلا تنهر وروى ايضا ان خولة كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فجاء جرو والبيت فدخل تحت السرير فمات هناك فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحى فقال يا خولة ما حدث فى بيتى حتى ان جبريل لا يأتينى قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فانزل الله تعالى هذه السورة فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تأخيره فقال اما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة (**قوله** ولنهاية امرك خير من بدايته) على ان لا يراد بالآخرة ما قابل الدنيا بل يراد بها الحالة الآتية فالمعنى لا تظن ان ربك ودعك وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه اياما بل كل حال يأتى عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية ومن جملة احوالك انه احتبس عنك الوحى احيانا بعد تتابعه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا فى ردهم مؤكدا بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحى وتتابعه (**قوله** واللام للابتداء الخ) لانها لا تدخل الا على الجملة الاسمية فلابد من تقدير مبتدأ اى ولانت سوف يعطيك ربك لا لام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد نحو والله لاضربن (**قوله** وجمعها مع سوف) فان لام الابتداء لما تجردت للتأكيد وكانت السين تدل على التأخر والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة (**قوله** من الوجود بمعنى العلم) اى الم يعلمك يتيما فآوى اى فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال اوى فلان الى منزله يأوى اويا على فعول وآويته انا ايواء وكان يتمه عليه الصلاة والسلام ان اباه عبد الله بن عبد المطلب توفى وامه عليه السلام حامل به ثم ولد عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما اشرف عبد المطلب على الموت اوصى عليه عليه السلام اباطالب لان عبد الله واباطالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذى يكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة ثم توفى ابو طالب بعد ذلك فلم ير عليه السلام من أثر اليتم شيئا فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله الم يجدك يتيما فآوى (**قوله** عن علم الحكم والاحكام) اى وجدك غافلا عن علوم النبوة والاحكام الشرعية فهداك اليها كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقيل وجدك ضالا فى الطريق روى انه عليه الصلاة والسلام خرج مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة وقيل انه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وارادت ان تردّه الى جده حتى دخلت الى هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبى وفيه حكاية طويلة وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال انه عليه الصلاة والسلام

اولزجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعده ما هو أعلى واجل من ذلك فى الآخرة اولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام اوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فأزال ضلالك عن عمك اوجدك

(ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فأغنى) بما حصل لك
من ربح التجارة (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على
ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه
(واما السائل فلا تنهر) فلا تزجر (واما بنعمة ربك
فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة
النبوة والتحدث بها تبليغها * قال عليه السلام من
قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له
وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

(سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفسحه حتى وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او ألم نفسحه
بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل
او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق
عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق
فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة
الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح
مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك
وزرك) عبأك الثقيل (الذى انقض ظهرك) الذى
حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض
من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة

ضل فى شعاب مكة وهو صغير ومازال ضالا حتى كاد الجوع يقتله فرآه ابو جهل وهو منصرف عن اغنامه فرده الى
جده عبد المطلب وهو متعلق بأستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى فى ان يرد اليه محمدا ويقول يا رب رد ولدى محمدا
اردده ربى واصطنع بذ يدا فمازال يردد هذا الكلام حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين
يديه فقال له لا تدرى ماذا نرى من ابنك فقال عبد المطلب مارأيت قال انى انخت الناقة واركبته من خلفى فأبت
الناقة ان تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف من وجب
عليه ان يقتدى به (قوله ذا عيال) صفة كاشفة لقوله فقيرا يقال عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا اى افتقر وأعال
الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليه قيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان
المراد بالعائل فى الآية الفقير تمت سورة الضحى بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الم نشرح مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع وفسح له فى المجلس اى وسع له وقد شرح الله تعالى صدره
عليه الصلاة والسلام بحيث وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق بعد ماضاق عنهما جميعا فان مقام حضور الحق
ومناجاته مقام شهود الحق والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا عن الخلق كيف يتأتى له دعوة الخلق ومعاناتهم فان
دعوتهم تستلزم الحضور معهم والحضور مع المخلوق ينافى الحضور مع الخالق ظاهرا فيضيق الصدر عن الجمع
بينهما فكان حاضرا مع الحق مستغرقا فى مقام مناجاته دائما وهو غائب عنه متشغل بدعوة الخلق ظاهرا فكان
غائبا حاضرا (قوله أو ألم نفسحه بما اودعنا فيه الخ) فانه تعالى ما فسح صدر احد من بنى آدم كفسحه صدره المنير
عليه الصلاة والسلام حتى وسع علم الاولين والآخرين وقال اوتيت جوامع الكلم (قوله وقيل انه) اى ان قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه اى
حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما كان فيه من
الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملىء علما وايمانا فوضعه فى صدره (قوله او يوم الميثاق) الظاهر ان المراد
بيوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ماذكره الامام النسفى ناقلا عن الكلبى ان جبريل عليه السلام اتاه فشق صدره
وأبدى عن قلبه ثم جاء بدلو من ماء زمزم فغسله وانقاه مما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملىء علما وايمانا فوضعه
فيه ثم قال كان هذا حين جاء بالبراق ليلة المعراج او حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب
والقاضى عبد الجبار طعن فى هذه الرواية من وجوه احدها انه قد روى ان هذه الواقعة وقعت فى حال صغره عليه
الصلاة والسلام وهى من المعجزات فلا يجوز ان تتقدم نبوته وثانيها ان تأثير الغسل فى ازالة الاجسام ولا شك ان
الاخلاق والمعاصى ليسا من قبيل الاجسام فلا يؤثر فيهما الغسل وثالثها ان القلب لا يصح ان يملأ علما وايمانا بل الله
تعالى يخلقهما فى القلب واجيب عن الاول بان تقديم المعجزة عن البعثة يجوز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص
ومثله كثير فى حقه عليه الصلاة والسلام وعن الثانى فى قوله ان الغسل له تأثير فى ازالة الاجسام بان مافى القلب
من الدم الاسود لا يبعد ان يكون حصوله فيه علامة مؤدية للقلب الى ميله الى المعاصى وابعاده عن
الطاعات وتكون ازالته عنه سببا لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوة
الطبيعية اليها فتكون ازالته عنه مستلزمة لامتلائه بالعلم والايمان فصح ان يعبر عن تطهير قلبه عليه الصلاة
والسلام من ذلك الدم بامتلائه بالعلم والايمان واشار المصنف الى الجواب عن طعن القاضى فى هذه الرواية بما حاصله
ان المراد بما روى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر فقال ولعله اى ولعل ماروى اشارة الى نحو ماسبق
من تفسيح الصدر (قوله مبالغة فى اثباته) وجه المبالغة ان الانكار فى معنى النفى ونفى النفى اثبات فكان المعنى
قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفى النفى اثبات له فكان ابلغ من اثباته ابتداء (قوله ولذلك) اى ولاجل
ان معنى الم نشرح قد شرحنا عطف عليه وضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية
على مثلها والعبء بالكسر الحمل والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ونقيض الرحل صوته عند تداعى
اجزائه الى الانفكاك وشبه خطأه من ترك الافضل والاولى بالعبء الثقيل فاطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر

ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة والوضع ترشيح (قوله اوجهله بالحكم والاحكام)
لعله اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية
وفي تلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس مالها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات التي يتوقف عليها حسن المعاشرة
بين الانام ويدور عليها انتظام احوالهم (قوله اوحيرته) اي او المراد من الحمل الثقيل الحيرة التي كانت له عليه
الصلاة والسلام قبل البعثة وذلك انه عليه السلام كان ينظر بكمال عقله الى عظم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه
من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل وسائر ما يتبعهما من النعم فثقل عليه تلك النعم ولا يدري كيف يشكرها
فيغلب عليه الحياء والحيرة فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف يعبد ربه و يشكر نعمه زالت حيرته فان
اللئيم لا يبالي بما اسبغ عليه من النعم المتظاهرة ولا يستحيي من مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف الانسان الكريم
النفس فانه اذا تواترت النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك يثقل عليه جدا بحيث
يكاد يموت من الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع من الخدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه (قوله اوتلقي الوحي) اي
او المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبريل عليه السلام حتى كان تأخذه الرعدة و يستولي
عليه العرق عند نزول الوحي و يقول زملوني ودثروني ثم انه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى ألفه وصار
يأتي بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه اليه (قوله وانما زاد لك) جواب عما يقال ما الفائدة في زيادة قوله لك
في قوله الم نشرح لك ورفعنا لك وفي زيادة عنك في قوله ووضعنا عنك مع ان المعنى يتم بدونهما وبعد زيادتهما فاي
فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما وتقرير الجواب ان زيادتهما مقدمين على المفعول تفيد ابهام المشروح
والموضوع والمرفوع ثم تبيينه وتوضيحه ومن المعلوم ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال اوقع في الذهن
وابلغ في البيان وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع (قوله فلا تيأس من روح الله اذا عراك
ما يغمك) يعني ان قوله تعالى فان مع العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على
الكلي كانه قيل اذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والخمول فتحقق ان لا خلق
العسر يسرا اي يسر وتيقن ان العسر الذي انت فيه لا ينفك عن يسر عظيم وقس ما سيأتي عليك فيما بعد من
وجوه العسر على ما مضى من احوالك فاي زمهرير لا يعقبه ربيع (قوله والمعنى بما في ان مع من المصاحبة
المبالغة في معاقبة اليسر للعسر) يعني انهما متضاد ان لا يتصور معيتهما فلابد من توجيه ذكر كلمة مع في هذا
المقام (قوله تكرير للتأكيد) اي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب فكما يكرر المفرد في مثل
جاءني زيد زيد كذلك كررت الجملة هنا ايضا و يحتمل ان تكون الجملة الثانية مستأنفة بان العسر المذكور اولا
متبوع بيسر آخر فان الاسم اذا ذكر معرفا ثم اعيد معرفا كان الثاني عين الاول فيكون العسر واحدا مع كونه
مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذي كانوا فيه او جنس العسر الذي يعلمه كل واحد والنكرة
اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لا يلزم ان يكون الثاني عين الاول و يسرا الثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون
عين الاول والحال ان العسر الثاني ايضا هو العسر الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكريرا للاول
وتأكيدا له وان يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستأنفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسران وهذا الاحتمال
ارجح لما علم من فضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى ينبغي ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واوفاهما
والمقام مقام التسلية والتنفيس والحمل عليه اولى روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يقول الله تعالى
خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكل هذا يؤيد كون الجملة الثانية كلاما مستأنفا
(قوله تعالى فاذا فرغت فانصب) جواب شرط محذوف اي اذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما وعدناك من
النعم فاتعب في العبادة اذا فرغت من التبليغ شكرا لذلك فان الشكر يربط العتيد ويجلب المزيد والنصب التعب
يقال نصب في الشيء ينصب من باب علم اي تعب فيه وروي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال ما امر
الله بهذا انما قال فاذا فرغت فانصب يعني انه تعالى امر ان يواصل بين بعض العبادات و بعضها وان لا يخلي
وقتا من اوقاتها منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى (قوله ولا تسأل غيره) الحصر مستفاد من تقديم الظرف

اوجهله بالحكم والاحكام اوحيرته اوتلقي الوحي
اوما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم
اومن اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى
الايمان (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها واي رفع
مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل
طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين
بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب وانما زاد لك ليكون
ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر)
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال
القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح
الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما
في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر
واتصاله به اتصال المتقارنين (ان مع العسر يسرا)
تكرير للتأكيد او استئناف وعده بان العسر متبوع
بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم
فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء
الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين
فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد
او الجنس ويسرا منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد
يغاير ما اريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ
(فانصب) فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك
من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا
فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت
من الصلاة فانصب بالدعاء (والى ربك فارغب)
بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه
وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما
جاءني وانا مغتم ففرج عني

(سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة اومسجدا دمشق وبيت المقدس اوالبلدان (وطور سينين) يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي فيه (وهذا البلد الامين) اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) يريد به الجنس (في احسن تقويم) تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه اسفل سافلين) بان جعلناه من اهل النار اوالى اسفل سافلين وهوالنار

تمت سورة الم نشرح لك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

(سورة التين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله وقيل المراد بهما جبلان) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طوريتا وطورزيتا لانهما منبتا التين والزيتون (قوله اومسجدا دمشق وبيت المقدس) قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عبر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون (قوله اوالبلدان) الكوفة والشام وسينين وسيناء اسمان للبقعة وهو الجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه اضيف ذلك الجبل الى البقعة التى حصل هوفيها والمعنى وجبل الموضع المسمى بسينين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وعن مجاهد سينين المبارك وقال الكلبي هو الجبل ذو الشجر وقال مجاهد ومقاتل كل جبل ذى شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط (قوله من امن الرجل) بأمن بضم الميم فيهما فهو امين اى آمن بمعنى ذى أمن وهو الامانة يقال أمنت فأنا آمن فالامين فعيل بمعنى فاعل واما تندان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين مايؤتمن عليه (قوله اوالمأمون فيه) عطف على قوله اى الآمن فالامين فعيل بمعنى المفعول فيه كالمشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه شرفها وبركها ولانها مساكن الانبياء والصالحين ومهاجر ابراهيم ومولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومنشأه بمكة موضع البيت العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه فان التقويم تصيير الشئ على ماينبغى ان يكون عليه فى تأليف الاجزاء وتعديل الاعضاء والهيئات والاشكال وتكميله بالقوى الباطنة التى يتوسل بها الى الفضائل العلية والآداب والاخلاق المرضية يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم روى ان ملكا من الملوك خلا بزوجته فى ليلة قمراء فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى قال لايحنث فقال الملك خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم لابكبر السن ولقد افتى من هو اعلم منا وهوالله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا فى الاولى احسن الاشكال فأعطنا فى الآخرة احسن الفعال وهوالعفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهادى يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت وقالت طلقتنى فباتا بليلة عظيمة فلما اصبح عدا الى دار المنصور فأخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابى حنيفة رضى الله عنه فانه كان ساكتا فقال المنصور مالك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم قال ياامير المؤمنين فالانسان احسن المخلوقات ولاشئ احسن منه فلم تطلق امرأة الرجل فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعى زوجك ولا تعصيه فما طلقك (قوله ونظائر سائر الممكنات) اى وبان خص باستجماعه مثال كل ممكن قال الفلاسفة انه العالم الاصغر اذكل مافى المخلوقات حاصل فيه (قوله بان جعلناه من اهل النار) على ان يكون اسفل حالا من مفعول رددناه ويكون المراد بكونه اسفل كونه فى غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من اهل النار والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر تلك النعمة وهى نعمة الخلقة الحسنة ان رددناه اى صرفناه عن طريقه فى احسن الصور حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة وهم اصحاب النار (قوله اوالى اسفل سافلين وهوالنار) على ان يكون اسفل صفة مكان محذوف اى الى مكان اسفل امكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه الى النار التى هى اسفل السافلين وعلى الوجهين يكون الاستثناء فى قوله الا الذين آمنوا متصلا والمستثنى منه الضمير المنصوب فى قوله ثم رددناه لانه فى معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد منه الجنس وتكون الفاء فى قوله فلهم اجر لتعليل كون المستثنى خارجا عن حكم المستثنى منه كانه قيل لايحولون عن كونهم فى احسن تقويم الى ان يكونوا من اسفل السافلين من حيث الصورة لانهم مثابون فى الجنة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما اذا اريد باسفل السافلين ارذل العمر بناء على ان من رد الى ارذل العمر يحول من احسن التقويم الى اسفل السافلين من حيث الصورة والشكل حيث

تقوس ظهره ويضعف سمعه وبصره ويتداعى جميع قواه واعضائه الى الانحلال والاضمحلال فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا لان اهل الايمان والطاعة المخرجين عن كونهم مردودين الى ارذل العمر قد اثبت لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم الى ارذل العمر وعجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه فيكون الا بمعنى لكن وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره ودخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والمعنى ولكن الصالحين من الهرمى فلهم اجر وثواب دائم غير ممنون اى غير منقطع بسبب طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم فان المؤمن اذا عمل فى حال شبابه وقوته وحياته فاذا مرض اوهرم اومات فانه يكتب له حسناته بتمامها كما كان يعمل فى حياته وقوته الى يوم القيامة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد ملكاه الى السماء فيقولان يارب ان عبدك فلانا قد مات فأذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى سمواتى مملوءة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا له حسناته الى يوم القيامة كذا فى تفسير الامام ابى الليث وعن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المولود حين لم يبلغ الحلم ما عمل من حسنة كتبت لوالديه فان عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه واذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله تعالى ملكين ان يحفظاه ويسدداه فاذا بلغ سنه فى الاسلام اربعين امنه الله تعالى من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة ضعف الله تعالى حسناته فاذا بلغ ستين رزقه الله تعالى الانابة اليه فيما يحب واذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله ما تقدم من ذنبه وما أخر وشفعه فى اهل بيته وكان اسمه اسير الله فى ارضه فاذا بلغ ارذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل فى يوم صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه كذا وجدته فى بعض التفاسير ووجدته ايضا معلقا على ظاهر التفسير الكبير نقلا عن تفسير الثعلبى من غير تفاوت بين عبارتيهما انتهى (قوله فأى شئ يكذبك يا محمد) صلى الله عليك وسلم يعنى ان ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ويكذبك خبرها والخطاب له عليه الصلاة والسلام والمعنى اى شئ ينسبك الى الكذب فيما اخبرت به من البعث والجزآء بعد هذا البيان والباء فى قوله تعالى بالدين ليست صلة للتكذيب بل هى مثلها فى قوله تعالى والذين هم به مشركون فان تقديره والذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فحذف بالله فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب الجزآء والحساب فان من كذب بالجزآء وانكره فهو مكذب لمن اخبر به لامحالة ووجه كون ما ذكر فى هذه السورة بيانا لحقية الدين حتى يصح ان يفرع عليه قوله فما يكذبك بعد بالدين انه تعالى اقسم بالامور المذكورة على انه خلق الانسان المسوى من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه فى مراتب الازدياد والنماء الى ان استكمل واستوى ثم نكسه ورده الى ارذل العمر وبين به كمال قدرته ليستدل به على ان من قدر على الابدآء على الوجه المذكور فهو قادر على الاعادة والجزآء ثم حقق انه عليه الصلاة والسلام غير مكذب بسبب الدين فقال على سبيل الاستفهام الانكارى أليس الله باحكم الحاكمين وانكار عدم كونه تعالى احكم الحاكمين اثبات له فيما ذكره من الخلق والرد كونه احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واذا ثبتت القدرة والحكمة بما ذكره من البيان صح القول بامكان البعث والجزآء وبوقوع ذلك اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة فان عدم ذلك يقدح فى الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وذلك انه تعالى ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لا يجوز على الحكيم وان كان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين انه تعالى خلق ما خلق لحكمة عائدة الى الانسان وهى اثابة المطيع وعقاب العاصى وتلك الحكمة لا تظهر فى الدنيا لانها دار ابتلاء وامتحان فثبت انه لابد من دار اخرى غير هذه الدار ليثاب فيها الانسان ويستريح فالقول بوجود الاله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيامة والجزآء كما مر غير مرة وان الحكيم هو المتقن للامور ويلزم بذلك كونه تام القدرة كامل العلم ومن هذا شأنه كيف يستبعد عليه البعث والجزآء والمعنى أليس من فعل ذلك ببالغ اتقان الامور وقيل معناه أليس الله تعالى بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل من قولهم حكم بينهم اذا قضى فالآية حينئذ وعيد للمكذبين تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وقيل هو ارذل العمر فيكون (الا الذين امنوا وعملوا الصالحات) منقطعا (فلهم اجر غير ممنون) لا ينقطع اولا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له (فما يكذبك) اى فأى شئ يكذبك يا محمد دلالة اونطقا (بعد بالدين) بالجزآء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب (أليس الله باحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزآء على ما مر مرارا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

(سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) اى اقرأ القرءآن مفتتحا باسمه اومستعينا به (الذى خلق) اى الذى له الخلق اوالذى خلق كل شئ ثم افرد ماهواشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة فقال (خلق الانسان) اوالذى خلق الانسان فأبهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه لان الانسان فى معنى الجمع

(سورة العلق مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول مانزل من القرءآن نزل بها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حرا فعلمه خمس آيات من اول هذه السورة الى قوله مالم يعلم عن الزهرى انه قال اخبرنى عروة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء يعنى العزلة فكان يأتى حرا ويمكث هناك ثم يرجع الى خديجة فجاءه ملك وهو على حرا فقال له اقرأ فقال له صلى الله عليه وسلم ماانا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ماانا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع بها يرجف بردآئه واخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فلذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك يعنى اقرأ بعون ربك ووحيه اليك كذا فى تفسير الامام ابى الليث وفيه ايضا انه عليه الصلاة والسلام لمابلغ اربعين سنة كان يسمع صوتا فيناديه يامحمد ولايرى شخصه وكان يخشى على نفسه الجنون حتى رأى جبريل عليه السلام يوما فى صورته فغشى عليه فحمل الى بيت خديجة فقالوا انها تزوجت مجنونا فلماافاق اخبر بذلك خديجة فجاءت الى ورقة ابن نوفل وكان يقرأ الانجيل ويفسره ثم جاءت الى عداس كان راهبا فقال ياخديجة ان له نبأ وسأنا يظهر امره فخرج عليه الصلاة والسلام يوما الى الوادى فجاءه جبريل عليه السلام بهذه السورة وامره بان يتوضأ ويصلى به ركعتين فلمارجع دخل على خديجة وعلمها الصلاة وقال جابر بن عبدالله اول مانزل ياأيها المدثر وقيل اول مانزل فاتحة الكتاب وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه اول مانزل من القرآن قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم (**قوله** اى اقرأ القرءآن مفتتحا باسمه) يعنى ان مفعول اقرأ محذوف وهوالقرءآن حذف للعلم به اذ القرآءة فى عرف الشرع لاتستعمل الافى قرآءة القرءآن وان محل باسم ربك النصب على انه حال من فاعل اقرأ والتقدير اقرأ القرءآن مفتتحا باسم ربك اومبتدئابه اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فالآية على هذا التوجيه تدل على انه تجب قرآءة التسمية فى ابتداء كل سورة وهى حجة للامام الشافعى رحمه الله تعالى فى جهره بالتسمية فى اول كل سورة مع ماجاء من الاحاديث المروية فى هذا الباب (**قوله** اومستعينا به) على ان الباء للاستعانة كما فى قولك كتبت بالقلم فانه عليه الصلاة والسلام لماامر بالقرآءة وتعسرت هى عليه فقال لست بقارئ قيل له اقرأ باسم ربك اى استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة فى تحصيل الذى عسر عليك فان ربك يعينك عليها بأن يوحى اليك ويعلمك مالم تكن تعلم والباء على الاول للالصاق والملابسة (**قوله** اى الذى له الخلق) على ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان تفرده بالخلق وانه لاخالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق فمعنى الذى خلق الذى حصل منه الخلق وتفرد به لاخالق سواه ووصفه تعالى بكونه متفردا بالخالقية تعليل لامره عليه الصلاة والسلام بالقرآءة التى هى اصل جميع العبادات لان من تفرد بالخالقية يجب على المخلوق ان يعبده ويتذلل له (**قوله** اوالذى خلق كل شئ) وجه ثان لعدم ذكر مفعول خلق الاول اى ويجوز ان يقدر له مفعول ويكون تعلقه به مرادا الاانه حذف قصدا للتعميم ولما ورد ان يقال لما حكم بانه تعالى خلق كل شئ فقد علم ان خلق الانسان فى جملة ماخلق فلم افرد بالذكر بعد ذلك التعميم اجاب عنه بقوله ثم افرد ماهواشرف يعنى ان كثيرا مايفرد ذكر الخاص بعد العام اظهارا لشرفه كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة للدلالة على انه لغاية شرفه صار كانه حقيقة منفردة خارجة من عداد ماسبق ولان المقصود من توصيفه تعالى بالخالقية تعليل الامر بالقرآءة التى فى معنى الامر بالعبادة فقوله الذى خلق كل شئ وان كان كافيا فى بيان كونه تعالى مستحقا العبادة لان خالق الاشياء كلها يجب ان يعبد ويعظم الا ان التعرض لكونه تعالى خالقا للانسان بخصوصه ادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة (**قوله** اوالذى خلق الانسان) وجه ثالث لعدم ذكر مفعول خلق الاول اى ويجوز ان يقدر له مفعول خاص ابتدآء الاانه ابهم اولا ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان فان هذا الاسلوب انمايكون فيمايقصد تفخيم شأنه (**قوله** جمعه) فان علق جمع علقة كثمر وثمرة والعلقة الدم الجامد وما لا يكون جامدا فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد فأفاد انه تعالى خلق كل

فرد من افراد الانسان من علقة على حدة (قوله نزل اولا مايدل على وجوده) فانه تعالى لما اراد ان يبعث رسولا الى المشركين كان الظاهر ان يقال اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له الا انه لو قيل ذلك لابوا ان يقبلوا ذلك لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم فدبر سبحانه وتعالى لاجل ان يسمعوا كلامه بان قدم لهم مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حيث وصف نفسه بما لا سبيل لهم الى انكاره فانه لايمكنهم ان ينكروا كونهم مخلوقين من علق ولا ينكروا ان ذلك الخلق لابد له من خالق ولا ان يدعوا ان ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بان الصنم لا يخلق شيئا ومن المعلوم بداهة ان ما لا يخلق شيئا لا يصلح الها فهذا الاسلوب يستلزم اعترافهم بوجود اله قادر حكيم فهو اسلوب لطيف فى ازام المشركين ودعوتهم الى التوحيد ونظيره مايحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر أباحنيفة منعوه من ذكره اكتفاء بائمتهم واستغنائهم بهم عنه ولما لم يلتفتوا اليه ولم يسمعوا به رجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسئلة اقاويل ٧ أبى حنيفة فانهم حينئذ يستجيبون فلا يردونها (قوله تكرير للمبالغة) يعنى ان اقرأ الثانى تكرير للامر بالقرآءة تأكيدا او مبالغة فى الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثانى ويكون مابعده كلاما مستأنفا بان يكون وربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبره وقوله علم الانسان مالم يعلم بدلا من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له (قوله اوالاول مطلق) اى امر بمطلق القرآءة سوآء كانت على طريق التعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام او على طريق تكرارها لنفسه طلبا للثواب او على طريق التعليم والتبليغ للامة واقرأ الثانى امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرأ فى الصلاة (قوله ولعله لما قيل له) اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثانى جوابا لقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقارئ اى اقرأ فان ربك الاكرم يعلمك القرآءة وان لم تكن قارئا الا انه على هذا ينبغى ان تكون العبارة قيل له اقرأ وربك الاكرم بدون الفاء لان قوله فقيل له على هذا التوجيه جواب لما ولا تدخل الفاء على جواب لما وليس فى الكلام مايصلح ان يكون جوابا لها غيره (قوله بل هو الكريم وحده على الحقيقة) فان الكرم افاضة ماينبغى لا لغرض فان من اعطى ما لا ينبغى لا يكون كريما ومن اعطى ماينبغى توقعا لغرض لا يكون كريما ايضا فظهر ان الكرم مختص به تعالى وانه لا ينعم بما انعم به الا لمحض الكرم بخلاف غيره تعالى فانه يعطى طالبا للغرض والغرض لا يجب ان يكون من قبيل الاعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمة ونحوها كلها غرض (قوله اى الخط بالقلم) يعنى مفعول علم محذوف يتعلق به قوله بالقلم وتقدير الكلام علم الخط بالقلم وقرأ ابن الزبير كذلك (قوله لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد) بيان توجه كرمه الزائد فى تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان اكرميته تعالى والاشعار بان اشرف النعم واجلها هو العلم لان الاكرمية انما تكون بافاضة اجل الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب وعلم الخط والكتابة والقلم وسيلة يتوسل بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد روى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة والقلم وان كان لا ينطق الا انه يسمع اهل المشرق والمغرب فانه ما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت امور الدين والدنيا وصف الله تعالى نفسه اولا بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقا للانسان من علق تنبيها على ان الخالقية لاسيما خالقية اشرف المخلوقات من دلائل الربوبية ولوازمها ثم وصفها بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليمه الانسان الخط بالقلم وتعليمه غير ذلك مما لا يعلمه الانسان تنبيها على ان اجل المواهب واعز المطالب هو افادة الفوائد العلمية ومايؤدى الى تقييدها وضبطها لان الاكرمية انما تكون باعطاء اعز العطايا وفيه تشريف بليغ لشأن العلم فانه لو كان فى جملة المطالب ماهو اشرف منه لكان ذكره اولى فى مقام بيان اكرميته (قوله وقد عدد سبحانه الخ) يعنى انه لا مناسبة بحسب الظاهر بين ان يصف الله تعالى نفسه بانه الذى خلق الانسان من علق وبانه الذى علم بالقلم لكنه فى التحقيق فى غاية الحسن وذلك لانه تعالى بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهى أخس الاشياء وبين ايضا آخر امره وهو صيرورته عالما بحقائق الاشياء وقادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من أخس الاحوال الى أعز المراتب واشرفها ودليل باهر على وجود الاله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده الخ واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا فان قوله تعالى باسم ربك الذى خلق خلق الانسان

٧ ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قال بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقال هذا قول صح

ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذى علم بالقلم) اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القرآءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل سمعا

من علق يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم تنبيه على مايدل على معرفته تعالى سمعا فان ماحصل بنظر العقل من المعرفة عقلى وماحصل بالتعليم سمعي فان الاحكام التى لاسبيل الى معرفتها الاالسمع هي الحاصلة بالتعليم (**قوله** ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه) فان الآية لما كانت مشتملة على اصول النعم ومباديها وهو خلق الانسان من علق وعلى كمالها وغاياتها وهو قوله علم الانسان مالم يعلم تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة المنعم وشكر نعمته ولما كان الرسول الذى بلغ هذه الآية لابدله من المرسل اليهم وهم جهال لايعرفون النعمة ولا المنعم فضلا عن القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عماهم عليه من الكفر والجهل فقال كلا وبين ان سبب ذلك انما هو الطغيان قال مقاتل معنى طغيانه انه اذا اصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك وقال الكلبي يرتفع من منزلة الى منزلة فى اللباس والطعام (**قوله** وذلك) اى ولكونه بمعنى علم جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فان ذلك من خصائص افعال القلوب يقال رأيتني وعلمتني ولو كانت الرؤية ههنا بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين وقوله تعالى ان رآه اصله لان رآه اى لرؤيته نفسه استغنى اى مستغنيا فكان فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فحذفت اللام كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فمحله النصب على انه مفعول له واول السورة يدل على مدح العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال والظاهر ان كون الغنى سببا للطغيان انما هو فى حق المحجوبين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون بخلاف اولى البصائر واصحاب العرفان فان عرض الدنيا لايلهيهم عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام فانه قدنال من الملك مالم ينله احد من العالمين مع انه لم يزدد بذلك الاتواضعا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكعبد الرحمن بن عوف فانه رضى الله عنه ماطغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة اليه تعالى منه حال فقره لانه فى حال فقره لايتمنى الاسلامة نفسه وفى حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه (**قوله** نزلت فى ابى جهل) مبنى على ماروى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما انهما قالا هذه السورة اول مانزل الى قوله تعالى ان الى ربك الرجعى ومابعده نزل فى ابى جهل الى آخر السورة فيكون المراد من الانسان فى قوله تعالى ان الانسان ليطغى جنس الانسان وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض انه تعالى بين انه خلق الانسان من علق ثم بين انه رفعه من اخس المراتب الى اعز مفاخر الموجودات وهو التحلى بفضيلة العلم والعرفان ثم اشار بقوله كلا الى انه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى اذ اغناه ربه وزاده جاها ومالا فردعه عنه وقبح حاله ثم بين سبب كفرانه وطغيانه فقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم اكد الردع والزجر فقال ان الى ربك الرجعى على الالتفات للمبالغة فى التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان وذهب اكثر المفسرين الى ان اول مانزل قد انتهى عند قوله تعالى علم الانسان مالم يعلم ثم نزل باقى السورة بعد زمان مديد فى حق ابى جهل لعنه الله ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بان يوضع فى هذا الموضع ويضم الى آخر الايات الخمس التى هى اول مانزل من القرآن لان تأليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الاترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر مانزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى مانزل قبله بزمان طويل وماذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله روى ان اباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم ورحما وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذى يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته قال فقيل له هاهو ذاك ظهر فانطلق ليطأ على رقبته فافجأهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فأتوه فقالوا مالك ياابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار فنزل قوله ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى قال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا * والهول الخوف والاجنحة اجنحة الملائكة ابصر اللعين اجنحتهم ولم يبصر اصحابها (**قوله** ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى) فانه لو قيل ينهاك بضمير الخطاب يدل لفظ العبد لدل الكلام على تقبيح النهى الا ان ايراد لفظ العبد ابلغ فى تقبيح النهى لان نهى العبد عن تعظيم

(كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله الضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى

مولاه اقبح من نهى فرد من افراد الانسان عنه وتنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله فى العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه ابلغ من نهى عبد ما اى عبد كان فكأنه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه (**قوله** والشرطية مفعوله الثانى) ان جعل رأيت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله الذى ينهى مفعوله الاول وجعلت الشرطية الاولى مفعوله الثانى وهى قوله ان كان على الهدى اوامر بالتقوى مع جوابها المحذوف وهو قوله ألم يعلم بأن الله يرى و يطلع على احواله من كونه على هدى فى نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته اوكونه آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان على زعمه الباطل وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثانى فان الشرط الثانى وهو قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول فان ذلك الناهى عن التكذيب للحق والتولى عن الصواب مقابل لكونه على هدى فى امره وآمر بالتقوى فيما يأمر به فلما اجيب الشرط الثانى بقوله ألم يعلم بان الله يرى احواله علم ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون الجملة الاستفهامية وهى قوله ألم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز فى قولك ان اكرمتك أتكرمنى وان احسن اليك فلان هل تحسن اليه وجعل كل واحد من رأيت الثانى والثالث تكريرا للاول لاجل التأكيد فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب فى قوله تعالى ارأيت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن له فطنة وعقل سليم او للانسان على الالتفات كما فى قوله ان الى ربك الرجعى وهذا هو الاظهر لا للنبى صلى الله عليه وسلم ولا لابى جهل لان كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبر عنه المصنف بلفظ الغيبة حيث قال عمن ينهى بعض عباد الله فان من عبارة عن الكافر الناهى والبعض عبارة عنه عليه الصلاة والسلام فكأنه تعالى جعل الثالث حاكما بين الناهى وبينه عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنى الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته ويزعم انه على الحق فى ذلك النهى وفى امره بعبادة الاوثان واخبرنى ايضا عمن يقول فى حقه انه على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح فاحكمك فى حقه الم تعلم بان الله يراه و يطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فهو وعيد بليغ (**قوله** وقيل المعنى) يعنى ان الضمائر كلها للكافر الناهى الا انه قيل ضمير ينهى وكذب وتولى عبارة عن الكافر الناهى وضمير كان وامر للعبد المنهى وان قوله تعالى ارأيت كلمة تعجيب عجب الله تعالى عباده من ابى جهل فى منعه العبد اذا صلى على ثلاثة اوجه الاول انه ينهى عبدا عن طاعة ربه والثانى ان المنهى عن الصلاة مهتد بصلاته وتعظيم ربه آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله والثالث ان الناهى عن الصلاة مكذب للحق متول عنه غير قائل به والفرق بين القول الثانى والثالث مع ان ضمير ينهى وكذب وتولى فيهما للكافر وضمير كان على الهدى اوامر للعبد المنهى هو ان الخطاب فى المواضع الثلاثة على القول الثانى للانسان على الالتفات وأرأيت للتعجب وعلى القول الثالث يكون الخطاب الاول له عليه الصلاة والسلام والخطاب الثانى للكافر الناهى خاطبه توبيخا له على قبح فعله ولما ورد على القولين الاخيرين ان يقال لم ذكر الامر بالتقوى بعد ارأيت الثانى على تقدير ان لا يكون تكريرا للاول بل يكون للتعجيب كما فى القول الثانى او للتوبيخ كما فى القول الثالث ولم يتعرض له فى النهى اجاب عنه اولا بان الذى يشق على ابى جهل من افعاله عليه الصلاة والسلام وان كان فى حق نفسه عبادة الا انه فى حق غيره امر بالتقوى والطاعة لانه عليه الصلاة والسلام كان كل من يراه وهو فى الصلاة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكانت صلاته عليه الصلاة والسلام امرا بالتقوى بلسان الحال والفعل فكان النهى عن الصلاة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة فى مقام حكاية نهيه عن الامرين جميعا لحصول المقصود به ولم يقتصر على ذكر الصلاة فى مقام التعجب من حال الناهى وفى مقام توبيخه لان التعجب من جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها ابلغ وادخل فى الذم ثم اجاب عنه ثانيا بان ما ذكر من انه كما ينهى عن الصلاة ينهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلاة انما يتوجه ان لو قيل ينهى عبدا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل ينهى عبدا اذا صلى وليس فيه تصريح بان المنهى عنه أهو الصلاة ام غيرها فهو يتناول نهيه عن الامرين جميعا فليس فى الكلام اقتصار على ذكر النهى عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اى ينهى عن عامة افعاله المحصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما تعلق به من الذم والوعيد حتى روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه رأى فى المصلى

(ارأيت ان كان على الهدى اوامر بالتقوى) ارأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله (ارأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه اوآمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده اوان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال ويا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة

(كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعاً بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة (فليدع ناديه) اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان اباجهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار وهى فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع اوزبنى على النسبة واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء (كلا) ردع ايضا للناهى (لا تطعه) واثبت انت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل فى وعيد قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف رحمهما الله أيقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لى حيث قال له يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهى احتياطا عن ان يقول ذلك (قوله ولنسحبنه بها الى النار) وذلك فى الاخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر وتكون الآية بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد اليه مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه الصلاة والسلام من يقرأها على رؤس قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال انا أجله عليه الصلاة والسلام ثم قال ذلك ثانيا فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشقت اذنه وأدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل أتضحك ويبكى ابن مسعود فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال به ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيله فلما رآه ابو جهل قال يا رويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد أبغض الى منه فى حال مماتى فروى انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعونى اشد من فرعون موسى عليه السلام فانه قال آمنت وهذا قد زاد عتوا ثم قال اللعين لابن مسعود اقطع بسيفى هذا لانه احد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن واللام فى قوله تعالى لئن لم ينته لام توطئة القسم والقسم بعد ها مضمر اى لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ما قبلها تشبيها لها بالمنون المنصوب وقد كتبت فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه بالالف على حكم الوقف واللام فى قوله بالناصية بدل من الاضافة اى لنسفعن بناصيته اكتفاء بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكور ثم وصفها بانها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى لانهما فى الحقيقة لصاحبها وقوله ناصية بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة والنكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة لئلا يلزم كون المقصود بالنسبة انقص دلالة على الذات المراد بالنسبة من غير المقصود وكل واحدة من قراءتى رفع ناصية ونصبها مبنية على الشتم والذم قال ابن الحاجب سئلت لم جمع بين الناصية وبين ناصية كاذبة خاطئة وهلا اقتصر على احداهما فاجبت بان الاولى ذكرت للتنصيص على ناصية الناهى بناء على ان اللام فيها للعهد والثانية ذكرت للتنبيه على علة السفع لتشمل بظاهرها كل ناصية هذه صفتها (قوله اى اهل ناديه) قدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لا يدعى (قوله ينتدى فيه القوم) اى يجتمع ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة وهم كبار الجند واول كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة وسموا شرطا لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها (قوله اوزبنى على النسبة) اى على انه بياء النسبة الى الزبن وهو الدفع وجمع على زبانى ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء التأنيث عن احدى الياءين بعد حذفها كالاشاعثة فى جمع اشعثى وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الارض ورؤسهم فى السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم وحذفت الواو من سندع فى الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت فى اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت فى الخط ايضا اتباعا والمعنى ليفعل ما خطر بباله من دعوة اهل ناديه واستعانته بهم فى مناصبته عليه السلام فانه ان فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لو دعا اهل ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل بل هذا اخبار بان الزبانية يجرونه فى الاخرة

الى النار وكلمة ما فى قوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامة اى اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرر فى علم النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى مصدر مذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربى السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما والظرف فى معنى الحال

(سورة القدر قيل انها اول سورة نزلت بالمدينة وقيل انها مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(**قوله** بالنباهة) النباهة الشهرة فى رفعة القدر وكمال الشرف وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صريحا فصح ارجاع الضمير اليها يقال شئ نبه ونبه اى مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اى شرف واشتهر (**قوله** تعالى وما ادراك ما ليلة القدر) اى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر قال مجاهد قيامها والعمل فيها من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وذلك لان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيه من الخير والنفع فلما جعل الله تعالى الخير الكثير فى ليلة القدر كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون فى هذه الليلة (**قوله** وانزاله فيها) جواب عما يقال القرءآن انه لم ينزل جملة واحدة فى وقت واحد بل انزل منجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة فاوجه قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وأجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التنجيم والتفريق فى ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت فى رمضان والثانى ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول عليه الصلاة والسلام فانه الذى كان منجما فى ثلاث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد والله اعلم ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جبرآئيل عليه السلام نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم السلام وهم الملائكة فى سماء الدنيا ثم كان ينزله على النبى عليه السلام منجما مفرقا على حسب المصالح فى ثلاث وعشرين سنة والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا لنفس الانزال على معنى ان الانزال وقع فى ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه فى حق فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافى كون الانزال مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة واختلف فى تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم فى انها هل هى باقية تتكرر فى كل سنة او انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وانقطعت فمن قال ان فضلها كان لنزول القرءآن فيها يقول انها كانت مرة ثم انقطعت قال الامام النسفى رحمه الله تعالى قول من قال انها رفعت بعد وفاة النبى عليه السلام قول مردود والجمهور على انها باقية ثم اختلفوا هل هى مختصة برمضان اولا فعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انها غير مختصة برمضان بل هى تدور فى كل السنة وبه قال بعضهم حتى روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال من يقم الحول يصبها وقال عكرمة المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرءآن مع قوله انا انزلناه فى ليلة القدر فوجب ان تكون ليلة القدر فى رمضان لئلا يلزم التناقض ثم قيل انها تدور فى ليالى شهر رمضان مرة تكون فى العشر الاول وتارة فى العشر الاوسط واخرى فى العشر الآخر وهى اشهر الروايتين عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى وذهب صاحباه الى انها تدور فى العشر الآخر من شهر رمضان استدلالا بما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سئل أى ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها فى كل وتر فى احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وذهب اكثر العلماء الى انها ليلة السابع والعشرين وذكروا فيه كرامات منها ان هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هى لفظ هى وتلك اشارة اليها ومنها ان ليلة القدر تسعة احرف وذكرها الله تعالى فى هذه السورة ثلاث مرات فيبلغ عدد حروفها سبعة وعشرين ففيه اشارة الى انها هى الليلة السابعة والعشرون ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص غلام فقال يا مولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة واحدة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فأعلمنى فاذا هى السابعة والعشرون من رمضان وقال عبيد بن عمير كنت فى السابع والعشرين من رمضان فى البحر فأخذت من مائه فوجدته عذبا سلسبيلا وقيل انها هى الليلة الاخيرة من رمضان استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله

(سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرءآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله (وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاواخر من شهر رمضان ولعله السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة

وتسميتها بذلك لشرفها اولتقدير الامور فيها كقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير اولما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرآئيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما له فضلت على الف شهر

تعالى فى كل ليلة من رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تعالى فى ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره وقيل انها الليلة الاولى من رمضان لما روى ان صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام انزلت فى الليلة الاولى من رمضان والتوراة انزلت لست ليال مضين من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما وقيل كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرءآن ليلة القدر من بيت العزة الى السماء السابعة قدر ما ينزل به على النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة كلها الى مثلها من القابل حتى نزل القرءآن كلها فى ليلة القدر (قوله وتسميتها بذلك لشرفها) اى على سائر الليالى على ان القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اى منزلة وشرف ثم ان شرفها يحتمل ان يكون راجعا الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فيها لها قدر وشرف زآئد على شرف ما وقع فى سائر الليالى (قوله اولتقدير الامور فيها) عن الواحدى ان القدر فى اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار معين من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الله تعالى قدر فيها كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء وامانة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية وسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرآئيل وجبرآئيل عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث فى تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض فى الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة بان يكتبها فى اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء قيل للحسين ابن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر (قوله وذكر الالف اما للتكثير) فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة فى الكثرة كما فى قوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة واما ما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرآئيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فعجب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك فى امته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر الذى حمل الاسرآئيلى فيها السلاح فى سبيل الله لك ولامتك من بعد ذلك الى يوم القيامة فى كل رمضان وقيل كان الرجل فيما مضى لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق بان يسموا عبادا من اولئك العباد (قوله تعالى والروح فيها) يجوز ان يكون جملة اسمية فى محل النصب على انه حال من فاعل تنزل وضمير فيها للملائكة ويجوز ان يكون الروح مرفوعا بالعطف على الملائكة ويكون فيها متعلقا بقوله تنزل وضمير فيها لليلة (قوله بيان لما له فضلت على ألف شهر) يعنى ان قوله تنزل الملائكة جملة مستأنفة لبيان كونها خيرا من الف شهر كانه قيل لم ارتقى فضلها الى هذه الغاية فاجيب بان ذلك لما يوجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليه السلام بالرحمة من الله والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد بذكر الله تعالى وهذا غير ما ذكره مجاهد فى بيان كونها خيرا من الف شهر الا ان يقال انهم انما ينزلون الى الارض رأفة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات لا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجدا وقائم يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات وظاهر ان من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لا يناله بعبادته فى الف شهر فيؤول الى ما ذكره مجاهد روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم ينزلون يسلمون علينا ويستغفرون لنا فمن اصابته التسليمة غفرله ذنبه وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله يعبدون الله ومقام جبريل فى وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجدا وقائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا من الناس ممن يقوم فيها الا ويصافحه وعلامة ذلك ان يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فان ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا رأوا صورة حسنة قبلوها ومالوا اليها فكذا الملائكة اذا رأوا فى ارواح

المؤمنين صورة حسنة وهى معرفة الله تعالى وطاعته احبوهم ورغبوا فى زيارتهم وتمنوا لقاءهم لكنهم كانوا ينتظرون الاذن كما قال الله تعالى عنهم وما نتنزل الا بامر ربك وقال تعالى فى هذه الآية باذن ربهم فانه يدل على انهم استأذنوا اولا فاذنوا وذكر فى الروح اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كانت كلها لقمة واحدة له وفى التيسير ينزل الروح فى تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه فى تخوم الارض السابعة ورأسه تحت عرش الملك الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفى كل رأس الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة اهل السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه هو عيسى عليه الصلاة والسلام لانه اسمه ثم انه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه القرآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لما قرئ ولا تيأسوا من روح الله بالضم كانه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحمتى تنزل فى اثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والاصح ان الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه (**قوله** وتنزلهم الى الارض) هو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون فى سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلأن يجعل ذلك فى هذه الليلة مع علو شأنها اولى ولان مطلق النزول لا يفهم منه الا النزول من السماء الى الارض وقيل ان الملائكة بأسرهم ينزلون الى السماء الدنيا فى ليلة القدر فان قيل كل واحدة من السموات مملوءة بما فيها من الملائكة بحيث لا يوجد فى واحدة منها موضع قدم يخلو من ملك فكيف تسع جميع ملائكة السموات الارض او السماء الدنيا قلنا انما يرد ما ذكرت او كان نزولهم على سبيل الاجتماع وليس بلازم لما روى انهم ينزلون فوجا فوجا ينزل بعضهم ويصعد آخرون كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل ليفيد التدريج مدة بعد مدة (**قوله** ماهى الا السلامة) اشارة الى ان قوله هى مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر ليفيد الحصر كما فى نحو تميمى انا اى لا يحدث فيها داء ولا شئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما نزل فيها انما هو سلامة وخير وفى الحديث ان الشيطان لا يخرج فى هذه الليلة حتى يضئ فجرها والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اشار الى جواز ان يكون سلام اسما بمعنى التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى تسلم فيها الملائكة على اهل الطاعة (**قوله** من اجل كل امر قدر فى تلك السنة) اى من خير وشر او مما فيه صلاح المكلف فى دينه ودنياه والظاهر ان هذا الاحتمال مبنى على ان يكون المراد بالليلة المباركة فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين لانه ان كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فلا يظهر ان يكون وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الامور لانه يستلزم ان يكون تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصائب وغيرها واقعا فى ليلة القدر وفى ليلة النصف من شعبان اما الاول فلقوله وتسميتها بذلك لتقدير الامور فيها واما الثانى فلقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف وكون كل واحدة من الليلتين ليلة التقدير لا يخلو عن بعد الا ان يقال ههنا ثلاثة امور الاول نفس تقدير الامور والاحكام اى تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك فى الازل قبل ان يخلق الله السموات والارض والثانى اظهار تلك المقادير للملائكة بان تكتب فى اللوح المحفوظ وذلك يكون فى ليلة النصف والثالث اثبات تلك المقادير فى النسخ وتسليمها الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الريح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يقدر فى ليلة البراءة الآجال والارزاق وفى ليلة القدر تقدر الامور التى فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر فى ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع

وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين (من كل امر) من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان (سلام هى) اى ما هى الا سلامة اى لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين

المنبهم للمسلمين واما ليلة البرآة فيكتب فيها اسماء من يموت وتسلم الى ملك الموت (قوله على انه كالمرجع) اى على انه مصدر ميمى على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمى من الثلاثى ان يجئ على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان اسم زمان فان كسر عينه مخالف للقياس لان قياس اسم الزمان من يفعل و يفعل بفتح العين وضمها ان يكون على مفعل بفتح العين ومايكون سواء حمل على المصدر او اسم الزمان ولا معنى لكون مطلع الفجر اسم مكان وهو ظاهر ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى من كل امر متعلق بقوله تنزل اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحيات وموت او من اجل كل امر من الخير والبركة وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام هى اى من كل امر محدث سلام هى حتى مطلع الفجر اى هى الى وقت طلوع الفجر * تمت سورة القدر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البينة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله تعالى) بيان لوجه توصيفه تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان طريق الكفر غير منحصر فى انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكون به مثل كفر اليهود وتكذيب عيسى عليه السلام وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالالحاد فى صفات الله تعالى والعدول فيها عن الحق والصواب كما قالوا فى صفة العلم انها اقنوم من الاقانيم الثلاثة انقلبت الى بدن عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك فان عامة النصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة يقولون عزير ابن الله كما تقول النصارى المسيح ابن الله واشترك الجميع فى تحريف كتاب الله تعالى ودينه وسائر ما يوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا والمعنى لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب و لم يكن المشركون من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين اى منفصلين زائلين وفيه انه يبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم محمد ولا وجه للكفر بمن لم يبعث بعد ولم يعلم خبر بعثته (قوله ومن للتبيين) لان كونها للتبعيض يستلزم ان يكون البعض من المشركين كافرا والبعض الآخر غير كافر لان تقدير الآية يكون حينئذ لم يكن الذين كفروا بعض اهل الكتاب و بعض المشركين فينبغى ان تكون للتبيين بان يذكر جنسا الكفار بقوله تعالى الذين كفروا على الاجمال ثم فصل ذلك المجمل بقوله من اهل الكتاب والمشركين اخبر الله تعالى انهم قد اتفقوا على ما كانوا عليه من دينهم او خبر الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الى ان تأتيهم البينة وكلمة حتى تقتضى ان ينتهى الاتفاق المذكور عند اتيان البينة بان يحدث منهم الاختلاف والتفرق عند اتيانها الا ان حكم ما بعد كلمة الغاية يكون مخالفا لحكم ما قبلها لوجوب انتهاء الحكم المذكور قبلها عند تحقق الغاية فذلك قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة جعل كل واحد من الرسول والقرآن بينة اما لكونه حجة مبينة لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار كونه معجزة فانه عليه الصلاة والسلام معجز باخلاقه الزاكية حيث بلغ فيها الى اقصى درجات الكمال واعجز الحكماء المهذبين عن ان يتشبهوا به فى شئ من مكارم اخلاقه وكذا القرآن اعجز فصحاء العرب عن ان يأتوا بسورة من سوره فقوله او معجزة الرسول من اضافة الصفة الى موصوفها اى الرسول المعجز باخلاقه العظام والقرآن المعجز بالخامه من تحدى به اى باسكاته من طلب منه ان يأتى بمثله يقال فحم الصبى بفحم بفتح الحاء فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمه حتى الخمته اى ابكيته فى خصومة وغيرها و يقال تحديته اذا باريته اى اعرضته فى فعله ونازعته الغلبة (قوله بدل من البينة بنفسه) على ان يكون المراد بالبينة الرسول باعتبار كونه مبينا للحق او كونه معجزا باخلاقه (قوله او بتقدير مضاف) على تقدير ان يكون المراد بالبينة القرآن المبين للحق او المبين لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار اعجازه والتقدير وحى رسول او كتاب رسول (قوله صفته او خبره) نشر على ترتيب قوله بدل من البينة او مبتدأ (قوله والرسول وان كان اميا) جواب عما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه عليه الصلاة والسلام وهو امى لا يكتب ولا يقرأ

(حتى مطلع الفجر) اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

(سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان)

بسم الله الرحمن الرحيم

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود و النصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله ومن للتبيين (والمشركين) وعبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول (حتى تأتيهم البينة) الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بالخامه من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتى ما فيها او انها لا يمسها الا المطهرون

عن كتاب وانما يقرأها بوحي اليه عن ظهر القلب وتقرير الجواب انه عليه السلام وان كان اميا يتلو ما اوحي اليه عن ظهر القلب الان متلوه الذي هو القرآن لما كان مصدقا مطابقا الصحف الاولين في اصول الشرائع والاحكام صار متلوه كأنه هو صحف الاولين فعبر عن متلوه بها بطريق الاستعارة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشري بقوله قراطيس والمراد مارسم فيها وقيل المراد بقوله رسول يتلو صحفا جبريل عليه الصلاة والسلام فلا اشكال في نسبة التلاوة اليه ولم يرض به لان من اتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما الصلاة والسلام (قوله تعالى فيها كتب قيمة) جملة اسمية منصوبة المحل على انها صفة لقوله تعالى صحفا وتلك المكتوبات التي تضمنتها الصحف هو المتلو دون نفس الصحف (قوله عما كانوا عليه اوعن وعدهم) نشر على ترتيب قوله عما كانوا عليه من دينهم اوالوعد وقوله بالاصرار على الكفر متعلق بالتفرق عن الوعد والمعنى وما تفرقوا عن الوعد بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بان اخلفوا الوعد وصمموا على الكفر القديم وقوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية تفريع على وجه الثاني ووجه المشابهة بين الآيتين حينئذ اشتراكهما في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل فان من استفتح به عليه عليه الصلاة والسلام اي طلب الفتح وظفر على اعدآئه بحرمة النبي الموعود ومكانته عند ربه بان قال اللهم انصرنا عليهم بحرمة النبي الموعود ثم كفر بعد بعثته حاله مثل حال من وعد بانه عليه الصلاة والسلام اذا بعث يصدقه ويتبعه ثم كفر بعد بعثته عليه الصلاة والسلام فانه كفر بمن صدقه قبل (قوله للدلالة على شناعة حالهم) فان افراد احدى الطائفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر في مقام الذم يدل على كونها اشنع حالا من الاخرى مع ان بيان تفرق اهل الكتاب يدل على تفرق المشركين بطريق الاولى لان اهل الكتاب عالمون بحقية امره عليه السلام من حيث ان نعوته وبعثته عليه السلام مذكورة في كتبهم فاذا تفرقوا مع علمهم بحقية امره كان غير العالم بامره اولى بالتفرق (قوله اي في كتبهم بما فيها) كل واحد من حرف الجر متعلق بامر واقدر المفعول الاول للدلالة على ان المراد بالامر الامر الوارد عليهم بألسنة انبيائهم وان المعنى وما امر اهل الكتاب على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الا بهذه الاشياء وقدر المفعول الثاني لان تعدية فعل الامر الى مفعوله الثاني بالباء دون اللام والمعنى ما امر اهل الكتاب بما امروا به في الكتابين لشئ من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله واهل السنة وان احالوا ان يكون شئ من افعاله تعالى معللا بالغرض بناء على ان الفاعل لغرض يكون ناقصا في ذاته مستكملا بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك الا انهم قالوا ان افعاله تعالى لا بد ان تكون مغياة بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض في الحكمة المرتبة على الفعل تشبيها لها به في ترتبها على الفعل في الوجود وبخ الله تعالى اهل الكتاب على تعكيس الامر ببيان ان الحكمة الاصلية في جميع ما امروا به في كتابهم هي العبادة المقرونة بالاخلاص ثم انهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه وأوامره بان قال بعضهم عزير ابن الله وقال بعضهم عيسى ابن الله وقال بعضهم عيسى هو الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وعامة اليهود مشبهة وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد واخلاص العبادة له تعالى فجاز ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب ايضا ويكون عطف قوله تعالى والمشركين في اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات وقيل ليست اللام هنا لام الغرض بل هي صلة وان الناصبة مضمرة بعدها والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا اي بان يعبدوا روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ كذلك بناء على ما نقل عن الفرآء فانه قال العرب تجعل اللام في موضع ان بعد فعل الامر والارادة كثيرا كما في قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اي ان يطفئوا ويريد الله ليبين لكم اي ان يبين وامرنا لنسلم اي ان نسلم بمعنى بان نسلم ولم يلتفت اليه المصنف لان جعل اللام صلة واضمار ان بعدها واضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر (قوله تعالى مخلصين) حال من الفاعل في ليعبدوا وحنفاء حال ثانية منه او من المنوى في مخلصين وفي انتصاب مخلصين على الحالية من فاعل ليعبدوا اشارة الى انه يجب تحصيل الاخلاص من ابتدأ العبادة الى انتهائها والاخلاص ان يأتي بما يفعله خالصا لداعية واحدة وهي قضاء حق الربوبية ومقتضى العبودية ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الحمل على ذلك الفعل وجعل جميع ما يأتي به من الافعال خالصا لربه ان لا يستثني شيأ منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار فضلا عن ان يستثني شيأ منها لغيره مثل ان يفعله رياء وسمعة واستدل بهذه الآية على انه لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين والعبيد

(فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم اوتردد في دينه اوعن وعدهم بالاصرار على الكفر (الا من بعد ما جاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى (وما امروا) اي في كتبهم بما فيها (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به

والاماء لانتفاء الاخلاص فى دفعها اليهم واذا كان انضمام صلة الوالدين والاولاد الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص فكيف بنى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء شهوآتك ولهذا ذهب اهل السنة الى ان العبادة ماوجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة اوالى النجاة من عذاب النار وانما وجبت لكون العابد عبدا والمعبود ربا ولو لم يحصل فى الدين لاثواب ولاعقاب البتة بان امرنا ربنا بالعبادة لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والعبادة عبارة عن الاتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم والتذلل له ولذلك قيل صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله فلايكون فعله تعظيما لله تعالى وقيل ايضا فعل اليهودى متلابس بعبادة وان قصد التعظيم به لكون ما فعله غير مأمور به (قوله مائلين عن العقائد الزائغة) قال الجوهرى اصل الحنف الميل والانقلاب والاحنف هوالذى قلبت احدى ابهامى رجليه على الاخرى وعن ابى زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هوالذى يمشى على ظهر قدمه من شقها الذى يلى خنصرها وقيل الحنف الاستقامة فقوله تعالى حنفاء اى مستقيمين وانما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للمريض مطبوب وللمهلكة مفازة والمصنف راعى القولين حيث اعتبر فى مفهوم الحنف كل واحد من معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقائد الزآئغة انما يكون بالاستقامة (قوله دين الملة القيمة) جعل القيمة نعتا لموصوف محذوف لئلا يلزم اضافة الموصوف الى صفته التى هى بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه فان دين القيمة مثل صلاة الاولى ومسجد الجامع فكما انهما فى تأويل صلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع فكذا الآية فى تأويل الملة القيمة او دين الشريعة القيمة او الكتب القيمة والملة والدين متحدان بالذات ومتغايران بالاعتبار فان الشريعة التى بلغها الرسول الى الامة تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه والدين ايضا العادة والشأن كما فى قوله * وهذا دينه ابدا ودينى * وكل واحد منهما اعم من الاسلام لانه يستعمل فى الحق والباطل والاسلام لايستعمل الا فى الحق ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت اضافة احدهما الى الآخر وايضا هو من قبيل اضافة العام الى الخاص لان الملة المستقيمة اخص من الدين لما مر من ان الدين يستعمل فى الباطل ايضا والقيمة بمعنى المستقيمة فان قام الامر بمعنى استقام يقال قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وقوله تعالى وذلك اشارة الى ما امروا به وهى الاعمال الصالحة التى معظمها اقام الصلاة وايتاء الزكاة المقرونة بالاخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد المطابق فان بعض اهل الاديان كاليهود والنصارى يتعبون انفسهم فى الطاعات من غير ان يحصلوا الاعتقاد المطابق وبعضهم يحصلون الاعتقاد الحق ويهملون الاعمال وهم المرجئة الذين يقولون لاتضر المعصية مع الايمان فهو تعالى خطأ كل واحد من الفريقين فى هذه الآية وبين انه لابد من كل واحد من العلم والعمل فقال وما امروا الخ ثم قال وذلك دين القيمة ثم ذكر مآل كل واحد من اهل الكتاب والمشركين ثم بين مآل اهل الحق والتوحيد الى آخر السورة (قوله اوفى الحال بملابستهم مايوجب ذلك) فيكون من باب الاسناد المجازى حيث اسند اليهم كونهم فى النار وليسوا فيها فى الحال باعتبار كونهم فيما يوجبها (قوله واشتراك الفريقين فى جنس العذاب الخ) جواب عما يقال لاشك ان كفر المشركين اشد واغلظ بالنسبة الى كفر اهل الكتاب لان المشركين ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث ومايتفرع عليه واهل الكتاب يؤمنون باكثرها واذا كان كذلك فكيف يجوز تسويتهما فى العذاب والجواب ان الفريقين لما اشتركا فى اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود فى نار جهنم واشتراكهما فى جنس عذابها لايستلزم اشتراكهما فى جميع انواعه (قوله وقرأ نافع البريئة بالهمز) على الاصل لانها فعيلة من برأ الله الخلق اى ابتدأه واخترعه وقرأ الباقون بياء مشددة بدون همزة كالنبى والذرية فان اصلهما الهمز والقرآءة بالهمزة وان كانت موافقة للقياس والاصل الا ان القرآءة بدون الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد استمروا على ترك الهمزة فيه وفى النبى والذرية فكانت القرآءة بالهمزة كالشئ المرفوض المخالف للاستعمال وتوسيط ضمير الفصل فى قوله اولئك هم شر البرية لافادة الحصر اى شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو اقبح من كفر الجهال فظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد الجهال (قوله تعالى جزآؤهم) مبتدأ خبره جنات وفى الكلام حذف مضاف اى دخول جنات

(حنفاء) مائلين عن العقائد الزآئغة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ولكنهم حرفوه وعصوا (وذلك دين القيمة) دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) اى يوم القيامة اوفى الحال بملابستهم مايوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما (اولئك هم شر البرية) اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز على الاصل فى الموضعين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزآؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا)

وعند ظرف للجزآء وخالدين حال وذوالحال وعامله كلاهما محذوفان لدلالة قوله جزاؤهم عليهما والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور فى قوله جزآؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى وهو الخبر (قوله فيه مبالغات) اى فى الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات فى اعلاء قدرهم واجلال شأنهم منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم فان الكلام لما كان مسوقا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر ان يقدم بيان مصيرهم على قوله اولئك هم خير البرية كما قدم بيان مصير الكفار على قوله اولئك هم شر البرية فلما عكس هذا الترتيب احتيج الى طلب النكتة فى ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هى النكتة فيه ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزآء فانه يتضمن الاعتناء بشأن ما وصفوا به من الايمان والاعمال الصالحة ومنها الحكم على ذلك الجزآء بانه من عند ربهم فانه يدل على علو قدر الجزآء وذلك يدل على علو قدر صاحبه عند ربه ومنها جمع جنات فانه يدل على ان لكل واحد منهم جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزآؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ومنها تقييدها اضافة فانه يدل على انهم لا يخرجون من تلك الجنات فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنها تقييدها وصفا بما يزداد لها نعيما من جرى الانهار المذكورة فى القرآن من تحتها وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ولعل المصنف اراد بالوصف فى قوله ووصفا بما يزداد لها نعيما الوصف المعنوى الذى هو اعم من الوصف النحوى لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة فان الخلود فى الجنة خير من دخولها كما ان رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اضطرابها المقدر لها) لما دلت اضافة الزلزال الى الارض على اختصاصه بها وتعرفه بسببها بين معنى تعريف الاضافة بثلاثة اوجه وهى على الوجه الاول والثانى للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به المعهود يحمل على العموم والمعنى اذا زلزلت جميع ما يمكن فى حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب والمعهود على الاول الاضطراب الذى قدره الله تعالى للارض عند احدى النفختين فانه قد سبق فى علم الله تعالى وقضائه ان تحرك الارض تحريكا شديدا عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللائق بها فى الحكمة وما تقتضيه مشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال وتكون الارض بسببه قاعا صفصفا بانكسار ما عليها من الابنية والاشجار والجبال والتلال ويصير جميع ذلك نظير الهباء المنبث حتى تمهد الارض وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة فان الارض لا تصير كذلك الا بزلزال شديد ونظيره قولك اكرم التقى كرامة واهن الفاسق اهانة تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد فى غير المضاعف كالصلصال والقلقال الا نادرا نحو قسطال وهو الغبار (قوله من الدفائن والاموات) فان اريد بزلزال الارض اضطرابها عند النفخة الاولى يكون المراد بالاثقال الدفائن والكنوز فان الارض حينئذ تخرج جميع ما فيها من الكنوز فيمتلئ ظهر الارض ذهبا ولا يلتفت اليه احد وان اريد به الزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقديرين تكون الاثقال استعارة بان شبه ما فى جوف الارض من الدفائن والاموات بأمتعة البيت فعبر عنه بالاثقال مجازا (قوله لما يبهرهم من امر الفظيع) اى لما يغلبهم من الامر الهائل اشار به الى ان الاستفهام فى قوله مالها للتفظيع والتهويل فان كل من رأى تلك الزلزلة بغتة سوآء كان ممن آمن بالبعث او كفر به يجوز ان يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير الا ان المؤمن يقول بعد ما تدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فانه يحشر اعمى كما عاش اعمى فيستمر على السكرة والحسرة وقوله مالها جملة اسمية معناها التعجب اى اى شئ حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت

فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزآء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزآئهم (ورضوا عنه) لانه بلغهم اقصى امانيهم (ذلك) اى المذكور من الجزآء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا

(سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (واخرجت الارض اثقالها) ما فى جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها) لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها

هذه الزلزلة الشديدة فان التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للانسان عند ادراك ما خفي سببه صح ان يكون السؤال عن السبب طريقا لانشاء التعجب واظهاره وكلمة اذا في قوله تعالى اذا زلزلت الارض شرطية وجوابها تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور و يومئذ اى يوم اذ زلزلت بدل من اذا (**قوله تحدث الخلق**) اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله الثانى حذف اولهما لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق بناء على ان السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى تحدث فى حق تعلقه بمفعوله الاول منزلة اللازم ولم يقصد الا بيان تعلقه بمفعوله الثانى فانه لا مدخل لذكر الخلق فى بيان هوله وانما يستحق التهويل بذكر ما تحدث به الا ان الارض لكونها جمادا لا يمكن لها ان تحدث بلسان المقال وانما تحدث بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت مدتها وان الآخرة قد اقبلت بما فيها من البعث والحساب والجزآء فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة قد اقيمت مقام التحديث فعبر به عنها (**قوله وقيل ينطقها الله تعالى**) فتشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها لما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة لوقتها وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها احد يعمل خيرا ولا شرا الا وهى تخبر به (**قوله اواصل**) عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث و يومئذ بدل منها والعامل فيه هو العامل فيها والثانى انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذا زلزلت واذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه فحينئذ يكون يومئذ اصلا معمولا لتحدث ظرفا له (**قوله اذ يقال حدثته كذا وبكذا**) جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف الجر وقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء واجاب عنه بان كل واحد من الاستعمالين فصيح فعدى الفعل الى المبدل منه بنفسه والى البدل بواسطة الحرف كانه قيل تحدث ان ربك اوحى لها بان أحدث عليها احوالا دالة على انه لاى شئ زلزالها واخراجها واللام قد تستعمل بمعنى الى كما فى قوله وشدها بالراسيات الثبت ✧ اوحى لها القرار فاستقرت ✧ ويجوز ان تكون اللام على اصل معناها اى فعلنا ذلك لاجلها فانها تتوسل بذلك الى التشفى من العصاة (**قوله ولعل حسنة الكافر**) جواب عما يقال ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن معفوة اما ابتدآء واما بسبب اجتنابه الكبائر فما معنى الجزآء بمثاقيل الذر من الخير والشر وحاصل الجواب الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا ان ذلك لا ينافى ان يرى جزآء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وان كانت معفوة بان لا يعذب بسببها الا ان ذلك لا ينافى ان يرى جزآءها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات وحاصل الجوابين الاخيرين ظاهر (**قوله اومن الاولى**) وهى التى فى قوله فمن يعمل مختصة بالسعدآء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط والاشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة اصلا وقرأ هشام باسكان هاء يره فى الموضعين وصلا ووقفا وباقى السبعة يقرأونهما باشباع ضمة الهاء اى موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كسائر هاء الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا وتحذيرا من الشر والذنب وان قل فلا ينبغى للمرء ان يتهاون فى الذنب اليسير ويزعم ان المرء لا يؤخذ بمثله كما لا ينبغى له ان يجتنب عن اعطاء شئ قليل نحو تمرة وكسرة استقلالا به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة (**قوله والذرة النملة الصغيرة اوالهباء**) قال الكلبى الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك على الارض اى كفك ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة فان مثقال الشئ ميزانه ومثله والله سبحانه وتعالى اعلم * تمت سورة الزلزلة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

(سورة العاديات مدنية وقيل مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(**قوله تعالى والعاديات**) جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو المشى بسرعة والياء التى فيها منقلبة عن الواو لكسر ما قبلها لانها من العدو كالغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل وصدورها اذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلاثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى تضبح ضبحا

(يومئذ تحدث اخبارها) تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها و يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث اواصل واذا منتصب بمضمر (بان ربك اوحى لها) اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها او يجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا و بكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة (يومئذ يصدر الناس) عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا اعمالهم) جزآء اعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة اومن الاولى مخصوصة بالسعدآء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة اوالهباء ✧ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

(سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف اوبالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات اوضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى

(فالمغيرات) يغير اهلها على العدو (صبحا) اى فى وقته (فأثرن به) فهيجن بذلك الوقت (نقعا) غبارا اوصياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعدآء روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية أثر كالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدأ انوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا اولعاص بلغة كندة اولبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور اثره عليه اوان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا (لشديد) لبخيل اولقوى مبالغ فيه

على تأويل العاديات بالجماعة او تضبحن ضبحا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدر فى موضع النصب على انه حال من العاديات والثانى انه مصدر مؤكد للعاديات لان الشرط فى عامل المفعول المطلق ان يوافقه معنى لا لفظا والتوافق المعنوى متحقق ههنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات فصح انتصاب ضبحا بها على انه مفعول مطلق لها والثالث انه مصدر فى موضع الحال من المنوى فى قوله تعالى والعاديات اى ضابحات اوذوات ضبح اوعلى ادعاء انها فى انفسها ضبح للمبالغة كما فى رجل عدل وكذا الكلام فى انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف اى فالتى تورى النار حال كونها تقدح قدحا والقدح ضرب الحجر بالمقدحة فان الخيل تضرب بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فتخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايرآء لكونه من لوازم القدح وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوى فى الموريات على معنى فالتى تورى النار قادحة اوذات قدح (قوله يغير اهلها) يعنى ان اسناد المغيرات الى ضمير العاديات التى هى خيل الغزاة اسناد مجازى فان الاغارة فى اللغة هى الاسراع على العدو للظفر عليهم وهو فعل اصحاب الخيل (قوله اى فى وقته يريد ان صبحا) منصوب على انه ظرف للمغيرات وكانوا يغيرون على العدو صباحا لانهم فى الليل يكونون فى الظلمة فلا يبصرون شيأ وفى النهار يكون الاعدآء متهيئين للوقعة والمحاربة واما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للاغارة (قوله تعالى فأثرن) معطوف على اسم الفاعل قبله حملا على المعنى فان المعنى والخيل اللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن اصله فأثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفا لتحركها فى الاصل وانفتاح ماقبلها الآن فصار أثارن فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فبقى أثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذاهاج وارتفع وأثرته انا هيجته والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو رفع الصوت يقال نقع الصوت واستنقع اى ارتفع وضمير به يرجع الى الزمان الذى وقعت الاغارة فيه وهو الصبح والباء بمعنى فى اى فصحن فيه صياح النوائح وارتفاع اصواتهن ويجوز ان يكون ضمير به للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لان الاغارة لابدلها من مكان والباء للظرفية ايضا وان يكون للعدو المدلول عليه بلفظ العاديات اى فأثرن بسبب عدوهن نقعا فالباء سببية وما اختاره المصنف اظهر الا انه يجوز ان يكون ضمير وسطن به للعدو فتكون الباء سببية وان يكون للنقع لقربه ذكرا فتكون الباء متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله فوسطن روى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام بعث سرية الى حى من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمر واحد النقباء فمكث ماشاء الله ان يمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فأخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها وبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا فى وقت الصبح جماعة الاعدآء فأغاروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين وان المنافقين كاذبون فى اقوالهم انهم قتلوا جميعا فعلى هذا تكون السورة مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يؤذن له فى القتال وهو بمكة وايضا الظاهر حينئذ ان يكون تعريف العاديات للعهد ويكون المقسم به خيل تلك السرية ويجوز ان يكون التعريف للجنس ويكون المقسم به كل خيل عدت فى سبيل الله بالصفات المذكورة فانها تستحق لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة (قوله العادية اثر كالهن) اى الساعية المسارعة فى طريق الارتقاء الى درجات الكمالات الروحانية وضبحهن ماظهر عليهن اثر بعثهن بالسعى فى مباشرة اسباب ذلك الارتقاء (قوله اذا ظهر لهن) ظرف لقوله المغيرات على الهوى اى الماحيات للرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار القدس (قوله تعالى لربه) متعلق بكنود وقدم عليه رعاية للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه قيل اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ماعليه والارض الكنود هى التى لاتنبت شيأ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الكنود الكفور الذى يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده والمراد بالانسان الجنس والمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته وقيل المراد به الكافر (قوله لظهور أثره عليه) يعنى ليس المراد بشهادة الانسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فان آثار الكنود تظهر عليه بحيث لايمكنه ان يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه ويجوز ان يكون ضمير وانه للبارى تعالى لكونه اقرب المذكورين فتكون الآية وعيدا وزجرا له عن المعصية من حيث انه تعالى يحصى عليه اعماله وعلى الاول يكون تأكيد الكنوده وكفرانه ويؤيد الاول رجوع ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد الى

الانسان اى وان الانسان من اجل حبه للمال لبخيل ممسك اوانه لقوى مطيق لحب المال مبالغ فى ايثار الدنيا وطلبها وهو فى حب الله وشكر نعمته ضعيف على ان اللام معدية لقوله لشديد يقال هو شديد لهذا الامر اى مطيق له قوى عليه (قوله جمع محصلا فى الصحف) يعنى ان تحصيل الشئ جعله حاصلا مجموعا فى غيره او جعله متميزا عن غيره فتحصيل مافى الصدور راما جمعه واثباته فى الصحف اوتمييزه عمالم يثبت فى الصدور (قوله وتخصيصه لانه هو الاصل) جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل مافى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح وذكر مبدأ الشئ بمنزلة ذكر نفسه (قوله اذا بعثر) لا يجوز ان يكون ظرفا ليعلم لان الانسان لا يراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك وهو فى الدنيا فلابد ان يؤول النظم بوجه يفيد معنى اى أفلا يعلم الانسان الآن انه تعالى عالم بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولا يجوز ايضا ان يكون ظرفا لبعثر لان المضاف اليه لا يعمل فى المضاف لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة فى بعضها ولا لقوله لخبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها فتعين ان يكون العامل فيه مادل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى أفلا يعلم الانسان فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا بعثر ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم وكسر ان فى قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه فى حيز مفعول يعلم لوجود اللام فى خبرها كقوله والله يعلم انك لرسوله ومن فتح همزة ان قرأ خبير بلا لام (قوله وانما قال ماثم قال بهم الخ) اشارة الى جواب ما يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهى فى الاغلب لا تطلق الا على غير اولى العلم ولا تطلق على اولى العلم الا نادرا كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن لنا سبحان ما يسبح الرعد بحمده وفى التنزيل وما ملكت ايمانكم ثم انه تعالى عبر عن ضمير اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة فى ذلك واجاب عنه بان ذلك لاختلاف شأنهم فى الحالين فانهم ماداموا فى القبور اموات وجمادات فعبر عنهم فى تلك الحال بما يعبر به عن غير العقلاء ثم انهم يوم القيامة احياء عقلاء فلذلك عبر عنهم عند حكاية حالهم بضمير العقلاء توفية للحالين حقهما ونظير الآية قوله عليه الصلاة والسلام ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن الحديث فانه عليه الصلاة والسلام عبر عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من الحاقا للرقيق الذى يتعلق به العتق بالبهائم لانه يستخدم ويحجر عن التصرف ويباع فى الاسواق كالبهائم بخلاف المعتق بكسر التاء فانه بحريته عاد الى الحالة الاصلية التى هى الانسانية فعبر عنه بمن - تمت سورة العاديات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة القارعة مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة قارعة قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة من اسماء يوم القيامة سمى بها لان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب ذلك الاصطكاك سمى يوم القيامة بالقارعة اى الساعة القارعة اسند الفعل اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا قال المصنف فى سورة الحاقة فى تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار يعنى انه سمى زمان الحالة القارعة باسم القارعة (قوله تعالى القارعة) مبتدأ وما مبتدأ ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ووضعت القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ الاول تفخيما لشأنها واعادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام القارعة اى شئ هى ثم زادها تفخيما فقال وما ادراك ما القارعة يعنى انك لا علم لك بكنهها لانها من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه وما فى قوله وما ادراك مبتدأ وما الثانية مبتدأ ثان والقارعة خبر الثانى والجملة فى محل النصب على انها مفعول ثان لأدرى ومفعوله الاول الكاف وادراك لا يعمل فى مفعوله الثانى وهو قوله ما القارعة لتضمنه معنى الاستفهام وادرى مع ما فى حيزه فى محل الرفع على انه خبر المبتدأ الاول والفراش جمع فراشة وهو ما يتهافت فى النار ليلا والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه (قوله فى كثرتهم) لانه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالكثير من الفراشة لان الفراش جمع فراشة ويوم منصوب بما يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون

(أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (ما فى القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث (وحصل) جمع محصلا فى الصحف اوميز (ما فى الصدور) من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) يوم القيامة (لخبير) عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ماثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام - عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

(سورة القارعة مكية وآيها عشر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة

الناس كالفراش ولا يجوز ان يكون ظرفا للفظ القارعة المذكور اولا لاستلزامه تخلل الفاصل بين العامل الذى هو من صلة لام التعريف وبين معموله باجنبى وهو الخبر هذا على تقدير ان يكون القارعة اسم فاعل وان جعل علما للقيامة فلا يعمل ايضا ولا للمذكور ثانيا وثالثا لا وجه لكونه ظرفا لشئ منهما ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوع على انه فاعل فعل مضمر و يوم منصوب به تقديره ستقوم القارعة يوم يكون (قوله كالصوف ذى الالوان) فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها اذا تفرقت اجزآؤها وانحل تركيبها تصير مشابهة للعهن وهو الصوف الملون بألوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدد الاجزآء (قوله بان ترجحت مقادير انواع حسناته) على ان الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وحظ عند الله وان ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار ما يقابله من العمل القبيح واختيار موازينه على موزونه مع ان اضافة جنس الموزون ايضا تفيد العموم للدلالة على ان المراد احاطة انواع ذلك الجنس لا احاطة نوع واحد من انواعه فان انواع الاعمال الموزونة اما ان تكون ثقيلة اى راجحة على الاعمال التى لا وزن لها ولا قدر او تكون خفيفة مرجوحة بان لا يوجد لها عمل صالح او يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه فسكن المكلف على الاول هو الجنة وعلى الثانى هو الهاوية وقيل الموازين جمع ميزان وهو ميزان واحد له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين وذكره بلفظ الجمع مع انه ميزان واحد تعظيم له الا انه لا وجه لان يراد بثقل الميزان وخفته ثقل احد كفتيه بالنسبة الى الاخرى وخفتها بالنسبة اليها مطلقا لان ثقل احد الكفتين على الاطلاق مستلزم لخفة الاخرى بالنسبة اليها وغير قسيم لها الا ان يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بان لا يكون فيها عمل صالح ولا يخفى ان جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن ثقل كفة الحسنة وخفتها فى قوة ان تجعل الموازين جمع موزون وان يكون ثقل الموازين عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات فلذلك لم يلتفت المصنف الى ان يكون الموازين جمع ميزان ذكر الامام فى الكبير ان المتكلمين قالوا ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو فى عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من اهل النار او تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق الى هنا كلامهم وقال بعض العلماء لا توزن اعمال الكافر وانما توزن الاعمال التى بازآئها الحسنات وليس للكافر حسنات لان حسناته محبطة بكفره وقيل قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته قيل قد ذكر الله تعالى من ترجحت حسناته على سيئاته ومن ترجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر من تساوت حسناته مع سيئاته فلعله من اصحاب الاعراف (قوله ذات رضى) بان يرضاها صاحبها او مرضية الاول على ان البناء للنسب والثانى على ان يكون الاسناد مجازيا فان حق الرضى ان يسند الى صاحب العيشة وقد اسند الى نفس العيشة المرضية (قوله فأواه ان النار) على ان الهاوية من اسماء النار وان قوله تعالى فامه هاوية من قبيل التشبيه شبهت النار بالام للعصاة لكونها تؤوى بهم وتضمهم الى نفسها كما تضم الام الاولاد اليها واوانهم يلتجئون اليها (قوله تعالى ماهيه) جملة اسمية سادة مسد مفعول أدراك علقت هى عنها لتضمنها معنى الاستفهام وهيه ضمير الهاوية والاصل هى دخلت الهاء عليها للسكت وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ماهى بغير هاء على الاصل و وقفوا بالهاء فقوله نار خبر مبتدأ محذوف اى هى نار شديدة الحرارة فان بناء حامية للنسبة كبناء تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم اى اشتد حره وتوصيف النار بها فى مقام المبالغة فى بيان هولها يدل على ان سائر النيران بالنسبة اليها ليس فيها شئ من الحرارة * تمت سورة القارعة والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده

(سورة التكاثر مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله واصله الصرف الى اللهو) اراد الذى يدعو اليه اللهو والصرف الى اللهو واللعب لما كان مستلزما للشغل والاغفال عن المهم اطلق الالهاء الذى هو الصرف الى اللهو على الاغفال عن المهم كقول امرئ القيس

وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق اجزآئها وتطايرها فى الجو (فأما من ثقلت موازينه) بان رجحت مقادير انواع حسناته (فهو فى عيشة) فى عيش (راضية) ذات رضى او مرضية (وأما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته (فامه هاوية) فأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال (وما ادراك ماهيه نار حامية) ذات حمى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

(سورة التكاثر مختلف فيها وايها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم) شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل

وألهيتها عن ذى تمائم محول * فان بعلتها معرضة عنه من لوازم كونها منصرفة الى اللهو (قوله التباهى بالكثرة) اى بكثرة الاعداد واعتبار كما يدل عليه سبب النزول فتعريف التكاثر للعهد والمعهود التكاثر فى الامور الدنيوية الفانية فالآية تقريع لهم على سوء فعلهم حيث اشتغلوا بما لا يعنيهم عن امر الدين والآخرة والعمل لها (قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم) اى انتقلتم الى ذكر الاموات والتكاثر بهم يعنى ان قوله تعالى حتى زرتم غاية لقوله ألهاكم وانه عطف عليه اى شغلكم التباهى والتفاخر بكثرة الاعوان حتى انتقلتم الى ذكر الاموات بعد ان استقصيتم فى ذكر الاحياء شبه الانتقال الى ذكر الموتى بزيارة القبور فعبر بها عنه تهكما بهم فان التفاخر بالمواضع التى تدفن فيها الاموات غاية الجهالة لان من فنى وصار بحيث يعبر عنه بالمقبرة كيف يصلح لان يفتخر به و فى هذا التعبير ايضا تعريض لهم بانهم عكسوا الامر من حيث ان المقصود من زيارة المقابر تذكر الموت والاعراض عن الدنيا و المباهاة بها فمن توسل بزيارتها الى المباهاة بالدنيا فقد عكس الامر وتردى فى وادى الجهالة والضلالة (قوله فكثرهم بنوا عبد مناف) اى غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اى غلبناهم بالكثرة على ما ذكر فى باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة فى فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر و يذكرونه بعد فاعل مسندا الى الغالب فيه نحو كارمنى زيد فكرمته اى غالبنى فى الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم فلما غلب بنوا عبد مناف على بنى سهم بالكثرة قال بنوا سهم ان البغى أهلكنا اى ان بغى الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا ذلك فزاد بنوا سهم فنزلت الآية والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بضم الباء وفتحها والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت اقبره واقبره قبرا اى دفنته فى المقبرة واقبرته اى امرت بان يقبر (قوله وانما حذف الملهى عنه) ضمير عنه راجع الى الالف واللام فى الملهى والمعنى وانما حذف الذى ألهى عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان حذف الشئ قد يجعل ذريعة الى تعظيمه فان الحذف بمنزلة التنكير من حيث ان كل واحد منهما يفيد الابهام فكما ان التنكير يفيد التعظيم فكذا ما هو بمنزلته فكأنه قيل ألهاكم التكاثر عن امر عظيم وهو ما يعنيكم من امر الدين والعلة الثانية المبالغة فى التعرض لكل ما حقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يناسب المقام مثل ألهاكم التكاثر عن الايمان بالله تعالى و برسوله و بجميع ما جاء به من عند ربه وعن الطاعة التى يقتضيها الايمان (قوله وقيل معناه) اى قيل ليس المراد التكاثر التكاثر بالقبائل و الاعوان و لا بزيارة القبور الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات بل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبر فيقال لمن مات زار قبره فكأنه قيل شغلكم التفاخر بكثرة الاموال والاولاد حتى ادرككم الموت وانتم على ذلك واقائل ان يقول انها نزلت فى اليهود حين قالوا نحن اكثر من بنى فلان و بنوا فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك عن الايمان حتى ماتوا على الضلال وقرأ ابن عباس ءألهاكم التكاثر ويجوز ان يكون الاستفهام للتقرير وان يكون للتقريع (قوله كلا ردع) اى عما اشتغلوا به من التكاثر اى ليس الامر كما تتوهمون من ان السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والاموال والاولاد فان من مات وحده و بعث وحده وحوسب وحده لا يكون سعيه للدنيا و بالا وحسرة عليه (قوله تكرير للتأكيد) اى لتكرير الردع والانذار المذكورين فهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثانى لما كان اشد من الاول والغ جيئ بينهما بكلمة ثم (قوله اوالاول عند الموت) فى وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او فى القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون والظروف المذكورة فى هذا الاحتمال متعلقة بقوله سوف تعلمون كما ان قوله اذا عاينتم فى الاحتمال الاول متعلق به فيكون كل واحد منهما تأسيسا على حدة لا تكريرا للتأكيد لان كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان ثم انه تعالى كرر الردع فقال كلا لو تعلمون وتعلمون فى المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون اشار اليه المصنف بان قدر له مفعولا واحدا وهو قوله خطأ رأيكم وقوله ما بين ايديكم (قوله علم الامر اليقين الخ) يعنى ان علم منصوب بنزع الخافض وان اليقين بمعنى الامر المتيقن به وصف الامر المذكور بانه اليقين للمبالغة فى كونه متيقنا به وقيل علم منصوب على المصدرية والاصل لو تعلمون علما يقينا فاضيف الموصوف الى صفته كما فى قوله تعالى ولدار الآخرة خير وسجد

(التكاثر) التباهى بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان عبد مناف و بنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنوا عبد مناف فقال بنوا سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوا سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو الدار تجافوا و ينتبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره اولفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم

الجامع وعلم اليقين ادراك الامر على ماهو عليه وعين اليقين مشاهدته كما هو وحق اليقين الفناء فى الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لاعلما فقط واتفقوا على ان جواب لو محذوف اى لو تعلمون مابين أيديكم من الامر كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره لا التفاخر بكثرة العدد والاموال والاولاد لكنكم لاتعلمون ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيؤ له بالطاعة فحذف الجواب للتفخيم فان الوهم حينئذ يذهب كل مذهب فيكون التهويل اعظم كأنه قيل لو علمتم علم اليقين لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة (قوله لانه محقق الوقوع) فان قوله لترون الجحيم لو كان جوابا له لوجب ان لايحصل لهم رؤية الجحيم وذلك باطل وذلك لان جواب لو اذا كان مثبتا يكون معنى الكلام انتفاءه لانتفاء الاول بناء على مااشتهر من ان لو تفيد امتناع الثانى لامتناع الاول وقوله تعالى لترون الجحيم مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لاترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح ومما يدل على ان قوله تعالى لترون الجحيم لايصح ان يكون جواب لو أن قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف على قوله لترون وهو اخبار عن امر كائن لامحالة ولايخفى ان عطف ماهو كائن لامحالة على مالايقع ولايوجد قبيح فى النظم ولما لم يجز كونه جواب لو تعين كونه جواب قسم محذوف اوعدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين ايديهم من الامر فاللام فى لترون لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد المدلول عليه بقوله سوف تعلمون أبهم الوعيد اولا ثم فصله بقوله والله لترون الجحيم لما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من التفخيم والتعظيم (قوله تكرير للتأكيد) اى لتأكيد الوعيد بعد توكيده بالقسم ونون التوكيد للدلالة على ان تلك الرؤية واقعة لامحالة شاؤا أو أبوا ويجوز ان لايكون تكريرا للاولى بل تكون كل واحدة منهما للتأسيس رؤية غير الاخرى بان يراد بالاولى رؤيتها من مكان بعيد فان الغاوين يرونها وهم فى الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى قيل انهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام والرؤية الثانية اذا اوردوها وشاهدوا ما فيها من الاهوال التى كانت من بعيد كرؤيتها ببعض خواصها واحوالها مثل لهبها ودخانها ولما كانت الثانية اجلى واكشف من الاولى قيل ثم لترونها عين اليقين وهو الادراك بمشاهدة الشئ كما هو وجاز ان تكون مغايرة الرؤيتين بان يكون المراد بالاولى رؤية القلب وهى المعرفة وبالثانية الابصار وهذه المعرفة لاتحصل لمن ألهاه التكاثر عن النظر فى امر دينه واحوال معاده الا عند الموت وفى القبر وعند البعث قبل ان يبصروها او يشاهدوها (قوله اى الرؤية التى هى نفس اليقين) اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة مصدر لترونها اى لترونها رؤية هى عين اليقين وصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة (قوله الذى ألهاكم) اشارة الى ان تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من ألهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق وخص النعيم بما يشغل صاحبه عن اداء شكره وطاعته بشهادة القرينة فان ماسبق من الخطاب كله لمن ألهاه دنياه عن دينه وذلك يدل على كون هذا الخطاب ايضا مخصوصا به وذلك يقتضى ان يكون النعيم الذى يسأل عنه انه هل ادى شكره بان تقوى به على طاعة المنعم او كفر به بان قصر همه على ان يأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب ولايلتفت الى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية فيكون مخصوصا بالنعيم الذى ضيع شكره وانتفع به كما تنتفع الانعام بشهادة النصوص الدالة على ارادة الخصوص منها ماروى ان ابابكر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يارسول الله ارأيت اكلة اكلتها معك فى بيت ابى الهيثم الانصارى من خبز شعير ولحم ضأن وبسر قد اذيب فى ماء عذب أتكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازى الا الكفور وقال الحسن لايسأل عن النعيم الا اهل النار فان الحكمة الالهية تقتضى ان يسأل كل من ألهاه دنياه عن دينه عن شكر ما كان فيه من الخير والنعمة ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له ان الذى ظنه سببا لسعادته هو الذى كان من اعظم اسباب الشقاوة له فى الآخرة ووجه الاستدلال على التخصيص بنحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق انه لايليق بكرم الله تعالى ان ينعم على عبده الشاكر ثم يسأله اذ لا وجه لسؤال التوبيخ من حيث ان العبد اطاع ربه فيما انعم عليه ولا لسؤال الامتنان لان من ادخل احدا بيته واطعمه وسقاه لايمن عليه بذلك فكيف يليق بكرمه تعالى ان يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمن عليه ويسأله عن شكر نعمته (قوله وقيل يعمان) اى يعم كل واحد من الخطاب والنعيم فيسأل كل واحد عن كل ماانعم الله تعالى به عليه انه هل شكر او كفر لقوله عليه الصلاة والسلام اول مايسأل العبد يوم القيامة عن النعيم ان يقال له ألم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد وقوله عليه الصلاة والسلام

ولايجوز ان يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ماانذرهم منه بعد ابهامه تفخيما (ثم لترونها) تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا اوردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كأنما قرأ الف آية

لا تزال قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به وكل ما وصل منه تعالى الى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام وروى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة الى المسجد فى ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها احد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضى الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام ما اخرجك يا ابابكر قال الجوع قال والله ما اخرجنى الا الذى اخرجك ثم دخل عمر رضى الله عنه فانطلقوا الى منزل ابى الهيثم الانصارى رضى الله تعالى عنه فدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب احد فانصرف عليه السلام فخرجت امرأته تصيح كنا نسمع صوتك يارسول الله لكن اردنا ان تزيد من سلامك فقال به خيرا ثم قالت بابى انت وامى ان اباالهيثم خرج يستقى لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع ابو الهيثم بقربة من ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وامه ثم انطلق بهم الى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فقال عليه الصلاة والسلام أفلا نقيت لنا من رطبه فقال يارسول الله انى اردت ان تجزوا من رطبه و بسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال عليه الصلاة والسلام هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة اكل شهى ورطب طيب وماء بارد وقال الامام واعلم ان الاولى ان يقال السؤال يعم المؤمن والكافر ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر واطاع واختلفوا فى ان السؤال عن النعيم اين يكون والمختار انه يكون فى موقف الحساب فان قيل كيف يستقيم ان يكون فى موقف الحساب وقد اخبر الله تعالى ان هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم حيث قال ثم لتسألن وظاهر ان موقف الحساب متقدم على مشاهدة جهنم حيث قلنا كلمة ثم فيه ليست لتراخى زمان السؤال عن سؤال مشاهدة الجحيم بل هى للترتيب فى الاخبار كانه قيل ثم اخبركم انكم لتسألن يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل ان السؤال عن النعيم يكون اذا دخلوا النار فانهم حينئذ يسألون عن النعيم توبيخا لهم ليضطروا الى الاعتراف بالتقصير فى شكره فيقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم اشتغلتم فى الدنيا بالتنعم عن العمل الذى ينجيكم من النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والفائزين بالدرجات فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فبقيتم فى عذاب الهون والله اعلم

(سورة العصر مكية وآيها ثلاث)
بسم الله الرحمن الرحيم
(والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها

(سورة العصر مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اقسم بصلاة العصر لفضلها) اطلق العصر واراد ما يقع فيه من الصلاة وهو كثير فانه يقال اذن للعصر اى لصلاة العصر وصليت العصر اى صلاته ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام الوسطى صلاة العصر فثبت انها افضل الصلاة لان تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى حافظوا على الصلوات يدل على فضلها الا انه المقصود من التخصيص بعد التعميم وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله قال الجوهرى الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه قال الخطابى وتر اى نقص وسلب فبقى وترا فردا بلا اهل ومال والمراد فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله و يروى بنصب الاهل ورفعه فمن نصبه جعله مفعولا ثانيا لوتر واضمر فيه مفعول ما لم يسم فاعله عائدا الى الذى فاتته الصلاة ومن رفعه لم يضمر واقام الاهل مقام ما لم يسم فاعله لانهم المصابون المأخوذون فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ومن رده الى الاهل والمال رفعهما وروى ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث فقالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فولدت ولدا من الزنى فألقيت الولد فى دن من خل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه الصلاة والسلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر وفيه تفخيم بليغ لشأن هذه الصلاة ومما يدل على فضلها ان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فلما كان ذلك وقت تجارتهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم كان أداء

صلاة العصر اشق عليهم وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وفى الحديث من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه (قوله او بعصر النبوة) وهو من زمان بعثته عليه الصلاة والسلام الى انقراضه في آخر الزمان ومن ذهب الى هذا القول احتج عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال وهل نقصت من اجركم شيأ قالوا لا فقال هذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر كما دل على ان العصر هو الزمان المختص به عليه الصلاة والسلام وبامته فلا جرم اقسم الله تعالى به ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذى هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف (قوله او بالدهر) اطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر كثير شائع ويجوز ان يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على انواع العجائب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات ومن جملة ما فيه من العجائب ان بقية عمر المرء لا قيمة له فانه او ضيع ألف سنة ثم تاب واناب اليه ثم توفى فى اللحظة الاخيرة من العمر بقى فى الجنة ابد الآباد فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللحظة بالنسبة الى كل احد من اشرف الاشياء واجل النعم فجاز ان يقسم به لشرفه نقلست كه پيش شقيق بلخى پيرى آمد وكفت بسيار معصيتها كردم اكنون آمدم كه توبه كنم شقيق كفت كه دير آمدى دير آمدى وپير كفت زود آمدم زود آمدم شقيق كفت چكونه پير كفت هر كه پيش از مرك آيد زود آمده باشد شقيق كفت زود آمدى ونيك كفتى فقد ثبت بهذه الرواية ايضا ان اللحظة الباقية من عمر المرء اجل النعم لمن تاب فيها (قوله والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران) اى وللتعريض بنفى ما ينسبون اليه من الآفات مثل قولهم وما يهلكنا الا الدهر ووجه التعريض بالنفى المذكور ان الاقسام بالشيء اعظام له وما يضاف اليه الخسران ويكون من شأنه ذلك لا يعظم عادة ولانه لو نسب اليه شيء الحوادث كما زعم الدهرية لكان شريكا له تعالى ومبغوضا عنده فلا يقسم به والخسر والخسران بمعنى واحد كالكفر والكفران ومعناهما النقصان وذهاب رأس مال الانسان وهو نفسه وعمره فهو فى جميع سعيه وصرفه عمره فى اشغاله مهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل بطاعة ربه فانه غير مضيع نفسه التى هى رأس ماله بل اكتسب بها سعادة الابد وربح فى تجارته حيث ظفر بالشرف الباقى بمقابلة الخسيس الفانى (قوله والتعريف للجنس) بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق (قوله والتنكير للتعظيم) اى انى خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله عز وجل وعظم الذنب اما لعظم من فى حقه الذنب او لانه فى مقابلة النعم العظيمة وكل واحد من الوجهين حاصل فى ذنب العبد ومعصية ربه فلا جرم كان ذلك الذنب فى غاية العظم (قوله وهذا من عطف الخاص على العام) اى عطف التواصى بالامرين على العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما يتعلق بتكميل غيره من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة فى بيان فضله وشرفه من حيث ان عطفه عليه يؤذن بكونه امرا مغايرا له غير مندرج تحته كما عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام لذلك (قوله ولعله سبحانه الخ) جواب عما يقال ما الحكمة فى انه تعالى ذكر الحكم فى جانب الخسر ولم يذكر السبب وذكر فى جانب الربح السبب وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصى بالامرين ولم يذكر الحكم وهو الربح واجاب عنه بان المقصود من انزال القرآن بيان اسباب سعادة الانسان وما يؤديه الى مرضاة الرحمن فاقتصر على بيان المقصود وساق بيانه على وجه علم منه اسباب الخسران حيث سجل على ان من لم يباشر هذه الامور الاربعة فهو فى خسران وايضا تعداد مثالب القاصرين ليس من دأب الكريم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران تمت سورة العصر والحمد لله رب العالمين

(سورة الهمزة مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى ويل) هى كلمة تهديد ووعيد وقيل هو اسم واد فى جهنم واللمز العيب واصله الاشارة بالعين وغيرها

او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الانسان لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) بالثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

(سورة الهمزة مكية وآيها تسع)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل لكل همزة لمزة)

الهمز الكسر كالهزم و اللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم و بناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم و نزولها في الاخنس ابن شريف فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذي جمع مالا) بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل اوعده مرة بعد اخرى و يؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام (يحسب ان ماله اخلده) تركه خالدا في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود اوحب المال اغفله عن الموت اوطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة (كلا) ردع له على حسبانه (لينبذن) اي ليطرحن (في الحطمة) في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها (وما ادراك ما الحطمة) ما النار التي لها هذه الخاصية

يقال لمز يلمز بضم العين وكسرها من المضارع وقرئ بهما قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لمز ولمزة اي عياب والهمزة مثل اللمزة والهماز والهمز العياب والهمز مثل اللهز الطعن يقال همزه بالرمح طعنه في صدره ولهز الفصيل امه اذا ضرب برأسه عند الرضاع والهمز الكسر كالهزم والكسر يقال تهزم السقاء اذا يبس وتكسر وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا كذا في الصحاح والمفسرين الفاظ في تفسير اللفظين قال ابن عباس رضي الله عنهما الهمزة المغتاب واللمزة العياب وقيل الهمز الطعن باليد واللمز باللسان وقيل الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقيل الهمز ما يكون جهرا واللمز ما يكون سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رضي الله عنهما من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله تعالى بالويل فقال هم المشاؤون بالغيبة والنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للناس بالعيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب فما ذكره المصنف خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة واتى بهما للمبالغة في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال رجل همزة لمزة كما يقال امرأة همزة لمزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين للمبالغة في الفاعل اي للمكثر المتعود لاخذ الاشتقاق وان اسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه و يقال ضحكة بالسكون اذا كان الناس يضحكون منه بان يكون مسخرة لهم فمفتوح العين هو الذي يفعل بغيره وساكن العين هو الذي يفعل به غيره (قوله بدل من كل) اي ويل للذي جمع او منصوب باضمار اعني او مرفوع بتقدير هو الذي جمع وعلى التقادير هو وصف معنوي لكل من وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه لما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا نحويا لكل لانه نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا يصح توصيفها بالموصولات (قوله وجعله عدة) وهو الذخيرة المعدة لحوادث الدهر كالمال والسلاح يقال اعددت الشئ لكذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخيرة (قوله او عده مرة بعد اخرى) على ان يكون عدد من العدد بمعنى الاحصاء الا انه نقل الى بناء فعل لتكثير الفعل كما في جمع على قراءة التشديد فانه يدل على كثرة الجمع وتكرره بأن جمع من ههنا وههنا في ازمنة متعددة متطاولة و يؤيد كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد بمعنى الاحصاء قراءة من قرأ وعدده بالتخفيف باضافة لفظ العدد الى ضمير المال ونصبه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذي جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكناية عن كثرته وقيل قوله وعدده بفك الادغام فعل اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعده فيكون معطوفا على جمع وعلى التقديرين تؤيد هذه القراءة كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد لا من العدة (قوله تركه خالدا في الدنيا) يعني ان قوله تعالى اخلده ليس بمعنى يخلده كما قيل انه من قبيل قولهم دخل فلان النار اذا اتى معصية والمعنى سيدخلها وهلك فلان اذا احدث به سبب الهلاك من غير ان يقع هلاكه بل لفظ اخلده هنا على اصل معناه و يحسب يحتمل ان يكون حالا من المنوي في جمع وان يكون مستأنفا لبيان سبب اهتمامه بجمع المال وعده كأنه قيل ما باله يجمع المال و يهتم به و يترك سبب الاستعداد لما بعد الموت فقيل انه لزعمه ان بقاء الحياة والسلامة من الامراض والآفات يدور على مراعاة الاسباب الظاهرة والتشبث بها يحسب حقيقة ان المال سبب خلوده في الدنيا وانه الذي تركه خالدا فيها زاعما انه كلما تأتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فاحبه كما يحب مسببه الذي هو الخلود في الدنيا فاحب ان على هذا حقيقة ثم اشار الى جواز ان يكون قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده من قبيل الاستعارة التمثيلية بان لا يكون الكلام فيمن يحسب حقيقة ان المال مخلد بل يكون فيمن يكون حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدا فقال اوحب المال اغفله الخ وتلك الحالة الشبيهة اما الغفلة عن الموت وعما بعده من قوارع الآخرة اوطول الامل المسببان عن حب المال والاشتغال بجمعه وضبط عدده فان كل واحدة من تينك الحالتين شبيهة بحال من يحسب ان المال مخلده فيعمل عمل من لا يظن الموت (قوله وفيه تعريض) اي وفي قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بان المخلد في النعيم المقيم هو السعي للآخرة لانه قد تقرر انه ليس للانسان الا ما سعى وذا كان حب الدنيا والاهتمام بها مؤديا الى الويل والهلاك تعين ان المخلد في الحياة الابدية والنعيم المقيم هو السعي للآخرة (قوله التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها) اي تكسره وتأكله ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وفي الحديث شر الرعاء الحطمة وهو الذي من عادته ان يضرب

و يكسر وقد مر ان صيغة فعلة بفتح العين لمبالغة الفاعل جوزى الهمزة اللمزة بان يلقى فى الحطمة جزاء وفاقا فكما ان من شان المطروح وعادته الطعن فى الاعراض فكذا من شأن المطروح فيه ان يحطم ويكسر كل ما يطرح فيه (قوله وما اوقده لايمكن غيره ان يطفئه) يعنى ان اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها تتقد ابدا وليست كسائر النار تتقد تارة وتخمد اخرى (قوله من اوصدت الباب) قد مر فى سورة البلد ان آصدتها واوصدتها لغتان بمعنى اطبقتها واغلقتها وان الاول افعل من مهموز الفاء مثل آمن والثانى افعل من معتل الفاء مثل اوعد يوعد وكونها مطبقة عليهم كونهم بحيث لافرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح و يخفف عنهم كرب (قوله تحن) اى تشتاق والاجبال جمع جبل وموصدة اى مطبقة مغلقة (قوله اى موثقين فى اعمدة) يعنى ان قوله تعالى فى عمد فى محل النصب على انه حال من الضمير المجرور فى عليهم اى ان الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين فى اعمدة والعمد بفتحتين جمع كثرة لعمود البيت وكذا عمد بضمتين فانه ايضا جمع عمود كرسول ورسل و يجوز ان يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب وجمع القلة اعمدة والمقاطر جمع مقطرة وهى خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين يقال لها بالفارسية كنده و بالتركى طمرق (قوله يقطر فيها اللصوص) اى يجعلون فيها قطارا كقطار الابل تمت سورة الهمزة والحمد لله رب العالمين

(سورة الفيل مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل ولد عليه الصلاة والسلام بعد يوم الفيل بخمسين يوما والاكثرون على ان عام الفيل هو العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهو عليه الصلاة والسلام وان لم يشهد تلك الواقعة) جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل فى الرؤية ان تكون بصرية وان يكون الاستفهام للتقرير فيكون المعنى قد رأيت وشاهدت مع انه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده وتقرير جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهى العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا فى القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا علم ضرورى لان طريق العلم بها الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لاسيما وقد أيدت تلك الاخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه رأى من الحجارة التى اهلك الله بها اصحاب الفيل عند ام هانئ نحو قفيز منها وهى مخططة بحمرة كالجزع الظفارى وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وكان عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وابو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة الاشرم حين رماهم الطير بالحجارة ثم لكوا فقال عبد المطلب احد احد صار القوم بحيث لايسمع لهم ركز فانزلا من الجبل فدخلا العسكر واذاهم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك الواقعة التى شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضرورى بما يؤدى الى العيان فكانه تعالى قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواتر المؤيدة بمشاهدة الآثار علما يوازى العيان فى الايقان (قوله لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة الخ) يعنى ان الاشياء لها ذوات ولها ماهيات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثانية والمقصود فى هذا المقام ليس نفس تذكير ما فعل بهم من الاهلاك لانه باعتبار نفسه لايدل على كمال علمه تعالى وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله وانما يدل عليه باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات على ما يدل على نفس الذوات (قوله فانها من الارهاصات) بيان لوجه دلالتها على شرف نبيه عليه الصلاة والسلام والارهاصات هى الخارقة للعادة الجارية على يدى قبل بعثته وقبل التحدى مأخوذ من الرهص بكسر الراء وهو الصف الاسفل من احجار الحائط فانه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا للنبوة وتقدمة عليها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودعوى النبوة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الشرك وعبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره من الرجس والاوثان ويدعو الناس الى عبادة الرحمن لان تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك والعصيان بل لكونه بناء خليل الرحمن بناه لتأتى اليه الناس افواجا من كل فج عميق طائفين

(نار الله) تفسيرها (الموقدة) التى اوقدها الله وما اوقده لايقدر غيره ان يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلوا وساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البطن واشده تألما ولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم مؤصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا أطبقته قال

تحن الى اجبال مكة ناقتى
ومن دونها ابواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهمزة (فى عمد ممددة) اى موثقين فى أعمدة ممدودة مثل المقاطر التى يقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائى بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

(سورة الفيل مكية وهى خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها ولذا قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام

وعاكفين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين وقد جعله الله تعالى في علمه الازلي مولد سيد المرسلين ومسكنه الى ان هاجر منه بامر رب العالمين ومهبط ما يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيامة فكان لذلك عتيقا عن استعلاء الظلمة عليه وتخريبهم اياه فكان اهلاك اصحاب الفيل من جملة الارهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه الصلاة والسلام فان ابرهة لو سلط على مكة وسبى اهلها وقتلهم وخرب ما فيها من البيت لاختل ما قدره الله تعالى من الامور المتعلقة بها * والشرم الشق يقال شرمه اى شقه وسمى ابرهة بن الصباح اشرم لانه كان مشقوق الانف والشفة وسببه ان اباه ضربه بحربة فهشم انفه وجبينه او سببه ان ارباطا ضربه بالسيف فشرم انفه وشفته فجاء غلام ابرهة من خلفه فقتله - واصحمة اسم النجاشي ملك الحبشة وكان اصحمة قد لبث فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة ابن الصباح فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع ارباط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارباطا واجتمعت الحبشة من اعوان ارباط لابرهة وغلب على اليمن كلها واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أوان الموسم الى مكة لحج البيت الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم ير مثلها وسماها القليس واراد أن يصرف اليها حاج العرب ووجوههم فسمع بها رجل من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها الى ان قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على هذا فقيل لعل ذلك فعل رجل من اهل مكة سمع بالذي قلت في حق البيت الذي يعظمونه فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن الكعبة وقيل أججت اى اشعلت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخر وقيل اثناعشر وقيل الف فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة بينه و بين مكة ميل خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ اى هيأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن والى سائر الجهات هرول اى اسرع في المشي ثم ان ابرهة كان قد اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في حق تلك المائتين من العير فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال له ابرهة سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود اخذ منك فقال انا رب الابل وللبيت رب يمنعه وامر قريشا ان يتفرقوا في الجبال والشعاب تخوفا عليهم من مضرة الجيش ففعلوا ثم خرج من عنده واتى البيت واخذ بحلقته وجعل يقول

يارب لاارجو لهم سواكا ٭ يارب فامنع عنهم حماكا
ان عدو البيت قد عاداكا ٭ فامنعهم ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو واذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق وسهل ودوى ابرهة اى اصابه داء ومرض فتساقطت انامله ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه اى انشق صدره وخرج قلبه منه وانفلت وزيره ابو مكتوم وطائر يحلق خلفه فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ارى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك قومه عيانا كما سمع اخبارا (قوله وقرئ الم تر) اى بسكون الرآء جدا في اظهار اثر الجازم فان سقوط الالف يكفي في ظهور اثره واسكان الرآء بعد سقوط الالف جدا في اظهار اثر الجازم وهذا الجد انما يليق بالشعر وكلام من احوجته الضرورة الى العدول عن العبارة الفصيحة ولا يليق بفصاحة القرآن وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله تر لان كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فانهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادة صرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بابقاء الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلله بارسال الطير عليهم فان قيل انما سماه كيدا وهو كان لا يخفى ما اراده من المضرة بالبيت بل كان يصرح بانه انما يريد هدم البيت وتخريبه فالجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واضراره انتقاما ممن قعد في كنيسته الا ان الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة الى نفسه والى كنيسته

وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن اوالى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل طير في منقاره حجر و في رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) في تعطيل الكعبة وتخريبها (في تضليل) في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها

وبلده فكان هدمه كيدا في حق العرب (قوله تعالى وارسل) عطف على قوله ألم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة لطيرا اي جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج يتبع بعضها بعضا قيل ابابيل جمع لا واحد له يقال جاءا بلك ابابيل اي فرقا وترميهم صفة اخرى لطيرا او حال منها لانها قد تخصصت بالصفة والطير اسم جنس اطلق ههنا على آحاد الجنس وجماعة من قرأ ترميهم بالتاء نظر الى كونه بمعنى الجماعة ومن قرأ بالياء نظر الى انه اسم جمع مذكر وانما يؤنث لكونه في تأويل الجماعة او اعتبر كون الفعل مسندا الى ضميره تعالى اي يرميهم الله (قوله معرب سنك كل) ذكر في بيان اخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سنج وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اي ترميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين والثاني انه من السجل وهو الدلو الكبير الذي فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا فاسجيل اي صببته بالدلو فانصب وقوله تعالى حجارة من سجيل اي حجارة كائنة مما صبه الله تعالى من خزائن قهره والثالث انه من الاسجال اي الارسال يقال اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلتها معها وهذا اجل مسجل اي مطلق مرسل والمعنى ان تلك الحجارة مما ارسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالارسال كما في قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله تعالى وارسلنا عليهم الطوفان والرابع انه مأخوذ من السجل الذي هو الكتاب اخذ منه لفظ سجيل وجعل علما للديوان الذي كتب فيه اعمالهم فكأنه قيل بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب في الكتاب المسمى سجيل (قوله كورق زرع) كما نقل عن الفراء انه قال العصف بقل الزرع وكونه مأكولا عبارة عن ان يقع فيه اكال فيفنيه ويخرجه عن ان ينتفع به شبه به اصحاب الفيل من حيث انهم فنوا وضاعوا او من حيث ان الحجارة التي ارسلت عليهم خرقتهم واحدثت فيهم منافذ وشقوقا كالزرع الذي اكله الدود وعبارة عن ان يؤكل حبه ويبقى تبنه فالمعنى جعلهم كعصف مأكول الحب كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على ظهور المراد شبهوا بزرع اكل حبه في ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم (قوله او كتبن) عطف على قوله كورق زرع اي ويجوز ان يراد بالعصف التبن من حيث انه تعصف به الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب من قولهم الحرب تعصف بالقوم اي تذهب بالقوم وتهلكهم وناقة عصوف اي سريعة السير تعصف براكبها فتمضي به ويكون المراد التبن المأكول حينئذ التبن الذي اكله الدواب ثم ألقته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه به القوم في تقطع اوصالهم وتفرق اجزائهم وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم اهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يجدي حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم رعاية للادب واستهجانا لذكره كما عبر بقوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم اكل الطعام من البول والتغوط لذلك روي انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش في اعين الناس وقالوا هم اهل الله تعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤونة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم ^ تمت سورة الفيل والحمد لله على كل حال

(سورة القريش مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قريش قبيلة وابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشي والقرش دابة تكون في البحر من اعظم دوابه لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته ويطلق القرش ايضا على الكسب وعلى الجمع يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو قارش وقرشهم اي جمعهم وتقرش القوم اي اجتمعوا واختلفوا في سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشا فقيل سموا بتصغير القرش الذي هو دابة عظيمة تكون في البحر روي ان معاوية سأل ابن عباس رضي الله عنه لم سميت قريش قريشا فقال سموا باسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا يعلى عليها اي تشبيها بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر ^ بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ^ فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ^ يأكلون البلاد اكلا كميشا

وارسل عليهم طيرا ابابيل) جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكله الدواب وراثته ^ قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

(سورة قريش مكية وايها اربع)

بسم الله الرحمن الرحيم
(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت

واهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم موا والخموشا

فتصغير قريش للتعظيم كما في قول الحباب بن المنذر * انا جذيلها المحكك * وعذيقها المرجب * يصف نفسه بالحذاقة في الامور بحيث يرجع اليه في معضلات الامور والجذيل تصغير جذل وهو اصل حطب عظيم ينصب في المعاطن لتحتك به الابل الجرباء والعذيق تصغير العذق بالفتح وهو النخلة ذات الحمل والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تنكسر اغصانها وربما يبنى لها جدار تعتمد عليه لضعفها وقيل سميت قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر كقولهم حريث في تصغير حارث وقيل انه مأخوذ من القرش بمعنى الجمع فانهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا لهم فسموا قريشا لذلك اي لتجمعهم في الحرم وسمي قصي مجمعا شعر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقرأ ابن عامر لئلاف قريش بغير ياء قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم واختلاف القراء في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خط دليل على انهم انما يتبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط والرسم اما قراءة ابن عامر ففيها وجهان الاول انه مصدر الف الثلاثي يقال ألفته الافا نحو كتبته كتابا ويقال الفت الشيء الافا وألفا وقد جمع الشاعر بينهما في قوله

زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف

والثاني انه مصدر آلف رباعيا نحو قاتل قتالا فمعنى الاف قريش الفة قريش رحلة الشتاء واما على قراءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعي ثم قيل الايلاف هو الالف بناء على ان اهل اللغة قالوا ألفت الشيء وآلفته ألفا وايلافا بمعنى واحد اي لزمته ودمت عليه فمعنى الآية لالف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم اياهما وثباتهم عليهما بحيث اذا فرغوا من احداهما اخذوا في الاخرى وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان تكون اللام في قوله تعالى لايلاف متعلقة بما قبلها والتقدير فعل ربك باصحاب الفيل ما فعل من تضليل كيدهم وتضييعه وارسال الطير الابابيل عليهم وجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش بالرحلتين وبقائهم عليهما فانه لو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة وتخريبها لما امكن لهم ان يثبتوا على ما الفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما انتظام امر معاشهم فان اهل مكة ليس لهم زرع ولا ضرع فليس لهم طريق معاش سوى التجارة وانها انما تتأتى لهم بسبب ان ملوك تلك النواحي كانوا يعظمونهم ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه فكانوا بذلك آمنين في اسفارهم لا يتخطفون ولا يتعرض لهم في نفوسهم ولا في اموالهم فلو لم يفعل الله تعالى باصحاب الفيل ما فعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن اهل مكة هذا العز والشرف وانقطع عنهم تعظيم الملوك واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يتخطفون من كل جانب بسلب اموالهم وقتل نفوسهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل ازداد رفع قدر اهل مكة وهيبتهم في القلوب فاستمروا وداموا على ما ألفوه من رحلتهم في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام والظاهر ان الايلاف ليس بمعنى الالف بل همزة آلف انما زيدت لتعدية الفعل منه الى المفعولين والاصل ألفت الشيء وآلفته غيري بمعنى لزمته والزمته غيري كأنه تعالى قال فعلنا ذلك باصحاب الفيل لنؤلف قريشا رحلتيها ولنبقيهم على ما ألفوه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان السبب في الفهم بالرحلتين ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله تعالى واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام رطبة باردة ليتجروا فيما لهم من التجارات فما ربح الغني منهم قسمه بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش حتى قيل فيهم

الحافظون فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي

(قوله تعالى ايلافهم) بدل من الاول وانتصاب رحلة على انه مفعول به للمصدر كما نصب يتيما بقوله او اطعام فيكون الايلاف مصدرا من المبني للمفعول مضافا الى مفعوله الاول واطلق عن مفعوله الثاني حيث لم يقيد بتعلقه به ثم

جعل المقيد به بدلا من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم النعمة فيه لكونه نعمة عظيمة كما تقول عجبت من احسانك احسانك الى زيد (قوله والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط) جواب عما يقال كون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا يستلزم ان يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له وتقرير الجواب ان قوله فليعبدوا مع ما فى حيزه جواب شرط محذوف غاية ما فى الباب انه قدم عليه معموله لافادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة ولفظا والرحلة بكسر الراء الارتحال و بالضم الجهة التى يرتحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال (قوله فيمتارون) اى يحملون الميرة وهى الطعام (قوله او بمحذوف) اى و يجوز ان لا تكون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا بأن تكون متعلقة بمحذوف مثل اعجبوا قال الامام محيى السنة فى تفسيره حاكيا عن الكسائى والاخفش اللام فى قوله تعالى لايلاف هى لام التعجب كأنه قيل اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فقال فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اى اعجبوا لزيد والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفت بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب الى هنا كلامه ووجه التعجب انه تعالى سهل لهم طريق معاشهم وحفظهم فى اسفارهم الى مواضع تجاراتهم من ان يتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين مع اصرارهم على الشرك وعبادة الاوثان والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى فليعبدوا معطوفا على مقدر اى لينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا (قوله كالتضمين فى الشعر) وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت الذى قبله تعلقا لا يصح المعنى الا به وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لان المعمول يتوقف فى تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به فان قيل تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فان حق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما فى احد السورتين بما فى الاخرى فكيف جاز ان تعلق هذه اللام بما فى السورة المتقدمة قلنا السؤال ساقط على مذهب من يقول انهما سورة واحدة احتجاجا بما روى ان ابى بن كعب جعلهما سورة واحدة فى مصحفه و بما روى ان عمر رضى الله عنه قرأ فى الركعة الاولى من صلاة المغرب بسورة والتين وفى الثانية الم تر ولايلاف قريش من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن الرحيم واما على ماذهب اليه الاكثرون وهو ان تكون كل واحدة منهما سورة منفصلة عن الاخرى فوجه سقوطه على مذهبهم ان تعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافى استقلالها عن الاولى لان القرآن كله كالسورة الواحدة او كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا و يبين بعضها بعضا وقولهم ان ابيا رضى الله عنه لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل بينهما (قوله وقرئ ليألف قريش الفهم) على لفظ امر الغائب باللام (قوله بالرحلتين) اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التى حلتهم هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التى اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهى قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة فقالوا يا محمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على بابها اى اطعمهم من اجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اى اطعمهم بعد الجوع الذى اصابهم عن سيبويه قال الفرق بين عن ومن ان عن تقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضى المنع من مخافة الجوع والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فتكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم من بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم من بدء خوفهم قبل اللحاق

(سورة الماعون مكية وقيل مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله استفهام معناه التعجب) يعنى انه وان كان فى صورة الاستفهام الا انه يقصد به المبالغة فى التعجب يقال أرأيت فلانا ماذا قال ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل عاقل ورأيت هنا يجوز ان تكون من رؤية البصر وان تكون بمعنى عرفت كأنه قيل أبصرت المكذب او أعرفته وان تكون بمعنى العلم فتكون بمعنى اخبرنى فتعدى الى اثنين الاول الموصوف والثانى محذوف قدره

والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون و يتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش و يؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة وقرئ لالاف قريش الافهم وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع) بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * قال عليه السلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

(سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع)

بسم الله الرحمن الرحيم

(أرأيت) استفهام معناه التعجب

الزمخشري من هو وقدره القرطبي أمصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت ياعاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح براهينه أيفعل ذلك لا لغرض فكيف يجترئ العاقل على ان يلقي نفسه في العقوبة الابدية من غير غرض اولاجل الدنيا فكيف يجترئ العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعا في اللذة اليسيرة الفانية (قوله سهل امرها) اى امر هذه القرآءة يعني ان وقوع حرف الاستفهام في اول الكلمة جعل امر حذف همزة سهلا يسيرا مع كونه مخالفا للقياس والاستعمال فان ريت في رأيت لم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان في الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة اول الكلام اوجب ثقل وقوع همزة اخرى بعدها فسهل امر حذفها لذلك ايضا وحذفها في الآية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو قوله

صاح هل ريت اوسمعت براع * ردّ في الضرع ماقرى في العلاب

لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس بهمزة فلو لم تحذف همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية وقوله صاح اصله ياصاحب لحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ماقرى اى ماجمع يقال قريت الماء في الحوض اى جمعت والعلبة مايحلب فيه من جلد اوخشب وجمعه علب وعلاب (قوله بزيادة الكاف) الضمير المرفوع في ارايتك هو التاء والكاف انما زيدت لتدل على احوال المخاطب تقول ارأيتك زيدا وارأيتكما زيدا وارأيتكم زيدا بمعنى اخبر زيدا واخبرا واخبروا (قوله بالجزآء اوالاسلام) فان الدين يستعمل بمعنى الجزآء كما في قوله تعالى مالك يوم الدين و بمعنى الاسلام كما في قوله تعالى ان الدين عندالله الاسلام وتكذيب الاسلام كما يكون بتكذيب الصانع والنبوة والمعاد يكون ايضا بانكار شئ من الشرآئع (قوله والذي يحتمل الجنس) اى جنس من كان مكذبا بالدين اى شخص كان ويحتمل العهد ايضا حتى قيل انها نزلت في ابي سفيان كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقيل نزلت في العاص بن وآئل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة جعل علم تكذيبه بالجزآء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على اطفاء نائرة الجوع عن المحتاجين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل نزلت في ابي جهل روى انه كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت قال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن شماله حربة خفت ان لم اجبه يطعنها في والدع الدفع بعنف وجفوة واذى قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا (قوله ولايحض اهله وغيرهم) يعني ان مفعول يحض محذوف والمعنى انه لايحض نفسه ولايأمر به غيره ولابد ايضا من تقدير المضاف الى طعام اى لايحث غيره على اطعام طعام المسكين لتكذيبه بالدين فانه لواعتقد بالبعث والجزآء لسارع الى مايؤدي الى سعادة الآخرة بمباشرته بنفسه ودلالة غيره عليه واضيف الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وبانه لم يمنع عن المسكين الا ماهو حقه وذلك نهاية البخل وخساسة الطبع فان عدم مواساة الايتام والمساكين وترك قضاء حوآئجهم الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساتهم واعانتهم وان لم يكن في نفسه اثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزآء وتكذيبه من حيث ان السبب في ذلك كله هو التكذيب بالجزآء فلذلك رتب قوله فذلك الذي يدع اليتيم على قوله يكذب بالدين بالفاء السببية للايذان بأن دع اليتيم وعدم حث غيره على قضاء حاجة المضطرين سببه التكذيب بالجزآء وجعل الزمخشري قوله تعالى فذلك جواب شرط محذوف والتقدير ان لم تعلم ذلك الذي يكذب بالدين واردت ان تعرفه فاعلم انه ذلك الذي يكذب بالجزآء وهو الذي يدع اليتيم (قوله يرون الناس اعمالهم) بيان معنى المفاعلة في قوله يرآءون فانه مفاعلة من الارآءة فالمرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب فان قيل ما الفرق بين ان يقال عن صلاتهم و بين ان يقال في صلاتهم وما الحكمة في اختيار العبارة الاولى على الثانية فالجواب ان العبارة الثانية انما تقال اذا كان الانسان شارعا في الصلاة خالصا لوجه الله تعالى ومتذللا بين يديه بالتضرع والابتهال ولكنه يعتريه عن السهو والغفلة في اتيانها بوسوسة الشيطان او بحديث النفس وذلك لايخلو

وقرئ أريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصدره بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف (الذي يكذب بالدين) بالجزآء اوالاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله (فذلك الذي يدع اليتيم) يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه اوابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه اوالوليد بن المغيرة اومنافق بخيل وقرئ يدع اى يترك (ولايحض) اهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزآء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مبالين بها (الذين هم يرآءون) يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) الزكاة اومايتعاور في العادة

عند البشر ومعنى السهو عن الصلاة الغفلة عن اداء الصلاة على هى فيؤدى ذلك الى عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها برعاية شروطها واركانها واوقاتها وسننها وآدابها فيقوم ويخط ولا يدرى ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو فى الصلاة من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من افعال الكافر فانه وان باشرها صورة لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته عن انس رضى الله عنه قال الحمد لله على انه لم يقل فى صلاتهم لان السهو فيها قد يعترى بوسوسة الشيطان وحديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه مسلم وكان عليه الصلاة والسلام يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره (قوله اوللسببية) اى للدلالة على ان ما وصف به المكذب بالدين من دع اليتيم وترك حث غيره على الخير سبب للدعاء عليه بالويل والظاهر على هذا ان يقال فويل لهم الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق وذهب كثير من الصحابة والتابعين الى ان المراد من الماعون فى الآية الزكاة ويؤيده انه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة وماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قرأ سورة الماعون غفر له ان كان للزكاة مؤديا فان كل واحد منهما يدل على ان المراد بالماعون الزكاة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالماعون اسم لما لا يمنع فى العادة ويسأله الغنى والفقير وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانها ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها فى غاية الدناءة ونهاية الخساسة والخباثة ومن اوصاف المنافقين قال الله تعالى فى حقهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قال العلماء ومن الفضائل ان يستكثر الرجل فى منزله ما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على اتخاذ ما يهمه فقط

(سورة الكوثر مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى انا) اصله اننا حذفت احدى النونات كراهة اجتماع الامثال * والانطاء الاعطاء بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمى كل شئ كثير العدد او كثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة فى الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو الخير الكثير (قوله وقيل) يعنى ان المفسرين ذكروا فى تفسير الكوثر اقوالا كثيرة منها ان المراد بالكوثر اولاده عليه الصلاة والسلام ويدل عليه ان هذه السورة نزلت ردا على من قال فى حقه عليه الصلاة والسلام انه ابتر ليس له من يقوم مقامه قال ذلك لما مات ابنه القاسم وعبدالله بمكة وهما ابناه عليه الصلاة والسلام من خديجة رضى الله عنها ومات ابراهيم بالمدينة فوعد الله تعالى فى اول السورة ان يعطيه نسلا يبقون على ممر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم ان العالم ممتلئ منهم والحمد لله ثم قال فى آخر السورة ان شانئك هو الابتر وقيل الكوثر اتباعه واشياعه الى يوم القيامة ولا شك ان له من الاتباع مالا يحصيهم الا الله عز وجل وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمرى الخير الكثير لانهم كانبياء بنى اسرآئيل وانهم يدعون عباد الله الى اتباع ما شرع لهم من اتيان ما يسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الانبياء عليهم السلام روى ان اتباع علماء هذه الامة تكثر على اتباع كثير من الانبياء وقيل انه يجاء يوم القيامة بالرسل والانبياء ويتبعهم اممهم فربما يجيئ الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول صلى الله عليه وسلم فربما يزيد عدد متبعى بعض العلماء على عدد متبعى ألف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر فى الطبقات الحنفية انه روى عن ابى حنيفة رحمه الله ان نقلة مذهبه من الشيوخ واكابر العلماء نحو من اربعة آلاف نفر فضلا عمن اقتدى به واهتدى باتباعه وقس عليه سائر الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين فكل ذلك خير كثير له صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن وفضائله لا تحصى ولعل المصنف انما لم يرض بهذه الاقوال لان الكوثر الذى هو الخير الكثير يتناول جميع ما انعم الله تعالى به عليه عليه الصلاة والسلام وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقى فيجب ابقاؤه على ما يعم خيرى الدنيا والآخرة لان حمله على البعض تخصيص من غير مخصص ثم انه تعالى لما ذكر رسوله وما انعم به عليه من الخير الكثير امره بشكر تلك النعمة العظيمة فقال

والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل اوللسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبى عليه السلام من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

(سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث)

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا اعطيناك) وقرئ انطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن

فصل لربك وانحر بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية اى اذا تقرر عندك ما فضلت به من الكوثر فدم على الصلاة الجامعة لانواع العبادة (قوله خلاف الساهى عنها المرائى فيها) اشارة الى ان قوله تعالى فصل مقابل لقوله فى السورة المتقدمة الذين هم عن صلاتهم ساهون وقوله لربك مقابل لقوله فيها الذين هم يرآؤن (قوله شكر الانعامه) اى لانعامه عليه بقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فكأنه قيل انا اعطيناك الكوثر فدم على الشكر فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وهى ثلاثة الاول الشكر بالقلب وهو ان يعتقد ان تلك النعم منه تعالى انعم بها عليه تفضلا وكرما والثانى الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم ويثنى عليه بما هو اهله والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له بالطرق التى بينها الشارع والصلاة جامعة لهذه الاقسام كلها (قوله خلافا لمن يدعهم) يعنى ان قوله تعالى وانحر مقابل لما ذكر من اوصاف المنافقين بقوله الذى يدع اليتيم ويمنعون الماعون فان ذبح البدن التى هى خيار الاموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم (قوله ان من ابغضك) يعنى ان الشانئ بمعنى المبغض الذى هو ضد المحب يقال شنأته شنأ وشنآنا بفتح النون وسكونها اى ابغضته فالمعنى ان من ابغضك اى من لا يحبك بل يعاديك لمخالفتك له هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكون الشانئ هو الابتر فانه يفيد كون بغضه علة لكونه ابتر اى مقطوع العقب روى ان عاص بن وائل كان يمر بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقول انى لاشنؤك وانك الابتر من الرجال فنزلت تمت سورة الكوثر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الكافرين مكية ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اى المبرئتان من النفاق)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله يعنى كفرة مخصوصين) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سبب نزول هذه السورة ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن واياك فى امرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك واخذنا بحظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا من الذى بيدك كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك فالالف واللام فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاى الا ان ما فيه من التعريف للاشارة الى المعهود بقرينة سبب النزول ولان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون لا يجوز ان يكون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى ولا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان فى الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى فعلمنا بهذه القرينة ان الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق فى علمه تعالى انهم سيموتون او سيقتلون على كفرهم (قوله فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال) لانها لا تدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فانها قد تدخل على الماضى بشرط التكرير نحو قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقد تدخل على الاسم كقوله تعالى ولا انتم عابدون وكذا قوله كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال فان معناه انها اذا دخلت على المضارع يكون المضارع بمعنى الحال فمعنى القرينة الاولى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم لما ذكره من ان المضارع المصدر بكلمة لا يكون للاستقبال ومعنى القرينة الثانية ولا انتم عابدون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى لان اسم الفاعل وان كان صالحا للحال والاستقبال الا انه ههنا للاستقبال لوقوعه فى مقابلة لا اعبد ثم انهم اختلفوا فى ان القرينة الثالثة هل هى تأكيد للاولى اولا وكذا الرابعة هل هى تأكيد للثانية اولا واختار المصنف ان كل قرينة من القرينتين الاخيرتين لافادة معنى على حدة بان جعل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا وحمل القرينة الثالثة على الحال او الماضى فكان المعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه من عبادة الاصنام ولست فى الحال اوفى الماضى بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال لوقوعها فى مقابلة الاولى وحمل القرينة الرابعة على استغراق النفى وشموله

(فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكر الانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من ابغضك لبغضه لك (هو الابتر) الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف - عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

(سورة الكافرين مكية وآيها ست)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل يا ايها الكافرون) يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى فى الحال او فيما سلف (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده

لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخل عليها حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان
ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ اى ويجوز ان تكون القرينة الثالثة تأكيدا للاولى على طريقة ابلغ لان
القرينة الاولى لنفي الاستقبال والثالثة تفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما عرفته فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة
فكانت تأكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان تكون تأكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية
حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفي فتكون ابلغ منها والفائدة على تقدير ان
تحمل القرينتان على التاكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم يموتون على الكفر ولا يسلمون ابدا ويرد
على تجويزه ان يكون قوله تعالى ولا انا عابد محمولا على الماضي كما اشار اليه بقوله اوفيما سلف ان عابدا اسم فاعل
وهو لا يعمل الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال فكيف يصح ان يعمل في قوله ما عبدتم وهو بمعنى الماضي الا
ان يقال اعماله مبني على كونه بمعنى حكاية الحال الماضية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى والله
مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما وهو لا ينافي كون مدلوله واقعا في الماضي في نفس الامر (قوله وهو عليه
الصلاة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى) اى قبل البعثة لان العبادة عبارة عن اعمال الجوارح الواقعة
امتثالا لامر الله تعالى وقصدا لتعظيمه وما وقع منه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة من توحيد الله تعالى وتنزيهه
عن كل ما لا يليق بجناب ذاته ومن مناسك الحج وافعاله على حسب ما تواتر من مشاعر ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وان كان عبادة بمعنى المعرفة والايقان بالحق الا انه ليس بعبادة بالمعنى المذكور لانه يجب كونها مسبوقة بامر
الشارع ومأمورا بها من قبله ولا امر قبل البعثة ولان الشرائع السابقة على شرع بعد عيسى عليه الصلاة والسلام
صارت منسوخة بشريعة عيسى واما شرع بعد عيسى فقد صارت منقطعة بسبب ان الناقلين عندهم النصارى وهم
كفار قبل بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم بسبب قولهم بالتثليث والذين بقوا على التوحيد قلوا غاية القلة وتفرقوا
في البلدان فلم يكن قولهم حجة شرعية فثبت انقطاع شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام فما وقع بعد انقطاعها
لا يكون على طريق الامتثال للشرع فلم يكن عليه الصلاة والسلام قبل البعثة موسوما بعبادة الله تعالى فلذلك
لم يكن نظم الآية ولا انتم عابدون ما عبدت وان كان هو المطابق لقوله ما عبدتم (قوله وانما قال مادون من)
جواب عما يقال المراد بقوله ما اعبد في القرينة الثانية والرابعة هو الله تعالى فكيف عبر عنه بكلمة ما والاصل فيها
ان لا تطلق على اولي العلم اذا اريد بهم نفس ذواتهم واما اذا اريد ان يعبر عنهم بما يدل على غاية التعظيم والتحقير
فحينئذ يعبر عنهم بكلمة ما فان ما الموصولة لا تستعمل في ذوي العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقوله
سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشأن الذي سخر امنا لكن لنا فكذا معنى الآية ولا انتم عابدون الاله
العظيم الشأن الذي لا يستحق العبادة غيره ولما حمل ما في ما اعبد على المعبود بالحق حمل قوله تعالى ما عبدتم
وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل والثاني انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود
الحق ايضا بها للمقابلة والمشاكلة فان رعاية المقابلة تحسن ما لا يحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله
وقيل ما مصدرية ومحصوله انه انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لو كانت ما موصولة وليست كذلك بل
هي مصدرية والمعنى لا اعبد عبادتكم اى مثل عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص لا يفعل نفس فعل غيره
ولكن يفعل مثل فعله فكذا الكلام في اخواتها (قوله وقيل الاوليان بمعنى الذي) فالمعنى لا اعبد الاصنام
التي تعبدونها ولا انتم تعبدون الله الذي اعبده والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية
على الشك والتقليد ولا انتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين والبرهان والظاهر ان مقصود القائل بحمل هذه
القرائن الاربع على التأسيس بيان التغاير بينها بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب اذ لا تعرض لوجه التعبير عنه
تعالى بكلمة ما في القرينة الثانية وانما اخره الى هنا من حيث انه تعلق بهذا المقام ايضا (قوله فليس فيه اذن
في الكفر ولا منع عن الجهاد) جواب عما يقال كيف امر عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم لكم دينكم وهو اذن
لهم في الكفر وقد بعث عليه الصلاة والسلام للمنع عن الكفر وايضا انه عليه الصلاة والسلام لما امر بان يأذن لهم
في الكفر واثبات عليه لزم ان يكون ممنوعا عن الجهاد وهو عليه الصلاة والسلام مأمور به وتقرير الجواب ان قوله
تعالى لكم دينكم لما كان معناه انكم لا تتركونه ابدا فلا يفارق ذلك عنكم كان ذلك فذلكة لقوله تعالى ولا انتم عابدون
ما اعبد وبيانا لمحصل معناه فليس فيه اذن في الكفر بل هو تقريع وذم لهم بالاصرار على الكفر والضلال ولا منع عن

و يجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما
لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين
قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما
بعبادة الله تعالى وانما قال مادون من لان المراد الصفة
كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة
وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي
والآخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي انتم
عليه لا تتركونه (ولي دين) الذي انا عليه لا ارفضه
فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون
منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير
كل من الفريقين الآخر على دينه

الجهاد ايضا وقيل هذه السورة نزلت قبل الامر بالجهاد فهي منسوخة بآية القتال وان فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولى حسابى ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة فالامر ظاهر وكذا ان فسر بالجزآء وقد يستعمل الدين بمعنى الدعاء كما فى قوله تعالى ادعوا الله مخلصين له الدين وان فسر الدين بالدعاء يكون معنى قوله لكم دينكم ان دعاكم لا يسمع ولا يقبل وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى عن طريق قبول الله تعالى اياه ولا تقبله الاصنام ايضا لقوله تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم وانما يقبل ويستجاب دعاء من آمن بالله تعالى واتبع سبيله كما قال تعالى ويستجيب الذين آمنوا ادعونى استجب لكم (قوله والعبادة) لعله تصحيف من الناسخين والعبارة الفصيحة العادة فان الدين قد يستعمل بمعنى العادة والشان والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم من الشياطين ولى عادتى المأخوذة من الملائكة ومن الوحى ثم يجرى كل واحد منى ومنكم على حسب عادته فألقى الملائكة والجنة وتلقون الشياطين والنار اذ لا وجه لاطلاق لفظ العبادة على اعمال المشركين الا ان يقال اطلق عليها الدين والطاعة لوقوعها فى صحبة قوله ولى دين والمشاكلة من صنائع اهل البلاغة والله اعلم ٭

تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين

(سورة النصر مكية وقيل مدنية فانه روى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها سنتين)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اظهاره اياك) يعنى ان نصر الله مصدر مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف للعلم به اى نصر الله اياك وان المراد بنصره تعالى اياه عليه الصلاة والسلام اظهاره وجعله غالبا على اعدآئه من قريش وسائر العرب يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه وكذا الفتح فانه مصدر ايضا وما فيه من حرف التعريف عوض عن الاضافة ومفعوله محذوف وهو مكة فان فتحها هو الذى يقال له فتح الفتوح والتقدير وفتح مكة وجواب اذا وعامله هو قوله تعالى فسبح وقد اشتهر ان الجواب هو العامل فيه اى اذا جاءك النصر والفتح وكثرت الاتباع والامم فاشتغل انت بالتسبيح والحمد والاستغفار وقيل اذا منصوب بجاء وقيل جوابه محذوف والتقدير اذا جاءت هذه الاشياء فقد عظمت نعمة الله تعالى عليك وقيل حضر اجلك وعطف الفتح على النصر من قبيل عطف المسبب على السبب لان النصر الالهى سبب للفتح وتقييد النصر بالاضافة اليه تعالى مع ان النصر لا يكون الا من الله تعالى كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله لتعظيم المضاف اى اذا جاءك نصر لا يليق الا بالله ولا يفعله الا هو فسبح وقيل المفعول المقدر لكل واحد من النصر والفتح ليس امرا مخصوصا هو اياك ومكة بل الآية من قبيل ما حذف فيه المفعول للتعميم والمعنى اذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه ديار الكفر عليه (قوله وانما عبر عن الحصول بالمجيء) جواب عما يقال من ان المجيء من خواص ما يصح عليه الانتقال من الجواهر والنصر والفتح ليسا من قبيل الجواهر فكيف اسند المجيء اليهما والظاهر ان يقال اذا وقع او حصل نصر الله عز وجل وتقرير الجواب انه عبر عن حصولهما بالمجيء تشبيها لهما بما يصح الانتقال فى حقه من حيث ان الحوادث قدر وجودها فى الازل فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا معينة واوقاتا مقدرة لا يحدث شيء منها الا اذا تحققت اسبابه وحضرت اوقاته فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاسباب والاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيأ فشيأ وشبه وقوعها عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فاطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فكانت استعارة تبعية وكلمة اذا ظرف لما يستقبل فالآية بظاهرها تدل على ان هذه السورة نزلت قبل ان نصره الله تعالى نصرا تسبب عنه فتح مكة ودخول الناس فى دين الله افواجا ولهذا قيل انها مكية وعده الله تعالى وهو فيها انه سيهاجر منها ثم انه تعالى يفتحها له ويدخل الناس فى دين الله افواجا بنصره له واظهاره على اعدآئه وقيل كلمة اذا ههنا لمجرد الوقت وان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى وقال مقاتل انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها حولا واعلم ان صفات الحق تعالى منحصرة فى قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح

وقد فسر الدين بالحساب والجزآء والدعاء والعادة ٭ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

(سورة النصر مدنية وآيها ثلاث)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على اعدآئك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره

اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهى صفات الجلال والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهى صفات الاكرام ولما امره الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية والثبوتية امره بعده بالاستغفار لأن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وكمال وجود الحق وفيه ابضاطاب لما هو الاصلح والاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا وهذا الطريق اعنى النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين فى مسيرهم منهم من يقول مارأيت شيئا الا ورأيت الله بعده ومنهم من يقول مارأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ولا شك ان النزول من المؤثر الى الاثر اجل من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف الطريقتين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق وهو النفس فذكر فى حق الاشتغال بالخالق امرين التسبيح والتحميد وفى حق الاشتغال بالنفس الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق (قوله تعالى يدخلون) فى موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية بصرية او بمعنى المعرفة وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولا ثانيا لها وافواجا حال من الضمير فى يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة روى انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذا ظفر باهل الحرم فليس لا حد به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال وقصة فتح مكة انه لما وقع صلح الحديبية وانصرف عليه الصلاة والسلام اغار بعض من كان فى عهد قريش على خزاعة وكانوا فى عهده عليه الصلاة والسلام فجاء سفير ذلك القوم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه عليه الصلاة والسلام ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرنى ان النصر يجيء من عند الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان اباسفيان يجيء ويلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة الاجاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا احد من اكابر الصحابة رضى الله عنهم ورجع الى مكة آيسا فتجهز عليه الصلاة والسلام للمسير الى مكة فخرج اليها وفتحها ووقف على باب المسجد وقال * لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده * ثم قال يا اهل مكة ماترون انى فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام والسمع والطاعة ثم صار الناس يدخلون فى دين الاسلام فوجا بعد فوج (قوله جماعات كثيفة) اى كثيرة (قوله فتعجب) اى قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه عليك وهو الغلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة فقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك ولاسيما ان المقام مقام التعجب ولعل الوجه فى ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب يستبعده وقوعه كانه يستقصر قدرة الله تعالى عليه ويخطر بباله ان يقول من يقدر عليه ويوجده ثم يتدارك انه فى هذا الزعم مخطئ فيقول سبحان الله تعالى تنزيها لله تعالى عن العجز عن خلق مثله من العجائب واعتقادا بانه تعالى على كل شئ قدير (قوله اوفصل له) يعنى يجوز ان يكون المراد بالتسبيح الصلاة تسمية للمحل باسم ما حل فيه لان الصلاة لاتخلو عنه فكانه جزؤ منها وقد عبر بلفظ التسبيح عن الصلاة فى مواضع من القرآن قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وحمل اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعين المعنى المجازى ايد هذا الاحتمال بماروى انه عليه الصلاة والسلام صلى ثمانى ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قيل انه عليه الصلاة والسلام صلاها شكر الله تعالى وقال آخرون هى صلاة الضحى وقيل اربع للشكر واربع للضحى (قوله اوفنزهه) لما روى انه عليه الصلاة والسلام سئل ما المراد بالتسبيح فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه الله تعالى عن كل سوء فانه تعالى منزه فى ذاته وصفاته وافعاله عن كل مالايليق بشأنه الاعلى (قوله اوفأثن على الله تعالى) اى ويجوز ان يكون التسبيح لا بمعنى التنزيه بل يكون بمعنى الثناء عليه تعالى بصفات الجلال ويكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الاكرام وصفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات وكماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالافضال والانعام عليه كالعظمة والكبرياء والملك والتقديس والعز والجبروت والعلم والسمع والبصر ونحوها وصفات الاكرام صفات لها آثار فى الخلق كالرحمن والرحيم والغفار والرزاق والوهاب والباسط والغنى ونحوها وقوله بحمد ربك حال من المنوى فى فسبح اى سبحه حامدا له اى مقدرا ان تحمده بعد التسبيح (قوله هضما لنفسك) اشارة الى ان الحكمة الداعية الى امر النبى

(ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا) جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصر اومفعول ثان على انه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمانى ركعات اوفنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده اوفأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل مارأيت شيئا الا ورأيت الله قبله

(انه كان توابا) لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

(سورة ابي لهب مكية وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك (يدا ابي لهب) نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فأنذرهم فقال ابو لهب تبالك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وآخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب

المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بان يعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة ويقول ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ولما كانت مراتب السير الى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب آخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنها فبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله لذنبك اما اذا كان معناه واستغفره لذنب امتك فالامر ظاهر (**قوله** كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين) يعني ان لفظ كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين ومن كان هذا شأنه أفلا يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فلفظ كان في الآية يدل على ان ذلك الثبوت في الماضي وكونه تعالى توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال او في المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة من التوابين او لكثرة ما تابوا منه من الذنوب (**قوله** ولعل ذلك) اي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة نعيا له عليه الصلاة والسلام ان كونه عليه السلام منصورا غالبا على اعدائه وحصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا يدل على تمام الدعوة والتبليغ وتمامه يدل على ارتحاله عليه الصلاة والسلام من هذه الدنيا ولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قيل قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ففيه تنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يستكثر من التوبة والاستغفار اذا قرب اجله ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا

(سورة المسد مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(**قوله** هلكت او خسرت) فان التباب يكون بمعنى الهلاك كما في قوله تبابة ام تابة اي ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ويكون بمعنى الخسران ايضا كما في قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير بدليل انه يقال تب لفلان كذا اي استمر وتبت يدا ابي لهب اي استمرتا في الخسران والمراد بقوله تعالى يدا ابي لهب نفسه كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وما قدمت يداه اي نفسه فعلى هذا يكون قوله تعالى تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه (**قوله** وقيل انما خصتا الخ) يعني قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كانه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمي بهما سيد الكائنات وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى سعادة الدارين وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان شديد المعاداة له روى انه عليه الصلاة والسلام خرج الى سوق ذي المجاز يدعو الناس الى التوحيد ويقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وابو لهب خلفه يرميه وكان قد آدمى ساقه وعرقوبيه ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه ويروى انه اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله تعالى وتب (**قوله** وقيل المراد بهما دنياه وآخرته) تشبيها باليدين من حيث انه يتسبب بهما لما اصابه من الحوادث كما يتسبب الانسان بيديه لما يكسبه (**قوله** لاشتهاره بكنيته) دون اسمه فان الرجل قد يكون مشهورا باحدهما دون الآخر ولهذا يجعل اللقب عطف بيان للاسم اذا اشتهر الرجل بلقبه وقد يعكس الامر اذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا الوجه انه قرأ عليه الصلاة والسلام تبت يدا ابو لهب بالواو مع ان القياس ان يقرأ ابي لهب بالياء لكونه مضافا اليه ووجه التأييد ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية وهي ابو لهب بالواو وصارت بمنزلة اسم العلم فلم تتغير في شيء من الاحوال لان الاعلام لا تتغير بخلاف المضاف في التركيب الاضافي فان اعرابه يتغير على حسب اختلاف العوامل فيقال هذا ابو لهب ورأيت ابا لهب كما يقال علي بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان بالواو فيهما لان كل واحدة من الكنيتين لما كانت بمنزلة العلم لم تتغير لئلا يشتكل فيهما المراد على السامع (**قوله** او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله) فان مرجعه لما كان نارا ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بابي لهب كما يقال

(ابوالبشر)

ابو الشر وابو الخير للشرير والخير (قوله وتب اخبار بعد دعاء) يعني ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والجملة الثانية اخبار عن تحقق المدعو ووقوع المطلوب على نهج قول الشاعر وقد فعل على سبيل التفاؤل والعاويات في البيت يروى بالواو من عوى الكلب يعوى اذا صاح وبالدال من عدا في المشي اى اسرع فاعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها شبه الجنون يسرى مرضها الى من تعضه ووجه قرآءة وقد تب على كون الجملة الثانية اخبارا بعد دعاء ان قد لا تدخل على الدعاء وانما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول مثل قد خرج الامير لمن ينتظر خروجه فهذه القرآءة دلت على ان ما بعدها ليس بدعاء كما قبلها (قوله اوالاول اخبار عما كسبت يداه) اى اخبار بهلاك عمله وانه محروم مما يترتب عليه من المنافع والثاني اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع في الدنيا والآخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما تحصل بمباشرة اليدين (قوله نفى لاغناء المال عنه) اى ويجوز اى تكون كلمة ما حرف نفى لا محل لها من الاعراب فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنه ماله شيئا وهو استئناف جوابا عما كان يقول اللعين ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدى منه نفسي بمالي وولدي ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون في موضع النصب بأغنى اى اى شئ اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب ٧ (قوله وكسبه) على ان كلمة ما في قوله وما كسب مصدرية وقوله اومكسوبه على ان تكون ما موصولة او موصوفة اى والذي كسبه او شئ كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به فالكسب بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اى نوع كان وبمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح ويحتمل ان يكون المراد بماله المال الذي ورثه من ابيه وبما كسب المال الذي كسبه بنفسه ويحتمل ان يكون المراد بماله ما في يده من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه من الاعمال والاولاد والوجاهة والاتباع روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما كسب ولده وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا حيث قال عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه (قوله وقد افترسه اسد) اى اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه لشدة عداوته له عليه الصلاة والسلام روى عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد ان يسافر الى الشام قال لآتين محمدا فلاوذينه فأتاه فقال يا محمد اني كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اى اشتد حزنه لاجل تلك الدعوة حتى امسك عن الكلام لاجل حزنه وقال ما اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فأخبره بما وقع له ثم خرج الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معاشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني من دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله تعالى الاسد وألقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

من يرجع العام الى اهله * فما اكيل السبع بالراجع

كان لكم في هذه عبرة * للسيد المتبوع والتابع

فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تعالى تبت يدا ابي لهب اخبارا عن هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما على هلاكهما لا ينافيه كون الاخبار بلفظ الماضي لان وروده بلفظ الماضي مبني على انه محقق الوقوع في علمه تعالى (قوله ومات ابو لهب بالعدسة) وهي بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت روى عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا في انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح في حجرة زمزم فكنت جالسا وعندى

---

٧ فانه لا احد اكثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه الصلاة والسلام فهل دفع ذلك منه الموت ولم يصرح في الآية ان المراد من الاغناء الاغناء فيما اذا قال بعضهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يعتقد ان يده هي العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده وقال بعضهم بل المعنى انهما لم يغنيا عنه في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه تصوير الهلاك بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب ويؤيد هذا المعنى ما روى عنه من قوله ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدى منه نفسي بمالي واولادي صح

(وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله

جزاني جزاه الله شر جزآئه ٣٠
جزآء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه انه قرئ وقد تب اوالاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه (ما اغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب اواستفهام انكار له ومحله النصب (وما كسب) وكسبه اومكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع اوعمله الذي ظن انه ينفعه اوولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العيرومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه

ام الفضل جالسة وقد سرنا ماجاءنا من الخبر اذ أقبل ابو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهرى الى ظهره فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابولهب كيف الخبر يا ابن اخى فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله ومع ذلك قالت الناس لقينا رجال ابيض على جبل يرف بين السماء والارض فقال ابورافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فأخذنى وصرعنى على الارض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على رأسه فشجته وقالت تستضعفه اذ غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كذا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ماعاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين اوثلاثا فلم يدفناه حتى أنتن فى بيته وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها كما تتقى الناس الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه فهذا معنى قوله تعالى مااغنى عنه ماله وما كسب والله اعلم فهو من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن الغيب وطابقه وقوعه لان السورة مكية وكان هلاكه بعد الهجرة بزمان (قوله وليس فيه مايدل على انه لايؤمن) اى حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لايطاق بناء على انه لاشك ان ابالهب مكلف بان يؤمن بجميع ماجاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى ومن جملة ماجاء به انه لايؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وذلك ممالا يطاق فالآية دليل على وقوع التكليف به مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لايكلف الله نفسا الاوسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر فى قوله تعالى انبئونى باسماء هؤلاء للتعجيز لاللتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف بما لاطاقة لهم به بل ايصال مالايطاق من العوارض اليهم واذ قد تبين ان التكليف بما لايطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا فى الجواز فمنعه الحنفية والغزالى من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعرى ومن تابعه والمراد بمالايطاق اعم ممايكون ممتنعا فى نفسه كالجمع بين الضدين اوممكنا فى نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ماامتنع بناء على انه تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلانزاع فى جواز التكليف به ووقوعه لكونه مقدورا للمكلف فى نفسه (قوله عطف على المستكن فى سيصلى) وهى ام جميل بنت الحارث اخت ابى سفيان عمة معاوية كانت شديدة العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عاصم حمالة بالنصب على الشتم والذم

وقد اتى بجميل من سب ام جميل

وقرأ الباقون بالرفع اما على ان قوله وامرأته حمالة الحطب جملة اسمية سيقت للاخبار عنها بذلك واما على ان وامرأته عطف على المستكن فى سيصلى وحمالة صفة لامرأته وجاز ذلك لكون اضافتها معنوية لكونها بمعنى الماضى او بدل اوعطف بيان لها اوخبر مبتدأ محذوف اى هى حمالة اومبتدأ خبره فى جيدها (قوله يعنى حطب جهنم) جواب عمايقال انها كانت من بيت العزة اخت ابى سفيان فكيف يصح لها ان تكون حمالة الحطب واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ماحملته من الآثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها زوجها على ايذائه عليه الصلاة والسلام استعير الحطب لتلك الآثام تشبيها لها بالحطب فى ان كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اذ توقد بها نار جهنم كما ان الحطب يوقد به نار الدنيا والثانى ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الفتنة والخصومة كما ان الحطب توقد به النار فان النمام يعمل فى ساعة مالايعمل الساحر فى شهر وعلى التقديرين يكون قوله فى جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ماقترن بها مايلائم المستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيقى ويلائمه ان يلقى حامله الحبل على جيده بان يجعله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته الا انها لاتحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت الشرف والسعة فكيف تحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب والسعدان فتنثرها بالليل فى طريقه صلى الله عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلاة فكان عليه الصلاة والسلام يطأه كما يطأ الحرير قيل كانت ام جميل تأتى كل يوم باباله من الحسك فتطرحها فى طريق المسلمين فبينما هى حاملة حزمة ذات ليلة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها بان خنقها بذلك الحبل فقوله تعالى فى جيدها

(سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نارجهنم وليس فيه مايدل على انه لايؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى اومبتدأ وهى ام جميل اخت ابى سفيان (حمالة الحطب) يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه اوالنميمة فانها توقد نار الخصومة اوحزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم

حبل من مسد تصوير لها بصورة الحطابة التي تحتطب لنفسها تحقيرا لشأنها لان الحطب لو حمل على الحقيقة لم يكن في الكلام استعارة حتى يكون قوله في جيدها ترشيحا لها (**قوله** او بيانا لحالها) عطف على قوله تحقيرا لشأنها اى ويجوز ان يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان ان حالها في نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليه في الدنيا جزآء وفاقا تحملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه وفي جيدها سلسلة من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة (**قوله** والظرف) وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامرأته وقد مر انه مستكن في سيصلى فيكون في معنى الفاعل وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذى الحال وقوله او الخبر اى او هو في موضع الخبر لقوله وامرأته على ان يكون مرفوعا بالابتدآء وحبل فاعل بالظرف ايضا لاعتماده على المبتدأ روى عن اسماء رضى الله عنها انها قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابى لهب جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر رضى الله عنه وهى تقول

مذمما قلينا * ودينه أبينا * وحكمه عصينا

فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله قد اقبلت اليك وانا اخاف ان تراك فقال عليه الصلاة والسلام انها لن ترانى وقرأ فاذا قرأت القرءآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فلما انتهت الى ابى بكر رضى الله عنه قالت له قد ذكر لى ان صاحبك هجانى فقال ابو بكر لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهى تقول قد علمت قريش انى بنت سيدها وانما حلف ابو بكر بانه عليه الصلاة والسلام ما هجاها بناء على انه من باب المعاريض لان القرءآن لا يسمى هجوا ولانه كلام الله تعالى لا كلام الرسول ففيه دليل على جواز المعاريض والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(**قوله** الضمير للشان او للمسئول عنه) يعنى ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشأن لانه في موضع التفخيم وتفسير الشئ بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثانى انه عائد الى المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول هذه السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال عليه الصلاة والسلام لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله أدعوكم من عبادة الاصنام الى عبادة رب الانام فارسلوه ثانيا وقالوا قل له بين جنس معبودك أمن ذهب ام فضة فانزل الله تعالى هذه السورة فقالوا له ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد (**قوله** وأحد بدل او خبر ثان) يعنى ان هو اذا لم يكن ضمير الشان بل كان ضمير المسئول عنه وكان لفظ الجلالة خبره يحتمل ان تكون لفظة احد بدلا من الخبر وان تكون خبرا ثانيا والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا تكون بدلا من المعرفة لئلا يكون ما هو انقص في الدلالة على الذات المراد مقصودا بالنسبة وما هو أتم فيها توطئة لذكره وأحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة مخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان أبا على جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة جوز المصنف ابدال احد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز مثل ذلك (**قوله** يدل على مجامع صفات الجلال) مجامع بفتح الميم الاولى جمع مجموعة انث لتأنيث ما هى عبارة عنه وهو صفات الجلال اى الصفات السلبية وسميت صفات الجلال لكونها من الفضائل اللازمة (**قوله** اذ الواحد) اشارة الى ان الاحد بمعنى الواحد وان اصله وحد قلبت همزته واوا للتخفيف واكثر ما يفعلون هذا في الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين اول الكلمة نحو أجوه واشاح في وجوه ووشاح وقيل بينهما فرق بان الاحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركبها بشئ من الجائز التركيب اى لا تركيبا خارجيا ولا عقليا والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة في الصفات وكون لفظة الله دالا على جميع صفات الكمال ظاهر لانه اسم للذات الواجب الجامع لجميع الصفات الذاتية والفعلية ولجميع الفضائل الذاتية والفواضل المتعدية واما كون احد دالا على جميع صفات الجلال فلان احدية الشئ عبارة عن كونه واحدا حقيقيا لا تعدد فيه لا في ذاته ولا في صفاته وانفعاله ومعنى كونه واحدا في ذاته ان لا يكون منقسما الى أبعاض واجزآء خارجية ولا عقلية

(في جيدها حبل من مسد) اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو ترشيح للمجاز اوتصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به

* عن النبي عليه السلام من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب في دار واحدة

(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله احد) الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتدآء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هى هو او للمسئول عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية

والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لوكان مركبا فى الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزآئه وكل واحد من اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فى نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنا فى نفسه ولو كان مركبا فى العقل لكان مشاركا للغيره فى ماهية ذلك الغير فيحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لماسواه تقتضى الامكان فلوكانت تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه ومعنى كونه واحدا فى صفاته ان لايكون له نظير ولا شبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وليس له تعالى نظير يضاهيه فى شئ من صفاته اذ لوكان له نظير كذلك لاشتركا فى ذلك الوصف ولتميز الواجب عنه بحسب التعين العارض له ولوكان كذلك لكان مركبا مما به المشاركة والممايزة وقدمر ان التركيب يستلزم الامكان وينافى الوجوب الذاتى فوجب كونه تعالى واحدا فى صفاته ومعنى كونه واحدا فى افعاله ان لايكون له شريك فى افعاله فانه اذاكان له شريك فى افعاله لايخلو اما ان يحتاج اليه فى فاعليته اوكان كل واحد منهما مستقلا فى الفاعلية والتأثير والاول يستلزم الامكان والثانى يبطله برهان التمانع فقد ثبت ان الواحد الحقيقى مايكون منزه الذات عن التركيب الخارجى والعقلى وعن أنحاء التعدد ايضا بان يكون له من يشاركه فى صفاته وافعاله وذلك يستلزم ان لا يكون جسما لان الجسمية تستلزم التركيب الخارجى لان كل جسم مركب فى ذاته من الاجزآء وان لايكون متحيزا لان التحيز ايضا يستلزم التركيب الخارجى فان كل متحيز يمينه مغاير لسماله فيكون منقسما وان لايشاركه احد فى نفسه حقيقته ولا فى خواص تلك الحقيقة لان المشاركة فيهما اى فى الحقيقة الواجبة وخواصها المقتضية للالوهية تستلزم كونه تعالى مميزا عما يشاركه بحسب التعين العارض للماهية وذلك يستلزم كونه تعالى مركبا مما به المشاركة وما به الامتياز وقدمر ان التركيب مناف للوجوب الذاتى فثبت ان الاحدية دالة على جميع صفات الجلال كما ان لفظ الله دال على جميع صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع وجازة لفظه اتم بيان واكمل تعريف له بالنسبة الى البشر اذ لاسبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذى فى وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد (**قوله ولعل ذلك**) اى ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بان وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة قل وعلى عدم التصدير بها فى الاخرى وجواز القرآءة بها وبدونها فى الثالثة ان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفته لقومه فى امر العبادة بان ينفرد كل واحد منهما بعبادة معبود غير معبود الآخر ومن المعلوم ان المشاقة لاتناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام من عند نفسه من غير ان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لانه عليه الصلاة والسلام ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه وطاعته فى جميع ماجاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به ان يقول لقومه من عند نفسه لايجمعنا دين واحد ولانتفق على عبادة معبود بل لكل واحد منى ومنكم معبود على حدة اوان يوادعهم اى يتركهم ومايدينون ولانه كيف لايليق بالمؤمن ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن ابدا ولا تعبد الله لحظة وانما تأتى له ذلك اذ ابين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك وان سورة تبت معاتبة عمه عليه السلام ومن المعلوم ايضا ان معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لايناسب ان تقع منه عليه السلام لامن عند نفسه ولا بان يكون مامورا بها من قبله تعالى لان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه وكل من كان فى منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب ان تكون معاملته مع اعمامه باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا وقال لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم الذى هو كالاب فى استحقاق التعظيم والتكريم لاسيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلذا لم تصدر سورة تبت بكلمة قل صونا له عليه السلام من ان يشافه عمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه الخبيث بقوله تبالك ألهذا دعوتنا فكأنه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بمانزل عليك من قولى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اجيب عنك واشتمه فانزل قوله تبت يدا ابى لهب ففيه تنبيه على ان من لم يشافه السفيه كان الله تعالى ذابا عنه وناصرا له ومعينا فقد روى ان ابابكر رضى الله عنه كان اذا آذاه احد يبقى ساكتا ولم يكافئه بسوء فجاء رجل فشتمه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر فى الجواب سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر ما السبب فى ذلك قال

وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا أيها الكافرون ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة و يؤمر بان يدعو اليه اخرى

لانك ما دمت ساكتا فالملك يجيب عنك فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان واما سورة الاخلاص فانها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية وتنزيه له تعالى عن الاولاد والاكفاء فصح ان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه وان يؤمر بان يدعو اليه فجاز لذلك كونها مصدرة بقل وكونها غير مصدرة به وهذا ما فهمته من قول المصنف ولعل ذلك الى آخره الا انه محل تأمل لان قوله وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لا مدخل له فى هذا الكلام على تقدير عدم تصوير السورة بقل سوى كونه تاليا لكلام الله المنزل اليه وقوله يقول به يدل على انه عليه الصلاة والسلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بقل فبينهما تدافع ولان تعليل وجوب تصدير احدى السورتين بقل وعدم جواز التصدير به فى الاخرى بقوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل للحكمين المختلفين بعلة واحدة بحسب الظاهر وقوله ومواد عتهم معطوف على المشاقة بالواو فى اكثر النسخ والظاهر ان يعطف عليها بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من اولها الى آخرها اما مشاقة معهم بان يكون قوله تعالى لكم دينكم ولى دين تذكرة لما سبق وتقريرا له وتكون اللام فى قوله تعالى لكم ولى متعلقة بالثبات والدوام المقدر كما اختاره المصنف واما ان آخر السورة موادعتهم ومتاركتهم وما قبله تمهيد له كما اشار اليه بقوله اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وكلا التقديرين لا يناسب ان يكون منه عليه الصلاة والسلام وعطفه بالواو يشعر ان كون السورة مشاقة وموادعة وجه آخر فى تفسيرها والجمهور كسروا تنوين احد الله الصمد حال الوصل لالتقاء الساكنين التنوين ولام التعريف وعن ابن عمر انه قرأ احد الله الصمد بضم الدال من غير تنوين بناء على ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين فى انهما من حروف الزيادة فلما شابهتها حذفت عند اتصالها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده فى نحو يغزو القوم ويرمى القوم ولهذا الوجه ايضا حذفت النون الساكنة فى الفعل المجزوم فقيل فلم يك ينفعهم ايمانهم ولاتك فى مرية وعن ابن عمر ايضا احد الله الصمد باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته فى ألسنتهم وفرارا من ثقل الحركة والتنوين وقال ادركت القرآء تقرأها كذلك وصلا على السكون (**قوله** السيد المصمود اليه) على ان الصمد فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمده اذا قصده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزل الله الصمد قالوا وما الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمد الذى يصمد الناس اليه فى الحوائج اى تقصده والصمد بالسكون المقصد ولاشك ان من يقصد اليه فى جميع المهمات ويرجع اليه فى جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ما عداه وكاملا فى جميع صفاته وأفعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشأن وعلو القدر (**قوله** وهو الموصوف به على الاطلاق) قال حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده ومن جعله الله تعالى مقصد العباد فى مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذى يقصد اليه فى جميع الحوائج وهو الله تعالى جل جلاله (**قوله** وتعريفه لعلمهم بصمديته) فان العرب بل اكثر الخلق تعرف انه تعالى هو الذى يقصد اليه فى الحوائج وان جميع ماسواه مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان فى الوجود ذاتا لا تركيب ولا انقسام فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا فى صفاته بان لا يكون له نظير وشبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وواحدا فى افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين انهم لا يعرفون موجودا هو واحد فى ذاته لا تعدد فيه بوجه فنكر لفظ احد لذلك (**قوله** الاشعار) وجه الاشعار ان قوله تعالى الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فدل على انحصار الصمدية فيمن اتصف بالالوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الالوهية يشعر بان من لا يكون صمدا لا يستحق ان يكون الها لان انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع وهذا الاشعار يكون بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرا عنه اذ لو قيل هو الله احد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان بمعنى ان الشأن الله احد الصمد او ان المسئول عنه هو الله وما بعده بدل من الجلالة او خبر ثان وعلى تقدير ان يكون الكلام خاليا عن الاشعار المذكور وكرر مع عدم الاحتياج اليه لا بد ان يكون ذلك لنكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة فحمل عليها (**قوله** لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها) وجه كون الجملة الثانية كالنتيجة للاولى ان من كان واحدا حقيقيا منزها عن أنحاء التركيب والتعدد فى ذاته وصفاته وافعاله يكون مبدأ

(الله الصمد) السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفؤا احد) اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفؤا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفؤا او خبرا ويكون كفؤا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل

لا كائنات باسرها حافظا لها ومدبرا فلا جرم لا يصمد فى الحوائج الا اليه فظهر به ان كونه تعالى صمدا نتيجة متفرعة على احديته ووجه كونها كالدليل على الاولى ان من كان صمدا وملجأ لارباب الحاجات لابد وان يكون فى اعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك يستلزم الاحدية (**قوله** لانه لم يجانس) حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد منهما من يجانسهما والحمار وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه وان القوة المولدة تكون وسيلة الى توليد المماثل والمجانس ولا تكون وسيلة الى توليد المباين ونفى المجانسة يستلزم نفى المماثلة لان انتفاء العام يستلزم انتفاء الخاص علل المصنف نفى كونه تعالى والدا بعلتين الاولى ان الولد لابد ان يكون من جنس والده بصاحبة من يجانسه ولا مجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج الى ما يعينه فى حياته ويخلف عنه بعد وفاته ولا احتياج ولا فناء فلا ولادة تتفرع عليهما فكلمة او فى قوله او يخلف عنه بعد وفاته لتقسيم احوال الوالد وقدم نفى كونه والدا على نفى كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدعوا ان له والدا فان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فبدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه تعالى لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره (**قوله** ولعل الاقتصار على لفظ الماضى) وعدم التعرض بانه لا يلد فى المستقبل مبنى على ان المقصود من الآية تكذيبهم فى قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله وان المسيح ابن الله وكذا عزير ومرجع الجميع انه تعالى ولد فى الزمان الماضى ولو كان المقصود بيان زعمهم انه لا يلد فى شئ من الازمنة الثلاثة لما صح الاقتصار على لفظ الماضى (**قوله** وذلك) اى وبيان وجه كونه تعالى منزها عن كونه مولودا لغيره ان المولودية تقتضى النقصان من وجهين الاول كونه معلولا لوالده مفتقرا اليه والثانى كونه حادثا مسبوقا بالعدم تعالى شأنه عن كل واحد من الامرين (**قوله** اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله) اشارة الى ان احد اسم يكن وكفؤا خبره وله متعلق بكفؤا لما فيه من معنى الفعل وهو المماثلة والكفؤ المثل والشبيه والمعنى لم يكن احد كفؤا له اى مثلا له ولما ورد على هذا التوجيه ان يقال على تقدير ان يكون قوله له ظرفا لغوا متعلقا بكفؤا كان حقه ان يؤخر عن اسم كان وخبره لان الظرف اللغو فضلة يتم الكلام بدونه والاصل فى الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود اولى وافصح فيكون تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل فكيف قدم له فى الآية مع انه ظرف لغو تم الكلام بدونه باسم كان وخبره اشار الى جوابه فقال وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة اى لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام فى تمامه والظرف المستقر يفتقر تمام الكلام اليه لكونه خبرا فيه كما فى قولك لم يكن فيها احد خير منك فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان وتقرير الجواب ان الظرف اللغو وان كان الاصل فيه ان يؤخر الا ان هذا الاصل قد يترك اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما بالنسبة الى عامله فيقدم عليه لكونه اهم بالنسبة اليه كما يقدم المفعول على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما بالنسبة الى الفاعل والمقصود فى الآية ليس نفى ان يكون احد كفؤا لشئ ما مطلقا بل المقصود نفى كونه كفؤا لذاته تعالى (**قوله** ويجوز ان يكون حالا) عطف من حيث المعنى على قوله اى ولم يكن احد يكافئه فانه يفهم منه ان له ظرف لغو متعلق بكفؤا اى ويجوز ان لا يكون الظرف لغوا بان يكون حالا من المستكن فى كفؤا على انه صفة له فى الاصل فلما قدم عليه انتصب حالا فاحد اسم يكن وكفؤا خبره وله حال او بان يكون الظرف خبرا ويكون كفؤا منصوبا على انه حال من احد لانه كان صفة له فى الاصل فلما تقدم عليه انتصب حالا قال ابو البقاء قوله احد اسم كان وفى خبرها وجهان احدهما ان الخبر كفؤا فعلى هذا يجوز ان يكون له حالا من كفؤا لان التقدير ولم يكن احد كفؤا له وان يتعلق بيكن والوجه الثانى ان يكون الخبر له وكفؤا حال من احد أى ولم يكن له احد كفؤا فلما قدم على النكرة انتصب حالا منها (**قوله** ولعل ربط الجمل) كانه جواب عما يتوهم من ان الجمل الثلاث فى الآية من قبيل قولك زيد شاعر وعمرو طويل فان عطف الجملة الثانية على الجملة الاولى فيه لا يصح مطلقا اى سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة كالاخوة والصداقة ونحوهما او لم يكن لعدم المناسبة بين المسندين اعنى الشعر وطول القامة فينبغى ان لا يصح ربط الجمل الثلاث فى الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ما وقع مسندا فيها وهو الوالدية والمولودية والكفاءة فانها امور متباينة وتقرير الجواب منع انتفاء المناسبة بينها فانها امور متناسبة من حيث ان كل واحدة منها قسم من اقسام المثل فان المقصود من قوله لم يلد

ان ينفى عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفى عنه تعالى القسم الآخر منهما وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوا احد أن ينفى عنه باقى اقسامه كالصاحبة والشركاء ونحوهما فتحقق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند اليه ولتناسب المسند عطف بعضها على بعض (قوله قرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف) اى بسكون الفاء مهموزا وقرأ حفص كفوا بضم الكاف والفاء غير مهموز وقرأ الباقون بضمتين مهموزا وفى التيسير قرأ حفص بضم الكاف والفاء منونا من غير همزة وحمزة باسكان الفاء مع الهمزة فى الوصل فاذا وقف ابدل الهمزة واوا مفتوحة اتباعا للخط والباقون بضم الفاء مع الهمزة منونا وقد تقرر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز فى عينه الضم والاسكان الافى قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا (قوله فان مقاصده محصورة) اى فى ثلاثة وهذه السورة الكريمة كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد فلما كانت كافلة بثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه روى عن سهل بن سعد انه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل ذلك فأدر الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وروى انه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك بالله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عفوك عفوك عفوك ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام غفرلك غفرلك غفرلك ثلاث مرات

(سورة الفلق مكية وقيل مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشئ فلقا فانفلق وتفلق اى شققته فانشق وتشقق والفرق بمعنى التمييز والتبيين قال الله تعالى وقرءانا فرقناه اى بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل واحد منهما فرقة متميزة عن الاخرى والمصنف حكم بان كل واحد من لفظى الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول اى بمعنى المفروق عنه والمفلوق عنه وذلك انما يكون بان يكون الشئ مستورا محجوبا فينشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشئ المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ما ستره من الحجاب وزواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر ان يبقى الفلق بمعنى المفلوق عنه على عمومه فيتناول كل ما يفلقه الله تعالى من الممكنات وان شاع تفسيره بالصبح يقال انفلق وانفرق الصبح ويقال للشئ الجلى انه أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق عنه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة فى علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات العدم غير متناهية لعدم تناهى المعدومات الممكنة وساترة لجميع الممكنات والله تعالى فالق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد ومظهر ما فى علمه من المكونات فكانت باسرها مفلوقا عنها كالصبح صار مفلوقا عنه بفلق ظلمة الليل عنه فظهر ان مفهوم المفلوق عنه يعم جميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل كالعيون من الارض والامطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والارض والاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع (قوله ويخص عرفا بالصبح) هذا الفرق مبنى على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار عند طلوع الشمس فتصير كزنجى لبس ثوبا شفافا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيده تقديم الظلمات على النور فى قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا ولا ضير اذ لكل وجهة (قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال) جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضى تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى ان الصبح من جملة الافراد الداخلة فى هذا العام فيكون التعظيم فى حمل الفلق على جميع الممكنات اتم واعظم فاوجه تخصيصه بالصبح وتقرير الجواب ان التعميم وان كان فيه مناسبة لهذا المقام الا ان التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه

وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده

ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المصار تربية (من شر ماخلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها (اذا وقب) دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل

آخر من حيث ان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير حاله بان يخرج من حال ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق انوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته فان الليل له ثقل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب عليه اللحم فاذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا تجد لكل مريض ومهموم خفة في وقت السحر روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القي في الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال ياجبريل ادع انت وانا اؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليه الصلاة والسلام فكشف الله تعالى ماكان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال ياجبريل وانا ادعو ايضا وانت تؤمن فسأل الله ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلاجرم مامن مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل روى ان دعاءه في الجب كان هذا * ياعدتي في شدتي * ويامؤنسي في وحشتي * وياراحم غربتي * وياكاشف كربتي * ويامجيب دعوتي * وياالهي واله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغرسني * وضعف ركني وقلة حيلتي ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة حيث ان الخلق في الليل كالاموات ودورهم كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لايلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المركب وتقوم الناس بين يديه فكذا الحال في يوم القيامة بعضهم مفلس من الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده مالايطاق حمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات المداول عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع عن العائذ كل مايخافه ويحترز منه (**قوله** ولفظ الرب ههنا اوقع) اى أليق وأنسب وقوعا جواب عما يقال ما السبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال هنا قل اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل قل اعوذ باسم الله مع ان اسم الله اشرف الاسماء واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات والاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية والاعاذة من المضار البدنية تربية فناسب ذلك ان يعبر عمن يعيذ من تلك المضار باسم الرب فكأنه امر بان يقول يارب كما ربيتني من اول زمان تكويني الى هذا الوقت بانواع التربية فأدم تلك التربية بان تحفظني فيما بقي من عمري ولاتقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك وكلمة ما في قوله تعالى من شر ماخلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها محذوف اى من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر وان تكون مصدرية اى من شر خلقه بمعنى مخلوقه على ان يكون المصدر بمعنى المفعول (**قوله** وشره اختياري الخ) قسم الشرور المضافة الى عالم الخلق الى الاختياري والطبيعي وقسم الاختياري الى اللازم والمتعدي اى الى مالايتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الآثار اللازمة والى مايتعدى اثره الى فاعله كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحيات والعقارب (**قوله** ليل عظم ظلامه) يعني ان الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل كانه لشدة ظلامه وتكاثفه ظرف امتلأ ظلمة قال ابن عباس رضي الله عنهما الغاسق الليل اذا اقبلت ظلمته واجتمعت وتكاثفت من قولهم غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسق الجرح اذا امتلأ قيحا واسند الشر الى الليل الغاسق وان لم يكن من فعله لملابسته له واشتماله عليه من حيث وقوعه فيه (**قوله** وقيل السيلان) عطف على قوله الامتلاء يقال غسق الجرح غسقا اى سال منه الصديد وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض (**قوله** وتخصيصه) جواب عما يقال قوله تعالى من شر ماخلق يتناول جميع الشرور المتعلقة بعالم الخلق سواء كانت طبيعية او اختيارية وشر الليل الغاسق مندرج فيه فامعنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة منه بخصوصه وتقرير الجواب ان تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للاشارة الى تفخيم شره لكثرة وقوعه فيه وعسر دفعه اما كثرته فلان السباع

تخرج فى الليل من آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق وسائر مترصدى الفرصة ينتشرون فيه لقصد
الاضرار وعن عكرمة ان عفاريت الجن ترسل فى تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه من الشر فلان ظلمة الليل
أستر للقاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرة وغفلة فلا يتمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستعانة بغيره لان الغوث
يقل فيه ولذلك يقال الليل أخفى للويل بمعنى انه أستر لما يؤدى الى الويل والهلاك فيكثر الاضرار فيه بما يؤدى
اليه (**قوله وقيل المراد به**) اى بالغاسق اذا وقب هو القمر مسمى به لانه يكسف فيغسق اى يذهب ضوؤه و يسود
ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ودليله ماروى انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عائشة رضى الله عنها
فأشار الى القمر وقال استعيذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندى فيه اى فى تسمية القمر
غاسقا وجه آخر وهو ان صح ان القمر فى جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو
المحاق وانمحاق نوره فى آخر الشهر والمنجمون يقولون انه فى آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لا يزال
ينتقص نوره ولا يزداد وبسبب ذلك نحوسته ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر الذى يورث التمريض الا فى ذلك الوقت
وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبى صلى الله عليه وسلم لاجل التمريض واذا
فى قوله تعالى اذا وقب منصوب بأعوذ اى اعوذ بالله من كذا فى وقت كذا (**قوله والنفث النفخ مع ريق**) وقيل
انه النفخ فقط اى بلا ريق ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل أجلها ورزقها الجوهرى التفل شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث (**قوله وتخصيصه**)
اى وتخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شره بخصوصه مع اندراجه تحت شر عالم الخلق وقد استعيذ منه
مطلقا فلم تبق حاجة الى الاستعاذة من شره بخصوصه الا انه خص بالذكر لما ان السورة نزلت للاستعاذة من شر
السواحر النفاثات فاقتضت الحكمة ان تذكر النفاثات بخصوصهن ويستعاذ من شرهن لتكمل آيات السورتين
احدى عشر آية بعدد العقد التى عقدها لبيد بن اعصم اليهودى روى ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى صلى
الله عليه وسلم فأغوته اليهود حتى اخذ لهم مشاطة رأس النبى صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه
واعطاهم اياها فسحروه فيها وكان الذى تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها فى بئر لبنى
زريق يقال لها ذروان فمرض النبى صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فجعل يتألم
ولا يدرى ما عراه فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه
للذى عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودى قال وبم
طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان والجف وعاء الطلع وقشره
والراعوفة حجر من اسفل البئر يترك هناك اذا احتفرت البئر يجلس عليه من ينقى البئر عند الاحتياج الى تنقيتها
فانتبه النبى صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله تعالى اخبرنى بدآئى ثم بعث عليه الصلاة
والسلام عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا الجف فاذا
فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام واسنان من مشطه واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقده مغروزة بالابر
فانزل الله تعالى هاتين السورتين فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ آية وحل عقدة فجعل عليه الصلاة
والسلام كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام بعض خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام
صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وجعل عليه الصلاة والسلام يقول بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك
من حاسد وعين والله يشفيك والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام وقالوا كيف
يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضى
الى القدح فى النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور ولو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين فى ذلك
التعيير ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم
صدق الكفرة فى قولهم انه عليه الصلاة والسلام مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه عليه الصلاة والسلام
مسحورا انه ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بألم يجده فى بدنه فذلك مما لا ينكره
احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به
من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه الصلاة

وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله
فى الكسوف (ومن شر النفاثات فى العقد) ومن شر
النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا
فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق
وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبى عليه الصلاة
والسلام فى احدى عشرة عقدة فى وتر دسه فى بئر فمرض
عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره
جبرائيل بموضع السحر فارسل عليا كرم الله وجهه
فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة
ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة
فى انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر

والسلام لم يكن من حيث انه نبي وانما ارقى بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته مايعرض لسائر البشر الا ترى ان ماعرض له من كسر ثناياه يوم احد لم يقدح فيما عصمه الله تعالى له من عصمته بقوله والله يعصمك من الناس لان المراد من العصمة هى العصمة مما يخل بامر نبوته (قوله وقيل المراد بالنفث في العقد الخ) عطف على قوله من شر النفوس السواحر والنساء السواحر فيكون معنى الآية من شر جنس النساء اللاتى سأنهن ان ينفثن في عزائم الرجال المعقودة على امور بكلمات لطيفة اومحسا ولات خفية فيغلبن عليهم ويحولنهم عن آرائهم وعزائمهم التى صمموا على امضائها بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه الصلاة والسلام يامعشر النساء تصدقن فانى رأيتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يارسول الله قال عليه الصلاة والسلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير مارأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن والحازم الضابط لامره المتبصر فى سيره سبهت عزائم الرجال وآراؤهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها فان النساء يملن طباع الرجال اليهن يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى ومن عزيمة الى اخرى فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من شرهن ولذلك قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الظرفاء في جوابه

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهى شم الرياحين

(قوله وافرادها بالتعريف) جواب عما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع فى كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع آحادها وليس كل حاسد وغاسق شريرا فنكر تنكير النوعية (قوله لاغتمامه بسروره) تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى حسده اى لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بمافيه من النعمة روى عن على رضى الله عنه انه قال لله در الحسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود (قوله وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره) ذكره المصنف لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر عالم الخلق لانها امام من قبيل الاجسام والجسمانيات وجها مستقلا مناسبا له وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضر غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكراها لرؤية غيره كان كانه كل السبب لشر الحيوان واضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره بخصوصه (قوله ويجوز أن يراد بالغاسق مايخلو عن النور ومايضاهيه كالقوى) فسر الغاسق اولا بالليل العظيم الظلمة وفسر وقوبه بدخول ظلامه فى كل شئ وفسر ثانيا بالقمر ووقوبه بدخوله فى الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر وثانيا بجنس النساء اللاتى يبطلن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة بتفسير آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعمايضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور فى كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوة النامية النباتية يزيد بها النبات فى الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهى الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور مايختص بها من الآثار فى الحيوان فشابهت النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعمايضاهيه من القوى فهى المراد بالغاسق وشرورها مايترتب عليها بحسب طبائعها من المضرات وفسر الحاسد بالحيوان بان جعله كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد ومبنى هذه التفاسير ان الانسان لايتضرر عن الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهى اما جمادات اونباتات اوحيوانات فامر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة (قوله فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده) جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من ان التعبير بلفظ الحاسد من الحيوان فى مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان يدل ان منشأ شر الحيوان منحصر فى وصف حسده وليس كذلك وتقرير الجواب ان باقى الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شر الحيوان

قرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبى عليه السلام انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يارسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

(سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ برب الفلق) مايفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما مايخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لمافيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر أن يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ مايخافه

وحاملاله على اضرار غيره الاان غالب مايحمله على الاضرار هو الحسد فصار الحسد بذلك كانه يحمل الحامل عليه فالتنبيه على هذا المعنى يضيف الشر الى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له (**قوله** ولعل افرادها) اى افراد الاجسام العنصرية التى هى الجماد والنبات والحيوان مع اندراجها فى عالم الخلق للتنبيه على ان لها مزيد مدخل فى الاضرار من حيث كونها اسبابا قريبة للمضرة والله اعلم بالصواب

(سورة الناس مكية وقيل مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الناس عند صاحب الكشاف اصله اناس بشهادة قوله تعالى انهم اناس يتطهرون فحذفت منه الهمزة التى هى فاؤه فى ناس فهو من قولهم آنست الشئ بمعنى ابصرته والقياس يقتضى ان يجوز اطلاقه على كل مبصر الاانه خص بالبشر عرفا وعند غيره لم يحذف منه شئ واصله نوس لقولهم فى تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة فكان القياس ان يطلق على كل متحرك الاانه خص بالبشر عرفا وقال آخرون هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانه يؤنس به وقيل هو من النسيان واصله الناسى بياء فى آخر الكلمة على انه اسم فاعل من نسى ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسرة وقرئ قل اعوذ برب بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير وقد افلح وأجمع القرآء على ترك الامالة فى الناس وروى عن الكسائى الامالة فيه ان كان فى موضع الجر (**قوله** لما كانت الاستعاذة الى قوله عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا) جواب عما يقال ما الفرق بين السورتين حتى اضيف لفظ الرب فى السورة المتقدمة الى الفلق بمعنى جميع الممكنات المفلوق عنها واضيف ههنا الى الناس وهو رب العالمين وملكهم والههم وليست ربوبيته بالنسبة الى الناس خاصة وتقرير الجواب ان ماوقع مضافا اليه فى السورتين مظهر واقع موقع المضمر لانه عليه الصلاة والسلام وهو المأمور بالاستعاذة وحق المستعيذ ان يستعيذ بمن يبيد نفسه ومالكه ومدبر امره فمقتضى الظاهر ان يقال فى السورتين اعوذ بربى الاانه لما كان الشر المستعاذ منه فى السورة المتقدمة ليس شر عالم الخلق بل شر عالم العنصريات من الاجسام والجسمانيات فان الغاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشر هؤلاء مضار بدنية متعلقة بالاجسام والشر المستعاذ منه فى هذه السورة وهو الوسوسة يختص بالنفس الانسانية ناسب للمستعيذ فى السورة الاولى ان يدرج نفسه فى جملة من يتضرر بشر عالم الخلق ويعبر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرر بالشر المستعاذ منه فلذلك قيل فى تلك السورة برب الفلق بدل ان يقول بربى فان الفلق يعم جميع الممكنات فضلا عن العنصريات ولذا ناسب فى هذه السورة ان يدرج المستعيذ نفسه فى جملة من يتضرر بالوسوسة ويعبر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرر بها وهو نوع البشر ويقول اعوذ برب الناس فى موضع ان يقول بربى فلذلك اضيف لفظ الرب ثمة الى مايعم الناس وغيرهم واضيف ههنا الى الناس خاصة الاان هذا التوجيه مبنى على ان يفسر الفلق بمايعم جميع الممكنات كما اختاره المصنف فينبغى ان يكون تقرير السؤال هكذا لم عدل عن ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ثم لم اوثر لفظ رب الفلق فى احدى السورتين ولفظ رب الناس فى الاخرى ويكون تقرير الجواب ان المستعيذ لما كان امام امته كان اللائق بمنصبه وخلقه العظيم ان يدرج نفسه عند الاستعاذة من شر عالم الخلق فى جملة من يتضرر من جهتهم انسانا كان اوغيره وعند الاستعاذة من شر الموسوس الى الناس فى جملة من يتضرر منه وهو الناس خاصة اشعارا بان الاستعاذة فى السورة الاولى ليست لاجل نفسه خاصة بل لكل مايدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية كانه قيل اعوذ برب من يتضرر بشر عالم الخلق من شره ورب من يتضرر بشر الموسوس الى الناس من شره واما على قول من فسره بالصبح فوجه اضافة لفظ الرب اليه فى تلك السورة ان الشر المستعاذ منه فيها شرور خفية بناء على ان معظم المستعاذ منه فيها هو شر الغاسق والنفاثات والحاسد ولايخفى ان شرورها خفية فكان المناسب ان يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لان شأن المستعيذ ان يلتجئ الى من يخرجه مما هو فيه الى مايضاده ويدفعه وعبر عنه فى هذه السورة برب الناس لكون المستعاذ منه شرا مختصا بالنفوس الانسانية (**قوله** فان الرب قد لايكون ملكا) يعنى ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه اوبتقليل اشتراكه ومفهوم رب الناس اعم من مفهوم ملك الناس لان التربية بمعنى السياسة والفوقية وهى لاتستلزم الملك وقد تكون بالتعليم والارشاد قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الجوهرى ربيت القوم

ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبى عليه الصلاة والسلام لقد انزلت على سورتان ماانزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولاارضى عندالله منهما يعنى المعوذتين

(سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ) قرأ ورش فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (رب الناس) لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من المضار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قد لايكون ملكا والملك قد لايكون آلها

اى سيدهم وكانت فوقهم ومنه قول صفوان بن امية لأن يربنى رجل من قريش احب الى من ان يربنى رجل من هوازن فلما كان ملك الناس اخص من رب الناس صح ان يكون موضحا له وان يقال اشتراكه الاله لم يصح ان يكون مبينا له لان ملك الناس قد يطلق على من يدبر أمرهم مع كونه بمعزل عن الالوهية فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتعيين لان لفظ اله مفردا كان او مضافا لا يطلق على غيره تعالى لان الالوهية تختص به تعالى (قوله وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة) وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس بأن كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم القادر على التصرف فيهم فان الملك هو الذى يفتقر اليه غيره ويكون غنيا عن غيره والههم الذى يستحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر امورهم حيثما شاء كيف لا يكون حقيقا بالاعاذة قادرا عليها (قوله واشعار على مراتب الناظر فى المعارف) ضمن الاشعار معنى الاطلاع فعدى بعلى فان الاشعار لا يتعدى بعلى يقال شعرت بالشئ اشعر شعرا اى فطنت له ومنه قولهم ليت شعرى اى ليتنى علمت واشعرته فشعر اى ادريته فدرى ويقال اطلعتك على سرى فان الاستعاذة اولا بالمضاف الى الرب ثم توضيحه باضافة الملك ثم بلفظة الاله تطلع السامع على ان اول ما يعرفه الناظر بنظره ان له ربا ثم يترقى فى باب المعرفة فيتحقق انه ملك ثم ينتهى الى معرفة انه اله فان الناظر فى المعارف يعلم اولا بسبب ما يرى عليه من النعم ان له ربا يربيه بأنواع النعم ثم يتغلغل اى يتعمق فى النظر حتى يتحقق اى يتيقن انه غنى عن الكل وان جميع ما سواه يفتقر اليه وهو المعنى بالملك فانه اذا علم ان جميع ما لديه من النعم الظاهرة والباطنة انما يفاض عليه من ربه يترقى الى معرفة ان وجود كل موجود وما يتفرع على اصل وجوده من انواع الفضل ووجوه الاحسان انما يفاض عليه من خزائن رحمته التى وسعت كل شئ ويتحقق عنده انه غنى عن الكل وانه ملكهم (قوله ويدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة) اى يمشى من قولهم درج الرجل والضب يدرج دروجا اى مشى فان عادة المستعيذ ان يلتجئ اولا الى ما تيسر مما يظنه مأمنا ثم يترقى منه الى ما هو اكمل واقوى فى كونه مأمنا ثم يترقى الى منتهى المطالب والملجأ الحقيقى ولما كانت صفة الالوهية منتهى معارف الناظر وصفة الملكية دونها وكانت صفة الربوبية مبدأ معارفه ذكر من اوصاف المستعاذ به اولا صفة الربوبية ثم صفة الملكية ثم صفة الالوهية تنزيلا لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة فى الحيثية فقوله ويدرج عطف على قوله ويستدل اى يستدل الناظر ويمشى فى طريق نظره مشى من يمشى فى وجوه الاستعاذة المعتادة والظاهر ان العبارة وتدرج بالعطف على قوله واشعار والمعنى وفى هذا النظم دلالة على كذا واطلاع على مراتب الناظر فى المعارف وتدرج اى ترق على سبيل التدريج الى منتهى معارف الناظر على وجوه تدرج المستعيذ على ان تكون كلمة فى بمعنى على ويكون قوله تنزيلا علة للمتدرج اليه على وجوه تدرج المستعيذ ويكون قوله اشعارا بعظم الآفة علة للتدرج المذكور بعد تعليله بقوله تنزيلا ووجه الاشعار ان المستعيذ لما امر بان يتدرج فى الاستعاذة بمن لا يدرك بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب اوصافه بان يصفه اولا بأول ما يحصل للناظر من اوصافه ويذكره بذلك الوصف ثم يذكره بما يحصل له ثانيا ثم بما يحصل له ثالثا وينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل ذلك على عظم الشر المستعاذ منه لا محالة (قوله وتكرير الناس) جواب عما يقال لم لم يكتف باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة بأن يقال رب الناس ملكهم الههم اجاب عنه بوجهين الاول ان عطف البيان انما يؤتى به لايضاح المتبوع وتبيينه واظهار الاسم ادخل فى ايجاب الايضاح بالنسبة الى اضماره والثانى ان فى اظهار المضاف اليه فى كل واحد من هذه التراكيب الاضافية اشعارا بشرفه وذلك لانه تعالى لم يكتف فى مقام بيان كونه حقيقا لأن يستعاذ به باضافة لفظى الملك والاله الى ضمير الانسان بل عرف ذاته بكونه ربا للناس ملكا للناس ولولا ان الناس اشرف مخلوقاته واعز مظاهر ملكيته والهيته لما ذكرهم بالاسم الظاهر فى كل مرة (قوله اى الوسوسة) يعنى ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة كما ان الزلزال اسم بمعنى الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال واطلاق الوسوسة على الشيطان من قبيل توصيف العين بالمصدر للمبالغة فى الاتصاف كما يقال رجل عدل للدلالة على بلوغه فى الاتصاف بالعدالة الى حيث صار كأنه نفس العدالة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اى من شر ذى الوسواس والخناس صفة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر وهو مجرور على انه صفة للوسواس بمعنى الموسوس وصف به لان شأنه وحرفته وشغله الذى هو عاكف عليه ان يخنس اذا ذكر العبد ربه والوسوسة والخنس

وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير ويدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه



صفتان للشيطان على حسب حالتى الانسان كما ورد فى الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وولى والوسوسة الدعوة الى الشر عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى فان صوته سمى وسوسة لخفائه وسميت دعوة شياطين الجن والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعوا الى المعصية وتزينها باخفاء ضررها اما بان تغر العبد بسعة رحمة الله تعالى وعفوه وبان تخيل اليه ان فى العمر سعة فتتوب بعد ما قضيت شهوتك منها اولا نهم يدعون الى المعصية بكلام خفى يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعون اليها باخفاء ضررها واراءة المنافع والمصالح فى مباشرتها واظهار أنه ناصح له فى ذلك وليس مراده الا المكر والخيانة او يجعله مغرورا بان يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه اوامكان التوبة بعد مباشرتها (**قوله** وذلك كالقوة الوهمية) شبه الشيطان بها من حيث انه يساعد الانسان فى اتباع المعاصى والمنكرات واذا آل امره الى طاعة الله تعالى خنس واعرض عنه واخذ فى المكر والحيلة ليصرفه عنها كما ان القوة الوهمية تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه (**قوله** ومحل الذى الجر) على انه صفة الوسواس اوالنصب اوالرفع على الذم وعلى الوجهين الاخيرين يحسن للقارى ان يقف على الخناس ويبتدئ بقوله الذى يوسوس لطول الكلام (**قوله** من الجنة والناس بيان للوسواس اوللذى) على معنى ان الشيطان الموسوس ضربان جنى وانسى كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شر شيطان الانس فقيل له هل للانس من شيطان قال نعم واستدل بالآية (**قوله** اومتعلق بيوسوس) فتكون من لابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس مثل ان يوقع فى القلب من جهة المنجمين والكهان انهم يعلمون الغيب ومن جهة الجن انهم يضرون وينفعون (**قوله** وقيل بيان للناس) اى المذكور فى قوله تعالى فى صدور الناس بناء على جواز ان يطلق اسم الناس على الجن كما يطلق على الانس استدلالا بتسمية الجن نفرا ورجالا كما فى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقوله يعوذون برجال من الجن وكل واحد منهما من الالفاظ المستعملة فى الانس والمصنف رحمه الله تعالى عد هذا القول تعسفا بناء على ان اطلاقه على القبيلين بعيد عن اللغة فان اهل اللغة اتفقوا على ان كل واحد من لفظى الجن والانس موضوع بازاء حقيقة مباينة للحقيقة التى وضع بازائها اللفظ الآخر وعلى ان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانها اى تسترها عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهور افرادها للبصر على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال تعالى آنس من جانب الطور نارا اى ابصر فكما لا يطلق اسم الجن على بنى آدم لعدم اجتنانهم عن اعين الناس فكذلك ينبغى ان لا يطلق اسم الناس على الجن لعدم تعلق الايناس والابصار بهم الا ان يكون الناس من النسيان ويكون اصله الناسى وحذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة فحينئذ يمكن ان يطلق اسم الناس على القبيلين لان نسيان حق الله تعالى متحقق فيهما ولا يجوز ان يقرأ فى هذه السورة مالك الناس كما يقرأ مالك يوم الدين فى سورة الفاتحة والفرق ان المالك بمعنى الرب فقوله رب الناس افاد كونه تعالى مالكا لهم فلو قرئ بعده مالك الناس للزم التكرار بخلاف سورة الفاتحة فانه لم يذكر فيها ما يدل على كونه تعالى مالك يوم الدين بغير هذه العبارة حتى يلزم التكرار واعلم ان فى هذه السورة لطيفة بالغة وهى ان المستعاذ به قد ذكر فى السورة المتقدمة بصفة واحدة وهى انه رب الفلق وان المستعاذ منه فيها ثلاثة انواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد بخلاف هذه السورة فان المستعاذ به ذكر فيها بثلاثة اوصاف وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر وقد تقرر ان المطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفى هذه السورة هو سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بما ذكرنا ان فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انه اعظم مرادا وأهم مطلوبا وان سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة فى كونها مطلوبا مهما لمن استعاذ منها اللهم اجعل امر الدين اعز مطلوب لنا وثبتنا على نهج الاستقامة * واعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة * نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين * والحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه

(الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة اوالنصب اوالرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس اوللذى اومتعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسى كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

اجمعين * وعلى سائر الانبياء والمرسلين * وعلى الملائكة المقربين * من اهل السموات واهل الارضين *
سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت الحواشي المتعلقة بحل مغلقات انوار التنزيل * واسرار التأويل * الذي صنفه الامام اعلم العلماء [illegible]
سيد العلماء علي بن عمر البيضاوي تغمده الله برحمته ورضوانه * واسكنه اعلى جنانه *

نحمدك اللهم ونصلي على نبيك المنزل عليه كتابك الكريم وعلى آله واصحابه التابعين لذلك النور العظيم وبعد لما من الله تعالى علينا بطبع هذه الحاشية الجامعة لما تفرق في سائر الكتب من التفاسير مبينا عبارات سهلة واشارات واضحة مشحونة بالواردات القدسية والغرائب الغيبية مطابقا لطبعة لما في النسخ الصحيحة المطبوعة ببولاق مصر المحمية التي علقها القطب الرباني الغوث الصمداني المولى (محمد محيي الدين) المشهور بشيخ زاده رزقه الله الحسنى وزيادة على التفسير المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل الذي صنفه الامام اعلم العلامة المقتدى الفهامة علي بن عمر البيضاوي روح الله روحه ونور ضريحه وهي اجل ما كتب وعلق على التفسير المذكور فاستنارت بتمام طبعها وحسن ختامها المطبعة المعمورة السلطانية الكائنة في القسطنطينية المحمية في ايام دولة مولانا المعظم وسلطاننا المفخم رافع لواء الدين كاسر سورة المعتدين المتمسك باحكام القرآنية المتوسل باسرار الفرقانية السلطان ابن السلطان (السلطان عبد العزيز خان) اعز الله ملة الاسلام بتأييد سلطنته القاهرة واظهرها على سائر الملل بتأييد سطوته الباهرة آمين ثم آمين مشمولا بنظارة صاحب العطوفة والكمال (السيد احمد الكمال الافندي) ناظر المعارف العمومية ومرعيا برعاية الاستاذ الاكرم المولى (السيد احمد الطاهر الافندي) مدير المطبعة السلطانية وذلك في اواسط صفر الخير (لسنة ثلث وثمانين ومائتين والف) من هجرة من خلقه الله على اجمل خلق واحسن وصف

م

